الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير عام التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات: قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

دواء القلوب

الحمد لله، الذى أنار قلوب المؤمنين بنور الإيمان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تصلح القلب واللسان من فساد الأفعال. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، الذى طهره الله ظاهرا وباطنا، ووصفه فوق ما يقال، فهو النبى المصطفى، والحبيب المجتبى، والهادى من الضلال، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه بالغدو والآصال.

«وبعـــــد»

فقد جاء فى كلام أسعد الخلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

«... وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب»(١).

أعلم - أرشدنى الله وإياك - أن القلب عصب باطن فى الجسد، وعليه مدار حال الإنسان، وبه العقل، وهو أشرف أعضائه، وسمى قلبا، لسرعة الخواطر فيه، وترددها عليه وتقلبه، وأن صلاح البدن وفساده تابع لصلاح القلب وفساده، وأن القلب كالملك، والجسد والأعضاء كالرعية، ولا شك أن الرعية تصلح بصلاح الملك، وتفسر بفساده، - وأيضا - فهو كالعين، والجسد كالمزرعة إن عذب ماء العين عذب الزرع، أو مَلَح مَلَح.

وإن مرض القلب إنما هو نوع فساد يحصل له، يفسد به تصوره وإرادته فتصوره بالشبهات، التى تعرض له حتى لا يرى الحق، أو يراه على خلاف ما هو عليه، وإرادته بحيث يبغض الحق النافع، ويحب الباطل الضار، ولهذا يفسر المرض تارة بالشك والريب، كما فسر مجاهد وقتادة قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾(٢) أى: شك، وتارة يفسر بشهوة الزنا كما فُسر به قوله:

﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾(٣) وإذا كان هناك مرض فى القلب، فإن دواءه كما قال السيد الجليل ذو المواهب والمعارف إبراهيم الخواص - رضى الله عنه - «دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وإخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين»(٤) وزاد بعضهم: العزلة، والصمت، وترك خوض الناس، وأكل الحلال، وهو رأس الكل، لأنه ينور القلب ويصلحه، فتزكو بذلك الجوارح وتدرأ المفاسد، وتكثر المصالح(٥)، وقد قيل: «إذا صمت فانظر على طعام من تفطر، فإن الرجل ليأكل الأكلة فتشعل قلبه كالسم، فلا ينتفع أبدا»(٦)

وكانت تلاوة القرآن العظيم من أدوية القلب، لأنه ينشرح بها ويستنير، ويحصل له الخشية والحزن، ولا يحصل هذا إلا بالتدبر فى القراءة، قال سيدنا على - كرم الله وجهه - لا خير فى عبادة لا فقه فيها، ولا فى قراءة لا تدبر فيها» وتكون - أيضا - مع الأدب فيها بأن يصون يديه حال القراءة عن العبث، وعينه عن تفريق النظر من

---

(١) متفق عليه / أخرجه البخارى فى الإيمان برقم (٥٢) ومسلم فى المساقاة (١٥٩٩) وأوله: «إن الحلال بين.....»

(٢) البقرة (١٠).
(٣) الأحزاب (٣٢).

(٤) كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء للدمياطى (٥٤).
(٥) سلالم الفضلاء للشيخ محمد نووى (٥٤).

(٦) كفاية الأتقياء لابن شطا الدمياطى (٥٤).

غير حاجة، ويكون على طهارة، وأن يكون مستقبلا للقبلة، وأن يجلس بوقار، أى: حسن الهيئة، وتكون ثيابه نظيفة، وأن تكون القراءة مرتلة، لأن الترتيل يعين على التدبر، وهو تبيين الحروف، وفصل كل كلمة عن أختها، وإخراج كل حرف من مخرجه والوقوف فى محله. وأن يتخلق القارئ بالشيم الحميدة، والأخلاق الرضية، التى بينها القرآن العظيم، والسنة النبوية التى أبرزها النبى - صلى الله عليه وسلم - ومن جملة الأخلاق الحميدة: السخاء والجود، والزهادة فى الدنيا، والتوكل على الله فى جميع أموره وحسن الظن به والخوف والرضا والإنصاف فى المعاملة، والحلم، والورع والتواضع وجاء فى النصائح الدينية[7]: أن للتلاوة آدابا ظاهرة وباطنة ولا يكون العبد من التالين حقيقة الذين تزكو وتلاوتهم، ويكون من الله بمكان حتى يتأدب بتلك الآداب، وكل من قصر فيها ولم يتحقق بها، لم تكمل تلاوته، ولكنه لا يخلو فى تلاوته من ثواب، وله فضل على قدره.

فمن أهم الآداب وآكدها: أن يكون التالى فى تلاوته مخلصا لله - تعالى - ومريدا بها وجهه الكريم والتقرب إليه، والفوز بثوابه، وألا يكون مرائيا ولا متصنعا ولا متزينا للمخلوقين، ولا طالبا بتلاوته شيئا من الحظوظ العاجلة، والأعراض الفانية الزائلة، وأن يكون ممتلئ السر والقلب بعظمة المتكلم - عز وعلا - خاضعا لجلاله، خاشع القلب والجوارح، حتى كأنه من تعظيمه وخشوعه واقف بين يدى الله - تعالى - يتلو عليه كتابه الذى أمره فيه ونهاه، وحق لمن عرف القرآن، وعرف المتكلم به أن يكون كذلك، وعلى أتم من ذلك، كيف وقد قال الله تعالى:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[8].

فإذا كان هكذا يكون حال الجبل مع جموده وصلابته لو أنزل عليه القرآن فكيف يكون حال الإنسان الضعيف المخلوق من ماء وطين لولا غفلة القلوب وقسوتها، وقلة معرفتها بعظمة الله وعزته وجلاله.

وكان خلاء البطن من أدوية القلب، لأن فيه راحة القلب، والسلامة من الطغيان والبطر، وخفة البدن للعبادات، ودفع الأمراض. وفى الشبع أضدادها، قال الطرطوشى: إن مصرانة الإنسان طولها ثمانية عشر شبرا، وينبغى ألا يزيد الأكل علي ثلثها، وهو ستة أشبار، وهذا هو الشبع المعتاد ويندب أن ينقص عنه بأن يأكل

---

(٧) ص٦٠. (٨) سورة الحشر الآية (٢١).

ما يقيم صلبه للكسب والعمل وهذا هو الشبع الشرعى[٩] كما قال صلى الله عليه وسلم: «ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»[١٠] وهذا من أنفع ما للكبد والقلب، ومعلوم أن آفات الشبع المعتاد ست: أحدهما ثقل جسم، وثانيها: قسوة القلب كما روى عن حذيفة عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «من قل طعامه صح بطنه، وصفا قلبه، ومن كثر طعامه سقم بطنه وقسا قلبه» وثالثها: إزالة الفطنة وإفساد الذهن، وإبطال الحفظ، ورابعها تضعيف جسم عن العبادة والعلم وخامسها: جلب النوم كما قال بعض الحكماء: من كثر أكله كثر شربه، ومن كثر شربه كثر نومه ومن كثر نومه كثر لحمه ومن كثر لحمه قسا قلبه ومن قسا قلبه غرق فى الآثام». وحديث: «لا تميتوا القلوب من كثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع إذا كثر عليه الماء مات» ولحديث: «ما زين الله برجل أفضل من عفاف بطنه» وسادسها: تقوية الشهوات ونصر جنود الشيطان كما قاله الغزالى[١١].

وإنما كان قيام الليل من أدوية القلب كذلك، لأنه مذهب كيد الشيطان، وناه عن الاثم، ودافع الداء عن الجسد، ومرضى الرب، ودأب الصالحين.

والمراد بقيام الليل: فعل العبادة فيه بصلاة أو غيرها كما ذكره الصاوى فى تفسير قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ ﴾[١٢] فقال المعنى: قم للصلاة والعبادة، قال الحبيب عبدالله الحداد فى نصائحه: «واعلم أن قيام الليل من أثقل شئ على النفس، ولا سيما بعد النوم وإنما يصير خفيفا بالاعتياد والمداومة، والصبر علي المشقة والمجاهدة فى أول الأمر، ثم بعد ذلك ينفتح باب الأنس بالله – تعالى – وحلاوة المناجاة له، ولذة الخلوة به – عز وجل – وعند ذلك لا يشبع الإنسان من القيام، فضلا عن أن يستثقله، أو يكسل عنه، كما وقع ذلك للصالحين من عباد الله حتى قال قائلهم: إن كان أهل الجنة فى مثل ما نحن فيه بالليل إنهم لفى عيش طيب».. وقال آخر: «منذ أربعين سنة ما غمنى شئ إلا طلوع الفجر» وقال آخر: أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم» وقال آخر: «لولا قيام الليل وملاقاة الإخوان فى الله، ما أحببت البقاء فى الدنيا» وقد حث سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حيث يقول: «عليكم بقيام الليل ولو ركعة»[١٣] ولذا ينبغى عليك أخى

---

(٩) سلالم الفضلاء للشيخ محمد نووى (٩٨).

(١٠) الفتح الكبير (١٠٢/٣) لأحمد والترمذى.

(١١) سلالم الفضلاء (٩٩).

(١٢) سورة المزمل الآيتان (١:٢).

(١٣) الفتح الكبير (٢٤١/٢).

المسلم - رحمك الله - بقيام الليل والمحافظة عليه، وبالاستكثار منه(و) كن من

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾[١٤].

وإنما كان التضرع بالسحر من أدوية القلب - أيضا - لأنه وقت مناجاة الله - تعالى - والدعاء فيه أقرب إلى الإجابة، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «ينزل ربنا - تبارك وتعالى - كل ليلة إلى سماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الأخير، يقول: «من يدعونى فأستجيب له، من يسألنى فأعطيه، من يستغفرنى فأغفر له»[١٥].

وإنما أفرده بالذكرو وعدّه نوعا مخصوصا مع أنه مندرج فيما قبله، لشرفه على غيره من بقية أجزاء الليل، ولأن العبادة حينئذ أشق، والنفس أصفى[١٦].

وكانت مجالسة الصالحين من أدوية القلب - أيضا - لأنها تورث الاقتداء بهم، فى أفعالهم، وأقوالهم وأحوالهم، وتدعو إلى ألا يرضى لنفسه أن يقصر عنهم، ولا أن يكون فى الخير دونهم، فتبعثه المنافسة على مساواتهم، أو الزيادة عليهم فيصيرون سببا لسعادته، وباعثا على استزادته، والصالحون هم القائمون بحقوق الله، وحقوق العباد، ومن فارق العلماء مات قلبه، وعمى عن طاعة الله ـ تعالى»[١٧] وكان صلى الله عليه وسلم - يقول: «قال لقمان لابنه: يابنى عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء، فإن الله - تعالى - ليحيى قلب الميت بنور الحكمة، كما يحيى الأرض بوابل المطر».

وقال ابن عباس - رضى الله عنهما - قيل، يا رسول الله: أى جلسائنا خير؟ قال: «من ذكركم الله رؤيته، وزاد فى علمكم منطقه، وذكركم بالآخرة عمله» وكان - صلى الله عليه وسلم - يقدم أهل العلم والصلاح في المجالس وغيرها[١٨].

وقال لقمان لابنه: يا بنى إذا رأيت قوما يذكرون الله فاجلس معهم، فإنك إن تك عالما ينفعك علمك، وإن تك جاهلا علموك، ولعل الله - تعالى - يطلع عليهم برحمته فتصيبك معهم، وإذا رأيت قوما لا يذكرون الله - تعالى: فلا تجلس معهم، فإنك إن تك عالما لا ينفعك علمك، وإن تك جاهلا يزدك غيا، ولعل الله يطلع عليهم بسخطه فيصيبك معهم»[١٩].

وعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: «إن الرجل ليخرج من منزله، وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العلم خاف واسترجع عن ذنوبه،

---

(١٤) سورة الفرقان الآيتان (٦٣، ٦٤).

(١٥) الفتح الكبير (٤٣٦/٣) لمسلم والترمذى عن أبى هريرة وللنسائى عن جبير بن مطعم، ولأحمد وأبى داود وابن ماجه عن أبى هريرة.

(١٦) كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء للدمياطى (٥٥).

(١٧) المرجع السابق.

(١٨) كشف الغمة عن جميع الأمة للإمام الشعرانى (٢٢/١).

(١٩) تنبيه الغافلين للسمرقندى (١٥٨).

فانصرف إلى منزله، وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء، فإن الله - تعالى - لم يخلق علي وجه الأرض بقعة أكرم على الله من مجالس العلماء».

وقال بعض الحكماء: «إن لله تعالى جنة فى الدنيا، من دخلها طاب عيشه، قيل: ماهى؟ قال: مجلس الذكر» ويقال: مجالسة العلماء مرمة للدين، وزين للبدن، ومجالسة الفساق جراحة للدين، وشين للبدن، ومن جلس مع الصالحين زاده الله الرغبة فى الطاعات، واجتناب المحارم ومن جلس مع العلماء زاده الله العلم والورع(٢٠).

ثم إن من أكل الحلال فقد صفا دينه، ورق قلبه، ولم يكن لدعوته حجاب، ومن أكل الشبهات اشتبه عليه دينه، وأظلم قلبه، ومن أكل الحرام مات قلبه، وخف دينه، وضعف يقينه، وحجب الله دعوته، وقلت عبادته.

وقد وصى سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليا - رضى الله عنه - إذ قال له: يا على إذا غضب الله على أحد رزقه الله مالا حراما، فإذا اشتد غضبه عليه وكل به شيطانا يبارك فيه، ويصحبه ويشغله بالدنيا عن الدين، ويسهل له أمور دنياه، ويقول: الله غفور رحيم.

يا على: ما سافر أحد طالبا الحرام ماشيا إلا كان الشيطان قرينه، ولا راكبا إلا كان رديفه، ولا جمع أحد مالا حراما إلا أكله الشيطان، ولا نسى أحد اسم الله - تعالى - عند الجماع إلا شاركه الشيطان في ولده، وذلك قوله تعالى:

﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ﴾(٢١).

يا على: لا يزال المؤمن فى زيادة فى دينه، ما لم يأكل الحرام، ياعلى: كثرة النوم تميت القلب، وتذهب البهاء، وكثرة الذنوب تميت القلب، وتورث الندم، ياعلى: للسعيد ثلاث علامات: قوت حلال، ومجالسة العلماء، والصلوات الخمس مع الإمام.

اللهم ارزقنا دوام الإقبال عليك، والاستمساك بما يقربنا لديك، وهب لنا قلبا سليما، واجعله في حبك سليما، وأفض علينا من بحر كرمك وعفوك، وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد، ونور قلوبنا بنور القرآن واجعله شفيعا لنا فى الآخرة، وصلى الله على خاتم الولاية النبوية الإرسالية، وآله وصحبه أرباب العناية الإلهية وسلم تسليما والحمد لله أولا وآخرا.

(عبد المعز عبد الحميد الجزار)

---

(٢٠) تنبيه الغافلين (١٥٩، ١٦٠).

(٢١) سورة الإسراء الآية (٦٤).

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيّد طنطاوى

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) ﴾

بعد أن بين - سبحانه - أن البر الجامع لألوان الخير يتجلى فى الإيمان بالله واليوم الآخر.. وفى بذل المال فى وجوه الخير، وفى المحافظة على فرائضه - سبحانه - وفى غير ذلك من أنواع الطاعات التى ذكرتها الآية السابقة، بعد كل ذلك شرع - سبحانه - فى بيان الأحكام العملية الجليلة التى لا يستغنى عنها الناس فى حياتهم، وبدأ هذه الأحكام بالحديث عن حفظ الدماء لما له من منزلة ذات شأن فى إصلاح العالم.

(كـتب) من الكتب، وهو فى الأصل ضم أديم إلى أديم بالخياطة، وتعورف فى ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط، وأطلق على المضموم فى اللفظ وإن لم يكتب بالخط، ومنه الكتابة، ويطلق الكتب والكتاب والكتابة على الإيجاب والفرض، لأن الشأن فيما وجب ويفرض أن يراد ثم يقال ثم يكتب، ومنه «كتب عليكم الصيام» أى: فرض عليكم.

(والقصاص) : العقوبة بالمثل من قتل أو جرح. وهو - كما قال القرطبى - مأخوذ من قص الأثر، وهو اتباعه ومنه القاص، لأنه يتبع الآثار والأخبار، وقص الشعر: اتباع أثره. فكأن القاتل سلك طريقاً من القتل فقص أثره فيها ومشى على سبيله فى ذلك، ومنه ﴿ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ وقيل: القص القطع، يقال: قصصت ما بينهما، ومنه أخذ القصاص، لأنه يجرحه مثل جرحه أو يقتله به، ويقال: أقص الحاكم فلاناً من فلان به فأمثله فامتثل منه، أى: اقتص منه»[1]

فمادة القصاص تدل على التساوى والتماثل والتتبع.

والقتلى جمع قتيل، والقتيل من يقتله غيره من الناس.

والمعنى: يأيها الذين آمنوا فرض عليكم وأوجب القصاص بسبب القتلى، بأن تقتلوا القاتل عقوبة له على جريمته، مع مراعاة المساواة التى قررها الشارع الحكيم، فلا يجوز لكم أن تقتلوا غير القاتل، كما لا يجوز لكم أن تسرفوا فى القتل، بأن تقتلوا القاتل وغيره من أقاربه.

فمعنى القصاص هنا أن يقتل القاتل، لأنه فى نظر الشريعة مساو للمقتول فيقتل به. وقد بين العلماء أن القصاص يفرض عند القتل الواقع على وجه التعمد والتعدى، وعند مطالبة أولياء القتيل بالقود - أى القصاص - من القاتل.

ولفظ «فى» فى قوله - تعالى - :

﴿ فِي الْقَتْلَى ﴾ للسببية، أى: فرض عليكم القصاص بسبب القتلى. كما فى قوله - صلى الله عليه وسلم - «دخلت امرأة النار فى هرة» أى: بسببها.

وصدرت الآية بخطاب ﴿ للذين آمنوا ﴾، تقوية لداعية إنفاذ حكم القصاص الذى شرعه الخبير بنفوس خلقه، لأن من شأن الإيمان الصادق أن يحمل صاحبه على تنفيذ شريعة الله التى شرعها لإقامة الأمان والاطمئنان بين الناس، ولسد أبواب الفتن التى تحل عرا الألفة والمودة بينهم.

وقد وجه - سبحانه - الخطاب إلى المؤمنين كافة مع أن تنفيذ الحدود من حق الحاكم لإشعارهم بأن عليهم جانباً من التبعة إذا أهمل الحكام تنفيذ هذه العقوبات التى شرعها الله.

وإذا لم يقيموها بالطريقة التى بينتها شريعته، ولإشعارهم كذلك بأنهم مطالبون بعمل ما يساعد الحكام على تنفيذ الحدود بالعدل. وذلك بتسليم الجانى إلى المكلفين بحفظ الأمن. وأداء الشهادة عليه بالحق والعدل، وغير ذلك من وجوه المساعدة.

---

(١) تفسير القرطبى ج٢ ص ٢٤٥ طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٣هـ.

وقوله – تعالى – :

﴿ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ﴾

بيان لمعنى المساواة فى القتل المشار إليها بلفظ القصاص فالجملة تتمة لمعنى الجملة السابقة، ومفادها أنه لا يقتل فى مقابل المقتول سوى قاتله، لأن قتل غير الجانى ليس بقصاص، بل هو اعتداء يؤدى إلى فتنة فى الأرض وفساد كبير.

وقد يفهم من مقابلة

﴿ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ﴾

أنه لا يقتل صنف بصنف آخر، وهذا الفهم غير مراد على إطلاقه، فقد جرى العمل منذ عهد رسول الله – صلي الله عليه وسلم – على قتل الرجل بالمرأة.

قال القرطبى: «أجمع العلماء على قتل الرجل بالمرأة، والمرأة بالرجل»(٢)

والخلاف فى قتل الحر بالعبد، فبعض العلماء يرى قتل الحر بالعبد، وبعضهم لا يرى ذلك، ولكل فريق أدلته التى يمكن الرجوع إليها فى كتب الفقه.

والغرض الذى سيقت من أجله الآية الكريمة، إنما هو وجوب تنفيذ القصاص بالعدل والمساواة وإبطال ما كان شائعا فى الجاهلية من أن القبيلة القوية كانت إذا قتلت منها القبيلة الضعيفة شخصا لا ترضى حتى تقتل فى مقابله من الضعيفة أشخاصاً، وإذا قتلت منها عبداً تقتل فى مقابله حراً أو أحراراً، وإذا قتلت منها أنثى قتلت فى نظيرها رجلا أو أكثر، فيترتب على ذلك أن ينتشر القتل، ويشيع الفساد، وقد حكى لنا التاريخ كثيراً مما فعله الجاهليون فى هذا الشأن.

قال الإمام البيضاوى عند تفسيره لهذه الآية: كان فى الجاهلية بين حيين من أحياء العرب دماء وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد، والذكر بالأنثى، فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فنزلت هذه الآية. وهى لا تدل علي أنه لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالأنثى، كما لا تدل على عكسه، فإن المفهوم يعتبر حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم»(٣).

ثم أورد – سبحانه – بعد إيجابه للقصاص العادل – حكماً يفتح باب التراضى، بين القاتل وأولياء المقتول، بأن أباح لهم أن يسقطوا عنه القصاص إذا شاؤوا ويأخذوا فى مقابل ذلك الدية، فقال – تعالى – :

﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾

عُفِى : من العفو وهو الإسقاط. العفو عن المعصية، ترك العقاب عليها، والذى عفى له هو القاتل، و(أخيه) الذى عفا هو ولى المقتول. والمراد بلفظ (شئ) القصاص، وهو نائب فاعل (عفى).

والمعنى: أن القاتل عمداً إذا أسقط عنه أخوه ولى دم القتيل القصاص، راضيا أن يأخذ منه الدية بدل القصاص، فمن الواجب على ولى الدم أن يتبع طريق العدل فى أخذ الدية من القاتل بحيث لا يطالبه بأكثر من حقه، ومن الواجب كذلك على القاتل أن يدفع له الدية بالطريق الحسنى، بحيث لا يماطله ولا يبخسه حقه.

---

(٢) تفسير القرطبى ج٢ ص ٢٤٨.

(٣) تفسير البيضاوى ص ٣٦.

فقوله - تعالى - : ﴿ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ وصية منه - سبحانه - لولى الدم أن يكون رفيقاً فى مطالبته القاتل بدفع الدية.

وقوله: ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ وصية منه - سبحانه - للقاتل بأن يدفع الدية لولي الدم بدون تسويف أو مماطلة.

وفى هذه الوصايا تحقيق لصفاء القلوب، وشفاء لما في الصدور من آلام، وتقوية لروابط الأخوة الإنسانية بين البشر.

وبعضهم فسر العفو بالعطاء فيكون المعنى: فمن أعطى له وهو ولي المقتول من أخيه وهو القاتل شيئاً وهو الدية، فعلى ولى المقتول اتباعه بالمعروف، وعلى القاتل أداء إليه بإحسان.

وسمى القرآن الكريم القاتل أخا لولى المقتول، تذكيراً بالأخوة الإنسانية والدينية، حتى يهز عطف كل واحد منهما إلى الآخر، فيقع بينهم العفو، والاتباع بالمعروف، والأداء بإحسان.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: عفى يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله: ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ ﴾؟ قلت: يتعدى بعن إلى الجانى وإلى الذنب فيقال: عفوت عن فلان وعن ذنبه. قال - تعالى - : (عفا الله عنك) وقال: (عفا الله عنها). فإذا تعدى إلي الذنب والجانى معاً قيل: عفوت لفلان عما جنى، كما تقول: غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه، وعلى هذا ما فى الآية، كأنه قيل: فمن عفى عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية(٤).

وجاء التعبير بلفظ شئ منكراً لإفادة التقليل. أى: فمن عفى له من أخيه ما يسمى شيئاً من العفو والتجاوز ولو أقل قليل، تم العفو وسقط القصاص، ولم تجب إلا الدية، وذلك بأن يعفو بعض أولياء الدم، لأن القصاص لا يتجزأ.

وفى ذلك تحبيب من الشارع الحكيم لولى الدم، فى العفو وفى قبول الدية، إذ العفو أقرب إلى صفاء القلوب، وتجميع النفوس على الإخاء والتعاطف والتسامح. وفيه - أيضا - إبطال لما كان عليه أهل الجاهلية من التعيير من قبول أخذ الصلح فى قتل العمد، وعدهم ذلك لوناً من بيع دم المقتول بثمن بخس. قال بعضهم يحرض قومه على الثأر.

فلا تأخذوا عَقْلاً من القوم إننى
أرى العار يبقى والمعاقل تذهب

وقال شاعر آخر يَذْكُر قوماً لم يقبلوا الصلح عن قتيل لهم:

فلو أن حيا يقبل المال فدية
لسقنا لهم سيباً من المال مفعماً
ولكن أبي قوم أصيب أخوهم
رضا العار فاختاروا على اللبن الدما

ثم بين - سبحانه - أنه يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر فقال:

﴿ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾.

أى: ذلك الذى شرعناه لكم من تيسير أمر القصاص بأداء الدية إلى ولى القتيل - إذا رضى طائعاً مختاراً - أردنا منه التخفيف عليكم، إذ فى الدية تخفيف على القاتل بإبقاء حياته وإنقاذها من القتل قصاصاً، وفيها كذلك نفع لولى القتيل، إذ

(٤) تفسير الكشاف ج١ ص ٢٢٢.

هذا المال الذى أخذه نظير عفوه يستطيع أن ينتفع به فى كثير من مطالب حياته.

وبهذا نرى أن الإسلام قد جمع فى تشريعه الحكيم لعقوبة القتل بين العدل و الرحمة، إذ جعل القصاص حقاً لأولياء المقتول، إذا طالبوا به لا ينازعهم فى ذلك منازع، وهذا عين الإنصاف والعدل.

وجعل الدية عوضاً عن القصاص، إذا رضوا بها باختيارهم، وهذا عين الرحمة واليسر.

وبالعدالة والرحمة تسعد الأمم وتطمئن فى حياتها، إذ العدالة هى التى تكسر شره النفوس، وتغسل غل الصدور، وتردع الجانى عن التمادى فى الاعتداء، لأنه يعلم علم اليقين أن من وراء الاعتداء قصاصا عادلا.

والرحمة هى التي تفتح الطريق أمام القلوب، لكى تلتئم بعد التصدع وتتلاقى بعد التفرق، وتتوادد بعد التعادى، وتتسامى عن الانتقام إلى ما هو أعلى منه وهو العفو، فلله هذا التشريع الحكيم الذى ما أحوج العالم إلى الأخذ به، والتمسك بتوجيهاته.

ثم ختم - سبحانه - الآية بالوعيد الشديد لمن يتعدى حدوده، ويتجاوز تشريعه الحكيم فقال:

﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

أى: فمن تجاوز حدوده بعد هذا التشريع الحكيم الذى شرعناه بأن قتل القاتل بعد قبول الدية منه، أو بأن قتل غير من يستحق القتل، فله عذاب شديد الألم، من الله - تعالى - لأن الاعتداء بعد التراضى والقبول يدل علي نكث العهد، ورقة الدين، وانحطاط الخلق.

ثم بين - سبحانه - الحكمة فى مشروعية القصاص توطيناً للنفوس على الانقياد له، وتقوية لعزم الحكام على إقامته فقال - تعالى - :

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾

أى: ولكم فى مشروعية القصاص حياة عظيمة، فالتنوين للتعظيم.

قال صاحب الكشاف، وذلك أنهم كانوا يقتلون الجماعة بالواحد، وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفنى قبيلة بكر بن وائل. وكان يقتل بالمقتول غير قاتله، فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر، فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة، أى حياة، أو نوع من الحياة وهى الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل، لأنه إذا هم بالقتل فعلم أنه يقتص منه ارتدع، فسلم صاحبه من القتل، وسلم هو من القود، فكان القصاص سبب حياة نفسين(٥).

هذا وقد نقل عن العرب ما يدل على أنهم تحدثوا عن حكمة القصاص، ومن أقوالهم فى هذا الشأن: قتل البعض إحياء للجميع»، و«أكثروا القتل ليقل القتل» وأجمعوا على أن أبلغ الأقوال التى عبروا بها عن هذا المعنى قولهم «القتل أنفي للقتل» وقد أجمع أولو العلم على أن قوله - تعالى - :﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ أبلغ من هذه العبارة التى نطق بها حكماء العرب، بمقدار ما بين كلام الخالق وكلام المخلوق، وذكروا أن الآية تفوق ما نطق به حكماء العرب من وجوه كثيرة من أهمها:

١- أن الآية جعلت سبب الحياة القصاص، وهو القتل على وجه التساوى، أما العبارة

(٥) تفسير الكشاف ج ١ ص ٢٢٣.

العربية فقد جعلت سبب الحياة القتل، ومن القتل ما يكون ظلماً، فيكون سببا للفناء لا للحياة، وتصحيح هذه العبارة أن يقال: القتل قصاصاً أنفى للقتل ظلما.

٢- أن الآية جاءت خالية من التكرار اللفظى، فعبرت عن القتل الذى هو سبب الحياة بالقصاص، والعبارة كرر فيها لفظ القتل فمسها بهذا التكرار من الثقل ما سلمت منه الآية.

٣- أن الآية جعلت القصاص سبباً للحياة التى تتوجه إليها الرغبة مباشرة، والعبارة العربية جعلت القتل سبباً لنفى القتل الذى تترتب عليه الحياة.

٤- الآية مبنية على الإثبات والمثل على النفى، والإثبات أشرف، لأنه أول والنفى ثان له.

٥- أن تنكير حياة فى الآية يفيد تعظيماً، فيدل على أن فى القصاص حياة متطاولة كما فى قوله - تعالى - :

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾

ولا كذلك المثل، فإن اللام فيه للجنس، ولذا فسروا الحياة فيها بالبقاء.

٦- تعريف (القصاص) بلام الجنس الدالة على حقيقة هذا الحكم المشتملة على الضرب والجرح والقتل - وغير ذلك، والمثل لا يشمل ذلك.

٧- أن الآية مع أفضليتها عن المثل من حيث البلاغة والشمول واللفظ والمعنى أقل حروفاً من المثل.

هذه بعض وجوه أفضلية الآية على المثل، وهناك وجوه أخرى ذكرها العلماء فى كتبهم[٦].

وفى قوله: ﴿ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ تنبيه بحرف النداء على التأمل فى حكمة القصاص.

(والألباب): جمع لب وهو العقل الخالص من شوائب الأوهام، أو العقل الذكى الذى يستبين الحقائق بسرعة وفطنة، ويستخرج لطائف المعانى من مكانها ببراعة وحسن تصرف.

وخص النداء بأولى الألباب مع أن الخطاب بحكمة القصاص شامل لهم ولغيرهم، لأنهم الذين يتدبرون عواقب الأمور، ويعرفون قيمة الحياة، ويقدرون حكم التشريع قدرها.

وفى هذا النداء تنبيه على أن من ينكرون مصلحة القصاص، وأثره النافع فى تثبيت دعائم الأمن، يعيشون بين الناس بعقول غير سليمة، ولا يزال الناس يشاهدون فى كل عصر ما يثيره القتل في صدور أولياء القتلى من أحقاد طاغية، لولا أن القصاص يخفف من سطوتها لتمادت بهم فى تقاطع، وسفك دماء دون الوقوف عند حد.

وختمت الآية بهذه الجملة التعليلية (لعلكم تتقون) زيادة فى إقناع نفوسهم بأمر القصاص، أى: شرعنا لكم هذه الأحكام الحكيمة، لتتقوا القتل حذراً من القصاص، ولتعيشوا آمنين مطمئنين، ومتوادين متحابين.

وبهذا البيان الحكيم تكون الآيتان الكريمتان قد أرشدتا إلى ما يحمى النفوس، ويحقن الدماء، ويردع المعتدين عن الاعتداء، ويغرس بين الناس معانى التسامح والإخاء، ويقيم حياتهم على أساس من الرحمة والعدالة وحسن القضاء.

(يُتبع)

---

(٦) راجع تفسير الألوسى ج٢ ص ٥١.

قبس من أنوار النبوة

شهر المحرم ويوم عاشوراء

لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد المفروضة الصلاة فى جوف الليل ». رواه مسلم وأصحاب السنن.

شهر المحرم من الأشهر الحرم الأربعة، شهر ذى القعدة الذى يقعدون فيه عن القتال، وشهر ذى الحجة الذى يؤدون فيه مناسك الحج والعمرة، وشهر المحرم ليرجع الحجاج فيه الى أقصى بلادهم آمنين، وشهر رجب فى وسط الحول لأجل زيارة البيت الحرام والاعتمار.

هذه الأشهر الحرم التى ذكرها القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾(١).

ولقد حرم الله الظلم فى سائر الشهور، ثم اختص منها أربعة أشهر فجعلهن حراما، وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم، قال قتادة(٢) فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ إن الظلم فى الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيما، ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء، وقال: إن الله اصطفى صفايا من خلقه: اصطفى من الملائكة رسلا، ومن الناس رسلا، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور: رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالى ليلة القدر فعظموا ما عظم الله».

ومن هنا كان عمل الصالحات ـ وبخاصة

---

(١) سورة التوبة/٣٦.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ص٢ ص٣٥٥ ط إحياء الكتب العربية.

الصيام ـ له عظيم الثواب كما جاء فى حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :«أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم» أخرجه أحمد وأبو داود وغيرها.

ولقد كان ليوم عاشوراء مزيد من اهتمام رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد دخل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة فوجد اليهود يعظمون يوم عاشوراء ويصومونه، فسأل عن ذلك، فقالت يهود: «هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بنى اسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه الشيخان وغيرهما ـ :«نحن أولى بموسى منكم، فصامه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمر بصيامه».

لقد صام النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم عاشوراء فلما جاء المدينة فرض صيامه على المسلمين حيث أمر رجلا من أسلم أن أذن فى الناس أن من كان أكل فليصم بقية يومه، ومن لم يكن أكل فليصم، فإن اليوم يوم عاشوراء[٣] وقالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ: «.. فلما قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة صامه وأمر الناس بصيامه، فلما فرض رمضان كان هو الفريضة، وترك عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه»[٤]

ونقل ابن عبد البر الإجماع على استحباب صوم يوم عاشوراء لما له من مزايا: منها ـ أن صائم هذا اليوم له ثواب عظيم من رب غفور رحيم فقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يقول ـ فيما رواه الترمذى عن أبى قتادة ـ: «صيام يوم عاشوراء إنى أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله».

وروى مسلم وأبو داود عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ، قال: حين صام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال: فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمت اليوم التاسع، فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ».

ولرزين: «صوموا التاسع والعاشر وخالفوا اليهود».

والمزية الأخرى: أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أخبرته اليهود أن يوم عاشوراء هو اليوم الذى نجى الله فيه موسى من آل فرعون، وأنه صامه وأنه علق على ذلك بقوله: «نحن أولى بموسى منكم» وأمر بصيامه، حتى دعا الذى أفطر أول يومه أن يمسك بقية اليوم. وهذا يعطى دلالة قوية وواضحة على موقف أمتنا الإسلامية من الأنبياء السابقين. بل يعطى وصفا حيا لعلاقتها بهم «نحن أولى بموسى منهم» ونحن أولى بكل الأنبياء والمرسلين حسب ما تقتضيه شريعتنا الغراء.

إننا نقرأ فى كتاب الله ـ تعالى ـ ما يدل

---

(٣) رواه أحمد والطبرانى.

(٤)رواه مسلم.

على أننا أولى بموسى ـ عليه السلام ـ من بنى إسرائيل الذين آذوه واتهموه، وأن براءته جاءت ظاهرة فى كتابنا ـ القرآن الكريم ـ قال الله تعالى:

﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾(٥).

روى البخارى وغيره فى تفسير هذه الآية عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن موسى كان رجلا حييا ستيرا، لا يرى من جلده شىء استحياء، فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده: إما برص، وإما أدرة، وإما آفة.

وإن الله ـ عز وجل ـ أراد ان يبرئه مما قالوا، فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها واذا الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه عريانا، أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، فذلك قوله تعالى:

﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾(٦).

لقد كان اتهام موسى ـ عليه السلام ـ عندهم، وأن براءته سجلت عندنا فمن أولى بموسى منهم إنها أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وبعد الحديث عن أفضل الصيام يأتى الحديث عن أفضل الصلاة: فيقول: «أفضل الصلاة بعد المفروضة صلاة الليل».

والنصف الأخير أفضل، قال عمرو بن عبسة قلت: «يا رسول الله: أى الليل أسمع قال: جوف الليل الأخير» رواه أبو داود.

وقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» متفق عليه. وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :«أحب العمل إلى الله الذى يدوم عليه صاحبه وإن قل» متفق عليه.

قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ فيما رواه مسلم ـ كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، يصلى ما بين أن يفرغ من صلاة العشاء الآخرة إلى الفجر إحدى عشرة ركعة».

روى البخارى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لبلال: «يا بلال حدثنى بأرجى عمل عملته فى الإسلام فإنى سمعت دف نعليك بين يدى فى الجنة، قال: ما عملت عملا أرجى عندى من أنى لم اتطهر طهورا فى ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لى أن أصلى».

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

وتقبل منا واقبلنا. واشملنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(٥)، (٦) الأحزاب ٦٩.

الهجرة جهاد وتضحية وتأييد ونصر

لفضيلة الشيخ/ عبد المنصف محمود عبد الفتاح

عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أنه قال: بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأربعين سنة، فمكث (أى بمكة) ثلاث عشرة سنة، يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة (أى إلى يثرب) فهاجر: عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة»[١]

ظل رسول الإنسانية، ومعلم البشرية محمد -صلى الله عليه وسلم- بمكة: زهاء ثلاثة عشر عاماً: يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وينال الأذى فى سبيل دعوته، وينزل العذاب بالمستضعفين من أصحابه، وقد مستهم البأساء والضراء، وزلزلوا، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه: متى نصر الله؟!!

عن خباب بن الأرت -رضى الله عنه- أنه قال: «شكونا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة، قلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: كان الرجل فيمن قبلكم: يحفر له فى الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[٢].

حتى إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد أن رأى ما يصيب بعض أصحابه من العنت والاضطهاد، وأنه غير قادر على حمايتهم أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة: لينعموا فى جوها الطليق بالحريات الكاملة: حرية العقيدة، وحرية الرأى، وحرية الاستعلان بشعائر الدين، قائلاً لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة؛ فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه».

فهاجر جماعة من المسلمين إليها، فراراً بدينهم، وكان من بين هؤلاء المهاجرين: عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم -، وتتابع المسلمون حتى كان جملة من هاجر إليها غير صغارهم: ثلاثة

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه البخارى.

وثمانين رجلاً، فأمَّنهم النجاشى وأكرم وفادتهم.

ثم كانت الهجرة إلى يثرب، حيث استقبلت النبى -صلى الله عليه وسلم- استقبالاً رائعاً كريماً، لم تشهد له مثيلاً من قبل فى روعته وجلاله.

والثابت أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: غادر مكة فى الأيام الأخيرة من شهر صفر، ومكث ثلاثة أيام: فى غار ثور، ثم خرج منه ليلة غرة ربيع الأول الموافق: ١٣ من سبتمبر سنة ٦٢٢م ووصل إلى قباء: يوم الإثنين ٨ من شهر ربيع الأول: الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢م حيث نزل على كلثوم بن هدم أخى بنى عمرو بن عوف.

وبعد أن خرج من منزل كلثوم بن هدم: جلس للناس فى بيت سعد بن خيثمة، وذلك لأنه كان لا أهل له.. وبنى المسجد الذى مَجَّدَهُ القرآن الكريم، وأثنى على أهله بقوله:

﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾[٣].

وعن سعيد بن ظهير الأنصارى -رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «صلاة فى مسجد قباء: كَعُمْرَةٍ»[٤].

واستراح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هناك أيام: الثلاثاء والأربعاء والخميس.. ثم خرج من قباء: يوم الجمعة الموافق: ٢٤ من سبتمبر سنة ٦٢٢م حين ارتفع النهار، فأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف، فصلاها فى المسجد: الذى قاموا ببنائه: فى بطن الوادى:[٥].. وكان معه فى الصلاة فيه: مائة رجل من المسلمين، وسمى بعد صلاة الجمعة فيه: مسجد الجمعة.. وكانت هذه أول جمعة: صلاها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالمدينة، كما خطب فيه أول خطبة خطبها فى الإسلام، وهو مسجد صغير بنى بالحجارة وكان يبلغ ارتفاعه وقتئذ: قدر نصف القامة، ثم استوى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ناقته فسارت، وكان كلما مَرَّ على حى من الأنصار، طلبوا منه أن يقيم عندهم فى العدد والعدد والمنعة، ويتعلقون بزمام راحلته، وهى تجذبه، فيقول -صلى الله عليه وسلم-: «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة»[٦].

ومضت لا تعرج على شىء، ولا يردها رادٌّ، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- تارك لها زمامها، حتى بركت فى موضع مسجده – صلى الله عليه وسلم –: وهو يومئذ: مربد[٧] لغلامين يتيمين: هما سهل وسهيل: ابنا رافع بن عمرو، وكانا فى حجر: سعد بن زرارة.

ثم سارت ورسول - صلى الله عليه وسلم - عليها حتى بركت عند باب أبى أيوب، ثم سارت

---

(٣) التوبة: ١٠٨.

(٤) رواه ابن ماجة.

(٥) وادى رافونا.

(٦) يعنى ناقته القصواء.

(٧) المربد : هو الموضع الذى يجفف فيه التمر.

وسارت غير بعيد، وتلفتت خلفها ورجعت إلى مبركها أول مرة، وبركت فيه وزَمَّت[٨].. من غير أن تفتح فاها، وألقت بجرانها[٩].. أى ألصقته بالأرض، فنزل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عنها، وقال: «هنا المنزل إن شاء الله».. وسار إلى منزل أبى أيوب الأنصارى، وهو خالد بن كليب بن ثعلبة بن عوف بن مالك بن سحيم بن مالك بن النجار فأقام فى منزله شهراً.

ثم إنه -صلى الله عليه وسلم-: أمر بالمسجد، فأرسل إلى بنى النجار، فجاءوا، وكان معهم سعد بن زرارة، فقال: يا بنى النجار: ثامنونى بحائطكم هذا (ثامنونى). الثامنة: المساومة فى الثمن: أى: (اذكروا الثمن الذى تريدون البيع به، لأذكر لكم الثمن الذى أرغب فى الشراء به) قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، وكان فيه نخل وقبور المشركين وخرب، فأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالنخل فقطع، وبقبور المشركين، فنبشت، وبالخرب فسويت، ثم صفوا النخل قبله وجعلوا عصادتيه (أى جانبا الباب) حجارة، فكانوا يَرْتَجِزُون ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- معهم، وهم يقولون:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة

فانصر الأنصار والمهاجرة

الأنصار: جمع نصير: كأشراف وشريف، أو جمع ناصر، كأصحاب وصاحب وهم مؤمنوا المدينة من الأوس والخزرج: الذين آووه ونصروه..

والمهاجرة: الجماعة الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، فراراً بدينهم،ومحبة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وطلباً للآخرة، والمعنى: نسألك يا الله أن تنصر الأنصار والمهاجرة على أعدائك، ليظهروا دينك، فيحظوا مع من دخل فيه: بالأجر الكبير، والخير الجزيل[١٠].

وإذا كانت هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة: فراراً بدينهم؛ فإن هجرة النبى -صلى الله عليه وسلم- التى غيرت مجرى التاريخ: لم تكن فراراً ولا خوفاً، ولكن تنفيذاً لخطة محكمة مرسومة، وُضِعت وأُخِذَت عليها البيعة والميثاق.

فلم يهاجر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، خوفاً من بطش قريش وجبروتها، بل تنفيذاً لوعد أبرم من قبل مع بعض الوافدين من يثرب إلى مكة فى موسم الحج، لذلك نجد القرآن الكريم سجل الهجرة على أنها: نصر من الله -تعالى- لنبيه، قال الله -عز وجل-:

﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١١]

وعن أبى بكر الصديق -رضى الله عنه- قال:

(٨) أى صوتت.

(٩) أى صدرها وباطن حلقها.

(١٠) دراسات دينية : تأليف: عبدالمنصف محمود عبدالفتاح.

(١١) التوبة: ٤٠.

«كنت مع النبى -صلى الله عليه وسلم- فى الغار، فرأيت آثار المشركين، فقلت يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا تحت قدمه (وفى رواية لو أن أحدهم طأطأ رأسه لرآنا) فقال -عليه الصلاة والسلام-: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[١٢].

وروى: «أنه لما دخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر الغار: أمر الله العنكبوت فنسجت على فم الغار، وبعث حمامتين وحشيتين فباضتا فيه، وإن ذلك مما صدَّ المشركين، حتى قال أمية بن خلف: ما إربكم فى هذا الغار، وعليه من نسج العنكبوت: ما أرى إلا أنه قبل أن يولد محمد»[١٣].

وفى هذا يقول المغفور له أحمد شوقى:

سل عصبة الشرك حول الغار سائمة
لولا مطاردة المختار لم تسم

هل أبصروا الأثر الوضاء أم سمعوا
همس التسابيح والقرآن من أمم

وهل تمثل نسج العنكبوت لهم
كالغاب والحائمات الزغب كالرغم

فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم
كباطل من جلال الحق ينهزم

لولا عناية بالجارين ما سلما
وعينه حول ركن الدين لم يقم

تواريا بجناح الله واستترا
ومن يضم جناح الله لا يضم

وحقاً: إن الهجرة: كانت سبباً عظيماً فى نصرة دين الله وتأييده، وذلك أنه توافرت بها لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- الحرية الدينية، ونجا بفضل الله من المؤامرة الدنيئة: التى أريد بها القضاء عليه وعلى دينه، قال الله -تعالى-:

﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾[١٤]

وبالهجرة: ظهر أن رسالته حق، إذ لو أقام بمكة واتبعه أهلها، وشدوا أزره، والتفوا حوله ووقفوا بجانبه؛ لقال المرجفون، وضعاف الإيمان، وأعداء الدعوة: إن محمداً تآمر مع قومه، ليملكوا العرب وغيرهم، ويهيمنوا عليهم، ولكن شاء أن يعاديه قومه، ويخرجوه من داره ووطنه، وهكذا كان الشأن بالنسبة لإخوانه المرسلين، فكانوا المثل العليا فى الصبر على المكاره، والثبات على المبدأ، والحفاظ على العقيدة، حتى جاءهم نصر الله تعالى:

﴿ **وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾[١٥].

وقال الله – تعالى-:

---

(١٢) رواه البخارى ومسلم.

(١٣) رواه الحافظ البزار والبيهقى.

(١٤) الأنفال :٣٠.

(١٥) الأنعام : ٣٤.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾[١٦].

إن المبادىء السليمة متى تركزت وآمنت بها القلوب، وامتلأت بها الضمائر، واطمأنت إليها النفوس، كانت عند أصحابها أعز عليهم من أنفسهم وأموالهم وكل عزيز لديهم، قال الله -تعالى-:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[١٧].

وقال جل شأنه:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١٨].

«إن الهجرة: تدفع إلي التضحية، والتضحية هى: طريق الحرية وسبيل المجد فى هذه الحياة، والحرية شجرة: لا تسقى بمياه الأمطار، ولا بمياه الأنهار، وإنما تسقى بدماء الأحرار الأطهار، ولله در القائل:

وللهجرة الْغَرَّاءِ فى القلب رنة
ففى كل عام ذكرها يتجدد
فتوحى لنا معنى الحياة كريمة
ومعنى جهاد فيه عز وسؤدد
وليس يسود الشعب بالقول هاتفاً
ولكن بإهراق الدماء يسود

إن الهجرة تعلمنا كيف يكون حُبُّ الله وحبُّ رسوله، والجهاد فى سبيله.

إن الهجرة: كانت بخيرها وآثارها: برداً وسلاماً على الإنسانية وفاتحة خير لها أنقذتها من وهدتها، وأخرجتها من ظلمتها، وهدتها من حيرتها ودفعت بها إلى طريق الخير والفلاح.

فكانت بحق: نصراً للمؤمنين، ونوراً للمجاهدين، وأماناً للخائفين، والآن وإن كانت الهجرة قد مضت لأصحابها، وفازوا بشرفها، فإن لنا فى هذا العصر المادى نصيباً لو قمنا به لمتعنا الله متاعاً حسناً، ولمكَّن لنا به فى الأرض، ألا وهو العمل بكتاب الله، والتمسك بسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-وهجر ما نهى الله عنه، وأن نسلك حَدَّ الاعتدال دون إفراط أو تفريط، فالإسلام بتعاليمه السمحة، يميل إلى تحقيق اليسر والرحمة، فقد صح أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال لمعاذ بن جبل ولأبى موسى الأشعرى لما بعثهما إلى اليمن: «يَسِّرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا»[١٩]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١٦) يوسف : ١١٠.
(١٧) الحجرات : ١٥.
(١٨) البقرة : ٢١٨.
(١٩) أخرجه البخارى ومسلم.

الهجرة معجزة التاريخ على امتداد العصور

١

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

إى وربى.

إن الهجرة النبوية الشريفة هى معجزة التاريخ، لا التاريخ الإسلامى وحده، بل التاريخ العالمى جميعه؛ فى كل عصر، على امتداد العصور والأجيال والزمان.

هجرة الرسول الأعظم، محمد بن عبد الله، سيد المرسلين وخاتم النبيين، هى بحق معجزة المعجزات فى تاريخ الإنسانية كلها.

لا تقل: لقد هاجر أنبياء ورسل كرام، وهاجر كتاب ومفكرون وأحرار فى كل عصر، فلم كانت الهجرة المحمدية معجزة المعجزات؟!

وأقول لك بصدق وحق: إن الأمور تقاس بنتائجها، ولم تكن نتائج آلاف الهجرات بمثابة النتيجة الكبيرة لهجرة محمد -صلوات الله وسلامه عليه- من مكة إلى المدينة.

الهجرة المحمدية حمت ديناً، ونشرت رسالة، وأسست حضارة، وأقامت أسواقاً للفكر والأدب والعلوم واللغة العربية.

والهجرة المحمدية كرمت الإنسان، ورعت حقوقه وحقوق المستضعفين المعذبين فى الأرض، ونشرت الحرية، ودافعت عن المظلومين، وشرعت أبواب الحرية للأرقاء، وأكدت الإخاء والمساواة والتعاون والتعارف بين بنى البشر جميعاً.

والهجرة المحمدية نقلت شعباً بأكمله من البداوة، والجاهلية، والأمية إلى ساحة السياسة العالمية، وإلى حضارة تعم الأرض، وإلى حكم الأمم، من أجل نشر كل القيم الإنسانية الرفيعة فى حياة الناس والمجتمعات والشعوب.

والهجرة المحمدية نقلت الإنسانية من عصر البطش والطغيان إلى عصر جديد، أساسه الحق فوق القوة، والعدل فوق البطش، والمحكوم فوق الحاكم بالقانون والشريعة والوحى، والأمة هى السياج الرفيع الذى يحتمى به الحاكم والمحكوم، والقوى والضعيف والفقير والغنى، والرجل والمرأة، والطفل والرقيق والأسير، والخادم والمخدوم.

والهجرة المحمدية شرعت وثيقة الإخاء بين كل الطوائف والأجناس والديانات، وخلقت فكراً جديداً فى العالم، فكراً دينياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً.

والهجرة المحمدية شرعت بناء المساجد ودور العلم، وألزمت العلماء بتثقيف الجاهلين وهداية الضالين، وتهذيب الطائشين.

والهجرة المحمدية رعت حقوق العامل وصاحب العمل، وحقوق الخادم والمخدوم، وحقوق الرقيق والسيد، وحقوق المرأة والطفل والرجل والشيخ والكهل والمريض، والفقير واليتيم والمسكين والأرمل، وكل الطبقات والطوائف.

والهجرة المحمدية جعلت حرب الفقر شريعة، وجعلت الزكاة والصدقة والإحسان والتكافل الاجتماعى قانوناً، وجعلت رعاية العاطل وصاحب المغبة فرضاً، وجعلت الإنسان مسئولاً عن أقاربه وجيرانه، بل وأهل بلده جميعاً، بل هو مسئول مسئولية كاملة عن الفقير فى غابات إفريقيا، وعن الجائع فى أدغال كينيا، بل وعن الحيوان إن شرده الجوع فى الشوارع والطرقات.

الهجرة المحمدية ليست معجزة فحسب، بل هى معجزة المعجزات فى التاريخ الإنسانى كافة.

الهجرة المحمدية حدِّث عنها وعن أثرها ونتائجها ولا حرج.. قل فيها ما تشاء.. قل: إنها أحيت أمة، وأقامت حضارة، ودعمت كل قيم الخير والحق والإخاء فى الأرض، وأعلت من شأن العقل والعلم والمعرفة بين الناس.

ولقد كان كل ما حدث فى الهجرة معجزة باهرة من السماء، وتأييداً إلهياً جليلاً، ونصراً من الله لنبى الإسلام ورسول المسلمين.

٢

لقد ائتمرت قريش بالرسول، وأجمعت على قتله بيد الشباب من كل بطون قريش، حتى يتفرق دمه فى القبائل، وبلَّغ الوحى رسول الله بالمؤامرة، وأذن له فى الهجرة، وفى الليلة الموعودة كان الرسول الأكرم وصاحبه أبو بكر الصديق قد أكملا كل الاستعدادات للهجرة، وكل الأسباب التى تؤدى إلى نجاحها.

وكما يرسم القائد خطوات معركة رسم الرسول كل خطوات الهجرة المباركة، وحين حاصر شباب القبائل دار الرسول كان علىٌّ -كرم الله وجهه- ينام فى فراش رسول الله، ويبشره الرسول -صلى الله عليه وسلم- بأنه لن يصل إليه شىء يكرهه من القرشيين والمؤتمرين. وخرج رسول الله من الدار يمشى بينهم.. ولا تسل كيف خرج، وكيف نجا من شرهم وهو سائر بين صفوفهم؟ وكيف نجا من بواتر سيوفهم، ومن الحقد والبغض وكل فكر ردىء مرتسم على وجوههم؟ فكل ذلك معجزة إلهية ولا ريب.

ليلة أول ربيع الأول خرج فيها الرسول، وأبوبكر رفيقه، من مكة إلى جنوبيها، حيث غار ثور، فأقاما فيه ثلاث ليال، جُنَّ فيها جنون قريش، وثارت ثائرتها، وطارت فى الطرق والشعاب فى كل ناحية تبحث عن المهاجرين، فلم تظفر بشىء، ولم تقف للمهاجرين على خبر ولا على أثر، حتى غار ثور وقفت أمامه، وكذبت مرآه كل أوهام قريش فى أن يكون الرسول وصاحبه بداخله، وصدق الله العظيم فيما يقول:

﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١) واستطلع أمية بن خلف الغار، وقال لأصحابه: لا ـ لا. لا يمكن أن يكون بداخل هذا الغار أحد، وتنادوا للرحيل والرجوع بخفى حنين، وأخذ الرسول يردد: الحمد لله والله أكبر.. أية معجزة تلك المعجزة.

وفى اليوم الرابع من شهر ربيع الأول خرج المهاجران من الغار، وفى طريق ساحلية وعرة غير مألوفة بين مكة والمدينة، سار الركب العظيم، عبدالله بن أريقط دليل القافلة فى المقدمة على جمله القوى، والرسول على جمل آخر، وأبو بكر وخَلْفه مولاه عامر بن فهيرة على جمل ثالث، وعامر يخدمهما فى الطريق، ويقترب منهم سراقة ابن مالك، يريد أن يردهم إلى قريش لينال جوائزهم فكب به فرسه مرة ومرة ومرة، وفى المرة الرابعة دخلت الرهبة قلب سراقة، وأيقن أن السماء تحمى محمداً من كل أذى وشر، فانقلب العدو صديقاً يطلب الأمان، وينادى: أنا سراقة، أنظرونى أكلمكم؛ وبشره الرسول: كيف بك يا سراقة إذا لبست سوارى كسرى، وصعق الفارس، وتحققت تلك المعجزة بعد حين، ولبس سراقة سوارى كسرى، ولكن فى خلافة عمر بن الخطاب، وعمر يقول: الحمد الله الذى سلبهما كسرى وألبسهما أعرابياً من بنى مدلج..» ولا أحدثك أيها القارىء عن أم معبد، وما كان للرسول معها من حديث.

ووصل الركب العظيم إلى قباء فى يوم الإثنين، الثانى عشر من ربيع الأول، وفى يوم الجمعة غادرها الرسول إلى المدينة نهاية المطاف فى الهجرة المباركة، وتمت الهجرة، وكانت المعجزة، ودخلها الرسول فى موكب خالد يرعاه الله وملائكته فى السادس عشر من ربيع الأول عام ٦٢٢ من ميلاد المسيح.

لقد استمرت قريش تصد عن دين الله، وتعذب المؤمنين برسالة الرسول الخاتمة ثلاثة عشر عاماً ، وهى مصممة على الكفر والشرك والعناد والبطش والطغيان، وبكل

---

(١) التوبة: ٤٠.

سلاح حاربت محمداً -صلى الله عليه وسلم- ومن آمن معه، وما كان ذنبه وذنبهم إلا أن يقولوا: آمنا بالله وحده لا شريك له.

ومن قبل الهجرة بعام وعامين كانت بيعتا العقبة الأولى والثانية، ميثاق عهد بين الرسول الأكرم وجماعات من قبائل المدينة: الأوس والخزرج على نصرة رسول الله ورسالته، وحرب الأحمر والأسود من الناس فى سبيل الله ورسوله وشريعته، والدفاع عن دينه.

٣

وانقلبت الموازين بالهجرة النبوية

قريش فشلت فى عنادها وكفرها ولجاجها وحربها للرسول وأصحابه الذين آمنوا به.

والقبائل التى تستمع لصوت قريش، وتخاف من سطوتها أخذت من جديد تفكر فى المصير الذى ينتظرها، وفى الخروج من حبال المشانق التى لفتها قريش على أعناقهم وأعناق كل الناس فى جزيرة العرب.

ووضح الصباح لذى عينين، وبدأوا لا يشكون فى قدرة الله العلى الأعلى وأنه على هزيمة قريش مقتدر حكيم.

وجاءت الأيام تبشر الرسول ومن آمن معه بفجر يسطع نوره فى آفاق الدنيا، هو فجر الإيمان واليقين والحرية، وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

إنه الفجر الذى تعلو فيه كلمة الله ويسمع من ورائه صوت القرآن الكريم، يبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن لهم الحسنى، ولهم قدم صدق عند ربهم، وأنهم هم الأعلون، وأما الكافرون فلهم الخزى وعذاب الهون بما كانوا يكفرون، فكلمة الله هى العليا، وكلمة الذين كفروا هى السفلى، والله قوى عزيز.

وليت شعرى كيف تربط القبائل نفسها بقريش، وقريش تصر على الكفران والخسران والضلال المبين، ترضى بالشرك ديناً، وبالجحود شريعة، وبالعقوق منهاجاً.

ويا سبحان الله، إن الشيطان يأبى إلا أن يظهر فى غير صورته، ولو طلى جسده بالنور، وأحاط عنقه بالمسابح، وملأ دروبه بالزهور بدلاً من الأشواك.

رب ما أحلمك وأكرمك، وما أعظم صفحك عن الظالمين الجاحدين.

إن أنكروا ألوهيتك فى النعمة، فكيف ينكرونها فى المحنة، وإن جحدوا ربوبيتك أمام الناس فلن يستطيعوا إنكارها بينهم وبين أنفسهم، وإن حاربوا رسالتك فإنما يحاربون أنفسهم وكرامتهم فى الحياة.

ها هى ذى قريش تعود إلى أخبيتها فى مكة، وتعود لتفكر من جديد، ها هو ذا نجم محمد قد سطع، فما الصنيع؟

تجارتها أصبحت بعد اليوم مهددة بالبوار، ومكانتها بين القبائل أصبحت مزعزعة الأركان، ومقاومتها لمحمد ومن آمن معه صارت أوهن من بيت العنكبوت، والأمر لله، يدبره كما يشاء، وهو على كل شىء قدير.

دروس من ذكرى الهجرة النبوية

لفضيلة الشيخ / معوض عوض ابراهيم

أحداث الدهر ووقائعه، يجددها مر الأيام، وكر الدهور، وتجعل عبرها وعظاتها شواخص مشهودة، تشغل خواطر وأذهان المنصفين، إن لم تكن شخوصا تملى دروسها، وتروى ما حف بها واقترن مما يعين على هدى، ويرد عن ردى، أو يدعو إلى النظر فى الأمور مرة أخرى، ويا ويح من تتابعت مرة أخرى أيام حياته ماضية، واتصلت لياليه خرساء صماء تحث خطاها إلى منتهاها من المصير المحتوم والأجل المعلوم دون أن يبل أناملنا منها خير:

يسر المرء ما ذهب الليالى
وكان ذهابهن له ذهابا

وفى الأثر «الأيام تمضى، والأعمار تطوى، والأبدان تحت الثرى تبلى، والليل والنهار يتراكضان تراكض البريد، يقربان كل بعيد، ويخلقان كل جديد، وفى ذلك ما يلهى عن الدنيا ويذكر بالآخرة»..

والإلهاء عن الدنيا ليس مراد الله، الذى جعلنا خلائف الأرض بعد أن بنى السماء بما تقتضيه من أمره سبحانه كواكب وأفلاكا وشمسا وقمرا ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(١) ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾(٢)..

أبدع ذلك وأجمله وأتمه الله، بعد أن خلق الأرض فى يومين، وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها، وشق بحارها، وأجرى أنهارها، ورفع أشجارها، ودلى ثمارها: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾(٣)..

وجل الله الذى لم يخلقنا عبثا، ولم يتركنا سدى، فقد هدانا سبلنا، منذ هدانا النجدين، وجعل الدنيا مزرعة الآخرة، تجيىء أخراهما على غرار أولاهما قسطا وعدلا:

﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾(٤)..

---

(١) سورة يس «٤٠».
(٢) سورة الملك/٣.
(٣) سورة ق ٩، ١٠.
(٤) سورة الكهف ٤٩.

إن التذكير بالآخرة ينطلق من اعتبار الدنيا، وابتدار فرصها للعمل الصالح، وحق الاستخلاف فيها جيلا بعد جيل وقبيلا وراء قبيل:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(٥)، كما استخلف الذين من قبلهم يعرف سيرتهم، ويتابع مسيرتهم، ويسود بذلك كما سادوا..

ومما ينسب إلى الإمام أبى عبدالله محمد بن إدريس الشافعى -رضى الله عنه-:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكرام فلاح

ورضى الله عن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب، فهو بإيمانه بالله فى شرف منيع، ومن حسبه ونسبه فى محتد شامخ، فقد قال:

لسنا وإن أحسابنا كرمت
يوما على الآباء نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا
تبنى، ونفعل مثلما فعلوا

واد كار الأوائل بما صنعوا من خير، وما دعموا به كيان الحياة من قوة البر والمعروف وهو يجدد لهم عمرا، ويرفع لهم ذكرا، هو فى الوقت نفسه يسلك لنا إلى الإصلاح سبلا ويقدم لنا القدوة الصالحة والأسوة الحسنة أحوج ما نكون إليها فى زمن أخذت فيه الأشياء غير أسمائها، وتشابهت فيه معالم الخير والشر وكاد يؤخذ فيه الطريق على الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الحافظين لحدود الله، وربما زيفت الأعذار وغضت فيه الأبصار عن صنيع الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون.. ويقول بعض أدعياء المعرفة: (واكبوا العصر، ودوروا مع الزمن حيث دار، وعيشوا واقع الغير) وفى الغير ما ينفع ويصلح، مما هو فى حقيقة الأمر من سمات هدايات دين الله الخاتم بكل ما لا تحتاج بعده إلى سواه:

إن جرى غيرنا مع الكفر يبغو
ن سوى الأرض دولة فى السماء
وتهنوا بعزة مكنتهم
بعض حين، من كاهل الضعفاء
واستطالوا بعلمهم، وهو منا
نهلوه وأفحشوا فى الجزاء
إن يكن ذاك شأنهم فعلينا
وزر ما كان، لا على الأعداء
شغلتنا عن الحنيف رءوس
جهلته فى غفاة وغباء
وارتياب فى أنه لا سواه
سبل الأمن والغنى والعلاء
إى وربى جناية الغرب فينا
دونها من رجالنا هؤلاء

الألفية الثالثة

ولقد مضى ألفا عام على ميلاد عيسى -عليه السلام- ومضى قبلهما ما مضى من قرون، جاءت المسيحية بعدها تصلح الناموس، بعد أن عرا التوحيد ما عراه، من بعد نوح وإبراهيم

---

(٥) سورة النور/٥٥.

وإسحق ويعقوب، وكان إبراهيم الذى وفى بعد أن أبتلى بكلمات فأتمهن، إماما للناس، وما تزال الأمة الوارثة تذكره -فى أقل القليل- كلما صلت لله -تعالى- صلاة، وهى تقرأ وتسمع قول الله - تعالى:

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٦).

وهى وصاة إن خلصت للنبى -صلى الله عليه وسلم- ههنا، فقد تكررت واتسعت آفاقها، فى مثل قول الله - تعالى:

﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٧).

وتعاقبت آيات كريمة فى كتاب الله مبرزة جلال ملة إبراهيم ودعوته وسيرته، منذ آتاه الله رشده فى طفولته المبكرة وهو سبحانه (يعلم من خلق) فلم يشبه أدنى شائبة من وثنية قوم شب بينهم ودرج، أو وثنية بيت ولد فيه ونشأ، وقويت أوصاله، وكان يرى كيف يصنع ذووه الأوثان ويبيعونها للناس!!

ولكن الله الذى يرسل نور الصبح من بين حنادس الظلام حفظ إبراهيم من الشرك، وشبهاته، وجعله «رسول الوحدانية، وأبا الأنبياء والمرسلين من بعده»، وشرفه فأمره أن يرفع ووحيده إسماعيل القواعد من بيته العتيق، وأن ينادى فى الناس بالحج إليه بعد أن أتمه وطهره للقائمين والركع السجود، فكان بيت الله هو إلى اليوم وإلى قيام الساعة تشد إليه -بالحج والعمرة- الرحال ويتحقق بالفريضة الخاتمة ما أراد الله من منافع وآمال..

ودار بين أهل الكتاب جدل طويل، قال - تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾(٨)، نسب ذلك الشرف كل واحد من هؤلاء على حده إلى نفسه وقالوا ما حكى الله -عز وجل- على النحو الذى استهدفته الآية السابقة:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾(٩)، وقال تعالى:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(١٠)، وقال: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ

---

(٦) سورة النحل ١٢٠:١٢٣.

(٧) سورة آل عمران ٩٥.

(٨) سورة البقرة/١١١.

(٩) سورة البقرة/١١٣.

(١٠) سورة آل عمران ٦٥.

للَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١١)، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾(١٢).

فالانتساب لإبراهيم انتساب إلى ملته -صلوات الله عليه- واتباع له فى حياته وبعد مماته، وأولى الناس بذلك محمد -صلى الله عليه وسلم- والذين آمنوا.. وكان أخلق بأتباع المرسلين أن تجمعهم أول بادرة على كلمة سواء على ما قال الله لمحمد -صلوات الله عليه- :

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(١٣)، وأن تكون الألفية الثالثة وهى فى ابتدائها منطلق الجميع إلى ذلك، لا يقف أحد عندها فى نطاق السهر والسمر والشهوات، التى استهدفت رسالات المرسلين إنهاض الناس من الانغماس فيها إلى الأذقان، حتى لا يظلم هؤلاء موسى وعيسى -عليهما السلام- فقد جاءا الناس من لدن ربهم، ورب كل شىء ومليكه، كما قال الله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٥ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(١٤).

وهؤلاء يظلمون أنفسهم، حين يتبعونها هواها ويشبعونها مما حرم الله عليها من شهوات لا تجمل هواها بإنسان أحل الله له الطيبات، وحرم عليه الخبائث، وخلق له ما فى الأرض جميعا، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وشرفه فكلفه، واستخلفه، ليؤدى واجبه فى عمارة الكون، وإصلاح الأرض، قبل أن يقول له ولإخوانه:

﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(١٥).

ألا ليتنا نأخذ عبرة من الأيام، ومر الشهور والأعوام، وبخاصة تلك المراحل التى تحكى فضل الله علينا بإرسال المرسلين بعامة، وبعثة النبى -صلوات الله عليه- وأيام دعوته إلى الله فى «أم القرى» وما حولها، وما احتمل وصحبه فى سبيل ذلك من صعاب، وتخطى من عقبات، طيلة ثلاثة عشر عاما حتى هاجر بإذن ربه، بعد أن هاجر صحبه إلى المدينة المنورة، ووجدوا أهلا بأهل، وإخوانا ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١٦)، وكم فى ذكرى الهجرة من دروس ملهمة، فيها هدى ونور، وبلاغ لقوم يعقلون..

---

(١١) سورة آل عمران ٦٧:٦٨.
(١٢) سورة النساء ٨٧.
(١٣) سورة النحل ١٢٣.
(١٤) سورة الصف ٥، ٦.
(١٥) سورة الأعراف ٥٦.
(١٦) سورة الحشر ٩.

والناس على ذكر من أمر الهجرة أمرا إلهيا، وإلهاما ربانيا، وإيمانا لا يتردد فى صدر النبى، والذين آمنوا معه،بأن الله مولى الذين آمنوا يظفرهم بأعدائهم، وينصرهم على من حاولوا صدهم عن سبيله -تعالى- وصدق الله العظيم: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾(١٧).

ولقد كان -صلى الله عليه وسلم- يحب مكة ولا يرضى بها بديلا برغم ما احتمل فيها من أذى فى الله، وكذلك كان صحبه -رضوان الله عليهم- وما نزال، نذكر قول رسول الله، وهو يهاجر: (والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت)(١٨).

هاجر النبى كما علم الناس بعد ان استقر الأمر، وارتاح من المهاجرين إلى يثرب الصدر، وجرت الرياح رخاء بالدعوة فى وطنها الجديد، ومشرق رسالة الله إلى الناس جميعا، إلى الأبد الأبيد..

ومرة أخرى فقد ضرب علىٌّ المثل فى الفداء، وشابهه فى ذلك الصديق: أبوبكر، وهو فى مسيرة الهجرة، يتقدم الرسول ويتأخر عنه، حتى يكون فدى له من الرصد، أو الطلب، بعد أن جند رجاله ورصد على الدعوة ماله، وأشرب قلوب بنيه وبناته، أن ما عند الله خير للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، فضربوا وضربنا الأمثال فى عزم الرجال على إنجاح هجرة حدد الله -عز وجل- مكانها (فى بلد بين حرتين) ذات نخل، كانت يثرب التى صارت بالإسلام المدينة المنورة، والمناخ الصالح الذى ربا فيه نبت الإسلام حتى أينع، وآتى أُكله دينا وسع الحياة، ومايزال حتى يرث الله الأرض ومن عليها، بكتاب يهدى للتى هى أقوم:

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(١٩)، (كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذى من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم ينته الجن إذ سمعته أن قالوا: (إنا سمعنا قرآنا عجبا) هو الذى من قال به صدق ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم)(٢٠).

ما أسعد الناس بالهجرة، وهم يستجلون دواعيها، ومراحلها، ونهايتها، وما أسعدهم مرة أخرى حين يأخذون العبر والعظات من ذلك، فى عطاء النبى وبلاء أصحابه، وإيثار الأنصار، الذين كانوا مع المهاجرين صحابة رحمة الله للعالمين صلى الله عليهم ورضى عنهم وجعلهم قبالة أنظارنا فى شتى مراحل حياتنا، وإن الله مع المتقين.

---

(١٧) سورة الحج ٣٩ -٤٠.

(١٨) رواه الترمذى من حديث عبدالله بن عدى بن حمراء الزهرى.

(١٩) سورة الإسراء ٩.

(٢٠) رواه الدارمى من حديث على بن أبى طالب.

الهجرة مبدأ وغاية

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

فى مطلع كل عام هجرى، يتذكر المسلمون - فى كل مشارق الأرض ومغاربها - هذا الحديث الفذ الجليل، الذى كان من توفيق الله لسيدنا عمر أن جعله مبدأ التاريخ الإسلامى، حيث كان أعظم حدث فى تاريخ الإسلام كله، فيه عز المسلمون بعد هوان، واتسع الإسلام بعد ضيق، ومارس المؤمنون بالله حقهم المشروع فى عبادة ربهم.

والهجرة أمر منطقى في الطبائع السوية، فالحر إذا وجد ضيماً بأرض تحول إلى غيرها، وصاحب المبدأ إذا صودر مبدؤه فى وطن زهد فيه إلى آخر، وصاحب العقيدة إذا وجد اضطهاداً، هجر وطنه إلى حيث يجد مجالاً رحبا، يمارس فيه عقيدته.

وفى الأرض منأى الكريم عن الأذى
وفيها لمن رام العلا متحول

ودين المؤمن يأبى عليه أن يقبع فى مكان هو فيه، مستذل مستضعف، وقد نعى القرآن على أقوام قبلوا الدنية فى دينهم، وأقاموا على الضيم فى أوطانهم، ولم يقبل منهم العذر عندما اعتذروا بأنهم كانوا مغلوبين على أمرهم، وبيّن أن أرض الله واسعة فيها مراغم كثيراً وسعة، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾(١)

ولم تكن هجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحبه إلى المدينة إلا إباءً للضيم، ورفضا للظلم - وتمرداً على التحكم والاستبداد، وثورة على الأوضاع الظالمة العفنة، وانطلاقا إلى ميدان أرحب، وأرض أخصب، وفتحا جديداً للدعوة الإسلامية، بعد أن مكث -صلوات الله عليه- قرابة ثلاثة عشر عاما، يدعو أهل مكة إلى ما فيه عزهم وسعدهم، فما وجد إلاّ آذانا صماً، وأعينا عمياً، وقلوبا غلفاً.

﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾(٢).

---

(١) سورة النساء الآية (٩٧).

(٢) سورة القصص : الآية (٥٧).

وحين اشتد الأذى بأصحاب الرسول - صلوات الله عليه - أشار عليهم بالهجرة الي الحبشة، ففيها ملك لا يُظلم أحد عنده، لكن الحبشة لم تكن الغاية، التي ينشدها الرسول - صلى الله عليه وسلم - فما هي إلاّ مأوى مؤقت، يأمن فيه بعض المسلمين، ممن مسّهم اللغوب، وأصابهم، الإعياء، وما هي بالمنطلق، الذي يتوخاه رسول الله، لتنطلق منه رسالة الإسلام في كل اتجاه، ولذا فقد يمم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بصره شطر يثرب، لأنها أنسب بقعة، وأخصب تربة، وأطيب مكان للدعوة الجديدة، فأخذ الصحب الكرام يتوافدون عليها، واحداً بعد الآخر، تاركين بلدهم مكة، على مالها من مكانة في نفوسهم، ففيها بيت الله الحرام، وفيها مغاني الصبا، ومرابع الطفولة، وفيها إلى جانب ذلك الأهل والأحباب، ولذا قال قائلهم:

يا حبذا مكة من وادى
أرض بها أهلى وعوادى
أرض بها ترسخ أوتادى
أرض بها أمشى بلا هادى

تركوا ذلك كله، وضحوا بالولد والأهل والوطن، لأنهم باعوا أنفسهم لله، فأصبحوا لا يبالون بشئ من الحياة، إلا أن يكون لخدمة الدعوة - لقد هاجر من هاجر من المسلمين، وفي قلوبهم شوق عارم، وملء جوانحهم حنين مشبوب إلى مكة، وليس هذا مما يعيبهم، بل يعتبر في رصيد إيمانهم، ويعدّ مظهراً من مظاهر التضحية النبيلة.

ولما رأى أهل مكة أن معظم الصحب الكرام تركوا ديارهم بلاقع - قدّروا أن الرسول لاشك لاحق بهم، فاجتمعوا في دار الندوة يبحثون الأمر، فمن قائل: بتقييده، وحبسه، وقائل بطرده، وثالث: يشير بقتله، وتروقهم هذه الأخيرة، ويستقر رأيهم أن يجمعوا من كل بطن فتى جلداً نسيبا، ليضربوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل، فيرضى بنو هاشم بأخذ الدية، إذ لا طاقة لهم بمناجزة قريش كلها.

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾(٣)

ويخبر الوحي الأعلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما استقر عليه رأى القوم - فيقرر الهجرة في الليلة، التي عزم أهل مكة على تنفيذ مؤامرتهم فيها، ويبدأ - صلوات الله عليه - رحلة الهجرة المباركة، صبيحة هذه الليلة، بصحبة الصديق - رضى الله عنه - بعد أن أعد للأمر عدته، وأخذ له أهبته، وخطط لرحلة الهجرة تخطيطا محكما، فلم يترك للأعداء ثغرة ينفذون منها، فقد أعد الرواحل، واستأجر الدليل، وأمر عليا - كرم الله وجهه - أن يبيت في فراشه، ليظن فتيان قريش، الذين باتوا أمام دار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه مازال في فراشه، وفي هدوء الليل، وغفلة الرقباء، خرج الرسول إلى دار أبي بكر، ومنها إلى غار ثور، حيث مكث هناك ثلاثة أيام، ريثما يهدأ الطلب، ومن الغار الميمون بدءا مسيرتهما، تجاه المدينة المنورة، على ساكنها - أفضل الصلاة وأتم التسليم -.

---

(٣) سورة الأنفال الآية (٣٠).

من فقه الهجرة

للأستاذ / محمد إبراهيم العشماوى (*)

لانعلم أحدا من البشر ملأ التاريخ سمعه وبصره وقلبه ولسانه منه مثل ما ملأهم من سيد المرسلين.

ولقد كان التاريخ صادقا أميناً، وهو يسجل ـ فى روعة وجلال ـ سيرة هذا الرجل العظيم، وكيف لايكون صادقا أمينا وهو يتحدث عن الصادق الأمين؟

لقد كان أوعى وأيقظ وأحفظ وأضبط مايكون وهو يرصد لنا كافة الجوانب الجليلة والدقيقة فى حياته العامة والخاصة، ذلك أنه يعلم جيداً أن هذه الجوانب ـ وإن دقت ـ سوف تكون نبراساً ينير الطريق أمام السالكين، وقدوة يحتذيها كل من أراد أن يخلد اسمه، ويبقى له ذكر فى العالمين:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾(١).

ولن تتحقق هذه الأسوة إلا بفقه عميق لسيرة هذا الرجل الخالد، والذى به سوف يجد الإنسان بين يديه صورة للمثل الأعلى فى كل شأن من شئون الحياة الفاضلة، كى يجعل منها دستورا يتمسك به ويسير عليه، ولاريب أن الإنسان مهما بحث عن مثل أعلى فى ناحية من نواحى الحياة، فإنه واجد كل ذلك فى حياة رسول الله على أعظم مايكون من الوضوح والكمال، لأن الله جعله قدوة للإنسانية كلها.

ولن تجدى دراسة السيرة النبوية إذا كان الغرض منها مجرد الوقوف على الوقائع التاريخية فحسب، مالم يكن ذلك مشفوعاً بالتدبر الواعى، والنظر الدقيق الفاحص، الذى به نستفيد فى حياتنا العامة والخاصة، ونحن نتعامل مع السيرة النبوية على هذا الأساس، الذى أشارت إليه الآية الكريمة، أعنى الائتساء بصاحب السيرة فى سيرته ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وإذا كان حادث الهجرة أحد الأحداث الكبار، التى تمثل جزءا أساسياً وهاماً من السيرة النبوية الشريفة، فنحن مطالبون بفقه

(*) الكاتب: معيد بكلية أصول الدين بطنطا.

(١) سورة الأحزاب (٢١).

هذا الحدث والوقوف منه على الجوانب العملية والتطبيقية، والتى قد تتوه فى زحمة الأحداث.

ففى السنة الثالثة عشرة للمبعث(٢) كانت الهجرة التاريخية التى اختارها ـ بعد ـ ثانى الخلفاء الراشدين سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بداية للتاريخ الإسلامى تقديرا لجلال الحدث، الذى كان منطلق تحول حاسم وخطير فى تاريخ الإسلام.

«لقد كانت الهجرة بداية تاريخ يفصل بين مقومات الوجود الأرضى كله، وكانت تلك البداية يوم أن اتخذ سيد الخلق قراره بالارتحال عن مكة، فطوى التاريخ صفحاته القديمة، واستأنف مسيرته بين يدى صاحب القرار حتى بلغ يثرب فأناخ التاريخ رحاله ليسطر صفحات جديدة فى عمر الزمان، كانت أحداثها بداية لعهود يجب أن تعرفها البشرية على حقيقتها، حتى تكون نورا هاديا للفكر الإنسانى طالما بقى فى مسيرته على هذه الأرض، وطالما ظل يدرك أنه يوماً سيترك هذه المسيرة ليلقى ربه وخالقه فى نهاية المطاف»(٣).

«وعلى امتداد الزمان يحتفل المسلمون حيثما كانوا بمستهل عام الهجرة دون أن يفوتهم لمح ما كان لها من أثر بعيد فى حركة سير الدعوة الإسلامية، ودون أن يخطئهم إدراك ماأعقب تلك الهجرة التاريخية من تغير موازين القوى بين حزب الله، وبين الوثنية الباغية من قريش.

ولقد مضى عليها أكثر من ألف وأربعمائة عام، وكلما بدأت السنة القمرية بهلال المحرم تحركت أقلام تحيى الذكرى الخالدة، وشدت أبصار وقلوب إلى خطوات المهاجر العظيم مابين مكة ويثرب»(٤).

ونحن هنا نحاول رصد الأحداث واستخلاص مايمكن أن نستفيد به عملياً منها، وفق دلالاتها ومؤشراتها، ويمكن حصره فيما يأتى :

١ ـ أثبتت الهجرة النبوية أن الدعوة والعقيدة يُتنازل لهما عن كل حبيب وعزيز وأليف وأنيس، وعن كل ما جبلت الطبائع السليمة على حبه وإيثاره والتمسك به والتزامه، ولايُتنازل عنهما لشىء.

وقد كانت مكة ـ فضلاً عن كونها مولداً ومنشأً للرسول وأصحابه ـ مهوى الأفئدة ومغناطيس القلوب، ففيها الكعبة البيت الحرام الذى جرى حبه منهم مجرى الروح والدم، ولكن شيئاً من ذلك لم يمنعه وأصحابه من مغادرة الوطن، ومفارقة الأهل والسكن، حين ضاقت الأرض على هذه الدعوة والعَقيدة وتنكر أهلها لهما.

وقد تجلت هذه العاطفة المزدوجة، عاطفة الحنين الإنسانى، وعاطفة الحب الإيمانى فى كلمته التى قالها مخاطبا مكة: «ماأطيبك من بلد وأحبك إلىَّ، ولولا أن قومى أخرجونى ماسكنت غيرك»(٥) وذلك عملاً بقوله -تعالى-:

---

(٢) يرى بعض كتاب السيرة أن الهجرة وقعت فى السنة الرابعة عشرة من النبوة، وذلك فى ليلة ٢٧ من صفر الموافق ١٢/١٢ سبتمبر ٦٢٢م، ويكون شهر صفر هذا من السنة الرابعة عشر إذا فرضنا بداية السنة من شهر المحرم، وأما إذا بدأنا السنين من الشهر الذى أكرم الله فيه نبيه بالنبوة فيكون شهر صفر هذا من السنة الثالثة عشر قطعا، وعامة من يكتب فى السيرة ربما يختار هذا وربما يختار ذاك. ينظر: الرحيق المختوم (١٨٢) ط دار الذخائر.

(٣) خاتم النبيين سيدنا محمد ـ سميح عاطف الزين (٢/٧) ط دار الكتاب اللبنانى.

(٤) مع المصطفى ـ د. عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطىء) (١٨٥) ط دار الكتاب العربى.

(٥) أخرجه الترمذى فى كتاب المناقب، باب فى فضل مكة رقم (٣٩٢٦) ط دار الحديث.

﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ (العنكبوت ٥٦).[٦]

لقد كانت فتنة المسلمين فى مكة فتنة الإيذاء والتعذيب، ومايرونه من المشركين من ألوان الهزء والسخرية، فلما أذن لهم الرسول بالهجرة أصبحت فتنتهم فى ترك وطنهم وأموالهم ودورهم وأمتعتهم.

ولقد كانوا أوفياء لدينهم، مخلصين لربهم، أمام الفتنة الأولى والثانية، قابلوا المحن والشدائد بصبر ثابت وعزم عنيد، حتى إذا أشار لهم الرسول بالهجرة إلى المدينة توجهوا إليها وقد تركوا من ورائهم الوطن ومالهم فيه من مال ومتاع ونسب، وذلك أنهم خرجوا مستخفين متسللين ولايتم ذلك إلا إذا تخلصوا من الأمتعة والأثقال فتركوا كل ذلك فى مكة ليسلم لهم الدين، واستعاضوا عنه بالإخوة الذين ينتظرونهم فى المدينة ليأووهم وينصروهم، وهذا هو المثل الصحيح للمسلم الذى أخلص الدين لله، لايبالى بالوطن ولا بالمال والنسب في سبيل أن يسلم له دينه.[٧]

ليست الهجرة انتقال موظف من بلد قريب إلى بلد ناءٍ، ولا ارتحال طالب قوت من أرض مجدبة إلى أخرى مخصبة، إنها إكراه رجل آمن فى سربة ممتد الجذور فى مكانه على إهدار مصالحه، وتصفية أمواله، والنجاة بشخصه فحسب، وإشعاره وهو يصفى مركزه بأنه مستباح منهوب، قد يهلك فى أوائل الطريق أو نهايتها، وبأنه يسير نحو مستقبل مبهم لايدرى مايتمخض عنه من قلاقل وأحزان.

إنه الإيمان الذى يزن الجبال ولايطيش، وإيمان بمن؟ بالله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض، وله الحمد فى الأولى والآخرة وهو الحكيم الخبير.[٨]

إن الإيمان الصحيح بالله وكتابه ورسوله إذا دخل القلوب وأشربته النفس عن علم وفهم لابد أن يؤتى أكله وثمراته من العمل الظاهرى والجهاد بالنفس والمال.

هذا عن أهل مكة، وأما أهل المدينة الذين آووهم فى بيوتهم وواسوهم ونصروهم فقد قدموا المثل الصادق للأخوة الإسلامية والمحبة فى الله - عز وجل -.

وأنت خبير أن الله - عز وجل - قد جعل أخوة الدين أقوى من أخوة النسب وحدها ولذلك كان الميراث فى صدر الإسلام على أساس وشيجة الدين وأخوته والهجرة فى سبيله، ولم يستقر حكم الميراث على أساس علاقة القرابة إلا بعد أن تكامل الإسلام فى المدينة وصارت للمسلمين دار إسلام قوية منيعة، ونسخ التوارث بين المتآخين وبقى شرع الأخوة مستمراً إلى يوم القيامة وهكذا تعلمنا الهجرة كيف أن على الدعاة أن يبحثوا دائما عن أماكن خصبة للدعوة تكون مركز انطلاق ونواة تأسيس.[٩]

---

(٦) السيرة النبوية ـ العلامة المرحوم أبوالحسن الندوى ط دار عمر بن الخطاب، نشر المكتبة العصرية.

(٧) فقه السيرة ـ د.محمد سعيد البوطى (١٣٠) ط دار الفكر.

(٨) فقه السيرة ـ الشيخ محمد الغزالى (١٥٩) ط دار القلم.

(٩) فقه السيرة للبوطى، نفس الموضع، السيرة النبوية الصحيحة ـ د.أكرم ضياء العمرى (٢٤٤/١) ط مكتبة العلوم والحكم، فى ظلال السيرة النبوية ـ د.محمد أبوفارس (٣٥٨/١) نقلا عن الأساس فى السنة لسعيد حوى، سبل الهدى والرشاد ـ الإمام محمد بن يوسف الصالحى (٢٢٤/٣) ط دار الكتب العلمية ـ تحقيق : على محمد بيومى وزميله.

٢ ـ تعلمنا الهجرة أن الإيمان بالله ـ عز وجل ـ لاينافى استعمال الأسباب المادية التى أرادت حكمة الله أن تكون أسبابا.

فقد رأينا كيف أحكم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطة هجرته، وأعد لكل فرض عدته، ولم يدع فى حسبانه مكاناً للحظوظ العمياء، وشأن المؤمن مع الأسباب المعتادة أن يقوم بها كأنها كل شىء فى النجاح، ثم يتوكل بعد ذلك على الله؛ لأن كل شىء لاقيام له إلا بالله، فإذا استفرغ المرء جهوده فى أداء واجبه فأخفق بعد ذلك فإن الله لايلومه على هزيمة بلى بها، وقلما يحدث ذلك إلا عن قدر قاهر يعذر المرء فيه، وكثيرا مايرتب الإنسان مقدمات النصر ترتيباً حسناً ثم يجىء عون أعلى يجعل هذا النصر مضاعف الثمار.(١٠)

لقد استعمل رسول الله كل الأسباب والوسائل المادية التى يهتدى إليها العقل البشرى فى مثل هذا العمل حتى لم يترك وسيلة من هذه الوسائل إلا اعتد بها واستعملها.

فترك على بن أبى طالب ينام فى فراشه ويتغطى ببرده(١١)، واستعان بأحد المشركين بعد أن أمنه ليدله على الطرق الفرعية التى قد لاتخطر ببال الأعداء(١٢)، وأقام فى الغار ثلاثة أيام متخفيا إلى آخر ماعبأه من الاحتياطات المادية التى قد يفكر بها العقل.

وليس قيامه بذلك بسبب خوف فى نفسه، أوشك فى إمكان وقوعه فى قبضة المشركين قبل وصوله المدينة، والدليل على ذلك أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعدما استنفذ الأسباب المادية كلها وتحلق المشركون بالغار الذى يختبئ فيه هو وصاحبه، بحيث لو نظر أحدهم عند قدمه لأبصر الرسول، استبد الخوف بقلب أبى بكر، على حين كان يطمئنه النبى ـ عليه السلام ـ قائلا : «يا أبابكر ماظنك باثنين الله ثالثهما؟»(١٣)

لقد كان من مقتضى اعتماده على كل تلك الاحتياطات أن يشعر بشىء من الخوف والجزع فى تلك الحال، لقد كان كل مافعله من تلك الاحتياطات إذن وظيفة تشريعية قام بها، فلما انتهى من أدائها عاد قلبه مرتبطاً بالله ـ عز وجل ـ معتمداً على حمايته وتوفيقه ليعلم المسلمون أن الاعتماد فى كل أمر لاينبغى أن يكون إلا على الله ـ عز وجل ـ ولكن لاينافى ذلك احترام الأسباب التى جعلها الله فى هذا الكون أسبابا.(١٤)

وما أحرانا وقد شهدنا عبقرية التخطيط للهجرة أن لاتغيب عنا هذه الجوانب الثلاث :

أولاً : علينا أن نستفرغ الوسع ونبذل كل الطاقة فى التخطيط البشرى.

---

(١٠) فقه السيرة للغزالى (١٥٩).

(١١) مسند الإمام أحمد (٩٢٦/٥) بتحقيق شاكر وقد صححه حديث ابن عباس.

(١٢) هو عبدالله بن أريقط وقصته فى صحيح البخارى، مناقب الأنصار رقم (٣٩٠٥) وانظر : فتح البارى للإمام ابن حجر العسقلانى (٢٣١/٧ ـ ٢٣٨).

(١٣) البخارى، فضائل الصحابة (٣٦٥٣، ٣٩٢٢)، باب هجرة النبى الى المدينة (٤٦٣٣)، تفسير سورة براءة الآية، ومسلم فى فضائل الصحابة، فضائل سيدنا أبى بكر (٢٣٨١).

(١٤) فقه السيرة للبوطى (١٣٨).

ثانيــاً : أن يكون اتكالنا على الله -تعـالى- دون اعتمادنا على الأسباب.

ثالثاً : أن نقبل قضاء الله وقدره فيما هو فوق طاقتنا ونطمئن إلى أنه خير للإسلام والمسلمين.[١٥]

٣ ـ تعلمنا الهـجـرة -أيضـا- أن الجندى الصادق المخلص لدعوة الإصلاح يفدى قائده بحياته، ففى سلامة القائد سلامة الدعوة، وفى هلاكه خذلانها ووهنها، فما فعله سيدنا على -رضى الله عنه- ليلة الهجرة من بياته على فراش الرسول تضحية بحياته فى سبيل الإبقاء على حياة رسول الله إذ كان من المحتمل أن تهوى سيوف فتيان قريش على رأس على -رضى الله عنه- انتقاماً منه لأنه سهل لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ النجاة، ولكن علياً لم يبال بذلك، فحسبه أن يسلم رسول الله نبى الأمة وقائد الدعوة[١٦]، ونلمح صورة هذه الفدائية فيما روى عن سيدنا أبى بكر من مشيه تارة أمام رسول الله، وتارة خلفه، وتارة عن يمينه، وتارة عن يساره، كالحارس له من حيث توجه إليه الطلب، ومن دخوله الغار قبل رسول الله يستبرئه له، ومن شقه ثوبه وحشو شقوق الغار به حتى لسعته الحيات والعقارب[١٧]، وهذه نماذج عظيمة من الفداء قل أن توجد إلا فى الصادقين المخلصين.

٤ ـ فى تعمية أبصار المشركين عن رؤية رسول الله وصاحبه فى غار ثور وهم عنده، وفيما تحكيه لنا الروايات من نسيج العنكبوت، وتفريخ الطير على فم الغار[١٨] مثل تخشع له القلوب من أمثلة العناية الإلهية برسله ودعاته وأحبابه، فما كان الله فى رحمته لعباده ليسمح أن يقع رسوله فى قبضة المشركين فيقضوا عليه وعلى دعوته، وهو الذى أرسله رحمة للعالمين وكذلك يعوِّد الله عباده المخلصين أن يلطف بهم فى ساعات الشدة وينقذهم من المآزق والغدر.[١٩]

وليس فى نجاة رسول الله وصاحبه بعد أن أحاط بهما المشركون فى غار ثور إلا تصديق قول الله -تعالى-:

﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** ﴾ (غافر ٥١) ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ (الحج ٣٨).

والجنود التى يخذل بها الباطل وينصر بها الحق ليست مقصورة على نوع معين من السلاح، ولاصورة خاصة من الخوارق، إنها أعم من أن تكون مادية أو معنوية، وإذا كانت مادية فإن خطرها لايتمثل فى ضخامتها، فقد تفتك جرثومة لاتراها العين بجيش ذى لجب ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ (المدثر ٣١)[٢٠]

٥ ـ لم يخرج النبى -صلى الله عليه وسلم- من بين قومه حتى هموا بقتله منعاً له من الدعوة إلى

---

(١٥) المنهج الحركى للسيرة النبوية (١/١٩٨) ـ منير الغضبان ط الجامعة الإسلامية.

(١٦) مسند أحمد (٥/٢٦) بتحقيق شاكر، السيرة النبوية دروس وعبر ـ د.مصطفى السباعى (٦٧ ـ ٦٨) ط المكتب الإسلامى.

(١٧) سبل الهدى والرشاد (٣/٢٤٠) وفيه عزو القصة إلى البيهقى وابن أبى شيبة وابن المنذر، وابن مردون، وأبى نعيم.

(١٨) طبقات ابن سعد (١/٢٢٩)، وكشف الأستار للهيتمى (٢/٢٩٩)، والمعجم الكبير للطبرانى (٢٠/٤٤٣) وغيرها.

(١٩) السيرة النبوية دروس وعبر (٧١).

(٢٠) فقه الغزالى (١٦٤).

الحق كما أوصلوا إليه مالايحتمله غيره من الأذى وفى هذا عبرة لمن دعا إلى دينه، أن يصبر على أذى المدعويين حتى يخشى على نفسه الهلاك، فيفر بدينه إلى حيث يرجو أن تثمر دعوته[٢١].

٦ ـ الاستعانة بالخبرات والكفاءات الماهرة، فقد استأجر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ دليلاً خبيرا بطرق الصحراء ليستعين بخبرته على مغالبة المطاردين، ونظر فى هذا الاختيار إلى الكفاية وحدها، فإذا اكتملت فى أحد ـ ولو مشركاً ـ استخدمه وانتفع بموهبته[٢٢].

٧ ـ نلمح فى النشاط الذى كان يبذله عبدالله ابن أبى بكر ذاهبا آيبا بين الغار ومكة يتحسس الأخبار، وينقلها إلى رسول الله وأبيه، وفيما عمدت إليه أخته أسماء من الجد من تهيئة الزاد والراحلة واشتراكها في إعداد العُدَّة لتلك الرحلة ـ نلمح فى ذلك صورة مما يجب أن يكون عليه الشباب المسلم -ذكورا وإناثا- فى سبيل الله ـ عز وجل ـ ومن أجل تحقيق مبادىء الإسلام وإقامة مجتمعه. فلايكفى أن يكون الإنسان منطوياً على نفسه مقتصرا على عباداته بل عليه أن يستنفد طاقاته، وأوجه نشاطه كلها سعياً فى سبيل الإسلام، وتلك هى مزية الشباب فى حياة الإسلام والمسلمين فى كل زمن وعصر.

وإذا تأملت فيمن كان حول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إبَّان دعوته وجهاده، وجدت أن أغلبيتهم العظمى كانوا شبانا لم يتجاوزوا المرحلة الأولى من عمر شبابهم ولم يألوا جهداً فى تجنيد طاقاتهم وقوتهم من أجل نصرة الإسلام وإقامة مجتمعه[٢٣].

٨ ـ تكشف لنا الصورة التى استقبلت بها المدينة المنورة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن مدى المحبة الشديدة، التى كانت تفيض بها أفئدة الأنصار من أهل المدينة، رجالاً ونساء وأطفالاً، لقد كانوا يخرجون كل يوم إلى ظاهر المدينة، ينتظرون تحت لفح الشمس وصول رسول الله إليهم، حتى إذا هب النهار ليدبر، عادوا أدراجهم، ليعودوا إلى الانتظار صباح اليوم التالى، فلما طلع الرسول عليهم ،جاشت العواطف فى صدورهم، وانطلقت ألسنتهم تهتف بالقصائد والأهازيج فرحاً لمرآه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومقدمه عليهم، ولقد بادلهم رسول الله المحبة ذاتها، حتى إنه جعل ينظر إلى ولائد من بنى النجار حوله وهن ينشدن ويتغنَّين بمقدمه قائلا : أتحببنى؟ والله إن قلبى ليحبكن[٢٤].

يدلنا كل ذلك أن محبة رسول الله ليست فى مجرد الاتباع وباعثه، فلولا المحبة العاطفية في القلب لما وجد وازع يحمل على الاتباع فى العمل، ولقد ضل قوم حسبوا أن محبة رسول الله ليس لها معنى إلا الاتباع والاقتداء، وفاتهم أن الاقتداء لايأتي إلا بوازع ودافع، ولن تجد من وازع يحمل على الاتباع إلا المحبة القلبية، التى تهز المشاعر، وتستبد بالعواطف، ولذلك جعل الرسول ـ صلى

---

(٢١) فى أصول السيرة المحمدية (٧١، ٧٢) ط السنة المحمدية.

(٢٢) الغزالى ١٦٢.

(٢٣) فقه البوطى (١٣٩) وما بعدها.

(٢٤) ينظر فى صورة استقبال أهل المدينة له صلى الله عليه وسلم : سبل الهدى (٢٧١/٣) ومابعدها، والبداية والنهاية (١٩٧/٣)، وفتح البارى (٢٣٩/٧ ـ ٢٦٥) وسيرة ابن هشام (٤٩٢/١)، وزاد المعاد (٢٥٥١/٣) وصحيح مسلم (٢٣١١/٤) وشرح المواهب (٣٥٩/١).

الله عليه وسلم ـ مقياس الإيمان بالله امتلاء القلب بمحبته ـ عليه السلام ـ بحيث تغدو متغلبة على محبة الولد والوالد والناس أجمعين، وهذا يدل على أن محبة الرسول من جنس محبة الوالد والولد، أى : مصدر كل منهما العاطفة والقلب، وإلا لم تصح المقارنة والمفاضلة بينهما[٢٥].

وتكشف لنا قصة نزوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضيفا عند أبى أيوب الأنصارى فى منزله مظهرا آخر من محبة أصحاب رسول الله له، ولنا فيهم أسوة طيبة.

والذى يهمنا من ذلك هنا هو التأمل فى تبرك أبى أيوب وزوجه بآثار أصابع رسول الله فى قصعة الطعام حينما كان يرد عليهما فضل طعامه. إذن فالتبرك بآثار النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر مشروع قد أقرَّ.

وقد روى البخارى ومسلم وغيرهما صورا كثيرة أخرى من تبرك الصحابة بآثار النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ والتوسل بها للاستشفاء والعناية والتوفيق وماشابه ذلك.

من ذلك مارواه البخارى[٢٦] أن أم سلمة زوج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت تحتفظ بشعرات من شعر النبى من جُلْجُل لها فكان إذا أصاب أحداً من الصحابة عينٌ أو أذى أرسل إليها إناء فيه ماء فجعلت الشعرات فى الماء ثم أخذوا يشربونه توسلاً للاستشفاء والتبرك به.

ومن ذلك مارواه مسلم[٢٧] من أنه ـ عليه السلام ـ كان يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست هى فى البيت فجاء ذات يوم فنام على فراشها فجاءت أم سليم وقد عرق رسول الله، واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها[٢٨] فجعلت تنشف ذلك العرق فَتَعْصِرُهُ فى قواريرها، فأفاق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : ما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت : يارسول الله نرجو بركته لصبياننا. قال : أصبت.

ومن ذلك ماجاء فى الصحيحين من استباق الصحابة إلى فضل وضوئه ـ عليه السلام ـ والتبرك بالكثير من آثاره كألبسته والقدح الذى كان يشرب فيه.

فإذا كان هذا شأن التوسل بآثاره المادية فكيف بالتوسل بمنزلته عند الله -جل جلاله؟ وكيف بالتوسل بكونه رحمة للعالمين؟[٢٩]

٩ ـ ومما يُستفاد من مشروعية الهجرة ـ أيضا ـ وجوب نصرة المسلمين بعضهم لبعض، مهما اختلفت ديارهم وبلادهم، مادام ذلك ممكناً.

فقد اتفق العلماء والأئمة على أن المسلمين إذا قدروا على استنقاذ المستضعفين أو المأسورين أو المظلومين من إخوانهم المسلمين فى أى جهة من جهات الأرض ثم لم يفعلوا ذلك فقد باءوا بإثم كبير.

ليتنا نتعلم هذا الدرس من دروس الهجرة ثم لانبالى بعد أى شيء تعلمنا، وبالله التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٢٥) فقه البوطى، السابق.

(٢٦) مسلم فى الأشربة (١٧١)، والحاكم فى المستدرك (٣/٤٦٠) بإسناد صححه، ووافقه عليه الذهبى، وهو على شرط مسلم، وأحمد فى المسند (٥/٤١٥)، وابن هشام (١/٤٩٨) بإسناد صحيح.

(٢٧) صحيحه، كتاب اللباس، باب ماذكر فى السبت (٥٨٩٦).

(٢٨) صحيحه، كتاب الفضائل، باب طيب عرقه عليه السلام (٨٣، ٨٤، ٨٥).

(٢٩) العتيدة كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه مايعز من متاعها. النهاية لابن الأثير (٣/١٧٧) ط الحلبى.

المهاجرون.. رجال صدقوا

للأستاذ/ عاطف شحاته زهران

إذا تتبعنا الآيات القرآنية التى تحدثت عن المهاجرين لوجدنا أدق تصوير لهم وأصدق حديث عنهم، أنهم حملوا أعباء الدعوة فى مهدها، وهى أشد ما تكون حاجة إلى الرجال الذين يتفانون فى العطاء والصمود فى مواجهة المحن التى تعرض لهم، والفتن التى تواجههم.. والصدق هو الأساس فى أى صنف يصلح لهذه الفترة بالذات، الصدق فى نصرة الله ورسوله، والتضحية فى سبيله بكل مرتخص وغال، والثبات على العقيدة فى كل حال مهما واجهوا من إيذاء واضطهاد، وقد أثنى الله عليهم فى آيات تتلى على مر الدهور، وقدمهم مثالا يحتذى به كل صاحب حق يهان فى سبيل حقه، وكل متمسك بدينه حريص على خدمته.

إنهم صدقوا فى هجرتهم وحسن توجههم إلى الله وحده يرجون رحمته، قال -تعالى-:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ (١)

وصدقوا فى خروجهم ابتغاء مرضاته ونصرة لدينه ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾(٢).

هجروا الأوطان التى فيها نشأوا وعلى أرضها درجوا، وتحملوا فى سبيل ثباتهم على الدين ألوان العذاب، وجمعوا مع هذه الفضائل قتالهم فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فجمعوا كل أرجاء الفضيلة، فأجزل الله عطاءهم وأعلى درجاتهم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(٣)

وكافأهم الله على ما لاقوا من أذى فى سبيله، تكفير السيئات، وجنة النعيم. قال -عز وجل-:

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾(٤)

(١) البقرة: ٢١٨.
(٢) الحشر: ٨.
(٣) التوبة: ٢٠.
(٤) آل عمران: ١٩٥.

ووعدهم فى الجنة رزقا حسنا فقال:

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾(٥)

قال ابن كثير: أى ليجرين عليهم من فضله ورزقه من الجنة ما تقر به أعينهم.

ومع ما أعده الله لهم فى الآخرة من عطاء لم يحرمهم خيرات الدنيا وحسناتها، قال الله -تعالى-:

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾(٦)

قيل: الحسنة هى المدينة، وقيل: هى الرزق الطيب، فإنهم تركوا لله؛ فعوضهم الله خيرا منها فى الدنيا، فمكن لهم فى البلاد وصاروا أمراء حكاما وكل منهم للمتقين إماما.

روى أن عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول: خُذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعد الله فى الدنيا، وما ادخر لك فى الآخرة أفضل، ثم قرأ هذه الآية(٧). ولقد تجلى صدقهم فى مظهرين هامين هما:

أولاً: صدق المحبة لله ولرسوله:

كان الحافز وراء كل تضحياتهم هو الحب الصادق لله ولرسوله وللدين الحنيف الذى وجدوا فيه بغيتهم وصلاحهم وعزتهم، ولما صدقوا فى هذه المحبة تعلقت آمالهم بالغد المرتقب والمستقبل الزاهر للدعوة، وأثمرت المحبة ثمارها.

لقد صار هذا الحب مضرب المثل ومثار إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء، وكان سر انتصاراتهم الرائعة ومبعث التضحيات الغالية، وبه انطلقوا سهاماً صائبة فى قلوب أعدائهم حين أيقنوا أن عزتهم فى الدنيا وسعادتهم فى العقبى مرتهنة بهذا الحب وتلك التضحيات، صدقوا فى المقدمات فصدقت النتائج، وقدموا أرواحهم وأموالهم فجنوا نصراً ورفعة.

ثانياً: صبرهم فى البأساء والضراء:

تنزلت الآيات المجيدة فى تلك المرحلة الخطيرة -مرحلة التكوين والإعداد- توصى بالصبر وتحكى قصص السابقين من المرسلين وأتباعهم، وتصور مالاقوه من عنت المكذبين والمشركين،فكانت هذه الآيات والمواقف دليلا على الطريق، تقوى البناء وتضاعف اليقين فى نصر الله وظهور الدين.

قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾(٨). وقال: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾(٩). وقال: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾(١٠)

---

(٥) الحج: ٥٨.

(٦) النحل: ٤٠.

(٧) تفسير ابن كثير ج٢ ص٥٧٠.

(٨) الأنعام: ٣٤.

(٩) الأحقاف: ٣٥.

(١٠) المزمل: ١٠.

وجاءت قصة أهل الكهف وأصحاب الأخدود ومؤمن آل فرعون، وغيرها لتثبت المستضعفين وتقدم لهم الحجج العديدة على الصراع الأبدى بين الحزبين، وهو صراع قديم قدم النبوات، وقائم ما كان هناك للحق رجال يصدعون به ويعيشون له ويبذلون من أجله، فكانت هذه الآيات معينا قويا فى مواجهة التحديات الكثيرة التى تحيط بهم من كل ناحية.

لقد لاقوا العذاب صنوفا، ولكنهم كانوا أشد من الجبال رسوخا، وكلما اشتد الأعداء عليهم فى الإيذاء، كلما زادهم ذلك صبرا واحتمالا لاعتقادهم أن الابتلاء يجيىء على قدر صلابة الدين، صقلا للنفوس وتمحيصا للدين، قال ابن عباس: كانوا يجيعون أحدهم ويعطشونه ويضربونه حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضر حتى يقولوا له: اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم[11]

ويتلقى بلال سياط المشركين على صدره العارى وهو يقول: أحد.. أحد، وكم تمنوا أن ينهار تحت لهيب سياطهم فإذا بكلماته تصفعهم على وجوههم وتقدم لهم أصدق البرهان على قوة الإيمان وصدق الاتباع، فلجئوا إلى وسيلة أخرى ربما أجدت فى زعزعة ذلك اليقين ووقف هذا التيار -الذى بدا يتنامى لدرجة تفزع أهل مكة- فقرروا محاصرة المسلمين فى شعب أبى طالب.. لا يتعامل معهم أحد ببيع أو شراء أو نكاح.. ظانين أن ذلك قد يعجل بالقضاء على هذه الجماعة، ودامت تلك المقاطعة سنوات ثلاث واجه فيها القوم صعابا تحطم الظهور حتى سمعت أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشعب، وبلغ منهم الجهد مبلغه، فكان الصبر وحده هو السلاح الذى لا يفل، وكان الإيمان هو النور الذى لا يخبو.

قواعد البناء

وإنك لتعجب أشد العجب - حين تطالع سيرهم وتتصفح تاريخهم- من هذا الصمود الذى لا مثيل له إلا عند أصحاب النبى البررة الذين تربوا على يدى النبى القائد والداعى الأريب والذى راعى أن يقيم البناء على أسس متينة منها:

أولاً : الإيمان بالله وحده.

فالإيمان الجازم إذا خالطت بشاشته القلوب يزن الجبال ولا يطيش، وصاحب هذا الإيمان المحكم يرى متاعب الدنيا مهما كبرت واشتدت فى جنب إيمانه طحالب عائمة فوق سيل جارف جاء ليكسر السدود المنيعة والقلاع الحصينة فلا يبالى من تلك المتاعب.[12]

ثانياً : قيادة تهوى إليها الأفئدة.

لقد ظلت الأمة على مدى العصور تعظم سيرة النبى الكريم، فإن هذه السيرة بكل ما فيها من عناصر العظمة تحل الرسول فى ضمائر المسلمين ومشاعرهم وعقولهم محل الزعامة والقيادة التى لا تدانيها أية قيادة وزعامة.[13]

فقد حل من أصحابه محل الروح والنفس، وشغل منهم مكان القلب والعين، فكان الحب الصادق يندفع إليه اندفاع الماء إلى الحدور، وكان من أثر هذا الحب أنهم كانوا ليرضون أن تدق أعناقهم ولا يخدش له ظفر أو يشاك بشوكة.[14]

(١١) فتح البارى للعسقلانى ج٧ ص٢٠٣.

(١٢) الرحيق المختوم للمباركافورى ص١١٦.

(١٣) خطرات نفس مسلمة. عبدالحميد الكاتب ص٣١.

(١٤) الرحيق المختوم ص١١٨.

ثالثا: الشعور بالمسئولية.

فقد كان الصحابة يشعرون شعورا تاما بالمسئولية الملقاة على كواهل البشر وأنه لا يمكن الحياد أو الانحراف عنها بحال، فالعواقب التى تترتب على الفرار من تحملها أشد ضررا عماهم فيه من الاضطهاد، وكان الإيمان باليوم الآخر مما يقوى هذا الشعور بالمسئولية، فقد كانوا على يقين جازم بأنهم محاسبون على أعمالهم صغيرها وكبيرها، وكانوا يعرفون أن الدنيا بنعيمها وعذابها لا تساوى جناح بعوضة فى جنب الآخرة، فكانت هذه المعرفة تهون عليهم متاعب الدنيا ومرارتها.

رابعا : عظمة الرسالة وحاجة العالم إليها:

كان القرآن يتنزل فى هذه الفترات العصيبة ليقيم الحجج والبراهين على مبادىء الإسلام -التى كانت الدعوة تدور حولها بأساليب منيعة خلابة، وترشد المسلمين إلى أسس قدَّر الله أن يتكون عليها أعظم مجتمع بشرى فى العالم وهو المجتمع الإسلامى- وتثير مشاعر المسلمين ونوازعهم على الصبر والتجلد.(١٥)

قال -تعالى-: ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** ﴾.(١٦)

وقال: ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾.(١٧)

أدرك السابقون إلى الإسلام عظمة الرسالة وحاجة العالم كله إليها لتمحو جهالته وتبددت ظلمته وتنشر فيه الحق والخير والمساواة والإخاء، فالإسلام سيقود الناس إلى مرضاة رب العالمين وسيخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

آمال غالية.. هل تتحقق؟

إنهم صدقوا ومضوا على المنهج القويم فأعزهم الله من ذلة، وأغناهم من فاقة، ووسع عليهم من ضيق، وخرجوا من مكة أو تخرجوا فيها رجالاً أغلى أمانيهم أن ينصروا دين الله، وكلهم شوق لإعلاء رايته، ووجدوا فى يثرب رجالا فتحوا لهم صدورهم وبذلوا لهم حبهم، فاجتمعوا على حب لا نظير له، وصدق ما أحوجنا إلى مثله.. وآمالنا كبيرة فى أن يبعث الله فينا هذه الأرواح، ويمنحنا قلوباً كتلك القلوب، وصدقا يكافىء ذاك الصدق أو يقاربه لتنهض الأمة وتتبوأ مكانتها.. رضي الله عن المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١٥) المرجع السابق ص١١٩.

(١٦) البقرة ٢١٤.

(١٧) العنكبوت ٢ ، ٣.

فى رحاب الهجرة

للأستاذ / حامد محمد الفار

مهما امتد الزمان.. وتعاقبت الأجيال.. فالهجرة النبوية حدث تاريخى مجيد لا يغرب عن وجدان المسلمين ما بقيت الحياة.

وكيف لا.. والهجرة جاءت نقطة انطلاق للدعوة الإسلامية التى اجتازت الحدود والسدود، وأعلت كلمة الله التى حاربت الأرباب وقهرت الأصنام وحررت الجباه من السجود لغير الله. كما حررت الإنسان من رق الطواغيت وخلصت العقل البشرى من قيود الجهل وأغلال التقليد.. وتبدل بالهجرة سير التاريخ، وسادت فى الأرض مبادئ الحق والعدل والإخاء والمساواة.. فى ظل وحدة رضيها الله -تعالى- لهذه الأمة..

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾(١).

وكل خير أصابه المسلمون.. كان عقب هجرة رسالة التوحيد إلى يثرب، وكان للشباب دور حاسم فى إنجاحها، حيث بذل الشباب فى حماية ركب المهاجر تضحيات غاليات وهو يتحدى مؤامرة قريش فى شجاعة مؤمنة وفدائية جريئة تمثلت فى موقف «على بن أبى طالب» رضى الله عنه.. يخرج ساعة الخطر ويرقد مكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يعلم أن الموت منه قريب! ولكنه لا يبالى بالسيوف المشرعة فى قبضة الشباب المضلل، ويسعى إلى موت تتوقف عليه حياة دعوة ونجاة داعية اختارته السماء ليكون رحمة للعالمين.

وهذه «أسماء بنت أبى بكر» تعد الطعام للركب المهاجر، ولم يستطع «أبوجهل» أن يعرف منها سراً واحداً من أسرار الهجرة وقد لطمها لطمة أطارت قرطها من أذنها. و«عبدالله بن أبى بكر» يريح الأغنام عند الغار مساء كل يوم كى يحتلبها المهاجران ويشربا من لبنها، ولتطمس حوافرها آثار الأقدام.

وتنجح خطة الهجرة بمشاركة الشباب

(١) سورة الأنبياء ٩٢.

المؤمن الذى أدى دوره بكل صدق وحب وتضحية وفداء فى أعظم حدث وأخطر مرحلة.

ونحن نعلم من سنة نبينا ومن تاريخ ديننا الحنيف.. أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - منذ قيامه بالدعوة اهتم بتربية الشباب تربية قرآنية، واتخذ دار «الأرقم» أول مدرسة لهذه التربية التى امتدت على نطاق واسع فى المدينة بعد الهجرة، وصادفت هذه التربية الفطرة السليمة والعقول الواعية، وصنعت من الشباب الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ووطئت سنابك خيلهم حصون الشرك ومعاقل البغى فى كل مكان، فاستحقوا من الرسول الكريم أن يلفت أنظار الأمة إليهم بتكريمهم فى شخص «أسامة بن زيد» إذ ولاه إمارة الجيش ولم يتجاوز العشرين من عمره، وسار على هذا النهج خلفاؤه من بعده، فقد قرب الخليف «عمر بن الخطاب» «عبدالله بن عباس» فى مجلسه مع أشياخ الصحابة على حداثة سنه، تقديرا لقوة صلته بالله ودقة نظره فى كتاب الله. وهذا «عبدالله بن الزبير» حمل بشارة النصر إلى الخليفة «عثمان بن عفان» ومع بطولته الحربية كان قانتاً لله عابداً. كان إذا دخل فى الصلاة ينسى ما حوله.. فقد مرت قذيفة منجنيق بين لحيته وصدره وهو يصلى.. فما أحس بها ولا اهتز لها ولا قطع قراءته من أجلها ولا تعجل ركوعه، لأنه كان مع الله بكل حواسه ومشاعره.

هذه بعض أمثلة لشباب تربى فى جو إسلامى رشيد، ولما قلت العناية بتربية الشباب.. وانعدمت الرعاية والتوجيه، وانصرف الناس عن الالتزام بنهج الاسلام، أصبح الشباب يعانى الكثير من الحيرة والقلق والاضطراب وذلك بقدر بعده أو محاولة إبعاده عن قيم الإسلام ومنهجه، مما جعله فريسة سائغة للدعوات الضالة والمبادئ الهدامة والمذاهب الغوية والأفكار الآثمة، وسرت العدوى المدمرة التى انتقلت من شباب الغرب الصليبى وشباب الشرق الملحد عن طريق الاستعمار السياسى والاتصال الثقافى عبر كثير من الأساليب التى تغلف السم بالعسل، وكان لها قوة التأثير فى الأوساط الإسلامية، وتأثر بها فكر الشباب وتغير بها سلوكه حتى صار الكثير من شبابنا يأتى من الأعمال التى تجرح الفضيلة وتخدش الحياء من غير ما خجل ولا استحياء.

وليس معنى هذا أن الساحة خالية من شباب متدين أمين، عف المشاعر، نظيف السلوك طيب المنبت، بل نجد فى مجتمعنا شبابا يتميزون باستقامة فكرية وغيرة دينية تمدهم بقوة المدافعة والثبات، وتحجزهم عن العواصف التى تطوف من حولهم، الأمر الذى يتطلب منا جميعا التعاون للأخذ بأيديهم حتى يكونوا قدوة حسنة ينتفع بهم الدين، ويقوى بهم الوطن.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

فضل قراءة آية الكرسي

للشيخ محمد صابر البرديسى

قراءة آية الكرسى خلف كل صلاة مكتوبة بعد الأذكار المشروعة بعد السلام ومن ذلك قراءتها عند النوم، وآية الكرسى قيل: إنها أعظم آية فى القرآن الكريم وهو - قوله سبحانه -

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾(١)..

ومن ذلك قراءة (قل هو الله أحد ....)، و(قل أعوذ برب الفلق ....)، و(قل أعوذ برب الناس ....) خَلْفَ كُلِّ صلاة مكتوبة..

وقراءة السور الثلاث - ثلاث مرات - فى أول النهار بعد صلاة الفجر وفى أول الليل بعد صلاة المغرب.

وقراءة الآيتين من آخر سورة البقرة - فى أول الليل - وهما قوله تعالى:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥.

(٢) سورة البقرة ٢٨٥، ٢٨٦.

وقد صح عَنْ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: (من قرأ الآيتين الاخرتين من سورة البقرة كفتاه من كلِّ سوء)[٣]

ومن ذلك الإكثار من التعوذ بـ(كلمات الله التامات من شر ما خلق) – في الليل والنهار وعند نزول أيِّ مَنْزِل في البناء أو الصحراء أو الجو أو البحر – لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شئ حتى يرتحل من منزله ذلك)[٤]

ومن ذلك أن يقول المسلم فى أول النهار وفى أول الليل ثلاث مرات: (بسم الله الذى لا يَضُر مع اسْمِهِ شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم).

(لصحة الترغيب فى ذلك) عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–.

وأن ذلك سبب للسلامة من كل سوء، وهذه الأذكار والتعوذات من أعظم الأسباب فى اتقاء شر السِّحْرِ والحسد وغيره من الشرور لمن حافظ عليها بصدق وإيمان وثقة بالله واعتماد عليه وانشراح صدر كما دلت عليه، وهى أيضا من أعظم السِّلاح لإزالة السِّحْر بعد وقوعه مع الإكثار من التضرع إلى الله وسؤاله أن يكشف الضرر ويُزيل البأس.

ومن الأدعية الثابتة فى العلاج من كل شئ:

(اللهم رب الناسِ اذهب البأس إشف أنت الشافى لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سَقَماً).

ومن ذلك الرقى التى رَقَى بها جبريلُ «عليه السلام» النبىَّ – صلى الله عليه وسلم– وهى قوله:

(بسم الله أَرْقيكَ من كلِّ شئ يُؤذيك ومن شر كل نَفْسٍ أو عين حَاسدٍ اللهُ يشفيك بسم الله أرقيك)..

وليكون ذلك ثلاث مرات – تَضَعُ يَدَكَ على جسدك – وتقول: آية الكرسى و(قل يا أيها الكافرون ....) و(قل هو الله أحد ....) و(قل أعوذ بل الفلق ....) و(قل أعوذ برب الناس ....) وآية السحر التى فى سورة الأعراف وهى قوله تعالى:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾[٥].

والآيات التى فى سورة يونس وهى قوله – تعالى:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ

---

(٣) رواه الدارمى فى السنن.

(٤) مجمع الزوائد للهيثمى ١٠/١٣٣.

(٥) سورة الأعراف الآيات ١١٧، ١١٩

السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾(٦).

والآيات التى فى سورة طه وهى قوله – تعالى:

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾(٧).

ويمكن قراءةُ هذه الآيات السالفة فى الماءَ ويَشْرَب منه ويغتَسِل بالباقى وبذلك يزول الداء ان شاء الله -تعالى- وان دعت الحاجة الى استعماله مرتين أو أكثر فلا بأس حتى يزول الداء.

وهذه الآيات تُقرأ – أيضا – فى إناء فيه ماء ويصب علي رأس المسحور:﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾(٨)

والآية الأخرى وهى قوله – تعالى – :

﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾(٩)

وقوله – تعالى:

﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾(١٠).

وقال ابن كثير: أنفعُ ما يُستعمل لإذهاب السحر ما أَنْزَلَ اللهُ على رسوله فى إذهاب ذلك وهما المعوذتان وفى الحديث لم يُعَوِّذْ المُتَعَوِّذ بمثلهما وكذلك آيةُ الكرسى فهى مطردة للشيطان.

وقوله – تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١١)

وقوله – تعالى:

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ

---

(٦) سورة يونس ٧٩ : ٨٢.

(٧) سورة طه الآيات ٦٥ – ٦٩.

(٨) سورة يونس ٨١، ٨٢.

(٩) سورة الأعراف الآيات ١١٨ – ١٢٢.

(١٠) سورة طه ٦٩.

(١١) سورة يونس ٥٧.

عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾[12]

وقـوله – تـعـالـى: ﴿ إِذْ قَـالَ لأَبِيـهِ وَقَـوْمِـهِ مَـا تَعْبُدُونَ ﴾[13]

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤٠) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (٤٣) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[14]

وآية الكرسى اشتملت على أمهات المسائل الإلهية، فإنها دالة على أن الله – تعالى – موجود – واحد فى الألوهية، متصف بالحياة، واجب الوجود لذاته، موجِدٌ لغيره، إذ القيوم هو القائم بنفسه، المقيم لغيره، منزه عن التحيز والحلول، مبرأ عن التغير والفتور، لا يناسب الأشباح، ولا يعتريه ما يعترى النفوس والأروح، مالك الملك والملكوت، ومبدع الأصول والفروع، ذو البطش الشديد، الذى لا يشفع عنده إلا من أَذِنَ له، عالمٌ بالأشياء كلِّها، جليِّها وخفيِّها، كُلِّيها، وجزئِّيها، واسعُ المُلْك والقُدرة لكل ما يصح أن يُمْلَكَ ويُقْدَرَ عليه، لا يَشُقُّ عليه شاقٌّ ولا يَشْغَلُهُ شأنٌ عن شأن متعال عما يدركه الوهم، عظيم لا يحيط به الفهم.

لذا قال – عليه الصلاة السلام: «من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت)[15].

وعن أبى هريرة – رضي الله عنه أنه – صلي الله عليه وسلم – قال: (من قرأ حين يصبح آية الكرسى، وآيتين من أول «حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم» إلى قوله تعالى: (إليه المصير). – سورة غافر: آية ٣:١ – (حفظة الله فى يومه حتى يمسى، فإن قرأها حين يمسى حفظ فى ليلته تلك حتى يصبح).

وقيل: «ما قُرئت آيةُ الكُرسى فى دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما، ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة»

وتَذَاكَرَ الصحابةُ أفْضَلَ ما فى القرآن. فقال لهم عليٌّ – رضى الله عنه– «أين أنتم من آية الكرسى؟ ثم قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: «يا عليّ – سيد البشر آدم ، وسيد العرب محمد ولا فخر، وسيد الفرس سلمان، وسيد الروم صهيب، وسيد الحبشة بلال، وسيد الجبال الطور، وسيد الأيام يوم الجمعة، وسيد الكلام القرآن، وسيد القرآن البقرة، وسيد البقرة آية الكرسى»..

– أ.هـ (خطيب) –

وفق الله المسلمين للعمل بكتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم –.

والله الموفق

---

(١٢) سورة فصلت ٤٤.

(١٣) سورة الشعراء ٧٠.

(١٤) سورة الشعراء الآيات ٣٦ – ٤٧.

(١٥) اتحاف السادة المتقين ٥/٩٨.

قضايا قرآنية

قضية الأحرف السبعة

٣

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

إسماع الناس القراءات

قلنا: إن قضية الأحرف السبعة، تتضمن قضيتين: الأولى: قضية جواز القراءات السبع من عدمه.

والثانية: قضية إسماع الناس هذه القراءات.

والقضية الثانية متولدة عن الأولى.

وفى الحلقتين الماضيتين، ناقشنا رأى صاحب كتاب «الفرقان» حول القضية الأولى، بإلقاء الضوء على آراء الأعلام المتخصصين ومقارنتها بما أورده المؤلف فى كتابه.

واليوم ننتقل إلى القضية الثانية، حيث يرى الأستاذ عدم جواز تلاوتها على الناس بحجة أنهم لا يعرفونها ولا يدرونها.

والحق، أنه مادامت هذه القراءات متواترة، وصحيحة ومعترفا بها لدى جمهور علماء المسلمين، فإن فى قراءتها ونشرها فوائد تدعو للتمسك بها، هذه الفوائد تدور حول محاور ثلاثة:

المحور الأول: فوائد عامة، لا تتحصل إلا مع هذا التعدد:

الفائدة الأولى: أن فى تعدد القراءات فى الآية الواحدة ما يساعد على فهم الآية، وإلقاء الضوء عليها. مثلاً: «قوله تعالى:

﴿ يَـأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَـاءَكُمْ فَـاسِقٌ بِنَبَـأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾[1].

فقد وردت فيها قراءتان متواترتان، فتبينوا، وقراءة أخرى «فتثبتوا» وهما متلاقيتان، فالأولى طالبت بالتبين المطلق،

---

(١) سورة الحجرات (٦).

والأخرى بينت طريق التبين، وهو التثبت، بتحرى الإثبات، فإن لم تكن طرق الإثبات ولا دليل على القول، فإنه يرد الكلام، ولا يتمسك بما قيل متظننا فيها من غير دليل، وكلتا القراءتين، مروية بسند متواتر، لا مجال للريب فيه، فكانت إحدى القراءتين مفسرة للأخرى»[٢].

الفائدة الثانية: أن سماع المسلمين فى كل الأقطار الإسلامية والعربية لهذه القراءات المختلفة، والمعتمدة لدى القراء، مما يساعد على فهم أبعاد القضية، بدلاً من جهلها أو تجاهلها. وإلا، فهب أن مسلما انتقل من بلده إلى بلد إسلامى آخر، فسمع قراءة غير التى يقرأها، وهو يجهل حقيقة القضية، ماذا ستكون النتيجة؟ هنا سوف تقع -وبالتأكيد- فتنة فى الأرض وفساد كبير، ولا شك أن العالم الآن يعيش ما يسمى بثورة الاتصالات، مما جعله شبيها بقرية صغيرة. فباستطاعة المسلم الآن أن يستمع وفى دقائق ما يذاع من قراءات متعددةعبر إذاعات متعددة -أيضا-، فإذا تعددت القراءات دون أن يستوعب المسلمون جميعاً أبعاد هذه القضية، ويعرفوا أن هذه صحيحة وتلك صحيحة.. فسوف يصبح القرآن فى نظر المسلمين قرآنات متعددة، لا قرآنا واحدا تتعدد أوجه القراءة فى بعض آياته، وتلك هى الطامة الكبرى، التى يراد للمسلمين أن يقعوا فيها، وتسعى كثير من المنظمات اليهودية والصليبية، لنصب شراكها حول أمتنا.

الفائدة الثالثة: ماذا على المسلمين لو عرف كل قطر منهم شيئا عن لهجات الأقطار الأخرى؟ إن ذلك سيفتح الباب لدراسة هذه اللهجات مما يثرى مجال الدراسات اللغوية، التى خرجت من تحت عباءة القرآن الكريم، وهو حاصل فعلاً الآن، فى كلياتنا الجامعية، ففى دراستها نماء لعلوم القرآن.. هذا أولاً. وثانياً: يفتح الباب -أيضاً- لدراسةالوجه المشرق للإسلام وسماحته، التى لا تتوقف عند حد تيسير القراءة، بل ستمتد لتشمل سماحته فى التشريع بشكل عام.

المحور الثاني: فوائد تتعلق بالجوانب اللغوية أو الأسلوبية أو التشريعية: يقول الإمام محمد أبوزهرة: «إن القراءات.. هي ترتيل القرآن الذى علمنا الله إياه على لسان نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ، إذ علمه ربه ونسب الترتيل إلى ذاته العلية. فقال تعالى: ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾[٣]. وأمر نبيه بهذا الترتيل هو ومن اتبعه فقال ـ تعالت كلماته ـ : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾[٤]. فكانت القراءات التى نزل بها القرآن هى تصريف ذلك الترتيل وتنويعه. وكما أن المعانى القرآنية، صرفها الله تعالى من الاستفهام إلى التقرير، ومن الاستنكار والتوبيخ إلى التهذيب والتأديب، وكما صرف الله آياته كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[٥]. فقد صرف تلاوته وترتيله، فكان الترتيل فى التأليف الصوتى، والتناسق فى المنطق، وتنوع ذلك التناسق من ارتفاع ومد طويل، إلى خفض ومدّ قصير، مما

---

(٢) المعجزة الكبرى.. القرآن للإمام محمد أبو زهرة ص٤٩.

(٣) سورة الفرقان (٣٢).

(٤) سورة المزمل (٤).

(٥) سورة الأنعام (١٠٥).

يشبه التأليف الموسيقى، وإن كان أعلى لأنه ليس من صنع البشر، ويجد القارئ فى ذلك التنويع ما يجعله يترنم بالقرآن فى إجلاله، وروعة بيانه ودقة معانيه».

«وأمر ثان يبدو فى تنويع القراءات مع ثبوت تواترها وأنها عن الله العلى القدير، نجد أن اختيار قراءة من القراءات فى المقام الذى تناسبه يكون توضيحا للمعنى، ومناسبا للمؤدى، فمثلاً قراءة الإمالة تكون فى الموضع اللين والخطاب الرفيق، ويتركها القارئ الفاهم فى مواضع التهديد والإنذار إلى قراءة أخرى تناسب التهديد والإنذار الشديد. فمثلاً فى سورة الحاقة، لا يعمد المرتل المدرك إلى اللين فى الوقوف على التاء، لأنه لا يتناسب مع موضوع التهديد الذى اشتملت عليه السورة كلها، وقد نبهنا بعض القراء[٦] الذى كان يختار اللين، فتنبه، وما عاود أمامنا ما كان يفعل».

«وأمر ثالث فى تعدد القراءات فوق ما فيها من مقتضى المعانى، وفوق ما فيها من ترتيل هو موسيقى القرآن، إن صح لنا هذا التعبير، مع أن القرآن فى مقام أعلى وأسمى، ذلك الأمر أن تنوع القراءات فيه تسهيل على القارئ العربى، فقد تصعب عليه قراءة إذ لا تطاوعها طبيعته أو سليقته اللغوية».

«وهناك أمر رابع فى تنوع القراءات، وهو أن يكون مجموع القراءتين ـ وكلتاهما قرآن ـ دالا على معنيين فى لفظ واحد متلاقيين غير متضادين، فمثلاً قراءة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [٧] بضم الفاء، يدل على أنه من العرب، والعرب قومه، وذوو رحمه القريبة، أو البعيدة، وإذا اجتمعت معها القراءة بفتح الفاء، كانت الآية دالة بهذه القراءة على أنه من أوسط القوم وأعلاهم، فالقراءتان والكلمة واحدة، تدلان بالنص على معنيين غير متضادين، وكلاهما صحيح صادق، فالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ، كان من العرب، وكان من أنفسهم، ترتبط مشاعره بمشاعرهم، يحس بما يحسون، وهو مندمج فيهم، وقريب منهم، ثم كان مع هذا القرب النفسى، من أعلى العرب منزلة، وأكرمهم، وكذلك يكون الأنبياء من أوساط الأقوام، الذين يتسامون عن سفساف الأمور، ويتجهون إلى معاليها».

«.. وقد يكون اختلاف القراءات مؤديا إلى بيان حكم بقراءة، وحكم متمم له بقراءة أخرى، فتستفاد الأحكام فى أوجز تعبير على ما فيه فى تغيير القراءة من اختلاف فى نغم الترتيل، وموسيقى البيان القرآنى الذى يساميه».

«ولذلك نجد الفقهاء فى استدلالاتهم الفقهية يقولون: الحجة فيه قراءة كذا، وهى لا تكون مناقضة للقراءة الأخرى. وربما تكون القراءة دالة على حكم آخر غير مناقض للحكم الذى دلت عليه القراءة المستشهد بها، فتكون الآية بالقراءتين دالة على حكمين متلاقيين غير متناقضين، وذلك من الإيجاز المعجز، الذى لا يوجد فى كلام الناس. ولكنه موجود فى كلام خالق الناس»[٨]

---

(٦) حبذا لو أن الإمام كتبها «أحد القراء» لتتجانس الضمائر ويستقيم الأسلوب.

(٧) سورة التوبة (١٢٨).

(٨) المعجزة الكبرى.. القرآن ص ٥٤:٥٧.

المحور الثالث: فوائد تتعلق بإعجاز القرآن الكريم:

يقول الاستاذ مصطفى صادق الرافعى ـ رحمه الله ـ «والطبيعة قد توجد فى مفردات لغتها مترادفات، بحيث يكون الشيئان لمعنى واحد، ولكن لا توجد فيها الأضداد بحال من الأحوال، فلا يكون الشىء محتملاً بصورته الواحدة، لأن يكون إقرارا وإنكارا معاً، ومن ثم لا يستقيم للعرب أن يعارضوا القرآن، إذ كان مأتى العجز من فطرتهم اللغوية، ولا يتوهم ذلك وإن انتشرت لهم فى الخلاف كل قالة».

«ذلك فيما نرى [ومايزال الكلام للرافعى] هو السبب الأول الذى من أجله اختلفت بعض ألفاظ القرآن فى قراءتها اختلافا صح جميعه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحت قراءته، وهو كان أعلم العرب بوجوه لغتها.. إذ لا وجه عندنا للاختلاف الصحيح إلا هذا، فإن القرآن لو نزل على لفظ واحد ما كان شيئا وهو ما هو إحكاما وإبداعا، فهذه واحدة».

«وحكمة أخرى، وهى تيسير القراءة والحفظ على قوم أميين لم يكن حفظ الشرائع مما عرفوه، فضلاً عن أن يكون مما ألفوه»

«وثالثة تلحق بمعانى الإعجاز، وهى أن تكون الألفاظ فى اختلاف بعض صورها مما يتهيأ معه استنباط حكم، أو تحقيق معنى من معانى الشريعة، ولذا كانت القراءات من حجة الفقهاء فى الاستنباط والاجتهاد، وهذا المعنى مما انفرد به القرآن الكريم، ثم هو مما لا يستطيعه لغوى أو بيانى فى تصوير خيال فضلا عن تقرير شريعة»[٩]

مع العامة فى قراءتهم القرآن

فى صفحة ١٣٢ من كتابه «الفرقان» أورد المؤلف، حديث أبىّ بن كعب ـ رضى الله عنه ـ : قال: «لقى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جبريل، فقال: يا جبريل. إنى بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذى لم يقرأ كتابا قط. قال: يا محمد. إن القرآن أنزل على سبعة أحرف».

ثم يقول فى تعليقه على هذا الحديث ص١٣٣: «بل وأكثر من هذا فقد جاء فى الحديث الأخير، الذى رواه الترمذى، ما يفيد جواز قراءة الأمّى ـ الذى لم يقرأ كتابا قط ـ للقرآن قدر طاقته وحسب استطاعته».

«ويكون المقروء قرآنا، له حرمته ومكانته، ويصح العمل به والتعبد بتلاوته».

«وبهذا يبطل ما يدّعيه القراء من وجوب القراءة بطرق معينة، ومدود مقدرة، وقلقلة، وإدغام، وإشمام. إلى غير ذلك مما هو مُدوّن فى كتبهم أراحنا الله منهم».

«وقد بلغ من تضييق القراء، وتعسّفهم [ولا يزال الكلام لصاحب كتاب «الفرقان] أن جعلوا القرآن الكريم، السهل، السمح، الميسر للتدرب والتفكر، صعباً، شديدا، مغلقا، مبهما».

«لقد شددوا تشديدا كبيرا، وضيقوا تضييقا بالغا، بدرجة جعلت قراءة القرآن وقفا عليهم هم، فى حين أنه قد نزل لسائر الناس، وطلب العمل بما فيه من سائر الناس»أ هـ

إن المؤلف ـ رحمه الله ـ أقام معركة من صنع خياله البحث، لينصب من نفسه مدافعا عن وجهة

(٩) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٤٧ . ٤٨.

نظر معينة، وإلا فمن ذا الذى حرّم قراءة الأمّى ـ الذى لم يقرأ ولم يكتب ـ القرآن؟!

ومن ذا الذى يدّعى وجوب القراءة بطرق معينة، وإلا لما كان المقروء قرآنا؟! وهل هناك ما يفيد ـ ولو من بعيد ـ أن قراءة القرآن، أصبحت وقفا على القراء؟

إن المؤلف ـ رحمه الله وسامحه ـ وأضرابه ينسون أو يتناسون عدة حقائق يشهد لها الواقع فى حياة الناس عامتهم وخاصتهم:

أولاً: أن قراءة القرآن بالطريقة المثلى، التى تراعى فيها أحكام التلاوة لا تستوجب العلم المسبق بقواعد القراءة والكتابة، وهو أحد أوجه الإعجاز، فى حفظ هذا الكتاب الربانى الأسنى، ولنا على ذلك شواهد:

١- ما نشاهده فى الريف المصرى من قراءة العامة للقرآن، وكأنه السلاسل الذهبية بعينها، فإذا ما ذهبت تسأل أحدهم عما فى هذه الآية أو تلك من أحكام، لم تظفر بجواب غالبا، لكنها الفطرة النقية السوية، التى أزاح عنها القرآن الكريم، ما ران عليها من حجب كثيفة.

٢- ما نشاهده فى الكتاتيب فى حفظ الأطفال من جودة التلاوة، دون أن يعرف الطفل ما تحمله الآية من أحكام تفصيلاً. كل ما يلزم فى هذه الحالة، هو أن يكون المحفظ عارفا بكيفية التلاوة الجيدة، لتعتاد أذن الطفل على سماع الآيات فى حالة جيدة، لتتربى لديه ملكة القراءة الجيدة تلقائيا فلا تكون إلا القراءة الجيدة.

٣- ما نشاهده فى حفظ الأعمى -الذى لا يتأتى منه قراءة أو كتابة - وجودة تلاوته.

وإنى لأذكر - والله - كم كان أستاذنا وشيخنا ـ رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة ـ يطرب أحسن الطرب، ويغتبط أشد الاغتباط عندما يسمع منا المدّ والغنّ والإقلاب، والإخفاء والإظهار.. إلى آخر هذه الظواهر القرآنية، ونحن -بعد- مانزال أطفالا فى سنّ مبكرة جدا، لا نعرف حكما واحدا نجيب عليه فيما لو سئلنا عنه.

وهذا كله يؤكد أن جودة التلاوة، حينما يؤكد عليها علماء القرآن، لا يقصدون قسر المتلقى عليها، لأنها أولاً وقبل كل شىء، مركوزة فى الطبع البشرىّ السوىّ، وليست فى حاجة لأكثر من إماطة اللثام عنها، بمزيد من عناية الشيخ، الذى يتلقى عنه التلميذ، مما يسقط دعوى المؤلف من أساسها، فلا إكراه، ولا تشدد، وليس هناك من يقول: إن قراءة القرآن مقصورة على فئة معينة من الناس.

ثانيا: إن تعلم أحكام التجويد شىء، وجودة التلاوة شىء آخر، نعم. قد يجتمعان، ولكن كثيرا ما ينفرد الثانى بالمجال دون الأول، فهما يجتمعان فى خاصة القراء، الذين تناط بهم مهمة التحفيظ غالبا، وتعليمه للناس، أما عامة القراء، فلم يقل أحد بوجوب تعلمهم لأحكام التجويد، وجوبا عينيا، كما يتعلمون الصلاة والصيام مثلاً، ولذا نستطيع أن نقول: إن تعلم أحكام التجويد فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط الطلب عن الباقين. أما العمل به فهو فرض عين على كل قارئ. وهذا هو الشاهد. وعليه كان رأى علماء الإسلام، ولم

نسمع أو نقرأ عن واحد منهم فقط يزعم وجوب تعلم كل قراء القرآن لأحكام التجويد، ويدخل فى هذا الإطار، ما نقرأه من بعض الأحكام، التى تكتب عادة فى آخر المصحف. وقد شنَّ المؤلف ـ سامحه الله ـ عليها غارة شعواء، دون أدنى مبرر، إلا فى خياله الخاص، ورأيه الذى لا يقوم حتى على ساق واحدة، حيث يقول فى صفحة ١٣٤: «وقد بلغ من تضييقهم أن جعلوا بآخر المصحف تعريفا لإرشاد القراء إلى الأحرف المزيدة، والأحرف التى تزاد وصلا لا وقفا، والإدغام، والإشمام، والإخفاء، والمدّ والإمالة إلى ما لا نهاية له من العنت والضيق والتحكم» أهـ

يا سبحان الله!! أحد الوجوه المشرقة، فى هذا الدين وقرآنه الكريم المبارك، التى يحسدنا عليها الشرق والغرب على السواء، تنقلب فى نظر هذا الرجل بابا من أبواب الزراية والسخرية، حتى توصم بالعنت والضيق والتحكم!!

ثالثا: إن حملة الرجل على تمسك القراء بمخارج الحروف، وزعمه أن هذا التمسك ليس من الدين فى شىء، ليس لها إلا مبرر واحد، هو جهله بواقع الأمر، وما يحيط به من معايير نوجزها فيما يلى:

١- إن تعويد الطفل على النطق السديد منذ صغره ـ وهو ما يعده المؤلف تنطعا ـ فيه ميلاد جديد له، يستقيم فيه لسانه، وتستقيم لديه أعضاء النطق الداخلية. فكثيرا ما نسمع الطفل قبل أن يعتاد قراءة القرآن، قراءة سوية، وقد خلط فى النطق بين السين والثاء، أو بين اللام والراء، أو بين السين والشين.. إلخ. فضلاً عن الفأفأة والتأتأة والتهتهة، وغير ذلك من عيوب النطق، التى لا يصلحها إلا ما أسماه المؤلف ـ سامحه الله وعفا عنه ـ تشددا فى تحفيظ القرآن، وتنطعا من القراء. ولقد فهم كثير من النصارى ـ وتلك حقيقة رأيتها بنفسى ـ هذه المسألة، فدفع بعضهم أبناءهم لحفظ القرآن الكريم.

٢- أما ما ساقه المؤلف من مثال على التشدد والتنطع فى قراءة «ولا الضالّين» حيث قال فى صفحة ١٣٧: «وإذا شئت أيها المتأمل المنصف دليلاً على ما أقول، فما عليك إلا أن تراقب بعض الناس فى صلاتهم عندما يصلون من الفاتحة إلى قوله -تعالى-: «ولا الضالين» فإنك تجد أكثرهم، وقد رددها هكذا «ولا الضّ.. ولا الضّ.. ولا الضّ..» وهكذا يظل يردد إلى أن يفتح الله عليه بإخراج باقى الكلمة، لا من لسانه فقط، ولا من فمه وحلقه فحسب، بل من قعر بطنه. ويصير مثله فى ذلك كمن يريد أن يتقيأ، لا أن يقرأ القرآن، ويتقرب للرحمن» أ هـ

أقول: أما ما ساقه المؤلف فى هذا المثال دليلا على التنطع والتشدد، الذى زعمه، فإنى ـ والله ـ لا أدرى كيف ساغ له -أمام عقله على الأقل- أن يستشهد به، ونحن وهو أيضاً نعلم جميعاً أنها حالة مَرَضيّة، يطلب لها العلاج، فضلاً عن أنها لا تُرى إلا فى حالات نادرة جداً، لا تتعدى الآحاد، التى لا تشكل حالة مستقرة، بل قد يقضى المرء عمره دون أن يرى من هذه الحالات سوى حالة أو حالتين، أو لا يرى أصلاً.

الشروط الواجب توافرها فى المتجادلين

(ما لابد للمتجادلين من معرفته)

٥

للأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومى

قال أحمد المعروف بابن القاص: (الأصول سبعة: الحس والعقل ومعرفة الكتاب والسنة والإجماع واللغة والعبرة فلابد للمناظرين من معرفة جمل ذلك فالحواس خمس: السمع والبصر والشم والذوق واللمس، والعقل على ضربين فغريزى ومستجلب، والكتاب والسنة على ضربين فمجمل ومفسر، وطريق السنة على ضربين فمتواتر وآحاد، والإجماع على ضربين فإجماع الأمة وإجماع الحجة. واللغة على ضربين فمجاز وحقيقى.

والعبرة على ضربين فأحدهما فى معنى الأصل لا يعذر عالم بجهله والثانى ذات وجوه وشعب، فمن أنكر الحس أنكر نفسه، ومن أنكر العقل أنكر صانعه، ومن أنكر عموم القرآن أنكر حكمه، ومن أنكر خبر الآحاد أنكر الشريعة، ومن أنكر إجماع الأمة أنكر نبيه، ومن أنكر اللغة سقطت محاورته، لأن اللغات للمسميات سمات، ومن أنكر العبرة أنكر أباه وأمه)(١)

وقد شرح هذه الجمل الخطيب البغدادى بقوله: (قلت: أما الحس فيدرك به العلم الواقع عن الحواس، وهو علم ضرورى غير مكتسب؛ لأن دخول الشك غير جائز، وأما العقل فهو ضرب من العلوم الضرورية محله القلب، وقيل: إنه نور وبصيرة منزلته من القلب البصر من العيون، وقيل: هو قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات، وقيل: هو العلم الذى يمتنع به من فعل القبيح، وقيل: هو ما من معه التكليف، والمعنى فى هذه العبارات كلها متقارب.. وقيل: العقل سراج ما بطن

(١) الفقيه والمتفقة للخطيب البغدادى ص ١٢٨ زكريا يوسف.

وملاك ما علن، وائس الجسد وزينة كل أمر ولا تصلح الحياة إلا به، ولا تدور الأمور إلا عليه، قال عبدالله بن المعتز: العقل كشجرة أصلها غريزة وفرعها تجربة وثمرتها حمد العاقبة، والاختبار يدل على العقل كما يدل توريق الشجرة على حسنها، وما أبين وجوه الخير والشر فى مرآة العقل إن لم يصدها الهوى.

أما الكتاب والسنة فهما الأصلان اللذان يقوم الاحتجاج بهما فى أحكام الشرع على ماسواهما ويتلوهما الإجماع وليس يعرفه إلا من عرف الاختلاف.

عن قتادة قال: من لم يعرف الاختلاف لم يشم أنفه الفقه، قال قبيصة: لا يفلح من لا يعرف اختلاف الناس.

وقال الأوزاعى: تعلم مالا يؤخذ به كما نتعلم ما يؤخذ به، وأما اللغة فبابها واسع ونزل القرآن بلغة العرب، لأنها أوسع اللغات وأفصحها، وفى كتاب الله -تعالى- آيات مخرجها أمر، ومعانيها وجوه متغايرة، فمنها تهديد، ومنها إعجاز، ومنها إيجاب، ومنها إرشاد، ومنها إطلاق ولا تدرك معرفة ذلك إلا من جهة اللغة... (قيل): أقام الشافعى علم العربية وأيام الناس عشرين سنة، فقلنا له فى هذا، فقال: ما أردت بها إلا الاستعانة للفقه.. وأما العبرة التى فى معنى الأصل فهى نحو قوله - تعالى-:

﴿ فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾ (٢) فكان ما هو أضر منه حراما اعتبارا به وهذا ونحوه لم يتنازع الناس فيه ولا يعذر أحد بجهله.

والضرب الثانى من العبرة هو المعانى المتسعة التى تدرك بدقيق النظر وقياس بعضها على بعض وحكم الغائبات يعلم بالاستبدال بالمشاهدات، قال - تعالى-:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾(٣)

فأقام الله - سبحانه - حجته على المنكرين ربوبيته الدافعين قدرته على إحياء الأموات وبعث الأنام بما تلونا يعتبرون أن القادر على إنشاء المعدوم ونقله من حال إلى حال وإعدامه بعد الوجود، ومحيى الأرض الهامدة، قادر على إحياء النفوس.

فيجيب على من كملت فيه المعرفة بهذه الأصول التى تقدم ذكرها وأراد المناظرة.. أن يكون نظره فى دليل لا فى شبه ويستوفى شروط الدليل ويرتبه على حقه فإن حجته تفلح بعون الله -تعالى- وتوفيقه(٤).

---

(٢) الأسراء ٢٣.

(٣) الحج ٥.

(٤) الفقيه والمتفقة للخطيب البغدادى ص ٢١٨:٢٢١.

الهدف من الجدل

إن الهدف من الجدل هو بيان الحق ونصرته (وهو ما تقدم فى آداب الجدل).

قال الخطيب البغدادى: وليكن قصده فى نظره إيضاح الحق وتثبيته دون المغالبة للخصم(٥)

قال الشافعى: ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان وتكون عليه رعاية من الله وحفظ وما كلمت أحدا قط إلا ولم أبال بيّن الله الحق على لسانى أو لسانه(٦).

ويقول أيضا ما ناظرت أحدا إلا على النصيحة.(٧)

ويقول: والله ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطىء.(٨)

وقال أبو يوسف: يا قوم أريدوا بعلمكم الله -عز وجل- فإنى لم أجلس مجلسا قط أنوى فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوها ولم أجلس قط أنوى فيه أن أعلوها إلا لم أقم حتى افتضح(٩).

ويقول الغزالى فى هذا الصدد:

«أن يكون كل طرف من طرفى المناظرة فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، فهو يرى فى رفيقه معينا ومساعداً فى الوصول للحق لا خصما، فلذلك يشكره إذا نبهه لموقع الخطأ وأظهر له الحق كما لو سلك طريقا خطأ فى طلب ضالته فنبهه صاحبه إلى أن ضالته سلكت الطريق الآخر، فإنه يسر به ويشكره(١٠)

ضوابط الجدل وقانون المتكلمين

إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية أو السمع والعقل أو النقل والعقل أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية أو نحو ذلك من العبارات، فإما أن يجمع بينهما، وهو محال، لأنه جمع بين النقيضين، وإما أن يردا جميعا، وإما أن يقدم السمع وهو محال؛ لأن العقل أصل النقل، فلو قدمنا عليه كان ذلك قدحا فى العقل الذى هو أصل النقل، والقدح فى أصل الشىء قدح فيه، فكان تقديم العقل قدحا فى النقل والعقل جميعا فوجب تقديم العقل ثم النقل إما أن يتأول وإما أن يفوض.

وأما إذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجمع بينهما ولم يمتنع ارتفاعهما(١١).

.... «يتبع» ....

---

(٥) الفقيه والمتفقة ص ٢٢٣.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق.

(٩) المصدر السابق.

(١٠) الغزالى، قانون التأويل، ط الأزهر.

(١١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٤/١ ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

العشرة المبشرون بالجنة

أبو بكر الصدّيق

رضى الله عنه

٦

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

قال الزُّهرىّ: وحدثنى حمزة بن عبد الله بن عمر، أن عائشة قالت: لما استُعِزّ[١] برسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: «مُرُوا أبا بكر فليصلّ بالناس» قالت: قلت: يانبىّ الله، إن أبا بكر رجل رقيق، ضعيف الصوت، كثير البكاء إذا قرأ القرآن. قال: «مروه فليصلّ بالناس» قالت: فعُدت بمثل قولى، فقال: إنكنّ صواحب يوسف، فمُروه فليصلّ بالناس». فوالله ما أقول ذلك إلا أنى كنت أحبّ أن يُصرَف ذلك عن أبى بكر، وعرفت أن الناس لا يُحبُّون رجُلا قام مقامه أبدا، وأن الناس سيتشاءمون به فى كل حدث كان، فكنت أحبّ أن يُصرَف ذلك عن أبى بكر.

قال ابن إسحاق: وقال ابن شُهاب: حدثنى عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام، عن أبيه، عن عبدالله بن زَمعة ابن الأسود بن المُطَّلب بن أسد، قال: لما استُعِزّ برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا عنده فى نفر من المسلمين، قال: دعاه بلال إلى الصلاة، فقال: مروا مَنْ يصلى بالناس». قال: فخرجت، فإذا عمر فى الناس. وكان أبو بكر غائبا، فقلت: قم ياعمر فصلّ بالناس قال: فقام، فلما كبر، سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صوته، وكان عمر رجلا مِجْهَرا[٢]، قال: فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : «فأين أبو بكر؟» يأبى الله ذلك والمسلمون. يأبى الله ذلك والمسلمون. قال: فبُعث إلى أبى بكر، فجاء

(١) اشتد به المرض.

(٢) عالى الصوت.

بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس: قال: قال عبدالله بن زمعة: قال لى عمر: ويحك، ماذا صنعت بى يابن زمعة، والله ما ظننت حين أمرتنى إلا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمرك بذلك، ولولا ذلك ماصليت بالناس، قال: قلتُ والله ما أمرنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بذلك، ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس[٣].

وبعد هذا العرض الموجز لسيرة خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبى بكر الصديق رضى الله عنه - نورد طائفة من الأحاديث مما ذكره الحافظ جلال الدين السيوطى[٤]:

أخرج الترمذى عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لاينبغى لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره».

وأخرج عبدالرحمن بن حميد فى «مسنده» وأبو نعيم وغيرهما من طرق، عن أبى الدرداء، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «ماطلعت الشمس ولاغربت على أحد، أفضل من أبى بكر، إلا أن يكون نبى».

وأخرج ابن حبان قال: حدثنا أبو يعلى، حدثنى يحيى الجمانى، حدثنا حشرج عن سعيد ابن جمهان عن سفينة: لما بنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسجد وضع فى البناء حجرا، وقال لأبى بكر: «ضع حجرك إلى جنب حجرى»، ثم قال لعمر: «ضع حجرك إلى جنب حجر أبى بكر»، ثم قال لعثمان: «ضع حجرك إلى جنب حجر عمر»، ثم قال: «هؤلاء الخلفاء بعدى» قال أبو زرعة: إسناده لابأس به، وقد أخرجه الحاكم فى «المستدرك» وصححه البيهقى فى «الدلائل».

وأخرج أبو القاسم البغوى - بسند حسن - عن عبدالله بن عمر - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «يكون خلفى إثنا عشر خليفة: أبو بكر لايلبث إلا قليلا».

وأخرج ابن سعد، عن الحسن قال: قال على: «لما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نظرنا فى أمرنا فوجدنا النبى - صلى الله عليه وسلم - قد قدم أبا بكر فى الصلاة؛ فرضينا لدنيانا عمن رضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنه لديننا؛ فقدمنا أبا بكر.».

وفى «الأوسط»، عن سعد بن زرارة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن روح القدس جبريل أخبرنى أن خير أمتك بعدك أبو بكر».

وأخرج الترمذى وحسنه، والحاكم، وصححه، عن حذيفة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «اقتدوا باللذَين مِن بعدى: أبى بكر وعمر».

وأخرج ابن سعد بن بسطام بن مسلم، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبى بكر وعمر: «لايتأمر عليكما أحد بعدى».

وأخرج الترمذى، والحاكم، عن ابن عمر، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج ذات يوم فدخل المسجد، وأبو بكر، وعمر أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، وهو آخذ بأيديهما، وقال: «هكذا نبعث يوم القيامة».

---

(٣) ابن هشام (٢/٦٥٢).

(٤) تاريخ الخلفاء ، (٤٤:٩٨).

وإن عمر حسنة من حسنات أبى بكر

وأخرج الترمذى، والحاكم، عن ابن عمر - رضى اللّه عنهما - قال: قال رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - «أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر».

وأخرج الترمذى، والحاكم، وصححه، عن عبداللّه بن حنطب، أن النبى - صلى اللّه عليه وسلم - رأى أبا بكر وعمر فقال: «هذان السمع والبصر».

وأخرج البزار، والحاكم، عن أبى أروى الدوسى، قال: كنت عند النبى - صلى اللّه عليه وسلم - جالسا فأقبل أبو بكر وعمر، فقال: «الحمد لله الذى أيدنى بكما».

وأخرج أبو يعلى، عن عمار بن ياسر، قال: قال رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - «أتانى جبريل آنفاً فقلت: ياجبريل، حدثنى بفضائل عمر ابن الخطاب، فقال: لو حدثتك بفضائل عمر منذ مالبث نوح فى قومه مانفدت فضائل عمر، وإن عمر حسنة من حسنات أبى بكر.

إن الله يأمرك أن تستشير أبا بكر

وكان - رضى اللّه عنه - أسد الصحابة رأيا، وأكملهم عقلا، أخرج تمام الرازى فى «فوائده» وابن عساكر، عن عبداللّه بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - يقول: «أتانى جبريل، فقال: إن اللّه يأمرك أن تستشير أبا بكر».

وأخرج الحاكم، عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾(٥) قال: نزلت فى أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما.

وأخرج أحمد، عن عبدالرحمن بن غنم، أن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - قال لأبى بكر وعمر: «لو اجتمعتما فى مشورة ماخالفتكما».

وأخرج الطبرانى، وأبو نُعَيْم وغيرهما، عن معاذ بن جبل: أن النبى - صلى اللّه عليه وسلم - لما أراد أن يسرح معاذا إلى اليمن، استشار ناسا من أصحابه منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وطلحة، والزبير، وأسيد بن الحضير، فتكلم القوم كل إنسان برأيه، فقال: «ماترى يامعاذ!» قلت: أرى ماقال أبو بكر، فقال النبى - صلى اللّه عليه وسلم - : «إن اللّه يكره من فوق سمائه أن يخطئ أبو بكر».

أقرؤهم لكتاب الله

قال ابن كثير: كان الصديق - رضى اللّه عنه - أقرأ الصحاب، لأنه - عليه الصلاة والسلام - قدمه إماما للصلاة بالصحابة - رضى اللّه عنهم - مع قوله: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب اللّه».

قال النووى فى تهذيبه: «الصديق أحد الصحابة الذين حفظوا القرآن كله»

أعلمهم بالسنة

وكان – رضى الله عنه ـ أعلم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بالسنة، كلما رجع إليه الصحابة فى غير موضع يبرز عليهم بنقل سنن عن النبى - صلى اللّه عليه وسلم - يحفظها هو ويستحضرها عند الحاجة إليها، ليست عندهم، وكيف لايكون كذلك، وقد واظب على صحبة الرسول - عليه الصلاة

---

(٥) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

والسلام - من أول البعثة إلى الوفاة؟ وهو مع ذلك من أذكى عباد الله وأعقلهم، وإنما لم يروَ عنه من الأحاديث المسندة إلا القليل لقصر مدته، وسرعة وفاته بعد النبى - صلى الله عليه وسلم - وإلا فلو طالت مدته لكان ذلك عنده جدا ولم يترك الناقلون عنه حديثا إلا نقلوه.

وأخرج البخارى ، عن عائشة - رضى الله عنها: أن أبا بكر لم يكن يحنث فى يمين حتى أنزل الله كفارة اليمين.

خير هذه الأمة

أخرج الشيخان، عن عمرو بن العاص قال: قلت يارسول الله، أى الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قلت: من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب.

واخرج الترمذى، والنسائى، والحاكم، عن عبدالله بن شقيق، قال: قلت لعائشة: أى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أحب الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ قالت: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قالت: ثم عمر، قلت: ثم من؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح.

وأخرج الترمذى وغيره، عن أنس ، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبى بكر وعمر: «هذان سيدا كهول أهل الجنة، من الأولين، والآخرين، إلا النبيين والمرسلين».

وروى البخارى، عن ابن عمر، قال: كنا نخير بين الناس فى زمان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنخير أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان.

وأخرج الترمذى، عن جابر بن عبدالله، قال: قال عمر لأبى بكر: ياخير الناس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال أبو بكر: «أما إنك إن قلت ذاك فلقد سمعته يقول: ماطلعت الشمس على رجل خير من عمر».

وأخرج أحمد وغيره، عن على، قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر».

وأخرج الترمذى، والحاكم، عن عمر بن الخطاب قال: « أبو بكر سيدنا، وخيرنا، وأحبنا إلى النبى - صلى الله عليه وسلم.

وأخرج الترمذى، عن أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «مامن نبى إلا وله وزيران من أهل السماء، ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراى من أهل السماء: فجبريل، وميكائيل، وأما وزيراى من أهل الأرض: فأبو بكر وعمر».

وأخرج الترمذى، عن أنس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار، وهم جلوس، فيهم أبو بكر، وعمر، فلا يرفع إليه أحد منهم بصره، إلا أبو بكر وعمر؛ فإنهما كان ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما.

أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾(٦) قال: على أبى بكر الصديق؛ إن النبى - صلى الله عليه وسلم - لم تزل السكينة عليه.

وأخرج ابن أبى حاتم، عن ابن مسعود: أنا أبا بكر اشترى بلالا من أمية بن خلف، وأُبى بن خلف، ببردة وعشر أواق، فأعتقه لله تعالى:

---

(٦) سورة التوبة الآية (٤٠) .

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ (٧) إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ (٨) سعى أبى بكر، وأمية، وأُبى.

وأخرج ابن أبى حاتم، والطبرانى، عن عروة، أنا أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - أعتق سبعة، كلهم يعذب فى الله، وفيه نزلت ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ﴾(٩).

خشيت على أمة محمد الفرقة

يقول ابن هشام: إن رافع بن أبى رافع الطائى، وهو رافع بن عميرة كان يحدث فيما بلغنى قال:« .... فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة، التى بعث فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل؛(١٠). قال: فقلت: والله لأختارنّ لنفسى صاحبا؛ قال: فصحبت أبا بكر، قال: فكنت معه فى رَحْله، قال: وكانت عليه عباءة له فَدَكية، فكان إذا نزلنا بَسطها، وإذا ركبنا لبسها، ثم شكَّها عليه بخلال له، قال: وذلك الذى له يقول أهل نجد حين ارتدّوا كفَّارا: نحن نبايع ذا العبَاءة! قال: فلما دنونا من المدينة قافلين، قال: قَلت: ياأبا بكر، إنما صحبتك؛ لينفعنى الله بك، فانصحنى وعلِّمنى، قال: لو لم تسألنى ذلك لفعلت، قال: آمرك أن توحِّد الله، ولاتُشرك به شيئا، وأن تقيم الصلاة، وأن تؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ هذا البيت، وتغتسل من الجنابة، ولاتتأمَّر على رجل من المسلمين أبدا. قال: قلت: ياأبا بكر، أما أنا والله فإنى أرجو ألا أشرك بالله أحدا أبدا؛ وأما الصلاة: فلن أتركها أبدا إن شاء الله؛ وأما الزكاة: فإن يك لى مال أؤدّها إن شاء الله؛ وأما رمضان: فلن أتركه أبداً إن شاء الله؛ وأما الحج: فإن أستطع أحج إن شاء الله -تعالى-؛ وأما الجنابة: فسأغتسل منها إن شاء الله؛ وأما الإمارة: فإنى رأيت الناس ياأبا بكر لايَشْرُفون عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعند الناس إلا بها، فلمَ تنهانى عنها؟ قال: إنك إنما استَجْهدتنى لأجْهَدَ لك، وسأخبرك عن ذلك: إن الله - عزّ وجلّ .. بعث محمدا – صلى الله عليه وسلم – بهذا الدين، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها، فلما دخلوا فيه كانوا عُوّاذَ الله وجيرانه، وفى ذمّته، فإياك لاتُخْفِر الله(١١). فى جيرانه، فيتبعَك الله خُفرته، فإن أحدكم يُخْفَر فى جاره؛ فيظلّ ناتئا عضله(١٢). غَضبا لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير، فالله أشدّ غضبا لجاره. قال: ففارقته على ذلك.

قال: فلما قُبِضَ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأمِّر أبو بكر على الناس، قال: قَدِمت عليه، فقلت له: ياأبا بكر، ألم تك نهيتَنى عن أن أتأمَّر على رجلين من المسلمين؟ قال: بلى، وأنا الآن أنهاك عن ذلك قال: فقلت له: فما حملك على أن تلى أمر النَّاس؟ قال: لا أجد من ذلك بُدّا، خشيت على أمَّة محمد - صلى الله عليه وسلم - الفرقة(١٣)..

(٧) سورة الليل الآية (١). (٨) سورة الليل الآية (٤). (٩) سورة الليل الآية (١٧).

(١٠) نسبة إلى ماء بأرض (جذام) يقال له السلسل. (١١) لا تنقض عهده.

(١٢) المرتفع المنتفخ والعضل جمع عضلة وهى القطعة الشديدة من اللحم. (١٣) ابن هشام ٢/٦٢٤: ٦٢٥.

الحرية الاقتصادية في الإسلام وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي

للمستشار الدكتور/ محمد شوقي الفنجري (*)

١ ـ إن موضوع الحرية الاقتصادية وتدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى، وهو من أكثر القضايا جدلا وأكثرها تأثيرا، وبخاصة فى عصرنا الحديث الذى رفع شعار التنمية الاقتصادية.

فتختلف الآراء والمواقف فيما إذا كانت هذه التنمية هى مسئولية الفرد والقطاع الخاص، أم هى مسئولية الدولة والقطاع العام. ومايستتبع ذلك من آثار خطيرة، تتمثل فى التوسع أو التضييق فى نطاق كل من الملكية الخاصة والملكية العامة.

وتبدو أهمية هذا الموضوع فى أنه يتعلق بأسلوب معالجة المشكلات الاقتصادية : وهل هو الأسلوب الفردى أو الرأسمالى ممثلا فى الحرية الاقتصادية وتشجيع القطاع الخاص، أم هو الأسلوب الجماعى أو الاشتراكى ممثلا فى تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى وسيطرة القطاع العام.

ولاشك أن لكل من الأسلوبين : الأسلوب الفردى متمثلا في الاقتصاد الرأسمالى، والأسلوب الجماعى متمثلا فى الاقتصاد الاشتراكى، مزاياه وعيوبه ولايرجح أحدهما على الآخر سوى ظروف كل مجتمع، أو بعبارة أدق ـ فى نظرنا ـ لايرجح أسلوب على آخر سوى اختيارات الفئة الحاكمة.

ونرى أن هناك أسلوبا ربانيا متميزا لايتأثر بالأهواء أو اختيارات الحكام، ألا وهو الأسلوب الإسلامى فى معالجة المشكلة الاقتصادية، متمثلا في الاقتصاد الإسلامى، الذى يقوم على معايير موضوعية فى تحديد مجالات تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى ومدى هذا التدخل، متجنبا منذ أربعة عشر قرنا عيوب ومساوىء الأسلوبين الوضعيين : الفردى والجماعى، ومحققا مزايا كل منهما.

(*) الكاتب : عضو مجمع البحوث الإسلامية.

اختلاف المذاهب والنظم الاقتصادية حول حدود التدخل

فى الاقتصاد الرأسمالى : الأصل هو حرية الأفراد فى ممارسة نشاطهم الاقتصادى، والاستثناء هو تدخل الدولة وقيامها ببعض أوجه النشاط الاقتصادى إذا استلزمته الضرورة، ويترتب على ذلك أن الأصل هو الملكية الخاصة إذ هى فى نظره مقدسة باعتبارها الباعث على النشاط الاقتصادى وجوهر الحياة، والاستثناء هو الملكية العامة إذا اقتضت الضرورة أن تباشر الدولة نشاطا معينا.

وإن تقدير هذه الضرورة من حيث التضييق أو التوسيع من تدخل الدولة وقيامها ببعض أوجه النشاط الاقتصادى، أو لجوئها إلى تأميم بعض المرافق، مرده ظروف الزمان والمكان، ولكن يظل الاقتصاد رأسماليا، طالما لم يعد الاستثناء هو القاعدة، ومثال ذلك مختلف دول الغرب.

فى الاقتصاد الاشتراكى : الأصل هو تدخل الدولة وانفرادها بمباشرة النشاط الاقتصادى، والاستثناء هو ترك الأفراد فى ممارسة بعض أوجه هذا النشاط. ويترتب على ذلك أن الأصل هو الملكية العامة، والاستثناء هوالملكية الخاصة لبعض وسائل الإنتاج، يعترف بها النظام بحكم الضرورة، إذ الملكية الخاصة فى نظره غير مصونة بدعوى إنها سبب كل المشكلات الاجتماعية، وهذا الاستثناء قد يضيق أو يتسع، باختلاف ظروف كل مجتمع، ولكن يظل الاقتصاد اشتراكيا طالما لم يعد الاستثناء هو القاعدة، ومثال ذلك الصين وكوبا وغيرها.

وفى الاقتصاد الاسلامى : الحرية الاقتصادية للأفراد، وتدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى، كلاهما أصل يتوازيان، إذ لكل منهما مجاله بحيث يكمل كلاهما الآخر، وكلاهما مقيد وليس مطلقا[١]. ويترتب على ذلك أن الاقتصاد الإسلامى يقر الملكية المزدوجة : الخاصة والعامة، وكلاهما كأصل يكمل الآخر، وكلاهما ليس مطلقا، بل هو مقيد بعدة قيود، باعتبارهما أمانة واستخلافاً ومسئولية، مما أحال كلا من الملكية الخاصة والعامة إلى مجرد وظيفة اجتماعية، أو شرعية يسأل عنها الفرد أو الدولة[٢].

ومن هنا كانت التنمية الاقتصادية فى الإسلام، هى مسئولية الفرد والدولة معا، بحيث لايغنى أحدهما عن الآخر. بل إن الإسلام فى اعترافه بالملكية سواء كانت خاصة أم عامة، وفى نظرته إليها وتنظيمه لها، إنما أقامها باعتبارها وسيلة إنمائية، لتعمير الكون بقوله تعالى:

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[٣]

---

(١) أنظر تفصيل ذلك كتابنا الخامس من «سلسلة الاقتصاد الإسلامى» والمعنون (المذهب الاقتصادى فى الإسلام)، ص (٢٠٩) وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ص (١٢٧) وما بعدها.

(٣) سورة هود، الآية رقم (٦١).

أى : كلفكم بعمارتها. بحيث تنتفى أو تسقط شرعية الملكية، سواء كانت خاصة أو عامة، إذا لم يحسن الفرد أو الدولة استخدام هذا المال استثمارا أو إنفاقا فى مصلحته، ومصلحة الجماعة. وقد عبر عن ذلك أصدق تعبير سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حين قال للصحابى الجليل بلال ـ رضى الله عنه ـ وقد أقطعه الرسول ـ عليه السلام ـ أرض العُقَيق (إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يقطعك لتحجز عن الناس، وأنما أقطعك لتعمل، فخذ ما قدرت على عمارته ورد الباقى)(٤).

حدود الحرية وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادى فى الاسلام

فى مجال النشاط الاقتصادى، الدولة فى الإسلام، ليست عنصرا بديلا ولا منافسا للأفراد، وإنما هى مجرد عنصر مكمل. فإذا كان (فرض كفاية) على الأفراد القيام بكافة أوجه النشاط الاقتصادى الذى يتطلبه المجتمع، فإنه عند عجز الأفراد عن القيام ببعض أوجه هذا النشاط كاستصلاح الصحارى، ومد خطوط السكك الحديدية، وإقامة المصانع الثقيلة، كالحديد والصلب، أو إذا أعرض الأفراد عن القيام ببعض أوجه النشاط، التى قد لاتحقق لهم ربحا كإنتاج الأسلحة الحربية، أو إذا قصروا فى القيام ببعض أوجه هذا النشاط كعدم كفاية المدارس والمستشفيات الخاصة أو انحرفوا فى استغلالها، فإنه فى مثل هذه الأحوال يصير شرعا : فرض عين، على الدولة أن تتدخل، وأن تقوم بأوجه هذا النشاط.

وواضح أن هذا التدخل ليس مصادرة، أو معارضة، أو منافسة لحرية الأفراد، أو حقهم فى القيام بمختلف أوجه النشاط الاقتصادى، وإنما هو للتكامل والتعاون، من أجل تحقيق الصالح العام بحيث يجب أن يوزن ذلك التدخل فى سببه وفى مداه بقدر ماتقتضيه الضرورة أو المصلحة.

ومن هنا يتبين أن الدولة الاسلامية، لاتملك كما حدث فى مصر ـ سابقا ـ أن تصادر أو تؤمم نشاطا فرديا لمجرد شهوة، أو التزام مبدأ التأميم، بل لابد أن يثبت انحراف هذا النشاط وإضراره بالصالح العام، كما يجب أن ينظر فى تعويض أصحابه، إذ لايجوز شرعا أكل اموال الناس بالباطل.

وثمة صور أو مجالات يفترض فيها الإسلام تدخل الدولة ابتداء ومقدما، ومن قبيل ذلك ضمان حد الكفاية لكل فرد، وهو حق إلهى مقدس، يعلو فوق كل الحقوق، وبدونه لاتستقيم عبادة، ومن ثم أقام له الإسلام منذ أربعة عشر قرنا مؤسسة خاصة، هى مؤسسة الزكاة، التى هى بالتعبير الحديث : مؤسسة الضمان الاجتماعى(٥). ومن قبيل ذلك ـ أيضا ـ تحقيق التوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع، والعدالة فى توزيع الثروات والدخول، بقوله ـ تعالى ـ

---

(٤) (المذهب الاقتصادى فى الاسلام)، ص (١٠٤).

(٥) انظر كتابنا الإسلام والضمان الاجتماعى

﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾(٦)، وهو مافعله الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين خص المهاجرين دون الأنصار بفىء بنى النضير، وحين منع فى ظروف معينة استغلال الأرض الزراعية عن طريق الكراء أى التأجير، وهو مادعا سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إلى رفض توزيع الأراضى المفتوحة على الغانمين، وإحالتها إلى ملكية عامة، وما بقاؤها فى أيدى واضعى اليد إلا من قبيل الانتفاع مقابل الخراج، لبيت المال، أى أجرة الأرض.

وإذا كان الإسلام قد أقر الملكية الخاصة وحماها إلى حد قطع يد السارق، فقد وضع لها قيودا عديدة ليس فحسب من حيث اكتسابها والتزاماتها وإنما أساسا من حيث مجال وكيفية استعمالها، مما لانجد له مثيلا فى أى نظام اقتصادى وضعى. كذلك أقر الملكية العامة، ممثلة فى ملكية الدولة للمرافق الأساسية، وكافة الأراضى التى لامالك لها، بل استحدث صورا جديدة للملكية العامة لم تكن موجودة من قبل كالمساجد، والأوقاف، وأراضى الحمى والأراضى المفتوحة، ويرفض الإسلام مبدأ سياسة تقوية القطاع العام على حساب القطاع الخاص، أو العكس، إذ كلاهما بمثابة رئتى المجتمع، بحيث لا يتصور أن يتنفس برئة واحدة أو برئتين غير متوازيتين(٧).

والتنمية الاقتصادية فى الإسلام - كما سبق أن أشرنا - هى مسئولية الفرد، والدولة معا، وهى تنمية (شاملة) و(متوازنة) و(غايتها الإنسان نفسه)، ليكون بحق خليفة الله فى أرضه، ومن ثم لا يقبل الإسلام (تنمية رأسمالية) تضمن حرية التعبير ولا تضمن لقمة الخبز، كما لا يقبل (تنمية اشتراكية) تضمن لقمة الخبز وتقتل حرية التعبير، كما يستلزم الإسلام توازن جهود التنمية، فلا يقبل أن تنفرد بالتنمية المدن دون القرى، أو أن تستأثر الصناعة بالتنمية دون الزراعة، أو أن يركز على المشروعات الإنتاجية دون الخدمات والتجهيزات الأساسية، أو تقدم الكماليات أو التحسينات على الضروريات، أو الحاجات.. الخ من الأخطاء العديدة التى وقعت فيها مختلف الدول العربية والإسلامية، مقلدة دون وعى تجارب شرقية، أو غربية، غافلة أو جاهلة الصيغة الإسلامية بضرورة التوازن الإنمائى، كما أن غاية (التنمية الإسلامية) هو الإنسان نفسه، لا تستعبده المادة، شأن (التنمية الرأسمالية)، ولا يستبد به الغير شأن (التنمية الاشتراكية)، وإنما محررا مكرما يعمر الدنيا، ويحييها بالعمل الصالح، ليكون بحق خليفة الله فى أرضه، فيسعد فى الدنيا ويفوز بجنة الله فى الآخرة(٨).

نسأله تعالى التوفيق والسداد

---

(٦) سورة الحشر، الآية رقم (٧).

(٧) (المذهب الاقتصادى فى الاسلام) ص (١٣٣) وما بعدها.

(٨) المرجع السابق، ص (١٠٣).

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد فضيلة الشيخ طوسون إبراهيم هواش

● **السؤال: من الأستاذ س . أ . ع. من الاسكندرية:**

■■ شاب مسلم فشل فى دراسته، فأخذ فى البحث عن عمل يبعده عن الأفكار الأثيمة التى تراوده فلم ينفع، ووجد نفسه قد صار فى طريق المعصية بعد طاعة الله. وأخذ يحاسب نفسه فى يوم ما، ووجد ما ينتظره من عذاب فى الآخرة، ففكر فى قتل نفسه، لعل الله يغفر له. ولكنه قرأ قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[1].

وإزاء حيرته طلب بيان الحكم الشرعى فى ذلك.

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فنفيد بأن السبيل لك إلى نجاتك من عذاب الله أن تتوب إلى الله توبة صادقة خشية منه ـ سبحانه وتعالى ـ وخوفاً من عقابه بأن تندم ندماً صادقاً من قلبك على ما اقترفت من سيئات، وما عملت من ذنوب، وتعزم على ترك العود إلى ما اقترفت، فإذا وجد الندم والعزم الصادقان وانكسر قلبك ذلا لله وخوفاً من عقابه، كانت توبتك حينئذ صادقة، ونجاك الله من عذاب ما اقترفت من سيئات، وفرح الله بهذه التوبة أكمل فرح وأتمه، كما يدل على ذلك الحديث الصحيح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد تكون بهذه التوبة أكرم عند الله وأفضل منك قبل حصول الذنب الذى تبت منه، أما قتلك نفسك فليس سبيلا إلى نجاتك من عذاب الله، بل هو مما يزيد فى آثامك وذنوبك، فإنه كبيرة من أعظم الكبائر، وربما كانت شراً أكبر مما اقترفت من سيئات وذنوب. فقاتل نفسه أشد وزراً من قاتل غيره، وإنما السبيل إلى نجاتك ما هديناك

(١) سورة النساء (٩٣).

ودللناك عليه، والله أسأل ان يوفقك إلى ما يحبه ويرضاه ويجنبك الزلل فى القول والعمل.

والله أعلم.

● **السؤال من الاستاذ محمد ابراهيم من القناطر الخيرية:**

■■ طلق شخص زوجته بوثيقة رسمية، ثم ردها إلى عصمته أمام شاهدين وبوجودها، فهل يجوز ذلك دون إخراج وثيقة رسمية.

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فقد اطلعنا على هذا السؤال ونفيد بأن الرجعة لا تتوقف شرعاً على كتابتها فى وثيقة رسمية فإذا راجع الزوج زوجته المطلقة منه طلاقاً رجعياً وهى فى العدة كانت الرجعة صحيحة شرعاً، ولو لم يكتب بها وثيقة رسمية وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم.

● **السؤال من الاستاذ س . ذ بالزقازيق:**

■■ قال إن الدرجة الأولى من درجات سلم العمارة التى يسكنها بالمدخل كتب عليها اسم صانع السلم واسم الصانع المكتوب مكون من بعض أسماء الله ـ تعالى، عبد الله أو عبد الرحمن مثلا، وأنه بذلك عرض اسم الله الكريم للمهانة بالسير عليه بالأقدام، وقامت بينه وبين مالك العمارة مشادات بسبب إصرار السائل على ضرورة رفع هذه الدرجة من درجات السلم ويرجو السائل الإفادة عن الحكم الشرعى ؟

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فقد جاء فى فتح القدير جـ ١ ص ١١٧ ما نصه: «تكره كتابة القرآن الكريم وأسماء الله ـ تعالى ـ على الدراهم والمحاريب والجدران وما يفرش» وإذا كان النص المذكور قد قضى بكراهة كتابة أسماء الله ـ تعالى ـ على الدراهم والمحاريب والجدران وما يفرش، فتكون كتابتها على درجات السلالم محرمة وغير جائزة شرعاً، من باب أولى، وذلك لما فى كتابتها على هذا النحو من امتهان لأسمائه ـ تعالى ـ بالسير عليها وتعريضها لذلك واذا استحل أحد امتهان اسم الله فإنه بذلك يعرض نفسه للكفر والعياذ بالله ـ وعلى ذلك فيجب على مالك هذه العمارة إزالة هذه الدرجة إن لم يمكن محو الكتابة بدون الإزالة، لأن إزالة المنكر أمر واجب شرعاً بنص الحديث الكريم وهو قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» واذا لم يذعن المالك ويبادر بإزالة الدرجة أو الكتابة فينبغى رفع أمره إلى الجهة المختصة لتتخذ الاجراءات اللازمة لإزالة المنكر بالطريق الذى تراه، ومما ذكر يعلم الجواب عن السؤال، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

● **السؤال من: خ . ع . ب ـ الغربية**

■■ هل الحلف بالقرآن العظيم كالحلف بالله ـ تعالى ـ بحيث ينعقد به اليمين ويأثم الحانث به وتلزمه الكفارة أم لا؟

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: وفنفيد أن الأئمة الثلاثة مالكا، والشافعى، وأحمد، وعامة أهل العلم قد ذهبوا إلى أن الحلف بالقرآن أو بآية منه، أو بكلام الله يمين، وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن الحلف بالقرآن ليس بيمين، قال ابن قدامة ـ من الحنابلة فى المغنى ما نصه: «وجملته أن الحلف بالقرآن أو بآية منه أو

بكلام الله يمين منعقدة تجب الكفارة به بالحنث فيها، وبهذا قال ابن مسعود والحسن وقتادة ومالك والشافعى وأبو عبيدة وعامة أهل العلم، وقال أبو حنيفة وأصحابه. ليس بيمين ولا تجب به كفارة فمنهم من زعم أنه مخلوق ومنهم من قال لا يعتد اليمين به، ولنا أن القرآن كلام الله وصفة من صفات ذاته فتنعقد اليمين به، كما لو قال: وجلال الله وعظمته، وقولهم هو مخلوق قلنا: هذا كلام المعتزلة، وإنما الخلاف مع الفقهاء، وقد روى عن ابن عمر أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «القرآن كلام الله غير مخلوق» وقال ابن عباس فى قوله تعالى:

﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾(١).

:أى غير مخلوق الخ ما قال.. وقد علل شمس الأئمة السرخسى كون الحلف بالقرآن ليس يميناً بأن الناس لم يتعارفوا الحلف بالقرآن فقد جاء فى المبسوط من الجزء السابع صفحة ٢٤ ما خلاصته «أنه إذا قال والقرآن لا أقربك لا يكون موليا لأن الناس لم يتعارفوا الحلف بالقرآن والمعتبر فى الأيمان العرف فكل لفظ لم يكن الحلف به متعارفاً لا يكون يميناً، وقد طعن عليه بعض الناس وقالوا: القرآن كلام الله ـ تعالى ـ والكلام صفة المتكلم فلماذا لم يجعل الحلف بهذه الصفة يميناً ولكنا نقول، كلام الله ـ تعالى ـ صفة، ولكن الحلف به غير متعارف، فكان هذا بمنزلة قوله، وعلم الله. وكذلك اختار صاحب الهداية فى تعليل كون الحلف بالقرآن غير يمين على مذهب متقدمى الحنفية أنه غير متعارف، ومن أجل ذلك ذهب صاحب فتح القدير الى أنه يمين، لأن العرف الآن الحلف بالقرآن، وبهذا يتبين أن الحلف بالقرآن الآن يمين عند الحنفية ـ أيضاً ـ للعرف كما قال صاحب الفتح فلا فرق الآن بين الحلف بالقرآن والحلف باسم من أسمائه ـ تعالى ـ وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم.

● **السؤال من: س. عبد القادر يقول:**

■■ انا مسلم الديانة، وأريد أداء فريضة الصلاة، ولكنى مريض برجلى ولا استطيع الجلوس إلا على كرسى، كما اننى لا استطيع الركوع، رجاء بيان كيفية الصلاة وأنا بهذا المرض.

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فالمنصوص عليه شرعا أن المريض إذا عجز عن الصلاة وهو قائم أو خاف زيادة المرض صلى قاعداً كيف شاء لأن ذلك أيسر على المريض. ولأن عذر المرض أسقط عنه الأركان فلأن تسقط عنه الهيئات أولى، واذا تعذر الركوع والسجود أومأ برأسه قاعداً، إن قدر على القعود، وجعل سجوده بالإيماء أخفض من ركوعه، والسائل يقرر أنه لا يستطيع الجلوس إلا على كرسى وأنه لا يستطيع الركوع، وفى هذه الحالة يصلى وهو جالس على الكرسى ويومىء للركوع برأسه، ويسجد فعلا إن كان يستطيع السجود. فإن لم يستطعه ـ أيضاً ـ أومأ له برأسه كالركوع وجعل إيماءه للسجود أخفض من الركوع، وصلاته صحيحة مادام العذر قائماً، فإن زال عنه المرض وجب عليه أن يصلى وهو قائم بركوع وسجود لعدم وجود العذر حينئذ، والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة الزمر (٢٨).

من أكبر الدعاة فى هذا العصر

أبو الحسن الندوى

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

وكل إلىَّ صديقى الأستاذ عبد المعز الجزار أن أتحدث عن الراحلين من أعلام الفكر الإسلامى، وقد غربت شمس الداعية الكبير أبى الحسن الندوى فأحسست بدعوة الأستاذ عبد المعز تتجه إلى، وقد سبق أن دعانى لكتابة كلمة عن العلامة الكبير محمود شيت خطاب، وهى الآن قيد البحث وستظهر قريبا، أما أبو الحسن - رضى الله عنه - فلم أتعب فى إعداد كلمته لأن صديقى البحاثة الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامى قد اقترح على كتابة سيرة أبى الحسن الذاتية فأجبته مرحبا، وهأنذا أطالع قراء مجلة الأزهر بما كتبت، عالما أن مثل أبى الحسن لا يفى بقدره بحث فى مجلة بل لابد من سفر كامل ذى أبواب وفصول.. ولكن القليل المفيد أفضل من السكوت المهين..

وكان أشد ما يلفتنى فى سيرة أبى الحسن، أنه أشرق فى محيط العالم الإسلامى بدرا مكتملا، فعهدنا بصاحب الفكرة وعاشق البحث أن يتتبع سنة التطور فيبدأ ناشئاً صغيراً، ثم تمر به الأعوام حتى يكتمل نضوجه كما يبدو البدر فى أول الشهر هلالا ثم يسير نحو الكمال، حتى يكمل إشراقه فى الليلة الرابعة عشرة ولكن أبا الحسن أصدر كتابه باللغة العربية (ماذا خسر العالم من انحطاط المسلمين؟!) فى مطلع حياته الفكرية، فكان حدثا هائلا فى دنيا الفكر، لأنه رج القراء رجا، وكأنه نفخ فى الصور فأحيا نفوسا، وأشعل أرواحا، وأخذ الناس يقرءون مبهورين، يخافون أن تنفد صفحات الكتاب، فلا يستشعرون هذه اللذة الروحية بعد انقضاء الصفحات،وفيهم من كان يقرأ الصفحة والصفحتين ثم يطوى الكتاب دقائق معدودة، ليصعد زفرة مكتومة، أو يعلن آهة موجعة، وأشهد أمام الله أن بعض الصفحات التى كانت تصور فجائع المسلمين على أيدى أعدائهم، وطغيان العتاة على بلادهم، كانت تضع فوق كاهلى وأنا أقرأ أطنانا من الحديد الصلب، فلا أستطيع أن أتحرك إلا بعد أمدٍ يقصر أو يطول، هذا الكتاب الخالد قد رج القراء رجا، والعجيب أن أستاذنا الدكتور أحمد أمين قد كتب مقدمة الكتاب فى طبعته الأولى، دون أن يقرأه، وأجزم عامدا أنه لم يقرأه، وإلا لما قال: إن بعض عبارات الكتاب ضعيفة لأن المؤلف يكتب بغير لغته!! والكتاب فى المنزلة العليا من الأسلوب البيانى

المشرق، وتعبيره الساحر لا يبلغه باحث كبير كالدكتور أحمد أمين، لأن صاحب فجر الإسلام وضحاه وظهره باحث مؤرخ، لا يملك سحر الأسلوب الذى يتمتع به صاحب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟!) ولقد قرأت فى بعض ماكتبه أبوالحسن أن هذه المقدمة قد أضعفت الكتاب، وأقول إن هذا تخيل فقط، لأن القارىء النبيه قد عرف بُعْدَ هذه العبارة عن الصواب، وهو مقياس الحكم. أما القارىء الذى لا يفرق بين أسلوب وأسلوب، فسيان أن يصدق أو يكذب!

وقد توالت طبعات الكتاب حتى بلغت بضع عشرة طبعة، وأغفلت مقدمة الطبعة الأولى، حيث قام الأساتذة الكبار محمد يوسف موسى وسيد قطب وأحمد الشرباصى بكتابة مقدمات صادقة شفت صدور قوم مؤمنين، وأذهبت غيظ قلوبهم، ولا أنكر فضل الدكتور أحمد أمين حين احتفل بالكتاب، وطبعه فى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر التى يرأسها، فكان صدور الطبعة الأولى عن هذه اللجنة ذات المستوى العلمى الباهر نصرا من الله وفتحا قريبا، اتصلت بعده الفتوح الممتدة، لأن فكر أبى الحسن كالشجرة الطيبة ذات الثمر المستطاب، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس.

لم يتح لأبى الحسن أن يكتب هذا السفر الرائع فى مطلع شبابه، دون أن يعتمد على موهبة رائعة ممتازة، جرت من عقله مجرى الماء فى فروع السرحة الفينانة ذات الظل الوارف، ودون أن يعتمد على نشأة علمية باهرة فى أعرق منازل الفضل بالهند وأخصب منابت العزة والكرامة والشموخ، ودون أن يعتمد على اطلاع شامل محيط فى كتب متعددة. ولغات متنوعة، اطلاع ناقد يعرف سطور الحق فيجتبيها، ويطرد سطور الباطل اذ يحتويها، ومن وراء ذلك كله روح إسلامية عالية،هى قبسة من قبسات رجال الصدر الأول من تاريخ الإسلام، فقد عايش أبوالحسن هؤلاء الرجال معايشة العاشق المولع بكل ما يقرأ من أمثلة التضحية والفداء، ونماذج الإيمان والإيثار، فكانت سير هؤلاء ومن تبعهم بإحسان ضياء لروحه قبل أن تكون غذاء لفكره. وقل ما شئت فى تلميذ نابغة أساتذته الأكرمون رسول الله وصاحبته المختارون.. مع من وليهم من أئمة السلف الصالح، خلفا عن سلف، حتى انتهت السلسلة الرائعة إلى والده الكريم وكلهم خيار من خيار..

ولد أبوالحسن بقرية «تكية» من قرى الهند فى المحرم سنة ١٣٣٢هـ، فنشأ فى أسرة عربية كريمة، ترجع بأصولها العريقة إلى الحسن بن على -عليه السلام-، أصولها التى ظلت تتناسل فى أكرم بقعة فى الأرض، فى مكة التى شرفها الله بالبيت العتيق، وبكونها مشرق الإسلام ذى الهداية الإنسانية التى أخرجت العالم من الظلمات إلى النور ثم انتقلت إلى المدينة المنورة حقبة من الدهر، حتى كان مطلع القرن السابع الهجرى فرأى عميد الأسرة إذ ذاك السيد قطب الدين بن محمد المدنى رؤيا منامية أوحت له أن ينتقل من المدينة المنورة إلى الهند مجاهدا فى سبيل الله! وقد صدع الرجل بالأمر على مشقة الهجرة، والنزول فى أماكن لم يعرفها من قبل، ولكنه اطمأن حين وجد الاستقبال الكريم. وحين ذاع فضله فيما تناول من أحاديث الدعوة، وشروح الفقه، وقد تبوأ مكان الصدارة فى مهاجره، واشتهر أبناؤه ومن وليهم بالدعوة إلى سبيل الله، عملا بالارتحال إلى أقصى البقاع،

مذكرين بأيام الله، وبحثا بالتأليف العلمى فى فروع اللغة والشريعة، ولو بحثت عن المكتبة الإسلامية بالهند، لنطقت بآثار هذه الأسرة الماجدة، حتى جاء يوم بزغ فى سمائها نجم سلطان المسلمين أحمد بن عرفان، وهو عالم بطل، لو تعارف المسلمون فى بقاع الأرض سير رجالهم فى الوطن الإسلامى الكبير، وطن الإسلام، لكان اسم أحمد بن عرفان الشهيد يتردد فى آفاق أسيا وأفريقيا كما تتردد أسماء شهداء الإسلام من لدن العصر الأول إلى الآن؛ لقد تطلع الشهيد المغوار إلى ما حوله، فأزعجه أن يرى ويسمع فظائع طائفة السيخ فى البنجاب، إذ أقدموا على قتل الأبرياء من المسلمين، وهدم المنازل، وهتك الأعراض فغضب لدين الله، ولإخوته فى الإسلام، ورفع راية الجهاد، واستنفر الأبطال من كل صوب، فهرعوا إليه ملبين، وبويع بالإمارة فى جمادى الآخرة سنة ١٢٤٢، ثم قاد الجيوش من نصر إلى نصر، حتى إذا أعيت أعداءه الحيلة لجئوا إلى الدس، حين هالهم أن ينشىء الإمام أحمد دولة إسلامية على الحدود الشمالية من الهند، أثبتت قوة الإسلام وحميته، وبقيت أربع سنين ترفع راية الإسلام، حتى ارتاعت بريطانيا وأمدت السيخ بالسلاح الأوروبى الحديث، ثم استعانت أيضا برجال السوء ممن جهلوا خبث المحتل، وأغراهم المنصب والذهب والجاه. فجعلوا يثيرون الفتنة، ولجأ الإمام ألى كشمير مجاهدا، ولكن اجتماع الإنجليز والسيخ والطابورالخامس من المنافين، قد كان أكبر من أن تصمد أمامه القلة المؤمنة. ولكنها آثرت الاستبسال على الفرار، واستشهد الإمام فى معركة «بالاكوت» استشهاد الحسين فى كربلاء وهى مأس تتكرر، على الزمن دون اعتبار.

إن تاريخ ابن عرفان لم يذهب عن خواطر المسلمين جميعا بالهند، ولكنه رسخ رسوخ الطود فى أسرته الكريمة، فجعلت تتناقل آثاره وتتحدث عنه، ثم دونت أخباره، وكان والد أبى الحسن أحد العلماء الأفاضل الذين كتبوا تاريخ الشهيد، وهو لم يكتب تاريخ الشهيد وحده ولكنه سجل تاريخ الأفذاذ من المسلمين على مر العصور فى كتابه الرائع «نزهة الخواطر» ذى الأجزاء الثمانية. وقد اشتمل على نحو خمسة آلاف ترجمة، لأعيان المسلمين فى الهند، وأبوالحسن وإن لم يتمتع برعاية والده العلمية غير أمد قصير إذ ترك والده الدنيا إلى لقاء ربه وهو فى التاسعة من عمره، فإنه وجد فى هذه الموسوعة الثمينة خير زاد لروحه، لقد قرأ عن أفذاذ المصلحين قراءة جعلته يتهيأ لدور كبير يضيف به ترجمة حافلة إلى هذه التراجم! ولم تكن نزهة الخواطر، هى سلواه المختارة وحدها فى عهد اليفاعة، بل دفعته إلى مثيلاتها فى التراث الإسلامى. وفى كتب التراجم والطبقات، وهذا البحر الزاخر من المعارف التاريخية يحيى النفوس المتعطشة ويدفعها الى الاحتذاء الحسن، لا سيما إذا كان القارىء أبا الحسن ذا النفس المتوثبة الطامحة للعلاء ونحن نرى أمثلة شتى فى كتب أبى الحسن قطفها من حدائق هذه الكتب، وكم قرأها أناس من قبله ومن بعده، ولكنهم لم يحسنوا استغلالها على النحو الذى اهتدى إليه الشاب البصير، وإذا أردنا أن ننشىء شبيبة واعية، تعرف الإسلام الصحيح فى سير رجاله، فعلينا أن نكتب هذه التراجم المجيدة بلغة

العصر، لنفتح الأبواب الفسيحة أمام من يريدون التنزه فى بساتين الأجداد، وهم كثير.

إنّ رحمة الله -عز وجل- تَسع كل شئ، فحين حرم أبوالحسن من رعاية والده العالم العامل البحاثة، لم يُحرمْ من رعاية اثنينْ عزيزين أثيرين، هما أمُّه وأخوُه، أما أمه فكانت قارئةً كاتبةً شاعرة، جَمعت هذه المزايا فى عصر كان أكثرُ المسلمات شرقاً وغرباً لا تلتفتن إلى تعليمٍ، ومن تتعلم منهن تقفُ عند حّد محدود لا يتجاوز معرفة القراءة والكتابة إلاَّ من نشأْن فى أُسر الفضل والفضيلة مثل والدة أبى الحسن! كانت الوالدةُ الفاضلة تحفظُ القرآن الكريم، وتقرأ تفسيره فى كُتب التراث، كما كانتْ تكتب المقالة، وتُنشئ القصيدة، وفى هامش ص ٢٤ من مقدمة كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟!» أنها طَبعتْ عدةَ كتب، ومجموعاتٍ من الشعّر، كلها مناجاة لله - تعالى - ودعاء ضارع، كما أرسلتْ مدائحها فى رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، وقد كنتُ أرجو أن أقرأ بعض ما كتبتْ ونظمتْ، ولكنّ يدى لم تصلْ منها إلى شئ، هذا بَعضُ ما يقال عن الأم الكريمة، أما الأخ الشقيق فهو الدكتور السيد عبدالعلى عبدالحى، وقد جَمعَ بين الثقافة الدينية. والثقافة العصرية، فكان إلى جانب تعمقه فى بحوث الدّين مثقفاً عارفا بالتيارات الفكرية المعاصرة فى العالم، وكانَت مكتبته ملأى بالأسفار فى الاتجاهين، وهذا من حظ أبى الحسن الدارس الناشئ، لأنه وجد من وجهه إلى القديم والجديد معا، وقد ظهر أثرُ ذلك فى نتاجه العلمى الحافل، لأن نظرته الشاملة الناقدة لوجوه المفاسد فى الشّرق والغرب مَعاً لم تأت إلا من اطلاع شامل عَلى مختلف التيارات المتعارضة، ونحن نجد لدينا قوماً ينكرون المفاسد الغربية، ولكنهم لم يبلغوا مبلغ أبى الحسن فى هذا المجال، لأنهم لم يقرءوا ما قرأ عن هذه المفاسد، وإذا قرءوا لم يرزقوا الفكر الثاقب، والروح العالية، والقلم الصوال، ونحن نجل هذا الأخَ ونعرف فضله فى رعاية الأخ اليتيم، وإذا كنا لم نطلع على شئ من آثارِ الوالدة الكريمة، فقد اطّلعنا على بعض آثار الأخ الأديب العالم، ومن بين ما قرأناه فى مجلة الرسالة المصرية مقال تحت عنوان «أسطورة»، والمقالُ يدل على أنّ الأخوينْ العزيزين يصدران عن نبع واحد، فحديث السيطرة الغربية، والتخلف الحضارى فى الشرق، وانهماك المترفين فى الملذات، دون نظرٍ إلى النفع العام. هو شبيه بأحاديث أبى الحسن، وكنت أود أن اقتبس منه سطوراً تنطق بما أعنيه، ولكنى لا أعجب بعد قراءة مقال (أسطورة) أن يكون كاتبه هو الشقيق الذى تولى رعاية أخيه، وطَبعه بطابعه الإسلامى الحار المتوهج، والشقيقان - بعدُ - أثر من آثار الأب المجاهد والوالدة الكاتبة الشاعرة، وقديماً قال القائل الحماسىّ:

أرى كلَّ عرق نازعاً لأرومةٍ
أبَى نسبُ العيدان أن يتغيرا

وفى الثانية عشرة من عمره، بعد رحيل والده الكريم بثلاثة أعوام، وجه الأخُ الأكبر أخاه إلى تعليم الانجليزية والعربية معا فوق تعلمه للأردية - وهو توجيه منتظر من أستاذ يعرف فائدة الاطلاع المستوعب للتيارات المتضاربة فى الشرق والغرب، حتى إذا بلغ من اللغتين حدّ الإجادة على يد أساتذة من الفضلاء، دفعته نوازعه الإسلامية إلى التضلع من الأدب العربى، وكان فضل الله عليه عظيما حين لم يتجه إلى نفرٍ من كتاب الخلابة اللفظية فى عصور الصنعة

البديعية، بل اتجه إلى كتب أربعة هى، كليلة ودمنة لابن المقفع، ونهجُ البلاغة للإمام على، ودلائلُ الإعجاز لعبدالقاهر الجرجانى، وحماسة أبى تمام. وهى كتب تنشئ أديبا فى مثل سنه، لأن كليلة ودمنه، ونهج البلاغة مثلان للأدب الإبداعى، ودلائل الإعجاز مثل رائع للنقد البيانى المستنير، أما حماسة أبى تمام فهى - فى رأيى - من أبدع المختارات الممتازة فى الشعر العربى القديم، وبعد هذا التضلع من التراث، التحق أبوالحسن بجامعة لكهنؤ، وهى جامعة تدرس العلوم المدنية باللغة الانجليزية، وفيها قسم لآداب اللغة العربية اختاره أبوالحسن عن شوقٍ، ووجد من أُستاذه الدكتور تقى الدين الهلالى المراكشى رائداً بصيرا يهدى للتى هى أقوم فى استيعاب التراث الأدبى للغة العرب، ومن بعد الجامعة التحقَ بالندوة ليلاقى كبار العلماء فى الهند من أساتذتها. وليحضر دروس الشريعة عليهم، ولم يروِ ظمأه من ذلك كله، بل دفعه هيامه بالمعرفة إلى الالتحاق بدار العلوم بديوبند عدة شهور، وكأنه رأى أنه ألم سلفا بمقرراتها، فاقتصر الأمد، ثم سافر إلى (لاهور) وقرأ التفسير القرآنى على كبار علمائها، وتحققت أمنيته السعيدة بلقاء شاعر الإسلام محمد إقبال فحرص على مجالسته والإفادة من توجيهه وهى صحبة عادت عليه بأجزل النفع علما وسلوكاً، وسأخصها قريباً ببعض التفصيل.

أما بذرة الأديب المتطلع إلى السبق فقد برزت فى هذا أمد - أمد الطلب العلمى والتحصيل الثقافى - إذ دفعتهُ همته الواثبة إلى كتابة مقال تاريخى، وهو فى سن الثامنة عشرة يتحدث عن جده المجاهد أحمد بن عرفان شهيد الإسلام، وإمام أهل التوحيد، وقد ألمحنا إلى بعض حديثه من قبل، وقد كتبه باقتراح من أخيه، فصادف إعجابه، وبعث به إلى مجلة «المنار» المصرية التى يقوم على إصدارها حجة الإسلام فى هذا العصر السيد محمد رشيد رضا، وهى ذات صدى مسموع فى ربوع الإسلام، فوجد السيد رشيد فى المقال ما يرشحه للنشر عن إعجاب، وكان أول مقال كتبه الأديب الناشئ، ولاشك أن نشر المقال فى هذه المجلة الممتازة، قد بعث فى نفس أبى الحسن ثقة تمده بالعزم الطامح، والجد الثابر، إذ وجد المنار يضعه فى صفوف كتابه، وإذا كانت أعداد المنار التى تصلُ إلى الهند ذات قدر محدود، فقد حَرص أبوالحسن على أن ينشره مستقلا فى رسالة طبعها تحت عنوان (السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد) وقد ظهرت فى سنة ١٣٥٠ هـ، فأحدثت صدى قوياً بين العلماء والباحثين، وكانت بمثابة فجر صادق يبشر ضوؤه المشعّ بقدوم صبح مبين:

اهتدى أبوالحسن بعد نشر مقاله بالمنار إلى صميم رسالته التى يحب أن يحملها إلى العالم جميعه، لا إلى العالم الإسلامى وحده، هذه الرسالة. هى الدعوة إلى الله كاتبا متحدثا، أما كاتباً فقد ظهرت بشائر توفيقه فيما كتب بالمنار. وفيما نشر بصحف الندوة. وأماً متحدثاً فقد أَلِفَ - على حداثة سنة - أن يصعد إلى المنبر خطيبا، وأن يحادث المستمعين فى الندوة محاضراً، فيحظى بالقبول إن لم يكن يحظى بأكثر من القبول، وذلك وحده زاد يعين المدلجين على السرى فى ظلمات الطريق...

«**يتبع**»

من أعلام الأزهر الشريف

فضيلة الأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم خفاجي

للأستاذ مصطفى أبو السعود وهدان

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي أو الخفاجي، واسم الشهرة: خفاجي، أو خفاجة... عالم أزهري معاصر، تتلمذت عليه وأدبه أجيال من العلماء والأدباء المعاصرين.. ويلقبه العلماء بسيوطي العصر، وبالجاحظ الثاني.

وهو - مد الله في عمره - من مواليد ٢٢ يوليو ١٩١٥م في بلدته «تلبانة» من أعمال مركز المنصورة.. ولنترك له الحديث عن بداياته الأولى حيث يحكي ذكرياتها في كتابه (من مواكب الأيام) فيقول في ص١٧٦: «وها أنذا وحيد.. وحيد.. فأين قريتي بأهلها وبيوتها؟! وأين أمي وأبي وإخواني؟! إنهم بعيد.. بعيد.. والقطار الذي ركبته أنا وأخي الأكبر من المنصورة إلى الزقازيق.. هاهو ذا يركبه أخي في عودته من الزقازيق إلى المنصورة.. أما أنا فجالس في الفصل حيث أصبحت وحيدا غريبا، لاشئ معي إلا الذكريات، وإلا زملاء الفصل وإلا المدرس يشرح الدرس، وأنا لا أفهم من شرحه شيئا، ولا من الدرس الذي يتحدث معنا فيه.. إنها غربة المكان.. وغربة الفكر التي لا يعلم مداها إلا الله.

كان ذلك فاتحة لي لحياة جديدة، كم كانت أمي تتمناها منذ سنوات طوال؛ لقد كان والدها شيخا أزهريا جليلا، حصل من الأزهر على شهادة العالمية، لكنه آثر حياة القرية على الحياة في القاهرة؛ ليفيد الناس بعلمه.. ولكم كانت أمي تتمنى أن أكون المرشح من بعده؛ لأصبح صاحب عمود في قلب الأزهر العتيق، يتحلق من حولي الطلاب صفا وراء صف، ومن أجل ذلك كان التحاقي بمعهد الزقازيق طفلا صغيرا، لأتلقى العلم فيه تمهيدا ليوم موعود، أو مشهود، أصبح فيه فارس العمود وصاحبه المنتظر».

ثم يقول: «ولازلت أذكر ذلك اليوم الذي جلست فيه - بعد نحو خمسين عاما من هذا التاريخ - إلى عمود في قلب الأزهر الشريف،

أدرس لطالبى اللغة العربية وآدابها، وأبكى بكاء شديدا؛ حيث ذكرت الأمنية التى كانت أمى - رحمها الله - تتمناها».

ويضيف قائلا: «ومن يوم أن عشت الغربة طفلا إلى أن تخرجت.. بل إلى اليوم... وأنا أحيا حياة طالب علم نهم، لايرى الدنيا إلا كتابا ويراعا وورقا.. وتستمر بى مسيرة التعليم الطويلة تسعة عشر عاما.. من الابتدائى إلى نهايات الدراسات العليا، اختلفت فيها إلى مئات ومئات من الأساتذة، وقرأت فيها آلافا وآلافا من الكتب، ولقيت فيها العديد من المفكرين والعلماء والكتّاب والأدباء والشعراء، واختلطت فيها بالكثير من مختلف طبقات المجتمع، أستفيد من تجاربهم وخبراتهم ومعارفهم».

إذن فالشيخ عالم أزهرى موسوعى، ترك بصماته على أجيالنا المعاصرة، بل وعلى الثقافة العربية الاسلامية فى العصر الحديث. وحسبنا أن له أكثر من خمسمائة مؤلف منشور، بالإضافة إلى كتبه الكثيرة المخطوطة التى لم تنل حظ النشر بعد، ومن الكتب المنشورة:

- تفسيره للقرآن الكريم ١٣ جزءا.
- شرحه لصحيح الإمام البخارى ٩ أجزاء
- موسوعته عن الخفاجيين وتاريخهم الطويل ١٩ كتابا
- موسوعته فى الأدب العربى القديم والحديث نحو مائة كتاب
- موسوعته فى البلاغة والنقد وتبلغ نحو ثلاثين كتابا.
- موسوعته فى دراسات إسلامية وتبلغ نحو مائة كتاب.
- مؤلفات مشتركة مع بعض الأساتذة وتبلغ نحو ثلاثين كتابا.
- وتآليفه فى التاريخ والأدب والشعر والتصوف والثقافة - وتبلغ نحو المائة كتاب.
- تحقيقاته لبعض كتب التراث، وتبلغ نحو العشرين كتابا.
- ودواوينه الشعرية: عشرون ديوانا.

بالإضافة إلى مؤلفاته التى لم تطبع بعد، والتى تبلغ نحو الثمانين كتابا ومن هذه الثمانين:

- أصول الأدب العربى - جزءان كبيران
- الأزهر القديم والحديث - جزءان كبيران
- دراسات فى الفكر العربى - جزءان كبيران
- مصادر الثقافة العربية - جزءان كبيران

وتقرأ كتبه: مدارس النقد - مدارس الشعر الحديث. - أصول النقد - الجاحظ - الأزهر فى ألف عام (ثلاثة أجزاء) - ابن المعتز - وغيرها، فيروعك هذا العالم الجليل، بسعة أفقه، وعمق فكره، وبثقافته الواسعة، حتى لقب بالجاحظ الثانى، وبالسيوطى، تقديرا لفكره ولمعارفه الشاملة.

والخفاجى عاشق للعلم وللكتاب وللقراءة، وكثيرا مانصح تلاميذه بأن يعكفوا على القراءة والكتاب ما أمكنهم ذلك.. فالعلم بحر لاساحل له، والقراءة هى الزورق الذى يمخر به الإنسان لجة هذا البحر اللجى المتلاطم الأمواج.

● حصل الخفاجى على الدكتوراه فى الأدب والنقد والبلاغة من جامعة الأزهر عام ١٩٤٦ برسالته عن ابن المعتز؛ وشغل منصب الأستاذية فى كلية اللغة العربية بالقاهرة، ومعهد الدراسات الإسلامية، وجامعة محمد بن على السنوسى فى

ليبيا، وجامعة محمد بن سعود فى الرياض، وتخرج على يديه جيل كبير من العلماء والباحثين، ممن شغلوا مقعد الأستاذية فى الجامعات المصرية والعربية والإسلامية، وفى جامعة الأزهر على الخصوص؛ حتى كان أغلب عمداء الكليات الأزهرية مَن تلاميذه، كما أشرف وناقش الكثير من رسائل الماجستير والدكتوراه فى مختلف الجامعات والمعاهد. وأُلِّفَ عنه أكثر من عشرين كتابا بأقلام لفيف من الباحثين والكتاب والأدباء والنقاد.

وأسهم الخفاجى بنشاطه العلمى الثقافى والأدبى فى مدرسة أبولو، ومدرسة الديوان، ورابطة الأدب الحديث، وجماعة أبولو الجديدة. واتصل اتصالا وثيقا بمدرسة الرابطة القلمية فى نيويورك، وبالعصبة الأندلسية فى ريودى جانيرو، وبمدرسة الشعراء المهجرين فى الأرجنتين: إلياس قنصل، وزكى قنصل، وعبداللطيف اليونس، وغيرهم.

وكان عضوا فى الجمعية الأدبية بالنجف، كما كان عضوا فى جمعية الأدباء فى القاهرة، وفى اتحاد الكتاب منذ أول قيامه، وفى المجلس الأعلى للفنون والآداب، وفى المجلس الأعلى للفنون والآداب، وفى المجالس القومية المتخصصة، وفى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وفى مجلس جامعة الأزهر، والمجلس الأعلى للأزهر الشريف، وخبيراً فى مجمع اللغة العربية؛ وعضوا فى جمعية الهداية الإسلامية التى كان يرأسها الشيخ محمد الخضر حسين (شيخ الأزهر فيما بعد)، وفى جمعية الشبان المسلمين، وفى رابطة أدباء وادى النيل، وفى رابطة الأدب الإسلامي، ونادى القصيد، ونادى القصة، وجمعية الدراسات الإسلامية، وجمعية العشيرة المحمدية، واتحاد أبناء الدقهلية؛ وعضوا شرفيا بالمجلس الأعلى القومى للأدب السودانى، وباتحاد الكتاب والمؤلفين فى بغداد.

وحضر الخفاجى عشرات المؤتمرات فى مصر والسعودية والعراق وتونس والجزائر ومراكش والكويت، وفى باكستان والهند وبروناى، وفى لندن وسواها .

● ودوائر الاستشراق تعرف الخفاجى جيدا، ومن أصدقائه الحميمين من المستشرقين: عبدالكريم جرمانوس الأستاذ فى جامعة بودابست، والدكتور أرنست بانرت، الأستاذ فى جامعة فيينا، والمستشرق الأمريكى الدكتور رينز الذى توفى عام ١٩٩٧م، والدكتور نيلاند مدير المعهد الهولندى للدراسات عن الشرق الأوسط، والدكتور داود كاون بجامعة لندن، وغيرهم.

● و قد نال الخفاجى تقدير العديد من الزعماء، وفى مقدمتهم: مصطفى النحاس، ومحمد نجيب ، وأنور السادات، والرئيس السنغالى عبده ضيوف، والرئيس السودانى النميرى، ورئيس الوزراء التونسى الأسبق محمد مزالى.. ومنحه الرئيس محمد حسنى مبارك وسام العلوم والفنون والآداب من الطبقة الأولى.

كما نال تقدير العديد من أعلام الفكر العربى الحديث ومن بينهم: د. أحمد زكى أبو شادى، ونجيب محفوظ، توفيق الحكيم، وعبدالرحمن الشرقاوى، والشيخ أحمد حسن الباقورى، والإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى، ومبارك المغربى رئيس المجلس الأعلى القومى للأدب السودانى، والبشير بن سلامة وزير الدولة الأسبق للشئون الثقافية فى تونس، محمد بن

حنينى وزير الدولة للشئون الثقافية بالمغرب، ومحمد العروسى المطوى (تونس)، وغيرهم.

وكرمت الخفاجى ندوة الأثنينية فى جدة التى يرأسها المفكر الكبير الشيخ عبدالمقصود خوجة، كما كرمه نادى القصيد، ورابطة الأدب الحديث، وغيرها.

وكان صديق الأدباء الكبار من أمثال: محمد مندور ومصطفى السحرتى، وعبدالله عبد الجبار (السعودية) وهلال ناجى (العراق) وصالح جودت، ووديع فلسطين، والدكتور الشرباصى، والدكتور فرهود وغيرهم كثير.

● والخفاجى هو الذى دعا إلى إنشاء مجمع فقهى قبل قيامه فى مكة بعشرين عاما، وهو الذى وضع مشروع جائزة البابطين ورأسها فى العام الأول من إنشائها.

كما أنه كان من أوائل الذين اشتركوا فى الاجتماع التأسيسى لجماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٣٧م الذى دعا إليه الشيخ حسن البنا - رحمه الله -

وقد اشتغل الخفاجى طويلا بالصحافة وأصدر عام ١٩٥٣م جريدة أسبوعية باسم «الشعب» وأصدر عام ١٩٥٥م سلسلة كتاب البعث، وأصدر هو والدكتور عبدالعزيز شرف منذ عام ١٩٨٤ مجلة الحضارة.

وجهود الخفاجى فى «رابطة الأدب الحديث» معروفة منذ الجيل الأول الذى رأسها فيه أحمد زكى أبو شادى، والجيل الثانى الذى رأسها فيها الشاعر الدكتور إبراهيم ناجى، والجيل الثالث الذى رأسها فيها الناقد مصطفى السحرتى؛ وتولى الخفاجى رياسة الرابطة منذ عام ١٩٨٣م.

● إن الحديث عن الخفاجى ممتد وطويل ومتلاحم، وبحسب الخفاجى أنه امتلك أسلوبا أدبيا رفيعا من أصفى الأساليب العربية بيانا وبلاغة.

وهو فى شعره العمودى ذى الموسيقى الشعرية والأسلوب الرومانسى المطواع، يملك ناصية البلاغة والشاعرية الأصيلة المتمكنة.

والخفاجى وحده مدرسة أدبية متكاملة كبيرة تغوص فى الذات والوجدان، وتحتفى بالتراث والأصالة، وتساير حركات التجديد فى كل خطواتها المتوثبة، وتجوِّد فى الموسيقى والصورة الشعرية والعاطفة الملتهبة، والتجربة الذاتية العميقة، وقصائده فى رثاء زوجته التى لقيت ربها فى السابع من أغسطس عام ١٩٨٧م، تعدُّ من أجمل قصائد الشعر الحديث.

وكما قلت: إن الخفاجى بحر متلاطم الأمواج أقول: تراثه لا يستطيع السباحة فى بحره إلا سباح ماهر يستطيع أن يدخل إلى الأعماق، وينظر إلى عالم الخفاجى المملوء بالعبقرية وبالإشراق، بعين المتأمل الناقد البصير.

وأخيرا أقول: إن الخفاجى شاهد على عصره، شهد أحداث القرن العشرين وعايشها واتصل بها اتصالا كبيرا، وأثرت فى حياته وفكره وأدبه تأثيرا بالغا.

إن أغلب الأعلام العربية والإسلامية، فى شتى مجالات الفكر والثقافة والأدب هم معاصروه وأصدقاؤه، وأسهم مع كثير منهم إسهاما بالغا فى خدمة العربية وتراثها وأدبها، وفى العمل الجاد من أجل ازدهارها، بقدر ما أتيح له من إمكانات وطاقات ومثابرة؛ حيث كتب فى نواحى الفكر المختلفة صفحات خالدات لايمحوها الزمان.

الإسلام ومنع التلوث بالضوضاء

للأستاذ أيمن حمودة

يعانى إنسان العصر الحديث من نوع جديد من أنواع التلوث البيئى ألا وهو : التلوث بالضوضاء، أو كما يطلق عليه التلوث السمعى، وتحدث الضوضاء نتيجة للأصوات العالية الصادرة من بعض الأجهزة الكهربائية الحديثة مثل : الميكروفون والراديو والتليفزيون والاستريو... إلخ.

وهناك - أيضاً - الورش والمصانع، التى يصدر عنها ضجيج مزعج نتيجة استخدام الآلات الميكنية أو الكهربية مع المعادن والمواد المختلفة، كذلك هناك الأصوات العالية المنبعثة من آلات التنبيه والإنذار فى وسائل المواصلات المختلفة : (القطارات - السيارات - الطائرات.. إلخ) كل هذه العناصر وغيرها المسببة للضوضاء تحدث ضجيجا مزعجاً وصخباً شديداً وأصواتاً مرتفعة تسبب أضراراً نفسية وعضوية للإنسان.

أضرار الضوضاء : أثبتت الأبحاث الطبية والنفسية أن الأصوات العالية - وكل ما يدخل فى تكوين الضجيج والضوضاء - تؤدى إلى مجموعة من التأثيرات الضارة على صحة ونفسية الإنسان، فالضجة القوية التى تسببها الضوضاء تحفز الجسم على إفراز كميات كبيرة من مادة الإدرينالين وزيادة وإفراز بعض الغدد فى الجسم، مما يؤدى إلى سرعة النبض، وارتفاع مستوى ضغط الدم، وارتفاع نسبة السكر فى الدم، وكثيراً ما ينجم عن الضجيج إصابة الإنسان بقرحة المعدة أو قرحة الإثنى عشر، كما يؤثر الضجيج يؤدى - أيضاً - على الكبد والجهاز الهضمى، ويؤدى إلى إرهاق القلب وصعوبة التنفس، كما أن الضوضاء والأصوات العالية تفقد الإنسان قدرته على التركيز الذهنى، وتصيبه بالقلق، والتوتر والأرق والصداع، مما يؤدى إلى قلة إنتاجه الفكرى والضجيج - أيضا - لإصابة الإنسان بالاكتئاب وبأورام سرطانية قاتلة.

ومن أخطر أضرار الضوضاء والضجيج : أنها تؤدى لإصابة الإنسان بأمراض الأذن المختلفة فالأصوات العالية عن الحد أو مستوى الصوت المناسب تؤدى إلى تلف وتخريب جهاز السمع لدى الإنسان، وبخاصة فى الخلايا الحساسة الموجودة فى نهاية أعصاب السمع، المرتبطة بالأذن الداخلية، مما يؤدى لإصابة الإنسان بحالة

من ثقل السمع البطيء ينتهى عادة بإصابة الإنسان بالصمم[1]. وقد لوحظ أن الموسيقيين الذين يعيشون فترات عملهم فى وسط صخب صوتى مرتفع يتجاوز الـ ٨٠ (ديسبل) يتأثر مستوى سمعهم بسرعة، وغالبيتهم يفقدون السمع فى سن مبكرة، ولا يقتصر تأثير الضجيج والضوضاء على الإنسان فقط، فالحيوانات تتأثر - أيضاً - بالضجيج، حيث أثبتت التجارب أن مقدار حليب البقر يقل بجوار المطارات، كما يقل إنتاج الدواجن للبيض بسبب ارتفاع درجة الضجيج، كما أثبتت الأبحاث والتجارب أن الضوضاء تؤثر على نمو النباتات.

الإسلام ومنع التلوث بالضوضاء : بالنسبة لهذا التلوث الذى أحست به البشرية مؤخراً، نجد أن ديننا الإسلامى الحنيف من خلال آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، قد سبق إلى النهى عن الضجيج، ورفع الأصوات عالية وأمر بالهدوء والسكينة، وخفض الصوت فى أثناء الحديث حتى يستطيع كل فرد أن يؤدى ما بيده من عمل، دون توتر أو إثارة، وبذلك يتم إنجاز الأعمال مع الاحتفاظ بالصحة والحيوية ومداومة النشاط، فقد قال رب العزة - سبحانه وتعالى - على لسان لقمان وهو يعظ ابنه :

﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[2]. وقد ذكر ابن كثير فى تفسير هذه الآية الكريمة (واغضض من صوتك) أى : لا تبالغ فى الكلام، ولاترفع صوتك فيما لا فائدة منه (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) أى : أقبح الأصوات هو صوت الحمير، وهو شيء بغيض إلى الله، وهذا التشبيه لعو الصوت بصوت الحمير، يقتضى تحريم الصوت العالى والضوضاء وذمه غاية الذم، ويلاحظ أن نهيق الحمار يكون بصوت عالٍ ومتغير، لذلك هو من الأصوات القبيحة المستنكرة، وفي آداب النبوة يحذر رب العزة - سبحانه و تعالى - المؤمنين من رفع أصواتهم فى مجلس الرسول - صلى الله عليه وسلم - متجاوزين بذلك حد الأدب معه، قال - تعالى - :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[3]

فالدعوة واضحة من خلال الآيات الكريمة السابقة، لعدم رفع الأصوات وضرورة خفضها بصفة عامة فى أثناء الحديث

---

(١) خالد عبداللطيف - البيئة والتلوث من منظور الاسلام ص٥٩: ٦٠.

(٢) سورة لقمان (١٩).

(٣) سورة الحجرات الآيتان (٢، ٣).

وبالأخص فى مجلس الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ومن أقوال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الداعية للهدوء، والبعد عن الضوضاء : ورد فى كتاب مختصر صحيح البخارى للإمام الزبيدى«[٤] عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه دفع مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم عرفة وسمع النبى وراءه زجراً شديداً، وضرباً وصوتاً للإبل، فأشار النبى الكريم بسوطه إليهم، وقال : «أيها الناس عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإيضاع». ومعنى الحديث الشريف أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سمع وراءه وهو ذاهب إلى عرفات لأداء مناسك الحج جلبة وصياحاً مرتفعين، مع ضرب الإبل، يصاحبها أصوات مرتفعة فلم يعجبه هذا، فطلب من المسلمين الالتزام بالسكينة والهدوء، ونصحهم بأن الخير ليس بالإضاعة، أى فى سرعة المشى، وإنما فى السير المعتاد، الذى لا يصاحبه ضجيج أو ضوضاء.

قوانين إسلامية لمنع الضوضاء

نستنبط مما سبق عرضه من آيات الذكر الحكيم، وأحاديث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأفعاله، أحكاما عامة فى موقف الإسلام من الضوضاء،و هذه الأحكام نوجزها فى البنود الآتية :

١ ـ الأصوات المرتفعة عموماً أياً كان مصدرها وسببها، بغيضة إلى الله، وإلى رسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا الموقف يقتضى تحريمها وذمها غاية الذم.

٢ ـ عدم جواز رفع الإنسان لصوته فى أثناء الحديث عن الحد المعتاد، وضرورة خفض الصوت بحيث يكون هادئاً وطبيعياً وسطاً بين الهمس والارتفاع.

٣ ـ يتفرع من البند الثانى تجنب استخدام مكبرات الصوت والميكروفون إلا عند ضرورة شرعية، كالآذان للصلاة على سبيل المثال وليس الحصر(٥).

٤ ـ النهى عن ضرب الإبل والحيوانات الأليفة عموماً، والتسبب فى هياجها وإحداثها أصواتاً عالية ومزعجة.

٥ ـ يتفرع من البند الرابع : النهى عن دفع سائر المواصلات العامة والخاصة للسير بسرعة فائقة، وما يستتبع ذلك من إحداث أصوات عالية نتيجة استخدام آلات التنبيه والإنذار.

هذه كانت لمحة من الآداب والقوانين الاسلامية ترشد إلى منع تلوث البيئة بالضوضاء، فإن التزم بها الناس فهى كفيلة بأن تحافظ على صحتهم ونشاطهم، كما أن هذه القوانين لو تم العمل بها لمنعت وقوع الكثير من الأخطاء فى أثناء العمل وأدت إلى زيادة الإنتاج وحافظت على سلامة البيئة وهدوئها.

---

(٤) حديث شريف رقم ٧٩٢.

(٥) د.على السكرى. حماية البيئة من منظور إسلامى ص٦١.

طرائف.. ومواقف

للشيخ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

«العزة غير الكبر»

قيل: لايحل للمسلم أن يذل نفسه، فالعزة : معرفة الإنسان بحقيقة نفسه، والكبر : جهل الإنسان بنفسه.

قيل للحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ : إن الناس يزعمون أن فيك كبرا وتيها، فقال : ليس بتيه ولكنه عزة المسلم، ثم تلا قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

أستحى من الله

ما رؤى صلاح الدين الأيوبى، مبتسما فى يوم من الأيام منذ شعر بمسئوليته عن تخليص بيت المقدس من يد الصليبيين، وقد حدث يوما أن ضحك جلساؤه من طرفة فى مجلسه، فضحكوا جميعا إلا هو، فلما سئل عن ذلك، قال : إننى أستحى من الله أن يرانى ضاحكا والمسجد الأقصى أسير فى أيدى هؤلاء الظالمين.

«حقا»

إنا لنفرح بالأيام نقطعها
وكل يوم مضى نقص من الأجل

«هذا هو العدل»

التقى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بأبى مريم الحنفى، قاتل زيد بن الخطاب، فقال له عمر : والله لولا الإسلام ما تركتك، والله إنى لا أحبك! فقال له أبومريم : أو تمنعنى لذلك حقا ياأمير المؤمنين؟ قال عمر : «لا» وكررها ثلاثا، فقال أبومريم: لست أبالى بعد ذلك، مايفرحُ بالحب غير النساء.

«أصبت وأخطأت»

قيل : كان يجلس إلى أبى يوسف (القاضى) رجل فيطيل الصمت ولايتكلم، فقال له أبويوسف يوما : ألا تتكلم؟ فقال : بلى، متى يفطر الصائم؟ قال : إذا غابت الشمس، قال : فإن لم تغب إلى نصف الليل، كيف يصنع؟ فضحك أبويوسف وقال : أصبت فى صمتك؟ وأخطأت أنا فى استدعائى نطقك وأنشد :

(١) سورة المنافقون ٨.

عجبت لإزراء الغبى بنفسه
وصمت الذى قد كان بالقول أعلما
وفى الصمت ستر للغبى وإنما
صحيفة لب المرء أن يتكلما

«يعيش وحده.. ويموت وحده ..ويبعث يوم القيامة وحده»

جلست المرأة الحزينة على قارعة الطريق قرب صحراء «الربذة» وليس معها أحد إلا أطفالها الثلاثة إلى جوار جثمان زوجها.. ومر عليها ركبان فى الطريق وفيهم عبدالله بن مسعود.. فنادت عليهم المرأة : «أعينونى على دفن زوجي صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ »!!

ونزل عبدالله ليرى ما الخبر، وكشف الغطاء عن الميت المسجى فى ثيابه فإذا به أبوذر الغفارى ـ رضى الله عنه ـ أبوذر الذى ترك الدنيا كلها حين قرأ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾(٢)» وأراد أبوذر أن يحمل الناس جميعا على الزهد الرفيع فمنعه عثمان خليفة المسلمين ونفاه إلى «الربذة».

ولقد قال عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «ما أقلت الغبراء ولاأظلت السماء رجلاً أصدق لهجة من أبى ذر، أبوذر يعيش وحده، ويموت وحده، ويبعث يوم القيامة وحده» تذكر عبدالله بن مسعود كل هذا وبكى ماشاء الله له أن يبكى، ثم صلى عليه وواراه التراب، وصحب أسرته إلى خليفة المسلمين.

«نصيحة»

وإن مدت الأيدى إلى الزاد لم أكن
بأعجلهم أذ أجشع القوم أعجل

«سؤال.. وجواب»

سئل حكيم عن أفضل الحكمة، فقال : معرفة المرء بقدره، وعن أكمل العقل، فقال : وقوف الانسان عند علمه؛ وعن الحلم، فقال : حلم الانسان عند استماع شتمه، وعن أصون المروءة، فقال : استبقاء الإنسان ماء وجهه، وعن أكمل المال، فقال : ما أعطى الحق منه، وعن أحسن السخاء، فقال : البذل قبل المسألة، وعن أنفع الأشياء، فقال : تقوى الله وإخلاص العمل.

«ليس لثلاث حيلة»

قال حكيم : ليس لثلاث حيلة : فقر يخالطه كسل، وخصومة يخامرها حسد، ومرض يمازجه هرم.

«دعاء»

اللهم أعطنى من الحلم أجمعه، ومن العلم أنفعه، ومن الرزق أوسعه، واجعلنى من عبادك الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما.

---

(٢) سورة النساء ٧٧.

الآثار الباقية

أمهات الكتب العلمية في التراث الإسلامي

٨

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا*

الجزء الثانى

مختارات من كتاب (الآثار الباقية)(١)

(١) القول فى ماهيّة اليوم والليلة:

يعرّف البيرونى اليوم والليلة ومجموعهما وابتدائهما عند العرب وغيرهم، فيقول: «اليومُ بليلته هو عودةُ الشمس بدوران الكُلِّ (أى كرة السماء بما فيها من النجوم) إلى دائرة فُرضت ابتداءً لذلك اليوم بليلته، أىِّ دائرةٍ كانت إذا وقع عليها الاصطلاح، ثم إن العربَ فرضت أولَ مجموعِ اليوم والليلةِ نُقطَ المغاربِ على دائرة الأفق إلى غروبها من الغد، فصار اليومُ عندهم بليلته من لدن غروب الشمسِ عند الأفق إلى غروبها من الغد، والذى دعاهم إلى ذلك هو أن شهورهم مبنيّةٌ على مسير القمر مستخرجة من حركاته المختلفة، وأوائلها مقيّدةٌ برؤية الأهلة لا الحساب، وهى (أى الأهلة) تُرى عند غروب الشمس، ورؤيتها عندهم أولُ الشهر، فصارت الليلةُ عندهم قبلَ النهار، وعلى ذلك جرت عادتهم فى تقديم الليالى على الأيام إذا نسبوها إلى الأسابيع..

فأما عند غيرهم من الروم والفرس ومن وافقهم فإن الاصطلاح واقعٌ بينهم على أن اليوم بليلته هو من لدُن طلوعها (أى الشمس) من أفق المشرق إلى طلوعها منه من الغد، إذ كانت شهورهم مستخرجة بالحساب غير متعلقة بأحوال القمر ولا غيره من الكواكب. وابتداؤها من أول النهار، فصار النهار عندهم قبل الليل، واحتجوا بأن النور وجود والظلمة عدم، إلا أن بعض علماء الفقه، فى الإسلام حدّ أول النهار

(*) الكاتب : أستاذ الفيزياء ووكيل كلية العلوم جامعة القاهرة.

(١) البيرونى ، أبوالريحان محمد بن أحمد. الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحرير سخاو، ليبزج (بروكهاوس). ١٨٧٨هـ

بطلوع الفجر وآخره بغروب الشمس تسوية منه بينه وبين مدة الصوم...»(ص٦).

(ب) تحديد المصطلحات العلمية :

اهتم البيرونى بتحديد المصطلحات العلمية، باعتبارها من أساسيات اللغة العلمية وضرورات المنهج العلمى المميزة لدلالات الأشياء ومعانيها، وأدرك أن المصطلح العلمي يتبع بالضرورة تقدم العلوم وتطورها، بما يصاحبه من اكتشافات واختراعات، ذلك أن التقدم العلمى يثمر دائما أشياء جديدة تقتضى تسميتها بأسماء توائم بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى، وهذا ما يضطلع به العلماء فى مختلف التخصصات حتى يومنا هذا، وفى كل العصور.

ولذلك اهتم البيرونى بتحديد المصطلحات التى يطرحها ويستخدمها فى مؤلفاته، وشرح ما تتضمنه من مفاهيم ومعانى، وقد حدد هذه المصطلحات بتعريفاتها العلمية الواضحة فى أحد كتبه الذى أفرده لهذا الغرض، وهو كتاب «التفهم لأوائل صناعة النجوم».

وربما يفسر لنا هذا ـ أيضا ـ اهتمام البيرونى المبكر بمعرفة عدة لغات أجنبية، مما ساعده على الإحاطة بكثير جدا من المصطلحات والمفاهيم فى كل علم يخوض فيه.

وكان البيرونى يرى أن من حق القارئ العالم أن يصحح الأسماء والمفاهيم عند نقلها من لغة إلى أخرى، حيث يعتد بأهمية نقل هذه الأسماء سماعا، حتى تكون أصح رواية، وبخاصة وأن الكتابة تختلف عن النطق فى كثير من اللغات، فهو يقول: «نقلت تلك الجداول بعينها إلى هذا الموضع، ولم يساعد الزمان على تصحيح أسماء الملوك بالسماع، فليبالغ في تصحيحها من عسى وقف عليها طالبا ما طلبته من تسهيل الأمر على المرتاد وإزالة مؤونة الطلب عنه»(ص٨٤).

وعندما يجهل البيرونى طريقة الهند والصين والترك فى كبس سنينهم الشمسية، فإنه يعتذر حتى يحيط علما بمصطلحاتهم، ويتثبت فى ذلك متمسكا بمنهجه الرائد فى البحث عن الحقيقة العلمية، ويقول: «أعرضنا عن ذكرها إلى وقت يتفق لنا الإحاطة فيه بها، إذ لا يليق بطريقتنا التى سلكناها أن نضيف الشك إلى اليقين والمجهول إلى المعلوم(ص٦٨)

(ج) ممارسة المنهج التجريبى :

حذر البيرونى من المعوقات التى تحول دون الوصول إلى المعرفة الصحيحة، فانتقد التقليد والمقلدين، ودعا إلى نبذ التعصب بكل أشكاله، فهو يقول: «إن العصبية تعمى الأعين البواصر، وتصم الآذان السوامع، وتدعو إلى ارتكاب ما لا تسمح باعتقاده العقول»(ص٦٦). ويلاحظ فى هذا النص أن البيرونى قد أشار إلى أدوات تحصيل المعرفة العلمية وإدراكها بالعين أو بالأذن أو بالعقل، وهى الأدوات التى أشار إليها القرآن الكريم فى مثل قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾(٢) وقوله: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴾(٣).

---

(٢) سورة النحل ٧٨.

(٣) سورة الحج ٤٦.

ويرى البيرونى أن العصبية تحول دون اتصال وسائل المعرفة بموضوعاتها اتصالا مباشرا، ويقول: «الكلام مع المصر عمداً والمتمطى جهلاً غير مجد على القاصد والمقصود»(ص٦٨).

ومن هنا يكون البيرونى، وغيره من علماء الحضارة الإسلامية، قد سبقوا إلى التحذير من معوقات البحث العلمى وكشفوا عن الأوهام التى قال بها «فرنسيس بيكون» بعد ذلك إبان عصر النهضة الأوروبية الحديثة - ويتضح لنا هذا حين يحدثنا البيرونى عن أحد علماء النجوم والفلك الذى استخرج بعض المعلومات بشكل خاطئ، ورفض مشورة البيرونى إلى اتباع المنهج العلمى الصحيح، مستندا فى ذلك إلى حالة الفقر التى كان يعيشها البيرونى حينئذ إبان محنة كان يمر بها. يقول البيرونى فى ذلك[٤]:

«فأعلمته أن الصواب في خلاف ما يعمله، فشمخ المذكور بأنفه مستخفًا بى، وكان أدون منى مرتبة فى جميع ما علمه، وكذب قولى. وجبهنى واستطال علىّ لما كان بيننا من تفاضل الغنى والفقر الذى تستحيل معه المناقب مثالب، وتصير المفاخر معايب، فإنى كنت فى ذلك الوقت ممتحنا من جميع الجهات، مختل الحال، ثم صادقنى بعد ذلك لما زالت المحن بعض الزوال»(ص٣٣٨).

من ناحية أخرى، يرفض البيرونى الخرافات والأوهام التى لا تتفق مع نواميس الكون وحقائق الواقع، فيقول: «ولا أجد لهذا فى الطبيعيات مأخذا لأن مداره على أسابيع الأيام. فأما ما كان على السنين، فيعلل من الشمس وشعاعها، وما كان على الشهور فمن القمر وضيائه(ص٢٨٤)

ويضرب البيرونى مثالا للتأثير الطبيعى لقوة أشعة الشمس التي يمكن تجميعها بالانعكاس واستخدامها لحرق القرابين فى يوم معين من السنة ببلاد اليونان، فيقول:

«كما أن المذبح المحرق للقرابين فى يوم معلوم واحد من السنة ببلاد اليونان محمول بشعاع الشمس المنعكسة المجتمعة في موضع من المذبح، وأمثال ذلك»(ص٢٨٤).

أما ما يخص الملاحظة والتجربة والاستقراء فنجده واضحاً بكثرة فى مؤلفات البيرونى. فقد قام فى كتابه «الآثار الباقية» بشرح الجهاز المستخدم لتوازن السوائل، وهو ما أسماه «سارقة الماء»، ونطلق عليه الآن اسم «الأوانى المستطرقة»، وبين القوانين التى بمقتضاها يرتفع السائل أو ينخفض فى هذا الجهاز، وكيفية استغلال ذلك فى رفع المياه إلى القلاع وأعالى الأبراج، وكيفية صنع النافورات، وهى تجارب تنتمى إلى علم «الموانع الساكنة» فى العصر الحديث.

وحيث يناقش البيرونى مختلف الآراء فى موضوع السنة الكبيسة، ويستعرض طرق كل أمة فى كبس سنتها، يستند فى بيان ذلك إلى التجربة، والأرصاد الصادقة التي يجريها بنفسه لتحقيق تغير موقع الشمس فى أبراجها طوال العام يقول:

«وليس اختلاف الأرصاد فى كميتها من جهة العجز عن كيفية مأخذها ودرْك حقيقة الحق فيها، لكنه من جهة العجز عن ضبط أجزاء الدائرة العظمى بأجزاء الدائرة الصغرى، أعنى

---

(٤) د.بركات محمد مراد، البيرونى فيلسوفا. القاهرة ١٩٨٨م.

صـــغـــر آلات الرصـــد مع عظم الأجـــرام المرصودة»(ص١٠).

ويقول فى موضع آخر: «إن الأرصاد نطقت بنقصان كمية الكسر التابع لأيام سنة الشمس عن الربع التام، وقد وجدنا دخول الشمس أول برج الحمل قد تقدَّم أول نيسان»(ص٥١).

وحيثما يستحيل الرصد والتجريب والمشاهدة، يلجأ البيرونى إلى الفرض العلمي، فهو مثلا لا يستبعد أن يكون الجزء الجنوبى من الأرض مسكونا، ويترك هذا للمشاهدة وللعيان «الذى يعتبر المرجع فى مثل هذه الأحوال»(ص٢٥٨).

(د) القول فى ماهية الشهور والأعوام يقول البيرونى فى كتابه «الآثار الباقية»:

«إن السنة هي عودة الشمس في فلك البروج إذا تحركت على خلاف حركة الكل إلى نقطة فُرضت ابتداءَ حركتها، وذلك أنها تستوفى الأزمنة الأربعة التى هى الربيع والصيف والخريف والشتاء، وتحوزُ طبائعها الأربعة وتنتهى إلى حيث بدأت منه.

وفى هذه المدة، أعنى عودة الشمس في فلك البروج، يستوفي القمر اثنتىْ عشرةَ عودةً وأقل من نصف عودة، ويتسهلُّ اثنتىْ عشرة مرة. فجُعلت تلك المدة، أعنى عوداته الاثنتىْ عشرة، فى فلك البروج سنة للقمر على وجه الاصطلاح، وأُسقط عنه الكسر الذى هو أحد عشر يوما بالتقريب، وكان ذلك ـ أيضا ـ سببا لانقسام فلك البروج باثنىْ عشر قسماً متساوية.. فصارت السنة عند الناس سنتين: سنة شمسية وسنة قمرية.. ثم أنتج من هاتين السنتين سائر السنين»(ص١١) وعن النسئ عند العرب يقول البيرونى:

«كانت العرب فى جاهليتها ينظرون إلى فضْل ما بين سنتهم وسنة الشمس - وهو عشرة أيام وإحدى وعشرون ساعة وخُمس ساعة بالجليل من الحساب - فيلحقونها بها شهراً كلما تم منها ما يستوفى أيام شهر. ولكنهم كانوا يعملون على أنه عشرة أيام وعشرون ساعة، ويتولى ذلك النَّسَأةُ من كنانة وهم المعروفون بالقلامس.. غير أنهم كانوا يكبسون كل أربع وعشرين سنة قمرية بتسعة أشهر، فكانت شهورهم ثابتة مع الأزمنة، جارية على سنن واحد لا تتأخر عن أوقاتها ولا تتقدم، إلى أن حج النبى - عليه السلام - حجة الوداع وأنزل عليه: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾(٥)، فخطب - عليه السلام - وقال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»(٦). وتلا عليهم الآية فى تحريم النسئ، وهو الكبس، فأهملوه حينئذ، وزالت شهورهم عما كانت عليه، وصارت أسماؤهم غير مؤدية إلى معانيها..»(ص١٢).

وعن السنة الهجرية يقول البيرونى: «.. وقد كان عمر [بن الخطاب قد] دوّن الدواوين، ووضع الأخرجة والقوانين، واحتاج إلى تاريخ، ولم يحب التواريخ القديمة، فجمع عليه عند ذلك واستشار، فكان أظهر الأوقات وأبعدها من الشُّبَه والآفات وقت الهجرة وموافاةُ المدينة - وكانت يوم الاثنين لثمانٍ خلوْنَ من ربيع الأول وأولُ السنة يومُ الخميس - فعمل عليها وأرخ منها، وذلك سنة سبعَ عشرة للهجرة..»(ص٣٠).

---

(٥) سورة التوبة ٣٧.

(٦) رواه البخارى.

الشيخ الشعراوى وقضية الإعجاز القرآنى

للدكتور/ نبيل محمد رشاد

فى أوائل السبعينات وقبل أن يشرع الشيخ الشعراوى -رحمه الله تعالى- فى تفسير القرآن الكريم بانتظام فى حلقات أسبوعية، كان قد عرفه الناس من خلال أحاديثه التلفازية فى برنامج «نور على نور» الذى كان يقدمه الإذاعى الكبير «أحمد فراج».

ففى تلك الأحاديث خلب الشيخ ألباب الناس بأسلوبه الفذ وهو يتحدث عن الهجرة النبوية الشريفة، وعن صفة النبى -صلى الله عليه وسلم-، وعن الإسراء والمعراج.

ولقد ذاع صيت الشيخ الشعراوى فى كل أنحاء مصر، وأخذ يلقى دروسه فى مساجدها الكبرى متجها فيها نحو الحديث عن إعجاز القرآن الكريم، فما كان إلا أن منّ الله عليه، وحالفه التوفيق فى كل ما قال، وأعجب الناس بأسلوبه، وآرائه، وطريقته فى تحليل آيات القرآن، وبيان ما بها من إعجاز.

والحق أن الشيخ الشعراوى قد اقتحم ميدان الإعجاز القرآنى مسلحاً بعدد من الأدوات من أهمها:

أولاً - ذكاؤه الحاد:

فلقد وهبه الله -تبارك وتعالى- ذكاءً حاداً، وعقلاً راجحاً فكان -رحمه الله تعالى- يعمل عقله، ويستخدم ذكاءه فى خدمة النص القرآنى، وفى فهمه وتحليله وتفسيره.

ولعل مما يدل على ذكائه قدرته الباهرة على ضرب الأمثلة -وهو يشرح آيات الذكر الحكيم- من الأمور الحياتية التى لا يلتفت إليها الكثير من الناس، فقد استضافه -ذات مرة- المذيع المعروف «طارق حبيب» فى برنامجه التلفازى الشهير «من الألف إلى الياء» وسأله قائلاً:

يا فضيلة الشيخ: أيهما تحب: الليل أم النهار؟

وهو سؤال لو سألناه لمجموعة من الناس لما خرجت إجابتهم عن واحدة من ثلاث: أن يؤثر بعضهم الليل لهدوئه وسكونه، وأن يحب آخرون النهار لوضوحه وسفوره، ولكونه ميدانا للعمل والسعى على الرزق، أو أن يمسك بعضهم العصا من المنتصف فيقول لك: أحب النهار لكذا وكذا، وأحب الليل لكذا وكيت.

أما الشيخ الشعراوى فقد قال للمذيع: إن هذا السؤال بهذا الشكل خطأ، لأن الليل والنهار خارجان عن دائرة الحب والبغض، لأن لكل واحد منهما دوراً ووظيفة فى الحياة، وقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة فى كثير من آياته قال -جل شأنه-:

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ (١) ولأن الإنسان لا يستطيع أن يستغنى بأحدهما عن الآخر، فلا يستطيع محبو النهار أن يستغنوا عن الليل، ولا يستطيع محبو الليل أن يستغنوا عن النهار، ولذا امتن الله -تعالى- علينا بهما فقال -عز وجل-:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٢).

ثم زاد الشيخ الشعراوى فكرته إيضاحا بضرب المثل فسأل المذيع: أيصح أن أسألك أيهما تحب القميص أم البنطلون؟

فقال المذيع للشيخ: لا يصح!

قال الشيخ: لماذا.. وسكت هنيهة، واستأنف يقول: لأن لكل واحد منهما دورا وعملاً لا يؤديه الآخر، وإنما المنطقى ان أسألك أتحب القميص الأبيض أم القميص الأزرق؟ هنا يكون السؤال صحيحاً، لأن طلب المفاضلة هاهنا بين شيئين يؤديان غرضا واحدا، ويريد السائل أن يطمئن إلى أيهما يرتاح المسئول.

ثانيا - إحاطته بالعربية لسانا وبيانا:

كانت إحاطة الشيخ الشعراوى بالعربية كإحاطة السوار بالمعصم سواء بسواء دون أدنى مبالغة فى ذلك، ووهبه الله -تعالى- ذاكرة حافظة كانت تسعفه بما يبغى الاستشهاد به من ضوال الشعر العربى وأوابده وعيونه، هذا فضلا عما كان يحفظه ويستشهد به من روائع القصص والحكم والأمثال ولعل هذا راجع إلى:

(أ) حفظه القرآن الكريم فى صغره حفظا متقنا، ثم كثرة تلاوته له بعد ذلك فى كبره بتدبر وتمعن.

(ب) قراءته فى بداية تكوينه العلمى «للعقد الفريد» لابن عبد ربه، و«الأمالى» لأبى على القالى، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة، وغيرها من أمهات كتب الأدب العربى.

(جـ) تأثره بما كان يموج به المجتمع من تيارات الثقافة والفكر فى أوائل هذا القرن حيث لم يكن الشيخ -فى سنه الباكرة هذه- بمعزل عن هذه التيارات، حيث قرأ المنفلوطى جيدا وتأثر به، وكان على صلة بما يصدر -فى تلك الفترة- من مجلات أدبية كالرسالة، والثقافة، والعصور والبلاغ، والسياسة الأسبوعية، وغيرها، فقد قرأ كل تلك المجلات الرائعة، وقابل أمير الشعراء أحمد شوقى ذات مرة، وعبر له الشعراوى عن إعجابه بشعره الإسلامى.

(د) مشاركته فيما كان يموج به مجتمع معهد الزقازيق الدينى من زخم ثقافى، حيث كان من زملائه فى هذا المعهد الأساتذة: محمد عبدالمنعم خفاجى، ومحمد فهمى عبداللطيف، وكامل أبوالعينين، وعبدالرحمن عثمان، وحسن جاد، وطاهر أبوفاشا، وكانوا قد كونوا جماعة أدبية عام ١٩٢٨م ترأسها الشيخ الشعراوى(٣). وكانوا يتبارون فى حفظ روائع الشعر والنثر، وفى إلقاء الخطب والقصائد فى

---

(١) سورة النبأ الآيتان ١٠ ، ١١.

(٢) سورة القصص ٧١، ٧٢، ٧٣.

(٣) دكتور محمد عبدالمنعم خفاجى «إمام الدعاة وحجة الإسلام» مجلة الأزهر جمادى الأولى سنة ١٤١٩هـ.

المناسبات الدينية والقومية المختلفة، ولا شك أن هذا الجو قد فتق مواهب الشيخ وملكاته وأعانه على أن يتمثل العربية تمثلا تاما.

(هـ) تدريسه البلاغة العربية حقبة من الزمن بمعهد طنطا الدينى، ثم بمعهد الإسكندرية، ثم بمعهد طنطا مرة ثانية.

ولا شك أنه قد قرأ فى هذه المرحلة التى مارس فيها تدريس البلاغة الكتب المؤلفة فى إعجاز القرآن مثل: إعجاز القرآن للباقلانى، وأسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى، وكتابى الفخر الرازى: التفسير الكبير، ونهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز.

وقراءته لمثل هذه الكتب قد أفادته دون شك، حيث أطلعته على آراء علمائنا الأقدمين فى هذه القضية من ناحية، وأوقفته على طرائقهم فى بحثها ودرسها من ناحية ثانية مما كان له أثره فى معالجته لهذه القضية فيما بعد.

الشعراوى والإعجاز اللغوى للقرآن الكريم

يتكىء الشيخ الشعراوى فى شرح آيات الذكر الحكيم، وبيان ما بها من إعجاز على اللغة العربية، فاللغة كما يقول الدكتور محمود الطناحى: هى، «مفتاح شخصية هذا الشيخ». والذى يستمع إلى ما خلفه الشيخ من أحاديث، ويقرأ ما نشر بإشرافه ومراجعته من كتب يجده قد أفسح المجال -أثناء تفسيره- للتحليل اللغوى للألفاظ والعبارات القرآنية.

فعلى مستوى اللفظة المفردة

١- يرى الشيخ الشعراوى أن كل زيادة فى بنية الكلمة فى القرآن الكريم لا بد أن تتبعها زيادة فى المعنى والدلالة، ويضرب الشيخ مثالا على ذلك بالفعل «سقى» الذى يتعدى لمفعولين فقد استخدمه القرآن الكريم فى كثير من آياته مجردا من الزيادة فمن ذلك قوله تعالى:

﴿ **وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا** ﴾(٤)، واستخدمه فى آيات أخر مزيدا بالهمزة فى أوله هكذا «أسقى» ومن الأمثلة على ذلك قوله -جل ثناؤه-:

﴿ **وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا** ﴾(٥)

وربما ظن الإنسان لأول وهلة أن لا فرق بين معنى الفعل «سقى» ودلالته فى أية سورة الإنسان، ومعنى الفعل «أسقى» ودلالته فى أية سورة الجن، فكلاهما يدل على الحدث وهو السقى، وبناء الجملة فى الآيتين يدل على أن الساقى واحد، وهو الله - عز وجل -، فالله -تعالى- يسقى المؤمنين فى الجنة شرابا طهورا، وهو -سبحانه- كان سيسقى من يتحدث عنهم فى الدنيا لو كانوا قد استقاموا على طريق الحق وشريعته.

هذا ما يدركه الإنسان حين يأخذ الأمور بالظاهر أما الشيخ الشعراوى فيلتفت إلى زيادة الدلالة فى الفعل «أسقى» فيقول: «ونحن حين نأتى ونتابع القرآن الكريم نجد أن «سقى» تستخدم فى الأمر الذى ليس فيه كلفة ولا علاج، و«أسقيناهم» فى الأمر الذى فيه كلفة وعلاج هذا فى أمور الدنيا «أسقيناهم ماء غدقا» أمر فيه كلفة.. فيه جهد، نحن أوجدنا لهم الماء، وجعلناه متوافراً لديهم بلا تعب ولا نصب، فهو موجود فى البئر، ولكن لكى تتم السقيا يجب أن يذهب الإنسان إلى البئر ليشرب أو أن يحضر له إنسان آخر الماء.. إذن هنا فى أسقيناهم رغم أن

---

(٤) سورة الإنسان آية ٢١.

(٥) سورة الجن آية ١٦.

الماء متوافر بقدرة الله - سبحانه - إلا أن عملية السقى فيها عمل من الإنسان أو جزء من العمل، فإذا أتينا إلى كلمة سقيناهم نجد الله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ هذا فى الجنة بمجرد الخاطر إذا أحسست العطش وجدت الماء أمامك يصل إلى فمك»[٦].

٢- ويرى الشيخ أن كل كلمة من كلمات آى القرآن مستقرة فى مكانها ثابتة تؤدى المعنى الذى اختيرت من أجله، وهيهات ثم هيهات أن تؤدى هذا المعنى كلمة أخرى يظن أنها ترادفها أو تساويها فى المعنى.

ولقد بلغ الشيخ الشعراوى -هنا- الذروة العليا من الإبداع فى فهم دلالات الألفاظ القرآنية، ونمثل لهذه الظاهرة عند الشيخ بمثال:

فى سورة يس وقف الشيخ عند قوله -تعالى-:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾[٧]

وتساءل «لماذا قال الله أصحاب القرية ولم يقل أهل القرية؟»[٨]

يريد الشيخ أن يشعرك أولاً بأنه ربما فاهم أن أصحاب القرية المقصود بهم أهلها، وهذا تفسير وارد قال به كثيرون إلا أن الشيخ يرى أن أهل القرية -على الرغم من كفرهم و تكذيبهم الرسل- ليسوا هم المقصودين فى الآية، وإنما المقصودون بقوله تعالى: «أصحاب القرية» هم حكامها وكبراؤها، وأصحاب المكانة والنفوذ والسلطان فيها؛ لأن هؤلاء هم الأصل، وهم الذين يصدون عن سبيل الله من آمن ويبغونها عوجا، ومن ثم فكفر الآخرين من أهل القرية من البسطاء والضعفاء وتكذيبهم الرسل ليس صادرا عن ذاتية منهم، وإنما هم يصدرون فى ذلك عن إعراض غيرهم ممن يرونهم أعلى منهم، وهم أصحاب الجاه والسلطان يقول الشيخ: «لماذا قال الله، أصحاب القرية، ولم يقل: أهل القرية؟ لأن الذين يقاومون رسالات السماء ويحاربون الرسل هم أصحاب النفوذ والسلطان الذين أترفوا فى الحياة الدنيا وأعطاهم الله الجاه والملك.. وفى غالب الأمر يكون باقى الناس تبعا لهؤلاء إما خشية من نفوذهم وسلطانهم وإيذائهم، أو محاولة للتقرب منهم باعتبارهم الوسيلة المتاحة أو الظاهرة للحصول على نعم الدنيا.. ومن هنا جاء المثل الذى ضربه الله -سبحانه وتعالى- بلفظ أصحاب القرية على أساس أن هؤلاء هم الذين يكذبون الرسل ويؤذونهم ويحاولون بما أتاهم الله من نعمه أن يبارزوا الله بالمعاصى»[٩]

وعلى مستوى العبارات والتراكيب القرآنية يقف الشيخ طويلا أمام خواتيم الآيات القرآنية ليحللها تحليلا لغويا نقف معه على ما بها من إعجاز لغوى وبلاغى، ومن الأمثلة على ذلك وقوفه أمام قول الله -عز وجل-:

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[١٠]. يقول الشيخ: «يقول بعض الناس إن العبارة غير متمشية، وإن سياق الكلام كان يقتضى أن يقول عيسى بن مريم: إنك أنت الغفور الرحيم، ونحن نقول: إن كل من يثير هذا الكلام لا يفهم إعجاز القرآن، فقول ابن مريم: إن تغفر لهم يحمل نفس المعنى فى إنك

---

(٦) محمد متولى الشعراوى «معجزة القرآن» الجزء الأول، دار أخبار اليوم ١٩٧٩م.

(٧) سورة يس آية ١٣.

(٨) محمد متولى الشعراوى، معجزة القرآن «الجزء السادس» دار أخبار اليوم ١٩٨٤م.

(٩) المصدر السابق.

(١٠) سورة المائدة ١١٨.

أنت الغفور، وإلا إن لم تكن غفورا فكيف تغفر؟،

ولكن قوله: ﴿إنك أنت العزيز الحكيم﴾ ما سبب وضع العزيز الحكيم هنا؟ هل الآية مختومة بما لا يتمشى مع العقل؟ الآية مختومة بعبارة من أبلغ ما يمكن، هنا فى مطلب الغفران وهو يدعو الله أن يغفر لعباده فيقول له: وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم الذى لا يحاسبه أحد على ما يفعل فلا أحد سيأتى ليقول لله: لماذا غفرت لهؤلاء الناس الذين عصوا؟ لأنك أنت العزيز الذى لا يحاسبه أحد.. وليس فوقه قوة.. فأنت يا ربى إن أردت أن تغفر لهم فهى مشيئة رحمتك.. فإنك قادر.. لماذا؟ لأنك أنت العزيز تستطيع أن تفعل ذلك دون أن يسألك أحد، الحكيم الذى يتم كل أمر منك بحكمة، وهكذا نرى أن هذه الكلمة وضعت بحكمة زيادة فى الاستغفار.».[11]

الشعراوى والإعجاز العلمى للقرآن

وينطلق الشيخ الشعراوى لمعالجة الإعجاز العلمى للقرآن الكريم من منطلق لغوى -أيضا- ذلك أنه يرى -وحقا ما رأى- أن القرآن الكريم لم يكن معجزة للعرب الذين عاصروا النبى -صلى الله عليه وسلم- وحدهم، وإنما هو معجزة خالدة باقية إلى يوم القيامة لها عطاءاتها المتجددة على مر العصور، وكل جيل من أجيال البشر منذ نزل القرآن على رسول الإسلام محمد -صلى الله عليه وسلم- يأخذ من القرآن على قدر فهمه، وعلى قدر ما بلغه من رقى معرفى، وتقدم حضارى وفى هذا يقول: «إن القرآن الكريم له عطاء متجدد، وهذا العطاء المتجدد هو استمرار لمعنى إعجاز القرآن، ولو أفرغ القرآن عطاءه كله أو إعجازه كله فى عدد من السنوات، أو فى قرن من الزمان لاستقبل القرون الأخرى دون إعجاز أو عطاء، وبذلك يكون قد جمد، والقرآن لا يجمد أبدا، وإنما يعطى كل جيل بقدر طاقته.».[12]

ويتساءل الشيخ: إذا كان القرآن الكريم يحمل كثيرا من الإشارات التى تدل على ما سيتكشف فى المستقبل من نظريات العلم حسبما تدل على ذلك الآية الكريمة: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[13] فلِمَ لم يفسر الرسول - صلى الله عليه وسلم - للصحابة هذه الآيات ويكشف لهم عنها؟

ويجيب: «لأن العقل فى ساعة نزول القرآن لم يكن عنده الاستعداد العلمى ليفهم حقائق الكون، ولذلك أخذ منها قدر حجمه، وأعطاه القرآن ما يعجبه ويرضيه، ثم مرت السنوات أو القرون وظهرت حقائق علمية حديثة فتبين لنا أن عطاء القرآن فيها كان عطاء متجدداً»[14].

وينبه الشيخ فى هذا المجال على أمر ذى بال قلما يلتفت إليه العلماء الأجلاء الذين يخوضون فى الحديث عن الإعجاز العلمى، وهذا الأمر هو أن القرآن الكريم ليس كتاب طب، ولا كتاب هندسة، ولا كتاب كيمياء أو فيزياء أو غير ذلك، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد، كتاب سماوى أنزله الله -تعالى- على نبيه - صلى الله عليه وسلم - لغاية وهدف، فغايته هداية البشر والأخذ بأيديهم إلى صراط الله العزيز الحميد، وهدفه صيانة الإنسان جسما وروحا بـ (افعل ولا تفعل) حتى يستطيع القيام بواجبه المنوط به، وهو خلافة الله فى الأرض، وعلى

(11) محمد متولى الشعراوى معجزة القرآن «الجزء الأول».

(12) المصدر السابق.

(13) فصلت/ 53.

(14) محمد متولى الشعراوى: معجزة القرآن «الجزء الأول».

هذا فينبغى توخى الدقة والحذر عند إقامة جسور من العلاقات بين الآيات القرآنية - حين شرحها وتفسيرها- والنظريات العلمية الحديثة، وذلك لأن آيات الكتاب العزيز لها صفات الثبات والاستقرار والصدق، أما النظريات العلمية الحديثة فليست كذلك؛ لأن التقدم العلمى المذهل يقف بالإنسانية -كل يوم بل كل ساعة- على جديد لم تكن تعرفه من قبل، وربما عارض هذا الجديد كشفا علميا سابقا عليه، بل وربما نسخه وفى هذا يقول الشيخ: «ومن هنا فإن خطورة ربط القرآن الكريم بنظريات علمية كاذبة وما أكثرها، تجعل موقف المفسر فى حرج عندما يثبت كذب هذه النظرية.. فهو لا يستطيع أن يغير أو يبدل فى كلام الله.. ومن هنا يجب أن نتروى، وأن ندرس بإمعان، وننتظر حتى تثبت الحقيقة العلمية ثبوت اليقين قبل أن نتحدث عن ربطها بالقرآن الكريم، ولا نأخذ حديثا براقا يكون مجرد فرض، وليس نظرية علمية ونسرع ونربطه بكلام الله.. وحينئذ نكون قد ارتكبنا خطأ كبيرا فى حق القرآن عندما يثبت كذب هذا الافتراض»(١٥).

ويتخذ الشعراوى من الآيات القرآنية التى تشير إلى حقائق علمية مما ظهر فى هذا القرآن، يتخذ منها دليلا على حجية القرآن، وعلى أنه من عند الله -تعالى- خالق الكون بما فيه من عوالم علوية وسفلية، وخالق الإنسان ومكونه ومصوره، كما يتخذ منها حجة على أهل الإلحاد والشرك والزيغ الذين اغتروا بعلومهم، وما وصلوا إليه من تقدم مادى باعد بينهم وبين عالم الروح، حتى ادعوا كذبا وزورا: أن عصر الإيمان قد انتهى، وأن عصر العلم قد بدأ. يقول الشعراوى: «إن آيات الكون الكبرى التى أنبأنا الله بها فى القرآن الكريم والتى نعرف بعضها، وبعضها لا نعرفه معرفة اليقين حتى الآن أرادنا الله -سبحانه وتعالى- أن نفحم بها أولئك الذين يقولون: انتهى عصر الإيمان وبدأ عصر العلم وأن يقول لنا: إن العلم الذى يحاول بعض المضلين أن يتخذوه إلها جديدا هو من علمى ومن خلقى فلا تعبدوا المخلوق، وتتركوا الخالق»(١٦).

وانطلاقا من إيمانه بأن القرآن كتاب الله المسطور، وأن الكون كتاب الله المنظور، فإنه يرى أنه لا يمكن أبدا أن تتعارض حقيقة كونية كبرى مع آية قرآنية شريفة، لأن خالق الكون هو صاحب الكتاب، وصاحب الكتاب هو خالق الكون - سبحانه - قد أحاط بكل شىء علما، وأحصى كل شىء عددا.

ويرجع الشيخ ما يبدو للمستشرقين، وأهل الزيغ والإلحاد، وبعض محدودى الأفق من علماء الدين من تناقض آيات الكتاب العزيز مع قوانين الكون ونواميسه وحقائقه -أقول: يرجعه إلى سوء فهم هؤلاء وأولئك جميعا وسوء تفسيرهم لتلك الآيات القرآنية، وإلى جهلهم بطرائق التعبير القرآنى والأداء اللغوى فى العربية.

الشعراوى وإنباء القرآن بالغيب

وبادئ ذى بدء نلاحظ أن الشيخ قد استعاض عن هذا المصطلح الذى تعارف عليه الدارسون من القدماء والمحدثين على حد سواء وهو مصطلح الإخبار أو الإنباء بالغيب، واستبدل به مصطلحا آخر أتى به من عنده، وهو تمزيق حواجز الغيب.

وهو يقسم حواجز الغيب التى مزقها القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الحاجز الذى مرده إلى أمور

---

(١٥) المصدر السابق.

(١٦) المصدر السابق.

تحدث فى نفس اللحظة التى أعيش فيها لكنى لا أعرفها، لأنها تحدث فى مكان آخر غير المكان الذى أوجد فيه ويطلق على هذا الحاجز اسم حاجز المكان.

القسم الثانى: الحاجز الذى مرده إلى أمور حدثت فى الماضى قبل أن أوجد ويطلق على هذا الحاجز اسم حاجز الزمن الماضى.

القسم الثالث: الحاجز الذى مرده إلى أمور ستحدث فى المستقبل، ويطلق على هذا الحاجز اسم حاجز المستقبل.

ثم أضاف إلى هذه الأقسام الثلاثة قسما رابعا أطلق عليه حاجز النفس البشرية، وشرح مقصوده منه بأنه «ما يخفيه الإنسان داخل نفسه»(١٧).

هذا على مستوى الشرح النظرى، فلما أراد التطبيق على شواهد من القرآن قام الشيخ الجليل -كما لاحظ الدكتور حسين نصار- بدمج الحاجز الرابع فى الحاجز الأول وجعلهما حاجزا واحدا فصار حاجز المكان هو حاجز النفس البشرية(١٨)، استمع إليه وهو يقول: «ثم جاء الأمر الثانى.. فمزق الله حجاب المكان لمحمد -عليه الصلاة والسلام-.. وجاء فى أمر من أدق الأمور وهو حديث النفس»(١٩).

على أية حال فقد دلل الشيخ الشعراوى على تمزيق القرآن لحاجز الزمن الماضى بما ورد فى قصص الأنبياء السابقين مع أقوالهم، تلك القصص التى لم يكن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يعلم عنها شيئا من سير الأولين(٢٠).

ودلل على تمزيق القرآن الكريم لحاجز الزمن المستقبل بقوله -تعالى-: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾(٢١) وبقوله -تعالى-: ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ (٢٢)، وبالآيات الأولى من سورة الروم وهو قوله -تعالى-:

﴿ الٓمٓ (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٣).

ودلل على تمزيق القرآن لحاجز النفس البشرية بما حكاه المولى -عز وجل- عما تردد فى صدور المنافقين من تمنى وقوع العذاب بهم فى قوله -جل شأنه-:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾(٢٤).

---

(١٧) المصدر السابق.

(١٨) دكتور حسين نصار «الإنباء بالغيب فى كتب الإعجاز القرآنى» الهيئة العامة للكتاب.

(١٩) محمد متولى الشعراوى: معجزة القرآن، الجزء الأول ص١٠٤.

(٢٠) المصدرالسابق ص١٠٣:١٠٤.

(٢١) سورة القمر: آية رقم ٤٥.

(٢٢) سورة القلم: آية رقم ١٦.

(٢٣) سورة الروم: الآيات ١-٥، ويراجع معجزة القرآن.

(٢٤) سورة المجادلة: آية رقم ٨ ويراجع معجزة القرآن، الجزء الأول.

حسان بن ثابت
شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

الأسلوب: هو وسيلة التعبير عنْ مكنون الفؤاد والوجدان، بما لا يشترك فيه اثنان، فينمّ عن قسمات الشخصيَّة، كما تنم عنها الملامح والغضون.

أما محاكاة أسلوب الآخرين، فهى ضرب من إلغاء الشخصية، إذ يلجىءُ إلى التقليد والاجترار، واصطناع قناع كثيف، يعوق عملية الإبداع والاختراع، بتداعٍ حر، وتلقائية مُواتية.. وبكلمة واحدة، فإن الأسلوب هو الذوق الخاص للمنشىء، كما عرَّفه حسين المرصفى فى (الوسيلة الأدبية).. وهذا التعريف أشدّ ما يكون انطباقاً على شاعرية حسان بن ثابت، التى ميّزته عن غيره، فى عملية الخلق الفنى، فأصبحت له شخصيته المستقلة، وسَمْته الخاص، وبديهته الحاضرة، التى تساعده على الارتجال، عند الاقتضاء..

ونستطيع أن نتبيَّن ذلك، بجلاء ووضوح، فيما يرْويه العلاَّمة عبدالله بن سعد، كاتب الواقدى، فى كتابه: (الطبقات الكبرى[1])، من أن (خُزاعيا) خرج إلى قومه، فوجدهم غير ما ظنَّ، فأقام، فدعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حسان بن ثابت، فقال: ـ أذكر خزاعيا، ولا تَهْجه.. فقال حسان:

ألا أبلغْ خزاعيّا رسولا ... بأن الذَّمَّ يغسله الوفاءُ

وأنك خير (عثمان بن عمرو) ... وأسناها، إذا ذُكر السناء

وبايعْتَ الرسولَ وكان خيرا ... إلى خير، وأدَّاك الثراء

قال: ـ فقام خُزاعى، فقال:- يا قوم، قد خصكّم شاعر الرجل (يعنى بالرجل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ)، فأنشدكم الله قالوا:- فإنا لا ننبوا عليك، قال:- وأسلموا، وتوافدوا على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

(١) طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية سنة ١٣٥٨ هـ ج٢ ص٥٧.

ترجمة حياته:

هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى النَّجَّارى، من قبيلة الخزرج التى استقرّتْ بالمدينة، وبنو النجار هم أخوال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد نشأ حسان فى الجاهلية، وكان أبوه وجدُّه شاعريْن، إلا أنه برّهما فى قول الشعر، حينما شهد بعض وقائع الأوسْ والخزرج، وتأثر بالأعمش والنابغة والحطيئة، فى مدائحهم وحصولهم على المنَح والعطايا.. فاتَّبع نهجهم، قبل إسلامه، ومدح ملوك الغساسنة وأمراءهم، فى الشام، بعد اتصاله بهم فى جلِّق (دمشق) وغيرها، وحصل على جوائزهم.

واستمر ينشد شعره فى الأغراضَ المختلفة، فى الجاهلية، حتى سنِّ الستين، وحينما هاجر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة إلى المدينة، سارع حسَّان إلى الدخول فى دين الله، ليُصْبح بعد ذلك، لسانَ صدق فى تأييد الإسلام وتدعيمه فى النفوس، والدفاع عنه، بشعره، دفاعاً مجيداً بليغاً، الأمر الذى جعله فى الذروة العليا بين شعراءالدعوة المحمدية، حتى أطلق عليه بحق، لقب: (شاعر الرسول) ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد أصْلَى القرشيين وشعراءهم هجاء مُرًّا شديداً، كان أشد عليهم من وَقْع النَّبْل، بعد أن دله الصديقُ أبوبكر ـ رضى الله عنه ـ على ما لهم من مثالب، لأنه ـ رضى الله عنه ـ كان عالما بأنسابهم وأخبارهم.

وقد أَدْرك حسان بن ثابت مشرق الأنوار المحمدية، منذ نعومة أظافره، إذ يذكر ابن إسحاق، فى (السيرة النبوية)[٢] لابن هشام، قول حسان بن ثابت: «والله إنى لغلام يَفَعة[٣]، ابن سبع أوثمان، أعقل كل ما سمعتُ، إذ سمعت يهوديًا يصرخ بأعلى صوته، على أطمة[٤] بيثرب: ـ يا معشر يهود، يا معشر يهود.. حتى إذا اجتمعوا إليه، قالوا له: ـ وَيْلك مالك؟!

قال: طلع الليلة نجمُ أحمد، الذى وُلد به.

وقد عمر حسان طويلاً، إلى ما يقرب من مائة وعشرين عاماً من العمر، نصفها فى الجاهلية، ونصفها الآخر فى الإسلام، ومات فى خلافة معاوية سنة ٦٤هـ.

شاعريته:

تخلص شعره بعد إسلامه، من خشُونة الألفاظ الحوشية الغريبة، التى كانت تغلب على غالبية الشعر الجاهلى، بصفة عامة، وذلك لتأثر حسان ببلاغة القرآن الكريم، -التى سَجَدَ لها فصحاءُ العرب - وبحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، الذى يفيض بالحكمة والبيان والتبيين، كما نتبين مدى هذا التأثر، فى قول حسان بن ثابت، مفتخرا:

لسانى وسيفى صارمان، كلاهما..
ويبلغ، مالا يبلغ السيف - مِذْودى[٥]
وإنْ أكُ ذا مال كثير.. أَجُدْ به
وإنْ يهتصر عودى، على الجهد، يُحمد

---

(٢) تحقيق مصطفى السقا وآخرين ط سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م ج١ ص١٥٩.

(٣) اليفعة (بفتحتين): الغلام القوى، الطويل القامة.

(٤) الأطمة: الحصن.

(٥) المذود: اللسان.

فلا مال ينسينى حيائى وعفتى
ولا واقعاتُ الدهر يفْلُلْن مبردى
وإنى لُمعْطٍ ما وجدتُ، وقائل
لُموقِدِ ناری، ليلة الريح، أَوْقِدِ

وقوله:

أصون عرضى بمالى، لا أُدنِّسه
لا بارك الله، بعد العرض، فى المال
أحتال للمال - إنْ أَوْدَى - فأكسبه
ولست للعرض - إنْ أَوْدَى - بمُحْتال

وما أبلغ قوله، فى بيته الرائع المتفرد، من قصيدة أخرى، يقول فيه، مُجْمِلاً وصْفَه ومديحَه للمصطفى - صلى الله عليه وسلم - .

ما إن مدحت (محمداً) بمقالتى
لكن مدحت مقالتى بمحمدِ

وهذه فَلتة شعورية صادقة، تُظْهِر بجلاء ووضوح، مدى تغلغل حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى سويداء قلب حسان.. وعلى ضوء هذا البيت، المفعم بالوجد والحرارة، نستطيع أن نتفهَّم سائر شعره، فى الرسالة، والرسول - صلى الله عليه وسلم - .

ومن ذلك، قوله فى مدح النبى - صلى الله عليه وسلم - والإزْراء بأبى سفيان، قبل إسلامه، يومَ فتح مكة:

ألا أبْلِغْ أبا سفيان عنى
فأنت مجَّوفُ نَخبُ هواءُ
بأن سيوفنا تركتك عبداً
وعبدالدار سادتها الإماء
هَجَوْتَ محمداً، فأجبتُ عنه
وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء
فشركما لخيركما الفداء
.. هجوت مباركاً، بًرا، حنيفا
أمين الله، شيمته الوفاء
فمنْ يهجو رسول الله منكم
ويمدحه، وينصره.. سواء
فإنَّ أبى، ووالده، وعرضى
لعرض محمد منكم وقاء

×××

ويروى ابن هشام فى (السيرة النبوية)[٦] قصةً تَستذْرِى الدموعَ من أقْسى المآقى، عن موقف كريم فذ، لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حينما وَجَدَ الأنصار، لحرمانهم، ذات مرة، من بعض العطايا.. وكان ذلك لحكمة نبوية خَفِيتْ عليهم.. ونستطيع أن نتبينها، فيما رواه أبوسعيد الخدرى، بقوله: - لما أعطى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أعطى من تلك العطايا، فى قريش، وفى قبائل العرب - ولم يكن فى الأنصار منها شىء وَجَدَ الأنصارُ، فى هذا الحى، فى أنفسهم.. حتى كثرتْ منهم القَالَةُ، حتى قال قائلهم: - لقد لقى والله رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -، قومَه، فدخل على النبى - صلى الله عليه وسلم - سعد بن عُبادة، فقال: - يا رسول الله، إن هذا الحى من الأنصار قد وَجَدوا عليك فى أنفسهم، لما صَنَعْتَ فى هذا الفىْء الذى أصبْتَ، قسمتَ فى قومك، وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب، ولم يك فى هذا الحى من الأنصار منها شىء.. قال - صلى الله عليه وسلم -: فأين أنت من هذا يا سعد؟

(٦) جـ ٤ ص ٤٩٨ - ٤٩٩

قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي..

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فاجْمع لى قومك فى هذه الحظيرة.

قال الخدرى: ـ فخرج سعد، فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة، قال: ـ فجاء رجال من المهاجرين، فتركهم، فدخلوا.. وجاء آخرون، فردَّهم.

فلما اجتمعوا له، أتاه سعد، فقال: ـ قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار. فأتاهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا معشر الأنصار، ما قالةٌ بلغتنى عنكم، وجِدَةً وجدْتموها فى أنفسكم؟ ألم آتكم ضُلَّالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم.. قالوا: ـ بلى، والله ورسوله أَمَنُّ وأفضل.

ثم قال ـ صلى الله عليه وسلم : ـ ألا تجيبونى يا معشر الأنصار؟

قالوا: ـ بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ورسوله المنّ والفضل.

قال ـ صلى الله عليه وسلم: ـ أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدَقْتم ولصُدِّقْتُمْ: ـ أتيْتنا مكذَّبا فصدَّقْناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويْناك، وعائلا فآسيْناك.. أوجَدْتم يا معشر الأنصار،لُعَاعة[7] من الدنيا ، تألفت بها قوما ليُسْلموا، ووكلتكم إلى إسْلامكم.. ألا ترضون، يا معشر الأنصار، أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟

فوالذى نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار.. ولو سلك الناس شعبا[8]، لسلكت شعب الأنصار.. اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار..

قال الخدرى: ـ فبكى القومُ حتى أَخضلوا لحاهم[9] وقالوا: رضينا برسول الله قسْماً وحظاً[10]

ثم انصرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتفرَّقوا..

وفيما تقدم، يقول حسان بن ثابت:

قومى هُمُ آوَوْا نبَّيهمو
وصَدَّقُوه، وأهل الأرض كُفَّارُ
أهلا وسهلا، ففى أمْن وفى سَعَةٍ
نعم النبى، ونعم القَسْمُ والجار

ومما يرويه ابن هشام -أيضا- فى (السيرة النبوية) عن ابن إسحق، أن أُبَّى بن خلف، كان يَلْقَى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول إن عندى (العوذ) فَرَسا.. أعْلِفُه كلَّ يوم فَرْقا من ذُرة، أقتلك عليه..

فيقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : بل أنا أقتلك إن شاء الله.. فلما رجع إلى قريش، وقد خَدشه (أى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المبارزة) فى عنقه خَدْشا غير كبير، فاحتقن الدم، قال: ـ قتلنى محمد!

قالوا له: ذهب والله فؤادك! والله إنْ ما بك من بأس..

قال: إنه كان قال لى بمكة: أنا أَقْتُلك، فوالله لو بَصَق، علىَّ لقتلنى.. فمات عدوُّ الله بسرف[11]، وهم قافلون به إلى مكة.

وفى هذه الواقعة، يقول حسان بن ثابت

---

(٧) اللعاعة: بقلة خضراء ناعمة، شبه بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدنيا ونعيمها.

(٨) الشِّعْب: الطريق بين جبلين.

(٩) أخْلضوا لحاهم: بلّوها بالدموع.

(١٠) القَسْمُ: الحظ والنصيب.

(١١) سرف: اسم موضع قرب مكة المكرمة.

لقــد وَرَثَ الضــلالة عن أبيــه
أُبيٌّ.. يــوم بــارَزَه الرســـول
أتيت إليـــه تحـــمل رمٌ عَظْم
وتُوعِـــده، وأنت بـه جـــهـول
فـقـد لاقـتك طعنة ذى حـفـاظ
كـريم البـيت، ليس بِذِى فـجـور
لـه فـضـل على الأحـيــاء طُرّا
إذا نـابتْ مُلِـمَّـــات الأمـــور

×××

ويختتم ابن هشام (السيرة النبوية) فى الجزء الرابع والأخير، بأربع قصائد من ذَوْب قلب حسان بن ثابت، وتباريحه، فى رثاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، تصوِّرُ مَدَى فجيعته والتياعه، إذ يقول:

بطيبـةَ رسْمٌ للرسـول ومعـهـد
مُنِيرٌ، وقد تعفوُ الرسومُ وتهمد
ولا تمتحى[١٢] الآيات من دار حرمة
بها منبر الهادى الذى كان يصعد
وواضح آثار وباقى مـــعـــالم
وربع لـه فـيـه مـصلىً ومسـجـد
بهـا حـجـرات كـان ينزل وَسْطها
من الله نورٌ يُسـتـضـاءُ ويوقـد

إلى أن يقول مُستَعْبرا:

ظللت بها أبكى الرسول، فأسعدتْ
عيونٌ ومثلاها من الجفن تُسْعد
يذكـرْن آلاءَ الرسـول، ومـا أرى
لهـا مُحْصِياً نفسى فنفسى تبلد

ثم يذكر حال المسلمين بعد فراق رسولهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول:

وراحُوا بحزن ليس فيـهم نبيُّهم
وقـد وَهَنتْ منهم ظُهورٌ وأَعْضُد
وهل عَـدلَتْ يومـا رزيّة هالك
رَزِيَّةَ يوم مـات فـيـه مـحـمـد؟
تَقَطَّعَ فيـه منزلُ الوحى عنهـمو
وقـد كـان ذا نور يغـور ويُنْجِـدُ
ومـا فقد الماضونَ مثل محـمدٍ
ولا مـثله، حـتى القيامـة.. يُفقد

ثم يقول فى المرثية الثانية، بوجد مُذيب:

بأبى وأمى مَنْ شـهـدت وفـاته
فى يوم الاثْنين النبى المهـتـدى
فظللْتُ بعـد وفـاته مـتـبلدا
مـتلدِّدا.. يا ليـتنى لم أُولَد

ويقول فى الدالية الثالثة:

تا الله ما حَملتْ أنثى ولا وضَعتْ
مثل الرسول.. نبى الأمة الهادى
يا أفضل الناس، إنى كنت فى نَهَر
أصبَحْتُ منه.. كمثل المفرد الصادى[١٣]

ونلاحظ أن ابن هشـام لم يُثْبت أيَّة مَرثية أخرى، فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، لشاعر آخر، غير حسان بن ثابت، على كثرة الراثين، وهذا يدل على إدراك ابن هشام لتفوُّق حسان بن ثابت، ومنزلته الرفيعة التى احتلَّها شاعر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قلوب المسلمين الأوائل، والتى استمرت، عبر القرون -أيضا- فى أفئدة المسلمين الأواخر، حتى يومنا هذا، فقد كان بحق: واسطة العِقْد، فى الشعر الإسلامى الرصين.

وسلام عليه فى الخالدين

وبالله التوفيق.

---

(١٢) تمتحى: تزول.

(١٣) الصادى: الظامئ.

خميلة الشعر

للأستاذ :
محمد عبد الوهاب

تتوجه خميلة الشعر إلى كل المسلمين فى كل بقاع الأرض بالتهنئة بمناسبة، بدء العام الهجرى الجديد.. تلك المناسبة العزيزة، التى تحمل ذكرى هجرة نبينا الكريم محمد. صلى الله عليه وسلم، بعد ثلاث عشرة سنة طوال، يُعرض هدى الله على الكفار، وهم يُعرضون ويكذبون بل ويحاولون قتله، بعد أن أعجزهم أمره، فكان مثله مثل من يعرض الجواهر الثمينة على أناس، لايرون الجواهر إلا فى الزجاج، فإن كان لها بريق فى ذاتها، فليس لها فى ذواتهم قيمة، لقد أصيب -صلى الله عليه وسلم- باليتم كبيرا من قومه، كما أصيب به صغيرا من أبويه.

ثلاث عشرة سنة، يعرض الهدى، فيميلون للضلالة، والنبى لاييأس ولايمل، ويحتسب معاناته وعذابه عند ربه، ذلك أنه. صلى الله عليه وسلم. كان يؤسس أمة عظمى، أراد الله سبحانه أن تقوم، لتكون للدنيا كلها فجر الحضارة، ولترسم الطريق القويم للاتصال بالسماء، وتكون العبادة الحقة لله الواحد، بلا شرك به - سبحانه - وبلا وساطة كهنوتية بين المخلوق وخالقه.

كان لابد للرسول الكريم والقائد الحكيم من أن يغير موقعه فى معركته الإيمانية ضد قوى الكفر والضلال، فأمره ربه بالهجرة المباركة، ليبدأ رحلته الميمونة إلى غايته النبيلة، لتنشأ فى المدينة المنورة، قاعدة إيمانية وضيئة، ترسل أشعة الهدى للدنيا بأسرها، لتحيل ليل الكون المظلم بالجهالات إلى نهار دائم بالهداية والرحمة ودين الحق.

وخميلة الشعر فى هذا العدد تقدم لقراء الأزهر، باقة شعر ندية، نستهلها بقصيدة بعنوان: (الهجرة) للشاعر الوجدانى الأستاذ محمد على جمعة الشايب بعدها نقدم قصيدة: (من وحى الهجرة) للشاعر المهندس عبدالعاطى موسى عبدالعاطى، وبعدها نقدم قصيدة: (سرت نحوك الركبان) لشاعر من العريش نقدمه فى الخميلة لأول مرة، هو الشاعر محمد عايش عبيد ثم نقدم قصيدة بعنوان: (هو الله) للشاعر الكبير الصديق الأستاذ أحمد عبدالهادى، ونختتم جولتنا المباركة بقصيدة بعنوان: (مسافر فى الزمان) الصديق الخميلة شاعر دمياط الاستاذ/ السيد صديق حافظ كل عام وأمتنا الاسلامية فى عزة وسؤدد ورخاء والله ولى التوفيق.

الهجرة

للأستاذ محمد على جمعه الشايب

أمَـا تأمَّلتَ نهْـراً ضَـاق منْبَـعُـه ** وقيَّـدَ الصَّخْرُ ظُلْماً مـاءَه الجـارى

فشَقَّ بينَ ضُلوعِ الصَّخْـرِ مجْتَـهِداً ** للمـاءِ مـجْـرَىً وسـوَّاهُ بأظفـار

حـتى جـرى الماءُ فـيـه سلْسَـلاً غـرِداً ** والموجُ غنَّى على ألحـانِ أوْتَـار

فـالشـاطئـانِ زهورٌ ريحُـهـا عـبِقٌ ** والنّهـرُ بينهـمـا ضـافٍ بأنوار

والشـمسُ من بِشْرِها تسـعى تقبِّلُه ** فـيكشفُ الحبُّ عن مكنونِ أسْـرار

والماءُ يجـرى خـلالَ الأرض يوقظهـا ** فيضـحكُ الزَّرعُ فـيـهـا بعـدَ إقـفـار

سـيطعم الجـوعَ، والعـريان يلبسُـه ** مـاعـاد يخشَى فـقـيـرٌ ذلَّ إعـسـار

لو لم يغـادرْ رُضَـابُ النهـرِ مـوطنَه ** مـهـاجـراً لانطوى فى قلبِ أحـجـار

لكنه سَـار يحـيى مّـيـتـاًوجـرى ** فى الأرض روحـا وريحـانـاً بتـسـيـار

والجـدبُ راحَ يلبِّى وحىَ دعـوتِه ** ويغـسلُ الرّمْلَ مِنْ آثامِ فُـجَّـارِ

فـعن يمينٍ ترى الأشـجـارَ باسِـقـةً ** وعن شـمـالٍ ترى عنقـودَ أثمـار

وليلُهـا الحـالكُ الحـيرانُ فى ظُلَمٍ ** أضحى يسبِّح فـيـه ضـوءُ أقمْـار

كـان الظلام بلا عينٍ يسـيـرُ بهـا ** وكَمْ تصـادمَ أحـجـارٌ بأحـجـار

وكم تنَفَّـست «الغـبـراءُ»[1] ناقـمـةً ** على الفنَاء سَـرَى فى زهْر أعـمـار

«وداحِسٌ»[2] فى يبـاب البـيـد مكتـئبٌ ** له صـهِـيلٌ خـلاً مِنْ عـزٍّ إكْـبـار

---

(١) ، (٢) فرسان قامت من أجلهما حرب طويلة فى الجاهلية.

«والراسياتُ»[٣] بكتْ إذ قد رأت حُفَراً ** وارَى الصّغيراتِ فيها كفُّ حَفَّار

أبٌ لهنّ وأفٍّ منْ أبُوَيْه ** فما سمعْنا بها فى الكاسرِ الضّارى

وفى الزّاحفِ لم نسمعْ بها أبدا ** وماسمعنا بها فى ذاتِ مِنْقار

هُنَّ البريئاتُ.. هُنّ الطّهرُ مافُتِحَتْ ** له صحائفُ زلَّاتٍ وأوْزار

●●●

وسار نهرُ الهدى والأمْنُ ظللَّه ** بسابغ الظلّ لايخشَى سوى البارى

اللّيلُ ثوبٌ له قد ضمَّه حَدباً ** أوصى به النجمَ يَهْدِى خطوَه السّارى

والشمسُ تخفضُ منْ أنفاسِ جمرْتِها ** فهى النّسيمُ بدفءٍ غيرُ ضرّار

ومنْ تكنْ فى سبيلِ الله خطُوتُه ** فالأسْدُ تنْسى لديه نابَ غدَّار

طالَ الطريقُ به والشوقُ قائدُه ** لمنْ يرى فيهمو إيمانَ أنْصَارِ

حتى استقرَّ بوادى الخصب فانطلقتْ ** له الأناشيدُ تسْبى شَدْو أطْيار

«طلعْتَ بدْراً» على الآفاقِ تمنحُها ** نورَ البصائر يْهدى نورَ أبصار

أزَحتَ ماخلّفتْه أعْصُرُ سلفَتْ ** ببسمةِ الحبِّ لاتدمير إعصار

فَجُمِّعَ الناسُ أحباباً وقد عرفوا ** عمقَ المحبة أهْدَتْ خيرَ إيثار

والخصمُ يسعى إلى منْ كان خاصمه ** إنَّا حبيبان فى الإسلام والدار

(والأوسُ والخزرج) انجابت عداوتهم ** مثل الغمام طوتْه شمسُ آذار

نعم المهاجرُ لا يأساً ولا خوراً ** لكنها قوةٌ من صدقِ إصرار

---

(٣) الجبال.

من وحي الهجرة

للشاعر/ عبدالعاطي موسى عبدالعاطي

يامن خرجتَ من الديار مُهاجَرا ** تشكو إلى الرحمن لوْعةَ ماجَرَى
فالمشركون عَمتْ صحافُ قلوبهم ** كُلٌّ يجيئكَ ساخراً ومُكَابرا
كادوا وكيف لهم مساءَ تربصوا ** بالباب ضَمَّ وراءَه خيرَ الورى
خرج الرسولُ عليهمُ وكأنهم ** أعجازُ نخلَ لاتحس ولاترى
وحبيبُه الصدِّيقُ يسرع فى الخطى ** مَنْ عاش عُمْرَه صادقاً ومؤازرا
وإذا هُمَا بالغار أوْجَسَ خِيفَةً ** يخشى على خير الورى مُسْتَعْبرَا
نظرَ الرسولُ إليهَ نظرةَواثقٍ ** ومضى يَهدِّئُ رَوْعَهُ مُستبشرا
فالعنكبوتُ هفا «لأحمدَ» عُشُّهُ ** وكذاالْحَمَامُ رَأَى سِراجاً نَيِّرا
فنجوتَ من أهلِ الضلالِ وَشَرَّفَتْ ** قدماك «يثربَ» صابراً ومُثابرا
خرجوا إليكَ بلهفةٍ وتشوقٍ ** والكل جاءك هاتفاً وَمُكَبِّرا
لتقيمَ بالإسلامِ أعظمَ قوةٍ ** للحقِّ هافيةً إلى «أُمِّ القرُى»
فإذا الجميعُ تعاطفٌ وتراحُمٌ ** وشمائلُ الإيثار تسمو للذُرا
وفتحت مَكَّةَ وَهْىَ حلمُ طفولةٍ ** وَعَفوْتَ... إنك خَيرُ من وطئ الثَّرى
أرسلت رُسُلَكَ للبلاد مشاعلاً ** لتقيمَ من أجْل الجهادِ منابرا
يامَنْ نهجتَ من الخصالِ جَميلَها ** وَهَجَرْتَ مايُرْدى النفوسَ وَيُزْدرى
وسلكتَ دربَ الحقِّ بين قبابَها ** وملكت قلباً تائباً مستغفرا
عشتَ الحياةَ جَمِيلَها ومريرها ** ترعى الفضيلةَ والفريضة صابرا
وتجوب محِرابَ القناعةِ رَاضياً ** وتضم قلباً بالجوانح شاكرا
ترعى حقوق الجار تؤثرُ حبَّهُ ** وتعيش تسعدُ بالعَطاء وبالقِرَى
وتسير بين أحبةٍ وعشيرةٍ ** عَفَّ اللسانِ فكان دَوماً ذَاكرا

سرت نحوك الركبان

للأستاذ/ محمد عايش عبيد

أحنّ إلى أرض الحجاز لكى أرى ** رباها ماترنوا إليه العوالم

هنالك فيها البيت بيت لربنا ** على الأرض إذ يأتى إليه الأكارم

بناه الملائكة الكرام ولم يكن ** على الأرض بيت قبله ثَم قائم

بَنَوه ليبقى قِبلة ومثابة ** وأمنًا لكل الناس مذ جاء آدم

ألا أيها البيت العتيق تحيةً ** من القلب تسرى، والخواطرُ حوّمُ

سرت نحوك الركبان تهفو قلوبهم ** بحبٍّ يفوق الوصف فالحب عارم

أيا خير أبنية الوجود فإننى ** أحُج بقلبى كل عام.. أداوم

أحج بقلبى دون جسمى ورؤيتى ** أطوف وأسعى ثَمَّ والكون نائم

●●●

أنادى إله العرش، لبيك إننى ** ملىء بأثقال، وإنك راحم

هنالك فى عرفات، فى خير تربة ** فكم حلّ فيها تائب ثم نادم

على جبل الرحمات أضرع داعيا ** فنِعم بقاع الأرض نِعم المعالم

فكم جاءها الحجاج من كل بقعة ** يريدون غسل الذنب، والله عالم

وربك غفار يجود بعفوه ** بمنّ بما يرجوه عبدٌ مُسَالم

أيا فرحة الحجاج، فاضوا إلى مِنى ** ويرمون بالجمرات فالرمى دائم

طافوا ببيت الله مثل قدومهم ** إلى الأهل عاد الكل والعود لازم

هُوَ اللّٰه

شعر/ السيد الصديق حافظ

طوى الدهرُ صفحةَ عامٍ غبر ** فأمسى حديثاً لمن يدّكر!
يمرُّ الزمانُ وأحداثهُ ** مرورَ الرؤى وتوالى الصُّوَرْ!
نهارٌ يكرُّ وليلُ يفرُّ ** وبينهما يتلاشى العُمُر!
فهذا الهلالُ الذى نجتليه مِنْجلُ حصْدٍ يجذُّ العُصُرْ!
بَلىَ! إنه القوسُ نُرْمىَ بها ** ومن شدَّةِ النزْع يخفى الوتر!

●●●

لئنْ مَرَّ عامٌ عميقُ الأثرْ ** فقد حلَّ عامٌ عظيمُ الخَطَرْ!
ولايعلمُ القومُ ماذا بهِ ** وماذا يخبِّئ فيه القَدَرْ!
وكلٌّ إلى ربِّه صائرٌ ** إذا ما أتى الموعِدُ المنتظَرْ!
ولله فى خلقِه حكمةٌ ** له الحكم فيما قضَى أو أمَرْ!

●●●

تعاليت ياربِّ فوق الزمانِ وفوق المكان وفوق البشَرْ!
خلقْتَ الزمانَ وقدّرتَهُ ** وصُغْتَ الوجودَ لأمرٍ قُدِرْ!
إذا الدينُ والعلمُ قاماَ على ** شئون الحياةِ خلَتْ من كدَرْ!
فما الدينُ إلا سبيلُ الهُدَى ** وما العلمُ إلا ضياءُ سَفَر!
وما اصطدما قَطُّ فى موقِفٍ ** فهذا الحديثُ وهذى السُّوَرْ!
ومَنْ كذَّبوا اللهَ فى كتْبِهِ ** فهم فى ضلالٍ وهُمْ فى سُعُرْ!

●●●

حَنَانيْكَ ربى زمَانِى مَضَى ** وبُسْتَانُ عُمْرِى ردىءُ الثَّمَرْ!
إذا جاءك الناسُ يوم الحساب ** بأعمالِ خيرٍ وجئتُ بشَرْ!
فلا ضاقَ عفْوُك عنْ مذْنبٍ ** يَعضُّ البنَانَ على مابَدَرْ!
تَعالى عُلاكَ! فمن لى سواكَ؟! ** وهل منكَ إلاّ إليك المفَرّ؟!

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

أثر الهجرة

لفضيلة الأستاذ الشيخ/ السيد شريف

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فكلما أهل هلال شهر المحرم، تذكر المسلمون بالإعجاب والإكبار حادث الهجرة المباركة، هجرة النبى الكريم - صلوات الله وتسليماته عليه - هو وصحبه الأطهار من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، من أجل إعلاء كلمة الله، ونشر دينه، ضاربين بهذه الهجرة أروع المثل فى التضحية والفداء والاستهانة بمفارقة الوطن والأهل والأموال فى سبيل حماية العقيدة، والثبات على المبدأ الحق، لقد كانت الهجرة حدا فاصلا فرقت بين الحق والباطل، وفصلت بين الهدى والضلال، وباعدت بين الإيمان وعبادة الأوثان، شع بها نور الإسلام فى أجواء شبه الجزيرة العربية، ثم نفذ إلى ما حولها، وإلى ما وراء ذلك من أقطار الأرض. فكل خير أصابه المسلمون منذ انتقلت الدعوة الإسلامية إلي المدينة المنورة، وكل عزة أدركوها على مر الدهور والأعصار إنما كان ثمرة طيبة لهذه الهجرة المباركة.

إن حدث الهجرة يضع أمام المسلمين، بل أمام الدنيا كلها والعالم أجمع صورا حية، ومثلا عليا للبطولة الحقة والتضحية المثالية النادرة فى تحقيق الأهداف السامية والأغراض الإنسانية الفاضلة – إنها حقا – لمن أهم أحداث التاريخ الإسلامى التى يجدر بنا أن نقف طويلا عندها، ونحلل كل جانب من جوانبها ونستضئ فى حياتنا وفكرنا بما أوحت به من مبادئ ومثل، وما بثته من قيم تقوم على أساسها خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

قال الكاتب – رحمه الله – :

إن هلال المحرم ليذكرنا بهذا الحادث الذى قام فيه الصراع بين قوم تغلغلت فى نفوسهم الجهالة، وتمكنت منهم الضلالة، ورجل من أشرف بيوتهم نسباً، وأكرمها محتدا، نشأ بينهم فقيراً، وتربى يتيما.

فلما بلغ أشده واستوى، قام يسفه آلهتهم، ويحقر عقائدهم، وقد اعتزل عبادتهم فى فتوته، وهجر ناديهم فى صبوته واتجه بنفسه إلى نوع من العبادة والتدين ندَّ عن فهمهم واستعصى

على إدراكهم، حينما فاجأهم بصوت الواثق مما يقول، المطمئن إلى ما يعتقد، ياقوم: إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم ضرا ولا نفعا ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

ولكن قريشاً عز عليها ما ألفت، وهالها أن تفقد ما هى عليه من جاه وسلطان، فتنكرت لهذه الدعوة الجديدة، وعملت جاهدة على محاربتها، والقضاء عليها فى مهدها، قبل أن ينبثق نورها، ويتألق فى الخافقين ضوءها.

وتنفيذا لما عقدت عليه العزم أنزلت أقسى ضروب التعذيب، وأنكى أساليب القسوة والاضطهاد بالمستضعفين الذين رأوا فى الإسلام عدلا ومساواة، وتقريراً لكرامة الإنسان، ونزل إلى هذا الميدان سادتها وكبراؤها، وفى هذه الفترة امتحنت حرية الرأى بأشق وسائل الامتحان وابتليت بأعنف صنوف الابتلاء، وقد كظم المسلمون غيظهم، وصبروا يستعذبون الألم، ويستسيغون مرارة العنت حرصاً على دينهم، وانتهازاً للفرصة المواتية التى يستطيعون فيها أن يحاسبوا الظالم، ويواجهوا المستكبر، ويخاصموا الباغى.

واستمر الرسول ومن ورائه الذين آمنوا به يدعون الناس إلى دين الله، واندفع المشركون فى عتوهم وطغيانهم، يسرفون فى الإيذاء لهم، والتنكيل بهم. فقد أعماهم عن الحق الصلف والحرص على ما ورثوه عن آبائهم من رياسة وصدارة وكان لصنيعهم أثر لم يقدروه، فقد ازداد به الرسول وصحبه استمساكا بدينه، وكفاحاً لصون عقيدتهم، مؤمنين بأن طبيعة النفوس محاربة الهداة والمصلحين، ومطاردة الدعاة إلى المبادئ السامية، ولأغراض النبيلة ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[1] وموقنين بأن لهم – لا محالة – إحدى الحسنيين، الشهادة أو النصر.

ولما لم تفد مع رسول الله وصحابته أساليب التهديد المتنوعة، ووسائل الكيد التى لم يدعو شيئاً منها، مالوا عن الشدة إلي الملاينة، وعن العداوة إلي المصانعة، وبذلوا له الوعود ومنوه بالمال والجاه، وعرضوا عليه بيعة بالملك والطاعة، فأجابهم فى حزم وقوة، وثبات ويقين بقوله المأثور: «والله يا عم ولو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته».

وكيف يرضى بما بذلوا من وعود، وهو الذى عرض عليه أن تكون له بطاح مكة ذهبا فقال: «لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما».

وقد دفع هذا الموقف الكريم المشركين بعد أن باءوا بالفشل فى محاولتهم إلى أن يزدادوا غياً على غيهم وضلالا على ضلالهم، وبالغوا فى إيذاء المسلمين بكل ما هو فى مقدورهم غير متورعين ولا متعففين.

ولما كان هدف الرسول أن ييسر السبل لنشر دعوته، فقد بدأ يفكر في الهجرة من مكة حفاظا عليها، وتمكينا لها. بعد أن ضاق ذرعا بإيذاء أهله ومحاربة عشيرته، واستيقن أن تربة مكة وعليها هذا الكفاح المستمر، والنضال القوى لا تصلح موطنا للذى ينادى به فى أنديتها ومجالس سادتها وأشرافها، من حب وإخاء. ومودة وسلام، وحرية ومساواة، وقد أوحى إليه أن الصبر على الأذى. والإقامة على الضيم، ظلم للنفس وهضم لحقوقها، وقضاء على حريتها.

(١) يوسف ٥٣.

وتمكين لليأس منها، ومن يرتضى لنفسه هذا الظلم ليستحق اللوم والتأنيب ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾(٢).

وأخيراً، بهذه الدوافع وبعد أن مضى من عمر الدعوة ثلاثة عشر عاما. ينافح ويكافح، قد أسر بدعوته حينا وجهر بها أحيانا باذلا أقصى ما يستطيع من جهد ووقت، حريصا أشد الحرص على أن يستجيبوا لما يدعوهم إليه، وقابل أذاهم فى هذه الحقبة من الزمن، بصدر رحب ونفس مطمئنة، علهم يثوبون إلي رشدهم ويذعنون لصوت العقل، ونداء الضمير، ولكنهم بالغوا فى خصومتهم. وافتنوا فى عداوتهم، ولم يؤمن به إلا أقلية تنزهت عن الغرض ونأت عن العَرض، قر رأى الرسول الكريم على الهجرة من البلد الذى نبت فيه، ودرج فوق أديمه، وأشرب قلبه حبه، يذكر معه أهله وجيرته. إلى البلد الطيب الذى أقبل أهله عليه يعاهدونه علي الوفاء لدينه، وبذل النصرة لتعاليمه، ضاربا بذلك المثل الرفيع فى التضحية والإيثار، والمثابرة والاحتمال، مع بعد الشقة، ووعورة الطريق. وقسوة الصحراء، وكان المشركون يترصدون خطى الرسول ويتسمعون لأخباره، وقد وصل إليهم نبأ الليلة التى قدرها لرحيله: وقد آوت فيه قريش إلى مضاجعها وسكنت فى مخادعها إلا فتية قد ملأ الشر قلوبهم، وأكل الغيظ أكبادهم، فسهدت أجفانهم، وقد كانوا من شباب قريش الأشداء ينتمى كل فرد منهم إلى بطن من بطونها. حتى يتفرق دمه فى القبائل. فلا تقدر بنو عبد مناف على الثأر له. وتربصوا به أن يخرج ليقتلوه، فتهدأ ثائرتهم، وتستريح مكة من جلجلة هذا الصوت القوى. ولكن قضاء الله رد كيدهم إلى نحورهم، إذ خرج الرسول من مضجعه وهم قيام ينظرون، بعد أن ترك علياً يتدثر ببرده، يتحدى الموت الماثل والهلاك الراصد.

ولما تبينوا فشلهم ردوا سيوفهم إلى أغمادها، وصدورهم تغلى حقدا، وتضطرم غيظاً وانقلب أعوان الباطل إلى أهليهم حيارى: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾(٣) ثم عقدوا العزم على ملاحقة الرسول وصاحبه. وساروا يقتفون أثره إلى أن وصلوا إلى غار ثور، وداروا حوله، ثم عادوا مهمومين آسفين، تلاحقهم الخيبة ويصاحبهم الفشل، مع أن أحدهم لو نظر تحت قدمه لرآهما، ولكنها رعاية الله لهما وعنايته بهما ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٤).

---

(٢) النساء ٩٧.

(٣) يس ٩.

(٤) التوبة ٤٠.

وبعد ثلاث ليال رحل إلى المدينة وفى وجوها الندى العطر، تفجرت ينابيع الهداية، وشع نور التوحيد وتفتحت قلوب أهلها إلى الدين الجديد الذى آخى بينهم على اختلاف قبائلهم وتفاوت مراتبهم وأحل الوحدة الدينية محل الوحدة القومية - فأصبحوا بنعمة الله إخوانا:

﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٥)

وتسابق أهلها إلى رسول الله يعلنون إسلامهم فى صراحة، لا تعرف الالتواء، وشجاعة عرفوها منذ القدم حببت إليهم أن يحملوا نفوسهم على أكفهم فى سبيل نصرته، والدفاع عن دينه، ويخرجوا عن أموالهم وديارهم فى سماحة ورضى لإخوانهم المهاجرين. وبعد حقبة من الزمن عاد الرسول وأصحابه إلى مكة فاتحين، ثم توالت بعد ذلك فتوح القرى والأمصار.

وكانت الهجرة مفتاح النصر للمسلمين لأنها نوع من الجهاد الحق الذى يتسم بالقوة والإقدام، ويجافى الضعف والتردد، والذلة والاستكانة، وفيها مغالبة لأهواء النفوس، وحث على صون الحياة من الخنوع والهوان، وهى مثل خالد يدفع الزعيم الذى يبغى التوفيق، والقائد الذى يأمل الظفر، أن يتزعم المجالدين المكافحين ويتقدم الصفوف، ويبرز إلي مواطن التضحية، ويقاسم أتباعه ما ينالهم من سراء وضراء، وما يلقونه فى مجتمعهم من عسر ورخاء، مادام مؤمنا بحقه، مخلصاً في عمله، يهدف من نجاح دعوته إلى إقرار المبادئ الإنسانية التى تحارب الفروق بين الطبقات وتشعر الجميع بالعدالة والحرية والمساواة.

وقد رسم الزعيم الأول - صلوات الله عليه وسلامه - الطريق المستقيم، والنهج الواضح للسياسة الشعبية الحكيمة، حينما قدم الفرد لعمله لا لحسبه، ووسد الأمور إلى مستحقيها ممن يتسمون بالكفاية والنزاهة، والعفة والطهارة، إذ يقول لأهله لا يأتونى الناس بأعمالهم. وتأتونى بأحسابكم.

وما أحوج زعماء المسلمين أن يأتسوا بزعيمهم الملهم، فيصدفوا عن المآرب والأغراض، ويتجردوا عن الأثرة وحب الذات، ويتعرفوا آلام أممهم وآمالهم ليفسحوا لها مكانا فى ركب الحياة الكريمة، وقد أورثهم هو ومن اتبع سننه دولة قوية الأساس، متماسكة البناء. قادت الأمم، وأرست بين الشعوب قواعد العدل والإنصاف، ونشرت بينها ألوية التعاون الإخاء.

وفق الله القادة والزعماء إلى الطريق السوى، وبصرهم بما فى الهجرة من قدوة حسنة، ونهج قويم.

---

(٥) الأنفال ٦٣.

الغُزاة الصَامِتُونْ

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

ترى من أولئك الغزاة؟ وأى شئ يحتاجون؟ وأين يعيشون؟ وعلام يتغذون؟.

كل تلك التساؤلات وغيرها، يجيب عنها العلماء فى الأسطر التالية:

اعلم - متعك الله بالصحة والعافية - أن هؤلاء الغزاة مخلوقات غريبة فى كون الله الواسع، تعيث فى الارض فسادا، اتخذت لها مكانا ما، يقع فى منطقة ما بين الحياة واللا حياة. وعلى الرغم من وهنها الظاهر، إلا أن باستطاعتها استعباد الخلايا الحية، وابتزازها، واستغلال كل مواردها فى إنجازها مهام لا طاقة للإنسان على مقاومتها، إلا بقدرة القوى المقتدر. وهذه المخلوقات الدقيقة الحجم، تقوم بأعمال يكاد يناقض بعضها بعضا، فبرغم أنها تكاد تكون ميتة، لكنها تعرف تماما كيف تغزو الخلايا الحية، بل تأخذ بزمام كل عمليات الحياة الضرورية لجسم الإنسان.

أظنك عزيزى القارئ قد أدركت الآن: عم نتحدث؟ أجل إن الحديث يدور عن: (الفيروسات)، تلك المخلوقات الواهية القوية فى آن معا.

فعلى خلاف (البكتريا)، التى هى: عبارة عن كائنات صغيرة الجِرم، لكنها كائنات حية، تستطيع سكنى الجسم والاغتذاء على الأنسجة البشرية، فإن (الفيروسات) أجسام أصغر حجما، وأدق جِرما، وأبسط تركيبا. ومن عجب أنها لا تأكل ولا تنمو، بل حتى لا تتوالد، أو تتناسل بنفسها. ولكى تبقى على قيد الحياة، فإن لزاما عليها وحتما أن تقوم بغزو الخلايا الحية، وتتولى بنفسها إدارة وتشغيل الآلة الداخلية لكل خلية، موجهة كل قدرات خلايا الجسم البشرى إلى إيجاد وتصنيع صور طبق الأصل من (الفيروس) المعتدى، وهذا هو بالضبط تعريف (الفيروس): إنه جُسيم مجهرى الشكل، يتسبب فى إجبار خلايا الجسم الحى على إنتاج وفرة من (الفيروسات)، ثم تقوم هذه (الفيروسات) حديثة التصنيع بالفرار من الخلايا، التى أصبحت منهكة القوى، بل غالبا ماتكون قد لقيت حتفها، وأبيدت، وعندئذ تنطلق تلك (الفيروسات) وهى فى حالة ما بين الحياة واللا حياة، تنطلق فورا إلى أهداف جديدة لتكرر ما قامت به من جُرمٍ خطير، وتبدأ دورة الكر والفر من جديد.

وبعد أن يتم هذا الفعل الشنيع، فإن معظم (الفيروسات) تكون هى السبب المباشر فى وجود أنواع ثانوية من العدوى: كالإصابة بنزلات البرد أو

(الأنفلوانزا) مثلا، بيد أن لبعض (الفيروسات) آثارا أكثر تدميرا، وأشد فتكا، وأعظم ضررا، إذ ينشأ عنها مرض (السرطان)، أو مرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز)، الذى ينشأ عن (فيروس HIV). كما ينتج عنها شئ ما بين هذا وذاك، كمرض (الهربيز) المعروف بـ(القوباء) وهو مرض جلدى، أضف إلى ذلك وباء (تيبس الكبد وتشحمه) والتهاب الغدة النكفية، والاكتئاب، والحصبة، وكلها أمراض (فيروسية) ندَّرع لها بدعاء النبى الكريم – صلى الله عليه وسلم – حين قال: «اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل....»[1] الحديث.

ولا تقتصر الأمراض (الفيروسية) علي الإنسان، بل تتعداه إلي الحيوان، وذلك كداء (السعار)، الذى يصيب معظم الحيوانات. أما (الجدرى) فمرض لا يشارك الإنسان فيه غيره.

ولقد تبين للعلماء عند دراستهم لـ(الفيروسات) بشئ من التفصيل والمعايشة، شملت كل مراحل حياة (الفيروس) من أعلاها، حتى آخر جزئ فى تركيبه تبين لهم أمور أشبه بالخيال، ومن ثم بدأوا يتفهمون إلى حد كبير طبيعة حياة ذلك المخلوق غريب الأطوار. واتضح لهم أن (الفيروس) ليس قوة غامضة، فهو ينشأ عن سلسلة من التفاعلات الكيماوية تحدث بطريقة آلية عند اجتماع تركيبات واندماجات من بعض المواد، والتى يمكن لحسن الحظ التنبؤ بها، والعمل السريع على الحد من آثارها. وصفة الآلية واضحة جلية فى كل عمليات حياة (الفيروس) لدرجة يمكننا معها أن نشبهها بالسيارة، التى تعمل أيا كان الشخص، أو العامل، الذى يحرك عجلة القيادة، وأيا كانت الوسيلة التى تمدها بالطاقة، اللازمة لتشغيلها، أى أن التفاعلات الكيماوية التى تعتبر جوهر حياة (الفيروس) يحركها ويسيطر عليها ويتحكم فيها البناء الجزيئى شديد الذكاء، والخاص بجسم غير حى يُسمى (الفيروس).

لكن وكما يمكن عرقلة السيارة وتعطيلها عن السير لأسباب خارجية، فإن آليات الحياة الخاصة، بـ(الفيروس) يمكن أن تنقلب رأسا على عقب، فتكون النتيجة نهاية مميتة وضربة قاصمة لمن يُصاب بها، وهذا هو بالضبط ما حدث لـ(ديفيد).

و(ديفيد) هذا صبى من ولاية (تكساس) الأمريكية عرف بـ(الصبى الفقاقيعى)، والسبب أن جسمه كان عبارة عن فقاقيع، وحبيبات، وقد مات عام ١٩٨٤، بعد أن قضى انثتى عشرة سنة، هى تقريبا كل عمره، قضاها داخل وحدة عزل معقمة، محاطا بكبسولة، أو واقٍ مصنوع من البلاستيك، لحمايته من (البكتيريا) العادية، و(الفيروسات)، التى تسببت له فى أخطار ثانوية، أى غير أساسية، وغير مؤثرة بالنسبة للناس العاديين، أو لنقل لمعظم الآدميين. و فى محاولة لزرع خلايا لـ(ديفيد) تم أخذها من شقيقته، وذلك لإعطائه جهازا مناعيا قويا، فقد وضع الأطباء دون أن يدروا أحد (الفيروسات) فى جسم ذلك الصبى مما تسبب فى موته.

وقد أمد موت ذلك الصبى العلماء بواحدة من أشد الصور رعبا، وأراهم بما لا يدع مجالا للشك ما لهذا (الفيروس) من تأثير فتاك.

وحكاية (ديفيد) كما ترويها الـ(واشنطن بوست) تبدأ منذ ولادته. فبعد وقت قصير من قدومه للدنيا اكتشف العلماء –ويا لهول ما كتشفوا – أن جسده عاجز عن انتاج خلايا الدم الخاصة بمهاجمة

(١) البخارى ٤/٢٣.

(الفيروسات) و(البكتيريا). ولعلمهم أن أقل أنواع العدوى يمكن أن تُودِيَ به فقد قاموا بوضعه فى غرفة (حجر صحى)، بعد أن أخلوها تماما من الجراثيم انتظارا لشفائه. وأخذت الأيام تمر، وديفيد يعانى سلسلة متصلة من الفقاقيع المتزايدة غطت كل بدنه فى كل مكان يذهب إليه، سواء كان فى المستشفى، أو البيت، أو حتى وهو فى وحدة علاجية متحركة، أُعدت له خصيصا فى سيارة. وكانت الخلايا التى تنقصه تُنتج عادة في النُخاع العظمى، وكان من المحتمل أن زرع نخاع سليم من متبرعين ذوى صلة وثيقة به كان من المحتمل أن تساعد في شفائه، لكن لم يكن له أقارب تتوفر لديهم الخلايا المطلوبة، وعلى الرغم من أن جسمه كان ينقصه الجهاز المناعى الكفء، الذى لا يتسبب فى رفض النخاع المزروع، إلا أن العكس كان هو الصحيح، إذ رفض النخاع البقاء فى جسمه.

وعندما بلغ الصبى الثانية عشرة من عمره تمكن العلماء من تطوير طريقة للتعامل مع النخاع المأخوذ من أخته، وذلك لإزالة الخلايا، التى يحوم حولها الشك فى أنها تهاجم جسمه. تم زرع النخاع، وبعد انقضاء أقل من ثلاثة أشهر – ثمانين يوما – مرض الصبى مرة أخرى، وأخذت أعراض المرض تتوالى: فقد الصبى الكثير من وزنه فى البداية، ثم أصابته حمى معدية، وآلام فى المعدة، واستسقاء، ثم أخذ يقئ دما – وقانا الله وإياكم – وفيما أخذ الأهل والأطباء يشاهدون – وهم لا يملكون لمريضهم ضرا ولا نفعا – أخذت حالته تزداد سوءا، حتى وافته المنية بعد أربعة أشهر من زرع النخاع، وقد أصيب الأطباء بالهلع والذهول عند تشريح جثته، والسبب أنهم اكتشفوا أن ما أودى بحياته ليس العدوى المعتادة، ولا حتى هجوم شنه النخاع المزروع، إنما مات (ديفيد) بـ(السرطان)، فقد اجتاحت جسده المهترئ حفنة من الأورام، حجم الواحد منها لا يزيد على حبة الفاصولياء، احتوت كل حبة منها على (فيروس) شديد الانتشار، معروف لدى العلماء بـ(الفيروس أحادى النواة)، وهى عدوى شديدة التأثير، وإن كانت وقتية سريعة الزوال، تصيب بصفة مبدئية الأطفال، وصغار البالغين.

ولقد كانت أخت (ديفيد) مصابة بهذا (الفيروس) منذ حياتها الباكرة، ومن الواضح -كما استنتج الأطباء- أن (الفيروس) قام باجتياح خلايا نخاعها، ثم قام جهازها المناعى القوى بكبح جماح ذلك (الفيروس) الواهى. ولكن هذا (الفيروس) الهش، تمكن بعد أن أفلت من هذا القيد أن يعود للحياة مرة أخرى فى جسم (ديفيد)، وأخذ يمارس إفساده فى جسد لا يملك إلا جهازا مناعيا تعطل عن العمل تقريبا، وكانت الأعراض الأولى، التى أصيب بها جسم ديفيد هى أعراض (الفيروس أحادى النواة) لكن مع استمرار العدوى، أخذت الآثار المميتة فى الظهور شيئا فشيئا، حتى استشرت تماما. هذا وقد عُرِفَ (الفيروس) باسم العالمين اللذين اكتشفاه. و(الفيروس عضو من عائلة (الهيربز) وهى (فيروسات) وثيقة الصلة بـ(الفيروسات) التى تصيب الأعضاء التناسلية، و(قُرح) البرد فى الفم، و(سرطان الغدة التيموزية THYMUS GLAND) أو (السعطرية)[٢] و(سرطان) آخر يُدعى: (بريكتز ليمفوما BURKITT'S LYMPHOMA).

وهناك آلاف الأنواع من الفيروسات، لكنها تشترك جميعا فى أنها مركبة من جزأين أساسيين: وهو اندماج ذو فائدة. غلاف بروتينى خارجى يخدع الخلية ويغريها، ويدفع بها إلى امتصاص (الفيروس) واستيعابه فى محتوياتها. وما إن يخترق (الفيروس)

(٢) غدة صغيرة صماء قرب قاعدة العنق.

غشاء الخلية، حتي يقوم (الغلاف البروتينى) بالتخلص من الجزء الثانى المختبئ بداخله، وهو عبارة عن بعض من (الحمض النووى) الذى يحمل بين طياته التعليمات الوراثية لـ(الفيروس)، وهى عبارة عن مورثات تعمل، وتتصرف تماما، كتلك التى تم تشفيرها فى (الجينات الأصلية) لكل الخلايا. والرسائل (الفيروسية) رسائل خاصة، لكنها مكتوبة بنفس الشفرة التى تم تزويد الخلية بها من قبل لكى تقرأها وتنفذ ما بها حرفيا ودون إبطاء، والهدف من هذه التعليمات الصارمة هو إجبار الخلية على تخليق (فيروسات) جديدة، تشبه تماما (الفيروس) الذى أغار على الخلية، وقام باقتحامها وباستطاعة (فيروس) واحد إجبار الخلية علي تصنيع مئات من (الفيروسات) المزدوجة، التى تتمكن فى النهاية من التسرب، لتواصل زحفها فى اجتياح خلايا أخرى، وتستطيع بعض (الفيروسات) أن تجعل الخلية منفذة للأوامر دون أن تتخلى الخلية نفسها عن القيام بأداء الوظائف الخاصة بها، ومن ثم لا ينشأ عن هذا (الفيروس) أى مرض، بينما تقوم (فيروسات) أخرى بما يمكن أن نطلق عليه: «استعباد الخلية وتسخيرها» إذ يأخذ (الفيروس) بقيادها، ويدفع بها – فى منتهى القسوة – لدرجة تتوقف معها الخلية عن أداء المهام المنوطة بها، وإلا فقدت حياتها في الحال، إذ تأخذ العدوى فى السريان فى أوصالها، ثم يأخذ عدد الخلايا المقتولة يتضاعف، وتتراكم الخلايا المحبطة، مما ينتج عنه: بيئة ينشأ فيها المرض، وأعراضه، و(فيروس الهيربيز) الذى يسبب (خراريج البرد) يقتل ببساطة الكثير من الخلايا فى جلد (الشفة) وينشأ عنه (نُدبة) من الخلايا المتعفنة الميتة، والمعروفة علميا بـ(القرحة). وأما (فيروس الكساح) فإنه يغزو خلايا الأعصاب، ويقوم فى أثناء إبادتها بايقافها عن عملها، مما ينشأ عنه (شلل الأطفال).

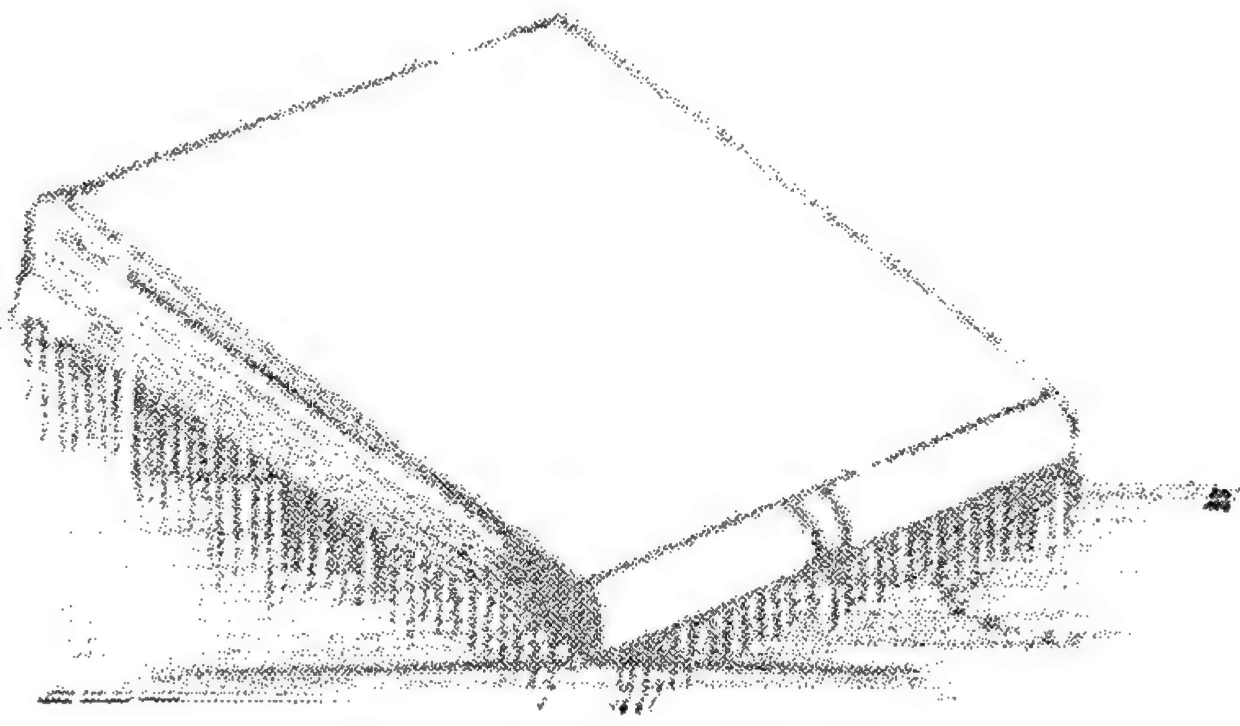
وإضافة إلى عامل نوع (الفيروس) هناك عامل التوقيت، أى: الزمن الذى تتم فيه هذه العملية، وهو زمن شديد التنويع سريع الخطوات، فمن قتل الخلايا في غضون دقائق معدودة إلى تركها دون أن يمسها أى سوء، بل جعلها تؤدى وظائفها لسنوات. كل ذلك يحدث، و(الحمض النووى الفيروسى) يقبع صامتا حتى ينتهز فرصة تغفل فيها الخلية، فيحدُثَ تغيرات فى بيئتها الداخلية، تُمكن (الفيروس) من أن يفعل فعله.

ويشك بعض الباحثين أن تلك (الفيروسات) البطيئة، المزعومة، يمكن أن تكون السبب الحقيقى وراء تنويعة كبيرة من الأمراض، غامضة السبب، مثل: تصلب العديد من الأنسجة، و(الزهايمر) وبعض أشكال (السرطان)، وأنواع (الروماتيزم). وحيث إن التفاعل الوئيد لـ(الفيروس) الذى ينشأ عنه القدرة علي إحداث المرض يستغرق وقتا طويلا، فمن الصعب توضيح انتقاله من حيوان لآخر فى المعمل. وبينما يعرف علماء الحياة المتخصصون فى دراسة الجزيئات، الكثير عن دورها فى حياة الغزاة الصامتين: (الفيروسات)، فإن استنتاجاتهم توحى أنهم توصلوا إلى طرق حديثة لمواجهة أخطر الأمراض التى تصيب البشر. وكلما تقدم البحث العلمى، كلما أطلعنا على رؤى عميقة، تزيد فهمنا لطبيعة الحياة فى أدق مستوياتها، وهو أمر يجعلنا نشهد للخالق بطلاقة القدرة، ونؤمن بصدق بقوله تعالى:

﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾(٣).

(٣) سورة النساء الآية : (٢٨).

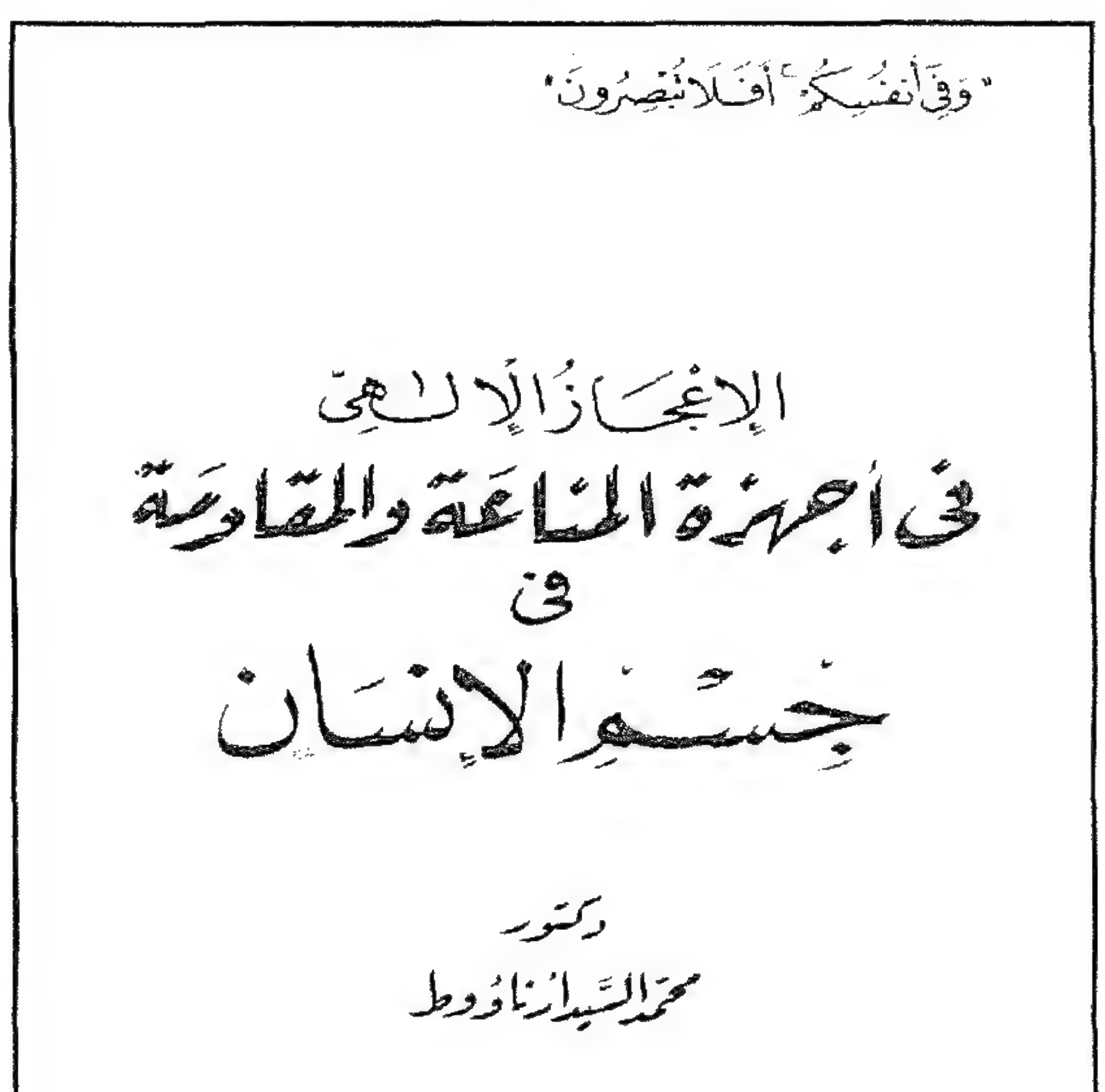
دوحة الكتب



إعداد:
محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافدا من أهم روافد الإشعاع الثقافى؛ ولذا نقدم- دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة- تعريفا بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية.

المحرر



● عزيزى القارىء: ليست هذه المرة الأولى، التى نطرح من خلالها كتاباً علمياً مرتبطاً ارتباطا وثيقا بالإعجاز الإلهى، ولكن هذه المرة نطرح كتابا يتحدث عن هذا التلوث البيئى الذى نعيش فيه وهذه الحرب المندلعة من أقل المخلوقات حجما وأحقرها شأنا وأصغرها وزنا وأبسطها شأنا من ميكروبات وجراثيم بكتيرية وفطرية وفيروسية على الإنسان فتصيبه بالمرض

والضعف.. وقد تؤدى إلى القضاء على حياته.

لقد أصبح العالم تصارعه أضعف المخلوقات وتقضى عليه برغم التقدم التكنولوجى، والحضارى.

وجبروت الإنسان على الأرض إلا أن هذه الطفيليات الضئيلة، تزيد من قلقه وتحاصره أينما كان ولكن الخالق المبدع، لم يترك الإنسان ضعيفا لا حول له ولا قوة، وسط غابة من الحشرات والكائنات التى تحيط به من كل جانب، وتتربص به، ويمكن أن تقضى عليه فى اية لحظة.

● ففى هذا الكتاب حديث عن أجهزة المقاومة، والدفاع الطبيعية ضد الميكروبات، والجراثيم، فى جسم الإنسان، وما فيها من إعجاز فى الخلق، وإبداع فى الصنع، ويحكى قصة المعارك الطاحنة، التى تدور بين الميكروب المرضى -عند غزوه لجسم الإنسان-، وبين أجهزة الجسم الدفاعية، التى تدور رحاها فى جسم الإنسان.

● بدأ المؤلف الباب الأول بجولة مع الإعجاز فى خلق جهاز المناعة والدفاع الطبيعى ضد الميكروبات فى جسم الإنسان وتحدث عن الخلايا الليمفاوية، التى تحمى الجسم، وتدافع عنه وتقوم بوظائف كثيرة للجسم تساعده على التصدى للبكتيريا والميكروبات.

● أما الباب الثانى فتحدث فيه المؤلف عن تركيب الجهاز المناعى ووظائفه، وطرق مقاومة الجسم للعدوى بالميكروبات، ثم تأثير الانفعالات على جهاز المناعة الطبيعية فى جسم الإنسان

● ثم تحدث عن الخلايا البائية B-cells وهى عبارة عن قذائف مدفعية خاصة لقتل الميكروبات المهاجمة.

● ثانيا: طرق مقاومة الجسم للعدوى بالميكروبات وقد تحدث فيه عن الأمراض البيئية والأمراض الوراثية

● ثم تحدث عن الحصانات فى جسم الإنسان: كالحصانة الطبيعية والحصانة الصناعية

● اما الباب الثالث فتحدث فيه المؤلف عن وسائل المقاومة، والدفاع الطبيعية بجسم الإنسان من الخارج حيث أشار إلى جلد الإنسان، والجهاز التنفسى، والعين، والأذن

● ثم بين المؤلف فى الباب الرابع أجهزة المقاومة والدفاع الطبيعية ضد الميكروبات داخل جسم الإنسان من حيث الدم، والجهاز الهضمى، وملحقاته، والجهاز البولى،

والجهاز الليمفاوى، ودوره فى المقاومة الطبيعية ضد الميكروبات.

● ثم تحدث عن الأدوية الضارة على الكبد، المباشرة وغير المباشرة وتحدث عن تأثير الأدوية على الكبد كاصفرار العينين- وتضخم الكبد، وانسداد القنوات المرارية، وتهتك خلايا الكبد، وتليف الكبد، وعقد ليمفاوية فى الكبد، وأورام كبدية حميدة وسرطانية

● وتحدث المؤلف عن الجهاز الليمفاوى قائلا: إنه يحتوى على أوعية ليمفاوية، تنتشر فى جميع أجزاء الجسم، وتسير جنبا إلى جنب مع الأوعية الدموية، وتحتوى هذه الأوعية الليمفاوية على سائل رقيق شفاف، يسمى بالليمف، وأثناء سير هذا السائل فى الأوعية الليمفاوية، فإنه يمر على مرشحات تسمى: بالعقد، أو الغدد الليمفاوية.

● ثم تحدث عن الرضاعة الطبيعية للطفل، ومدى تأثيرها على المناعة

● والجدير بالذكر أن النبات- أيضا قادر على مقاومة الفيروسات والبيكتريا، بواسطة جهاز المناعة، فعند إصابة ورقة نبات بفطر -مثلا- تقوم بعض النباتات بسرعة بتدمير الخلايا المحيطة بنقطة الإصابة، وتنشأ بقعة مستديرة رمادية اللون تهزم البكتيريا أو الفطر، وتمنعه من توسيع انتشاره.

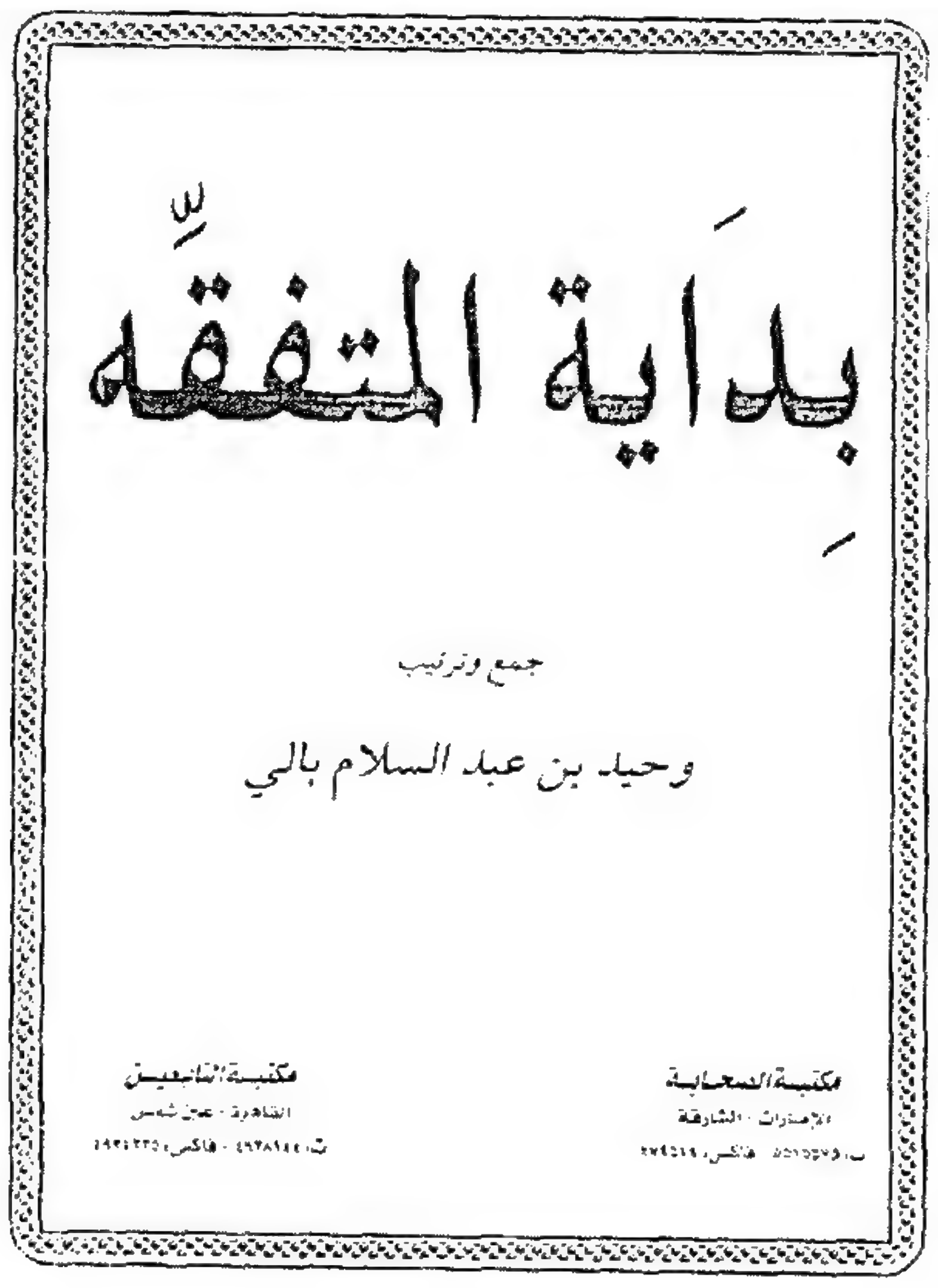
● وهذا الكتاب: يتحدث عن هذه الأجهزة فى جسم الإنسان ومافيها من إعجاز فى الخلق، وروعة فى الأداء، ودورها فى الحفاظ على صحته للاستمتاع بالحياة

● لا شك عزيزى القارىء: أن عمل تلك الأجهزة الوقائية لجسم الإنسان يتناسب تناسبا طرديا مع قوة الإيمان بالله، والإلتزام بمنهجه، واتباع أوامره واجتناب نواهيه

● ولا يملك أى إنسان إلا أن يؤمن بالله خالقه، وخالق كل شىء.. القادر المبدع، والبارىء المصور.. وأن يسجد شاكرا له نعمه، التى لا تعد ولا تحصى، فسبحان الخالق البارىء المصور ﴿ **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾.

● وأخيرا: الكتاب يعتبر فريدا فى نوعه ومادته، ومفيدا فى علمه، وطرق توضيحه وسهولة ألفاظه وأسلوبه العلمى، وإضافة قيمة للمكتبة العربية والإسلامية.

● عـزيزى القـارئ : من يرد الله به خيرا يفـقـهـه فى الدين، لأن الفقه نور الإسلام، الذى يسير عليه المؤمن ويقـتـدى به فى دينه ودنيـاه، فالعلم الإسلامى هو الأساس الذى بنى عليـه الإسـلام، لإنه يبـين ويوضح دسـتـور الإسـلام، وهو القـرآن الكريم.. ويعـرف للناس السنة النبـوية المصـدر الثـانى للتشريع.



● والكتاب الذى بين أيدينا ما هو إلا مشكاة تضىء لأبناء الإسلام الطريق السليم للإسلام، فهو ميسر وموضح لكل أحكام العبادات، والمعاملات يفهمه العامة قبل الخاصة، والصغير قبل الكبير.

فـقـد وضـحـه المؤلف وكـأنه يكتب للأطفـال الصـغـار ويخاطبـهم وينزل منازلهم ويخوض فى إلهـامـهم حتى يصل هذا العلم إلى عـقـولـهم من البداية إلى النهاية.

● فـهو مـختصـر فى الفقه، يضبط شوارده، ويجمع قواعده، اقتصر فيه على ما صح دليله، ورجح مدلوله

رتبه المؤلف على أبواب سـهلة وبسيطة ليكون تمهيدا له ومدخلا إليه.

● بدأ المؤلف كتابه بكتاب الطهارة، وفيه أحد عشـر بابا، منهـا: باب الميـاه، وباب الآنيـة وباب نواقض الوضـوء، وباب التـيـمم، وباب الحـيض، وباب إزالة النجاسة

● ثم شـرح المؤلف كل باب على حـدة، وكل باب له ضـوابط كثـيرة وواضـحـة، كباب قضـاء الحاجة، وشرح فيه ثلاثة ضوابط: أولها ما يحرم كاستقبال القبلة واستدبارها بلا حائل، أيضا يحرم قضاء الحاجة فى قـارعـة الطريق، ولظل ومـوارد الناس ثم وسط القبور.

● ايضـا فى الماء الراكـد فى المسـجـد، ثم الاسـتنجـاء بروث أو عظم أو طعام.

الضابط الثانى : ما يكره

الثالث : ما يستحب

● انتـقل بعـد ذلك إلى بـاب الـوضـــــوء، وباب المسح على الخـفـين، وباب نواقض الوضـوء، وباب الغسل، وباب التيمم، وباب إزالة النجاسة.

● ثم انتقل المؤلف بعد ذلك إلى كتاب الجنائز منهـا: الآداب، التى ينبـغى فـعلهاعند المحتضر، وغسل الميت، وأركان صلاة الجنازة، -أيضا- تحدث عن كتاب الزكاة، وكتاب الصيام،

● وكتـاب الاعتكاف، وكتـاب الحج، وكتـاب الجـهاد، وكتـاب البيع، وكتـاب الحجـر، وكتـاب الشركة، وكتاب العارية، وكتاب الغصب، وكتاب الوقف، وكتاب الوصايا، وكتاب الفرائض

● ثم كـتـاب الـعـتق، وكـتـاب النكاح، وكـتـاب الطلاق، وكـتـاب الإيلاء، وكـتـاب الظهار، وكتـاب العدَّة، وكتاب الرضاع، وكتاب الجنايات، وكتاب الديات، وكتاب الأطعمة، وكتاب الصيد والذبائح، وكـتـاب الأيمـان، وكـتـاب القـضـاء، وكـتـاب الشهادات، وكتاب الإقرار.

● وهكذا عـزيزى القارئ مـازال يبـحر مـعنا المؤلف فى هذا الكتاب، مع كل ما يهم المسلم فى دينه ودنيـاه، فعليك به ليكون لك ولأبنائك للتـفقـه فى الدين والدنيا.

أطلس دول العالم الإسلامى

إعداد الدكتور/ شوقى أبوخليل
الناشر/ دار الفكر بلبنان وسوريا

● عزيزى القارئ بعد التطور المتلاحق فى تكنولوجيا المعلومات، وشبكات الانترنت، واسطوانات الكمبيوتر، التى تحوى الكثير من التقدم العلمى، فى نشر الثقافة الحديثة، بطرق سريعة.

● إلا أن الكتاب سيظل نبراس الثقافة الحضارية.

● ورغم هذا التنافس المرئى والمسموع، إلا أن التطور الحديث فى استخدام أحدث تكنولوجيا الطباعة والإخراج الفنى للكتاب جعله فى منطقة عدم المنافسة.

● وقد قمنا بعرض الكثير من الكتب الشيقة الجميلة البسيطة الأسلوب، والبديعة الإخراج والفاخرة الخامة والطباعة والغزيرة المادة لناشرين تجولوا فى البلاد شرقاً وغرباً لملاحقة التطورات الحديثة فى نظم الطباعة والنشر.

● وهذا الكتاب الذى بين أيدينا يدل على تطور فن الطباعة العربية، فهو أطلس يأخذك معه إلى كل بقعة إسلامية، أو دول يتراوح الإسلام فيها ما بين ٢٠ و٥٠٪ فهو يقدم مصوراً لكل دولة مبيناً عليه الحدود، ثم الموقع فى القارة، التى تنتمى إليها الدولة بالألوان الهادئة المناسبة، وفى الصفحة المقابلة للمصور: العلم والشعار والعاصمة والمساحة وعدد السكان، ونسبة المسلمين، واللغة الرئيسية والنقد المتداول، مع لمحة تاريخية موجزة تشمل زمن دخول الإسلام إليها، إبرز الأحداث التاريخية بها.

● تاريخ الاستقلال إن كانت ممن استعمر، ثم يقدم أيضاً لمحة تاريخية موجزة كبداية الدولة، وبداية ونهاية الاستعمار فيها.

● أيضاً قدم الدكتور شوقى لمحة اقتصادية موجزة.. زراعة، ثروات معدنية، أهم الصادرات.

● ثم الفهرس الميسر الذى جعل من هذا الأطلس صفحة مفتوحة يصل القارئ من خلالها إلى مبتغاه بأيسر طريق، وأقصر وقت.

● لقد ضم هذا الأطلس خمسة وخمسين مصوراً، هى دول منظمة مؤتمر العالم الإسلامى وست مصورات ضمت الدول التى تزيد نسبة المسلمين فيها على ٥٠٪ ثم ستة وعشرين مصوراً فى القسم الثالث ضمت الدول التى تتراوح نسبة المسلمين فيها من ٢٠٪ إلى ٥٠٪.

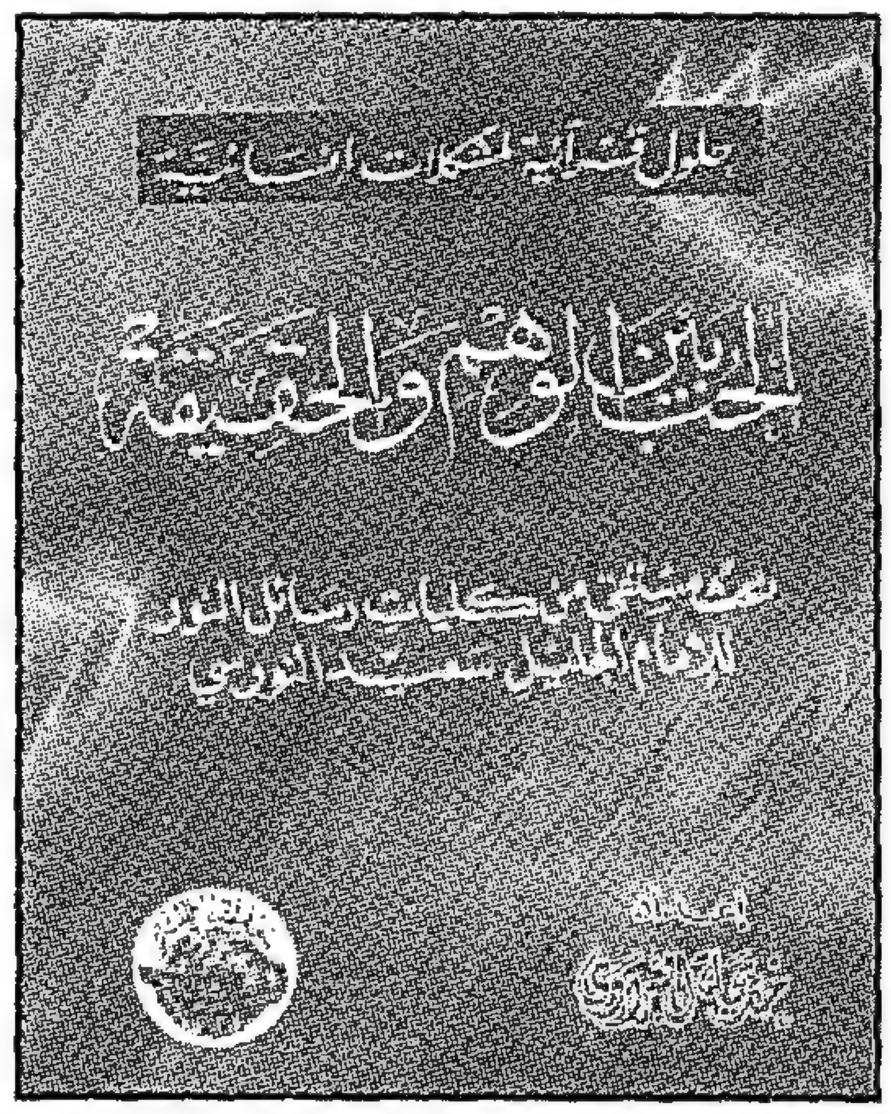
ثم الفهرس العام، ويتضمن الأعلام، والبلدان والأقوام.

● وأخيراً عزيزى القارئ، استمتع معنا بالاطلاع على هذا الأطلس حيث قد خرج فى صورة مرضية، من الناحية العلمية والإخراجية، وبما تضمنه من معلومات عن دول العالم الإسلامى.

● فعليك بهذه الموسوعة الإسلامية التى تعطيك فكرة متكاملة عن المجتمع الإسلامى شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً.

الحب بين الوهم والحقيقة

إعداد/ خديجة النبراوى
الناشر/ سوزلر للنشر



● عـزيزى القـارىء: إذا تحـدثنا عن الحب، فنقول: إن الحب الخالص قد أودعه الله ـ سبحانه وتعـالى ـ فى فطرة الانسـان، لا سـيمـا الوالدين والأخوة والأقارب.

● فالحب كلمة سحرية غامضة، تستثير كوامن الإنسـان، وتطلق العنان للخيـال، وكمـا أن الحب يسعد فكذلك يشقى.

● ونظراً لأن الحب عـاطفة إنسـانية قـوية، فإن الإسلام قد تناولها بالعناية والرعاية، حتى تتحول تلك البذرة الكامنة فى أعماق النفس البشرية، الى شجرة مثمرة.

● وقد قـام الإمـام النورسى، بعـرض مـفـهـوم الحب بما يتفق مع نظرة الإسلام له.

● وها نحن نعرض غيضا من فيض، وقبسا من أنوار لامعة، تبين كيف يكون الحب حبا حقيقيا ساميا يجلب السعادة والهناء، وليس وهما خادعا يجلب التعاسة والشقاء.

● فـالحب الحـقـيقـى ينبع من مـحـبـة الله، ثم ينسـاب إلى المخلوقـات حـبـا وطاعـة لمنهج الله ورسوله، أما الحب الوهمى.. فـهـو الحب النابع من الهوى والشهوات، ففى هذا الكتاب نعرض أربعة مباحث رئيسية.

● أولها جولة فى ميادين الحب داخل النفس البشرية حيث بين الإمام النورسى الحب بأنه متمم الامـتـزاج الروحى، ومكمل الاسـتـئناس القلبى. وهو من ألطف أنواع الرحمة الإلهية، وسر الفعالية المحيرة للألباب الجارية فى الكائنات.

● أيضـا بين الحب الحقيقى، والحب الصـورى، ثم مـحـبـة الله أسـمى أنواع الحب حـيث وضح أن جميع أنواع السعادة الحقيقية، والسـرور الخالص والنعمة التى ما بعدها نعمة، واللذة التى لا تفوقها لذة، إنما هى فى «معرفة الله» وفى «محبة الله» فلا سعادة ولا مسرة، ولا نعمة حقاً بدونها.

● وبين أن الانسـان محتاج إلى محبة الله أشد الاحتياج.

● وتحدث عن حب النفس وأن من مخـاطر البعد عن المحبة انفكاك الروابط المادية، والمعنوية للبشرية.

● أمـا فى المبـحث الثـانى فـتـعـرض البـاحث لموضـوع كيف يجـذب الجـمـال السـرمـدى الخـالد عـشـق الكون كله؟ أيضـا كـيف يجـمـع الحب بين الأرض والسماء، أما فى المبحث الثالث فأشار فيه إلى انهزام العقل والقلب أمام دواعى الهوى قائلا: إن نوازع الانسـان وأحـاسـيـسـه المادية لا ترى العقبى: فتفضل درهماً من اللذة الحاضرة المعجلة على رطل من اللذة الغائبة المؤجلة، كما بينها الإمام النورسى، ووضـح مـعناها، ثم تحـدث الإمـام النورسى عن ضلالات النفس بالهوى.

● أما المبحث الرابع ففيه توضيح لكيفية ارتقاء الانسـان بالحب الإلهى إلى أعلى عليين، من حـيث جلاء الإنسانية فى التغلب على الأحاسيس المادية. وكيفيـة معـالجـة أعراض الحب الوهمية وارتقـاء الانسانية بالمحبة الإلهية.

● عـزيزى القـارىء هذه بعض الأهـداف التى بينتها لنا الباحثة عن الإمام سعيد النورسى، لننتفع بها وينتفع بها كل حـائر ضـال، فعليك بهذا الكتـاب حـتى تعـرف طريق الحب الخـالص لله سـبـحـانه وتعالى.

بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم : عادل رفاعي خفاجة

مجلة صوت المعهد في عامها الرابع

ما أجمل التواصل بين أبناء المعهد الواحد، وبخاصة -إذا كان هذا المعهد هو «الأزهر الشريف»، فأبناء الأزهر -مهما تباعدت بينهم المسافات- يجمعهم الحق، وصوت الحق يعلو بمنطق واحد، مهما تغيرت الأفواه والألسن أو تغايرت الأساليب.

ومجلة «صوت المعهد» التي يصدرها معهد على ابن أبى طالب - بنزلة أطفيح - جيزة منبر من منابر الحق - بإذن الله تعالى- يعلو من خلاله صوت الفضيلة، ويأخذ شيوخ أفاضل بأيدى أبناءٍ لهم على بداية الطريق، حتى إذا اشتد عودهم، وآنس شيوخهم منهم رشداً سلموهم راية الدعوة إلى الله -تعالى.

ومجلة «صوت المعهد» - فى عامها الرابع - واثقة خطواتها تسير نحو الهدف المنشود بفضل الله -تعالى- ثم بفضل هذه الهمم العالية لشيوخ أفاضل يحملون مشاعل النور. يحبون أن يصل النور إلى كل مكان ما وسعهم إلى ذلك سبيلاً.

والمجلة تستهل عامها الرابع بكلمة لأسرة التحرير، تضمنت شكر أسرة تحرير مجلة الأزهر.

ونحن بدورنا نشكركم على مداومة الاتصال الذى دام أربع سنوات، ونسأل الله أن نتواصل لسنوات عديدة، وأن يوفقنا المولى - عز وجل - جميعاً إلى سواء السبيل.

وتبدأ المقالات بكلمة لفضيلة الشيخ عبدالفتاح جمعان، الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الإسلامية تحت عنوان: «الإسلام دين العلم»، ومما ورد بها قوله:

«إن الإسلام ثورة على الجهل وفساد الرأى ودعوة إلى العلم واستقامة التفكير، وإذا كانت هناك أديان حاربت أو حارب أتباعها العلم فإننا نرى الإسلام يصادق العلم، ويسير معه، بل يجعله أساساً له، فلا يستقيم إيمان المؤمن إلا على أساس من العلم، وليس أدل على ذلك من أن أول ما نزل من كتاب الله -مصدر الهداية والإيمان نوّه بشأن العلم وأعلى من قدره

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾

وجعل الله ـ سبحانه ـ تعليم القرآن والبيان من جلائل النعم التى يمتن الله بها على عباده «الرحمن* علم القرآن* خلق الإنسان* علمه البيان».

ثم يقول بعد التنويه عن قيمة العقل:

«... والسبيل إلى الانتفاع بالعقل هو العلم النافع المثمر وذلك لا يكون إلا بالتعليم والتعلم ولعل هذا هو السر فى حفاوة القرآن بأدوات التعليم وتمجيدها حيث اقسم بها ـ سبحانه ـ قال ـ تعالى:

﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾.

وقال جل شأنه:

﴿ وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴾.

لقد ظهر الإسلام فى أمة جاهلة أمية لا يبلغ الذين يعرفون القراءة والكتابة فيها العشرين، ولذلك عرف العرب بين الأمم بالأميين.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾، فلم يمض على هذه الأمة حين هداها الله بالإسلام وقت طويل من الزمن حتى صارت أمة العلم والعلماء وحتى نبغ من أبنائها من يحنى التاريخ هامته لهم، إجلالاً وإكباراً كل ذلك بفضل طبيعة الإسلام التى تدعو إلى العلم وتحث عليه:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾.

وفى ختام كلمته وجه فضيلته الحديث إلى أدعياء الحضارة قائلاً:

«ألا فليفقه أدعياء المدنية والحضارة الذين يرمون المسلمين بالتخلف موقف الإسلام من العلم، وليعرفوا أنه لو أفنوا أعمارهم فى العلم ما بلغوا معشار ما بلغه المسلمون الأوائل، كل ذلك بفضل الإسلام الذى يدعوا إلى العلم ويرغب فيه...

والله ولى التوفيق»

ثم يتوجه صاحب الفضيلة الشيخ/ محمد توفيق جمعة شيخ المعهد بالخطاب إلى الشباب موضحاً أهمية هذه المرحلة السنية فى الدعوة فيقول:

«.. والشباب سن الهمم المتوثبة والدماء الفائرة والآمال العريضة -سن العطاء والبذل والفداء، سن التلقى والتأثر والانفعال والشباب أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ـ تعالى ـ ولرسوله – صلى الله عليه وسلم– شباباً. وقد كان أهل الكهف شباباً

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾.

وكذلك سيدنا يحيى ـ عليه السلام ـ الذى قال فيه القرآن منادياً وآمراً ومخبراً:

﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾.

أى: تعلم الكتاب بجد وحرص واجتهاد وآتيناه الفهم والعلم والعزم وهو فى بداية الشباب –قال عبدالله بن المبارك قال الصبيان ليحيى بن زكريا: «اذهب بنا نلعب فقال: ما للعب خلقنا».

ويستمر فضيلة الشيخ فى إسداء توجيهاته وإرشاداته لأبنائه الطلاب، نسأل الله النفع بها.

أما الأستاذ/ شعبان أحمد رفاعى المدرس بالمعهد فيثلج صدورنا بجولته فى رحاب السنة ليلقى الضوء فى حديثه عن عدالة الإسلام فيقول:

«... بوعد من الله وفضله أرسى الإسلام

قواعده الراسخة التى لا يقدر أحدٌ على خلخلة أرجائها مهما اشتط وعظمت مكانته، وكثرت عدده وعتاده، ومع كل هذا فإن الإسلام لم يأخذ بمبدأ التفرقة بين الناس والتمييز بين العناصر، وأعظم مثال على ذلك تطبيق النبى -صلى الله عليه وسلم- لمبدأ العدالة والمساواة دون تفريق وتمييز بين قوى وضعيف وكبير وصغير وشريف ووضيع فالكل فى نظر الإسلام سواء».

وبعد أن أوضح ما فعله الإسلام الحنيف من تحطيم للنظم الجائرة يختتم قائلاً:

«إن ما فعله النبى -صلى الله عليه وسلم- يعتبر مثالاً خالداً على مر العصور، وشاهداً على أن رسالة الإسلام ودعوته إنما هى دعوة العدل والإنصاف، ودعوة الإنسانية والمساواة بين هذا وذاك، لا محاباة فيها ولا مدارة، فعدالة الإسلام ينبغى أن تجمع عليها النظم وتساس عليها الأمم، وتكون نبراساً لكل فرد فى الإنسانية فهى شريعة الله الخاتمة لجميع الشرائع».

ثم تتوالى الموضوعات بين دينية وعلمية وأدبية بالإضافة إلى ما ضمته من طرف وملح وأمثال.

وبعد.. فلنا قليل من الملحوظات التى نعرضها من منطلق حرصنا أن تخرج هذه المجلة فى أرقى وأبدع صورها

من هذه الملاحظات:

١ ـ ما ورد فى ص ١ حيث تأخرت البسملة.

٢ ـ ورود أخطاء طباعية فى القطعة المترجمة الواردة ص١١، وكذلك فى الأمثال الإنجليزية الواردة ص١٥، وكان من الأفضل مراجعتها على «مصابيح التجربة» قبل الطبع.

٣ ـ منها -أيضاً- ما ورد فى ص٣٤ تحت عنوان: «حواء فى نظر آدم» فعلى الرغم من جمال ما كتبه الأستاذ شحات عبدالله المدرس بمعهد الفتيات، إلا أنه جانبه التوفيق وكان عليه أن يتأسى بما جاء به فى القرآن الكريم من قوله تعالى:

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ﴾. طه/ ١٢٠

أما ما كتبه الأستاذ/ جمال محمد سعد تحت نفس العنوان «حواء فى نظر آدم» فبالإضافة إلى وقوع أخطاء طباعية فى مقطوعته، فإننا لا نشاركه وجهة نظره، وقد حض النبى -صلى الله عليه وسلم- على حسن معاملة النساء والرفق بهن.

ثم أما بعد: فقد توفر للمجلة الإخراج الجيد، فظهرت فى شكل لائق وثوب بديع، نأمل أن تزداد مع الأيام أناقة ورفعة، وثباتاً على طريق الحق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهجرة بين الأمس واليوم والغد

● **ومن القارئ: اشرف عوض عوض - الاسكندرية - السيوف - شماعة**

■■ بالأمس البعيد وفى دار الندوة - برلمان مكة حينئذ - اجتمع سادة القوم بزعامة أبليس اللعين يعدهم ويمنيهم... ليطفئوا النور الذى أضاء ويجتثوا الشجرة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء - محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن هيهات... هيهات فما تركهم رب الضياء وماتخلى عنه رب الأرض والسماء.

وهاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى يثرب فالتف حوله المسلمون يناصرونه فنصرهم الله وأمدهم بجنده. ففتحوا البلاد، ودخل العباد فى دين الله.

وأتم الله نوره وآتت الشجرة أكلها كل حين

بأذن ربها، حتى جاء يوم خاطب فيه أميرهم سحابة تمر من فوقه: «أمطرى حيث شئت فسوف يأتينى خراجك.».

واليوم تحاك المؤامرات حول الأقليات المسلمة فى كل أنحاء العالم حيث يُدْفَنُ المسلمون أحياء فى «كوسوفا» و«البوسنة» وتحصدهم مدفعية الروس فى الشيشان.

إن الله الذى حفظ نبيه بالهجرة لقادر على أن يحفظ هذه الأمة، ويهيئ لها من أمرها رشدا حتى تصل إلى المكانة التى كان يتبوؤها أسلافهم الأوائل، إنه ـ سبحانه ـ على ذلك لقدير.

البعد عن الشبهات

ومن القارئ الدائم/ محمد عباس محمد عرابى فى كلمة له بعنوان: «البعد عن الشبهات» يقول:

«إن البعد عن الشبهات سلامة للدين والعرض، سلامة لشخصية الفرد والجماعة وتقوية لوشائج المودة والثقة وتقارب الناس وتواصلهم، لذا فإن من واجب المسلم أن يصون شخصيته من الشبهات، ومن كل ما يزعزع الثقة به، فهو يحرص على توثيق صلته بالله، وبالمجتمع الذى يعيش فيه، فلا يكتفى بالبعد عن الفحشاء والمنكر، ومن كل ما يغضب الله، ولكنه مع هذا يصون حياته عن مظان السوء، ويحفظ خطاه من مواطن الشبهات، لئلاً يتسرب الشك إلى سمعته أو تهتز ثقة المجتمع به، وفى الحديث «.. فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه» رواه مسلم.

والإسلام فى حرصه على مناخ البيئة الإسلامية من دخان الريبة أو ضباب النفوس، يحذر من ظن السوء، ومن تتبع حديث الناس والبحث عن عوراتهم قال – تعالى –:

﴿ يـأيُّهـا الَّذين آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثيراً مِّنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ ولا تَجَسَّسُوا ولا يَغْتَب بَّعْضُكُم بعْضاً ﴾.

(الحجرات : ١٢)

وبهذا يصون الإسلام الشخصية من رياح الفتنة وقالة السوء، يصونها من الجانب الذاتى فلا يتعرض المرء لمواطن الشبهات، ومن الجانب الخارجى فنهى الناس عن الظن، وإثارة الشبهة حول بعضهم حتى تقوى الروابط بينهم وتظل حياتهم نقية صافية.

أهمية الوقت فى الإسلام

ومن القارئ/ عبد السلام محمد وحيد عمرى -القداديح- أبنوب - أسيوط- وردت هذه الرسالة التى يتكلم فيها عن ضرورة الاهتمام بالوقت وتبدأ الرسالة بقول الله -تعالى-:

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾.

(الإسراء : ١٢)

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه» رواه البزار والطبرانى بإسناد صحيح.

وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» رواه البخارى.

للوقت أهمية كبرى فى حياة الفرد والمجتمع والشعوب والأمم، وقيمة الوقت من أغلى القيم، لأن الوقت إن كان فى معناه مقدار من الزمان إلا أنه فى الحقيقة هو الحياة التى يعمل فيها المسلم للدنيا والآخرة، والمسلم يحاسب فى الآخرة على ما قدم من عمل فى الدنيا، وبناء على العمل يترتب الجزاء والمصير إما إلى الجنة وإما إلى النار.

ولقد اهتم القرآن الكريم بالوقت أهمية كبرى، فقد أقسم الله -سبحانه وتعالى- بفترات كثيرة من الزمن فأقسم بالليل وأقسم بالنهار، وببعض فترات النهار: كالفجر والضحى والعصر، والله - سبحانه وتعالى- إذا أقسم بشىء فمن أجل أن يلفت أنظارنا إلى قيمته وأهميته وإلى ضرورة التفكر والتأمل فى هذه الآيات الكونية.

وإذا كان الوقت هو الحياة، فإن الوقت ـ أيضاً ـ هو الحضارة، ولقد أدرك المصريون القدماء قيمة الوقت فأسسوا حضارة بهرت العالم ومن يذهب إلى المعالم السياحية فى أرجاء مصر يدرك ذلك، ولقد استفاد المسلمون الأوائل من الوقت استفادة ساعدتهم فى بناء حضارة لانزال نعيش على أرضها ونفاخر بها حتى اليوم كما استفادت أوروبا من الحضارة الإسلامية -بخاصة- فى مجال الطب والهندسة، والكيمياء والفيزياء والحساب، والفلك والمنطق والفلسفة.. وكان للمسلمين الفضل فى نهضة أوروبا والعالم.

غواص فى لغة الضاد

للأستاذ / السيد أحمد أبو الفضل

نثقفها حتى تلين مُتونها	فيقصر عنها كل من يتمثل

ومن اللآلئ التى جمعها غواصنا لهذا العدد قوله:

*** وجه القول فى «احتج العمال على سوء معاملتهم»:**

نرى هذا الاستعمال وأمثاله كثيرا فى الصحف ونسمع دورانه على الألسنة، وهذا خطأ، إذ يستعمل الاحتجاج فى موضع الإنكار والسخط لبعض الأمور التى تلحق بطائفة أو فرد فيقال: احتجت الدولة الفلانية على إهانة رعاياها أو إهانة سفيرها، واحتج الشعب على إنكار حقه وهضمه.. وهكذا لا يكاد يخلو مقال أو حديث أو تعبير من مثل هذا الاستعمال. والاحتجاج فى اللغة: الإدلاء بالحجة والدليل؛ لتأييد الدعوة وإقامة البرهان على صحتها ولا نراه هنا يدل على الإنكار والسخط.

وقال تعالى مخاطباً أهل الكتاب:

﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ

تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾[1] فالمعنى الوصفى الظاهر لقولك: احتج على إهانتى: إننى أقيم الحجة على هذه الإهانة واعتقد صحتها وأدافع عنها. وقد يحاول بعض الباحثين تخريج هذا الأسلوب على المجاز، فيدل بالمسبب وهو الاحتجاج على السبب وهو الإنكار والأولى أن يستبدل به لفظ «الإنكار» أو السخط، أو الاستياء أو ما جرى هذا المجرى.

* مُغَلَّفٌ وغِلاَف:

من منا لم يسمع مثل هذا السؤال: ألديك مغلف؟ وقد سمعته كثيرا، وكنت أقول: وما اسم الرسالة إذاً لأبعث هذه الرسالة؟ إن المغلف هو الرسالة نفسها، وما توضع فيه هو الغلاف، نقول: غلفت الكتاب أى جعلت له غلافا، وكذلك: غلفت الرسالة أو الهدية: جعلت لها غلافاً أضعها فيه، فهى مغلفة، وهى اسم مفعول، وهذا يذكرنا بالظرف والمظروف، فالظرف: هو الغلاف، والمظروف هو المغلف.

* الحمام الزاجل:

لم نعرف هذا النوع من الحمام فى أيامنا إلا فى بطون الكتب، إذ لا واقع له نراه أو نحسه الآن، ولكن اسمه يتردد كتاريخ، والزاجل: اسم فاعل من زجل الحمام: أرسله على بعد، فالزاجل هو الشخص الذى يقوم بهذه المهمة.

ولهذا ينسب الحمام إليه. فالصواب: أن يقال: حمام الزاجل، أو حمام الزجال، بإضافة الحمام إلى الزاجل، أو الزجال على صيغة المبالغة، إذ لو قيل: الحمام الزاجل، فإن الزاجل تكون صنعة للحمام، وليس الأمر كذلك.

* توفى فلان، وفلان المتوفى سنة كذا:

يُخطِّىءُ أهل اللغة من يقول: توفى فلان، وفلان المتوفى ويرون أن الصواب هو: توفى الله فلاناً، تُوُفِّيَ فلان بالبناء للمجهول؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- هو «المتوفى» وهو اسم فاعل من الفعل «توفى» وفلان هو «المُتَوَفَّى» اسم مفعول، ومعنى توفى فلان: مات، وتوفاه الله إذا قبض نفسه أو روحه. روى أن عليا -كرم الله وجهه - سأله عامى وهو يسير وراء جنازة: من المتوفِّى؟.. فأجابه: الله. فقال الأعرابى: كيف ذلك يا أمير المؤمنين؟

فأجابه: أما سمعت قوله سبحانه وتعالى:

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾[2] قل: من المتوفَّى؟ وفاعل الفعل هو الله -عز وجل-: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾[3].

وورد الفعل مبنيا للمعلوم فى قوله تعالى -أيضا: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾[4].

وورد بالبناء للمجهول فى قوله تعالى- ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا ﴾[5].

والمصدر هو «التوفى» وهو استيفاء مدة الميت التى وفيت له، وعدد أيامه وشهوره وأعوامه فى الدنيا.

---

(١) آل عمران: آية ٦٦.
(٢) سورة الزمر: ٤٢.
(٣) سورة آل عمران: ٥٥.
(٤) سورة السجدة: ١١.
(٥) البقرة من الآية ٢٣٤.

جائزة خدمة الدعوة والفقه الإسلامى

تم تحديد موضوعات جائزة خدمة الدعوة والفقه الإسلامى الممنوحة من وقف المستشار الدكتور محمد شوقى الفنجرى.. والموضوعات هى:

١ - التجديد فى الفقه الإسلامى.

٢ - ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك (المشكلة والحل).

على أن يقدم البحث بموجب إيصال فى ميعاد غايته ٣١ مارس عام ٢٠٠١ إلى مكتب ناظر الوقف الأستاذ المستشار رئيس هيئة قضايا الدولة بالدور العاشر بمجمع التحرير، وذلك فى ثلاث نسخ بما لا يقل عن مائة صفحة ولا يتجاوز مائتين، مع ملخص له من خمس نسخ بما لا يقل عن عشر صفحات ولا يتجاوز عشرين صفحة.

مِنْ إبْدَاعَاتِ القُرَّاء:

هيا تأمل يا فتى

أسمعتَ يوماً فى الصبا ... ح الطيرَ وَهْوَ يشقشقُ؟!

أعجبت يوماً من حديـ ... ـث الماء إذ يترقرق؟!

أبكيت يوماً ثم دمـ ... ـعك صار ناراً تحرق؟!

أفزعت يوماً لست تد ... رى من تُحِبُ وتعشق؟!

آياتُ نورٍ يا فتى.. ... فى كلِّ يومٍ تشرق

تسعى إليك وكل يو ... مٌ فى سماك تُحلِّق

وتحيد عنها يا فتى ... وكأن فكرك ضيقٌ

هيا تأمل يا فتى ... فلعل لبَّك يشرق

شعر / **السيد التحفة**

شبراخيت ـ بحيرة

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ عمر البسطويسى

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه فى ٢٨ من ذى القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ٥/٣/٢٠٠٠م السيد دمينجو سيازون وزير خارجية الفلبين والسيد/ مكا بانجكبت لاتنو سفير الفلبين بالقاهرة.

رحب فضيلته بالضيف فى رحاب الأزهر الشريف، وأوضح فضيلته أن الأزهر الذى عمره الآن أكثر من ألف عام يعلم أبناء المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها جنباً إلى جنب مع أبناء مصر، ويقوم بإرسال العلماء إلى كافة أنحاء العالم، يعلمون الناس صحيح الإسلام ويدعونهم إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة ذلك لأن الدراسة بالأزهر الشريف تمتاز بالاعتدال والوسطية، والبعد عن التعصب الأعمى، كما يمتاز بتدريس جميع المذاهب الفقهية، ولا يتعصب لمذهب بعينه، ويجمع بين جميع الآراء.

كما أوضح أن الأديان كلها جاءت لسعادة البشر وليس لشقائهم، وأنها تحث الناس وترشدهم إلى المعاملة الطيبة فيما بينهم وتحثهم على حسن الخلق والعدل والرحمة وحسن المعاملة، كما أشار إلى أن المسلمين والمسيحين فى مصر يعيشون متجاورين فى بيوتهم وحقولهم وكل إنسان يؤدى عبادته بحرية تامة وأن الجميع متساوون فى الحقوق والواجبات، وأن الذى يحاسب على العقائد هو الله ـ عز وجل لأن العقائد لا تباع ولا تشترى.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حسن الحفاوة واللقاء وتوضيح هذه المفاهيم، وقدم الدعوة لفضيلته لزيارة دولة الفلبين، ولقاء السادة خريجى الأزهر الشريف الذين تعلموا فيه ونهلوا من علمه الغزير وهم الآن يحتلون مناصب قيادية فى الفلبين.

وقد قبل فضيلته الدعوة ووعد بتلبيتها فى القريب إن شاء الله. حضر اللقاء فضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات.

● كما استقبل فضيلته السيد/ مصطفى بيلا وزير التجارة النيجيرى.

رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف وأوضح أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعاً فى سبيل نشر الثقافية الإسلامية؛ لأن التعليم الأزهرى يقوم على حفظ القرآن الكريم كاملاً موزعاً على القسم الابتدائى ومدة الدراسة بها ست سنوات والقسم الإعدادى ومددة الدراسة به ثلاث سنوات، والقسم الثانوى ومدة الدراسة به أصبحت ثلاث سنوات، ثم يلتحق بالجامعة حسب مجموعه يدخل الكلية، المناسبة مع ملاحظة حصوله على الثانوية الأزهرية قسم علمى أو أدبى وهكذا، وإلى جانب القرآن الكريم تدرس علوم الفقه والسيرة النبوية، والحديث والتفسير، والمواد العلمية والأدبية واللغات وهكذا يقوم بتعليم الوافدين إليه من دول العالم المختلفة، كما يرسل علماءه لتعليم أبناء المسلمين.

وأوضح فضيلته أن فى نيجيريا يوجد ثلاثة معاهد أزهرية يشرف عليها الأزهر ويمدها بالمناهج والكتب الدراسية والعلماء الذين يقومون بالتدريس، وعددهم ثلاثة وسبعون مدرساً، كما يقدم الأزهر المنح لطلاب نيجيريا للدراسة بالأزهر للطلبة والطالبات ويبلغ عدد المنح مائتى منحة دراسية، يقيم الطلاب بمدينة البعوث الإسلامية تحت الرعاية الكاملة تعليماً وسكناً وطعاماً وشراباً وعلاجاً وتذاكر للسفر ذهاباً وعودة.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء، والحفاوة وقال إننا دائماً نستمد العون والعلم من قلعة العلم والنور وقبلة العلماء وهو الأزهر الشريف ونطمع فى المزيد من المنح الدراسية.

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بتلبية طلب السيد الوزير.

حضر اللقاء الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات والإعلام بالأزهر الشريف.

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يزور جمعية رعاية الأحداث

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بزيارة جمعية رعاية الأحداث وذلك فى يوم ٢٩ من ذى القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ٦ من مارس ٢٠٠٠م بدعوة من رئيسه وذلك للمشاركة فى الاحتفال بالعيد الذهبى للجمعية تقديراً للدور الرائد فى رعاية الأحداث وتنشئتهم مواطنين صالحين ينفعون أنفسهم ووطنهم.

وقد أشاد فضيلته بالرعاية الدينية حيث يوضحون لهم أمور دينهم فى سهولة ويسر على يد متخصصين، وبذلك ينشأون نشأة طيبة سوية، كما أشاد فضيلته بالرعاية الصحية للأحداث. كما أشاد بتعليمهم واكتسابهم إحدى الحرف والمهن اليدوية؛ ليكتسبوا منها خبرة تعينهم بعد ذلك على مجابهة الحياة، كما أن ممارستهم للأنشطة الرياضية والفنية يكسبهم القوة والثقة فى أنفسهم؛ لأن العقل السليم فى الجسم السليم.

كما أبدى إعجابه بمنتجات أبناء الجمعية من الأثاث والمفروشات والملابس والتى ستشارك بها فى السوق الخيرى السنوى ويخصص دخل السوق بعد ذلك للإنفاق على مشروعات الجمعية.

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يحضر احتفال جامعة الأزهر لتكريم أوائل خريجى كلية الطب

● حضر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الاحتفال الذى أقامته جامعة الأزهر الشريف

لتكريم أوائل خريجى كلية الطب لعام ٩٨م والذى أقيم بقاعة الشيخ محمد عبده بالدراسة وذلك فى يوم ٢٤ من ذى القعدة ١٤٢٠هـ والموافق ٢٠٠٠/٣/١م حيث أعلن فضيلته أن مهنة الطب مهنة إنسانية من أعرق المهن، فمن الذى يعالج المريض ويصف له الدواء النافع الناجع، ومن الذى يسهر بجانب المريض ويخفف عنه آلامه، وأوعاجه، ومن الذى يسعف المصاب ويضمد له جراحه ويقوم على رعايته ويسكن آلامه، ويعطيه الادواء المناسب لحالته إنه الطبيب فى شتى تخصصاته المختلفة، ومن هنا أطالب أبنائى الأطباء الخريجين أن يكونوا بحق كما تعلموا فى الأزهر الشريف من القدوة الطبية والأخلاق الحميدة، ومراعاة واجب المهنة وقبل كل ذلك وبعده مراقبة الله -عز وجل- ومراقبته الضمير، والاخلاص لله وحده، فهى أمانة أنتم مسئولون عنها أمام الله -سبحانه وتعالى- ودعاء إلى الله أن يوفقكم ويرعاكم.

كما أعلن الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر أن مشيخة الأزهر والجامعة لا يدخران جهداً فى كل ما هو خير لأساتذة الطب. وتوجه بكل الشكر والتقدير للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية الذى يسر على الأزهر الشريف وذلك بتفويض فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى بعض القرارات التى كان يصدرها، مشيراً إلى أن شيخ الأزهر يقود مسيرة أعرق جامعة بفكر مفتوح وقلب موصول، وذلك للنهوض بالأزهر الشريف بمعاهده المنتشرة فى محافظات مصر كلها، والتى تزيد على الخمسة آلاف معهد أزهرى حضانة، وابتدائى، وإعدادى، وثانوى، ومعلمين وقراءات وكذلك الكليات الأزهرية التى تربو على الستين كلية فى تخصصات مختلفة.

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يبعث ببرقية تهنئة بمناسبة عيد الأضحى إلى السيد رئيس الجمهورية

● بعث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ببرقية تهنئة إلى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية بمناسبة عيد الأضحى المبارك قال فيها:

فخامة السيد الرئيس/ محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد..

فبمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك، أتقدم لسيادتكم باسم الأزهر طلابه وعلمائه والعاملين فيه بأسمى آيات التهنئة القلبية، داعياً المولى -سبحانه وتعالى- أن يديم على مصرنا الحبيبة الأمن والرخاء فى ظل قيادتكم الحكيمة، كما أدعوه -سبحانه- أن يمتعكم بالصحة والعافية، إنه سميع مجيب.

وكل عام وأنتم بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شيخ الأزهر الشريف

د./محمد سيد طنطاوى

٥ من ذى الحجة ١٤٢٠هـ

١١ مارس ٢٠٠٠م

● كما بعث فضيلته ببرقية تهنئة للسيد الأستاذ الدكتور/ عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء قال فيها:

الأستاذ الدكتور/ عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فيطيب لى بمناسبة حلول عيد الأضحى

المبارك أن أبعث إلى سيادتكم بأسمى آيات التهنئة داعياً الله -ـ سبحانه وتعالى ـ أن يعيد عليكم هذه الأيام المباركة بمزيد من الصحة والعافية وعلى شعب مصر بالاستقرار إنه سميع مجيب، وكل عام وأنتم بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٥ من ذى الحجة ١٤٢٠هـ

١١ من مارس ٢٠٠٠م

شيخ الأزهر الشريف

د./ محمد سيد طنطاوى

الدكتور محمد عبده يمانى يهنئ الإمام الأكبر

● تلقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف من الدكتور محمد عبده يمانى الرسالة الآتية ونصها:

فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف حفظه الله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

فببالغ الفرح والسرور تلقيت خبر حصول الأزهر الشريف على جائزة الملك فيصل العالمية فى خدمة الإسلام ونشره، ولا شك أن حصول الأزهر الشريف على هذه الجائزة يعتبر تتويجاً للجهود المباركة لهذا الصرح الكبير فى نشر الإسلام، وتعاليمه، وخدمته، فى جميع أنحاء المعمورة، وختاماً: أكرر تهنئتى الحارة، وأسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما فيه خير الإسلام والمسلمين إنه سميع مجيب، وتقبلوا خالص شكرى وتقديرى.

أخوكم

محمد عبده يمانى

١٣ من ذى القعدة ١٤٢٠هـ

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لأبناء الأمة العربية والإسلامية بمناسبة عيد الأضحى المبارك

● فى كلمته للمسلمين بمناسبة عيد الأضحى المبارك دعا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أبناء الأمة العربية والإسلامية إلى العمل بجد وصدق وأمانة لخدمة بلادهم وأمتهم مشيراً إلى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا إلى إلى الاتقان فى العمل وتجويده وبذل أقصى الجهد فيه «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» كما طالب المسلمين جميعاً أن يبنوا ولا يهدموا، ويعمروا ولا يخربوا، ويصلحوا ولا يفسدوا، وأعرب فضيلته عن خالص التهنئة باسمه وباسم الأزهر الشريف للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك وشعب مصر الكريم بجميع فئاته، وإلى قادة وحكومات وشعوب الأمتين العربية والإسلامية داعياً المولى ـ عز وجل ـ أن يعيده على الجميع بالخير واليمن والبركات، وقال إننا نستقبل هذا العيد الذى تزداد فيه وبه البهجة وبخاصة حينما نرى الأمان والرضاء، والمودة والسلام يعم العالم الإسلامى بل الكون كله.

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يؤم المصلين فى صلاة عيد الأضحى المبارك

● أدى فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر الشريف ـ صلاة عيد الأضحى المبارك مع السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية، والسيد رئيس مجلس الوزراء، والسادة الوزراء، وكبار رجال الدولة والقيادات

السياسية والشعبية، وجموع المسلمين، وذلك فى مسجد الشهداء بمدينة شرم الشيخ بمحافظة جنوب سيناء، وقد أم المصلين فى الصلاة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، ثم قام بخطبة العيد تناول فيها مكانة الأعياد فى الإسلام، وقال إنها شرعت فى الإسلام لحكم سامية ومقاصد عالية؛ لتكون فرصة للترويح عن النفس الإنسانية، كما شرعت الأعياد فى الإسلام لتكون فرصة للتزاور والتراحم والتعاطف والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وإيجاد الصلة بين الأقارب بصفة خاصة وبيهم وبين غيرهم بصفة عامة، كما شرعت الأعياد فى الإسلام لتقديم العون إلى البائسين والمحتاجين، لتكون لوناً من التكافل والتراحم والتعاطف، حيث تزداد بهجة الأعياد والسرور وعندما يرى الإنسان أمته وقد سادها الإيمان والسلام والاطمئنان، والتعاون على البر والتقوى، وزيادة الإنتاج، وتنمية الصناعة والزراعة، وكل ما يعود علينا فى ديننا بالخير امتثالاً لأوامر الله ـ سبحانه وتعالى ـ لنا بالعمل والكفاح، ودعا فضيلته للمسلمين فى شتى أنحاء العالم أن تعود عليهم أمثال هذه الأيام المباركة باليمن والخير والبركات وأن يعم العالم السلام والأمن والأمان وعلى مصر البركة والاستقرار.

مضاعفة الاهتمام بطلاب وطالبات مدينة البعوث الإسلامية

وجه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف إلى مضاعفة الاهتمام بطلاب وطالبات مدينة البعوث الإسلامية، بمناسبة عيد الأضحى المبارك وإعداد وجبات خاصة لهم بهذه المناسبة الطيبة الكريمة، حيث إنهم فى ضيافة مصر بلد الأزهر الشريف، وقد صرح فضيلة الشيخ فرحات السعيد المنجى المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية، بأن توجيهات صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كانت محل الاهتمام، حيث كان الاهتمام بوجبات الطعام واللحوم بهذه المناسبة للطلاب فى القاهرة، وفى الإسكندرية، كما تم وضع برنامج حافل للطلاب خلال أيام العيد يشمل الرحلات الترفيهية إلى مدينتى بورسعيد، والإسكندرية، إلى جانب الندوات الدينية، كما أضاف أن عدد الطلاب الآن ٣٠٠٠ طالب وعدد الطالبات ٣٠٠ طالبة، وسنقبل طالبات بعد الانتهاء من افتتاح خمس عمارات سكنية ترمم الآن، ويقوم بترميمها أحد فاعلى الخير، وتبلغ تكاليفها مليون جنيه، كما قام أحد فاعلى الخير بإهداء مدينة الطالبات مكتبة إسلامية، تضم حوالى ٢٠٠٠ كتابٍ من كتب التراث الإسلامى والكتب الحديثة - أيضاً - بالإضافة إلى جهاز كمبيوتر لتدريب الطالبات على استخدام الانترنت.

مسابقة أوائل الطلاب للشهادة الثانوية الأزهرية القسم العلمى

● أسفرت مسابقة أوائل الطلاب للشهادة الثانوية الأزهرية القسم العلمى على مستوى الجمهورية عن فوز منطقة الدقهلية الأزهرية بالمركز الأول، والقليوبية بالمركز الثانى، والجيزة بالمركز الثالث، والفيوم بالمركز الرابع.

اشترك فى المسابقة ٦٠ طالباً يمثلون عشرين منطقة، وتم إجراء المسابقة فى العلوم الشرعية واللغة العربية والرياضيات والمواد العلمية واللغة الإنجليزية .

وفى نهاية المسابقة تم توزيع الجوائز المالية وشهادات التقدير على الطلاب الفائزين وسيتم اشتراكهم فى المعسكرات التى تنظمها الإدارة العامة لرعاية الطلاب وسيتم تكريم المتقدمين والمتميزين فى مختلف الأنشطة.

صرحت بذلك السيدة/ نبيلة زاهر المدير العام لرعاية الطلاب بقطاع المعاهد الأزهرية.

إنشاء مركز للسنة النبوية الشريفة بالأزهر الشريف

● سيتم إنشاء مركز للسنة والسيرة النبوية الشريفة بالأزهر الشريف، وذلك للنهوض بالبحوث فى مجال السنة والسيرة وتنقيتها من الشوائب، ويعمل المركز على إعداد موسوعة للحديث النبوى، تضم الأحاديث الصحيحة بعد تحقيقها: مبوبة ومفهرسة ومخرجة تخريجاً علمياً لتوضيح المناهج ودحض الشبهات، وكذلك الإسهام فى تحقيق المصادر المهمة للسنة والسيرة ونشرها بما يلائم العصر وبما يجعلها مفهومة لعامة المسلمين وخاصتهم، وسيصدر المركز دراسات عصرية عن السنة والسيرة تساهم فى تكوين الوعى الإسلامى الصحيح وتوضيح مقاصد السنة النبوية الشريفة.

وسوف يعمل المركز من خلال الأزهر الشريف على متابعة ما ينشر عن السنة والسيرة بأقلام المستشرقين، والرد على الافتراءات ونشر الدراسات الموضوعية الجيدة التى تنصف الإسلام والسنة النبوية، وسوف يضم مجموعة من الباحثين المتميزين، لوضع مصنف لرجال السنة والسيرة، ودراسة الأحام الشرعية المستمدة من السنة بشكل متكامل للاستفادة منها عند وضع القوانين والتشريعات، وإصدار مجلة علمية متخصصة تتابع حركة التأليف والنشر فى حقل الفكر الإسلامى وبخاصة فى مجال السنة والسيرة النبوية، وستخصص مكتبة إسلامية لبحوث السيرة والسنة تضم المؤلفات والمراجع والمخطوطات، وسيتم التنسيق بين المركز بالأزهر مع مراكز السنة والسيرة فى العالم الإسلامى.

مواعيد امتحانات الفصل الدراسى الثانى لجميع مراحل المعاهد الأزهرية

● حدد قطاع المعاهد الأزهرية برئاسة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية مواعيد امتحانات الفصل الدراسى الثانى الدورين الأول والثانى لسنوات النقل والشهادات لجميع مراحل المعاهد الأزهرية والابتدائية والإعدادية والثانوية والمعلمين والقراءات ومعاهد البعوث الإسلامية الأزهرية الدور الأول السبت الموافق ١٣ مايو سنة ٢٠٠٠م والدور الثانى السبت الموافق ١٢ أغسطس سنة ٢٠٠٠م.

= أما الصفان الرابع والخامس الابتدائى، والصفان الأول والثانى من المرحلة الإعدادية فتعقد امتحانات الدور الأول فى يوم ٦ مايو سنة ٢٠٠٠م. والدور الثانى فى ٨ يوليو سنة ٢٠٠٠م.

= كما تعقد امتحانات النقل للثانوى الدور الأول فى يوم ٧ مايو سنة ٢٠٠٠م وكذلك المعلمين والقراءات والنقل الثانوى لمعاهد البعوث الدور الثانى فى يوم ٨ يوليو سنة ٢٠٠٠.

ـ أما امتحانات الشهادة الابتدائية الأزهرية الدور الأول فتبدأ يوم ٢٠ مايو سنة ٢٠٠٠م والدور الثانى فى ٢٢ يوليو سنة ٢٠٠٠.

ـ وبالنسبة لامتحانات الشهادة الاعدادية الأزهرية والثانوية الأزهرية والمعلمين والقراءات والشهادة الاعدادية لمعاهد البعوث الإسلامية فيبدأ الدور الأول يوم ٣ يونيو سنة ٢٠٠٠م والدور الثانى يوم ١٢ أغسطس سنة ٢٠٠٠م.

ـ أما امتحانات الشهادة الثانوية لمعاهد البعوث الإسلامية فيكون الدور الأول ٢٤ يونيو سنة ٢٠٠٠ والدور الثانى فى ٢٦ أغسطس سنة ٢٠٠٠م

مد خدمة فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف

● أصدر السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية قراراً بمد خدمة فضيلة الشيخ فوزى فاضل إبراهيم الزفزاف وكيلاً للأزهر حتى ٣٠/٦/٢٠٠٠م.

صدر برئاسة الجمهورية فى ذى الحجة ١٤٢٠هـ الموافق مارس ٢٠٠٠م.

● صدر قرار شيخ الأزهر رقم ١٧٨ لسنة ٢٠٠٠م يسند إلى فضيلة الشيخ/ السيد وفا أبو عجور، الأمين المساعد للدعوة والإعلام الدينى بمجمع البحوث الإسلامية القيام بعمل وظيفة الإمين العام لمجمع البحوث الإسلامية عند غياب شاغلها الأصلى.

صدر فى ٢ من ذى الحجة ١٤٢٠هـ.

الموافق ٨ من مارس ٢٠٠٠م.

التصفيات لمسابقة القرآن الكريم الكبرى

● يبدأ قطاع المعاهد الأزهرية فى ٢١ من مارس ٢٠٠٠م فى عمل التصفيات النهائية لمسابقة القرآن الكريم الكبرى بالأزهر الشريف، وقد تقدم للمسابقة تسعة آلاف طالب من المعاهد الأزهرية فى ٢٧ منطقة أزهرية على مستوى الجمهورية، بالإضافة إلى طلاب جامعة الأزهر الشريف، وطلاب البعوث الإسلامية، الوافدين، ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم التابعة لإشراف الأزهر الشريف.

ومواعيد امتحان المسابقة كالآتى:

● منطقة المنوفية ٣/٢١، منطقة الغربية ٣/٢٣، قنا وجنوب سيناء والسويس ٣/٢٧ الشرقية ٣/٢٨، مطروح ،البحر الأحمر ٣/٣٠، الدقهلية ٤/١، البحيرة وأسوان ٤/٢١، سوهاج والجيزة ٤/١٢، القليوبية الإسماعيلية ودمياط ٤/١٥، كفر الشيخ وشمال سيناء والمنيا ٤/١٧، أسيوط والوادى الجديد ٤/١٨ الفيوم وبنى سويف ٤/٢٠، الإسكندرية والأقصر ٤/٢٢، القاهرة ٤/٢٣، بورسعيد ومتخلفو المكاتب والمعاهد ٤/٢٦، جامعة الأزهر ٤/٢٩.

صرح بهذا فضيلة الشيخ حمدى طنطاوى وكيل قطاع المعاهد للخدمات.

وفد من الأزهر الشريف لحضور المؤتمر الإسلامى العالمى الثانى بشيكاغو

● وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على سفر كل من السادة: فضيلة الشيخ فرحات السعيد المنجى رئيس الإدارة المركزية المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية، وفضيلة

الشيخ/ على محمود أبو الحسن مدير عام الدعوة بمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى على المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف؛ وذلك لحضور المؤتمر الإسلامى العالمى الثانى المنعقد فى مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية فى المدة من ٢٤ إلى ٢٧ فبراير سنة ٢٠٠٠م بالقرار رقم ١١٨ لسنة ٢٠٠٠م.

وقد حضر الوفد ممثلاً للأزهر الشريف مؤتمر أمة الإسلام برئاسة لويس فرخان (محمد فرقان) وقد شارك فى المؤتمر وفود من كافة الدول العربية والإسلامية من دول إفريقيا، وآسيا، والأقليات الإسلامية فى شمال كندا، وجنوب فرنسا، ومن اليابان.

وفى كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى اليوم الأول التى ألقاها فضيلة الشيخ فرحات السعيد المنجى بيَّن أن الإسلام دعا إلى وحدة الأمة الإسلامية ووحدة الكلمة والتعاون على البر والتقوى، والبعد عن التنازع والشقاق والدعوة إلى السلام القائم على العدل، وإعطاء كل ذى حق حقه، ودعا إلى الاعتصام بحبل الله المتين، والاعتماد على الله، والثقة به، ثم الاعتماد على النفس وإعداد العدة، وأن يتنبه المسلمون إلى ما يحاك بهم، وأن يكونوا يداً واحدة، وقلباً واحد وصفاً واحداً؛ حتى يهيىء الله لأمة الإسلام النصر والغلبة.

وتمنى للمؤتمر التوفيق وأن تكون فعالياته مثمرة ونافعة، ودعا الله - سبحانه وتعالى - للمسلمين ولأمة الإسلام بدوام العزة والتوفيق والسداد فهو نعم المولى ونعم النصير.

وكانت محاور المؤتمر التى تمت مناقشتها وقدمت فيها الأبحاث:

البنوك والاقتصاد الإسلامى، الشريعة الإسلامية، والرق، والأسرة المسلمة، والمرأة والزواج، العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، الاعجاز العلمى فى القرآن، العقبات التى تواجه المسلمين فى هذه الفترة.

وقد أذاع التليفزيون الأمريكى والصحافة الأمريكية وقائع المؤتمر فى فترة انعقاده، وقد حضر المؤتمر أعداد كبيرة من المسلمين من الولايات المختلفة فى أمريكا، إلى جانب الضيوف الذين حضروا المؤتمر، وفى اليوم الأخير حضر أكثر من عشرين ألف مسلم بنظام دقيق للغاية، وقد قرأ فضيلة الشيخ على أبو الحسن بعض آيات القرآن الكريم مرتلا أمام هذا العدد الحاشد، وقد ألقى/ محمد فرقان، زعيم أمة الإسلام بأمريكا خطاباً على مدى ساعتين، أكد فيه أن الإسلام هو هدفنا وغايتنا، ممثلاً فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقال: إننا قمنا بمسيرة مليون مسلم من أمام البيت الأبيض فى العام الماضى، وأعلن أنه سيقوم بمسيرة بمليونى مسلم هذا العام تأكيداً لوجودنا كمسلمين فى أمريكا ولتكوين كيان إسلامى خالص؛ ليتم التوازن فى السياسة الأمريكية المنجازة إلى اليهود ، وقد حضر المؤتمر طوائف من اليهود التى لا تؤمن بالاتجاه الصهيونى ولا تؤمن بمقولة أرض الميعاد، ولا أن القدس يهودية، وقد أعلن كبير هؤلاء الحاخامات فى المؤتمر أمام هذه الحشود المسلمة اعتذارهم عن أعمال اليهود والاسرائيليين والصهيونية ضد العرب والمسلمين وتبرأوا منها، وقالوا: إنها ليست من

اليهودية فى شىء، ولكنها من أعمال الفكر الصهيونى المستبد الذى لا يؤمنون به، كما يعلن هؤلاء الحاخامات تأييدهم لخطوات السيد/ لويس فرخان (محمد فرقان) زعيم أمة الإسلام فى أمريكا فى الدفاع عن قضايا المسلمين المظلومين من جراء السياسة الأمريكية فى الشرق.

ولجماعة أمة الإسلام فى كل ولاية أمريكية مركزاً إسلامياً به مستشار، ويبشر المركز بالإسلام المنتمى لأمريكا وطناً والإسلام الخالص ديناً على نهج القرآن والسنة فقط.

وكل ما يطالبون به هو الدعم المعنوى والتأييد الإسلامى من الدول الإسلامية، والمعونات العلمية، وأكثر أتباع أمة الإسلام من المثقفين، ورجال الأعمال، والعلماء، والعلماء فى شتى المجالات، والتخصصات.

وقد أعلن زعيم أمة الإسلام فى خطابه عن تقديره للأزهر الشريف، وعلمائه وشيخه، ولمصر.

وقد قدم أعضاء الوفد الأبحاث، وحضروا جميع اللقاءات، وكان لهم وجود، وحضور، وتم التعارف مع الوفود المشاركة، مما كان له أطيب الأثر لوجود الأزهر الشريف فى هذا الجمع الكبير.

وقد صدرت توصيات اشترك فى صياغتها وفد الأزهر مع الوفود الأخرى وهى:

١ ـ أن حجر الأساس فى وحدة اللغة يأتى من خلال الإيمان بالله ـ سبحانه وتعالى ـ ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

٢ ـ معاملة واحترام المسلمين جميعاً كأخوة وهم جميعاً أمة واحدة.

٣ ـ التعهد بأن تكون الأخوة والوحدة الإسلامية مزيلة لكل الحواجز والاختلافات فى اللون واللغة والمكان والمواطنة والمعتقدات التى لاتخالف الشريعة.

٤ ـ النظر إلى المشاكل والصراعات التى تواجه هذه الاخوة المشتركة، وكأنها تخصنا جميعاً كأمة واحدة مسلمة، وعليه يجب أن يتحد المسلمون جميعاً، ويتساندوا جميعاً حتى يصلوا إلى قرار وحل مرضٍ وبعيدٍ عن الفشل.

٥ ـ الحض والدفاع وتقديم التضامن والتكاتف من أجل مصالح المسلمين محلياً وعالمياً.

٦ ـ الوقوف إلى جانب الإخوة والشعوب المضطهدة والاستفادة بكافة الوسائل المتاحة فى أيدينا للدفاع عنهم وحمايتهم.

٧ ـ أن نحمل رسالة الإسلام لإخوتنا فى الإنسانية فى شتى أنحاء العالم بالتى هى أحسن.

٨ ـ أن نوصى أنفسنا بالتصرف والسلوك الحسن والأخلاق الإسلامية السامية فى كل وقت ومكان، وتحت كافة الظروف.

٩ ـ أن نكون -دائماً- على اتصال ببعضنا البعض، وفق قواعد منظمة لمشاركة المعرفة والمعلومات من أجل الخير العام للأمة الإسلامية وللبشرية جمعاء.

١٠ ـ حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره، والدفاع عن القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وأنه فى قلب كل مسلم.

من أنباء العالم الإسلامى

إعداد: د. محمد عبد الحكيم محمد

الأزهر يشجع الحوار بين الأديان لإعمار الكون

أكد الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر ـ أن الحوار بين أتباع الديانات السماوية المختلفة، يجب أن يوجه لمناقشة القضايا العالمية لإرساء القيم الإنسانية الفاضلة فى المجتمع الدولى، وأوضح الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى: أن الأزهر يشجع الحوار بين الأديان لإعمار الكون واستخدام التكنولوجيا فى ترقية الشعوب، وأن تكنولوجيا التدمير والتخريب لاتقرها جميع الأديان.

وقال: إن علاقة الإسلام بالأديان الأخرى علاقة اعتراف بجميع الأديان السماوية، حيث اعترف الإسلام بجميع الأنبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ .

وأوضح شيخ الأزهر: أن الإسلام أرسى قاعدة الحقوق الإنسانية فى المجتمع البشرى منذ ١٤٠٠ عام، وصان حق العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية، حيث ﴿ **لا إكراه فى الدين** ﴾، لأن الإكراه لايأتى بمؤمنين وإنما يأتى بمنافقين، وأن الإسلام استهدف تحرير الإنسان ورفع شأنه، ووفر أسباب العزة والكرامة، فالرسالة الإسلامية تنحصر فى تحقيق الرحمة العامة الشاملة للبشر جميعاً على اختلاف أجناسهم وألوانهم وعلى امتداد أزمانهم واختلاف أمكنتهم.

السماح للمسلمين برفع الأذان فى مساجد «أوسلو»

سُمِح للمسلمين برفع الأذان من مآذن المساجد الثمانية عشرة المنتشرة فى العاصمة النرويجية «أوسلو» بعد أن وافقت بلدية العاصمة على ذلك.

وأوضحت النشرة الالكترونية لصحيفة «افتنبوستن» النرويجية التى أوردت النبأ أن المسئولة عن التنمية المدنية والرفاه الاجتماعى فى «أوسلو» «غريتى هورنتفيت» اعتبرت أن الدعوة إلى الصلاة لاتتعارض مع قوانين المدينة.

وأضافت إن الدعوة إلى الصلاة لاتندرج ضمن قوانين البلدية المتعلقة بمنع الضجيج بقدر ما هى تابعة لمبدأ حرية ممارسة الشعائر الدينية المنصوص عليها فى الدستور.

وأوضحت النشرة أن القرار النهائى بالسماح للمؤذنين بالدعوة إلى الصلاة يعود إلى مجالس الأحياء بالعاصمة.

يذكر أن أصوات المؤذنين سمعت للمرة الأولى فى «أوسلو» ـ التى يبلغ عدد سكانها نحو ٥٠٠ ألف نسمة منهم نحو ٣٦ ألف مسلم ـ فى عيد الفطر الماضى.

تيسير أيام التشريق فى منى هذا العام

جده : وكالات الأنباء :

كانت أيام التشريق الثلاثة التى يقضيها الحجاج فى منى من أصعب أيام المناسك وأكثرها إرهاقاً، وكان الناس يتعجلون فى يومين، بسبب الفوضى والزحام الذى يبلغ ذروته بحيث تصل الكثافة البشرية فى منى إلى أقصاها وتصبح من أكثر مناطق العالم ازدحاماً، حيث يصل عدد الحجاج أحياناً إلى مايقرب من ثلاثة ملايين حاج فى مساحة لاتزيد على ٢.٥ مليون متر تحفها مناطق جبلية وعرة، بينما تبلغ المساحة الصافية لإقامة المخيمات مليونين ونصف المليون متر مربع بعد إستقطاع مساحة الطرق والخدمات.

وبسبب الفوضى والزحام ومحدودية المكان كانت تحدث حرائق كثيرة تسببت فى خسائر جسيمة، وارتفع حجم هذهِ الخسائر نظراً لعدم توافر تجهيزات كافية لمكافحة الحرائق فى الخيام.

كان هذا الوضع يقلق الحجيج والحكومة السعودية حتى بدأت وزارة الأشغال العامة والإسكان بالسعودية منذ عامين بإقامة مشروع ضخم لتحجيم مخاطر الحريق بمنى.

وبعد دراسات وتجارب تم إنشاء خيام مصنوعة من مادة غير قابلة للحريق من الأنسجة الزجاجية المغطاه بمادة التفلون، لعدم قابليتها للإشتعال وعدم إنبعاث غازات سامة منها إلا عند درجة حرارة تتعدى ٥٠٠ درجة مئوية.. وفى الوقت نفسه، تم تطوير وتنفيذ أنظمة تؤدى لعدم انتشار الحرائق وتشتمل على إقامة مخارج مياه للإطفاء بضغط وقوة بحيث تتوزع هذه المخارج بالشوارع المحيطة بمخيمات الحجاج وذلك بمعدل مخرج لكل ٩٠ متراً، مع توصيلها بشبكة خراطيم تسهل على رجال الإطفاء مهمتهم وتعفيهم من استعمال سيارات الإطفاء التى يصعب تنقلها فى منى بين الخيام.

وفى الوقت نفسه، تم تزويد الخيام برشاشات المياه التى تعمل بشكل تلقائى بمجرد حصول أى حريق داخل المخيم، إضافة إلى توفير الطفايات اليدوية داخل كل خيمة.

ولتنفيذ هذا المشروع الضخم بصورة جادة تم تقسيمه إلى ثلاث مراحل:

الأولى: وتمثل ٢٥٪ من كامل المشروع، وتمت الاستفادة منها فى حج عام (١٤١٨هـ).

والثانية: وتمثل ٤٠٪، وقد تمت الاستفادة منها فى حج العام الماضى.

أما المرحلة الثالثة والأخيرة: فتمثل ٣٥٪ من المشروع، وقد استفيد منها فى حج هذا العام، إلى غير ذلك من الخدمات الكثيرة التى قدمتها المملكة العربية السعودية تيسيراً على ضيوف الرحمن هذا العام والتى جعلت أصعب أيام المناسك أيسرها بفضل من الله ـ تعالى ـ عليهم وعلى هذا البلد الآمن.

تفعيل لحركة المقاتلين الشيشان

جروزنى : وكالات الأنباء :

ذكرت وكالة أنباء «آر.آى.إيه» أن أربعة جنود روس لقوا مصرعهم وأصيب ثلاثة آخرون فى «تبادل لإطلاق النار مع المقاتلين» الشيشان بالقرب من «جروزنى» عشية انتخاب الرئيس الروسى فلاديمير بوتين، كما ذكرت وكالة أنباء «إنترفاكس» قيام نحو ألفى مقاتل شيشانى بالاستيلاء على مدينة «نوجاى يورث» فى جنوب شرق الشيشان.

هذا وقد تضاربت الآراء فى هذا الشأن مما جعل وزارة الدفاع الروسية تسارع بنفى صحة هذا الخبر.

seulement révélé que votre Dieu est un Dieu unique",[1]

"Muhammad n'est qu'un prophète; des prophètes ont vécu avant lui",[2]

"Tã-Hã. Nous n'avons pas fait descendre sur toi le Coran pour te rendre malheureux, mais comme un Rappel pour quiconque craint Allah, comme une Révélation de celui qui a créé la terre et les cieux élevés".[3]

A Suivre

"Introduction au Coran": [1]

> "A la différence du Christianisme, l'Islam primitif n'apparâit point comme une religion confirmée par des miracles. Rien n'a été plus étranger à l'esprit que Mohamet que de se présenter à ses compatriotes comme un sur-homme ou un thaumaturge. Pourtant le Coran met au défi les polythéistes d'apporter une sourate de sa ressemblance. Dans un autre passage qui vise sans doute une objection des Chrétiens et des Juifs, le défi est plus général encore"

Les arguments qui prouvent le caractère inimitable du Saint Coran sont nombreux:

- D'abord, il faut signaler que la première preuve réside dans les récits relatifs aux peuples anciens, disparus depuis longtemps tels les Juifs: le Prophète Arabe était illettré, ne sachant ni lire ni écrire. Il n'avait jamais fréquenté des hommes de science, ni des hommes versés dans les lettres. Il avait été élévé et avait vécu au milieu d'un peuple idolâtre et ignorant. Ces récits et d'autres contenus dans l'Ancien et dans le Nouveau Testament, comme dans l'histoire de la crucifixion de Jésus, sont introduits dans le Coran avec l' intention, soit de prouver qu'Allah est le seul Révélateur des versets du Coran:

> *"Dès que Nous abrogeons un verset ou dès que Nous le faisons oublier, nous le remplaçons par un autre, meilleur ou semblable. Ne sais-tu pas qu'Allah est puissant sur toute chose?"* [2]
>
> *"Voici comment Nous te révélons un Coran arabe"*. [3]

Soit de démontrer que Mohammad n'est qu'un homme, comme les autres, incapable de créer un seul verset:

> *"Dis: "Je ne suis qu'un mortel semblable à vous. Il m'est*

[1] Blachère (Régis): "Introduction au Coran" G P.Maisonneuve. Editeur. Paris. 1947. Vol:III 1947. P: 1045
[2] Sourate: La Vache, verset 106, p.22.
[3] Sourate: La Délibération, verset 7,p.639.

"Le Caractère Inimitable du Saint Coran"

Par

Dr.Aly M.Fahmy

Allah dit dans le Saint Coran:

"Dis: "Si les hommes et les djinns s'unissaient pour produire quelque chose de semblable à ce Coran, ils ne produiraient rien qui lui ressemble, même s'ils s'aidaient mutuellement"[1]

En tant que Musulman et Azharien, en particulier, j'étais toujours attiré vers l'étude du Saint-Coran et de l'inimitabilité de son contenu et de sa forme qui'a tant préoccupé les penseurs musulmans comme Moustafa Sadik Al Râfi. Ce théologien Musulman a consacré en 1952 un important traité à cette question l'Djaz al - Qur'ân wal- balagha al -nabawiyya, qui explique que l'djaz combine deux notions: l'incapacité des forces humaines à tenter d'accomplir un miracle confirmatif et la persistance de cette incapacité à travers les âges. Or, on peut dire que l'Idjgaz laisse entendre que sa caractéristique est une action ou un défaut d'action qui ne peut s'expliquer que par un processus naturel et habituel, en même temps qu'un défi (tahaddi) qui n'a pas eu pour résultat quelque chose qui soit comparable à l'ojet du défi. A ce propos Régis Blachère dit dans son oeuvre intitulée:

---

[1] Sourat: Al-Israã (Le Voyage Nocturne), Verset 88, P.377
Essai d'interprétation du Coran Inimitable Traduction par Masson (Dr), revue par Dr. Sobhi El-Saleh, Dar Al-Kitab Al-Masri, Dar El-Kitab Allubnani.

qui usurpe des biens publics ou encore qui déprécie les possessions d'autrui, doit, après le Pélerinage, cesser ces pratiques malhonnêtes. Il n'est point licite après le Pélerinage de revenir aux péchés antérieurs. Il ne faut en aucun cas sacrifier les biens ni le sang qu'à bon droit. Certes cela n'est point une chose aisée car il est toujours difficile d'abandonner une habitude acquise; et que dire alors de celui qui a fondé sa vie sur l'iniquité et l'oppression d'autrui?

Le discours du Prophète - b.s. - met en valeur ce qui régit la relation entre l'homme et la femme liés par le mariage selon un acte qui n'est point semblable aux actes de vente et d'achat. Il montre que l'homme doit traiter son épouse comme un dépôt précieux qui lui est confié et auquel il doit veiller avec soin. Il recommande que l'affection et l'entente mutuelles régnent entre les époux.

Le discours d'adieu a montré en outre que le Coran est la source de toutes les valeurs culturelles et que le pélerin doit les respecter et y tenir fermement à son retour. Le Prophète a enfin résumé toute ces recommandations adressées à la nation islamique en ces mots : "***Votre sang et vos biens respectifs vous sont sacrés, tout autant que la sainteté de ce jour - ci (Arafat) en cette ville (La Mecque) et en ce mois-ci (Dhul - Hiddja)***". Or, ce caractère sacré de l'âme humaine est ce que tente vainement de défendre de nos jours l'Organisation des Droits de l'Homme.

Toutes ces valeurs culturelles sont les rites à accomplir aprés le Pélerinage. Ainsi le pélerin qui reprend ses anciennes habitudes et qui ne tire aucun profit des leçons en les mettant en pratique, ne mérite certes pas le titre de "Hadj".

Dr. Rokeya GABR

بسم الله الرحمن الرحيم

C'est par son comportement que le Pélerin mérite le titre de "Hadj"

par Dr. Rokeya Gabr

Si le comportement du pélerin reste le même après son retour du Pélerinage (Al Hadj), alors les peines et les fatigues qu'il a endurées pour accomplir les rites ont été peine perdue et son voyage n'est plus qu'une forme de tourisme religieux durant lequel il apprend à réprimer ses instincts.

Or, le discours prononcé par le Prophète de l'Islam - à lui bénediction et salut - durant le Pélerinage d'adieu résume les points importants qui doivent régir la ligne de conduite du musulman, montrant comment mettre en application dans la réalité quotidienne les principes d l'Islam.

Ce discours explique aussi bien les rites du Pélerinage que tout ce qui a trait au comportement du musulman dans la vie quotidienne.

C'est en ce discours qu'il faut puiser les valeurs culturelles qui doivent régir le comportement et les transactions du musulman vis à vis de ses semblables. Il a montré qu'après son retour du Pélerinage le musulman doit se comporter entant que peronne lucide sachant ce qu'elle fait et non comme une personne passive dénuée de toute volonté. Pour conclure son discours d'adieu le Prophète - b.s. - dit : "***Je vous ai laissé une chose qui vous aidera à ne pas vous égarer si vous y tenez fermement, et c'est le livre d'Allah. Ô Allah sois - en témoin. Ô Allah sois témoin de cela***" et il répéta trois fois cette dernière phase.

Voici donc les valeurs culturelles résumées par le Prophète Mohammad - b.s.- :

Tout d'abord la prohibition de s'approprier ou de porter atteinte à ce qui ne nous revient pas de droit. Ainsi le musulman qui pratique l'usure ou la subornation,

REVUE
AL AZHAR
Sction Francaise

Comité de Rédation :

yard for drying dates belonging to Suhail and Sahl, the orphan boys who were under the guardianship of 'Asad bin Zurara. When his she-camel knelt down, Allah's Apostle said, "This place, Allah willing, will be our abiding place." Allah's Apostle then called the two boys and told them to suggest a price for that yard so that he might take it as a mosque. The two boys said, "No, but we will give it as a gift, O Allah's Apostle!" Allah's Apostle then built a mosque there. The Prophet himself started carrying unburned bricks for its building and while doing so, he was saying "This load is better than the load of Khaibar, for it is more pious in the Sight of Allah and purer and better rewardable." He was also saying, "O Allah! The actual reward is the reward in the Hereafter, so bestow Your Mercy on the Ansar and the Emigrants." (Al Bukhari 5.245)

Finally in this occasion we plea to Allah to bless our prophet who guided us and established our Nation.. We supplicate to Allah to support the Muslims everywhere to regain the strength and might of the Muslim Nation and to give us victory and mastery. Ameen.

The book of Hadith also narrates the story of Suraqah:
Allah's Apostle arrived at Medina with Abu Bakr, riding behind him on the same camel. Abu Bakr was an elderly man known to the people, while Allah's Apostle was a youth that was unknown. Thus, if a man met Abu Bakr, he would say "O Abu Bakr! Who is this man in front of you?" Abu Bakr would say, "This man shows me the Way." One would think that Abu Bakr meant the road, while in fact, Abu Bakr meant the way of virtue and good. Then Abu Bakr looked behind and saw a horse-rider pursuing them. He said, "O Allah's Apostle! This is a horse-rider pursuing us." The Prophet looked behind and said, "O Allah! Cause him to fall down." So the horse threw him down and got up neighing. After that the rider, Suraqa said, "O Allah's Prophet! Order me whatever you want." The Prophet said, "Stay where you are and do not allow anybody to reach us." So, in the first part of the day Suraqa was an enemy of Allah's Prophet and in the last part of it, he was a protector.(Bukhari 5.250)

Narrated 'Urwa bin Az-Zubair: Allah's Apostle met Az-Zubair in a caravan of Muslim merchants who were returning from Sham. Az-Zubair provided Allah's Apostle and Abu Bakr with white clothes to wear. When the Muslims of Medina heard the news of the departure of Allah's Apostle from Mecca (towards Medina), they started going to the Harra every morning . They would wait for him till the heat of the noon forced them to return. One day, after waiting for a long while, they returned home, and when they went into their houses, a Jew climbed up the roof of one of the forts of his people to look for some thing, and he saw Allah's Apostle and his companions dressed in white clothes, emerging out of the desert mirage.

The Jew could not help shouting at the top of his voice, "O you 'Arabs! Here is your great man whom you have been waiting for!" So all the Muslims rushed to their arms and received Allah's Apostle on the summit of Harra. The Prophet turned with them to the right and alighted at the quarters of Bani 'Amr bin 'Auf, and this was on Monday in the month of Rabi-ul-Awal. Abu Bakr stood up, receiving the people while Allah's Apostle sat down and kept silent. Some of the Ansar who came and had not seen Allah's Apostle before, began greeting Abu Bakr, but when the sunshine fell on Allah's Apostle and Abu Bakr came forward and shaded him with his sheet only then the people came to know Allah's Apostle. Allah's Apostle stayed with Bani 'Amr bin 'Auf for ten nights and established the mosque (mosque of Quba) which was founded on piety. Allah's Apostle prayed in it and then mounted his she-camel and proceeded on, accompanied by the people till his she-camel knelt down at (the place of) the mosque of Allah's Apostle at Medina. Some Muslims used to pray there in those days, and that place was a

إِن تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ
مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

If ye help not (your Leader), (it is no matter): for Allah did indeed help him, when the Unbelievers drove him out: he had no more than one companion: they two were in the Cave, and he said to his companion, "Have no fear for Allah is with us": then Allah sent down His peace upon him, and strengthened him with forces which ye saw not, and humbled to the depths the word of the Unbelievers. But the word of Allah is exalted to the heights: for Allah is Exalted in might, Wise. (Atawba :40)

The story of the migration is narrated in many Hadith and Sirah books as Al Bukhari for example, for it is very indicative for the Prophet's unshaken trust in Allah's protection and companionship.
In his authentic book of Hadith Al Bukhari narrates how Asma daughter of Abu Bakr would bring them food in her two waistbands:
"Asma, Abu Bakr's daughter, cut a piece from her waist belt and tied the mouth of the leather bag with it, and for that reason she was named Dhat-un-Nitaqain (i.e. the owner of two belts)." (5.420)

Then the Prophet and Abu Bakr went to a cave in a mountain called Thour and remained there for three nights. 'Abdullah bin Abu Bakr, who was a young intelligent man, used to stay with them at night and leave before dawn so that in the morning, he would be with the Quraish at Mecca as if he had spent the night among them. If he heard of any plot contrived by the Quraish against the Prophet and Abu Bakr, he would understand it and (return to) inform them of it when it became dark. 'Amir bin Fuhaira, the freed slave of Abu Bakr used to graze a flock of milch sheep for them and he used to take those sheep to them when an hour had passed after the 'Isha prayer. They would sleep soundly till 'Amir bin Fuhaira awakened them when it was still dark. He used to do that in each of those three nights. (ibid.)

this migration and they conspired to kill the Prophet (p.b.u.h.). The conspirators decided to share the responsibility of killing the prophet (p.b.u.h.), so that his tribe would accept the blood- money and would not be able to revenge.

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾

Remember how the Unbelievers plotted against thee, to keep thee in bonds, or slay thee, or get thee out (of thy home). They plot and plan, and Allah too plans, but the best of planners is Allah. (Al Anfal : 30)

Many interesting incidents happened from the beginning of this trip to certify that it was not an ordinary one, to the contrary it proves the trip's holiness and majesty.
For instance, Jibril warned the Prophet (p.b.u.h.) not to sleep in the bed he used to sleep in, in order to mislead the schemers. Ali was ordered to wrap himself with the Prophet's cloak so no harm would befall him.
The conspirators waited for the prophet (p.b.u.h.) outside so that all of them would attack him as one man. But when he went out he sprinkled dust on their heads and recited:

وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾

And We have put a bar in front of them and a bar behind them, and further, We have covered them up; so that they cannot see. (Yasin 9)

The Prophet (p.b.u.h.) passed unnoticed and was able to leave Mecca safely accompanied with his faithful companion Abu Bakr.
The two migrants played a clever trick by taking a road that is not the usual road to Al Medinah in order to be missed by their followers.
On their way they would seek refuge in the caves and change their rout frequently. A price of 100 camels was set upon the head of each one. Accordingly horsemen and tracers of tracks eagerly searched for them. As they were hiding in one of the caves they heard they heard their enemies approaching. Abu Bakr was terrified but the Prophet (p.b.u.h.) calmed him saying:

The Majestic Trip

By: Hadeer Refat Abo El Nagah

The month of Muharam ushered the beginning of a new Islamic calendar, for it is the month in which the Honorable Prophet Mohammed (p.b.u.h.) migrated from Macca to Al Medinah. He and his small group of followers suffered bitter persecution, which grew so fierce that in the year 622 Allah gave them the command to emigrate. This event, the Hijra, 'migration', in which they left Macca for the city of Madinah some 260 miles to the north, marks the beginning of the Muslim calendar. Narrated 'Ata bin Abi Rabah:

'Ubaid bin 'Umar Al-Laithi and I visited 'Aisha and asked her about the Hijra (i.e. migration), and she said, "Today there is no (Hijrah) emigration. A believer used to run away with his religion to Allah and His Apostle lest he should be put to trial because of his religion. Today Allah has made Islam triumphant, and today a believer can worship his Lord wherever he likes. But the deeds that are still rewardable (in place of emigration) are Jihad and good intentions." (Hadith No. 5.420 Bukhari).

This trip was not a normal one for it laid the foundations of the Islamic Nation and it is considered a rebirth of the newly-sprung religion. Therefore this Holy migration was observed by Allah and the two immigrants were divinely protected.

After the second pledge of Al-Aqabah the prophet was given the permission to fight the enemies of Islam because the Muslims and the believers were unjustly treated:

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ

نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

To those against whom war is made, permission is given (to fight), because they are wronged; and verily, Allah is Most Powerful for their aid; (Al Hajj-39)

Therefore many Muslims left for the "new" city leaving the Prophet and Abu Bakr, to protect and accompany him whenever he decided to catch up with the fellow Muslims. At that time Quraish planned to block

person miserable. People naturally stay away from anyone whose skin does not look nice. Consequently, he feels offended.

In a number of Ayahs, Allah mentioned the skin as it represents the center of all feelings and. Allah Almighty describes how the disbeliveers are tortured in the hereafter. He says:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا

"Those who disbelieve in our Messenger We shall make them enter Fire. As often as their skins are burned, We shall change them for other skins, that they may taste the chastisement. Surely Allah is ever Mighty, Wise. "(Al Nisa, 56)

He also explains how the skin is a witness against the deeds of the person. Allah says:

وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

"And they will say to their skins: Why bear you witness against us? They will say: Allah who makes everything speaks has made us speak and He created you at first, and to Him you are returned.

"(Fusselat, 21)

- Reference;

An article entitled "Your Skin, The Garment That Does Not Wear Out" by Mr. Magdy Abdul Hamid Beshir, Al Azhar Magazine (Ragab 1420H – October 1999.

One of Allah's Blessings

By: Hanan Abdou El Tahtawy

Our skin is one of the countless blessings of Allah for humanity. The greatness of the Creator is revealed through this gift which covers and protects the whole body. It is the garment which one wears all his life. Allah makes the skin the first defense point for the human body against germs. It is responsible for preserving the temperature of the body and helps us to get to know the surrounding environment as well as feel things and interact with them.

Some people take matters for granted and forget to thank Allah for his gifts. Our duty is to be grateful because this is the means to gain protection from Allah and get more of his bounties. Allah Almighty says:

لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ

"If you are grateful, I will give you more "

(Ibrahim, 7)

With the aid of the early morning sunlight vitamin "D", which is of great value for the bones especially for children, is formed under the skin, thus saving us from disease. Weather changes might affect the skin and cause some problems that worry many people. Dryness of the skin or its breaking is among those problems. When one gets older such troubles increase because the skin loses the moisture it possesses. Usually the body has the ability to produce special oil called Sebum that acts as a protector for the waxy layer of the skin. With elderly people this process is slowed down and the skin is usually dry.

According to researchers, bathing in very hot water should be avoided as well as soaps with strong chemical effect. In Islam cleanliness is something essential. A Muslim is always clean. The prophet (peace and blessings be upon him) said that cleanliness is part of one's faith.

However, bathing more than necessary especially in winter affects the skin with dryness and makes it flabby gradually. After bathing, one should dry himself properly and put some sort of cream if he suffers from skin dryness. In addition, cotton clothes are better to wear than synthetic ones.

It is a religious duty to look after the blessings you are endowedwithinthat case, care and attention are needed to preserve the skin which when unhealthy makes the

AL-AZHAR MAGAZINE
ALMUHARRM 1421 H.

ENGLISH SECTION
Apr. 2000

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

الأعراف / ٤٣

" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(AL A'raf 43)

EDITORS: Dr.TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Dept. of English Language and Translation

AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

الفهرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩م

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير عام التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات: قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

ذكر الله للمحبين نور وللمشتاقين سرور

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله ومن والاه.

وبعد

فإن ذكر الله - تعالى - لهو أفضل العبادات، لأن الله - تعالى - جعل لسائر العبادات مقدارا، وجعل لها أوقاتا، ولم يجعل لذكر الله - تعالى - مقدارا ولا وقتا، وأمر بالكثرة بغير مقدار، وهو قوله - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾(١).

يعني: اذكروه في جميع الأحوال، لأن ذكر الله علم الإيمان، وبراءة من النفاق، وحصن من الشيطان، وحرز من النار؛ ولكل شيء صقال، وصقال القلب ذكر الله - تعالى - وذكر الله محصن من جميع السيئات

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٤١).

قال فضيل بن عياض: إن البيت الذى لا يذكر فيه اسم الله ـ تعالى ـ يظلم على أهله.

وتفسير الذكر فى الأحوال كلها: أن العبد لا يخلو من أربعة أحوال: إما أن يكون فى الطاعة، أو فى المعصية، أو فى النعمة، أو فى الشدة، فإن كان فى الطاعة فينبغى أن يذكر الله ـ تعالى ـ بالتوفيق، ويسأل منه القبول، وإن كان فى المعصية فينبغى أن يدعو الله بالامتناع، ويسأله التوبة، وإن كان فى النعمة يذكره بالشكر، وإن كان فى الشدة يذكره بالصبر.

وعلى العاقل أن يدرك أن فى ذكر الله ـ تعالى ـ خمس خصال محمودة:

أولها: أن فيه رضا الله –تعالى–.

والثانى: أنه يزيد فى الحرص على الطاعات.

والثالث: أن فيه حرزا من الشيطان إذا كان ذاكرا لله –تعالى–

والرابع: أن فيه رقة القلب.

والخامس: أن يمنعه من المعاصى.

قال الله –تعالى–: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[٢].
وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[٣]
وقوله تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٤]والآيات فى الباب كثيرة ومنها قوله –عز وجل–: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[٥].

واختلف العلماء فى ذلك:

فقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: اذكرونى بطاعتى أذكركم بمعونتى، كما قال الله –تعالى–: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[٦].

وقال سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ: اذكرونى بطاعتى، أذكركم بمغفرتى، كما قال الله –تعالى–: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[٧].

---

(٢) سورة آل عمران الآية (١٩١).
(٣) سورة الرعد الآية (٢٨).
(٤) سورة الأحزاب الآية (٣٥).
(٥) سورة البقرة (١٥٢).
(٦) العنكبوت (٦٩).
(٧) آل عمران (١٣٢).

وقال فضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: فاذكرونى بطاعتى أذكركم بثوابى، كما قال الله -عز وجل- : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ ﴾(8).. الآية.

وقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «من أطاع الله فقد ذكر الله، وإن قلت صلاته وصيامه، وتلاوته القرآن، ومن عصى الله فقد نسى الله، وإن كثرت صلاته وصيامه، وتلاوة القرآن»(9).

وقال أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ: «كفى بالتوحيد عبادة، وكفى بالجنة ثوابا».

وقال ابن كيسان ـ رحمه الله ـ: فاذكرونى بالشكر أذكركم بالزيادة، لقوله -تعالى-:

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(10).

وقيل: اذكرونى بالتوحيد والإيمان أذكركم بالدرجات والجنان لقوله -عز وجل-:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾(11) الآية.

وقيل: اذكرونى على ظهر الأرض أذكركم فى بطنها إذا نسيكم أهلها، كما قال الأصمعى: رأيت أعرابيا واقفاً يوم عرفة بعرفات، وهو يقول: الـهى عجت إليك الأصوات بضروب اللغات، يسألونك الحاجات، وحاجتى إليك أن تذكرنى عند البلاء إذ نسينى أهلى.

وقيل: اذكرونى فى الدنيا، أذكركم فى الآخرة، وقيل: اذكرونى بالطاعات أذكركم بالمعافات، دليله قوله -تعالى-:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾(12).

وقيل: اذكرونى بالخلاء والملأ أذكركم بالخلاء والملأ، كما روى أن الله ـ تعالى ـ قال فى بعض الكتب: «أنا عند ظن عبدى بى، فليظن بى ما شاء، وأنا معه إذا ذكرنى، فمن ذكرنى فى نفسه، ذكرته فى نفسى، ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم، ومن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا، ومن أتانى ماشيا،

---

(8) الكهف (٣٠، ٣١).

(9) الدر المنثور (٢٧٤/١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن خالد بن أبى عمران.

(10) إبراهيم (٧).

(11) البقرة (٢٥).

(12) النحل (٩٧).

أتيته هرولة، ومن أتانى بتراب الأرض خطيئة، أتيته بمثلها مغفرة، بعد ألا يشرك بى شيئا(١٣).

وقيل: اذكرونى فى النعمة والرخاء، أذكركم فى الشدة والبلاء، كما قال -عز وجل-: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٤٤ ﴾(١٤).

وقال سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ: «إن العبد إذا كان دعا فى السراء فينزل به البلاء، فتقول الملائكة: يارينا عبدك قد نزل به البلاء فيشفعون له، فيجيبهم الله ـ تعالى ـ وإذا لم يكن دعاه قالوا: ألآن، فلا يشفعون له، بيانه قصة فرعون ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾(١٥). الآية.

وقيل: اذكرونى بالتسليم والتفويض، أذكركم بأصلح الاختيار، بيانه قوله -عز وجل-: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾(١٦).

وقيل: اذكرونى بالشوق والمحبة أذكركم بالوصل والقربة.

وقيل: اذكرونى بالمجد والثناء أذكركم بالعطاء والجزاء.

وقيل: اذكرونى بالتوبة، أذكركم بغفران الحوبة، اذكرونى بالدعاء أذكركم بالعطاء، اذكرونى بالسؤال أذكركم بالنوال، اذكرونى بلا غفلة أذكركم بلا مهلة، اذكرونى بالندم، أذكركم بالكرم، اذكرونى بالمعذرة، أذكركم بالمغفرة، اذكرونى بالإرداة أذكركم بالإفادة، اذكرونى بالتنصل أذكركم بالتفضل، اذكرونى بالاخلاص أذكركم بالخلاص، اذكرونى بالقلوب أذكركم بكشف الكروب، اذكرونى بلا نسيان أذكركم بالإيمان، اذكرونى بالافتقار أذكركم بالاقتدار، اذكرونى بالاعتذار والاستغفار أذكركم بالرحمة والاغتفار، اذكرونى بالايمان أذكركم بالجنان، اذكرونى بالاسلام أذكركم بالإكرام، اذكرونى بالقلب أذكركم بكشف الحجب، اذكرونى بالابتهال أذكركم بالأفضال، اذكرونى بالتذلل، أذكركم بمغفرة الزلل، اذكرونى بالاعتراف أذكركم بمحو الاقتراف، اذكرونى بصفاء السر أذكركم بخالص البر، اذكرونى بالصدق أذكركم بالرفق، اذكرونى بالصفو أذكركم بالعفو، اذكرونى بالتعظيم أذكركم بالتكريم، اذكرونى بالتكبير أذكركم بالنجاة من السعير اذكرونى بترك الجفاء أذكركم بحفظ الوفاء، اذكرونى بترك الخطأ أذكركم بأنواع العطا،

---

(١٣) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة مع اختلاف فى بعض الألفاظ، وروى البزار بمعناه بإسناد صحيح وكذا الطبرانى عن معاذ بن أنس بإسناد حسن.

(١٤) الصافات (١٤٣ - ١٤٤).

(١٥) يونس (٩١).

(١٦) الطلاق (٣).

اذكرونى بالجهد فى الخدمة أذكركم بإتمام النعمة، اذكرونى من حيث أنتم أذكركم من حيث أنا، ولذكر الله أكبر.

قال الربيع ـ رحمه الله ـ فى هذه الآية: إن الله ـ تعالى ـ ذاكر من يذكره، وزائد لمن يشكره، ومعذب من يكفره.

وقال السدى ـ رحمه الله ـ فيها: ليس من عبد يذكر الله ـ تعالى ـ إلا ذكره، لا يذكره مؤمن إلا ذكره بالرحمة، ولا يذكره كافر إلا ذكره بالعذاب(١٧).

وقال سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ بلغنا أن الله ـ عز وجل ـ قال: أعطيت عبادى ما لو أعطيته جبريل وميكائيل، كنت قد أجزلت لهما، فقلت لهم: اذكرونى أذكركم، وقلت لموسى: قل للظلمة لا يذكرونى، فإنى أذكر من ذكرنى، وإن ذكرى إياهم أن ألعنهم.

وقال أبو عثمان النهدى ـ رحمه الله ـ: إنى أعلم حين يذكرنى ربى، قيل له: وكيف ذلك؟

فقال: إن الله ـ عز وجل ـ قال: «اذكرونى أذكركم» فإذا ذكرت الله ذكرنى.

وقيل: أوحى الله ـ عز وجل ـ إلى داود ـ عليه السلام ـ يا داود بى فافرحوا، وبذكرى فتنعموا.

وقال الثورى ـ رحمه الله ـ: لكل شىء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله(١٨).

وروى الشيخان: قال الله ـ تعالى ـ: «أنا عند ظن عبدى بى، إن ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملئه» وروى الطبرانى: «وليس يتحير ـ يتحسر ـ أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله ـ تعالى ـ فيها»

وروى البزار: «ذاكر الله ـ تعالى ـ فى الغافلين بمنزلة الصابر فى الفارين» قال الأستاذ أبو على الدقاق ـ رحمه الله تعالى ـ: «الذكر ركن قوى فى طريق الله ـ تعالى ـ، بل هو العمدة فى هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله ـ تعالى ـ إلا بدوام الذكر».

واعلم يا أخى أنه لا يصل أحد إلى الحضرة الإلهية إلا بالذكر، ولا يحصل أحد الكشف والإخلاص إلا بالذكر، وأنه بالذكر تنزل الرحمة لحديث الطبرانى: «لا يقعد قوم يذكرون الله ـ تعالى ـ إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله ـ تعالى ـ فيمن عنده» وأن بذكر الله ـ تعالى ـ يزول الغم الواقع للناس فى هذه الدار، وبالذكر كذلك تذهب القسوة عن القلب

---

(١٧) الدر المنثور (١/٢٧٤).

(١٨) الغنية (٢/٤٣ ـ ٤٤). وزهر الكمام بأخبار سيدنا يوسف -عليه السلام- لعمر بن إبراهيم الأوسى ١٩٧.

قال الحكيم الترمذى ـ رحمه الله تعالى ـ « ذكر الله يرطب القلب ويلينه، فإذا خلا عن الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوة فقسى ويبس وامتنعت الأعضاء عن الطاعة » وأن بمداومة ذكر الله – تعالى ـ تخمد الأمراض الباطنة من: كبر وعجب ورياء وحسد، وسوء ظن وحقد وغل ومكر وحب محمدة وغير ذلك، وبذكر الله تدفع الآفات

قال ذو النون المصرى ـ رحمه الله ـ: « من ذكر الله ـ تعالى ـ حفظه من كل شىء » .

وأجمع القوم على « أن الذكر مفتاح الغيب ، وجاذب الخير، وأنيس المستوحش، وجامع لشتات صاحبه » وأن فوائد الذكر لا تنحصر، لأن الذاكر يصير جليس الحق ـ تعالى ـ من الأسرار والعلوم كلما ذكر. . ويروى: « إن بيوت الذاكرين لها نور يراه الملائكة بقدر ما فيها من الذكر، كما نرى نحن النجوم فى السماء »(١٩) .

وفى الحديث: « أفضل الذكر لا إله إلا الله » رواه الحاكم، أى: لأنها كلمة التوحيد، وأن التوحيد لا يماثله شىء، ولأن لها تأثير فى تطهير الباطن، وفى الحديث: « خير الذكر الخفى، وخير العبادة أخفها » رواه القضاعى وإنما كان الأخف خير العبادة لسهولة المداومة، ولأنه أنشط للنفس. وقال الشعرانى ـ رحمه الله ـ: أجمع العلماء سلفا وخلفا على استحباب ذكر الله – تعالى ـ جماعة فى المساجد وغيرها من غير نكير، بشرط أمن من الرياء ومن تأذى نحو مصل.

وانظروا إخوة الإيمان إلى كلمة التوحيد، إلى كلمة الإخلاص، ما أعظم بركاتها، فرطبوا ألسنتكم بها، لتنالوا بركة إحسانها، وتظفروا بحلاوة امتنانها؛ ولله در القائل:

يا قوم لا تغفلوا بجهلكم	من ذكر لا إله إلا هو
كيف تنام العيون عن ملك	سبحانه لا إله إلا هو
تنسوه فى الليل والنهار ولا	ينساكمو لا إله إلا هو
هو الإله العظيم قدرته	سبحانه لا إله إلا هو
يا فوز من مات وهو معتقد	يشهد أن لا إله إلا هو
سبحانه ما أعم رحمته	لمذنب تاب من خطاياه

إلهى ردنا إليك بفضلك ورحمتك، ووفقنا للإقبال عليك، والاشتغال بخدمتك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(عبد المعز عبد الحميد الجزار)

---

(١٩) طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب للعارف بالله الدرينى ٢٧.

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيّد طنطاوى

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيّد طنطاوى

قال الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠) فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨٢) ﴾ الآيات من ١٨٠ : ١٨٢

بعد أن بين – سبحانه – ما يتعلق بالقصاص، أتبعه بالحديث عن الوصية، ليرشد الناس إلى ما ينبغى أن نكون عليه، وليبطل ما كان من عوائد الجاهلية من وصايا جائرة.

وقوله –تعالى–: « كتب عليكم » قد استفاض فى عرف الشرع بمعنى وجب عليكم. و« حضور

الموت » يقع عند معاينة الإنسان للموت، ولعجزه فى هذا الوقت عن الإيصاء فسر بحضور أسبابه، وظهور أماراته، من نحو العلل المخوفة والهرم البالغ، وقد شاع عند العرب استعمال السبب كناية عن المسبب، ومن ذلك قول شاعرهم:

يأيها الراكب المزجى مطيته
سائل بنى أسد ما هذه الصوت[١]
وقل لهم بادروا بالعذر والتمسوا
قولا يبرئكم إنى أنا الموت

والخير: المال، وقالوا: إنه هنا مختص بالمال الكثير، لأن مقام الوصية يشعر بذلك، ولم يرد نص من الشارع فى تقدير ما يسمى مالا كثيرا، وإنما وردت آثار من بعض الصحابة والتابعين فى تقديره بحسب اجتهادهم، وبالنظر إلى ما يسمى بحسب العرف مالا كثيرا فقال بعضهم: من ألف درهم إلى خمسمائة درهم، وقال بعضهم: من ألف درهم إلى ثمانمائة درهم، والحق أن هذا التقدير يختلف باختلاف الأشخاص والأزمان والعرف.

ويرى بعض العلماء أن الوصية مشروعة فى المال قليله وكثيره.

قال القرطبى: والوصية عبارة عن كل شىء يؤمر بفعله ويعهد به فى الحياة وبعد الموت، وخصها العرف بما يعهد بفعله وتنفيذه بعد الموت، والجمع: وصايا، كالقضايا جمع قضية. والوصى يكون الموصى والموصى إليه، وأصله من وصى مخففا، وتواصى النبت تواصيا إذا اتصل، وأرض واصية: متصلة النبات. وأوصيت له بشىء، وأوصيت إليه إذا جعلته وصيك. والاسم الوصاية والوصاية -بالفتح وبالكسر- وتواصى القوم: أوصى بعضهم بعضا[٢].

والمعنى: كتب عليكم أيها المؤمنون أنه إذا ظهرت على أحدكم أمارات الموت: من مرض ثقيل، أو شيخوخة مضعفة، وكان عنده مال كثير قد جمعه عن طريق حلال، أن يوصى بجانب منه لوالديه وأقاربه رعاية لحقهم وحاجتهم، وأن تكون وصيته لهم بالعدل الذى لا مضارة فيه بين الأقارب، والوصية على هذا الوجه تعتبر حقا واجبا على المتقين الذين اتخذوا التقوى والخشية من الله طريقا لهم.

فالآية الكريمة استئناف لبيان الوصية بعد الحديث عن القصاص، وفصل القرآن الحديث عن الوصية عن سابقه للإشعار بأنه حكم مستقل جدير بالأهمية.

وقد جاء الحديث عن الوصية بتلك الطريقة الحكيمة، لتغيير ما كان من عادات بعض أهل الجاهلية، فإنهم كانوا كثيرا مانعون القريب من الإرث، توهما منهم أنه يتمنى موت قريبه ليرثه،

---

(١) الصوت مذكر، وقد أنثه الشاعر هنا لأنه أراد به الضوضاء والجلبة على معنى الصيحة- كما أفاده المعلق على القرطبى نقلا عن لسان العرب.

(٢) تفسير القرطبى جـ٢ ص٢٥٩.

وربما فضلوا بعض الأقارب على بعض فيؤدى ذلك إلى التباغض والتحاسد، وربما فضلوا -أيضا- الوصية لغير الأقارب للفخر والتباهى، فشرع الإسلام لأتباعه ما يقوى الروابط ويمنع التحاسد والتعادى.

قال الجمل: وكتب فعل ماضى مبنى للمجهول، وحذف الفاعل للعلم به وهو الله -تعالى- وفى القائم مقام الفاعل ثلاثة أوجه:

أحدهما: أن يكون الوصية، أى: كتب عليكم الوصية، وجاز تذكير الفعل لكون القائم مقام الفاعل مونثا مجازيا ولوجود الفصل بينه وبين مرفوعه.

والثانى: أنه الإيصاء المدلول عليه بقوله: «الوصية» للوالدين، أى: كتب هو، أى الإيصاء.

والثالث: أنه الجار والمجرور. وهذا يتجه على رأى الأخفش والكوفيين وعليه فيكون قوله: «عليكم» فى محل رفع، ويكون فى محل النصب على القولين الأولين وجواب كل من «إذا» و«إن» محذوف. أى كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا فليوص[٣].

والباء فى قوله: «بالمعروف» للملابسة، والجار والمجرور فى موضع الحال من الوصية.

والمراد بالمعروف هنا العدل الذى جاءت به الشريعة، بأن لا يتجاوز بالوصية الثلث، وأن لايوصى للأغنياء ويترك الفقراء أو يوصى للقريب ويترك الأقرب مع أنه أشد فقرا ومسكنة.

وقوله: ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد للحدث الذى دل عليه «كتب» وعامله إما «كتب» أو فعل محذوف تقديره حق أى: حق ذلك حقا.

وقوله: ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ صفة له. أى حقا كائنا على المتقين.

وخص هذا الحق بالمتقين ترغيبا فى الرضا به؛ لأن ما كان من شأن المتقى فهو أمر نفيس جدير أن يتأسى به الناس، ومن أهمله فقد حرم من الدخول فى زمرتهم، وخسر بذلك خسارة عظيمة.

قال بعض العلماء: وقد وردت هذه الآية فى الوصية للوالدين والأقربين، والمعروف عند الأمة منذ عهد السلف أن الوصية لا تصح لوارث، والوالدان لهما نصيب مفروض فى المواريث، ومقتضاه عدم صحة الوصية لهما؟

ويزيح هذا الاشكال من طريق التفسير أن فريقا من أهل العلم وهم جمهور المفسرين ذهبوا إلى أن الآية قد نسخ منها حكم الوصية للوارث. وإيضاح وجه النسخ أن آية المواريث نزلت بعد آية الوصية فقامت مقامها فى الوصية للوارث، ودل على هذا المعنى صراحة الحديث الشريف وهو قوله – صلى الله عليه وسلم –: «إن الله أعطى كل ذى حق حقه، ألا لا وصية لوارث».

وهذا الحديث وإن لم يبلغ مبلغ الحديث المتواتر الذى يصح نسخه للقرآن بنفسه، فقد

---

(٣) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ ص١٤٤.

امتاز عن بقية أخبار الآحاد بأن الأمة تلقته بالقبول، وأخذوا فى العمل به من غير مخالف، فأخذ بهذا قوة الحديث المتواتر فى الرواية واعتمدوا عليه فى بيان أن آية المواريث قامت بتقدير الأنصباء فى الميراث مقام آية ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ فى الوصية للوارث.

وروى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس -رضى الله عنه- قال: كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس، وجعل للمرأة الثمن والربع، وللزوج الشطر والربع.

ومن أهل العلم من لم يستطيعوا أن يهملوا حديث: «لا وصية لوارث» لاستفاضته بين الأمة وتلقيهم له بالقبول، فقرروا العمل به وأبطلوا الوصية لوارث، ولكنهم ذهبوا مع هذا إلى أن آية الوصية للوالدين محكمة غير منسوخة، وتأولوها على وجوه منها أن المراد من قوله: «للوالدين» الوالدان اللذان لا يرثان لمانع من الإرث كالكفر والاسترقاق، وقد كانوا حديثى عهد بالإسلام يسلم الرجل ولا يسلم أبواه، وقد أوصى الله بالإحسان إليهما»[٤].

ثم توعد - سبحانه - من يبدل الوصية بطريقة لم يأذن بها الله فقال -تعالى-:

﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ﴾.

بدله: غيره وتغيير الوصية يتأتى بالزيادة فى الموصى به، أو النقص منه أو كتمانه، أو غير ذلك من وجوه التغيير للموصى به بعد وفاة الموصى.

سمعه: أى علمه وتحققه، وكنى بالسماع عن العلم؛ لأنه طريق حصوله. والضمائر البارزة فى «بدله وسمعه وإثمه ويبدلونه» عائدة على القول أو على الكلام الذى يقوله الموصى والذى دل عليه لفظ الوصية أو على الإيصاء المفهوم من الوصية، وهو الإيصاء أو القول الواقع على الوجه الذى شرعه الله.

والمعنى: فمن غير الإيصاء الذى أوصى به المتوفى عن وجهه، بعدما علمه وتحققه منه، فإنما إثم ذلك التغيير فى الإيصاء يقع على عاتق هذا المبدل، لأنه بهذا التبديل قد خان الأمانة، وخالف شريعة الله، ولن يلحق الموصى شيئا من الإثم؛ لأنه قد أدى ما عليه بفعله للوصية كما يريدها الله -تعالى-

وقد ختمت الآية بقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٨١ ﴾ للإشعار بالوعيد الشديد الذى توعد الله به كل من غير وبدل هذا الحق عن وجهه، لأن الله -تعالى- لا يخفى عليه شىء من حيل الناس الباطلة، فهو - سبحانه - سميع لوصية الموصى، عليم بما يقع فيه من تبديل وتحريف.

ثم استثنى -سبحانه- حالة يجوز فيها التغيير فقال:

﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾.

---

(٤) تفسير القرآن الكريم لفضيله استاذنا الشيخ محمد الخضر حسين. مجلة لواء الإسلام السنة الرابعة: العدد العاشر.

خــاف: من الخــوف، وهـو فى الأصل حــالة تعــترى النفس عند الانقبـاض من شـر يتـوقع حصوله على سبيل الظن أو على سبيل العلم.

والجنف: الميل والجور يقال: جنف فى وصيته وأجنف، مال وجار، فهو جنف وأجنف.

وقيل: أجنف مختص بالوصية وجنف فى مطلق الميل عن الحق، ويقـال: جنف وجنف عن طريقه جنفا وجنوفا.

والإثم: العمل الذى يبغضه الله. يقال: أثم فهو آثم وأثيم.

قـال بعـضـهم: والمراد بالجنف هنا: الميل عن الحق فى الوصية خطأ، بقرينة مقابلته بالإثم وهو الميل عن الحق فيها عمدا.

هذا، ويرى جمهور العلماء أن هذه الآية الكريمة واردة فى الوصى يرى أن الموصى قد حاد فى وصيته عن حدود العدل، فللوصى حينئذ أن يصلح فيها، بحيث يجعلها متفقة مع ما شرعه الله، وهو فى هذه الحالة لا إثم عليه لأنه قد غير الباطل بالحق، وعلى هـذا الرأى يكون المعنى: أن الوصى إذا رأى فى الوصية ميلا عن الحق خطأ أو عمدا وأصلح بين الموصى لهم يردهم إلى الوجه المشروع فلا إثم عليه فى التغيير فى الوصية. والضمير فى قوله: «بينهم» عائد على الموصى لهم.

ويرى آخرون أن هذه الآية واردة فى شأن كل من يبغى الإصلاح من الناس، بأن يرى الموصى يوصى، فظهر له -أى هذا المصلح- أن الموصى قد جانب العدل والصواب فى وصيته، فيأخذ فى الإصلاح، بأن يرشده بأن فعله هذا لا يتفق مع شريعة العدل التى أمر بها الله، ويحاول قدر استطاعته أن يزيل ما حدث من خلاف بين الموصى والموصى لهم.

وعلى هذا الرأى يكون المعنى: إن خرج الموصى فى وصيته عن حدود العدالة، ورأى أمارات ذلك منه من يريد الإصلاح من الناس، وتوقع أن شرا سيترتب على هذه الوصية التى فيها جور، أو شاهد نزاعا بين الموصى لهم بسبب ذلك، فلا إثم على هذا المصلح فى أن يصلح بين الموصى والموصى لهم، وأن يرشد الموصى إلى سلوك طريق العدل والحق. وعليه فيكون الضمير فى قوله: «بينهم» يعود على الموصى والموصى لهم.

ويبدو لنا أن الرأى الأول أقرب إلى الصواب، لأن سياق الآية يؤيده، إذ هى بمنزلة الاستثناء من قوله -تعالى-: ﴿**فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ**﴾.. وهذا إنما يكون بعد موت الموصى لا فى حياته.

وقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ تذييل أتى به -سبحانه- للوعد بالثواب للمصلح على إصلاحه، فإن من يغفر الذنوب ويرحم المذنبين تكون مغفرته ورحمته أقرب إلى من يقصد بعمله الإصلاح ولو اعتمد على ظن غالب أو أخطأ وجه الصواب فيما أتى من أعمال.

وبهذا تكون الآيات الكريمة قد بينت للناس حكما آخر من أحكامها السامية، يتعلق بالوصية فى الأموال، وفى هذا الحكم دعوة إلى التراحم والتكافل، وغرس لأواصر المودة والمحبة بين الأبناء والآباء وبين الأقارب بعضهم مع بعض.

يتبـــع

قبس من أنوار النبوة

المسئولية فى الإسلام

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال:

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ».

(رواه الشيخان وأبو داود والترمذى وأحمد).

إن الإسلام دين الله جاء لإصلاح الحياة، وقيادة مسيرتها على طريق الخير، ولقد أراد الله لهذا الدين الخالد أن يكون المنهاج الكامل للحياة وللأحياء والمسلمون مهما اختلفت أنسابهم، وتناءت ديارهم، وتعددت لغاتهم هم إخوة فى الدين، وأشقاء فى العقيدة، يجمعهم الحب فى الله، ويربطهم التراحم والتعاطف، ويؤلف بينهم التعاون على البر والتقوى، ولا يزالون بخير وفى خير ما رحم كبيرُهم صغيرَهم، وما وقر صغيرُهم كبيرَهم.

« فليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا ».

هذا القانون الذى فرضه الإسلام على أتباعه، وجعله شعارهم وعلامة على إيمانهم، وشاهداً على إسلامهم، يُحَمِّل كل واحد من المسلمين مسئولية تجاه غيره من المسلمين جميعاً، كلٌّ على حسب طاقته ووجاهته، وزعامته، ومواهبه واستعداداته، فهو إلى جانب تحمل مسئولية نفسه وإصلاحها واستقامتها، مسئول عن أهله وولده فى إصلاحهم واستقامتهم، مسئول عن جيرانه وأهل بلده فى إصلاحهم واستقامتهم، مسئول عن مجتمعه الإسلامى فى شتى بقاع الأرض، فليس هناك إيمان منقطع عن الواقع الحياتى للإنسانية.

ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

وكل فرد فى مجتمع الإسلام يتوجب عليه نوعان من المسئولية:

مسئولية عن نفسه، فهو مسئول عن جوارحه، مسئول عن عقله وقلبه وعن حاله وحياته وأوقاته، فهذه رعاياه؛ كما علمنا الرسول الأمين.. فعن معاذ -رضى الله عنه- أن النبى

(صلى الله عليه وسلم) قال : « لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه » . . رواه البزار والطبراني

يوم يقال للعبد ماذا عملت لنفسك أو لأهلك أو لولدك أو لذوى قرابتك أو لمدينتك أو لوطنك أو لأمتك .

والنوع الثانى : المسئولية عن عمل الغير بطريق الأمر أو الإيحاء عملاً بقاعدة الدال على الخير كفاعله ، والآمر بالسوء والفحشاء وزره كوزر فاعله ، وفى ذلك يقول النبى (صلى الله عليه وسلم) فيما رواه أحمد عن أبى هريرة -رضى الله عنه- : « من سن خيراً فاسْتُنَّ به كان له أجره كاملاً ، ومن أجور من استَنَّ به ، ولا يَنْقُصُ من أجورهم شىء ، ومن اسْتَنّ شراً فاسْتُنَّ به كان عليه وزره كاملاً ومن أوزار من اسْتَنَّ به لا يَنْقُصُ من أوزارهم شىء » .

إن الذى يروج شائعة كاذبة لا تقف مسئوليته عند قول الزور والبهتان ، بل يتعدد ذنبه لعدد من تلقف لسانه هذه الكلمة ويتكرر بتكرارها كمن يروج نقوداً زائففة ، « ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » .

وقد يكون لنا تسبب فى استمرار الشر بالسكوت عليه ، فإن الساكت على الشر شريك لفاعله ، والساكت عن الحق شيطان أخرس .

عن النعمان بن بشير -رضى الله عنهما- عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : « مثل القائم فى حدود الله -المدافع عنها- والواقع فيها -المرتكب لها- كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » .

(رواه البخارى) .

وعندما نقرأ فى كتاب ربنا -تبارك وتعالى- قوله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١) .

فقد جمعت هذه الآية فى كلماتها القليلة أنواع المسئوليات ، ففى قوله : لا تخونوا الله نجد المسئولية الدينية ، وفى قوله : « والرسول » نجد المسئولية أمام الناس ، وفى « وتخونوا أماناتكم » نجد المسئولية الأخلاقية أمام الضمير ، ومما يزيد الأمر وضوحاً ، والمعنى تفصيلاً نجد فى قول الله تعالى :

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٢) .

ففى ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ هذه المحكمة الإلهية . وفى قوله : « ورسوله » المسئولية الإنسانية . وفى « فينبئكم بما كنتم تعملون » هذه هى محكمة الضمير التى نمر أمامها يوم القيامة قبل أن نعرض على المحكمة الإلهية . قال تعالى :

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾(٣) .

---

(١) سورة الأنفال ٢٧.
(٢) سورة التوبة ١٠٥.
(٣) سورة الإسراء ١٣ ، ١٤.

الهجرة

للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

بعد بيعة العقبة الثانية، طابت نفس الرسول -صلى الله عليه وسلم- خاصة بعد أن جعل الله له منعة وقوة، فلما اشتد إيذاء المشركين للمسلمين، شكا المسلمون إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- واستأذنوه فى الهجرة، فقال: «لقد أريت دار هجرتكم، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين -وهما الحرتان- ولو كانت السراة أرض نخل وسباخ لقلت: هى هى، ثم مكث أياما، ثم خرج إلى أصحابه مسرورا، فقال: «قد أخبرت بدار هجرتكم وهى يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج إليها»، فأخذ القوم يخرجون ذاهبين إلى هناك، أفرادا وجماعات فى سرية تامة، ونزلوا على الأنصار، الذين آووا ونصروا، وهكذا خرج المسلمون جميعاً، حتى لم يبق منهم بمكة إلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبوبكر وعلى... ومن بين من خرج من المسلمين: جماعة جمعوا بين الحسنيين، ونالوا شرف المهاجرين، وشرف الأنصار، وهؤلاء هم: ذكوان ابن عبد قيس، وعقبة بن وهب بن كلدة، والعباس بن عبادة بن نضلة، وزياد بن لبيد، وهؤلاء النفر من الأنصار كانوا قد بايعوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى العقبة الثانية ثم رجعوا إلى المدينة، فلما قدم أول من هاجر إلى قُباء خرجوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمكة حتى قدموا مع أصحابه فى الهجرة، فهم مهاجرون أنصاريون.

وتمت هجرة جميع المسلمين فى سرية تامة، إلا ما كان من عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- فيما رواه عنه المؤرخون، فإنه قد هاجر علانية، وتحدى قريش قائلاً:

«من أراد أن تثكله أمه، أو ييتم ولده، أو ترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى»، فما اتبعه أحد.

وهاجر طلحة بن عبيد الله، وصهيب بن سنان الرومى معا، وكان لصهيب مال، فأراد المشركون أن يقتلوه ويأخذوا ماله، فما أن اقتربوا منه إلا أن قال لهم: قد تعلمون أنى من أرماكم رجلا، ووالله لا تصلون إلىّ أو يموت منكم عدد كبير، فاتركونى وشأنى، قالوا: فاترك مالك فألقى إليهم ما معه من مال، ودلهم على ماله بمكة، ليأخذوه، فانصرفوا، وفى حقه نزل قول الله -تعالى-:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾(١).

أما أبوبكر الصديق -رضى الله عنه- فقد استأذن فى الهجرة، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا» وأما على بن أبى طالب -رضى الله عنه- فقد بقى مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمكة؛ بل وبقى بعده، ليقوم برد الودائع، التى كانت عنده إلى أصحابها.

حول أسباب الهجرة

علمنا -فيما سبق- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد أذن للمسلمين بالهجرة بعد أن رأى أصحابه من أعدائهم أذى كثيرا، فلما هاجروا نمى إلى علم المشركين خبر هجرتهم، وعرفوا أنهم قد أصبحوا فى منعة وقوة، فخافوا أن يلحق بهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويكون معهم قوة هائلة، يجابههم بها، فلا يستطيعون أن يقاوموه، وعندئذ يتطور الموقف من أزمة دينية إلى أزمة أخرى اقتصادية، قد تودى إلى ضياع بضاعتهم، وكساد تجارتهم، لأن يثرب ذات موقع حيوى، فهى تقع فى الطريق بين مكة والشام، فرأوا أن هذه الدعوة وما تحمله من دين، أصبحت تشكل خطرا جسيما على عقيدتهم، وعلى تجارتهم، وعلى مستقبل حياتهم كله، فنهضوا ليعدوا للأمر عدته، واجتمعوا فى دار الندوة(٢) وجمعوا أهل الحجى والرأى فيهم؛ ليدلى كل واحد منهم برأيه، وحضر إبليس معهم فى صورة شيخ نجدى، وأشار كل واحد من القوم برأى:

فقال قائل منهم: نخرجه من أرضنا، وننفيه إلى مكان قاص حتى نستريح منه، ولكن هذا الرأى لم يلق قبولاً؛ لأنهم يرون أنه إذا خرج التف حوله الناس، وتألفت به القلوب لما له من عذوبة فى الحديث، وجمال فى النطق.

فقال آخر: نوثقه ونحبسه حتى يموت كما مات من قبله من الشعراء.

ولكن هذا الرأى -أيضاً- لم يصادف قبولا كذلك، إذ أنهم يعلمون أنهم إذا حبسوه فسوف يظهر أمره، وتترامى أخباره لأصحابه، وهنا يتواثبون عليهم، ليخلصوه منهم، ويغلبوهم.

ثم قال أبو جهل بن هشام: والله إنى لى فيكم رأيا، ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟

قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة من قريش غلاما نهدا جلدا، ثم نعطيه سيفا صارما، فيضربونه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه فى القبائل، فلا يدرى بنو عبد مناف بعد ذلك ما تصنع، وهنا وقع هذا القول من إبليس موقع القبول، فيقول: «لله در الفتى»، ولكن هذا المكر، وتلك المؤامرة ما كانت لتخفى على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلقد أوحى الله إليه بما دبروه، وأمره بالهجرة، قال الله -تعالى-:

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾(٣). ويمكننا إبراز الأسباب التى كانت من أجلها الهجرة، وتلخيصها فيما يأتى:

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٠٧.

(٢) هى دار قصى بن كلاب، كانت قريش تجتمع فيها للتشاور.

(٣) سورة الأنفال ٣٠.

أولاً: الانتقال بالدعوة الإسلامية إلى بقعة خصبة تؤتى ثمارها وينتفع بها الناس.

ثانيا: شدة إيذاء المشركين للمسلمين، خاصة بعد وفاة أبى طالب، وخديجة.

ثالثا: إخلاص الأوس والخزرج لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد ظهر ذلك من بيعتى العقبة: الأولى والثانية.

رابعا: محاولة المشركين الغدر برسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

هجرة رسول الله -ﷺ- وأبى بكر

ولما دبر الأعداء مؤامرتهم، وحاكوا فى الخفاء خيوطها، أراد الله -تعالى- أن يحبط ظلمهم، ويرد كيدهم فى نحورهم، فأرسل جبريل -عليه السلام- إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبره الخبر، وأمره ألا ينام فى مضجعه تلك الليلة.

وهكذا تولى رب العزة -سبحانه وتعالى- رعايته لرسوله -عليه الصلاة والسلام- وكشف له ربه كل ما دبروه من غدر ومكيدة، وكل ما يسرون وما يعلنون:

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾(٤) ونام على -رضى الله عنه- مكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقال له النبى -صلى الله عليه وسلم-: «لن يخلص إليك شيء تكرهه» وتسجى على ببردته، وكان الأعداء إذا نظروا اعتقدوا أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يزل نائما، حتى خرج من بينهم، دون أن يشعروا به، فقد أغشاهم الله:

﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾(٥)

وهكذا نجا الله -تعالى- رسوله -صلى الله عليه وسلم- من كيد الكائدين:

﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾(٦)

وانطلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك.

فقال أبوبكر: فخذ -بأبى أنت وأمى- إحدى راحلتىَّ هاتين- فقال -صلى الله عليه وسلم-: بالثمن، وكان أبوبكر -رضى الله عنه- قد اشتراهما بثمانمائة درهم، فأخذ إحداهما وهى القصواء، وهناك قال قائل القوم: ما تنتظرون؟، قالوا: محمدا، فقال: خبتم وخسرتم، قد -والله- مر بكم وذر على رءوسكم التراب. قالوا: والله ما أبصرناه.

وقاموا ينفضون التراب عن رءوسهم، وسألوا عليا عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-؟ فقال: لا علم لى به، ومضى الرسول -صلى الله عليه وسلم- هجرته المباركة، مودعا مكة الحبيبة، بكلماته المرهفات: «والله إنك لأحب البلاد إلى نفسى، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت».

فى الغار

خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر إلى غار ثور، ويقع جنوب مكة، على بُعد حوالى خمسة كيلومترات، وأدرك كفار قريش أنه فر من مكة، فأعلنوا عن جائزة ثمينة قدرها مائة ناقة،

(٤) سورة ياسين ٧٦.

(٥) سورة ياسين ٩.

(٦) سورة آل عمران ٥٤.

لمن يأتي به حيا أو ميتا، وتسابق الشبان من المشركين وألقت قريش بأقوى فتيانها بحثا فى الطريق من مكة إلى المدينة، كل يحاول الظفر بالجائزة حتى وصل بعضهم إلى الغار، وأصبحوا بحيث لو نظر أحدهم تحت قدميه لرأى الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصاحبه أبا بكر -رضى الله عنه-.

ولكن العناية الإلهية قامت بدورها الخارق للعادة، وظهرت من المعجزات في هذه الآونة، ما يجعل العقل البشرى يسجد أمام عظمة الخالق البارىء -سبحانه وتعالى- لقد ضربت العنكبوت على باب الغار، ونسجت خيوطها، وأقامت عشها، فما أن وصلوا إليه حتى قال بعضهم: إن عليه العنكبوت قبل ميلاد محمد، فانصرفوا؛ قال ابن سعد فى «طبقاته الكبرى»: أخبرنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا عون بن عمرو القيسى -أخو رباح القيسى- حدثنا أبو مصعب المكى قال: أدركت زيد بن أرقم، وأنس بن مالك، والمغيرة بن شعبة، فسمعتهما يتحدثون أن النبى -صلى الله عليه وسلم- فى ليلة الغار، أمر الله شجرة فنبتت، فى وجهه، فسترته، وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجهه فسترته، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار، وأقبل فتيان قريش، من كل بطن: رجل، بأسيافهم وعصيهم وهراواتهم حتى إذا كانوا من النبى -صلى الله عليه وسلم- قدر أربعين ذراعا، نظر أولهم، فرأى الحمامتين فرجع، فقال له أصحابه: مالك لم تنظر فى الغار؟ قال: رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار، فعرفت أن ليس فيه أحد، قال: فسمع النبى -صلى الله عليه وسلم- قوله فعرف أن الله قد درأ عنه بهما.

وكانت لأبى بكر منيحة غنم يرعاها عامر بن فهيرة، وكان يأتيهم بها ليلا، فيحتلبون، فإذا كان السَحَر، سرح مع الناس، قالت عائشة: وجهزناهما أحب الجهاز، وصنعنا لهما سفرة فى جراب، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها، فأوكت به الجراب، وقطعت أخرى فصيرته عصاما، لفم القربة، فبذلك سميت ذات النطاقين. أ هـ

وهكذا مكث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو وصاحبه ثلاث ليال فى الغار، كان يبيت عندهما عبدالله بن أبى بكر، وخرج من الغار ليلة الاثنين، لأربع ليال خلون من شهر ربيع الأول، وقد صور العارف بالله الشيخ البوصيرى -رحمه الله- لقاء الغار بقوله:

فالصدق فى الغار والصديق لم يرما
وهم يقولون: ما بالغار من إرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم

فى الطريق إلى المدينة

استأجر الصديق -رضى الله عنه- دليلا هو عبدالله بن أريقط، وبرغم أنه كان على دين الكفر إلا أنهما أمناه، ومعهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر، وفى طريقهم مروا بخيمتى أم معبد الخزاعية، وكانت تقعد بفناء الخيمة، تسقى الناس، وتطعمهم، فسألوا ليشتروا منها تمرا أو لحما، فلم يجدوا عندها شيئا، وقالت لهم: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكما القِرىَ، فنظر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى شاة فى كسر الخيمة، فقال: «ما هذه الشاة يا أم معبد؟» قالت: هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم، فقال:

«هل بها من لبن؟» قالت: هى أجهد من ذلك، قال: «أتأذنين لى أن أحلبها؟» قالت: نعم، بأبى أنت وأمى، إن رأيت بها حلبا، فدعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالشاة فمسح ضرعها، وذكر اسم الله، وقال: «اللهم بارك لها فى شاتها، وهنا ظهرت معجزاته -صلوات الله وسلامه عليه- فإذا بالضرع يمتلىء لبنا، ويدر الكثير، فدعا بإناء لها يكفى الرهط، فحلب فيه، فسقاها فشربت حتى رويت، وسقا أصحابه حتى رووا، وشرب -صلى الله عليه وسلم- آخرهم، ثم حلب فيه ثانيا، وغادره عندها.

وقد أخذوا طريقهم بعد ذلك فى الرحلة، ولما جاء زوجها أبومعبد، ورأى اللبن عجب، وقال: من أين لكم هذا، والشاة عازبة، ولا حلوبة فى البيت؟» قالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت، قال: والله إنى لأراه صاحب قريش الذى يطلب، صفيه لى يا أم معبد.

قالت: رأيت رجلا ظاهر الوضاءة، مبتلج الوجه، حسن الخلق... وظلت تصفه إلى أن قالت: فهو أنضر الثلاثة منظرا، وأحسنهم قدرا، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره.

قال: هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر، ولو كنت وافقته يا أم معبد لالتمست أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا، وأصبح صوت بمكة عاليا بين السماء والأرض يسمعونه، ولا يرونه يقول: ينادى قائلا:

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به
فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصى ما زوى الله عنكم
به من فعال لا يجازى وسؤدد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها
فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت
له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادره رهنا لديها الحالب
تدر بها فى مصدر ثم مورد

وهذا الموقف مع أم معبد يعطينا صورة واضحة لما كانت عليه هذه الرحلة من عناية وتوفيق، كما يوضح لنا أن الرعاية الإلهية، قد حرست خطى الرسول -صلى الله عليه وسلم- فى حله وترحاله، وأن تلك المعجزة التى جرى بها اللبن على يديه، إنما تدل على أن الخير قد انهمر من لا شىء، وعن قريب سينهمر بصورة أكبر، وينتشر النور بصورة أوسع، وتعم الهداية كل الناس، وتتحول الجهالة إلى علم، والضلالة هدى، ويجىء نصر الله والفتح، ويدخل الناس فى دين الله أفواجا.

وها هم أولاء فى رحلتهم المباركة يعرض لهم سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فدعا عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فساخت فرسه فقال: يا هذان ادعوا لى الله، ولكما ألا أعود فدعوا الله، فعاد، فساخت، فقال: ادعو لى الله ألا أعود، قال: عرض عليهما الزاد، فقالا: أكفنا نفسك، فقال: قد كفيتكماها.

وهذه معجزة أخرى، ترد كل من قصد الرسول -صلى الله عليه وسلم- بشر، وتحبط كيد أعدائه، وترد بكل فتيانهم المتسابقين على الشر، تردهم بالخزى والعار فلا يستطيعون أن يلحقوا به فى رحلته وهجرته.

وقد تجلى وفاء أبى بكر للرسول -صلى الله عليه وسلم- وحرصه على سلامته إذ كان يسبق الرسول -صلى الله عليه وسلم- فى الدخول إلى الغار، ليطمئن على سلامته من الهوام والحشرات ثم ينادى الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك، كما كان يدفعه -أيضا- أثناء السير، حيث يسبقه مرة، ويلحقه أخرى، وعندما سأله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك قال: يا رسول الله أذكر الترصد فأسبقك، وأذكر الطلب فأتبعك.

استقبال أهل المدينة للرسول -ﷺ

لقد أخذت الرحلة ثمانية أيام، وانتظر أهل المدينة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى لهفة وشوق، ولما مرت الفترة اللازمة للرحلة، ولم يصل بعد ازدادت لهفتهم، وصاروا يصعدون الأماكن العالية، وينظرون إلى بعيد، حتى طال بهم الانتظار فرجعوا إلى بيوتهم، فإذا رجل من يهود يصيح على أطم بأعلى صوته، يا بنى قيلة هذا صاحبكم قد جاء، فخرجوا، فإذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الثلاثة، وإذا بالفرحة تسود الجميع، وتصعد ذوات الخدور إلى أعلى المنازل، وتنساب الغبطة من كل القلوب عازفة أحلى الأناشيد وأرقها.. وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد نزل من قبل فى قُباء عند عمرو بن عوف، ومكث بها أربعة أيام، أسس فيها مسجد قُباء، الذى وصفه الله بقوله:

﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[٧] وفى قباء لحق على بن أبى طالب -رضى الله عنه- برسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد أن قام برد الودائع إلى أهلها، ودخل المدينة فى الموكب النبوى الشريف، وخرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من قُباء يوم الجمعة، فأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى، وهى أول جمعة أداها بالمدينة.

ومر الموكب النبوى، وكلما مر على دار من دور الأنصار، دعوه للنزول عندهم، وأخذوا بزمام ناقته، فيقول لهم: « دعوها فإنها مأمورة » وظلت الناقة سائرة حتى بركت أمام دار أبى أيوب الأنصارى، وفى محلات أخواله بنى النجار، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : « ههنا المنزل إن شاء الله »، ﴿ رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[٨].

فحمل أبو أيوب حمل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ووضعه فى بيته، وكان المكان الذى نزل فيه: لسهل، وسهيل ابنى عمرو، وهما يتيمان، فاتخذ منه الرسول -صلى الله عليه وسلم- مسجدا بعد دفع العوض لصاحبيه.

المسجد النبوى

منذ وصل الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة ابتاع المكان، الذى بركت فيه ناقته، وكان مربدا للتمر يملكه الغلامان سهل وسهيل، فاشتراه، وأبى أن يقبله هبة، وأمر أن تسوى ما فيه من حفر،

(٧) سورة التوبة ١٠٨.

(٨) سورة المؤمنون ٢٩.

ويقطع ما به من نخل، وأصلحت أرضه، وبدأ فى إنشاء المسجد من اللبن -الطوب الأخضر- وجانبا الباب من الحجارة، وسقفه من الجريد، وأعمدته من جذوع النخل، وكان ارتفاعه لا يزيد عن قامة الإنسان إلا اليسير، واشترك معهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى البناء، تقوية للروح المعنوية، وبيانا لمنزلة المساجد، وقيمة العمل وشرفه، وكانوا يروحون عن أنفسهم عناء العمل بترديد بعض الشعر قائلين:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة
فارحم الأنصار والمهاجرة

ويرتجز بعضهم الشعر فى حماس حين يرى الرسول -صلى الله عليه وسلم- يأبى أن يتميز على واحد منهم، ويقوم بالعمل كواحد منهم يقول بعضهم:

لئن قعدنا والنبى يعمل
فذاك منا العمل المضلل

وكان المسجد آنذاك مرتكز الصلة الكبرى، الصلة بين الخلق وخالقهم، ففيه تؤدى الصلاة ويؤذن بالتوحيد، والصلة بين الأفراد والجماعات، ومنه تنبثق مبادىء الصبر والمرحمة، والأخلاق الرشيدة، وكان المسجد بجانب ذلك ملتقى لجميع المسلمين، تتم فيه مجالس الشورى، والفصل فى القضايا، وشئون التجارة، وما إلى ذلك، وقد جاء فى فضل المسجد النبوى أحاديث، منها ما روى فى الصحيحين عن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد، مسجدى هذا، والمسجد الحرام، ومسجد بيت المقدس» كما روى أيضا: «صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام». وقوله -صلى الله عليه وسلم- «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى».

المؤاخاة

أما الخطوة التالية بعد ذلك فهى المؤاخاة بين المهاجرين، وبعضهم مع بعض، وبينهم وبين الأنصار، فالمهاجرون تركوا أوطانهم وديارهم وأموالهم مقبلين على عقيدتهم، مهاجرين فى سبيل الله ورسوله، والأنصار تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم، يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ولقد أحس الأنصار بحاجة إخوانهم المهاجرين فآثروهم وآووهم، وفضلوهم على أنفسهم، مهما كانت حاجتهم، ووصلت هذه المؤاخاة درجة أصبحوا بها يتوارثون بعد الممات، إلى أن قال -تعالى-:

﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾ ﴾(٩) فرجع كل إنسان إلى نسبه، وورثه ذوو رحمه، وقد أظهر الأنصار من ضروب السماحة والإخاء مع إخوانهم، ما جعلهم أهلا لوصف القرآن لهم:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(١٠)

حتى ليروى أن سعد بن الربيع،

(٩) سورة الأنفال ٧٥.

(١٠) سورة الحشر ٩.

وهو من الأنصار وقد آخى الرسول -صلى الله عليه وسلم- بينه وبين عبدالرحمن بن عوف، كان أن شاطره ماله، فأبى عبدالرحمن، وسأله عن السوق، وراح يشتغل بالتجارة فى سوق المدينة، حتى نما ماله، وهكذا رفض عبدالرحمن أن يعيش عالة على غيره، وأبى إلا أن يأكل من عمل يده، تمجيدا لشرف العمل، وتقديرا لكرامة المسلم، وهكذا ربط الرسول -صلى الله عليه وسلم- بين المهاجرين والأنصار، حتى أصبحت كل أسرة مرتبطة بأسر كثيرة، بسبب هذه المؤاخاة، ونسي الجميع كل الصلات الأخرى إلا هذه الصلة الجديدة، حيث أصبحوا بنعمة الله إخوانا، فلم يعد يظهر تعدد القبائل، وما له من آثار الفرقة والاختلاف، وإنما أصبح مجتمع المدينة مسلمين وغير مسلمين، ولم يبق أمام الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلا خطوة واحدة، فيها تتحقق الوحدة الوطنية، ويتم التحالف بين جميع سكان المدينة من المسلمين وغيرهم، ويعطى لهم أروع الأمثلة، وأنبل الدروس، فى سماحة الإسلام، وسمو مبادئه، حتى يبصر أتباع الأديان الأخرى نور الدين الإسلامى ورحمة بالإنسانية كلها، على أساس من حرية العقيدة، فكانت المعاهدة التى أبرمها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين المسلمين وغيرهم.

المعاهدة

أصبح سكان المدينة بعد الهجرة، والمؤاخاة يمثلون ثلاثة أنواع:

١- المسلمون.

٢- اليهود من بنى النضير، وبنى قريظة، وبنى قينقاع.

٣- العرب الذين لم يعتنقوا الإسلام.

فأراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يوحد بينهم جميعا، ويربط بين القلوب حتى تسود روح الإسلام وسماحته، فعقد هذه المعاهدة، وقامت بها أسمى المبادىء الإنسانية، التى تكفل حقوق الناس جميعا، من حرية العقيدة، وحرية الرأى، وحرمة المدينة، ومحاربة الظلم والعدوان.. وما عالجته هذه المعاهدة من مبادىء أن من حق الجماعة معاقبة المفسد، وأن يتعاون سكان المدينة، ويردوا أى عدوان يوجه إليهم، وأن الرياسة العامة تكون للرسول -صلى الله عليه وسلم- كما نصت على جميع الحقوق السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، التى تقوم على أساسها دعائم المجتمع الإسلامى الجديد السياسية منها، وتقوم على الشورى، كما قال -تعالى-:

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾(١١)، ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾(١٢) ودعائم اقتصادية تقضى بالتعاون الاقتصادى، وقد جاء فى الأثر: «ليس بمسلم من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم»، ودعائم اجتماعية تسود فيها المساواة بين الناس، فلا فضل إلا بالتقوى.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(١٣) فكان ذلك نواة للدولة الإسلامية الكبرى، التى ستكون خير أمة أخرجت للناس.

---

(١١) سورة آل عمران ١٥٩. (١٢) سورة الشورى ٣٨. (١٣) سورة الحجرات ١٣.

القرآن الكريم كتاب الله الخالد

١

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

كتاب الله الخالد، وشريعة السماء الخاتمة لكل الشرائع، والرسالة الإلهية، المنزلة على خاتم المرسلين هداية للإنسانية، ورحمة للعالمين.. وهو بيان للشريعة، وتكليف لسيد الأنبياء بإبلاغ هذا البيان إلى الناس كافة، وهو الأساس الذى قامت عليه الدعوة والدولة والحضارة فى الإسلام، بل وهو أساس بناء المجتمع الإسلامى فى عصر الرسالة وبعد عصر الرسالة حتى اليوم.

ومجموع سور القرآن الكريم أربع عشرة ومائة سورة، منها الطويل، ومنها القصير.

وأول سورة أعلنها الرسول بمكة هى:

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ . وأول سورة نزلت بالمدينة بعد الهجرة هى: ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾ وآخر آية نزلت من كتاب الله قوله -تعالى-:

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾(١).

والسور القرآنية منها ما نزل فى الدعوة وتبليغها، أو فى الهداية والموعظة، ومنها ما نزل فى التوحيد ومحاربة الشرك والوثنية، ومنها ما نزل فى التشريع وأحكام العبادات والمعاملات وقوانين الجماعة والأسرة والحكومة الإسلامية، ومنها ما نزل فى تقرير البعث وفى أمور الآخرة والغيب، ومنها ما نزل فى دعوات رسل الله الكرام، إلى أممهم، أو فى شرح قصص الأمم الماضية وكفرها برسالات الله وبغيها ومصيرها المحتوم، وفى شرح تطور الإنسانية وفى خلق الله للكون والوجود والحياة.

والسور المكية غالباً ما تدعو إلى توحيد الله ومحاربة الشرك والأوثان، وتأييد رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم -، وتحدى العرب بهذه المعجزة الخارقة الباهرة، وإثبات البعث والحساب والنشور واليوم الآخر، والرد على من ينكرون ذلك، وفى قصص الأمم القديمة وإنكارها، لرسالات، رسل الله إليها، وما حل بها من عذاب الله، وفى محاربة التقليد والأساطير والخرافات والوثنية والشرك والضلال، والحث على التفكير فى نواميس الله فى الكون.

---

(١) سورة المائدة (٣).

والسور المدنية غالباً ما نزلت بالتشريعات الإلهية، وبيان النظم والقوانين للفرد والجماعة والأمة ومحاربة الرذائل، وتأكيد وحدة البشرية العامة، وتعزيز الصلات الإنسانية الاجتماعية والأخوة بين الناس عامة، وشرح خلافة الإنسان لله في شتى الأحوال.

٢

ولقد كان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من كتاب الله ابتداء، أو بأمر الرسول – صلى الله عليه وسلم– على ما يتفق لهم من الألواح والرقاع وقطع الأديم، وعلى العسب (جريد النخل) وعلى العظام وكل ما صلح للكتابة عليه.

وكان كل فرد من الصحابة يكتب ما تيسر له كتابته بنفسه أو بالاستعانة بغيره، وكان منهم القليل الذين كتبوا القرآن كله، والإجماع على: على بن أبى طالب، وعبدالله بن مسعود، وزيد ابن ثابت الذى تعلم الفارسية من رسول كسرى، والرومية من حاجب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، والحبشية من خادم النبى – صلى الله عليه وسلم –، والقبطية من خادمه أيضاً، كما يذكر ابن عبد ربه فى كتابه: « العقد الفريد » (جـ٣ صـ٦ العقد). وكان كتاب الوحى نحو الأربعين.

وقبل وفاة الرسول –صلى الله عليه وسلم– عرض زيد القرآن على رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ففى عهده –صلى الله عليه وسلم– كان القرآن مرتب السور والآيات، ولكنه غير مجموع فى كتاب واحد. وكان يحفظ القرآن كله أو بعضه كثير من الصحابة فى عهد محمد –صلى الله عليه وسلم–، وتوفى الرسول –صلى الله عليه وسلم– والقرآن محفوظ فى صدور الصحابة وفى الرقاع التى كانوا يكتبون فيها سوره وآياته.

وفى خلافة أبى بكر –رضى الله عنه– ووفاة الكثير من الصحابة فى حروب الردة، التى قتل فيها كما قيل: (سبعون قارئاً من الصحابة) فزع أبو بكر وعمر، ورأى عمر جمع القرآن من صدور الصحابة ومن الألواح والخشب وغيرهما، ويروى أن عمر دخل على أبى بكر وقال له: يا خليفة رسول الله إن أصحاب الرسول باليمامة يتهافتون تهافت الفراش على النار، وإنى أخشى ألا يشهدوا موطناً إلا فعلوا ذلك، حتى يقتلوا وهم حملة القرآن فلو جمعته وكتبته[٢].

وأرسل أبو بكر إلى زيد يستشيره فى الأمر، فكره زيد ذلك، فقال عمر لهما: وما عليكما لو فعلتم ذلك ،حتى ألهمهما الله به، فأمر أبو بكر زيداً بن ثابت فجمع القرآن كله من الرقاع وصدور الرجال، ونسخه فى قطع الأديم والعسب، وسمى أبو بكر هذه الألواح المكتوبة التى جمع فيها كتاب

(٢) [الإتقان للسيوطى ص ٩٨ جـ ١.

الله مصحفاً، وحفظت عند أبى بكر، فلما توفى نقلها عمر عنده طول حياته، ولما استشهد حفظت عند حفصة أم المؤمنين صدراً من ولاية عثمان، وهذا هو الجمع الأول، الذى حدث فى عهد أبى بكر على يد زيد بن ثابت[٣]. وبإشراف عمر وكبار الصحابة، وكان الغرض منه جمع القرآن فى مجموعة واحدة حتى لا يضيع منه شىء، بموت الصحابة والقراء فى الغزوات.

وفى عهد عثمان تفرق الصحابة والقراء فى الأمصار، وأخذ عنهم الناس وجوه القراءة والترتيل، مما أدى إلى تعدد القراءات، واختلف الناس فى القراءة، وشاهد حذيفة بن اليمان[٤]. هذا الاختلاف وفزع له، ونقل ذلك إلى الخليفة عثمان، فأرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر يستأذنها فى الصحف القرآنية التى لديها وهى التى جمع فيها أبو بكر القرآن، وأذنت له، وأمر زيد بن ثابت المتوفى عام ٤٥ هـ[٥]. وعبد الله ابن الزبير(١ /٧٣هـ)[٦]. وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن العاص بأن ينسخوها فى المصاحف، وأمرهم بأن يرجعوا فيما يختلفون فيه إلى زيد بن ثابت، وما اختلفوا فيه جميعاً أن يكتبوه بلسان قريش، فإن القرآن نزل بلسانهم، فكتبوا مصحفاً عرضوه على حفصة أم المؤمنين فلم يختلف فى شىء منه، فرد عثمان صحف حفصة إليها وفرح بما عمل فرحاً شديداً، وهذا هو الجمع الثانى للقرآن الكريم.

٣

أما عن حروف القرآن السبعة[٧]، فإن هذه الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن كانت مفرقة فيه، فبعضه نزل بلغة قريش وهو معظمه، وما نزل بها كُتب بها أيضاً، وبعضه نزل بلغة هذيل، وبعضه بلغة اليمن فكُتب بلغتها، وهكذا.. ولا يخفى أن القبائل التى نزل بعضه بلغتها يجوز لها أن تقرأ جميعه بهذه اللغة، لأن فى نزول بعضه بلغتها ترخيصاً لها فى قراءته جميعه بهذه اللغة، فالذى حصل فى عهد أبى بكر هو أنه جمع الآيات المتفرقة سوراً، فجعل كل آية بجوار صاحبتها طبقاً للمحفوظ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، بدون زيادة ولا نقص، وجعل كل سورة على حدة

---

(٣) وكان يعاونه بعض كتاب الوحى وفيهم سالم مولى أبى حذيفة.

(٤) راجع: (حلية الأولياء ١/ ٢٧٠ - صفة الصفوة.. ١/ ٢٤٩ - التهذيب لابن عساكر ٤/ ٩٣ - الأعلام ط ٦٣م. للزركلى ٢/ ١٨٠ و ١٨١ - وقد توفى حذيفة عام ٣٦ هـ).

(٥) ١/ ٢٩٤ صفة الصفوة، لابن الجوزى - الإصابة لابن حجر - أسد الغابة لابن الأثير - رجال حول الرسول (صلى الله عليه وسلم) لخالد محمد خالد - ٣٢٠ صحابة النبى (صلى الله عليه وسلم) للدكتور الجميلى

(٦) حلية الأولياء لأبى نعيم (١ /٣٢٩) - صفة الصفوة (١ /٣٢٢) - التهذيب لابن عساكر (٧ /٣٩٦) - تاريخ الطبرى - تاريخ ابن الأثير (٤ /١٥٣) - ١٥٣ صحابة النبى (صلى الله عليه وسلم) للدكتور الجميلى.

(٧) ص ٢٠ (تفسير القرآن الحكيم لخفاجى).

ولم يرتبه اكتفاء بترتيبه فى صدور الحفاظ، على أنه لم يغير شيئا من المكتوب بل أبقاه على حاله، وأما عثمان فقد كتب مصحفا بلغة قريش خاصة، ورتبه طبق المحفوظ، فالأحرف السبعة كان بعض القرآن مكتوبا بها فى عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم-، كما انها كانت محفوظة يتداولها الحفاظ فى القبائل، ولم يوجد منها شىء فى مصحف عثمان لأنه كان مقصوراً على لغة قريش.

أما السبب فى اختلاف القراءات السبع بعد أن جمع عثمان الناس على قراءة واحدة فقد أجاب عنه البعض بأن القرآن قد تواتر عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- بلغات العرب على الوجه الذى سبق ونقله القراء من الصحابة إلى الجهات المختلفة على هذه الحالة، فتواتر نقله بلغات عدة، فلما كتب المصحف العثمانى، وبعث به عثمان إلى الأمصار التى كان بها بعض القراء من الصحابة عملوا بما يمكنهم العمل به من ذلك المصحف، فكل ما تلقوه متواتراً عن الصحابة بما لا تدل عليه كتابة المصحف ثبتوا عليه وتركوا ما يخالف المصحف، يقول الحافظ ابن حجر: إن السبب فى اختلاف القراءات السبع وغيرها أن الجهات التى وجهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل، فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا قد تلقوه سماعاً من الصحابة، بشرط موافقة الخط، وتركوا ما يخالف الخط، امتثالاً لأمر عثمان الذى وافق عليه الصحابة، لما رأوا فى ذلك من الاحتياطات للقرآن، فمن ثم نشأ بين قراء الأمصار الاختلاف.

وقد يكون عثمان لم يحرم قراءة القرآن باللغات التى تواترت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا لما عساه أن يترتب على ذلك من فرقة بين المسلمين، فكتب مصحفه ليكون مرجعاً يرجع إليه الناس عند الاختلاف، فإذا قرأت قبيلة بلغتها المتواترة وأنكرت عليها الأخرى، أمكنهم الرجوع إلى الأصل حيث يحصل الاتفاق حتماً بالإجماع على التمسك بنص ما كتب فى المصحف، أما غيره من المد والتسهيل والإدغام والإظهار ونحو ذلك مما لا يترتب عليه تغيير فى نص القرآن، فذلك ما لا ضرر فيه بحال.. وإلى ذلك يشير قوله -صلى الله عليه وسلم- لعمر: «يا عمر: القرآن كله صواب ما لم تجعل رحمة عذاباً أو عذاباً رحمة».. ويقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعمر: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه».

وبعد.. فقبائل العرب التى نزل القرآن بلهجاتها هى: قريش، ثقيف، سعد، هذيل، أسد، كنانة، قيس وأحلافها.

ثم ارتفعت هذه اللغات وبقيت لغة قريش وأصبح القرآن يقرأ بلغة قريش وحدها.. وعن مصحف عثمان نقلت كل المصاحف مخطوطة فى جميع أنحاء الدنيا.

٤

لقد تنافس المسلمون على طول العصور فى نسخ المصحف، واقتناء المكتوب منه بأجود الخطوط وأبدعها، وكانت كتابته بالخط الكوفى

حتى آخر القرن الرابع الهجرى، ثم حل محله خط النسخ أوائل القرن الخامس.

ثم ظهرت الطباعة، فصار المصحف يصدر مطبوعاً بواسطة حروف الطباعة وقد ظهر القرآن لأول مرة فى البندقية عام ١٥٣٠ م. لكن السلطة البابوية أصدرت أمراً بإعدامه.

ثم صدرت طبعة للمصحف فى هامبورغ بألمانيا عام ١٦٩٤م. / ١١٠٦هـ. ثم طبع فى بادوا عام ١٦٩٨م. / ١١١٠هـ ثم بطبع فى سانت بطرسبورغ فى روسيا عام ١٧٨٧م. / ١٢٠٢هـ قام بها مولاى عثمان، وظهر منها فى قازان، وفى إيران طبع طبعتين حجريتين فى طهران سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٢٨م. والأخرى فى تبريز.

وفى عام ١٢٥٠ هـ قام (فلوجل) بطبع القرآن فى ليبزج بألمانيا وقد انتشرت فى أوروبا بسبب إملائها الحديث السهل.

وطبع القرآن فى الهند طبعات كثيرة.. وكذلك فى الأستانة بدءاً من عام ١٨٧٧.

وفى القاهرة كذلك طبع مئات الطبعات.. وفى عام ١٣٤٢ هـ ظهرت طبعة متميزة بإشراف مشيخة الأزهر الشريف سمى مصحف فؤاد الأول، قامت على طبعه لجنة من العلماء – وقد ضبطت على ما يوافق رواية حفص.

وفى تونس عام ١٣٦٥ هـ والمغرب طبع المصحف الشريف طبعات عدة، كما صدرت طبعة قرآنية فى تونس عام ١٩٩٩ باسم مصحف الجمهورية التونسية وصدور مصحف الجزائر عام ١٩٣٧.

وصدر فى قطر المصحف الشريف مطبوعاً عام ١٩٨٦ قراءة نافع عن ورش.

كما طبع طبعات عديدة فى باكستان..

وطبعته (بروناى) طبعة ممتازة فى مطابع جريدة الأهرام بالقاهرة – ولدىَّ نسخة من هذه الطبعة الفاخرة بإهداء رئيس بروناى.

وعنيت المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم عناية فائقة.

وفى عهد خادم الحرمين أنشىء مجمع المصحف بالمدينة المنورة، وقد قام بعناية فائقة بطبع المصحف الشريف طبعات ممتازة، وصدر عن المجمع ما يكاد يبلغ المائة مليون نسخة وزعت كلها فى أنحاء العالم كافة.. والله يتولى الصالحين من عباده والعاكفين على إصدار كتاب الله فى حلته القشيبة خدمة للإسلام والمسلمين بمزيد رعايته الكريمة.

وبهذه المناسبة أصدر الأزهر الشريف، طبعة خاصة باسم مصحف الأزهر، وتتميز هذه الطبعة بالجمال والروعة التى لا حد لها.. والله ولى التوفيق.

نظرات فى ألفاظ القرآن الكريم

لفظ «القرية»

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

ذكرنا فى ختام المقال السابق عن لفظ المدينة: أن هذا اللفظ يستعمل بمعنى: القرية كثيرا، ووعدنا بإفراد لفظ القرية بمقال مستقل، وها نحن أولاء نفى بوعدنا

وقد استعمل لفظ القرية فى القرآن الكريم عشرات المرات، وقد جاءت مفردة مقطوعة عن الإضافة، فى أربع وثلاثين آية، ومضافة إلى الضمير فى ثلاث آيات، ووردت مثناة مرة واحدة فى الزخرف، وجاءت مجموعة جمع تكسير «القرى» ثمانى عشرة مرة

وسنقتصر فى هذا المقال على الحديث عن اللفظة المفردة، وقد ذكرت مرتين فى البقرة، الأول فى قوله -تعالى-:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾(١)

والحديث فيها عن بنى اسرائيل، والقرية: مجتمع الناس، من قرأت الماء فى الحوض، أى: جمعته، وبهذا الاعتبار أطلقت على البلدة؛ لأنها تجمع الناس، والعرب تطلق القرية على المدينة، والمراد بها هنا: بيت المقدس وقيل: (أريحا) لأن بنى اسرائيل لم يدخلوا بيت المقدس فى زمن موسى - عليه السلام - وقد أُمروا بدخولها بعد التيه، الذى ضربه الله عليهم؛ لتعنتهم مع نبيهم موسى -عليه السلام- وإيذائهم إياه، وقد طلب منهم أن يدخلوا باب القرية على حالة تشعر بالخضوع والتواضع والذلة لله، وأن يقولوا: حطة، أى: حط عنا ذنوبنا، ووعدوا إن فعلوا ذلك أن يغفر الله

(١) سورة البقرة «٥٨».

لهم خطاياهم الكثيرة من عبادة العجل وطلب رؤية الله جهرة، وعدم دخول الأرض المقدسة، التى كتبها الله لهم خوفا من ساكنيها الجبارين.

وفوق المغفرة التى وُعِدوها، وعدهم الله بالزيادة فى الإحسان، فى الدنيا، والدين، ومع كل ذلك لم يمتثلوا للأمر بل:

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾(٢) فلم يتواضعوا لله، بل دخلوا زاحفين على أدبارهم حتى لا ينحنوا، تواضعا لله، وقالوا: حنطة، تحريفا واستهزاء بالأمر الإلهى.

والآية الثانية التى فيها لفظ القرية فى البقرة -أيضا- وهى قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣)

والقرية: هى بيت المقدس، وكان بختنصر قد ضربها، وقتل الألوف من أهلها، والذى مر عليها هو عزير، أحد أنبياء بنى اسرائيل، أو أحد علمائهم على أرجح الأقوال، فلما مر بها فى أحد أسفاره، ورآها خربة خاوية، سقطت حيطانها على سقوفها، قال متعجبا. ﴿ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾(٤) أى متى وكيف يحيى الله هذه القرية بعد خرابها، وموت أهلها؟ وكان قد تجول فى القرية فلم ير فيها دارا ولا ديارا مع بقاء أشجارها على حالها، فأخذ منها تينا وعنبا، وربط حماره فى أحد أشجارها، فأماته الله مائة عام، ثم أحياه وسأله كم لبثت؟ فأجاب: يوما، أو بعض يوم؛ لأنه نام فى الصباح، وأحياه الله قبل الغروب، فظن أنه اليوم الذى نام فيه، فأخبره الله بأنه لبث مائة عام، ولكى يتحقق من ذلك، ومن قدرة الله على البعث، وعلى كل أمر عجيب، أمره أن ينظر إلى طعامه: من التين، والعنب، وإلى شرابه: من عصير الفاكهة، فوجدهما لم يتغيرا، ثم أمره أن ينظر إلى الحمار، فوجده قد تفككت أوصاله، وتناثرت عظامه، وهذا من أقوى دواعى العجب، أن يبقى سريع التغيير والفساد، على حاله مائة عام، بينما الحيوان، الذى يبقى مدة أطول يسرع إليه الفناء والبلى، ويصبح عظاما نخرة قبل تغير الطعام والشراب، ثم أراه - سبحانه - عظام الحمار، كيف ينضم بعضها إلى بعض؟! وكيف يلتصق كل عضو بما يناسبه؟ ثم جاء الرأس إلى مكانه، ثم العصب، ثم العروق، ثم انبسط اللحم عليه، ثم خرجت الشعور من الجلد، ثم نفخ فيه الروح فإذا هو قائم ينهق فخر عزير ساجدا وقال:

﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٥)

---

(٢) البقرة «٥٩».
(٣) البقرة «٢٥٩».
(٤) البقرة «٢٥٩».
(٥) البقرة «٢٥٩».

والآية الثالثة هى قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾(٦).

وهذا جزء الآية، وأولها:

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا ﴾(٧)

والمراد بالقرية: هى مكة المكرمة، مسقط رأس رسول الله الأعظم، ومهبط الوحى الأقدس، وبلد الله الحرام، الذى فيه الحرم المحرم، والبيت المعظم، ومع ذلك فقد تمنى المسلمون وبخاصة المستضعفين الخروج منها، بعد أن أوذوا وضيق عليهم أن يعبدوا الله الواحد فى بلدهم، فأذن لهم فى الهجرة، فهاجر من هاجر، وبقى المستضعفون، فأمر الله المسلمين أن يجاهدوا فى سبيل إعزاز دين الله، وفى سبيل نصرة هؤلاء المستضعفين الذين فقدوا النصير من البشر، وهؤلاء بعضهم من الرجال الضعفاء المغلوبين على أمرهم، وبعضهم من النساء، وآخرين من الأطفال، والجميع لا يستطيعون حيلة تنقذهم مما هم فيه، ولا يهتدون إلى سبيل، ييسر لهم أمر الهجرة، واللحاق برسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى المدينة فتضرعوا إلى الله داعين:

﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾(٨)

دعوا الله أن يفرج كربهم، ويخرجهم من مكة لظلم أهلها لهم، ويجعل لهم نصراء، حين يأوون إلى إخوانهم بالمدينة، ويجعل لهم نصيرا بالإيمان، وبالالتجاء إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

والآية الرابعة التى ذكر فيها لفظ القرية هى قوله - تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾(٩)

والمراد بالقرية هنا: كل بلاد الكفر والظلم، التى تشبه مكة فى كفرها وعتوها وجبروتها، ومعنى الآية - والله أعلم - وكما جعلنا فى مكة طغاتها، وصناديد الشرك فيها، ليمكروا بالرسل وأتباعهم، جعلنا مثل ذلك فى كل قرية، وكل عاصمة أكابر مجرميها ومترفيها، ليكذبوا الرسل، ويصدوا عن الحق، فليس أهل مكة أول من فعلوا هذا مع رسولهم، فَتَعزَّ يا محمد، وتسلَّ، وتصبر واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل. قال المفسرون: «إنما جعل المجرمين أكابر، لأنهم لأجل رياستهم أقدر على الغدر والمكر، وترويج الأباطيل على الناس من غيرهم..»(١٠).

وما يمكر هؤلاء المجرمون المقاومون لدعوة الاصلاح فى كل زمان ومكان إلا بأنفسهم، لأن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله فى الدنيا والآخرة، وما يشعرون بذلك، لأنهم جاهلون

---

(٦) النساء «٧٥».

(٧) النساء «٧٥».

(٨) النساء «٧٥».

(٩) الأنعام «١٢٣».

(١٠) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام النيسابورى «١٣١٥/٢».

بسنة الله فى خلقه، وفى الآية الكريمة وعيد لمجرمى مكة، وتسلية لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-

والآية الخامسة هى قوله تعالى:

﴿ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون ﴾(١١)

وكم: فى الآية للتكثير، والمراد: لقد أهلكنا كثيرا جدا من القرى الظالمة الكافرة، فأرسلنا عليهم عذابنا وهم فى البيتوتة نائمون كما حدث لقوم لوط، أو نائمون فى القيلولة، كما حدث لقوم شعيب فكلا الوقتين -البيتوتة والقيلولة- وقت دعة واستراحة، وفى الآية تعريض بغرور أهل مكة وغفلتهم ودعتهم- والمراد بالقرية هنا: أهلها؛ لأنهم هم الذين يصيبهم الإهلاك وقد يراد بها المكان نفسه لأن الدمار والخراب يصيبه كما يصيب أهله (١٢)

والآية السادسة هى قوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤ ﴾(١٣)

والمراد بالقرية هنا: المدينة الكبيرة، التى تكون عاصمة للبلاد، والمعنى والله أعلم: لقد مضت سنة الله فى خلقه ومع رسله أنه إذا أرسل نبيا فى قوم فكذبوه، أنزل بهم ألوانا من العذاب تتمثل فى المصائب والنكبات والمحن، من مرض وفقر، وجدب لكى يفيقوا من غفوتهم، ويستيقظوا من غفلتهم فيدعوا الله متضرعين ليكشف عنهم هذا الذى حل بهم، ثم يجعل الله -تعالى- مكان الشدة والجدب، الرخاء والخصب، حتى يكثر عددهم، ويزداد مالهم، فيركنون إلى النعمة ناسين المنعم -سبحانه وتعالى- وينسون أن هذه النعمة إملاء وإمهال، فيقولون مفترين قد مس آباءنا الضراء والسراء حينئذ يأتيهم العذاب بغته دون أن يشعروا به

﴿ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩٥ ﴾(١٤)

والآية السابعة هى قوله – تعالى:

﴿ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾(١٥)

والقرية هنا: هى بيت المقدس، أو أريحا -كما سبق – وهذه الآية شبيهة بآية البقرة، التى جاءت فى نفس السياق، والموضع، فلا داعى لإعادتها هنا، لكن من المفيد أن نتعرض للفرق بين الآيتين وهو:

(١) قال فى تلك: ادخلوا وقال هنا: اسكنوا وهو أبلغ؛ لأنهم لا يسكنون إلا إذا دخلوا.

(٢) قال فى البقرة: ﴿ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا ﴾(١٦) وقال هنا: ﴿ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ

---

(١١) الأعراف «٤».

(١٢) تفسير المراغى «١٠١/٨».

(١٣) الأعراف «٩٤».

(١٤) الأعراف «٩٥».

(١٥) الأعراف «١٦١».

(١٦) البقرة «٥٨».

شِئْتُمْ ﴾(١٧) للإشارة إلى الفرق بين الأكل أول الدخول، وبين الأكل بعد السكن والإقامة الممتدة.

(٣) قدم في البقرة الأمر بالدخول ساجدين على الأمر بالدعاء، أن يحط الله عنهم ذنوبهم، ولا فرق في المعنى بين الحالين؛ لأن العطف بالواو التي لا تفيد ترتيبا المهم أن يفعلوا الأمرين معا الدخول ساجدين والدعاء ضارعين تقدم أحدهما على الآخر أو تأخر.

(٤) قال في البقرة ﴿ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١٨) وقال في الأعراف: (سنزيد) بلا واو ،المعنى واحد، إلا أن ترك الواو يفيد الزيادة تفضيل من الله – تعالى.

والآية الثامنة قوله – تعالى:

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ (١٩)

والقرية هنا: هي أيلة، وقيل: طبرية ومعنى حاضرة البحر، أي: قريبة منه، وعلى شاطئه وكانت شريعة اليهود تحرم العمل يوم السبت، ويتفرغون فيه لعبادة الله، فامتحن الله أهل هذه القرية فكان السمك يأتيهم ظاهرا يؤخذ بالأيدي يوم السبت، ولا يأتيهم كذلك في بقية الأيام فكانوا يعصون الله ويأخذون السمك في السبت، وهذا امتحان من الله، وابتلاء لهم، **﴿ كَذَلكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾**(٢٠) أي بسبب فسقهم، ولم يكن الرسول يعرف هذه القصة، فمعرفته بها مع أنه أمي دليل قاطع، على أنه –صلوات الله عليه– نبي يوحى إليه، والمعنى على سبيل الاجمال:

واسألهم: يا محمد عن أهل هذه القرية، الذين امتحنهم الله بالسمك ظاهرا فوق سطح الماء يوم السبت، فعصى فريق منهم، واصطادوا، وفريق وعظ العاصين، وفريق ثالث لام الواعظين، قائلين لهم: ما الفائدة من وعظ قوم قضى الله عليهم بالهلاك، فأجابهم الواعظون: نعظهم ليكون ذلك عذرا لنا عند ربنا حتى لا نكون من الساكتين عن المنكر

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾(٢١).

والآية التاسعة – قوله تعالى:

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾(٢٢)

والقرية: هي نينوى بالموصل، في العراق، والمراد: أهلها، وهم قوم يونس –عليه السلام– كفروا أول الأمر، فأنذرهم العذاب، وتركهم مغاضبا، فلما رأوا بوادره ومقدماته

---

(١٧) البقرة «٥٨».

(١٨) البقرة «٥٨».

(١٩) الأعراف «١٦٣».

(٢٠) الأعراف «١٦٣».

(٢١) الأعراف «١٦٤».

(٢٢) يونس «٩٨».

آمنوا، قبل أن يحل بهم العذاب فنفعهم ذلك الإيمان، وعاد يونس -عليه السلام- إليهم لما علم أنهم آمنوا ومتعهم الله -تعالى- إلى حين انتهاء آجالهم، وفى هذا حصن لأهل مكة أن يؤمنوا قبل أن ينزل بهم العذاب لينفعهم الإيمان كما نفع قوم يونس، عن ابن مسعود -رضى الله عنه- أنه بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم، حتى إن الرجل منهم كان يقتلع الحجر- أى: الذى اغتصبه- وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده، وروى أنهم لما رأوا مقدمات العذاب سألوا شيخا من بقية علمائهم: ماذا نفعل؟ فقال لهم: قولوا: يا حى حين لا حى، ويا حى يا محيى الموتى، وياحى لا إله إلا أنت، فقالوها فكشف الله عنهم العذاب، ومتعهم بالإيمان، وقال الفضيل بن عياض -رضى الله عنه، قالوا: «اللهم إن ذنوبا قد عظمت وجلت، وأنت أعظم منها وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله».

والآية العاشرة قوله – تعالى:

﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴾(٢٣).

والقرية هنا: هى العاصمة المصرية، التى كان يسكنها ملك مصر، وعزيزها، ويوسف -عليه السلام- يقول أبناء يعقوب لأبيهم -عليه السلام- إن ابنك بنيامين سرق، ولقد رأينا ذلك بأعيننا:

﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾(٢٤) وإن لم تصدقنا فاسأل أهل القرية، التى كنا فيها واسأل كذلك أصحاب العير، الذين كانوا يمتارون معنا، فقد شاع أمر السرقة بين الجميع، حتى لو سئلوا لشهدوا بذلك، وإنا والله صادقون فيما أخبرناك به سواء سألت، أو لم تسأل.

والآية الحادية عشر قوله – تعالى:

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾(٢٥)

أى: وما أهلكنا أهل قرية من القرى الكافرة، بأى لون من العذاب والهلاك، إلا ولها أجل مقدر، فى اللوح المحفوظ، لا ينسى ولا يتقدم عن وقته، ولا يتأخر، وقد يراد هلاك القرية نفسها بالخسف بعد خرابها بإهلاك أهلها، فقد أصاب القرية ذاتها شؤم أهلها الكفار،

والله أعلم،

وإلى اللقاء فى العدد القادم لنكمل الحديث عن لفظ القرية فى القرآن الكريم.

---

(٢٣) سورة يوسف «٨٢».

(٢٤) يوسف «٨١».

(٢٥) سورة الحجر «٤».

الهادى هو الله

لفضيلة الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر

من عقيدة أهل السنة والجماعة، أن الله - تبارك وتعالى - متصف بكل كمال، ومنزه عن كل نقص. ولفظ الجلالة: « الله » علم على ذاته المقدسة، وأما بقية الأسماء الحسنى: فهى أسماء فيها معنى الوصفية، ولذلك صح أن تسند إلى لفظ الجلالة، فتقول مثلاً: الله هو الرحمن الرحيم. أو: الله هو الملك القدوس، وهكذا، يقول الله - تعالى -: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(١).

وبما أن كمالات الله لا تتناهى. فإن أسماءه كثيرة، حتى قال الإمام أبو عبدالله محمد بن المرتضى اليمانى، المشهور بابن الوزير: « والذى عرفت منها إلى الآن بالنص صريحا - دون الاشتقاق - فى القرآن مائة وخمسة وخمسين...

ثم قال: وأما المشتقات من الأفعال الربانية الحميدة فلا تحصى. وقد جمع بعضهم منها ألف اسم مثل: كاتب الرحمة على نفسه، مقلب الليل والنهار، وغير ذلك »(٢).

والدليل على كثرة أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، ما ورد فى الحديث الشريف: عن عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال: « ما قال عبد أصابه هم، أو حزن: اللهم إنى عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماض فىَّ حكمك، عدل فىَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب

(١) الحشر: ٢٢-٢٤.

(٢) انظر كتابه: إيثار الحق على الخلق.

عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبى، ونور بصرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى وغمى. إلا أذهب الله همه وغمه، وأبدله مكان حزنه فرحا»[٣].

وأصح الأحاديث الواردة عن أسماء الله الحسنى، ما روى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لله تسعة وتسعون اسما، مائة إلا واحدا لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وَترٌ يحب الوَتر»[٤].

هذا: وأما الحديث المشهور الذي جاء فيه عدد الأسماء التسعة والتسعين فقد رواه الترمذى، وقال عنه: هذا حديث غريب. وقال عنه الإمام ابن كثير فى تفسيره فى سورة الأعراف. عند تفسير قول -الله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[٥].

«لم تذكر الأسماء بهذا العدد، إلا فى هذا الحديث، والذى عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد العدد فى هذا الحديث مدرج فيه».

وأيا ما كان الأمر، فإن من أسماء الله الحسنى: الهادى، والحكيم، والحميد، وهذه الأسماء العظيمة تكرر ذكرها فى القرآن الكريم، فى عدة مواضع منها قول الله- تعالى:

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٦] ومنها قول الله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[٧].

ومنها قول الله - تعالى - :

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٨] ومنها قول الله -تعالى على لسان عيسى - عليه السلام - فى الموقف بين يدى الله:

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٩] ومنها قول الله تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[١٠].

وقد تكرر وصف الله - سبحانه - بالحكيم، والهادى، فى كثير من آيات القرآن الكريم، أحيانا بصيغة اسم الفاعل، كما فى الآيات المذكورة، وأحيانا بصيغة الفعل.

يقول ابن القيم فى كتابه «حادى الأرواح» «محال على أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين أن تكون أفعاله معطلة عن الحكم، والمصالح، والغايات الحميدة، والقرآن والسنة والعقول والفطر والآيات شاهدة ببطلان ذلك».

أى: ببطلان القول بخلوها عن الحكمة.

---

(٣) رواه الإمام أحمد والبزار وأبو عوانة.

(٤) متفق عليه.

(٥) الأعراف: ١٨٠.

(٦) الحج: ٥٤.

(٧) الفرقان: ٣١.

(٨) الصف: ١

(٩) المائدة: ١١٨.

(١٠) الشورى: ٢٨.

وبيان ذلك: أن من أسمائه – سبحانه – الملك، وذلك يقتضي تفرده بالخلق، والأمر، والعزة، وعلم الغيب، والقدرة على كل شئ، ولذلك كله أدلة قاطعة من الكتاب، والسنة.

ثم إن الكمال الأعظم فى ذلك كله يقتضى نفوذ المشيئة، وسبق القضاء من غير جبر، كيلا يفوت عليه – سبحانه – شئ مما يريد.

وأما اسمه تعالى– الحميد: فإنه يقتضى كمال الحمد، والعدل، والحكمة، والفضل، والصدق، والجود، والثناء، والتسبيح، والتقديس.

ثم إن الكمال الأعظم فى ذلك كله يقتضى أوفر نصيب لأفعاله الحميدة، وأحكامه العادلة، من التنزيه عن اللعب والعبث، والخلو عن الحكمة.

ومعنى اسمه – سبحانه – الحكيم أنه ذو حكمة بالغة فى أفعاله، وأحكامه.

وفى الجزء الأول من «البداية والنهاية» فى قصة نوح – عليه السلام – عند تفسير قول الله –تعالى:

﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[11] قال ابن كثير ما يأتى: «أى من يرد الله فتنته فلن يملك أحد هدايته، فالله هو الذى يهدى من يشاء ويضل من يشاء، وهو الفعال لما يريد وهو الحكيم العليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة».

وفى هذا السياق نفسه يأتى قول الله– تعالى:

﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[12]

فقد استحقوا الضلالة؛ لأنهم فاسقون، ينقضون عهد الله، ويخالفون تعاليمه، فيقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون فى الأرض. ولهذا فليس لهم إلا الضلال والخسران.

وفى تأكيد هذا الفهم الصحيح لهذه المسألة، يقول الإمام أبو حامد الغزالى فى كتابه «المقصد الأسنى»: «ولذلك قال الله (سبقت رحمتى غضبى)[13] فغضبه إرادته الشر، والشر بإرادته. ورحمته إرادته الخير، والخير بإرادته، ولكن أراد الخير للخير نفسه، وأراد الشر لا لذاته بل لما تضمنه من الخير....» إلى أن قال: «فلا تشكَّنَّ أصلا فى أن الله أرحم الراحمين. وأنه سبقت رحمته غضبه، ولا تستريبنَّ فى أن مريد الشر للشر لا للخير غير مستحق اسم الرحمة».

ومما يدل على هذا ويتسق معه قول الله– تعالى:

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[14].

وعن على بن أبى طالب – رضى الله عنه – أن النبى – صلى الله عليه وسلم – كان إذا قام من

(11) هود: 34.

(12) البقرة: 26-27.

(13) رواه مسلم عن أبى هريرة.

(14) البقرة: 216.

الليل يقول (..... لبيك وسعديك، والخير كله فى يديك، والشر ليس إليك)[١٥].

يقول الإمام النووى فى شرح هذا الحديث: « أى ليس بشر بالنظر إلى حكمتك فيه، وأنكي لا تفعل العبث ».

ويقول الإمام محمد بن جرير الطبرى: « فإن قال قائل فما معنى قوله – صلى الله عليه وسلم – (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)[١٦]. إن كان الأمر كما ذكرت، من أن الذى سبقه لأهل السعادة، وأهل الشقاوة لم يضطر واحداً من الفريقين إلى الذى كان يعمل، ولم يجبره عليه؟. قيل: هو أن أهل كل فريق من هذين مسهل له العمل، الذى اختاره لنفسه مزين له ذلك. كما قال جل ثناؤه:

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[١٧]. وأما أهل الشقاوة فإنه زين لهم أعمالهم؛ لإيثارهم لها على العمل بطاعته. كما قال جل ثناؤه:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾[١٨]. لأن المضطر إلى الشئ لا شك أنه مكره عليه لا محب له، بل هو له كاره، ومنه هارب. والكافر يقاتل دون كفره »[١٩].

وفى هذا السياق نفسه روى عن على – رضى الله – قال: كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى بقيع الغرقد فى جنازة، فقال (ما منكم من أحد إلا وقد كتب له مقعده من الجنة، ومقعده من النار، فقالوا: يا رسول الله: أفلا نتكل؟. فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له. ثم قرأ قول الله – تعالى – :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾[٢٠] « وهذا الحديث – للبصر النافذ – لا لبس فيه، فأما أن الله علم بما سيعمل الناس فى الدنيا، وما يصيرون إليه فى الآخرة، من ثواب، أو عقاب، فهذا مما لا شك فيه، وأما أن سبق العلم هو ما يرغم الناس على العمل بما كتب أزلا فباطل، لأن العلم نور يكشف، وليس قوة ترغم. والبشر – من تلقاء أنفسهم – يتوجهون إلى ما يريدون من أهداف، والله يتمم للعبد مراده فمن زرع تفاحا أتاه ثمرة شهية، ومن زرع شوكا جنى ما غرس. والآيات التى استشهد بها النبى – صلى الله عليه وسلم – تدل أوضح دلالة على ذلك، فإن من تعلق بأسباب الخير – من عطاء وتقوى وتصديق – أكمل الله غايته ويسره للحسنى. ومن تعلق بأسباب الشر – من بخل وفجور وتكذيب – أتم الله له قصده، وأملى له فى غيه ويسره للعسرى »[٢١].

---

(١٥) رواه مسلم.

(١٦) جزء من حديث متفق عليه.

(١٧) الحجرات: ٧ – ٨.

(١٨) النمل: ٤.

(١٩) انظر كتاب إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص١٨٩.

(٢٠) الليل: ٥ – ١٠ والحديث رواه البخارى.

(٢١) عقيدة المسلم للشيخ الغزالى ص١٢٢.

وأما الحديث الذى رواه عبدالله بن مسعود – رضى الله عنه – عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال « والذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة)[٢٢].

فإن هذا لا يتعارض مع ما سبق لأنه إنما يصف لنا حالة صنفين من الناس، خواتيم أعمالهم تغاير مسالكهم الأولى مغايرة تامة. وذلك أمر واقع مشاهد فعلا، ولكنه ينبغى أن يكون معلوما أن المصير المناقض للمسلك الأول لم يكن بناء على جبر قدرى، ويزداد الأمر وضوحا بذكر الحديث الآتى عن سهل بن سعد – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : (إن العبد ليعمل – فيما يرى الناس – بعمل أهل الجنة، وإنه من أهل النار، وإنه ليعمل – فيما يرى الناس – بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، وإنما الأعمال بالخواتيم)[٢٣].

الهداية والضلالة من خلق الله

من كل ما سبق يتضح: أن الهداية لبعض الخلق، والضلالة لبعض آخر، هما من خلق الله – سبحانه – وبمشيئته وتقديره، بناء على علمه المحيط بحال عباده وما سيكونون عليه، واتساقا مع اتصافه سبحانه بصفة الحكيم، وصفة الحميد.

ومما يلفت النظر: أن آيات القرآن الكريم كثيرا ما يقترن فيها ذكر اسم الله العليم، مع ذكر اسمه الحكيم. أو ذكر اسمه العزيز مع ذكر اسمه الحكيم، ولذلك دلالته التى لا تخفى على لبيب.

ومن هذه الآيات قول الله– تعالى:

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[٢٤].

ومنها قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦ ﴾[٢٥].

فأنت ترى أن الله – تبارك وتعالى – ذيل كلاً من الآيتين المذكورتين، بذكر اسمه العزيز، الدال على عظيم قدرته، على تعذيب من كفر به، بأعظم أنواع العذاب. وأردف بذكر اسمه الحكيم الدال على عظيم حكمته ولطفه ورحمته.

ومن هذه الآيات كذلك قول الله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[٢٦].

وأمثال هذه الآيات فى القرآن كثير. وفيها نكتة لطيفة حيث جمع فيها بين العزة والحكمة، ومن

---

(٢٢) رواه البخارى.

(٢٣) رواه البخارى.

(٢٤) الحشر: ٢٤.

(٢٥) النساء: ٥٦.

(٢٦) ابراهيم: ٤.

المعلوم أن اجتماعهما فى المخلوقين عسير. فإن أهل العزة من ملوك الدنيا يغلب عليهم العسف فى الأحكام فبين لنا – سبحانه – أنه يخالف الخلق فى هذا، وأن عظيم عزته التى لا تحد لم يبطل لطيف حكمته ورحمته فسبحان من له الكمال المطلق: ومن الآيات التى اقترن فيها اسم الله العليم مع اسمه الحكيم قول الله – تعالى –

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٢٧)

أى: أنه سبحانه عليم حكيم فى شرعه، وقدره، وأفعاله، وأقواله. وذلك من مقتضيات الكمال المطلق.

مشيئة الله ومشيئة العباد

وحين نتأمل الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، التى تتحدث عن مشيئة الله، ومشيئة الخلق، وتلك التى تتحدث عن وصف الله – سبحانه – بأنه يضل من يشاء ويهدى من يشاء، حين نتأمل هذه النصوص فى ضوء ما ذكرناه يظهر لنا: أنه ليس هناك تعارض بين هذا وذاك، وإليك بعض ما ورد من ذلك.

يقول الله –تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾(٢٨)

فى الآية ربط قوى بين إيمانهم وعملهم الصالحات وبين هداية الله لهم، فالهداية نتيجة لما حدث منهم.

ويقول الله– تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٢٩)

فقد هدى الله قلبه لأنه آمن بالله، ومعلوم أن القلب إذا اهتدى لا يفوته شئ من الخير، وقد منحه الله الهداية لأنه عليم بحاله واستحقاقه الهداية.

ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾(٣٠).

أى: أرشدناه إلى طريق الحق والباطل، والخير والشر، وحين يسلك الإنسان السبيل الأهدى يكون شاكراً، وحين يسلك السبيل المعوج يكون كفوراً.

ويقول الله – تعالى – : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾(٣١).

وفى معنى هذه الآية يقول الإمام ابن كثير: (والذين قصدوا الهداية وفقهم الله – تعالى – لها فهداهم إليها وثبتهم عليها وزادهم منها، وآتاهم تقواهم أى: ألهمهم رشدهم».

ويقول الله –تعالى:

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ۝٢٧ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(٣٢)

---

(٢٧) النساء: ٢٦.

(٢٨) يونس: ٩.

(٢٩) التغابن: ١١.

(٣٠) الإنسان: ٣.

(٣١) محمد: ١٧.

(٣٢) الرعد: ٢٧-٢٨.

أى: أن الله يهدى من لجأ إليه ولاذ بحماه وآمن بما جاء من عند الله مراغما هواه وباذلا جهده فى مقاومة الشهوات واطمأن قلبه بذكر الله. وهو كقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٣٣).

فهداية الله للناس بمعنى: لطفه بهم، وتوفيقهم للعمل بما يرضيه، إنما يكون ثمرة جهاد النفس، والإنابة إلى الله، والاستمساك بهدى الله ووحيه، وإرشاده. وهذا المعنى واضح بجلاء فى قول الله تعالى:

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٣٤)

وأيضا فى قوله – تعالى – :

﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٣٥).

وفى هذا المعنى كذلك يأتى قول الله تعالى:

وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾(٣٦)

وفى تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير عند تفسيره لقول الله – تعالى – :

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾(٣٧) جاء قوله: «لما تقدم الثناء على المسئول – تبارك وتعالى – ناسب أن يعقب بالسؤال. وهذا أكمل أحوال السائل أن يمدح مسئوله، ثم يسأله حاجته، وحاجة إخوانه المؤمنين، بقوله:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾(٣٨) لأنه أنجح للحاجة، وأنجح للإجابة، ولهذا أرشدنا الله إليه؛ لأنه الأكمل.

والهداية هنا معناها: الإرشاد والتوفيق، والصراط المستقيم: هو الطريق الواضح، الذى لا اعوجاج فيه»، وبعد ذكر أقوال السلف فى المقصود بالصراط المستقيم نقل عن الإمام ابن جرير – رحمه الله – قوله «والذى هو أولى بتأويل هذه الآية عندى. أعنى ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾(٣٨) أن يكون معنيا به وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليهم من عبادك من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم. لأن من وفق لما وفق له الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للإسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمر الله به والانزجار عما زجره عنه واتباع منهاج النبى –

---

(٣٣) العنكبوت: ٦٩.

(٣٤) آل عمران: ١٠١.

(٣٥) المائدة: ١٦.

(٣٦) النساء: ٦٦ – ٦٨.

(٣٧) الفاتحة: ٦ – ٧.

(٣٨) الفاتحة: ٦.

صلى الله عليه وسلم - ومنهاج الخلفاء الأربعة وكل عبد صالح، وكل ذلك من الصراط المستقيم.

فإن قيل: كيف يسأل المؤمن الهداية فى كل وقت من صلاة وغيرها وهو متصف بذلك؟ فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا؟ فالجواب: أن لا. ولولا احتياجه ليلا ونهاراً إلى سؤال الهداية لما أرشده الله -تعالى- إلى ذلك. فإن العبد مفتقر فى كل ساعة وحالة إلى الله- تعالى -فى تثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصره. وازدياده منها، واستمراره عليها. فإن العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً إلا ما شاء الله، فأرشده الله إلى أن يسأله فى كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق، فالسعيد من وفقه الله- تعالى- لسؤاله»[٣٨].

ويقول الإمام القرطبي عند تفسيره لهذه الآية «فى هذه الآية رد على القدرية والمعتزلة والإمامية لأنهم يعتقدون أن إرادة الإنسان كافية فى صدور أفعاله منه، طاعة كانت أو معصية. لأن الإنسان عندهم خالق لأفعاله فهو غير محتاج فى صدورها عنه إلى ربه، وقد أكذبهم الله فى هذه الآية إذ سألوه الهداية إلى الصراط المستقيم، فلو كان الأمر إليهم والاختيار بيدهم دون ربهم لما سألوه الهداية، ولما كرروا السؤال فى كل صلاة، وكذلك تضرعهم إليه فى دفع المكروه وهو ما يناقض الهداية حيث قالوا: (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فكما سألوه أن يهديهم سألوه ألا يضلهم، وكذلك يدعون فيقولون:

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [٣٩] [٤٠]».

هذا بعض ما جاء فى كتاب الله، وفى سنة رسول الله، عن هداية الله لبعض خلقه يظهر منه الارتباط الوثيق بين سلوك الإنسان وبين هداية الله له.

وزيادة فى الإيضاح نذكّر بقول الله - تعالى - :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾[٤١].

فالرزق من الله مقسوم ومقدر والسعى لكسب الرزق سبب لتحصيله، وبين السبب والمسبب نوع من الارتباط معلوم ومفهوم.

يقول الإمام ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية الكريمة «أى فسافروا حيث شئتم من أقطار الأرض وترددوا فى أقاليمها وأرجائها فى أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدى عليكم شيئاً إلا أن ييسره الله لكم. ولهذا قال - تعالى - : ﴿ وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾[٤١] فالسعى فى السبب لا ينافى التوكل على الله. كما قال الإمام أحمد وروى بسنده عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا)[٤٢]. فأثبت لها رواحا وغدوا لطلب الرزق مع توكلها على الله - عز وجل - وهو المسخر المسير المسبب)[٤٣].

وعلى هذا فمسألة الهداية كمسألة الرزق سواء بسواء.

«يتبـــــع»

---

(٣٩) من تفسير ابن كثير بتصرف.

(٤٠) آل عمران: ٨.

(٤١) من كتاب الجامع لأحكام القرآن بتصرف.

(٤٢) الملك: ١٥.

(٤٣) ورواه النسائى وابن ماجة والترمذى وقال: حسن صحيح.

(٤٤) تفسير ابن كثير بتصرف.

الفاكهة المحرّمة

لفضيلة الأستاذ الدكتور / علي محمد حسن العماري

□ لا أدرى من قال هذه الكلمة: الغيبة فاكهة العلماء، ولكننى على يقين من أن القائل أصاب المحزّ، وطبّق المفصل حين سمى الغِيبة (فاكهة)، فلطالما وجد فيها الغافلون عن تعاليم الدين، والحائدون عن مكارم الأخلاق، والعابثون بأعراض الناس.. طالما وجدوا فيها متعة ولذة، وأنساً لمجالسهم، وفاكهة لسمرهم.

وعلى يقين - أيضا - أن هذا القائل عدل عن الجادة حين وصم العلماء بهذه النقيصة، ورماهم بهذه الرذيلة دون أن يستثنى، أو يتحفظ.

فقد يكون من بعضهم من يتفكه بها، ولكن الكثيرين منهم - وهم الذين يخشون الله - تعالى - يعلمون أن ثمرها شديد المرارة، فيتورعون حتى عن رؤيتها فى أيدى الآخرين.

وإذا كانت الغِيبَة عند هذا القائل (فاكهة) فهى عند آخرين من أطيب الطعام.

قال قائلٌ لإسماعيل بن حماد - حفيد أبى حنيفة - أىُّ اللحمان أطيب؟

قال: لحوم الناس، هى - والله - أطيب من الدجاج ومن الفراخ، ومن العُنوز الحمر(1).

وكان إسماعيل هذا صالحا، عابدا، فهو لا يحدث عن مكان الغِيبَة من نفسه، وإنما يصف ما يجده المغتابون من لذة حين يطعمون لحوم الناس!!

وعند فريق آخر من أطيب اللذات.

قال أحد الظرفاء، لم يبق من لذات العيش إلا أكل القديد، والوقيعة فى الثقلاء!

وكأن هذا الظريف جعل اللذة، كل اللذة، فى اغتياب طائفة خاصة من الناس، وهم الثقلاء، فيبدو أن الأمر كذلك عند من يتفكهون بألوان من الغِيبَة.

وإذا كانت الغِيبَة فاكهة، ومن أطيب الطعام، والباقية - عند قوم - من لذات الحياة، بعد أن ودَّعوا اللذات كلها، فإنها - فى حقيقتها - وكما صورها القرآن الكريم طعام كريه، من لحم كريه:

(1) العنوز: جمع عنز، والفرخ ما يخرج من كل بيضة فى الأرض، سوى بيض الدجاج، فإن ما يخرج منه يسمى: فروجاً، ولا يسمى: فرخا، إلا أن الشعراء يجعلون الفروج فرخا على التوسع في الكلام. «الحيوان للجاحظ (١/١٩٩)».

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾(٢)

فهذا التمثيل من أبلغ ما قيل فى التنفير من الغيبة، وهو – ولاشك – إبراز لهذا المعنى فى أقبح صورة يتخيلها إنسان.

إذ جعلها القرآن الكريم بمنزلة أكل لحم الأخ ميتا، فأكل لحم الإنسان مكروه بالطبيعة، ولكن النفس تكون أشد كراهية إذا كان لحم أخ، وأكل لحم الأخ بطبيعته مكروه شديد الكراهية، ولكن هذه الشدة تبلغ مداها إذا كان الأخ ميتا.

وهكذا يمثل القرآن المعنى، فلا يدع دقيقة من الدقائق تبرزه على أبلغ ما يكون من أداء الغرض الذى جئ به من أجله إلا جعلها جزءا من الصورة.

وذكر الأخوة هنا: للإشعار بأن المسلمين كلهم إخوة، فاغتياب أحد المسلمين إنما هو اغتياب أخ، ولما كان المسلمون كلهم إخوة كان من اغتاب واحدا منهم كأنما اغتابهم جميعا.

وغيبة الذى اغتيب من المغتاب تشبه الموت فى أن كلا منهما: الغائب والميت لا يحس بما يصنع به.

وقد زاد هذا التشبيه نكرا ما جاء معه من الاستفهام الإنكارى: (أيُحِبُّ).

وذكر الحب – هنا أيضا – مما زاد الأمر شناعة، فقد كان يمكن أن يقال: « أيرغب » أو « أيريد » أو « أيستسيغ »، ولكن كان ذكر الحب للدلالة على أن ذلك غاية ما يُستفظع.

وهنا لطيفة أخرى – والله أعلم بمراده – ذلك أن الغيبة محبوبة من نفوس المغتابين، فبعض الناس – وربما كثير منهم – لا يجدون لذتهم إلا فى قرض الأعراض، بل كثير من الناس لا يقضون أوقاتهم، ولا يطيب لهم الحديث إلا بتناول معايب الناس، والحديث عن مساوئهم، ولذلك ناسب هذا المقام كلمة (أيحب)(٣).

ومن لطائف القرآن هنا – أيضا – أنه نكَّر لفظ (أحد)، وكأن المراد: أن إنسانا ما، كائنا ما كان، عدوا، أو صديقا، صغيرا، أو كبيرا، لا يحب أن يأكل لحم أخيه ميتا، وإن كانت الإضافة إلى المسلمين تشير إلى أن من شأن المسلم الذى طهّره الإسلام، وارتفع بغرائزه ألا يقع منه ذلك.

والغيبة – كما حدَّدها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « ذكرك أخاك بما يكره، ولو فى وجهه ».

قيل: أرأيت إن كان فى أخى ما أقوله؟ قال – عليه الصلاة والسلام – إن « كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته »(٤).

والمغتاب غافل عن أشياء، لو فطن لها لأبقى على نفسه، وعلى دينه وخلقه، غافل عن عيوب نفسه، وغافل عن قدرة الآخرين على أن يجازوه سوأى بسوأى، وغافل عما توعد به الله – سبحانه – المغتابين.

فلو أن الانسان جعل دائما عيوبه على ذُكْر منه، واستحضرها أمام عينه كلما همّ بأن يتحدث عن عيوب الآخرين لزجره ذلك عما همّ به، ولأمسك لسانه، وألجم فاه بلجام، وهذا ما نبه إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى قوله: « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس »(٥)

---

(٢) سورة الحجرات من الآية (١٢).

(٣) أشار الى هذه المعانى ابن الأثر فى: «المثل السائر» باب: الكتابة.

(٤) رواه مسلم من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه –.

(٥) رواه مسلم من حديث أبى هريرة.

وقد يقع في بعض الأذهان أن هذه الكلمة ضيقة الحدود، قريبة الأفق، ولكن المتأمل يرى أنها أول كل تهذيب نفسي.

فالعاقل الذى لا يكون همه تتبع عيوب الناس وإذاعتها، ولكن همه منحصر فى تأمل عيوب نفسه، كلما رأى عيبا بادر إلى إصلاح ذلك العيب من نفسه، فيشغله إصلاحها عن تعداد عيوب الناس.

ولاشك أن كل إنسان فيه من العيوب نظير ما فى غيره، إن لم يكن فى النوع، ففى القدر والوزن، وكما قال الأول:

عيوبى إن سألت بها كثير
وأى الناس ليس له عيوب؟!

فإذا كان الإنسان - حياته - يراقب، ويعالج ما يجده فى نفسه من أدْواء خُلُقية استقام سلوكه، وحسنت أخلاقه، وبرئت نفسه أو كادت من العيوب، وهذا من أجل ما يحث عليه الإسلام: إصلاح الأخلاق، وتتميم مكارمها.

ولا يقولن أحد إنه لا عيب فيه، وذلك الادعاء، إن وجد كذب على الطبيعة الإنسانية، وهو غرور لا يقع فيه من خالطت بشاشة الإيمان قلبه، وكثيرا ما يقع الإنسان فى الخطأ وهو لا يشعر، وعلى الإنسان أن يَصْدق نفسه، وأن يعترف بعيوبه - على الأقل بينه وبين نفسه - فإن ذلك أحرى أن يدفعه إلى التخلص من هذه العيوب، وهو - لا شك - يحبس لسانه عن الخوض فى عيوب الناس[٦].

وقد روى أبوحيان التوحيدي هذه القصة:

التقى أخوان فى الله، فقال أحدهما لصحابه: والله يا أخى إنى لأحبك فى الله، فقال الآخر: لو علمت منى ما أعلمه من نفسى لأبغضتنى فى الله، فقال: والله: يا أخى لو علمت منك ما تعلمه من نفسك لمنعنى من بغضك ما أعلمه من نفسى![٧].

ولو أن الإنسان فطن إلى أن للناس ألسنا كما أن له لسانا، وأن لهم أعينا كما له عينان، وأن فيه من العيوب بعض ما فيهم، وأنهم لا يتورعون أن يعيبوه بما فيه، بل لا يتورع كثير منهم أن يختلق له العيوب، لو فطن لذلك لآثر السلامة، ونجا بعرضه من ألسنتهم، وربما تكون ألسنة حداداً.

فمما روى عن الإمام الشافعى - رحمه الله - قوله:

إذا شئت أن تحيا سليما من الأذى
وذنبك مغفور وعرضُك صيِّن
لسانك لا تذكر به عورة امرئ
فكلك عورات وللناس ألسُن!

وكلمة حكيمة للشاعر نصير الدين الحمامى (ت ٧١٢هـ):

لا تقل ما حييت إلا بخير
ليكون الجواب خيرا لديكا
قد سمعتَ الصدى وذاك جماد
كل شئ تقول ردّ عليكا

وفى الحديث الصحيح: «من تتبع عورة أخيه

(٦) بعض هذه الخواطر ذكرت فى كتابنا «بلاغة الرسول».

(٧) كتاب: «ا لصداقة والصديق» (ص٣٠) ط مكتبة الآداب بالقاهرة.

يتتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه وهو في جوف بيته »[٨].

ومن قول بعض الشعراء:

لا تلتمس من مساوى الناس ما ستروا
فيهتك الله سترا عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا
ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

وقد ذكر أبوحيان التوحيدى هذه الحكمة: (من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون)[٩].

□ وأخيرا وأولا .. لو استحضر الانسان دائما ما توعد الله به هؤلاء الوالغين فى الأعراض لأشفق علي نفسه من سخط الله وعذابه: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾[١٠] وقد فسّرت هاتان الكلمتان بتفسيرات عدة ترجع فى جملتها إلى تناول عيوب الناس.

والويل: الهلاك، وهى كلمة شديدة الوقع على النفس المؤمنة، ولا تستعمل إلا حيث تكون المعصية بالغة الشناعة: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[١١] .. ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧﴾ (١٢).

□□□□

الناس ألوان

والناس فى هذا الأمر ألوان شتى: فمنهم من يعف عن لحوم الناس أو يقربها، وينزه لسانه عن الخوض فى أعراضهم. وينزه سمعه عما نزه عنه لسانه، ويظل حياته معرضا عن هذه الفاكهة المحرمة، التى ربما تشتهيها نفسه حينا فيقدعها، ويذودها عن هذا المورد الوبئ، فإذا جلست إلى واحد من هؤلاء لم يحدُثك إلا بما طاب من الحديث، فإذا عرضت أنت لشخص أعرض، ونأى بجانبه، وأمالك بلطف عن هذا الحديث، ودخل فيما يعنيه، فإن كان عالما دخل بك من باب من أبواب العلم، وإن كان جاهلا – ولا تعجب – انصرف بك إلى ما يشغله من شئون الدنيا.

ولقدعرفتُ نفرا من هؤلاء، ولكن – والألم يملأ النفس – كانوا قليلا، بل أقل من القليل.

□ ومن الناس من تعاشره الدهر الطويل فلا تسمع منه إلا ذما وقدحا فيمن يعرف ومن لا يعرف، ولا تسمع منه كلمة واحدة طيبة فى إنسان، حتى أصدقاؤه الذين ربما كان لبعضهم فضل عليه، لا يذكر عنهم حين يذكر إلا ما يعرف من مثالبهم.

فهو كهذا الجار، الذى جاء فى ذكره في الحديث النبوى الذى رواه الطبرانى: ثلاثة من الفواقر: وذكر منهم:

« وجار سوء، إن رأى حسنة دفنها، وإن رأى سيئة أذاعها ».

وقد عبر عن هذا المعنى شاعر ضاق بمثل هذا العائب:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا
عنى، وما سمعوا من صالح دفنوا

---

(٨) اتحاف السادة المتقين ص٧ / ٥٣٤.
(٩) الإمتاع والمؤانسة (٢/١٤٧).
(١٠) سورة الهمزه الآية (١).
(١١) سورة المطففين الآية (١).
(١٢) سورة الجاثية الآية (٧).

صمٌّ إذا سمعوا خيرا ذكرت به
وإن ذكرت بشرٍّ عندهم أذنوا

وقد اكتفى هذا الشاعر فى وصف هؤلاء بأنهم يدفنون ما يسمعون من صالح، ويطيرون فرحا بما يسمعونه من ريبة، وأنهم يصمون آذانهم حين يذكر الشاعر بخير، ويطيلون الإصغاء حين يذكر بشر.

أما الشاعر الآخر فقد زاد على ذلك: أن أصحابه يفترون عليه الكذب إن لم يجدوا ما يقولونه فيه:

إن يسمعوا الخير يُخفوه وإن سمعوا
شرا أذيع وإن لم يسمعوا كذبوا!!

وقد تأكد لى فى هذا الصنف من الناس صدق ما قاله هذا الشاعر:

وأجرأ من رأيت بظهر غيب
على عيب الرجال ذوو العيوب

وكما أن الصنف الأول الذى وصفته بأنه ينزه سمعه كما ينزه لسانه عن الخوض فى عيوب الناس قليل، كذلك هذا الصنف الذى لا يعرف فى الناس إلا عيوبهم قليل -أيضا- وهذا ما نحمد الله - تعالى - عليه.

أما الكثرة الكاثرة من الناس فيخلطون عملا صالحا وآخر سيئا، يقعون، ويعفُّون، ولكنهم - أيضا - على درجات، فمنهم المكثر، ومنهم المقلّ.

سبب للعداوة

☐ ومن أضرار الغِيبَة أنها تؤثر - أحيانا كثيرة - فى قلوب من يسمعونها، فتسوء ظنونهم فيمن تتناوله الغيبَة، ومن هنا تنشأ عداوات بين الناس بسبب سوء ظن بعضهم فى بعض.

وإذا كان النبى - صلى الله عليه وسلم - خشىَ أن يتغير صدره على أصحابه إن سمع عنهم ما يسوء بعضهم، فنهى أصحابه أن يذكروا أحدا أمامه بشر، وقال لهم: «إنى أحب أن أخرج إليكم سليم الصدر»(١٣).

إذا كان - صلى الله عليه وسلم - يخشى أن يتغير قلبه على أحد أصحابه من كلمة سيئة يسمعها عنه فكيف بعامَّة الناس؟! إنهم أولى أن تتغير نفوسهم، ولا تسلم صدورهم.

ورذيلة أخرى أشنع وأفدح تنشأ -عادة- عند من يعتادون الحديث عن عيوب الناس، فهم يستطيبون الحديث، وهذا يدفعهم إلى أن يتزايدوا، ويختلقوا، ويكذبوا، فهى رذائل بعضها يفضى إلى بعض، وقديما قال الشاعر يصف قوما يمكرون به، ويتقوَّلون عليه:

هم أيقظوا رُقط الأفاعى ونبهوا
عقارب ليْل نام عنها حواتُها
وهمْ نقلوا عنى الذى لم أفُهْ به
وما آفة الأخبار إلا رواتها

ولعل من لطيف الكلم ورائعه، فى هذا الباب ما يروى عن الحسن البصرى أن رجلا جاءه يعتب عليه أنه اغتابه فقال له الحسن - رحمه الله - : ما بلغ من قدرك عندى حتى أحكِّمك فى حسناتى؟!

والله الهادى إلى سواء السبيل.

---

(١٣) رواه أحمد ج١ / ٣٩٦. والبيهقى فى السنن الكبرى ٨/١٦٦/١٦٧.

وقولوا للناس حسنا

لفضيلة الشيخ/ محمد حافظ سليمان

يقول الله - تعالى -:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)

ويقول الله - جل جلاله -:

﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (٢)

والمؤمن التقى القوى الأمين لا ينطق إلا بما يرضى الله فيزن كلامه بالقسطاس المستقيم، لأن الإسلام يلاحظ مشاعر الناس وأحاسيس الآخرين، فمن أراد أن يتكلم فليقل خيرا أو ليصمت، ولاريب أن طهارة اللسان من كمال الإيمان، والكلمة الطيبة صدقة والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

وأما اللسان البذئ فيدل على الخلق الردئ، والكذب نقيصة ومهزلة.

وعن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال: قلت يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار. قال: «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله

(١) الأيات ٢٤ - ٢٦ من سورة ابراهيم.

(٢) الأية ١٨ من سورة ق.

لاتشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل فى جوف الليل، ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾[٣] حتى بلغ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾، ثم قال: ألا أخبرك بملاك الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: رأس الأمر: الإسلام، وعموده: الصلاة، وذروة سنامه: الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ ثم قلت: بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه وقال: كف عليك هذا؛ قلت: يا نبى الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك؛ وهل يكب الناس فى النار على وجوههم – أو قال: على مناخرهم – إلا حصائد ألسنتهم[٤].

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم – قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)[٥].

وأفضل الناس قولا من قال خيرا فغنم، أو سكت فسلم؛ لأن الصمت فى مواضعه من شيم الرجال، والنطق فى مواضعه من كريم الخصال ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾[٦]

ومن فقه الرجل الرشيد أن يحفظ لسانه (إحفظ عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك) : فهل لنا أن نحفظ ألسنتنا وأقلامنا.

إن خير وسائل الإصلاح الاجتماعى هو العمل بأدب الإسلام الذى أكمله الله لنا فهو يحفظ الكرامة التى كرم الله بها بنى آدم، وهذه تربيته التى ليست من صنع البشر، بل هى من عند الله، جاءت لعلاج أمراض المجتمعات المعرضة عن ذكر الله وما نزل من الحق، وهل يجهل عاقل أن القرآن شفاء ورحمة ودواء لما فى الصدور والقلوب؟!

آيات معجزات وعظات بالغات

من الحقائق الراسخة البالغة أن كلمات الله فى القرآن الكريم لا نظير لها فى أى قول آخر؛ لأن الله رب هذا الكون أنزله على عبده، ولم يجعل له عوجا: أنزله على خاتم رسله الذى أوتى جوامع الكلم، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[٧].

وقد كانت كلمة: (اقرأ) بداية الوحى والله أعلم حيث يجعل رسالته، وهو يختص برحمته من يشاء ويؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا، وخاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبدالله – صلى الله عليه وسلم – بعثه الله للناس كافة يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويهديهم، وليبدل ظلام حياتهم نورا بإذن الله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

---

(٣) السجدة: ١٦.

(٤) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) رواه البخارى.

(٦) الأيات ١–٣ – من سورة المؤمنون.

(٧) النجم: (٣ : ٤).

وهذه الدنيا لا تصلح بغير دين الله الذى تجلى الله به على عباده لاستقامة العقيدة والسلوك، فهو يمحو الظلمات وبه تزول الضلالات والجهالات بآيات القرآن البينات المعجزات، والله يقول: ﴿ الٓمٓ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[8] والمتقون الذين يصفهم على ابن أبى طالب - رضى الله عنه - فى بيان معنى التقوى: الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل فهى، أى التقوى: خوف وعمل ورضا واستعداد للوقوف بين يدى الله - تعالى - والله يهدى إليه من ينيب ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ﴾[9].

فإذا هبت على المسلمين عواصف الشهوات المحرمة والحزازات الطارئة، فسوف يكون الإسلام كفيلا بتقديم الهداية إليهم؛ ليجمع كلمتهم ويقوى أمتهم، يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعلى بن أبى طالب - كرم الله وجهه -: «ستكون فتن.. قلت: ما المخرج منها يا رسول الله قال: عليكم بكتاب الله فيه: نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم، ومن علم علمه ثبت، وهو الفصل ليس بالهزل وهو الذى لا تتشعب به الآراء ولا تمله الأتقياء ولا يشبع منه العلماء هو الذى لا تنتهى الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) ﴾[10]، [11].

والقرآن يقول للمسلمين:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[12]

ويقول الله - عز وجل -:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[13]

وخير القول لمن شاء أن يستقيم هو ذكر الله ذكراً كثير وتسبيحه بكرة وأصيلا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) ﴾[14].

المؤمن لا يكون كذابا

سُئِلَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «أيكون المؤمن جبانا؟ قال: نعم قيل له: أيكون بخيلا؟ قال: نعم، وقيل له: أيكون كذابا؟ قال: لا»[15]

---

(٨) الآيتان ١ -٢ من سورة البقرة.

(٩) الآية ١٧ من سورة محمد.

(١٠) الجن: آية ١ : ٢.

(١١) أمالى الشجرى ١/٩١.

(١٢) الآية ٢١ من سورة الأحزاب.

(١٣) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف.

(١٤) الآيتان ٤١، ٤٢ من سورة الأحزاب.

(١٥) رواه أحمد.

والله يقول: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾(١٦)

إن النفس الطاهرة، البريئة من أدران الرذائل والوساوس والهواجس، لا تضغن ولا تحقد ولا تهتف بما لا تعرف، تمقت الثرثرة، وتأبى الإسفاف ولغو القول: ولكنها تسمو وترتفع ولا تقابل السيئة بالسيئة، والله يقول:

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(١٧)

وسئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «أى الإسلام أفضل؟ قال تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»(١٨)

لأن الإسلام دين السلام والمحبة والألفة فهو يأمر بالحلم، وضبط النفس وينهى عن المن والأذى:

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾(١٩)

الصدق أمانة والكذب خيانة

لأن الصدق حقا أمانة والكذب خيانة. والله يأمرنا بتأدية الأمانات وينهى عن الخيانات، والصدق فضيلة والكذب رذيلة، الصدق قوة أخلاقية والكذب هوان وضعف وذلة والله يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾(٢٠)

وسيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ يدعو ربه قائلا:

﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾(٢١)

ومن صفات عباد الرحمن قول الحق:

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾(٢٢)

التقوى ذروة مكارم الأخلاق

التقوى عصمة من الانحرافات وفعل المحرمات وارتكاب الخطيئات؛ لأن التقوى غايتها مكارم الأخلاق: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)(٢٣) وهذا القول من أدب النبوة وذلك لأن الأخلاق أرزاق، ولاشك أن الإسلام دين السماحة والرحمة واليسر والعفة والعزة، وكل أولئك من صفات أصحاب الخلق المتين الذى يشق طريقه إلى عقول الملايين من البشر، وقلوبهم بيسر، فلا تعقيد فى التوحيد، ولا التواء فى السلوك السوى.

---

(١٦) سورة الإسراء: ٣٦.

(١٧) سورة الإسراء: ٥٣.

(١٨) رواه البخارى.

(١٩) سورة البقرة: ٢٦٣، ٢٦٤.

(٢٠) التوبة: ١١٩.

(٢١) الشعراء: ٨٤.

(٢٢) الفرقان: ٧٢.

(٢٣) السنن الكبرى للبيهقى ١٠/١٩٢

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٢٤]

وقد كان السلف الصالح فى أيام الإسلام الأولى صورة للإسلام لما كان أكرمهم عند الله أتقاهم، ولما اهتدوا بالقرآن فزادهم الله هدى وآتاهم تقواهم فتشبهوا بالملائكة، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون؛ فامتلأت بهم الأرض عدلا وأمنا وسلاما.

أمانة الكلمة

وإذا كانت الكلمة أمانة فإن العمل أمانة (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)[٢٥]

والوقت ـ وعمر الإنسان أمانة: (خيركم من طال عمره وحسن عمله وشركم من طال عمره وساء عمله)[٢٦] والصدق فى العمل كالصدق فى القول، كلاهما يهدى إلى البر والبر يهدى إلى الجنة، وحقوق الإنسان أمانة فى الإسلام.

(لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له) فليؤدى الذى ائتمن أمانته، وإذا أثنى على الرجل جيرانه فى الحضر وأصحابه فى السفر ومعاملوه فى الأسواق فلا تشكوا فى صلاحه)[٢٧] لأن الدين المعاملة، وهى - أى المعاملة - الشاهد الذى لا ترد شهادته: وهى محك الرجال فهى رمز الصدق فى القول والعمل، والصدق داخل فى السلوك القويم، ودليل الإخلاص فى العمل الصالح

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[٢٨]

فإن الاسلام يقول للمسلمين ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[٢٩]

ويقول لهم:

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ

---

(٢٤) الآية ١٥٣ من سورة الأنعام.

(٢٥) مجمع الزوائد للهيتمى ٩٨/٤.

(٢٦) كشف الخفاء للعجلونى ٤٦١/١..

(٢٧) الترغيب والترهيب للمنذرى ٢٤١.

(٢٨) الآية ٥ من سورة البينة.

(٢٩) الآية ٨٣ من سورة البقرة.

(٣٠) الآيتان ٢٤ ـ ٢٥ من سورة النور.

آداب الجدل

للأستاذ الدكتور / محمد ابراهيم الفيومي

عقد الجوينى[1] فصلا طويلاً - فى الكافية - بين فيه آداب الجدل نجتزئ منه ما يأتى (غير العناوين) :

١- التقرب إلى الله - تعالى - بعمله هذا :

يقول الجوينى : (فأول شئ فيه على الناظر أن يقصد التقرب إلى الله -سبحانه- وطلب مرضاته فى امتثال أمره - سبحانه - فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعاء إلى الحق عن الباطل وعما يخبر فيه ويبالغ قدر طاقته فى البيان والكشف من تحقيق الحق وتمحيق الباطل)[2] .

٢- تخليه قصده عن الرياء والمباهاة وسائر المذمومات : (ويتقى الله أن يقصد بنظره المباهاة وطلب الجاه والتكسب والمحاراة والمحك والرياء، ويحذر ألم عقاب الله ولا يكن قصده الظفر بالخصم والسرور بالغلبة والقهر فإنه من دأب الأنعام الفحولة) .

٣- البدء بحمد الله والثناء على رسوله - صلى الله عليه وسلم :

(وقبل أن يشرع فى الكلام يبتدئ بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله، فيستعين على ذلك بطلب الحق والتوفيق فى الإبانة عن الباطل والكشف عن الصواب فإنه سيرة السلف الصالح رضوان الله عليهم .

وإن كان لا يتفق له ذكره باللسان فيقوله فى نفسه سراً) .

٤- خفض الصوت :

(ويحذر رفع الصوت جهراً زائداً على مقدار الحاجة فإنه يورث الحدة والضجر) .

٥- رفض أسباب الضجر :

(ويتجنب من أسباب الضجر والحدة فإنه يورث البلاده وإن كان يتوهمه جلادة ويقطع مادة الفهم والخاطر)[3] .

٦- التواضع :

(ويلزم الخشوع والتواضع ويقصد الانقياد للحق فيكون من جملة من (يستمعون القول فيتبعون أحسنه) فإنهم الذين وصفهم الله بالهدى[4] .

---

(١) أنظر الكافية فى الجدل للجوينى ص ٥٢٩ - ٥٢٤.

(٢) ، (٣) المصدر السابق ص ٥٢٩.

(٤) الكافية فى الجدل الجوينى ص ٥٣٠ ، ٥٣١.

٧- الاقتصاد فى الجدال والتريث :

(ولا تعود نفسك السباب والجدال بالباطل والمبادرة إلى ما سبق إليه الخاطر...)(٥) .

٨- عدم الاعتماد على رضا الحاضرين :

(واحذر الاعتماد فى كلامك على من تظن انه معك أو يستحسن كلامك فى جملة الحاضرين، فربما تبين لك خلافه فيضعف ذهنك وخاطرك ويذهب عنك كثير مما لا تستغنى عنه .

٩- التقرب إلى الله بطلب الحق وحده :

(والتقرب إلى الله – سبحانه – يجب أن يكون بحيث يمنعك عن الالتفات إلى الحاضرين خالفوك أم وافقوك فإنه – سبحانه – عند ذلك يكفيك المهم، ويعينك على تقوية ذهنك، وتصفية فهمك، وإمداد خواطرك، والكشف عن الحق على لسانك)

١٠- الاطمئنان :

(وإياك والكلام فى مجالس الخوف والهيبة فإنك عند ذلك فى حراسة الروح على شغل من حراسة المذهب ونصرة الدين)(٦) .

١١- الحياد والموضوعية .

وتجنب مجلس صدر لا يسوى بين الخصوم فى الإقبال والاستماع وإنزال كل منزلته فإن الكلام بين يدى مثله سخيف)(٧) .

١٢- احترام الخصم .

وإياك واستصغار من تناظره والاستهزاء به كائنا ما كان... وعليك المحافظة على قدرك وقدر خصمك... ولا تناظر النظير مناظرة المبتدئ المسترشد .

ولا تناظر أساتذتك مناظرة الأكفاء والنظراء بل تناظر كلا على حقه وتحفظ كلا على رتبته)(٨) .

١٣- السماحة :

(وكن مع خصمك مستبشرا غير عبوس) .

١٤- اختيار المناظر :

وعليك أن لا تفاتح بالمناظرة من تعلمه متعنتا... وإن لم تعلمه كذلك ثم علمته عليه وجب عليك الإمساك عن مناظرته)(٩) .

١٥- البساطة وعدم التنطع .

يقول الجوينى : (وإن كان خصمك منتهيا عالما بقصد المناظرة واستبانة ما التبس فلا تعمق فى العبارة فإنك تطول عليه وعلى نفسك الأمر بل تقصد بأسهل العبارات إلى تكئة الحكم)(١٠) .

١٦- حسن الاستماع والإنصات :

(ومتى علم من خصمه قصد الحق وطلب الصواب والهداية مكنه من إيراد جميع ما يريد إيراده فإنه يجوز أن يكون موضع الالتباس عليه ما يطنه أظهر الأشياء فساداً ووهاء... وحتى لم يصبر خصمه بل داخله بالاعتراض أو الجواب فى نوبته احتمله ووعظه فإن أصر عليه قطع مكالمته)(١١) .

١٧- العلاقة بين المتجادلين :

وعلى كل واحد منهما أن يقبل على خصمه الذى يكلمه بوجهه فى خطابه المتكلم فى كلامه والمستمع فى استماعه .

---

(٥)، (٦) (٧) الكافية فى الجدل الجوينى ص ٥٣٠ ، ٥٣١.

(٨) الكافية فى الجدل ص ٥٣١.

(٩)، (١٠)، (١١)، الكافية فى الجدل – للجوينى ص ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤.

فإن التفت أو أعرض عنه فى الاستماع أو الخطاب وعظه فإن لم يقبل قطع مناظرته ؛ لأن ترك الإقبال وحسن الاستماع يشغل قلب المتكلم والمستمع فتنقطع عليه مادة الفهم والخاطر)[١٢].

١٨- كيفية مناقشة الأعلم والأكبر :

(ولا تكلم الأستاذ إلا على ضربين : الاسترشاد مع غاية الاحترام، والتواضع وخفض الصوت وقطع الحجاج عند ظهور الرشد)[١٣].

١٩- ترتيب الإجابة وكيفية الاختيار :

(وإياك أن تتعلق عند الاستدلال إلا بأقوى ما فى المسألة ولا يحزنك ضعف السائل ؛ لأنك إذا تعلقت بأقوى ما فى المسألة راح بعده ما هو أضعف منه.

وإذا تعلقت بالضعيف احتجت إلى وضع القوى موضع الضعيف فيذهب عند ذلك رونق نصرة الحق وبهائها . . .)[١٤].

٢٠- فهم كلام الخصم :

(وعليك بمراعاة كلام الخصم وتفهم معانيه على غاية الحد والاستقصاء فإن فيه أمانا من اضطراب ترتيب فصول الكلام عليك فيسهل عليك وضع كل شئ موضوعه)[١٥].

٢١- المجادل المشاكس :

(وإن طول عليك كلامه بعباراته الطويلة نلخص من جميعها موضوع الحاجة إليه فتحصره عليه ثم تكلمه فيه بما يليق به لأنك إذا فعلت ذلك زال ما أوهم به الحاضرين من إيراد العلوم الكثيرة، وإذا لم تحصر عليه موضوع الفائدة موه عليهم تقصيرك)[١٦].

٢٢- التأكد :

(وإياك إن تلزم خصمك ما لا تتحققه لازما فإنه إذا انكشف لك وللحاضرين سقوطه من فوره سقطت عن أعين الحاضرين)[١٧].

٢٣- التسامح مع الخصم وعدم تصيد الأخطاء :

(ولا تؤاخذ الخصم بما تعلم أنه لا يقصده من أنواع الزلل، بل تعلم أنه يسبق اللسان ولما لا يخلو المتكلم منه)[١٨].

٢٤- الابتعاد عن الحيل :

(واعلم أن الحيل فى المناظرة لقطع الخصم محظور يجب الاجتناب عنه، وهو من دأب أهل الفسوق فى المناظرة . . . بعيد عن سلوك سبيل أهل الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر).

ومن الحيل المنهى عنها :

٢٥- أن يحتال المسئول على السائل فيخرجه عن سؤاله، أو السائل يحتال على المسئول فيخرجه عن جوابه إلى غيره)[١٩].

---

(١٢) الكافية فى الجدل - للجوينى ص ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤.

(١٣) الكافية فى الجدل ص ٥٣٤.

(١٤)، (١٥)، (١٦)، (١٧)، (١٨)، الكافية فى الجدل. الجوينى ص ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦.

(١٩) الكافية فى الجدل للجوينى ص ٥٤٤.

من مظاهر العظمة فى قدرة الله
إيجاد الضد من الضد

للشيخ عبد العزيز أحمد رضوان

أمرنا الله - سبحانه وتعالى - أن نتأمل ونتفكر فى كل ما يدور حولنا، وتقع عليه أعيننا، وتدركه حواسنا، وتطمئن إليه قلوبنا، فقال سبحانه:

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(1)

والقرآن الكريم مشحون بالدعوة إلى التأمل والتفكر والتدبر، وما يتصل بهذه المعانى.

وسنحاول فى هذا المقال – أن نلقى الضوء على جانب واحد من مظاهر العظمة فى قدرته – عز وجل – وهو: إيجاد الضد من الضد، ولنتأمل قول الله العظيم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾(2) فانظروا معى إلى البذرة اليابسة التى لا حياة فيها، وإلى نواة البلح اليابسة، التى لا حياة فيها، كذلك كيف يفلقهما الله – سبحانه وتعالى – ويوجد منهما النبات الحى النامى، الذى يستوى على سوقه، ويخضر ويهيج ويترعرع، ويحمل أنواع الرزق والخير للعباد، وغيرهم؟! وكيف بهذا النبات الحى النامى يخرج من هذه الأرض الميتة، التى لا حياة فيها، كما قال عز من قائل:

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(3) وهذه الأرض أمرها

---

(1) البقرة: الآية ١٦٤. (2) سورة الأنعام من الآية ٩٥. (3) سورة يس: الآية ٣٣.

عجب، فنحن لو زرعنا فوقها أنواعا مختلفة من النبات والفواكه وغيرهما، يكون لكل نوع مذاقه وطعمه ولونه، مع أن الأرض والماء الذى يسقيها واحد. قال تعالى:

﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾(٤) ثم كيف يودع الله – تبارك وتعالى – فى أعماق هذه الأرض ماء، يتم استخراجه عند الحاجة إليه، وهو ماء العيون؟! قال تبارك وتعالى:

﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ١٩ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ٢٠ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ٢٢ ﴾(٥)

ومن هذا القبيل – إيجاد الضد من الضد – إيجاد الليل من النهار، والنهار من الليل. وفى هذا المعنى يقول سبحانه:

﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ ﴾(٦) ويقول:

﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾(٧) فانظر إلى آثار قدرة الله حيث يجعل نور الفجر، يشق ظلام الليل الدامس، ثم ينتشر رويدا، رويدا حتى تشرق الشمس بضيائها، فينكشف كل مستور. هذا، والقلوب كلها بيد الله – تبارك وتعالى – أودع فيها الحب الجارف، أو الحقد والبغض وهو – سبحانه وتعالى – قادر على أن يخلق الضد من الضد، فيودع فى هذه القلوب الحب مكان الكره، والكره مكان الحب. ومن الأمثلة والشواهد على صدق هذا ما حكته لنا السيرة النبوية، والتاريخ الاسلامى من قصص إسلام كثير من الصحابة، الذين كانوا قبل إسلامهم شديدى العداوة للاسلام ونبيه – صلوات الله وسلامه عليه – فهذا هو الفاروق عمر – رضي الله عنه وأرضاه –، الذى كان شديد العدوة للإسلام، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولم يكن أحد يطمع فى إسلامه، بسبب ما كان عليه من شدة الأذى للمسلمين، روت زوجة عامر بن ربيعة قالت: (إنا لنرحل الى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر لبعض حاجته إذ أقبل عمر – وهو على شركه – حتى وقف عليَّ – وكنا نلقي منه البلاء – فقال: أتنطلقون يا أم عبدالله؟ قالت – نعم والله لنخرجن فى أرض الله، فقد آذيتمونا، وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا فرجا. قالت: فقال عمر: صحبكم الله، ورأيت له رقة وحزنا.. !! قالت: فلما عاد عامر أخبرته، وقلت له: لو رأيت عمر ورقته وحزنه علينا.. قال: أطمعت فى إسلامه؟ قلت: نعم فقال: لا يسلم حتى يسلم حمر الخطاب)(٨) فإذا بهذا الغليظ

---

(٤) سورة الرعد: الآية ٤.

(٥) سورة الحجر الآيات ١٩ – ٢٢.

(٦) سورة الإسراء من الآية ١٢.

(٧) سورة يس: الآية ٣٧.

(٨) فقه السيرة للشيخ الغزالى ط دار الكتب الحديثة ص ١٢٢.

الجافي يتحول إلى محب للإسلام، مدافع عنه، ضاربا المثل الأعلى في حمايته، والحفاظ على آدابه وأخلاقه السامية، وهذا هو حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتحول من الكفر إلى الإسلام، بسبب غضبته لابن أخيه، حين يعلم أن أبا جهل شتمه فيذهب إليه مغضبا - وهو فى مجلسه بين قومه - ثم يضرب رأسه بالقوس فيشجه شجة منكرة، ويقول له: أتشتمه وأنا على دينه؟[٩] وهذا هو ثمامة بن أثال، الذي تحول من الضد إلى الضد بسبب عفو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنه بعد الإمساك به وربطه بعمود من عمد المسجد، ولقد كان ثمامة تعرض وهو مشرك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأراد قتله، ولو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اقتص منه مع عداوته السافرة، وامتناعه عن الدخول فى الإسلام، ما كان عليه لوم فى ذلك. ومر عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو على هذه الحال، فقال له: ما لك يا ثمام هل أمكن الله منك؟ فقال: قد كان ذلك يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تعف تعف عن شاكر، وإن تسأل مالاً تعطه، فمضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتركه، وتكرر ذلك في يومين آخرين، يسأله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يرد عليه نفس الرد. وكان أهل الصفة - وعلى رأسهم أبو هريرة - رضى الله عنه - يتمنون أن يأخذوا منه مالا ويقولون: ما نصنع بدم ثمامة؟ واللة لأكلة من جزور سمينة من فدائه أحب إلينا من دم ثمامة.

لكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال: «أطلقوه فقد عفوت عنك ياثمام» فكان هذا سببا في إسلام ثمامة، وحل الحب العظيم للإسلام ورسوله، محل البغض، والحقد الدفين، فخرج ثمامة حتى أتى حائطا - بستانا - من حيطان المدينة فاغتسل وتطهر، وطهر ثيابه، ثم جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو جالس فى المسجد فقال: يا محمد لقد كنت وما وجه أبغض إليَّ من وجهك، ولا دين أبغض إليَّ من دينك، ولا بلد أبغض إليَّ من بلدك، ثم قد أصبحت وما وجه أحب إليَّ من وجهك، ولا دين أحب إلي من دينك، ولا بلد أحب إليَّ من بلدك، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

وحين تلومه قريش يقول لهم: - والذى نفس ثمامة بيده لا تأتيكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وانصرف إلى بلده ومنع الحُملُ إلى مكة فجهدت قريش فكتبوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسألونه بأرحامهم إلا كتب إلى ثمامة يخلى لهم حمل الطعام ففعل ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم[١٠].

وهذا هو عمير بن وهب الذى اتفق مع صفوان ابن أمية في خلوة بينهما، ولم يسمعهما أحد، أن يشحذ عمير سيفه، ويذهب إلى المدينة،

(٩) المصدر السابق.

(١٠) أسد الغابة بتصرف يسير جـ١ ص ٢٩٣ و ٢٩٤ ط دار المعارف.

ويقتل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أن يتكفل صفوان بديون عمير وعياله فى حالة ما إذا انكشف أمره في المدينة وقتل. وحين يرى الفاروق عمر، عميراً بن وهب أمام مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يمسك بتلابيبه ويناديه بعدو الله، ويسأله عن سبب مجيئه، ويحدث ضجيج وصخب، يسمعه رسول الله، ويعرف سببه فيأمر بدخول عمير عليه، ثم سأله:

« .. ما جاء بك يا عمير »؟ قال: جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم[11] فأحسنوا فيه. قال: « فما بال السيف فى عنقك »؟ قال: قبحها الله من سيوف هل أغنت شيئا؟! قال: (أصدقنى ما الذي جئت له)؟ قال: – ما جئت إلا لذلك.

قال: « بل قعدت أنت وصفوان بن أميه فى الحجر – فى الكعبة – فذكرتما أصحاب القليب – بئر بدر – من قريش، ثم قلت: لولا دَيْن عليَّ، وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمدا، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك، على أن تقتلنى له، والله حائل بينك وبين ذلك » فقال عمير: أشهد أنك رسول الله. قد كنا يارسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحى، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فو الله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام، وساقنى هذا المساق[12] وشاء الله – تبارك وتعالى – أن يسلم صفوان بن أمية – أيضاً – بعد جدل مثير بينه وبين عمير بن وهب، الذى ذهب من مكة إلى المدينة كافرا، ثم عاد مسلما يملأ قلبه اليقين والإيمان. وكان صفوان بعد فتح مكة قد فر هاربا يريد البحر؛ خوفا من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يقتله؛ لأنه لم يعلن إسلامه ولاحقه (عمير) ليعود به، بعد أن طلب الأمان له من رسول الله، فلما أدركه ظن صفوان أنه يريد به شرا، فقال له: يا عمير ما كفاك ما صنعت بى؟ حملتنى على دينك وعيالك ثم جئت تريد قتلى؟ فقال له: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد أمنك. فقال صفوان: لا، والله لا أرجع معك حتى تأتينى بعلامة أعرفها. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لعمير لما عاد إليه وطلب منه هذه العلامة: (خذ عمامتى) فرجع عمير إليه بها .. فقال: أبا وهب!! جئتك من عند خير الناس، وأوصل الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس، مجده مجدك، وعزه عزك، وملكه ملك ابن أمك وأبيك، وأذكرك الله في نفسك، قال له: أخاف أن أقتل، قال: قد دعاك أن تدخل فى الاسلام .. وإلا سيرك شهرين – تركك بالخيار – وقد بعث إليك ببرده، الذى دخل به معتجرا – معتما به – فعرفه!! قال: نعم. هو .. هو!! فرجع صفوان حتى انتهي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يصلى بالناس العصر فى المسجد، فوقفا. فقال صفوان صائحا: يا محمد: إن عمير بن وهب قد جاءنى ببردك، وزعم أنك دعوتنى للقدوم عليك، فإن رضيت أمراً وإلا سيرتنى شهرين.

قال: « انزل أبا وهب » قال: لا والله، حتى تبين لى. قال: « بل لك تسير أربعة أشهر » فنزل صفوان[13] وانتهى أمره إلى الاسلام، فسبحان مقلب القلوب. ومن هذا القبيل ما

---

(11) كان ابنه وهب بن عمير آسيرا من أسرى بدر.

(12) حياة الصحابة للشيخ محمد يوسف الكاندهلوى جـ ١ ص ١٧٣ وما بعدها ط دار الشهباء.

(13) المصدر السابق ص ١٥٩ و ١٦٠ بتصرف يسير.

حدث من فضالة بن عمير، الذي استغل زحام الناس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة، وانسل على خفيه يريد اغتياله، إلا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أدرك بفراسته ما ينويه فضالة، فسأله: «ماذا كنت تحدث به نفسك»؟ قال: لا شيء كنت أذكر الله!! فضحك النبى، ثم قال: «استغفر الله» وتلطف معه الرسول فوضع يده على صدره، فانصرف الرجل، وهو يقول: ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحب إليَّ منه[١٤] ومن أصدق الشواهد والبينات على أنه - سبحانه وتعالى - يخلق المحبة من العداوة، هذه الدعوة التى دعاها - صلوات الله وسلامه عليه - عندما جاءه جبريل - عليه السلام - وقال له: إن الله قد سمع قول قومك لك وماردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال النبى - صلى الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يخرج الله - عز وجل - من أصلابهم من يعبد الله - عز وجل - وحده لا يشرك به شيئاً»[١٥] ولقد استجاب الله لرسوله، فاذا بأبناء الكفار المملوئين حقدا وضغنا، على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتحولون من الكفر إلى الإسلام، ويذودون عن حياضه، ويحمون حماه، ويصبحون أبطالا عظماء، لهذا الدين: كعكرمة ابن أبى جهل، وخالد ابن الوليد.

ولنختم هذا المقال بفرعون الذى استشاط غضبا، وراح يقتل، ويذبح الأبناء، الذين نما إلى علمه أنهم أعداؤه، لأن ملكه سيزول على يد واحد منهم، فإذا بالله العلى القدير العليم الحكيم يرسل إليه كليمه موسى، وهو رضيع فى تابوته ﴿ فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[١٦] لكن الله أراد أن تنقلب هذه العداوة إلى محبة؛ لكى يتربى موسى - عليه السلام - فى قصر فرعون، وترضعه أمه بأجر من فرعون، والله - تبارك وتعالى - يقول فى ذلك:

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾[١٧] وما صنع الله - سبحانه وتعالى - ذلك إلا ليحق الحق، ويبطل الباطل. وهذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدلل على هذه القدرة الإلهية العظيمة بقوله: «.. فوالله الذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[١٨] فالواجب على أهل الطاعات ألا تغرهم طاعتهم، وإنما يجب أن يستقلوها، راجين رحمات ربهم، والواجب على العصاة أن يبادروا ويسارعوا ويتوبوا، وينيبوا ولا ييأسوا من روح الله ولا يقنطوا من رحمة ربهم.

---

(١٤) فقه السيرة للشيخ الغزالى ص ٤١٥.

(١٥) البخارى ومسلم والنسائى وانظر حياة الصحابة جـ ١ ص ٢٥٤.

(١٦) سورة القصص: من الآية ٨.

(١٧) سورة طه: من الآية ٣٩.

(١٨) متفق عليه.

أسرار علمية فى ألفاظ قرآنية :

الزوجية والأزواج فى القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور / عفيفى محمود عفيفى (*)

وردت كلمة « زوج » ومشتقاتها فى آيات كثيرة من القرآن الكريم، وكان لها فى المواضع المختلفة معان مختلفة أيضا، يدلنا عليها سياق الحديث، ومناسبة نزول الآية الكريمة.. ولعل أكثر هذه المعانى هو ذلك المعنى الشائع فى مفاهيمنا، وهو أن الزوج هو أحد الشقين التناسليين اللذين يكمل كل منهما الآخر، ويتم عن تواصلهما إنتاج الذرية.. وفى أغلب الآيات التى ورد فيها لفظ الزوج بهذا المعنى، كان وروده بصيغة المثنى، مثل قوله - تعالى - فى سورة القيامة: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾[1] **وقوله فى سورة النجم:** ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾[2] **.وقوله فى سورة الذاريات:** ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾[3]**، وفى سورة هود:** ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾[4].

وفى آيات أخرى كان ورود الزوج بنفس المعنى بصيغة المفرد وهذا واضح فى قوله – تعالى – فى سورة النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾[5] .. وقوله سبحانه فى سورة الأنبياء: ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾[6]... وفى سورة الأحزاب: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾[7]... وفى عدد أقل من الآيات ورد اللفظ بنفس المعنى، ولكن بصيغة الجمع، كما فى قوله تعالى فى سورة يس:

(*) الكاتب أستاذ بكلية العلوم جامعة المنصورة وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(١) القيامة (٣٨، ٣٩). (٢) النجم (٤٥ – ٤٦). (٣) الذاريات (٤٩). (٤) هود (٤٠). (٥) النساء (١). (٦) الأنبياء (٩٠). (٧) الأحزاب (٣٧).

﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾(٨) .. وفى سورة الأحزاب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ ... ﴾(٩) وفى آية لاحقة: ﴿ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾(١٠) ويلاحظ أن القرآن الكريم لم يلحق تاء التأنيث بالكلمة، حتى ولو كان المقصود هو الشق الأنثوى.

.. ولكننا فى أحاديثنا العادية بل والمتخصصة نفعل ذلك فنقول: «زوجة» و«زوجات» وهذا من باب الخطأ الشائع الذى يمكن التجاوز عنه..

والمعنى الثالث الذى ورد به لفظ «زوج» فى القرآن هو: الفئة أو الطائفة المتميزة عن غيرها: كما فى قوله - تعالى - فى سورة الواقعة: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾(١١).. وقوله عز وجل فى سورة طه: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾(١٢)..

وقوله فى سورة النبأ: ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾(١٣).

أما المعنى الثالث لكلمة «زوج» فى القرآن الكريم فهو: «النوع، أو الصنف» سواء ورد اللفظ بصيغة المفرد، كما فى قوله - سبحانه - فى سورة ق: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾(١٤) أو بصيغة الجمع كما فى سورة ياسين: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١٥) .. وإن كان السياق فى هذه الآية يحتمل معنى الشق المتكامل مع شقه الآخر، تكامل الذكر مع الأنثى، كما فى الكائنات الحية، وتكامل السالب مع الموجب، كما فى عالم الجمادات، التى لها خواص مغناطيسية وكهربية على النحو الذى سنتناوله ببعض التفصيل عما قليل.

عندما نفذت مشيئة الله بتعمير الأرض، بث فيها ما شاء من أنواع الكائنات الحية، بدءاً من أدناها، وهى الميكروبات، وانتهاء بأرقاها وهو الإنسان، ومرورا بالنباتات فالحيوانات.. وأودع فى كل منها قدرة على التناسل: أولاً لإعمار الأرض، ثم بعد ذلك للتعويض عما ينقص بفعل الموت، وبهذا يظل نهر الحياة متجدد التيار جيلا بعد جيل، إلى أن يأتى أمر الله، بفناء الأرض بما عليها ومن عليها.

والتناسل بوجه عام نوعان

لا تزواجى كما فى البكتريا، وما فى مستواها من الميكروبات، وكما فى حالات التكثير الخضرى المعروفة فى عالم النبات.

وتناسل تزاوجى، وهو ما نعرفه فى أنفسنا، وما حولنا، من حيوانات ونباتات، وما كشف

---

(٨) ياسين (٥٦).

(٩) الأحزاب (٢٨).

(١٠) الأحزاب (٥٠).

(١١) الواقعة (٧).

(١٢) طه (١٣١).

(١٣) النبأ (٨).

(١٤) ق (٧).

(١٥) ياسين (٣٦).

عنه العلم حديثا فى بعض الميكروبات.. والتناسل التزاوجى هو الذى يعنينا فى هذا المجال، وهو يعتمد على أن أفراد كل نوع من الأحياء تتميز إلى صنفيْن، لهما صفات مشتركة، هى صفات النوع، الذى ينتميان إليه، ولكن كلاًّ منهما يختلف عن الآخر فى بعض التفاصيل.. وهذان هما الشقان التناسليان للنوع، أى: الذكر والأنثى.

ومن بديع صنع الله: أن جعل الذكر والأنثى كائنين مستقلَّين فى مخلوقات كثيرة عنه فى الإنسان ومعظم أنواع الحيوانات، وبعض أنواع النبات كالنخيل، وبعض الميكروبات مثل البلازموديوم (المسبب لحمّى الملاريا).. بينما فى حالات أخرى جعل الذكر والأنثى فى فرد واحد، كما فى معظم أنواع النبات، والديدان الطفيلية.

والتناسل التزاوجى لا يتم إلا بعد اندماج نطفة الذكر مع نطفة الأنثى، وهو أفضل من التناسل الخضرى، لأن اندماج النطفتين يتضمن توليفات كثيرة من الجينات، وهذا من شأنه تحسين الصفات الوراثية للنوع، واستنباط سلالات جديدة أفضل.. ولكى يتحقق هذا الخير جعل الله بين كل ذكر وأنثاه تجاذبا فطريا، هو فى حقيقته مظهر لرغبة كل منهما فى الاتحاد مع الآخر.. ولعل هذا هو ما عبر عنه القرآن فى قوله - تعالى - فى سورة الروم:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[١٦].. وهذه المودة ليست قاصرة علينا نحن المخاطبين بهذه الآية الكريمة، لأن رحمة الله وسعت كل شئ، وبتعبير أوضح نقول: إن التجاذب بين الذكر والأنثى موجود فى كل الأنواع، على النحو الذى نلمسه فى أنفسنا، لأننا نمارسه، وما نلحظه بين الحيوانات من سَعْى الذكر إلى أنثاه واستجابتها له، أما بين النباتات المثبتة فى الأرض، والحركة الانتقالية مستحيلة، ولكن التجاذب موجود على مستوى حبيبات اللقاح بمجرد سقوطها على مياسم الزهور المؤدية إلى المبايض.. ومثل هذا التجاذب - أيضا - أمكن تسجيله بالفحص الميكروسكوبى، بين الحيوان المنوى، والبويضة، بل وبين المشيج الذكرى والأنثوى لميكروب بلازموديوم الملاريا فى جدار معدة البعوضة الناقلة له.

ومن الحقائق الجديرة بالتأمل والتى تدعو إلى استشعار قدرة الله. أن هذا التجاذب بين الذكر والأنثى تجاذب نوعىّ أى: أنه لا يحدث إلا بين الزوجين من نفس النوع حيث يتم التعارف بين الذكر والإناث فى الظلام بحاسَّتَىْ: السمع والشم، اللتين جعلهما الخالق - سبحانه - فى كثير من الحشرات والحيوانات أقوى عشرات المرات مما هما عليه عند الإنسان.

ولقد تمكن العلماء حديثا من تسجيل الذبذبات الصوتية، التى تتخاطب بها

(١٦) الروم (٢١).

الذكـور والإناث فى النمل والبعـوض، ولا تسمعها آذان البشر، كما أمكن - أيضا - استخلاص الفيرومونات الجنسية، التى تفرزها إناث بعض أنواع الصراصير والفراشات لجذب ذكورها.. وهذا التجاذب النوعى أمر فى غاية الأهميـة لمنع التـواصل الجنسى بين الأنواع المختلفة، وهذه هى الخطوة الأولى والضرورية للمحافظة على خصائص النوع بالالتزام بالخط الوراثى له عبر الأجيال المتعاقبة.. وهو أكثر أهميّة بالنسبة للأنواع التى يتم فيها التلقيح خارجيا، وهى ظاهرة شائعة فى كثير من أنواع الحيوانات اللافقارية المائية حيث تضع الإناث بيضها على الصخور أو الأعشاب ويقذف الذكر منيَّه فى الماء، ثم إن تيار الماء يحمل النطف الذكرية لأنواع عديدة من هذه الحيوانات، ويسوق الى أماكن بيض كل أنثى هذا الخليط من الحيوانات المنوية، ولكن لا ينجذب إلى بويضات أى نوع حيوانى إلا النطف الذكرية لنفس النوع.. وهذه الظاهرة تسمى علميا بنوعية الإخصاب، وهى تحدث أيضا فى عالم النبات حيث تحمل تيارات الهواء. (والحشرات أثناء وقوفها على الزهور) غباراً به خليط من حبيبات اللقاح لأنواع مختلفة من النباتات، وتسقط عشوائيا على ميـاسم زهور أنواع مختلفة من النباتات.. و لكن لا يحدث أى اندماج إلا بين النطفتين لنفس النوع.

نعم لقد تأكدت ظاهرة نوعية الإخصاب بالتجربة، فأولا أجريت محاولات لإحداث تلقيح غير نوعى، بوضع بويضات إناث نوع معين من الحيوانات، فى السائل المنوى لحيوان من نوع آخر .. فلم يتم الإخصاب، وماتت البويضات والحيوانات المنوية بعد انتهاء مدة صلاحيتها.. كما تم تعفير مياسم زهور نباتات معينة بغبار لقاح من زهور نوع آخر من النباتات ورُبط عليها بأكياس نيلون محكمة.. فلم يحدث إخصاب، وذبلت الزهور.. وظل العلماء يبحثون عن السر فى هذه الظاهرة، إلى أن تمكنوا عن طريق التحليل الكيموحيوى من معرفة الحقيقة الدالة على قدرة الله، وهى أن بويضات إناث كل نوع من النباتات والحيوانات مغلفة بأغلفة محكمة من مواد بروتينية لا تذوب ولا تتحلل إلا بفعل انزيمات معينة لا تفرزها إلا الحيوان المنوى لنفس النوع الحيوانى أو حبيبات اللقاح لنفس النوع النباتى.

على المستوى الأكثر دقة فى عالم الأحياء، وهو مستوى الخلية، التى هى وحدة البناء والأداء فى كل كائن حىّ فرد.. تتمثل الزوجية أيضا فى أن نواة كل خلية تحوى مجموعتين من الكروموسومات المتناظرة تناظر أصابع اليدين.. وعندما تنقسم الخلية لتحقيق نمو الأنسجة أو تجديدها أو تعويضها تصطف المجموعتان بحيث أن كل كرموسوم يواجه نظيره مثلما يواجه كل أصبع نظيره عند ضم راحة الكف اليمنى إلى راحة الكف اليسرى، وينشطر كل كروموسوم شطرين متناظرين - أيضا - وبعد انقسام الخلية إلى خليتين نجد أن كلا منهما يحتوى شطرا من كل كروموسوم.. ثم إذا بكل شطر يتكامل عن طريق بناء شطر آخر مناظر له تماما..

وهذه هى ظاهرة الاستنساخ التى أودعها الخالق - سبحانه - فى جزيئات الحمض النووى المسمىّ DNA (الدنّا كما أقرته مجامع اللغة العربية) والتى يزعم علماء الغرب أنهم أربابها ومبتدعوها.. بينما هى سر النمو والتناسل فى جميع الكائنات منذ خلق الله الحياة..

وظاهرة التجاذب فى الكروموسومات تتجلى بصورة أوضح وأكثر دلالة على قدرة الخالق فى خلايا الأعضاء التناسلية بعد البلوغ الجنسى عندما تنقسم الانقسام الاختزالى لإنتاج الأمشاج الذكرية والأنثوية التى ستنفصل إلى الأبد عن جسم الأب أو الأم، ومعنى ذلك أن أى كروموسوم لن يلتقى بنظيره بعد هذا الانقسام.. ففى مرحلة استواء الكروموسومات المتناظرة وجها لوجه يقترب كل نظير من نظيره حتى الالتصاق فى نقاط محددة ثم يتباعدان، ثم يعاودان الالتصاق فى نقاط أخرى ويتباعدان.. ويكرران هذا حتى كأنهما يتبادلان العناق قبل أن يفترقا إلى الأبد، إما لأن كلاً منهما سيستقر فى خلية جنين جديد مستقل (إذا قدر الله إتمام مسيرة التناسل فى جيل جديد)، وإما إلى الفناء بعد انقضاء عمرها الافتراضى إذا لم يكن ذلك مقدرا فى مشيئة الله.

وحتى فى عالم الجمادات خلق الله من كل شئ زوجين اثنين، وإن كنا لم نكتشف ذلك إلا فى حالات قليلة تقع فى مجالين من مجالات خواص المادة، هما المغناطيسية والكهربية.. ففى الحالة الأولى تنجذب الأقطاب الموجبة إلى الأقطاب السالبة والعكس بالعكس. وفى الحالة الثانية تتجاذب الشحنات المتضادة..، وإن كان الوصف الأكثر دقة أن نقول: المتكاملة.. وذلك فى نطاق التعريف الشمولى الواسع لكلمة الزوج، وهو أنه أحد شقين صنوين متمايزين ولكنهما متكاملان، ولهما أصل مشترك، ولذلك فبينهما صفات مشتركة تدل على هذا الأصل رغم اختلاف كل منهما عن الآخر فى بعض التفاصيل.. وهذا الاختلاف هو سر النزعة إلى التوحد التى تجعل كلا منهما ينجذب الى الآخر.. وهذا التجاذب فى عالم الجمادات يأخذ شكلا يُطْلقَ عليه اسم الطاقة، والتى جعلها الله كامنة لتكون دافعا إلى بث شكل من أشكال الحياة على هذا المستوى الدقيق، وفى هذا العالم الخفى.. لعله هو أول خطوة على جسر العبور بين الميّت والحىّ، وبتوالى هذه الخطوات تتحد الذرات فى جزيئات، والجزيئات البسيطة فى جزيئات مركبة، فعملاقة حتى نصل إلى جزئ الحمض النووى الذى أطلق عليه العلماء اسم: القنطرة إلى الحياة Bridge to Life.. وهو تعبير لا يخلو من الدقة ويؤيده أن تجمعات الأحماض النووية، تؤدى إلى تكوين الفيروسات التى يمكنها أن تمارس أول مظاهر الحياة وهو التكاثر أو الاستنساخ إذا هُيِّىء لها المسرح الملائم لهذه العملية، وهو سيتوبلازم الخلية الحية.. فسبحان الذى خلق الأزواج كلها مما علمنا ومما لم نعلم.

الزكاة فريضة إسلامية

للأستاذ/ السيد أحمد المخزنجي

تمهيد :

حين فرض الإسلام الزكاة وجعلها ركناً من أركانه لم يقتصر على هذه الفريضة التى تجب على كل من يملك النصاب أن يؤديها، ولكنه حث ـ إلى جانب ذلك ـ على الإنفاق فى سبيل الله . فالأصل فى المجتمع الإسلامى أن يكفل لأفراده حق الحياة الكريمة، وأن يوفر أسباب الرزق لكل قادر، ويعود بفضول أموال الأغنياء على الفقراء . فذلك حق الله ـ تعالى ـ الذى فرضه للفقراء على الأغنياء .

(والزكاة هى الركن المالى الاجتماعى من أركان الإسلام الخمسة؛ فلا عجب أن عنيت الشريعة الإسلامية ببيان أحكام الزكاة فى آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سنته الشريفة[1] .

وتطلق الزكاة على الصدقة . كما تطلق الصدقة على الزكاة، لكن الفقهاء يخصون الزكاة بالفريضة الواجبة فى المال، والثمار ومايتعلق بالعبادات، كزكاة الفطر، أما الصدقة فهى تتصل بما يخرجه الإنسان متطوعاً من تلقاء نفسه .

والزكاة فى اللغة تعنى : الطهارة والنماء . قال ـ تعالى ـ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[2] ومنه قوله ـ تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾[3] ويقال زكا المال إذا نما، ومن معانى الزكاة البركة، ومن ثم نتناول فى هذا القسم الثانى من البحث « الزكاة ودورها فى تنمية المجتمع » على النحو التالى :

مشروعية الزكاة

لقد فرضت الزكاة فى شهر شوال من العام الهجرى الثانى، فبعد هجرة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى المدينة المنورة بثمانية عشر شهراً، وبالتحديد فى شهر شعبان، فرض الله ـ تعالى ـ صوم رمضان، أى بعد

(١) الدكتور عبدالله شحاتة، أركان الإسلام «الهيئة العامة للكتاب» القاهرة، ١٩٨٨، ص١٨٧.

(٢) سورة التوبة آية/١٠٣. (٣) سورة الأعلى آية/١٤.

ماصرفت القبلة إلى الكعبة بشهر، وقد تلا ذلك فرض زكاة الفطر على أن تؤدى فى ختام صوم رمضان وقبل الخروج لصلاة عيد الفطر.

والزكاة ـ كركن ـ من أركان الإسلام ـ فرض عين على كل مسلم توافرت فيه شروطها، وقد ثبتت فرضية الزكاة بالقرآن والسنة والإجماع على النحو التالى:

١ ـ القرآن : ثبتت فرضية الزكاة بالقرآن الكريم فى قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾(٤).

٢ ـ السنة : كما ثبتت الزكاة بالأحاديث النبوية الشريفة، ومنها قول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً وصوم رمضان. .) «متفق عليه».

٣ ـ الإجماع : أجمعت الأمة على فرضية الزكاة واتفقت على أنها ركن من أركان الإسلام، يكفر منكرها؛ لأنها صارت معلومة من الدين بالضرورة، فمن امتنع عن أدائها أخذها الحاكم منه جبراً عنه ويعزره (أى يعاقبه). فالزكاة إذن عبادة مالية اجتماعية وليست مجرد احسان يتبرع به المسلم وإنما هى حق معلوم وضريبة مقدرة على كل من يملك نصاباً محدداً من المال يحول عليه الحول(٥).

وفى ذلك يروى الإمام أحمد ـ بسند صحيح ـ عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: أتى رجل من تميم (قبيلة عربية) رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يارسول الله: إنى ذو مال كثير، وذو أهل ومال وحاضرة (الجماعة تنزل عنده للضيافة) فأخبرنى كيف أصنع وكيف أنفق؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «تخرج الزكاة من مالك فإنه طهرة تطهرك، وتصل أقرباءك، وتعرف حق المسلمين والجار والسائل»(٦).

وعن جرير بن عبدالله قال: بايعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم(٧).

والزكاة شرعاً ـ كما يقرر العلماء ـ حق مقدر بتقدير الشارع، فالقرآن والسنة هما اللذان حددا وعاء الزكاة، ونصابها، وسعرها، ومستحقيها وسائر أحكامها، وقد عبر القرآن والحديث عن الزكاة بلفظ الصدقة للدلالة على الصدق فى مساواة الفعل للقول والاعتقاد. فتعتبر كل زكاة صدقة، ولكن لا تعد كل صدقة زكاة(٨).

والزكاة هى النماء للمال؛ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما نقص مال من صدقة»(٩).

---

(٤) سورة البقرة الآية/٤٣.

(٥) الدكتور السعيد عاشور، شعيرة الزكاة فى الإسلام، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٤ ص١٣٠.

(٦) الشيخ سيد سابق فقه السنة.

(٧) رواه البخارى ومسلم.

(٨) الإسلام والضمان الاجتماعى د. محمد شوقى الفنجرى.

(٩) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح، انظر: رياض الصالحين للنووى.

كما أنها تطهر الإنسان من الشح لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾(١٠).

شــــروط وجـــوب الزكـــاة

إن الإسلام يشترط لوجوب الزكاة عدة شروط وهى : الإسلام، البلوغ، العقل، الملك (للشئ المزكى عنه)، الحرية، النصاب والحول، الدين، وذلك على النحو الآتى(١١) :

١ ـ الإسلام : فلا تجب الزكاة على الكافر، سواء أكان أصلياً أو مرتداً؛ لأنه غير أهل للعبادة. وإذا أسلم المرتد فلا يجب عليه إخراج الزكاة زمن ردته(١٢) ، أما المسلم فتجب عليه الزكاة سواء أكان ذكراً أو أنثى لا فرق بين طليق (حر) أو سجين.

٢ ـ البلوغ: فلا تجب الزكاة على الصبى الذى له مال ولكن تجب فى ماله لأنها حق يتعلق بالمال فلا يسقط بالصغر، ويجب على الولى أو الوصى إخراج الزكاة وقد خالف الحنفية فى ذلك بقولهم: إن الولى أو الوصى غير مطالب بإخراج الزكاة من مال الصبى، لأنها عبادة محضة كالصلاة، فهى غير واجبة على الصبى.

ويميل البعض إلى الأخذ بالرأى الأول، لأن الزكاة عبادة مالية، فى حين أن الصلاة عبادة بدنية.

٣ ـ العقل : فلا تجب الزكاة على المجنون الذى له مال، ولكن تجب فى ماله لأنها حق يتعلق بالمال فلا يسقط بالجنون ويجب على الولى أو الوصى إخراج الزكاة وقد خالف الحنفية ـ أيضاً ـ فى ذلك(١٣).

٤ ـ الملك : فلا تجب الزكاة فى المال الموقوف، ولا الديون التى فى ذمم المدينين والتى لا يرجى سدادها ولا المال المرهون، والمال الموضوع تحت الحراسة، والمال القائم بشأنه نزاع، فيجب أن يكون المال مملوكاً تاماً (أى أن يكون المال بيد صاحبه)، وألا يتعلق به حق لغيره وأن يكون له حرية التصرف فيه باختياره، وأن تكون ثمرته له.

٥ ـ الحرية : فلا تجب الزكاة على الرقيق فيما ملك من المال لأن ملكه غير تام وكذا المكاتب؛ لأن تعلق حاجته إلى فك رقبته (أى عتقه وتحريره) من الرق بماله أشد من تعلق حاجة الحر المفلس بسكنه وملبسه فكان بإسقاط الزكاة فيه أولى وأحرى.

٦ ـ النصاب : فلا تجب الزكاة على من يملك أقل من النصاب (وهو المقدار أو الحد الأدنى الذى حدده الشارع لكل نوع من

---

(١٠) سورة الإسراء آية/١٠٠.

(١١) شعيرة الزكاة فى الإسلام، د. السعيد عاشور.

(١٢) قد خالف المالكية فى ذلك بقولهم: إن الزكاة تجب على الكافر وإن كانت لا تصح إلا بالإسلام وإذا أسلم فقد سقطت الزكاة بالإسلام (!!) كما خالف الشافعية أيضا بقولهم: إن الزكاة تجب على المرتد وجوبا موقوفا بعودته إلى الإسلام.

(١٣) بقولهم: إن الولى أو الوصى غير مطالب بإخراج الزكاة من مال الصبى ويميل د. السعيد عاشور إلى الأخذ بالرأى الأول لنفس السبب السابق.

أنواع المال المزكى، والذى يختلف مقداره باختلاف النوع) فتجب الزكاة فى المال الذى يبلغ النصاب أو أكبر منه. لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾(١٤)،

أى الفائض عما يحتاجونه. وقد حدد الإسلام النصاب بحيث يتيح الفرصة لمعظم المسلمين أن يسهموا فى تأمين المجتمع المسلم ومواساة الضعفاء والمساكين وحماية المصالح الإسلامية، وبحيث لا تكون الزكاة مقصورة على أرباب الثروات فقط. لذلك فالغنى فى العرف الإسلامى هو من امتلك النصاب.

٧ ـ الحول: فلا تجب الزكاة على مالك النصاب ولم يمض عليه حول وهو مالكه، والحول عبارة عن سنة قمرية بالنسبة للأموال المنقولة، ويوم الحصاد بالنسبة للزروع ويوم الجنى بالنسبة للثمار وعند العثور على الركاز بالنسبة للمعادن والكنوز المدفونة فى باطن الأرض. يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لا زكاة فى مال حتى يحول الحول)(١٥).

٨ ـ الدين : فلا تجب الزكاة على المدين الذى يستغرق دينه النصاب أو ينقصه، فمن كان عنده مال وجبت زكاته وعليه دين فليخرج منه بقدر مايفى دينه أولاً، ثم يزكى بالباقى إذا بلغ النصاب. وقد خالف الشافعية فى الدين حالاً أم مؤجلاً أو ديناً للعباد (كاقتراض مبلغ من المال أو شراء سلعة بالأجل) أو ديناً لله ـ تعالى ـ (كالزكاة السابقة التى لم تؤد والفدية والكفارة) فتجب عليه الزكاة فيما تحت يده من مال لو بلغ نصاباً.

أما شروط صحة الزكاة فهى: الإسلام، فلا تصح الزكاة من الكافر وقد ذهب المالكية إلى أن «الإسلام شرط للصحة لا للوجوب، مخالفين فى ذلك الشافعية والحنفية والحنابلة، ومن شروطها أيضاً النية فلا تصح الزكاة بدون نية، إذ أن الزكاة عبادة يشترط لها النية كسائر العبادات.. ويترتب على ذلك أن المسلم إذا أقرض إنساناً مالاً ثم ماطل المدين فى سداده فليس للدائن أن يحتسب هذا المال من الزكاة، لأن نية أداء الزكاة لم تكن موجودة وقت إقراض هذا المال. وطبيعى أن يثور السؤال عن الأموال التى تجب فيها الزكاة؟

المحاصيل والثمار والأموال.. والزكاة

وقد بين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى التطبيق العملى ـ المحاصيل والثمار

---

(١٤) سورة البقرة الآية/٢١٩، وانظر للمزيد والتفصيل: انفاق العفو فى الإسلام بين النظرية والتطبيق للدكتور/ يوسف إبراهيم يوسف كتاب «الأمة» قطر العدد ٣٦.

(١٥) انظر: صحيح مسلم بشرح النووى، المجلد الثالث، ج٧ «كتاب الزكاة» حديث «.. وليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة، وليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة» حيث يقول الإمام النووى «... وكذا اتفقوا على اشتراط الحول فى زكاة الماشية والذهب والفضة دون المعشرات...» (ص٥٣).

– وراجع كذلك كتاب الدكتور السعيد عاشور شعيرة الزكاة فى الإسلام.

والأموال التى تجب فيها الزكاة، كما فى قوله الشريف (وفيما سقت السماء والعيون أو كان عثرياً العشر، وفيما سقى بالنضح(*) نصف العشر)[١٦]. والعثرى: أى النبات الذى يشرب بجذوره، لأنه عثر على الماء فى باطن التربة، فلم يعد فى حاجة إلى سقى، أما النضح، فهى آلة السقى كالساقية والماكينة ونحوها من تلك الآلات الحديثة. وهذا مايؤيده قوله - تعالى:

﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾[١٧]. وقد ذهب كثير من السلف إلى أن المراد بالحق هنا هو الزكاة المفروضة[١٨].

كما بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - المقادير التى تخرج من هذه الأموال والزروع، فأخذ الزكاة فى ثلاثة أنواع من الأموال وهى:

الأول: الذهب والفضة وعروض التجارة بنسبة ٢,٥٪ حيث تقدر الزكاة فيما بلغ نصاباً من ذهب أو فضة بربع العشر (أى ٢,٥٪)، وكذا فيما زاد على النصاب، قلت الزيادة أو كثرت، لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه أبو ذر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (فى الإبل صدقتها وفى الغنم صدقتها وفى البقر صدقتها وفى البر صدقته، ومن رفع دنانيراً أو دراهماً أو تبرا أو فضة لا يعدها لغريم ولا ينفقها فى سبيل الله فهو كنز يكوى به يوم القيامة)[١٩].

وقوله - عليه الصلاة والسلام - عن عبدالله بن أبى بكر ومحمد بن أبى بكر بن عمر بن حزم عن أبيهما عن جدهما عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .. قال: (... فإذا بلغ قيمة الذهب مائتى درهم ففى كل ٤٠ درهماً درهم)[٢٠].

وعن عاصم بن ضمرة عن على - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: (ليس فى تسعين ومائة شئ «يعنى الدرهم» فإذا بلغت مائتين ففيها خمسة دراهم)[٢١].

وتجدر الاشارة هنا إلى مايقوله الشيخ أبو بكر الجزائرى: «من ملك قسطاً من الذهب لم يبلغ النصاب، وآخر من الفضة لم يبلغ النصاب جمعهما معاً، فإذا بلغا نصاباً زكاهما معاً كلا بحسابه، لما روى أن النبى - صلى الله عليه وسلم - ضم الذهب إلى الفضة والفضة إلى الذهب وأخرج الزكاة عنهما.[٢٢] كما انه يجزئ إخراج أحد النقدين عن الآخر، فمن وجب عليه دينار

(*) هو الرى بالآلة: كالساقية وغيرها من الآلات الحديثة.

(١٦) رواه البخارى عن ابن عمر وأخرجه ابن ماجة وأبوداود والترمذى، انظر: الكنز الثمين ص ٣٦٩ الحديث رقم ٢٣١١.

(١٧) سورة الأنعام - الآية: ١٤١.

(١٨) د. السعيد عاشور، مرجع سابق ص ٢٤٥.

(١٩) رواه الحاكم فى المستدرك ج١/٥٤٥ الحديث رقم ١٤٣١/٥ «كتاب الزكاة» على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.

(٢٠) رواه الحاكم فى المستدرك ١/٥٥٢ الحديث رقم ١٤٤٦/٢٠ وهو صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى.

(٢١) رواه الحاكم فى المستدرك ١/٥٥٧ الحديث رقم ١٤٥٤/٢٨ على شرط مسلم ووافقه الذهبى.

(٢٢) ضم النقدين فى تكملة النصاب هو مذهب مالك وأبى حنيفة والحديث يرويه أصحاب مالك عن بكير بن الاشج: مضت السنة أن النبى - صلى الله عليه وسلم - ضم الذهب إلى الفضة والفضة إلى الذهب وأخرج الزكاة عنهما.

جاز له إخراج عشرة دراهم من الفضة، والعكس يصح كذلك، كما أن الأوراق المالية اليوم تزكى زكاة النقدين وهو ربع العشر، فى حين أن أرصدة الأوراق لدى الحكومات تتكون من الذهب والفضة معاً)[٢٣] « انتهى كلامه » .

وتستمد زكاة الذهب والفضة فرضيتها من القرآن الكريم فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٢٤].

ومن السنة قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبوهريره ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيحمى عليها من نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، وكلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار) [٢٥] فزكاة « الرقة » وهى الفضة ربع العشر، لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (فى الرقة ربع العشر) أى ٢,٥٪ عن كل مازاد عن النصاب، وإن كان الحنفية لا يرون فى الزائد زكاة حتى يبلغ خمس النصاب[٢٦] .

والمهم أن يراعى فى ذلك أن مايخرج من زكاة فى الذهب أو الفضة أن يكون بالقيمة وفقاً للسعر السائد فى السوق حال إخراج الزكاة .

الثانى : النعم (الأنعام) وهى الإبل والبقر وهذه هى السوائم التى كانت موجودة فى البلاد العربية عملاً بقول الرسول الكريم : « مامن رجل تكون له إبل أو بقر أو غنم لايؤدى زكاتها إلا أتى بها يوم القيامة أعظم ماتكون وأسمنه تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها ماجازت أخراها ردت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس)[٢٧] .

بيد أن الفقهاء المعاصرين يضيفون إلى هذه الأموال أموالاً أخرى لم تكن معروفة فى عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة، ورأوا أن فيها زكاة يطلب أداؤها، وهذه الأموال هى :

١ ـ الآلات الصناعية .

٢ ـ الأوراق المالية .

٣ ـ كسب العمل والمهن الحرة (المشروعة) .

٤ ـ الدور والأماكن المُستغلة .

وقالوا فى تأكيد رأيهم « إن النصوص الواردة فى الزكاة من حيث أموالها معللة وليست أموراً تعبدية (فقط) »[٢٨] .

---

(٢٣) منهاج المسلم، للجزائرى، مرجع سابق ص ٣١٣.

(٢٤) سورة التوبة، أيتا/٣٤ – ٣٥.

(٢٥) رواه البخارى ومسلم، الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى ج١، ص٥٣٦، باب الترهيب من منع الزكاة.

(٢٦) د. السعيد عاشور، مرجع سابق، ص ١٩٥.

(٢٧) رواه البخارى.

(٢٨) د. عبدالمنعم الجمل، موسوعة الاقتصاد الإسلامى، الباب الثالث، الفصل الأول «الزكاة» ص ٢٢.

نظرات فى مقال :

القرآن الكريم وتفسير العوام

للدكتور / صبحى عبدالمنعم سعيد (*)

عنى المرحوم الدكتور. محمود الطناحى فى مقال له قبيل أن يلقى ربه الكريم - بنقد ما يشيع بين العوام فى عصرنا الحاضر من أقوال فى تفسير بعض آى القرآن الكريم، وقد رأى فى أثناء نقده: أن بعضا من قدامى المفسرين وجهوا إحدى الآيات على المعنى الذى يشيع عند العوام، ومن هؤلاء القدامى: ابن عطية، والقرطبى، وابن كثير، وقد اعتمد فى بناء هذا الرأى على قول للزركشى، صاحب «البرهان فى علوم القرآن».

أما هذا البحث فيعنى صاحبه بمناقشة الأستاذ الناقد فى بعض ما نعاه على العوام فى تفسير بعض آى القرآن، كذلك يعنى بمناقشة صاحب «البرهان» فيما عقب به على تفسير بعض أئمة السلف لتلك الآية. (**)

قدمت مجلة الهلال فى عدد يناير ١٩٩٩ م، ورمضان ١٤١٩ هـ، طائفة من المقالات اختصت شهر رمضان بها، واتخذت العبارة «رمضان كريم» عنواناً لها، وجاءفى صدر هذه الطائفة فيما بين الصفحتين ٧١و ٧٩ – مقال للدكتور / محمود الطناحى جعل عنوانه «القرآن الكريم وتفسير العوام» عنى فيه بمناقشة نماذج من تفسير أناس وصفهم بأنهم: «ضعفت سلائقهم العربية، أو قعدت بهم هممهم، فتكاسلوا عن البحث والتفتيش والمراجعة، فسروا بعضا من القرآن العزيز بآرائهم، ومن عند أنفسهم، فضلوا وأضلوا[١]».

وقد لاحظ الدكتور الطناحى «أن معظم

(*) تخرج فى الأزهر، فدار العلوم ١٩٥٣م، ثم جامعة مانشستر ١٩٧٥م.

(**) وافق الفراغ من طباعة هذا البحث الأسبوع الذى فوجئنا فيه بنعى المرحوم الدكتور محمود الطناحى من العام الفائت بعد حياة حافلة بالدأب فى خدمة تراث العربية والإسلام، فاقتضى ذلك السكوت عن النشر إلى حين.

(١) مجلة الهلال عدد يناير ١٩٩٩م ص (٧٤).

وجوه الخطأ فى تفسير القرآن الكريم تأتى من سرعة الاستشهاد بالآية القرآنية، معزولة عن سياقها، منتزعة من أسباب نزولها، مع الغفلة عن وجه الإعراب فيها...» واستطرد بعد ذلك قائلاً: «ومن العجب أن بعض هذه الوجوه الخاطئة من التفسير قديمة ـ وقد استمرت إلى يومنا هذا ـ وهو ما أسميه «تفسير العوام» وأريد بالعوام هنا غير أهل العلم الذين يتحرون الصواب، ولا يقولون إلا بعد المراجعة، والمفاتشة، والتقصى».

لكن الدكتور الطناحى الذى أراد بكلمة «العوام» هنا «غير أهل العلم» ما لبث أن قال - وهو يعلق على وجه من وجوه تفسير إحدى الآيات رآه صحيحا: «وهذا هو التوجيه الصحيح للآية الكريمة: لكن بعضا من قدامى المفسرين وجهوا الآية على المعنى الذى يشيع عند العوام، ومن هؤلاء القدامى - ابن عطية فى المحرر الوجيز(٢)، والقرطبى(٣)، وابن كثير(٤) لكن المحققين على غير ذلك»(٥).

وهذه العبارة الأخيرة من شأنها أن تستثير رغبة البحث والنقاش لدى كل باحث له صلة بالعربية، وعلوم القرآن ممن يعرفون سابقة هؤلاء العلماء فى تفسير الكتاب الكريم، وشرح مقاصده.

ومن أجل ذلك لزم أن نناقش الأستاذ الكاتب فيما ساق من الأفكار، فنقول - وبالله التوفيق:

المفسرون وأسباب النزول

يستبين لقارئ المقال أن الدكتور. الطناحى يذهب مذهب بعض السلف من الصحابة - رضى الله عنهم - ممن لا يكادون يتعدون أسباب النزول فى تفسير آيات القرآن الكريم(*)، يدل على ذلك عباراته الآتية، التى انتظمت أجزاء مقاله:

١- «أن معظم وجوه الخطأ.. تأتى من سرعة الاستشهاد بالآية القرآنية، معزولة عن سياقها، منتزعة من أسباب نزولها...» (ص٧٤).

٢- «إن سبب نزول الآية ينفى هذا التفسير الخاطئ» (ص٧٦).

٣- «كما أن سبب نزول الآيتين ينفى هذا الفهم والتأويل» (ص٧٧).

٤- «وكذلك تفهم الآية الثانية... فى سياقها وسبب نزولها» (ص٧٧).

٥- ويظهر ذلك فى تمام الآية، ومن معرفة سبب نزولها، وقول أهل التفسير فيها» (ص٧٧).

٦- «وسياق الآية، وسبب نزولها ينفيان ذلك» (ص٧٨).

٧- «وقد غفل هذا الخطيب عن سبب نزول تلك الآية» (ص ٧٩).

ولما كان ابن جرير الطبرى هو إمام أهل التفسير بالمأثور بعد عبدالله بن عباس - رضى الله عنهما-

---

(٢) (٥٢٠/٢).

(٣) (٤٠٦/٣).

(٤) (٥٠٠/١).

(٥) مجلة الهلال عدد يناير ١٩٩٩ ص (٧٨).

(*) من هؤلاء الصحابة - أبو أيوب الأنصارى - رضى الله عنه - وسيرد ذكره فيما بعد.

والثقات من تلاميذه – رأيت من الحتم أن أنظر فيما جعله الطبرى مقدمة لتفسيره: «جامع البيان عن تأويل آى القرآن» خصوصا ما جاء فيها عن وجوه التأويل، حيث ذكر الطبرى الآيتين ٤٤، ٦٤ من سورة النحل، اللتين تنصان على تكليف الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يبين للناس ما نزل إليهم، والآية السابعة من سورة آل عمران، التى تتضمن – قوله تعالى:

﴿ ... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ... ﴾(٦)

ثم علق على ذلك بقوله: «فقد تبين ببيان الله جل ذكره: أن مما أنزل الله من القرآن على نبيه – صلى الله عليه وسلم – ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول – صلى الله عليه وسلم – وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره – واجبه، وندبه، وإرشاده – وصنوف نهيه؛ ووظائف حقوقه وحدوده؛ ومبالغ فرائضه؛ ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض؛ وما أشبه ذلك. وأن منه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار... كوقت قيام الساعة، والنفخ فى الصور، ونزول عيسى بن مريم، وما أشبه ذلك» (ص ٧٣ – ٧٥، تحقيق شاكر).

ثم ذكر الطبرى قسما ثالثا من وجوه التأويل إذ قال: «وأن منه ما يعلم تأويله كل ذى علم باللسان الذى نزل به القرآن، وذلك إقامة إعرابه، ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها، والموصوفات بصفاتها الخاصة دون ماسواها؛ فإن ذلك لا يجهله أحد منهم؛ وذلك كسامع منهم لو سمع تاليا يتلو:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾(٧).

لم يجهل أن معنى الإفساد هو ما ينبغى تركه مما هو مضرة، وأن الإصلاح هو ما ينبغى فعله مما فعله منفعه – وإن جهل المعانى التى جعلها الله إفساداً، والمعانى التى جعلها الله إصلاحاً) (ص٧٥).

وإذا تأملنا ما قاله الطبرى فى بيان هذا الوجه الثالث من وجوه التأويل – علمنا أن صاحب العلم باللسان العربى ممن توافر لديه الشروط المذكورة فى هذا الوجه – لا ضيرعليه إن هو جهل معانى الإفساد والإصلاح، التى يكشف عنها سبب نزول الآيتين المذكورتين، واكتفى بأن أدرك منهما «أن معنى الإفساد هو ما ينبغى تركه مما هو مضرة، وأن الاصلاح هو ما ينبغى فعله مما فعله منفعة». ولا ريب أن فى الإحاطة بأسباب النزول، والتفسير المأثور عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – زاداً من العلم يستطيع به المفسر أن يقارب مرتبة التمام؛ ولكن الحرج منفى عمن قعدت به أحواله عن تحصيل ذلك؛ وهذا ما يفهم من المثال الذى ساقه الطبرى، وذكرناه آنفاً، إذ فسر الآية الحادية عشرة من سورة البقرة تفسيراً مختصراً غير مربوط بسبب النزول، ولا مؤيد

(٦) آل عمران (٧).

(٧) سورة البقرة الآيتان (١١ – ١٢).

بشئ من المأثور؛ وإنما هو مبنى على ما يمكن أن يفهمه من الآية كل ذى علم باللسان الذى نزل به القرآن.

أما تفسير الطبرى للآية ذاتها فى سياق تفسير سورة البقرة فقد أتى فيه بالمأثور من تفسيرها، عن سلمان الفارسى، وعبدالله بن مسعود – رضى الله عنهما – من خلال رواية ستة آثار؛ ثم بين ما ارتضاه من هذا المأثور بقوله: «وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال: إن قول الله –تبارك اسمه:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾(٨) نزلت فى المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله–صلى الله عليه وسلم– وإن كان معنيّاً بها كل من كان بمثل صفتهم من المنافقين بعدهم إلى يوم القيامة»(٩).

متى تجاوز الآية سبب نزولها؟

ولا شك أن العبارة الأخيرة من تفسير الطبرى لهذه الآية ينبغى أن يحيط بها كل من يشغل نفسه بتفسير القرآن، وتدبر آياته؛ إذ هى تحرر النص فى هذه الآية، وما يماثلها من القرآن مما لم يقم دليل على تخصيص لفظه – من أن يربط معناه بسبب نزوله ربطاً أبدياً، فتجيز أن يعنى بهذه الآية كل نفاق يحدث اليوم أو غداً ممن يكونون على صفة المنافقين على عهد الرسول – عليه السلام – بل تجيز أن يعنى بهذه الآية كل إفساد يقع فى أى عصر، يدعى مبتدعه أنه من المصلحين. ويكاد الطبرى يصرح من خلال هذه العبارة بأن من القرآن ما يكون فيه السبب خاصاً والصيغة عامة مما يطابق القاعدة الأصولية المشهورة:

(العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)(١٠) وكيف لا يكون كذلك – وقد أجمع علماء الأمة فى قرونها المتعاقبة على أن القرآن صالح لكل زمان ومكان؟

أمثلة مما سمّى «تفسير العوام»

ذكر د. الطناحى (فى ص ٧٦) قول الله – تعالى:

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾(١١) ثم قال بعد ذلك: «يستشهد بعض الناس بهذه الآية عندما يرون أحدهم يقدم على خطر، كأن يعترض سيارة مسرعة، أو يسير بجانب جدار يريد أن ينقض... ونحو ذلك من المشقات التى لا طاقة له بها: حسبك ﴿ **وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾(١٢).

ثم يعلق الدكتور على ذلك قائلاً: «والاستشهاد بالآية لهذه الحالة إرث قديم، وقد تناقلته الألسنة حتى وصل إلينا، والصحيح أن الآية الكريمة نزلت فى النفقة فى سبيل الله، والحض عليها بتصوير الإمساك والبخل بأنهما هلاك يلقى فيه الممسك والبخيل نفسه، وصدر الآية وختامها يدلان على ذلك، قال الله – تعالى:

---

(٨) البقرة (١١).

(٩) جامع البيان (١. ٢٨٧. ٢٨٩).

(١٠) البرهان (١. ٣٢).

(١١. ١٢) البقرة (١٩٥).

﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١٣). ثم إن سبب نزول الآية ينفى هذا التفسير الخاطئ».

بعد ذلك يسرد الدكتور الطناحى قصة نزول الآية. بما روى عن الحكم بن عمران من أن جمعاً من المسلمين كانوا يجاهدون الروم عند أسوار القسطنطينية، فحمل رجل مسلم على صف الروم حتى دخل فيهم، ثم خرج مقبلا على إخوانه، فصاح الناس قائلين: سبحان الله، ألقى بيديه إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصارى - رضى الله عنه - ، فقال لهم: إنكم تتأولون هذه الآية على غير التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، وبين لهم أن جماعة من الأنصار هموا أن ينقطعوا لأموالهم يصلحونها بعد أن كادت تضيع بسبب أنشغالهم عنها بالجهاد والنفقة فى سبيل الله، فنزلت الآية، تحضهم على النفقة فى سبيل الله، وتحذرهم مما هموا بفعله.

ولقائل من الناس أن يقول: نسلم بأن الآية نزلت فى الأنصار كما أخبرنا أبو أيوب - رضى الله عنه - لكن الأصح لدى علماء الأصول: «أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»(١٤) كذلك نقل السيوطى(١٥)، عن الطبرى أن محمد بن كعب القرظى، قال: «إن الآية تنزل فى الرجل ثم تكون عامة بعد»، وقد رأينا آنفاً أن الطبرى فسر الإفساد فى قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾(١٦) - بأنه «ما ينبغى تركه مما هو مضرة» وهو يعلم أن الآية نزلت فى بعض أهل المدينة تنهاهم عن نفاقهم. وإذا كان كذلك جاز - والله أعلم - أن يراد بالتهلكة فى الآية كل مشقة لا طاقة للإنسان بها، سواء أكانت عامة أم خاصة وبذلك يتاح للناس فى مختلف قرونهم أن يتلقوا تحذيراً إلهياً يزجرهم أن يلقوا بأنفسهم فيما لا طاقة لهم به من المشقات. وكفى العوام صواباً أن يفهموا الآية كما فهمها جمع من شيوخ الصحابة - رضى الله عنهم - غير الأنصار، وبعض شباب التابعين، أولئك الذين كانوا عند أسوار القسطنطينية، وهذا يعنى: أن العوام قد فسروا هذه الآية بما تلقوه عن أسلافهم، مما أثر عن أولئك الصحابة والتابعين - رضى الله عنهم - وهو تفسير صحيح، لا ريب فيه، ولا سيما أنه لم يقم دليل يخصص لفظ الآية بما هم به بعض الأنصار من الإمساك عن النفقة فى سبيل الله، والقعود عن الجهاد رعاية لأموالهم. ولا بأس على هؤلاء العوام إن هم أولوا هذه الآية على غير ما ذهب إليه أبو أيوب - رضى الله عنه.

ويقول الدكتور الطناحى (فى ص ٧٧): يقول الله - تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ ﴾(١٧) يستشهد كثير من الناس بهذه الآية على النهى عن الحلف، وليس الأمر على ذلك، ويظهر ذلك من تمام الآية، ومن معرفة سبب نزولها، وقول أهل التفسير فيها..

---

(١٣) البقرة (١٩٥).

(١٤) الاتقان (١. ١١٠).

(١٥) فى الاتقان (١. ١١١).

(١٦) البقرة (١١).

(١٧) سورة البقرة (٢٢٤).

ثم يذكر الدكتور أقوالاً فى تفسير هذه الآية، منها مانقله من قول ابن قدامة[١٨]: «معناه لا تجعلوا أيمانكم بالله مانعة لكم من البر والتقوى، والإصلاح بين الناس»، ومنها: قول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «إذا حلفت على يمين،فرأيت غيرها خيراً منها، فكفر عن يمينك، وأت الذى هو خير»؛ ثم يطلب الدكتور الطناحى إلى قارئه أن ينظر فى بعض المراجع، منها تفسير الطبرى ٤ / ٤٢٢.

ولقائل من الناس أن يقول: نسلم أن ما اختاره الدكتور. الطناحى من التفسير للفظ الآية هو ما ذهب إليه عامة المفسرين، بل هو ما زكاه الطبرى فى (جامع البيان)[١٩] حيث قال: «وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال: معنى ذلك: «لا تجعلوا الحلف بالله حجة لكم فى ترك فعل الخير فيما بينكم وبين الله وبين الناس».

أما التأويل الآخر الذى تشير إليه هذه العبارة، ولم يُعنَ الدكتور الطناحى بنظره، فقد ذكره الطبرى فى (ص٤٢٣) حيث روى بسنده عن عروة أن عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها – قالت فى تفسير هذه الآية: «لا تحلفوا بالله وإن بررتم»؛ وهذا تفسير صحيح لا ريب، وإن زكى الطبرى غيره.

وإذا كان كذلك فلا وجه إذا استشهد العوام بهذه الآية على النهى عن الحلف – أن يقال لهم: «ليس الأمر على ذلك»؛ بل الأمر على ذلك، وإن كان على غيره أيضاً؛ وكفى العوام صواباً أنهم فسروا الآية بما تلقوه عن أسلافهم من تراث أم المؤمنين عائشة فى تفسير القرآن؛ ولاسيما أننا نجد فى تفسير القرطبى[٢٠] ما نصه: «وقيل المعنى: لا تستكثروا من اليمين بالله، فإنه أهيب للقلوب؛ ولهذا قال – تعالى –:

﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾[٢١]، وذم من كثر اليمين، فقال تعالى:

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾[٢٢].

ولذلك حق للعوام أن يلهجوا بتفسير أم المؤمنين ثقة ويقيناً؛ خصوصاً أنها حين قالت فى تفسير الآية: «لا تحلفوا بالله وإن بررتم» – قد ردت بعض القرآن إلى بعض، ففسرت القرآن بالقرآن.

وإذا ثبت أن هذه الآية نزلت فى الصديق – رضى الله عنه – إذ حلف ألا ينفق على مسطح بن أثاثة، أو فى عبدالله بن رواحة إذ حلف ألا يكلم بشر بن النعمان – رضى الله عنه – تبين أن أم المؤمنين سبقت إلى إمضاء عموم اللفظ دون الوقوف عند سببه، إذا لم يقم دليل على تخصيص ذلك العموم.

ويقول الدكتور الطناحى فى (ص٧٨): ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[٢٣] يستشهد كثير من الناس بهذه الآية على أن التقوى طريق، وسبب لتعليم الله وتوفيقه لعباده، ويسوون بينها وبين قوله – تعالى –: «إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا»[٢٤] وقوله – تعالى – :

---

(١٨) المغنى (١٣/٤٤٠).

(١٩) تحقيق شاكر (٤/٤٢٤).

(٢٠) (٣/٩٧).

(٢١) سورة المائدة الآية ٨٩.

(٢٢) سورة القلم الآية ١٠.

(٢٣) سورة البقرة (٢٨٢).

(٢٤) سورة الأنعام الآية (٢٩).

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[٢٥] وهذا التفسير غير صحيح. وبدأة ذى بدء، فإن آيتى الأنفال والطلاق مبنيتان على أسلوب الشرط والجزاء...».

ولقائل من الناس أن يقول: إن نفى الصحة عن تفسير كثير من الناس آيه البقرة بسبب تسويتهم بينها وبين ما ذكر من الآيات – لا يستقيم، فهذه الآيات جميعها إنما هى أجزاء من القرآن الكريم، وهى بعموم ألفاظها مشتركة فى ترغيب الله عباده فى تقواه وخشيته؛ وبذل الله – سبحانه – التوفيق والهداية والنافع من التعليم مثوبة لعباده على ذلك؛ والقرآن يصدق بعضه بعضاً، ويفسر بعضه بعضاً، ولا يسوغ فى العقل أن تختلف مثوبة الله عباده على تقواه باختلاف التركيب النحوى فى الآيات الثلاث.

وإذا استمسك الدكتور. الطناحى بسبب النزول، فبين أن آية البقرة نزلت فى كتابة الدين، والإشهاد عليه، وأن الطبرى[٢٦] قال فى تفسيرها: يعنى بقوله: – جل ثناؤه (واتقوا الله): وخافوا الله: أيها المتداينون فى الكتاب والشهود أن تضاروهم... ويعنى بقوله (ويعلمكم الله): ويبين لكم الواجب لكم وعليكم – فقد نوقشت هذه الحجة فيما سبق أكثر من مرة بما لا نحتاج إلى إعادة ذكره هنا.

أما إذا علق الدكتور. الطناحى على تفسير الطبرى للآية، فقال: «وهذا هو التوجيه الصحيح للآية الكريمة؛ لكن بعضاً من قدامى المفسرين وجهوا الآية على المعنى، الذى يشيع عند العوام؛ ومن هولاء القدامى: ابن عطية[٢٧] والقرطبى[٢٨]، ابن كثير[٢٩] لكن المحققين على غير ذلك». – فإن هذا التعليق يقتضينا أن نعرض على القارئ ما قاله كل من هؤلاء العلماء فى تفسير هذه الآية حتى نتبين أن نصيب واحدا من هؤلاء بحكم جائر:

قال ابن عطية الأندلسى المتوفى ٥٤٦ فى: (المحرر الوجيز) «وقيل: إن معنى الآية: الوعد بأن من اتقى علم الخير وألهمه». وقال أبو عبدالله القرطبى المتوفى ٦٧١ هـ فى الجامع لأحكام القرآن.

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٣٠]: وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه... ومن قوله – تعالى –:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[٣١] والله أعلم.

وقال إسماعيل بن كثير المتوفى ٧٧٤ هـ «واتقوا الله» أى خافوه وراقبوه، وتبعوا أمره، واتركوا زجره. ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾[٣٢] كقوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ وقوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣٤]

---

(٢٥) سورة الطلاق الآيتان (٢.٣).
(٢٦) (٦/٩٣).
(٢٧) المحرر الوجيز (٢/٥٢٠).
(٢٨) (٣/٤٠٦).
(٢٩) (١/٥٠٠).
(٣٠) البقرة ٢٨٢.
(٣١، ٣٢، ٣٣) سورة الأنفال الآية ٢٩.
(٣٤) سورة الحديد ٢٨.

وإذا تأملنا ما قاله العلماء الثلاثة مجتمعين وجدنا أنهم وجهوا الآية على المعنى المستفاد من الآيات، التى تماثلها من القرآن الكريم، لا « على المعنى الذى يشيع عند العوام »!.

الزركشى وبعض أئمة التفسير

وإذا كان الدكتور الطناحى قد احتج على هؤلاء المفسرين بما قاله الزركشى المتوفى ٧٩٤هـ فى « البرهان فى علوم القرآن »[٣٥] فقد آن الأوان لفحص هذا القول حتى نكشف عن حقيقته:

يقول الزركشى فى فصل عقده لشرح قاعدة (فعل المطاوعة) - بعد أن ملأ ثلاث صفحات بما جمعه من جدل نحوى يستنفد صبر الحليم، ويستفرغ طاقة الدّرب الدءوب -:

« وأما قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[٣٦] فظن بعض الناس: إن التقوى سبب التعليم؛ والمحققون على منع ذلك؛ لأنه لم يربط الفعل الثانى بالأول ربط الجزاء بالشرط، فلم يقل: « واتقوا الله يعلمكم »، ولا قال: « فيعلمكم الله »، وإنما أتى بواو العطف، وليس فيه ما يقتضى أن الأول سبب للثانى، وإنما غايته الاقتران والتلازم، كما يقال: زرنى وأزورك، وسلم علينا ونسلم عليك، ونحوه، مما يقتضى اقتران الفعلين، والتعارض من الطرفين، كما لو قال عبد لسيده: أعتقنى ولك على ألف، أو قالت المرأة لزوجها: طلقنى ولك ألف؛ فإن ذلك بمنزلة قولها: بألف، أو على ألف. وحينئذ فيكون متى علّم الله العلم النافع اقترن به التقوى بحسب ذلك ».

ولقائل من الناس أن يقول لصاحب (البرهان): إن الناس الذين ظنوا من الآية أن التقوى سبب التعليم - ومنهم ابن كثير الذى عاصرته، وتتلمذت عليه - قد بنوا هذا الظن الذى لم ينل رضاك - على رد بعض القرآن إلى بعض ناهجين بذلك أقوم سبيل لتفسير كتاب الله؛ إذ لم يستسيغوا أن يكون اختلاف التركيب النحوى سبباً فى اختلاف ثواب الله عباده على تقواه.

ولسائل أن يسأل: ماذا يراد بالتلازم فى عبارة صاحب (البرهان): « وإنما غايته الاقتران والتلازم »؟ وماذا يبقى من الخلاف بينه وبين شيخه ابن كثير، ومن ذهب مذهبه فى تفسير هذه الآية - إن هو سلم بالتلازم بين (اتقوا الله) و (يعلمكم الله).

بل لسائل أن يسأل أيضا: لماذا انعكس بناء الجملة الشرطية فى عبارة (البرهان): « وحينئذ فيكون متى علم الله العلم النافع اقترن به التقوى بحسب ذلك »؟ ألم يكن الأولى أن يقال: متى اتقى العباد ربهم علمهم العلم النافع؟!

***

نستبين مما سبق: أن عوام الأمة إذا لهجت ألسنتهم بتفسير آية من القرآن الكريم، فإنهم يصدرون فى ذلك غالبا عما تلقوه مروياً عن أسلافهم من التفسير المأثور عن صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو المشهور من أقوال علماء الأمة فى مختلف العصور؛ لا يدخرون فى ذلك وسعاً - صيانة للذكر الحكيم أن تحرف ألفاظه عن مواضعها، ووقاية لأنفسهم أن يقولوا فى شئ من كتاب الله بغير علم أتاهم.

هذا، والله - سبحانه، وتعالى - أعلم.

---

(٣٥) (١٤٣/٤).

(٣٦) البقرة ٢٨٢.

العشرة المبشرون بالجنة

٢ الفاروق

عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

أخرج الشيخان، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال النبى - عليه الصلاة والسلام: « بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، قلت: لمن هذا القصر؟ قالوا لعمر، فذكرت غيرتك، فوليت مدبرا » فبكى عمر وقال: أعليك أغار يارسول الله؟!

وأخرج ابن ماجة، والحاكم، عن أبى بن كعب، قال: قال النبى - عليه الصلاة والسلام: « أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه، وأول من يأخذ بيده فيدخل الجنة ».

وأخرج البزار، عن ابن عمر: قال: قال النبى – صلى الله عليه وسلم –: « عمر سراج أهل الجنة » وأخرجه ابن عساكر من حديث أبى هريرة، والصعب من جثامة.

وأخرج الطبرانى فى « الأوسط » عن أبى سعيد الخدرى، قال: قال النبى – عليه الصلاة والسلام: « من أبغض عمر فقد أبغضنى، ومن أحب عمر فقد أحبنى، وإن الله باهى بالناس عشية عرفة عامة، وباهى بعمر خاصة، وإنه لم يبعث الله نبيا إلا كان فى أمته محدث، وإن يكن فى أمتى منهم أحد فهو عمر، قالوا: يانبى الله، كيف؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه ».

فماذا كان من أمر الفاروق عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – حتى يبشره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالجنة؟!

نسبه ومولده ونشأته

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدى بن

كعب بن لؤى بن غالب بن فهر العدوى، القرشي : أبو حفص[١].

أمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبدالله ابن عمر بن مخزوم، وهى أخت أبى جهل، وبنت عم خالد بن الوليد[٢].

وُلِدَ بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من أشراف قريش، وإليه كانت السفارة فى الجاهلية[٣]، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم، أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيرا، أى : رسولا، وإذا نافرهم منافر، أو فاخرهم مفاخر، بعثوه منافرا، أو مفاخرا[٤].

وكان والده الخطاب رجلا، فظا، غليظ القلب، لايعرف من دنياه إلا أصنام مكة، وأوثانها، يتقدم إليها بالعبادة، ويخصها بمزيد من العناية وتقديم القرابين. وتملكه الغيظ والحنق على ابن أخيه : زيد بن عمرو بن نفيل، وكان قد أجمع الخروج من مكة؛ ليضرب فى الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم – عليه السلام – فكانت زوجته صفية بنت الحضرمى كلما رأته قد تهيأ للخروج وأراده آذنت به الخطاب بن نفيل، وكان عمه وأخاه لأمه، وكان يعاتبه على فراق دين قومه، وكان الخطاب قد وكل صفية به، وقال : إذا رأيتيه قد هم بأمر فآذنينى به[٥]. والحق الخطاب الأذى بزيد حتى أخرجه إلى أعلى مكة، فنزل حراء مقابل مكة، ووكل به الخطاب شباب من شباب قريش وسفهاء من سفهائها[٦].

أما عمر بن الخطاب فقد نشأ – رضى الله عنه – فى صغره يرعى الغنم لأبيه الخطاب وكان يعانى من شدته وغلظته عليه؛ وفى هذا يروى عبدالرحمن بن حاطب – رحمه الله – فيقول : (كنت مع عمر بن الخطاب بضنجان[٧]، فقال : كنت أرعى للخطاب بهذا المكان، فكان فظا غليظا، فكنت أرعى حينا واحتطب حينا..)[٨].

الطريق إلى الإسلام

وكان عمر بن الخطاب – قبل إسلامه – يعذب جارية بنى مؤمل – حى من بنى عدى بن كعب – وكانت مسلمة، وعمر بن الخطاب يعذبها؛ لتترك الإسلام، حتى إذا ملَّ قال : إنى أعتذر إليك، إنى لم أتركك إلا ملالة؛ فتقول كذلك فعل الله بك[٩].

قال ابن إسحاق : حدثنى عبدالرحمن بن الحارث بن عبدالله بن عياش بن أبى ربيعة، عن عبد العزيز بن عبدالله بن عامر بن ربيعة، عن أمه : أم عبدالله بنت أبى حثمة، قالت :

والله إنا لنرتحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر فى بعض حاجاتنا، إذ أقبل عمر بن الخطاب، حتى وقف عليَّ وهو على شركه – قالت : وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وشدة علينا – قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أم عبدالله. قالت : فقلت :

---

(١) الحاكم، المستدرك: (٨٠/٣)؛ تاريخ الطبرى (١٩٥/٤)؛ الطبرانى، المعجم الكبير: (٦٤/١).
(٢) الاستيعاب (١١٤٤/٣)؛ أسد الغابة (٥٢/٤).
(٣) ابن هشام السيرة النبوية (٢٢٩/١).
(٤) الاستيعاب (١١٤٥/٣).
(٥) ابن هشام (٢٢٩/١، ٢٣٠).
(٦) المصدر السابق (٢٣١/١).
(٧) جبل على طريق مكة.
(٨) خبر صحيح، وإسناده حسن، أخرجه ابن سعد فى طبقاته (٢٦٦/٣)، وابن شبه فى تاريخ المدينة (٦٥٦/٢).
(٩) ابن هشام (٢٣٩/١).

نعم والله، لنخرجن فى أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله مخرجا. قالت: فقال: صحبكم الله، ورأيت له رقة لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه - فيما أرى - خروجنا.

قالت: فجاء عامر بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبدالله، لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا. قال: أطمعت فى إسلامه؟ قالت: قلت: نعم؛ قال: فلايسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب؛ قالت: يأسا منه، لما كان يُرى من غلظته وقسوته على الإسلام[١٠].

إسلامه وتسميته بـ (الفاروق)

أخرج الترمذى، عن ابن عمر: «أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: «اللهم أعزَّ الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب، أو بأبى جهل بن هشام» وأخرجه الطبرانى من حديث ابن مسعود، وأنس رضى الله عنهما.

وأخرج الحاكم، عن ابن عباس: «أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: «اللهم أعزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة» وأخرجه الطبرانى فى «الأوسط» من حديث أبى بكر الصديق، وفى الكبير من حديث ثوبان.

ويورد ابن اسحاق رواية عن إسلام عمر فيقول:[١١]

حدثنى عبدالله بن أبى نجيح المكى، عن أصحابه: عطاء، ومجاهد، أو عمن روى ذلك: أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه، أنه كان يقول: كنت للإسلام مباعدا، وكنت صاحب خمر فى الجاهلية، أحبها وأُسر بها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحَزْوَرَة[١٢]، عند دور آل عمر بن عبد بن عمران المخزومى، قال: فخرجت ليلة أريد جلسائى أولئك فى مجلسهم ذلك، قال: فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحدا. قال: فقلت: لو أنى جئت فلانا الخمار، وكان بمكة يبيع الخمر، لعلى أجد عنده خمرا فأشرب منها. قال: فخرجت فجئته فلم أجده. قال: فقلت: فلو أنى جئت الكعبة فطفت بها سبعا أو سبعين. قال: فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة، فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائم يصلى، وكان إذا صلى استقبل الشام، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، وكان مُصلاه بين الركنين: الركن الأسود، والركن اليمانى. قال: فقلت حين رأيته: والله لو أنى استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول! (قال) فقلت: لئن دنوت منه أستمع منه لأروعنه، فجئت من قبل الحجر، فدخلت تحت ثيابها، فجعلت أمشى رويدا، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائم يصلى يقرأ القرآن، حتى قمت فى قبلته مستقبله، ما بينى وبينه إلا ثياب الكعبة. قال: فلما سمعت القرآن رق له قلبى، فبكيت ودخلنى الإسلام، فلم أزل قائما فى مكانى ذلك، حتى قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاته، ثم انصرف، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبى حسين، وكانت طريقه، حتى يجزع المسعى، ثم يسلك بين دار عباس بن المطلب،

---

(١٠) ابن هاشم (١/٣٤٢، ٣٤٣).

(١١) المصدر السابق (١/٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨).

(١٢) الحزورة: مكان.

وبين دار ابن أزهر بن عبد عوف الزهرى، ثم على دار الأخنس بن شريق، حتى يدخل بيته. وكان مسكنه - صلى الله عليه وسلم - فى الدار الرقطاء، التى كانت بيدى معاوية بن أبى سفيان. قال عمر - رضى الله عنه -: فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس، ودار ابن أزهر، أدركته؛ فلما سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حسى (صوتى) عرفنى، فظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنى إنما تبعته لأوذيه فنهمنى، ثم قال: ما جاء بك يابن الخطاب هذه الساعة؟ قال: قلت: جئت لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله؛ قال: فحمد الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم قال: قد هداك الله ياعمر، ثم مسح صدرى، ودعا لى بالثبات، ثم انصرفت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيته.

قال ابن إسحاق: وحدثنى نافع مولى عبدالله ابن عمر، عن ابن عمر، قال: لما أسلم أبى عمر، قال: أى قريس أنقل للحديث؟

فقيل له: جميل بن معمر الجُمحى. قال: فغدا عليه. قال عبدالله بن عمر: فغدوت أتبع أثره، وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت، حتى جاءه، فقال له: أعلمت يا جميل أنى قد أسلمت، ودخلت فى دين محمد؟ فقال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر، واتبعت أبى، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش - وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ. قال: ويقول عمر خلفه: كذب ولكن قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله.[١٣]

وأخرج أبو نعيم فى «الدلائل» وابن عساكر، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: سألت عمر - رضى الله عنه -: لأى شىء سميت الفاروق؟ فقال: أسلم حمزة قبلى بثلاثة أيام، فخرجت إلى المسجد، فأسرع أبوجهل إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - يسبه، فأُخبر حمزة، فأخذ قوسه، وجاء إلى المسجد إلى حلقة قريش التى فيها أبوجهل، فاتكأ على قوسه مقابل أبى جهل، فنظر إليه، فعرف أبوجهل الشر فى وجهه، فقال: مالك يا أبا عمارة؟ فرفع القوس فضرب بها أخدعه فقطعه، فسالت الدماء، فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر. قال: ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - مختف فى دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى، فانطلق حمزة، فأسلم، فخرجت بعده بثلاثة أيام، فإذا فلان بن فلان المخزومى، فقلت له: أرغبت عن دين آبائك واتبعت دين محمد؟ فقال: إن فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقا منى، قلت ومن هو؟ قال: اختك وختنك، فانطلقت فوجدت الباب مغلقا وسمعت همهمة، ففتح لى الباب فدخلت، فقلت: ما هذا الذى أسمع عندكم؟ قالوا: ما سمعت شيئا، فمازال الكلام بيننا حتى أخذت برأس ختنى، فضربته ضربة فأدميته، فقامت إلىَّ أختى فأخذت برأسى، وقالت: قد كان ذلك على رغم أنفك، فاستحييت حين رأيت الدماء، فجلست، وقلت: أرونى هذا الكتاب، فقالت أختى: إنه لايمسه إلا المطهرون، فإن كنت صادقا فقم واغتسل، فقمت فاغتسلت وجئت فجلست، فأخرجوا إلىَّ صحيفة فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم) فقلت: أسماء طيبة طاهرة ﴿ **طه ① مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ** ﴾[١٤] إلى قوله:

---

(١٣) ابن هشام، ٣٤٨/١، ٣٤٩.

(١٤) طه آية (١).

﴿إِلَآ هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾(١٥) قال: فتعظمت في صدري، وقلت: من هذا فرت قريش؟! فأسلمت وقلت: أين رسول الله – صلى الله عليه وسلم؟ قالت: فانه في دار الأرقم، فأتيت الدار، فضربت الباب، فاستجمع القوم، فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر، قال: وإن كان عمر، افتحوا له الباب، فإن أقبل قبلنا منه، وإن أدبر قتلناه، فسمع ذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فخرج، فتشهد عمر، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل مكة. قلت: يارسول الله: ألسنا على الحق؟ قال: بلى، قلت: ففيم الإخفاء؟ فخرجنا صفين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد، فنظرت قريش إليَّ وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة شديدة لم يصبهم مثلها، فسماني رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: الفاروق يومئذ؛ لأنه أظهر الإسلام وفرق بين الحق والباطل».

وأخرج ابن ماجة، والحاكم، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: «لما أسلم عمر نزل جبريل، فقال: يا محمد، لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر».

وأخرج البزار، والحاكم وصححه، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم اليوم منا، وأنزل الله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(١٦).

وأخرج البخاري، عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: مازلنا أعزة منذ أسلم عمر.

وأخرج ابن سعد، والطبراني، عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: «كان إسلام عمر فتحا، وكانت هجرته نصرا، وكانت إمامته رحمة، ولقد رأيتنا ومانستطيع أن نصلي إلى البيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا».

وأخرج الطبراني، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – (أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب) إسناده صحيح حسن.

وأخرج ابن سعد، عن صهيب قال: «لما أسلم عمر – رضي الله عنه – أظهر الإسلام، ودعا إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقا، وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به».

واخرج ابن عساكر، عن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن الشيطان يَفْرُقُ من عمر». أي: يخاف.

وأخرج أحمد، عن طريق بُريدةَ، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن الشيطان ليفرق منك ياعمر».

وأخرج ابن عساكر، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «ما في السماء ملك إلا وهو يوقر عمر، ولا في الأرض شيطان إلا وهو يفرق عمر».

وأخرج ابن سعد، عن أسلم – مولى عمر – قال: «أسلم عمر في ذي الحجة من السنة السادسة من النبوة، وهو ابن ست وعشرين سنة».

وكان إسلامه – رضي الله عنه – بعد أربعين رجلا، وإحدى عشرة امرأة، وقيل بعد تسعة وثلاثين رجلا وثلاث وعشرين امرأة، وقيل: بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة.

(يتبـــــــع)

(١٥) طه آية (٨).

(١٦) الأنفال آية ٦٤.

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد فضيلة الشيخ طوسون إبراهيم هواش

● **السؤال من إبراهيم محمد :**

امرأة توفيت عن : زوجها ، ووالدتها ، وأخ ، وأختين أشقاء لا غير ، وتركت ما يورث عنها شرعاً ، فما نصيب كلٍ واحد من الورثة المذكورين فى تركتها ، وهل تجهيزها وتكفينها ودفنها لغاية القبر يخصم من تركتها ، أم هو واجب على الزوج خاصة ؟ وهل مصاريف ليلة المأتم من . أجرة فقهاء ، وثمن طعام ، وأجرة فراش ، تلزم الزوجَ - أيضاً - أم لا ؟ وهل لو فعل الزوج مازاد عن التجهيز والتكفين بدون إذن الورثة يكون متبرعاً به ، ولا يلزم الورثة بشيء من ذلك ، أم لا ؟ وهل مؤخر الصداق الباقى فى ذمة الزوج يضم إلى تركة المتوفاة ، ويقسم مع التركة على عموم الورثة ، أم كيف الحال ؟ أفيدوا الجواب ولكم الثواب .

■■ **الجواب** : الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد ؛

فقد اطلعنا على هذا السؤال ، ونفيد : بأن المنصوص عليه شرعاً أن كفن المرأة على زوجها بلا تبذير ولا تقتير بفعل ما تحتاجه من حين موتها إلى حين دفنها من الكفن الوسط عدداً ، وهو كفن السنة ، بأن يكون ثلاثة أثواب ، قميص وإزار ولفافة ، وقيمته من نوع ما تلبسه لزيارة أبويها ، وأما ما زاد على ذلك فغير لازم شرعاً ، وإذا ماتت الزوجة ولم تقبض فى حياتها مؤخر صداقها من زوجها المذكور فبوفاتها يكون ذلك ديناً فى ذمته ، فيضم إلى أصل تركتها ، ويقسم على جميع ورثتها بما فيهم زوجها المذكور ، وحيث إنها توفيت عن زوجها ووالدتها وأخ

وأختين أشقاء، فتقسم جميع تركتها بما فيها مؤخر صداقها بين ورثتها المذكورين، للزوج النصف فرضاً، ولأمها السدس فرضاً، والباقى لأخيها وأختيها الأشقاء تعصيباً للذكر مثل حظ الانثيين، والله أعلم.

● **السؤال : من ع.ع.ع :**

يوجد عيب خلقى فى أسنانى يجعلنى سخرية لكثير من الناس، ويسبب لى حرجا كبيرا حتى إننى لا أستطيع التقدم لأى فتاة، فهل إجراء عملية لتقويم الأسنان حلال أم حرام ؟

■■ **الجواب :** الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد..

فنُفيد : بأن تقويم الأسنان مباح شرعاً ولا يعد تغييراً لخلق الله بل هو تجميل يبيحه الإسلام، فإجراء العملية ليس فيه شىء والله ـ تعالى ـ أعلم.

● **السؤال من السيد / أحمد على محمود ـ مصر للطيران يقول :**

لى ابن رضع من ابنة خالتى، وهو الآن فى سن الزواج وعند التقدم لخطبة ابنتها أفادت بأنها أرضعته فترة اقامته معها وهو فى سن الرضاع. فهل يجوز له الزواج من ابنتها ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.. وبعد

فنفيد بأن هذه المسألة اجتمعت فيها شروط الرضاعة التى تحرم الزواج من الآخر، وهى : خمس رضعات، مشبعات، متفرقات فى سن الحولين، وأن الوليد لم يتناول طعاماً على جهة التغذى وبناء على هذا فإنه لايجوز زواج هذا الابن من ابنة خالتك حسبما ورد فى السؤال.

والله سبحانه وتعالى أعلم

● **السؤال من السيدة / ندا نعيم محمود، حلوان..**

١ - رضعت أمى على بنت عمها وبعد سنوات رضع خالى على بنت عمه، فهل يجوز لى أن أتزوج ابن عم والدتى الأصغر ؟.

٢ - توفى الجد عن أولاد بنت ابن، فهل لهم أن يرثوا بالوصية ؟.

■■ **الجواب :** الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد..

فنُفيد عن الأول : لا يجوز للسائلة أن تتزوج من ابن عم أمها؛ لأنه برضاع أمها من زوجة عمها صار أولاد العم جميعاً إخوة لأمك، وبالتالى أصبحوا أخوالك وخالاتك، فلا يجوز لك الزواج من أخوالك من الرضاع.

وعن الثانى : لا ميراث لأولاد بنت الإبن بالوصية الواجبة وإنما الميراث كان للبنت فقط، وحيث إنها توفيت قبل الجد فلا ميراث لأولادها والله ـ تعالى ـ أعلم.

● **السؤال : أرجو التكرم ببيان رأى الدين فيما إذا كانت الخمر هى العلاج الوحيد بدون بديل لشفاء مريض مسلم، والحكم الشرعى فى ذلك ؟.**

■■ **الجواب** : الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد : فإن الخمر محرم قطعاً، بقول الله -تعالى- في سورة المائدة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[1] وقد أبان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أحاديث كثيرة تحريم الخمر أياً كانت المادة التي أخذت منها، ومن هذه الأحاديث « كل مسكر خمر، وكل خمر حرام » رواه الإمام مسلم في صحيحه.

وقوله: « ما أسكر كثيره فقليله حرام » رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، والدارقطني.

وقد اختلف فقهاء المذاهب في إباحة التداوي بالمحرم، ومنه الخمر، فمنع التداوي بالمحرم فقهاء مذهبي الإمامين: مالك، وأحمد بن حنبل، وأجاز التداوي به فقهاء مذهب الإمام أبي حنيفة في القول المختار، وفقهاء المذهب الشافعي في أحد الأقوال، وذلك بشرطين:

أحدهما : أن يتعين التداوي بالمحرم بمعرفة طبيب مسلم خبير بمهنة الطب، معروف بالصدق والأمانة والتدين.

والشرط الآخر : ألا يوجد دواء من غير المحرم ليكون التدواي بالمحرم متعيناً، ولا يكون القصد من تناوله التحايل لتعاطي المحرم، وألا يتجاوز به قدر الضرورة.

هذا: وأساس هذه الإباحة الضرورة، لأن صون نفس الإنسان عن الهلاك من الضرورات الخمس التي هي مقاصد الأحكام في الإسلام، وقد استدل الفقهاء الذين أجازوا التداوي بالمحرم عند الضرورة بالشروط السابقة بآيات القرآن الكريم التي أباحت المحرمات عند الضرورة، ومنها قوله -تعالى- :

﴿ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ ﴾[2]

ولما كانت إباحة التداوي بالمحرم حسبما تقدم في قول فقهاء المذهب الحنفي، وقول مذهب الإمام الشافعي للضرورة، وكانت الضرورة تقدر بقدرها، فإنه ينبغي أن لا يتمادى المريض المسلم في تعاطي المحرم استغلالاً لحالة الضرورة، فإن ـ الله سبحانه ـ يعلم السر وأخفى، وعلى المسلم الحريص على دينه أن يتحرى الصدق، وأن يبتعد عن الشبهات استبراء للدين، وألا يسوغ لنفسه رخصة أباحها الله دون حاجة وضرورة، وأن يجد ويجتهد في طلب مشورة أكثر من طبيب مسلم قبل الإقدام على التداوي بالمحرم.

هذا: وإنه مع التقدم العلمي في كيمياء الدواء، لم تعد الحاجة ملحة لاستعمال الخمر في التداوي لوجود البديل المباح، ومما تقدم يعلم الجواب عما جاء بالسؤال، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

● **السؤال: من السيدة/ نجوى كامل سالم..**

توفيت سيدة عن: أولاد بنت - وأولاد ثلاثة إخوة - وأولاد أختين.. فما نصيب كل؟.

---

(١) سورة المائدة الآية ٩٠.

(٢) سورة البقرة الآية ١٧٣.

■■ **الجواب** : الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد؛

فنُفيد بأن فى تركة المتوفاة وصية واجبة لأولاد البنت بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة وقت وفاة المورثة فى حدود الثلث، طبقاً لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس ١٩٤٦، بشرط أن لا تكون الجدة قد أعطت أولاد البنت من مالها حال حياتها ما يعادل الوصية بدون عوض، فتقسم التركة لثلاثة أجزاء: منها جزء وصية واجبة لأولاد البنت، يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى، والباقى جزآن هو الميراث للذكور من أولاد الإخوة الذكور تعصيباً بالتساوى بينهم كأنهم أولاد رجل واحد، ولا شىء للإناث من أولاد الإخوة، ولا لأولاد الأخوات؛ لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عند أصحاب الفروض والعصبات. والله ـ تعالى ـ أعلم.

إلى كتاب المجلة الأعزاء

ترجو إدارة مجلة الأزهر من السادة الكتاب الأفاضل عند التقدم بإنتاجهم العلمى، ملاحظة الآتى :

١ ـ أن تقدم الأعمال الخاصة بالمناسبات الدينية المختلفة قبل الموعد بفترة لاتقل عن شهرين.

٢ ـ أن تكون مكتوبة بخط واضح أو على الآلة الكاتبة.

٣ ـ ألا تقل عن ثلاث صفحات فلوسكاب.

٤ ـ أن تكون مدعمة الأسانيد ومخرجة النصوص مع ذكر المراجع.

٥ ـ ألا يكون سبق نشرها فى أى دورية أخرى.

والله الموفق

تصويب

فى عدد شهر المحرم ١٤٢١هـ وقع سهوا فى ص (١٤٦) من الآية رقم ٤٠ من سورة التوبة «إن تنصروه» وصحتها «إلا تنصروه» لذا لزم التنويه.

من أكبر الدعاة فى هذا العصر

أبو الحسن الندوى

٢

للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البومى

قلت إن أبا الحسن ألف أن يصعد المنبر خطيباً، وذلك توفيقٌ من الله ساقه إليه على يد أحد أساتذته، فقد سافر إلى (دلهى) فى رحلةٍ علميّة فشاءت المصادفات السّارة أنّ يلتقى بداعيتها المجدّد الكبير الشيخ محمود إلياس، والشيخ إلياس لا يعتمد فى دعوته على الكتابة الصحفية، أو التأليف العلمى، ولكنه يرْحل إلى الجماهير فى كلّ مكان، فينتصبُ واعظاً مرشداً.

يتفجّر البيان من جوانبه، كما ينبثقُ الماءُ من النبع الصافى، وهوَ رحالةٌ لا يهدأ، تراهُ كلَّ يوم فى قرية أو مدينة، يُقابَل بالتجلة والترحاب، وتَنتظرُ الجموعُ هَدْيَه كما تترقّبُ الأرضُ الجديبة نَميرَ الماء، وقد تتّصلُ الرحلةُ إلى هذه الربوعِ المتجاورة شهراً أو شهريْن، دُون أن ينقطع يوماً واحداً عن ارتقاء المنبر، وترديد الإرشاد، وأبُو الحسن يَسمع مُعجَبا مسرورا، ويَرى انفعالَ السّامعين بما يَسمعون، فيعلمُ أنّ اللقاءَ المباشرَ يَفُوق تأثيرُه الحماسىّ ما يكتب فى صحيفة أو يُرصَد فى كتاب، ومن ثمّ عزَم أبو الحسن على أن يكونَ داعيةً فى المجتمع بلسانه، كما هو كاتبٌ للقارئ فى مؤلفاته، وكانَ أستاذُه الشيخ إلياس صادَق النيّة مُخلص السريرة، أسلَم وجهَه إلى الله وهو مؤمنٌ، فعظُم تأثيرُه النفاذ، وأصبحتْ لكلمته الّتى ينطق بها أشعةً من الضياء تنتقل إلى الوجوه فتملؤُها نورا، وإلى القلوب فتُصْقلها صَقْلاً يطردُ عنها نوازعَ السوء، وهوابطَ الوساوس، وهُنا كانَ الرجل قدوةً فى خُلُقه كما هُو قدوةٌ فى وعْظه، واعتزَم أبو الحسن أن ينَحو منحاه! وقد كانَ منه بمكان قريب، فالمبادىءُ هى المبادىء، والسرائرُ هى السرائر، ولم يترك الشيخَ حتى صمّم على أن يدعوَ بلسانه كما يدعو بقلمه، ووفّقه اللّه فى إرشاده اللفظى، إذ كانَ يملك أسلحتَه الماضية. بل كان يملك أكثرَ مما يملك أستاذه، لأنّ الشيخ الكبير خطيبُ منْبر، يُحدّث العّامة بما يجذبهم، وليسَ له سبحَاتُ أبى الحسن فى مطاوى الأسفار، وحواشي المجلدات، فإذا دُهشت الجموعُ إعجاباً به خطيباً داعية، فلنحمد اللّه أن اجتابَ هذا السبيل، على أنّ أستاذاً مُلْهما آخر

أذكّى جمرة الشوق فى قلب أبى الحسن، أذكَى جمرة الشّوق فى قلبه، ثم زادَ فطار بروحه إلى آفاق رحيبة تُشرق بالنجوم، ويهبّ بها النسيم المنعش مُحمَّلا بأطيب العبير، هَذا المُلهم هو الشاعرُ العالمىّ محمد إقبال فقد كان لقاؤهُ به فى (لاهور) مصدرُ ارتقاء شعورىّ لا يَسهل مرتقاه، وكلّ المثقفين فى العربيّة يقرءون إقبال ويردّدُون مترجماته عن الأرْدية والفارسيّة، ولكنهمْ لا يلمسون تأثيرها النفاذ، الّذى تتموج كهرباءُه فى اللّغة الأصلّية التى نظم بها إقبال، وأذكرُ أنّى قلتُ فى قصيدتى عن الشاعر الكبير متحدثاً عن شعره(١)

مَعانٍ جلتْها حكمةُ الشرق فانثنتْ
تُدلُّ على أهل الحجا أىّ إدلالِ
وتُغمض أحياناً فتبدو عويصة
كأنك منها واقفٌ بين أجْبَال
إذا أنْقصَ التعريبُ بعض بريقها
فإنّ سياق النص يُوحى بإكمال

قلتُ ذلك قبل أن أقرأ ما حكاه أبو الحسن عن الشاعر إقبال، فقد قدَّمه لقراء العربيّة خيْر تقديم حين أصدرَ مؤلفه اللطيف: (شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال) فتحدّث حديثاً رائعاً عن حياته، وعن العوامل التى كونتْ شخصيته وآراءه فى التعليم والعلوم والجيل الجديد، وحينَ تحدث أبو الحسن عن الإيمان، بين هذه العوامل، هذاَ الإيمانُ الذى رَفعَ الشاعر عن الاحتفال بمغريات المادة، وَعَنْ تيّار الحضارة الغربيّة الجارف وَدفعه إلى مقومات الحياة لدى الأمة الإسلامية كما تَغنَّى بها إقبال، مبيناً جناية المدنية الحديثة على الإنسان، ثم حديثه عن القرآن الكريم وأثره الضخم فى تحديد رسالة الشاعر الكبير، وعنْ خبرته بالنفس الإنسانية شرقاً وغرباً، حينَ تحدّث عنْ ذلك كلّه خلْتُ أنّ أبا الحسن يتحدثُ عن نفسه لا عن نفس إقبال، ولَيس معنَى ذلكَ أنّه أضافَ إلى شاعر الإسلام ما لم يَقُلْه، فقد استشهدَ بنماذجَ من شعره ليْس مكانها فى هذه السيرة الذاتية، ولكنَّ معناه أن المصلحيْن العظيمين الْتقَيا عَلى هَدَف واحد، وأنّ إقبال قد صَدَق التعبير عن نفس كلّ مؤمن صادق الإيمان، بَعيد النّظرة. واسعَ الأمل فى عون الله، وكانَ تجاوُب أبى الحسن مَعَه تجاوبَ حَمامتيْنْ أَليفَتْين يصدَحان بالغناء فى دوحة واحدة، إذا حَنّت الأولى رنّ صداها فى نفس الثّانيّة فهتفَتْ بالشَّجو المديد، أما مآخذُ إقبال على التعليم المعاصر، وأمّا آراؤُه فى العلوم والآداب، وأما تصويرُه للشّباب المسلم، فيستطيعُ باحث فاضلٌ أن يشرح كل ذلك مُقَارناً بما سجّله أبو الحسن من آراء تتقارب، إنْ لم تكنْ تتماثل مع هذه الآراء ويكفى إقبالاً أن يُسجّل أنّ المسلم هو الإنسانُ الوحيد الّذى يُعدُّ خطراً على الباطل فى كل زمان ومكان، وأن المسلم قد بَنَى العالم المُستنير فى الزمن البعيد، وهُوَ مهيىء اليوم لإعادة البناء فى العالمِ الحديث، وهى عناصرٌ موجزةٌ نجدَ تحليلها الشافى المبسوط فى مؤلفات أبى الحسن على نحو مبهجٍ أنيق، لقد أحَببتُ إقبالاً قبلَ أن أفهمه، أحَبْبتُه عاطفيّا وجدانيا، ووقفْت أمامَ غوامضه حائراً لا أهتدى إلى منارٍ وضئ، ثم قرأتُ أبا الحسَن، وما كتبَه عن إقبال، فأحببتُه وجدانيا وفكْريّا، وزالَت أكثُر الغوامض عن نفسى.

رجع أبو الحسن من دلهى، وفى نفسه قبسٌ من روح شيخه إلياس كما رَجَع من لاهور وفى نفسَه جذوةٌ من مشعلة إقبال، وقد صمَّم على أن يرحَل كما رحل أستاذُه الداعية، ولكنْ إلى أين يرحل؟ لقد قَصر الأستاذُ الشيخُ جهده على الربوع

(١) صدى الأيام، للدكتور محمد رجب البيومى ص ١٤٦.

الهندية وَحدها، وقد استيقظتْ على دعوته من سباتها الطويل، وأولَى بأبَى الحسن أن يرحَل لا إلى قُرى الهند، وربُوعها المترامية؛ بلْ إلى العالم الإسلامى فى حواضره الزاهرة، إنّ العالم الإسلامى فى حاجة إلى رحّالَة مثله يقابلُ علماءهُ، ويناقشُ مفكّريه، ويجتمعُ مع شبابه، ويدركُ أغوارَ هذه النفوس الحائرة بين أمواج الفكر المضطرب شرقاً وغربا، وتلك رسالةٌ صعبة، هى رسالة جمال الدين الأفغانى من قبل، ولكنّ جمال الدين الأفغانى كان نُوراً وناراً، وأبو الحسن نورٌ فحسب، إذ لا يميلُ إلى إشعال الثورات، ولكنّه يدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة ويجادل بالتى هى أحسن كما أشار القرآن الكريم.

لقد رحل أبو الحسن إلى الحجاز مرّات وإلى مصر والمغرب، والشام وتركيا وزارَ أمريكا والدول الأوروبية، وطوّفُ بأكثر عواصم العالم الإسلامى، وكانْت رحلاتهُ عظيمةَ التأثير لأنّ اسمه كان يسبقُ شخصه، وكان أحباؤُه وخصُومه فى الرأى يَحرصون على لقائه، فالأحباءُ ليطفئُوا غليل الشوق برؤيته، وليمتّعوا أنفسهم بكلماته، والخصومُ يريدون أن يسمعوا الجديد ممّا يبدعُه كلَّ يوم دون إمهال، وعَسى أن يجدُوا مجالا للردّ، وموضعاً للحوار، والرجلُ يعرف مكانتَه من هؤلاءِ وأولئكَ ويلبس لكلّ حالةٍ لبوسها، ويؤُوب مؤَّزراً بنصر الله.

وقد تحدثَ عن رحلاته فى كتب مستقلة، وفى مقالاتٍ سائرة، وعبَّر عن شعوره الصادق دُون مجاملةٍ للباطل، إذ رأى أنّ رحلته لا تتّم على وجهها الصحيح إلا إذا أفْصح عن مُراده دُون لثام، والحقيقةُ لا تُؤْلم إذا سيقَتْ فى أسلوبٍ أدبى يترفَّع عن التعريض، وينأَى عن الاستعلاء، وكم كَان عجباً لأبى الحسن أن يُدرك أنّ المسلمينَ فى العالم الفسيح لا يكادُون يَعرفونَ شيئاً عن مسلمى الهند، فهو يقولُ فى مطلع مقالٍ سجّله «بمجلة الأزهر»(٢): كُنتُ فى رحلتى إلى الشرق الأوسط أُواجهُ سؤالاً يتكرر ويُوجَّه فى كل مجلس، وفى كل مناسبةٍ عن عدد المسلمين فى الهند فأجيب بأنهم أربعون مليوناً [كان ذلك سنة ١٣٨٠هـ] فيندهشُ النّاس ويقول بعضهم: يا سلام! ولولا ثقتهم بالضيْف لسارعُوا بالتكذيب، لأنّهم كانوا ينتظرون أن يكونَ المسلمون فى الهند بعَدما سمعُوا عن موجات الهجرة الكبيرة مليوناً واحداً! لقد كانتْ هذه مفارقة لا تُفارقنى أيْنما حللت ونزلتُ، مفاجأةً للطرفيْن، مفاجأةً للمسلمين عن عَدد زملائهم فى الهند، ومفاجأةً للمُجيب عن استغرابهم، وهناكَ كانتْ مفاجآتٌ أخرى، فيما يتصلُ بالمسلمين فى الهند، فالذينَ كانُوا يعرفون أنَّ فى الهند عدداً كبيراً من المسلمين ـ على قلة هؤلاء ـ كانوا يعتقدون أنّ المسلمين لا شأْنَ لهم فى هذا القطر العظيم، ليستْ لهم حضارةٌ خاصة، ولا ثقافةٌ واسعة. ولا آدابٌ سامية، ولا مؤسّسات علميةٌ، ولا نشاطٌ، ولا إنتاجٌ فى علم وأدب، إنما همْ أمة أَفْلَسَتْ فى كلّ مقومات الحياة، وفى كلّ ما تعتزّ به أمّةٌ من علم وأدب، ودين واجتماع، وأخلاقٍ ومروءة! بلْ كانَ البعض يسأل: هلْ فى الهند مساجد، هل فيها مدارس دينية، هلْ عندكم علماء؟ هل يُوجد من يُحسِن أن يقرأَ القرآن؟ هل منّا من يفهم العربية؟

ومضَى الكاتب الكبير يُجيب فى مقاله الرائع عن هذه الأسئلة، ولكنّه عاد باللومْ على تقصير علماء الهند فى القيام بمهمة التعريف بهذا القطر العظيم، ومَضى يفصّلُ ما أنتجت الأمة الهندية

(٢) مجلة الأزهر: عدد رمضان سنة ١٣٨٠ هـ.

المسلمة من آثار علمية رائعة فى الحديث والفقه والأصول وعلم الكلام والسيرة النبوية، ويعدّد أسماءَ العلماء الكبار من مؤلفى الموسوعات والأجزاء المتتابعة، ويُفيض فى القول، حين يتحدث عما أضافه المسلمونَ إلى ثروة البلاد، وما قامُوا به من إصلاحات قائلا فى حديثه الرائع: «لقد كانَ ما اكتسبتْه الهندُ من المسلمين أعظَم وأغلَى مما استفاده المسلمون منها، وكانَ دخولهم فى هذه البلاد فتحاً جديداً فى تاريخها وحياتها ومكسباً عظيماً، والبحثُ شاف واف، والرجوعُ إليه يُصحّح أوهاماً كثيرة يجب أن تزول.

على أنّ لأبى الحسن شجاعةً أدبيّة تكاد تكونُ منقطعة النظير، فهو فى كلّ مكان يرحل إليه، يخطبُ فى النوادى العامة، ويُلقى المحاضرات الثقافية فى ساحات العلم، وينشرُ ما يريده فى أمهات الصحف، لأنّ اسمهُ الكريم يَسبقه – كما قلتُ من قبل – معلناً قدره العظيم، ومن مظاهر هذه الشجاعة الأدبيّة أنّه فى مقالاته هذه يُرسل نقداته الجريئة لبعض ما لا يوافق عليه مما يرى ويسمع، يُرسلها فى أمهات المجلات المقروءة ليصدَع بكلمة الحق دُون محاباة، أذكر أنه زار مصر فى سنة ١٩٥٠م وخالطُ كتابها ومفكريها، وعقَد ندوات ممتازة «بجمعية الشبان المسلمين» وغيرها، ثم عَنَّ له أن يكتبُ فى «مجلة الرسالة» كلمة تحت عنوان: (اسمعى يا مصر) بدأها بالإشادة بما رآهُ من محاسن، ثم وجّه الأمة المصرية إلى رسالتها الحضارية فى إفهام الغرْب ما يجهله من مزايا العرب والإسلام، لأنّها بكتّابها وجامعاتها ومفكريها أقدرُ بلد يقوم بهذه الرسالة، حتّى إذا انتهى من ذلك، جَاهَر بنقداته الجريئة فى مثل قوله: (٣)

«احْرصى يا مصر على رجولة أبنائك وأخلاقهم، وصُونى شبابهم وشرفَهم ودينهم وصحّتهم من أن يعبث بها العابثون، أو يتجّر بها المتجرّون، ممن يَعيشون على أثمان الأعراض والأخلاق. ويحبّونَ أن تشيع الفاحشةَ فى الذين آمنوا، لتروج بضاعتهم وتزدهَر تجارتهم، أولَئك هم أصحابُ الروايات الخليعة، والصور العارية، والأدب المكشوف، كَافحى يا مصرُ الوباءَ الخلقى الذى يقضى على حيويَة الأمة، وطَاردى كلّ من يحاول أن يُزعزع العقيدة فى شعبكِ، إنّ العالم العربى قد أحلَّك من نفسه محلاًّ رفيعا، ووضعَ ثقتهُ فيك فَلا تُصدّرى إليه من أدبك وموضوعاتك ما يَرزأهُ فى إيمانه وأخلاقه، إنّ هذه الروايات الخليعة، والأدب الماجن أفسدْ وأضرْ بالأمة من الحبوب المسمومة، والفواكه الموبوءة.. إنّ القارة الإفريقية لايزالُ جزءٌ كبير منها على فطرته، وهو حقلٌ لجهودك وتربيتك فأرسلى إليها دعاتَك المبشّرين لتُنقذى نفوسَ هؤلاء وتَكتسبى قلوباً تكون خيراً لكِ من الأمم الغربية التى تخْطبين وُدّها، وتحرصين على صداقتها وهى لا تَدوم على حال».

وأذكر أن مَقال الأستاذ الكبير قُوبلَ بالاستحسان، وفَسحتْ له المجلاتُ الملتزمة مجالَ التحليل والتعقيب حين رأتْ فيه صيحةً مخلصةيقوم بها مرشد أمين.

هذا فى مصر، وكذلك فى غيرها من الدول التى سعدتْ برحلة الأستاذ الكبير إليها، أذكُر أنه فى زيارته لعمان عاصمة الأردن عقَد ندوةً تتحدث عن (حيرة الشباب المسلم: أسبابها وعلاجها)(٤) فكانَ الرجل صريحاً كعادته حين

---

(٣) مجلة الرسالة سنة ١٩٥٠ ص ٢٦٦ السنة التاسعة عشرة.

(٤) فى مجلة الأزهر عدد شعبان سنة ١٣٩٨ تلخيص لندوة عمان.

جعل من أسباب هذه الحيرة التناقض الصريح فى التوجيه والإعلام والتربية، لأنّ الشاب يجد فى تقاليد بيته المسلم ما يسمعُ نقيضَه فى الصحف والمجلات، بلْ قد يسمع فى المدرسة مالا يتفقُ وتعاليم الإسلام، فيقعُ فى صراعٍ فكرىّ عنيف، وقد يقرأُ صحيفةً يحررها غير مسئول عن دينه وشرف أمته فيجدُ بها ما يَدعُو إلى الغواية والإلحاد، وقد شاعَتْ بدعة القديم والجديد لترْمى تراثنا بكل تأخّر، وتدفع إلى محاكاة أعدائنا فى كلّ ما يقْترِفُونه، وهذا كلّه يحتاج إلىَ قلْب نظام التعليم رأساً على عقب، يحتاج إلى أناسٍ لديهم الأصالةُ الفكرية فلا يعيشونَ متطفّلين على مائدة الغرب، كما أنّنا نعيشُ فى عزلةٍ عن الشباب، ولدينا نحوهم كثيرٌ من سوء التفاهم وإساءة الظن، ولابّد أن نسعى إليهم، لننقذهم من الانحراف، وذلك يحتاج إلى مخطّطات دقيقة، مخططات علمية مدروسة، يحتاج إلى أقلامٍ بليغة، ولستُ متشائماً ولا يائساً ولكنى أدعو إلى الإصلاح.

وقد يكرّر الأستاذ ما قاله فى دولة زارها من قبل، لا لأنّه لا يجد ما يقول، بل لأنّه يجد الداءَ مشتركاً، والطبيبُ حين يكتبُ دواءً مُماثلاً لمريضيْن يُعانيان من حالة واحدة، لا يكون مكرّرا للدواء، بل يضعُ الأمرَ فى موضعه الصحيح، وقد كانت المملكة العربية السعودية ذات نصيب كبير من رحلات الأستاذ، لأنّها أقربُ البلاد إلى قلبه، ولأنّ الإسلام بها يجُد متنفّسه الّذى لا يجده فى دُول شقيقات! وقد حَظى بلقاء الملك فيصل وقدَّم له خطاباً يحمل مقترحات مخلصة صادَفت قُبول الملك الكريم، وهكذا كانَ أبو الحسن يرحلُ ليدقّ الناقوس، فهو سفيرٌ متنقل فى بلاد الإسلام، ولا أنْسى أن أَشير إلى كتُبه الثلاثة:

(١) مذكرات سائح فى الشرق العربى

(٢) من نهر كابل إلى نهر اليرموك

(٣) أسبوعان فى المغرب الأقصى

ففى هذه الآثار القوية بتوجيهها وتشخيصها ونقدها الصائب ما يضع الرحالة الكبير فى مقدمة المصلحين الكبار من أبناء هذا القرن دون نزاع، وكم يَروع القارىءَ أن يجد فى صفحات هذه الكتب الخالدة، أوْصافاً دقيقة لبلادٍ عزيزة علينا جميعا، هى: أفغانستان وإيران وسوريا ولبنان والعراق والأردن، أوصافاً لا تتجاهلْ ما بهذه الدول من مؤسّسات ثقافية وهيئات علميّة. ومبلغُ تمسّكها بالعقيدة الإسلامية أو مجافاتها فى بعض اتجاهاتها، وما أحدثَ ذلك كلّه من آثار سلبية.

أما رحلة الداعية الكبير إلى الولايات المتحدة وكندا بدعوة من الطلاب المسلمين فى الدولتيْن فقد وصَفَها الكاتب فى سفر خاص، وهى ذات مذاق مختلف عن الرّحلات الخاصة ببلاد الإسلام، لأنّ المسلمين فى أمريكا وكندا محدودُو النشاط، ولكنْ عليهم - فى رأى الأستاذ - أن يُحافظوا على كيانهم الإسلامى فى بلاد الغُربة، وأن ينظروا نظرة واعية إلى الحضارة الغربيّة. فيعرفُوا أوجَه النفع وأوْجه الضرر، وهمْ بعد المثل الناطق للمسلمين فى مرأى جيرانهم من ذوى الدّيانات المختلفة أو مّمن لا يدينون بدين مطلقا، وإذا كانَت حضارة أوروبا وأمريكا تجد الدّعاية الكافية ذاتَ الإغراء الخالب، فعلينا أن نَقيسها بمقياس الحضارة الإسلامية التى تستّمد أصولَها من شريعة الإسلام، وقد قُوبل الداعية الكبير بأسمى مظاهر التبجيل، وأقيمت الحفلات المُتعاقبة لتكريمه، وما جاءَ الرجل المتواضعُ ليتصدرَ حفلات التكريم، بل قَدمَ حاملاً مصباح الهداية لمن يفتح عينه على النور المبين.

أمهات الكتب العلمية في التراث الإسلامي

التصريف

٩

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» لأبي القاسم الزهراوي (١) يُعَدُّ أول كتاب علمي مصور في تاريخ الطب، وهو موسوعة طبية تقع في ثلاثين جزءاً، ومزودة بوصف الآلات المستخدمة في إجراء العمليات الجراحية، وكيفية استخدامها. وقد حظيت موسوعة الزهراوي باهتمام كبير لدى أطباء أوروبا، وبقيت مرجعاً تدريسياً معتمداً في الجامعات الأوروبية لعدة قرون.

صاحب «التصريف» والقيمة العلمية للكتاب

المؤلف هو: أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي، وُلِدَ بالزهراء من ضواحي قرطبة حاضرة الأندلس في عام ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م. وتوفي عام ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م، وعاش في فترة حكم عبد الرحمن الثالث الناصر، وابنه الحكم الثاني، وكان طبيبهما، وقد عرفه الأوروبيون بأسماء أخرى أشهرها «البوكاسس» (Albucasis) وهو تحريف لـ «أبو القاسم».

ويقع كتاب «التصريف» في ثلاثين جزءاً، يتناول الأول منها: «العناصر والأخلاط وتركيب العقاقير والتشريح»، ويحوي الجزء الثاني فصولاً في: «تقسيم الأمراض وأعراضها وكيفية علاجها»، والأجزاء من الثالث حتى الخامس والعشرين تبحث في: «أطعمة المرضى وكثير من الأصحاء، مرتبة على الأمراض». ومرة أخرى يتناول علم العقاقير، أو الأدوية، في الجزءين السابع والعشرين والثامن والعشرين؛ أما الجزء التاسع والعشرون فقد خصصه للبحث في: «تسمية العقاقير باختلاف اللغات، وشرح الأسماء المركبة الواقعة في كتب الطب، والأكيال والأوزان»، وأخيراً يختتم الزهراوي موسوعته الطبية بالجزء الثلاثين الخاص بالجراحة.

(*) الكاتب: أستاذ الفيزياء، ووكيل كلية العلوم – جامعة القاهرة.

(١) للوقوف على المخطوطات العربية الموجودة لكتاب «التصريف» والترجمات العديدة له إلى اللاتينية واللغات الأوروبية، وعلى الدراسات المتعلقة به يراجع:
– ألدوميلي، «العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي»، الترجمة العربية، دار القلم، القاهرة ١٩٦٢م.
– د. أحمد مختار منصور، دراسة منشورة في مجلة معهد المخطوطات العربية، الكويت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

ويتضح من هذا أن الجزء الأعظم من موسوعة الزهراوى كان مخصصاً لعلم العقاقير، فلم تكن عبقريته تنحصر فى الجراحة وحدها، حيث لقبه «جورج سارتون» بأنه «أكبر جراحى الإسلام»، وإنما شملت موسوعته أيضاً علم العقاقير لخبرته فى الأدوية المركبة والمفردة. وقد وصفه ابن أبى أصيبعة بأنه «كان طبيباً فاضلاً خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة جيد العلاج». وصنواه فى الطب: الرازى وابن سينا، ولكنه فى الجراحة يتقدمهما.

وترى المؤرخة الألمانية (زيجريد هونكة) أن الفضل فى وضع أسس الجراحة الحديثة فى أوروبا، والسمو بهذا النوع من الطب بعد أن كان يُنظر إليه فى الغرب نظرة ازدراء، حتى أصبحت الجراحة مستقلة بذاتها ومعتمدة فى أصولها على علم التشريح، إن الفضل فى هذا كله كان يرجع إلى نجم الجراحة العربية الساطع الزهراوى، والرأى نفسه تراه مجلة (لندن كولينج) فى أحد أعدادها الصادرة عام ١٩٨٦.

ولم يكن تبويب الزهراوى لموسوعته الطبية عملاً عشوائياً، فقد جاء الجزء الثلاثون عن الجراحة ليؤكد ما يلزم للطبيب معرفته قبل ذلك من كليات الطب ومبادئه، وصنوف العلل وكيفية علاجها، ومختلف الأغذية والأدوية، وخصائصها ومقاديرها، وذلك فى إشارة واضحة إلى أن الطب القائم على العلاج الدوائى تمامه وآخره يكون فى العمل الجراحى.

وأول لغة ترجم إليها كتاب «التصريف» كانت العبرية، ثم ترجم إلى: اللاتينية بالبندقية عام ١٤٩٥م، وفينيسيا عام ١٤٩٧م، وستراسبورج عام ١٥٣٢م، وبال عام ١٥٤١م. كما نشرت له فيما بعد ترجمات عديدة إلى اللغات الحديثة. فقد نشر الجزء الخاص بالجراحة مرتين: إحداهما للنص العربى مع ترجمته اللاتينية بلندن عام ١٧٧٨م. على يد يوحنا شاننج بأكسفورد، وهو محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٣٥ طب.

والمرة الثانية للنص العربى فى لكنؤ بالهند عام ١٩٠٨م. وفى عام ١٩٧٣م. ظهرت ترجمة الجزء الخاص بالجراحة كاملاً إلى اللغة الإنجليزية فى جامعة كاليفورنيا على يد كل من سبينك ولويس[٢].

المنهج العلمى عند الزهراوى

يمكن إيجاز أهم خصائص المنهجية العلمية عند الزهراوى فيما يلى:

أولاً: يعتبر الزهراوى مثالاً عالياً للطبيب المسلم الحريص على شرف المهنة والمدرك لمتطلباتها الأخلاقية والعلمية، استناداً إلى توجيهات الدين الإسلامى الحنيف. ولايزال الكثير من القضايا الطبية التى عالجها فى زمانه مثار جدل حتى يومنا هذا، نذكر منها -على سبيل المثال- مدى المشروعية فى استجابة الطبيب لرغبة مريضه فى أن يضع نهاية لحياته طلباً للراحة من عذاب ألم لا يطاق، واحتمال تعرض الطبيب فى ذلك لترغيب أو ترهيب، وفى مثل هذه الأحوال يحذر الزهراوى تلاميذه من الوقوع فيما لا خبرة لهم فيه، كما يحذرهم من خداع المرضى الذين لا أمل فى شفائهم، واستغلال علمهم بذلك فى ابتزاز أموالهم، وينبههم إلى أهمية التسلح بالعلم والمعرفة المستقبلية (Prognosis)لتطور المرض. فهو يقول فى مقدمة الباب الثانى من المقالة الثلاثين الخاصة بالجراحة فى كتاب «التصريف» ما نصه:

«ينبغى أن تعلموا يا بَنى أن هذا الباب فيه من الغرر فوق ما فى الباب الأول فى الكيّ، ومن أجل ذلك ينبغى أن يكون التحذير فيه (أى باب الجراحة بأنواعها) أشد؛ لأن العمل فى هذا الباب كثيراً ما يقع فيه الاستفراغ من الدم الذى به تقوم الحياة عند

(٢) (Spink M.S. And Lewis G.L., Albucasis On Surgery And Instruments, University of California Press, 1973)

فتح عرق، أو شق على ورم، أو بطّ خراج، أو علاج جراحة، أو إخراج سهم، أو شق على حصاة، ونحو ذلك مما يقع فى أكثرها الموت، وأنا أوصيكم عند الوقوع فيما فيه الشبهة عليكم، فإنه قد يقع عليكم فى هذه الصناعة صنوف من الناس يضجرون من الأسقام، فمنهم من قد ضجر بمرضه، وهان عليه الموت لشدة ما يجد من سقمه وطول بليته، وبالمرض من التقرر ما يدل على الموت، ومنهم من يبذل لكم ماله ويغنيكم به رجاء الصحة ومرضه قتَّال. فلا ينبغى لكم أن تساعدوا من أتاكم ممن هذه صنعته البتة، وليكن حذركم أشد من رغبتكم وحرصكم، ولا تقدموا على شيء من ذلك إلا بعد علم يقين يصح عندكم بما يصير إليه العاقبة المحمودة، واستعملوا فى جميع علاج مرضاكم تقدمة المعرفة والإنذار بما تؤول إليه السلامة، فإن لكم فى ذلك عوناً على اكتساب الثناء والمجد والذكر والحمد ألهمكُم الله يا بَنى رشده، ولا حرمكم الصواب والتوفيق إن ذلك بيده لا إله إلا هو».

وإن شئنا مثالاً آخر لأخلاقيات الطبيب المسلم، نجد الزهراوى يتصدى لحل القيود الاجتماعية والمحاذير التى تصادف الطبيب فى جراحات أمراض النساء، وذلك بدعوتهن إلى تعلم مهنة الطب، كما يظهر حرصه على تقدير ضرورة أن يتكيف الطبيب مع ظروف عصره وبيئته ضماناً لنجاحه، وتظهر عنده فضيلة الحياء المقترنة بالرفق، مما يجب أن يتحلى به الطبيب. ويتضح هذا كله فى قوله ـ وهو يصف عملية إخراج الحصاة للنساء ـ فى الفصل الحادى والستين من الباب الثانى: «إن عرض لأحد منهن حصاة فإنه يعسر علاجها ويمتنع لوجوه كثيرة: أحدها أن المرأة ربما كانت بكراً، والثانى أنك لا تجد امرأة تبيح نفسها للطبيب إن كانت عفيفة أو من ذات المحارم، والثالثة أنك لا تجد امرأة تحسن هذه الصناعة ولا سيما العمل باليد (أى الجراحة)، والرابعة أن موضع الشق على الحصاة من النساء بعيد عن موضع الحصاة فتحتاج إلى شق غائر، وفى ذلك خطر، فإن دعت الضرورة إلى ذلك فينبغى أن تتخذ امرأة طبيبة محسنة ـ وقليلاً ما توجد ـ فإن عدمتها فاطلب طبيباً عفيفاً رفيقاً، أو أن تحضر امرأة قابلة محسنة في أمر النساء، أو امرأة تشير فى هذه الصناعة بعض الإشارة فتحضرها وتأمرها أن تصنع جميع ما تأمرها به».(٣)

وفى بيان القيمة المعرفية للعلم، يقول الزهراوى فى معرض حديثه عن «الإخصاء» Castration: «إن الإخصاء فى شريعتنا محرم، ولهذا ينبغى لى ألا أذكره فى كتابى هذا، وإنما ذكرته لوجهين: أحدهما، ليكون ذلك فى علم الطبيب إذا سئل عنه، وليعلم علاج من اعتراه، والوجه الآخر أنا كثيراً ما نحتاج إلى إخصاء بعض الحيوان لمنافعنا».(٤)

ثانياً: أظهر الزهراوى استيعابه لطبيعة البحث العلمى وخصائص المعرفة العلمية على أساس التواصل بين أجيال العلماء عبر العصور، وهو يعزو تخلف مستوى الجراحة فى عصره إلى فقدان التواصل مع خبرة القدامى ومعارفهم، كما يدرك أن إهمال العلم السابق فيه تعطيل لمسيرة التقدم العلمى، وإذا ما ران على العلم جهل، بتاريخه فإنه لا محالة مخفق فى مهمته. وقد حرص على تأكيد القيمة الفائقة لعلوم الأوائل

---

(٣)راجع فى ذلك:

د. مصطفى لبيب عبد الغنى، دور الزهراوى فى تأسيس علم الجراحة، دار الثقافة، القاهرة ٢٠٠٠م.

(٤) عن المرجع السابق.

كخطوة منهجية أولى تسبق إجراء البحوث التجريبية التى يتم من خلالها تجاوز معارف الأقدمين، ففى معرض حديثه عما يحتاج إليه الطبيب فى جبر بعض أنواع الكسور فى العظام، يقول: «إنه قد يدعى هذا الباب من الأطباء والعوام من لم يتصفّح قط للقدماء فيه كتاباً ولا قرأ منه حرفاً، ولهذه العلة صار هذا الفن من العلم فى بلدنا معدوماً، وإنى لم ألق فيه قط محسناً البتة، وإنما استفدت منه ما استفدت لطول قراءتى لكتب الأوائل وحرصى على فهمها حتى استخرجت علم ذلك منها، ثم لزمت التجربة والدُّربة طول عمرى»(٥)

على أن الزهراوى فى الوقت نفسه ينبّه إلى اعتبار الرؤية النقدية للنظريات القديمة، ولا يكون قبولها تقليداً ومشايعة بدون برهان عقلى أو دليل تجريبى. فهو -على سبيل المثال- لا ينساق إلى ما يسلِّم به بعض الأطباء قبله من أفضلية معدن الذهب على الحديد فى الكىّ لشرف الذهب على بقية المعادن، وفى ذلك يقول:

«ذكرت الأوائل أن الكىّ بالذهب أفضل من الكى بالحديد، وإنما قالوا ذلك لاعتدال الذهب وشرف جوهره، وقالوا: إنه لا يتقيحْ موضع الكىّ. وليس ذلك على الإطلاق: لأننى قد جربت ذلك فوجدته إنما يفعل ذلك فى بعض الأبدان دون بعض، والكىّ به أحسن وأفضل من الحديد كما قالوا. إلا أنك إذا أحميت الكواة فى النار من الذهب لم يتبيَّن لك متى تحمى عليه القدر الذى تريد لحمرة الذهب ولأنه يُسرع إليه البرد، وإن زدت عليه فى الحمْى ذاب فى النار والسبك فيقع الصانع من ذلك فى شغل. فلذلك صار الكىّ بالحديد عندنا أسرع وأقرب إلى الصواب للعمل».(٦). كما يظهر استقلاله فى إيثاره لأساليب معينة لم يسبقه إليها غيره، وذلك فى مثل قوله: «ولست أرى هذين النوعين من الكىّ البتة، إلا فى بعض الناس، وعلى طريق الغرر، وتركه عندى أفضل ومع السلامة»(٧).

ثالثاً: أدرك الزهراوى أن العلاقة جدّ وثيقة بين التقدم العلمى وبين تطوير آلات العمل وأجهزة القياس أو الرصد التى تكفل المزيد من الدقة والقدرة على التكيف نحو الأفضل، وهو يرى أن مقياس النجاح فى الطب مقياس عملى، يتمثل فى حصول الشفاء، أو تحقيق البرْء، بحيث تصبح حالة المريض فى عافيته غيرها فى مرضه، ولعل هذا ما دفعه إلى القول: بأن أجزاء صناعة الجراحة لا يدرك بالوصف، وإنما الصانع الحاذق يقيس بالقليل على الكثير وبما حضر على ما غاب، فذلك هو ما يُعين على التنبؤ بما عساه يحدث فى ظروف مشابهة، وإذا كان الثراء اللامحدود للواقع يجعل من اللازم الاقتصار على مراقبة عدد محدود من الوقائع إلى حد يتحقق معه الاطمئنان إلى إدراك قوانين هذا الواقع وثبات سننه الحاكمة، فإنه يبقى صحيحاً فى الوقت ذاته أن الاستقرار العلمى للواقع ـ مهما تكررت مناسبات الحدوث ـ هو فى النهاية استقراء ناقص، وربما كان من ثمار هذه التصورات المنهجية لطبيعة البحث العلمى لدى الزهراوى ما دفعه إلى ابتكار آلات جراحية جديدة، وتطوير أساليب جراحية رائدة دفعت بمهنة الطب قفزات إلى الأمام.

(يتبـــع)

---

(٥) مقدمة الباب الثالث من كتاب «التصريف» . عن المرجع السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المرجع السابق.

طرائف.. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« سلنى حاجتك »

قال الخليفة هشام بن عبد الملك لسالم بن عبد الله بن عمر عند الكعبة: سلنى حاجتك.

فقال: والله لأستحى أن أسأل فى بيته غيره، فلما خرج من المسجد قال هشام: الآن خرجت من بيت الله فاسألنى، فقال: من حوائج الدنيا أم الآخرة؟ قال: من حوائج الدنيا، فقال سالم: ما سألتها ممن يملكها، فكيف أسألها ممن لا يملكها.

سل الإله إذا نابتك نائبة ..
فهو الذى يرتجى من عنده الأمل
فإن منحت فلا من ولا كدر ..
وإن رددت فلا ذل ولا خجل

« هكذا كانوا .. »

كان عبد الله بن المبارك فى غزوة، فنزل عند نهر ونصب رمحه وربط فرسه وتوضأ، وشرع يصلى، فلما سلم وجد فرسه انفلتت وأكلت من الزرع، فقال: أكلت فرسى حراما، فلا ينبغى لى أن أغزو عليها، فتركها لصاحب الزرع، واشترى غيرها وغزا عليها.

« أنا ابن نفسى »

تكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب، فأعجب عبد الملك ما سمع من كلامه، فقال له: ابن من أنت، قال: أنا ابن نفسى يا أمير المؤمنين التى بها توصلت إليك، قال: صدقت، فأخذ الشاعر هذا المعنى فقال:

مالى عقلى وهمتى حسبى ..
ما أنا مولى ولا أنا عربى
إذا انتمى منتم إلى أحدٍ
فإننى منتمٍ إلى أدبى

« من هذه العلة مات فلان »

دخل رجل على عمر بن عبد العزيز يعوده فى مرضه فسأله عن علته، فلما أخبره قال: من هذه العلة مات فلان، ومات فلان، فقال له عمر: إذا عُدتْ المرضى فلا تنع إليهم الموتى، وإذا خرجت عنا فلا تعُد إلينا.

« قالـوا ... »

من سأل فوق حقه استحق الحرمان، ومن ألحف في مسألته استحق المطل، والرفق يُمن، والخرف شؤم، وخير السخاء ما وافق الحاجة، وخير العفو مع المقدرة.

« أيسرك أن تموت »

دخل سليمان بن عبد الملك مسجد دمشق، فرأى شيخاً، فقال: يا شيخ أيسرك أن تموت. فقال: لا والله، قال: ولم، وقد بلغت من السن ما أرى؟! قال: نفى الشباب وشره، وبقى الشيب وخيره، فأنا إذا قعدت ذكرت الله، وإذا قمت حمدت الله، فأحب أن تدوم لى هاتان الحالتان.

« حقيقـة »

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها ..
متى يمت عالم منها يمت طرف
كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها ..
وإن أبى عاد فى أكنافها التلف

« لك الرهان فقد غلبت خصميك »

اجتمع جرير والفرزدق والأخطل وهم ثلاثة من فحول الشعراء المطبوعين المعدودين فى مجلس عبد الملك، فأحضر لهم رهانا من المال، وقال: ليقل كل منكم بيتاً فى مدح نفسه، فأيكم غلب وظفر وسبق وانتصر على خصيمه فله هذا الرهان.

فبدر الفرزدق وقال:

أنا القطران والشعراء جربى ..
وفى القطران للجربى شفاء

وقام الأخطل وقال:

فإن تكُ زق زاملة فإنى ..
أنا الطاعون ليس له دواء

ونشط جرير وقال:

أنا الموت الذى آتى عليكُمُ ..
فليس لهارب منه نجاء

فقال له عبد الملك:

لك الرهان فقد صرعت مناظريك وغلبت خصميك.

« دعـاء »

(اللهم لك الحمد كما أنت أهله، فصل على سيدنا محمد كما هو أهله، وافعل بى ما أنت أهله، فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة).

تنمية الوعى البيئى لدى المسلم

للأستاذ الدكتور/ عبد الراضى حسن المراغى (*)

تحتل التوعية الإسلامية عموما مكانة كبيرة لدى المسلمين، فإذا ارتبطت هذه التوعية بالمفاهيم البيئية مثل الحفاظ على الموارد البيئية الطبيعية المكونة للنظام البيئى، وعدم استنزافها والعبث بها ودعمت هذه المفاهيم بتعاليم الإسلام، وتم الإسترشاد بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة؛ فسوف تعكس ذلك على سلوك المسلمين فى الحفاظ على هذه الموارد وتنميتها، ويمكن القول بأن التوعية البيئية الإسلامية هى: عملية يتم خلالها توعية الفرد والمجتمع المسلم بالبيئة من حوله وتفاعل عناصرها الحية (من نبات، وحيوان، وإنسان، وكائنات حية دقيقة) وغير الحية (من شمس وأرض، وقمر، وجبال، وبحار، ومحيطات، وأنهار، ورياح) والاجتماعية التى تناقش قضايا مثل تأثير الإنسان على البيئة، وتأثير البيئة المحيطة على الإنسان، والثقافية التى تناقش قضايا مثل القوانين والتشريعات البيئية.

فضلا عن تزويد الفرد والمجتمع المسلم بالمعارف والقيم والكفاءات والخبرات البيئية التى تؤهله لحل المشاكل البيئية التى تواجهه مثل التلوث البيئى بصوره، وأنواعه المختلفة[1]، صون التنوع البيولوجى، واستنزاف طبقة الأوزون، ومشكلة التصحر، وتدهور الأراضى الزراعية والغابات.

أهداف التوعية البيئية

١ ـ التوعية بالبيئة المحيطة والنظم البيئية المختلفة التى نعيش فيها ومن أمثلتها نظام البيئة الزراعية أو بيئة الحشائش، نظام بيئة المياه العذبة، نظام البيئة الصحراوية، نظام بيئة الغابات، ونظام البيئة البحرية، والمكونات البيولوجية والفيزيائية المختلفة لكل نظام من هذه الأنظمة وتفاعل بعضها مع البعض الآخر. وكيف خلق المولى ـ عز وجل ـ هذه الأنظمة وزينها بمقومات كثيرة ليختبر صنع الإنسان وعمله فيها قال ـ جل شأنه ـ فى محكم كتابه:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[2].

(*) الكاتب: أستاذ بكلية العلوم ـ جامعة الأزهر.

(١) د.عبدالراضى حسن المراغى، دعوة الإسلام إلى الرجوع عن تلوث البيئة ـ مجلة الأزهر ـ الجزء الحادى عشر ـ السنة الثانية والسبعون ـ ذى القعدة سنة ١٤٢٠ هـ.

(٢) سورة الكهف ـ الآية: ٧.

٢ ـ خلق الوعى البيئى الإسلامى الذى يدعو إلى الحفاظ على توازن البيئة الطبيعية وحماية مواردها الحية وغير الحية، ويتم ذلك فى إطار المحميات الطبيعية وحماية الحياة البرية والبحرية والصحراوية من الصيد الجائر، والعوامل التى تؤدى إلى الانقراض، وفى نفس الوقت تلبية حاجة الفرد والمجتمع التى تسعى إليها عملية التنمية الاقتصادية من هذه الموارد وحتى تصبح عملية تنمية متواصلة.

٣ ـ تربية الفرد المسلم منذ الصغر على حسن استخدام البيئة المحيطة من حوله.[٣]

٤ ـ دعوة الفرد إلى الاشتراك فى عملية حماية البيئة وتحمل المسئولية عما يسببه للبيئة من سلوك ضار، ويتطلب ذلك تشجيع القيم الإسلامية التى تدعو إلى ترشيد استهلاك الموارد الطبيعية مثل: ترشيد استهلاك الطاقة بأنواعها المختلفة من كهرباء، وبترول، وغاز طبيعى وطاقة السدود والرياح، وطاقة الاندماج النووى، وترشيد استهلاك المياه العذبة والتى أصبحت أحد مشاكل العصر الحالى وعدم الإسراف فى استهلاك هذه الموارد الهامة قال ـ تعالى ـ فى محكم كتابه:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[٤]

٥ ـ تنمية القدرات العلمية والمهارات الحقلية للفرد والمجتمع المسلم لوضع الحلول للمشاكل البيئية الملحة وتنفيذها. ومن أهم هذه المشاكل البيئية: الاحتباس الحرارى والتغيرات المناخية، صون التنوع البيولوجى، استنزاف المياه الجوفية، قطع الأشجار، الصيد الجائر، التلوث البترولى للبحار والمحيطات، التصحر، تلوث الهواء الجوى.

والهدف الرئيسى لتنمية الوعى البيئى لدى المسلم هو: المساهمة فى وقف عملية تدمير البيئة التى تحدث على مستوى الأفراد والمصانع والمؤسسات، ويتم ذلك عن طريق إيصال المعلومات إلى جمهور المسلمين حول قضايا البيئة، عن طريق: الدعاة وخطباء المساجد والبرامج الدينية فى وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وكذلك عن طريق الصحف والجرائد والمجلات اليومية والأسبوعية والشهرية.[٥]

تنفيذ برامج التوعية البيئية الإسلامية

١ ـ نقل الأخبار والمواضيع البيئية إلى جمهور المسلمين وتزويدهم بالدراسات والاحصاءات المتعلقة بالبيئة وتوعيتهم بما يطرأ على الأحداث والموضوعات البيئية من تطورات، ويتم ذلك بعقد الندوات والحلقات الدراسية وورش العمل للدعاة وخطباء المساجد.

٢ ـ تقديم القضايا البيئية الهامة بشكل

---

(٣) د.عبدالراضى حسن المراغى، التربية البيئية فى الإسلام، مجلة الأزهر شعبان ١٤٢٠هـ.

(٤) سورة الإسراء الآية: ٢٩.

(٥) د.عبدالراضى حسن المراغى، أد/ أحمد حسن عبدالرحمن: الاستراتيجية العربية لنشر الوعى والتثقيف البيئى. تحت النشر.

مبسط وتنمية الوعى عند جمهور المسلمين بأبعاد ومخاطر القضايا البيئية وآثارها عليهم كأفراد وعلى المجتمع الذى يعيشون فيه، بل وعلى المستوى العالمى عموما، ويتم ذلك عن طريق تبنى وسائل الاعلام المسموعة والمرئية والمقروءة عرض هذه القضايا من منظور إسلامى بمشاركة علماء الدين والبيئة قال - تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٦)

٣ - تعزيز المشاركة بين جمهور المسلمين وصناع القرار لإيجاد حلول للمشاكل البيئية الملحة لتوسيع القاعدة الجماهيرية المهتمة بالبيئة.

٤ - العمل على تقبل تغير السلوك المدمر للبيئة بسلوك الحفاظ على خيرات الأمة التى تشكل مصادرها ومواردها البيئية المتنوعة - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »(٧)

وهى دعوة خير وأمر بالمعروف، ونهى عن الإسراف والتبذير فى استهلاك وتدمير هذه الموارد.

إن النهى عن تلويث البيئة والإضرار بها وبمن يستعملها هو نهى عن المنكر قال - عز وجل :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٨).

وقوله - تعالى :

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾(٩).

٥ - إصدار كتيبات ثقافية تعالج قضايا البيئة من منظور إسلامى.

٦ - إعداد نصوص إذاعية وتليفزيونية تناقش قضايا البيئة من منظور إسلامى.

٧ - القيام بحملات إعلامية بيئية تتعاون فيها وزارات البيئة والإعلام والأوقاف لبيان الضرر الناتج من تلوث البيئة بحرق المخلفات على زيادة كمية غاز ثانى أكسيد الكربون على الهواء الجوى والذى يكون أحد أسباب السحابة السوداء (على سبيل المثال).

وعموما تحتاج التوعية البيئية الإسلامية إلى تكثيف وتضافر الجهود بين علماء البيئة وعلماء المسلمين لوضع إرشادات بيئية إسلامية يكون مصدرها الدين الإسلامى تجعل المسلم يحافظ على بيئته ويصونها وينميها.

---

(٦) سورة الزمر - الآية : ١٨.

(٧) رواه مسلم.

(٨) سورة آل عمران - الآية : ١٠٤.

(٩) سورة آل عمران - الآية : ٨.

خميلة الشعر

للأستاذ :

محمد عبد الوهاب

إن الإسلام هو دين السماحة والتسامح والدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- بالحكمة والموعظة الحسنة.

وما أجمل الشعر حينما تنساب فى جنباته هذه المعانى القيمة التى تجمع ولا تفرق.

وخميلتكم اليوم تقدم إليكم باقة مختارة، تعبق بمعانى الإيمان الحق، وتزهو بالمشاعر الإسلامية الفياضة ونستهلها بقصيدة: (فى ذكرى إمام الأدب العربى مصطفى صادق الرافعى) لصديق الباب الشاعر الأستاذ محمود الطاهر الصافى.

نقدم بعدها قصيدة: (الرضى) التى نرحب بمبدعها الشاعر المهندس لطفى فؤاد حسن لأول إبداع له بالخميلة.

ثم نتبعها بقصيدة: (الأم) للشاعر محمد عايش عبيد

وتقدم خميلة الشعر أيضاً قصيدة: (كن لى حفيظاً) للشاعر محمد على عبد السميع، الذى نرحب به أيضاً بالخميلة للمرة الأولى.

استدراك:

فى العدد الماضى قدمت قصيدة «مسافر عبر الزمان» للشاعر الأستاذ/ السيد الصديق حافظ تحت عنوان: (هو الله)، بينما قصيدة (هو الله) للشاعر الكبير/ أحمد عبد الهادى، فقد سقط نشرها بالعدد الماضى سهواً، وننشرها فى هذا العدد مع تقديم اعتذارنا للشاعرين الكبيرين.

اللهم اهدنا سُبل الرشاد، وهيىء لنا الخير.

يا أكرم من سُئِل، ويا خير من أعطى.

والله ولى التوفيق

في ذكرى إمام الأدب العربي مصطفى صادق الرافعي

للشاعر / محمود الطاهر الصافي

يُريدُون حَجْبَ الشمسِ خَلْفَ السواتِرِ ... ومَنْعَ مثالٍ للعُروبةِ سائرِ

مثالُ بيانٍ لم يرَ الدهرُ مثلَهُ ... ولا مثلُهُ في النابغينَ العباقِرِ

تحزَّبَ أقوامٌ إلى كُلِّ منهجٍ ... ومنهجُهُ في الحقِّ فخرُ المفاخِرِ

مذاهبُهُم شتَّى إلى كُلِّ بدعةٍ ... ومذهبُهُ مثلُ النهارِ المُجاهِرِ

فكم شرَّقوا أو غرَّبوا أو تعصَّبوا ... وإيمانُهُ كالطودِ غيرُ مُسايرِ

فدافعَ عن آيٍ وأنوارِ سُنَّةٍ ... دفاعَ فدائيٍّ مُريدِ المخاطِرِ

مقالتُهُ ذادت عن الدينِ فتنةً ... وردَّت هجوماً من عدوٍّ مُكاشِرِ

وكانَ كلامُ الرافعيِّ شموسنا ... إذا هجمَ الإلحادُ مثلَ الدياجِرِ

فكانَ هو الحزبَ الإلهيَّ وحدَهُ ... وأحزابُ غيرِ اللهِ فوضى المصادِرِ

ولكنَّهُ ردَّ العدوَّ ممزَّقاً ... بعلمٍ كبحرٍ موجُهُ جدُّ هادِرِ

فصارَ تُراثُ الرافعيِّ منارةً ... يُضيءُ ظلامَ العالمينَ لحائرِ

تجلَّى عليه نورُ دينٍ وحكمةٍ ... من السُّنَّةِ الغرَّاءِ مثلِ الأزاهِرِ

فجدَّدَ في كُلِّ النفوسِ هدايةً ... وأظهرَ في الإيمانِ أعلى النوادِرِ

فما هو مسبوقٌ ولا هو مُدرَكٌ ... وغايةُ من عاداهُ صفقةُ خاسرِ

وفي فكرِهِ للعالمينَ سُموُّهُم ... فموقعُهُ في الفنِّ أسمى المناظِرِ

وما حجبوهُ! أينَ من يحجُبُ العُلا؟ ... ويُخفي سماءً بالأكفِّ القواصِرِ

فما هو إلا النورُ يُنشَرُ صامتاً ... وأعداؤُهُ مثلُ الطبولِ السوادِرِ

وبعدَ قليلٍ سوفَ يذهبُ زيفُهُم ... وتلفيقُهُم بينَ القُرى والحواضِرِ

يُضيءُ على أُفقِ الوجودِ بآيةٍ ... ويكشفُ (إعجازاً) عجيبَ السرائرِ

وما نفحاتُ (الوحيِ) إلا سواطعٌ ... من النورِ تأتي كالشموسِ الظواهِرِ

وما شعرُهُ إلا رنينُ سواجعٍ ... على روضةٍ غنَّاءَ نورِ النواظِرِ

وعِنْدَئِذٍ يَعْلُو كَلامُ إلَهِنَا ... ويَعْبُرُ دِينُ اللّه كُلَّ المَعَابِرِ
وتُرْجَعُ للآدَابِ أعلَى بَلاغَةٍ ... وتَبْطُلُ أَفْكَارٌ مَلاذُ عَشَائِرِ
ونُنْقِذُ كُلَّ العَالَمِينَ بدِينِنَا ... ونَرْفَعُ عَنْهُمْ ظُلْمَ بَاغٍ وكَافِرِ
ويَعْظُمُ (إعْجَازُ الكِتَابِ) بأُفْقِنَا ... ويَأْتِي لَنَا مِنْهُ جَلِيلُ البَوَاهِرِ
ويُرْحَمُ كُلُّ النَّاسِ مِمَّا يُضِلُّهُمْ ... وتُرْغَمُ أَعْدَاءٌ بِسَطْوَةِ قَاهِرِ
ويَرْتَفِعُ الإسْلامُ فِي كُلِّ مَوْقِعٍ ... وكَوكَبُنَا تَعْلُوهُ خَيْرُ البَشَائِرِ
هُوَ الحَقُّ والعَدْلُ المَتِينُ هُوَ الهُدَى ... مَلاذٌ مِنَ الطُّغْيَانِ أو جَوْرِ جَائِرِ

الرضى

للأستاذ : لطفى فؤاد حسن

أوجعتنى بالهجر.. مالك توجع ؟ ... وخدعتنى بالغدر.. مالك تخدع ؟
ورميتنى للهاجسات تنوشنى ... فتشدنى حينا وحينا تدفع
وحسبتنى مذ غبت طفل شكاية ... أشكو جفاك إلى الطيور فتدمع
وأنا الذى سفح السنين تأوها ... وأنا الرضى بحالتى والطيع
لا بل أقص على الطيور حكايتى ... أبكى ابتهالا والبكاء تضرع
وأذود عن نفسى أصد مواجدا ... وأزيح عن قلبى الهموم وأدفع
ما حيلتى والوجد فتت مهجتى ... وأقض متكأى وراح يضعضع
يا منتهى أملى ومبعث حيرتى ... إنى على درب اشتياقك ضائع
لما نزلت بساح روحى عاصفا ... وقصدت تبريحى ورحت تصارع
أدركت أنى لا محالة ذاهب ... فى اثر من ذهبوا الغداة وشيعوا
فجمعت من كتبى ومن شعرى ومن ... سير الأحبة ما يفيد وينفع
وسألت عن زاد يعين على الجوى ... قلبت أوراقى ورحت أراجع
فأطل من باب العناية بارق ... بالنور يغسلنى فقمت أبايع
يا سائلا والقرب غاية سؤله ... لا تبتئس فالقرب لما تخشع
لاه عن الرجعى وقلبك ضيق ... حرجا ودربك للبلايا مرتع
فاصدع بما تؤمر فربك راحم ... والروض منبسط الجوانب واسع

« الأم »

للشاعر / محمد عايش عبيد

هدية إلى أمي وإلى كل أم عانت وعرفت معنى الأمومة من لدن حواء العظيمة إلى آخر الدهر

أماه، واسمك في الفؤاد هواه ... ما دمت حياً لن يزول صداه
لك أنحني مهما بلغت من الدنا ... فالانحناء إليك ما أحلاه!!
بالانحناء إليك أسمو للعلا ... والذل بين يديك ما أسماه!!
لرضاك أرجو دائما لأناله ... إذا ما رضيتِ فثم يرضى الله
منك الحنان فلا حنان مثيله ... هو من إله العرش ما أصفاه!!
تعطين للأبناء كأس محبّة ... أكرِمْ بذاكَ الحبُ ما أنداه!!
حبّ طهور للوليد سما به ... أعطاه للأتراب في دنياه!!
قد صار مألوفاً أليفاً مرتضىً ... في قومه فالغدر لا يرضاه
أرضعته الإخلاص مع ألبانه ... والحب فهو يُحبُ مَنْ والاه
وحملت أعباء الطفولة عن رضىً ... لا قسر في هذا ولا إكراه
ميراث حواء العظيمة عندما ... وضعت وليداً جاء مع أنثاه
أماه يا أخت الجهاد تحية ... فيها الوفاء يفوق كل مداه
لولاك ما شبّ الرضيع ولا غدا ... رجلاً ينال المجد من علياه
قد شَبّ عن طوق الطفولة يافعاً ... لولا يداك تعثرت قدماه
شفتاك تعطيه الحنان بقبلة ... فيها غذاءُ العمر ما أهناه!!
تُدنينه في دفء حضنك ضمةً ... هي شربه وطعامه وغطاه
إن نام نِمْتِ فلن تنامي قبله ... وإذا بكى ناديت، يا ولداه
وإذا أصيب بوعكة لازمتِه ... خوفاً عليه من الردى يغشاه
وبلمسة فيها الحنان جميعه ... هي دفؤهُ ودواؤهُ وشفاه
بوركت يا أم الرجال على المدى ... يا كل نبض الحب .. ما أنداه!!
أماه يا كل الوفاء وصدقه ... هذا نشيدُك فاسمعي مغناه
من أعذب الألحان ها قد صغته ... وزناً ونظماً مشرقاً معناه
هاكي المودة ما حييت فإنني ... صدق المودّة منك لن أنساه
وضراعة بالصدق أدعو خالقي ... أن تسكني الفردوس في أعلاه

كن لى حفيظاً

للشاعر / محمد على عبدالسميع

لبارى الخلق قمت على اشتياق — أناجى أكرم المتفضلين
وأسأله العطاء ففضل ربى — وفير لا يضيق بطالبينا
سأهرع ضارعا لله ربى — وأنهض فى ثياب التائبينا
بحفظك بارئى كن لى حفيظا — فأنت تذل كل المارقينا
وصنى خالقى من كل سوء — وجنبنى فعال المخطئينا
وهبنى يا إلهى منك فضلا — فأشرب من كئوس المتقينا
سألتك بالجلال وبالجمال — عطاءك يامليك المالكينا
وأنت مليك ذا الكون الفسيح — وغيرك فى عداد العاجزينا
ترى كل الأمور بكشف علم — وعلمك يكشف السر الدفينا
وما استعصى لدى الإيجاد شيء — وكل الخلق جاءوا خاشعينا
وأنت المبدع الرزاق ربى — بذا نطقت قلوب العارفينا
وما نحصى الثناء عليك ربى — وجل ثناء رب العالمينا
فمنك لك الثناء بكل وصف — حميد رغم أنف الجاحدينا
بذا هتف الفؤاد عن اقتناع — وحسى والجوارح أجمعينا
فإنك وحدك القدوس ربى — وكل من امترى فى الهالكينا
وللبارى المهيمن سوف أشدو — بحمدى فى جموع الحامدينا
كذا منى الصلاة بكل وقت — على خير الخلائق أجمعينا

***

هو الله

للشاعر / أحمد محمد عبدالهادى

سبحان ربى فالق الإصباح ** سبحان ربى عدتى ونجاحى
سبحان من أزجى إليه شكايتى ** سبحان ربى الرازق الفتاح
سبحان ربى من إليه توسلى ** سبحان من عليه توكلى
سبحان عون الوحيد الأعزل ** سبحانه فى غدوةٍ ورواح
من علم الإنسان مالم يعلم ** وهدى المسافر فى الدجى بالأنجم
وأعد للطفل الضعيف شرابه ** لبنا خفيف الهضم حلو المطعم
الله علم عبده وأعزه ** وهدى الغريب كما سقى الطفل الظمى
من أيقظ الأطيار إبان السحر ** تشدو وتسعى للغذاء بلا حذر
وتعود للأعشاش مالئة الحشا ** لتزق أفراخاً صغاراً تنتظر

الله أيقظها وأطلق شدوها
وأطارها للعيش من فوق الشجر

من أخرج الشجرِ العظيم من النواه ** وأقله الثمر الجميل كما تراه
وأعده للناس حلواً طيباً ** شتى المذاق وقد سُقِى نفس المياه

الله أخرجه وحمله الجنى
وسقاه ماء واحداً يجرى الحياة

من ذا الذى رفع السماء بلا عمد ** ومن الذى يعطيك إن ترجُ المدد
ومن الذى يدرى بسرك فى الخفا ** ويقيك سيء مابصدرك من كمد

الله رافعها السماء وعالم
بالسر وهو البارىء الفرد الصمد

من ذا الذى ناداه من قلب البحار ** قوم على الفلك الذى لقى الدمار
ريح وأمواج ترامت فوقهم ** فأتى بهم للبر ثم إلى الديار

الله نجاهم وأذهب روعهم
ووقاهم الله الهلاك والاندثار

من ذا الذى نظم الكواكب فى الفلك ** وترى النهار إذا مضى يأتى الحلك
بأدق ما كان النظام ودونما ** خلل ولاتلقى الكواكب تشتبك

الله ناظمها بغير مساعد
وهو المليك أجلْ ومالك من ملكٍ

من أخرج الإنسان من ماء مهين ** ونشاه أطواراً على مر السنين
وأجاد صورته وأبدع خلقه ** وهداه بالتفكير للحق المبين

الله أبدعه وأكمل خلقه
وحباه عقلا يستضىء به اليقين

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

زهد الرعاة

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد خليفة

إعداد وتقديم الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من المعلوم لكل ذى بصر وبصيرة أن الدين الإسلامى هو الصورة الكاملة لشرائع الله، وضع فيه شارعه الأعظم وهو فاطر الأرض، وواهب الحياة ومنزل الوحى أسس القواعد التى تكفل للعالم نظامه وسلامه، وللمجتمع وحدته وقوته، وللفرد سعادته وكرامته، مهما يتطاول الأمد، وتتغير الحياة.

إن هذا الدين الذى تمسك به السادة والقادة من أمثال عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز - رضى الله عنهما - فرفعهم إلى الذروة، وضمن للخلافة فى عهودهم العزة والمنعة والقوة، لايزال هو الدين لايغيره الزمن، ولاتجافيه الطبيعة ولايعاديه العلم، هو الدين الذى هدى النفوس الحائرة، وأنجب رجالا عاشوا لأداء رسالتهم، أحيوا العدل، وأثاروا الإنصاف، وأعطوا من سيرتهم وسلوكهم وأخلاقهم وتدينهم واعتدال ميزانهم فى تقدير الأشياء وحل المشكلات وفهم المعضلات ماجعل الناس يلتفون حولهم، ويبالغون فى الولاء لهم، والتمسك بهم، وما أظن وراء هذا كله من العدل والإنصاف، والتفانى فى خير الناس، غير أنه الورع والتقوى، والمبالغة فى مراقبة العزيز الجبار الذى لايأمن مكره إلا الكافر، ولاينسى رهبة عذابه إلا الجاحد.

وللمزيد من الإيضاح قال الكاتب - رحمه الله -:

اللهم قبسا من نورك الذى وسع السموات والأرض، يهدى النفوس الحائرة بين ظلمات المادية، ويربطها بشعاع من روحانية السماء، وينجب للحياة رجالا يعيشون للمجتمع لالأنفسهم، ويتفانون فى إسعاد أممهم لاذواتهم رجالا تشرق فيهم روح عمر بن الخطاب فى تقشفه، وحفيده عمر بن عبدالعزيز فى زهده.

إنهما مثلان خالدان للتقشف والزهد تجردا من مادية الدنيا ومتاع الدنيا، واستعذبا مرارة الحرمان، واستمرآ خشونة العيش، وإن روعة التقشف لاتتجلى فى معدم يقضم كسرة

جافة أو يزدرد لقمة متعفنة، ولكنها تتجلى فيمن يملك خزائن المال، ويحرم نفسه منه ليحيى به غيره، ويعيش بنفسه فى دنيا من الفاقة والبؤس، فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى فتحت جيوشه بلاد فارس، وأخضعت بلاد الشام وملكت مصر وعج بيت ماله بما حوى إيوان كسرى، وما يغل دجلة والنيل والفرات، عمر هذا يعيش كجمهرة الناس يلبس ما يلبس الناس، ويركب ما يركب الناس، ويفترش الثرى مع الناس، إنه يؤمن بأن أمير المؤمنين مسئول بين يدى الله عن المؤمنين، مسئول عن أخلاقهم، ومعاشهم وأمنهم وراحتهم، مسئول عن الدالجين فى ظلمات البيد، والهاجعين بين أفياء الحضر، فيعيش بيته على خمسة دراهم فى اليوم تنفق فى طعامه وطعام أهله ليوفر لغيره من المسلمين ما يقيم أودهم، وإنه يعس لعله يجد بين الأكواخ كهلا حطمته السنون، لايستطيع الكدح فى طلب العيش أو عساه يلقى أرملة أقعدها الحياء عن السؤال، إنه يرهب سؤال ربه عن أمثال هذين وغيرهما، ويرى أن حساب الخليفة عسير، ومن ثم فهو ينكر على من رشح ابنه عبدالله للخلافه قوله ويجيبه: حسب آل الخطاب أن يُسأل واحد منهم عن أمة محمد.

لقد بنى عمر نفوسا صالحة للولاية والعمل؛ ولغير الولاية والعمل.

يبنى الرجال وغيره يبنى القرى
شتان بين قرى وبين رجال

لقد نشأ الأمة العربية نشأة تجلت فيها سياسته العظيمة التى يكشف عنها كتابه إلى أبى موسى الأشعرى.

«وقد بلغنى أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك، ليس للمسلمين مثلها؛ فإياك يا عبدالله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بواد خصيب، فلم يكن لها هم إلى السمن، وإنما حتفها فى السمن، واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته، وأشقى الناس من شقى الناس به والسلام».

وهكذا تشدد عمر على عماله ليعيشوا كما يعيش الناس منهم المثل يقتدى بها، وكما يكون الراعى تكون الرعية.

دخل عمر منزل أبى عبيدة فلم ير إلا لبدا، وإناء وقربة بالية، وسأله عن طعامه فأخرج له من سلته كسيرات، فبكى عمر وقال: غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة.

أى دنيا تلك التى غيرتك ياعمر؟ ترى هى دنيا الحرمان الذى عشت فيه تحاسب زوجتك على الخمسة دراهم التى أدخرتها من قوتها وصنعت لك بها حلوى فأبيت إلا أن تحرمها وتحرم نفسك وتحمل الحلوى إلى بيت المال؟

ولم يكن عمر ولا أبوعبيدة وحدهما الزاهدين بين المسلمين، ولكن بين المسلمين الكثير من أمثالهما فمعاذ بن جبل يرسل إليه

عمر بأربعمائة دينار، وهو وال ليستعين بها على العيش. فينفقها معاذ على الفقراء إلا قليلا طلبته امرأته منه لحاجتها ويعلم عمر بماصنع فيقول: الحمد لله الذى جعل فى الإسلام من يصنع هذا، وكيف لايصنع هذا وأكثر من هذا فى عهد الخليفة الزاهد عمر، إن معاذ بن جبل لايريد أن تنتعش نفسه بأربعمائة دينار، وإلى جانبه فقراء قد لايجدون لقيمات؛ بل إن معاذ رأى سعادة نفسه فى إسعاد غيره.

وسعيد بن عامر عامل حمص يشتكيه أهلها إلى عمر ويطلبون منه عزله لأنه لايخرج للناس حتى يرتفع النهار، ولأنه لايجيب أحدا بليل، ولأنه يعتزل الناس يوما فى الشهر لايخرج فيه، ويسأل عمر عنه فيعلم أن عامله يعجن كل يوم خبزه ويخبزه بنفسه ثم يخرج، وأن ليله يقضيه فى العبادة وأنه يغسل ثيابه مرة كل شهر فيبعث إليه عمر بألف دينار ليستعين بها فيفرقها سعيد على جيوش المسلمين، فأى نفس كانت نفس سعيد هذا؟ إنها النفس الملائكية التى ارتفعت عن المادة وسمت ففى الساعة التى يصل فيها إلى يده ألف دينار يقسمها على جيوشه ويعود إلى بيته كما كان يخدم نفسه ويغسل ثيابه.

وقد جاء سعيد هذا إلى المدينة فلم يجد عمر معه غير عكاز يحمل عليه زاده، وقدح يأكل فيه فلما رآه عمراً كبر فيه زهده وورعه.

وكما حاسب عمر نفسه وتشدد فى حسابها، حاسب عماله، وتشدد فى حسابهم؛ فقد قيل: إنه مر ببناء يبنى بحجارة وجص فقال: لمن هذا؟ فذكروا عاملا له بالبحرين، فقال: أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها! وشاطره المال! كما صادر أموال عمرو بن العاص، وهو القائد العظيم الذى فتح مصر وحكمها، وساعده خصبها على إنماء ثروته.

وصادر أموال أبى هريرة وهو من السابقين الأولين، وصادر أموال سعد بن أبى وقاص خال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فما حابى ذلك النسب، ولاتملق ذلك الحسب.

وصادر أموال خالد بن الوليد سيف الله المسلول، الذى نصر الله به المسلمين فى كثير من معاركهم، فلم تمنعه مكانة خالد الحربية، ولامنزلته القرشية من مصادرة أمواله لحساب المسلمين لا للهوى وللغرض.

وقد تقبل منه هؤلاء المصادرة طيبة نفوسهم؛ لأن عمر حرم التجارة واستثمار الأموال على ولاة الدولة وعمالها ليحبسوا جهودهم وعقولهم لخدمة المسلمين.

وأما أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز، فكانت خلافته كلها زهدا فى الدنيا وإعراضا

عن متاعها، فأول عمل بدأ به خلافته أنه نزل عن أملاكه التى ورثها عن أبيه، لأن أباه لم يشترها بماله، وإنما أُقطعها كغيره من أمراء بنى أمية، فهى حق للمسلمين، كما قطع عن بنى أمية جوائزهم وأرزاق حراسهم، ورد ضياعهم إلى الخراج، وأبطل قطائعهم، وبذلك سوى بينهم وبين غيرهم من المسلمين.

وإنه لعظيم أن يبدأ بنفسه فيرد أمواله إلى بيت المال، ثم يُثنى بأهله فيقطع عنهم ما فرض لهم من جوائز؛ فليس أبناء أبى سفيان أو مروان أعظم عند الله والناس من أحفاد رسول الله – صلوات الله عليه – أو غيرهم، فالناس سواسية، لافضل بالإمارة وإنما الفضل بالتقوى وزينتها الزهد.

ولقد كانت غلة عمر بن عبدالعزيز من أرضه حين بويع بالخلافة خمسين ألف دينار (٢٥ ألف جنيه) ومازال يرد إلى بيت المال أرضه حتى بلغ ما تغله الأرض التى يملكها عند وفاته مائتى دينار (١٠٠ جنيه) فى السنة.

وقد خصص لبيته درهمين نفقة فى اليوم، فقيل له إن عمر بن الخطاب كان يأخذ من بيت المال خمسة دراهم فى اليوم، فقال: إن ابن الخطاب لم يكن له ماينفق منه، أما أنا فلى من المال مايعيننى.

وما أتقى نفس الخليفة عمر بن عبدالعزيز حين رأى زوجته فاطمة بنت الخليفة عبدالملك بن مروان فى ثوب كان قد أهداه لها أبوها، وقد نسج بالذهب ونظم بالدر، فقال لها: اختارينى أو اختارى الثوب، فإن اخترت عمر فسأجعل الثوب فى بيت مال المسلمين، وإن اخترت الثوب فلست لك بصاحب! فقالت: أعوذ بالله من فراقك ياأمير المؤمنين! فضم الثوب إلى بيت المال.

وهكذا رأى عمر فى ذلك الثوب ما ينم عن البذخ والإسراف، وكيف يضمه بيت مع امرأة ليس لها إحساس عمر!

حسبك ياعمر شهادة ملك القسطنطينية الذى بكاك حينما نعيت إليه وقال: لم أعجب لهذا الراهب الذى ترك الدنيا وعبدربه على رأس صومعته، ولكننى عجبت لهذا الراهب الذى صارت الدنيا تحت قدميه فزهد فيها حتى صار مثل الراهب.

أيها المسلمون الذين زخرت خزائنهم بكنوز الذهب وملكوا الضياع وشادوا العمائر، ورفلوا فى نعيم الدنيا، وعاشوا لشهواتهم وبطونهم: هذه صور من زهد الرعاة وتقشف الحاكمين وسياسة الراشدين، لعل فيها مايخلق فى المسلمين جيلا جديدا من الحكام والمحكومين يبنى للإسلام مجده، ويخلد للتاريخ ألسنة شاكرة، ويعمل للآخرة، والآخرة خير وأبقى.

الله هاديها

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

استئناساً بالجواب الشافى الذى ورد فى القرآن الكريم، رداً على كل الأسئلة المحيرة فى الكون والكائنات، والذى جاء فى الأمر الكريم:

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾(1). **وسيراً على درب العلم الإلهى الذى بينه الله فى قوله سبحانه:**

﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾(2).

تظل شهية الإنسان لاستجلاء المجهول واستكناه أسرار الدنيا وحل ألغازها شهية لا يصيبها السأم، ولا يعرف إليها الملل سبيلاً. فطبيعة الإنسان حب المعرفة والانتشاء بعبق كل جديد، ندبته إلى البحث عنه، يد القدرة الإلهية وحثته على الهتاف به آيات الذكر الحكيم، قال تعالى:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾(3).

ومن هذه الأمور الغامضة عبر القرون والتى لا يمل الإنسان البحث فيها، ما يحيط بهجرة الطيور والحشرات من عجائب وإبداعات. ولاتزال الكيفية التى تتعرف بها ملكات الفراشات على وجه الخصوص الاتجاه الذى تسلكه فى أثناء رحلة طيرانها فى هجرة كل عام، سراً جديراً أن يماط عنه اللثام، فعندما قام العلماء بدراسة الصفات التشريحية لذلك المخلوق الرقيق ذى الألوان الزاهية الجميلة، رأوا عجباً من خلق الله، وما بث فى دنياه، فمن مكونات هذا المخلوق توجد -أحياناً- بعض الجزيئات التى بدا أنها مصنوعة من معدن يسمى «الماجناتايت» وهو أكسيد الحديد الأسود وتعتبر تلك المادة أحد أشكال

---

(1) سورة الأعلى/ ١ : ٣.

(2) طه/ ٥٠.

(3) طه/ ١١٤.

أكاسيد الحديد، وحين توافرها بكميات كبيرة تعد خاماً مفيداً من ذلك المعدن، لكنَّ تضاؤل كمياتها لا يقلل أبداً من جدواها أو ينفي نفعها، وتتمثل فائدتها العظمى فيما يوحى به اسمها، وهو عنصر (المغناطيس) الذى أوجده البارى فى الطبيعة، وهو يعد المركب الرئيسى والمكون الأساسى للبوصلات الأولى فى الكون.

وحتى لا يأخذنا زورق العلم بعيداً عما نود التركيز عليه نقول: إن ملكات الفراشات تشتهر بسفرها المسافات الطوال دون أن تصحب معها خرائط أو رسومات تستدل بها على الطريق، وهى بذلك حازت قصب السبق فى هذا المجال، متفوقة حتى على قدامى البحارة الذين كانوا يواجهون شتى المصاعب فى خوضهم عباب الأمواج.

ولهذه الملكات رحلات متعددة وتنقلات لا يعد لها قرار، ففى الشتاء يأخذ كل جنس الملكات الذى يبلغ حوالى مائة مليون من المخلوقات فى البيات الشتوى، وذلك فى بضع غيضات ورياض كثيرة الأشجار كثيفة الأغصان، فى قلب المكسيك، وما إن يأتى الربيع -باسم السن مشرق المحيا- حتى تشرع كل تلك الحشرات فى الطيران جهة الشمال.

أما إذا حل الصيف اتجهت الملكات بعيداً بعيداً ناحية كندا، وما إن يضرب الخريف أطنابه حتى تنقلب الصورة، إذ أن الملكات التى هاجرت فى الربيع إلى الشمال تقوم أحفادهن بالهجرة ناحية الجنوب التماساً لما فى أشجار المكسيك من أمان وغذاء وفير، ولقد كان النجاح الذى تحققه هذه الملكات ولايزال مبعث حيرة ودهشة علماء الحشرات والهوام لعشرات السنين، ويكمن سر ذلك الانبهار بهجرة ملكات الفراشات فى أنها لا تهاجر فى جماعات كالطيور، وإنما تهاجر فرادى. أى: أنها لا تتبع قائداً يرشدها، أو موجهاً يأخذ بأجنحتها إلى الوجهة الصحيحة.

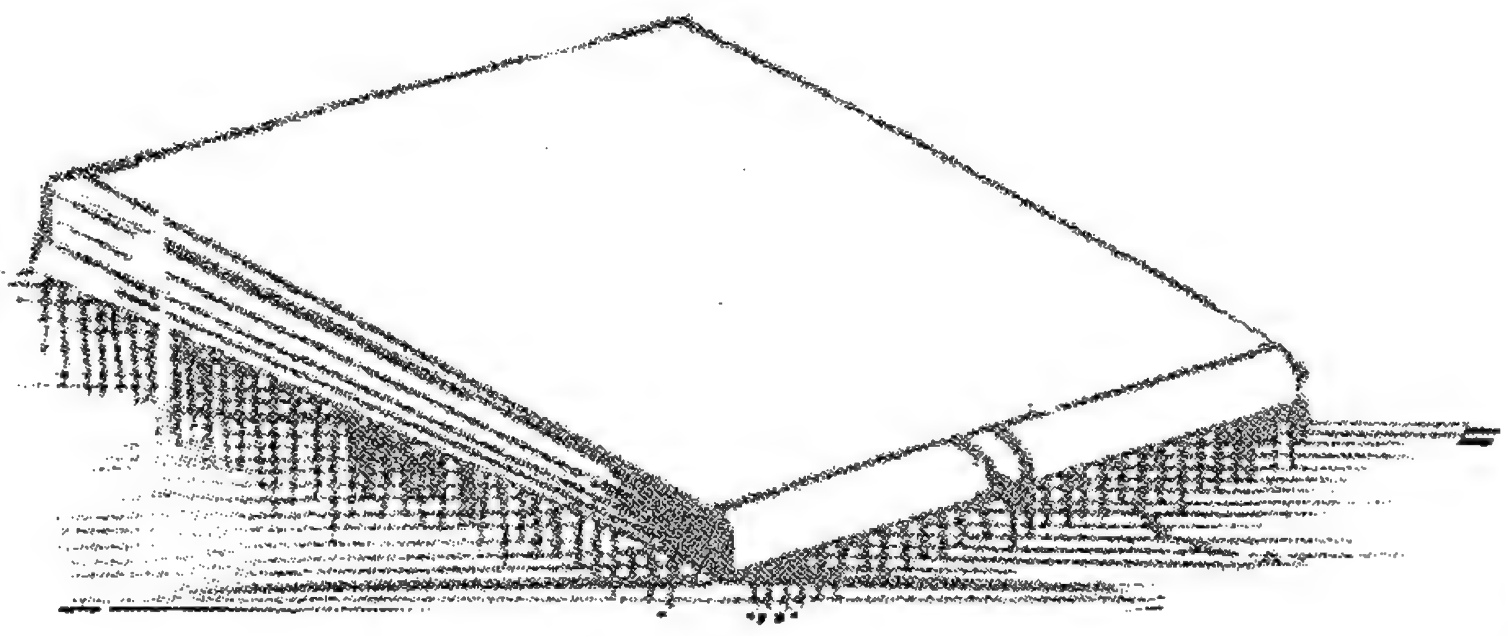
وبعد: فقد نشرت دراسة فى مجلة (Proceedings of the Nat ional Academy of Sciences).

أزالت بعض الغموض الذى يحيط بهجرة ملكات الفراشات ويشرح السبب الذى يجعلها تحمل بين مُركَّباتها مقدارا صغيراً من خام الحديد.

فقد اختبر الأساتذة الباحثون فكرة مؤداها أن ملكات الفراشات تحوى بداخلها بوصلة مغناطيسية، تبين لها الاتجاه الذى تسلكه فى طريق الذهاب والإياب، وقاموا أولاً بأخذ بعض الملكات التى كانت على وشك أن تبدأ رحلة الخريف وأجروا عليها تجربةً بسيطةً، إذ تم إطلاقها فى وسط حجرة مستديرة الشكل، فطارت على الفور، واستمرت فى الطيران، وواصلت القفز والركض، حتى بلغت جدار الحجرة، ثم قام العلماء بتسجيل النقطة التى حطت عليها الفراشات أولاً، وبالتحديد، ثم اتخذت التجربة

منحى آخر، إذ تم تقسيم الملكات موضوع التجربة إلا ثلاث مجموعات، حيث تبعت المجموعة الأولى فى طيرانها المجال المغناطيسى العادى للأرض، ومن ثم اتجهت معظم تلك الحشرات إلى الجنوب الغربى أى الاتجاه الذى تسلكه فى رحلة الهجرة فى الخريف، أما المجموعة الثانية فقد أحيطت بجو يخالف سابقتها، إذ تم وضع الحجرة المذكورة فى التجربة الماضية فى داخل غرفة أكبر منها وتم طلاء حوائط الغرفة الجديدة بسبيكة مكونة من معادن النيكل والحديد والنحاس والموليبدينوم وهو عنصر معدنى هش يمزج بالفولاذ، لحفظ صلابته ضد الحرارة الشديدة. وهذه السبيكة تعكس المجال المغناطيسى، وهنا حدث ما لم يكن فى الحسبان، فقد هامت الملكات على وجوهها، وضلت طريقها وأخذت تطير طيراناً عشوائياً على غير هدى، أما بالنسبة للمجموعة الثالثة فقد تم إحاطة الحجرة -تمييزاً لها عن الغرفة السابقة- بحلازون أو لولب أو حاوية كهرومغناطيسية، واستخدم هذا الحلازون لإنتاج مجال مغناطيسى يشبه فى قوته المجال المغناطيسى للأرض لكن مع تعديل جذرى، هو أن تكون الأقطاب متعاكسة بغرض إحداث التنافر بينها ورداً على هذا الوضع المقلوب قامت الملكات بالطيران جهة شمال الشرق، وتوحى هذه النتائج أن هجرة ملكات الفراشات يوجهها فى واقع الأمر بوصلة مغناطيسية ربانية وعلى الرغم مما تبين من تجارب سابقة من أن الشمس إلى جانب المجال المغناطيسى للأرض داخلة فيما تستدل به الطيور والحشرات فى هجرتها من مكان إلى آخر فإن فى الأمر سراً كامناً، لكن الجديد فى هذه التجارب هو أنه تم تنفيذها داخل غرف ليس بها أى نوافذ وذلك بغرض استبعاد الشمس من التجربة، وأما تفسير وجود تلك البوصلة داخل الفراشات، فإنه أمر يتطلب تنوعها من جيل إلى جيل، فغريزة الطيران ناحية الجنوب الغربى لن تكون ذات جدوى فى الربيع حينئذ، وحتى الآن فإن الباحثين لم يتأملوا سر ملكات الفراشات المهاجرة أثناء فصل الربيع، لكنهم قاموا بدراسة بعض الملكات اللاتى بقين ثاويات فى أماكهن فى الربيع، وهن طبعاً أحفاد أولئك المهاجرين، لكنهن لم يعشن طويلاً ليفعلن ما فعل الآباء والأمهات، والسبب أن الحاسة المغناطيسية لديهن قد تلاشت وزال أثرها، وأما إن كانت تلك المخلوقات سوف تجشم نفسها عناء إنتاج المغناطيس فإن ذلك أمراً يحتاج أن يقول العلم فيه قولاً حاسماً ورأياً فصلا، ولربما كانت الحقيقة هى أن تلك الفراشات الرقيقة لم يجدن من يعتنى بهن من كبار الفراشات، ويعلمهن كيف يطورن ما لديهن من إمكانات، ليستفدن منها أقصى فائدة ممكنة، وعلى أية حال فإن البارى ـ سبحانه ـ قد وهب لكل مخلوقاته من العطايا والمنح والنعم والهبات والآلاء ما يحفظ عليها حياتها، ويجعلها تتعايش فى البيئة التى توائمها وتأخذ منها ما يلبى حاجياتها، ويتماشى مع طبيعتها أياً كانت.

دوحة الكتب



إعداد:
محمود الفشنى

قاموس كلمات القرآن للأطفال

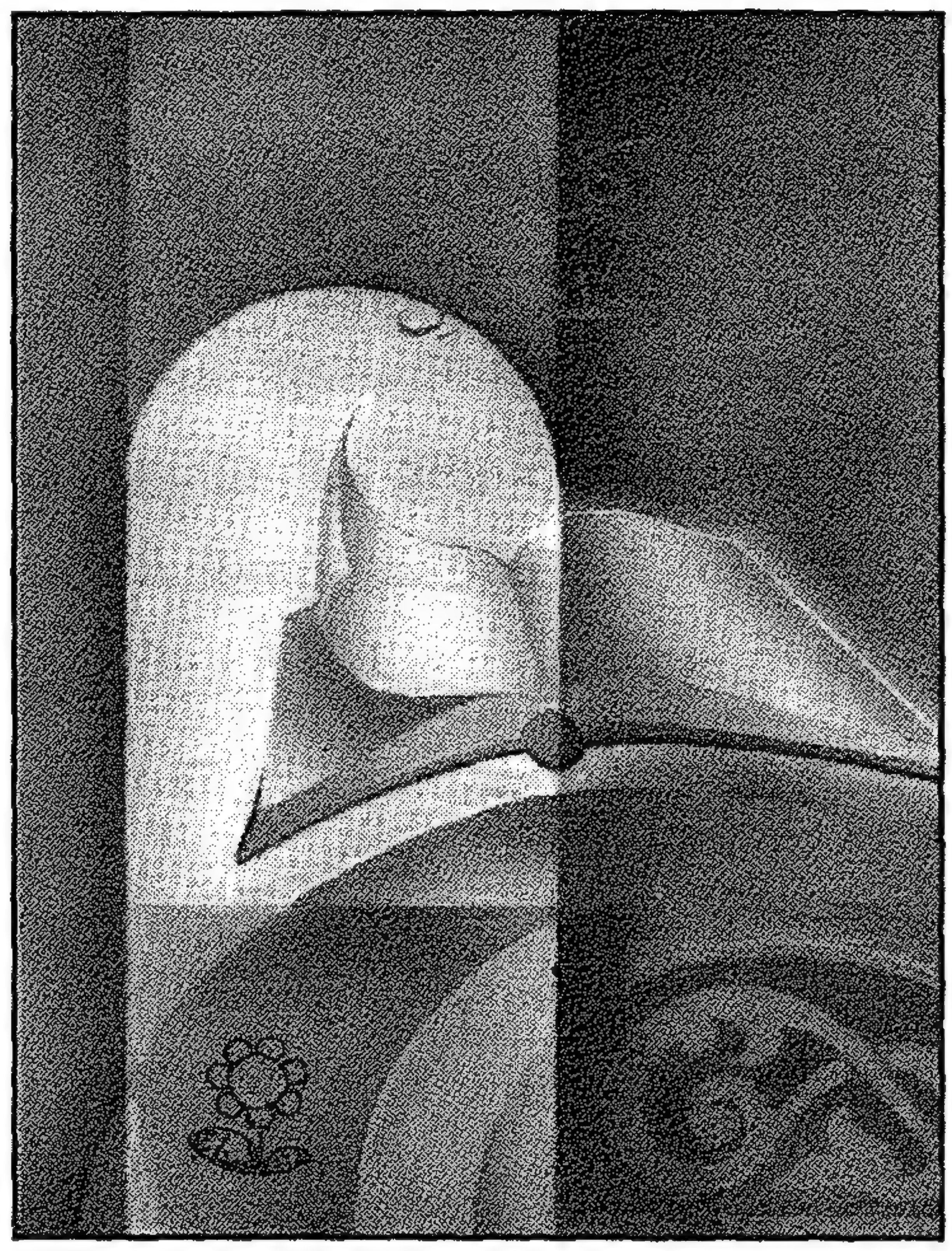
إعداد
محمد العبد

الناشر
دار الصحابة للتراث
بطنطا

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر، يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى؛ ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية.

المحرر

● أيها القارئ الكريم إن مجلة الأزهر، هى صاحبة السبق الأول وإن باب دوحة الكتب، يقدم الجَديد والمفيد، للأسرة المصرية وبخاصة بعد أن أرسل إلينا بعض القراء، واتصل البعض الآخر، وهم سعداء لما نقدمه ؛ حرصاً على أسرهم، من المؤلفات الضعيفة، وبعض مرضى النفوس فيما يكتبون نقدم هذا القاموس الذى يعرض لأول مرة بهذا الشكل الميسر والمفيد لكل الأطفال المسلمين، فى بقاع الأرض، بتحليل واف وطريقة جديدة لهؤلاء الصغار يشرح



بأسلوب سهل القرآن الكريم ويلقى الضوء على معانيه، ويوضح مراميه.

وقد اعتمد فيه المُعد في جمع مادته، على خلاصة ماكتبه العلماء والمفسرون، باعتبارها أغنى مصادره، وأهمّ روافده.

وعندما يسبح الطفل فى هذا المعجم يعيش بين صفحاته يفهم تفسيره وموضوعاته بحب وإخلاص، وفهم واع، وإدراك سليم.

● هذا المعجم مخصص للأطفال حتى يصبح تفسير القرآن فى متناول كل طفل وحتى يفهمه فى أثناء حفظه وتلاوته.

● وهذا الكتاب يضم أكثر من ٤٥٠ صفحة ويشجع الطفل على مواصلة قراءته نظرا لطباعته، وورقه الملون وخطه الواضح والعناوين الفنية الظاهرة والخط الكبير الذى يضيف للطفل فرصة تعلم الخطوط المتنوعة وجمال الحرف العربى، ثم علامات الضبط التى تبين له النطق السليم للعربية الفصحى.

● وبهذا نكون قد عرضنا مجموعتين من الكتب المعجمية للقرآن الكريم، فى العام الماضى: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وهذا العام هذا المعجم، الذى بين أيدينا نقدمه للطفل المسلم حتى يصبح عالما بأمور دينه ودنياه متفقها وفقيها، وهذا ليس بعسير عليه بعد أن حفظ القرآن كاملا، والأحاديث كاملة، وهو مازال فى سن صغيرة جداً.

اللغة العربية والتعريب

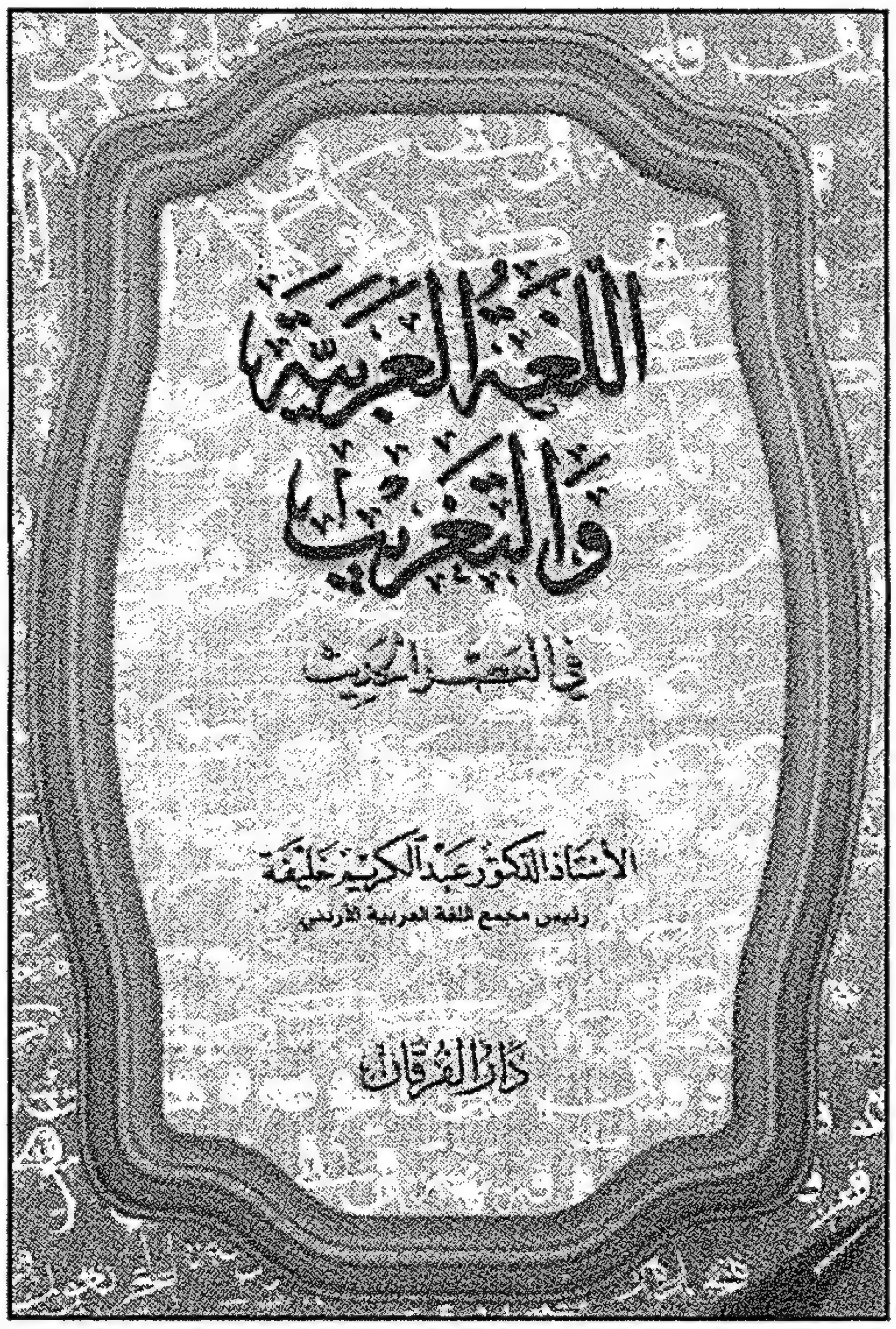
تأليف ـ الدكتور / عبدالكريم خليفة
الناشر / دار الفرقان بالاردن

أيها القارئ الكريم: إن اللغة العربية قد قامت، وتقوم بدور مؤثر وفعال، فى الماضى والحاضر، فى حياة الشعوب، التى اعتنقت الإسلام، واتخذته منهاج حياة.

● لم يمض قرن من الزمان، حتى أصبحت اللغة العربية، لغة الكتابة، والتجارة، والسياسة والقضاء والعلوم والآداب، فاللغة أم التفكير، وماكان للمعرفة أن تأتى إلى حيز الوجود بدون اللغة وهى أساس نهضة أمتنا ووحدتها.

● والتقدم العلمى بما فيه من وسائل سمعية ومرئية، ومقروءة، وتقنية أصبح له دور كبير فى إحداث تغيرات كبيرة فى الحياة الاجتماعية، لبنى الإنسان، ولا سيما ذلك التطور فى تقنيات الاتصال اللغوى.

● ويقول ابن جنى، العالم اللغوى المشهور: «إن أكثر من ضلّ من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد



عن الطريقة المثلى إليها، فإنما استهواه، واستخفّ حلمه ضعفه فى هذه اللغة الكريمة الشريفة، التى خوطب الكافة بها.

● وتحدث الكثيرون عن اللغة والبيان، ومسيرتها مع الأمم والشعوب حتى وقتنا هذا.

● وهذا الكتاب الذى يضم أجمل ماكتب عن تطور اللغة، وتطور الحضارة بها. خاصة المقدمة الطويلة، التى تحدث فيها المؤلف عن اللغة والشريعة، والتطور المتلاحق، والتقدم العلمى والحضارى.

● ثم تحدث المؤلف بعد ذلك عن نشأة مجامع اللغة العربية، خاصة الرجوع بأصولها إلى المجامع العلميَّة فى المشرق القديم. يرى الباحثون أن أول هذه المؤسسات فى تاريخنا لجنة الترجمة، التى أنشأها الأمير الأمّوى خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان. المتوفى سنة ٨٥هـ فى دمشق، وذلك لترجمة الكتب الكيماوية ونحوها من اليونانية إلى العربية، وكذلك (المنصور) وهو الذى وضع أسس (بيت الحكمة)، ويظهر لنا من خلال هذه الأنشطة اللغوية، والمجالات العلمية المتعددة أن أول مجمع للغة العربية هو (بيت الحكمة).

● وتحدث المؤلف بإفاضة عن تاريخ ودور هذه المجامع، واتصالها باللغات الأخرى، وتطورها بتطور الأمم والشعوب، واختلافها باختلاف العصور.

● ثم أشار إلى المجمع اللغوى، الذى أنشئ فى القاهرة ١٨٩٢ برياسة السيد توفيق البكرى، ـ وأيضاً فى المجامع اللغوية ـ فى سورية والأردن، والمجمع العلمى الهندى بالهند، وفى جميع أنحاء الوطن العربى وضح دور هذه المجامع فى التوسعات والاجتهادات، ووضع المصطلحات، والترجمة والتعريب، ووضع المعجمات وإحياء التراث.

● ثم تحدث المؤلف عن (اتحاد المجامع اللغوية) الذى تأسس فى إبريل سنة ١٩٧٠م وله شخصية معنوية مستّقلة بالقاهرة، ويهدف إلى تنظيم الاتصال بين المجامع اللغوية، والعلمية والعربية، وتنسيق جهودها فى الأمور المتصلة باللغة العربية، وتراثها اللغوى والعلمى.

● ثم أشار إلى تأسيس مجمع اللغة العربية بالأردن سنة١٩٢٤ وكان أول رئيس له الشيخ سعيد الكرمى، وهذه كانت بداية التأسيس حتى وافق مجلس الوزراء سنة ١٩٧٣ على تأسيسه، ولهذا المجمع أهداف كثيرة منها: إحياء التراث العربى الإسلامى، ونشر فهارس المخطوطات.

● ثم طرح قضية تعريب التعليم الجامعى، والبحث العلمى فى الأردن، منذ الربع قرن الأخير، فى الجامعات، والمؤسسات العلمية، وفى معظم العلوم العلمية والطبية، وطرح هذه التجربة فى تعريب التعلم العلمى الجامعى.

● وتحدث ، عن خطورة قضية التعريب قائلا: إن

قضية التعريب لاتنحصر فى كونها قضية لغوية، وإنما تتعدى ذلك لتشكل قضية سياسية تفرض تحديات قوية على الأمة العربية لتتمكن الأمة العربية من مجابهة تحديات العصر العلمية.

● ثم تحدث عن تأهيل المعلمين، وهيئات التدريس، ثم تحدث عن وسائل تطور اللغة، ودور التراث العلمى، والمعجم الموحد لألفاظ الحضارة، من حيث المشكلات والنمو، والتحديات، والتطور، والتعريب.

● لقد طرح المؤلف كل هذه الأبحاث المتفرقة للإجابة عن سؤال: كيف يمكن أن تصبح اللغة العربية لغة التدريس فى جميع مستوياته ومعارفه ولغة البحث العلمى والتقنيات الحديثة؟

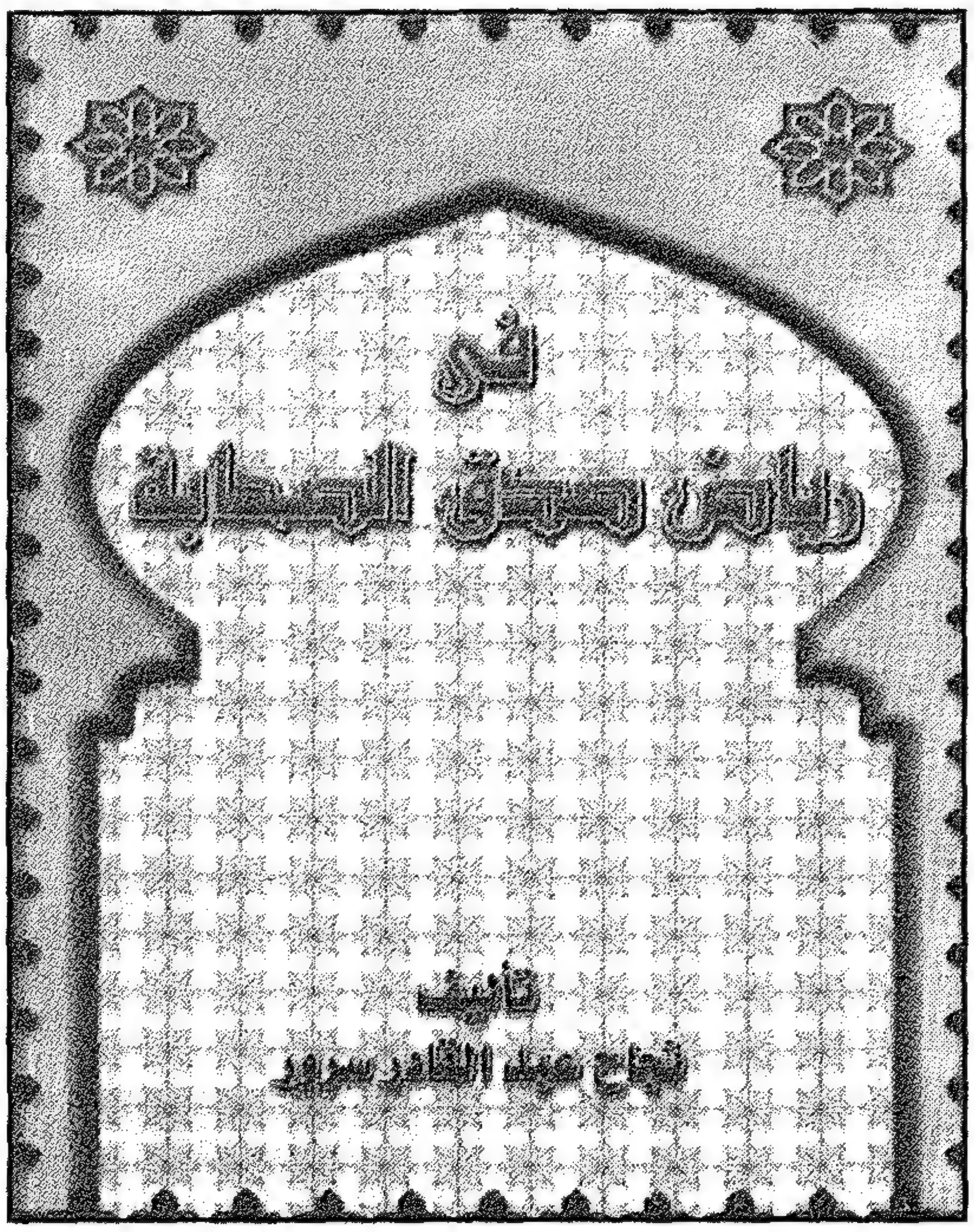
● وأخيرا: فاللغة العربية هى الأمة العربية، والأمة العربية هى اللغة العربية وبدون اللغة ليست هناك أمة عربية.

فى رياض صدق الصحابة

تأليف / نجاح عبدالقادر سرور

● هذا الكتاب: هو محاولة فريدة من نوعها، لإبراز صفة أساسية فى الإسلام، يتحلى بها سيد المرسلين ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ثم الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ ألا وهى: الصدق عند هؤلاء، نتناول فيه النورانيات، والنفحات والفيوضات من هذا الجيل، الذى زكاه رب العزة.

● فهو يجمع بين صفحاته معنى واحداً.. ألا وهو الصدق، وشريحة سامية من البشر هم خير القرون. صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم.



● لنعيش مع هذا الصدق الذى صار مضرب الأمثال عبر القرون، إلى وقتنا هذا.

● قال المؤلف: الصدق من صفات الله ـ تعالى ـ والقرآن كتاب صادق، وقد ورد فيه لفظ الصدق، ومشتقاته مائة وخمسة وخمسين موضعا، بجميع معانى الفعل التى شملت الصدق، والصداقة، والصدقة..

● ثم تحدث المؤلف عن صفة الصدق الملقب بها الصادق الأمين منذ صغره، وقبل بعثته وذكر المؤلف قضية الحجر الأسود فى الكعبة، قائلا: عندما اختلفت فى وضعه القبائل وكادت أن تنشب العداوة فيما بينهم، وهنا قال أمية بن المغيرة ابن عبدالله بن عمرو بن مخزوم وكان أسن قريش، قال: يامعشر قريش، إجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه. ففعلوا فكان أول داخل دخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما رأوه قالوا: هذا

الامين رضينا، هذا محمد.. فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: هلموا إلىَّ ثوباً فأتى به وأخذ الحجر ووضعه عليه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم بنى عليه.

● أيضا تحدث المؤلف عن صدق الصحابة خاصة، علاقة الصديق بالصادق الأمين، وإسلامه وأثر الصدق فيه.

أيضا تحدث المؤلف عن الثلاثة الذين خلفوا، حيث قال: من مواقف الصدق العظيمة مع الله هذا الموقف الرائع الذى حدث لثلاثة من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو موقف فيه من التربية النبوية مايستحق أن يكون دستورا لكل أب مع بنيه، ولكل قائد مع جنوده، ولكل معلم مع تلاميذه، ولكل حاكم مع رعيته، الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غزوة تبوك وهم: عبيد الله بن كعب بن مالك ومرارة بن الربيع العامرى، وهلال من أمية الواقفى، هؤلاء الثلاثة الذين لم يكذبوا على رسول الله، بل صدقوا فى قولهم، حين قالوا: والله ماكان لنا عذر والله ماكنا قط أفرغ ولا أيسر منا حين تخلفنا عنك قال: فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أما هؤلاء فقد صدقوا فقوموا حتى يقضى الله فيكم.

● أما الثمانين رجلا الذين طفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، فيقبل منهم رسول الله علانيتهم ويستغفر لهم، ويكل سرائرهم إلى الله – تعالى.

أيضا أشار إلى صدق الإمام على، وصدق الصحابة مع كتاب الله، ثم صدق الصحابة فى مبايعة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

● ثم صدقهم مع حديث رسول الله فى التدوين والدقة فى الحديث، ثم صدقهم فى تقديم المشورة، أيضا صدقهم مع أنفسهم كالتوبة، وذكر منها: حادث الإفك، وكذلك حادث ماعز والغامدية.

● أيضا وضّح المؤلف صدق الصحابة فى العبادة والطاعة، والصبر على الأذى، ثم صدقهم مع الناس فى النصيحة، والعمل، والمعاملة، والدعوة والعلم وطلبه.

ثم صدق الصحابة مع ذويهم، وفى الجوار والسياسة والحكم والقضاء.

● وإشار ـ أيضا ـ إلى صدق الصحابة فى أقوالهم، ثم صدقهم ومناقبهم مع من يكذب عليهم.

ومن خطبه لأبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ قال: عليكم بالصدق، فإنه مع البر وهما فى الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفُجور وهما فى النار.

● وقال عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه: أصدق الحديث: كتاب الله واوثق العرى: كلمة التقوى، خير الملل: ملة ابراهيم ـ عليه السلام ـ وأحسن السنن: سنة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخير الغنى: غنى النفس، وأعظم الخطايا: اللسان الكذوب.

● وأخيرا عزيزى القارئ من خلال هذه المعايشة مع هذا الكتاب، الذى عاد بنا إلى صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإلى مدرسته التى تحلت بالصدق والفضيلة ومأحرانا أن نتمسك بمبادئهم القويمة، وسلوكهم النبيل وأن نتخذهم قدوة ومثلا ولا غرو، فقد قال الحبيب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

تغريدة السيرة النبوية شعراً ونثراً

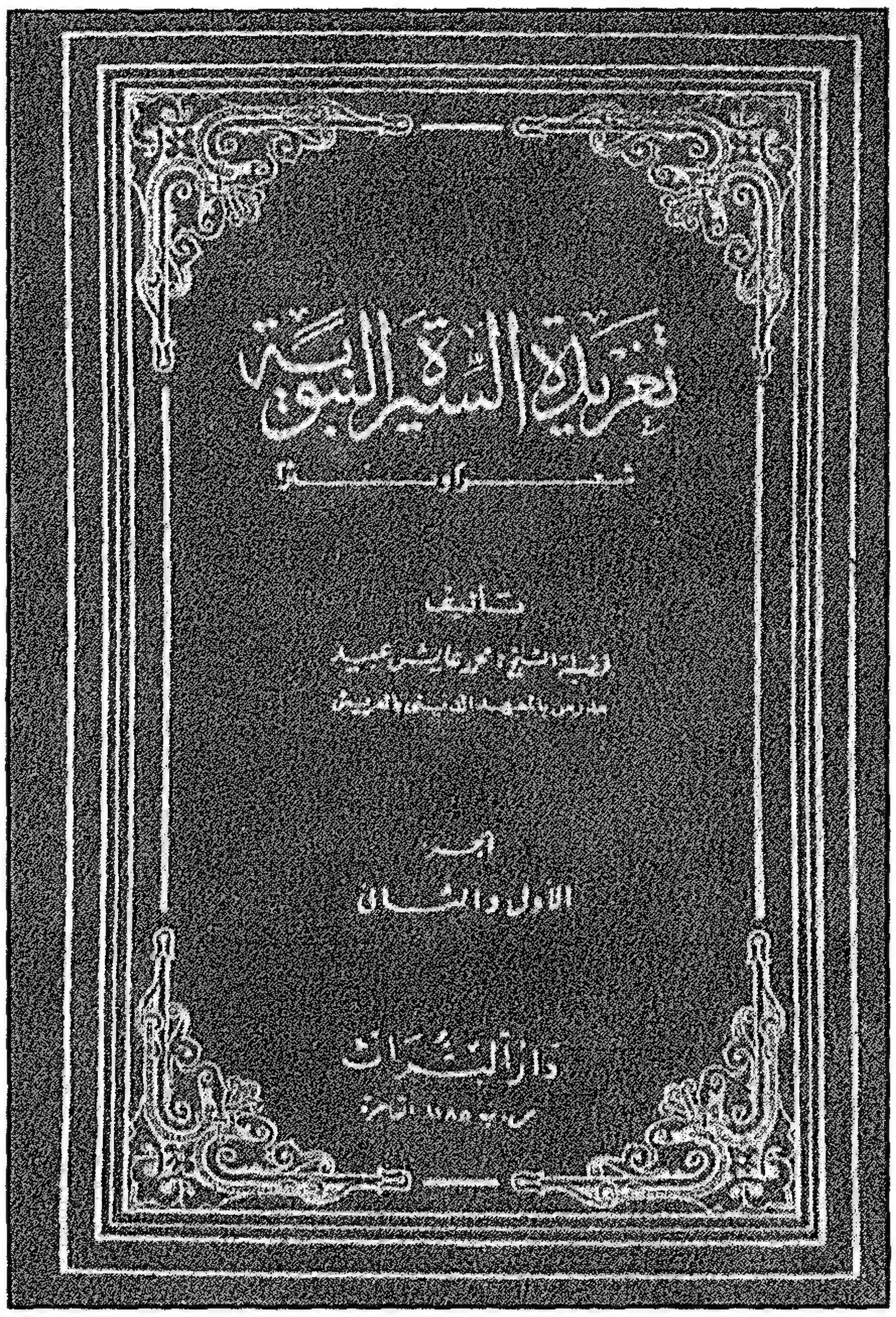
تأليف / محمد عايش عبيد

● كما أنا سعيد بهذا الكتاب الذى يخرج عن التقليد والأسلوب الواحد فى الكتابة عن السيرة الذاتية، لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى اعتادها كل مؤلف، وازدادت سعادتى عندما قرأت هذه الصفحات، وعشت داخلها سابحا فى محراب السيرة العطرة، التى تكتب كاملة لأول مرة، بهذا الأسلوب، يتغنى بها كل من عاش معها ليجد الدقة، والاستشهاد بالأحداث، والاستنباط الواعى والحاضر.

● والشعر، هذا الكلام الذى يطرق كل أبواب القلوب، فهو لغة العواطف، ولكن، كيف يصل هذا المؤلف بهذه اللغة الشعرية إلى عمق السيرة المطهرة، بهذه التغريدة القيمة، وحلاوة الكلمة، وانسجام النظم، وطلاقة القافية.

لقد حرص المؤلف على المعايشة مع السيرة العطرة، بأحداثها العظيمة، قراءة وتحليلا. أعواما طوالا، بأقلام الكثيرين، من قدامى، ومعاصرين، وعرب، ومسلمين، ومستشرقين.

● وقال المؤلف محمد عايش فى مقدمته: الذى دفعنى لتأليف هذا الكتاب، أن السيرة النبوية قد أُهملت دراستها، وقراءتها، وأصبح معظم الناس ـ لاسيما شبابنا المثقف ـ يجهلون



سيرة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحيث استهوتهم دراسة حياة بعض الشخصيات. وتأثروا بها.

● وسبب إعراضهم عن قراءة كتب السيرة، أولا: لكبر حجمها، ثانيا: لأنها مصوغة باللغة العربية الفصحى، بألفاظها الجزلة، التى يحتاج القارئ معها إلى قاموس يرجع إليه، عند كل جملة. ثم اعتمادها على الشعر العربى القديم.

● وبما أن الإنسان يستهويه كل ماهو منظوم، وموزون، فقد حرص المؤلف أن يقدم الجديد، من خلال شعر موضوعى، هادف، شعر عف طهور، تلمح الإيمان يشع من ثنايا سطوره وكلماته .

● وهو سبحات تعمق فى سيرة الرسول ـ صلى

الله عليه وسلم ـ وماحوته من أحداث وعبر، ولحن شجى يتغنى بأمجادنا الخالدة، التى هى تاريخنا المشرق.

وفى مقطع رقم ١ يصنف حال الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية قائلا فيها:

كان الظلام مخيما فى كل الجزيرة
لم يغشها نور السماء، فأظلمت منها البصيرة

حتى انتهى إلى:

كمن يهتدوا بعد الضلال ويستقيموا فى المسيرة
هذا لسان الحال يهتفُ بالمقال وبَالسَّريرة
كانت رسالات السماء تعوزها أخرى أخيرة
فاستكملت بمحمد ختم الرسالات الكثيرة

● ثم يوضح المؤلف المعنى الإجمالى للمقطع، بأسلوب سهل بسيط مشوق، وطرح فى عدة مقاطع إعادة حفر زمزم، وحضور سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حلف الفضول، ثم الأمر بدعوة الناس إلى التوحيد سرا وجهرا، وأحزان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزواجه من السيدة خديجة، والسيدة عائشة ـ رضى الله عنهما – وبيعتى العقبة، وكتابة العهد بين المسلمين واليهود.

● حتى انتهت فى الجزء الأول إلى هجرة المسلمين إلى المدينة، ولم يبق سوى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ واثنان. قائلاً:

المسلمون جميعهم قد هاجروا متتابعين
قد كان وجهتهم ليثرب أرض قوم مؤمنين
أبواب يثرب فتحت للمسلمين القادمين
كل الصحابة هاجروا للظلم كانوا هاجرين

● أما الجزء الثانى فاستهله المؤلف باستقبال الأنصار للمهاجرين

● ثم وصول رسول الله إلى قباء، ثم بناء مسجد رسول الله.

● تحدث ـ أيضا ـ عن مرحلة الدعوة الإسلامية الجديدة. بداية من الأذان للصلاة، بدايته، وكيفيته

● قائلاً:

نادى بلال بالأذان فنعم صوت الأوفياء
الصوت يطرق سمع عُمر جاء يرفل فى الرواء
ويقول: جئت بمثل هذا يا إمام الأنبياء
قال النبىُّ: فإن جبريل الأمين بذاك جاء

● وهكذا قص علينا المؤلف سيرة الرسول بأسلوب شعرى جميل، ونثرى بديع، يخاطب به العامة قبل الخاصة، حتى يفهمه الجميع، وتصبح سيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلمها الشباب المسلم، ويفهمها، لتقوم فيه روح الإسلام، والحرص عليه.

● هذا الكتاب جديد فى أسلوبه، فريد فى بابه، يختلف عن كل الكتب فى طريقة تأليفه وتبويبه، فهو مزدوج الصياغة، ومزدوج الفائدة شعرا ونثرا معا.

● كم هو جميل وسهل، ومبدع، يجعلك فى رحلة طويلة ترى خلالها التأسيس الحقيقى للدولة الإسلامية، والحب الحقيقى من الرسول، وللرسول، والصفاء، والوحدة، التى تجمع المسلمين على كلمة سواء، واعتصام بحبل الله.

● فعليك بهذا الكتاب، واجعله عنوان مكتبتك الإسلامية.

بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

يوم مبارك

لما أصاب السيل الكعبة، بيت الله الحرام، وأجمعت قريش رأيها علي إعادة بنائها، اختصت كل بطن من بطون قريش ببناء قسم، ولكنهم اختلفوا فيمن يحظى بشرف وضع الحجر في مكانه.. «تجادلوا فيمن يضعه، وتخالفوا، وكان الخلاف شديداً، وكادت الدماء تسيل لتلغ فيها السيوف، أراد بنو عبد الدار أن يضعوه بما أعطاهم من قبل قُصَىّ من سدانة البيت، وقربوا جفنة مملوءة دماً، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي علي الموت، وأدخلوا أيديهم في الدم المملوءة به الجفنة»[1]. ولولا الاستماع إلي صوت العقل، لدارت حرب طاحنة.

استقر الرأي أن يكون الحكم لأول من يدخل من باب المسجد، وكان أول الداخلين هو الأمين محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال كبيرهم: هذا الأمين رضينا به حكماً.... وأخبروه، فطابت نفسه وقرت عينه، إذ قرت به القلوب المضطربة.. وقال: هلم إليَّ ثوباً فأتي به، فأخذ الحجر فوضعه فيه بيده، ثم قال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا، حتى إذا بلغوا موضعه وضعه، بيده الشريفة، ثم بنى عليه»[2]..

ورجع (صلى الله عليه وسلم) إلي بيته ليلقى زوجه -خديجة -رضي الله عنها- تخبره بمولد ابنته، فاستبشر خيرا بمولدها في هذا اليوم المبارك، وعلم أن سيكون لها شأن عظيم، فأسماها فاطمة ولقبها بالزهراء.

وعن السيدة فاطمة الزهراء وردت رسالة القارئة / مايسة صديق عبد الفتاح – جامعة الأزهر بالمنصورة تقول:

فاطمة الزهراء

ولدت السيدة فاطمة الزهراء بمكة يوم الجمعة العشرين من جمادي الآخرة، وقريش

---

(١) خاتم النبيين للإمام محمد أبو زهرة جـ ١ ص ١٥٤ – دار الفكر العربي.

(٢) المرجع السابق ص ١٥٥ – نقلاً عن سيرة ابن هشام.

تبني الكعبة قبل البعثة بخمس سنين.

وهي صغرى بنات الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأحبهن إليه، وقال عنها: «فاطمة بضعة مني يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما أذاها»(١).

تزوجت من علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فولدت له حسناً وبه كان النبي يكنى، وحسيناً، وفيهما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «هما ريحانتاي من الدنيا»(٢).

وقد بارك الله في ذريتهما، ونفع بهم الإسلام والمسلمين، وكان منهم سادة، وقادة، وأئمة في العلم والدين والجهاد والزهادة.

وولدت فاطمة لعلي: زينب وأم كلثوم(٣).

وقد أخبر - صلى الله عليه وسلم - أنها سيدة نساء أهل الجنة(٤).

والسيدة فاطمة تدعى: الصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمرضية، والمحدثة، والزهراء.

وكانت - رضى الله عنها - تلقب بالبتول تشبيهاً لها بمريم في المنزلة عند الله.

وكانت فاطمة -رضي الله عنها- تمثل أشرف ما في المرأة من إنسانية وكرامة، ورحمة، وكانت مضرب المثل في الذكاء الوقاد والفطنة الحادة والعلم الواسع، وكفاها فخراً أنها تربت في بيت النبوة، وتخرجت في مدرسة الرسالة، وتلقت عن أبيها - صلى الله عليه وسلم - ما تلقاه عن رب العالمين - سبحانه وتعالى -.

يا اللـــه

ومن القارئة/ عبير محمد نصار .. بحيرة:

وصلت هذه الرسالة التي تحمل أقدس الأسماء «**الله**» والتي تصاحب المؤمن في كل أحواله.

تقول القارئة:

من منا لا يحتاج إلي عونه؟!.. من منا لا يلجأ إلي بابه؟!..

﴿ يَسْأَلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾

.. الرحمن/ ٢٩.

* إذا اضطرب البحر، وهاج الموج، وهبت الرياح، نادى أصحاب السفينة... **يا الله**.

* إذا ضل المرء في الصحراء ومال الركب عن الطريق وحارت القافلة في السير نادوا: **يا الله**....

*إذا وقعت المصيبة وحلت النكبة وجثمت الكارثة، نادي المصاب المنكوب: **يا الله**...

---

(١) حديث متفق عليه.

(٢) الجامع الصحيح للبخاري، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين.

(٣) السيرة النبوية.. لأبي الحسن الندوي ص ٣٦٤ ط دار الشروق جده.

(٤) جامع الترمذي جـ ٢ ص ٢٢١ (الطبعة الهندية).

* إذا أوصدت الأبواب أمام الطلاب وأسدلت الستور في وجوه السائلين، صاحوا: **يا الله**...

* إذا ضاقت عليك الأرض بما رحبت.. وضاقت عليك نفسك.. فاهتف: **يا الله**...

* إذا بارت الحيل، وضاقت السبل، وانتهت الآمال وتقطعت الحبال.. نادوا: **ياالله**...

... إليه يصعد الكلم الطيب، والدعاء الخالص والهاتف الصادق، والدمع البريء... والتفجع الواله.. إليه تُمَد الأكف في الأسحار والأيادي في الحاجات والأعين في الملمات... باسمه تشدو الألسن، وتستغيث وتلهج وتنادي... وبذكره تطمئن القلوب وتسكن الأرواح، وتهدأ المشاعر، ويستقر اليقين...

﴿ **ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ** ﴾.. الشوري / ١٩.

... **الله**... أحسن الأسماء، وأجمل الحروف، وأصدق العبارات، وأثمن الكلمات..

﴿ **هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا** ﴾.. مريم / ٦٥.

الله... العناية واللطف والغوث، والمدد... **الله**... الجلال والعظمة والهيبة... والجبروت...

مهما رسمنا في جلالك أحرفاً
قدسية تشدو بها الأرواح
فلأنت أعظمُ والمعاني كلها
يا رب عند جلالكم تنداح

.... اللهم فاجعل مكان الخوف أمناً... وجزاء الحزن سرورا...

طالب الأزهر

أما القاريء / فؤاد السيد شعيب ناظر معهد لقانة الابتدائى الأزهرى فأرسل هذه الرسالة التي ترسم صورة الطالب الأزهري... تلك الصورة التي نتمني أن يكون عليها كل طالب أزهري يقول:

الطالب الأزهري.. ينبغي أن تكون له سمات ومواصفات خاصة وظاهرة..

ينبغي أن يُعْرف بين الناس.. وفي المجتمع بإخلاصه.. بعلمه.. بثقافته.. بشخصيته.. بالتزامه.. بأدبه.. بورعه.. بتقواه.. بخشيته لله.. وبغزارة علمه، وبخاصة فى مجالي اللغة العربية.. والشريعة الإسلامية..!

الطالب الأزهرى ينبغى أن يكون مثلاً يحتذى به.. وقدوة يقتدى بها.. وعالماً يهتدى بعلمه.

إن على الطالب الأزهري أن يعرف للأزهر قدره.. وقداسته.. وجلاله.. ووزنه.. ومكانته.. وكيانه.. كما كان الأزهري قديماً يعرف ذلك.. لأن الأزهر الشريف هو منارة العلم والعلماء.. وهو حصن اللغة العربية وحاميها..! وراعيها..!

وكفى بالأزهر فخراً.. دراسة أشرف الكتب على الإطلاق.. كتاب الله - تعالى - القرآن الكريم حبل الله المتين.. ودستور الحياة.. حفظاً وتفسيراً ولغة وأحكاماً..

وكفي بطالب الأزهر فخراً أنه ابن من أبناء الأزهر نبت وغُذي وترعرع على علوم الأزهر..

غـواص في لغـة الضـاد

للأستاذ / السيد أحمد أبو الفضل

نثقفها حتي تلين متونها	فيقصر عنها كل من يتمثل

ويواصل الغواص جمع الآليء فيقول:

* **أَخَذْتُ، أو أخُذ الطائرة أو القطار:**

من الأخطاء الحديثة التي انتقلت إلينا عدواها من الترجمات الحرفية عن اللغات الأجنبية قولهم في السفر أخذتُ الطائرة من مكان كذا إلى مكان كذا، أو خُذْ الطائرة أو القطار، بدلاً من: سافر في الطائرة، أو اركَبْ القطار. ومثله أيضاً قولهم: خُذْ وقتك، بدلاً من تأن، أو تمهلْ.

* **وجه القول في «خُطبة» و «خِطبة»:**

يستعمل الناس خطأ لفظ «خُطبَة» بضم أوله، لمعنيين مختلفين، والصحيح أن هناك فرقاً بينهما، فبضم أوله يكون من الخطابة. نقول: خطب الخطيب الناس خُطبة بليغة. فالخُطبة ما يلقى علي المنابر، وخُطبة الكتاب مقدمته.

أما الخِطبة، بالكسر، فهي طلب الزواج. قال تعالي: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾(1).

والخِطْب، بالكسر أيضاً، الذي يخطب المرأة، وهي خِطْبه التي يخطبها، وخِطْبَته.

فالخِطْب يجري على الشاب الخاطب والفتاة المخطوبة، فلا يقال في الفصيح هو خطيبها، وهي خطيبته، بل هو خِطْبُها، وهي خِطبُه، إذْ عرفنا أن الخطيب هو الذي يعلو المنابر.

* **وجه القول في: «حَيَّ علي الصلاة، وحَيَّ علي الفلاح»:**

كثيراً ما نسمع بعض المؤذنين ينطقون عبارة النداء إلي الصلاة بقولهم: «حيٍّ» بكسر الياء المشددة فيهما، والصواب فتح الياء في «حيَّ»، لأن «حيَّ» اسم فعل أمر بمعني «أقبل» أو «أقبلوا» لأنه مبني يستعمل للمفرد والمثني والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد. ومثله مثل قوله تعالى: ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾(2). في لغة الحجازيين، إذ يقول التميميون: «هلموا»، بتصريفه تبعاً للمخاطب.

* **وجه القول في: «لا شُلَّتْ يمينك»:**

نسمعهم كثيراً يقولون: لا شُلَّتْ يمينك، بضم أوله في معرض المدح والدعاء لمن أحسن عملاً. الضم خطأ، وهو لغة رديئة، والصواب فتح الشين. والشواهد كلها جاءت تؤيد الفتح.

---

(1) البقرة: آية (٢٣٥).

(2) الأنعام: آية (١٥٠).

والشلل: يبس اليد وذهابها أو فساد فيها، وهو معروف. فيقال: شَلَّتْ يده، وأشَلَّها الله. ومثل: شَلَّ: جَلَّ، وحَلَّ، وقَلَّ.. وهو كثير.

قال الشاعر:

فَشَلَّتْ يميني يوم أعلو ابن جعفر
وشَلَّ بناناها، وشَلَّ الخناصرُ!

وقال غيره:

وكُنْتُ كذي رجلين: رجلٌ صحيحةٌ
وأُخرى رمى فيها الزّمانُ فَشَلَّتِ

وفي الحديث:

« شَلَّتْ يده يومَ أُحُد »، وهو أشَلّ، والأنثي: شَلاَّء.

القلب يحيا بنور العلم

ومن بيلا - كفر الشيخ.. أرسل إلينا القاريء / خيري محمد أبو الروس هذه الكلمات لأحد الصالحين يوصي ابنه.. نعرض منها قوله:

«**يا بُني**: لا تضحك من غير عجبٍ، ولا تمش في غير أدب. ولا تسأل عما لا يعنيك..

يا بُني: لا تُضيع مالك وتُصلح مال غيرك. فإن مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت.

يا بُني: زاحم العُلماء برُكبتيكْ، وأنصت إليهم بأذنيك، فإن القلب يحيا بنور العلماء كما تحيا الأرضُ الميتةُ بمطر السماء.

حقاً.. إنها لموعظةٌ بليغةٌ يجب أن توضع في حساب كل إنسان حتي ينجو بنفسه إلي بر الأمان.

« صنعة الله »

والقاريء عبد الوهاب عبد الغفار عمر - البحيرة - شبراخيت:

أرسل إلينا هذه المعلومات عن الجرذ القنغري، حيث جذب انتباهه أنه لا يشرب الماء مطلقا.. فيقول:

من أطرف الحيوانات التي تقطُن في الصحراوات الأمريكية حيوان صغير من عائلة القارضات، لونه كلون الغزلان الصغيرة، يشبه الفأر، بالرغم من أنه لا هو جُرذ ولا هو قنغر، ولكن السبب في هذه التسمية يرجع إلي أن رجليه الخلفيتين الزائدتي الطول اللتين يقفز بهما في الصحراء كقنغر صغير رفع رجليه الأماميتين القصيرتين صوب رقبته وهو يستطيع القفز مسافة ثلاثة أمتار أو حوالي عشرة أمثال طول نفسه وذيله أطول من بقية جسمه، وينتهي بخصلة بيضاء من الشعر.

يستطيع أن يعيش دون أن يذوق قطرة من الماء أبداً.. ولقد حاول الذين استأنسوا هذا الحيوان أن يقنعوه بأن يشرب..... ولكنه لم يشرب مطلقاً. بل أنه لا يُحبُ أن يُبلل فروته الحريرية، وفي أثناء المطر يظل داخل جحور تشبه المتاهة يتخذها مسكناً له وكل الماء الذي يحتاج إليه الجُرذ القنغريُ ليبقي حياً - وهو يحتاج إلي الماء مثلما يحتاج إليه كلُ كائن حي - فإنه يستخلصه من الحبوب والغذاء الذي يتناوله.

من إبداعات القراء:

« حُبّي لأحمد » (صلى الله عليه وسلم)

حُـــبي لأحــمــدَ فــاق الحبَّ للولدِ ... أو للحــيــاة وللأحــبــاب والبلد !

يارب صلِّ على الهــادي وعِــتــرته ... واجْــمع إلهي بنا في الخُلد للأبدِ !

الروحُ تهــفــو له .. والقلب في شُــغُلٍ ... مِنْ حُبِ خَــيْــرِ الورَى الســيــدِ السندِ !

إني انتظرتُك في الرؤيا لتــســعــدنى ... فلم تَزُرنى .. وشوقي مُحْرِقٌ كَبدى !

إني - حــبــيــبىَ - في شــوقٍ لرؤيتكم ... والشوق يجرى مُنى فى سائر الجسد !

العــمــر يمضي .. ومــا ابتلَّت جوانحنا ... والروحُ تنساب والقلبُ المحبُّ صَدى ! (١)

إني رأيتُك في رؤيا المُنَي عَــرَضــاً ... ولم تُنرْني بوجْــه النور والرَّغَد !

عُذراً - حــبــيــبي - إنى لا أطيق قلىً (٢) ... فَــجُــدْ برؤيا تقيمُ بنورها أوَدى !

الروح هامت بكم .. والقلب في نغمٍ ... مِنْ حُبِ خيرِ الورى كالطائر الغَرِدِ !

إني أحبك .. كيف اللفظ يسعفني ... أو كيف يرسم شِعري لوحة الأبدِ !

***

قــررتُ بيــعَكِ يا دنيــاي قــاطبــةً ... فــيكِ الجــمــيلُ .. ولكن بين ألفِ رَدى !

أنتِ المتــاع الذي قــد غــرّنا زمناً ... يا منْ مــلأت الورى بالحقــد والحســد !

عــني تــولّى .. وداعــــاً دونما أسفِ ... فكم قــتلْتِ المُنىَ بالعــمــد والرَصــد !

إني اعــتــصــمتُ بحــبلِ الله في ثقــةٍ ... أني ســأمــضي .. ونصــرُ الله ملءُ يدي !

الذكْــرُ جُندى .. وتقــوي الله أسلحــتي ... والمصطفي .. بعــد مَــدّ الله لي .. مَــدَدى !

حِــبّى .. وكل مُناى الشــربُ من يده ... والقــربُ منه .. وهذا غــايةُ السَــعَــد !

القارئ/ نجاح عبد القادر سرور
محافظة البحيرة
كوم حمادة - كفر بولين

(١) صَدِي : ظامِيء. (٢) قلىً : هجْراً

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر الشريف، بمكتبه بمشيخة الأزهر الشريف بحديقة الخالدين بالدراسة سعادة رئيس دولة باكستان الجنرال برفيز مشرف رئيس السلطة التنفيذية لجمهورية باكستان الإسلامية والوفد المرافق لسيادته فى ١١ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ١٦ أبريل ٢٠٠٠م، وذلك فى إطار زيارته الرسمية لجمهورية مصر العربية بدعوة من السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف الكبير والوفد رفيع المستوى المرافق لسيادته فى رحاب الأزهر الشريف معربا عن عمق الروابط الأخوية بين مصر ودولة باكستان الإسلامية الشقيقة منذ عشرات السنين شارحا دور الأزهر العلمى والتعليمى فى جميع المراحل الابتدائية، والإعدادية، والثانوية، والجامعية، وأن الدراسة فى الأزهر تمتاز بالاعتدال والتوسط، وأوضح فضيلته ما اشتملت عليه شريعة الإسلام من سماحة ويسر، وأن حفظ القرآن الكريم هو الأساس الذى تبنى عليه العلوم الشرعية والعربية، من أجل ذلك نهتم بتحفيظ الطالب الأزهرى القرآن الكريم كاملا أثناء مراحل التعليم المختلفة، ثم تدرس العلوم الشرعية من تفسير وحديث شريف وفقه، كما تدرس العلوم العربية من نحو وصرف وأدب وبلاغة، إلى جانب العلوم الأخرى مثل، الرياضة والطبيعة والكيمياء واللغات الأجنبية كاللغة الانجليزية والفرنسية والألمانية، والأزهر يقوم بتدريس جميع المذاهب الفقهية، وهو فى دراسته هذه ينبذ التعصب الأعمى والعنصرية البغيضة، ونعتبر أن كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فهو مسلم.

وأوضح فضيلة – شيخ الأزهر الشريف – أنه قد تخرج فى جامعة الأزهر طلبة من دولة باكستان خلال العشر سنوات الماضية بلغ عددهم ٢١٦ طالبا منهم فى حصل على الدكتوراه فى تفسير القرآن الكريم، وفى الأحاديث النبوية الشريفة، ويوجد من باكستان طلبة يتعلمون فى

الأزهر الشريف فى مراحل التعليم المختلفة ولدينا ٥٦ طالبا يقيمون بمدينة البعوث الإسلامية، كما توجد بدولة باكستان معهد نموذجى أزهرى ابتدائى إعدادى فى إسلام أباد بباكستان كما يوجد بعثة من علماء الأزهر الشريف، عددها ٥٣ مدرسا وعالما يدرسون لأبناء باكستان كل المناهج والعلوم والمواد التى تدرس فى الأزهر الشريف إلى جانب أنهم يلقون المحاضرات والدروس وخطبة الجمعة فى مساجد باكستان، وأيضا يوجد مجموعة من أساتذة جامعة الأزهر الشريف يدرسون لأبناء باكستان بجامعة إسلام أباد ويلقون المحاضرات ويقيمون الندوات أيضا.

كما أوضح فضيلة الإمام الأكبر أن للأزهر شبكة للمعلومات تعمل على الإنترنت وذلك لتصحيح المفاهيم الإسلامية، ولدفع الشبهات التى يتعرض لها الإسلام

وقال فضيلته: إننا نعاهد الله ـ عز وجل ـ أن نكون فى خدمة ديننا وأمتنا الإسلامية والعربية، وأن نتعاون تعاونا تاما مع دولة باكستان الشقيقة.

وقد أعرب الضيف الكبير عن سعادته الغامرة لزيارة الأزهر الشريف ولشرف استقبال فضيلة الإمام الأكبر له وللوفد المرافق؛ وقال: إن شعب باكستان ورجال الدين يكنون لمصر وللأزهر الشريف كل احترام وتقدير، وأن للأزهر الشريف صورته القوية المضيئة لتصحيح المفاهيم الإسلامية فى كل أنحاء العالم، وقال: إننا ننظم للتعليم الدينى فى باكستان فى الإطار الصحيح ويشرفنا أن نقدم الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة باكستان وفى هذه الزيارة سيرى أننا نرحب به كثيرا وسيرى الكرم والاهتمام والتقدير.

شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف على الدعوة ووعد بتلبيتها – إن شاء الله تعالى – وقدم فضيلته للضيف مصحف الأزهر الشريف وكتاب الأزهر فى ألف عام باللغة العربية والانجليزية، كما قدم هدية لكل ضيف فى الوفد مصحف الأزهر الشريف.

وفى نهاية اللقاء شكر الضيف فضيلة شيخ الأزهر على حسن الحفاوة والاستقبال.

حضر اللقاء فضيلة وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة مفتى الجمهورية وفضيلة رئيس جامعة الأزهر الشريف، والسيد سفير باكستان فى مصر والسيد سفير مصر فى باكستان وأصحاب الفضيلة علماء الأزهر.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر الشريف ـ بمكتبه السيدة الحاجة سينه كونت حرم السيد الجنرال رئيس جمهورية غينيا كوناكرى والوفد المرافق لسيادتها والذى يضم السيدة وزيرة الشئون الاجتماعية والطفولة والأمومة بغينيا، والسيد سفير غينيا بالقاهرة وبقية الوفد وذلك فى ١٤ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ١٩ / ٤ / ٢٠٠٠.

رحب فضيلة شيخ الأزهر بالسيدة الفاضلة والوفد المرافق لسيادتها فى رحاب الأزهر الشريف، موضحا العلاقة القوية والقديمة بين مصر وأزهرها الشريف ودولة غينيا الشقيقة، وأشار إلى التعاون المثمر فى الجانب العلمى والتعليمى حيث إن أبناء غينيا الدارسين فى الأزهر الشريف فى شتى مراحل التعليم يصل عددهم إلى ٤٠٠ طالب يقيمون فى مدينتى البعوث الإسلامية بالقاهرة والإسكندرية وهم على منح من الأزهر الشريف ويلقون كل الرعاية والاهتمام، إلى

جانب بعثة أزهرية قوامها ٤٠ عالما يدرسون لأبناء غينيا علوم القرآن والشريعة واللغة على نفقة الأزهر الشريف.

وقد شرح فضيلته نظام التعليم فى الأزهر بين المرحلة التمهيدية وحتى الجامعة، ومايتلقاه الطلبة والطالبات من العلوم والمعارف فى شتى العلوم.

قدمت السيدة حرم السيد الجنرال رئيس جمهورية غينيا الشكر والتقدير لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على حسن الضيافة والحفاوة البالغة التى قوبلت بها والوفد المرافق مؤكدة على أن مصر بلد كريم مضياف وأنها تحمل تحيات السيد الجنرال رئيس الجمهورية لفضيلة الإمام الأكبر وللأزهر الشريف، وأنها فخورة بوجودها فى مصر وفى الأزهر الشريف الذى لايدخر وسعا فى تقديم المساعدة فى المجال العلمى والتعليمى لأبناء غينيا، سواء عن طريق استقبال الطلاب على منح من الأزهر الشريف لتعليمهم فى الأزهر الشريف، أو عن طريق إرسال علماء لدولة غينيا لتعليم أبنائها، وأعربت عن أملها فى تقوية الروابط الدينية مع المؤسسات الدينية فى مصر، وعلى رأسها الأزهر الشريف وبين الرابطة الإسلامية فى غينيا.

وفى نهاية اللقاء قدمت سيادتها الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف نيابة عن السيد الجنرال رئيس الجمهورية لزيارة دولة غينيا والبلدان المجاورة فى القريب العاجل لما لهذه الزيارة من أثر دينى بالغ الأهمية على الشعب الغينى.

رحب فضيلة الإمام بهذه الدعوة ووعد – شاكراً – بتلبيتها فى القريب – إن شاء الله –.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر الشريف - بمكتبه السيد بيلايو ديناز موجيرزا سفير أورجواى بالقاهرة وذلك فى ٢٠ من ذى الحجة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٦ / ٣ / ٢٠٠٠.

رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف مؤكدا على أن الأزهر دائما فى خدمة الدول جميعا، وخاصة دولة أورجواى، أعرب الضيف عن سروره بالحفاوة البالغة التى استقبل بها، وبالتسامح الدينى بين الإسلام والمسيحية، وبين الإسلام والديانات الأخرى ضاربا بذلك المثل بزيارة بابا الفاتيكان لمصر ولأزهرها الشريف وقال: إن هذا أكبر مثال على توثيق العلاقات بين الديانات المختلفة، وأوضح أن دولة الأورجواى فى أمريكا اللاتينية تتحدث الأسبانية وعلاقتهم وثيقة بالعرب لأن الأصل الأسبانى أصل عربى مسلم، وعلاقة الأورجواى وثيقة بالأصل العربى وبالمسلمين.

شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف على حديثه الطيب مؤكدا على أن الأديان السماوية تدعو إلى نشر السلام والأمان وتبادل المنافع التى أحلها الله بين الناس، وأن الله – عز وجل – أوجد الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة لكى يتعارفوا ويتآلفوا، ويتعاونوا على مايعود عليهم بالنفع والخير، وهذا من تعاليم الدين الإسلامى، ومايحث الإسلام به ويدعو الناس إلى العمل به، وقال: إن مصر رئيسا وحكومة وشعبا تتبادل التعاون مع دولة أورجواى الصديقة، وتمنى

فضيلته لدولة الأورجواى التقدم والرقى، وأن يعمها الأمان والرخاء والسلام.

وقد أعرب السيد السفير عن أن زيارته تأتى فى إطار توثيق العلاقات بين مصر والأورجواى، وتأييدا لدور مصر العظيم فى المحافل الدولية، والسلام فى الشرق الأوسط يحتاج إلى دور مصر وأزهرها الشريف والجامعة العربية، ودولة أورجواى تقدر هذا الجهد الطيب لمصر من أجل نشر السلام والأمان فى أنحاء الأرض، وطلب السيد السفير من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عمل مؤتمر فى أمريكا اللاتينية لشرح دور الأزهر الشريف ولتوضيح وشرح الإسلام.

وقد أجاب شيخ الأزهر أنه لايمانع فى ذلك والأزهر على استعداد لتلبية هذه الفكرة، ودعا الله – عز وجل – أن يديم على مصر وكافة الشعوب نعمة الرخاء والأمان والإخاء والتعاون على نشر الفضائل حتى يعم الخير للجميع.

حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه الدكتور أحمد على الإمام مستشار رئيس جمهورية السودان الشقيقة لشئون التأصيل وذلك فى ٢٨ من ذى الحجة ١٤٢٠هـ ٣/٤/٢٠٠٠م.

رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف معربا بأن هذا لقاء الأخوة الصادقة والاحترام المتبادل، ونحن نتعاون على البر والتقوى وأن كل خير يأتى لدولة السودان هو خير لمصر، فنحن نشرب من ماء واحد ونعيش على أرض واحدة وتظلنا سماء واحدة، ومصر رئيسا وحكومة وشعبا ترحب بكم وبالسيد رئيس جمهورية السودان الشقيقة على أرضها، وأوضح أن الأزهر يفتح أبوابه وقلبه لدولة السودان، وأن طلبة جمهورية السودان الذين يدرسون فى الأزهر الشريف على منح يتعلمون بجوار اخوانهم المصريين، ويلقون كل اهتمام ورعاية، ويقيمون فى مدينة البعوث الإسلامية.

وقد شكر الضيف حسن اللقاء والحفاوة التى حظى بها معربا بأن هذا هو دأب الأزهر الشريف فى العطاء فما تلقاه علماء السودان فى الأزهر الشريف من علم ملىء بالرحمة والاعتدال والموعظة الحسنة، وما تلقاه أبناء السودان من علماء الأزهر الموفدين للسودان لتدريس القرآن الكريم وعلومه والقراءات، هو تواصل لاينقطع، فالأزهر لم يقصر فى أداء دوره بشيوخه الأجلاء فى بلادنا، كما يسعدنى أن أبلغ تحيات السيد عمر البشير رئيس جمهورية السودان لفضيلتكم.

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن الروح السائدة بين الشعب المصرى والسودانى هى روح واحدة وأخوة صادقة، ونحن نعمل بقول الله ـ تعالى ـ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(١).

وفى نهاية اللقاء قدم الضيف الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة دولة السودان فى الوقت الذى يحدده فضيلته، رحب فضيلته بهذه الدعوة ووعد بتلبيتها – إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة الحجرات (١٠).

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف والشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة بالأزهر.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه وفد رابطة الأطباء الباكستانيين المقيمين بالولايات المتحدة الأمريكية برياسة الدكتور جاويد أخطر وذلك فى ٢٧ من ذى الحجة ١٤٢٠هـ ٢/٤/٢٠٠٠م وتأتى هذه الزيارة فى إطار التعاون الثقافى والعلمى واللقاء بالقيادات الطبية من خلال سلسلة المحاضرات المتبادلة مع كلية طب الأزهر.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد معربا عن أن مصر رئيسا وحكومة وشعبا، وأزهرها الشريف بمعاهده وجامعته تكن لدولة باكستان الشقيقة كل حب واحترام وتقدير، ودعا الله أن يديم علينا جميعا نعمة السلام والرخاء والاطمئنان والمحبة.

وقد أوضح السيد رئيس الوفد بأن هذه الرابطة هى ضمن المؤسسات الممثلة فى الاتحاد الإسلامى بأمريكا الشمالية التى يسعى أبناؤها إلى مد يد العون والدعم للعلاقات العلمية والتعاون الدينى، ومد الجسور لتقوية الروابط الإسلامية ونشرها فى شتى بقاع العالم، ومن برامج هذه الرابطة إنشاء المستشفيات والبحث العلمى، والمساهمة فى تحديث الوسائل البحثية، وتطور الوسائل العلمية الحديثة.

وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر، وفضيلة وكيل الأزهر على أسئلة واستفسارات أعضاء الوفد التى دارت حول معاملات البنوك وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر أن المعاملات فى الإسلام تقوم على التراضى وفى حدود ما أحله الله - تعالى - كما أبدى أعضاء الوفد رغبتهم فى تعليم أبناء المسلمين المقيمين فى أمريكا خلال الإجازة الصيفية بالأزهر الشريف، وقال شيخ الأزهر: نحن على استعداد لتعليم أبناء المسلمين فى أمريكا، وعندما يوجد التعاون الصادق تسهل كل الأمور وتهون، ويتم التنسيق فى ذلك مع فضيلة وكيل الأزهر.

وفى نهاية اللقاء قدم الوفد شكره على حسن اللقاء والحفاوة.

حضر اللقاء الأستاذ الدكتور عميد كلية طب الأزهر، والأستاذ الدكتور وكيل كلية الطب، وعدد من السادة أطباء كلية طب الأزهر.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه السيد جيزفالدو باسكوال سفير الأرجنتين بالقاهرة بمناسبة توليه مهام عمله كسفير لبلاده فى القاهرة وذلك فى ٢٩ من ذى الحجة ١٤٢٠هـ ٤/٤/٢٠٠٠.

رحب فضيلته بالضيف فى رحاب الأزهر الشريف مؤكداً على حسن العلاقة بين مصر ودولة الأرجنتين فى جميع المجالات، وأشاد فضيلته بحرص المسئولين فى البلدين على خدمة الأديان السماوية وإظهار سماحتها واعتدالها، وأضاف فضيلته أن حرية العقيدة مكفولة للجميع فى مصر فلا إجبار فيها، لأن العقائد لاتباع ولاتشترى، والأزهر على استعداد تام لكل تعاون صادق من شأنه توضيح المفاهيم السمحة للأديان السماوية.

قدم الضيف شكره على حسن الاستقبال والحفاوة، موضحا بأنه رجل دين وأنه متفهم لمكانة الأزهر الشريف وأهميته الدينية لدى

مسلمى العالم، وأكد على أن المسلمين فى الأرجنتين يتمتعون بكامل الحرية فى أداء شعائرهم الدينية، كما أن شعب الأرجنتين يحترم الأديان السماوية جميعها، والمسلمون يتمتعون بحريتهم كاملة.

وفى نهاية اللقاء دعا فضيلة الإمام الأكبر للسيد السفير بأن يوفقه الله - تعالى - فى أداء مهامه كسفير لبلاده فى القاهرة، حضر اللقاء فضيلة الشيخ وكيل الأزهر، وفضيلة المدير العام للعلاقات العامة والإعلام.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه فى ٤ من المحرم ١٤٢١هـ - ٩ / ٤ / ٢٠٠٠م الوفد السويسرى لجمعية الحوار الإسلامى المسيحى بسويسرا المكون من عشرين عضوا برياسة السيدة سامية حسين والقس البرت ريجا بهدف استمرار التفاعل الإسلامى المسيحى لحوار الأديان واستكمالا لفهم المعلومات الدينية بين الجمعية والجمعيات الأخرى بسويسرا.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيوف موضحا المفاهيم الأساسية للأديان السماوية التى أنزلها الله ومؤكدا على الأصول الثابتة للأديان وهى عبادة الله - عز وجل - وعلى أن الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة، وأن الله - تعالى - قد أوجدنا جميعا لإخلاص العبادة له وحده ولنتعاون ونتبادل المنافع التى أحلها الله - تعالى - والتى تعود على البشرية بالخير لتعمر الأرض ولأنه لايمكن أن يعيش الناس منعزلين، فكان ولابد من التعاون والتعارف ومساعدة بعضنا البعض، لأن العالم أصبح كالقرية الصغيرة فما يحدث فى الغرب يعرفه من فى الشرق فى أقل من بضع دقائق نظرا لتطور وسائل المواصلات والاتصالات.

كما أكد فضيلته على أن الفضائل واحدة منذ القدم وستظل كذلك، فالصدق فضيلة وسيظل هكذا حتى نهاية الكون، العقلاء جميعا يحبون العدل والسلام والأمان والرخاء والتعاون ومساعدة المحتاج والمظلوم، ويكرهون مايخالف ذلك من غش وخداع وعدوان وإرهاب وقتل واعتداء على أموال الناس وأعراضهم وأنفسهم، ولذلك عندما يكثر عدد العقلاء فى العالم يقل عدد السفهاء وبذلك ينتشر الخير والرخاء، ويعم الأمان والسلام والاطمئنان.

وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر على أسئلتهم واستفساراتهم التى دارت حول صورة الإسلام غير الصحيحة فى الغرب، موضحا لهم بأن أسس العلاقة بين بنى البشر تقوم على تبادل المنافع التى أحلها الله - عز وجل - وأننا نتعاون على نشر الفضائل والسلام، والتعاون يتم فى جميع المجالات الزراعية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية، ونصرة المظلوم ومساعدة المحتاج وأن تسود العدالة بين الناس بغض النظر عن جنسياتهم أو عقائدهم، والدين الإسلامى يحترم الآخرين وفى مصر حرية العقيدة مكفولة للجميع، فالدين الإسلامى لايكره أحدا على اعتناق دين معين، ولا إجبار على العقائد لأن العقائد لاتباع ولاتشترى، والاكراه على العقائد لايولد مؤمنين صادقين وإنما يولد منافقين كذابين.

كما أوضح فضيلته بأن لجنة الحوار بين الأديان فى الأزهر الشريف على اتصال بالفاتيكان، وتتم اجتماعات ولقاءات، والمسلم يتقابل مع المسيحى للتحاور؛ لكى يسود السلام والأمان والرخاء للمجتمع كله، لأن من وظيفة اللجنة شرح مبادىء الأديان

السماوية التى تدعو إلى العدل والسلام والتحلى بمكارم الأخلاق.

كما أجاب فضيلته على الأسئلة التى دارت حول حقوق المرأة التى كفلها لها الإسلام.

واختتم فضيلته حديثه بأن تجارب الأيام علمتنا أنه فى النهاية لايصح إلا الصحيح.

كما استقبل فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف الوفد وأجاب فضيلته على أسئلتهم واستفساراتهم حول زواج المسلم من غير المسلمة، وحقوق كل على الآخر.

وفى نهاية اللقاء شكر الوفد حسن الاستقبال معربين عن سعادتهم بما حظوا به من رعاية وعناية وشرح وتوضيح لأسئلتهم.

حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه سعادة السفير آدم نمير سفير تشاد بالقاهرة بمناسبة انتهاء عمله كسفير لبلاده فى القاهرة فى ٧ من المحرم ١٤٢١هـ - ١٢/٤/٢٠٠٠م.

رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف معربا عن أن مصر وأزهرها الشريف تقف بجوار الشقيقة دولة تشاد، وتستقبل أبناءها للتعليم بالأزهر الشريف، وتمنى لسيادة السفير دوام التقدم والرقى وأن يوفقه الله - تعالى - فى عمله الجديد ببلاده.

قدم السيد السفير شكره وشكر بلاده لمصر ولأزهرها الشريف على مايقدم لأبناء تشاد من مساعدات فى مجالات كثيرة ومن أهمها: مجال التعليم فى الأزهر، وإيفاد المعلمين للتدريس فى المعاهد الأزهرية المنشأة بدولة تشاد والتى تسير على غرار معاهد الأزهر بمصر.

كما التقى السيد السفير بفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف لمناقشة أوضاع بعض المعاهد بدولة تشاد والأسلوب المتبع تجاه معادلتها بنظرائها بالمعاهد التى يشرف عليها الأزهر وخاصة أن بدولة تشاد ثلاثة معاهد أزهرية فى بيشا - سار - الدومان ويقوم بالتدريس فيها مدرسون من الأزهر الشريف.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد جمعية الحرية والأديان السماوية بالولايات المتحدة الأمريكية الذى حضر لزيارة الأزهر الشريف ضمن زيارتهم لمصر فى ٧ من المحرم ١٤٢١هـ - ١٢/٤/٢٠٠٠م.

أعرب فضيلته عن ترحيبه بالوفد شارحا لهم أن الناس جميعا قد أوجدهم الله - تعالى - لإعمار الأرض وخلق الرسل لهداية البشر ليعيشوا فى أمان وأمن وسلام، ومحبة لقوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(٢)

وبين أن الأديان السماوية إنما جاءت لتدعو الناس إلى الخير وإلى نشر الفضائل وإلى التمسك بها وترك الرذائل ونبذها حتى يسود الأمان والسلام والاطمئنان، والرخاء بين الناس جميعا والفضائل لاتتجزأ كما أن الرذائل لاتتجزأ،

(٢) سورة الحجرات (١٣).

فالعدل جاءت به كل الشرائع السماوية، والعقلاء يعلمون أن الأديان السماوية جميعها تدعو إلى إخلاص العبادة الله - عز وجل - وإلى نشر الفضائل، ولاخلاف على ذلك بين الرسل جميعا، فالعدل جاء مع جميع الأنبياء - عليهم السلام - وكذلك الصدق والتعاون ونصرة المظلوم ومساعدة المحتاج، وتبادل المنافع بين الناس فى حدود ما أحله الله - عز وجل - والفضائل منذ عهد آدم وحتى اليوم هى فضائل تدعو إليها العقول السليمة والفطرة القويمة.

أعرب الوفد عن سعادتهم بزيارة الأزهر الشريف، وشيخه الجليل، ووكيله فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف رئيس لجنة الحوار الدائم بين الأديان قائلين بأنهم مواطنون أمريكيون يحبون السلام وهدفهم جمع الناس من كل مكان للتعارف والتعاون وأشاروا إلى أن حبهم لله نابع من حبهم لبعضهم البعض.

فضيلة الإمام الأكبر يلتقى ومديرى عموم مناطق القاهرة والقليوبية والبحيرة

● عقد فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه فى يوم ٨ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ١٣ / ٤ / ٢٠٠٠م اجتماعا مع مديرى عموم المناطق فى القاهرة والقليوبية والبحيرة وكذلك المهندسين بهذه المناطق، وذلك بغرض بحث عملية ترميم المعاهد الأزهرية وتطويرها خلال العام الدراسى ٢٠٠٠ / ٢٠٠١، وطلب فضيلته من السادة رؤساء المناطق والسادة المهندسين حصرا كاملا لكل معهد يحتاج إلى ترميم، حتى يتسنى اتخاذ اللازم نحو ترميمه فى الفترة القادمة، وليكون جاهزا للدراسة فى بدء العام المقبل إن شاء الله - تعالى -.

حضر الاجتماع فضيلة الشيخ وكيل الأزهر، ورئيس قطاع المعاهد الأزهرية، ووكيل قطاع المعاهد لشئون الخدمات.

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يلتقى وطالبات المكتب التنفيذى لاتحاد منطقة القاهرة الأزهرية

● التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بطالبات المكتب التنفيذى لاتحاد منطقة القاهرة الأزهرية وبرفقتهن المشرفات القائمات على هذا الاتحاد وذلك فى ١٢ من المحرم ١٤٢١هـ - ١٧ / ٤ / ٢٠٠٠م.

وفى بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر بهن وأكد على حفظ الطالبات للقرآن الكريم، ونصحهم بالفهم الجيد للمواد التى يدرسونها وللدين الإسلامى، وللسنة النبوية المطهرة حتى يكنَّ من المتفوقات فى دراستهن لأن المستقبل الآن للطالب والطالبة المتوفقة، ولامكان الآن للمتخلفين والمتكاسلين واللاهين، وطالبهم بالتأنى والرسوخ فى فهم المناهج الدراسية وأجاب فضيلته على أسئلتهن واستفساراتهن التى دارت حول إضافة درجات للطلبة المتفوقين، وعن شروط التعيين بالأزهر وحول قيمة المصروفات الدراسية للمعاهد النموذجية، وأوضح أن الارتقاء بمستوى التعليم يتطلب الجهد من جميع العاملين، ومن الطلبة، بالدرجة الأولى، وأشار فضيلته إلى أن مسابقة حفظ القرآن الكريم للطلبة والطالبات هذا العام ستتم فى شهر مايو ٢٠٠٠ ورصد لها جوائز

تقدر قيمتها بـ (١٥ مليون جنيه) ويحصل الطالب الفائز فى حفظ القرآن الكريم كله خمسة آلاف جنيه، وفى نهاية اللقاء شكر الطالبات فضيلة الإمام الأكبر على سعة صدره وإجابته على أسئلتهن ونصائحه الغالية.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ جابر مصطفى رئيس منطقة القاهرة الأزهرية، وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام.

اجتماع المجلس الأعلى للأزهر الشريف

برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف عقد المجلس الأعلى للأزهر الشريف جلسته فى ٢٢ من ذى الحجة ١٤٢٠هـ - ٢٨ / ٣ / ٢٠٠٠م حيث تمت الموافقة على الآتى:

١- إنشاء مستشفى تعليمى بدمياط تابع لكلية الطب بنين بدمياط فرع كلية الطب بنين جامعة الأزهر بالقاهرة.

٢- إضافة شرط إلى نص الإعلان عن وظيفة معيد بقسم التربية الرياضية بكلية التربية للبنين جامعة الأزهر بالقاهرة على أن يكون من خريجى الكلية، ويُفضل الحاصلون على بطولات رياضية.

٣- إضافة شرط إلى نص الإعلان عن وظيفة مدرس مساعد بقسم الفقه المالكى بكلية البنات الإسلامية بأسيوط تخصص السياسة الشرعية.

٤- إدخال بعض التعديلات بخطة الدراسة لمرحلة الإجازة العالية نظام الفصلين الدراسيين بكلية أصول الدين بالقاهرة، وكليات أصول الدين بالأقاليم، وإضافة مادة العقيدة وفلسفة العلم، واستخدام التكنولوجيا لتخريج وتحقيق الأحاديث النبوية عن طريق الكمبيوتر، ويضاف ساعات التخريج للأحاديث على الكمبيوتر.

٥- تحديد الشعب والأقسام العلمية بكلية الدراسات الإنسانية للبنات بتفهنا الأشراف بالدقهلية.

٦- اعتماد اللائحة الداخلية لمركز أبحاث وعلاج أمراض الدم والمناعة فى الأطفال مرحلة ماحول الولادة بكلية طب البنات جامعة الأزهر القاهرة (وحدة ذات طابع خاص).

٧- أن يؤدى المتقدمون من معيدين ومدرسين مساعدين لشغل وظائف أعضاء هيئة التدريس بكليات الجامعة العملية من الكليات العملية المناظرة بالجامعات المصرية الامتحان فى المواد الاسلامية التى تدرس فى الكليات العملية على أن يطبق ذلك اعتبارا من العام الجامعى ٢٠٠٠ / ٢٠٠١م.

٨- استثناء الطلاب الذين انتهوا من كتابة مخططات بحوثهم لدرجة العالمية (الدكتوراه فى الفلسفة). واعتمدت من مجالس الأقسام والكليات من أحكام اللائحة الموحدة لكليات التجارة وتسجيلهم فى أكتوبر ٩٩..

٩- إعلان الأزهر الشريف عن حاجته لشغل وظيفة مدرس مادة ثالث بالمجموعة النوعية لوظائف التعليم الأزهرى والدعوة بالدرجة الثالثة من خريجى كليات جامعة الأزهر للعمل محفظين للقرآن الكريم وتجويده بالمرحلة الابتدائية من معاهد المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية من الذكور والإناث، وبامتحان شفوى وتحريرى طبقا للشروط المعلنة بكل منطقة أزهرية.

١٠- تحديد رسوم إقامة طالبات جامعة الأزهر

المقيمات فى مبنى الجمعية الإسلامية لتيسير الحج بأسيوط بسبعة عشر جنيها شهريا وثمانية جنيهات رسم تغذية إلى جانب ماتتحمله الطالبة من الرسوم السنوية والشهرية المقررة .

حضر الاجتماع الأستاذ الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف، والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف، والسادة نواب رئيس الجامعة والسادة أعضاء المجلس الأعلى للأزهر.

الدورة العالمية التدريبية لتدريب الأئمة والدعاة الوافدين من العالم الإسلامى

صدر قرار شيخ الأزهر رقم ٢٥١ لسنة ٢٠٠٠ بالموافقة على إقامة الدورة العالمية التدريبية التاسعة والأربعين لتدريب الأئمة والدعاة الوافدين من العالم الإسلامى بالأزهر الشريف لمدة ثلاثة شهور اعتبارا من ١ / ٥ / ٢٠٠٠ وذلك للسادة الآتية أسماؤهم وعددهم ٢٧ إماما وواعظا وتتحمل موازنة الأزهر الشريف تذاكر السفر ذهابا وإيابا لهؤلاء الدارسين بالإضافة إلى نفقات الإقامة لهم بمدينة البعوث الإسلامية وهم :

وفد دولة نيجيريا :

١– أبو بكر دونيا إبراهيم حما .

٢– إبراهيم ذكرى أبو بكر .

٣– عمر بلاين إسماعيل ألفا .

٤– موسى بتدادو وعثمان

٥– عبدالكريم سليمان مامر .

وفد دولة كينيا :

١– عبدالله سالم أبو بكر .

٢– محمد مادى عمر صبور .

٣– سليمان بكر متاتا .

٤– عبدى ديرى محمد عبدى .

٥– حسن أحمد على السماحى .

وفد دولة غانا :

١– عبدالمؤمن موسى فيصل

٢– يوسف إمام عبدالرحمن سليمان

٣– عبدالرازق محمد الأمين أحمد .

٤– محمد منير لارى .

وفد دولة توجو :

١– ابن إدريس محمد الطاهر .

٢– سعيد محمد أول .

٣– محمد ثالث بارا .

وفد دولة بنين :

١– عبدالفتاح اكابنى حمزة .

٢– عيسى داوود مصطفى .

٣– مشهود يوسف توكورو .

وفد دولة السنغال :

١– محمد المنصور عبدالله انجاى .

٢– بابكر دمب مورباس ندياى .

وفد دولة بوركينا فاسو :

١– أبو بكر بن عبدالوهاب سانا .

٢– صالح إبراهيم تساميدو .

٣– عمر ديالو جبريل سعيد .

٤– تشامبيدو محمد البشير .

٥– أحمد صديق كورفو .

من أنباء العالم الإسلامى

إعداد : د. محمد عبد الحكيم محمد

فضيلة المفتى يطالب بمقاطعة الدول التى تحارب المسلمين

القاهرة - دار الإفتاء :

أكد فضيلة مفتى جمهورية مصر العربية الدكتور نصر فريد واصل على أن الإسلام وضع للأنشطة التجارية مجموعة من القيم التى تتحقق من خلالها التنمية البشرية والاقتصادية كالصدق فى المعاملات والوفاء بالعقود والالتزامات، سواء على مستوى الأفراد أو المجتمعات.

وأوضح أن التزام دول العالم الإسلامى بالأخلاقيات الإسلامية للاقتصاد هو السبيل الأول لحل المشكلات المالية والاجتماعية والسياسية.

وطالب فضيلة المفتى بضرورة اتخاذ موقف اقتصادى موحد ضد المجتمعات التى تحارب المسلمين، حتى ولو وصل إلى حد مقاطعة هذه الدول تجاريا حتى لانوفر لهم وسائل إبادة المسلمين كما حدث فى البوسنة وكوسوفو، وكما يحدث الآن فى روسيا ضد شعب الشيشان.

الشيشان ستقاوم الروس حتى النصر

القاهرة - نقابة الصحفيين :

فى ندوة عقدتها « نقابة الصحفيين » مساء الاثنين الموافق ١٢ من المحرم ١٤٢١هـ - ١٧ من أبريل ٢٠٠٠م عن « مستقبل القضية الشيشانية » أعلن الدكتور إسلام حليموف مستشار الرئيس الشيشانى، أن شعب الشيشان لن يستسلم وسيقاوم المعتدين الروس حتى النصر.

وكشف سيادته النقاب عن انتهاكات الروس تجاه الشعب الشيشانى مبينا أن الشعب الشيشانى يتعرض لحرب إبادة وحشية لم يسبق لها مثيل، حيث قام الروس بتدمير المدن والقرى وتسويتها بالأرض، وقتلوا وشردوا مئات الآلاف من الأبرياء.

وأكد الدكتور حليموف على : أن الشعب الشيشانى وقيادته مستعدون للتفاوض

والتعايش مع الشعب الروسى على أساس حسن الجوار شريطة عدم التدخل فى شئوننا وأن يتركونا نعيش فى دولتنا المستقلة دون فرض لأية قوانين تمس حريتنا وعقيدتنا الإسلامية التى لن نرضى عنها بديلا .

أول مجمع فقهى بدولة السودان

القاهرة - الأزهر :

زار القاهرة مؤخرا الدكتور أحمد على الإمام لاجراء مباحثات مع فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر - حول تعزيز سبل التعاون بين مجمع الفقه الإسلامى الذى تم إنشاؤه بالسودان وبين مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة .

صرح الدكتو أحمد الإمام للصحفيين عقب اللقاء بأن الهدف من إنشاء المجمع الفقهى تشجيع الاجتهاد الفقهى الجماعى واستنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة وإجماع الفقهاء .

مسلمو منغوليا ينشدون دعم العالم الإسلامى

يعيش المسلمون فى منغوليا فى ظروف صعبة، ويحتاجون لاستثمارات من المسلمين فى العالم لتنفيذ مشروعات لديهم لرفع مستواهم الاقتصادى، ويقدر عددهم بـ « ١٢٠ » ألفا .

ويقول رئيس جمعية مسلمى منغوليا سايران قادر : إن بعض المسلمين يرسلون مساعدات لمسلمى منغوليا، ولكن الحاجة ماسة إلى مشاريع للتنمية، تفيد المسلمين على المدى الطويل .

ومنغوليا تقع غرب الصين وشرق روسيا، ومساحتها مليون ونصف المليون كيلومتر مربع، والسكان مليونان و« ٣٠٠ » ألف والعاصمة أولان باتار .

وكانت تابعة للمعسكر الشيوعى، تحت نفوذ الاتحاد السوفييتى، والآن أصبحت مستقلة، وأغلبية السكان من البوذيين .

والمسلمون من القازاق، وهم أصل الأتراك، وجاءوا من تركستان الشرقية إلى غرب منغوليا فى القرن الـ « ١٩ » الميلادى، وخلال الحكم الشيوعى دمرت المساجد، ومنع التعليم الإسلامى، وبعد الاستقلال أصبح للمسلمين الحرية فى العبادة، واعترفت الحكومة بالدين الإسلامى، وأسست أول منظمة إسلامية فى منغوليا عام ١٩٩٠م، وهى جمعية « مسلمى منغوليا »، والتى قامت ببناء ١٩ مسجدا ومصلى، ويدرس ألفان من الأطفال والكبار القرآن الكريم فى المساجد . وتم ابتعاث « ١٠٠ » طالب إلى جامعات العالم الإسلامى لتعلم العلوم الإسلامية، ووزعت الجمعية هناك « ١٥٠٠٠ » نسخة من المصاحف على المسلمين . وردت كهدايا من السعودية ومصر والكويت وتركيا وباكستان .

ختان الذكور يمنع الإصابة بالإيدز

●● فى دراسة علمية أعدها الدكتور روجر شورت أستاذ التوليد بجامعة ملبورن

باستراليا وزميله الدكتور روبرت زايو، حول إصابة مناطق الجسم بالإيدز وجد أن عدم ختان الذكور يجعلهم أكثر عرضة للإصابة بمرض الإيدز، وقد لاحظ وجود اختلافات بين انتشار مرض الإيدز داخل حزام الإيدز فى الدول الأفريقية جنوب الصحراء فقد وصلت نسبة الاصابات فى بعض مناطقها إلى ٢٥٪.

بينما وصلت فى مناطق أخرى إلى ١٪، وترتبط النسبة المتدنية بممارسة واسعة لختان الذكور.

إنشاء جامعة إسلامية فى مدينة سيول

●● الاتحاد الإسلامى فى كوريا الجنوبية حصل على قطعة أرض تبلغ مساحتها ٤٣٠ ألف متر مربع من الحكومة لينشىء عليها جامعة إسلامية. يبلغ عدد المسلمين فى كوريا الجنوبية ٥٧ ألف نسمة يتمركزون فى العاصمة سيول ومدينتى بوسان وكوانغو، ويشرف عليها الاتحاد الإسلامى الكورى الذى يصدر مجلة شهرية اسمها «صوت الإسلام».

المعهد الأوروبى بفرنسا يشيد بتكريم المرأة فى الإسلام

أكد مدير المعهد الأوروبى للعلوم الإنسانية فى فرنسا، الدكتور زهير شكر محمود، أن الإسلام كرم المرأة وأعطاها حقها وحفظها وحفظ أنوثتها.

وقال: إن المرأة المسلمة فى فرنسا تشق طريقها بكفاح مشرف لإثبات وجودها فى جميع المجالات.

أربعة ملايين مسلم يعانون من المشاكل فى بورما

مازال أربعة ملايين مسلم فى بورما يعانون من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المستمرة التى فرضها عليهم الحكم العسكرى فى بورما.

ففى عام ١٩٨٢م أصدر الحكم العسكرى قانون المواطنة والجنسية الذى تم بموجبه إلغاء جنسية المسلمين الروهنجيا فى بورما، وحرمان المسلمين من التنقل داخليا والسفر إلى الخارج وقد هرب منهم ٣٠٠ ألف إلى جمهورية بنجلاديش.

وقام الحكم العسكرى البوذى باعتقال المسلمين الأبرياء ووضعهم فى المعتقلات وتعذيبهم، وفرض عليهم القيام بأعمال السخرة دون أجر، فيما سدت أمام مسلمى أراكان أبواب الوظائف الحكومية، وصودرت أوقافهم وأراضيهم الزراعية.

وعمل الحكم العسكرى فى بورما على وضع العقبات والعوائق أمام تعليم أبناء المسلمين فى المدارس والجامعات الحكومية، وعدم السماح للمسلمين بالمشاركة فى الندوات والمؤتمرات الإسلامية العالمية.

Telle est la doctrine musulmane orthodoxe (Hanif), celle de notre ancêtre “Ibrahim” (Abraham) qui ne reconnaissait qu' :Allah” pour Dieu, Créateur,Pourvoyeur, Guérisseur et Sauveur. Celui à qui “Djibril” (Gabriel) apparut, lorsqu'ill fut jeté au feu, et qui lui demanda ce qu'il désirait. Ce prophète monothéiste lui répondit: “De ta part? Rien!”

Dans les moments de crainte, de peur et de panique il n'implore que son Seigneur. Parce qu'il sait que personne ne peut rien pour lui, même pas le plus important des anges, l'Esprit-Saint lui-même. Il n'y a qu'”Allah qui agit vraiment dans l'univers. Personne ne peut être ni utile ni nuisible sans Sa permission.

C'est là un degré de savoir auquel seul un prophète peut accéder.

Traduit de l'arabe par

Zeinab Hassan

Or, prendre pour dieu unique sa propre personne, ses passions et ses dons relève du polythéisme caché:[Vois- tu celui qui prend sa passion pour sa propre divinité?] ("Al Djathia" 23).

Ceux qui sont bien informés ne s'attribuent pas le mérite de leurs actions mais ils les ramènent à "Allah" et à Son appui. Et même plus que celà: il y a de,êtres qui ne se reconnaissent aucun mérite, nient leur volonté de choix et leurs bonnes intentions parce qu'ils pensent que tout cela est dû à la grâce de leur Seigneur. Ils vont même jusqu'à renier leur propre identité. Ils oublient leur essence, et témoignent que la personne ne possède d'elle-même que le néant et que tout ce qu'elle a provient d' "Allah". Aussi, ils ne font plus de choix, tout en observant que c'est "Allah" qui choisit pour eux à tout instant, puis il ne voient plus que Lui en toute chose; telle est la foi en l'unicité absolue. Ceci est la mise en pratique du témoignage "Il n'ya d'autre dieu qu' Allah" qui devient alors un mode de vie.

La récompense de cet acte de foi en l'unicité absolue où le serviteur rejette son propre choix et opte pour celui d' "Allah" en toute chose, sera le pardon total et la dispense de tout jugement. "Allah" dit au pêcheur dans Le Hadith divin (Qudussy): "Si tu viens à mois avec une quantité de péchés grande comme la terre en ne Me donnant aucun associé, tu trouveras chez moi un pardon aussi immense."

Ceci est le fruit de la foi en l'unicité et la récompense pour cette attestation: Il n'y a pas d'autre dieu qu' "Allah", quand l'un de nous en fait son mode de vie, sa ligne de conduite, les pulsations de son être, son souffle de vie et même la substance dans laquelle nage son coeur. C'est ce que le Coran entend par la formule "La Soumission à Allah –qu'il soit glorifié". C'est ce que notre noble Messager a voulu dire, lorsque quelqu'un lui a demandé de lui résumer en deux mots la religion qu'il a reçue d'"Allah", Il a répondu par cette formule succinte: "Dis: Il n'y a d'autre dieu qu' "Allah:, puis agis avec droiture"..

Malgré cette multitude "Il n'ya d'autre dieu qu' "Allah". Il est derrière toute action: Il est le Guérisseur, le Pourvoyeur, le Désavantageur et le Prééminant. Son Essence Unique est la seule qui agit de tout temps et éternellement.

L'énergie électrique n'apparaît-elle pas différente dans chaque lampe selon la nature du fil métallique qui s'y trouve?

L'électricité n'apparaît-elle pas dans les lampes en néon avec des couleurs et des intensités différentes suivant les gaz utilisés dans ces tubes?

Combien elles ressemblent à nos âmes dont les actions diffèrent en fonction de leurs ressemblances, bien que celui qui agit soit le même.
Ceci n'est qu'un exemple!

Le monde tout entier n'est qu'un exemple symbolique de la puissance de L'Unique auquel rien n'est pareil.
Si tu vois "l'Unique" derrière la multitude, sans être affecté par cette dernière, si tu sais que tu n'as toujours affaire qu' à lui directement, si tu ne vois d'autre guérisseur que lui, malgré le médicament que tu prends et ta confiance dans le bistouri du chirurgien, si tu vois que c'est Lui qui te nourrit et te donne à boire et si tu sens que tu manges et bois dans Sa main quelque soit la variété de restaurants que tu fréquentes; si tu t'oublies et que tu ne vois que Lui, alors tu es véritablement le mulsulman monothéiste.

Le mal vient de ce que chacun de nour pense que ses actions proviennent de sa propre initative tout comme "Qarûn" (Crésus) avait pensé qu'il était le possesseur du savoir, de l'oeuvre; et il avait dit en évoquant ses biens et sa notoriété: ["Je n'ai reçu cela que grâce à un savoir que je possède"] ("Al Qaçaç"78). Il ne voyait alors que son propre savoir, oubliant qu'il ne possédait aucun savoir ni acun pouvoir par lui-même, mais que sa puissance, son intelligence et son savoir étaient un don de son Seigneur.

L'attestation de L'unicité,

Que signifie-t-elle?

Lorsqu'on demande: â qui appartient le Royaume,de nos jours? La reponse des cieux et de la terre ainsi que celle des anges et de toutes les créatures est: A "Allah" " L'Unique", Le Vainqueur." Ce qui n'a rien de nouveau:"Allah" a toujours été Le Roi, aussi bien de nos jours que tous les jours.or les apparences de ce monde à première vue sont trompeuses. Certains paraissent posséder des pouvoirs: le médecin guérit, le sultan octroie, le poison tue, tout comme les armes. On peut penser que celui-ci est utile alors que celui-là est nuisible et qu'il ya des tyrans qui gouvernent . Or,nous avons oublié qu' "Allah" se désigne ainsi dans Le Coran: ["Il est Le Premier, Le Dernier, L'Apparent et L'Occulte"] ("Al Hadid"3).

En effet, lorsque le médecin guérit, le sultan octroie, le poison fait mourir et la balle tue, c'est "Allah" qui apparaît dans toutes ces manifestations et Il est la source de l'action même, c'est L'apparence visible de la volonté divine qui se manifeste par les mains de tous ceux-là en cet instant. Qu'Il soit glorifié, lui qui se manifeste chaque jour par une oeuvre différente, et telles sont ses oeuvres.

Si nous avons vu des tyrans qui gouvernaient, ils ne l'ont fait en vérité que par lui. Mais c'est l'attribut du "Réformateur" qui s'est révélé en eux, car par leurs aptitudes ils ne pouvaient recevoir que cet aspect de l'Essence divine. Ils n'étaient pas âptes à être éclairés ni par "Le Tout-Plein de Miséricorde" ni par "Le Bienveillant", ni par "Le Compatissant". Ils ne pouvaient pas non plus recevoir les beaux attributs du "Clément", du "Généreux", du "Tout-Plein d'Amour", du "Tout Plein de Grâce", ni du "Trés Subtil".

Nous sommes toujours avec "Allah" et rien d"autre que Lui ne se manifeste en nous. Il est, par Son nom et ses actions "Apparent" en toute chose; toutefois Il nous est caché par les causes et par la multitude.

Le Messager -b.s.-, heureux de voir la profondeur de la foi des Musulmans, leur dit: "*Avancez et soyez sans crainte car Allah m'a promis l'une des deux récompenses. Par Allah, c'est comme si je voyais les gens combattre!*".

Cette consultation eut pour effet d'unifier les voix et les rangs et d'enfammer les cœurs des musulmans en les incitant au sacrifice.

D'autre part, lorsqu'Allah eut comblé de Ses grâces le Prophète et les Musulmans grâce à leur victoire dans le combat de Badr, ils prirent comme captifs soixante-dix polythéistes. Alors le Messager d'Allah -b.s.- voulut prendre l'avis de ses compagnons au sujet de ces captifs. 'Umar ibn Al Khattab dit: "*Ô Messager d'Allah, ils t'ont renié, l'ont combattu et t'ont chassé, tue-les car ils sont les chefs du polythéisme et de l'égarement*". Un groupe de Musulmans approuva cet avis. Ensuite Abu Bakr dit : "*Ô Messager d'Allah, ces gens sont ton peuple et ta famille. Allah t'a donné la victoire sur eux. Je suggère que tu prennes d'eux une rançon et ce que nous leur prendrons sera un appui et une force pour nous contre les incroyants. Peut-être qu'Allah les guidera et qu'ils seront un appui pour nous*".

Un groupe des compagnons approuva cet avis. Le Prophète -b.s.- suivit le conseil de Abu Bakr et non celui de 'Umar et il accepta les rançons versées en échange des la libération de captifs.

Dr. Rokaya GABR

بسم الله الرحمن الرحيم

En commémoration du combat de Badr

par Dr. Rokaya Gabr

Le combat de Badr renferme de nombreuses leçons dont nous exposerons quelques-unes qui sont des modèles de ce que devrait être la consultation en Islam.

Lorsque le Messager d'Allah -b.s.- apprit que la tribu de Quraïch était sortie pour couper la route à leurs chameaux, il décida de les affronter. Toutefois il ne voulut pas être seul à prendre cette décision, aussi demanda-t-il l'avis de ses compagnons. D'abord Abu Bakr puis 'Umar approuvèrent et appuyèrent l'avis du Prophète -b.s.-. Ensuite Al Miqdad ibn 'Amr prit la parole; il dit : "Ô Messager d'Allah, poursuis la route qu'Allah t'a tracée, et nous sommes avec toi. Par Allah! Nous ne ferons certes pas comme le peuple d'Israïl qui dit à Moïse; "*Va combattre, toi et ton dieu; quant à nous, nous restons là*". Nous te disons plutôt : "*Va combattre, toi et ton Dieu et nous combattrons à vos côtés*".

Alors le Prophète -b.s.- s'adressa aux Ançar qui lui avaient prêté serment d'allégeance en lui promettant de le défendre contre ses ennemis si ceux-ci arrivaient à Médine. En effet il craignait que les Ançars entendaient le soutenir uniquement au cas où on l'attaquerait à Médine. C'est alors que Sa'd ibn Mu'adh prit la parole et dit: " Nous avons cru en toi et nous avons témoigné que ce que tu nous apportes est la Vérité. Nous t'avons prêté serment et nous t'avons fermement promis de t'écouter et d'obéir. Fais donc ce que tu as décidé de faire et nous te suivrons. Par Celui qui t'a envoyé avec la Vérité si tu nous emmenais au milieu de la mer et que tu t'y jetais, nous nous jetterions avec toi et aucun d'entre nous ne penserait à rester en arrière. Il ne nous répugne pas que tu nous fasses affronter demain nos ennemis, car l'endurance dans la guerre sera une preuve de la sincérité de la foi, le Jour de la Rencontre (où les humains comparaîtront devant Allah). Peut-être Allah te fera-t-il voir en nous de quoi te rendre heureux. Va donc avec la bénédiction d'Allah".

REVUE
AL AZHAR
Sction Francaise

The lessons

Human emotions such as jealousy and hatred can lead to stressful family situations. Therefore, it is important that we do the best we can to try to control these negative emotions. However, if one finds that it is not possible to control these emotions then it is best that the parties involved separate.

Dedication and total submission to Allah are compensated with His Mercy and Reward both in this life and the hereafter. Kindness, forgiveness and mercy towards our enemies also help to teach them the righteousness of Islam as well as possibly helping to bring them to the worship of Allah alone. However, we must also remember that no one can guide one whom Allah has led astray and no one can lead astray one whom Allah has guided.

The Prophets of Allah
Prophet Ishaaq & Prophet Ya'qub عَلَيْهِمَا السَّلَام
by M.M. Gemea

When Allah سبحانه وتعالى sent the angels to destroy the disbelievers among the people of Prophet Lut, He also sent them to bring the glad tidings of a son to Prophet Ibrahim. The angels told Ibrahim that Allah سبحانه وتعالى had commanded that Ibrahim and Sarah would have a son named Ishaaq and he would have a son who would be named Ya'qub.
Allah سبحانه وتعالى bestowed Ishaaq and his son Ya'qub upon Ibrahim in fulfillment of His promise to Ibrahim that his offspring would be prophets of Allah.
We do not know much of the lives of Ishaaq and Ya'qub as the Qu'ran and the Sunnah do not speak of them often. However, Allah سبحانه وتعالى has told us that both Ishaaq and Ya'qub would possess much knowledge and wisdom (Surah 15:53), that they would be prophets amongst those who were inspired (Surah 2 :163), and guided by Allah. Allah has also said that He gave Ishaaq and Ya'qub to Ibrahim and made each one of them a prophet (Surah 19:49), and that both were righteous and blessed. (Surah 21:72, Surah 37:113).
We know from the Qur'an that Allah has stated that Ishaaq and Ya'qub both taught Tawheed (the Oneness of Allah), and told their children, before they died, that they should not die unless they were Muslims. Both Ishaaq and Ya'qub have been remembered because of their truthfulness. They were both leaders who guided mankind by the Command of Allah and were inspired to do good deeds. They offered prayers perfectly and gave Zakat, and they worshipped Allah alone. Both Ishaaq and Ya'qub were in constant remembrance of the hereafter and reminded others about their final destiny on the Day of Judgment. Prophet Ya'qub has also been mentioned throughout the story of his son Yusuf as will be seen in greater detail later.
Reliable Qur'anic commentators mentioned that when Ibrahim felt that his life was drawing to a close, he wished to see Ishaaq married. He did not want Ishaaq to marry one of the Canaanites, who were pagans, so he sent a trustworthy servant to Haran in Iraq to choose a bride for Ishaaq. The servant's choice fell on Rebekah Bint Bethuel. Ibn Nahor, who was a brother of Abraham. Isaac married her and she gave birth to a set of twins, Al-Eis and Ya'qub.
feelings developed between the two brothers when they grew into manhood. Al-Eis disliked the fact that Ya'qub was favored by his father and by Allah with prophethood. This ill-feeling became so serious that Al-Eis threatened to kill his brother. Fearing for his life, Ya'qub fled the country.
Ya'qub had twelve sons who are also known as Al-Asbat and Bani Isra'il (Ya'qub was also called Isra'il). They were : Robil, Shamun, Lawi, Yahudh, Isakher, Zablun, Yusuf , Bin Yamin, Dan, Neftali, Gad and Asher.

"And whoever obeys Allah and the Messenger, they are with those upon whom Allah has bestowed fervors from among the prophets, and the truthful and the faithful, and the righteous, and a goodly company are they!"
(Al Nisa'a, 69)
The prophet's saying i.e. traditions or Hadith are very important. They have been collected and studied by great scholars who exerted efforts to ensure their authenticity. Once we know that a Hadith is authentic, we have to follow it. Generally speaking a Hadith focuses on the creed of Islam, explains acts of worship, calls for some good manner, or prohibits what causes corruption ... etc. In that case it is a legislation that has to be followed.
The rightly guided Caliphs, the companions of the prophet (p&buh) or the successors who rightly followed them, knew the Sunna best. They loved the prophet (p&buh) and followed the shari'a better than anyone. We are commanded to follow the example of those people and take what Allah and His Messenger have given us because of its perfection.
Narrated Abu Hurairah (May Allah be pleased with him), Allah's Messenger ([p&buh) said," All my followers will enter Paradise except those who refuse" They (the people) asked, "O Allah's Messenger! Who will refuse?" he said, "Whoever obeys me will enter Paradise, and whoever disobeys me is the one who refuses (to enter it).
(Related by Al Bukhari-volume 9-Book of Holding Fast to the Qur'an and the Sunna).
May Allah help us and all the Muslims to understand His religion, to continually confirm us on it, stick to Sunna and keep away from the innovation.

Reference

A book entitled "The place of Sunna in Revealing the Teachings of Islam" by Sheikh Ali Al Khafif. (Al Azhar Magazine, Shawal 1420 - January 2000)

The Qur'an and the Sunna
By : Hanan Abdou El Tahtawy

The Holy Qur'an is the Book of guidance in which there is no doubt. By following its teachings, it guards man against evil and saves him from sin. It lays down the principles by following which, man reaches a higher stage in this life and the life Hereafter.

Prophet Mohammed (peace and blessings upon him) is the model for all Muslims. His deeds and words are the Sunna, which all Muslims must follow. Together with the Qur'an, the Sunna is considered a reference for understanding the message and the basic rules of religion.

The value of the Sunna lies in explaining the verses of the Qur'an, and providing details for the set obligations. For example, when the Qur'an spoke of prayers, zakat and Haj, no one knew how such duties could be performed. Consequently, the prophet (p & buh) told the believers what they needed to know. He explained to them the number of prayers and showed them how to perform them. He stated who should pay the zakat and all that is related to it.

According to the rule of the Islamic Shari'a, all matters regarding legislation or prohibition and all disputes among the people, should be referred to the Book of Allah and the Sunna of His Messenger in line with the saying of Allah:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ
تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾

"O you who believe, obey Allah and obey the Messenger and those in authority from among you; then if you quarrel about anything, refer it to Allah and the Messengers, if you believe in Allah and the Last Day. This is best and more suitable to (achieve) the end.
(Al Nis'a, 59)

After the death of the prophet (p&buh), his companions used to refer first to the Holy Qur'an to settle any problem, then they go through the Sunna and finally when they could not reach a solution they work hard and try to find their own ways depending on (Ijtihad) In fact, obeying the prophet (p&buh) is essential as stated in the Qur'an. Allah says:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾

"O you who beleive, obey Allah and His Messenger and turn not away from Him while you hear" (Al Anfal, 20)

He also says :

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ
أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾

AL-AZHAR MAGAZINE
Safar 1421 H.

ENGLISH SECTION
May 2000

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. TRANDIL H. EL RAKHAWY, Ph.D.

Dept. of English Language and Translation

Al-Azhar University

ADEL REFAI KHAFAGA M.A.

Executive Secretary

Al Azhar Magazine

الفهرس

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي
• • •
المشرف العام
رئيس التحرير
عبد المعز عبد الحميد الجزار
مدير عام التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
سكرتير التحرير
عادل رفاعي خفاجة
المراسلات باسم
مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.
ت : ٢٦٣٨٥٩٩
الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

في مولد البشير النذير
دروس - عبر - عظات

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، ذى الفضل والإنعام، الذى أنار الوجود بمولد سيد الأنام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، إمام كل إمام، وعلى آله وأصحابه، وذريته وأهل بيته الكرام.

وبعد: فإن نعم الله علينا كثيرة لا تعد ولا تحد، قال -تعالى-:

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾(١) وهذه النعم تتفاوت كمالاً وشرفاً، وإن أجل هذه النعم علينا وأعظمها وأتمها وأشرفها سيدنا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان.

(١) سورة النحل الآية١٨.

وإن وجوده -ﷺ- وكذا سائر نعمه -تعالى- من واسع كرمه وجوده.

وهذا النسب الشريف أشار إليه صاحب الهمزية بقوله:

وبدا للوجود منك كريمٌ ... من كريم آباؤه كرماءُ

نسب تحسب العلا مجلاهُ ... قلدتها نجومها الجوزاءُ

حبذا عقد سؤددٍ وفخارٍ ... أنت فيه اليتيمة العصماءُ

وقال العلامة الماوردى فى كتاب «أعلام النبوة»: وإذا اختبرت حال نسبه -ﷺ- وعرفت طهارة مولده -ﷺ- علمت أنه سلالة آباء كرام، ليس فيهم مسترذل، بل كلهم سادة قادة، وشرف النسب، وطهارة المولد، من شروط النبوة».

وقال عمه أبو طالب :

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر ... فعبدُ منافٍ سرها وصميمُها

وإن حصلتْ أنساب عبد منافها ... ففى هاشم أشرافُها وقديمُها

وإن فخرتْ يوماً فإن محمداً ... هو المصطفى من سرها وكريمها(٢)

هذا هو النسب الناصع للصادق الأمين -عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم- نسب الذى شرف الله- تعالى- به الوجود ببعثته الخيرة، واصطفاه من خلقه، وأرسله رحمة للعاملين. واختاره هادياً مهدياً، فهو من صميم قريش، التى لها القدح المعلى فى الشرف والمجد، وعلو المكانة، والفخر بين سائر العرب، ولا نجد فى سلسلة آبائه إلا كريماً من كريم، وليس فيهم مسترذل ولا وضيع، بل كلهم سادة قادة، وكل اجتماع بيبن آبائه وأمهاته كان شرعياً حسب الأصول العربية، ولم ينل نسبه الطاهر شىء من سفاح الجاهلية كما أقره العلماء الأعلام.

أخرج البزار والطبرانى وأبو نعيم من طريق عكرمة، عن ابن عباس -رضى الله عنهما- فى قوله -تعالى-: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾(٣) قال: ما زال النبى -ﷺ- ينتقل فى أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه، وعلى هذا يكون كل أصوله موحدين.

وأخرج البيهقى والطبرانى فى الأوسط وابن عساكر، عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: قال رسول الله -ﷺ-: «قال لى جبريل: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد، ولم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم».

---

(٢) إنسان العيون فى سيرة المأمون (١/٤٥) .

(٣) الشعراء (٢١٩).

ورأت آمنة فى منامها ليلة عرسها، كأن شعاعاً من نور يشع فى كيانها، فيضىء الدنيا من حولها، وسمعت هاتفاً يبشرها بأعظم ولد.

وذهب جمهور العلماء إلى أنه -ﷺ- ولد يوم الاثنين، الثانى عشر من شهر ربيع الأول بمكة المكرمة، ويوافق رأى الجمهور إلى ما ذهب إسحاق إليه وغيره عام الفيل ٥٧٠م.

وكانت مكة حين ذاعت فيها بشرى مولد ابن عبدالله، ما تزال تحتفل بما أتاح الله لها من نصر على أصحاب الفيل، من حيث لا تحتسب، فرأى القوم فى ولادة سيد الوجود، ورسول كل والد ومولود آية أخرى يوم أن اختير أبوه قرباناً لله رب الكعبة، ثم افتدى بمائة رأس من الإبل.

أقول ولا أكون مغالياً، إن الله اصطفى مع الزمان أم القرى مكة، وبنى عندها ما اصطفى لنفسه بيتاً، ثم اصطفى لنا مع الزمان ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الأول موعد مولد المصطفى -ﷺ- ليكون ربيعاً للإنسانية، ورسولاً للبشرية، هادياً مهدياً، رحمة للعالمين.

وإذا تأملنا فى كل ما سبق وغيره لنجد الدروس النافعة لنا فى حياتنا التى منها أن آباءه موحدون، وأنه سليل آباء طاهرين ساجدين، وأن اختيار أسم محمد، هذا الاسم الشريف هو أشرف أسمائه -ﷺ- وأشهرها بين العالمين، وألذها سماعاً عند جميع المسلمين، وأشوقها إلى الصلاة والسلام على سيد الأنام، ولذا خصت به كلمة التوحيد، ولم يسم قبله بهذا الاسم إلا خمسة عشر، سموا به رجاء النبوة؛ لعلمهم بأنه سيكون نبى آخر الزمان، وأن اسمه محمداً، والله أعلم حيث يجعل رسالته، ثم إنه يستحب التسمية به محبة فيه -ﷺ- ثم يجب حفظ نسبه وإن نعلمه أطفالنا، وشبابنا، وأنه ولد بمكة، ودفن بالمدينة عليه الصلاة والسلام.

ثم إن إهلاك أصحاب الفيل الذى كان إهلاكهم تشريفاً له -ﷺ- ولبلده، وإلا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه أهل مكة، لأن أهل مكة كانوا عُبّاد أوثان، فنصرهم الله -تعالى- نصراً لا صُنع للبشر فيه، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذى نشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبى الأمى خاتم الأنبياء محمد -ﷺ- ثم إن حب العرب حب للنبى -ﷺ- وأن بغض العرب مفارقة للدين، وقال بعض أهل المعانى: كان مولده -ﷺ- فى فصل الربيع، وهو أعدل الفصول، ليله ونهاره معتدلاً بين الحر والبرد، ونسيمه معتدل بين اليبوسة والرطوبة، وشمسه معتدلة فى العلو والهبوط، وقمره معتدل فى أول درجة من الليالى البيض، وينعقد فى سلك هذا النظام، ماهيأ الله -تعالى- له -ﷺ- من أسماء مُربيته، ففى

الوالدة والقابلة: الأمن والشفاء، وفى اسم الحاضنة: البركة والنماء، وفى مرضعيه -ﷺ- الثواب والحلم والسعد.

وأن ظهوره -ﷺ- وفي شهر ربيع فيه إشارة ظاهرة لمن تفطن لها بالنسبة إلى اشتقاق لفظة ربيع، إذ أن فيه تفاؤلاً حسنا، وبشارة لأمته -ﷺ- وإشارة ظاهرة من المولى -تبارك وتعالى- إلى التنويه بعظيم قدر هذا النبى الكريم -ﷺ- وأنه رحمة للعالمين، وبشرى للمؤمنين، وحماية لهم من المهالك والمخاوف فى الدارين، وحماية للكافرين بتأخير العذاب عنهم لأجله -ﷺ- قال -تعالى-:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾(٤) فوقعت البركات وإدرار الأقوات والأرزاق، ومن أعظمها منّته على عباده لهدايته -عليه الصلاة والسلام- لهم إلي صراط الله المستقيم.

ثم إن ما فى شريعته -ﷺ- من شبه الحال، ألا ترى أن فصل الربيع أعدل الفصول وأحسنها، إذ ليس فيه برد مزعج ولا حر مقلق، وليس فى ليله ولا نهاره طول خارق، بل كله معتدل وفصله سالم من العلل والأمراض والعوارض، التى يتوقعها الناس فى أبدانهم فى زمان الخريف، بل الناس فيه تنتعش قُواهم وتنصلح أمزجتهم وتنشرح صدورهم؛ لأن الأبدان يدركها فيه من أمداد القوة ما يدرك النبات حين خروجه، إذ منها خلقوا فيطيب ليلهم للقيام، ونهارهم للصيام، فكان فى ذلك شبه الحال بالشريعة السمحة التى جاء بها -صلوات الله وسلامه عليه- من رفع الإصر والأغلال التى كانت على من قبلنا.

ثم إن الحكيم -سبحانه وتعالى- قد شاء أنه -ﷺ- تتشرف به الأزمنة والأمكنة لا هو يتشرف بها، بل يحصل للزمان أو المكان الذى يباشره -عليه الصلاة والسلام- الفضيلة العظمى والمزية على ما سواه من جنسه إلا ما استثنى من ذلك لأجل زيادة الأعمال فيها وغير ذلك، فلو ولد -ﷺ- فى شهر رمضان أو فى شهر محرم أو فى يوم معظم أو نحو ذلك لكان قد يتوهم أنه يتشرف بها فجعل الحكيم -جل جلاله- مولده -ﷺ- فى غيرها؛ ليظهر عظيم عنايته -سبحانه وتعالى- وكرامته عليه(٥).

اللهم وفقنا لمحبته ومحبة من يحبه واحشرنا فى زمرته وأمتنا على ملته واجعله شافعاً لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون.

(عبد المعز عبد الحميد الجزار)

---

(٤) سورة الأنفال (٣٣).

(٥) سبل الهدى والرشاد (٤٠١/١).

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيّد طنطاوى

قال الله - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[الآيات من ١٨٣ : ١٨٥]

بعد أن تحدثت السورة الكريمة عن القصاص، وعن الوصية، أتبعتهما بالحديث عن عبادة عظيمة من العبادات التى جعلها الله – تعالى – ركنا من أركان الإسلام وهى صوم رمضان :

الصيام : مصدر صام كالقيام مصدر قام، وهو فى اللغة : الإمساك وترك التنقل من حال إلى حال، فيقال للصمت صوم لأنه إمساك عن الكلام ومنه قوله – تعالى – مخبراً عن مريم :

﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ﴾ أى : سكوتاً عن الكلام. وصوم الريح ركودها وإمساكها عن الهبوب. وتقول العرب : صام النهار وصامت الشمس عند قيام الظهيرة لأنها كالممسكة عن الحركة.

أما الصيام فى عرف الشرع فهو – كما يقول الآلوسى – : إمساك عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص فى زمان مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة.

وقد فرض الله – تعالى – على المسلمين صيام شهر رمضان فى شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة، وعده النبى – ﷺ – أحد أركان الإسلام الخمسة، فقد روى البخارى – بسنده – عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : «بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان».

وأل فى الصيام للعهد الذهنى، فقد كان العرب يعرفون الصوم، فقد جاء فى الصحيحين عن عائشة قالت : «كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش والجاهلية».

والتشبيه فى قوله – تعالى – :

﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾

راجع إلى أصل إيجاب الصوم وفريضته. أى : أن عبادة الصوم كانت مكتوبة ومفروضة على الأمم السابقة، ولكن بكيفية لا يعلمها إلا الله، إذ لم يرد نص صحيح عن رسول الله – ﷺ – يبين لنا فيه كيف كان صيام الأمم السابقة على الأمة الإسلامية.

وقيل إن التشبيه راجع إلى وقت الصوم وقدره، فقد روى عن مجاهد أنه قال : كتب الله – عز وجل – صوم شهر رمضان على كل أمة.

وهذا القول ليس له دليل، ولذا قال القاضى أبوبكر بن العربى : المقطوع به أن التشبيه فى الفرضية خاصة، وسائر الوجوه مجرد احتمال.

ولفظ «كما» فى قوله – تعالى – :

﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾

فى موضع نصب على المصدر، أى : فرض عليكم الصيام فرضاً كالذى فرض على الذين من قبلكم.

ومن فوائد هذا التشبيه، الاهتمام بهذه العبادة والتنويه بشأنها إذ شرعها – سبحانه – لأتباع النبى – ﷺ – ولأتباع الرسل الذين سبقوه فى الدعوة إلى توحيد الله، وهذا مما يقتضى وفرة ثوابها، ودوام صلاحها.

كذلك من فوائده تسهيل هذه العبادة على المسلمين؛ لأن الشيء الشاق تخف مشقته على الإنسان عند ما يعلم أن غيره قد أداه من قبله.

والفائدة الثالثة من هذا التشبيه إثارة العزائم والهمم للنهوض بهذه العبادة، حتى لا يكونوا مقصرين فى أدائها، بل يجب عليهم أن يؤدوها

بقوة تفوق من سبقهم لأن الأمة الإسلامية قد وصفها - سبحانه - بأنها خير أمة أخرجت للناس وهذه الخيرية تقتضى منهم النشاط فيما كلفهم اللّه بأدائه من عبادات.

وقوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ جملة تعليلية جيء بها لبيان حكمة مشروعية الصيام فكأنه - سبحانه - يقول لعباده المؤمنين: فرضنا عليكم الصيام كما فرضناه على الذين من قبلكم، لعلكم بأدائكم لهذه الفريضة تنالون درجة التقوى والخشية من اللّه، وبذلك تكونون ممن رضى اللّه عنهم ورضوا عنه، ولا شك أن هذه الفريضة ترتفع بصاحبها إلى أعلى عليين متى أداها بآدابها وشروطها، ويكفى أن الرسول - ﷺ - قد قال فى شأن الصوم: «الصوم جنة»[1] أى: وقاية. إذ فى الصوم وقاية من الوقوع فى المعاصى، ووقاية من عذاب الآخرة، ووقاية من العلل والأمراض الناشئة عن الإفراط فى تناول بعض الأطعمة والأشربة.

وقوله: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ أى: معينات بالعد أو قليلات، لأن القليل يسهل عده فيعد والكثير يؤخذ جزافاً.

والمراد بهذه الأيام المعدودات شهر رمضان عند جمهور العلماء.

قالوا: وتقريره أنه - تعالى - قال أولا:

﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ وهذا محتمل ليوم ويومين ثم بينه بقوله:

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ فزال بعض الاحتمال ثم بينه بقوله:

﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ﴾ فعلى هذا الترتيب يمكن جعل الأيام المعدودات بعينها شهر رمضان، وإذا أمكن ذلك فلا وجه لحمله على غيره[2].

وإنما عبر عن رمضان بأيام وهى جمع قلة ووصف بمعدودات وهى جمع قلة - أيضاً - تهوينا لأمره على المكلفين، وإشعاراً لهم بأن اللّه - تعالى - ما فرض عليهم إلا ما هو فى وسعهم وقدرتهم.

وقيل: إن المراد بالأيام المعدودات غير رمضان، وذكروا أن المراد بها ثلاثة أيام من كل شهر وهى الأيام البيض: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر مضافاً إليها يوم عاشوراء.، ثم نسخ ذلك بوجوب صوم شهر رمضان.

والمعتمد بين المحققين من العلماء هو القول الأول، لأنه - كما قال الإمام الرازى - لا وجه لحمله على غيره، والقول بالنسخ زيادة لا دليل عليها.

وقوله: ﴿ أياماً ﴾ منصوب على الظرفية، أو بفعل مضمر مقدر أى: صوموا أياماً. وقوله: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ زيادة بيان ليسر شريعة الإسلام بعد أن أخبرهم - سبحانه - بأن الصوم المفروض عليهم إنما هو أيام معدودات، وتعجيل بتطمين

---

(١) قطعة من حديث رواه البخارى فى كتاب الصوم جـ ٣ ص ٣١.

(٢) تفسير الرازى جـ ٥ ص ٧٨.

نفوس السامعين لئلا يظنوا وجوب الصوم عليهم في كل حال.

والمرض : الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان، بأن يصاب بانحراف في جسده يجعله في حالة وجع أو اضطراب بدني.

قال القرطبي : وللمريض حالتان :

إحداهما : ألا يطيق الصوم بحال فعليه الفطر واجباً.

الثانية : أن يقدر على الصوم بضرر ومشقة فهذا يستحب له الفطر، فالفطر مباح في كل مرض إلا المرض اليسير الذي لا كلفة معه في الصيام[٣].

وقوله : ﴿**أو على سفر**﴾ قال الآلوسي معناه : أو راكب سفر مستعل عليه متمكن منه، بأن اشتغل به قبل الفجر، ففيه إيماء إلى أن من سافر في أثناء اليوم لم يفطر، واستدل بإطلاق السفر على أن السفر القصير وسفر المعصية مرخص للإفطار، وأكثر العلماء على تقييده بالمباح وبما يلزمه العسر غالباً وهو السفر إلى المسافة المقدرة في الشرع»[٤].

والعدة فعلة من العد، وهي بمعنى المعدود، كالطحن بمعنى المطحون ومنه عدة المرأة.

والمعنى : لقد فرضنا عليكم الصوم أيها المؤمنون، وجعلناه كما هو الشأن في كل ما شرعناه متسماً باليسر لا بالعسر، ومن مظاهر ذلك أننا فرضنا عليكم صوم أيام معدودات وهي أيام شهر رمضان، ولم نفرض عليكم صوم الدهر، وأننا شرعنا لمن كان مريضاً مرضا يضره الصوم أو يعسر معه، أو كان على سفر يشق عليه معه الصوم، شرعنا له أن يفطر وأن يصوم بدل الأيام التي أفطرها أياما أخر مساوية لها في العدد.

قال الإمام الرازي : قال القفال : أنظروا إلى عجيب ما نبه الله عليه من سعة فضله ورحمته في هذا التكليف، إذ أنه بين في أول الآية أن لهذه الأمة في هذا التكليف أسوة بالأمم المتقدمة، والغرض منه ماذكرناه من أن الأمور الشاقة إذا عمت خفت، ثم ثانيا بين وجه الحكمة في إيجاب الصوم وهو أنه سبب لحصول التقوى فلو لم يفرض الصوم لفات هذا المقصود الشريف، ثم بين ثالثا أنه مختص بأيام معدودة فإنه لو جعله أبداً أو أكثر الأوقات لحصلت المشقة العظيمة، ثم بين رابعا : أنه خصه من الأوقات بالشهر الذي أنزل فيه القرآن لكونه أشرف الشهور بسبب هذه الفضيلة، ثم بين خامساً : إزالة المشقة في إلزامه فأباح تأخيره لمن شق عليه من المسافرين والمرضى إلى أن يصيروا إلى الرفاهية والسكون، فهو - سبحانه - راعى في إيجاب الصوم هذه الوجوه من الرحمة فله الحمد على نعمه كثيرا»[٥].

هذا، وقد نص الفقهاء على أن الإفطار مشروع على سبيل الرخصة للمريض والمسافر، وهما بالخيار في ذلك إن شاءا أفطرا وإن شاءا صاما، إلا أن أكثر الفقهاء قالوا : الصوم أفضل لمن قوى عليه.

---

(٣) تفسير القرطبي جـ ٢ ص ٢٧٦ بتصرف وتلخيص.

(٤) تفسير الآلوسي جـ ٢ ص ٥٨.

(٥) تفسير الفخر الرازي جـ ٥ ص ٨٠.

والذى نراه أن اللّه – تعالى – قد أباح الفطر فى رمضان بسبب المرض أو السفر، لأن كلا منهما مظنة المشقة والحرج، والحكم الشرعى يوجد حيث توجد مظنته وينتفى حيث تنتفى، وعلى المسلم أن يقدر حال نفسه، فإذا أيقن أو غلب على ظنه أن مرضه أو سفره ليس فى الصوم معه مشقة أو عسر صام عملا بقوله – تعالى – : ﴿ **وأن تصوموا خير لكم** ﴾. وإذا أيقن أو غلب على ظنه أن مرضه أو سفره يجعل الصوم شاقاً عليه أفطر عملا بقوله – تعالى – :

﴿ **يريد اللّه بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾

فالمسألة ترجع إلى ضمير الفرد ودينه واستفتاء قلبه.

والثابت عن رسول اللّه – ﷺ – أنه صام فى السفر وأفطر، وخير بعض أصحابه بين الصوم والفطر، فقد روى البخارى ومسلم عن أبى الدرداء – رضى الله عنه – قال : خرجنا مع النبى – ﷺ – « وفى إحدى روايتى مسلم – فى شهر رمضان –، فى يوم حار، حتى ليضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا ما كان من النبى – ﷺ – وابن رواحه ».

وروى الإمام مسلم فى صحيحه عن قزعة قال : أتيت أبا سعيد الخدرى فسألته عن الصوم فى السفر فقال : سافرنا مع رسول اللّه – ﷺ – إلى مكة ونحن صيام، قال : فنزلنا منزلا فقال رسول اللّه – ﷺ –: إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم، فكانت رخصة، فمنا من صام ومنا من أفطر، ثم نزلنا منزلا آخر فقال : إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا؛ وكانت عزمة فأفطرنا، ثم قال : ولقد رأيتنا نصوم مع رسول اللّه – ﷺ – بعد ذلك فى السفر.

وروى الشيخان عن أنس بن مالك قال : كنا نسافر مع النبى – ﷺ – فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم.

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة.

وهناك مسألة أخرى تعرض لها الفقهاء بالحديث وهى مسألة قضاء الأيام التى أفطرها المريض أو المسافر هل يقضيها متتابعة أو متفرقة وهل يقضيها على الفور أو على التراخى؟

وجمهور الفقهاء على أن للمفطر فى رمضان بسبب المرض أو السفر أن يقضى ما أفطره متتابعاً أو متفرقاً؛ لأن قوله – تعالى – :

﴿ **فعدة من أيام أخر** ﴾. دل على وجوب القضاء من غير تعيين لزمان، لأن اللفظ – كما قال القرطبى – مسترسل على الأزمان لايختص ببعضها دون بعض، وله كذلك أن يقضى ما عليه على الفور أو على التراخى على حسب مايتيسر له. ففى الصحيحين عن عائشة – رضى اللّه عنها – قالت : « يكون علىَّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا فى شعبان، وذلك لمكان رسول اللّه – ﷺ – وهذا النص وزيادة بيان للآية ».

ويرى داود الظاهرى أن على المفطر فى رمضان بسبب المرض أو السفر أن يشرع فى قضاء ما أفطره فى اليوم الثانى من شوال المعاقب له، وأن يتابع أيام القضاء.

والمعتمد بين العلماء هو قول الجمهور لقوة أدلته التى سبق بيانها .

وقوله – تعالى – :

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ ﴾ بيان لحكم آخر من أحكام الشريعة فيما يتعلق بصوم رمضان يتجلى فيه تيسير اللّه على عباده فيما شرع لهم من عبادات .

ومعنى (يطيقونه) يقدرون عليه ويتحملونه بمشقة وتعب، لأن الطاقة اسم للقدرة على الشىء مع الشدة والمشقة، والوسع اسم للقدرة على الشىء على جهة السهولة .

قال الراغب : والطاقة اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقة، وذلك تشبيه بالطوق المحيط بالشىء، ومنه

﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ ﴾ أى ما يصعب علينا مزاولته، وليس معناه : « لا تحملنا مالا قدرة لنا به »[6] .

والعرب لا تقول فلان أطاق الشىء إلا إذا كانت قدرته عليه فى نهاية الضعف بحيث يتحمله بمشقة وعسر. فلا يقال – مثلا – فلان يطيق حمل نواة أو ريشة أو عشرة دراهم من حديد، وإنما يقال : هو يطيق حمل قنطارين من الحديد أو حمل الأمتعة الثقيلة .

وللعلماء أقوال فى المراد بقوله – تعالى – :

﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** ﴾

أشهرها :

١ ـ إن هذا راجع إلى المقيم الصحيح خيره اللّه – تعالى – بين الصوم وبين الفداء، وكان ذلك فى بدء الإسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم، فرخص لهم فى الإفطار والفدية، ثم نسخ ذلك وأوجب اللّه عليهم الصوم .

ويشهد لهذا القول ما جاء فى الصحيحين عن سلمة بن الأكوع قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ ﴾ كان من أراد أن يفطر ويفتدى، حتى نزلت الآية بعدها فنسختها .

وفى رواية للإمام مسلم من طريق آخر عن سلمة – أيضاً – قال : كنا فى رمضان على عهد رسول الله – ﷺ – من شاء أفطر فافتدى بطعام مسكين حتى أنزلت هذه الآية ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ .

٢ ـ ويرى بعض العلماء أن قوله – تعالى – :

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ ﴾ إلخ، ليس بمنسوخ بل هو محكم، وأنه نزل فى شأن الشيخ الكبير الهرم، والمرأة العجوز، إذا كانا لا يستطيعان الصيام فعليهما أن يفطرا وأن يطعما عن كل يوم مسكينا .

وأصحاب هذا الرأى يستدلون بما رواه البخارى عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية : ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فعليهما أن يطعما مكان كل يوم مسكيناً .

٣ ـ وهناك رأى ثالث لبعض العلماء يرى أصحابه أن قوله – تعالى – :

---

(٦) مفردات القرآن ص ٣١٢ للراغب الأصفهانى.

﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾

ليس بمنسوخ – أيضاً – بل هو محكم، وأن معنى الآية عندهم : وعلى الذين يطيقونه، أى : يقدرون على الصيام بمشقة شديدة إذا أرادوا أن يفطروا أن يطعموا عن كل يوم يفطرونه مسكيناً. (بأن يقدموا له نصف صاع من بر أو صاعا من تمر أو شعير، أو قيمة ذلك).

ولم يقصروا ذلك على الرجل الكبير والمرأة العجوز – كما فعل أصحاب الرأى الثانى – وإنما أدخلوا فى حكم الذين يقدرون على الصوم بمشقة وتعب المرضع والحامل إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما ومن فى حكمهما ممن يشق عليهم الصوم مشقة كبيرة.

وأصحاب هذا الرأى يستدلون على ما ذهبوا إليه بمنطوق الآية، إذا أن الوسع اسم للقدرة على الشيء على جهة السهولة، والطاقة اسم للقدرة عليه مع الشدة والمشقة – كما سبق أن بينا –، كما يستدلون – أيضاً – على ما ذهبوا إليه بقراءة (يطيقونه) – بضم الياء الأولى وتشديد الياء الثانية – أى يتجشمونه، ويتكلفونه بمشقة وتعب، وقد انتصر بعض العلماء لهذا الرأى بناء على أن منطوق الآية يؤيده.

كما انتصر بعضهم للرأى الأول بناء على أن الأحاديث الصحيحة تسانده وعلى أنه هو الأقرب إلى روح الشريعة الإسلامية فى التدرج فى تشريع التكاليف التى فيها مشقة على الناس، كما انتصر بعضهم للرأى الثانى الذى روى عن ابن عباس.

وهناك أقوال أخرى فى الآية رأينا أن نضرب عنها صفحاً لضعفها.

وقوله : ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ﴾ حض من الله – تعالى – لعباده على الإكثار من عمل الخير.

والتطوع : السعى فى أن يكون الإنسان فاعلا للطاعة باختياره بدون إكراه، والخير : مصدر خار إذا حسن وشرف، وهو منصوب لتضمين تطوع معنى أتى، أو على أنه صفة لمصدر محذوف أى تطوعاً خيراً.

والمعنى : فمن تطوع خيراً بأن زاد على القدر المفروض فى الفدية، أو أطعم أكثر من مسكين، أو جمع بين الإطعام والصوم، فتطوعه سيكون خيراً عند الله – سبحانه – لا يضيع أجر من أحسن عملا.

وقوله : ﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ترغيب فى الصوم وتحبيب فيه. أى : وأن تصوموا أيها المطيقون للصوم، أو أيها المكلفون جميعاً خير لكم من كل شيء سواه، إن كنتم تعلمون فوائد الصوم فى حياتكم، وحسن جزائه فى آخرتكم.

روى النسائى وابن خزيمة عن أبى أمامه – رضى الله عنه – قال : «قلت : يارسول الله مرنى بعمل قال : عليك بالصوم فإنه لا عدل له – أى لا يعادل ثوابه بشيء – فقلت يارسول الله مرنى بعمل، فقال : عليكم بالصوم فإنه لا عدل له. فقلت : يارسول الله مرنى بعمل أدخل به الجنة، فقال : عليك بالصوم فإنه لا مثل له»(٧).

وقوله :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ كلام

مستأنف لبيان تلك الأيام المعدودات التى كتب علينا الصوم فيها وأنها أيام شهر رمضان الذى يستحق كل مدح وثناء لتشرفه بنزول الكتب السماوية فيه.

قال الإمام ابن كثير : يمدح – تعالى – شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم، فقد ورد فى الحديث بأنه الشهر الذى كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء، فعن واثلة بن الأسقع أن رسول الله – ﷺ – قال : « أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان »(٨).

و (الشهر) مأخوذ من الشهرة، يقال : شهر الشىء يشهر شهرة وشهراً إذا ظهر بحيث لايتعذر علمه على أحد، ومنه يقال : شهرت السيف إذا سللته قال بعضهم : وسمى الهلال شهراً لشهرته وبيانه، وبه سمى الشهر شهراً.

و (رمضان) اسم لهذا الشهر الذى فرض علينا صيامه، وهو مأخوذ – كما قال القرطبى – من رمض الصائم يرمض إذا حر جوفه من شدة العطش والرمضاء: شدة الحر، ومنه الحديث : « صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال » – أى صلاة الضحى – قيل : إن العرب لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التى وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسمى بذلك، قيل إنما سمى رمضان لأنه يرمض الذنوب، أى : يحرقها بالأعمال الصالحة »(٩).

وقوله : (شهر رمضان) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو شهر رمضان أى : الأيام المعدودات، وقوله : (الذى أنزل فيه القرآن) صفة للشهر.

ويجوز أن يكون قوله (شهر) مبتدأ وخبره الموصول بعده، أو خبره قوله :

﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ وصح وجود الفاء فى الخبر لكون المبتدأ موصوفاً بالموصول الذى هو شبه بالشرط، وقرىء بالنصب على أنه مفعول لفعل محذوف، أى : صوموا شهر رمضان و« القرآن » هو كلام الله المعجز المنزل على محمد – ﷺ – المكتوب فى المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته.

والمراد بإنزال القرآن فى شهر رمضان ابتداء إنزاله فيه، وكان ذلك فى ليلة القدر، بدليل قوله – تعالى – :

﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر** ﴾ أى بدأنا إنزال القرآن فى هذه الليلة المباركة، إذ من المعروف أن القرآن استمر نزوله على النبى – ﷺ – ما يقرب من ثلاث وعشرين سنة.

وقيل المراد بذلك، أنزل فى فضله القرآن، قالوا: ومثله أن يقال : أنزل الله فى أبى بكر الصديق كذا آية، يريدون أنزل فى فضله.

وقيل المراد أنزل فى إيجاب صومه على الخلق القرآن، كما يقال : أنزل الله فى الزكاة كذا

---

(٧) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٢ ص ٨٥ من «كتاب الصوم»

(٨) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢١٦.

(٩) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٢٩١ بتصرف وتلخيص.

وكذا، يريد في إيجابها وأنزل في الخمر كذا يريد في تحريمها.

قال الآلوسي : وقوله – تعالى – :

﴿ **هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾

حالان لازمان من القرآن والعامل فيهما أنزل، أي : أنزل وهو هداية للناس بإعجازه المختص به كما يشعر بذلك التنكير، وآيات واضحات من جملة الكتب الإلهية الهادية إلى الحق والفارقة بين الحق والباطل باشتماله على المعارف الإلهية والأحكام العملية، كما يشعر بذلك جعله بينات منها، فهو هاد بواسطة أمرين، مختص وغير مختص، فالهدى ليس مكرراً، وقيل : مكرر تنويهاً وتعظيماً لأمره وتأكيداً لمعنى الهداية كما تقول : عالم نحرير»[١٠].

وقوله : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ يصح أن يكون شهد بمعنى حضر. كما يقال : فلان شهد بدراً، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله – ﷺ – أي : حضرها، فيكون المعنى : فمن حضر منكم دخول الشهر أو حلوله بأن كان مقيما وليس عنده ما يمنعه من الصوم كمرض ونحوه، فليصمه؛ لأن صيامه ركن من أركان الدين، وعليه يكون لفظ « الشهر » منصوب على الظرفية.

ويصح أن يكون شهد بمعنى علم كقوله – تعالى – : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

فيكون المعنى : فمن علم منكم هلال الشهر وتيقن من ظهوره فليصمه.

وعليه يكون لفظ « الشهر » منصوب على أنه مفعول به بتقدير المضاف المحذوف و (من) موصولة أو شرطية وهو الأظهر و (منكم) في محل نصب على الحال من الضمير في شهد فيتعلق بمحذوف أي : كائناً منكم، والضمير في « منكم » يعود على الذين آمنوا، أي كل من حضر منكم الشهر فليصمه و(أل) في الشهر للعهد.

وأعيد ذكر الرخصة في قوله – تعالى – ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر، لئلا يتوهم من تعظيم أمر الصوم في نفسه وأنه خير، أنه قد صار متحتماً بحيث لا تتناوله الرخصة بوجه من الوجوه أو تتناوله ولكنها مفضولة، وفي ذلك عناية بأمر الرخصة وأنها محبوبة له – تعالى–.

وقوله – تعالى – : ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم اليسر** ﴾ بيان لحكمة الرخصة.

أي : شرع لكم – سبحانه – الفطر في حالتي المرض والسفر، لأنه يريد بكم اليسر والسهولة. ولا يريد بكم العسر والمشقة. قال – تعالى – :

﴿ **يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا** ﴾ وقال – تعالى – :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

وفي الصحيحين أن رسول الله – ﷺ – قال لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري حين بعثهما إلى اليمن : « يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا ».

وقوله – تعالى – :

﴿ **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** ﴾ معطوف على قوله :

---

(١٠) تفسير الآلوسي جـ ٢ ص ٦١.

﴿ يريد اللّه بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ إذ هذه الجمل الأربع تعليل لما قبلها من قوله : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ إلى قوله : ﴿ فعدة من أيام أخر ﴾ .

والمعنى : شرع لكم – سبحانه – ماشرع من أحكام الصيام، ورخص لكم الفطر فى حالتى المرض والسفر، لأنه يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، ولأنه يريد منكم أن تكملوا عدة الشهر بأن تصوموا أيامه كاملة فتحصلوا خيراته ولا يفوتكم شيء من بركاته، ومن لم يستطع منكم أداء الصوم فى هذا الشهر لعذر فعليه قضاء مافاته منه فى أيام أخر ويريد منكم أن تكبروه – سبحانه – أى تحمدوه وتعظموه، فهو وحده الذى هداكم إلى تلك الأحكام النافعة التى فيها صلاحكم وسعادتكم ويريد منكم أن تشكروه بأن تواظبوا على الثناء عليه، وعلى استعمال نعمه فيما خلقت له فهو – سبحانه – الرءوف الرحيم بعباده، إذ شرع لهم ما فيه اليسر لا ما فيه العسر.

وقد دلت الآية الكريمة على الأمر بالتكبير إذ جعلته مما يريده اللّه – تعالى – ولهذا جاءت السنة باستحباب التحميد والتسبيح والتكبير بعد الصلوات المكتوبات، وفى عيدى الفطر والأضحى يكون تكبير اللّه – تعالى – هو مظهرهما الأعظم.

وبذلك تكون الآيات الكريمة قد بينت أكمل بيان وأحكمه فضل الصوم، وحكمة مشروعيته ومظاهر رحمة اللّه بعباده فى هذه الفريضة، وقد ذكرت أن المسلم له بشأن هذه الفريضة حالة من حالات ثلاث .

الحالة الأولى : إذا كان المسلم فى شهر رمضان كله أو بعضه مريضاً بمرض عارض غير مزمن يرجى الشفاء منه، أو مسافراً تتوفر فيه شروط الفطر، فله أن يفطر وأن يقضى بعد رمضان الأيام التى أفطرها بدليل قوله – تعالى –:

﴿ فمن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ .

الحالة الثانية : إذا كان المسلم فى شهر رمضان مريضاً بمرض مزمن لا يرجى شفاؤه والصوم فيه مشقة عليه، أو كان شيخاً كبيراً أو امرأة عجوزاً ولا يستطيعان الصوم، فقد أباح الشارع لهؤلاء أن يفطروا وأن يطعموا عن كل يوم مسكيناً، لأن هذه الأعذار لا يرجى زوالها، ولا ينتظر أن يكون المبتلى بعذر منها بعد رمضان خيراً منه فى رمضان، لذا أوجب الشارع على هؤلاء الفدية دون القضاء، بدليل قوله – تعالى –:

﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ .

الحالة الثالثة : إذا كان المسلم فى شهر رمضان سليما مقيما وليس عنده عذر يمنعه من الصوم، فقد أوجب اللّه عليه أداء هذه الفريضة بقوله – تعالى – : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) ويحرم عليه أن يفطر، وإن أفطر لغير عذر شرعى كان من الخاسرين فى الدنيا والآخرة، ففى الحديث الشريف الذى رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة – رضى اللّه عنه – أن رسول اللّه – ﷺ – قال : « من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه – أى لم يجزه – صوم الدهر كله وإن صامه »[11] .

أى : لو حصل منه صوم طول حياته فلن يدرك ثواب ما ضيع بسبب فطره بغير عذر شرعى.

والأحاديث فى الترغيب فى صوم شهر رمضان، وفى الترهيب من الفطر فيه كثيرة متنوعة.

«يتبـــــع»

(١١) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٢ ص ١٠٨.

بيان مجمع البحوث الإسلامية

بشأن رواية وليمة لأعشاب البحر

لمؤلفها : حيدر حيدر

طبع ونشر الهيئة العامة لقصور الثقافة التابعة لوزارة الثقافة بالقاهرة.

تم عرض موضوع الرواية المشار إليها على «لجنة البحوث الفقهية» فكلفت اثنين من أعضائها المتخصصين بكتابة تقريرين منفصلين عن الرواية لعرضهما فى جلسة استثنائية «لمجمع البحوث الإسلامية» حدد لها يوم الأربعاء ١٣ من شهر صفر ١٤٢١هـ الموافق ١٧ من شهر مايو سنة ٢٠٠٠م، وقد تم عرض هذين التقريرين والرواية على المجمع فى جلسته الاستثنائية وتبين ما يأتى:

أولاً : أن وزارة الثقافة التى نشرت هذه الرواية لم تستطلع رأى الأزهر الشريف أو مجمع البحوث الإسلامية مع ما ورد فيها من أمور كثيرة تتصل بالإسلام والعقيدة والشريعة، وذلك على خلاف ما يقضى به القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها ولائحته التنفيذية والقوانين المتصلة بحماية حق المؤلف وتنظيم وزارة الثقافة مما قطعت فيه الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بمجلس الدولة بفتواها الصادرة بجلسة ٢ من فبراير سنة ١٩٩٤ (ملف رقم ٥٨ / ١-٦٦) من أن الأزهر الشريف هو وحده صاحب الرأى الملزم لوزارة الثقافة فى تقدير الشأن الإسلامى للترخيص أو رفض الترخيص بالمصنفات، وأن شيخ الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية، وما يتبعه من إدارات هو صاحب الولاية فى فحص المؤلفات والمصنفات التى تتعرض للإسلام لإبداء الرأى فيها.

ثانياً : إن الرواية مليئة بالألفاظ والعبارات التى تحقر وتهين جميع المقدسات الدينية بما فى ذلك ذات الله -سبحانه وتعالى- والرسول -ﷺ- والقرآن الكريم واليوم الآخر، والقيم الدينية.

ومن ذلك أنها تستهزىء بذات الله، مثل وصفه بأنه «فنان فاشل» ص٢١٩، وأنه نسى بعض مخلوقاته من تراكم مشاغله التى لا تحد فى بلاد العرب وحدها (ص٢٥٧) وأنه أقام مملكته الوهمية فى فراغ السماوات ليدخل فى خلود ذاته بذاته (ص٤٢٦).

كما يفترى على الرسول -عليه الصلاة والسلام- بأنه تزوج لأكثر من عشرين امرأة ما بين شرعية، وخليلة، ومتعة (ص١٤٨)، وأنه كان يتزوج من عذارى القبائل بغية توحيدها (ص٤٢٦، ٤٢٧).

وأنه حرف فى آيات القرآن الكريم ونسب إليه ما ليس منه كقوله: «والله -تعالى- قال فى كتابه العزيز:

(إذا بليتم بالمعاصى فاستتروا)ص١٤٨).

كما أن الرواية تحرض صراحة على الخروج عن الشريعة الإسلامية وعدم التمسك بأحكامها وذلك بالدعوة إلى ضرورة الانفصال عن الدين والله والأخلاق والتقاليد، والأزمنة الموحلة، والجنة والجحيم الخرافيين، وطاعة أولى الأمر والوالدين، والزواج المبارك بالشرع، وسائر الأكاذيب والطقوس التى رسمتها دهور الكذب ص (٣٤٨).

ثالثاً : إن الرواية خرجت عن الآداب العامة خروجاً فاضحاً وذلك بالدعوة إلى الجنس غير المشروع واستعمال الألفاظ فى الوقاع وأعضائه الجنسية للذكر والأنثى بلا حياء مما يعف اللسان عن ذكرها وكتابة نصها حفاظاً على الحياء العام الذى انتهكته الرواية.

رابعاً : إن الرواية لم تكتف بذلك بل حرضت صراحة على إهانة جميع الحكام العرب ووصفتهم بأقبح وأقذع الأوصاف مما يعف المقام عن ذكرها، وطالبت بالخروج عليهم والثورة ولو بإراقة الدماء.

خامساً : اتضح لمجمع البحوث الإسلامية من كل ما سبق أن ما ورد برواية «وليمة لأعشاب البحر» لمؤلفها حيدر حيدر خروج عما هو معلوم من الدين بالضرورة، وينتهك المقدسات الدينية والشرائع السماوية، والآداب العامة، والقيم القومية ويثير الفتن ويزعزع تماسك وحدة الأمة التى هى الركيزة الأساسية لبناء الدولة، ويضع على عاتق من نشروا هذه الرواية دون استطلاع رأى أهل الاختصاص المسئولية الكاملة عن هذا التجاوز والآثار المترتبة عليه دينياً واجتماعياً وذلك على النحو الموضح تفصيلاً بالتقريرين المقدمين من عضوى مجمع البحوث الإسلامية المشار إليهما.

والله ولى التوفيق.

شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى

تحريراً فى ١٣ من صفر سنة١٤٢١ هـ

الموافق ١٧ من مايو سنة٢٠٠٠ م

بيان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف حول جلاء القوات الإسرائيلية عن أرض لبنان

استقبل مجمع البحوث الإسلامية فى اجتماعه المعقود صباح يوم الخميس ٢١ من صفر سنة ١٤٢١ هـ. الموافق ٢٥ من مايو سنة ٢٠٠٠م. أنباء جلاء القوات الإسرائيلية عن أرض لبنان نتيجة لصمود الشعب اللبنانى وكفاحه.

ويعرب المجمع عن تقديره لنضال الشعب اللبنانى فى كفاحه من أجل استرداد حقوقه وأرضه، ويضرع إلى الله -سبحانه وتعالى- أن يحقق للأمة العربية والإسلامية أهدافها واسترداد كل حقوقها المغصوبة حتى يسود الأمن والاستقرار ربوع العالم العربى والإسلامى، وأن يتحرر القدس الشريف من المعتدين والغاصبين، والله ولى التوفيق.

رئيس مجمع البحوث الإسلامية

الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى

شيخ الأزهر

قبس من أنوار النبوة

الأسوة الحسنة فى منهج الرسول صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن النبى - ﷺ - قال: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى». رواه البخارى.

كلما أقبل شهر ربيع الأول على الأمة الإسلامية، فإنها تعيش فى أغلى الذكريات وأعزها على قلوب أهل الإيمان، ذكرى مولد نبى الله وصفوته من خليقته، ونعمة الخالق على الخلائق، أعز من الوجود وأغلى من الحياة، ويوم مولده - ﷺ -: ليس يوم فرد ولا شعب ولا مملكة ولا دولة، بل هو يوم الأيام والعصور والأعوام، ويوم الإنسانية جمعاء، يوم شمسه مشرقة على الدوام لا يحجبها الغروب ولا يطويها الظلام، وهو كذلك أبد الآبدين حتى يقوم الناس لرب العالمين.

ولكن هل سألنا أنفسنا ونحن نحتفى بذكرى المولد النبوى، ماذا جدّدنا فى أنفسنا من ذكرياته من تطبيق أحكام دينه، والعمل بهديه والتمسك بسنته، والتحلى بأخلاقه وآدابه.؟

أما أن نقيم المعالم والزينات، ونرسل الأضواء، ونوزع الحلوى، ونكتفى بالمظاهر والأشكال حتى تحول الدين من ميدان السلوك والتوجيه إلى ميدان اللعب واللهو، وحق فيمن يفعل ذلك قول الله -عز وجل-:

﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾(١).

فهل هذا هو الاحتفال بمولد الرسول، مع البعد عن منهجه -ﷺ- من طهارة الروح والبدن، وإخلاص فى السر والعلن، وأمانة فى القول والعمل، وبر فى السر والجهر، وعدل مع العدو والصديق ومرحمة تتجاوز صلة الأرحام إلى صلة الناس جميعاً بل إلى العجماوات.

لقد كان المسلمون الأولون يعيشون منهج الرسول فى قوله وعمله، فى حركته وسلوكه، فى سلمه وحربه، فى يقظته ومنامه، فى سفره وإقامته، فى مزاحه وجده، فى طعامه وشرابه، فى منزله وفى أصحابه، ليس فى شهر أو فى عام بل فى سائر الأوقات.

إن حب الرسول لا يكون فى المظاهر والأشكال، بل فى العمل بما جاء به رسول الله -ﷺ-، فى الإيمان الصادق بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر، والقدر، خيره وشره، حلوه ومره.

إن المسلمين الأُول أقبلوا على نبى الإسلام يهتدون بهدى الإسلام ويأخذون تعاليم دينهم من منهج وعقيدة وتشريع وأحكام وآداب وأخلاق كما جاء فى حديث

(١) سورة الأنعام ٧٠.

عبدالله بن عمر -رضى الله عنهما- فيما رواه الخمسة إلا البخارى - قال: حدثنى أبى عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- قال: «بينما نحن جلوس عند النبى -ﷺ- إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى -ﷺ- فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرنى عن الإسلام. فقال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً؛ قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه.

قال : فأخبرنى عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره؛ قال: صدقت.

قال: فأخبرنى عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال: فأخبرنى عن الساعة. قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال: فأخبرنى عن أماراتها؛ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان.

قال : ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال: يا عمر أتدرى من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل -عليه السلام- أتاكم يعلمكم دينكم».

فهذه أعمال ظاهرة تدل على أصل الإسلام وأنه انقياد ظاهرى، واستسلام لكل ما جاء به النبى -ﷺ- فكل تطبيق عملى لما دعا إليه الدين من فريضة واجبة كهذه الفرائض التى بين بها الرسول حقيقة الإسلام، أو طاعة دعا إليها القرآن وبينها -ﷺ- فى قوله وعمله وإقراره.

كل هذه الفرائض والعبادات ثمرات للتصديق الباطنى بالقلب الذى هو الإيمان كما فسره النبى -ﷺ-: بأنه التصديق القلبى والاعتقاد الجازم بوجود الله -عز وجل- والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وهو بيان لأصل الإيمان الذى حقيقته أنه تصديق بالقلب.

وحقيقة الإسلام: إذعان واستسلام وانقياد ظاهرى، وعمل بالجوارح على مقتضى الإيمان.

وإن أداء الطاعات إنما هو ثمرة للتصديق الباطنى.

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾(٢)

وإن استشعار المؤمن فى كل عباداته وأحواله كلها، بأنه يرى الله فهذا يحمله على أدائها على خير الوجوه وأكملها حتى تكون خالصة لله وحده لا شريك له، لا يشوبها مطمع ولا غرض إلا أن يكون الطمع فى مرضاة الله -سبحانه وتعالى-.

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٣).

هذا هو احتفاء المسلمين بمولد رسول الله، احتفاء بدينه وعمل بشريعته، أداء لحق الله بالإيمان بذاته وصفاته وأفعاله وأن تذكره فلا تغفل عنه عملاً وسلوكاً؛ كما أن حقه سبحانه عليك أن تؤدى الحقوق لأصحابها، وأن تعمل هذا كله لله وحده لا تبتغى بذلك إلا رضوانه وجنته.

هذا هو منهج الإسلام الذى جاء به رسوله -ﷺ-

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٤).

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾(٥) ومن أحيا سنة رسول الله فهو المحب لرسول الله.

---

(٢) سورة النور ٥١، ٥٢. (٣) سورة الأنعام ١٦٢، ١٦٣. (٤) سورة الأحزاب ٧١. (٥) سورة النساء ٨.

القرآن دستور الإسلام

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن أعظم ما يقف عليه المسلم فى القرآن، حديث القرآن عن نفسه وما أروع حديث القرآن عن نفسه، إنه حديث الصدق فى أسمى درجاته، وحديث الطهر فى أنقى صوره، لأنه مصون عن كل المؤثرات، محفوظ من التبديل والتغيير.

قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١)، **وقد أقسم الله -تعالى- على ذلك، فقال:** ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ۝٧٨ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٨٠﴾(٢).

وقد ضرب الله الأمثلة على عظمة القرآن، وأنه لو أنزل على جبل لخشع وتصدع من خشية الله، قال -تعالى-:

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣).

هذا وإن القرآن الكريم لهو أجل النعم الإلهية وأولها، ولذا صدر القرآن به حديثه عن النعم الوافرة، وذكره قبل نعمة النطق وغيرها من النعم والآلاء.

فقال: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾(٤).

وحين سمع الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: ستكون فتن.... إلخ، سأله عن المخرج من الفتن، فأجابه الرسول ـ ﷺ ـ قائلا: «كتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم،

(١) الحجر/ ٩. (٢) الواقعة/ ٧٥ : ٨٠. (٣) الحشر/ ٢١. (٤) الرحمن/ ١ : ٧.

وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا:

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ ﴾(٥)، من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم» تخريج.

وإذا تبين لنا مما سبق عظمة القرآن ومنزلته التى تمثلت: أولا: فى الهداية ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب، قال -تعالى-:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾(٦)، وقال:

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾(٧)، وقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾(٨).

كما بين القرآن نتيجة من أعرض عنه فى قوله:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦ ﴾(٩).

ثانيا: فى الإعجاز وما اشتمل عليه القرآن من كونه معجزة دالة على صدق الرسول ـ ﷺ ـ، جاء به فى وقت اكتملت فيه كل ملامح القوى البلاغية ووسط قوم ملكوا زمام الفصاحة والبيان، فجاءهم بمعجزة من نوع ما برعوا فيه فعجزوا عن الإتيان بمثله، قال تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(١٠)، بل إن التحدى كان للإنس والجن معا فكان عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله واضحا قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(١١).

وفيما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال: قال النبى ـ ﷺ ـ «ما من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلىَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

ولقد حفظ الله كتابه فى القديم وفى الحديث، من بين يديه ومن خلفه ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(١٢).

وقد حاول بعض المعاندين أن يثيروا حول القرآن الكريم بعض الشبه وأن يقولوا تنزلت به الشياطين، فرد الله ـ تعالى ـ عليهم بقوله: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾(١٣)،

(٥) الجن/١.
(٦) النحل/ ٤٤.
(٧) النحل/ ٦٤.
(٨) الإسراء/ ٩.
(٩) طه/ ١٢٤ : ١٢٦.
(١٠) البقرة/ ٢٣.
(١١) الإسراء/ ٨٨.
(١٢) فصلت/ ٤١ : ٤٢.
(١٣) الشعراء/ ٢١٠ : ٢١٢.

أما تنزل الشياطين فلا يكون إلا على أهل الإفك والكذب والزور: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾(١٤).

ولما كان رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصرانى يقال له جبر، فزعم أعداء الدين أن جبرا هذا هو الذى يعلم الرسول أغلب ما يأتى به وحاولوا ترويج تلك الفرية فنزل قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ۝ ﴾(١٥)، بل إنهم تخبطوا فى ضلالات كثيرة وأثاروا حول القرآن شبها عديدة لا يثبتون على حال، ولا يهدأ لهم بال، شأن كل متحد، فمرة يقولون عنه: إنه خلط من أخلاط الأحلام وأخرى يقولون عنه: إنه افتراء، وأخرى: بل هو شاعر، ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾(١٦).

«وعندما فكر الرسول ـ ﷺ ـ فى الالتقاء بوفود العرب والقبائل فى موسم الحج يدعوهم إلى الله، اجتمع بعض المعاندين من قريش الى الوليد بن المغيرة يتشاورون، وقالوا: ماذا عسى أن يقال فى شأن محمد للعرب القادمين إلى موسم الحج، حتى لا يختلف بعضهم على بعض ويكذب بعضهم بعضا، واقترح بعضهم أن يقولوا أن محمداً كاهن، فرد الوليد هذا الرأى: أن ليس ما يقول محمد بزمزمة الكاهن ـ أى الكلام الخفى ـ ولا بسجعه، واقترح آخرون أن يزعموا أن محمدا مجنون، فرد الوليد هذا الرأى بأنه لا تبدوا عليه لهذا الزعم ظاهرة، واقترح غيرهم أن يتهموا محمدا بالسحر، فرد الوليد بأن محمدا لا ينفث فى العقد ولا يأتى من عمل السحرة شيئا، وبعد حوار اقترح الوليد عليهم أن يقولوا للحاج من العرب أن هذا الرجل ساحر البيان وأن ما يقوله سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته»(١٧).

وفى صدد بيان تلك الفرى التى افتراها أعداء الإسلام يتحدث القرآن الكريم عنها، ويفندها ويبددها فى قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ ﴾(١٨) إلخ الآيات.

وجاءت هذه الآيات الكريمة لتقرر قضية الوحى الإلهى فى أجل صورها وأسماها، وهى آيات الله البينات التى اشتمل عليها القرآن الكريم وقد عالجت هذه الآيات ذلك الموضوع الهام المتعلق بأمر الوحى، بعد أن تصدت الآيات السابقة لها من صدر سورة «الأحقاف» إلى تقرير عقيدة التوحيد عن طريق بيان ما أنزل الله من كتاب، وما خلق من السماوات والأرض وما بينهما، وكتاب الكون المفتوح بما فيه من شواهد العظمة الإلهية والقدرة القوية شاهد على صدق

---

(١٤) الشعراء/ ٢٢١ : ٢٢٢. (١٥) النحل/ ١٠٣. (١٦) الأنبياء/ ٥.

(١٧) حياة محمد.. محمد حسين هيكل. (١٨) الأحقاف/ ٧ : ٨.

الكتاب المنزل الذى يهدى للتى هى أقوم، وكلاهما يتضافران فى بيان أوضح الأدلة على وحدانية الله ـ تعالى ـ ... ومن عجب بعد كل هذا الوضوح أن يعرض الذين كفروا عن تلك الحقيقة الواضحة التى لا لبس فيها ولا غموض ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾(١٩).

ثم أخذت الآيات بعد ذلك تطرح تساؤلاتها القوية والحجج المفحمة وتتحدى من يعبدون أحدا غير الله، وتبين عجز الجميع أن يخلقوا شيئا ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾(٢٠).

إن نهايتهم ونهاية ما عبدوا فى الدنيا عجز ومهانة. وأما نهايتهم فى الآخرة فهى وقوع العداوة بينهم وبين معبوديهم وتبرؤهم منهم وكفرهم بهم: ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۝٦ ﴾(٢١)، وهكذا أبطلت الآيات السابقة عقيدة الشرك وأثبتت قضية التوحيد فى جلاء ووضوح.

بعد هذا أخذت الآيات فى إثبات قضية الوحى الإلهى فبينت كيف جاء القرآن وحيا جليا وآيات بينات، ومع هذا فإنهم لا يملكون أمام إعجاز القرآن إلا أن يقولوا:

﴿ هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝٧ ﴾(٢٢).

ثم بينت ما آل إليه أمرهم من التخبط والتضارب فيقولون: افتراه، وهنا يبرز القرآن هذه الفرية الأخرى لا فى صورة الخبر بل على صورة الاستفهام؛ لأنّ هذا لا ينبغى أن يقول به عاقل، ومن المستبعد أن ينطق به إنسان ومعه عقله:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ ﴾(٢٣)، وهنا تأتى الإجابة أمرا من عند الله ـ تعالى ـ يتضمن استبعاد تلك الفرية على طريق التدرج معهم حتى يأتى عليها من القواعد، فعلى فرض ما أدعيتم فهل يكون مفترى من أجل أن تؤمنوا، وماذا يجدى إيمانكم لو أخذنى ربى؟ ﴿ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ ﴾(٢٤)

ولكن الحقيقة واضحة، ويعلم الله ما تندفعون فيه من طعون زائفة وكفى به شهيدا على صدق ما جئت به وعلى افتراء ما تطاولتم به ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَ ﴾(٢٥).

وفى وسط هذا الجو الخانق لديهم، ومع هذا الحوار الشديد يكشف القرآن عن أسرار الرحمة الإلهية، ويشعرهم بحلم الله عليهم رغم تلك الجرائم والافتراءات فيقول:

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(٢٦)، فقد تتداركهم هداية الله فيهديهم، وقد يثوبون إلى رشدهم فيرحمهم، وبعد مناقشة المشركين فى ضوء تلك الآيات البينات وبيان أنها حق، أخذت فى مناقشتهم عن طريق من أنزل عليه القرآن وهو الرسول ـ ﷺ ـ فهو لا يختص نفسه بشىء ولا

---

(١٩) الأحقاف/ ١ : ٣.
(٢٠) الأحقاف/ ٤.
(٢١) الأحقاف/ ٦.
(٢٢) الأحقاف/ ٧.
(٢٣) الأحقاف/ ٨.
(٢٤) الأحقاف/ ٨.
(٢٥) الأحقاف/ ٨.
(٢٦) الأحقاف/٨.

يصدر في أمر إلا عن وحي الله، وقلبه واثق من ربه فلا يمد عينيه الى سر ما من الأسرار، وأنه ليس أول رسول جاء برسالة ربه فقد سبقه من قبل الرسل

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢٧)، أما ما أشارت إليه الآية ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ فالمراد به ما لم يكن عليه من وظائف النبوة كالحوادث والوقائع الدنيوية، أما ما يحدث في الآخرة من ثواب وعقاب أو غير ذلك فإن علم مثل هذا من شئون النبوة ووظائفها، ولذا ختمت الآية الكريمة بما يبين إنذار الرسول - ﷺ - بعقاب الله - تعالى - لهم: ﴿ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾(٢٨).

كما أخذت الآيات بعد ذلك في إثبات صدق القرآن عن طريق أحد بني إسرائيل، كواحد من جنس المعاندين،أنه استدل على صدق الآيات من نفس القرآن، ثم استدل على صدقها - أيضا - عن طريق واحد من نوع المعاندين وجنسهم وهو: «عبد الله بن سلام» لما سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله - ﷺ - أتاه فنظر إلى وجهه الكريم فعلم أنه ليس بوجه كذاب، وتأمله فتحقق أنه النبي المنتظر، فقال له: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول شرائط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ والولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال - عليه الصلاة والسلام -: أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإن سبق ماء الرجل نزعه وإن سبق ماء المرأة نزعته، فقال: أشهد أنك رسول الله حقا، فقام، ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، فإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك، فجاءت اليهود فقال لهم النبي - عليه الصلاة والسلام -: أي رجل عبد الله فيكم؟ فقالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال: أرأيتم إن أسلم عبد الله؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا اله وأن محمدا رسول الله.. فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه، قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر، قال سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- ما سمعت رسول الله - ﷺ - يقول لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه نزل:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(٢٩).

ورحم الله البوصيري إذ يقول:

آيات حق من الرحمن محكمة قديمة صفة الموصوف بالقدم
لم تقترن بزمان وهي تخبرنا عن المعاد وعن عاد وعن إرم
دامت لدينا ففاقت كل معجزة من النبيين إذ جاءت ولم تدم
ما حوربت قط إلا عاد من حرب أعدى الأعادي إليها ملقي السلم

نفعنا الله تعالى بالقرآن الكريم ووفقنا إلى العمل به إنه سميع مجيب.

---

(٢٧)، (٢٨) الأحقاف/ ٩.

(٢٩) الأحقاف/ ١٠.

شمس الهدى عمّت الأكوان

لفضيلة الشيخ / أحمد بن محمد طاحون

إنه النور الذى أضاء وقد بشّرت به الأنبياء.
وكان الناسُ فى لهف شديد إلى فجرٍ جديد.
قالت آمنة بنتُ وهب : « رأيتُ حين حملتُ بمحمد أنه خرج منى نورٌ أضاءَ لى قصورَ بُصْرى من أرض الشام.. »
رواه ابن إسحاق وغيره [من رواية عبد الله بن جعفر بن أبى طالب]
وقال ابن إسحاق من رواية ثور بن يزيد الكلاعى عن بعض أهل العلم : « إنّ نفراً من أصحاب رسول الله - ﷺ - قالوا له : يارسول الله، أخبرنا عن نفسك؟ قال : نعم، أنا دعوة أبى إبراهيم، وبشرى أخى عيسى، ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نورٌ أضاء لها قصور الشام ».

ويرمزُ هذا النور إلى عموم رسالته - ﷺ - وقد فتح اللهُ عليه من تلك البلاد وانتقلت إليها حاضرةُ الخلافة الإسلامية فى عهد بنى أمية، ومنها اتّصل خروجُ الدعاةِ إلى الله وجيوشُ الفتح حتى عبرت إلى شاطىء البحر المتوسط من الجانب الأوروبى، وأحاطت به من الجانبين، وسعدت القلوب ببركات الأذان للصلاة فى الأندلس، وصقلية - وغيرها من جزر المتوسط - وفى فرنسا، وإيطاليا، وعرف الناس نورَ العلم، وهدايةَ القرآن الكريم واطمأنوا إلى العدل والتواضع والرفق، ورأوا لأوَّل مرة أنه لا سُلطانَ لنفسٍ على نفسٍ أخرى، ولاتملك نفس لأحدٍ ضرًّا ولانفعاً، ولاتحمل نفس عن نفس وِزْراً، ولا تمحو عنها ذنباً، فكل إنسان مرهونٌ بعمله، ومسئول أمام ربِّه، وإنّ الله فى رحمته بعباده غيرُ مُحتاج إلى وسيط أو شفعاء بينه - سبحانه- وبينهم، فهو - سبحانه - عليم بهم، سميعُ لنجواهم وجهرهم، لطيفُ خبير بصيُرٌ بكل ماخفى أو ظهر من أحوالهم، يقول العبدُ : يارب، يقول له : لبيك ياعبدى.

إن الفتح الإسلامى خير ورحمة ونور ونعمة تامَّة.

ونور من زمزم

حكى خالد بن سعيد بن العاص القرشى المكى أنه رأى قبل البعث بيسير نوراً يخرج من بئر زمزم أضاء له حتى ظهر لعينيه البُسْر - التمر - فى نخيل يثرب - المدينة المنورة - فقصّ ذلك على أخيه عمرو، فقال له : إن زمزم حفرها عبدالمطلب - بعد أن كانت مطموسة - وإن هذا النورَ من آل عبدالمطلب - وهو جدُّ النبى محمد - ﷺ -.

فكان هذا النور سبب مبادرة خالد بن سعيد إلى الإسلام كان إسلامه بعد أبى بكر، وترتيبه فى السابقين الثالث أو الرابع أو الخامس، وهاجر وزوجته وأخوه عمرو وزوجته إلى الحبشة - رضى الله عنهم -.

ونور من التوراة والإنجيل

إنها البشارة بصفته - ﷺ - وبقُرب زمانِ ظهوره، وبأمارات مولده جاءت عن طريق الوحى الإلهى لجميع النبيين والمرسَلين وفى الكتب والصحف السماوية ومنها : التوراة، والإنجيل.

وأخذ ربُّ السموات والأرضين ورازقُ الخلْق أجمعين العهدَ على الأنبياء والمرسَلين أن يؤمنوا بالنبى العربى الأمى، وأن يطلبوا إلى المؤمنين بهم أن يؤمنوا به، ثم عند بعثته وظهوره فعلى كلِّ المكلَّفين من إناثٍ وذكور أن يُبادروا إلى الانضواء تحت لوائه، وينصروا دينَهُ، ويتّبعُوا سنته، ومن لم يفعل فهو من الخاسرين.

وفى نور البشارات

وفى نورها، وفى ضوء الأمارات والعلامات الواردة فيها شهد التاريخُ حركة عظيمة من التبشير بقُرب مولد خاتم النبيين والمرسَلين وبعثته، إذْ أخذ الأحبارُ والرهبانُ يتحدَّثون إلى الناس، ويتطلّعون فى لهفة إلى ظهور نَجمه، وبزوغ فجره.

ومن هذا المنطلق

● لذا توافدت أعداد من علماء أهل الكتابين وفُقهائهم إلى الشام وأطراف شبه جزيرة العرب، يسألون ويتلمَّسون الأخبار، ويتحدّثون إلى الناس عن قرب ظهور النبى العربى الأمى الذى جاء نَعْتُه وصفة زمانه فى آيات الوحى الإلهى.

● ومن ذلك أن بنى إسرائيل فى « يثرب » وما حولها كانوا إذا اشتدّ النزاعُ بينهم وبين مشركى العرب من الأوس أو الخزرج، كانوا يتوَعَّدونهم بقُرب ظهور نبىٍّ يعرفون صفته وأمارات ظهوره من التوراة، وبأنهم - أى اليهود - سيبادرون إلى الإيمان به لأنه أخو موسى بن عمران، لتكون لهم قُوَّةٌ وشَوْكَةٌ باتّباعه تجعلهم أهلاً للنصر على مشركى العرب.

وقد جاءت قصّتهم تلك فى قوله -تعالى- من سورة البقرة :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾(١) وقد ذمَّهم سياقُ الآيات لسوء مَسْلكهم إذْ تراجع مُعظمهم حسداً وكبراً وبغياً أن تكون خاتمةُ الرسالاتِ فى بنى إسماعيل ابن إبراهيم وليست فى بنى يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم، وكانوا يعرفون محمداً وصدْقَه أكثر مما يعرفون أبناءهم، ولكنه الكِبرُ المدمِّر، والحسدُ القاتل - أعاذنا الله من ذلك -.

الوفاء بالعهد ونُبذة عن صفوة منهم

لقد أَوْفى بعهد الله أكابُر وأشرافُ من بنى إسرائيل ومنهم علماء أجلاّء ذوو قَدْر كبير، نورد منهم :

● عبدالله بن سلام من نسل يوسف الصدّيق - عليه السلام -، والذى كان يقول لعمّته يوم دخول النبى - ﷺ - المدينة المنورة : « إنه - ياعمّتى - أخو موسى بن عمران » وقد أثنى الله عليه فى القرآن الكريم، لتنبيه مشركى العرب الأمّيين بما عند عبدالله من علم الكتاب الأول بصفة النبى محمد وصدقه فيما يبلّغ عن ربِّه، حتى يرتدعوا عن الاستبكار والعتوِّ وتكون لهم فى ذلك عبرة قال - تعالى - :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾(٢)

وفيه ثناء على أهل العلم العاملين به، وعلى الذين يتواضعون لله، وينضوون تحت لواء رسوله مع ذم الكبر والبغى وعدم التدبّر الصحيح لطلب الحق.

● ومنهم الشهيد الفقيه السخى فى سبيل الله : « زَيد بن سَعْنة » - بفتح السين وسكون العين وتاء مربوطة - وله قصة غاية فى الروعة وجمال الحق مع رسول الله - ﷺ - حتى تحقق من صفةٍ له فى التوراة فآمن وأخلص - رضى الله عنه - وهى أنه - ﷺ - لايغضب إلا للحق، وإذا غضِبَ لايُخرجه الغضبُ عن الحق، ومن شمائله : العفْو والصفحُ وعدمُ مقابلة الإساءة بمثلها إلا فى حدٍّ أو حقٍّ من حقوق الله : « ولاتَزيدُه شدّةُ الجَهل عليه إلا حِلماً ».

● ولاينبغى لنا أن ننسى الشهَيد البارَّ مُخيريق - بضم أوله وفتح ثانيه - أحد بنى ثعلبة بن الفِطْيون، ومَوقفَه حين عتب على عشيرته من بنى إسرائيل لعدم مبادرتهم لنُصرة الرسول - ﷺ - والإيمان به والخروجِ معه، حين تجمّع مشركو مكةَ فى أُحُد للأخذ بثأر يوم بدر، وقال لهم عاتباً على كتمانهم العلمَ به وبأنه - ﷺ - ظاهرُ عليهم لا محالة وأن النصرَ لدينه آت : « والله لقد علمتُم أنَّ نَصْرَ محمدٍ عليكم لحقٌ » وتعَّللوا حَرَجاً منه بأن اليوم يومُ سبْتٍ، فدعا عليهم ونهرهم بقوله : « لاسبْتَ لكم » لأن هذا مما نسخته الشريعة بعد موسى وأخذ سيفه وعُدَّته وأوصَى قائلا : « إن

---

(١) البقرة ٨٩ : ٩١.

(٢) الأحقاف ١٠.

أُصبتُ فمالى لمحمد يصنع فيه ماشاء» وقاتلَ فى أُحُد وأكرمه ربُّه بالشهادة، وشهد له رسولُ الله - ﷺ - بقوله : «مُخيريق خيرُ يهود» كما قال ابن إسحاق. ومن أعرق بيوتهم نسباً : ثعلبةُ وأَسيد - بفتح الهمزة - أبنا سَعْيَةَ وأسَدُ بْن عُبيد، وهم نفر من بنى هَدْل إخـوة بنى قـريظةَ أو من بنى عُمومتهم، وقد تحدَّثوا إلى بنى قُريظةَ يدعونهم إلى العمل بما فى التوراة فقالوا : «يابنى قريظةَ، والله، إنه للنبىَ المنتظَر - الذى كان عهد إليكم فيه ابنُ الهيِّبان» ثم أسلم هؤلاء الثلاثة.

وابن الهيِّبان من أكابر الأحبار وفد إلى المدينة من الشام يترقب ويتلمَّس أخبارَ ظهور النبى العربى، ويقول : «لقد أظلَّ زمانُه» أى : صار قريباً، وقال : «إن يثرب مُهاجَره» أى مكان هجرته» وأوصى بنى إسرائيل قبل موته : «لايسبقكم أحد إليه يامعشر يهود» وظلت وصيته بعد موته فى قلب وعقل هؤلاء الثلاثة.

من أمـارات الإعجـاز

ومن أمارات الإعجاز أن الله - عز وجل - هَدى إلى الإسلام أقواماً كانوا على مِلل ونِحَلٍ شتىًّ، منهم من كان عابداً الصنم، ومنهم من كان منكراً، وآخر كان من عبدة النار ومن بيت سادنها، وآخرون كانوا من أهل الكتابين (التوراة والإنجيل) هذا إلى جانب تنوّع الألسنة والألوان والقبائل والأوطان والثقافات والأجناس فكان منهم الفارسى والرومى والسودانى والحبشى والإسرائيلى والعربى، وتلك معجزُة دعوته بأمر ربه : ﴿ **إنى رسولُ الله إليكم جميعا** ﴾ فبدأت الدولة الناشئة مجتمعاً إنسانياً تحت راية الرسول - ﷺ -، ومازال الناس من كل جنس يدخلون فى دين الله أفواجاً - والحمد لله رب العالمين -.

شريعة سمحة وافية

اقتضت حكمة الخالق - سبحانه - أن تكون شريعةُ الإسلام وافيةً بحاجات الإنسان الروحية والعقلية، النفسية والبدنية، وتعاليمُها ملائمةً لفطرة الإنسان، وفيها من اليُسْر والوضوح مايجعلها قابلةً للتطبيق ومناسبة لجميع الناس على اختلاف الألسنة والأماكن والأزمنة، محفوظة بعناية الله وحفظه فى كتاب الله وسُنّة نبيِّه - ﷺ -.

إن الإسلام يؤكدّ إحترامَ الإنسانِ وتكريمه، والحفاظَ على حقوقه وصيانتها، وحفظَه فى بدنه ونفسه وعقله وماله وعِرضه هذا إلى جانب تحقيق التوازُن بين مطالب الروح ومطالب البدن فلم يُحرّم عليه حلالاً، ودعاه إلى السعى، والتثمير بالوسائل الصحيحة المباحة، وحثَّه على أداء حقوق الله وفرائضه واجتناب الظلم والتعدِّى والتعاون لبناء حياة إنسانية نظيفة خالية من الشرور والمفاسد والآثام، تنمو فيها العلاقاتُ الإنسانيةُ فى الطريق الصحيح.

في ذكرى مولده صلى الله عليه وسلم رد على المارقين والمتفيهقين

للشيخ عبد العزيز أحمد رضوان

من أعجب ما يشيعه بعض الشباب الملتاث بلوثة التدين المشوه، قولهم: إن الاحتفال بمولده - ﷺ - بدعة؛ لأنه لم يحتفل بتلك المناسبة، ونحن مقيدون بما ورد عنه فقط، وهذا غلط شنيع، والدليل على ذلك ما يأتي:-

أولاً : نحن مطالبون بالتذكر والتبصر والتأمل والتعقل في الكون وعجائبه، وأحداث التاريخ وغير ذلك، وليس ماقصه الله - عز وجل - في القرآن الكريم عن الأنبياء والمرسلين، وأهل الكهف، وذي القرنين وغيرهم، إلا نوعاً من إيقاظ الذاكرة، وتنبيهها لكي تأخذ العبرة والموعظة.

قال - سبحانه وتعالى - :-

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(1) فهل إذا تناولنا هذه القصص بالدراسة والتأريخ والمقارنة والسرد التفصيلي للأحداث إلى غير ذلك نكون مبتدعين؟ إن الله - عز وجل - يقول لرسوله - ﷺ - :-

﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾(2) ويقول له : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾(3) ومن البدهي أننا مطالبون بما يطالب به الرسول - ﷺ - إلا ما قامت الأدلة على أنه خاص به وحده، لايتجاوزه إلى أمته، ولهذا فنحن مأمورون شرعا باستغلال المناسبات الدينية وغيرها، لاسترجاع الذاكرة، واستنهاض الهمم، والوعظ، وإسداء النصيحة، وما مولد الرسول - ﷺ - إلا نوع من هذه

---

(1) سورة يوسف الآية ١١١.

(2) سورة الأعلى الآية (٩).

(3) سورة الغاشية من الآية (٢١).

المناسبات. وإنك إذا تأملت فى القرآن الكريم، وتدبرته تراه مشحونا بهذا التوجيه السامى العظيم، يقول - عز وجل - :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ الآيات إلى قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾[٤]

ويقول عز من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[٥] الآيات. ومعلوم أن هذه الآيات تطلب منا أن نسترجع الأحداث فى غزوة الأحزاب. وعن غزوة بدر يوجه الله - عز وجل - إلينا نفس الأمر، فيقول : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٦] ومن هذا القبيل : الأوامر المصدرة بحرف الشرط (إذ)، ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله - تعالى - :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾[٧] وقوله - سبحانه - :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[٨] ومن هذه الآيات ما يأمرنا بتخيل ما سيحدث فى اليوم الآخر وما فيه من أهوال مثل قوله - سبحانه - :

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[٩] ومثل قوله - عز وجل - : ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾[١٠]

فهل بعد هذا كله يقول قائل إن مناسبة مولد الرسول - ﷺ - ليست جديرة بأن نسترجعها ونتدارس أحداثها ونذكر العبر والعظات للنشء والشباب والمسلمين وغيرهم ليستبصروا ويتعظوا؟!!

ثانياً : لو فرضنا جدلا أن هذه الأوامر لاوجود لها، أليس الاحتفال بمولده - ﷺ - من السنة الحسنة، التى باركها الرسول - ﷺ - بقوله : « من سنّ فى الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء »[١١] ومن هذا القبيل ما لجأ إليه سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فدون الدواوين، ومنه أيضا ما استجد فى العصور المتأخرة من شهر العقارات وتوثيقها، حتى لاتضيع الحقوق على أصحابها، ومنه إنشاء

(٤) سورة إبراهيم الآيات من (٥ - ٩).
(٥) سورة الأحزاب الآيات من (٩ -١٢).
(٦) سورة الأنفال من الآية (٢٦).
(٧) سورة البقرة من الآية (٣٤).
(٨) سورة الأنفال الآية (٣٠).
(٩) سورة غافر الآية (١٨).
(١٠) سورة غافر الآيات (٧٠ - ٧٢).
(١١) رواه مسلم.

الجمعيات الخيرية، التى تكفل اليتامى، وتعالج المرضى، وتمد يد العون للفقراء والمحتاجين الخ .

هل نترك كل هذا بحجة أنه بدعة لم تكن على عهد رسول الله - ﷺ - وفى نفس الوقت نكون مخالفين له، تاركين لسنته، بموجب حديث « من سن فى الإسلام سنة حسنة . . الخ »؟ إن الدعاة إلى الله فى كل زمان ومكان لايعالجون قضية من القضايا إلا ويستشهدون لها بعمل رسول الله - ﷺ - وقوله وجهاده، وصبره وثباته، وشجاعته، وأخلاقه الحميدة، فهل إذا جاء شهر ربيع الأول نقول لهم : اتركوا الاحتفال بمولده، فلا تذكروا الناس فى تلك المناسبة بشىء من هذا؟!!

إننا فى هذه الحالة يصدق علينا قول القائل :

كلهم فى الهوى يزين دينه
ألف مفت ومالك فى المدينة
جهلوا لجة البحار ومجرى
ريحها وادعوا قياد السفينة
نجها رب إننا قد جعلنا
كل فن فى غير من يحسنونه
كل من صاح بالنبوة فينا
قام أوس وخزرج ينصرونه

ثالثا : إن رسول الله - ﷺ - نوه بيوم مولده، وختم نبوته، وعموم رسالته، فقال : « إنى عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل فى طينته، وسأنبئكم بأول ذلك، دعوة أبى إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمى التى رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين »(١٢) .

ولاشك أن مولده - ﷺ - كان بداية لفجر جديد وسراج منير، ونور وهاج، وكانت رسالته - ﷺ - بعثا للخير، والحق، والعدل، والمساواة، ودحضا للجهالات، والخرافات، والضلالات، ولقد صدق الكاتب الكبير الأستاذ العقاد عندما قال فى كتابه : « عبقرية محمد » : إن العلامات التى ظهرت فى يوم مولده من خمود نار فارس، وسقوط شرفات إيوان كسرى، وغيض بحيرة ساوة، يمكن أن يدعيها آباء الأطفال، الذين ولدوا فى نفس اليوم، الذى ولد فيه محمد - ﷺ - ولكن هناك علامة شهد بها الكون، وعلامة شهد بها التاريخ يختص بها النبى وحده، لايشاركه فيها أحد، فإن الكون قال : إن العالم كان محتاجا لمن ينقذه من الفوضى والجهالة، وقال التاريخ : إن هذا المنقذ كان رسول الله - ﷺ - ولا كلام لأحد بعد شهادة الكون وشهادة التاريخ .

رابعا : نحن لانريد أن يخرج الاحتفال بمولده - ﷺ - عن حد الاعتدال . كأن نتدارس سنته وآدابه، وخلقه، وتوجيهه، وجهاده، لإحقاق الحق، وإبطال الباطل فننهج نهجه، وننسج على منواله، وإذا فرحنا وابتهجنا فليكن فرحا وابتهاجا لاينسينا حقوق إخواننا في ميادين القتال أينما كانوا؛ لاينبغى أن يكون الاحتفال ملء معدة، ولا تهريجا فارغا، ولا طقوسا مبهمة .

ثم أما بعد :

فها هو رسول الله - ﷺ - يحتفل بيوم عاشوراء عندما وجد اليهود فى المدينة يحتفلون به، ويقولون عنه : إنه يوم مبارك، فيه أنعم الله على بنى إسرائيل بجملة إنعامات، وبصرف النظر عن صدق وقوع هذه الأحداث فيه، أو عدم صدقها، فإنه - ﷺ - رأى أن يجامل اليهود بشىء، لم يضر الإسلام، وإذا كان اليهود يصومون فيه حسب معتقداتهم، فنحن نصومه صوما

(١٢) رواه أحمد عن العرباض بن سارية وانظر تفسير ابن كثير (١٨٤/١) ط عيسى البابى الحلبى

إسلاميا، حسب عقيدتنا، وهو - ﷺ - ضرب المثل الأعلى فى تقريب وجهات النظر، وتضييق دائرة الخلاف بيننا وبين من يخالفون ديننا، ليحفزهم ذلك على مراجعة أفكارهم نحو الإسلام، فيتدارسونه، وربما يهتدون وقد اهتدى بعضهم فعلا، وإذا كنا فى العادات نتذكر الأيام الوطنية، ونهتم بها، ونسترجع ما فيها من أحداث ووقائع ونحكيها لأولادنا، فهل من اللائق أن يأتى علينا يوم الثانى عشر من ربيع الأول، ونحن نتجاهله ولا نذكر ما كان من أمر الفيل، أوأمر إبرهة مع عبدالمطلب جد النبى - ﷺ ؟ - وهل نقول للّه - سبحانه وتعالى - : لماذا يارب أنزلت سورة الفيل؟ وسبب نزولها يذكرنا بهذا اليوم العظيم، ونحن لانريد أن نتذكره لأن ذلك بدعة؟!!!

أيها الشباب

إعلموا أن أعداء الإسلام يثيرون حوله الشكوك والشبهات، ويبثون فى مطبوعاته وتراثه الإسرائيليات، ويناصرون الأفكار العلمانية، والمذاهب والنحل الباطلة، والآراء الغريبة المتزمتة، التى لاتعبر عن سماحة الإسلام ويسره وسهولته.

ولذلك : فإن الغزو الثقافى لايقل فى خطورته عن الغزو العسكرى، إنه لمن توافه الأمور أن نشغل أوقاتنا بالجدال الفارغ، والنقاش المحتد المتعصب، الذى لا طائل من ورائه، والذى لايعود على ديننا بالخير، بينما هو يفيد أعداءنا.

فتقاربوا فيما بينكم، وليعذر بعضكم بعضا فيما تختلفون فيه، ووحدوا صفوفكم، وكلمتكم، وغايتكم، حتى تفوتوا على شياطين الإنس والجن، ما يبتغون من تفريقكم وبذر بذور العداوة بينكم، ولاتخافوا على الإسلام فهو باق - إن شاء الله - ولن يتزلزل، ولن يتخلخل؛ لأنه قد كمل، وتم كما قال - سبحانه وتعالى - :

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾(١٣).

وتفقهوا فى المغزى والمعنى فى قول رسول الله - ﷺ - : « ... أما بعد، فيأيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه أبدا، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به بما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم... »(١٤) وتذكروا هذا التوجيه الكريم لأمر ربنا - سبحانه وتعالى - حيث يقول :

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥ ﴾(١٥).

فاللهم اجمع شملنا على خير وألف بين قلوبنا، وانصرنا بالحق، وهيىء لنا من أمرنا رشدا.

---

(١٣) سورة المائدة من الآية (٣).

(١٤) مسلم عن جابر وانظر فقه السيرة ص (٤٨٧).

(١٥) سورة آل عمران الآيات (١٠٣ - ١٠٥).

الوجدان في حياة النبي الإنسان صلى الله عليه وسلم

للأستاذ الدكتور / مبروك عطية أبو زيد

ما وقفت أعين القارئين على صفحة من كتاب البشر؛ لتستمد ضياءها مما بين السطور، مثلما وقفت على تاريخ سيدنا رسول الله، محمد بن عبد الله، الرحمة والنور، قد تعجب عين القارىء بالنظر إلى زعيم إنسان، وسرعان ماتجد هنا أو هناك ما يمحو عن هذا العجب صفة الكمال والتمام من نقص أو عيب، أو خلل، لكن تلك العين عندما تعجب بسيدنا رسول الله - ﷺ - لاترى في حياته وسيرته عوجاً ولا أمتاً؛ وذلك لأن الله - عزوجل - قد اصطفاه وطهره، وصنعه فأبدعه، وأرسله فعصمه، وأوحى إليه فعلمه، وشرع له من الدين والحكمة ما أتقنه، وجعله - سبحانه - الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وذكر الله كثيراً.

والوجدان في حياة الناس جميعاً شريان مهم ينطلق بهم إلى خير حياة؛ لأن الوجدان نهر من أنهار الرحمة، وآية من آيات العاطفة، وقد خلق الله الرحمة والعاطفة لتكون بمثابة الظل في قسوة الهجير، ومعنى الأمومة في التطام الظروف، وقسوة الأحوال، وعون الأبوة في ضعف الرجال وصوت الأمل في صمت المحال؛ فلا حياة بلا رحمة، ولا جمال بلا وجدان.

لكنّ وجدان سيدنا رسول الله – ﷺ – يختلف عن وجدان البشر العاديّ؛ لأنه في قلوب الناس لايخلو من كدر وإن بلغ من الصفاء مبلغه، ولايخلو مَنْ يتطلع إلى صاحب الوجدان مِنْ شيء من الخوف وإنْ ظن أنه بلغ منه مأمنه، وذلك لأنّ وجدان سيدنا رسول الله – ﷺ – من رحمة الله عز وعلا – به وبالبشرية جميعا، يقول المولى سبحانه – :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾(١)

فوجدانه – ﷺ – نهر من الرحمة غير آسن، وغير مقطوع؛ لأنه مدد من الرحمن الرحيم الذى

(١) سورة آل عمران ١٥٩.

أراد بقدرته وفضله أن يكون عبده ورسوله سيدنا محمد رحمةً للعالمين، فقال – وهو أصدق القائلين : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢] فكان للصغير رحمة وحبّاً وحناناً، روى مسلم فى صحيحه عن أنس بن مالك – رضى الله تعالى عنه – أنه قال : « كان رسول الله – ﷺ – أحسن الناس خلقاً، وكان لى أخ يقال له : أبو عمير، قال : أحسبه كان فطيماً، قال : فكان إذا جاء رسول الله – ﷺ – فرآه قال : أبا عُمَيْر، ما فعل النُّغَيْرُ؟ قال : فكان يلعب به »[٣].

يقول الإمام النووى – رحمه الله – : وفى هذا الحديث فوائد كثيرة جدّاً، منها جواز تكنية مَنْ لم يولد له، وتكنية الطفل، وأنه ليس كذباً، وجواز المزاح فيما ليس إثماً، وجواز تصغير بعض المسميات، وجواز لعب الصبى بالعصفور وتمكين الولى إياه من ذلك، وجواز السجع بالكلام الحسن بلا كلفه، وملاطفة الصبيان، وتأنيسهم، وبيان ما كان النبى – صَّلى اللَّهُ عليه وسلم – عليه من حسن الخلق، وكرم الشمائل والتواضع، وزيارة الأهل؛ لأنَّ أم سليم والدة أبى عمير هى من محارمه – ﷺ »[٤].

وقد ثبت أنه – ﷺ – عبَّر عن عدم تقبيل الصبيان بنزع الرحمة من هؤلاء الذين لايُقبِّلُون صغارهم فعن أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – قالت : قدم ناس من الأعراب على النبى – ﷺ – فقالوا : أتقبِّلُون صبيانكم؟ قال –عليه الصلاة والسلام– : نعم؛ فقالوا : لكنَّا ـ والله ـ ما نُقبِّلُ؛ فقال النبى – ﷺ – : « وما أملك أنْ كان اللَّهُ قد نزع منكم الرحمة »[٥].

ومن يتأمل هذا الحديث يدرك أنَّ تقبيل الصغير ليس مجرد عمل عابر، أو ملاطفة طريفة، وإنما هو دليل رحمة وعلامة إحسان ولايتصور كذلك أن يكون مجرد طبعة لشفة الْمُقَبِّل على جبين الصغير تنتهى بوجدان معتم، وانصراف كُلِّىٍّ عن شئونه، وإنما تقبيل الصغير بداية إحسان، وعقد رحمة يوجب على الكبير أن يكون رحيماً بالصغير عطوفاً عليه انعطاف الغصن على الغصن إثر مداعبة النسيم الرقيق للغصن العاطف، حتى مال على الغصن المعطوف عليه رقَّة ولينا، والباعث وراء ذلك رغبة الكبير فى أن يكون من أمة سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – الذى آثر سيدنا زيد بن حارثة أن يظل عنده – ﷺ – ويرفض العود إلى قومه قائلا : «إنِّى قد رأيت من هذا الرجل شيئاً، وما أنا بالذى أفارقه أبداً»[٦].

ومـــا من شك فى أنّ هذا الشىء الذى رآه سيدنا زيد بن حارثة فى سيدنا رسول الله – ﷺ – وجدان تسَّمى فى ضميره يسمو فوق تعبير اللسان؛ لأنه وجدان سيد ولد عدنان – ﷺ .

وأرباب الوجدان الذين عرفناهم سواء قرأنا لهم أو عاشرناهم إذا ما ألمت بهم مصيبة نطقوا بما لم نكن نتوقعه يخرج من أفواههم، فإن قال قائل : أرأيت إلى هذا العالم أو الشاعر أو الأديب ماذا قال! كان الجواب : إنه معذور، أفلا ترى مصابه

---

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٠٧/١٤ ط- دار الخير بيروت ودمشق ١٩٩٤م.

(٤) شرح النووى ٢٠٧/١٤.

(٥) سنن ابن ماجه/كتاب الأدب. رقم (٣٦٦٥).

(٦) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف للسهيلى ٢٨٦/١، ٢٨٧.

لكنَّ سيدنا رسول الله – ﷺ – المعصوم لايقول إلاَّ ما يرضى ربه ومولاه فى كل الأحوال، فعن أنس بن مالك – رضى الله عنه – أنه قال : قال – ﷺ –: «إنَّ العين تدمع، والقلب يحزن، ولانقول إلاَّ ما يرضى ربنا، وإنَّا بفراقك ياإبراهيم لمحزنون»(٧).

فمع دمع العين، وحزن القلب، وفراق الولد لاينطق لسان الحبيب إلاَّ بما يرضى المولى الحسيب الرقيب؛ ومن ثم يسمو وجدان سيدنا رسول الله – ﷺ – فوق وجدان البشر، كما سما هو – عليه الصلاة والسلام – فوق البشر.

وأهم مايميِّز وجدان سيدنا رسول الله – ﷺ – الذى شمل الصغير والكبير، والإنسان، والحيوان، والجماد، أنه وجدان مقرون بالعطاء، وليس وجدان لسان كما هو عند كثير من الناس الذين يعطونك العبارات المشرقة، والوعود البرّاقة، ويقدمون لك أعينهم، وأرواحهم على صفحات البيان، وأمواج اللسان، فإذا جدّ الجد، وكنت فى حاجة إلى مساعدتهم لم تجد لوجدانهم الذى صوروا لك من آية ولا برهان، فهؤلاء وجدانهم وجدان لسان، أما وجدان سيدنا رسول الله – ﷺ – فصدق فى اللسان والجنان، وعطاء لاينتهى.

يروى البخارى فى صحيحه أنَّ ناساً من الأنصار سألوا رسول الله – ﷺ – ؛ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ماعنده، فقال : «مايكون عندى من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله»(٨).

وقد وقر فى سمع الدنيا ماثبت عنه – ﷺ – من أنه كان أجود الناس خصوصاً فى رمضان، حيث كان – ﷺ – أجود وأسبق من الريح بالعطاء، وأنه – ﷺ – ما قال لسائل : لا، قدّمت له امرأة مسلمة بُرْدَةً، نسجتها بيدها، فتقبلها منها محتاجاً إليها (كما روى البخارى) فقال له أحد أصحابه : اكسنيها ما أحسنها! فأعطاه إياها، فلما قال له القوم : ما أحسنت. لبسها النبى – ﷺ – محتاجاً إليها، ثم سألته، وعلمت أنه لايرد، قال – رضى الله عنه – : «إنِّى والله ما سألته لألبسها، وإنما سألته لتكون كفنى، قال سَهْل راوى الحديث : فكانت كفنه»(٩).

إنّ هذا الصحابى أحبَّ سيدنا رسول الله – ﷺ – وأراد أن يكفن ببردة مست جسده الشريف والذين يحبون سيدنا رسول الله – ﷺ – ويحتفلون بمولده الشريف عليهم أنْ يقتبسوا من أشعة وجدانه نوراً يهديهم إلى حياة جميلة، اللين فيها يسكن القلوب، والرحمة فيها تعِّمر النفوس، والأيدى فيها تسبق اللسان بما يدل على صدق الوجدان ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذْ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنتِ الوهاب، وصلِّ اللهم وسلِّم على سيدنا ومولانا محمد ما ارتد طرف بعيد النظر إلى السماء، ورأى من آلائك ربنا مايوجب الحمد والثناء، فكان رمزاً لوجدان صاف معطاء إنك سميع قريب مجيب الدعاء.

---

(٧) صحيح البخارى/كتاب الجنائز رقم (١٣٠٣).

(٨) البخارى/كتاب الزكاة/باب الاستعفاف عن المسألة.

(٩) صحيح البخارى/كتاب الجنائز/باب من استعار الكفن فى زمن النبى – ﷺ – فلم ينكر عليه.

مِنَ الهِبَةِ بالرسول صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ / مُعَوَّض عوض ابراهيم

لقد اصطفى الرحمن الرحيم لخير أمة أخرجت للناس خير أنبيائه وخاتم رسله سيدنا محمد ـ ﷺ ـ، وبعثه بالدين الذى أكمله وأتمه وامتن به على كل ما خلق ومن خلق، وأوحى ذلك إلى الرسول وهو وأصحابه فى المشهد المهيب والموقف العظيم من فوق عرفات فقال تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(1).

وليس وراء ما أكمله العليم الخبير، وأتمه الرحيم الخبير وارتضى الله الذى يحق الحق بكلماته، ما يستشرفه الأبرار، وتتعلق به أنفسهم، وتصلح به دنياهم وآخرتهم!!

والذين يعيشون مع القرآن ظعنا وإقامة وقياما وقعودا وعلى كل حال حافظين آياته، تالين لها، ممعنين نظرهم وقلوبهم فى استخلاص آياته، واستكناه أسراره وأخباره، واستلهام أحكامه وتوجيهاته، أولئك يجدون كتاب الله، يقودهم برفق إلى الإيمان بالله ورسوله والإذعان لما جاءهم به من لدن ربه كما قال ـ جل شأنه ـ:

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾(2).

إنها منة أن يكون ـ صلوات الله عليه ـ «منهم» يعرفون حسبه ونسبه، وآباءه وأمهاته ومولده ومسيرة حياته منذ شب فيهم، ودرج على الكمالات، لم يشبه شىء من أهواء أقرانه وانفعالاتهم، والله يتولاه ويفيض عليه رعايته وهداه بمثل قوله:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾(3).

إنه ـ صلوات الله عليه ـ «رسول منهم» والرسالة هبة الله الذى يعلم حيث يجعل رسالته، والذى يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس لا بأنساب أو أحساب أو قوى خارقة، ولكن بما طبعهم عليه، وأمدهم به من علم ربهم، وإيمان به، ويقين فى أنه «وحده» له الخلق والأمر وبيده «دون سواه» الخير،

(1) سورة المائدة/ ٤.　(2) سورة البقرة/ ١٥١.　(3) سورة الضحى/ ٦ : ٨.

ولا يقمع الشر، ويدفع العسر إلا بحوله وقوته، ومراده الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾(٤).

وكل ما عرف الناس ويعرفون من نعوت الملك البشرى، والسلطان والإمرة فى الناس، وإن قام على قواعد مشروعة، واختيار سليم من الشبهات والصوالح الخاصة لا يوضع فى كفة ميزان أمام «الرسالة» التى هى اجتباء الله للصفوة الخاصة من عباده الذين كانوا فى أزمنتهم جوامع إيمان، وطلائع تقوى وإحسان، وجوامع مكارم، نصبها الله على طرائق أممهم؛ لتكون هدى فى دياجير الحياة، لمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾(٥)،

﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(٦)

وكان من خصائص سيدنا محمد فى القرآن الكريم، أن وصف «الرسول» معرفا بالألف واللام قد انصرفت جميعا إليه - ﷺ - إلا فى مواضع أربعة: قال تعالى-:

﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾(٧)،

فالرسول رسول فى الأمم السابقة. وقال:

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ ﴾(٨)، فالمراد به ساقى الملك ورسوله إلى يوسف فى سجنه.

وقال: ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾(٩)، فالرسول هنا هو جبريل - عليه السلام.

وقال: ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾(١٠)، فالرسول ههنا هو موسى - عليه السلام -، ويبقى الرسول فى غير هذه الآيات من القرآن مرادا به سيدنا رسول الله الذى شارك المرسلين فيما وراء «الرسول» من ألفاظ رسله، ورسلنا، ورسلا، والرسل، وغيرها.

لقد امتن الله على مصطفاه بالرسالة فى ألفاظ منطلقات الهدى والصلاح والخير والسعة فقال - تعالى -:

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾(١١)، فلقد كان ذلك بعد إعداد ربانى، وإمداد علم يطلعك كثيرا فى إيناس الله لقلب مصطفاه بمثل قوله:

---

(٤) سورة الأعراف/ ٥٤ : ٥٦.

(٥) سورة الأحزاب/ ٣٩.

(٦) سورة النساء/ ١٦٥.

(٧) سورة البقرة/ ٢١٤.

(٨) سورة يوسف/ ٥٠.

(٩) سورة طه/ ٩٦.

(١٠) سورة المزمل/ ١٦.

(١١) سورة الفتح/ ٨.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾(١٢).

● **الرسول والمنهج :**

وخليق بمن آتاه الله الكتاب والحكمة، فطابت بهما نفسه، وسكن فؤاده، وشف حسه ووجدانه، واكتمل إيمانه أن يجييء الناس بإذن ربه بمنهجه

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾(١٣).

فيمن الله برسوله كما امتن عليه بتلاوة آياته على أمته كما قال– تعالى– :

﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾(١٤)، وكما روت أم المؤمنين عائشة وغيرها من صفة قراءة النبى – ﷺ – فى قراءة القرآن المجيد : « أنه كان قرآنا يتلى، وقرآنا من مفرق شعره إلى شتى جوانبه يسير على قدمين !! » .

وإبراهيم – عليه السلام – وهو يرفع واسماعيل القواعد من البيت يستعين بذكر الله على العمل الذى شرفه واسماعيل بالقيام به، مكافأة لابراهيم « الذى وفى » ولاسماعيل الذى ربا إيمانه فسارع يقول لأبيه :

﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾(١٥)، حتى كان الفداء والثناء . .

وكان ابراهيم وهو يرفع القواعد من البيت يدعو ربه

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾(١٦).

إنه رسول محكوم بمنهجه، معتصم أبدا بآيات الله يتلوها عليهم لينطلق منها إلى تزكية أرواحهم، وتنقية قلوبهم مما عسى أن يكون قد عراها من غبش الشرك وسفه الأهواء التى يلتبس فيها الحق والباطل، ويرى أهلوها الحسن ليس بالحسن !

والله – جل جلاله – يبدى من ضراعة خليله ابراهيم فيقول :

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾(١٧) لتكون عقب ﴿ **يتلو عليهم آياتك** ﴾ تفريعا على أقوم أساس فالله – تعالى – يقول :

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾(١٨)، وجاءت فى هذه الضراعة التحلية بعد التخلية، وإعداد المناخ الصالح

---

(١٢) سورة النساء/ ١١٣.

(١٣) سورة البقرة/ ١٥١.

(١٤) سورة المزمل/ ٤.

(١٥) سورة الصافات/ ١٠٢.

(١٦) سورة البقرة/ ١٢٩.

(١٧) البقرة ١٢٩.

(١٨) سورة الإسراء

للتزكية وإعداد الأنفس لتكون مناهل الإيمان وينابيع البر والإحسان، وميادين التنافس الحق فى الصالحات كما يحب ربنا ويرضى.

وكما زكى الله رسوله وجبله على ما تفرق فى خاصة عباده وعامتهم من آدم وإلى يومنا الماثل وحتى يرث الله الأرض ومن عليها من مكارم وكمالات، وأشهد بذلك كتابه المحفوظ بحفظه فقال فى سياق قول الله لموسى حين أخذته والسبعين رجلا الرجفة

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١٩].

ثم يتبع الأبد ما سبقه فى توكيد عالمية الإسلام، والتقاء النبى مع إخوانه النبيين وآبائه فى وحدة الدين الذى يضاعف منه الإيمان بالله، والاعتصام بكلماته فهى سبيل الهدى قال تعالى:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٢٠]

ولقد لفت الإمام الرازى فى التفسير الكبير النظر إلى أن بعضهم قرأ

﴿ **ألم ١ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ﴾[٢١]، حتى بلغ قول الله – تعالى:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[٢٢]، وأملى لعقله وقلبه فى الآيتين ثم قال «من لم يهتد بالقرآن فليس من الناس».

● **وجاء الإسلام:**

إن الكتب السماوية يوم كانت على صبغتها الإلهية تخاطب الناس بالحق، وتعمر حياتهم بنورها قد هدت الكثيرين للحياة الطيبة، وصرف عن مداها آخرون حتى جاء الإسلام، ونزل القرآن يكشف الخبىء، ويميط عن الخطايا اللثام ويفتح الأبواب إلى رحاب الإيمان الحق وسبل السلام قال ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٢٣]

---

(١٩) سورة الأعراف/ ١٥٧.

(٢٠) سورة الأعراف/ ١٥٨.

(٢١) سورة البقرة/ ٢.

(٢٢) سورة البقرة/ ١٨٥.

(٢٣) سورة المائدة.

إنه ـ ﷺ ـ النور والبرهان المبين من خلال سمط القيم والفضائل التى تمثلها البوصيرى بعمق إيمانه وصدق وجدانه حتى قال:

فإن فضل رسول الله ليس له حد

فيعرب عنه ناطق بفم !!

وصدق الله العظيم

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾(٢٤).

● **مثن تتابع :**

إن رسول الله أخلق بأكثر مما قاله المادحون لولاتهم وأمرائهم يصدقون فى أحيان وقد جاوزوا القصد، وجانبوا الصدق فى أحايين، ويا ويح الذى قال فى ممدوحه:

وأخفت أهل الشرك حتى إنه

لتخافك النطف التى لم تخلق

والله تعالى يقول:

﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾(٢٥).

وأين همم الرجال عددا وجلالة من مدح من قال:

له همم لا منتهى لكبارها

وهمته الصغرى أجل من الدهر

من همم الرسول المعنوية والمادية، وهو يبلغ من الإيمان بالله المدى الذى لا يدانى، ونهض بتكاليف رسالة الله للعالمين إنسهم وجنهم، وأقام حجج الله فى أوامره أخذا وتركا

﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾(٢٦).

فلا يجد المنصفون قضية من قضايا الحياة المتجددة أو شأنا من شئون الأحياء إلا وجلاؤها نص فى كتاب الله أو فى سنة رسول الله أو فى ميراث الشيخين من بعده، وتبقى أبواب الحق مشرعة مفتحة فيما أصل أئمتنا من أصول ووضعوا من قواعد الإجماع والقياس وغيرها، وامتن الله على رسوله بكتابه المصدق لكلمات الله الأولى، حاكما إلى الأبد

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٢٧).

---

(٢٤) سورة النساء/ ١٧٤.

(٢٥) لقمان /٣٤.

(٢٦) سورة الانفال/ ٤٢.

(٢٧) سورة المائدة/ ٥٠.

وجلت هذه الكلمات وما وعت من منن الله التي تبدو لك في مثل قول الله- تعالى- :

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٢٨)، وقوله – تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾(٢٩)، وقوله – تعالى :

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾(٣٠).

وما أجل لفظ « من أنفسكم » فهى تفيد إضافة إلى ما أفادته الآيات قبلا أنه – ﷺ – منهم، وقد تعطى « من أنفسكم » – فى قراءة بفتح السين – معنى نفاسة العنصر وجلال الجوهر وعلو القدر، وجل الله الذى أخذ على أنبيائه العهد فى الأزمنة السابقة والعصور المتقدمة على الإيمان والنصرة للرسول ﷺ- فقال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(٣١).

ويا لعظمة رسول شغل الله – عز وجل – به ألباب آبائه المرسلين وإخوانه النبيين على النحو الذى عرضته هذه الآية الكريمة، وكان صفوة الله من خلقه من هؤلاء المرسلين أحرص شيء على أن يذكروا أقوامهم بالنبى الخاتم، الذى لم ير الوجود بعد على مستوى العهد الذى قطعوه لله وأشهدوا به على أنفسهم وكان الله – تعالى – به خير الشاهدين، وجاءت حياة النبى – ﷺ – بعد ذلك كما جاءت رسالته وهما أشبه من النجم بالنجم بلاغا عن الله – عز وجل – بكلماته وأداء من النبى – ﷺ – بأعماله وتصرفاته، لكى تتم الأسوة وتكمل القدوة بالرسالة والرسول، فالسعادة الحقة ترتبط بك وترتبط بها بقدر تمثلك للرسول – عليه الصلاة والسلام – متكلما، وتمثلك له عاملا، وسعيك بعد ذلك بين الركب الميمون من خير أمة أخرجت للناس..

وطوبى لمن وجد نفسه على كل حال بين من قال الله فيهم :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾(٣٢).

---

(٢٨) سورة آل عمران/ ١٦٤.

(٢٩) سورة الجمعة/ ٢.

(٣٠) سورة التوبة/ ١٢٨.

(٣١) سورة آل عمران/ ٨١.

(٣٢) سورة آل عمران/ ١١٠.

الهادى هو الله

٢

لفضيلة الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر

بعد أن بينا مدلول بعض أسماء الله الحسنى، ومنها اسمه: الهادى، وبينا أن الله يهدى من علم أنه يستحق الهداية، وأن الهداية والضلالة من خلق الله: ننتقل لبيان سبب ضلالة من أضلهم الله، والرد على الشبه التى أثارها المشركون، وكيف يكون الأدب مع الله وذلك فيما يأتى:

ويضل الله الظالمين

هذا وأما الآيات التى ورد فيها ذكر الإضلال، فإنها كذلك ربطت الإضلال بسلوك العبد نفسه، أو إغواء شياطين الإنس والجن له بحيث تظهر مسئولية الإنسان عن انحرافه وضلاله، وهذه بعض الآيات:

يقول الله - تعالى -:

﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(١).

وفى معناه يقول قتادة -رضى الله عنه-: «وما يضل به إلا الفاسقين» فسقوا فأضلهم الله على فسقهم.

ويقول الله - تعالى -:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾(٢) أى: بسبب ظلمهم أضلهم الله - سبحانه -.

ويقول الله - تعالى -:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٣).

(١) البقرة: ٢٦ - ٢٧. (٢) إبراهيم: ٢٧. (٣) النحل: ١٠٤.

ويقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾(٤).

ويقول - سبحانه - :

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾(٥).

فهؤلاء المسرفون الكذابون المرتابون، المكذبون بآيات الله، لا يهديهم الله؛ لأنهم رفضوا الهداية واختاروا الضلالة.

وفي هذا المعنى - أيضاً - يأتي قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾(٦).

يقول الإمام ابن كثير: «أي فلما عدلوا عن الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان، كما قال تعالى - :

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾(٧).

وكما قال - سبحانه - :

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾(٨).

ولهذا قال -تعالى- في هذه الآية:

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾(٩).

أي: ما داموا قد فسقوا عن أمر الله، واختاروا الزيغ والضلال، فإن الله لا يهديهم، إذ كيف يهديهم - سبحانه - مع علمه بزيغهم، وميلهم إلى الضلالة، وبغضهم للهداية؟

وفي هذا المعنى يجيء قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(١٠).

أي: هل ترى أن من يتبع هواه ويأتمر بأمره فما رآه الهوى حسناً فعله، وما رآه قبيحاً تركه، وقد أضله الله بسبب هذا بناء على علمه - سبحانه - بحاله، أو بعد ما علم الحق وجحده فختم الله

---

(٤) غافر: ٢٨.
(٥) غافر: ٣٤.
(٦) الصف: ٥.
(٧) الأنعام: ١١٠.
(٨) النساء: ١١٥.
(٩) الصف: ٥.
(١٠) الجاثية: ٢٣.

على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة، فلا يسمع ما ينفعه، ولا يعى شيئاً يهتدى به، ولا يرى برهاناً يستضىء به، فهل هناك من يملك هداية هذا من بعد الله؟.

وهذا نظير قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(١١).

فهؤلاء أهملوا منافذ العلم والمعرفة، وعطلوها عما خلقت له، فلم يصل إليها نور الحق، فقلوبهم غلف لا تعقل عن الله وحيه، وعيونهم عمى لا ترى الله فى ملكوته، وآذانهم صم لا تسمع آيات الله، فهم مثل الأنعام التى لا تنتفع بحواسها الظاهرة والباطنة، بل هم أضل من الأنعام، إذ الأنعام لم تزود بما زود به الإنسان من قوى نفسية وعقلية وروحية.

ويقول الله ـ تعالى ـ أيضاً:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(١٢).

ويظهر من الآيات السابقة أن أسباب الإضلال تتمثل فى الزيغ والخروج عن تعاليم الله، والظلم واتباع الهوى، ونقض عهد الله، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، ووصل ما أمر الله به أن يقطع، والإفساد فى الأرض واقتراف الآثام، وما إلى ذلك.

فلهذه الأسباب كافأهم الله، فأصمهم وأعمى أبصارهم، بمقتضى حكمته -سبحانه- فى ربط الأسباب بمسبباتها، والمقدمات بنتائجها.

شبهة حول المشيئة والرد عليها

وهناك شبهة تشبث بها المشركون، وعللوا بها شركهم، وتحريم ما حرموه بما أحله الله، وقد أكذبهم الله ورد عليهم هذه الشبهة بأنصع بيان، وأقوى حجة.

أما هذه الشبهة: فهى قولهم: إن الله مطلع على ما هم عليه من الشرك، وتحريم ما حرموه، وهو قادر على تغييره بإلهامهم الإيمان، وأن يحول بينهم وبين الكفر ولم يغيره، فدل ذلك - بزعمهم- على أنه بمشيئته وإرادته رضى منهم ذلك.

وقد حكى القرآن الكريم شبهتهم هذه ورد عليها رداً قوياً مفحماً، فى عدة مواضع، منها قول الله ـ تعالى ـ:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٣٥) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾(١٣).

ومنها: قول الله ـ تعالى ـ:

---

(١١) الأعراف: ١٧٩.

(١٢) ص: ٢٦.

(١٣) النحل: ٣٥ - ٣٧.

﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[14].

ومنها: قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (149) ﴾[15].

وفى هذه الآيات رد مفعم على هذه الشبهة التى تعللو بها.

ومضمون هذا الرد: أن هذه حجة داحضة، وشبهة باطلة، للأسباب الآتية:

١ ـ أنها مبنية على ظن ووهم، وادعاء على الله بغير دليل، بل الدليل قائم على خلافه.

٢ ـ ليس لديهم كتاب موثوق به يقول ذلك، وليس لديهم علم صحيح يعتمد عليه، وقد أمر الله رسوله أن يتحداهم بأن يأتوا بأى علم عندهم يقول بهذا، وقد بهتوا.

٣ ـ لو كان قولهم هذا صحيحاً فلماذا انتقم الله ممن سبقوهم على هذا الطريق، وزعموا هذا الزعم، وسلط عليهم رسله حتى أذاقوهم بأسه، وعليهم أن يسيروا فى الأرض؛ ليروا كيف كانت عاقبة المكذبين.

٤ ـ إن زعمهم هذا يتعارض مع الحكمة من إرسال الرسل؛ لأنه لو كان قولهم صحيحاً فما هو الداعى لإرسال الرسل؟.

٥ ـ إن زعمهم هذا يتعارض مع ما بعث الله به رسله الصادقين المؤيدين بالمعجزات، والذين بلغوا عن الله دينه وأحكامه بلاغاً مبيناً، ولم يحرم الله أمة من الأمم من رسول بعثه إليها، وبذلك قامت حجة الله البالغة على كل الخلق.

وبعد أن أبطل الله شبهتهم، ودحض حجتهم أبان عن وجه الحق، وهو أنه ـ سبحانه ـ بعث الرسل؛ ليرشدوا الناس إلى الله، ويأمروهم بعبادة الله وحده، واجتناب عبادة الطواغيت فمنهم من هدى الله لعلمه السابق باختيارهم للهداية، ومنهم من حقت عليه الضلالة لما سبق فى علم الله من اختيارهم للضلالة.

ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً ولكنه بحكمته التامة، وحجته البالغة، شاء لكل فريق ما اختاره لنفسه.

وفى هذا المعنى وردت ايات كثيرة، منها: قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (35)

---

(١٤) الزخرف: ٢٠.

(١٥) الأنعام: ١٤٨-١٤٩.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾(١٦).

قال على بن أبى طلحة، عن ابن عباس فى قوله: «ولو شاء الله لجمعهم على الهدى» قال: إن رسول الله -ﷺ- كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة فى الذكر الأول.

وقوله - تعالى - :

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ أى: إنما يستجيب لدعوتك يا محمد من يسمع الكلام ويعيه ويفهمه ويرغب فى الهداية، وقوله:

﴿ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾

يعنى: بذلك الكفار لأنهم موتى القلوب، فشبههم الله بموتى الأجساد وهذا من باب التهكم بهم والازدراء عليهم(١٧).

ومن الآيات فى هذا -أيضاً- قول الله - تعالى - :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾(١٨).

أى: لو شئنا لهدينا الناس جميعاً، ولكن حكمتنا اقتضت هداية من أحبوا الهداية دون سواهم ممن لا يحبون الهداية، وهؤلاء وقود جهنم يذوقون عذابها بسبب أعمالهم.

«وهنا قد يسأل بعض الناس عن حدود الإرادة الدنيا والإرادة العليا فى الأعمال، ومع أن هذا السؤال لا مبرر له فنحن نتبرع بالإجابة عنه حتى يظهر السر فى نسبة الهداية والإضلال تارة لله وتارة للإنسان.

هل تعرف ما يفعله الفلاح فى حقله؟. إنه يلقى البذور ويتعهدها بالسقى وعلى الله الإنبات والإثمار، وتستطيع أن تسمى الفلاح زارعاً وأنت صادق لقيامه بالسبب، وتستطيع أن تسمى الحق - سبحانه زارعاً لقيامه بالعمل:

﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾(١٩).

فما للإنسان فى سعيه مثل ما للفلاح فى زرعه، فازرع عمرك -إن شئت خيراً-، فإن يد القدرة سوف تنميه لك ورداً يانعاً، أو زرعه -إن شئت شراً - فإن يد القدرة تنميه شوكاً رائعاً(٢٠). وفى ضوء هذا البيان نستطيع أن نفهم معنى قول الله - تعالى - :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٢١).

---

(١٦) الأنعام: ٣٥ - ٣٦.

(١٧) تفسير ابن كثير بتصرف.

(١٨) السجدة: ١٣.

(١٩) الواقعة: ٦٣ - ٦٥.

(٢٠) عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالى ص١١٣.

(٢١) الإنسان: ٢٩-٣١.

وقوله جل شأنه:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(٢٢).

فهذه الآيات تدل على أن الله قد شاء أن يكون العباد مختارين فى أعمالهم بمشيئتهم لها لأنه ـ سبحانه ـ لم يقل: «وما تشاءون» بدون استثناء، وإنما استثنى فقال: «إلا أن يشاء الله» وذلك يعنى: أن للعباد اختياراً ومشيئة مع مشيئة الله لذلك.

وعلى هذا فالآيات دليل ينقض مذهب الجبرية الذين يقولون: إن الإنسان ليس مخيراً، وبهذا تكون مسئولية الإنسان عن عمله قد تقررت وتأكدت، وعليه أن ينتظر جزاء عمله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وهذا ما صرحت به كثير من آيات القرآن الكريم. منها: قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۝١٠٨ ﴾(٢٣).

أى: اخبر الناس يا محمد أن ما جئتهم به هو الحق من عند الله فمن اهتدى به واتبعه فإنما يعود نفع الهداية والاتباع لنفسه، ومن ضل وأعرض، فإنما يرجع وبال ذلك عليه، وإنما أنت نذير ولا تملك لهم ضراً ولا نفعاً.

ومن هذه الآيات قول الله ـ تعالى:

﴿ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥ ﴾(٢٤).

وفى معنى هذه الآية يقول الإمام ابن كثير «يخبر ـ تعالى ـ أن من اهتدى واتبع الحق، واقتفى أثر النبوة فإنما يحصل عاقبة ذلك الحميدة لنفسه «ومن ضل» أى: عن الحق وزاغ عن سبيل الرشاد فإنما يجنى على نفسه، وإنما يعود وبال ذلك عليه، «ولا تزر وازرة وزر أخرى» أى: لا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يجنى جان إلا على نفسه. وهذا من عدل الله ورحمته بعباده:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥ ﴾.. من عدل الله ـسبحانهـ أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسل إليه»(٢٥).

ومن هذه الآيات ـأيضاًـ قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾(٢٦)

والآية الكريمة فى غاية الوضوح للدلالة على ما ذكرناه.

---

(٢٢) التكوير: ٢٧ ـ ٢٩.

(٢٣) يونس: ١٠٨.

(٢٤) الإسراء: ١٥.

(٢٥) من تفسير ابن كثير بتصرف.

(٢٦) فصلت: ٤٦.

أدب رفيـــع

ومع أن كل شيء بقدر الله ومشيئته -على النحو الذى شرحناه فيما سبق- فإن الله -تبارك وتعالى- علمنا على ألسنة رسله وفى صريح كتابه العظيم أن ننسب الهداية وما نحبه من الخيرات إلى الله - عز وجل- وأن ننسب التقصير والإهمال والضلال إلى أنفسنا، كما ننسب ما نكرهه من الأشياء إلى أنفسنا كذلك.

فهذا خليل الله إبراهيم - عليه السلام - يتحدث إلى قومه محذراً لهم من عبادة الأصنام، وداعياً إلى عبادة الله وحده واصفاً الله بما يليق به من صفات الجلال والكمال، وذلك فى قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾(٢٧).

فأنت ترى أنه - عليه السلام - نسب إلى الله الخلق والهداية، والإطعام والسقيا، والإحياء، والإماتة، كما نسب إليه الشفاء من المرض، لكنه- عليه السلام - نسب المرض إلى نفسه ولم ينسبه إلى الله -تعالى- وإن كان المرض حادثاً بتقديره جل شأنه.

وقد قال الله -تبارك وتعالى- تعليماً لمحمد -ﷺ- ولأمته:

﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾(٢٨).

أى أن الخير كله من عند الله، وفيما أنزل الله من الهدى والحق المبين، فيه الهدى والبيان والرشاد، وبه اهتدى حين أهتدى. ومن ضل فإنما يضل من تلقاء نفسه، وبإعراضه عن هدى الله.

وقد اتبع الصحابة -رضوان الله عليهم- رسول الله ـ ﷺ ـ فى ذلك فقد روى الحافظ ابن حجر فى كتابه «التلخيص الكبير» قول ابن سيرين، عن أبى بكر -رضى الله عنه- «أنه لم يكن أحد أهيب لما لا يعلم من أبى بكر. وأنها نزلت به فريضة (أى: مسألة ميراث) لم يجد لها فى كتاب الله أصلاً، ولا فى السنة أثراً، فقال: أقول فيها برأيى فإن يكن صواباً فمن الله -تعالى ـ وإن يكن خطأ فمنى، واستغفر الله.

(٢٧) الشعراء: ٧٥-٨٢.

(٢٨) سبأ: ٥٠.

كما روى الحافظ ابن حجر مثل ذلك عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ عن مسروق قال :

كتب كاتب لعمر : هذا ما أراه الله – تعالى – أمير المؤمنين، فانتهره عمر وقال : بل اكتب، هذا ما رآه عمر، فإن يكن صواباً فمن الله –تعالى– وإن كان خطأ فمن عمر . » .

« وهذا عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – وقد سئل عن مسألة لا يجد فيها نصاً، فقال : أقول فيها برأيى، فإن يكن صواباً فمن الله (أى : بتوفيقه) وإن يكن خطأ فمنى، ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه »[٢٩] .

وفى ضوء ما سبق نستطيع أن نفهم الكثير من آيات القرآن الكريم، دون لبس أو غموض، إذ يكون الفاعل هو الله الخالق، ولا ينسب الفعل إليه تأدباً .

ومن هذه الآيات قول الله – تعالى – حكاية لقول الذين آمنوا من الجن حين استمعوا إلى القرآن الكريم، وذلك فى قوله – جل ثناؤه ـ :

﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾[٣٠] .

حيث نسبوا إرادة الرشد والخير بمن فى الأرض إلى الله – عز وجل – وأما إرادة الشر بمن فى الأرض فلم ينسبوه ولم يذكروا الفاعل وبنوا الفعل للمجهول فقالوا : « أشر أريد بمن فى الأرض . . . » .

وكذلك فعل الخضر –عليه السلام– عند حديثه عن خرق السفينة . فإنه وإن كان قد فعل ذلك بأمر الله، إلا أنه قال – فيما ذكره القرآن الكريم – :

﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾[٣١] .

ولكنه – عليه السلام – عند حديثه عن إقامة الجدار لحفظ الكنز للغلامين اليتيمين قال كما جاء فى الآية الكريمة :

﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾[٣٢] فنسب هذا الخير إلى الله ـ تعالى – وإن كان هو الذى أقام الجدار، وهذا هو السلوك اللائق بأهل الهداية والإيمان والصلاح .

---

(٢٩) رواه أبو داود وغيره.

(٣٠) الجن : ١٠.

(٣١) الكهف : ٧٩.

(٣٢) الكهف : ٨٢

معجزة من معجزات القرآن الكريم

١

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

وما أجل وأعظم وأكثر معجزات هذا الكتاب الخالد العظيم، كتاب الله رب العالمين، المنزل على خاتم النبيين، محمد - صلى الله عليه وعلى آله أجمعين -.

وكيف يمكن إدراك أسرار إعجاز القرآن الكريم، وأنت حين تتدبر كتاب الله حق التدبر تجد إعجازا مافوقه إعجاز، وتجد أسرار جلال يفوق الوصف، ويتعالى على الإحصاء والعد.

جلال بلاغته التى أعجزت البلغاء.

أم شرف معانيه، وسمو مراميه.

ام عظمة أغراضه ومضامينه ومقاصده ومناحيه.

أم حديث الكتاب المبين عن الإنسانية في ماضيها وعن الإنسان وطباعه وتكوينه.

أم حديثه عن المستقبل الذى لايعلمه إلا الله - جل جلاله -

أم إعجازه العلمى الذى لم تصل إليه عقول الأولين والآخرين، ولقد تنوعت مذاهب العلماء فى تفسير كتاب الله :

فمنهم من جنح إلى التفسير بالمأثور، كالطبرى فى تفسيره « جامع البيان »، والسيوطى فى « الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ».

ومنهم من جنح إلى التفسير بالرأى كالرازى فى تفسيره « مفاتيح الغيب » والآلوسى فى تفسيره « روح المعانى » والبيضاوى فى تفسيره « أنوار التنزيل ».

ومنهم من جنح إلى التفسير البلاغى أو البيانى كالزمخشرى، وذهب أبو حيان إلى التفسير النحوى فى « البحر المحيط » واختار القرطبى التفسير الفقهى فى تفسيره « الجامع لأحكام القرآن ».

ولكننا الآن نقف أمام إعجاز القرآن الكريم فى تنبؤه بالمغيبات، وإخباره بما يحدث فى آخر الزمان، وصدق كل ماأخبر به الله – عز وجل – ومن ذلك قوله – تعالى – :

﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾(١) وقوله – تعالى – :

---

(١) سورة الفتح ٢٧.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾(٢) وقوله – تعالى – :

﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾(٣)

وقوله – تعالى – :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾(٤)

وقوله –تعالى– فى شأن أهل بدر

﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ ﴾(٥)

وقد نزلت هذه الآية بمكة قبل غروة بدر بسبع سنين.

وقوله – تعالى – :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣ ﴾(٦)

وقوله – تعالى – :

﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥ ﴾(٧) وكان المستهزئون جماعة بمكة يؤذون الرسول ويتعرضون له، وينفرون الناس منه، فهلكوا جميعا. ولما نزلت هذه الآية بشر الرسول أصحابه بذلك.

وقوله – تعالى – :

﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾(٨) فحفظه الله وحرسه مع كثرة من أرادوا به السوء، وقصدوا قتله.

كتاب الله العظيم لايحيط بجوانب إعجازه بشر، ولايدرك سر هذا الإعجاز إنسان، ولايصل إلى غور محيطه اللجىّ عقل.. إنه كتاب الله وكفى، وحسبنا بذلك وصفا، وحسبنا بهذا إقرارا بالعجز عن فهم أسرار هذا الإعجاز.

٢

ومعجزة جديدة لم يكتب عنها من قبل أحد، معجزة فى آية من آيات سورة «الدخان» هذه السورة المكية التى تبلغ آياتها تسعا وخمسين آية، والتى تبدأ بالقسم بكتاب الله، الذى أنزله الله على رسوله الأمين فى ليلة مباركة هى ليلة القدر لينذر به العالمين، وليدعوهم به إلى الصراط المستقيم.

وفى صدر السورة ما فيها من تمجيد لله – عز وجل –، رب السماوات والأرض وما بينهما، وواهب الحياة للناس، والذى بيده حياة الناس وفناؤهم.

ثم تخاطب السورة مشركى مكة، الكافرين برسالة رسول الله، محمد –صلوات الله عليه–، وتذكرهم بأن الله وحده هو ربهم ورب آبائهم الأولين، وبأنهم سيظلون فى خوضهم وشكهم يلعبون.

وبعد ذلك يتحدث القرآن الكريم عن جحود المشركين لرسالة خاتم النبيين، وقولهم عنه :

﴿ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝١٤ ﴾(٩)، ويتنبأ بمصيرهم

---

(٢) سورة النور ٥٥. (٣) سورة الروم ٢ – ٤. (٤) سورة الحجر ٩.

(٥) سورة القمر ٤٥. (٦) سورة التوبة ٣٣. (٧) سورة الحجر ٩٥.

(٨) سورة المائدة ٦٧. (٩) الدخان.

وهلاكهم فى بدر بقوله – تعالى :

﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾(١٠).

ويذكرهم بمصرع فرعون وجنده فى اليم بكفرهم بموسى ورسالته، ويعود كتاب الله إلى إنكار المشركين للبعث والجزاء بالتقريع لهم وبالإنكار عليهم، ويذكرهم بقدرة الله خالق السموات والأرض وما بينهما، وبأن يوم الفصل –وهو يوم القيامة– آت لاريب فيه، وأن الكافرين سيلقون فيه العذاب الأليم، وأن المؤمنين سينالون فيه أعلى درجات النعيم. ويختم الله السورة بالحديث إلى رسوله الأمين :

﴿ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾(١١).

وسورة الدخان من السور المكية التى تجادل المشركين، وتتحدث عن كفرهم وآثامهم.

وفي الآية العاشرة فيها يخاطب المولى رسوله الكريم بقوله :

﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾(١٢)

وهذه الآيه هى موضع شاهدنا، وهى موضع المعجزة الإلهية الجليلة.

وبهذه الآية سميت السورة سورة الدخان، وقد وردت كلمة الدخان فى القرآن الكريم فى هذا الموضوع، وفى موضع آخر فى سورة فصلت، وهو قوله –تعالى– :

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾(١٣)

وتسمية «سورة الدخان» بهذا الاسم، لقوله – تعالى -

﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾(١٤)،

دليل على أن فى هذه الآية تكمن المعجزة، معجزة التنبؤ بالمستقبل وأحداثه، ولم تسم سورة فصلت باسم «سورة الدخان» لأن لها غرضا آخر جليلا غير غرض هذه النبوءة الواعدة الصادقة.

فى هذه الآية رد على المشركين مابعده من رد : وكأن الله – عز وجل – يقول لنبيه الكريم : انتظر فيوم هلاك المشركين قريب، ويوم مصارعهم فى بدر غير بعيد، بل ويوم خروجهم من قبورهم للبعث والجزاء وللعذاب آت لاريب فيه، كما سيأتى يوم تمتلىء السماء فيه بدخان مبين ظاهر تراه العين ولم يحدث أن روى أحد أن السماء ملأها الدخان إلا هذه الأيام، الأيام التى غشى الأفق فيها فى بلادنا سحب كثيفة من الدخان، لا يعلم سره إلا الله، وإن قالوا فى سببه : إنه من آثار دخان المصانع وحرائق النفايات وعوادم السيارات وغير ذلك.

السماء تمتلىء بالدخان.. ياالله.

لم تحدث هذه ا لظاهرة إلا هذه الأيام وقد تنبأ بها القرآن قبل أربعة عشر قرنا من الزمان.. وطالب الله – عز وجل – رسوله بأن ينتظر حدوث ذلك، والرسول لن يعيش هذا الأمد الطويل، ولكن ذلك الترقب هو ولاشك سيكون من أتباعه أتباع رسول الله الذين يعيشون حدوث هذه الظاهرة، والذين يدعون الله قائلين:

---

(١٠) سورة الدخان ١٦.
(١١) سورة الدخان ٥٩.
(١٢) سورة الدخان ١٠.
(١٣) سورة فصلت ١١.
(١٤) الدخان ١٠.

﴿ رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾(١٥).

ويقول الله -عز وجل- :

﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾(١٦)

أى إلى الكفر والشرك والمعصية والضلال.

قد يقال: إن ظاهرة «الدخان يملأ الأفق» ظاهرة موضعية، ونقول: إن كل الأمور التى جعلها الله علامات ليوم القيامة هى موضعية، وإن ظاهرة هذا الدخان التى تحدث إنما هى علامة من علامات الساعة.

ففى تفسير مدلول هذه الآية يذهب على بن أبى طالب وابن عباس أن الدخان يكون قبل يوم القيامة، وهو من أشراط الساعة، وروى حذيفة (بن اليمان) أن رسول الله - ﷺ - قال: إن أول أشراط الساعة الدخان، بينما ذهب ابن مسعود إلى رأى آخر فى تفسير هذه الآية، وهو أن الدخان عبارة عما أصاب قريشا حين دعا عليهم رسول الله - ﷺ - بالجدب فكان الرجل منهم يرى دخانا بينه وبين السماء من شدة الجوع.

قال ابن مسعود: خمس (أى خمس علامات من أشراط الساعة) قد مضين: الدخان واللزام والبطشة (بدر) والقمر (وانشق القمر) والدم.

وتفسير ابن مسعود حمل للآية الكريمة، على المجاز، والحمل على الحقيقة أولى لعدم وجود القرينة الدالة على المجاز.. والظاهرة أمامنا اليوم حقيقة واضحة.. أما أن نقول: إن الرجل كان من أثر الجوع يرى كأن السماء مملوءة بالدخان فذلك مع عدم القرينة مجاز لاتحمل الآية عليه لانتفاء الضرورة فى هذا الحمل.

وقد يقال: إن تفسير الآية بظاهرة الدخان الذى يملؤ الأفق فى سمائنا هذه الأيام هو فصل للكلام والحديث الذى هو عن قريش إلى الكلام عن عصرنا وزمننا وجيلنا اليوم فأقول: إن ذلك الفصل مقصود، وكأنه التفات إلى المستقبل من بين ثنايا الحاضر فى عصر رسول الله - ﷺ - ولذلك جاءت لفظة «فارتقب» للدلالة على ذلك ولولا أن هذه الظاهرة حديث عن المستقبل ونبوءة به وبأحداثه لما فسرها على بن أبى طالب وابن عباس بهذا التفسير الذى هو دليل رأينا، ودليل المعجزة التى سوف تحدث فى آخر الزمان، وهو زمننا اليوم.

٣

والذى أقوله هنا هو أن كتاب الله الحكيم قد تنبأ بأمر سوف يحدث بعد أربعة عشر قرنا من نزول القرآن الكريم، وهو ظاهرة الدخان تملأ الأفق، وتنتشر فى سمائنا، ونفزع لها، ونحاول تفسيرها عاجزين قاصرين فلا نستطيع بدليل قول من أصابت هذه الظاهرة أفقهم: «إنا مؤمنون»، وكفار قريش لم يقولوا ذلك أبدا لرسول الله، ولم يلجئوا إلى الله بالدعاء لكشف هذه الظاهرة، وإذا كانوا قد فكروا فى هذا اللجوء فإنما يكون لجوؤهم إلى أصنامهم - كعادتهم دائما وأبدا - إن ظاهرة الدخان يلمؤ أفق السماء هى ظاهرة تنبأ بحدوثها كتاب الله، وعُدت علامة من علامات قيام الساعة فتبارك الله رب العالمين، - وعز وجل - شأن الله خالق الإنس والجن أجمعين، وسبحان الله، منزل العذاب بالكافرين، وكاشف العذاب عن عباده المؤمنين، ولاحول ولاقوة إلا بالله يحيى ويميت، وهو ربنا ورب قريش ورب آباء قريش الأولين، وإليه - عز وجل - مصيرنا ومصير كل البشر أجمعين.

---

(١٥) سورة الدخان ١٢.

(١٦) سورة الدخان ١٥.

نظرات فى ألفاظ القرآن الكريم

لفظ القرية

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله، وبعد:

فقد تناولنا فى مقال سابق هذا اللفظ مفرداً مقطوعاً عن الإضافة وتتبعنا ما ذكر منه من أول سورة البقرة إلى سورة الحجر، وفى هذا المقال نحاول - بعون الله وتوفيقه - تتبع هذه اللفظة حتى نهاية القرآن المجيد.

ففى سورة النحل: ذكرت لفظة القرية فى قوله - تعالى -: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾(١) .

والقرية هى: مكة على ما ذهب إليه أكثر المفسرين أو قرية تشبهها فعلت فعل أهل مكة فأصابها ما ذكر فى الآية، ويحتمل أن تكون قرية مفترضة لا وجود لها لكن أوصافها المفترضة تنطبق على أهل مكة(٢).

والمعنى والله أعلم: ضرب الله لأهل مكة مثلاً هو قرية كانت تنعم بالأمن، لا تخشى بأس عدو، والصحة والطمأنينة والقرار لا تضطر إلى الهجرة، كما تنعم بالرخاء، فرزقها يأتيها من كل مكان، فكفر أهلها بهذه النعم ولم يشكروا واهبها ومسديها، فبدل الله أمنهم خوفاً ورخاءهم شدة، فعمهم الجوع والخوف بعد الأمن والطمأنينة وسعة العيش؛ لأنهم كذبوا الرسول الذى جاءهم من أنفسهم فدعا عليهم قائلاً: « اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف » فاضطروا إلى أكل الجيف، وكان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان

(١) النحل ١١٢.

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازى حـ ٩ ص٦٥٠ بتصرف ط دار الغد العربى.

من الجوع وضاقت عليهم الأرض بما رحبت من جيوش المسلمين والهزيمة يوم بدر[٣].

ولقد شبه القرآن الكريم إحاطة الجوع والخوف بهم واشتماله عليهم باللباس، وجعل شدة إصابتهم بالجوع والخوف إذاقة، قال الرازى فى تفسيره:[٤] «إن الأحوال التى حصلت لهم عند الجوع نوعان: أحدهما أن المذوق هو الطعام، فلما فقدوا الطعام، صاروا كأنهم يذوقون الجوع، ثانيهما أن ذلك الجوع كان شديداً كاملاً، فصار كأنه أحاط بهم من كل الجهات فأشبه اللباس، فالحاصل أنه حصل فى ذلك الجوع حالة تشبه المذوق، وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله -تعالى- كلا الاعتبارين فقال ﴿ **فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون** ﴾.

واللفظة التالية جاءت فى سورة الإسراء فى قوله -تعالى-:

﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦ ﴾[٥]

وليس المراد هنا قرية بعينها، بل أى قرية ينطبق عليها هذا الوصف، ولهذا جاءت نكرة، والمعنى -والله أعلم- إذا فشت المعصية فى أهل قرية وتلطخت نفوسهم، بالإثم، واستحقت العذاب، لم نعاجلها بالعذاب، بل نملى لها فنأمر أهل الثراء والترف بالطاعة، فإذا لم يدخلوا فى طاعتنا وفسقوا عن أمرنا، حق عليهم العذاب، فدمرناها تدميراً شديداً بمعاصيهم وسوء فعالهم، وخص المترفين بالذكر لأن العامة يقلدونهم فيما يفعلون ويكونون تبعاً لهم، وقال بعض المفسرين: إن معنى أمرنا: أكثرنا أى أغدقنا عليهم النعم التى تبطرهم وتجعلهم يقعون فى المعاصى فكأن الله أمرهم بها إذ مهد لهم الأسباب الموصلة إليها[٦].

وفى الإسراء آية ثانية فيها لفظ (القرية) هى قوله -تعالى-:

﴿ وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴾[٧]. والمعنى والله أعلم-: ما من قرية من القرى التى كفر أهلها، فظلموا أنفسهم بهذا الكفر والمعاصى إلا نازل بهم أحد أمرين إما الإبادة والإفناء وهلاك الاستئصال، وإما أن نعذبهم فى الدنيا بصنوف من البلايا والمصائب والمحن كالهزيمة فى الحرب والقتل بالسيف والقحط والجوع والأمراض والعلل كل ذلك قبل يوم القيامة، ثم يردون إلى العذاب الأشد فى نار جهنم وبئس المصير، وقد سبق ذلك فى علم الله، أو كتب فى اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الله العالم.

وذكرت هذه اللفظة (القرية) فى سورة الكهف فى سياق قصة موسى مع الخضر -عليهما السلام -قال -تعالى-:

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧ ﴾[٨].

والقرية هى كما قال النيسابورى هى: أنطاكية[٩] والمعنى: فانطلق الخضر وموسى -عليهما السلام- حتى وصلا إلى قرية طلبا من

(٣) تفسير المراغى حـ ١٤ ص ١٥١.
(٤) مفاتيح الغيب المصدر السابق ص ٦٥١.
(٥) الإسراء ١٦.
(٦) تفسير المراغى حـ ١٥ ص ٢٦ ط الحلبى.
(٧) الإسراء/٥٨.
(٨) الكهف /٧٧.
(٩) غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابورى حـ ٣ ص ٢١٦٦ ط دار الصفوة.

أهلها أن يطعموهما فرفضوا، مع علمهم أنهم ضيوف غرباء ومن اللؤم طرد الضيف وفى الحديث: «كانوا أهل قرية لئاما بخلاء» ورغم ذلك حين رأيا فى القرية جداراً مائلاً يكاد يسقط وينهار فمسحه الخضر بيده فقام واستوى، وكان ذلك من معجزاته(١٠) فقال له موسى -عليه السلام-: لو شئت لأخذت على إصلاحك الجدار أجراً تنفقه فى الطعام والشراب ومتطلبات الحياة الأخرى فقال له الخضر: هذا الاعتراض هو سبب الفراق بينى وبينك كما شرطت على نفسك.

وذكرت لفظة القرية أربع مرات فى سورة الأنبياء فى الآيات السادسة، والحادية عشرة، والرابعة والسبعين والخامسة والتسعين.

أولاها قوله -تعالى-:

﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾(١١) روى أن أهل مكة قالوا للنبى -ﷺ-: «إذا كان ما تقوله حقاً ويسرك أن نؤمن فحول لنا الصفا ذهباً، فأتاه جبريل فقال: إن شئت كان الذى سألك قومك، ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم يُنظروا وإن شئت استأنيت بقومك، فقال: بل أستأنى بقومى، فأنزل الله قوله:

﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ ﴾(١٢) أى إن أقوام الأنبياءمن قبلك اقترحوا على أنبيائهم المعجزات ووعدوهم الإيمان حين مجيئها فلما جاءتهم لم يوفوا بالعهد فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وقومك يا محمد أشد عتوا ممن سبقهم فلو أجيبوا إلى ما سألوا لكانوا أشد نكثا، ولكن سبقت كلمة الله أن مشركي هذه الأمة لا يعذبون بعذاب الاستئصال، هذا والقرية هنا غير معينة، ولذا جاءت نكرة فى سياق النفى.

وثانى آيات سورة الأنبياء قوله -تعالى-:

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾(١٣)

أى ما أكثر القرى التى أهلكناها بكفرهم واستبدلنا بهم أمماً غيرهم لم يلوثوا بالكفر؛ بل أنشأناهم على فطرة الإيمان التى فطر الله الناس عليها، والقرية هنا غير معينة لأنها نكرة وقعت فى سياق كم المفيدة للعموم.

وثالث الآيات قوله -تعالى-:

﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴾(١٤) . والقرية هى سدوم، والمراد أهلها، وكانت خبائثهم كثيرة، منها إتيان البيوت من ظهورها، وإتيان الذكران من العالمين، فنجى الله نبيه لوطاً منهم ومن الهلاك الذى نزل بهم؛ لأن الله أعطاه الحكمة والنبوة وأدخله فى رحمته، أى جنته.

ورابع الآيات هى قوله -تعالى-:

﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾(١٥).

والقرية هنا عامة أيضاً غير معينة والمعنى -والله أعلم-: إذا أهلكنا أهل قرية بسبب

---

(١٠) تفسير المراغى جـ ١٦ ص ٥.
(١١) الأنبياء/ ٦.
(١٢) الأنبياء/ ٦.
(١٣) الأنبياء/ ١١.
(١٤) الأنبياء/ ٧٤.
(١٥) الأنبياء/ ٩٥.

كفرهم امتنع عليهم أن يرجعوا إلى الدنيا بعد هلاكهم إلى قيام الساعة، وذلك كقوله -تعالى-:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (١٦).

وفى الحج ذكرت اللفظة مرتين: أولاهما فى الآية الخامسة والأربعين. ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾(١٧)

ومعناها كالسابقة، أى فكثير من القرى أهلكناها لما كفر أهلها بالله فخوت دورها وسقطت على عروشها وتعطلت آبارها فلم يعد يسكن القصور المشيدة ساكن ولم يعد يرد الآبار وارد؛ لأنهم بادوا وتركوا القصور المشيدة والآبار المعطلة، قال قتادة: شيدوه وحصنوه فهلكوا وتركوه(١٨).

ويرى بعض العلماء أن فى الآية إشارة إلى مسلك الحكام الطغاة، وما ينطوى عليه من فساد فهم يهتمون بقصورهم الخاصة ويهملون المرافق العامة التى تنفع عامة الشعب فبينما يشيدون القصور يعطلون الآبار.

وثانى الآيتين فى الحج هو قوله -تعالى-:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾(١٩) ومعناها لا يختلف كثيراً عن معنى الآية السابقة، غير أن هذه الآية أشارت إلى إملاء الله للظالمين علهم ينزجروا فاغتروا بالإمهال وأصروا على كفرهم فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

وفى الفرقان ذكرت اللفظة مرتين: مرة فى الآية الأربعين وهى قوله -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾(٢٠).

والقرية هى سدوم التى كانت تعمل الخبائث فقلبها الله وأمطرها بحجارة من سجيل مسومة على كل حجر اسم من يهلك به، والغرض من ذكرها هنا توبيخ أهل مكة لعدم اعتبارهم بما حل بالأمم المكذبة قبلهم، مع أنهم كانوا يمرون على سدوم فى رحلة الصيف فيرون خرابها ولا يتعظون، لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بعد الموت، ولا يخافون عذاب يوم القيامة لأنهم غير مؤمنين به.

والمرة الثانية فى الآية الحادية والخمسين وهى قوله -تعالى-:

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾(٢١)

والمعنى: إننا يا محمد رفعنا ذكرك، وأعلينا قدرك، فبعثناك إلى جميع العالمين، إلى العجم والعرب والأحمر والأسود، لتنهض بأعباء الرسالة على خير وجه، وتستوجب بصبرك على أذى الناس الفضيلة والدرجة العالية الرفيعة التى أعدها الله لك، ولولا ذلك لبعثنا فى كل قريةرسولاً يبشرهم وينذرهم، وذكرت اللفظة فى الشعراء فى قوله -تعالى-:

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾(٢٢)

أى أن الله -تعالى- لا يهلك أهل قرية إلا بعد الإنذار واقامة الحجة عليهم بإرسال الرسل ينذرونهم

---

(١٦) المؤمنون/ ٩٩، ١٠٠.
(١٧) الحج/ ٤٥.
(١٨) تفسير المراغى حـ ١٧ ص ١٢٢.
(١٩) الحج/ ٤٨.
(٢٠) الفرقان/ ٤٠.
(٢١) الفرقان/ ٥١.
(٢٢) الشعراء/ ٢٠٨.

ويخوفونهم عذاب الله إن كفروا، وما كنا ظالمين فى إهلاكهم؛ لأنهم جحدوا نعمتنا وعبدوا ما لا يستحق العبادة من مخلوقاتنا، وهذه الآية كقوله -تعالى-:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾(23).

وجاءت اللفظة فى النمل فى قوله -تعالى-:

﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾(24)

حكى القرآن الكريم ما قالته بلقيس للملأ من قومها حين اقترحوا عليها أن يحاربوا سليمان -عليه السلام- والمعنى: إن عاقبة الحرب الدمار والهلاك، لأن الملوك إذا دخلوا قرية فاتحين أفسدوها بتخريب العامر من بيوتها، وإتلاف الصالح من أحوالها، وإذلال أهلها بالقتل والأسر والطرد من البلاد، ومثل هذا يفعلون معنا إن حاربناهم، وفى هذا دليل على رجاحة عقلها وكياستها فى سياسة رعيتها، ولهذا اقترحت عليهم أن تختبر سليمان - عليه السلام - بالمال فإن قبله تبين لهم أنه رجل دنيا، وإن رفض المال تأكد لهم أنه رجل دين ومبدأ، وأنه رسول حقاً، وقد كان، وفى القصص ذكرت اللفظة فى قوله -تعالى-:

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾(25) ومعناها كمعنى آية النحل السابقة أى أن كثيراً من القرى لما فتحنا عليهم بركات الأرض، فأثرى أهلها أصابهم البطر وصاروا من المترفين وجحدوا نعمة الله عليهم، خرب الله ديارهم، فأصبحت خاوية خربة لم يسكنها أحد، وكنا نحن الوارثين، إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم فى ديارهم.

وفى العنكبوت ذكرت اللفظة مرتين يراد فى كلتيهما سدوم قرى قوم لوط -عليه السلام-.

والأولى قوله -تعالى-:

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾(26)

ذلك أن الله -تعالى- حين أرسل الملائكة لإهلاك قوم لوط فى سدوم، مروا على عمه إبراهيم -عليه السلام- ليبشروه بالغلام العليم إسحاق، فسألهم عن خبرهم فقالوا: إنا مهلكوا أهل هذه القرية، إن أهلها كانوا ظالمين لأنفسهم بارتكابهم أقبح أنواع الفساد وتكذيبهم لوطا - عليه السلام - فجروا على أنفسهم الدمار والوبال ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(27).

والثانية هى قوله -تعالى-:

﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾(28) وهى فى نفس السياق لبيان نوع العذاب الذى قضى الله بإنزاله على أهل سدوم وهو الرجز، أى عذاباً يرتجزون به وتنخلع قلوبهم التى عشش فيها الفسق وباض وأفرخ، قال العلماء: «إن زلزلة خسفت بهم الأرض وابتلعتهم فى باطنها فصار مكان قريتهم بحيرة ملحة» (البحر الميت)(29).

---

(23) الإسراء/ 15.

(24) النمل/ 34.

(25) القصص/ 58.

(26) العنكبوت/ 31.

(27) النحل/ 33.

(28) العنكبوت/ 34.

(29) تفسير المراغى جـ 20 ص 138.

إنه لقرآن كريم

للأستاذ: محمد إبراهيم العشماوى (*)

عهدى بالقرآن، وعهد العقلاء به، أنه كتاب كريم «بكل ما فى الكلمة من معنى ودلالة».

وكرم القرآن من نوع خاص، لا يعرفه البشر، وتعجز عنه كل العجز طاقاتهم الفذة، وسجاياهم النادرة، فما من كريم إلا وكرمه يتناهى، وكرم القرآن لا يتناهى، وكيف لا يكون كذلك وخالق الكرم منزله، وأكرم الملائكة حامله؟ وسيد الكرماء مبلغه وموصله، والأمة الكريمة تتلوه وترتله ؟!!

ولو أن وصف القرآن بهذا جاء على لسان البشر لصدقه واقع القرآن، فكيف والمتكلم به هو واصفه بهذا ؟

إذن: فقد أصبح جزءا من عقيدة المؤمنين بهذا الكتاب أن يؤمنوا بأنه كريم، وأن يأخذوا طريقهم للإفادة من كرمه هذا، ليكونوا هم الآخرون كراما كما ان كتابهم كريم، وربهم كريم، ورسولهم كريم، وإلا فكيف يكرم القرآن أمة تأبى أن تكون كريمة، وترضى أن تكون ذليلة مهينة ؟

● ولقد جاء وصف القرآن بالكرم، فى صورة من التقدير والتأكيد، لا تدع مجالا للريب إلا عند من فى قلبه مرض، إذ يقول الله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾(١) وهذا أبلغ ما أنت واجد من صور التأكيد، فالجملة اسمية تؤذن بدوام مضمونها واستمراريته، ثم هى مصدرة بأبلغ الحروف دلالة على التأكيد، وهى «إن» الناسخة، ثم اللام المؤكدة الداخلة على الخبر تثبيتا له وزيادة فى تأكيد معناه، ثم الجملة كلها جواب للقسم المتقدم فى قوله تعالى:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾(٢). وقد جرى العرف على أن القسم يكون فى الأمور المهمة الخطيرة، أو الأمور التى قد يستريب فيها السامع. فإذا كان رب العالمين هو المقسم ـ وهو الغنى عن القسم ـ لأنه صادق لا محالة، والأمر ليس

(*) الكاتب معيد بكلية أصول الدين بطنطا.

(١) الواقعة (٧٧).

(٢) الواقعة.

محل ريب، بل هو محل يقين من المؤمنين بهذا الكتاب. فكيف يكون الأمر إذن ؟

وإذ قد جاء الوصف على هذه الصيغة، أعنى صيغة «فعيل»، وقد تقرر أنها تطلق ويراد بها معنى الفاعل، وتطلق ويراد بها معنى المفعول، فإننا نرى صلاحيتها لكلا المعنيين معا، بحيث يصير كل منهما مرادا. فالقرآن كريم بمعنى مكرم ـ بكسر الراء اسم فاعل ـ أى: صاحب إكرام، وهو بهذا المعنى متعد. والقرآن كريم بمعنى مكرم ـ بفتح الراء اسم مفعول ـ أى: كرمه الله وصانه، وأمر بتكريمه وصيانته، وهو بهذا المعنى متعد أيضا. وهو فوق هذا وذاك كريم فى نفسه بحيث لو لم يكرم لاستحق أن يكون كريما. وهو بهذا المعنى لازم لأنه صفة مشبهة، وهى تصاغ من اللازم للدلالة على الصفة الدائمة الملازمة لصاحبها، التى لا تنفك عنه ولا ينفك عنها.

وفى ظلال هذه المعانى تسبح الأفكار، وتجول الخواطر، لتبحث فى وجوه الكرم القرآنى، إكرام الله للقرآن، وإكرام القرآن لأهله. ودونك فى هذا بحوثا ضافية تزخر بها المكتبة الإسلامية فى شتى العلوم والمعارف.

وأذكر هنا بعض النماذج التى تشير إلى هذا، اكتفاء بالقليل عن الكثير.

فمن إكرام الله للقرآن: أن رفع درجته، وأعلى منزلته، ففضله على سائر أنواع الكلام، كفضل الله على أدنى واحد من خلقه، وما أدراك ما الفارق بين المخلوق والخالق؟ وجعله مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليه، ويسره للذكر، أى: للحفظ، حتى إنك لتجد من أطفال المسلمين ممن هو دون العاشرة من يحفظ القرآن عن ظهر قلب، لا يكاد يسقط منه حرفا واحدا، وسائر الكتب عسيرة الحفظ على أهلها، لا يقرأونها إلا نظرا فيها، وكما يسره الله للحفظ تولى حفظه بنفسه من أن تمتد إليه يد التحريف والتبديل، ورغم كل المحاولات العتيدة التى يقوم بها أعداء القرآن منذ أنزل إلى اليوم وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، لم يستطيعوا أن يغيروا منه حرفا واحدا، أو يسقطوه، على الرغم من توفر الدواعى والإمكانات الهائلة المعدة لذلك، والتى تكفى لإبادة ملايين الكتب ومحوها من الوجود، وهذا ـ وحده ـ كاف فى الاعتبار، فاعتبروا يا أولى الأبصار!!

وأما سائر الكتب فقد وكل الله حفظها لأصحابها، فضاعت وحرفت، ولا سبيل الى القرآن البتة، اللهم إلا أن تمتد أيديهم إلى تحريف المصاحف ـ وقد حفظها المسلمون ـ فإن فعلوا ـ وقد فعلوا ـ عرضنا ذلك على صدور الحفاظ الثقات، فما وافقها أخذنا به، وما خالفها طرحناه، ولا ثقة لنا بالمصحف مالم يوافق ما فى الصدور، ولا ثقة لنا بما فى الصدور مالم يوافق ما فى المصاحف الموثوقة،

ولا نعلم كتابا على ظهر الأرض تواتر نقله بالإسناد المتصل جيلا فجيلا غير القرآن الكريم« !! » .

ومن إكرام الله له ـ أيضا ـ انه لا ينبغى التعامل معه إلا على طهارة، فيحرم على المحدث مسه، وعلى الجنب والحائض تلاوته خلافا لسائر الكلام، الإلهى منه والنبوى، وأنه لا تجوز قراءته بالمعنى، ولا ترجمة ألفاظه « وإن جازت ترجمة معانيه »، وأن تلاوته عبادة، والإنصات عند تلاوته واجب، وأنه معجز للخلق لا يتهيأ لأحد الإتيان بمثله، ولا بسورة منه، وهذه مكانة عزيزة رفيعة، وقد تعددت وجوه إعجازه، فى ألفاظه، ومعانيه، وأساليبه.... إلخ، كما تعددت وجوه إعجازه للخلق على اختلاف طوائفهم وأجناسهم، عربا وعجما. فمن إعجاز لغوى، إلى بلاغى، إلى تسريعى، إلى علمى، إلى طبى، إلى كونى، إلى غيبى.... إلخ.

فهذه بعض وجوه تكريم الله للقرآن ـ وهو كلامه ـ وكم هى كثيرة، ويتعرض العلماء لها فى علوم مختلفة: فى القرآن وعلومه، والسنة وعلومها، والفقة وأصوله، واللغة وآدابها، وسائر العلوم المادية الأخرى التى تتصل بالبحث والتجربة من طب وفلك وجغرافيا وطبيعة وأحياء.... إلخ.

وأما وجوه إكرام القرآن لأهله فإنها تند عن الحصر، وحسبك أن كل خير يصل إليه حملة القرآن وأهله فإنما هو ببركة القرآن وكرمه.

فمن ذلك: أن متعلميه ومعلميه هم خير الخلق، وأنه سبب فى انتسابهم إلى حضرة الله، فهم أهل الله وخاصته، وأنهم قد استدرجوا النبوة بين جنبيهم غير أنه لا يوحى إليهم، وأنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه، وأن حامله يشفع فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار، ويكرم أبواه بسببه ويحليان بحلى الجنة وتيجانها، ويرفع البلاء عن الخلق ببركته، وأن حامله أولى الناس بالإمامة فى الصلاة، وأولاهم باتباع رأيه وطاعة أمره، وأنه يقدم على غيره فى اللحد عند الدفن، وأن الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن، وأن قارئه يعطى بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها، والذى يقرؤه وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة من الملائكة، والذى يقرؤه ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران، ويرتقى صاحبه فى منازل الجنة على قدر قراءته وحفظه له، والبيت الذى يقرأ فيه القرآن كثر خيره، واتسع بأهله، ودخلته الملائكة، وخرجت منه الشياطين، وحامل القرآن دائما فرح، وصدره منشرح، لا يعرف الهم، ولا يدرى ما الغم، عيشته هنية، وميتته سوية، ومرده غير مخز ولا فاضح، وحامل القرآن أقوى الناس ذاكرة، وأصحهم جسما، وأجودهم فهماً، وأسدهم

فكرا، وأرفعهم ذكرا، وأعمقهم أثرا، وأقومهم لسانا، وأفصحهم بيانا، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم حجة، وأرقاهم حسا، وأطيبهم نفسا، وأسعدهم حظا، وأعفهم لفظا، وأهداهم سبيلا، وأقومهم قيلا.

بهذا وغيره ـ وهو كثير ـ جاءت النصوص، لتكشف لنا عن كرم القرآن، الذى لا يحد، وعن أياديه التى لا تحصى ولا تعد، وها هى ساحته الكريمة تمتد لتشمل الدنيا والآخرة، وتتسع آفاقها لتعم الفرد والمجتمع.

هذه الأفكار والمعانى طافت بى وأنا أقرأ الآية الكريمة التى فى أواخر سورة المجادلة ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾(٣) قلت فى نفسى: كأن القضية معكوسة، فالأصل أن ينسى الإنسان ذكر الله فيستحوذ عليه الشيطان، لأنه فقد السلاح الذى يستدفع به كيد الشيطان، هكذا فهمت أو تصورت، ولكن من يصوب لى هذا الفهم إن كان خطأ؟ أو يؤيده إن كان صوابا؟ وما أن انتهى حديث النفس حتى سمعت حديث القرآن الكريم هامساً الذى تطلبه أمامك !!

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ٣٦ ﴾(٤). قضيتان متلازمتان تسلم إحداهما إلى الأخرى، فنسيان الإنسان لذكر الله سبب فى استحواذ الشيطان عليه، واستحواذ الشيطان عليه سبب فى إنسائه ذكر الله، والنتيجة واحدة:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(٥). وهكذا وجدت حاجتى فى القرآن الكريم الذى لا تغلبه المسائل، ولا يعجز عن سؤال سائل. وكفانى مئونة البحث فى غيره، وعادت بى الذكريات إلى الوراء قليلا، حيث كنت أضيق ذرعا بدراسة المنطق والفلسفة اليونانيين، وأجد الأنس كله والراحة فى دراسة علوم القرآن والسنة فترجمت عن هذا فى بيتين من الشعر قلت فيهما:

يضيق بمنطق اليونان صدرى
وفى القرآن لى شرح وبسط
ولى فيه الكفاية عن سواه
فما سقراط ذاك وما أرسطو ؟

حقيق بمن أكرمهم الله بالقرآن أن يكونوا معه كراما، وأن يتخذوا منه قدوة وإماما، وأن يجعلوه لهم شرعة ونظاما.

اللهم حققنا بذلك، وأنقذنا من المهالك، ووفقنا لأقوم المسالك. يارب العالمين.

---

(٣) المجادلة (١٩).

(٤) الزخرف (٣٦).

(٥) المجادلة (١٩).

النظر والمناظرة (١)

٧

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي

فأما النظر:

فهو اسم مشترك بين معانٍ شتى.

يقال للانتظار: نظر، وللرحمة، والتعطف: نظر، وللعناية للغير فيما يحتاج إليه: نظر، وللمقابلة: نظر؛ كما يقال: باب دار فلان ينظر إليك، وهذا الباب ينظر إلى ذلك الباب، وهذا الجبل ينظر إلى ذلك الجبل إذا تقابلا، يقال للرؤية: نظر، وللفكر والتأمل: نظر.

والمراد بالنظر هنا فكر القلب وتأمله فى حال المنظور ليعرف حكمه جمعا أو فرقا أو تقسيما، وحقيقة هذا النظر هو التأمل أو التفكر أو التدبر أو الاعتبار أو الاستدلال.

وكل واحد من هذا يصلح أن يكون حداً لما نعنيه بالنظر هنا.

ثم ذكر الجوينى إشكالاً للبعض مؤداه أن النظر الذى هو الاعتبار غير الفكر، وأن الفكر جنس غير التدبر ثم أجاب عنه(٢).

المناظـــرة(٣)

هى مأخوذة من النظر، وكل مناظرة نظر ـ وإن كان ليس كل نظر مناظرة، من حيث أن المناظرة مفاعلة من النظر.

ولا فرق بين المناظرة والجدال والمجادلة والجدل فى عرف العلماء بالأصول والفروع، وإن فرق بين الجدل والمناظرة على طريقة اللغة وذلك أن الجدل فى اللغة مشتق من غير ما اشتق منه النظر. ثم تكلم بعد ذلك عن سؤال مؤداه: عن ماذا اشتق الجدل؟ وبين آراء العلماء فى جواز الاشتقاق وعدمه.

الجدل عند الباجى «نموذج الفلاسفة»

١ - مكانة الجدل وأهميته:

وهذا العلم من أرفع العلوم قدراً وأعظمها شأناً، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال، وتمييز الحق من المحال، لولا تصحيح الوضع فى الجدل لما

---

(١) الكافيه فى الجدل الجوينى ص ١٦.

(٢)، (٣) المصدر السابق ١٧ ـ ١٩.

قامت حجة، ولا اتضحت حجة، ولا علم الصحيح من السقيم، ولا المعوج من المستقيم(٤).

٢ - أقسام الجدل :

(أ) الجدل المذموم :

وقد نطق الكتاب بالمنع من الجدل لمن لا علم له، والحظر ممن لا تحقيق عنده، فقال -تعالى-:

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾(٥)، (٦).

(ب) الجدل المحمود :

وقد ورد الأمر به لمن علم واتقن، فقال -تعالى-:

﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(٧).

وقد روى عن النبى -ﷺ- أنه أتاه رجل أنكر لون ولده فقال يا رسول الله، إن امرأتى ولدت غلاماً أسود فقال رسول الله -ﷺ-: « هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها، قال: حمر قال: هل فيها من أورق؟ قال: نعم، فمن أين ذلك؟ قال: لعل عرقاً نزعه. فقال رسول الله -ﷺ- وهذا الغلام لعل عرقاً نزعه(٨) وهذا حقيقة الجدال ونهاية تبين الاستدلال من رسول الله -ﷺ- وهو المعصوم الذى يجب علينا اتباعه وامتثال أوامره من غير أن نطالبه بدليل على أعيانها، يبين الأدلة ويرتبها، حق ترتيبها ليكون أسبق إلى الفهم وأبعد من الوهم، فكيف بمن يجوز عليه كثرة النسيان والسهو، بل لا يخلو من الخطأ والهفو.

٣ - آداب الجدل :

١ ـ ينبغى للمناظر أن يقدم على جدله تقوى الله -عز وجل- ليزكو نظره. ويحمد الله -عز وجل- ويصلى على رسوله -ﷺ- كثيراً لتكثير بركاته وتعظم فوائده، ثم يسأله المعونة والتوفيق لنفسه على طلب الحق والوكلة عليه ليدرك مقصوده ويحوز أجره.

٢ ـ ولا يقصد به المباهاة والمفاخرة فيذهب مقصوده ويكتسب إثمه ووزره ويدخل فى النظر على جد واجتهاد ويفرغ له قلبه ويبذل له وسعه؛ لأن ذلك كله يعينه على إدراك مقصوده.

٣ ـ ويتوقر فى جلوسه.

٤ ـ ولا يعبث بيده ولحيته فإن ذلك يذهب بالوقار.

٥ ـ ولا يكثر الصياح حتى يشق على نفسه ذلك لأن ذلك يقطعه.

٦ ـ ولا يخفض صوته جداً فينسب منه إلى ضعف المنة وكان بين ذلك قواماً.

٧ ـ ولا يشغف بكلامه ولا يعجب بجداله فإن ذلك يدعو إلى المقت.

٨ ـ ويقبل على خصمه فإنه أحسن فى الأدب، وبحسن الاستماع إلى كلامه فإنه ربما بان له فى كلامه ما رآه له على فساده فيكون عوناً على نظره.

---

(٤) المنهاج فى ترتيب الحجاج ص ٨. (٥) آل عمران آية ٦٦. (٦) المنهاج ص٣.

(٧) النحل آية ١٢٥. (٨) الحديث أخرجه البخارى ٥٣٠٥، ٦٨٤٧، ٧٣١٤ ومسلم ١٥٠٠، وأبو داودد ٢٢٦٠.

٩ ـ ولا يداخله من نوبته ويصبر له حتى يفرغ من كلامه فإن المداخلة تذهب بالفائدة وتدعو إلى الوحشة.

١٠ ـ ويجتنب إظهار العجب من كلام خصمه والتشنع عليه فى جداله فإن ذلك يفعله الضعفاء ومن لا إنصاف عنده.

١١ ـ ولا يتكلم على ما لم يقع له العلم به من جهته، ولا يتكلم إلا على المقصود من كلامه، ولا يتعرض لما لا يقصده مما جرى فى كلامه.

١٢ ـ ولا يناظر فى حال الجوع والعطش ولا فى حال الخوف والغضب ولا فى حال يتغير فيها عن طبعه.

١٣ ـ ومتى أخذ المناظر نفسه بما وصفناه وتأدب بما ذكرناه انتفع بجدله وبورك له فى نظره -إن شاء الله-[٩].

مشروعية الجدال وفرضيته وآدابه كما بينها ابن حزم

١ ـ بعد أن يورد ابن حزم قوله -تعالى-: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[١٠] يذكر أن الله -تعالى- قد أوجب الجدال فى هذه الآية، وعلم فيها - تعالى -جميع آداب الجدال كلها من الرفق والبيان والتزام الحق والرجوع إلى ما أوجبته الحجة القاطعة[١١].

٢ ـ ويقول فى موضع آخر عقب إيراده لقوله- تعالى -:

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[١٢] فأمر -عز وجل- كما ترى - بإيجاب المناظرة فى رفق وبالإنصاف فى الجدل، وترك التعسف والبذاء والاستطالة إلا على من بدأ بشىء من ذلك فيعارض حينئذ بما ينبغى[١٣].

٣ ـ ويقول فى موضع ثالث «ووجدناه -تعالى- قد علمنا فى هذه الآيات ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾[١٤] وجوه الإنصاف الذى هو غاية العدل فى المناظرة وهو أنه من أتى ببرهان ظاهر وجب الانصراف إلى قوله[١٥].

٤ ـ وقد أمرنا -تعالى- فى نص القرآن باتباع ملة إبراهيم -عليه السلام- وخبرنا -تعالى- أن من ملة إبراهيم المحاجة والمناظرة، فمرة للملك ومرة لقومه، والاستدلال كما أخبرنا -تعالى- عنه، ففرض علينا اتباع المناظرة لنصرف أهل الباطل إلى الحق، وأن نطلب الصواب بالاستدلال فيما اختلف فيه المختلفون. قال الله -عز وجل-: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١٦] فنحن المتبعين لإبراهيم -عليه

(٩) المنهاج فى ترتيب الحجاج ص ٩، ١٠.
(١٠) النحل آية ١٢٥.
(١١) الأحكام فى أصول الأحكام لابن حزم الظاهرى ج١/٢٣.
(١٢) العنكبوت آية ٤٦.
(١٣) الأحكام لابن حزم ج١/٢٥.
(١٤) يونس آية ٦٨، ٦٩.
(١٥) الأحكام ج١/٢٤.
(١٦) آل عمران آية٦٨.

السلام- فى المحاجة والمناظرة، فنحن أولى الناس به وسائر الناس مأمورون بذلك، قال الله -تعالى-: ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾[17] ومن ملته المناظرة كما ذكرنا فمن نهى عن المناظرة والحجة فليعلم أنه عاص لله -عز وجل- ومخالف ملة إبراهيم ومحمد - صلى الله عليهما وسلم-[18].

٥ ـ فإذا قد حض الله - تعالى - على المجادلة بالحق وأمر بطلب البرهان، فقد صح أن طلب الحجة هى سبيل الله -عز وجل- وصح بالنص الذى ذكرنا أن من نهى عن ذلك وصد عنه فهو صاد عن سبيل الله -تعالى- ظالم ملعون[19].

٦ ـ وقال -تعالى-: ﴿ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾[20] ولا غيظ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة، وقد تهزم العسكر الكبار، والحجة الصحيحة لا تغلب أبداً، فهى أدعى إلى الحق والنصر للدين من السلاح الشاكى والأعداد الجمة، وأفاضل الصحابة الذين لا نظير لهم، إنما أسلموا لقيام البراهين على صحة نبوة محمد -ﷺ- عندهم فكانوا أفضل ممن أسلم بالغلبة بلا خلاف من أحد من المسلمين.

وأول ما أمر الله -عز وجل- نبيه محمد -ﷺ- أن يدعو له الناس بالحجة البالغة بلا قتال فلما قامت الحجة وعاندوا الحق أطلق الله -تعالى- عليهم السيف حينئذ وقال -تعالى- ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾[21] وقال -تعالى-: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[22] ولا شك فى أن هذا إنما هو الحجة، لأن السيف مرة لنا ومرة علينا، وليس كذلك البرهان، بل هو لنا أبداً ودافع لقول مخالفينا ومزهق له أبداً، ورب قوة باليد قد دفعت بالباطل حقاً كثيراً فأزهقته[23].

٧ ـ وقد أمر الله بالجدال على لسان رسوله -ﷺ-... عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله -ﷺ- «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[24]... وهذا حديث فى غاية الصحة وفيه الأمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة فى سبيل الله[25].

٨ ـ ويختتم ابن حزم قوله ببيان الجدال الذى ندعو إليه فيقول: والجدال الذى ندعو إليه هو طلب الحق ونصره، وإزهاق الباطل، فمن ذم طلب الحق وأنكر هدم الباطل فقد ألحد وهو أهل الباطل حقاً والخصام بالباطل هو اللدد الذى قال فيه -عليه السلام-: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم[26][27].

---

(١٧) آل عمران آية ٩٥.
(١٨) الأحكام لابن حزم ج١/٢٥.
(١٩) الأحكام لابن حزم ج١/٢٨.
(٢٠) التوبة آية ١٢٠.
(٢١) الأنعام آية ١٤٩.
(٢٢) الأنبياء آية ١٨.
(٢٣) الأحكام لابن حزم ج١/٢٩.
(٢٤) الحديث أخرجه أبو داود ٢٥٠٤، وأحمد ٣/١٢٤، ١٥٣، وابن حبان ١٦١٨ والحاكم ٢/٨١ وسنده قوى.
(٢٥) الأحكام لابن حزم ١/٣٠.
(٢٦) الحديث أخرجه البخارى ٢٤٥٧. ٤٥٢٣. ٧١٨٨، ومسلم ٢٦٦٨ والترمذى ٢٩٧٦ والنسائى ٨/٢٤٨ وأحمد ٦٢، ٥٥١٦.
(٢٧) الأحكام لابن حزم ج١/٣١.

الإعلام في دول الغرب كيف يصور الإسلام والمسلمين بصورة مخيفة ورهيبة ومرعبة؟

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

لم يعد خافيا أننا فى زماننا المعاصر نعيش عصر الإعلام، فلقد تعددت وسائل الإعلام، بالإضافة إلى تقدم التقنية الإعلامية بشكل مثير، بحيث صارت الكلمة والصورة تطير عبر الأثير، فقد طوت الأقمار الصناعية المسافات، وعبرت الحدود والجبال والبحار؛ لتنقل الكلمة والصورة عبر آلاف الأميال، وتقدمت وسائل الطباعة وتوسعت، وأصبحت الصحف والمجلات يمكن أن تطبع فى مراكز صحفية متعددة، والكتب فى دور نشر بعيدة مختلفة، بحيث تصل يد القارىء فى أى وقت فى صبيحة كل يوم والكتب فى أزمنة متقاربة معتمدة على أحدث ما ابتكر العقل الإنسانى غزوا للعقل والقلب معا[1].

كيف تستغل القوى المعادية للإسلام فى الغرب الإعلام ضد المسلمين؟

ذلك أنها تقوم بحملات إعلامية ضخمة ضد الإسلام والمسلمين، تنشيط بين الحين والحين، تعبر بقصد أو دون قصد عن مدى سوء فهم الناس هناك للإسلام، ومدى تأصل ما ورثوه فى هذا الصدد من أوهام ترسخت فى أذهانهم، ويعجب المرء عندما يجد الأديان الأخرى وبخاصة الأديان البشرية تعامل من جانب الغرب معاملة منصفة، والإسلام وحده من بين كل الأديان فى العالم هو الذى يُهاجم ويُساء إليه وإلى المسلمين ويرمونه بكل النقائص هناك.

فقد دأب الغرب على ترسيخ صورة الإسلام بشكل مخيف رهيب فى مخيلة القارىء والسامع، والمشاهد هناك ولبلوغ هذا

(١) كتاب: (نحو إعلام إسلامى إعلامنا إلى أين؟) بتصرف تأليف المستشار الدكتور على جريشة.

الهدف لا يتوانى بطريق الإعلام المطبوع والمسموع والمرئى فى التنافس من أجل التركيز المغالى بأن الإسلام هو الدين المهدد للغرب، ويؤيد مزاعمه بتشويه صورة المسلمين والتعتيم على آدابهم وفضائلهم وأخلاقهم ثم التجهيل على أمورهم وقضاياهم وتزييف الوقائع إذا تعارضت مع سياساتهم طمعا أن تكون لصالحهم ضد المسلمين[٢].

التصور الغالب للأمريكيين عن المسلمين بين شعوب الأرض

يردده ريتشارد نيكسون رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق فى كتابه (الفرصة السانحة) فيقول: «إن كثيرا من الأمريكيين يتصورون المسلمين فى العالم شعوبا غير متحضرة، ودمويين، وغير منطقيين، وأن سبب اهتمام حكومات أمريكا بهم هو أن بعض زعمائهم يسيطرون بالمصادفة على بعض الأماكن التى تحوى ثلثي البترول الموجود فى العالم ويتذكرون:

١- ثلاث حروب قامت بها الدول العربية (المسلمة) -فى محاولة لمحو دولة إسرائيل من الوجود.

٢- واحتجاز الرهائن الأمريكيين فى إيران (المسلمة) بواسطة آية الله الخمينى المتطرف المسلم.

٣- وهجوم الإرهابيين على القرية الأولمبية فى ميونيخ بواسطة جماعة أيلول الأسود (المسلمة).

٤- والمذابح التى لا نهاية لها ولا معنى بين الميليشيات المسلمة فى لبنان.

٥- وتفجير الطائرات المدنية بواسطة السوريين والليبيين (وهم من المسلمين).

٦- وغزو الكويت الذى قام به صدام حسين رئيس دولة العراق (وهى دولة مسلمة) تشبها بهتلر.

وليس هناك صورة أسوأ من هذه الصورة فى ذهن وضمير المواطن الأمريكى عن العالم الإسلامى[٣].

زعماء آخرون فى بلاد الغرب يحملون على العرب والإسلام

١) يقول مورو بيرجر فى كتابه: (العالم العربى): «لقد ثبت تاريخيا أن قوة العرب تعنى قوة الإسلام فلتدمروا العرب لتدمروا بتدميرهم الإسلام.

ويضيف ذلك الحاقد الصليبى: «إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجا عن وجود البترول فقط بغزارة عند العرب بل بسبب الإسلام، ويجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التى تؤدى إلى قوتهم وقوة العرب تتصاحب دائما مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره».

---

(٢) كتاب: (الإسلام والغرب) تأليف الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق.

(٣) كتاب: (الفرصة السانحة بعد نهاية الحرب الباردة هل الإسلام هو الخطر(تأليف ريتشارد نيكسون - ترجمة أحمد صدقى مراد - تنشره دار الهلال بمصر.

٢) ويقـــول لورانس براون : « إن الخطر الحقيقى على الغرب فى نظام الإسلام وفى قدرته على التوسع والاخضاع وفى حيويته، إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوروبى » .

٣) أما سالازار- دكتاتور البرتغال السابق - فيقول : « إن الخطر الحقيقى على حضارة الغرب هو الذى يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم » .

٤) ويقول المفكر الانجليزى هيلد بيلوك : « لا يساورنى أدنى شك فى أن الحضارة التى ترتبط أجزاؤها برباط متين وتتماسك أطرافها تماسكا قويا، وتحمل فى طياتها عقيدة مثل الإسلام لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب بل ستكون أيضاً خطراً على أعدائه » .

٥) ويقول البارون دى كارافو : « علينا أن نعمل جاهدين على تمزيق العالم الإسلامى وتحطيم وحدته الروحية مستخدمين من أجل هذه الغاية الانقسامات السياسية والعرقية وذلك لكى نضعف الإسلام لنجعله عاجزاً إلى الأبد عن صحوة كبرى »(٤)

٦) مشاركة بعض الجامعات الأمريكية فى حملة التضليل المشوهة على الإسلام :

يقول برنارد لويس الأستاذ بجامعة برنستون الأمريكية : « إن الإسلام قوة جبارة جدا وإذا كان لم يلعب دوره بعد فى المجال الدولى فما ذلك إلا لفقدانه القيادة التى تستطيع القيام بذلك لكن ظهور هذه القيادة محتمل جدا وعندئذ لن يتسامح مع اليهود فى إسرائيل والنصارى فى لبنان ولا مع أوروبا ذات الخلفية الصليبية(٥) .

وفى كتابه (الإسلام والغرب) يردد ذلك المفكر اليهودى الأمريكى صاحب الدراسات العديدة المعادية للإسلام ما سبق أن كتبه غلاة المستشرقين الغربيين فى القرون الماضية حول حتمية الصدام والعداوة بين طرفين لا يلتقيان إلا فى ساحات النزال والمعارك، وأنه بقدر ما تحافظ الحضارة المسيحية واليهودية الغربية على تفوقها بقدر ما يجب أن تحاصر الإسلام وتقهره، وبقدر ما يستيقظ الإسلام ويقوى بقدر ما يهدد الحضارة الغربية ويغزوها ويدمرها على نحو ما فعل أو حاول أن يفعل من قبل(٦) .

٧) ويتبنى الرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون آراء المفكر اليهودى برنارد لويس المعادية للإسلام فيقول فى كتابه السابق الإشارة إليه : « إن بعض المراقبين يحذرون من أن الإسلام سوف يصبح قوة جبارة متطرفة وسوف يشكل المسلمون مخاطر كبيرة للغرب مما يضطر معه الغرب إلى أن يتحد مع موسكو ليواجه خطر العالم الإسلامى العدوانى لأن الإسلام والغرب متضادان ولأن نظرة الإسلام للعالم تقسمه إلى قسمين : دار الإسلام، ودار الحرب حيث يجب أن

---

(٤) كتاب الإسلام وأمريكا حوار أم مواجهة تأليف الدكتور محمد مورو.

(٥) مجلة «الوعى الإسلامى» الكويتية - شعبان ١٤٢٠ هـ نوفمبر، ديسمبر ١٩٩٩م مقال بعنوان «سياسة التخويف من الإسلام فى الإعلام الغربى» بقلم الأستاذ الدكتور حسن عزوزى.

(٦) نقلا عن مقال «الإسلام والغرب» بقلم الاستاذ صلاح الدين حافظ - نشر بجريدة الأهرام القاهرية بتاريخ ١١ من ربيع الأول سنة ١٤١٨ هـ - ١٦ من يوليو سنة ١٩٩٧م.

تتغلب الأولى على الثانية وأن المسلمين يوحدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب، وعلى الغرب أن يتحد مع روسيا ليواجه هذا الخطر الداهم بسياسة واحدة[٧] ».

٨) وعلى نفس الطريق جاءت نظرية صراع الحضارات التى ابتدعها المفكر الأمريكى هانتنجتون، والتى تخلص فى أنه لا مكان ولا تعايش فوق القمة إلا للحضارة الغربية، والتى عليها أن تستغل تفوقها الراهن لإخضاع الآخرين بل لقهرهم قبل أن يعلو صوتهم.

ولقد لقيت هذه النظرية ترحيبا حارا وترويجا واسعا من جانب الحركة الصهيونية صاحبة المصلحة فى نشر وتعميق نظرية الصدام الحتمى بين حضارة الغرب وبين العدو القائم الذى هو الإسلام[٨].

بعض الأمثلة مما تقوم به الصحافة الغربية فى ذلك الدور المشبوه

تتبارى الصحف والمجلات هناك فى تقديم تقارير استطلاعات تغذيها إحصاءات مبالغ فيها تثير الخوف والفزع للناس:

أ) عن كثرة المساجد الموجودة ببلادهم.

ب) وعن ازدياد نمو الجالية المسلمة المقيمة على أرضهم.

جـ) والتوقعات المستقبلية لاحتمال وجود إسلامى قومى مما يسهم فى إذكاء مشاعر القلق والرعب فى صفوف الغربيين.

ففى فرنسا :

أصدر الخبير الفرنسى فى شئون الحركات الإسلامية (جيل كيبل) عام ١٩٨٧م كتابا ضخما يحمل عنوان: (ضواحى بلاد الإسلام) ضمنه بيانا تفصيليا عن واقع الوجود الإسلامى فى فرنسا.

١- فذكر أنه من استطلاعاته الميدانية أمكنه استنتاج وجود أكثر من ألف مسجد فى فرنسا مع أن هذا العدد يشمل بطبيعة الحال فى أكثر من أربعة أخماسه قاعات للصلاة لا يتجاوز طولها بضعة أمتار.

٢- عندما تحدثت بعض الصحف الفرنسية عن الكتاب السابق الإشارة إليه قبل وبعد صدوره كان أبرز عنوان مثير تصدر الحديث عنه هو: (فرنسا بلاد الألف مسجد ومسجد) وهو عنوان له بريقه وجاذبيته تناقلته عنها باقى الصحف والمجلات الأخرى سعيا وراء الإثارة وتحريك مكامن الخوف والذعر فى نفوس المواطنين الفرنسيين.

٣- ومن أمثلة العناوين المثيرة أيضاً:

أ) (الإسلام فى حمى) ورد بجريدة لوموند الفرنسية فى ١٠ أعداد متتالية بتاريخ ١٩٨٩/٤/٣ وما بعدها.

ب) (هل يجب الخوف من الإسلام؟) ورد بمجلة الخميس العدد ٢٧٠ فى ٤ من يناير سنة ١٩٩٠.

جـ) (فرنسا أرض للإسلام) ورد بمجلة الاكسبريس العدد ١٩٧٥ بتاريخ ١٩ مايو سنة ١٩٨٩.

---

(٧) كتاب الفرصة السانحة المرجع السابق.

(٨) نقلا عن مقال الأستاذ صلاح حافظ السابق نشره بجريدة الأهرام المرجع السابق.

د) (صدام الإسلام والغرب) ورد بمجلة : L'evene ment du Feudu بتاريخ يونيه سنة ١٩٩٦[٩].

وفى الولايات المتحدة الأمريكية

أظهرت بعض الإحصاءات الرسمية عام ١٩٩٨م أن عدد المسلمين بها ستة ملايين نسمة مما يفوق عدد اليهود، وبذلك أمسى الإسلام هناك يحتل المرتبة الثانية بعد المسيحية فأجمعت الصحف والمجلات السيارة هناك عن امتعاضها وتخوفها الشديد من احتمال تكوّن لوبيات إسلامية قوية تعبر عن انتمائها وتمسكها بمبادىء الإسلام وتعاليمه فتشكل بذلك خطراً إسلامياً يهدد الغرب برمته.

ولم تتورع الصحافة الأمريكية ومعها الصحافة الأوروبية من تحرير عنوانها بالمصطلحات اللغوية الرنانة لاستغلالها فى الأزمات هناك مثل: (اليقظة الإسلامية - الإحياء الإسلامى - عودة الإسلام - الانفجار الإسلامى) وغير ذلك من تلك المصطلحات المثيرة. ومن أمثلة ذلك:

١) ما نشره الصحفى الأمريكى (مايكل والترز) فى ديسمبر سنة ١٩٧٩ فى مقالة تحت عنوان : (الانفجار الإسلامى) عندما نجحت الثورة الإسلامية فى إيران، وأكد أن الغلو والعنف موجودان بتلك الثورة، كما أكد بشىء من الإلحاح على ما يشابهه فى فلسطين وفى لبنان رغم أنهم يدافعون هناك عن وطنهم وأنفسهم.

٢) وخلص بعد سرد تلك الوقائع بكثير من التشويه والتمويه إلى القول بأنه من الممكن تفسيرها كوقائع لشىء واحد مخيف هو -الإسلام- فهو مرآة كل ما يقع ضد الغرب وبالتالى فهو نمط ثابت من القوة السياسية الضاغطة على الغرب، كما أنه شعور معنوى ودينى خلاق لكنه مخيف :

أ - فمثلاً عندما يقاوم الفلسطينيون الاحتلال الإسرائيلى يؤكد صاحب المقال أن تلك المقاومة إنما هى مقاومة دينية لا سياسية ولا تحريرية.

ب- وفى تأكيده بأن الإسلام شىء مخيف عندما يصفه لقرائه يقول بأنه : (قوة تتخطى المسافات زمانا ومكانا).

جـ- ويؤكد ذلك الصحفى فى نزعته المتعصبة التى تنضح حقدا على الإسلام أنه حيثما وجدت الجرائم والحروب والنزاعات الدائمة التى تتخللها الفظائع والأهوال لعب الإسلام بوضوح دورا هاماً فيها.

د - ويخلص ذلك الإعلامى الغربى فى مقاله إلى القول بأن الإسلام بطبيعته معاد للولايات المتحدة الأمريكية وضار بمصالحها، كما وأن المسلمين أينما وجدوا يكرهون أمريكا بل ويبغضونها[١٠].

٣) ولقد خصصت مجلة التايمز الأمريكية فى عددها الأخير من عام ١٩٧٩ صفحتين كاملتين لندوة تحمل عنوان: (الانفجار فى العالم الإسلامى) شارك فيها سبعة أشخاص ثلاثة من العالم الإسلامى يقيمون فى الولايات المتحدة الأمريكية، وأربعة باحثين أمريكيين مشهورين

---

(٩) مجلة «الوعى الإسلامى» الكويتية - المرجع السابق.

(١٠) مجلة «الوعى الإسلامى» الكويتية - المرجع السابق.

بتخصصهم فى تاريخ الإسلام، وكانت جميع الأسئلة الموجهة إليهم أسئلة سياسية يشير كل منها إلى تهديد الإسلام للمصالح الأمريكية وخطره عليها وأن المنطق والإقناع لن ينجحا مع المسلمين وعليه فقد يكون من المحتم اللجوء إلى القوة ضدهم كملاذ أخير(١١).

وبعـــد :

فمما لا جدال فيه أن المرء عدو ما يجهل، والجهل يورث الكراهية والبغضاء وأن عدم المعرفة التى ينجم عنه الخوف حقيقة يسجلها دارسو العلاقات بين الأفراد وبين الدول بعضها ببعض وذلك على تقلب العصور والأزمان.

(١) وقد كانت أول محاولة علمية جادة للتعرف على الإسلام فى الغرب على يد (هادريان ربلاند) أستاذ اللغات الشرقية فى جامعة أوترثت بهولندا فقد صدر له كتاب باللغة اللاتينية عن الإسلام عام ١٧٠٥م بعنوان: (الديانة المحمدية) فى جزئين عرض فى :

أولهما : للعقيدة الإسلامية معتمدا على مصادر بالعربية واللاتينية.

وفى الجزء الثانى : قام بتصحيح الآراء الغربية التى كانت سائدة وقتئذ عن تعاليم الإسلام ويشير المؤلف فى مقدمة كتابه إلى أن الإسلام تعرض نتيجة عدم فهمه إلى كل سوء بطريقة تنبىء عن قصد خبيث، وإذا أبدى أحد رغبة صادقة فى التعرف على الإسلام، لا تقدم له إلا الكتب المضادة الخبيثة والمليئة بالضلالات، فلم يحدث أن تعرض دين من الأديان فى هذا العالم فى أى عصر من العصور إلى مثل ما تعرض له الإسلام من جانب خصومه من الاحتقار والتشويه والوصف بكل أوصاف السوء.

لذلك ينبغى على من يريد البحث عن حقيقة الإسلام أن يتعلم اللغة العربية وأن يقتنى الكتب العربية حتى يرى بعينيه الحقيقة وليس بعيون الآخرين، وحينئذ سيتضح له :

أ – أن المسلمين ليسوا مجانين ـ كما يظن ـ فقد أعطى الله العقل لكل الناس.

ب – وقد كان فى رأيه دائما أن الإسلام ذلك الدين الذى انتشر بعيداً عن آسيا وأفريقيا وفى أوروبا أيضا ليس ديناً ماجناً أو ديناً سخيفا كما يتخيل كثير من المسيحيين فى الغرب (انتهى كلامه).

ولكن هل تركت الكنيسة ذلك الكتاب يتداول بين الناس هناك؟!

لا. لم تتركه على حال سبيله لقد أدرجته سريعا فى قائمة الكتب المحرم تداولها منذ ظهوره(١٢).

(٢) وكررت ذلك الكلام الدكتورة (أنا مارى شمل) عميدة الاستشراق فى ألمانيا فى زماننا المعاصر إذ تقول :

«إن الكثير من الأحكام الظالمة التى يلصقها الغرب بالإسلام ناشئة عن سوء الفهم والخطأ فى القياس المنطلق عن ذلك الفهم السىء حتى وصل الحال إلى ذلك الأمر المحزن من أن الكثيرين فى الغرب لا يميزون بين الإسلام وبين ما يلصق زورا

---

(١١) مجلة «الوعى الإسلامى» الكويتية – المرجع السابق.

(١٢) كتاب «الإسلام والغرب» للدكتور محمود حمدى زقزوق – مرجع سابق.

وبهتانا بالإسلام أو ما يقترف من جرائم باسم الإسلام:

أ - فالإسلام برىء من الإرهاب والإرهابيين وكذلك ما يدعوه الغرب بالأصوليين.

ب - بل إن هذا التعبير (تعبير الأصوليين) لا يمت إلى الإسلام بصلة، فهذه الكلمة تطلق فى اللاهوت المسيحى على اتجاه معين فى أمريكا وليس له وجود فى بلاد الإسلام»(١٣).

٣- كما بذل الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا النصيحة للغرب وذلك فى محاضرة عميقة ألقاها فى فبراير سنة ١٩٩٤م فى أكسفورد وتعرض فيها للعلاقة بين الإسلام والغرب مبديا قدرا كبيرا من الفهم والتحليل العميق والروح المتسامحة والدعوة الصريحة لأن يبادر الغرب إلى تفهم الإسلام والمسلمين بعقلية جديدة تختلف عن تلك التى ورثها عبر قرون من دراسات المستشرقين المعادين للإسلام وثقافته.(١٤)

وبناء على ما تقدم تفصيله يمكننا أن نقرر - ونحن مطمئنون بأن الغرب المسيحى حتى ولو فهم الإسلام وحقيقة المسلمين فهما صحيحا سليما، ووعى الدور الحضارى والتاريخى للمسلمين، فإنه يرى أنه ليس فى حاجة لأن ينسج علاقته مع الإسلام على ضوء ما هو ثابت فيه من الحق، بل على ضوء مصالحه الاستعمارية فى دول الإسلام، وعلى ضوء عداوته التاريخية مع المسلمين بمعنى أن علاقته لا تتقرر على ضوء ما ينبغى أن تكون عليه العلاقات الصحيحة السوية بل تكون وفق رؤيته الاستعمارية ليبنى عليها علاقات مزيفة تتناسب مع تلك الرؤية المشينة التى زيفت التاريخ كثيرا والتى ورثها من الدولة الرومانية، وهى احتكار القوة لنفسه واستغلال الأمم الأخرى لمصلحته.

وفى هؤلاء الناس الجاحدين للحق والنظر السليم يقول ربنا -جل وعلا-:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾(١٥).

وستفشل خططهم ومؤامراتهم التى يمكرون بها على الإسلام وجماعة المسلمين كما حدث من قبل من كفار الأمم السابقين، وصدق الله فى قرآنه إذ يقول:

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾(١٦).

---

(١٣) مقدمة بقلم عميدة الاستشراق فى ألمانيا الدكتورة آنا مارى شمل ملحقة بكتاب (الإسلام كبديل) تأليف الدكتور مراد هوفمان سفير ألمانيا بالرباط.

(١٤) مقال «الإسلام والغرب» بقلم الأستاذ صلاح الدين حافظ - مرجع سابق -

(١٥) سورة الأعراف آية رقم ١٧٩.

(١٦) سورة سبأ آية رقم ٥٤.

العشرة المبشرون بالجنة

٢ الفاروق

عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)

إعداد الأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين

أحدث إسلام عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - دويا هائلا، ليس فى قريش، ولا فى مكة، أو حتى فى جزيرة العرب، إنما بلغ أرض الحبشة، التى لجأ إليها من لجأ من المسلمين، فرارا من بطش قريش، وتحدث الناس بخبر إسلام عمر، وطواف المسلمين حول الكعبة علانية، خلف عمر، وحمزة، وقال البعض: أسلم أهل مكة، وبلغ أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم ذلك، حتى إذا دنوا من مكة، بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة، كان باطلا، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفيا[1]

أما قريش فقد قال بعضها لبعض: إن حمزة وعمر، قد أسلما، وقد فشا أمر محمد فى قبائل قريش كلها، فانطلقوا بنا إلى أبى طالب، فليأخذ لنا على ابن أخيه، وليُعطه منا[2]

قال ابن إسحاق: فحدثنى العبَّاس بن عبدالله ابن معَبْد (بن عباس) عن بعض أهله، عن ابن عبَّاس، قال: مَشَوْا إلى أبى طالب فكلّموه، وهم أشراف قومه: عُتبة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبوجهل بن هشام، وأُميَّة بن خَلَف، وأبوسفيان ابن حَرْب، فى رجال من أشرافهم، فقالوا: يا أبا طالب، إنك منَّا حيث قد علمتَ، وقد حَضَرَك ما ترى، وتخوّفنا عليك، وقد علمتَ الذى بيننا وبين ابن أخيك، فادعُه، فخُذْ له منَّا، وخُذْ لنا منه، ليكف عنا، ونكفّ عنه، وليدعَنا ودينَنا،

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (١/٣٦٤).

(٢) المصدر السابق (١/٤١٧).

وندعه ودينه، فبعث إليه أبوطالب، فجاءه، فقال: يا ابن أخى: هؤلاء أشرافُ قومك، قد اجتمعوا لك، ليُعطوك، وليأخذوا منك. قال: فقال رسول الله - ﷺ - : نعم، كلمة واحدة تُعطونيها تملكون بها العرب، وتَدين لكم بها العجم،. قال: فقال أبوجهل: نعم وأبيك، وعشْر كلمات، قال: تقولون: «لا إله إلا اللّه، وتَخْلعون ما تعبدون من دونه». قال: فصفَّقوا بأيديهم، ثم قالوا: أتريد يامحمد أن تجعل الآلهة إلها واحدا، إنّ أمرك لعَجيب! (قال): ثم قال بعضُهم لبعض: إنه واللّه ما هذا الرجل بمُعطيكم شيئا مما تريدون، فانطلقُوا وامضُوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه. قال: ثم تفرّقوا(٣).

هجـــرته

ولما أذن المولى - جل وعلا - لنبيه وأصحابه بالهجرة أبى الفاروق إلا أن تكون هجرته علانية، يقول ابن عباس - رضى الله عنهما - قال لى على بن أبى طالب - رضى الله عنه - «ما علمت أن أحدا من المهاجرين هاجر إلا مختفيا إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى فى يده أسهما، واختصر عَنَزَتَه، ومضى قِبَل الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعا متمكنا، ثم أتى المقام فصلى متمكنا، ثم وقف على الحَلَقِ واحدة، واحدة، فقال لهم: شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن تثكله أمه، أو يوتم ولده، أو يرمل زوجه، فليلقنى وراء هذا الوادى.

قال على - رضى الله عنه - فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علّمهم وأرشدهم، ومضى لوجهه(٤).

قال ابن اسحاق: ثم خرج عمر بن الخطاب، وعياش بن أبى ربيعة المخزومى، حتى قدما المدينة. فحدثنى نافع مولى عبدالله بن عمر، عن عبدالله ابن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب، قال: اتَّعدتُ، لما أردنا الهجرة إلى المدينة، أنا وعياش بن أبى ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل السهمى التناضب من أضاة بنى غفار، فوق سَرِفَ، وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حبس، فليمض صاحباه. قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبى ربيعة عند التناضب، وحبس عنا هشام، وفتن فاتتن.

فلما قدمنا المدينة نزلنا فى بنى عمرو بن عوف بقُبَاءَ، وخرج أبوجهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبى ربيعة، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما، حتى قدما علينا المدينة، ورسول الله - ﷺ - بمكة، فكلماه وقالا: إن أمك قد نذرت ألا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرقّ لها، فقلت له: ياعياش، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت. قال: فقال: أبر قسم أمى، ولى هنالك مال فآخذه، قال: فقلت: والله إنك لتعلم أنى لمن أكثر قريش مالا، فلك نصف مالى، ولا تذهب معهما. قال: فأبى علىَّ إلا أن يخرج معهما، فلما أبى إلا ذلك، قال: قلت له: أما إذا قد فعلت ما فعلت، فخذ ناقتى هذه، فإنها ناقة نجيبة ذلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب، فانج عليها.

---

(٣) المصدر السابق

(٤) خبر لا بأس به، أخرجه ابن عساكر، (٤٥/٥٢) وابن الأثير أسد الغابة (٢١٥٢/٤) والسيوطى، تاريخ الخلفاء(١٠٨).

فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبوجهل: يا ابن أخى، والله لقد استغلظت بعيرى هذا، أفلا تعقبنى على ناقتك هذه؟ قال: بلى. قال: فأناخ، وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه، فأوثقاه وربطاه، ثم دخلا به مكة، وفتناه فاتتن.

قال ابن إسحاق: فحدثنى به بعض آل عياش بن أبى ربيعة: أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهارا موثقا، ثم قالا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهائكم، كما فعلنا بسفيهنا هذا.

كتاب عمر إلى هشام بن العاص

قال ابن إسحاق: وحدثنى نافع، عن عبدالله ابن عمر، عن عمر فى حديثه، قال: فكنا نقول: ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة، قوم عرفوا الله، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم! قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم. فلما قدم رسول الله – ﷺ – المدينة، أنزل الله – تعالى – فيهم، وفى قولنا وقولهم لأنفسهم:

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٥٥ ﴾(٥).

قال عمر بن الخطاب: فكتبتها بيدى فى صحيفة، وبعثت بها إلى هشام بن العاص قال: فقال هشام بن العاص: فلما أتتنى جعلت أقرؤها بذى طُوًى، أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها، حتى قلت: اللهم فهمنيها. قال: فالقى الله – تعالى – فى قلبى أنها إنما أنزلت فينا، وفيما كنا نقول فى أنفسنا، ويقال فينا. قال: فرجعت إلى بعيرى، فجلست عليه، فلحقت برسول الله – ﷺ – وهو بالمدينة.

قال ابن هشام: فحدثنى من أثق به: أن رسول الله – ﷺ – قال، وهو بالمدينة: «ومن لى بعياش ابن أبى ربيعة، وهشام بن العاص؟» فقال الوليد ابن الوليد بن المغيرة: أنا لك يارسول الله بهما، فخرج إلى مكة، فقدمها مستخفيا، فلقى امرأة تحمل طعاما، فقال لها: أين تريدين يا أمة الله؟ قالت: أريد هذين المحبوسين – تعنيهما – فتبعها حتى عرف موضعهما، وكانا محبوسين فى بيت لا سقف له، فلما أمسى تسور عليهما، ثم أخذ مروة فوضعها تحت قيديهما، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما، فكان يقال لسيفه: «ذو المروة» لذلك، ثم حملهما على بعيره، وساق بهما، فعثر فدميت أصبعه، فقال:

هل أنت إلا أصبع دميت
وفى سبيل الله ما لقيت

ثم قدم بهما على رسول الله – ﷺ – المدينة(٦).

عمر فى المدينة

ونزل عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – حين قدم المدينة، ومن لحق به من أهله وقومه، وأخوه زيد بن الخطاب، وعمرو وعبدالله ابنا سراقة بن العتمر، وخُنيس بن حذافة السهمى – وكان صهره على ابنته: حفصة بنت عمر، فخلف

---

(٥) الزمر الآيات ٥٣ : ٥٥

(٦) ابن هشام (١/٤٧٤ : ٤٧٦).

عليها رسول الله - ﷺ - بعده - نزلوا وغيرهم على رفاعة بن عبدالمنذر بن زنبر، فى بنى عمرو ابن عوف بقباء[٧].

وآخى رسول الله - ﷺ - بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال فيما يرويه بن إسحاق: «تآخوا فى الله أخوين أخوين» فكان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وعتبان بن مالك، أخو بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج أخوين[٨].

رؤيا عمر فى الأذان

قال ابن إسحاق: حدثنى بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن محمد بن عبدالله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه، عن أبيه. قال ابن هشام: وذكر ابن جُريج قال: قال لى عطاء: سمعت عبيد بن عمير الليثى، يقول: ائتمر إلى النبى - ﷺ - وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشترى خشبتين للناقوس، إذ رأى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فى المنام: فقال لا تجعلوا الناقوس، بل أذنوا للصلاة، فذهب عمر - رضى الله عنه - النبى - ﷺ - ليخبره بالذى رأى، وقد جاء النبى - ﷺ - الوحى بذلك، فما راع عمر إلا بلال يؤذن، فقال رسول الله - ﷺ - حين أخبره بذلك: قد سبقك بذلك الوحى[٩].

فى بدر

وكان عمر - رضى الله عنه - فى طليعة الملبين لنداء رسول الله - ﷺ - لما أتاه الوحى بخبر خروج قريش، لملاقاة المسلمين يومَ بدر، وكان (مِهجع) مولى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أول شهيد فى الإسلام، حيث رُمِىَ يومئذ بسهم[١٠].

قال ابن إسحاق: وحدثنى العباس بن عبدالله ابن معبد، عن بعض أهله، عن ابن عبَّاس: أن النبى - ﷺ - قال لأصحابه يومئذ: «إنى قد عرفت أن رجالا من بنى هاشم وغيرِهم قد أُخْرِجوا كُرْها، لا حاجة لهم «بقتالنا، فمن لقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتُله، ومن لقى أبا البَخْتَرِىّ بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقى العباس بن عبدالمطلب، عمّ رسول الله - ﷺ - فلا يقتله، فإنه إنما أُخْرِج مُسْتكرها» قال: فقال أبوحُذيفة: أنقتُل آباءنا وأبناءَنا وإخوتَنا وعشيرتنا. ونترك العبَّاس، والله لئنْ لقيتُه لأُلْحِمَنَّه السيفّ - قال ابن هشام: ويقال: لأُلجِمنَّه (السَيف) - قال: فبلغت رسول الله - ﷺ - فقال لعمر بن الخطَّاب: يا أبا حفص - قال عمر: والله إنه لأوّل يوم كنَّانى فيه رسولُ الله - ﷺ - بأبى حَفْص - أيُضرب وجهُ عمّ رسول الله - ﷺ - فقال عمر: يا رسول الله، دعنى فَلأَضْرِب عُنقَه بالسيف، فوالله لقد نافَق. فكان أبوحُذيفة يقول: ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التى قلتُ يومئذ، ولا أزال منها خائفا، إلا أن تكفِّرها عنى الشهادة. فقُتِل يوم اليمامة شهيداً[١١].

---

(٧) ابن هشام، السيرة النبوية (١/٤٧٦، ٤٧٧).

(٨) المصدر السابق (١//٥٠٤، ٥٠٥).

(٩) المصدر السابق (١/٥٠٨، ٥٠٩).

(١٠) ابن هشام، السيرة النبوية (١/٦٢٧).

(١١) المصدر السابق (١/٦٢٩).

ثم كانت المعركة، معركة بدر، حيث انتصر المسلمون انتصارا مدويا تسامع به العرب.

قال ابن هشام: وحدثنى أبوعبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازى: أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال لسعيد ابن العاص، ومر به: إنى أراك كأن فى نفسك شيئا، أراك تظن أنى قتلت أباك، إنى لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله، ولكنى قتلت خالى العاص بن هشام بن المغيرة، فأما أبوك فإنى مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه فحدث عنه، وقصد له ابن عمه علىّ فقتله(١٢).

ثم بعثتْ قُريش فى فداء الأسارى، فقدم مكْرَزُ ابن حُفَصْ بن الأخيْف فى فداء سُهَيل بن عمرو، وكان الذى أسره مالكُ بن الدُّخُشُمِ، أخو بنى سالم بن عَوْف، فقال:

أسَرْتُ سُهَيْلاً فَلا أبْتَغِى
أسيراً به من جميع الأُمَمْ
وخِنْدفُ تَعلم أنَّ الفتى
فتاها سُهَيْلٌ إذا يُظَّلَمْ
ضربتُ بذى الشَّفْر حتى انثنى
وأكْرهت نفسى على ذى العَلم

وكان سُهَيْلٌ رجلاً أعْلَم من شَفَته السُّفلى.

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لمالك بن الدُّخْشُم.

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن عَمْرو بن عَطاء، أخو بنى عامر بن لُؤىّ: أن عمر بنَ الخطَّاب قال لرسولِ اللّه - ﷺ - : يارسول اللّه، دَعْنى أنْزِعْ ثَنِيَّتىْ(١٣) سُهْيل بن عمرو، ويَدْلعُ(١٤) لسانُه فلا يقوم عليك خَطيبا فى موطن أبداً، قال: فقال رسول الله - ﷺ - :«لا أمثِّل به فيُمثَّل اللّه بى وإن كنتُ نبيا».

قال ابن إسحاق: وقد بلغنى أن رسولَ اللّه - ﷺ - قال لعمر فى هذا الحديث: إنه عسَى أن يقوم مقاما لا تذمُّه(١٥).

أسرى بدر

وبعد انتهاء معركة بدر، شاور رسول الله - ﷺ - أبا بكر وعليا وعمر فى أمر أسرى قريش، فقال أبوبكر: يانبى الله هؤلاء بنو العم، والعشيرة، والإخوان، فإنى أرى أن نأخذ منهم فدية، فيكون ما أخذناه منهم قوة، وعسى الله أن يهديهم فيكونوا لنا عضدا.

فقال رسول الله - ﷺ - :«ما ترى يا ابن الخطاب؟» قال: لا والله ما أرى الذى رأى أبوبكر، ولكن أرى أن تمكننى من فلان فأضرب عنقه، وتمكن حمزة من العباس فيضرب عنقه، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، حتى يعلم أن ليس فى قلوبنا هوادة للكفار، هؤلاء صناديدهم وقادتهم.

فهوى رسول الله - ﷺ - ماقال أبوبكر، ولم يهو ما قال عمر(١٦) فقال - ﷺ- : إن الله - عزل وجل - ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال:

---

(١٢) ابن هشام، السيرة النبوية (٦٣٦/١، ٦٣٧)

(١٣) الثنيتان: الثنية: واحدة الثنايا من السن، والثنية من الأضراس أول ما فى الفم، وثنايا الإنسان فى فمه الأربع التى فى مقدم فيه: ثنتان من فوق، وثنتان من أسفل، وللإنسان والخف والسبع ثنتان من فوق وثنيتان من أسفل. أنظر ابن منظور، لسان العرب (٥١٦/١) طبع دار المعارف بمصر.

(١٤) يدلع لسانه: يخرجه من فمه.

(١٥) ابن هشام (٦٤٩/١).

(١٦) الطبرى، تاريخ الامم والملوك، (٢٩٤/٢).

﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(17) ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال:

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(18).

ومثلك يا عمر مثل نوح قال:

﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾(19)

ومثلك مثل موسى قال:

﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾(20).

ثم قال رسول الله - ﷺ - أنتم اليوم عائلة فلا يفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق(21).

القرآن يؤيد عمر

قال عمر: فلما أن كان الغد، غدوت إلى النبى - ﷺ - فإذا هو قاعد، وأبوبكر، وإذا هما يبكيان فقلت: يارسول الله، أخبرنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما.

فقال النبى - ﷺ -: «الذى عرض على أصحابك من الفداء، لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة، وأنزل الله - تعالى - فى ذلك:

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾(22)

وقال رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية: «لو نزل العذاب لما نجى منه غير عمر» (23).

وأخرج الترمذى عن ابن عمر أن النبى ﷺ - قال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» قال ابن عمر: «وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال، إلا ونزل القرآن على نحو ما قال عمر»(24).

---

(17) سورة إبراهيم : الآية (36). (18) سورة المائدة : الآية (118). (19) سورة نوح : (الآية) (26).
(20) سورة يونس : الآية (88). (21) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك (2/294). (22) الأنفال (67 : 75).
(23) رواه أصحاب السنن. (24) السيوطى، تاريخ الخلفاء (109).

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد وتقديم فضيلة الشيخ / طوسون ابراهيم هواش

■ السؤال من السيد / خالد أبوالعينين ـ طنطا :

ما حكم كتابة المصحف بقلم دقيق جداً؟ وحكم المصحف فى البيت ولا يقرأ فيه؟ وينوى بذلك الخير والبركة؟

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبعد :

فقد صرح العلماء بأنه يكره تنزيهاً تصغير حجم مصحف وكتابته بقلم دقيق، وبأنه ينبغى أن يكتب بأحسن خط وأبينه على أحسن ورق وأبيضه بأفخم قلم وأبرق مداد، وتفرج السطور وتضخم الحروف ويضخم المصحف، وصرحوا أيضاً بأن الشخص إذا أمسك المصحف فى بيته ولا يقرأ ونوى به الخير والبركة، لا يأثم بل، يرجى له الثواب فتداول هذا المصحف بالصفة التى وجد عليها بين المسلمين بنحو بيع وشراء وقراءة منه متى أمكنت ولم يكن فيه تغيير ولا تبديل، غير ممنوع شرعاً، وإن كان تصغير حجمه على وجه ماسبق مكروهاً تنزيهاً والله تعالى أعلم.

■ السؤال من السيد / عبدالله محمد حامد :

ماحكم الإسلام فيمن يقدم مسابقات دينية على شكل كلمات يطلب استكمال أحرفها :

ويكون السؤال على النحو التالى : (آية من

سورة طه مكونة من أربع كلمات عبارة عن ١٢ حرفا، ثم يقول : الحرف الأول والثالث كذا والرابع والخامس كذا.. فيكون حل المسابقة فى النهاية (رب اشرح لى صدرى).

فهل يصح أن تكون الآيات القرآنية محوراً لمثل هذه الأغراض؟

وبخاصة وقد تعرضت الآية للتحوير، حيث نص الآية (قال رب اشرح لى صدرى) نرجو الإفادة؟

●● **الجواب :**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم – وبعد :

فنفيد بأنه لايجوز مثل هذا العمل لما فيه من اتخاذ القرآن الكريم وسيلة للهو واللعب، ولما فيه أيضاً من الإخلال بما يجب له من كمال التعظيم ونهاية الإجلال، فضلا عما فيه مما جاء فى السؤال، ولأن فتح هذا الباب لمثل هؤلاء الناس يؤدى إلى مفاسد كبيرة يجب لمنع حصولها درء كل ما يفضى إليها. واللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

■ **السؤال من السيد / سيد أحمد محمود ـ الجيزة :**

يوجد عندنا جامع بدون إمام ولا مقرىء. فهل يجوز سماع القرآن والخطبة من الراديو، ثم نصلى بعد الخطبة؟

●● **الجواب :**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم – وبعد :

فنفيد بأنه ورد فى الحديث كما رواه البخارى، أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال : (صلوا كما رأيتمونى أصلى) ولم يصل عليه السلام الجمعة إلا فى جماعة، وكان يخطب خطبتين يجلس بينهما كما رواه البخارى، ومسلم، ولذا انعقد الإجماع على أنها لاتصح إلا بجماعة يؤمهم أحدهم كما ذكره الإمام النووى فى «المجموع».

وقال ابن قدامة فى «المغنى» : إن الخطبة شرط فى الجمعة لاتصح بدونها، وانعقد إجماع الأئمة الأربعة على ذلك وعلى هذا لاتصح صلاة الجمعة فى هذه القرية المسئول عنها بدون إمام ولا خطبة، ولا يكفى فى ذلك سماع الخطبة، وحركات الإمام من المذياع واللَّه أعلم.

■ **السؤال من السيدة / ا.م.ع..**

تقول : أنا مريضة بمرض لا أستطيع معه الصوم فى شهر رمضان، علما بأن سنى فوق الستين، فما الحكم؟

●● **الجواب :**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول اللَّه وآله أجمعين.. وبعد :

فنفيد بأن الجمهور يرى أن كبير السن والمريض الذى لايرجى برؤه يجوز له الإفطار، ويكفر عن كل يوم بإطعام أكلتين، وتقدران بأربعة جنيهات، ويرى الإمام مالك أن من عجز عن صوم رمضان وعن القضاء سقط عنه القضاء والكفارة، ويفتي برأى الإمام مالك للفقراء وبرأى الجمهور للأغنياء.

■ **السؤال من السيد / ح.ع.ج ـ الإسكندرية :**

مرض والدى فترة لم يستطع فيها الصوم فأفطر شهر رمضان لمدة عامين، وتوفى إلى رحمة الله قبل أن يتمكن من القضاء، فهل يمكن أن أصوم عنه هذين الشهرين؟ وهل يلزم أن تكون الأيام متصلة؟

●● **الجواب :**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الكريم وآله وبعد نفيد بأنه :

يجوز ذلك عند الإمام أحمد خلافا للجمهور، ولايشترط الترتيب فى القضاء.

عن النبى - صلى الله عليه وسلم - رداً على الخثعمية فى قولها: إن أختى ماتت وعليها صيام شهرين متتابعين قال: «أرأيت لو كان على أختك دين أكنت تقضينه؟».. قالت. بلى قال : «فحق اللّه أحق»[1].

■ **السؤال من / ع.ب.د..**

أنا فتاة فى السادسة عشرة من عمرى، منذ فترة وجدت بعض الإفرازات البيضاء وبعض السوائل تخرج منى بصفة دائمة وبدون إحساس منى بأية رغبة، فهل هذه الإفرازات تنقض الوضوء؟

●● **الجواب :**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله أجمعين وبعد :

فنفيد بأن هذه الإفرازات إن كانت غير مستديمة أفسدت الوضوء، وعليها تجديد الوضوء فأما إن كانت مستديمة لايخلو وقت من نزولها فإنها تصير من ذوات الأعذار، وتتوضأ لكل وقت بعد دخوله وضوءاً تصلى به الفرض فقط، وما تشاء من النوافل، أما النجاسة فيجب التطهر منها عند الجمهور قَلَّت أو كَثُرت، وقال الحنفية : يعفى عن مقدار مقعر الكف[2].

■ **السؤال من السيد / حسين أحمد السيد**

١ ـ هل أكل لحم القرود حلال أم حرام؟ وما حكم استعمال جلودها؟

٢ ـ هل قتل النمور حرام أم حلال؟ وماحكم استعمال جلودها والاتجار فيها وأكل لحومها؟

●● **الجواب :**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فنفيد بأنه لايحل أكل لحق القرود والنمور وكل حيوان مفترس، أما جلود القرود والنمور فإنها تطهر بالدباغ، ومثلها كل ميتة أو حيوان لايؤكل يطهر جلده بالدباغ ويحل الانتفاع به وبيعه إلا جلد الكلب والخنزير فإنهما لايطهران أبداً.. والله ـ تعالى ـ أعلم.

---

(١) الحديث من سنن ابن ماجه، كتاب الصيام، باب من مات وعليه صيام من نذر/ حديث رقم١٧٥٨.

(٢) مقعر الكف : دائرة قطرها نحو ٣ سم.

من أكبر الدعاة في هذا العصر

أبو الحسن الندوي

٣

للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي

عاد الأستاذ الداعية من رحلاته المتتابعة لا ليكتفي بانطباعه الخاص، بل ليسجّل ما رأى ويسمع، والتسجيل لديه لا يعني وصف ما شاهده فحسب، بل لابدّ أن يعرض الداء ثم يكتب الدواء، واطلاع الأستاذ الكبير على روعةِ الماضي، وفداحة الحاضر؛ هذا الاطلاع الشاسع الممتد في آفاق التاريخ الإسلامي في شتى ربوعه ماضياً، وهذه النظرات المتأملة الممتدة في آفاق العالم الإسلامي حاضرا، حملت الكاتب على السرعة في العلاج وعلى النظر الباهر للماضي والحاضر ليصير علاج المريض الهامد الذي كان بالأمس عملاقا يتوثب نافعا مصيبا، وللأستاذ خيال رائع يقرب به الحقيقة، التي يريد أن يتحدث عنها، فليس خياله الأدبي تهويمات طائرة في الفضاء كما نرى لدى بعض من يرسمون الصور الباهتة دون أن تلفتَ الأنظار إلى ما وراء الصورة من الحقيقة، وقد قال النُقّاد وأكثروا من القول: بأنّ وظيفة الخيال تقريب الحقيقة، وتدعيمها وتأكيدها، وليست وظيفة الخيال الشطح البعيد عن الحقائق، والإغراق في تصوّراتِ تضل ولا تهدي! لقد أرادَ الداعية الكبير أن يتحدّثَ بعد رحلاتِه المتتابعة عن المسلمين بيْنَ الأمس واليوم، فكتب مقالا[١] هو مِنْ أنفس ما قيل في موضوعه، كتبه تحت عنوان: (بين الصورة والحقيقة) وهو جدير أن يُدَرَّس على الطلاب في جميع المعاهد والكليات نظراً لمغزاه الدقيق.

فـقـد جـعَل الأسـتـاذ الصورّة البـعـيـدةَ عن الحقيقة مثَل الثمار المصنوعة من الخزف تـتراءىَ للنّاظر كأنها تُفّاح أو رمان أو عنب أو موْز أو بُرتقال في لونها وشكلها، ولكنْ أينَ الصورة من الحقيقة؟ وأيْن طعم الثمار ورائحتها؟ إنها ليستْ إلا للزينة أو المثال، لأنّ الصورة لا

(١) مجلة المسلمون - العدد الثامن من السنة الثالثة ص٤٣ ومابعدها

تستطيع أن تسدّ مكان الحقيقة وتنوبَ عنها، ولا تمثّل دورها، فإذا وقع صراع بينهما انهارت الصورة إذ لا تتحمل عبء الحقيقة، إنّ صورةَ إسلامنا اليوم وصورة كلمتنا لا تقدران أن تتغلبا على عاداتنا الحقيرة، وتقهر شهواتنا، إنّنا نتلفظ بكلمة الشهادة والتوحيد، ومنّا مَن يعرف ما يقول، ولكّن الصورة شئ والحقيقة شئ آخر، إنّ أصحاب النبى - ﷺ - كانوا على حقيقة هذه الشهادة فإذا قالوا: لا إله إلا الله اعتقدوا أنّه لا إله غيره ولا ربّ سواه، ولا نافعَ ولا ضار إلا هو، أما نحن فنقولها ونْغفل معناها حيَن نرجو الخير من الأعداء، ونترك إله الكون الوهّاب، إنّ أكبر انقلابٍ وقع فى تاريخ هذه الأمة هو أن الصورةَ احتّلتْ مكان الحقيقة، واستولت على حياة الأمَة من عهْد بعيد من التاريخ، والّذين كانواَ يروْن الصورة من بعيد يعتقدون أنّها الحقيقة، ولذلك يذعرون ويشفقون من قربها، لقد حَرَسَ الإسلام المسلمين بالصورة مدةً طويلة، فلم يجترئْ عليهم أحد، ثم تجّرأ التتار عليهم فى بغداد وماوليها، فانهارت الصورة، وأصبحت عاجزة عن أن تدفع المكروه، وكلّ ما نقرأ فى تاريخ الإسلام من أخبار انكسار المسلمين وهزيمتهم فى ميادين القتال، هو أثر انخذالِ الصورة وفَضَيحتها لا غير، لقد فضحْتنا الصورةَ فى كّل معركة أو اصطدام، والذنب ذنبنا لأننا حمَّلنا عبءَ الحقيقة على الصورة فجاء الخذلان!

هذا المقال النارى (وأرجو الاّ أكونَ أخفقت فى تلخيص نقاطه الهادفة) يرسم وجوهَ الإصلاح إذا أرْدنا أن نسير فى الطريق الصحيح، وقد كررّ الأستاذ الكبير معناه الرائع فى أبواب شتئ من تآليفه، لأنه يعتقد أن بدء البرء العاجل أن نعْرف مكامنَ الداء القاتل، وها هو ذاَ قد عرف موضع الداء ووصف الدواء..

ولكنْ كيف السبيل إلى النّهوض من هذه الكبوات المتلاحقة، لقد فكّر الأستاذ فى رجالِ اليوم وفى بعض شبابه، فوجَد التربية المدرسِية والإعلانّية فى أكثر بلاد الإسلام قد ضلّتْ سواء السبيل، إذ خَضعت أجهزة التعليم إلى النظام الأوروبىّ، فأحدثتْ فجوات هائلة بين عقيدة الطالب المسلم، وما تُوحى به المقرّرات المستوردة من انفصام عن مبادئ هذه العقيدة، والعلاج الصحيح فى خطواته الأولى أن نبدأ بالنظر فِى أساليب التربية المتخذَة دستوراً راسخاً لا تتخطّاه بعض هذه الدولَ، ثم ننظر فى تربية النشء وفق مقررات هادفة تعرف طريقها الصحيح، بدَل الكتب المترجمة، وأشباه المترجمة، مما يُضلّ النْشءَ عن حقيقة تاريخهم المجيد، ودينهم الرشيد، لقد ألقى الأستاذ أبوالحسن محاضرةً هادفة فى مهرجان « ندوة العلماء » المنعقد بتاريخ ٢٦/١٠/٩٥ هجرية تحت عنوان: (أهميّة نظام التربية والتعليم فى الأقطار الإسلامية) وكلمة الأقطار الإسلامية لا يتلفت إليها إلا أمثال أبى الحسن الندوى ممن يحسّون أنّ العالم الإسلامى وطنٌ واحد، فقد رأيْنا من أشياعِ أوروبا، مَنْ يجزّءون الوطن الواحد إلى عدّة مناطق، مدّعين أنّ كل منطقة لها بيئتها الخاصة، التّى تُحتّم أن يقدَّم لها مقرّرٌ خاصّ يختلف عن مقررات جاراتها، ومراعاة البيئة وظروفها المحلية قد تكون نافعة فى علوم الزراعة والتجارة والاقتصاد! ولكْن كيف يختلف المقررّ فى مناهج التاريخ واللّغة والدين تحتَ ستارٍ مموه كاذب مفضوح، لقد التفتَ الأستاذ إلى خَطر التّجزئة حين تحدّث عن أساليب التربية بالأقطار الإسلامية بعاّمة، فذكر أول ماذكر إنّ كثيراً من التربويّين فى

هذه البلاد يُحَكِّمونَ في مناهجهم التعليمية، ومؤسّساتهم التربوية نفراً من الإخصائيين والمستشارين من البلاد الأوروبية، ثم هم يرسلون البعثات من أبنائهم ليرجِع الطّلاب ملزمينَ بما رأوْه من المناهج هناك، وكأنها قرآن منزل! فكانت النتيجة وجودَ طبقة مضطربة العقائد والسير والأخلاق، وهي في أحسن أحوالها مذبذبةٌ بين البكرة الغربية والفكرة الإسلامية، وفي كثير من الأحيان تنْسلخ عمّا يدَين به مجتمعها الإسلامي كلّ الانسلاخ، إن التربية في أمّة من الأمم ليستْ بضاعة تصدّر إلي الخارج أو تُستورد إلى الداخل كالمصنوعات والموادّ الخام والمخترعات التي لا تخص بلداً دون بلد، وإنما هي لباس يفصّل على قامة الشعوب، وملامحها القومية، وتقاليدها الموروثة، والتربية في صحيحها وسيلة راقية مهذّبة لدعم العقيدة التي يؤمن بها شعبٌ أو بلد، وتغذيتها بالاقتناعِ الفكرى القائم على الثقة والاعتزاز.

وقد دارت مناقشات الندوة حول كلمة الأستاذ، ولاقْت من القبول التام ما جَعلَها موضع التنفيذ المباشر لدي من يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أما رعاية النشء فذات عبءٍ خاص يجب أن ينهض به كلٌّ من يستطيع المشاركة في تحمّله، وقد بدأ الأستاذ بتأليف سلسلة كُتبٍ خاصّة بالأطفال، ثم بمنْ يعلوهم من تلاميذ المدارس متوسطة وثانويةَ، وتأليف الكتب للأطفال شاقّ عسير، لأنّه يتطلب مراعاة العقول الغضة واختيار ما يناسبها تعبيراً وتفكيرا وتوجيها، وقد اقتحم هذا الباب نفر من مقلّدة الغرْب، فكتبوا للأطفال سلاسَل الرّعب والفزع، وملئوا كتبهم بأساطير المردة والشياطين، وفيهم مَن حَاول أن يقتْطع قصصاً من إلياذه هوميروس لتكون غذاء الأطفال في الشّرق الإسلامي، ويعد ذلك سبقا حضاريا لا مثيل له، هذا الغثَاء المتراكم في كلّ مكان قد دَفَعَ الأستاذ أبا الحسن إلى أن يكتَب للطفل كما يكتب للشاب وكما يكتب للرجل، لأنه جنديّ كان مَن قَدَره المحتوم أن يحارب في شتّى الجبهات، وقد أصَدر سلسلةَ (قصص النبيين للأطفال) في خمسة أجزاء جَعَلها -على صغرها في الحجم- ميداناً لغرس الفضائل الخُلقية، بل لغرس العقيدة الإسلامية الصحيحة بحيث تُغْني عن بعض ما يُسّمى بدروس التوحيد.

فإذا تركنا مرحلة الطفولة إلى ما يليها من مرحلة الصبّا، فإننا نجد السيد أبا الحسن لا يغفل عن توجيه الناشئة في هذ السن الغضة، فقد كتب سلسلة كتب تحت عنوان (القراءة الراشدة) من ثلاثة أجزاء، فاختاَر من الموضوعات ما يهدف إلى بناء الكيان الإسلامي الصحيح، ومن التعبيرات ما يصلح أن يكون زاداً للقارئ المتطّلع، يحفظه ويحرص عليه ليكونَ مدداً له في التعبير الصحيح، أما قواعد اللّغة من نحو وصرف وبلاغة فقد كَلّفَ بعضَ الأساتذة بالتأليف فيها، ورَسم الخطّة في التيسير، وقام بمراجعة هذه المؤلفات قبَل أن يتداولها الطلاب! لقد كانَ الإمام محمد عبده يرىَ بعد إخفاق الثورة العرابية في مصر أن تكونَ التّربية الإسلامية وسيلة لإعداد جيلٍ ناشئ ينهض بمكافحة المستعمر الغاصب، كما يفهم أصول دينه على وجهها الصحيح، نادَى الإمام محمد عبده بذلك، ودعَا المؤلفين، إلى إعداد الغذاء الروحى الكفيل بتربية الشبيبة

المسلمة، وقد انتظر الأستاذ الإمام طويلاً حتى نهض نفر من المخلصين فى تنفيذ خطته، وكانَ السيد أبوالحسن الندوّى فى طليعة مَن قاموا بهذا العبء عن كفاءةٍ تامة، ضَربت المثل لكثير من تابعيه فجعلوا يقتفون أثره مغتبطين، وقد كان مما يشغل الأستاذ أبا الحسن غذاء الشبيبة من الأدب العربى فقد نظر إلي السائد المشتهر من هذا الغذاء فى مختارات المدارس والجامعات فوجَده يقف عند حدود الأدب الصناعى، إذ احتّل الميدان أمثال: ابن العميد والصابىء الصاحب والهمذانى والحريرى والقاضى الفاضل، وأدب هؤلاء أدب صنعة - فى أكثره - واقتصار الشباب على مطالعة هؤلاء يعتبر إجحافاً بالأدب العربى فى أفقه الفسيح، لذلك كانت رياسته المباركة لرابطة الأدب الإسلامى العالمى توجيها جديدا لمفهوم الأدب الإسلامى بعامة، والأدب العربى بخاصة، وقد لاقَت الرّابطة فى ضوء توجيهاته السديدة منَ الترحيب والقبول فى العالم الإسلامى جميعه ما عَقد عليها أكبَر الآمال، فبدأت تؤتى أكلها -بإذن اللّه- وقد افتتح أبوالحسن كتابه (نظرات فى الأدب) بكلمة ممتازة تحت عنوان: (نظرة جديدة إلى التراث العربى) بدأها بالإشارة إلى المحنة القاسية التى أصيب بها الأدب العربى حين تسّلط عليه من سّماهم بأصحاب التصنع والتكلف، الذين اتخّذوا الأدب حرفة وصناعة ليصلوا به إلي أغراض شخصية محضة، فحجب هذا الأدب فيضا من الأدب الطبيعى الذى يملأ صحف المكتبة العربية، وقد جاء فى بحث دينى أو كتاب علمى أو موضوع فلسفى جاء فى كُتب السيرة المطهرة، وفى نصوص الحديث النبوى الشريف، وفيما تركه أمثال أبى حامد الغزالى، وأبى الفرج الجوزى، وأبى حيان التوحيدى، وابن حزم، وابن القيم، وأصحاب الرحلات الجغرافية الذّين وصَفوا الأماكن المشاهدة وصف استقصاءٍ وشمول، وأصحاب التراجم والطبقات منْ أمثال: الخطيب البغدادى، وابنِ عساكر، وياقوت، وابن خلكّان، مّؤكداً أن وصفَ الشخصية أو ترجمة الذّات ليستَا من السهولة بحيث يستطيعهما الجميع، ولكن العالم الدقيق، والأديب الحسّاس هما اللذان يقومان بهما على أحسنِ وجهٍ يتاح! وقد باشَر أبوالحسن فيضاً من هذه التَراجم فى مؤلفاته البارعة، فتحدّث عن رجال الفكر والدعوة فى الإسلام فى أجزاء أربعة تعتبر موسوعة أدبية حافلة، ومن خصائص المؤلف أنه يفَطن إلى مَضمون كلماتٍ قد يمّر بها القارئ مراًّ عابرا، ولكنّها تحتمل منَ المعانى ما يفتح الله به عليه، فيمّد قارئه بفيضٍ من الخواطر يعجب كيفَ أدركَه هذا الباحثُ الحسّاس، وقد قرأت ترجماتٍ لبعض من خصّهم أبوالحسن بالحديث، عند من كَتبوا عنهم سواه، فوجدت الفَرق ملموساً بين ترجمةٍ وترجمة، فمنَ التراجم ما يكون (ملفاً فى إدارة حكوميَة) يقدّم المعلومات وكأنّها إحصاء «حسابى» يعتمد على التواريخ والأرقام فحسب، ولكنّ تراجم أبى الحسن ذات نبض حىّ جذاب حتى ليصلح بعضها أن يكونَ شعرا منثورا، ومرجع ذلك لاعتماده على إحساسه الحىّ، واختياره مَن يتّفقون مع مشاعره الدينيّة، وأهوائه الإسلامية ممّن صَدقوا اللّه فاجتْباهم بفضله، وأذكر أن أبا الحسن جعَل الصّدق أساساً للتعبير الجيد، فهو باعث الحرارة والنشّاط

كما التفت إلى مقاييس أخرى ليس من طبيعة هذا البحث أن يستقصيها ولكنّى انْتهى من هذه النقطة البارزة فى اتجّاه الباحث الكبير لأقول: إنه فتح الأبصار على كنوز مطمورة تراكم عليها الصخر بثقله الضاغط، ونَسيها الوارثون من أهلها، بل ربّما عدوا كنوزها مزيّفة مزورة لا تصلح للتداول فى أسواق الأدب والعلم، فانبرى الأستاذ الكبير ليحفظ لهذه الكنوز حرمتها، وليفسح لها الطريق كى تطمئن فى مستقرها المريح!

قلت: إن أبا الحسن قد يفطن إلى مضمون كلمة يمّر بها القارئ مروراً عابرا فلا يهَتدى إلى أبعادها الشاسعة وأغوارها العميقة. وأضرب المثل بوقوفه عند كلمة واحدة جاءتْ فى حديث البطل (ربعى بن عامر) حينَ واجَه قائد الفُرْس رستم فسأله القائد: ما جاَء بكم؟ فقال ربعّى على البديهة: جئنا لنخُرجَ مَن شاء من عبادة العباد إلي عبادة اللّه، ومن ضيق الدّنيا إلى سعتِها» فقد وقفَ عند كلمَة «ضيق الدنيا» وقفه ما أظن أحداً وقفها من قبل، فقالَ فيما قالَ محلّلا قولة ربْعى: «إني لأتساءل، ماهو الضيّق الذّى كان فيه الفُرس؟ وماهي السعة التي كان فيها العرب؟ لقد قرر التاريخ وأجمَع المؤرخون على أنَ الفرسَ والروم كانوا يعيشون فى رغد من العيش، ويتقلبون فى أعطاف النعيم، لقد اتسّعتْ لهم الدنيا ولانت لهم الحياة! أما العرب فيعيشون فى شظف، والمدنيَة لم تنعقد أمامهم بعد، فأين هى السعَة؟ إن ربعّى بن عامر كان ينظر إلى هؤلاء الملوك والأمراء، كما ينظر العاقل إلى دمىً قد كسيت ملابس فاخرة جميلة، وإلى تماثيلَ قد أحكمت صياغتها، وتأنّق صانعوها فى تصوير قسماتها وملامحها، ولكنّها تماثيل من حجر أو جبْس لا حياة فيها ولا حراك بها! وكانَ ربعى - كبقية المسلمين - يتمتع بالحرية التى عرفه بها الإسلام فنقله من دنيا ضيقة محدودة خائفة، دنيا المعدة والمادة، ودنيا الشهوات والأغراضِ، ودنيا الاستعباد إلى دنيْا القلب والروح، والإيثار والمساواة، والعدل والرحمة، وتلك هى السّعة!

هذه سطور تنبئ عن صفحات أبدعَ الكاتب بها فى تحليل كلمة «الضيق» وكلها معجب رائق، فهل يصل أحد إلى استبطان هذه المعانى الدافقة من لفِظ واحد غير ملهم بصير.

لقد طوّفت فى حديثى عن أبى الحسن ونسيت أنْ أذكر فى مجال السيرة الذاتية، أنه انتخب أمينا عاما لندوة العلماء بعد وفاة أخيه الأكبر الدكتور عبدالعلى الحسينى سنة ١٣٨٠هـ، وأنّه أخْتير عضواً مراسلا فى المجمع العربى بدمشق سنة ١٣٧٥هـ وأنه دعى لإلقاء محاضرات كأستاذ زائر فى جامعة دمشق سنة ١٣٧٥هـ، واختير عضوا فى المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى فى مكة المكرمة سنة ١٣٨٠هـ وعضوا فى المجلس الاستشارى الأعلي للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وانتخب رئيساً لهيئة التعليم الدينى فى الولاية الشمالية فى الهند سنة ١٣٧٧هـ وهوَ بعد ذَلك إمام العصر، ورائد الإصلاح الدينّى والأدبى فى وطنه الإسلامى الكبير، ولا أقول ذلك دون دليل، فمؤلفّاته ساطعة،. ومواقفه ناصعة، وألسنة القلوب تهتف بذكره فى كل مكان ترفرف عليه راية الإسلام - ولما عِند الله أوفى وأجْزل.

أمهات الكتب العلمية في التراث الإسلامي

التصريف

9

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

الجزء الثاني

اكتشافات ومخترعات طبية

(أ) العلاج بالكيّ :

أفرد الزهراوى فى كتابه : « التصريف » باباً للكَيّ جعله فى ستة وخمسين فصلاً تضمنت الكثير من المعلومات الطبية التى لا تزال تحتفظ بأهميتها التاريخية، فضلاً عن قيمتها العلمية .

على سبيل المثال، يتناول فى الفصل الثامن والعشرين حالة « خُرّاج الكبد »، فيصف لفتحه آلة معينة تتكون -ليس فقط من المكواة المصممة على شكل خاص، وإنما أيضاً الأنبوبة الخاصة بها، وبهذا يجمع الزهراوى فى تصميم هذه الآلة صفات الكيّ، والبطّ، وتفريغ الصديد، فيقول : « إذا عرض فى الكبد خراج وأردت أن تعلم إن كان ذلك الورم فى لحم الكبد أو فى صفاقه، فإنه إن كان فى لحم الكبد فإنه يجد العليلُ ثقلاً ووجعاً بغير حدة، وإن كان فى صفاق الكبد كان مع الوجع حدة شديدة ورأيت أنه قد أعيا الأطباء علاجه، فينبغى أن يستلقى العليل على قفاه ثم تُعلّم على الموضع الوارم بالمداد ثم تحمى المكواة فى النار، وهى المكواة التى تشبه الميل (وهذه صورتها) وتكويه بها كيّة واحدة حتى تحرق الجلد كله وتنتهى بالكى إلى الصفاق وحتى تخرج المدّة كلها ثم تعالجه بعلاج الخراجات حتى يبرأ، وهذا النوع من الكى لا ينبغى أن يستعمله إلا من طالت دربته فى صناعة الطب وجرت على يده هذه الأمراض بالتجربة مراراً فحينئذ يقدم على هذا العمل، وتركه عندى أفضل » .

ويقرر أحد الجراحين المعاصرين أنه لم يحدث أى تقدم حقيقى على طريقة العلاج هذه فى

حالات خراج الكبد حتى بداية القرن العشرين، إلى أن جاء روجرز (عام ١٩١٢) و«ديبكى» (عام ١٩٥١م) اللذين أرسيا قواعد العلاج المتبعة حالياً[١].

وفى الفصل السادس والخمسين يحدثنا الزهراوى عن كيّ النزف الحادث عن قطع الشريان فيقول:

«كثيراً ما يحدث نزف الدم من شريان قد انقطع عند جرح يعرض من خارج أو عند شق ورم أو كيّ عضو ونحو ذلك، فيعسر قطعه، فإذا حدث لأحد ذلك فأسرع بيدك إلى فم الشريان فضع عليه إصبعك السبابة وشده نعماً حتى يحصر الدم تحت إصبعك ولا يخرج منه شيء ثم تضع فى النار مكاوى زيتونية، صغاراً وكباراً، فتنفخ عليها حتى تصير حامية، ثم تأخذ منها واحدة، إما صغيرة وإما كبيرة، على حسب الجرح والموضع الذى انفتق فيه الشريان، فتنزل المكواة على نفس العرق بعد أن تنزع إصبعك بالعجلة وتمسك المكواة حتى ينقطع الدم، فإن اندفع عند رفعك الإصبع من فم الشريان وطفأ المكواة فخذ مكواة أخرى بالعجلة من المكاوى التى فى النار المعدة، ولا تزال تفعل ذلك واحدة بعد أخرى حتى ينقطع الدم وتحفّظ ألا تحرق عصباً يكون هناك فتحدث على العليل بليّة أخرى، واعلم أن الشريان إذا نزف منه الدم فإنه لا يستطاع قطعه، ولا سيما إذا كان الشريان عظيماً، إلا بأخذ أربعة أوجه: إما بالكى كما قلنا، وإما ببتره إذا لم يكن قد انبتر، فإنه إذا بتر تقلصت طرفاه وانقطع الدم، وإما أن يربط بالخيوط ربطاً وثيقاً، وإما أن توضع عليه الأدوية التى من شأنها قطع الدم والشدّ بالرفائد شدًا محكماً.

ويورد الزهراوى فى هذا الفصل ربط الأوعية كأحد الطرق لوقف النزيف لأول مرة فى تاريخ الطب، ويقرر «هارفى» فى عام ١٩٢٩، أن من أهم أسباب شهرة الجراح الفرنسى الشهير «أمبروز بارى» فى القرن السادس عشر الميلادى هو استخدامه لربط الأوعية الدموية لوقف النزيف بدلاً من الكيّ فى حالات البتر، وبالإضافة إلى ذلك فإن الزهراوى يثبت لنا فى كتاب «التصريف» أنه كان على دراية عميقة بفسيولوجية الشرايين لأن القطع الجزئى يستمر منه النزيف، أما القطع الكامل فقد يقف معه النزيف تلقائياً[٢].

(ب) من فنون الجراحة:

كان الزهراوى جراحاً شاملاً، وما زالت إسهاماته فى ميادين الجراحة المختلفة واضحة جلية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ الجراحة العامة: حيث نجد فى الفصل الأربعين من الجزء الثلاثين من كتاب «التصريف» وصفاً تفصيلياً لجراحة الأورام بالشق والبط، وفى

---

(١) راجع: د. أحمد مختار منصور، مجلة معهد المخطوطات العربية، الكويت ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٢) المرجع السابق. راجع أيضاً:

Harvey S.C., The History of Haemostatis, Ann, Med, His,1929. -

- Leclerc,l., La chirurgie d'Albucasis, paris, 1961.

هذا الفصل يتحدث أساساً عن الأورام الالتهابية ويرسى مبادىء مهمة ما تزال تتبع لطلبة الطب حتى اليوم، ومن هذه المبادىء البط المبكر للخراج الحادث قرب المقعدة، وأن يكون البط فى أسفل موضع من الورم إن أمكن «ليكون أسهل لسيلان المدة إلى أسفل، أو فى أرقّ موضع من الورم وأشده نتوءاً، وأن تستخدم الفتيلة بحسب حجم الجرح، «فإن كان جرح الورم صغيراً أو كان الشق واحداً بسيطاً فاستعمل الفتل من الكتان أو القطن البالى، وإن كان الورم عظيماً وكانت شقوق البط كثيرة فينبغى أن تدخل فى كل شق فتيلة حتى يصل بعضها إلى بعض».

وفى الفصل الواحد والأربعين من الجزء الثلاثين فى الشق على الأورام التى تعرض فى جلدة الرأس يميز الزهراوى بين الكيس الدهنى cyst Sebaceous وبين الورم الشحمى Lipoma ويدرك أن كلا منهما يحيط به صفاق ويؤكد على أهمية استئصال الصفاق جميعه «فكثيراً ما يعود إذا بقى منه شىء».

وفى الفصل الثانى والخمسين يتناول الزهراوى علاج نتو السرة أو ما يسمى اليوم بالفتق السرى، فيبدأ أولاً بمناقشة التشخيص لحالات الفتق وأسبابها ثم يصف تفاصيل إجراء العملية قائلاً:

«يكون نتو السرة من أسباب كثيرة: إما من انشقاق الصفاق الذى على البطن فيخرج منه الثرب(*) أوالمعاء على ما يعرض فى سائر الفتوق، وإما من دم ينبعث من وريد أو شريان على ما تقدم، وإما من ريح تحتقن فيه، فإن كان من قبل انشقاق الصفاق وخروج الثرب، فإنه يكون لون الورم شبيهاً بلون الجسد، ويكون ليناً من غير وجع، ويظهر مختلف الوضع، وإن كان من قبل خروج المعاء فيكون وضعه مع ما وصفنا أشد اختلافا، فإذا كبسته بإصبعك يغيب ثم يرجع وربما كان معه قرقرة ويعظم كثيراً عند دخول الحمام والتعب الشديد، فإن كان من قبل الرطوبة، فإنه يكون ليناً لا يغيب إذا كبسته بيدك ولا يزيد ولا ينقص، فإن كان من قبل الدم، فإنه مع هذه العلامات يظهر الورم إلى السواد، فإذا كان من قبل لحم نابت، فيكون الورم جاسياً صلباً ويثبت على قدر واحد، فإن كان من قبل الريح، كان لمسه ليناً، والعمل فى ذلك أن تنظر: فإن كان نتو السرة من قبل دم الشريان، أو الوريد أو الرسخ، فينبغى أن تمتنع من علاجه، فإن فى ذلك خوفاً وغرراً، كما أعلمتك فى الباب الذى ذكرت فيه الأورام التى تحدث من قبل الشريان والوريد، فإن كان نتو السرة من قبل المعاء أو الثرب، فينبغى أن تأمر العليل بأن يمسك نفسه ويقف واقفاً ممتداً ثم تُعلّم بالمداد حول السّرة كلها ثم تأمره أن يستلقى بين يديك على ظهره، ثم تحز بمبضع عريض حول السرة على الموضع الذى علمت بالمداد، ثم تمد وسط الورم إلى فوق بصنارة كبيرة، ثم تربط موضع الحز بخيط قوى أو بوتر حرير ربطاً وثيقاً ويكون عقد الرباط أنشوطة،

(*) الثرب هو غشاء لحمى رقيق الجرم يغطى الأحشاء Omentum.

ثم تفتح وسط الورم المشدود فوق الرباط وتدخل فيه إصبعك السبابة وتطلب المعاء، فإن وجدته قد أخذه الرباط، فأرْخ الأنشوطة وادفع المعاء إلى داخل البطن، وإن وجدت ثرباً فمده بصنارة واقطع فضلته، فإن اعترضك شريان أو وريد، فاحزمه نعما وارجع إلى عملك وخذ إبرتين فأدخل فيهما خيطين قويين وتدخل الإبرتين فى الحز الذى صنعت حول الورم، مصلبتين قد أنفذتهما، ثم تشد الورم فى أربعة مواضع على الإبر....».

وهكذا يلاحظ أهل الاختصاص فى الجراحة العامة أن المبدأ الأساسى فى جراحة الفتق السرى لا يزال كما وصفه الزهراوى منذ عشرة قرون، وهو إرجاع محتويات الفتق إلى داخل تجويف البطن ثم رتق الفتق.. وما أضافه المحدثون يعتمد على التقدم الذى حدث فى نوعية الخيوط الجراحية وطرق التخدير والتعقيم.

٢ ـ جراحة التجميل : حيث نجد فى كتاب «التصريف» وصف الكثير من العمليات الجراحية التى أصبحت -مع شيء من التطوير والإضافة- جزءاً من الممارسة اليومية لهذا التخصص، مثال ذلك ما قدمه الزهراوى من وصف لأحد ضروب «تشمير العين» Blepharoplasty، وهى جراحة رأب الجفن لإزالة الحروف الزائدة على أهداب العين، والعلاج الجراحى للشترة Ectropin، وهى قصر أو انقلاب جفن العين، وقطع اللحم الزائد فى اللثة Epulis، وخياطة الأنف والشفة والأذن إذا تفرق اتصالها عن جرح أو نحو ذلك. وفى جميع هذه الحالات أرسى الزهراوى مبادىء مهمة لا تكاد تختلف عما يمارس اليوم.

٣ ـ جراحة الفم والأسنان : حيث تكلم الزهراوى عن حالات كثيرة، منها الأورام التى تحت اللسان، ويقول عنها: «قد يحدث تحت اللسان ورم شبيه بالضفدع الصغير تمنع اللسان عن فعله الطبيعى... وربما عظم حتى يملأ الفم، والعمل فيه أن يفتح العليل فمه بإزاء الشمس، وتنظر من الورم، فإن رأيته كمد اللون وأسود صلباً ولم يجد له العليل حسًّا فلا تعرض له فإنه سرطان، وإن كان مائلاً إلى البياض، فيه رطوبة، فألق فيه الصنارة وشقّه بمبضع لطيف من كل جهة، فإن غلبك الدم حين عملك، فضع عليه زاجاً مسحوقاً (كبريتات الحديد والنحاس وغيرهما Vitriol) حتى ينقطع الدم، ثم عد إلى عملك حتى تخرجه بكماله، ثم يتمضمض بالخل والملح، ثم تعالجه بسائر العلاج الموافقة لذلك حتى يبرأ إن شاء الله».

وقدم الزهراوى فى كتاب «التصريف» وصفاً تفصيلياً لعلاج أمراض أخرى تعرض فى الفم مثل تحرير اللسان المعقود وكيف يقطع الشكال الرابط له تحته حتى يعود طبيعياً، ويصف ما يتبع ذلك من دواء. ومثل إخراج الغقد التى تعرض فى الشفتين على هيئة أورام صغار يشبه بعضها حب الكُرسنَّة Karsinna Vetch (من الفصيلة القرنية) وبعضها أصغر، ويصف ذلك بأن «تقلب الشفة وتشق على كل عقدة وتعلقها بالصنارة وتقطعها من كل جهة، ثم تحشو الموضع بعد القطع بزاج مسحوق حتى ينقطع الدم، ثم يتمضمض بالخل، وتعالج الموضع بما فيه قبض إلى أن يبرأ الجرح إن شاء الله -تعالى-».

ويبدو الزهراوى بارعاً فى وصفه لعملية قلع الضرس، حيث يقول: « فإذا صحّ عندك الضرس الوجع بنفسه، فحينئذ ينبغى أن يشرط حول السن بمبضع فيه قوة حتى يحلّ اللثة من كل جهة، ثم تحركه بإصبعك، أو بالكلاليب اللطاف أولاً قليلاً حتى تزعزعه، ثم تمكّن حينئذ فيه الكلابتين الكبار تمكينا جيداً، ورأس العليل بين ركبتيك قد ثقفته يتحرك، ثم تجذب الضّرس على استقامته لئلا تكسره، فإن لم يخرج وإلا تتخذ أحد تلك الآلات، فأدخلها تحته من كل جهة برفق. ورُم تحريكه كما فعلت أولاً ». ولا يفوت الزهراوى أن يحذر من « أن تصنع ما يصنع جهال الكلاّبين فى جَسَرهم وإقدامهم على قلعه (أى الضرس) من غير أن يستعملوا ما وصفنا، وكثيراً ما يجلبون على الناس بلايا عظيمة، وأشرها أن ينكسر الضرس ويبقى أصولها كلها أو بعضها، وإما أن تقلعه ببعض عظام الفك ».

(جـ) الأدوات الطبية :

لا نجد قبل الزهراوى فى كتابه « التصريف » أى مؤلف طبى يحتوى على وصف دقيق لأجهزة طبية وأدوات جراحية ومواد كيميائية، جاء معظمها من ابتكار الزهراوى نفسه، ونذكر من أمثلتها:

الجفت : وهو آلة لاستخراج العظام المكسورة من الفك أو أحد عظام الفم.

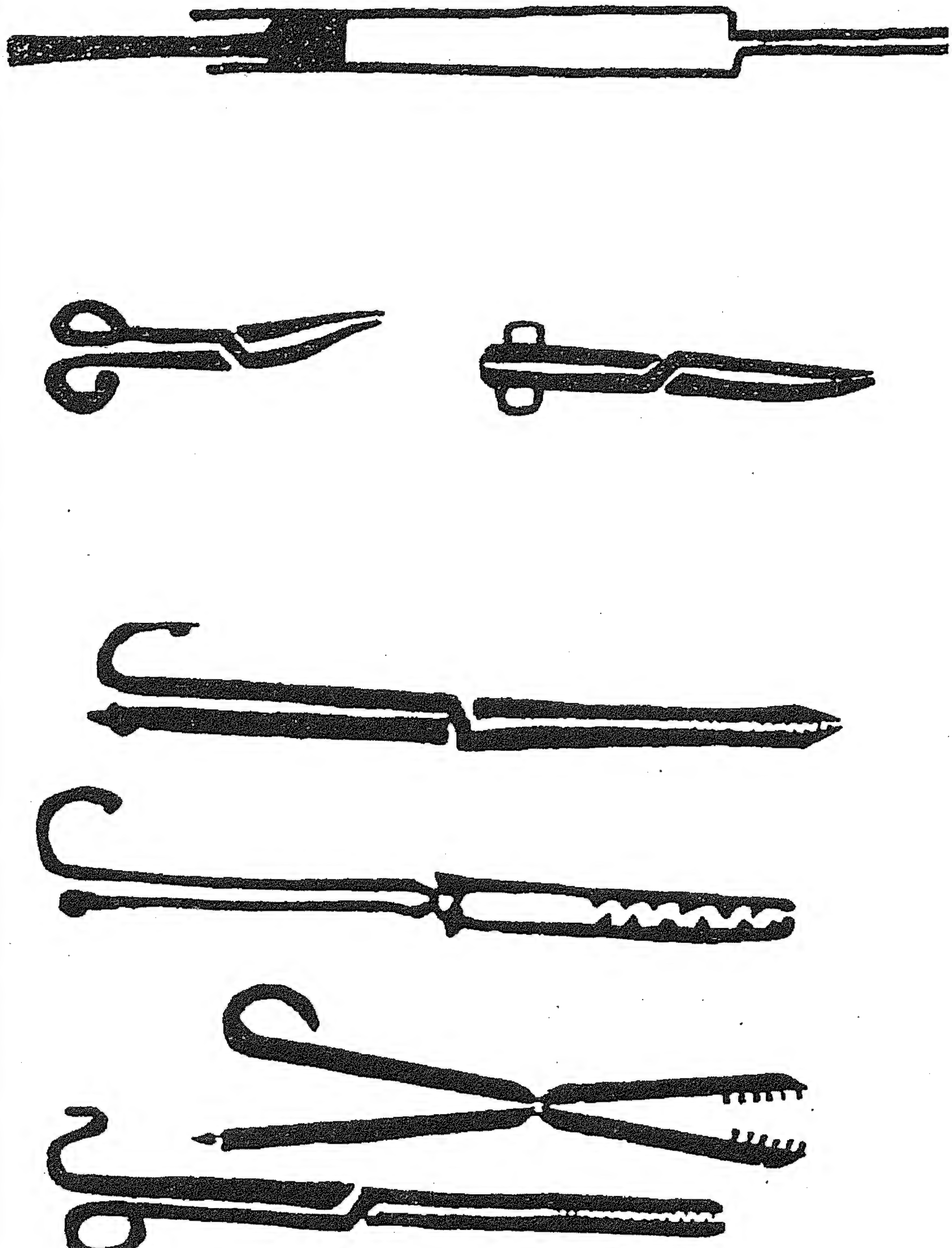
الضارة : فيها غلظ قليل لئلا تنكسر، وبها يجذب الجنين.

المقدح : وهو آلة كالمبضع، يستخدم فى قدح الماء النازل من العين.

المبضع : لشق الأورام والتجمعات الصديدية، وهو كالمشرط المدوّر إلا أن نصله مستدير.

ويكفى هنا أن نشير إلى آلة وصفها الزهراوى فى كتاب « التصريف »، واستخدمها لأول مرة فى تاريخ الطب فى عملية غسل المثانة، وأطلق عليها اسم « الزراقة »، ويقول عنها: « تصنع من فضة أو من عاج مجوفة لها أنبوبة طويلة على رقة الميل مجوفة كلها، إلا الطرف فإنه مصمت فيه ثلاث ثقب، اثنتان من جهة وواحدة من جهة أخرى كما ترى فى الشكل، والموضع الأجوف الذى فيه المدفع (أى المكبس) يكون على قدر ما يسدّه بلا مزيد حتى إذا جذبت به شيئاً من الرطوبات، انجذبت، وإذا دفعت به اندفعت إلى أبعد على ما تصنع النضاحة التى يرمى بها النفط فى حروب البحر، فإذا أردت طرح الرطوبات فى المثانة أدخلت طرف الزراقة فى الرطوبة وجذبت بالمدفع إلى فوق، فإن الرطوبة تنجذب فى جوف الزراقة، ثم تدخل طرفها فى الإحليل على حسب ما وصفنا فى القاثاطير، ثم تدفع الرطوبة بالمدفع، فإن تلك الرطوبة تصل إلى المثانة على المقام حتى يحس بها العليل ».

يتضح من هذا الوصف أن « الزراقة » هى الجيل الأول الذى تطور إلى « السرنجة » (أو المحقن) التى نستخدمها اليوم، بعد إضافة الإبرة، لإدخال الأدوية إلى الجسم. إن أهمية زراقة الزهراوى فى الممارسة الطبية لا تقل عن أهمية أى اختراع تقنى أو اكتشاف علمى مؤثر فى تطور الحضارة الإنسانية.



طرائف.. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حب النبي - ﷺ

من يدعى حب النبي ولم يفد
من هديه فسفاهة وهراء
الحب أول شرطه وفروضه
إن كان صدقا : طاعة ووفاء

الغنى عن الناس

قال رجل لابن عباس : أدع الله أن يغنينى عن الناس، فقال : إن حوائج الناس تتصل ببعضها كاتصال الأعضاء، فمتى يستغنى المرء عن بعض جوارحه؟! ولكن قل : اللهم اغننى عن شرار الناس.

ذكاء القاضى

قيل لإياس القاضى : لاعيب فيك إلا أنك تعجل فى القضاء من غير ترو فى الحكم، فرفع كفه، وقال : كم أصبعا؟ فقالوا : خمسة. قال : تعجلتم، هلا قلتم : واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة،؟ قالوا : لا نعد ما عرفناه فقال : فإنى لا أؤخر ما تبين لى الحكم فيه.

وصف الذل

قيل لأعرابية : ما الذل؟

فقالت : الذل هو وقوف الشريف بباب الدنيئ ثم لا يؤذن له.

قيل : وما الشرف؟

فقالت : عقد المنن على أعناق الرجال.

فى تفصيل «الشدة»

الجشع : شدة الحرص.

الخَفَر : شدة الحياء.

السُّعار : شدة الجوع.

الصدى : شدة العطش.

الشنف : شدة البغض.

الوَصَب : شدة الوجع.

الهلع : شدة الجزع.

اللدد : شدة الخصومة.

البث : شدة الحُزْن.
النصب : شدة التعب.
الحسرة : شدة الندامة.

من حســن الأدب

أن لا تغالب أحدا علي كلامه، وإذا سئل غيرك فلا تجب عنه، وإذا حدث بحديث فلا تنازعه إياه، ولا تقتحم عليه فيه، ولا تره أنك تعلمه، وإذا كلمت صاحبك فأخذته حجتك فحسن مخرج ذلك عليه، ولا تظهر الظفر به، وتعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام.

ما خاطبته إلا بما يستحق

كان الأستاذ عباس العقاد – رحمه الله – يعمل فى مقتبل حياته فى وظيفة كتابية، وكانت المكاتبات فى ذلك العهد تلتزم صيغا لا يقبلها الذوق العربى السليم، فإذا جاء موظف ولم يلزم هذه الصيغ أعيدت إليه المكاتبات، وطلب إليه تغييرها حتى تأخذ طريقها إلي الاعتماد، وكان يرأس العمل رجل فى وظيفة «باشكاتب» اشتهر في أنحاء القطر بالحزم والمهابة والدراية بأصول الإدارة وأساليب المكاتبات. وقد ضاق الأستاذ العقاد ذرعا به لأنه كان يعيد إليه ما يكتبه ليصوغه حسب الكليشيهات المعهودة، وكان الاستاذ العقاد يرى أنها أساليب غير مقبولة عربيا فاتجه يوما إلى مكتب «الباشكاتب» ومعه المكاتبات التى ردها إليه، فإذا به يجده فى مكتبه وحيدا ففاجأه الأستاذ العقاد بقوله: يا أيها الحمار الأزعر، أمثلك يصحح الكتابة العربية، وأنت لا تعرف منها غير الهجاء وكتابة العرضحالات، ولم يصدق الرجل أذنيه واستولى عليه أنه أمام مجنون يوشك أن يبطش به، ويعتدى على حياته فقفز من كرسيه خارج الحجرة يستغيث بالفراشين والموظفين المساعدين، واتجه إلى مكتب وكيل المديرية يشكو إليه، وكان رجلا مرحا فاستدعى الأستاذ العقاد، وسأله فأقسم أنه ما خاطبه إلا بما يستحق من الاحترام.

أخذت على ما أحسن

كان لإبراهيم بن طهمان جراية من بيت المال فاخرة، وكان يسخر بذلك، فسئل يوما في مجلس الخليفة، فقال: لا أدرى فقالوا: تأخذ فى كل يوم كذا وكذا ولا تحسن المسألة، فقال: إنما أخذت على ما أحسن، ولو أخذت على ما لا أحسن لفنى بيت المال ولا يفنى ما لا أدرى، فأعجب أمير المؤمنين جوابه، وأمر له بجائزة فاخرة، وزاد في جرايته.

دعـــاء

يا حى ياقيوم، ياعلى يا عظيم ياواحد أحد، يا فرد صمد، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. يا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تفتح لدعائنا باب القبول والإجابة، وأن ترزقنا صدق التوبة، وحسن الإنابة وأن تغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

الإعلام والأمية

دراسة في سبل ودعم المواجهة

للدكتور/ محمد عبد الحليم محمد (*)

لقد تعثر العمل الإسلامى وانتكس كثيرا بسبب غياب أو قصور الدراسات الفنية والمنهجية فى المجالات المختلفة للدارسين الإسلاميين، وأصبحت الحاجة ماسة إلى مزيد من الجهد فى مختلف ميادين البحث العلمى وخطط البناء الفكرى والاجتماعى اللازمة لقيام النهضة الإسلامية المنشودة.

وليس هناك شك فى أن حل مشكلة «الأمية» يأتى فى مقدمة المهام الصعبة التى تواجة الأمة فى العصر الحاضر؛ إذ لايمكن أن يكون هناك أى أمل فى إنماء حقيقى للأمة ما دام هناك أميون يفتقدون «التعليم الأساسى» وذلك لأنهم - ببساطة شديدة - يفتقدون القدرة على قراءة ما يتعلق بمهنهم وحرفهم ومصانعهم وآلاتهم من الإرشادات اللازمة، كما يعجزون - بصفة عامة - عن استيعاب ما يطرأ على المجتمع من تغيير.

فقد أصبح «التعليم الأساسى» لهذه الفئات من أهم الأسس التى تقوم عليها النهضة الصناعية الحديثة، ويشكل انعدامه عقبة كئود تعترض خطط الدولة من أجل التقدم والتنمية، الأمر الذى يجعل من هذه القضية: قضية حياة ومصير.

ومن ثم تأتى هذه «اللبنة» البحثية عن «مشكلة الأمية فى مصر، ودور الإعلام الإسلامى فى مكافحتها» دعما ومشاركة فى هذا الجهد البناء الذى تضطلع به «الدولة ممثلة فى الهيئة القومية لمحو الأمية» من أجل بناء الإنسان وتطوره وتقدم المجتمع وازدهاره.

مفهوم الأمية

الأمى فى اللغة : الذى لا يعرف القراءة والكتابة[1]

وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[2]

أميون أى: لا يكتبون ولا يقرأون، وأحدهم «أمى» : منسوب الى الأمة أو الأمية التى هى على أصل ولادات أمهاتها لم تتعلم الكتابة ولا القراءة، ومنه قوله عليه السلام : «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»[3].

والأمى : فى الاصطلاح : من لم تتح له فرصة التعليم من المنبع، أى فى الدراسة الإبتدائية، أى الذين لم تشملهم خطة التعليم الأساسى، فلم توجد لهم

(*) مدرس الصحافة والاعلام بجامعة المنصورة.

(١) المنجد فى اللغة والأعلام ـ دار المشرق ـ بيروت. ص١٧.

(٢) البقرة (٧٨).

(٣) تفسير القرطبى : ج ١ طبعة دار الريان للتراث ص ٤٠٠.

أمـاكن فى التـعليم الأولى، أو توفـرت لهـم الأمـاكن لكنهم تسربوا قبل هضم هذه المرحلة.

والأميون : هم أيضا هؤلاء الكبار الذين أبقوا على أميتهم مدة طويلة، فالأمية فئتان(٤).

الفئة الأولى : تقع فى المرحلة العمرية من ٨ – ١٥ عاماً.

الفئة الثانية : تقع بين المرحلة العمرية من ١٥ – ٦٠ عاما فأكثر.

وهؤلاء جميعا يحتاجون إلى عملية مسح شاملة حسب بيئتهم الزراعية أو الصناعية أو التجارية أو الصحراوية ومواقع تجمعاتهم والأوقات المناسبة لتعليمهم بشكل يتمشى مع ما يقومون به من أعمال، ويتفق مع مراحلهم العمرية.

المفهوم الشامل لمحو الأمية

ويجب أن تستمد الكتب المؤلفة والمستخدمة – فى هذا الميدان – مادتها وطريقتها من إطار محو الأمية بمفهومه الشامل المتكامل والمتوازن، وحبذا لو زودت ببعض الآيات القرآنية، لما فى ذلك من أثر طيب فى المتلقى لغوياً وخلقياً، فلا يكون البرنامج قاصرا على (القراءة والكتابة والحساب)، وإنما يشمل التربية الاجتماعية والصحية والسياسية والقومية والروحية، ليكون بذلك برنامج تعليم وتوعية وتثقيف وتدريب شامل ومتكامل، ولعل من الأهمية بمكان فى هذا الصدد الانتفاع بخريجى مركز « سرس الليان » وطلاب الجامعات، وسائر المثقفين؛ للقيام بعبء محو الأمية، مع التوسع فى إنشاء أقسام وشعب متخصصة فى طلبات التربية لمحو الأمية من الكبار.. فمثلما يوجد معلم الكيمياء أو الرياضيات أو اللغة الانجليزية؛ يجب إيجاد الكوادر الجديدة من المعلمين المتخصصين فى التعليم الأساسى ومحو الأمية(٥).

وترجع أهمية هذه التخصصات إلى استيعاب المفهوم الشامل لمحو الأمية، بل إن مجرد « فك الخط » أو معرفة رموز القراءة والكتابة، يعتبر مرحلة أولية لها الأولوية ما بقى فى المجتمع أمى واحد، على أن ذلك لا يقلل من حجم مشكلة الأمية فى حد ذاتها، لأنه يجب تجنيد كل القوى للانتهاء منها، حتى ننطلق بعد ذلك الى آفاق أرحب تتعلق بتنمية مهارات الفرد الأمى وتربيته من أجل حياة أفضل اكثر تلاؤما مع التغييرات الاجتماعية أو الصناعية الجديدة.

بل إنه يمكن للقائمين على برامج محو الأمية توظيف قدراتهم المهنية والثقافية فى خدمة الاتجاهين، بشكل مطرد ومتزامن، وهما : محو أمية الفرد وتنميته معا، ذلك أن النظر إلى « محو الأمية » على أنها جزء من برنامج كلى متكامل لتعليم الكبار يخدم قضية محو الأمية والتقدم فى بلادنا (٦).

محو الأمية قضية إسلامية

نستطيع النظر باطمئنان بالغ إلى القضايا التى ورد بشأنها نصوص نقلية من « الكتاب والسنة »، على أنها قضايا إسلامية، وتعتبر قضية الأمية « جزئية »، فى منظومة المنهج الإسلامى للنهوض بالأمة، ومن هذا قول

---

(٤) مجلة النيل : الصادرة عن مركز النيل للإعلام والتعليم والتدريب ـ العدد ١١ أبريل ١٩٨٢ ـ دراسة عن : مشكلة الأمية فى ج.م.ع وأبعادها ـ د.إبراهيم عصمت مطاوع. ص٦٢.

(٥) مرجع سبق ـ بتصرف.

(٦) المرجع السابق : دراسة بعنوان «مفهوم تعليم الكبار ووظائفه فى الدول النامية» د.عبدالفتاح جلال ـ ص٦٧.

الحق –تبارك وتعالى–:

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾[٧]، وقوله:

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾[٨]. وقوله:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾[٩].

أليس ذلك مما يدعو المسلمين إلى « التعليم والهداية » بهدى المنهج الإسلامي؟ والحقيقة أنه منذ فجر الإسلام وللتعليم مكانته السامية وخطره الكبير.

وكان أول نداء موجه من السماء إلى الأرض من المولى – عز وجل وعلا – إلى رسوله الكريم – ﷺ –

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾[١٠].

بل إن من أهداف الرسالة الخالدة « التعليم » الذى تنتقل به الإنسانية من الضلالة والجهالة إلى الهداية والحكمة، ومن الظلمات الى النور

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ ﴾[١١].

وقد جاء التعليم دعوة لأبينا إبراهيم وابنه إسماعيل لهذه الأمة النجيبة ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٢٩ ﴾[١٢].

فالتعليم فى الإسلام إذن فريضة مقدسة، وليس من شك فى أن (محو الأمية) هو حجر الزاوية فى أبجديات التعليم، والعلم أمنية غالية أرشد اليها – عز وجل – واستجاب لتحقيقها أصفياؤه وأخلاؤه، وتدل الأحاديث النبوية على أن النبى – ﷺ – كان يحث على طلب العلم ويرشد اليه قائلا « من سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا إلى الجنة »[١٣]، ويقول « يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء »[١٤]، ولا عجب فى ذلك الفضل وتلك المنزلة التى رغب الله إليها، لأن العلم سبيل الرقى والتحضر بالنسبة لأمم والشعوب.

موقف النبى - ﷺ - من قضية « محو الأمية »

ويتجلى لنا موقفه – ﷺ – معلم البشرية الأول فى غزوة « بدر الكبرى » أول موقعة حربية فى الإسلام، تلك التى نصر الله – تعالى – فيها المسلمون نصرا عزيزا مؤزرا ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢٣ ﴾[١٥]، ودست على الرغم من تفوق المشركين فى هذه الغزوة – على المسلمين فى العَدَدِ والعُدَدْ.

فقد روى يزيد بن هارون[١٦] : أنه لما كان يوم

---

(٧) النساء/١١٣.
(٨) النحل/٨٩.
(٩) الزمر/٤١.
(١٠) سورة العلق/٥.
(١١) سورة الجمعة/٢.
(١٢) سورة البقرة/١٢٩.
(١٣، ١٤) رواهما البخارى.
(١٥) سورة آل عمران/١٢٣.
(١٦) تفسير القرطبى ـ ج ٥ بتصرف ص ٢٨٨٦.

«بدر» جيء بالأسارى فقال رسول الله – ﷺ – لأصحابه ما ترون في هؤلاء الأسارى، فقال أبوبكر: يا رسول الله أهلك وقومك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم، وقال عمر بن الخطاب: كذبوك وقاتلوك وأخرجوك، قدمهم فاضرب أعناقهم، فقال رسول الله – ﷺ – مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم عليه السلام قال: ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[17]، ومثلك ياعمر مثل نوح – عليه السلام – قال: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[18] ثم أخذ النبي – ﷺ – بالفداء – وعاتبه ربه – بعد ذلك في القرآن على تعجل الأخذ بمبدأ الفدية في قوله –تعالى–: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[19] ولكن في هذه الغزوة سمح رسول الله – ﷺ – لمن كان يجيد القراءة والكتابة من المشركين ولم يكن معه مال؛ أن يفدي نفسه بتعليم عشرة من المسلمين.

وتأسيسا على ما تقدم نرى أن قضية «محو الأمية» قضية إسلامية ترتبط بمصلحة الفرد والجماعة، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله –عز وجل– وشرع الله أولى أن يكون هو الناظم لمنظومة الحياة، وأدعى إلى أن يوجب المؤمن على نفسه ما يوجبه عليه دينه من أصول وتعاليم.

كما تعتبر هذه المشكلة بالنسبة لجمهورية مصر العربية قضية «قومية»، وليست قضية حكومة أو أفراد، ويكفي للتدليل على أهميتها أنها تقف حجر عثرة في طريق تحقيق التنمية الشاملة التي طالما أتعب المتخصصون أنفسهم في سبيلها، على الرغم من أن مصر من الدول ذات الحضارة الموغلة في القدم، إلا أنها دولة نامية، لم يتوقف تقدمها على عراقتها التاريخية، لأن تقدم الشعوب يرجع إلى ما حققته من النهضة الصناعية وما استحدثته من الأساليب العلمية والفنون التكنولوجية، فلا غرابة أن يكون التخلف عن الثورة العلمية من أهم آفات المجتمعات النامية التي تطرد فيها نسبة الأمية.

الأمية قضية حضارية

وبالإضافة إلى أن قضية «الأمية» إسلامية قومية، فهي – أيضا – قضية «حضارية» ترتبط بحياة الأمة ومصيرها، فالذين يرزحون تحت وطأة الأمية لا يستطيعون استيعاب الحضارة الإنسانية الحديثة، ولا الإضافة عليها، – لا سيما – بعد أن مكن الله للبشرية تلك النقلة الحضارية الهائلة في البر والبحر والجو من سيارات وقاطرات وطائرات وصواريخ ودبابات وأسلحة حرب وسفن فضاء ووسائل اتصال برقي وهاتفي ولا سلكي، إلى غير ذلك مما يقف الأمي مشدوها أمامه ولا يملك القدرة على تفهمه ولا السيطرة على أدواته، إنها إنجازات رائعة ساحرة مَنَّ الله – تعالى – بها على البشرية بعدما أعملوا عقولهم وأخذوا بأسباب العلم والبحث.

«يتبع»

---

(١٧) سورة إبراهيم ٣٦.

(١٨) سورة نوح ٢٦.

(١٩) سورة الأنفال/٦٧.

الشاعر أحمد محرم وديوان مجد الإسلام

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

كان الشعر - ولايزال - فن العربية الأول.

وقد بلغ من منزلته، فى عصر صدر الإسلام، أن النبى - ﷺ - أثاب كعب بن زهير ببردته، بعد إنشاده قصيدته المشهورة:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول إلخ..

كما حث رسول الله - ﷺ - شاعره: حسان بن ثابت، وزملاءه من شعراء الأنصار، وغيرهم، على الرد على المشركين من شعراء قريش، فامتثلوا، وأجادوا.. فكانوا - حين يبدأ الشعراء المناهضون للدعوة الإسلامية، بالهجاء أو الفخر - يردون عليهم، بما ينقض مزاعمهم وترهاتهم، على البديهة، من نفس البحر، والقافية.

فمثلا، عندما قال هبيرة بن أبى وهب المخزومى، من المشركين، فى يوم أحد:

نحن الفوارس يوم الجد من أُحُد
هابت معد، فقلنا: نحن نأتيها

أجابه حسان بن ثابت لتوه:

سقتم كنانة - جهلا من سفاهتكم -
إلى الرسول: فجند الله، مخزيها

وحينما يقول الزبرقان بن بدر، مفتخرا:

نحن الملوك، فلا حى يعادلنا
منا الملوك، وفينا تنصب البِيَعُ

أجابه حسان:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم
قد بينوا سنةً للناس تتبع

ومن هذا النبع الثر، لتراثنا الشعرى الإسلامى، استقى شاعر الإسلام المعاصر، أحمد محرم. مادة ديوانه: «مجد الإسلام»، الذى عارض به إلياذة هوميروس، شاعر اليونان القديم، وشاهنامة الفرس، للفردوسى، شاعر الفرس الأكبر، وكانت تلك المعارضة قد تمت، باقتراح من الأستاذ محب الدين الخطيب، أحد رؤساء تحرير «مجلة الأزهر»

***

الغراء السابقين، فدلنا محرم، بإبداعه للإلياذة، على مدى إمكانيات التراث العربى الكبير وحده، فى تكوين الخلفية الثقافية للشاعر، وبلورتها وإنضاجها، وفتح السبيل أمامها، لتطرقه، وتمضى قدما بالشاعر، إلى مراقى الإبداع.

وقد خطط أحمد محرم بنفسه لنفسه، منذ البداية، فيما يأخذ وما يدع، فى محيط الآداب والمعارف، ببصيرة نافذة، وخصوصية إيمانية عميقة، ومشاعر فطرية نقية.. واستطاع بعكوفه الدائب فى عقر داره، وانكبابه على استيعاب نتاج شعراء الجاهليةوصدر الإسلام والعصرين: الأموى والعباسى، ووقوفه طويلا، بصفة خاصة، أمام روائع المتنبى، وأبى تمام والبحترى ،وابن الرومى، وأضرابهم – أن يعد نفسه لأداء رسالته السامية للأمة العربية الإسلامية، بإبداع الملحمة الكبرى: الإلياذة الإسلامية، فى أكثر من خمسة آلاف بيت، فى أنصع بيان، وأروع تبيين.

***

ترجمة حياته:

كان ميلاده فى حى باب الوزير بالقاهرة، فى شهر المحرم ولعل هذا هو سبب إطلاق اسم «أحمد محرم» عليه- كاسم مزدوج- لأن اسم والده خال من: «محرم»، فهو: حسن عبدالله، وكان رب أسرة متوسطة الحال، ويعمل ناظر زراعة لأحد كبار الملاك للأراضى الزراعية بدمنهور. وقد قام على تلقين ابنه مبادىء القراءة والكتابة والحساب، وحفظ القرآن الكريم، فى البيت بدمنهور، ثم ألحقه بعد ذلك بإحدى مدارس القاهرة الابتدائية، إلا أن محرما- لشدة شغفه باللغة العربية وحدها وآدابها، ولعدم قدرته على أن يعيش بعيدا عن أسرته- قفل راجعا إلى دمنهور، بعد ستة أشهر من إقامته وحده بالقاهرة، متخليا عن مقاعد الدرس، إلى الأبد!

ولم يعنفه والده على ذلك، بل تفهم حقيقة ميوله واستعداده، فأحضر له بعض أساتذة الأزهر، يلقنونه فقه العربية وآدابها، وكان طوال هذه المرحلة، مثلا للجد والاجتهاد، مع أساتذته الأزهريين، بعد أن تحقق له ما ابتغاه، ويصور لنا ذلك فى أبيات له بديوانه الأول الذى أصدره سنة ١٩٠٨م:

لعمرك ما ينهنهنى شبابى
إذا هفت الحلوم إلى الأناة
صحبت الجد فى علواء عمرى
فقد جعلتْ تعاتبنى لداتى

ويزيد الأمر بيانا وإيضاحا، بقصيدة أخرى، يقول فيها:

قالوا: زمان الصبا لهوٌ لصاحبه
فقلت: مالى أراه وهو لى كمد
إنى امرؤ ما جِدُ الأخلاق فاضلها
ما عابنى لعب يوما ولا فَنَدُ
سَمَوتُ بالجد والإخلاص اللذين هما
خدْناى.. إياها أبغى وأعتمد

ويزيدنا أحمد محرم تعريفا بظروف نشأته وتكوينه الأدبى، بقوله:

«ولدت من أب تركى، كان –رحمه الله– شديد الشغف باللغة العربية، وبالشعر بخاصة.. وحدث أن انقطعت عن الدراسة، لأسباب خاصة، فأحالنى والدى – «بعد أن سبق ما ذكرناه آنفاً – على مكتبته، التى كانت حافلة بشتى

أنواع الكتب الأدبية، والعلمية، ثم وجهني توجيها شديدا، إلى الشعر، وجعل لي جائزة على نظمه، وكنت مستعدا بطبعي لهذا الفن، فأقبلت عليه بكليتي، وشاء الله أن أكون من رجاله.»(١)

وظل الشاعر يحيا في كنف والده، حياة ناعمة راضية، متفرغا لقراءاته المحببة إلى نفسه، مسجلا لما يسنح لشاعريته، من فيوضات، دون أن يفكر في الالتحاق بعمل ما، قد يتطلب شهادة دراسية ما لم يحصل عليها -كما بينا..

إلا أنه، بعد وفاة والده، تعرض لضيق ذات اليد، وظل يعيش في منزله بدمنهور، وإن كان قد عمل في آخر أيامه، مشرفا على مكتبة البلدية بدمنهور..

ولحرصه على أن يحيا حياة مستقلة، بعيدا عن الأضواء التي كان يزهد فيها، فقد كلفه ذلك عدم الاتصال بمن يملكون الأخذ بيده لعالم الشهرة والإثراء بالقاهرة، كفاءً لموهبته الفذة.. ومن ثم فقد عانى من الجحود الشيء الكثير، الأمر الذي حدا به إلى التعبير عن ذلك، بقوله:

ظَمِئْتُ وفي فمي الأدبُ المصفَّى
وضِعتُ، وفي يدى الكنزُ الثمينُ
لربِّي ما عملتُ، وعند قومي
ديوني، حين تُلْتَمَسُ الديونُ

ولعل جهد المقل، في كتابة هذا المقال عنه، ما يسدد بعض هذه الديون التي ذكرها..

ديوان مجد الإسلام

سجل أحمد محرم فيه: مغازي رسول الله -ﷺ- وما تخلل السيرة العطرة من وقائع تاريخية، ومواقف بطولية، لرجالات الإسلام وأعلامه، وتم له ذلك كله، بتناغم أخاذ، يحفل بالمشاهد والصور، التي يعرضها ببيانه السامق، في ثنايا لوحات شعرية رائعة..

وقد استهل ديوانه هذا، بقوله:

إمْلأ الأرضَ يا محمدُ نورا
واغمر الناس حكمة والدهورا

وقال عن فتح مكة:

ديارَ مكة هذا «خالدٌ» دلفا
فما احتيالك في الطود الذى رجفا
طود من الشِّرْكِ خَانَتْه جوانبُه
لما مشى نحوه الطود الذى زحفا
إن الجبال التى في الأرض لو كَفَرتْ
لدكَّها جبل الإسلام أو نسفا

إلى أن يقول:

الله أكبر، جاء الفتحُ، وابتهجتْ
للمؤمنين نفوسٌ سَرَّها وشَفَى
مشى النبيُّ، يحفُّ النصرُ موكبَه
مُشيِّعا بجلال الله مُكتنفا

ولشدة إجلاله وحبه لشخصية رسول الله -ﷺ- فقد أنطقه الشعر بالآبدة التي يقول فيها:

من هيبةٍ يغضى القريض ويُطرق
ويميل فيك إلى السكوت المنطق
إيذن يفض هذا البيان، فإنه
مما يفيض بيانك المتدفق

---

(١) أنظر كتاب «رسائل محرم» للأستاذ حسنين محمود حسنين دار النشر للجميع بالاسكندرية سنة ١٩٦٣م ص١٧.

مــا فى النوابغ من لبــيب حــاذق
إلا وأنــت ألــبُّ مــنــه وأحـــــذق

إلى أن يقول:

حـسـان منبـهـر وكـعب عـاجـز
والنـابغ الجـعـدى عـانٍ مـوثق
لى عـذرهـم.. مـا أنت من عـدة المُنى
إلا وراء مـخـيلةٍ مـا تصـدق

***

هذا، وعلى الرغم من أن إليـاذة هومـيـروس، تتشابه إلى حد ما، فى تساوقها وتلاحمها، مع إلياذة أحمد محرم فإننا نجد الدكتور شوقى ضيف، يصف إلياذة محرم، بأنها: «مجموعة كبيرة من القصائد، لا رابطة بينها ولا حياة، ولا خيال..»(٢) إلى أن يقول: «وليس فيها شىء من الشعر القصصى، الذى يخلق الخيال فيه مادة الشعر، خلقا جديدا..»(٣)

وقد كفانا صديقنا الدكتور محمد رجب البيومى أمر تفنيد هذا الرأى المجانب للصواب، بقوله فى الرد على الدكتور شوقى ضيف، فى مقولته تلك: «نرى الناقد الفاضل، يصف ديوان «مجد الإسلام»، بأنه قصائد لا رابط بينها، وهذا ما يخالفه الواقع، لأن الديوان يتحدث عن سيرة مترابطة الأحداث، وقد سلسل الشاعر حديثه تسلسلا زمنيا..»(٤) إلى أن يقول: «ولكن ناقدى محرم، لايريدون أن يفهموا من ديوان مجد الإسلام، إلا ما فهموه من إلياذة هوميروس، فلابد أن يخلق الشاعر أسطورة»(٥)

«أما محرم، فيتحدث عن بطل مشهور الوقائع، لا ليختلق، مع وقائعه، أحداثا تضاف إليها، بل ليصورها فى جوه الشعرى، كما صدرت عن صاحبها.»(٦)

***

وبالإضافة إلى ما تقدم، فإن الشاعر أحمد محرم قد ذاق الأمرين عند محاولة طبع ديوانه: «مجد الإسلام»، ولم يوفق فى مسعاه.. فهو يروى لنا قصة أليمة مؤثرة، فى وصف ما لاقاه من عناء وعنت وإحباط، بهذا الشأن، ونتبين ذلك بجلاء ووضوح، من قراءتنا لرسائل شخصية، بعث بها إلى الأديب السكندرى حسنين محمود، يقول فى إحداها بتاريخ ١/٢/١٩٣٩م: «.. ولقد يسرك أنى أعكف منذ سنين، على نظم الإلياذة الإسلامية، فى أمجاد العروبة، ومفاخر الإسلام، وهو الأثر الذى أرجو أن ينفع الله به، ويبارك فيه«(٧) ويقول فى رسالة أخرى مؤرخة فى ٦/٣/١٩٣٩م:

«قدمت الجزء الأول من هذا الكتاب «أى الديوان» إلى السراى الملكية» على يد مراد محسن باشا، بعد أن طلبه بكتاب منى، فبقى فى مكتب عبدالله عفيفى بك (شاعر وإمام الخاصة الملكية) نحو عام، تكررت خلاله رسائلى إلى السراى، للبت فى أمره.. وأخيرا، جاء من الباشا خطاب يقول فيه: إنه تحدث بشأنه مع هيكل باشا وزير المعارف، فيجب أن أقابله، فذهبت إليه، وكان «الكتاب» قد أعيد إلىَّ فى البريد، لتقديمه بنفسى.. فاطلع عليه،

(٢)، (٣)، (٤) أنظر كتاب «النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين» للدكتور البيومى ط سنة ١٤٠٥هـ - سنة ١٩٨٤م ص١٥٧.

(٥)، (٦) المصدر السابق ١٥٦.

(٧) أنظر كتيب «رسائل أحمد محرم» للأستاذ حسنين محمود حسنين «كنارى» ط دار النشر للجميع بالإسكندرية سنة ١٩٦٣ ص١١.

وأعجب به، وقال: إنه سيحيله على لجنة من شعراء الوزارة وأدبائها، للنظر فيه، وتقديم تقرير عنه.. وأن الأمر لا يستغرق أكثر من خمسة عشر يوما.. وقد انقضى الصيف، وقريبا ينقضى الشتاء، و«الكتاب» لا يزال تحت الفحص!»[8] وأخيرا، يصف ختام مساعيه التى لم تكلل بالنجاح، فى رسالة ثالثة بتاريخ ٦/٥/١٩٣٩: «إن وزارة المعارف «التربية والتعليم حاليا» قد أعادت إلىَّ الجزء الأول من الإلياذة، مع خطاب تقول فيه: إنها ليست على استعداد لطبعه!!»[9]

وهكذا انتقل الشاعر أحمد محرم إلى الرفيق الأعلى، فى اليوم السابع عشر من يونيو سنة ١٩٤٥، دون ان تكتحل عيناه برؤية إلياذته الإسلامية مطبوعة فى حياته، كما كان يتمنى، وكل الذى استطاع أن يعمله هو قيامه بإيداع نسخة مصورة من الإلياذة، بدار الكتب، تحت رقم: «٢٩٤٦٨» بقسم المخطوطات..

وقد طبعت الإلياذة الإسلامية، فيما بعد، لتكون من حسناته الباقية، فى أكثر من أربعمائة وخمسين صفحة.

وهكذا يصدق على محرم، قول الزهاوى من قصيدة له:

قلت للشاعر والشا
عر ذوسهم يطيش
أنت إذا عشت تمت
وإذا مت تعيش!

***

ومهما يكن من أمر، فإن الزهرة تتخذ رونق ألوانها من كف الربيع ووشيه، وتحبير وشاحه... والبلبل الغريد يصدح ملء لهاته متجاويا مع إيقاع حركة الكون من حوله..

والشاعر بدوره يهتز وتتدفق شاعريته من مرائى الجلال من حوله، فى إطار المثل العليا، ومعارج السمو، كما اتفق ذلك لشاعر الإسلام والعروبة أحمد محرم، الذى كان اسمه يقرن دائما، فى حياته، باسم الشاعرين الكبيرين: شوقى وحافظ، كنظير وند لهما.. وقد كتب «الزيات» عنه، غداة رحيله: «فجع الشعر العربى فى علم من أعلامه، الذين حفظوا وجوده، وأقاموا عموده، ومهدوا السبيل له فى هذه النهضة: ذلك هو المغفور له الأستاذ أحمد محرم.. والناظر فى تاريخ الشعر الحديث يراه فى الرعيل الأول من الشعراء الأحياء، الذين خلفوا البارودى على إرث الشعر.»[10].

وصفوة القول، إن من يقرأ تراث أحمد محرم الشعرى، فى دواوينه المختلفة، وكان -بصفة خاصة- ذا تجربة شعرية ومعاناة فتية، فلابد له أن يدرك قدر ومدى توفيق أحمد محرم، فى التعبير المواتى، عن أعمق وأصدق وأروع المعانى الإسلامية السامية- التى جعلتنا بحق وبنص الذكر الحكيم

﴿**خير أمة أخرجت للناس**﴾[11] ندعو إلى سبيل الله، بالحكمة والموعظة الحسنة.

رحم الله أحمد محرم رحمة واسعة.

---

(٨)، (٩)، المصدر السابق ص١٢-١٣

(١٠) انظر عدد مجلة الرسالة، الصادر فى ٢٥ من يونية ١٩٤٥م.

(١١) سورة آل عمران/ ١١٠.

خميلة الشعر

للأستاذ:
محمد عبد الوهاب

يشرق علينا شهر ربيع الأول، حاملاً فى طياته ذكرى ميلاد أعظم إنسان فى تاريخ الإنسانية كله، إنه المثل الرائع العظيم للإنسان الحق، فمن أراد أن يتصف بالإنسانية، عليه أن يتمثل ذلك الإنسان الحق، فى أخلاقه، وفى صفاته.

إنه محمد رسول الله - ﷺ - نبى البر والرحمة والدعوة الصادقة إلى الله -سبحانه وتعالى-.

وخميلة الشعر فى هذه المناسبة الوضيئة تقدم على شرف استقبال هذه المناسبة، زهرات شعرية ترفل فى أنداء الهدى والفضائل، مفعمة بالمعانى السامية، والمشاعر الفياضة الرقيقة، ونقدم منها فى مستهل ما نقدمه، قصيدة: (محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-) للشاعر الأستاذ محمد على جمعة الشايب. ثم نتبعها بقصيدة: (فى ظلال السيرة النبوية) للشاعر الدكتور مبروك عطية أبو زيد، وبعدها نقدم قصيدة: (بيوت الله) للشاعر الدمياطى الأستاذ السيد الصديق حافظ، نختتم جولتنا المباركة بقصيدة: (خميلة الشعر) للشاعر الأستاذ محمد على عبد السميع.

اللهم هيىء لنا الخير واهدنا سبل الرشاد.

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

للأستاذ/ محمد على جمعة الشايب

تقلَّب فى الأَصْلاب نوراً مقدساً ** ففاحَ له عِطْرٌ يبوحُ به الزَّهرُ

فمن آدم قد سارَ فى موجِ أعْصُر ** إلى عصرِ عبد الله يزهُو به الدَّهر

فنجْوى، وأفراحٌ وهمسُ بشائرٍ ** تقولُ: تولّى الليلُ وانتصرَ الفجرُ

محمدٌ المختارُ أشرق عهدُه ** إلى النورِ يهدينا وطلعَتهُ البدْرُ

ولما سَرَى نورٌ لأحمدَ فى الوَرى ** وزُلزِلَ إيوانُ المجوس ولم يدْرُوا

وخرَّتْ به الشُّرفاتُ مِنْ فرط هيبةٍ ** لأحمد مولوداً وفى مهدِه الخَيرُ

وقد هزَّتْ الأصنامَ رجفةُ خائفٍ ** ولو يسْتَطيعونَ الفرارَ إذَنْ فرُّوا

وراحُوا عن البيتِ الحرامِ أذِلةً ** فوا أسَفاً للصَخرِ يعْبُدُه صَخْرُ

* * *

وتبدُو صحارَى الجَدْبِ كالرَّوْض بهجَةً ** وأضْحَتْ بنورِ اللهِ ينْفَحُها العِطْرُ

كأنَّ جناحاً للملائك ظِلها ** وأنْسَامه فيها السكينةُ والطّهرُ

ومِنْ بيتَ عبد الله دقَّتْ بشائرٌ ** ففى كلِّ بيتٍ من بشائرها بِشْرُ

محمدٌ يا خَير الأنامِ ومنحةٌ ** من الله للأزمانِ مهما ارتقى العصْرُ

ستبقَى أماناً للزمانِ إذا غوى ** وضلَّ به السَّاعى ولم يدرِ ما الأمرُ

سـتُلقِى له طوق النجـاة وحَـولَه ** جبـالٌ من الأمـواجِ همْـسَـتُـهـا زأْر

فـشَـرْعكَ شـرعُ الله مـرسَىً لتـائهٍ ** يُضىءُ منارات إذا عَـصَفَ البَـحْـرُ

نَهَـضْتَ بدين الله فـرداً مـجـاهداً ** يُحـاصِـرُكَ الإمْـلاقُ واليُـتَمْ والكُفْـرُ

فـحَـولت هذا اليُـتْمَ عِـزَّةَ مـؤمنٍ ** بربٍّ الورَى والناسُ مِن بعـده ظُهـرُ

وإنْ يكُ إعـسـارٌ ألَمَّ فـإنما ** غِنىَ النَّفْسِ أقْوى مِنْ مَتَاعٍ به وفْـرُ

وإنْ يكُ كُـفَّـارٌ أطالُوا عِنادهُمْ ** فَـفِى الكُفْـرِ ذُلُّ الضعف لم يُخْفِه سِتْـرُ

خـرجْتَ من الأزمَـاتِ أبْهَى مُظَفَّـرٍ ** كـمـا قـدْ تهَـادَى مِنْ مـحَـارتِه الدُّرُّ

فـإنْ كُنتَ فـرداً عُـدْتَ بالدينِ أُمَّـةً ** إذا قَـدَّرتْ أمـراً فَـفِى وجْـهِـهَـا النَّصْـرُ

وصَـارَتْ لك الدُّنيـا تَسـوُقُ ثَراءَهَا ** إلى الناسِ والكَفَّـانِ من ثَرْوَةٍ صِـفْـرُ

فـلا المالُ ترجُـوهُ لجـاهٍ وإنما ** ليَـعْلوَ دينُ الله مـا مَـسَّـه ضُـرٌّ

وتلتَـحفُ الصـحـراءُ بالنُورِ والهـدى ** فـلا ذئبُـهـا وغْـدٌ ولا نَسْـرهَا مَكْرُ

يُهلُّ عليـهـا الوحْىُ نُوراً مُـسَلْسَـلاً ** كـمـا انهَلَّ يُحـيى مَـيْتَ أرضٍ بهـا القطرُ

وتُتْلَى من القُـرآنِ آىٌ تفَـجَّـرتْ ** ينابيعَ إعْـجَـازٍ يَذُوبُ لهـا الصَّـخْـرُ

تُـظِلُ علـى المظلومِ واحَـةَ أمْنِـهِ ** وتَدفَعُ عنه ظالماً سـيـفُـه القَـهْـرُ

سـواسـيـةٌ كـالمُشطِ أسنانُه اسْتـوتْ ** ومـا شَـذَّ منهـا لا يَطُول بهِ العُـمْـرُ

فَليتَ الذى يدعُـوَ (لعَـولَمـةٍ) يرى ** مَـبَـادىءَ للإسـلاَمِ يَزْهو بِهَـا الفِكْرُ

فى ظلال السيرة النبوية

للأستاذ الدكتور / مبروك عطية أبو زيد

هتفت دموعُ الأرضِ لا تتكلم … إلا بشكوى من عُتُلٍّ يَظْلمُ

إلا أنيناً من قلوبٍ قد قستْ … فى صدرِ مَنْ أمسى بعزَّى يُقْسِمُ

حمل الفتاةَ بريئةً فى مهدها … كى يدفن الطهر الذى هو مُقْدمُ

وثوى على صدر الصغيرةِ ضاحكاً … فهو البهيمُ بخطبه يتبسَّمُ

فأجابَ ربُ العرشِ هذا المصطفى … يهدى العباد بإذنه ويعلِّمُ

فافتر ثغرُ الأرض حين نزوله … هدياً تجلى من إله يرحمُ

لم تَشْكُ آمنةٌ صداعاً أمَّهَا … حملتْ رسولَ الله لا تتألمُ

فازت حليمةُ يوم كانت مرضعاً … سعدتْ به فبكل خيرٍ تنعمُ

ما كان مثل صغارهم فى نشأةٍ … فالله قد ربَّاهُ وهو المنعمُ

يا سيدى أحييت كلَّ فضيلةٍ … حيث الفضائل فى البرايا تكتم

ورَفَعْتَ صرح العلم مُذ عَلمتها … اقرأ محمد واسم ربك أكرمُ

وشهادةُ التوحيدِ كانت دوحةً … جمعت أبا بكر وصحباً أسلموا

صاروا نجومَ الخيرِ بين هلالهم … والنور يخشاهُ الضبابُ المعتمُ

وعلوتَ أفلاكَ الثُريّا ليلةً … وقف الأمينُ وأنتَ من يتقدّمُ

وأتيتَ بالصلواتِ ذكراً دائماً … وخشوعُ قلبكَ يا حبيبى أدومُ

ولقد وقفت ببابِ مكةَ باكياً … يوم الرحيل وبدر مكة مظلمُ

لتبُثَ شوقاً من حنانك قائلاً … يا خير أرض الله أنتِ المَعْلَمُ

لكنَ قومك ظالمون بكفرهم … لولاهمو ما غابَ عنكَ البلسَمُ

خَضَعَتْ رقابُ الشركِ بعد عزوفها ... وتبسَّمتْ وهى التى تتجهمُ
وَسَعَتْ وفودُ الأرضِ نحوكَ عن رضاً ... كنسائمِ الصيفِ التى تترنمُ
فلقد استوى بالدين كل معوّجٍ ... بالضادِ قد نطق اللسانُ الأعجمُ
فلقد أتيت بذكر ربِّك آيةً ... والحق يعرفه اللبيبُ ويَفْهَمُ
قرآنُ ربى قد تحدّى أمّةً ... ملكت زمام القول فيه تحكمُ
لم يأت أفصحهم بمثل نظامه ... وهو الأريب بكلِ فن ينظمُ
مَنْ ذا يحاكى البدر فى عليائه ... ولو ارتقى أين السبيلُ السُّلّم
أو مَنْ يكرر كل يومٍ جملةً ... فإذا به يحيا بها لا يسأمُ
فى غير آيات الكتاب يرومُها ... ولو ادعى فهو الذى يتوهمُ
ونزلْتَ بالخلق العظيم مكانةً ... ما طاولتها فى السماء الأنجمُ
قد كنت قرآناً تحرّك فى الورى ... ولكل آيات الجمال تترجمُ
ولأنت أصدق من تفوّه ناطقاً ... وفِعالك الصدق الذى يتكلمُ
دانتْ لك الدنيا فشئت كفافها ... فتبيتُ يَسْقيك الإلهُ ويطْعمُ
خُيِّرْتَ فاخترتَ الرفيق جوارَهُ ... إنّ الحبيب مع الحبيب مُنَعَّمُ
وتركت فينا سنّةً نحيا بها ... هى خيرُ هَدْىٍ يرتجيه المسلمُ
ولبابها التيسير زان جمالها ... إنّ العسار مكبِّلٌ ومحطمٌ
هذى قرونَ الدهر تمضى بالهدى ... حاشاً لدين الله يوماً يُهدَمُ
ونوازلُ الأيامِ إنْ مرت بنا ... فهى امتحانٌ للنفوس يقوّمُ
حتى تعود صلابةً فى بأسها ... لا يعتريها كافِرٌ أو مجرمُ
والمسجد الأقصى يعود بأرضه ... والفوز بالرضوان ذاك المغنمُ
يا ربِّ صلِّ على رسولك كلما ... بصلاتنا صدحت مآذنُ تُعْلِمُ
يا ربِّ صلِّ عليه ما عبدٌ دعا ... وتلا كتابك طاهراً يسترحِمُ
يا ربِّ صَلِّ عليه دوماً كلما ... نامت عيونٌ واستراحت أعظمُ

بيوت الله

للأستاذ / السيد الصديق حافظ

بيوت الله فى الأرض المساجد ... مصلّى خاشع، ومقام عابدْ

ومنزل رحمة ومناط برٍّ ... ومرتاد المكارم والمحامدْ

تحلّ به ملائكةٌ كرام ... وتنبذ كل شيطان ومارد

ضيوف الله أطهار تُقاةٌ ... يؤلّف بينهم نبل المقاصد

تلاقوا طائعين على يقين ... وإيمان بأن الله واحدْ

توحّد جمعهم فهمو سواءٌ ... كما انتظمتْ قوافيها القصائدْ

تراهم ركّعا خرّوا سجودا ... لمنْ خلق الجداول والجلامِدْ

وفيهم من بكى وشكا زمانا ... تولى فى المناكر والمفاسدْ

وفيهم ضارع لله داعٍ ... يؤمّلُ عونَهُ عند الشدائدْ

وفيهم فتيةٌ غُرٌّ سِمَاحٌ ... تضيءُ وجوهُهُمْ مثل الفراقدْ

هم الرحماء بينهمُ، تراهمْ ... أشدّاءً على الباغى المعاندْ

إذا سمعوا كتابَ الله يُتْلَى ... تناثرَ دمعهم نثر الفرائدْ

بيوت الله حصن الدين فيها ... تراث نبوةٍ للمجد رائدْ

تربّى فى محاربها رجال ... جهابذة وفرسان أماجدْ

أقاموا الدين والدنيا جميعا ... وكانوا للعدالة خير شاهدْ

أراها قسمة ما بين داع ... ومدعوّ إلى حقّ يجاهد

يعض بناجذيه على صحيح ... ولا يبغى الجدال، ولا يعاند

ويغضى عن هنات قد يراها ... فمن ذا وحده حاز المحامدْ

خميلة الشعر

للشاعر محمد على عبد السميع

لقد قرأت خميلة الشعر فى مجلة الأزهر فوجدتها تهدف لغاية نبيلة وتحقق رغبة كريمة فهى إذ تعرض نتاج الشعراء فى مكان واحد ليأخذ بعضه بحجز بعض، فإنما تعيد بذلك بعض ما كان فى سوق عكاظ فى سالف الأيام وغابر الأزمان. فقلت أحييها على ذلك النهج الكريم بما يلى:

حىّ الخميلة شادياً بثنائى — وانثر زهور الروضة الغناء

وأذكر لها الأمجاد عالية الذرا — وانسب جليل النهج للعظماء

وارفع لها بين الأماجد منزلا — فلقد سمت للقمة الشماء

وتدرجت تبغى العلا فى همة — ومضت تعيد مجادة الشعراء

فلها من الأفضال ما يشدو به — جيل من الأدباء والفصحاء

ولمن يقوم منسقاً لأمورها — منى الثناء معطر الأجواء

وله دعائى أن يظل موفقا — ومحلقاً فى دارة الجوزاء

روائع الماضي بمجلة الأزهر

من ذكريات الميلاد

لفضيلة الشيخ / عبد الحميد محمود المسلوت

إعداد وتقديم الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حين نتذكر ميلاد الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - ينبغي أن نستحضر سيرته لنتبعها، ومكارم أخلاقه لنقتدي به، فلقد ولد - ﷺ - والعرب أسرى خرافات وعبدة أوهام، يدينون بالأباطيل، ويتعلقون بالترهات، ويؤمنون بالخرافات، يأكل القوى الضعيف، ويظلم المبطل المحق، ويسود المفسد المصلح.

ولد - ﷺ - بين قوم التاث عليهم الأمر، واشتبهت أمامهم الحقائق، وأظلمت بهم الدنيا، فلا فضيلة جامعة، ولا عقيدة موحدة، ولا غاية مرموقة يدفعون عنها، ويرمون من ورائها إلى مجد يرجى أو عز يُراد، وإنما هي عصبية جامحة يوقظها العناد والمكابرة، ويؤججها نار الحقد والمهاترة.

لقد كان بمولده - ﷺ - الضياء الساطع، الذى أنار الأنام وبدد الظلام، وقضى على العصبية الصماء.

ولهذا ينبغى علينا أن يكون الاحتفاء بذكرى مولده - عليه السلام - بما يناسبه من إجلال وتكريم، ومراجعة لأقواله وأفعاله، وأن نتخذ من القرآن إماما ومن سنته بياناً، ومن شرعته منهاجا.

ينبغى أن نقتدى به فى سياسة الدين، وسياسة الدنيا، لنعرف كيف واجه الصعاب، وتغلب عليها، وكيف صابر وثابر، حتى بلغ رسالته، فتحول قومه من فرقة وتعصب وتفاخر بالأموال والأولاد إلى أمة واحدة تنتسب إلى الإسلام، وتؤمن به، وتقيم أوامره، وتجتنب ما نهى عنه، ولمزيد من الإيضاح قال الكاتب - رحمه الله - :

من الأحداث الكريمة ما يغير مجرى التاريخ الإنسانى، ويبدل أوضاع الحياة، ويعدل سلوك الناس، وينقلهم من ضيق إلى سعة، ومن قلق إلى دعة، ومن حضيض إلى رفعة، ومن ذل إلى عزة، ومن فزع واضطراب إلى هدوء وأمن واستقرار.

ومن أنصع الحوادث التى مرت بالإنسانية، فغمرتها بالنور والسعادة، ونقلتها من الضلالة إلى الهداية، ومن الظلم والفجور إلى العدل والتقى، ومن حياة عابسة مضطربة مختلة الجوانب والأوضاع، إلى حياة باسمة هادئة ناصعة الحدود مشرقة المعالم؛ ميلاد الرسول الأكرم محمد بن عبدالله النبى الأمى الذى أرسله ربه إلى الناس كافة

﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[(١)].

لقد نشأ محمد – صلوات الله عليه – فى بيت طاهر كريم كله صلاح وتقوى وعبادة وتدين، وكان يطلق على أهله: أهل اللّه، لأنهم جاوروا البيت الحرام وقاموا بأمره وأخذوا أنفسهم بخدمته، ومن هنا كانت لهم السلطة الروحية التى فرضت على الناس احترامهم ومحبتهم، وقذفت فى النفوس تبجيلهم وهيبتهم، وجعلت أقدارهم فوق أقدار الناس، وكان عبدالمطلب جده يأمر أولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيئات، الأمور، وكان يقول دائماً : لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة اللّه، إلى أن هلك ظالم غشوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة، فقيل لعبدالمطلب فى ذلك، فقال : واللّه إن وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه، ويعاقب المسىء بإساءته.

ولما ولد رسول اللّه سماه جده محمداً، وقيل له كيف سميته باسم ليس لأحد من آبائك وقومك فقال : إنى لأرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم.

ولقد تمثلت حياطة اللّه ورعايته لنبيه ومجتباه أتم تمثيل، فقد مات أبوه قبل أن يولد، فولد فى كنف جده عبدالمطلب، هذا الرجل البر التقى الذى توسم فيه الخير وتنبأ له بالمجد والعظمة، وتوفى كافله عبدالمطلب وهو فى الثامنة من عمره، فقام على كفالته وتربيته عمه أبوطالب، وانتقل من قلب عاطف رقيق إلى قلب عاطف رقيق، اتسع له بالحب والعطف والشفقة أكثر مما اتسع لأبنائه، فرعاه أحسن رعاية وحفظه أتم حفظ، فكان لا يأكل إلا معه ويخصه بأطيب الطعام، ولا ينام إلا إذا كان إلى جانبه ولا يسافر فى تجارة إلا كان فى صحبته وهكذا مما وعته صحائف التاريخ.

وأول عبرة نقتبسها من سيرته وسلوكه : الوفاء الحق الذى عز على الناس أن يأخذوا أنفسهم به وأن يردوا طباعهم إليه، فقد نشأ محمد يتيما فقيراً، وكان لذلك أثره فى نظر الناس له وإقبالهم عليه، فهذا اليتيم لابد له من مرضع تقوم بأمره وتتكفل بحضانته

(١) سورة الأعراف ١٥٧.

وتؤويه فى باديتها، ليشتد جسمه، ويشب عوده، ويستقيم لسانه، ويتسع أفقه، وتقوى طبيعته فى جو البادية الفسيح.

أقبلت النساء على مكة يلتمسن الرضعاء فى عام ممحل مجدب، وعرض عليهن الأطفال وفيهم محمد، فلا تكاد مرضع تراه حتى تنزوى عنه ولا تكاد رغبة تبدو فيه حتى تخمدها دوافع المادة ومطالب الحياة وإلحاح الحاجة، وأخذت كل امرأة وليداً توسمت فيه الخير ورجت من ورائه المنفعة، وبقيت امرأة فقيرة بائسة، أجهدتها الحاجة وألح عليها العوز فى سنة شهباء أكلت الأخضر واليابس وجففت الضرع وأتلفت الزرع وأعطبت الثمر، تلك هى حليمة السعدية، وبينما هى تتأهب للرحيل إذا بهاتف من أعماق نفسها يهيب بها ويستحثها أن يكون نصيبها هذا اليتيم الذى أجفلت عنه المراضع وفترت فيه رغبات النساء، فاستجابت لهذا الهاتف وعادت إلى اليتيم فأخذته وهى أشد ما تكون حاجة إلى وليد ميسور الحال كثير المال، ولكن ببركة هذا المولود ويمن طالعه لم يلبث أن انهال عليها الخير لبناً يدر من ثدييها، وحياة تدب فى ضرع ناقتها الهزيلة المسنة التى جففها الجوع والكبر منذ أمد طويل، فرضيت واستقرت ونعمت حياتها، ورأى الناس عليها مظاهر النعمة، فكانوا يعجبون لما أصابها من نعيم بعد بؤس، ورخاء بعد شدة، وفطنت هى كذلك لنعمة اللّٰه عليها بهذا الرضيع الأغر الميمون النقيبة، فكان أثيراً على نفسها حبيباً إلى قلبها محاطا بالإكرام والرعاية من زوجها وأبنائها، وكانت بنتها الشيماء تخرج به لتلاعبه وتنشد له الأناشيد المحببة.

وقد أرادت أمها ذات مرة أن تعنفها وتلومها على خروجها به فى الحر الشديد، فقالت يا أماه: واللّٰه إن الشمس لا تصيبه أبداً، فقد رأيت غمامة تظلله، إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت، ومكث عند حليمة حتى تم فصاله وأرجع إلى أهله.

على أنه بعد ذلك لم ينس لحليمة ما قدمت إليه من إكرام، وما أسلفت له من رعاية، ولم ينس خدمتها وإخلاصها، فوفى لها أكرم الوفاء وكافأ جميلها وذكر معروفها وبذل لها بما يملك ما قرت به عينها واطمأنت نفسها.

فقد روى أنها وفدت عليه بعد أن تزوج خديجة، وشكت إليه الجدب والفقر والحاجة فأعطاها عشرين رأساً من الغنم وبكرات، وفى هذا أنصع الدلالة على ما يكن فى فؤاده من تقدير كريم وعرفان صادق. وكانت بنتها الشيماء من بين من أسر من بنى هوازن بعد حصار الطائف، فلما جىء بها إليه رجع بذكرياته إلى الماضى البعيد وإلى عهد الطفولة السعيد وإلى الزمن الجميل الذى قضاه معها فأكرمها وأعادها إلى أهلها كما رغبت وأحبت.

ذلك مثل كريم من أمثلة الوفاء النادر، يجب أن يتدبره الناس ويتهذبوا عليه في حياتهم ويتأسوا به فى دنياهم، ويجب حين

تطوف بنا ذكرى مولد الرسول الأكرم أن نذكر أكرم صور الوفاء وأروع آيات الإخلاص، فإنه لايهيج الأحقاد ويؤرث نار العدواة بين الناس مثل كفران المعروف وإنكار الإحسان.

وهذه صورة أخرى من صور وفائه وإثابته، فإن أهل مكة كان قد أصابهم جدب شديد وحلت بهم ضائقة ماحقة، وكان عمه أبوطالب ذا عيال كثير فآذته تلك الضائقة وأرهقه ما أرهق الناس من شدة وضنك، فلما رأى محمد ما حل به وكان قادراً على أن يمد له يد العون والمساعدة لم يبخل ولم يتردد، فاتفق مع عمه العباس على أن يخففا عنه الحمل وينهضا معه بالعبء، فأخذ العباس جعفراً وأخذ محمد - ﷺ - عليا، وقام بأمره ومازال عنده حتى بعثه اللّه نبيا فكان أول صبى آمن به وصدقه.

والعبرة الثانية التى تشرق من تاريخه وتنبجس من حياته، الصبر على المكاره والثبات فى الحق وصدق الجهاد فى سبيل اللّه.

أوذى فى نفسه وفى صحابته، فلم يلن عوده للخطب يرهقه، ولم يتزعزع ثباته للحدث المدلهم مهما برح الألم، وقال له عمه : ياابن أخى إنا لانستطيع حرب هؤلاء القوم ولا طاقة لنا بخلافهم، فاترك ما أنت فيه ولك ما تحب، فقال تلك الكلمة الخالدة التى وعاها سمع التاريخ : واللّه ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر في يسارى على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره اللّه أو أهلك دونه.

فهذه السيرة العطرة وذلك التاريخ المشرق، يحفل دائماً بأروع الأمثلة فى الصبر على الأحداث والثبات عند الخطوب وعدم الاحتفال للقوة الغاشمة مهما طغت واستبدت.

إنه يذهب إلى الطائف لدعوة أهلها إلى الحق وإلى رب العالمين، فإذا بهم يقابلونه أبشع مقابلة ويحيونه أشنع تحية ويغرون به سفاءهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى يدموا عقبيه ويجلس إلى جوار حائط متعباً مكدوداً، ثم يتجه إلى ربه قائلا : « اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ياأرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى؟ أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ».

ويترك الرسول - ﷺ - مكة ويهاجر إلى يثرب فتظهر دعوته، وتنتشر كلمه، وتسرى فى الآفاق شريعته، ويداخل قريشاً الحقد والغيظ، ويدب فى نفوس العتاة الجبابرة مالا يستطيعون دفعه من الكراهية والحسد، فيلتئم جمعهم ويجتمع شملهم وتتفق كلمتهم على أن يقوموا بعمل حاسم يقضى على الدعوة ويطمس ذلك التاريخ الحافل، وحالف قريشاً جميع القبائل الضاربة حولهم كما، حالفهم يهود المدينة والمنافقون منها، واختارت كل قبيلة أحسن رجالها وخير قادتها، وزهرة أبنائها، وخرجوا من

مكة وعدتهم اثنا عشر ألفاً على رأسهم أبوسفيان بن حرب، وفيهم خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص.

هنا يتجلى إيمان محمد وحكمته وحسن تدبيره، يتجلى إيمان قائد يعوزه السلاح وتنقصه العدة فإن أتباعه عراة إلا من لباس التقوى، ضعفاء إلا من قوة الإيمان، مجردون إلا من سلاح الحق والثقة برب العالمين ورضا أحكم الحاكمين، استشار الرسول أصحابه. فقال البعض : يارسول اللّه ما لنا بهم من طاقة، نعطيهم ثلث ثمار المدينة ليرجعوا عنها، وصاح سعد بن معاذ بكل قوته قائلا : يارسول اللّه لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك باللّه وعبادة الأوثان، لا نعبد اللّه ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ واللّه ما لنا بهذا من حاجة، واللّه لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم اللّه بيننا وبينهم.

واستقر الرأى على عمل خندق حول المدينة، فأخذوا فى الحفر، وكان أبوبكر وعمر ينقلان التراب فى ثيابهما لأنهما لايجدان مكاتل، ورسول اللّه يأخذ المعول فيكسر الحجر الذى يعترضهم فى حفرهم، ثم أخذ الجيش القليل يحرس الثلم، ورسول اللّه يحرس ثلمته فى البرد القارس والجوع الشديد.

وفى هذا الوقت العصيب الشديد الذى يواجه فيه المسلمون قوة عاتية طاغية باطشة مجهزة بالخيل والنبل والسلاح وخيرة الفوارس، كان الرسول يطمئن المسلمين ويعدهم بالنصر ويقول : « واللّه لتفتحن الشام، ولتظهرن عليه ولا ينازعكم أحد، ولتفتحن اليمن، ولتفتحن هذا المشرق ».

ويزيد على ذلك فيرسل إلى أبى سفيان قائلا : « أما بعد فقديماً غرك باللّه الغرور، ولقد ذكرت أنك سرت إلينا فى جمعكم، وأنك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا، وذلك أمر يحول اللّهُ بينك وبينه، ويجعل لنا العاقبة حتى لاتذكر اللات والعزى ».

ولقد حقق اللّه لنبيه وعده بالنصر، فأرسل على قريش وأحلافهم ريحاً قوية وعواصف شديدة، كفأت قدورهم وقلبت أخبيتهم وقلعت خيامهم، فانقلبوا راجعين من حيث أتوا،

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾(٢).

وهكذا كل ناحية من نواحى الرسول الأكرم تروع العالم بما فيها من جلال العبرة وسمو الموعظة، وحسن الأسوة.

صلوات اللّه وسلامه عليه وعلى آله وصحابته الأمجاد.

---

(٢) سورة الأحزاب ٢٥.

غسل اليدين

للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

فى عصر باتت الجراثيم فيه أشد مقاومة للمضادات الحيوية، فإن غسل اليدين غسلاً جيداً أصبح عادة طيبة، لكننا فى شهر المولد النبوى الشريف، نؤكد أن ديننا الحنيف ارتفع بالنظافة والطهارة من مجرد سلوك يومى معتاد، إلى عبادة يثاب عليها المسلم إن فعلها، ويبطل عمله إن تركها، يقول الرسول - ﷺ - «الطهور شطر الإيمان».

ونخص بالذكر هنا، غسل اليدين، الذى هو فرض من فرائض الوضوء، الذى يقوم به الإنسان المسلم على الأقل خمس مرات فى اليوم، وذلك؛ ليتمكن من أداء الصلوات الخمس على الوجه الأكمل.

كما لا يفوتنا التنويه بسنة تخليل الأصابع.

ولأهمية غسل اليدين، وأثره الفعال على الصحة العامة، نورد مشهداً، الصورة فيه أبلغ من الكلام، وأعمق أثراً من البيان. إنها صورة لأحد الأطباء، الذى يعمل جراحاً، بإحدى المشافى، وهو يستعد للقيام بعملية جراحية، تماماً، كما يستعد المصارع، الذى اعتاد حصد جوائز المصارعة، قبل دخوله حلبة المباراة المصيرية.

فها هو أولاً يضع إحدى قدميه على زر، يتحكم عن طريقه فى انسياب الصابون السائل، ثم ها هو يضرب بركبته ضربة خفيفة لمفتاح صنبور المياه، ثم يقوم بدلك يديه بالصابون، لمدة تزيد على الدقيقة، ثم يقوم بإزالة ذلك الصابون بخفة ورشاقة، عن كلتا يديه، وذلك باستخدام خطافين، أو قل فرشتين، على يمينه وشماله، وذلك تحت تيار متدفق من المياه، ولا تنتهى المسألة عند هذا الحد، بل إنه يتجه على الفور إلى أظافره، مصوباً نحوها فرشاة معقمة لأكثر من دقيقة أخرى، مستمراً فى غسل يديه بدأب، ومثابرة، باستخدام قطعة من الإسفنج المعقم.

ويظل يكرر تلك العملية من الغسل، والتنظيف إلى أن يسمع صوت دقات جرس، ساعته منهية دورة كاملة لغسل اليدين، دامت خمس دقائق، بلا انقطاع، إنها عملية مملة مضجرة. أليس كذلك؟ بلى: إنها كذلك إلى أن تضع فى اعتبارك أن حياة مريض الفتاق الراقد فى الحجرة المجاورة تعتمد اعتماداً كلياً على ذلك العمل الشديد الانضباط، الذى لا تمس فيه يد الطبيب المعالج شيئاً إلا جسم المريض.

أقول: لا تمس شيئاً، أى شىء، حتى ولو كان الزر الذى ينطلق عن طريقه الصابون، أو مفتاح صنبور المياه، أو حتى الفرش المستعملة، فى إزالة المنظف أو الإسفنجة المعقمة، وممارسات الحياة اليومية تثبت بما لا يدع مجالاً للشك ما لنظافة اليدين من تأثير أكيد على صحة الإنسان، خصوصاً ضد بكتيريا Staphylococcus Aureus والتى نشير إليها اختصاراً بالحرفين S.A وهى بكتيريا سريعة الانتقال، عبر تلامس الأيدى، والتى ثبتت عدواها الفتاكة، خصوصاً على صغار السن. ولقد أصبحت مجموعة من هذه البكتيريا شديدة المقاومة لأكثر المضادات شيوعاً، وهو Methicllin ومع هذا فإن غسل اليدين غسلاً جيداً ومنتظماً، كفيل بمحو ذلك الخطر.

كما نؤكد على غسل اليدين، الذى اعتبره الكثيرون أحد مخلفات الماضى، منخدعين بالنجاح الظاهرى لبعض المضادات، التى يرون أنها قد تقوم بتلك المهمة التى لا ينوب عنها شىءٌ أبداً. إذ ثبت أن نصف الحالات المصابة ببكتريا S.A عنيفةالمقاومة للمضادات الحيوية، وإذا وضعنا فى الحسبان ما يقوله علماء البشرة فإن الحالات، التى تم اكتشافها هى: ناقوس الخطر، الذى يقول لنا: إن أعظم النار من مستصغر الشرر.

وكما يقول أحد أساتذة الأمراض الجلدية، فى مراكز الوقاية، والسيطرة على الأمراض فى أطلنطا، فإنه فيما عدا الوقاية الناشئة، أو المحتملة عن قوة الجهاز المناعى للجسم، فإن غسل اليدين يعُد من أشد الإجراءات تأثيراً فى الوقاية من المرض، وهى عملية من السهل على كل إنسان أن يمارسها.

ولإشعار القارىء العزيز بالكم الضخم من البكتيريا التى يحملها نقدم له تجربة مثيرة نفذت منذ سبعين عاماً، فقد قام الطبيب «بريس» بوضع أربعة عشر حوضاً وعقمها، ثم قام بطلائها بالمينا، وهو طلاء خزفى ثمين، ثم قام بملئها بماء دافىء معقم، وغسل يديه بالصابون العادى، لمدة دقيقة فى كل حوض على حدة، ثم قام بعد ذلك بحساب عدد البكتيريا المترسبة فى الأحواض، فوجد أن عددها ٤,٥٨ مليوناً من البكيتريا وهو رقم مخيف بالطبع، كما أوضحت الدراسات الأحدث: أن العدو الحقيقى للبكتيريا باليد واحدة ارتفع إلى ٢٠٠ مليون، وتشمل -أيضاً- الفيروسات، والفطريات، إضافة إلى البكتيريا- وقانا الله- والكثير من هذه الكائنات الدقيقة مثل S.E, S.A وهى بكتيريا جلدية، تستوطن يد الإنسان، ويشبهها العلماء بالزريعة، أى المولدات لسائر ما بالجسم من أمراض، لكنها - أيضاً - قد تكون سبباً فى الوقاية من الأمراض، وذلك لمزاحمة بعضها البعض الآخر، ولتنافسها فيما بينها، لتحمى نفسها من الغزاة الجدد. وأخطر تلك المخلوقات وأسرعها زوالاً التى تظل قابعة جاثمة على صنابير المياه، ومناشف التعقيم والتطهير، فى استراحات المطارات، وعلى مقابض أبواب قطارات الأنفاق، وعلى سماعات هواتف الخدمة العامة بالشوارع، والأهم من ذلك ما يكون منها موجوداً بين أصبعى الإبهام والسبابة للشخص، الذى تقوم بمصافحته، خصوصاً بعد

تناول إحدى الوجبات الغذائية، والمحير فى الأمر (كما ترى) أنه من الصعب التمييز بين الضار والنافع، من تلك البكتيريا، فعلى سبيل المثال عندما قام العلماء بتلوين بكتيريا S.A وتكبيرها مائة مرة، هى وبكتيريا S.E وكلا النوعين يشبه عناقيد العنب، وجد أنهما خطيرتان لكن بعض البكتيريا سريع الزوال لا تسكن يد الإنسان، فموطنها الأصلى هو أمعاؤه. إنها البكتيريا المعوية، واسمها Coliceschericia وتعرف اختصاراً بالحرفيين E.C، ولما تم صبغها بلون قرمزى، بدت من أحد جوانبها، كحبات الأرز الطويل، وهى تسبب التسمم الغذائى، ولا يخيفها العيش خارج أمعاء الإنسان، طالما توافر لها الغذاء، فعلى سبيل المثال. عند تحويل بقايا اللحم البقرى الملوث إلى همبورجر، يمكن أن يكون الجمرة المستعرة، التى توجد بها ١٠ ملايين بكتيريا مسببة للأمراض، كما أن أطراف الأصابع، وعقدها - التى جعل الرسول -ﷺ- غسلها سنة من سنن الفطرة - يمكن أن تكون مرفأ آمناً للبكتيريا، التى تظل قابعة بها أكثر من ساعة، لكنها ليست المخبأ المناسب لها بالطبع، ويقترح عليك الأطباء النظر إلى راحتى يديك مستخدماً مجهراً من طراز: (3D) بقوة تكبير تبلغ خمسين مرة، وعند هذا المستوى تبدو اليد مستعمرة اكتظت بكل ما نبتهل إلى الله، أن يقينا إياه، ويحمينا منه، كما أن كميات الشحم الرهيبة توفر مستقراً، أى مستقر (لفيروسات الأنفلونزا) ونزلات البرد، التى تظل منتظرة حتى يلامس الشخص بيديه الأغشية الدقيقة، داخل الأنف، والعينين، والفم، حيث تقوم هذه البكتيريا باختراق الخلايا، متبعة ذلك بالتوالد والتناسل إلى مالا نهاية.

ولربما كان من المفيد أن تعلم أن حوالى من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ غدة عرقية فى كل (سم٢) من الجلد، تقوم بضخ البخار على راحتيك؛ لتروى الجيوش العطشى من البكتيريا، كما أن الغدد ذاتها تشبه مناجم الفحم الصغيرة، التى لكل منها عمود للتهوية، يمتد بعمق داخل الأدمة، وهى الطبقة الأولى للبشرة، وأكثر طبقات الجلد سمكاً، مكونة فى النهاية ما يشبه مطعماً مستدير الشكل، تجمعت فيه كميات العرق الهائلة، لتمثل وجبة مشبعة للبكتيريا الجائعة، أما على أظهر الأيدى فإن الغدد الدهنية، وبويصلات الشعر، تكون جحوراً تسكنها البكيتريا، تشبه جحور الثعالب، فهى كثيرة الالتواءات والتعرجات. وأما أكثر المكامن أمنا، وأشدها اتساعاً، فتقع تحت الأظافر، فيما يطلق عليه الباحثون : (الفراغات فوق الظفرية)، وفى تشبيه يقرب هذه الأماكن؛ لأفهام البسطاء، يقول أحد علماء (الميكروبولوجى) : إذا تصورنا يد الإنسان إحدى قارات الدنيا، فإن الفراغات فوق الظفرية تعتبر الكهوف داخل هذه القارة، ويضيف قائلاً : إنها (التيه)؛ لأن ٩٥٪ من البكتيريا الموجودة بأيدينا تعيش تحت الأظافر، ويقدر العلماء المدة المناسبة لغسل اليد غسلاً جيداً بزمن لا يقل عن خمس دقائق، وربما ذلك تشدداً يقينا منه إسباغ الوضوء على المكاره، وحجة الباحثين

فى ذلك: التشدد. هو التأكد من إزالة وتشتيت وتبديد وقتل كل تلك البكتيريا أو ٩٩٪ منها على الأقل، وهى عملية نادراً ما ينظر إليها بعين الرعاية، والاهتمام كل الناس، بل معظم الأطباء.

وفى دراسة أُجريت منذ بضع سنوات قام الأطباء فيها، والممرضات، وذلك فى أحد غرف الطوارىء بغسل أيديهم فى ثلث المدة المقرر أن يغسلوا فيها أيديهم بعد لمس أحد المرضى فلما اتبعوا ذلك باستعمال الماء والصابون فى غسلها مرة ثانية وجدوا أن أيديهم لم تكن قد طهرت بعد، وغالباً ما لا يتمكن الكثيرون من تنظيف أيديهم بشكل جيد، كما ينطبق ذلك على ما لديهم من أظافر لا يقومون بتقليمها، كما أوصى بذلك رسول الله -ﷺ- فى حديث (سنن الفطرة). كما يوصى المختصون بالعناية الشديدة بإصبع الإبهام وما براحات الأيدى، من: شقوق، وتجاويف، وزوايا، وأن تكون اليدان نظيفتين ظاهراً وباطناً.

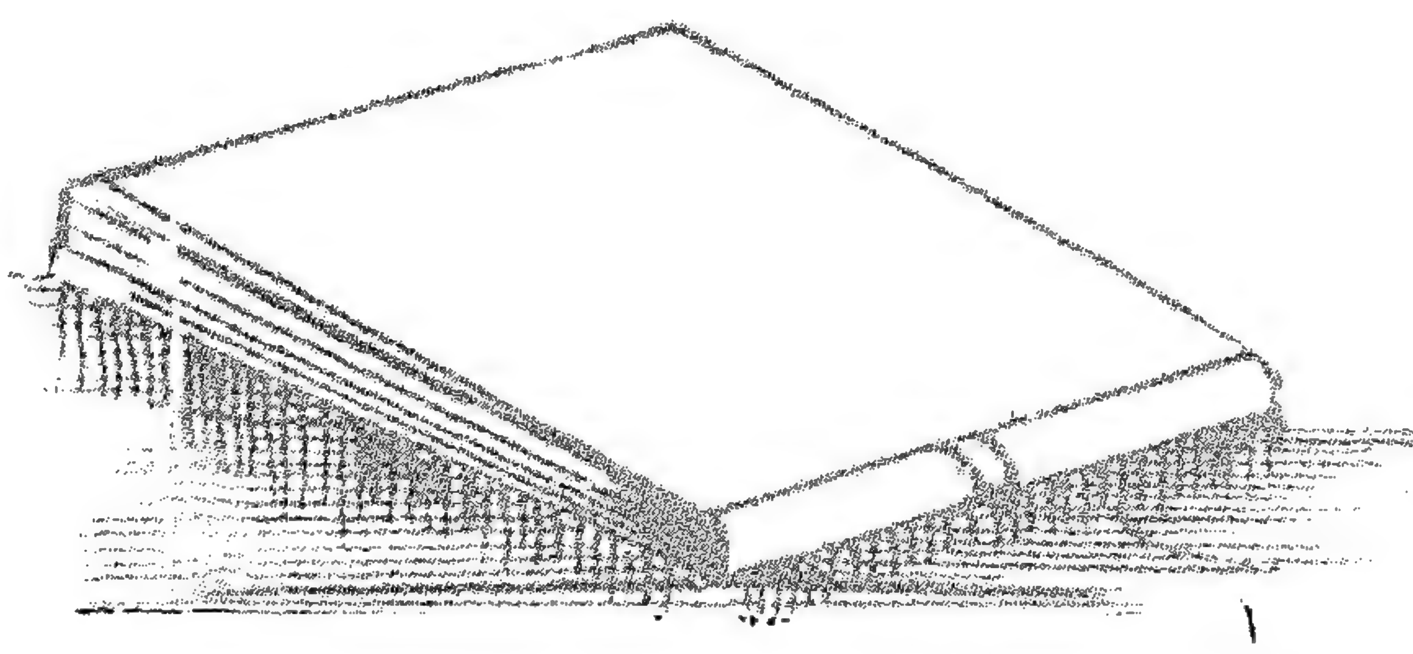
وإزاء كل تلك الأمور نرى أن الأمر يسير إن شاء الله، إذ عليك بالبدء بالصابون والماء الجارى، غير شديد السخونة. وهنا يؤكد العلماء على الصابون العادى -أيضاً- فيقولون: إن الصابون المضاد للأمراض الميكروبية غير ضرورى، ولربما ساعدت بعض أنواعه البكتيريا على التكاثر وزادت قدرتها على مقاومة المضادات الحيوية، فما أن يمس الصابون الجلد حتى تبدأ جزر الشحم فى التحلل مثيرة الفيروسات الهاجعة، والبكتيريا الحية. فعليك إذاً بالصابون العادى وابتعد قدر المستطاع عن الكيماويات. إذ أن بكتيريا: (E.C) والبكتيريا الحيوية الأخرى سريعة الزوال ستقع فى شباك الماء المختلط بالصابون العادى، وذلك خلال الخمس ثوان الأولى من عملية الغسل، والسبب أن الصابون العادى يمزق الغلاف الخارجى لفيروس الأنفلونزا ويجعله ساكناً هامداً لا حراك له، كما تنزاح الفيروسات أشباه عناقيد العنب، وإن غسلت يديك بالطريقة العلمية الموصى بها، فستكون قد أزلت ٩٥٪ من الكائنات الدقيقة قبل أن يزول كل الصابون عن يديك.

ومهما طالت المدة، التى استغرقتها فى غسل يديك، فإن الزريعة القديمة، ستعود للظهور من مخابئها، ومن الفراغات فوق الظفرية، والغدد العرقية، وبويصلات الشعر، وزوايا الجلد، وتنشر من جديد فواتكها، ومن ثم فعذراً لما قام به الطبيب الصينى فى أول سطور هذا المقال، والشكر والتقدير لأمهاتنا اللاتى كن يأمرننا بغسل أيدينا، ويلححن فى ذلك أشد الإلحاح، والتقدير والتكريم، والتفضيل والتوقير والتبجيل لمعلم الناس الخير: محمد رسول الله -ﷺ- الذى كان مولده مولداً للبشرية جمعاء، وارتقاء بها إلى معالى الأمور، والعادات الحميدة، التى تعود على المستمسكين بها بالنفع فى الدنيا والآخرة.

عن أنس بن مالك قال: «ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله -ﷺ-».

وهدانى الله وإياكم إلى اتباع السنة الشريفة.

دوحة الكتب



إعداد:
محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر، يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى؛ ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية.

المحرر

العقيدة الإسلامية للأطفال

إعداد
د. حسام العقاد

الناشر
دار الصحابة للتراث بطنطا

● عزيزى القارىء : الكتابة للأطفال أحدّ من السيف المسنون؛ لانها معلومة قوية، قد تقضى على أجيال، وقد تعمل على بناء أجيال، وتأسيسهم فى قوة وصلابة، وكما يقولون: التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر، فكاتب الأطفال تتوافر فيه بجانب الموهبة والثقافة الشاملة : الأمانة، والصدق، والإخلاص.

● والمؤلف فى هذا الكتـاب له باع طويل فى هذا المجال، بأمانة وإخلاص وموهبة صادقة، له الكثير والكثير، واليوم نعيش معه من خلال مجموعة قصصية تشرح مسائل العقيدة، فى أسلوب مُيسّر، وهى سلسلة قصصية تربوية، تهـدف من بين مـاتهـدف إلى عـرض جـوانب العقيدة الإسلامية، وتصحيح ما انحرف منها، عن جـادة الصـواب بصـورة جـميلة وسـهلة، متـخذةً من الأخطاء العـقدية الشائعة - التى يقع فـيـهـا الناس - مـحـوراً تدور الأحـداث حـوله، ومن خـلال أسلوب الحـوار الممـتع، والمقنع يدرك الشـخص الذى يمارس هذه الأخطاء مدى ماوقع فيه، فيعلن ندمه وتوبته.

وطرح المؤلـف بأسلوب سهل حكايات جميلة، لعدة رسائل عن طريق عرض قصصى ممتع، منها:

● النصيحة الخاطئة، والوصية الغالية، وفضل الدعاء.

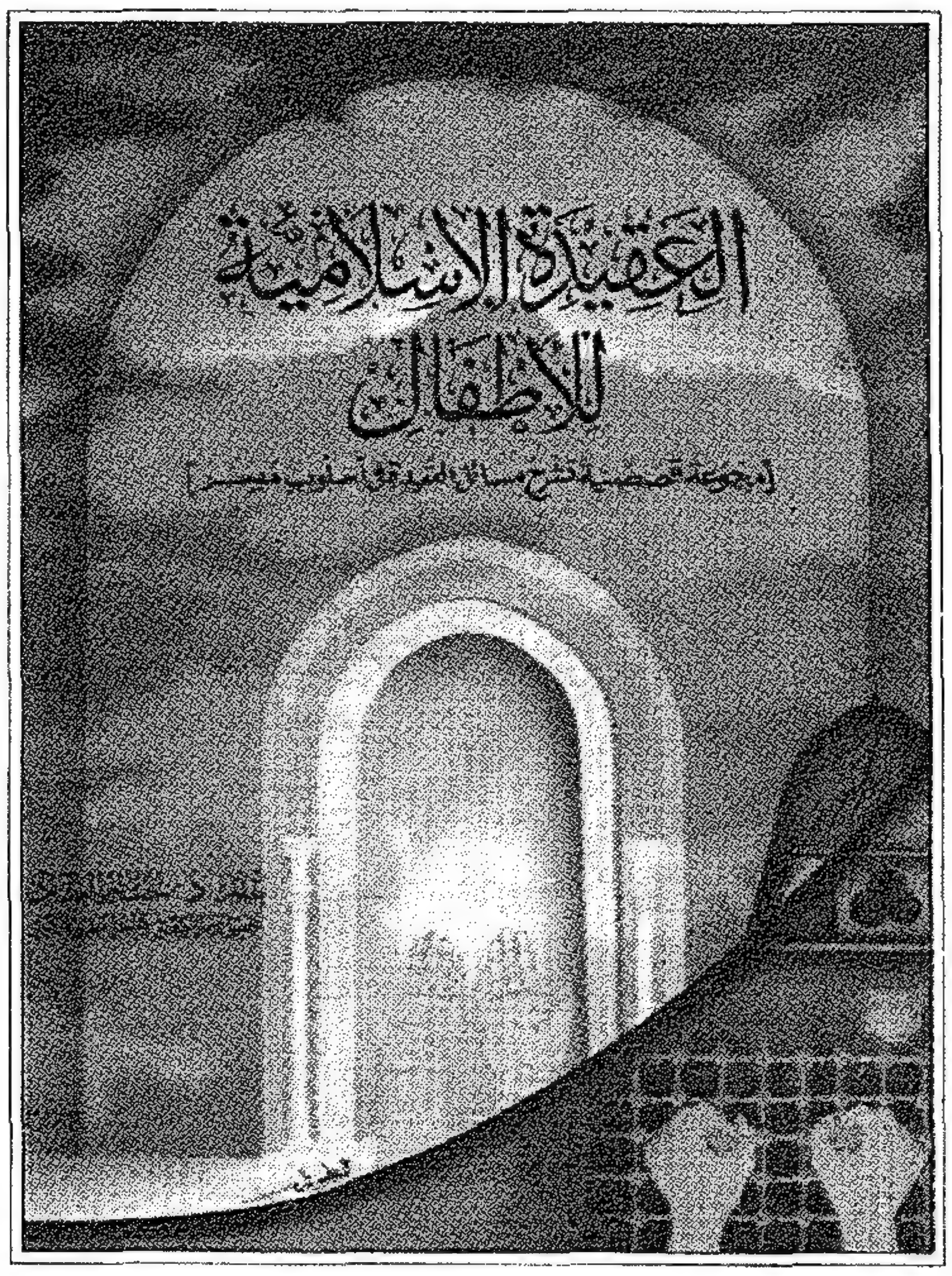
● أما الرسالة الثانية فهى عن الجن، وأدلة وجودها وعن القرين والدجال.. وعلم الغيب.

● أمـا الرسـالة الثـالثـة فـهى عـبـارة عن مجموعة قصص منها : مجلس العلم، والشرك الأصغر وشروط قبول التوبة، والذبح لغير الله.

● أما الرسالة الرابعة فكانت عن: التبرك، والحسد، والتطير.

● أما الرسالة الخامسة فهى عن: حلقات الذكر.

● اما الرسالة السادسة فكانت عن: الظلم العظيم، الشرك بالله.



● اما الرسالة السابعة فكانت عن: الشرك الخفى، والشفاعة، وأنواع الشفاعة، والتوكل على الله.

● أما الرسالة الثامنة فتحدث فيها المؤلف عن: السحر، وكل مايتصل به من قريب أو بعيد.

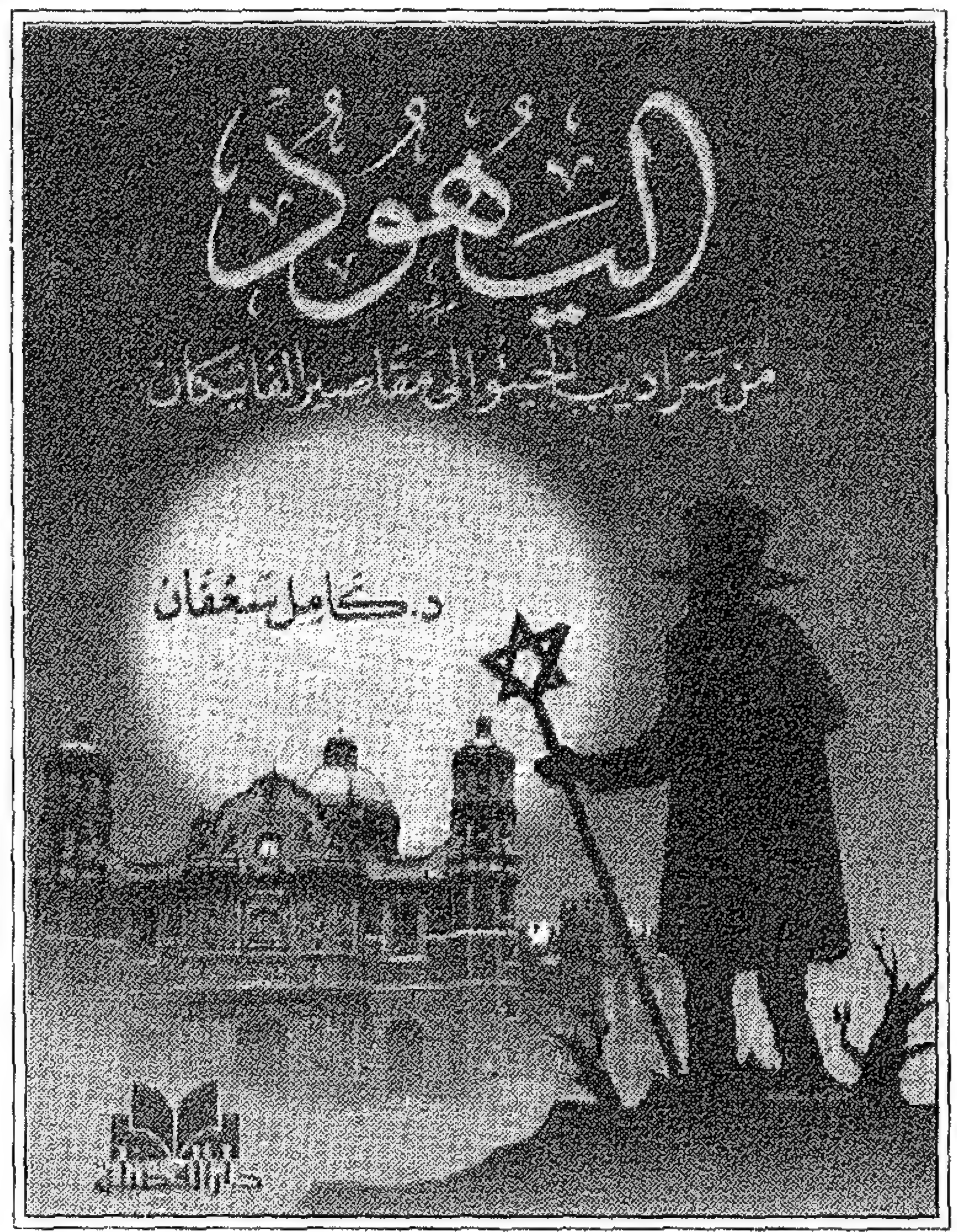
● ثم الرسالة الأخيرة وهى عن: رد القضاء والقدر، وعرض فى أسلوب قصصى جميل تحت عنوان: السفر إلى الخارج، ومجلس علم، وفى المستشفى، وعرض كريم، ومراتب القضاء والقدر.

● هـكـذا تـنـاول المؤلـف فـى حـكـايـات قصصية بسيطة وخفيفة ليقف منها كل فتى وفتاة على الأمور الخاطئة والعقائد المخالفة للشريعة، والمفاهيم التى لاتمت للدين الحنيف بصلة.

اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصير الفاتيكان

تأليف: د. كامل سعفان

الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع



إن هذه النوعية من الكتب تفصح عن الوجه الحقيقى لليهود، وتكشف عنهم قناع المكر والخديعة، ونقد العهود منذ عصور الأنبياء، حتى وقتنا هذا، بوسائلهم الذرائعية، المتسللة إلى مصادر القوة، وإلى معرفتهم مختلف السراديب، وحرصهم - حين يملكون -، على ابتزاز القادرين، وإبادة غير القادرين واتخاذ أحط الوسائل واخبثها للوصول إلى الأهداف القريبة والبعيدة، من أجل تخريب كيانات الآخرين، والالتفاف من حولهم، حتى يتم تذليلهم، والاستيلاء على مقدراتهم وهم يتحصنون داخل مايسمى بالجيتو، وهو لفظ مأخوذ عن كلمة (Getto) وهو مسبك كان فى البندقية، وكأن اليهود أرادوا أن يعيدوه فى ذلك الحى من المدينة، الذى ينكفئون فيه على نفوسهم، يضمدون جراحهم، ويلملمون ما تبعثر منهم، ويكيدون للعالم كله، الذى وقف منهم، أو وقفوا منه موقف العداء.

● فى هذا الكتاب انصب حديث المؤلف فى بدايته عن أبى الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - وموقفه من أهله، عبدة الأصنام والكواكب.

● ثم تحدث عن اليهود فى مصر القديمة، منذ عهد يعقوب - عليه السلام - حتى ١٩٤٨.

● واشار إلى الهكسوس وهم ملوك الرعاة، وهجرة أول أسرة يهودية إلى مصر فى عهد الملك راسيس، وهو عزيز مصر. ويقول أحمد فخرى : إن الهكسوس هم العماليق، خرجوا من تهامة بأرض الحجاز، واستولوا على بلاد مابين النهرين، وأسسوا ملك بابل، وآشور، ونزلوا بسورية ومنها هبطوا إلى دلتا النيل.

كما تحدث المؤلف عن الحضارة العبرانية، حيث قال : إن العبرانيين كانوا لايكتسبون إلا هوامش من الحضارات؛ لأنهم كانوا لايقصدون المدن بل يقيمون على مقربة منها، ثم تحدث عن

التلمود، وماكان يحويه، وإهاناته للمسيحية، وتحريضه على الغش والخداع، ثم تحدث عن شعائر وأعياد اليهود.

● يقول المؤلف: كان لليهود خلال العصور الوسطى شريعة ولم تكن لهم دولة، كان لهم وجود، ولم يكن لهم وطن، ولقد عومل اليهود فى ظل الدولة الإسلامية معاملة طيبة، وبخاصة فى العراق ومصر.

● ثم تحدث عن اليهود وهم تحت وطأة اليونان، والرومان، ثم أشار إلى الخرافة قائلا: الخرافة هى أقدم العلوم الإنسانية، وأصدقها دلالة على مايعتمل فى نفس المرء، ومايطبع على حسه، ومايمزج بين واقعه وحسه.

● ثم عرض المؤلف موضوع الجيتو من حيث معناه وتنظيمه ثم الماسونية، ويقول فيها المؤلف: لقد انبثق الفكر الحاقد الناقم شديد الجشع عن بناء إسطورى وهمى أشبه بخيوط العنكبوت، تصطاد الحشرات والديدان من أجل إفناء الآخرين، بأيدى الزعماء وكبار رجال الأعمال والمثقفين، هذه هى الماسونية، تحت ستار العمل من أجل بناء العالم على أسس جديدة من التعاون الحر، وتبادل المنفعة.

● ثم تحدث عن امتداد اليهود فى بقاع الأرض حتى وقتنا هذا.

● واستطرد الكاتب، فأشار إلي مقولة «رجينا الشريف»: مع عصر الإصلاح الدينى تسرب الحلم الألفى الى أوساط الجماهير، واستمر هذا الحلم يستقطب أنصارا له فى كل فترات التاريخ، التى تلت حركة الإصلاح الدينى، إلى أن بلغت ذروتها فى القرن العشرين.

● ثم يقول المؤلف: وتكمن أهمية حركة الإصلاح الدينى فى أنها مهدت الطريق للأفكار الصهيونية، وكون فلسطين وطنا لليهود.

● ووضح المؤلف دور الأدب فى التعريف باليهود، حيث وصف الأدباء اليهود للوطن الذى يحلمون به، ومنهم كتاب روسو التعليمى (إميل) ١٧٦٢ (لن نعرف الدوافع الداخلية لليهود حتى تكون لهم دولتهم الحرة ومدارسهم وجامعاتهم).

● ثم تحدث عن الطريق إلى وعد بلفور، وروسيا، واليهود، ثم أشار المؤلف الى اليهود فى البلاد العربية.

● وفى باب: «أرض بلا شعب» أشار المؤلف إلى القائمة التى أوردها (إسرائيل شاحاك) ١٩٧٥ عن ٣٨٥ قرية عربية دمرت بالبلدوزر من بين ٤٧٥ كانت تنعى من بناها سنة ١٩٤٨، وقد حُرف قانون (العودة) لصالح اليهود، فأى يهودى قادم من أى مكان يصبح مواطنا إسرائيليا بمجرد أن تطأ قدماه مطار تل أبيب، أما الفلسطينى المولود فى فلسطين ومن أبوين فلسطينيين فيجوز اعتباره عديم الجنسية.

● هكذا عرض المؤلف هذا التاريخ الصهيونى وتأثيره منذ بداية تجمعهم، كأفراد، وحتى استعمارهم كجماعات، وسيطرتهم على الأراضى الفلسطينية، حتى انتهى بنا إلى هذا القول بأن الدنيا دول.

الصوائت والمعنى في العربية

تأليف: د. محمد داود

الناشر: دار المنار للنشر والتوزيع

كم هى شيقة وجميلة، والحديث عنها طويل ومفيد؛ لأنها أجمل لغة فى الوجود، فهى لغة القرآن الكريم، واليوم ونحن نعيش مع هذا الكتاب الشائق الجديد فى أسلوبه، والحديث فى معناه، والسهل فى عرضه، وبحثه، بل الغزير فى علم العربية، وبخاصة مشتقاتها، التى لاتنتهى، فهى ممتدة وساطعة مادام كلام الله باقيا.

فالكلمات تتسيد وسائل التعبير عن المعانى المتزاحمة في أذهان البشر، فعن طريق الكلمات تعبر المعانى المستترة حاجز الخفاء، إلى عالم الظهور والعلانية، وهذا الكتاب يعبر عن دراسة دلالية لعنصر من عناصر التعبير عن المعنى فى العربية، وهو عنصر الحركات (الصوائت) وذلك لمعالجة قضايا هامة فى العربية، وهى مشكلة المتحدثين بالعربية، والكتاب المعاصرين كضبط عين المضارع، ومعالجة الخلاف حول الحركة الإعرابية، وإبراز دورها، وابراز دور الحركة فى التمييز بين البيئات المختلفة، والمستويات اللغوية المتنوعة، ثم تحديد مفهوم الحركة، وقد تناول الكتاب عدة مباحث : المبحث الأول: حول الحركات بين القدماء والمحدثين فى ضوء الدرس اللغوى الحديث، كالأصوات الصامتة وأطلق عليها العرب مصطلح «الحروف الأصول» ومنها يتكون جذر الكلمة وعددها فى العربية ثمانية وعشرون صوتا، يدخل فيها الواو غير المدة والياء غير المدَّة.

وفى ضوء علم اللغة الحديث حدث اتساع لمصطلح الحركات فى العربية، واصبحت الحركات فى العربية، تصنف من حيث النوع إلى ثلاثة أنواع: الفتحة، الكسرة، والضمة، أما من حيث الزمن المستغرق لنطقها فهى ستة أنواع، بينها المؤلف.

● والمبحث الثانى فتحدث فيه المؤلف : عن دلالة الحركات الثابتة فى بنيه الكلمة، أما فى المبحث الثالث فطرح العلامة الإعرابية من حيث أنواعها، ووظائفها وأشار – أيضا – إلى جداول الأفعال، وقائمة الأسماء المتشابهة، وطرح فيه عرضا موسعاً لهذه الجداول والمتشابهات من حيث اختلاف المعنى، واتفاقه، أما من حيث الأسماء المتشابهة والتى يقع فيها الخلط بين معانيها عند المتحدثين فقد رتبها المؤلف ترتيبا هجائياً على حسب حروف الأصول لكل كلمة، دون مراعاة لموضع تغيير الحركة أو عدد هذه المواضع داخل الكلمة الواحدة، وقد نسقها المؤلف مجدولة ومرتبه وسهلة على القارىء فى بيان موجز، واشتقاقات ميسرة، وموضحة توضيحاً فريداً فى طريقة عرضه وبيانه.

وأخيراً عزيزى القارىء من خلال رحلتنا فى هذا البحث الشائق عن العربية تبين لنا أهمية دور الحركة على المستويات (الصوتية، الصرفية، النحوية) كعنصر من عناصر التعبير عن المعنى فى العربية، وبخاصة أن العربية لغة اشتقاقية تأخذ الحركة فيها دوراً فى توليد الصيغ المختلفة، ومايتبع ذلك من تنوعات لوجوه المعنى الواحد، أو التباين بين المعانى المختلفة، وأظهر البحث نوعين من دلالة الحركات الثابتة في المستوى الصوتى كالدلالة اللغوية للحركة، والدلالة الاجتماعية للحركة.

أيضا ميز المؤلف بين دورين للحركة فى توليد الصيغ المختلفة فى العربية حتى انتهى بنا إلى معالجة الخلاف القائم حول دور الحركة الإعرابية من خلال المنهج الوصفى، ودراسة وظيفة الحركة على المستوى النحوى، فأبرز الوظيفة الصوتية للحركة لوصل الكلام بجوار الوظيفة الدلالية لها.

بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

نور الحق

كلما ازداد الظلام، آذن الفجر بالبزوغ، تلك حقيقة كونية أرادها الله -تعالى- مثالاً تطمئن إليه نفوس المؤمنين، ليعلموا أنه كلما اشتدت الأزمة، لاح فى الأفق الفرج، تماماً كشروق الشمس بعد ليل بهيم طويل.

ولقد بلغ الظلام مداه يوم أراد أبرهة هدم الكعبة المشرفة بيت الله الحرام، ولم يكن لقريش -فى ذلك الوقت- طاقة للقاء جيش أبرهة، مما دعا عبدالمطلب إلى اللجوء إلى الله -تعالى- طالباً منه أن يحمى بيته قائلاً:

يا رب لا أرجو لهم سواكا
يا رب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا
فامنعهم أن يخربوا قراكا

استجاب الله -تعالى- لدعاء عبده «عبدالمطلب»، وصرف أعداء الدين عن بيته الحرام. وأذن الله -تعالى- لشمس العدل أن تشرق، ولنور العدل أن يشتت الظلم وظلماته ويتلألأ حتى قيام الساعة فكان مولده -ﷺ- فى ذلك العام، عام الفيل. وسيبقى نوره -إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين، اللهم أفض علينا من نوره المبارك، وأعد علينا وعلى الأمة الإسلامية مثل هذه الأيام المباركة بالخير واليمن والبركات.. آمين.

النبى محمد ﷺ

وحول هذه المناسبة الطيبة، واحتفاء بمولد الرسول الكريم.. وردت هذه الكلمة من القارىء: محمد أحمد بدير سرحان -من المحلة الكبرى- يقول:

● ولد الرسول -ﷺ- فى عام الفيل يوم الإثنين، فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول الموافق ٢٠ من إبريل (نيسان) ٥٧٠م فى مكة المكرمة وكانت نشأته فى مضارب قبيلة بنى سعد وكانت مرضعته حليمة السعدية بنت أبى ذؤيب السعدى.

● وأبوه هو عبدالله بن عبدالمطلب، مات قبل ولادة الرسول -ﷺ- بأشهر وكانت وفاته بالمدينة، وأمه هى آمنة بنت وهب، توفيت فى طريق عودتها من المدينة بعد زيارة قبر زوجها عبدالله.. وكانت وفاتها فى مكان يسمى بالأبواء بين مكة والمدينة وكان عمر الرسول -ﷺ- وقتها ست سنوات.

● لم يحمل اسم محمد قبل الرسول -ﷺ- فى الجاهلية إلا سبعة.. منهم: محمد بن الحلاج، محمد بن سفيان بن مجاشع، محمد بن حمراء بن ربيعة، محمد بن سلمة الذى أدرك الإسلام واشترك فى غزوة بدر.. أما الذى اختار الاسم للرسول -ﷺ- فهو جده عبدالمطلب.. ويروى أن ثلاثة من الذين حملوا هذا الاسم قبله أطلق عليهم آباؤهم اسم محمد لأنهم علموا ممن لهم صلة بمطالعة الكتب السابقة أن نبياً سيولد فى زمانهم يسمى محمداً.. ويُروى - أيضاً - أن أم النبى -ﷺ- آمنة رأت فى المنام من يقول لها: «إنك حملت بسيد هذه الأمة فإذا ولد قولى: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد وسمّيه محمداً».. وقد ذُكر اسم محمد فى القرآن الكريم أربع مرات: مرة فى الآية (١٤٤) من سورة [آل عمران] ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾..

ومرة فى الآية (٤٠) من سورة [الأحزاب] ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾..

ومرة فى الآية (٢) من سورة [محمد] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾.

ومرة فى الآية (٢٩) من سورة [الفتح] ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾.

أما اسم أحمد فقد ذكر فى القرآن الكريم مرة واحدة فقط فى الآية (٦) من سورة [الصف] ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾.

وقد روى مسلم بسنده عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى هاشماً من قريش واصطفانى من بنى هاشم.. فأنا خيار من خيار».

المولد النبوىّ مولد الكرامة الإنسانيّة

ومن القارىء: حاتم إبراهيم محمد سلامة- منوف - وردت هذه الرسالة احتفاء بالذكرى الطاهرة- يقول:

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

وهكذا وصف القرآن نبينا -ﷺ- فهو لم يكن مجرد رسول، بل كان رحمة للعالمين.. رحمة فى أخلاقه.. رحمة فى الرسالة التى حمل لواءها، تلك الرسالة التى قلبت موازين الحياة الآثمة، وأحدثت بهذا العالم القاسى تحولاً كبيراً.

لقد كان العالم قبل مجيئه -ﷺ- أشبه بالغابة الموحشة التى يفترس القوى فيها الضعيف، ويطغى الكبير فيها على الصغير.

كانت المادة هى سمة ذلك العالم، بل الميزان الذى يوزن به الإنسان فتكون منه مكانته ومقامه. فلا اعتبار للخلق والمروءة، ولا قيمة للفضيلة وكرامة الإنسان.

إنك إذا تأملت الحياة الاجتماعية قبل بعثة النبى -ﷺ- وقبل مولده الشريف. لرأيت كيف

كان الإنسان رخيصاً، بل رأيت أفدح من هذا وأكثر.. رأيت عالما بأركان متهاوية، فالظلم سماؤه والحقد شمسه، والقتل والفتك بالضعيف نسيمه وعبيره، والغدر والخداع ليله ونهاره.

بل كانت العصبية الجاهلة قانوناً ينخرط فيه ناسه، فكانت الحروب نتاجها والعداوات ثمرتها، وإنك لتعجب من هذه الحماقات المزرية، حينما ترى القبائل يتألب بعضها على بعض قتالاً وبطشاً، وظلماً وعدواناً لتوافه الأمور وحقيرها.

هذا هو مجتمع الجاهلية، الذى قدر لرسالة الإسلام أن تشق ظلامه بنورها وضيائها. فكانت رسالة إنقاذ، ودعوة للتحرر، حملت فى طياتها ما تحتاج إليه البشرية من معانى الحرية والمساواة، والرفق بالضعيف، والرحمة بالبائسين والفقراء.

وكذلك كان الميلاد المبارك، مولد الأمل الإنسانى، بل مولد الكرامة الإنسانية، كان مولده -ﷺ- فجراً جديداً، وتروى لنا السيرة انه لما بُشر أبو لهب من جاريته بمولد ابن أخيه اعتقها كرامة للبُشرى التى أسعدته.

وفى عام مولده -ﷺ- فتكت طيور السماء بطاغية آثم حاول هدم بيت الله، فكان المولد الشريف بما صادف من مواقف النصر والحرية، بشرى للبائسين من هذا الزمان، والمعذبين فى كل مكان.

لقد تميز -ﷺ- بالصدق والأمانة، حتى لقب بالصادق الأمين.

ولقد وقف عمه كالطود الشامخ يوم خطبه خديجة وقال: «إن هذا ابن أخى ما قورن بأحد إلا فاق شرفاً ونبلاً، وفضلاً وخلقاً، وهو وإن كان فى المال قل، فإن المال ظل زائل.. أمر حائل».

هذا هو محمد -ﷺ- الرحمة المهداة.

فما أحوجنا هذه الأيام ونحن نحتفل بذكرى مولده أن نتأسى به -ﷺ-.

أسماء بنت أبى بكر

ومن القارئة عبير محمد نصار - البحيرة- وردت هذه الكلمة عن السيدة أسماء بنت أبى بكر -رضى الله عنها- تقول فيها:

هى أسماء بنت عبدالله بن أبى قحافة الملقب «بأبى بكر» أمها قتيلة بنت عبدالعزى - ولدت -رضى الله عنها- قبل البعثة بحوالى ١٤ سنة.

أسلمت - رضى الله عنها - بعد إسلام أبيها -رضى الله عنه- وكانت من أوائل المسلمات.

تزوجت -رضى الله عنها- من الزبير بن العوام (ابن عمة النبى) والعوام أخو السيدة خديجة -رضى الله عنها-.

وأنجبت منه: عبدالله - عروة - المنذر - ومن البنات: خديجة.. تزوجها عبدالله بن أبى ربيعة المخزومى - وأم الحسن.. تزوجها عبدالرحمن بن الحارث - وعائشة.. تزوجها الوليد بن عثمان بن عفان.

وكفاحها وصبرها مع زوجها صورة مشرقة ومشرفة فمن حديث مسلم -عن أسماء -رضى الله عنها- قالت: «تزوجنى الزبير وماله من مال، ولا مملوك، ولا شىء غير فرسه.. قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى وأعلفه.. وأستقى الماء.. إلخ» [رواه مسلم برقم ٢١٨٢]

وتظهر رعايتها لزوجها انه -رضى الله عنه- لم يتخلف عن غزوة قط، واشترك فى الفتوحات الإسلامية فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان.. فقد أتاحت له المناخ المناسب فى البيت كى يتفرغ هو للجهاد.

ولقد تميزت –رضى الله عنها– برجاحة العقل وقوة الإيمان والشجاعة والصبر. ولذلك أطلعها أبوها على خبر هجرته مع الرسول – ﷺ – بل وكانت تُعرض نفسها للخطر حين كانت تذهب إليهما فى غار ثور بالطعام والشراب.

فشقت نطاقها نصفين كى تحكم وضع الطعام والشراب وحينما رأى ذلك الرسول –ﷺ– لقبها بذات النطاقين وبشرها بالجنة« [صحيح البخارى – ٧ / ٣٣٢]

وهاجرت وهى حامل محتسبة ذلك فى سبيل الله، فرزقها الله بمولودها الأول «عبدالله بن الزبير» أول مولود فى المهاجرين، ليبطل مزاعم اليهود بأن المسلمين لن يولد لهم ولد.

وجاء فى سير أعلام النبلاء (٢ / ٢٩٢) روى ابن سعد فى الطبقات عن أسامة بن زيد عن محمد بن المنكدر، «كانت أسماء بنت أبى بكر سخية النفس».. وعلى الرغم من كل أعمال البر إلا أنها –رضى الله عنها– كانت تتهم نفسها وتستقل عملها.. روى ابن سعد فى الطبقات الكبرى ـ أيضا ـ: (كانت أسماء تصدع فتضع يدها على رأسها وتقول: «بذنبى وما يغفره الله أكثر» مصداقاً للآية ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى– ٣٠].

ولا ينسى لها التاريخ موقفها الشجاع عندما استشهد ابنها عبدالله بن الزبير وأبى الحجاج إلا أن يصلب جثمانه، فقالت أسماء للحجاج فى لهجة قوية: «أما آن لهذا الفارس أن يترجل».

توفيت – رضى الله عنها – بعد أيام من دفن ابنها عبدالله.

رحم الله أسماء بنت أبى بكر، بنتاً وزوجة وأما ومجاهدة وصابرة.

ذو القرنين (الحبير المؤمن)

ومن القارىء الدكتور أحمد شوقى عرفة -مصر الجديدة- وردت هذه الكلمة عن «ذى القرنين» يقول فيها:

ـ ذكر القرآن الكريم فى سورة الكهف عن ذى القرنين أشياء تدعو إلى التأمل، لاستخلاص الدروس والعبر. لقد آتاه الله ـ سبحانه وتعالى ـ الملك العظيم والسلطان، وزوده بكل ما يفيد وينفع من أسباب العلم والقدرة وحسن التصرف. وفى رحلته إلى منطقة بين السدين العظيمين وجد قوما جاهلين لا يكادون يفقهون قولا؛ بسبب عزلتهم وانقطاعهم عن العالم. وكان قوم يأجوج ومأجوج المتوحشون المفسدون يغيرون عليهم فى كل عام، فيوسعونهم قتلا وأسرا وسلبا لحيواناتهم ومتاعهم لا يستطيعون لهم دفعا ولا يملكون عدة تفيدهم لمحاربتهم والتغلب عليهم، بل إنهم كانوا ينتظرون مصيرهم البائس مستسلمين بدون أدنى مقاومة أو محاولة لتغيير واقعهم المظلم. لذلك لما جاءهم ذو القرنين فإنهم طلبوا منه أن يبنى لهم سدا يحميهم من غارات القوم المفسدين قوم يأجوج ومأجوج على أن يعطوه خرجا –أى أجرا– فقال لهم: ما عند الله خير مما تريدون أن تقدموه لى. لقد رفض أخذ الجعل آملا فى المثوبة من الله ـ عز وجل ـ وطلب منهم أن يعينوه بقوة بالرجال والدواب؛ فلا بد أن يعمل طالب العون مع من يقدم المعونة حتى يتعلموا منه وأن يتدربوا على عمل ما كانوا يجهلونه مما قد يفيدهم فى قابل

حياتهم. ولا بد أن ذا القرنين بإدارته الحكيمة وعلمه المجدى قد نظمهم وقسمهم فرقا وخص كل فريق بعمل معين ينفذونه بسرعة وقوة وإتقان حتى ينتهى العمل قبل موعد قدوم القوم المفسدين. فهذا يقطع الصخور، وذاك ينقلها على الدواب وذلك ينقل الرمال والتراب اللازمين للردم وهو الحاجز أو السد. وفريق يبحث عن الحديد وآخر يبحث عن النحاس وآخرون يجمعون الحطب والأخشاب، وغيرهم يقومون على خدمة العاملين بإحضار الطعام والشراب لهم وللدواب. وقد قاموا بعمل السد تحت إشراف ذى القرنين وتوجيهه. حتى إذا ارتفع وتساوى من جانبى الجبلين وضع قطع الحديد التى جمعوها على السد، وأمرهم أن ينفخوا فيه بالمنافيخ ـ وهى آلات مثل كير الحدادين ـ حتى إذا صار الحديد لينا وسائلا وصار متوهجا كالنار، صب النحاس المسال على الحديد، فتكونت سبيكة قوية صلبة لا يمكن نقبها ـ أى إحداث ثقوب فى السد ـ وكانت ملساء لا يمكن للمفسدين من قوم يأجوج ومأجوج أن يتسوروه. وما أن انتهى من بناء السد وعاين قوته وصلابته وعدم إمكان تسلقه وأنه خير دفاع عن القوم وأمانا لهم من غارات يأجوج ومأجوج. قال:

﴿ **قال هذا رحمة من ربى** ﴾ أى أن هذا السد نعمة من الله ـ سبحانه وتعالى ـ على عباده.. أليست هذه من صور الهندسة الإنشائية في عهدها الأول؟

نستخلص من هذه القصة دروسا وعبرا.

من هذه الدروس والعبر أن العلم لازم وضرورى للأفراد والأمم وبدونه يكون الناس كالسائمة والدواب يتنازعهم الأقوياء، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا يملكون دفع الضر عن أنفسهم، وأن العلم يجب أن يسخر للخير وفائدة الناس، وأن من آتاه الله علما يجب ألا يغتر به وألا يتعالى به على غيره ويسخره لفائدته الشخصية، وألا يسخره فى الشر كما فعل قارون الذى آتاه الله المال الوفير فكان من الفرحين وبطر بنعمة الله عليه ولم يعط من أمواله شيئا للفقراء والمساكين ولم يشكر الله على ما آتاه بل انه كان من المتكبرين، ﴿ **فخسفنا به وبداره الأرض** ﴾. أما ذو القرنين فإنه يعلم نعمة الله وفضله عليه فقد عمل فى السد بدون أن يأخذ الجعل الذى عرضه القوم عليه، ﴿ **قال ما مكنى فيه ربي خير** ﴾. فى هذا المقام نهيب بأثرياء الأمة الإسلامية أن يبذلوا مما أفاء الله عليهم بسخاء، وهناك مصارف عديدة لهذا البذل، فمثلاً إنشاء المستشفيات والمدارس والملاجىء بل وإنشاء المصانع.. كل هذا وغيره لفائدة الفقراء مما يعود على البلد بالفائدة.

لقد تبرعت أميرة فى أوائل القرن الماضى لإنشاء أول جامعة فى مصر، كما تبرع رجل يونانى فى الأسكندرية بحديقة غناء واسعة يقدر ثمنها الآن بملايين الجنيهات، وكان اسمه انطونيادس كما تبرع آخرون بمنشآت أخرى.. كما يمكن وقف بعض الأطيان أو الأوراق المالية لإدارة ما تبرعوا لإنشائه حتى يضمنوا استمرارها.

وعلى الحكومات والأفراد طلب الاستشارة والخبرة من المستشارين المعروف عنهم التقوى والصلاح والورع ليضمنوا النصيحة الصائبة والفائدة.

أكثر الله من أمثال الخبير المؤمن « ذى القرنين ».

الخجل عند الأطفال

أما القارىء / محمد عباس محمد عرابى، فيبحث عن حل لمشكلة : «الخجل عند الأطفال» فيقول :

إن بعض الآباء يقعون فى خطأ إصدار الأوامر الصارمة إلى الأبناء، فيأمرون - مثلاً - الطفل الخجول بألا يخجل وأن يكون مقداماً جريئاً، إنهم يتصورون أن الابن يمكن أن يكون فى يدهم آلة طيعة لتنفيذ الأوامر..

ولكن بعض الآباء قد يعثرون على الطريق الصحيح ويشجعون ابنهم الخجول ويرعونه رعاية سليمة فينجحون فى بناء شخصيته، فما الذى يفعلونه؟! وكيف نشجع الطفل الخجول؟!

إن الطفل الخجول فى الواقع طفل مسكين وبائس يعانى من عدم القدرة على الأخذ والعطاء مع أقرانه فى المدرسة وفى المجتمع، وبذلك يشعر بالنقص بالمقارنة بغيره من الأطفال، ولعل من المزعج أعراض الانزواء وأحلام اليقظة، ذلك لأن المنزوى الذى يعانى من أحلام اليقظة يعيش منطويا على نفسه يجتر وساوسه وهواجسه، وبذلك تجده حساسا، قلقا، يعانى من عدم الثقة فى النفس، ومن آلام الوحدة وتوقع الخطر، ومن الخوف من نقد الغير له.

ولعل أهم أضرار الخجل، أن الطفل الخجول لا يندمج فى الحياة فلا يتعلم من تجاربها ذلك لأنه يمتنع عن الاشتراك مع أقرانه فى نشاطهم، ولذلك يكون محدود الخبرات لدرجة قد يصبح معها عالة على نفسه وعالة على مجتمعه؛ لبُعده عن الغير وانطوائه على نفسه.

والسؤال : كيف نعالج الطفل الخجول؟

لكى نعالج طفلاً خجولاً يجب أن ندرك أولا أنه حساس حساسية مفرطة، وفى أمس الحاجة لأن نعيد إليه ثقته فى نفسه وذلك عن طريق تصحيح فكرته عن نفسه، وعن الغير، وعلى قبول بعض النقائص التى قد يعانى منها، على أساس الواقع، كما يجب أن ندرك أن الطفل الخجول فى حاجة ماسة إلى تنمية شخصيته، وتكوين قدرات التفاعل مع الغير، ولكى نحقق ذلك يجب اتباع الخطوات الآتية :

أولاً : يجب أن يشعر الطفل الخجول بحبك وقبولك له، ولذلك يجب أن تتعرف عليه جيداً وتفهمه فهما عميقاً.

ثانياً : يجب تهيئة الجو الآمن الودى عن طريق الألفة والطمأنينة مع الكبار الذين يعيش الطفل معهم.

ثالثاً : عدم دفع الطفل للقيام بأعمال تفوق قدراته.

رابعاً : يجب تدريب الطفل الخجول على الأخذ والعطاء وتكوين الصداقات مع أقرانه من الأطفال.

خامساً : التربية الاستقلالية وعدم تدليل الطفل خير وسيلة للوقاية والعلاج من الخجل.

وفى ضوء هذه الأساليب، يمكن تخفيف حدة الخجل شيئا فشيئا عند الطفل الخجول، ويمكن اكتشاف مزاياه ونقط القوة فى قدراته، وتنمية شخصيته فى جو من الدفء العاطفى والأمن والطمأنينة، حتى تتحول نظرة الطفل من أن الناس يتحرون حركاته وسكناته، إلى الاندماج معهم والشعور بأنه فرد منهم.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يتسلم جائزة الملك فيصل العالمية الممنوحة للأزهر الشريف

قام فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف، بزيارة للمملكة العربية السعودية وذلك لأداء مناسك العمرة، ولحضور الاحتفال الذى أقامته «مؤسسة جائزة الملك فيصل العالمية» حيث تسلم فضيلته جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام والتى منحتها المؤسسة للأزهر الشريف هذا العام ـ ولأول مرة تمنح لمؤسسة ـ حيث كانت تمنح قبل ذلك للأفراد.

والجائزة عبارة عن براءة مكتوبة باسم الأزهر الشريف تحتوى على أسباب حصوله على الجائزة بالإضافة إلى ميدالية ذهبية، وجائزة مالية قدرها ٧٥٠ ألف ريال سعودى.

وقد تسلم فضيلته الجائزة فى احتفالية كبرى وإشادة بالأزهر الشريف ودوره البارز فى خدمة الإسلام والمسلمين، وقد ألقى فضيلته كلمة أوضح فيها أن «مؤسسة الملك فيصل الخيرية» عندما تكرم كل عام صفوة من العلماء الذين قدموا للإنسانية العلم النافع تكون قد سنت سنة حسنة لأصحابها أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، لأن تكريم العلم النافع والعلماء الأخيار قد مدحته الشريعة الإسلامية.

والأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية قد أقامت موازينها فى منح الجوائز على الأسس التى جاءت بها شريعة الإسلام والتى من أهمها: إعطاء الجائزة فى كل فرع من فروعها لكل من يستحقها نظير ما قدمه من جهد بارز أمين فى خدمة الحق والخير والفضائل بصرف النظر عن عقيدته أو لونه أو نسبه، محققة بذلك ما تدعو إليه شريعة الإسلام من نبذ العصبية البغيضة والعنصرية المقيتة التى ما وجدت فى شىء إلا أفسدته.

وقد حصل على جوائزها النفيسة منذ منحها لأول مرة (١٣٩) عالما مائة وتسعة وثلاثون عالماً من خمس وثلاثين دولة بعضها فى الشرق، وبعضها فى الغرب، وبعضها فى الشمال، وأخرى فى الجنوب.

وقال فضيلته إن مؤسسة الملك فيصل الخيرية هى واحدة من المؤسسات الكبرى التى هى قطعة من المملكة العربية السعودية قد أقامت أعظم الأدلة وأوضح البراهين على أن المملكة العربية السعودية دولة

على رأس الدول التى تكرم الإنسان وتعطيه حقوقه كاملة غير منقوصة سواء أكان مسلماً أم غير مسلم.

تعطيه حقوقه التى تتعلق بعقيدته وبذاته وبعقله وبماله وبحريته فى التعبير وبكرامته الإنسانية التى تصونها من أى عدوان عليها وذلك بتطبيق شريعة الإسلام التى تأمر أتباعها من بين ما تأمرهم به بالعدل فى الأقوال: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾(1) وبالعدل فى الأحكام: ﴿ إِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾(2) وبالعدل فى الشهادة ﴿ **واشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله** ﴾(3) وبالعدل مع العدو ومع الصديق: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(4)

ولقد قالوا فى الحكم: «لا ملك إلا بالرجال ولا رجال إلا بالمال ولا مال إلا بالتعمير ولا تعمير إلا بالعدل فالعدل أساس الملك».

والأزهر الشريف الذى عمره الآن أكثر من ألف عام قالت عنه لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام: إنه كان ومازال مأوى لآلاف الطلاب للتعليم الدينى، وإن له دوراً كبيراً فى حفظ التراث العربى الإسلامى.

والأزهر الشريف الذى حصل على جائزة خدمة الإسلام لهذا العام ليتقدم إلى مؤسسة الملك فيصل الخيرية ذات المنزلة الرفيعة، بأصدق ألوان الشكر وبأخلص عبارات الامتنان، داعيا المولى عز وجل أن يديم على المملكة العربية السعودية، ملكاً وحكومة وشعباً، وعلى شقيقاتها وعلى العالم أجمع نعمة السلام والأمان والرخاء والاطمئنان، وأعرب فضيلته عن تأثره بالحفاوة التى قوبل بها من جانب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وولى عهده الأمير عبدالله، والأمير سلطان وزير الدفاع وكافة الأوساط الرسمية والعربية والعلمية.

نص البراءة

بسم الله الرحمن الرحيم

براءة جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام

إن هيئة جائزة الملك فيصل العالمية بعد الاطلاع على نظام جائزة الملك فيصل العالمية المعدل والمصادق عليه من مجلس أمناء مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالقرار رقم ٢٣/١١١٧/٤٠٣ وتاريخ ١١/٩/١٤٠٣هـ وعلى محضر لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام فى دورتها الثالثة والعشرين بتاريخ ١٠ من رمضان ١٤٢٠ هـ الموافق ١٨ ديسمبر ١٩٩٩ تقرر منح الأزهر الشريف جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لهذا العام (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، وذلك للخدمات الجليلة التى قدمها للعالم الإسلامى، ومنها أنه قام -ومازال يقوم- عبر جامعته وفروعها ومعاهده داخل مصر وخارجها بجهود عظيمة فى سبيل نشر الإسلام وتعليم أحكامه ونشر اللغة العربية وإنه كان -ومازال- مأوى آلاف الطلاب للتعليم الدينى، إضافة إلى دوره الكبير فى حفظ التراث العربى الإسلامى، ومقاومته محاولات التغريب، ومساهمته فى تعميق الأصالة الإسلامية والعربية.

وإن هيئة الجائزة إذ تمنحه هذه البراءة لترجو الله أن تزداد جهوده الخيرة لخدمة الإسلام والمسلمين عمقاً وثراءً.

والله ولى التوفيق

صدرت فى الرياض برقم ١٣٣ وتاريخ ١٠/٢/١٤٢١هـ الموافق ٢٤/٥/٢٠٠٠م

رئيس هيئة الجائزة

خالد الفيصل بن عبدالعزيز

---

(١) سورة الانعام/١٥٢. (٢) سورة النساء/ ٥٨. (٣) سورة الطلاق/ ٢. (٤) سورة المائدة/ ٨.

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمشيخة الأزهر الشريف، الفريق أول سمو الشيخ/ محمد بن راشد آل مكتوم ولى عهد دبى وزير دفاع دولة الإمارات العربية المتحدة والوفد المرافق لسموه فى ١٩ من المحرم سنة ١٤٢١هـ الموافق ٢٤/٤/٢٠٠٠م، رحب فضيلته بسمو الأمير والوفد المرافق له فى الأزهر الشريف شارحا المراحل التعليمية فى الأزهر الشريف منذ الحضانة من سن الرابعة مروراً بالمرحلة الابتدائية، ومدة الدراسة بها ست سنوات، والمرحلة الإعدادية ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات والمرحلة الثانوية ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات والمرحلة الجامعية، وأكد على أن حفظ القرآن الكريم هو الذى يميز الطالب الأزهرى عن غيره، وأنه ليس بأزهرى من لا يحفظ القرآن الكريم، كما أوضح فضيلته أن امتحان القرآن الكريم توضع له درجات على المقرر السابق وتوضع درجات على المقرر الحالى بحيث ينتهى الطالب من دراسته وهو حافظ للقرآن الكريم حفظا جيدا، وقال فضيلته: إن الأزهر يقوم بعمل مسابقة فى حفظ القرآن الكريم كل عام يشترك فيها جميع الطلبة بجميع المستويات ويتم توزيع مبالغ مالية ضخمة كجوائز للطلبة الفائزين فى الحفظ، كما يتم التحديث فى دراسة المواد المختلفة ليكون الطالب مواكباً للتطور وملما بالمناهج العلمية الحديثة وذلك كله لخدمة الدين الإسلامى الحنيف، ويسخر العلم لخدمة الفضائل والحق والعدل، ويصان المجتمع من الإرهاب والتطرف.

وأضاف فضيلته بأن مصر رئيسا وحكومة وشعباً تتقدم بخالص الشكر والتقدير لسمو الشيخ زايد بن خليفة آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة لرعايته لحفظة القرآن الكريم فى مصر، وباقى البلاد العربية والإسلامية.

وأعرب فضيلته عن سعادته بتلك الزيارة الكريمة، داعياً المولى -عز وجل- أن يديم على مصر ودولة الإمارات المتحدة نعمة السلام والأمان والاطمئنان، وعلى سائر البلاد العربية والإسلامية.

شكر الضيف فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر على حسن الحفاوة والاستقبال ونقل تحيات سمو الشيخ زايد رئيس دولة الإمارات لفضيلته ولمصر رئيسا وحكومة وشعبا، معرباً عن سماحة الإسلام وأن جائزة دبى لحفظ القرآن الكريم سيتم زيادة المبالغ المرصودة لها للجوائز، ونحن نتبناها لخدمة حفظة القرآن

منذ الطفولة، ونحمد الله على أنها فى تزايد كل عام، وقد شملت الجائزة المسجونين فمن يحفظ القرآن الكريم كاملاً يتم العفو عنه فوراً، لأن فى حفظ القرآن الكريم حماية وصوناً للنفس البشرية وعصمة لها من الوقوع فى المعصية، وأبدى رغبة سموه فى إمداد طلبة الأزهر بأجهزة كمبيوتر حديثة.

ثم قدم فضيلة الإمام الأكبر لسمو الأمير والوفد المرافق تفسير القرآن الكريم.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر والشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات والإعلام.

●●●

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد / محمد صالح نور -وزير خارجية الصومال- والسيد / أحمد يوسف وزير التعليم والسيد / صلاح حليمة سفير مصر فى الصومال وذلك فى ٢٧ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ٢ / ٥ / ٢٠٠٠م

رحب فضيلته بالسادة الضيوف موضحاً أن الأزهر من خلال بعثاته وعلمائه يمد يد العون لجميع الدول الإسلامية وخاصة دولة الصومال، لأن تواجد الأزهر فى الصومال منذ القِدَم وأول بعثات الأزهر كانت للصومال.

شكر السادة الضيوف فضيلته على حسن الاستقبال معربين عن حاجة الصومال للأزهر من أئمة ودعاة ومدرسين وكتب ومناهج والمصحف الشريف، كذا إقامة قسم للغة العربية بجامعة (بيسا) يتولاه علماء الأزهر، كذا افتتاح معهد (برعو) الابتدائى الإعدادى الثانوى تمهيدا لالتحاقهم بالأزهر، كما طالبوا ببعثة أزهرية للوعظ والإرشاد.. كما أبدى الوفد رغبته فى إدخال التعليم الدينى كمادة أساسية للكليات.

وقد وعد فضيلة شيخ الأزهر بدراسة كافة احتياجاتهم تمهيدا لتلبيتها فى القريب العاجل. حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى مدير عام العلاقات العامة والإعلام.

● كما استقبل فضيلته السيد / عبدالعزيز عبدالله زاهر النهائى سفير سلطنة عمان بالقاهرة يرافقه السيد المستشار / أفلح بن سليمان الطائى القائم بأعمال السفارة.

رحب فضيلته بالضيف داعيا المولى -عز وجل- أن يديم على البلدين نعمة السلام والأمان والرخاء والاستقرار، وقد أعرب السيد السفير عن سعادته البالغة لوجوده فى الأزهر الشريف، ذلك الصرح التنويرى الكبير الذى يتولى إظهار صورة الإسلام المشرقة والصحيحة للعالم أجمع، وأشار إلى أنه جاء للأزهر الشريف كأول زيارة له بعد تقديم أوراق اعتماده كسفير لبلاده بالقاهرة، تعبيراً عن مكانة الأزهر الشريف ومصر العظيمة لدى أبناء السلطنة، ولفضلهما على السلطنة من نهضة علمية فى كافة المجالات.

حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والاعلام.

●●●

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه فى ١٨ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ٢٣/٤/٢٠٠٠م وفد مجموعة أصدقاء مصر بمجلس العموم البريطانى برئاسة السيد/ كين برشاس يرافقه اثنا عشر عضوا، وتأتى تلك الزيارة ضمن زيارتهم «لجمهورية مصر العربية» بدعوة من «مجلس الشعب» ويرافق الوفد الدكتور/ محمد عبداللاه رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشعب، رحب فضيلته بالوفد فى الأزهر الشريف شارحا الدور الذى يقوم به الأزهر الشريف فى إظهار الصورة الصحيحة للأديان السماوية، وأوضح أن الدين الإسلامى الحنيف أكد على أن الله أوجدنا على هذه الأرض لكى يعمر الكون ولكى نتعارف ونتآلف والقرآن الكريم يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(١)

كما أوضح أن الشريعة الإسلامية تقوم على أسس ثابتة من أن الناس جميعا من أب وأم واحدة، وفى هذا الزمن الذى أصبح فيه العالم كقرية صغيرة أصبح لزاما على البشر أن يتعارفوا ويتبادلوا المنافع التى أحلها الله - تعالى - لخير البشرية والإنسان، ومن المبادىء الهامة فى الإسلام نصرة المظلوم، وإعطاء كل ذى حق حقه، والقاعدة العامة أنه لا إكراه فى الدين ولا إكراه على العقائد لأن العقائد لا تباع ولا تشترى، مؤكدا على أننا فى مصر مسلمين ومسيحيين نعيش منذ أكثر من ألف سنة على أرض واحدة وتحت سماء واحدة ونشرب من نيل مصر العظيم وتجمعنا مصالح مشتركة وبيوتنا وحقولنا متجاورة، ونتساوى جميعاً فى الحقوق والواجبات وأن لكل عقيدته.

ودائما أقول: إن الناس ليسوا بملائكة فهم يصيبون ويخطئون ولكننا على المستوى العام كدولة نتساوى فى الحقوق والواجبات، وأوضح فضيلته أنه قد زار المملكة المتحدة والتقى بالأمير تشارلز وبرئيس الوزراء، كما زار الأمير الأزهر الشريف. وقال فضيلته: انه تربطه صداقة مع الدكتور/ كارى رئيس الكنيسة الإنجيلية، وقد زاره وكان فى ضيافته ووصفه بأنه رجل عاقل حكيم.

شكر الوفد فضيلته على حُسن اللقاء معربين لفضيلته بأنه يمثل الحكمة والعلم ويرأس أكبر مؤسسة دينية فى العالم.

وقد أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الوفد التى دارت حول بعض الظواهر من عدم التسامح والتخوف وعدم

---

(١) سورة الحجرات ١٣.

الفهم للبعض، وقد أوضح فضيلته بأن كل دولة فى العالم فيها الخير وفيها الشر، فيها العقلاء وفيها غير العقلاء وكل ما يرجوه أن يزيد عدد العقلاء عن عدد السفهاء، وعندنا القاعدة الدينية التى تؤيدها العقول الإنسانية السليمة وهى أنه فى النهاية لا يصح إلا الصحيح، وعلى العقلاء ورجال الدين أن يداوموا النصح والإرشاد والدعوة إلى الفضائل، والبُعد عن الظلم والأنانية، وعلينا ألا نمل من المداومة على ذلك، والأديان السماوية تدعو إلى اعتناق الفضائل، واجتناب الرذائل، وتبادل المنافع والتعاون، وسلامة القلوب من الأحقاد، ولمن يريد أن يفهم الإسلام فهما صحيحا أن يسأل أهل العلم المتخصصين، ونحن على استعداد تام للإجابة بكل صدق وأمانة ، والإسلام ضد التطرف والاعتداء على أموال الناس وأعراضهم وممتلكاتهم، والدين الإسلامى يدعو للعدل والسماحة والحرية وإعطاء كل ذى حق حقه وهو ضد القتل وضد الإرهاب.

وحول سؤال عن إلغاء عقوبة الإعدام أجاب فضيلته: بأنها عقوبة مقررة فى القرآن وفى شريعة الإسلام وكل من يرتكب جريمة تستحق هذه العقوبة ويقرها القضاء فالإسلام ينفذها.

شكر الوفد شيخ الأزهر على حُسن الحفاوة واللقاء موضحين بأن الوفد يمثل جميع الأحزاب بالمجلس البريطانى وفيه عضو مسلم، ويوجد فى مجلس اللوردات ثلاثة مسلمين.

حضر اللقاء فضيلة وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة المدير العام للعلاقات العامة والإعلام.

X X X

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يلتقى بأعضاء المعهد العالى لدراسات الأمن الداخلى الفرنسى

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالسادة أعضاء المعهد العالى لدراسات الأمن الداخلى الفرنسى المكوّن من ٦٢ عضوا برياسة السيد / ماركو بازتى بسفارة فرنسا بالقاهرة وذلك فى ١٣ من صفر ١٤٢١هـ الموافق ١٧ / ٥ / ٢٠٠٠م وتأتى هذه الزيارة فى إطار زيارتهم للقاهرة لحضور الدورة التدريبية السنوية.

رحب فضيلته بالوفد مشيراً إلى دور فرنسا حيث إنها على رأس الدول التى لها تاريخ فى مجال حرية الإنسان وحرية الفكر وفى مجال الحضارة بصفة عامة، وأشار إلى أن بعض علماء الأزهر الشريف درس بجامعة السربون بفرنسا، وفضيلته التقى بالعديد من المسئولين فى وزارة الداخلية الفرنسية باعتبارها الوزارة المسئولة عن الأديان وأوضح فضيلته أنه من المؤمنين بتعاون الحضارات وليس بتصارعها. التعاون الذى من أجله نشر السلام والأمن والأمان والرخاء، وتبادل العلوم النافعة فى كل مجالات الحياة ونشرها على العالم أجمع.

وأوضح وركز على أن الدين الإسلامى يدعو إلى التسامح وإلى نشر الأمن والأمان والسلام والاطمئنان والرخاء وتبادل المنافع التى أحلها الله بين الناس جميعاً.

وقد أجاب فضيلته على ما طرح من أسئلة واستفسارات وفيها تصحيح المفاهيم الإسلامية وقد أوضح فضيلته على أن الإسلام يكرم الإنسان، ويحافظ على حقوقه وحريته كما أوضح بأننا فى الأزهر نتبع مبدأ الحوار بين المسلم والمسلم، وبين المسلم وغير المسلم أيا كانت عقيدته ونرحب به بقلب مفتوح، لأن الحوار بين العقلاء يؤدى إلى أن يفهم كل إنسان الآخر ما دام المتحاورون يلتزمون بالكلمة الصادقة وبأدب الحوار بصفة عامة.

X X X

افتتاح منشآت جديدة بمدينة البعوث الإسلامية

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يرافقه السيد الدكتور/ عبدالرحيم شحاتة محافظ القاهرة، وفضيلة وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ فرحات المنجى المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية، ورجال الأعمال: الحاج محمد رجب والحاج محمد كليلة وعلماء الأزهر ونواب السيد محافظ القاهرة ولفيف من العلماء وذلك فى ٢٧ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ٢/٥/٢٠٠٠م بافتتاح منشآت جديدة بمدينة البعوث الإسلامية، منها البوابة الرئيسية لمدينة البعوث وقد تكلفت ١٥٠ ألف جنيه، كذا عمارة سكنية بالمدينة لطلاب العلم الذين يدرسون بالأزهر من دول العالم المختلفة تكلفت حوالى ٤ ملايين جنيه وقام ببنائهما الحاج محمد رجب رجل البر والخير، كذا تم افتتاح العمارة السكنية التى قام ببنائها فضيلة المرحوم الشيخ الشعراوى وقد سميت باسمه وقد تكلفت ٢ مليون جنيه، كذا تم افتتاح العمارة التى قام ببنائها الشيخ محمد كليلة وقد تكلفت اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات وبها قاعة الجمنزيوم المغطاه المجهزة بأحدث الوسائل الرياضية الحديثة، وهذه العمارات تسع ألف طالب جديد يدخلون المدينة لأول مرة، بالإضافة إلى الأعداد الموجودة وعددهم ألفا يمثلون ٩٤ دولة من دول العالم الإسلامى الذين يدرسون على منح الأزهر فى الأزهر الشريف.

وقد أعلن الحاج محمد كليلة عن قيامه ببناء عمارة أخرى تستوعب ٣٢٠ طالبا، كما أعلن الحاج محمد رجب عن تبرع زوجته لبناء عمارة سكنية جديدة لطلاب المدينة.

ومدينة البعوث الإسلامية أقيمت على مساحة عشرين فدانا وبها ٤٢ عمارة سكنية وانشئت فى الخمسينيات لاستقبال أبناء العالم الإسلامى ليدرسوا فى الأزهر الشريف العلم النافع، وبالمدينة نهضة عمرانية ونهضة خدمية مميزة.

X X X

حفل توزيع الجوائز وشهادات التقدير في حفظ القرآن الكريم على مستوى المناطق الأزهرية

أناب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية لحضور حفل توزيع الجوائز وشهادات التقدير على الطلبة والطالبات الفائزين فى حفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره وذلك على مستوى المناطق الأزهرية وقام بتنظيم الحفل رعاية الطلاب بالأزهر بمجمع المعاهد بمدينة نصر وذلك فى ٢٥ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ٣٠/٤/٢٠٠٠م. ألقى فضيلته كلمة هنأهم فيها بالتفوق وحثهم على مداومة حفظ القرآن الكريم وفهم علومه وتفسيره لتكون لهم نبراسا يضىء لهم الطريق ويعصمهم من كل سوء، وأوضح أن الأزهر الشريف يولى حفظ القرآن وعلومه اهتماما كبيرا إلى جانب العلوم الأخرى التى تؤهلهم ليكونوا علماء صالحين نافعين لوطنهم وأمتهم.

كما ألقى فضيلة الدكتور طه أبوكريشة نائب رئيس الجامعة كلمة هنأ فيها الطلبة الفائزين المتفوقين وحثهم على التمسك بكتاب الله -عز وجل- حفظا وتجويدا وتفسيراً واتخاذ سيدنا رسول الله - ﷺ - لهم قدوة وأن يحتذوا به فى سلوكهم وحياتهم العملية، وأثنى على المجهود الذى بذله العلماء والمحفظون وعلى رأس الجميع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الذى يبذل كل وقته وجهده فى سبيل حفظ القرآن الكريم، وهنأ أسر الطلبة المتفوقين وأساتذتهم ومناطقهم.

وتم توزيع الجوائز وشهادات التقدير والمصاحف على الفائزين من الطلبة والطالبات وعلى رؤساء المناطق وقد بلغت قيمة الجوائز للمركزين الأول والثانى ٣٣,٥٢٥ ألف جنيه لعدد ٢٠٣ طلاب، وبلغت قيمة الجوائز للمركز الثالث ١٢ ألف جنيه لعدد ٢٠٠ طالب وطالبة.

واشترك فى المسابقة ٢٦ منطقة أزهرية وقد فازت بالمراكز الخمس الأول: منطقة الغربية، كفر الشيخ، الدقهلية، البحيرة، القاهرة.

حضر الحفل أمين عام مجمع البحوث الإسلامية، وفضيلة الأمين المساعد للدعوة والإعلام الدينى بالأزهر، ووكلاء قطاع المعاهد والمسئولون برعاية الشباب ورؤساء المناطق الأزهرية والقائمون على الأنشطة الطلابية ورئيس العلاقات العامة وأولياء أمور الطلبة والطالبات الفائزين فى المسابقة.

X X X

حفل تخريج الدورة التدريبية الثامنة والأربعين لأئمة ودعاة العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة التدريبية الثامنة والأربعين لأئمة ودعاة العالم الإسلامى فى قاعة الاجتماعات الكبرى بمشيخة الأزهر الشريف فى ١٨ من المحرم ١٤٢١ هـ الموافق ٢٣ / ٤ / ٢٠٠٠م.

والعلماء الذين شاركوا فى هذه الدورة ٣٣ إماما وداعية من دول الهند، وجيبوتى، موزمبيق، سيرلانكا، بورما، الصين، ليبريا، استراليا.

وقد استضافهم الأزهر الشريف بمدينة البعوث الإسلامية لمدة ثلاثة شهور متتالية تلقوا خلالها العلوم والمعارف والثقافة الإسلامية الصحيحة والتزود من العلوم النافعة والتدريب على الفتيا.

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة حثهم فيها على أن يكونوا رسل سلام ودعاة خير يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة حينما يعودون إلى بلادهم وأن يترفعوا عن الخلافات المذهبية، فالإسلام دين الوسطية ودين اليسر لذا يجب عليهم أن يتمسكوا بالوسطية المتوازنة التى تأخذ من كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- وأن يظهروا سماحة الإسلام، ويتعاونوا على البر والتقوى، وأن ينبذوا العنف، وأن يتحلوا بمكارم الأخلاق وأن يبلغوا ما تعلموه على يد العلماء إلى أهليهم وأخوانهم وأبنائهم فى بلادهم ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١)

كما أوضح فضيلة الشيخ على أبوالحسن «الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية» بأن هناك تيارات مختلفة فيها تيارات: خرافية واهمة، وتيار حرفى ضيق الأفق، وثالثهم تيار الرفض والعنف، فيجب على الداعية أن يتجنب الانزلاق فى هذه التيارات أو الخوض مع أصحابها لأنها تيارات هدامة، وعليهم الالتزام بوسطية الإسلام لأنه التيار الحسن الذى يدعو إلى جمع الكلمة وتوحيد الصف وهو مبدأ التسامح والتعاون.

وفى نهاية اللقاء قام فضيلة الإمام الأكبر بتوزيع شهادات التخرج والكتب التى تفيدهم عند الرجوع إليها فى فتاواهم.

حضر الحفل فضيلة الشيخ وكيل الأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، وفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ولفيف من علماء الأزهر الشريف ورئيس العلاقات العامة والإعلام ورجال الصحافة والإعلام.

---

(١) سورة آل عمران ١٠٤.

الاجتهاد فى الأحكام الشرعية

● فى إطار الموسم الثقافى الذى تقيمه وزارة الأوقاف والذى ينظمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ألقى فضيلة الإمام الأكبر -شيخ الأزهر الشريف- محاضرة تحت عنوان «الاجتهاد فى الأحكام الشرعية» وذلك بمسجد النور بالعباسية مساء ٢٧ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ٢ / ٥ / ٢٠٠٠م.

أكد فيها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن موضوع الاجتهاد فى الأحكام الشرعية من الموضوعات التى كتب فيها الكاتبون قديما وحديثا، والإمام الغزالى وابن القيم والإمام الشوكانى كتبوا كثيرا عن الإجتهاد ونجد عددا كبيرا من مشايخنا كتبوا كتابات مفصلة عن الاجتهاد ذلك لأن أحداث الحياة متغيرة ووقائعها لا تنتهى، والعالم كل يوم يتحرك ويحتاج إلى تفكير وتدبر واجتهاد، لأن اختلاف العقول موجود فى كل مكان، وعصرنا الذى نعيشه أحوج ما يكون إلى الاجتهاد فى كل أمر يجوز فيه الاجتهاد، ويحدد فضيلته معنى الاجتهاد فيقول: الاجتهاد هو بذل الجهد للوصول إلى الحق فى قضية معينة أو فى بيان حكم شرعى يقبل الاجتهاد، مجال الاجتهاد يكون فى النصوص الشرعية التى ليس فيها دليل على أنها قطعية الثبوت أو قطعية الدلالة.

ويؤكد فضيلته أنه لا اجتهاد فى الأحكام التى ثبتت من الدين بالضرورة وفى النصوص التى هى قطعية الثبوت أو قطعية الدلالة، كالنصوص التى تأمر بإخلاص العبادة لله -تعالى- وباتباع الرسول -صلى الله عليه وسلم- وبأداء العبادات التى كلفنا الله بها، وباعتناق الفضائل وباجتناب الرذائل.

وإنما يكون مجال الاجتهاد فى النصوص التى هى ظنية الثبوت كبعض الأحاديث النبوية الشريفة التى يحكم عليها العلماء بأنها صحيحة أو حسنة أو ضعيفة كذلك يكون الاجتهاد فى النصوص التى هى ظنية الدلالة كبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تحمل فى فهمها أوجها من الفهم المعقول المستند إلى التراكيب اللغوية أو الأدلة الشرعية ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾(١)

فكل مسلم يؤمن ويقر بأن هذه الآية من

(١) سورة المائدة (٦).

كتاب الله -تعالى- الذى هو قطعى الثبوت، وخلاف الفقهاء إنما هو فى فهم بعض ألفاظها وجملها فى قوله تعالى:

﴿ وامسحوا برءوسكم ﴾ أجمع الفقهاء على أن مسح الرأس من أركان الوضوء بدليل منطوق الآية الكريمة إلا أنهم اختلفوا فى مقدار هذا المسح فبعضهم يرى مسح جميع الرأس، والبعض الآخر يرى مسح بعض الرأس ومنهم من قدر مسح البعض بالربع، ومنهم من لم يقدر المسح بمقدار معين ولكل فريق أدلته التى استند إليها.

ثم تحدث عن شروط الاجتهاد ومن يتصدى له: أن يكون ملما بعلوم اللغة العربية وطرق دلالتها على المعانى، وأن يكون حافظا للقرآن الكريم، وفاقها لمعانيه، وأن يكون ملما بالسنة النبوية المطهرة وبأحكامها، وأن يكون مدركا لمقاصد الشارع ولأحوال المسلمين، وما جرى عليه عرفهم، وما فيه صلاح حالهم، وأن يكون على دراية بالفقه وأصوله هذا إلى جانب كمال دينه وعقله.

ثم تحدث عن اجتهاد الرسل وضرب الأمثلة على ذلك، ثم تحدث عن اجتهاد الخلفاء الراشدين وقال: مرحبا بالاجتهاد ما دام فى أمر يقبل الاجتهاد.

ثم أجاب فضيلته عن أسئلة الحضور فيما يتعلق بفوائد البنوك، وأنواع التأمين، وطالب الشباب على وجه التحديد أن يبتعدوا عن التعميم فى الأخذ بالأحكام الشرعية مؤكدا أن لكل حالة حكمها والعبرة بالقصد.

حضر اللقاء فضيلة الدكتور وزير الأوقاف/ محمود حمدى زقزوق، والدكتور طه أبوكريشة نائب رئيس جامعة الأزهر الشريف وعلماء الأزهر والأوقاف والبعوث الإسلامية ورجال الصحافة والإعلام.

X X X

فضيلة وكيل الأزهر الشريف يقوم بزيارة إلى جيبوتى

صدر قرار شيخ الأزهر رقم ٣٦٨ لسنة ٢٠٠٠ بالموافقة على سفر فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر ونائب رئيس لجنة التعليم والدعوة بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والاغاثة إلى جيبوتى لمدة أربعة أيام تبدأ من تاريخ السفر لحضور الاجتماع المقرر انعقاده فى جيبوتى فى الفترة من ١٩ - ٢٢/٥/٢٠٠٠ لدراسة مشروع مجمع المعاهد الأزهرية فى جيبوتى.

صدر فى ٢٧ من المحرم سنة ١٤٢١هـ الموافق ٢ مايو سنة ٢٠٠٠م

X X X

تجديد التعيين

صدر قرار السيد رئيس مجلس الوزراء رقم ٣٨ لسنة ٢٠٠٠ بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، يجدد تعيين الشيخ مسعد عوض السيد الزغوى

وكيلا لمشيخة علماء منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية بدرجة مدير عام لمدة عام اعتبارا من ٨/٥/٢٠٠٠.

صدر فى ١٤ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ١٩ من ابريل سنة ٢٠٠٠م [وهو يشغل مدير عام منطقة بورسعيد الأزهرية].

كما صدر قرار السيد رئيس مجلس الوزراء رقم ٤٠ لسنة ٢٠٠٠ بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يجدد التعيين فى الوظيفة الموضحة قرين اسمه بدرجة مدير عام بالأزهر الشريف لمدة سنة أو حتى تاريخ بلوغه السن القانونية المقررة لترك الخدمة أيهما أقرب اعتبارا من ٨/٥/٢٠٠٠ لكل من السادة:

الشيخ/ حسن خضيرى موسى عكاشة.
وكيل مشيخة علماء منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية [مدير عام منطقة الاسماعيلية]

الشيخ/ محمد أحمد أبوالمعاطى يونس.
مدير عام شئون المبعوثين والإيفاد [مجمع البحوث الإسلامية]

الشيخ/ محمد سلامة عبدالسلام زغلول.
مدير عام مكتب رئيس قطاع المعاهد الأزهرية.

صدر برياسة مجلس الوزراء فى ١٤ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ١٩ من أبريل ٢٠٠٠م

X X X

تجديد المعاهد الأزهرية التى تحتاج إلى ترميم عاجل

صدر قرار شيخ الأزهر رقم ٣٤٢ لسنة ٢٠٠٠ تشكل لجنة برياسة فضيلة وكيل الأزهر وعضوية كل من:

١- فضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية
٢- السيد الأستاذ الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر
٣- فضيلة وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون المناطق
٤- السيد المهندس مدير عام الشئون الهندسية بالأزهر
٥- السيد الأستاذ مدير عام الشئون المالية بالأزهر.
٦- السيد مدير عام الحسابات بالأزهر
٧- السيد مدير إدارة الميزانية بالأزهر
٨- السيد مدير إدارة الترميمات بالإدارة الهندسية بالأزهر.
٩- رئيس قسم الترميمات بالإدارة الهندسية بالأزهر.

وتكون مهمة هذه اللجنة مناقشة وتحديد المعاهد الأزهرية التى تحتاج إلى ترميم عاجل لمواجهة احتياجات العام الدراسى الجديد ٢٠٠٠/٢٠٠١ وتكلف الإدارة الهندسية بتحديد المعاهد الأزهرية فى المناطق الأزهرية المتوفرة لدى الإدارة الهندسية معلومات عنها، وكراسة الشروط وصورة الإعلان.

من أنباء العالم الإسلامى

للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد *

اهتمام عالمى بتسلم شيخ الأزهر جائزة الملك فيصل

الرياض :

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز سلم الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران السعودى جائزة الملك فيصل العالمية فى مجال خدمة الإسلام للأزهر الشريف، وتسلم الجائزة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر.

وأعلن الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير والمدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية أن هذه هى المرة الأولى التى تمنح فيها الجائزة لمؤسسة علمية، وذلك نظرا للخدمات الجليلة التى يقدمها الأزهر للعلم والعلماء ودوره فى الحفاظ على التراث العربى والإسلامى وإسهاماته الفعالة فى التعليم الإسلامى، ومواجهته حملات التغريب، وتعميق الأصالة الإسلامية ونشر الإسلام واللغة العربية، وأعلن فضيلة الإمام الأكبر أن قيمة الجائزة ستوجه إلى تدعيم المعاهد الأزهرية والأعمال الخيرية التى تعود على المحتاجين من المسلمين بالخير، وأكد فضيلته أن حصول الأزهر على الجائزة يعد تكريما لدوره فى خدمة الدعوة الإسلامية وتتويجا للجهد العلمى الذى يبذله. وأضاف : إن الأزهر الشريف استطاع أن يقف صامدا فى وجه الأعاصير الفكرية التى هبت على المسلمين وأرادت أن تقتلعهم من جذورهم، وأن الأزهر مازال حصناً منيعا من حصون الإسلام، وقلعة من قلاعه العريقة فى حماية اللغة العربية وعلوم الإسلام وشرائعه.

وقد اهتمت الصحف السعودية بفوز الأزهر الشريف بجائزة الملك فيصل فى خدمة الإسلام، وأفردت لذلك مساحات مطولة.. فقد نشرت جريدة عكاظ فى تقرير لها أن منح الجائزة للأزهر الشريف تأكيد على دوره الريادى فى خدمة الإسلام على مر الأيام والسنين، كما أن الجائزة تكريم لأهله الذين ما بخلوا بتقديم ما يعرفونه لإنارة العقول والتاريخ والتراث والحضارة الإسلامية العريقة، بالإضافة إلى جهودهم فى الحفاظ على اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، فليس غريبا إذن أن ينال الأزهر الجائزة وهو الذى صدّر للعالم نوابغ وعلماء وأدباء طبعوا للثقافة العربية ورسموا خطوطاً مميزة وبارزة.

وفى تناولها للجائزة أشارت جريدة «الرياض» السعودية إلى الاهتمام الإعلامى بتكريم شيخ الأزهر ولقاء المسئولين به، وأشادت بدور الأزهر الشريف فى خدمة الإسلام ونشر تعاليمه.

أما جريدة «الجزيرة» فتناولت دور الأزهر الشريف باعتباره هيئة اعتبارية ومؤسسة إسلامية كبرى يقدم خدمات جليلة للعالم الإسلامى وبالذات دوره فى نشر التعليم الدينى، وحفظ التراث العربى والإسلامى ومقاومة محاولات التغريب.

كما أفردت الصحيفة مساحات عن الجائزة ودور الأزهر الشريف فى خدمة الدعوة الإسلامية، وزيارات شيخ الأزهر لعدد من المؤسسات السعودية منها: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، والحفاوة البالغة التى أحاطت بشيخ الأزهر.

أما جريدة «المدينة» فأفردت مساحات كبيرة لحفل توزيع الجائزة والحفاوة البالغة بشيخ الأزهر وأهمية الأزهر الشريف فى خدمة الإسلام ودور الفائزين بالجائزة فى مختلف المجالات.

كما أشارت جريدة «البلاد» إلى أهمية حصول الأزهر الشريف على الجائزة فى فرع خدمة الإسلام ورعاية طلبة العلم، جاء ذلك فى كلمة وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ والذى استقبل شيخ الأزهر بمكتبه، وجرى تبادل الأحاديث الودية، وبحث عدد من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

كما نشرت تصريحات عدد من المسئولين السعوديين حول الجائزة وأهميتها وأهمية دور الأزهر الشريف.

كتابة اللغات الأفريقية بالحروف العربية

تبدأ فى شهر يوليو المقبل اجتماعات اللجان المتخصصة فى اللغات الآسيوية وذلك لبحث إعادة كتابة لغات المسلمين فى قارة آسيا بالأبجدية العربية، وذلك بعد أن نجحت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة فى كتابة ١٧ لغة أفريقية بالحروف العربية، وقد تم اختيار مدينة (طهران) لعقد هذه الاجتماعات باعتبار إيران من الدول الإسلامية الآسيوية الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامى والتى تكتب لغتها الفارسية بالأبجدية العربية.

طبعة نادرة للقرآن الكريم فى الصين

عثر فى مدينة لانتشو الواقعة غرب الصين على طبعة نادرة للقرآن الكريم مذهبة بكيلو جرامين من الذهب، وإجمالى طول الصفحات ٦٠٠ متر. أثارت هذه الطبعة النادرة اهتماما بالغاً فى الأوساط الإسلامية والأدبية والفنية الصينية، ويعد هذا الإنجاز واحدا من المساهمات المهمة للثقافتين الإسلامية، والعالمية وقد أنجز هذه الطبعة المذهبة الرسام الصينى المسلم ماتشيان بون، واستمرت كتابته لها ثلاث سنوات.

إريتريا تتهم واشنطن بالسلبية إزاء هجوم إثيوبيا

أسمرة ـ أديس أبابا ـ وكالات الأنباء:

فى تطور جديد للحرب المتفجرة فى الوقت الراهن بين القوات الإريترية والأثيوبية. اتهمت أسمرة الولايات المتحدة بالسلبية إزاء ما وصفته باجتياح القوات الإثيوبية لأراضيها.

وفى تصريح لوكالة الأنباء الفرنسية قال يمانى جيبرمسكل المتحدث باسم الرياسة الإريترية : إن واشنطن لم تتخذ أى تدبير ملموس واقعى أو حازم ضد « الاجتياح الأثيوبى » . وأضاف قائلا : إن التزام واشنطن الصمت إزاء « هذا الاجتياح » أمر غير مفهوم على الإطلاق، مؤكدا فى الوقت نفسه أن أسمرة لا تتعرض لخطر الاجتياح برغم تقدم القوات الإثيوبية .

وقد ذكرت تقارير صحفية من أسمرة أن هناك حالة من القلق المتصاعد بين سكان العاصمة الإريترية بعد الانتصارات الإثيوبية . فى الوقت الذى بدأت فيه السفارة الأمريكية فى اتخاذ الإجراءات اللازمة لترحيل الرعايا الأمريكيين من العاصمة، وهو الشيء نفسه الذى أقدمت عليه مجموعة من السفارات الغربية فى أسمرة، وأشارت التقارير إلى أن الآلاف من سكان العاصمة بدأوا يفرون إلى السودان، وقالت : إن المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة قد وزعت اللاجئين الإريتريين الجدد على ١٢ معسكرا فى السودان، وهى المعسكرات التى يتكدس فيها بالفعل نحو ١٦٠ ألف لاجيء إريترى منذ نحو ربع قرن .

وقال مسئولون سودانيون : إن نحو ٩٠٠ ألف لاجيء إريترى قد فروا بالفعل إلى الأراضى السودانية، وقالت منظمات الإغاثة الإنسانية العاملة فى منطقة القرن الإفريقى : إن السلطات السودانية أعدت خططاً خاصة لإعادة اللاجئين الإريتريين إلى بلادهم مرة أخرى .

محاولات لمنع تنفيذ المقاطعة العربية لمنتجات إسرائيل

باريس ـ أ . ش . أ :

بدأت الرابطة الدولية لمناهضة العنصرية ومعاداة السامية « ليكرا » حملة ضارية ضد شركة فرنسية للأدوات المنزلية ومعها غرفة التجارة والصناعة فى مدينة ليموج الفرنسية . وتهدف الحملة التى تشنها الرابطة إلى إرساء قاعدة قانونية واستصدار حكم قضائى من المحاكم الفرنسية يكون سنداً ومرجعا لإرغام الشركات الفرنسية على عدم الانصياع لإجراءات المقاطعة العربية لإسرائيل التى يشرف على تطبيقها مكتب المقاطعة العربية ومقره دمشق . وتقول مجلة « لكبرسى » الفرنسية : إن الدافع الذى يحرك رابطة « ليكرا » الدولية هو رغبتها فى وضع حد لانتشار حالات المقاطعة للمنتجات الإسرائيلية، برغم صدور قانون فرنسى عام ١٩٩٧ برفض مبدأ المقاطعة وكما تهدف الرابطة إلى توعية رؤساء الشركات الفرنسية وتعريفهم بهذا القانون . وتشير المجلة الفرنسية إلى اختصام رابطة « ليكرا » مع شركة « الميبرام » الفرنسية التى عقدت مع احدى شركات دبى عقدا لتزويدها بشحنة من الأوانى المنزلية إلا أن الأخيرة اشترطت أن تصدر الشركة الفرنسية شهادة مدوناً عليها أن هذه السلعة فرنسية ولا تحتوى على أى مكون من إسرائيل .

مؤتمر علمى يوصى بتدريس التربية الإسلامية فى الجامعات

أكد المؤتمر السنوى الثانى للمركز القومى للبحوث فى القاهرة على توصية مهمة بتدريس التربية الدينية بالجامعات كأفضل وسيلة للحد

من الزواج العرفى بين الطلبة والطالبات ونشر التوعية والفهم الصحيح لتعاليم الإسلام بينهم.

الشيشان يحققون انتصارات عسكرية فى شرق الإقليم

موسكو ـ وكالات الأنباء:

أكد المقاتلون الشيشان أنهم نجحوا فى تحقيق انتصارات عسكرية ضد القوات الروسية فى شرق جمهورية الشيشان.

وصرح مولدى أودوجوف المتحدث الرسمى باسم المقاتلين الشيشان بأن المقاومة تمكنت من قتل ثلاثة عشر جندياً روسياً وتدمير سيارتين عسكريتين فى هجوم شنته على قافلة عسكرية روسية قرب قرية (باتشى يورت) الواقعة على مسافة خمسة وثلاثين كيلو مترا إلى الشرق من العاصمة الشيشانية جروزنى.

وقال المسئول: إن المقاتلين فجروا ألغاماً ثم استخدموا بعد ذلك قاذفات قنابل يدوية لمهاجمة القافلة التى كانت تضم ست مدرعات وكانت تحرسها من الجو طائرات الهيليكوبتر، وأضاف أن الخسائر فى صفوف القوات الشيشانية التى نفذت العملية لا تزيد على أربعة مصابين فقط أحدهم فى حالة خطيرة.

وبالرغم من نفى القوات الروسية تعرضها لهذا الهجوم. فإن وزارة الداخلية الروسية اعترفت بأن المقاتلين هاجموا قواعد للقوات الروسية فى مدينة (جوديرميس) ثانى أكبر المدن الشيشانية خلال ساعات الليل مساء أمس الأول رغم إعلان القوات الروسية قبل عدة أشهر عن إحكام سيطرتها الكاملة على هذه المدينة.

أخبار قصيرة من هنا وهناك

● انتقد الشيخ عبدالله الأحمر رئيس مجلس النواب اليمنى ورئيس حزب التجمع للإصلاح زيارات قام بها يهود صهاينة من أصل يمنى لبلاده فى الفترة الأخيرة ووصفها بأنها محاولة لاختراق المجتمع اليمنى ورفض ما تردد حول إمكانية تطبيع العلاقات على أى مستوى بين اليمن والكيان الصهيونى.

● أصدر مركز الدراسات الإسلامية فى لندن أول ترجمة صحيحة ودقيقة بالإنجليزية لصحيح البخارى ليسد نقصاً كبيرا فى مجال ترجمة الأحاديث النبوية الشريفة خاصة بالنسبة للجاليات الإسلامية فى بريطانيا وأوروبا وقال مدير المركز الدكتور محمد عبدالحليم: إن المركز يستهدف إصدار مجلة متخصصة للدراسات القرآنية باللغتين العربية والإنجليزية بجانب نشر أبحاث تأصيلية قرآنية ومنها علوم الشريعة والتوحيد والأخلاق وكذلك إصدار دراسات ذات صبغة أكاديمية بالإنجليزية بعنوان: « دراسات فى القرآن ».

● ذكرت صحيفة « باكستان » الباكستانية أن الكيان الصهيونى يرسل جواسيس إلى باكستان للحصول على معلومات عن المنظمات الإسلامية هناك، وأن من الجواسيس اليهود مواطنين أمريكيين من أصل باكستانى حيث يقومون بجولات فى منطقة كشمير المتنازع عليها بين الهند وباكستان.

● استعادت تركيا أجزاء من مصحف بالخط الكوفى مكتوبة بالذهب من جامعة « جونز هوبكنز » الأمريكية وقالت مصادر تركية إن هذه الأجزاء كانت قد سرقت من مكتبة « نوروزمانين » فى إسطنبول عام ١٩٤٢ وظهرت فى أمريكا حيث تم ضمها لمجموعة « هوبكنز » النادرة فى نفس العام.

Hadith rapporté par Al-Termizie.

Examinons de près le sens du mot **"maudit"** c'est le fait d'être expulsé de La Miséricorde d'Allah -Gloire à Lui- et d'être aussi privé de Son Approbation. Le Hadith a souligné clairement que le vin est maudit ainsi que chaque personne qui touche au vin de loin ou de près.

Le bénéfice acquis de la fabrication du vin ou de sa vente est illicite, privé de bénédiction, il détériore le corps et l'abîme dans le monde d'ici-bas, tandis que dans celui de l'au-delà il l'expose aux pires châtiments, car le corps qui est nourri d'un gain illicite ne méritera que l'Enfer.

Il n'est pas permis au Musulman de rester en compagnie de celui qui consomme le vin, ni de se trouver dans un lieu où on le sert, il est même défendu d'acheter sa nourriture dans les endroits où le vin est vendu de risque d'attirer vers soi la malédiction qui l'entoure, comme le Prophète-b.s- nous en a avertis.

Le Prophète-b.s-a interdit de maudire le Musulman sur lequel la sanction de la consommation du vin est appliquée, et il a incité ses compagnons d'invoquer le Seigneur en sa faveur. Par contre, il a permis de maudire l'alcoolique invétéré qui ne renonce pas à ce vice et qui ne se repent pas.

Le commerce des boissons alcooliques:

L'Imam Malik nous raconte que Ibn Abbas-A.s.eux- a dit : ***Un homme offrit au Prophète-b.s- une amphore de vin. Le Prophète-b.s- lui dit:"Sais-tu qu'Allah l'a prohibé?***

- Non, dit l'homme." Un autre homme qui assistait à la scène chuchota quelque chose au propriétaire de l'amphore.

Le Prophète-b.s- lui demanda:"Qu'est ce que tu lui as dit secrètement?". "Je lui ai ordonné de la vendre" répliqua-t-il.

Le Prophète-b.s- dit alors:"Celui qui a prohibé sa consommation a prohibé sa vente." C'est alors que l'homme ouvrit le bouchon de l'amphore et en laissa couler le contenu.

Les Ulémas sont unanimes pour certifier que le vin est impur formellement et que son impureté a été confirmée par un argument définitif. Ils sont unanimes également sur le fait que le vin -mis en possession chez un Musulman- ne fait pas partie de ses biens auxquels il ne faut pas porter atteinte. Ils ont dit que si un Musulman possède une quantité de vin, il ne lui est pas permis de la vendre, et si on lui vole ou on l'âbime, il ne peut pas demander à être dédommagé.

Il n'est pas permis de donner un permis de vente publique des boissons alcooliques aux non-musulmans dans les pays musulmans. Il est à noter que le fait d'annoncer publiquement la vente du vin est un étalage de débauche, et en plus une invitation à la corruption pour les indécents parmi les musulmans.

Tant que le commerce du vin est permis aux non-musulmans, on ne les empêche pas de le pratiquer tant qu'ils le font clandestinement. Il leur est permis de vendre le vin et le porc entre eux, de posséder le vin, de le conserver ou de le fabriquer. La valeur financière du commerce du vin est très estimée chez les non-musulmans.

Le Musulman qui possède du vin, le vend, le fabrique, le transporte ou l'achète ne subit pas la sanction malgré la prohibition des actions susdites, mais il est soumis à "Al-Tà zir". Cette charge ne revient qu'aux autorités, c'est à eux de décider la correction dissuassive qui empêche de transgresser les lois divines. On raconte que le Prophète-b.s- a dit:***"Allah a maudit au sujet du vin 10 individus: celui qui foule son raisin, celui pour qui il est préparé, celui qui le boit, celui qui le transporte ainsi que celui qui l'a commandé, celui qui le sert, celui qui le vend, celui qui en touche le prix, celui qui l'achète et celui pour qui il est acheté."***

LES CONDITIONS REQUISES POUR L'APPLICATION DE LA SANCTION AU CONSOMMATEUR DE VIN (Suite)

Par Mme: **HODA HUSSIN CHAARAWY**

1-Le transgresseur doit être Musulman: les non-musulmans sont dispensés de la sanction,même s'ils vivent dans un pays musulman.

2-Le transgresseur doit être doué de raison: l'aliéné et l'infirme sont déchargés de toute responsabilité.

3-Le transgresseur doit être majeur, il importe que le garçon soit pubère et la fille nubile. Certains Ulémas sont d'avis de décider de l'âge sur ce sujet, car ils considèrent que le fait de se baser sur le développement du corps à travers les manifestations des signes naturels à l'âge de la puberté peut représenter une difficulté dans l'application. Selon l'avis des deux Ulémas Malik et Abu Hanifa , l'âge à prendre en considération est de 18 ans, d'après le calendrier hégirien.

4-Le transgresseur doit être au courant de la nature de la boisson qu'il consomme, et averti de la prohibition , car il sera jugé sur son action.

5-Le libre choix: celui qui est contraint de le faire est dispensé du châtiment, qu'il s'agisse d'une contrainte corporelle ou morale.

6-Le transgresseur ne doit pas être soumis à une nécessité impérieuse ni à une raison légale. A défaut d'eau, ou d'autres boissons licites, il est permis à un assoiffé, craignant pour sa vie, d'absorber une gorgée de vin. De même, quelqu'un qui risque d'être étranglé par une bouchée d'aliment, peut se servir de vin pour la dégager.

Quant à la raison légale, nous citons par exemple le cas de celui qui boit le vin par inadvertance, ou par erreur ou en ignorant sa composition. Il arrive que quelqu'un boive un jus en pensant qu'il n'est pas énivrant, ensuite il s'avère que cette boisson est énivrante.

Question: Que faire si toutes les conditions requises sont remplies, excepté celle de l'âge?

Réponse: Le transgresseur mineur est dispensé de la sanction, mais il sera soumis à "Al-Tà'zir".(Charge qui ne revient qu'aux autorités pour blâmer et corriger.)

romps le jeûne, dors et .. accomplis les prières nocturnes, jeûne 3 jours du mois. La bonne action sera décuplée et c'est comme si tu jeûnais pour toujours".

Il a dit: je supporte plus que cela, le prophète lui a dit: "Jeûne un jour et romps le jeûne deux jours". Abdallah a dit : je peux supporter davantage. Le Messager a dit alors: "jeûne un jour et romps le jeûne un autre, c'est le jeûne de David et c'est le plus modéré"

Abdallah dit: "je peux faire mieux".

Le Messager lui répondit fâché : "Il n'y a pas mieux que cela"!!

On a rapporté que Abdullah Ibn Amr a dit après cela: "j'ai vieilli et je me suis affaibli au point que j'ai souhaité que mon argent et ma famille périssent et que j'applique l'autorisation du Messager, de jeûner chaque mois trois jours.

On rapporte que Amr Ibn El Ass- qu'Allah soit satisfait de lui- alla visiter l'épouse de son fils "Abdallah et comme il l'interrogeait sur son mari, elle dit : "les meilleurs hommes à part lui, préservent leur famille et ne désertent pas leurs couches".

Alors Amr blâmo son fils en lui disant que par cet acte c'est comme s'il avait déserté sa femme", ensuite il alla se plaindre de son fils au prophète, ce dernier envoya le chercher, et lui dit: "est-ce que tu jeûne le jour? "oui; dit – il". Il lui demanda: fais –tu les prières nocturnes? Il dit : oui. Le messager lui dit: "moi je jeûne et je romps le jeûne, je fais les prières et je dors, je touche les femmes, celui qui s'écarte de ma tradition, n'est pas des nôtres".

Imitons donc le noble Messager dans sa modération

Dans une autre version d'après Ibn Abbas, un homme a dit au prophète: "ma soeur a fait voeu de faire le pélerinage à pied, le prophète dit: "Allah n'a pas besoin de la souffrance de ta soeur, qu'elle aille en pélerinage sur une monture puis qu'elle expie son serment."

Ce qui montre la miséricorde du prophète envers sa nation et son désir de les décharger des peines et de ne pas être intransigeants en religion c'est que : quand Allah a prescrit le jeûne du mois de Ramadan certains compagnons (As Sahaba) du Prophète l'ayant vu poursuivre le jeûne nuit et jour pendant plusieurs jours voulurent l'imiter alors ils ont poursuivi le jeûne comme lui.

Mais il leur interdit cela et leur dit : Jeûnez comme Allah – qu'Il soit glorifié – vous l'a commandé et poursuivez le jeûne jusqu'à la tombée de la nuit puis rompez le jeûne.

Selon Abu Horaira – qu'Allah soit satisfait de lui – le prophète- à lui bénédiction et salut – a dit : "ne poursuivez pas". Ils ont dit: mais tu le fais". Il répondit: "je ne suis pas comme vous: mon seigneur me nourrit et me désaltére pendant la nuit".

Il défendait à ses compagnons d'être intransigeants en dévotion et leur ordonnait de tirer profit des dispenses d'Allah, car Allah aime qu'on profite de ses dispenses.Suivons l'excellent exemple de dévotion et du comportement (sirat) du Messager.

On rapporte qu' Abdallah Ibn Amr Ibn El Ass – qu'Allah soit satisfait de lui – a dit : "au nom d'Allah j'accomplirai les prières nocturnes et je jeûnerai pendant le jour, tout le long de ma vie".

Le prophète a dit: "est-ce toi qui dit cela? Abdallah répondit: "Oui, je l'ai dit ô Messager. Le Messager dit: "Tu en seras incapable; jeûne puis

Le prophète.. le modèle de la perfection humaine

… le plus compâtissant des compâtissants

Dr. Rokeya Gabr

Le Messager- à lui bénédiction et salut-est le modèle de la perfection humaine dans la miséricorde et la pitié. Il était compâtissant envers les membres de sa famille, ses compagnons et sa nation.

Il recommandait toujours aux "Wali" des musulmans d'être compatissants envers eux mêmes et envers ceux qu'Allah a mis sous leur tutelle et de ne pas être intransigeants sinon Allah serait intransigeant envers eux.

Le Prophète- à lui bénédiction et salut – a dit: "Quand Allah a achevé la création, Il a écrit chez lui au – dessus de son trône: "Ma miséricorde a précédé ma colère".

Il a dit: "Allah est miséricordieux envers les compatissants".

Le prophète – à lui bénédiction et salut – a dit : "Allah – qu'Il Soit glorifié – est clément. Il aime la clémence pour laquelle il accorde sa récompense tandis qu'Il ne l'accorde pas pour la violence".

Il a dit également: "celui qui prohibe la bienveillance prohile totalement le bien".

On rapporte que le Prophète – à lui bénédiction et salut – voyant un vieillard marcher péniblement avec ses deux fils demanda:

"Qu'a –t-il?" On lui répondit: il a fait voeu de marcher c.à.d. de faire le pélerinage à pied. Le prophète. dit: "Allah a interdit à celui- ci de se torturer dans le but d'obtenir récompense" et il lui ordonna de prendre une monture.

REVUE
AL AZHAR
Sction Francaise

in the plane. Enquires from the crew members inside revealed that one of the coffin boxes could not be loaded due to its excessive width by two inches, a mistake by the carpenters in Atlana. The coffin could not go through the cargo door which was 42" in width while. Therefore, it was left behind to be loaded at the earliest possible flight to Paris where it would be put on the same plane as the bereaved family flying to Pakistan. Disclosure of all these facts could not convince Mr. Ali and the funeral party. In chorus they declared they would not proceed further without the coffin. No assurancs or arguments could make them change their mind. With the result that Boeing 747 jetliner of TWA flight 800 had to taxi back to the airport building and off-load the funeral party along with one coffin box.

Thereafter, the jetliner with 12 crew members and 217 passengers again headed for the runway for the scheduled flight. It is said that minutes after the Paris bound plane took off form JFK airport, people heard a loud explosion and saw a fireball plunge into the Atlantic ocean.

The 17 precious lives of Mr. Ali's family were spared due to two inches of excessive width of one coffin box a mistake by the carpenters in Atlanta. This is how God works in His mysterious ways.

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ ﴾

Every soul shall have a taste of death : and only the Day of Judgment shall you be paid your full recompense. Only He who is saved for from the Fire and admitted to the Garden will have attained the object (of Life): for the life of this world is but goods and chattels of deception. (3:185)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾

Verily the knowledge of the Hour is with Allah (alone). It is He Who sends down rain and He Who knows what is in the wombs. Nor anyone know what it is that he will earn on the morrow; nor does anyone know in what land he is to die. Verily with Allah is full knowledge and He is acquainted (with all things). (31 : 34)

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾

He Who Created Death and Life, that He may try which of you is best in deed; and He is the Exalted in Might, Oft-Forgiving. (67:2)

THE MYSTERY OF LIFE AND DEATH

By Dr. Maher Nofal

No person can ever die except by Allah's leave and an appointed term. May Allah guide us all to the correct path. Aameen

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

O ye who believe! Fear Allah as He should be feared, and die not exept in a state of Islam. (Al Quran 3:102)

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾

Nor can a soul die except by Allah's leave, the term being fixed as by writing. if any do desire a reward in this life, We shall give it to him: and if any do desire a reward in the Hereafter, We shall give it to him. And swiftly shall We reward those that (serve us with) gratitutde. (Al Quran 3:145)

Back in 1996, as usual Mr. Mohamed Ali along with his family, his wife and two daughters aged eigh and thirteen, visited the USA. Instead of going to New York the family disembarked at Atlanta, Georgia. Being pre-Olympic days, they stayed in a hotel for a couple of days just to enjoy the bustle of the pre-Olympics. While leaving Atlanta for New York, on the way to the airport they stopeed for a while to make certain petty purchases from a roadsie store. Mr. Ali stayed in the car, hs wife and daughters crosed the street and entered the store. After a short while, all the three emerged holding packages and began to cross the street. They were almost midway when they were hit and run over by a speeding vehcile. Immediately, people gathered around and police vechicles and ambulance arrived on the scene. The driver of the speeding vasn was put under arrest and his van was impounded by the police. All the three victims, moher and two duaghters were taken to a nearby hospital where the mother and the elder duaghter breathed their last due to serious multiple injuries on the head, in spite of the best efforts by the doctors and paramedics. The younger daughter who sustained simple injuries and bruises was given first aid and discharged. In a few moments the whole scenario of this poor, ill-fated family changed - from rejoicing to mourning. Mr Ali rang up his near and dear ones in New York and let them know about the tragedy. Those who could rushed to Atlanta by the immediate available flight to share his sufferings. And together, they began to make the travel arrangements to New York and then onwards to Pakistan along with the coffins.

In New York everything was arranged on top priority basis for them. Two coffin boxes, Mr. Ali, his injured daughter and fifteen other relatives and community members accomapanying the dead bodies were all booked in TWA flight 800 from John F. Kennedy Airport to Charles De Gaulle Airport, Paris, and from there onwards to Pakistan. At John F. Kennedy Airport, New York the two coffin boxes and baggage were handed over to the TWA flight Mr. Ali and the relatives accompanying him boarded the plane, a TWA jetliner 747 with 229 people.

While the Boeing 747 jetliner was taxiing on the tarmac two members of Mr. Ali's party sitting bgy the winodow of the plane sported a coffin box lying on the tarmac.

They imm'ediately informed Mr. Ali and the other members of the funeral party who created a row

this life. They believed that there was nothing but the life of this world, that they would live and die and be buried, and that once dead they would become nothing more than mere dust and bones. They accused Hud عز وجل of inventing a lie against Allah سبحانه وتعالى (Surah 23 : 33 - 38)

Prophet Hud عليه السلام continued to preach the Oneness and worship of Allah سبحانه وتعالى even though the majority of his people refused to listen to him or believe in what he was saying. He told his people that he had completed his mission by bringing them the truth and that if they did not follow the commands of Allah سبحانه وتعالى a terrible torment would fall on them. Their reply was :"... bring us that wherewith you have threatened us if you are of the truthful". (Surah 7 : 70)

Prophet Hud عليه السلام then prayed to Allah سبحانه وتعالى saying : "I call Allah to witness and bear you witness that I am free from that which you ascribe as partners in worship with Him." (Surah 11 : 34 - 35) Prophet Hud عليه السلام andthose who believed in his message then completely separated themselves from the disbelievers. In the meantime Allah سبحانه وتعالى had sent drought upon the people of Ad. One day a thick dark cloud was approaching their valleys and they happily ran outside believing that the cloud was bringing them rain to end the drought.

It was not rain approaching - it was the punishment that they had been asking for - the torment sent to them by Allah سبحانه وتعالى. Allah سبحانه وتعالى has described this torment and the end of the people of Ad in the Qur'an. Then, when they Saw it as a dense cloud coming towards their valleys, they said : "This is a cloud bringing us rain." Nay, but it is that (torment) which you were asking to be hastened! - a wind where in is a painful torment! Destroying everything by the Command of its Lord! So they became such that nothing could be seen except their dwellings! Thus do We recompense the people who are Mujrimun (polytheists, disbelievers, sinners, etc.)! (Surah 46 : 24 - 25)

So As - Saiha (torment - awful cry, etc.) overtook them with justice, and We made them as rubbish of dead plants. (Surah 23 : 41) Ad people denied the Qari'ah (the striking Hour (of Judgment)! And as for Ad, - they were destroyed by a furious violent wind which Allah سبحانه وتعالى imposed on them for seven nights and eight days in succession so that you could see men lying overthrown (destroyed), as if they were hollow trunks of plam - trees! (Surah 69 : 4, 6, 7)

Ad (people) belied (their Prophet, Hud), then how terrible was My Torment and My Warnings? Verily, We sent against them a furious wind of harsh voice on a day of evil omen and continuous calamity. Plucking out men as if they were uprooted stems of palm - trees. (Surah 54 : 18 - 20) Prophet Muhammad صلى الله عليه وسلم said : "..... the people of Ad were destroyed by Ad - Dabur (i.e. a westerly wind). (Sahih Bakhri). He also said, after speaking about the people of Ad : "....... then is there any that will remember (or receive admonition)?

Thus the story of Prophet Hud and the people of Ad ends.

The Lessons

As the stories of Prophet Hud and Prophet Salih are so similar the lesson for both stories is the same. Therefore, we shall put lesson at the end of the story of Prophet Salih.

The Prophets of Allah
Prophet Hud
by sheikh Muhammed Mustafa Gemea'ah

After Prophet Nuh عليه السلام died Allah عز وجل sent another prophet to mankind as they had begun to deviat from his straight path. These people were the people of Ad. They were a tribe whose name came from their ancestors who were the children of Aram, son of Sam, who was the son of Nuh عليه السلام. They were known as Ad-e-Aram or Ad-Ula as well. They lived in an area extending from Oman to Hadhramaut and Yemen in the southern part of the Arabian peninsula from about 2800 B.H. (before Hijrah) to 2300 B.H. They no longer followed the teachings of the Prophet Nuh, instead they worshipped idols. Prophet Hud called them to the belief in Allah alone. However the majority of his people refused to listen to this call. Consequently they were destroyed by a divine punishmend in the form of a sand storm which lasted for eight days.

The tribe of Ad were strong and powerful people. They were filled with arrogance and pride. They bulit high towers and buildings on top of mountains just to impress other people of how powerful they were. No one lived in these buildings nor were the buildings used for any other purpose. (surah 26 : 128 - 129)

Prophet Hud عليه السلام tried to counsel and warn his people. He told them to worship Allah عز وجل alone and that there was no other God but Him. (Surah 11 : 50) Prophet Hud عليه السلام told his people that they were nothing more than liars because they invented gods other than Allah عز وجل without His permission, and gave these gods names. (Surah 7 : 71)

Prophet Hud عليه السلام tried to make his people understand that it was Allah عز وجل Who gave them their strength and power over other people. He also told them that it was Allah عز وجل alone Who gave them wealth, luxuries, comforts of life, cattle, children, gardens and springs. (Surah 26 : 133 - 134)

Hud عليه السلام told his people that he wanted no reward from them as his reward would come from Allah عز وجل. (Surah 26 : 127) He tried to assure them that he was a messenger and a warner sent to them by Allah عز وجل to warn them of a terrible torment for those who denied His signs and proofs and worshipped anyone or anything other than Allah عز وجل alone. (Surah 7 : 67) Prophet Hud عليه السلام told the people of Ad that they should repent and ask Allah عز وجل for His forgiveness.

Prophet Hud's عليه السلام words fell on ears that could not hear and hearts that could not comprehend this message. (Surah 46 : 26) They told him that he was nothing more than a human being like them (Surah 23 : 33) and that he gave them no proof that what he was saying was the truth. (Surah 11 : 53) The people of Ad told Prophet Hud عليه السلام that as far as they were concerned he was a liar. They told him that they were sure that Hud عليه السلام made their gods angry and in turn the gods had struck Hud عليه السلام with madness.They refused to abandon their idol worship. (Sura 11 : 53 - 54)

The people of Ad did not believe in that Allah سبحانه وتعالى was going to resurrect all mankind on the Day of Judgment so that they would have to answer for their deeds (whether good or bad) in

AL-AZHAR MAGAZINE
Rabiu Alw'wal 1421 H.

ENGLISH SECTION
June 2000

﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. TRANDIL H. EL RAKHAWY, Ph.D.

Dept. of English Language and Translation

Al-Azhar University

ADEL REFAI KHAFAGA M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine

الفهرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

● ● ●

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير عام التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

قيمة الوقت عند المؤمن

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاما على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد

فإن الوقت هو رأس مال الإنسان، وهو أغلى ما يكون عند العلماء والعقلاء، إذ هو قوام علمهم، وعماد حياتهم، وهو أرخص ما يكون عند الجهال، كان السلف الصالح من هذه الأمة يعرفون شرف الوقت وقيمته وأهميته، وكيف كانوا يكسبون الوقت إذا زارهم ضيف، أو نزل بهم ثقلاء بطالون، قال الإمام ابن الجوزى -رحمه الله-: «ينبغى للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر قيمته، فلا يضيع منه لحظة فى غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته فى الخير قائمة من غير فتور، بما لا يعجز عنه البدن من العمل[1]، كما جاء فى الحديث

---

(١) صيد الخاطر (٤٦/١ ، ٢٠١، ٢٠٢، ٣١٨/٢، ٣١٩).

←

الشريف: «نية المؤمن خير من عمله، وعمل المنافق خير من نيته، وكل يعمل على نيته، فإذا عمل المؤمن عملا نار فى قلبه نور»[٢].

وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات، إذ نُقل عن عامر بن قيس- أحد التابعين العباد الزهاد- أن رجلا قال له: كلمنى، فقال له عامر: أمسك الشمس، وقد رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعا عجيبا، إن طال الليل فبحديث لا ينفع، أو بقراءة كتاب فيه غزل وسمر، وإن طال النهار فبالنوم، وهم فى أطراف النهار على دجلة، أو فى الأسواق.

عزيزى القارىء: عمر الإنسان رأس ماله الذي فيه تجارته، فإذا ضيّعه فيما لا يعنيه، فقد أتلفه فيما لا شيء»[٣]

كما روى عن الحسن البصرى أنه قال: «يا عجبا كل العجب من قوم أمروا بالزاد، ونودوا بالرحيل، وقد جلس أولهم لآخرهم، وهم قعود يلعبون، أو قال: جلس أوائلهم وهم يلعبون»[٤]

وإن العاقل الموفق هو من يملأ كل لحظة وثانية من حاضر عُمره، ووقته بفائدة، أو عمل صالح، وقد كره سيدنا عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- التعطل والبطالة، وإضاعة الزمن سُدًى، فقال: «إنى لأكره أن أرى أحدكم سبهللا -أى فارغا- لا فى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة[٥] وليعلم أن الوقت أغلى مملوك وأرخص مُضيّع، وصدق ابن هبيرة إذ يقول:

والوقت أنفس ما عُنيت بحفظه ... وأراه أسهل ما عليك يضيع![٦]

وكان الخليل بن أحمد الفراهيدى يقول: «أثقل الساعات علىَّ: ساعة آكل فيها».

وقال موسى بن اسماعيل التَّبُوذَكىّ: لو قلت لكم: إنى ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكا لصدقت، كان مشغولا: إما أن يحدِّث، أو يقرأ، أو يسبِّح، أو يصلى، وقد قسم النهار على ذلك». حتى قال يونس المؤدب: مات حماد بن سلمة، وهو فى الصلاة -رحمة الله -تعالى- عليه».

---

(٢) الفتح الكبير (٣/٢٦٥) للبيهقى عن أنس. وفى الطبرانى عن سهل بن سعد.

(٣) كفاية الأتقياء ومنهج الأصفياء للدمياطى.

(٤) تنبية الغافلين للسمرقندى (٢٠٣).

(٥) قيمة الزمن للأستاذ عبدالستار أبوغدة (١/١١).

(٦) ذيل طبقات الحنابلة لأبن رجب (١/٢٨١).

وكان أبو يوسف القاضى يُباحث -وهو فى النزع والذماء: النفس الأخير من الحياة -بعض عواده فى مسألة فقهية، رجاء النفع بها لمستفيد أو متعلم، ولا يُخلى اللحظة الأخيرة من لحظات حياته من كسبها فى مذاكرة علم وإفادة واستفادة.

وكان سلفنا الصالح، ومن سار على نهجهم من الخلف أحرص الناس على كسب الوقت وملئه بالخير سواء فى ذلك عالمهم وعابدهم، فقد كانوا يسابقون الساعات، ويبادرون اللحظات، ضنا منهم بالوقت وحرصا على ألا يذهب منهم هَدَرًا[٧]

وهذا الصحابى الجليل عبدالله بن مسعود -رضى الله عنه- يقول: ما ندمت على شىء ندمى على يوم غَرَبَتْ شمسه، نقص فيه أجلى ولم يزد فيه عملى». ثم إن عمر بن عبدالعزيز يقول: إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما».

وقال الحسن البصرى: أدركت أقواما كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصا على دراهمكم ودنانيركم»[٨] وفى القرآن الكريم تنبيه بليغ على ندامة من يفرطون فى حياتهم، وينفقون فى غير نافع لدنياهم وأخراهم، قال الله -تعالى-:

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾[٩] أى: قدمت عملاً صالحاً فى الدنيا من أجل الحياة الآخرة، لأنها أبقى وأدوم، وهذه الآية تدل أبلغ دلالة على خسارة من يتركون حياتهم دون الانتفاع بها. كما جاء فى السنة النبوية الشريفة قوله -ﷺ-: «اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»[١٠]

وكم من تفريط جعل صاحبه يطلب المستحيل، ويتمنى إتاحة الفرصة مرة أخرى، ولاتحين فرصة، ومن ذلك قول أهل النار، وقد رأوا خسرانهم: «ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا»[١١] وقوله -تعالى-:

﴿يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾[١٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى»[١٣]

---

(٧) قيمة الزمن (٢٦، ٢٨، ٢٩).
(٨) المرجع السابق (٢٧).
(٩) سورة الفجر (٢٤).
(١٠) الفتح الكبير (٢٠٣/١) للحاكم والبيهقى عن ابن عباس.
(١١) سورة الأنعام (٢٧).
(١٢) سورة الأحزاب (٦٩).
(١٣) الفتح الكبير (٣٣٩/٢) لأحمد والترمذى وابن ماجه والمستدرك عن شداد بن أوس.

وها هم القدماء قد ضبطوا أوقاتهم فاخترعوا التوقيت عن طريق قياس الظل بالأقدام ثم اخترعوا المزاول والساعات الرملية والساعات المائية حتى لا يكون زمنهم فوضى، ثم لما تقدم الوعى اخترعت الوسائل الحديثة.

وقد صدق أحمد شوقى حينما قال:

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

لأن هذه اللمحة التى نسميها الثانية هى مختصر حياة المرء كله مهما انفسح أجله، وإذن فالاستهانة بالزمن القصير خطر عظيم، ولعل حياة سيدنا رسول الله -ﷺ- كانت أملأ بالنشاط المثمر من كل حياة عرفتها البشرية، فلم يعرف عنه منذ اضطلع بعبء الرسالة أنه أضاع دقيقة واحدة فى غير فائدة، ولا أخر صلاة عن وقتها حتى لحق بالرفيق الأعلى، كذلك كانوا -رضى الله عنهم أجمعين- فى القدوة به إلى حد يدعو إلى العجب والإعجاب.

أما اليوم فيكاد يكون التهاون بقيمة الزمن يصبح ظاهرة فاشية فى الأوساط الجاهلة من أمم الشرق، يبددون وقتهم دون مبالاة فى المقاهى والملاهى ودور السينما لا ليفيدوا من الحضارة النافعة التى برز فيها الغرب، بل على الأكثر ليتمتعوا بالعرض الزائل أمامهم، ويعجبوا بمهارة اللصوص والقتلة، وعصابات السلب والنهب والقتل، وإذا لم تكن الملاهى أكبوا على لعب الورق والنرد، وأقاموا حلقات القمار، وكل ما يضيع الوقت ويبدد الأعمار فى غير طائل، ويذهب بالدين والخُلق.

ولا يخفى عليك عزيزى القارىء أن أسباب التهاون بالزمن كثيرة.

فمنها: فساد التربية الأولى، فى بيئات مصابة بهذا المرض الوبيل.

ومنها: عدم الرقابة على الأخلاق، وترك الناشئة، ليمرح كل فى مرعاه الوبيل.

ومنها: شيوع المغريات بلا رقابة كافية، وترك أصحاب الثروات يبتكرون المفاتن بلا رادع لغواية الشباب، وابتزاز أمواله.

ومنها: أحلام اليقظة، وغرور النشىء بقدرته على تدارك كل ما يخسره من زمنه، ناسين الحكمة المشهورة: «لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد، فإن للغد عملا يكفيه»

ومنها: عدم وجود المؤسسات الكافية لتعليم الشباب عمليا، وتعويدهم على العمل المنظم والانتاج النافع والتعاون المثمر لخير الناس والوطن، والله الله فى مواسم العمر، والبدار البدار، قبل الفوات، وإن فى الحفاظ على الوقت والزمن لهو دليل صدق الإيمان وعمق اليقين وانه برهان على محاسن الإسلام.

وهنا يقول سيدى عبدالوهاب الشعرانى فى المنن والأخلاق (١١٢):

ومما أنعم الله ـ تبارك وتعالى ـ به على: نظرى إلى الوقت الذى أنا فيه، دون الماضى والمستقبل، فإن الماضى قد ذهب بما فيه من خير أو شر، وختم على صحيفته، والمستقبل لا يدرى العبد ما الله صانع فيه، وما بقى إلى الحالة الراهنة، ولا يخلو العبد فيها من أن يكون مخاطبا فيها بأحد ثلاثة أمور: إما أمر يمتثله، وإما نهى يجتنبه، وإما قدر يرضى به، وقد قال القوم: الصوفى ابن وقته، وقال الإمام الشافعى ـ رضى الله تعالى عنه ـ: استفدت من الصوفية طول صحبتى لهم شيئين: قولهم: الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، وقولهم: إن لم تشغل نفسك بالخير شغلتك بالشر.

أى: لأنها لا تترك نفسها مهملة طرفة عين من حين كلفت، والمهتدى من هداه الله تعالى. وقال – تعالى –: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾(١٤) أى: ألهمها فجورها لتجتنبه، وألهمها تقواها لتعمل بها، ثم لا يخفى أن تفكر العبد فيما مضى من سيئاته، ليستغفر منه لا بأس به للمريدين، بخلاف العارفين، لأن من اشتغل بالماضى ضيع وظيفة الوقت، فإن على العبد فى كل نفس عبودية يؤديها، وصاحب هذا المشهد لا يرى شيئا من عبادة الله يقضى إذا فات، وبه قال بعض المالكية قال: لأن الوقت إذا ذهب فارغا ختم على صحيفته فارغة، فلأى شىء يطلب تفريغ محل ليملأ به محلا آخر، والكل مناقش عليه، ومحاسب به، فلكل دقيقة من الدرجة من عمره دائرة، ولكل ثانية منها دائرة، ولكل درجة دائرة، ولكل درجتين دائرة، ولكل ساعة دائرة ولكل يوم دائرة، ولكل جمعة دائرة، ولكل شهر دائرة، ولجميع عمر الإنسان دائرة، فلا يصح دخول عمل دائرة فى دائرة أخرى.

فوالله لقد خلقنا لأمر عظيم، وما منا أحد وفى بآداب عبوديته، ولو أن العبد جعل بقية عمره كله استغفارا لما بقى ربما أنه لا يجبر خلل الذنوب الماضية، فضلا عن الآتية، فالحمد لله رب العالمين.

نسأل الله أن يوفقنا جميعا لاستثمار زمننا فى كل ما هو نافع ومفيد حتى نكون بحق خير أمة أخرجت للناس، وصلى الله وسلم على الحبيب رسول الله والحمد لله رب العالمين.. وبالله التوفيق.

عبدالمعز عبدالحميد الجزار

---

(١٤) سورة الشمس ٨.

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيّد طنطاوى

قال الله - تعالى -: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الآيات من ١٨٦ : ١٨٨]

بين الله - سبحانه وتعالى - أن العباد إذا حافظوا على فرائضه، واستجابوا لأوامره، وابتعدوا عن نواهيه، فإنه - عزوجل - لا يرد لهم طلبا ولا يخيب لهم رجاء.

قال - تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ آية (١٨٦).

قال الإمام البيضاوى فى وجه اتصال هذه الآية بما قبلها من آيات الصيام: «واعلم أنه - تعالى - لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر، عقبه بهذه الآية الدالة على أنه خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم، مجيب لدعائهم، مجاز على أعمالهم تأكيداً له وحثا عليه».

وروى المفسرون فى سبب نزول هذه الآية الكريمة روايات منها: ما أخرجه ابن جرير، وابن أبى حاتم أن أعرابيا جاء النبى - ﷺ - فقال: أقريب ربنا فنناجيه - أى: ندعوه سرا - أم بعيد فنناديه؟ فسكت رسول الله - ﷺ - فأنزل الله هذه الآية.[1]

ومنها مارواه مردويه - بسنده عن الحسن قال: سأل بعض الصحابة رسول الله - ﷺ -: أين ربنا؟ فانزل الله - تعالى - هذه الآية[2]

والمعنى: وإذا سألك عبادى يا محمد عن قربى وبعدى فقل لهم: إنى قريب منهم بعلمى ورحمتى وقدرتى وإجابتى لسؤالهم قال - تعالى -:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[3].

فى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى أنه قال: كنا مع النبى - ﷺ - فى سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبى - ﷺ - «أيها الناس أربعوا على أنفسكم - أى أرفقوا بها فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم والذى تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته».[4]

فقوله تعالى - ﴿ **فإنى قريب** ﴾ تمثيل لكمال علمه - تعالى - بأفعال عباده وأقوالهم، واطلاعه على سائر أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم إذ القرب المكانى محال على الله - تعالى -.

وفى الآية الكريمة التفات عن خطاب المؤمنين كافة بأحكام الصيام، إلى خطاب النبى - ﷺ - بأن يذكرهم ويعلمهم ما يجب عليهم مراعاته فى سائر عبادتهم من الإخلاص والأدب والتوجه إلى الله وحده بالسؤال.

ولم يصدر الجواب بقل أو فقل كما وقع فى أجوبة مسائلهم الواردة فى آيات أخر، نحو ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾[5] بل تولى - سبحانه - جوابهم بنفسه

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص٢١٨.

(٢) تفسير البيضاوى ص٣٩.

(٣) سورة ق ١٦.

(٤) تفسير ابن كثير جـ ١ ص٢١٨.

(٥) سورة طه ١٠٥.

إشعاراً بفرط قربه منهم، وحضوره مع كل سائل بحيث لا تتوقف إجابته على وجود واسطة بينه وبين السائلين من ذوى الحاجات.

والمراد بالعباد الذين أضيفوا إلى ضمير الجلالة هم المؤمنون لأن الحديث عنهم، ولأن سياق الآيات فى بيان أحكام الصوم وفضائله وهو خاص بالمؤمنين، وقد أضيفوا إلى ضمير الجلالة لتشريفهم وتكريمهم.

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ تقرير للقرب وتحقيق له، ووعد الداعى بالإجابة متى صدر الدعاء من قلب سليم، ونفس صافية، وجوارح خاشعة، ولقد ساق لنا القرآن فى آيات كثيرة أمثلة لعباد الله الذين توجهوا إليه بالسؤال، فأجاب الله سؤالهم، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾(٦) وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾(٧) وقوله ـ تعالى ـ ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾.(٨)

وورد فى الحديث ما يدل على أن العبد إذا دعا الله ـ تعالى ـ بما فيه خير، لم يخب عند الله دعاؤه، ولكن لا يلزم أن يعطيه ـ سبحانه ـ نفس ما طلبه، لأنه هو الأعلم بما يصلح عباده. روى الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «ما من مسلم يدعو الله ـ عزوجل ـ بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل إليه دعوته، وإما أن يدخرها له فى الأخرى، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها». وقوله ـ تعالى ـ ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

توجيه منه ـ سبحانه ـ إلى ما يجعل الدعاء مرجو القبول والإجابة.

والاستجابة: هى الإجابة بعناية واستعداد، والسين والتاء للمبالغة.

والرشد: الاهتداء إلى الخير وحسن التصرف فى الأمر من دين أو دنيا يقال: رشد ورشد يرشد ويرشد رشداً أى اهتدى.

والمعنى: لقد وعدتكم يا عبادى بأن أجيب دعاءكم إذا دعوتمونى، وعليكم أنتم أن تستجيبوا لأمرى، وأن تقفوا عند حدودى، وأن تثبتوا على إيمانكم بى، لعلكم بذلك تصلون إلى ما فيه رشدكم وسعادتكم فى الحياتين العاجلة والآجلة وأمرهم ـ سبحانه ـ بالإيمان بعد الأمر بالاستجابة، لأنه أول مراتب الدعوة، وأولى الطاعات بالاستجابة.

قال الحافظ ابن كثير: وفى ذكره ـ تعالى ـ هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام إرشاد إلى الاجتهاد فى الدعاء عند إكمال العدة بل وعند كل فطر، كما روى أبوداود الطيالسى فى مسنده عن عبدالله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: للصائم عند

---

(٦) سورة الأنبياء ٧٦.
(٧) سورة الأنبياء ٨٩، ٩٠.
(٨) سورة الأنبياء ٨٣، ٨٤.

إفطاره دعوة مستجابة، فكان عبدالله بن عمرو إذا أفطر جمع أهله وولده ودعا.

وروى ابن ماجة عن عبدالله بن عمرو قال : قال النبي ـ ﷺ ـ «إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد» وكان عبد الله يقول إذا أفطر: «اللهم إنى أسالك برحمتك التى وسعت كل شئ أن تغفرلي» وروى الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم، يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة وتفتح لها أبواب السماء ويقول: بعزتى لأنصرنك ولو بعد حين.(٩)

هذا والحديث عن الدعاء وعن فضله وعن آدابه وشروطه وفوائده وجوامعه وغير ذلك مما يتعلق به قد بسطناه فى غير هذا المكان فليرجع إليه من شاء.(١٠)

وبعد هذا الحديث المؤثر عن الدعاء، عاد القرآن إلى الحديث عن أحكام الصيام، وعن مظاهر رحمة الله بعباده فيما شرع لهم فقال ـ تعالى ـ:

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ الآية: (١٨٧).

روى بعض المفسرين فى سبب نزول هذه الآية الكريمة أحاديث تفيد أن المسلمين كانوا عندما فرض صيام شهر رمضان، إذا أفطروا يأكلون ويشربون ويقربون النساء ما لم يناموا فإذا ناموا حرم عليهم بعد ذلك الطعام والشراب وقربان النساء حتى يفطروا من الغد.

ومن الأحاديث التى وردت فى هذا المعنى ما أخرجه الإمام أحمد وابن جرير وابن حاتم عن عبدالله بن كعب بن مالك عن أبيه، قال: كان الناس فى رمضان إذا صام الرجل فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد فرجع عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ من عند النبى ـ ﷺ ـ ذات ليلة وقد سمر عنده، فأراد امرأته فقالت: إنى قد نمت، فقال: ما نمت ثم واقعها، وصنع كعب مثل ذلك فغدا عمر بن الخطاب إلى النبى ـ ﷺ ـ فأخبره فنزلت.(١١) ومنها ما رواه البخارى عن البراء قال: كان أصحاب محمد ـ ﷺ ـ إذا كان الرجل صائما فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسى، وإن قيس ابن صرمة الأنصارى كان صائما وفى رواية: كان يعمل فى النخيل بالنهار وكان صائما، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك

(٩) تفسير ابن كثير جـ ١ ص٢١٩.

(١٠) راجع كتاب (الدعاء) للمؤلف طبع مجمع البحوث: الكتاب السادس والخمسون.

(١١) تفسير الآلوسى جـ٢ ص٦٤.

وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه فجاءته امرأته فلمارأته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشى عليه، فذكر ذلك للنبى - ﷺ - فنزلت هذه الآية

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ **ففرحوا فرحاً شديدا، ونزلت** ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾.(١٢)

وجمهور المفسرين - كما يقول الإمام الرازى - على ان هذه الآية من قبيل النسخ، لأنها قد نسخت ما كان حاصلا فى أول فرضية الصيام من أن الصائم إذا نام بعد فطره لا يحل له الأكل أو الشرب أو الجماع إلى ان يفطر من الغد.

ويرى بعض العلماء أن الآية ليست من قبيل النسخ وإنما هى إرشاد إلى ما شرعه الله - تعالى - لعباده خلال شهر الصوم من إباحة غشيان أزواجهن ليلا، ومن جواز الأكل والشرب، حتى يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، وكأن الصحابة كانوا يتحرجون عن ذلك ظنا منهم أنه من تتمة الصوم، ورأوا أن لاصبرلأنفسهم عن الأكل والشرب والجماع ليلا، فبين الله لهم أن ذلك حلال لا حرج فيه.

وأصحاب هذا الرأى يستشهدون لذلك بما رواه البخارى عن البراء قال: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله. وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله - تعالى -:

﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾(١٣) فالمقصود من الآية الكريمة عند هؤلاء رفع ما توهمه بعض الصحابة من أن الأكل أو الشرب أو الجماع لا يجوز ما داموا قد ناموا بعد فطرهم؛ لأن الله - تعالى - رءوف رحيم بهم، ولم يشرع ما فيه حرج أو مشقة عليهم.

وعلى كلا القولين فالآية الكريمة تسوق لنا لونا من ألوان رحمة الله - تعالى - بعباده فيما شرع لهم من فرائض وأحكام.

والمراد بليلة الصيام: الليلة التى يصبح فيها الإنسان صائما دون تحديد ليلة معينة من شهر رمضان، فالإضافة لأدنى ملابسة.

قال الجمل وقوله: ﴿ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ﴾ منصوب على الظرف، وفى الناصب له ثلاثة أقوال: أحدها: وهو المشهور عند المعربين أنه أحل، وليس بشىء لأن الإحلال ثابت قبل ذلك الوقت.

الثانى: أنه مقدر مدلول عليه بلفظ الرفث تقديره: أحل لكم أن ترفثوا ليلة الصيام.

الثالث: أنه متعلق بالرفث وذلك على رأى من يرى الاتساع فى الظرف والمجرورات.(١٤)

والرفث فى الأصل: الفحش من القول وكلام النساء حين الجماع، كنى به عن المباشرة للزومه لها غالباً يقال رفث فى كلامه - كنصر وفرح وكرم - وأرفث، إذا أفحش فيه. و المراد به فى الآية الجماع والمباشرة.

---

(١٢) ، (١٣) تفسير القرطبى جـ ٢ ص٣١٤.

(١٤) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ ص١٤٩.

وعدى بإلى - مع أن المستعمل الشائع أن يقال: رفث بالمرأة - لتضمنه معنى الإفضاء كما فى قوله - تعالى -:

﴿ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ .(١٥)

والمعنى: أحل الله فى ليالى صومكم الإفضاء إلى نسائكم ومباشرتهن وقوله - تعالى - :

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾

وارد مورد المقتضى لإباحة مباشرة النساء فى ليالى الصيام، ذلك ان كلا من الزوجين يسكن إلى صاحبه، ويكون من شدة القرب منه كالثوب الملابس له وكانت العرب تسمى المرأة لباساً، وهذه حال تقوى معها الدواعى إلى المباشرة، فمن رفقه - تعالى - بعباده أن أحلها لهم ليلة الصيام.

قال الراغب: جعل اللباس كناية عن الزوج لكونه ستراً لنفسه ولزوجه ان يظهر منهما سوء كما أن اللباس ستر عنه أن يبدو منه السوء.

وقال صاحب الكشاف: «فإن قلت: ما موقع قوله: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ ﴾ قلت: هو استئناف كالبيان لسبب الإحلال، وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن، فلذلك رخص لكم فى مباشرتهن» .(١٦)

وفى هذه التعبير القرآنى ما فيه من اللطافة والأدب وسمو التصوير لما بين الرجل وزوجه من شدة الاتصال والمودة واستتار كل واحد منهما بصاحبه.

وقوله - تعالى - :

﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ جملة معترضة بين قوله: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ ﴾ وبين قوله: ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾ إلخ. وقد جىء بها لبيان حالهم بالنسبة إلى ما فرط منهم ولبيان مظهر من مظاهر لطف الله بهم، ورحمته إياهم.

وقوله: ﴿ تَخْتَانُونَ ﴾ قال الراغب: الاختيان مراودة الخيانة، ولم يقل تخونون أنفسكم لأنه لم تكن منهم الخيانة، بل كان منهم الاختيان، فإن الإختيان تحرك شهوة الإنسان لتحرى الخيانة وذلك هو المشار إليه بقوله - تعالى -:

﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ .(١٧)، (١٨).

والمعنى: علم الله - تعالى - أنكم كنتم تراودون أنفسكم على مباشرة نسائكم ليلا، وعلى الأكل بعد النوم، قبل أن يظهر الفجر الصادق، بل إن بعضكم قد فعل ذلك، فكان من رحمة الله بكم أن أباح الأكل والشرب والجماع فى ليالى الصوم، وأن قبل توبتكم وعفا عنكم، أى: محا أثر ما فعلتموه من الأكل والجماع قبل أن يأذن لكم بذلك.

وجملة ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ معطوفة على محذوف، والتقدير: فتبتم فتاب عليكم.

والذين لا يرون أن الآية ناسخة لحكم سابق عبر عن وجهة نظرهم صاحب المنار فقال: وقوله - تعالى -:

---

(١٥) سورة النساء ٢١.

(١٦) تفسير الكشاف للزمخشرى جـ١ ص٢٣٠.

(١٧) مفردات القرآن للراغب الأصفهانى ص١٦٣.

(١٨) سورة يوسف ٥٣.

﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾

أى : تتنقصونها بعض ما أحل الله لها من اللذات توهما أن من قبلكم كان كذلك فيكون بمعنى التخون أى : النقص من الشيء أو معناه : تخونون أنفكسم إذ تعتقدون شيئا ثم لا تلتزمون العمل به فهو مبالغة من الخيانة التى هى مخالفة مقتضى الأدلة ولم يقل تختانون الله كما قال فى آية أخرى .

﴿ **ولا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم** ﴾[19] للإشعار بأن الله ـ تعالى ـ لم يحرم عليهم بعد النوم فى الليل ما حرمه على الصائم فى النهار، وإنما ذهب بهم اجتهادهم إلى ذلك فهم قد خانوا أنفسهم فى اعتقادها، فكانوا كمن يتغشى امرأته ظانا أنها أجنبية، فعصيانه بحسب اجتهاده لا بحسب الواقع، فهم على أية حال كانوا عاصين بما فعلوا محتاجين إلى التوبة والعفو ولذلك قال :

﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾[20] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ فَٱلْـَٔانَ بَـٰشِرُوهُنَّ ﴾ الأمر فيه للإباحة وهو مرتب على قوله : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ .

ولفظ ﴿فَٱلْـَٔانَ﴾ يطلق حقيقة على الوقت الذى أنت فيه، وقد يقع على الماضى القريب منك وعلى المستقبل القريب الوقوع تنزيلا له منزلة الحاضر وهو المراد هنا .

و﴿ بَـٰشِرُوهُنَّ ﴾ من المباشرة وأصلها اتصال البشرة بالبشرة، وكنى بها القرآن عن الجماع الذى يستلزمها .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ تأكيد لما قبله، والابتغاء الطلب والمعنى : لقد أبحنا لكم الإفضاء إلى نسائكم فى ليالى رمضان بعد أن كان محرماً عليكم فضلا منا ورحمة بكم فالآن باشروهن واطلبوا من وراء هذه المباشرة ما كتبه لكم الله من الذرية الصالحة ومن التعفف عن إتيان الحرام .

وفى هذا إشعار بأن النكاح شرع ليبتغى به النسل حتى يتحقق ما يريده الله ـ تعالى ـ من بقاء النوع الإنسانى، ومن صيانة المرء نفسه عن الوقوع فى فاحشة الزنا .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ معطوف على باشروهن .

والمقصود من الخيط الأبيض : أول ما يبدو من الفجر الصادق المعترض فى الأفق قبل انتشاره .

والمقصود من الخيط الأسود : ما يمتد مع بياض الفجر من ظلمة الليل .

والمعنى : لقد أبحنا لكم مباشرة النساء فى ليالى الصوم، وأبحنا لكم كذلك أن تأكلوا وأن تشربوا فى هذه الليالى حتى يتبين لكم بياض الفجر من سواد الليل .

---

(١٩) تفسير المنار جـ٢ ص١٧٦ .

(٢٠) سورة الأنفال ٢٧ .

قال الإمام الرازى : ﴿ والفجر ﴾ مصدر قولك : فجرت الماء أفجرة فجرا، وفجرته تفجيرا، قال الأزهرى : الفجر أصله الشق، فعلى هذا الفجر فى آخر الليل هو انشقاق ظلمة الليل بنور الصبح.

وقد وردت روايات صحيحة تفيد أن قوله : ﴿ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ قد تأخر نزوله عن الجمل السابقة له، ففى الصحيحين عن سهل بن سعد قال : أنزلت ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾ ولم ينزل ﴿ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾

فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم فى رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، ويأكل حتى يتبين له رؤيتها، فأنزل الله بعده ﴿ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ فعلموا أنه يعنى الليل والنهار.

وروى أيضا عن عدى بن حاتم قال : لما نزلت هذه الأية :

﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾.

عمدت إلى عقالين لى أسود وأبيض فجعلتهما تحت وسادتى وجعلت أنظر فى الليل إليهما فلا يتبين لى، فعمدت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فذكرت ذلك فقال : « إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار » ونزل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **من الفجر** ﴾.

وشبه بياض النهار وسواد الليل بالخيطين : الأبيض والأسود لأن أول ما يبدو من الفجر المعترض فى الأفق وما يمتد معه من غبش الليل يكون كالخيط الممدود.

وفى الإتيان بلفظ التفعل فى قوله : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ ﴾ إشعار بأنه لا يكفى إلا التبين الواضح لا مجرد التوهم، فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ ـ : « لا يغرنكم نداء بلال ولا هذا البياض حتى يبدو الفجر ـ أو قال ـ حتى ينفجر الفجر

وقوله : ﴿ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ بيان للخيط الأبيض، واكتفى به عن بيان الخيط الأسود، لأن بيان أحدهما بيان للثانى، ويجوز أن تكون « من » للتبعيض، أى : من بعض الفجر وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ بيان لانتهاء وقت الصيام بعد أن بينت الجملة السابقة بدايته. أى : ابدءوا صومكم من طلوع الفجر وانتهوا منه بدخول الليل عند غروب الشمس، إذ الليل ليس بوقت الصيام.

قال الإمام الرازى : كلمة ﴿ إلى ﴾ لانتهاء الغاية، فظاهر الآية : أن الصوم ينتهى عند دخول الليل، وذلك لأن غاية الشىء مقطعه ومنتهاه وإنما يكون مقطعا ومنتهى إذا لم يبق بعد ذلك وقد تجىء هذه الكلمة لا للانتهاء كما فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إلى المرافق ﴾ إلا أن ذلك على خلاف الدليل، والفرق بين الصورتين أن الليل ليس من جنس النهار فيكون الليل خارجا عن حكم النهار، والمرافق من جنس اليد فيكون داخلا فيه.

وفى الصحيحين عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ ـ : « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهارمن هنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم ».

وكان من عادته ـ ﷺ ـ تعجيل الفطر، فقد روى الشيخان عن سهل بن سعد أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « لايزال الناس بخير ما عجلوا الفطر ».

وقد أخذ العلماء من هذه الآية ومن عمل ـ الرسول ﷺ ـ وقوله، أن من واصل الإمساك عن المفطرات فى الليل فلا ثواب له على هذا الإمسك، لأنه لم يقع فى الوقت الذى رسمه الشارع لعبادة الصوم، بل يعد هذا المواصل فاعلا لمحظور، فلابد للصائم من تناول شىء من المفطرات بعد غروب الشمس ولو قليلا من الماء، فقد روى الترمذى عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ يفطر قبل أن يصلى على رطبات فإن لم تكن رطبات فتميرات، فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء، والوصال – بمعنى أن يصوم الشخص اليوم وما بعده من غير أن يتناول مفطراً فى الليل الفاصل بينهما – وردت فى النهى عنه أحاديث كثيرة، ومن ذلك ما جاء فى الصحيحين عن أنس ابن مالك عن النبى ـ ﷺ ـ قال: «لا تواصلوا» قالوا: إنك تواصل يارسول الله قال: «لست كأحد منكم إنى أطعم وأسقى» أو قال: «إنى أظل يطعمنى ربى ويسقينى».

وروى الإمام أحمد عن ليلى امرأة بشير بن الخصاصية قالت أردت أن أصوم يومين مواصلة فمنعنى بشير وقال: إن رسول الله ـ ﷺ ـ نهى عنه وقال: يفعل ذلك النصارى ولكن صوموا كما أمركم الله ثم أتموا الصيام إلى الليل، فإذا كان الليل فأفطروا».

وقوله:

﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾

استثناء من عموم إباحة المباشرة، وذلك لأنه لما أطلق فى الجملة السابقة الإذن فى مباشرة النساء ليلة الصيام بقوله:

﴿ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ ﴾ كان هذا الإطلاق مظنة لأن يؤخذ منه أن المعتكف كالصائم فى أنه يجوز له أن يباشر زوجته ليلا لا نهارا، فبين – سبحانه – بهذه الجملة أن المعتكف يحرم أن يباشر النساء فى الليل والنهار.

قال القرطبى: والاعتكاف فى اللغة: الملازمة، يقال: عكف على الشىء إذا لازمه مقبلا عليه قال الشاعر:

وظل بنات الليل حولى عكفا
عكوف البواكى بينهن صريع

ولما كان المعتكف ملازما للعمل بطاعة الله مدة اعتكافه لزمه هذا الاسم وهو فى عرف الشرع: ملازمة طاعة مخصوصة فى وقت مخصوص على شرط مخصوص فى موضع مخصوص، وأجمع العلماء على أنه ليس بواجب وهو قربة من القرب ونافلة من النوافل عمل بها رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه وأزواجه، ويلزمه إن الزمه نفسه، ويكره الدخول فيه لمن يخاف عليه العجز عن الوفاء بحقوقه.

وأجمع العلماء على أنه لا يكون إلا فى المسجد واختلفوا فى المراد بالمساجد فى قوله – تعالى –:

﴿ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ فذهب قوم إلى أن الآية خرجت على نوع من المساجد وهو ما بناه نبى كالمسجد الحرام والمسجد النبوى وبيت المقدس، وقال آخرون لا اعتكاف إلا فى مسجد تجمع فيه الجمعة، وقال آخرون الاعتكاف فى كل مسجد جائز (٢١).

---

(٢١) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٣٣٢ بتصرف وتلخيص.

والمشار إليه فى قوله – تعالى – :

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ الأحكام التى سبق تقريرها من إيجاب وتحريم وإباحة.

والحدود جمع حد، وهو فى اللغة الحاجز بين الشيئين المتقابلين ليمنع من دخول أحدهما فى الآخر ومنه سمى الحديد حديدا لأنه يمنع وصول السلاح إلى البدن.

وسميت الأحكام التى شرعها اللَّه حدودا لانها تحجز بين الحق والباطل.

أى: تلك الأحكام التى شرعناها لكم من إيجاب الصوم، وتحريم الأكل والشرب والجماع فى نهاره، وإباحة ذلك فى ليله، هى حدود اللَّه التى لا يحل لكم مخالفتها أو مجاوزتها.

وعبر – سبحانه – عن النهى عن مخالفة تلك الأحكام بقوله : ﴿ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ مبالغة فى التحذير من مخالفتها، لأن النهى عن القرب من الشىء نهى عن إتيانه بالأولى، والآية ترشد بقولها ﴿ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ إلى اجتناب ما فيه شبهة، كما ترشد إلى ترك الأشياء التى تقضى فى غالب أمرها إلى الوقوع فى حرام.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت : كيف قيل ﴿ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ مع قوله :

﴿ **فلا تعتدوها ومن يتعد حدود اللَّه** ﴾ قلت: من كان فى طاعة اللَّه والعمل بشرائعه فهو متصرف فى حيز الحق فنهى أن يتعداه لأن من تعداه وقع فى حيز الباطل، ثم بولغ فى ذلك فنهى أن يقرب الحد الذى هو الحاجز بين حيزى الحق والباطل لئلا يدانى الباطل، وأن يكون فى الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا عن أن يتخطاه كما قال رسول الله – ﷺ – : «إن لكل ملك حمى، وحمى الله محارمه، فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه» فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد.. ويجوز أن يريد بحدود اللَّه محارمه ومناهيه خصوصا لقوله – تعالى – : ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾ وهى حدود لا تقرب[22].

ثم ختم – سبحانه – هذه الآية الكريمة بقوله : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾.

أى: مثل ذلك البيان الجامع الذى بين اللَّه به حدوده التى أمركم بالتزامها ونهاكم عن مخالفتها، يبين لكم آياته، أى أدلته وحججه لكى تصونوا أنفسكم عما يؤدى بكم إلى العقوبة، وتكونوا ممن رضى اللَّه عنه.

وبذلك تكون الآية الكريمة قد ختمت الحديث عن الصوم، ببيان مظاهر رفق اللَّه بعباده، ورعايته لمصالحهم ومنافعهم، بأسلوب بليغ جمع بين الترغيب والترهيب، والإباحة والتحريم، وغير ذلك من أنواع الهداية والإرشاد إلى ما يسعد الناس فى دينهم ودنياهم.

وبعد أن أنهى القرآن حديثه عن الصيام، وما يتعلق به من أحكام، أردف ذلك بالنهى عن أكل الحرام، لأنه يؤدى إلى عدم قبول العبادات من صيام واعتكاف ودعاء وغير ذلك، فقال – تعالى – :

---

(22) تفسر الكشاف جـ ١ ص ٢٢٣.

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

والخطاب فى الآية الكريمة موجه إلى المؤمنين كافة فى كل زمان ومكان.

والمراد بالأكل مطلق الأخذ بغير وجه حق، وعبر عنه بالأكل، لأن الأكل أهم وسائل الحياة وفيه تصرف الأمول غالبا.

والباطل فى اللغة : الزائل الذاهب، يقال: بطل يبطل بطولا وبطلانا، أى ذهب ضياعا وخسرا، وجمع الباطل أباطيل، ويقال: بطل الأجير يبطل بطالة إذا تعطل واتبع اللهو.

والمراد هنا : كل ما لم يبح الشرع أخذه من المال وإن طابت به النفس، كالربا والميسر وثمن الخمر، والرشوة، وشهادة الزور، والسرقة، والغصب، ونحو ذلك مما حرمه الله – تعالى – والباء للسببية، والجار والمجرور متعلق بالفعل قبله، وكذلك قوله : ﴿ بَيْنَكُم ﴾.

والمعنى : لايأخذ بعضكم مال بعض، ويستولى عليه بغير حق، متذرعا بالأسباب الباطلة، والحيل الزائفة، وما إلى ذلك من وجوه التعدى والظم.

وفى قوله – تعالى – : ﴿ أَمْوَٰلَكُم ﴾ – مع أن أكل المال يتناول مال الإنسان ومال غيره – فى هذا القول إشعار بوحدة الأمة وتكافلها، وتنبيه إلى أن احترام مال غيرك وحفظه هو عين الاحترام والحفظ لمالك أنت، ففى هذه الإضافة البليغة تعليل للنهى، وبيان لحكمة الحكم، إذ استحلال الإنسان لمال غيره يجرىء هذا الغير على استحلال مال ذلك الإنسان المتعدى، وإذا فشا هذا السلوك فى أمة من الأمم أدى بها إلى الضعف والتعادى والتباغض.

فما أحكم هذا التعبير، وما أجمل هذا التصوير.

وقوله : ﴿ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ بيان لصورة أخرى قبيحة من صور أكل أموال الناس بالباطل وقوله: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ معطوف على ﴿ **لاتأكلوا** ﴾.

والإدلاء فى الأصل : إرسال الدلو فى البئر للاستقاء، ثم جعل كل إلقاء قول أو فعل إدلاء، ومنه أدلى فلان بحجته، أى : أرسلها ليصل إلى مراده.

والمراد بالإدلاء هنا : الدفع والإلقاء بالأموال إلى الغير من أجل الوصول إلى أمر معين.

والحكام : جمع حاكم، وهو الذى يتصدى للفصل بين الناس فى خصوماتهم وقضاياهم والفريق: القطعة المعزولة من جملة الشىء، ومنه قيل للقطعة من الغنم تشذ عن معظمها فريق.

والإثم : الفعل الذى يستحق صاحبه الذم والعقاب، وجمعه آثام.

والمعنى : لا يأخذ بعضكم أموال بعض – أيها المسلمون – ولا يستولى عليها بغير حق، ولا تدلوا بها إلى الحكام، أى: ولا تلقوا أمرها والتحاكم فيها إلى القضاء لا من أجل الوصول إلى الحق، وإنما من أجل أن تأخذوا عن طريق التحاكم قطعة من أموال غيركم متلبسين بالإثم الذى

يؤدى إلى عقابكم، حال كونكم تعلمون أنكم على باطل، ولاشك أن إتيان الباطل مع العلم بأنه باطل أدعى إلى التوبيخ من إتيانه على جهالة به.

فعلى هذا الوجه يكون المراد بالإدلاء بالأموال إلى الحكام طرحها أمامهم ليقضوا فيها، وليتوسل بعض الخصوم عن طريق هذه القضاء إلى أكل الأموال بالباطل حين عجزوا عن أكلها بالمغالبة.

وهناك وجه آخر تحتمله الآية احتمالا قريبا، وبه قال كثير من العلماء وهو أن المراد بالإدلاء بالأموال إلى الحكام، إلقاؤها إليهم على سبيل الرشوة ليصلوا من وراء ذلك إلى أن يحكموا لصالحهم بالباطل، وعليه يكون المعنى:

لا يأخذ بعضكم أموال بعض أيها المسلمون، ولا تلقوا ببعضها إلى حكام السوء على سبيل الرشوة، لتتوصلوا بأحكامهم الجائرة إلى أكل فريق من أموال الناس بغير حق. ولا غرابة فى أن يعنى القرآن فى سياسته الرشيدة بالتحذير من جريمة الرشوة، فإنها المعول الذى يهدم صرح العدل من أساسه وبها تفقد مجالس القضاء حرمتها وكرامتها، وتصير تلك المجالس موطنا للظلم لا للعدل.

وخص القرآن الكريم هذه الصورة بالنهى- وهى صورة الإدلاء بالأموال إلى الحكام- مع أنه قد ذكر ما يشملها بقوله:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ لأنها على وجهى تفسيرها شديدة الشناعة، جامعة لمنكرات كثيرة، كالظلم، والتباغض والرشوة، والغصب وغير ذلك. والحق، أن هذه الآية الكريمة أصل من الأصول التى يقوم عليها إصلاح المعاملات، وقد أخذ العلماء منها حرمة أكل أموال الناس بالباطل، وحرمة إرشاء الحكام ليقضوا للراشى بمال غيره، وقد لعن النبى ـ ﷺ ـ الجميع فى الحديث الذى أخرجه الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لعن الله الراشى والمرتشى والرائش» وهو الواسطة الذى يمشى بينهما.

كما أخذوا منها أن حكم الحاكم على ما يقتضيه الظاهر من أمر القضية لا يحل فى الواقع حراماً، ولا يحرم حلالاً، والدليل على ذلك ما أخرجه الشيخان عن أم سلمة - رضى الله عنها - عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم فقال: إنما أنا بشر. وإنه ليأتينى الخصم. فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه قد صدق، فأقضى له بذلك. فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها».

قال الإمام ابن كثير: «فدلت هذه الآية الكريمة وهذا الحديث على أن حكم الحاكم لا يغير الشيء فى نفس الأمر، فلا يحل فى نفس الأمر حراماً ولا يحرم حلالاً، وإنما هو ملزم فى الظاهر، فإن طابق فى نفس الأمر فذاك وإلا فللحاكم أجره وعلى المحتال وزره، ولهذا قال الله -تعالى- فى آخر الآية ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. أى تعلمون بطلان ما تدعونه وترجونه فى كلامكم».(٢٣)

وبذلك تكون الآية الكريمة قد رسمت طريق الحق لمن يريد أن يسير فيه

﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾

يتبع

(٢٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٢٥.

(٢٤) سورة الأنفال ٤٢.

المؤتمر الإسلامى العالمى

الثانى عشر - المنعقد فى القاهرة

٨ - ١١ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ

١١ - ١٤ يونية ٢٠٠٠م

تحت رعاية السيد الرئيس محمد حسنى مبارك - رئيس الجمهورية - انعقد فى القاهرة المؤتمر الإسلامى العالمى الثانى عشر، والذى تنظمه وزارة الأوقاف ممثلة فى: «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية» وموضوعه.

«نحو مشروع حضارى لنهضة العالم الإسلامى»

الإسلام ومتغيرات العصر

وقد شارك فى جلساته وفود من سبعين دولة من قارات العالم الخمس، وناقش أكثر من خمسين بحثا، خلال عشر جلسات صباحية ومسائية، تحت الرياسة الشرقية لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر.

ويسر «مجلة الأزهر» أن تقدم للسادة القراء كلمة السيد رئيس الجمهورية والتى ألقاها بالإنابة عن سيادته الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف.

وكلمة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر - وقرارات وتوصيات المؤتمر.

كلمة السيد الرئيس
محمد حسني مبارك
رئيس الجمهورية

فى افتتاح المؤتمر الثانى عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾(١)

صدق الله العظيم

الإخوة الأعزاء ضيوف مصر الكرام:

السيدات والسادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أود فى البداية أن أحييكم وأرحب بكم على أرض وطنكم الثانى مصر، التى يسعدها أن تشرف بمشاركتكم السنوية فى هذا المؤتمر الإسلامى الكبير، الذى تعبرون فيه عن اهتمامكم البالغ بقضايا أمتكم العربية والإسلامية، وتطلعكم جميعا إلى إحداث نهضة حضارية فى هذا الجزء من العالم، ذى التاريخ العريق، والعطاء العلمى والحضارى الذى يعرفه الجميع، حتى تحتل أمتنا مكانتها اللائقة بها فى عالم اليوم.

---

(١) سورة الرعد ١١.

الإخوة الأعزاء:

الموضوع المعروض للمناقشة هذا العام تحت عنوان: «الإسلام ومتغيرات العصر» إنما هو حلقة من حلقات الموضوع الأساسى الذى تمت مناقشته فى مؤتمر العام الماضى بعنوان: (نحو مشروع حضارى لنهضة العالم الإسلامى).

وقد ركز مؤتمركم هذا العام على قضية تعد من أهم القضايا التى تواجهها أمتنا فى هذا العصر وهى قضية توطين التكنولوجيا فى العالم الإسلامى.

ويقينى أنكم جميعاً تشاركوننى الرأى فى أنه لا يليق بالأمة الإسلامية فى الألفية الجديدة أن تظل تعانى من مشكلة الأمية الأبجدية بينما العالم المتقدم منشغل بمحو الأمية التكنولوجية.

وللخروج من هذا المأزق الخطير أود أن أضع أمامكم بعض الأفكار التى قد تساعد فى العثور على الحلول المناسبة لما تعانيه أمتنا الإسلامية من تخلف علمى وتكنولوجى:

أولاً: إن من أوجب الواجبات اليوم أن يكتمل التعاون والتنسيق والتكامل بين شعوب أمتنا وحكوماتها فى مجالات البحث العلمى والتكنولوجيا، لأنه من العسير على دولة واحدة أن تحقق إنجازات ذات شأن فى كل المجالات العلمية والتكنولوجية المتقدمة، ولكن إذا تكاملت الجهود، وتعاونت العقول، وتم التنسيق، فيمكن حينئذ للعالم الإسلامى أن يشهد إنجازاً ملموساً يرتقى بأمتنا؛ ويحقق لها ريادة علمية فى القرن الجديد.

– لاسيما – إذا أخذنا فى الاعتبار أن المسلمين لا تنقصهم العبقرية، فهناك علماء مسلمون كثيرون يعملون فى مختلف بلدان العالم المتقدم، قد برهنوا على تفوقهم العلمى، بما تحقق على أيديهم من إنجازات وابتكارات علمية اعترف العالم بفضلها وإسهامها فى التقدم العلمى للبشرية.

وقد حصل بعضهم على جائزة نوبل تقديراً لاكتشافاته العلمية التى حظيت بتقدير العالم، ومن هؤلاء كان العالم المصرى أحمد زويل وقبله بسنوات كان العالم الباكستانى محمد عبدالسلام، ومعنى هذا أننا إذا وفرنا لعلمائنا الإمكانات المطلوبة للبحث بمستواه المتقدم فستكون لهم إسهاماتهم العظيمة فى مجال البحوث العلمية وخدمة البشرية.

ثانياً: ينبغى ألا ننسى أن ديننا العظيم قد جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.. وفضلاً عن ذلك فإنه دين لا يتناقض فى أى من تعاليمه مع حقائق العلم المستقرة، وقد فتح القرآن الباب على مصراعيه بلا حدود أمام البحث العلمى حين قال:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢)

كما دعا فى الكثير من آياته إلى النظر والتدبر فى آيات الله الكونية والإنسانية، كما فى قوله ـ سبحانه ـ:

---

(٢) سورة الجاثية ١٣.

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٣].

وفى قوله:

﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[٤]

ثالثاً: يؤكد الإسلام على ضرورة الحرص على الالتزام التام بالقيم الأخلاقية في مجال البحث العلمى فكل ما يفيد الإنسانية يؤيده الإسلام ويحثُ عليه، وكل ما يضرها يحرِّمه ويحذِّر منه، ومن هنا فإن الإسلام فى الوقت الذى يحث فيه على البحث العلمي بلا حدود، للتعرف على آيات الله فى الكون وفى الإنسان، فإنه من ناحية أخرى يناشد العلماء والباحثين أن يراعوا فى ذلك كله القيم الأخلاقية التى تمثل السياج المنيع الذى يحمى البشرية من الدمار، ويحفظُها من الانهيار، ويقيها من أخطار الانفلات الأخلاقى فى مجال البحث العلمى.

رابعاً: إن الإسلام لا يحرص فقط على مشاركة المسلمين فى كل الإنجازات العلمية والتكنولوجية التى تخدم البشرية، بل يدعوهم إلى أن يكونوا فى المقدمة فى كل ما يعود على الإنسانية بالخير، كما كانوا روّاداً للعلوم وللحضارة التى استفادت منها أوروبا فى عصر النهضة، وقد ساعدها ذلك على التطوير والابتكار مما عاد على البشرية بالكثير من الخير.

ومن أجل ذلك جعل الإسلام فعل الخير الذى تستفيد منه الإنسانية هو الميدان الحقيقى للتسابق والتنافس بين البشر، وفى هذا يقول القرآن الكريم: ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[٥]

خامساً: ليس هناك شك فى أن الإنجازات العلمية التى تفيد البشرية تعد من أهم أفعال الخير التى يبقى أثرها قائماً حتى بعد رحيل أصحابها عن هذه الدنيا، ومن هنا يجعلها الإسلام مصدر ثواب لهم لا ينقطع ما بقيت الحياة، كما جاء فى الحديث الشريف: «إذا مات ابن آدم انقطع عَمَلهُ إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنْتَفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له».

سادساً: وإذا كان الإسلام يدعو أتباعه إلى التسابق فى كل ما من شأنه أن يعود بالخير على البشرية كلها، فإن ذلك يعنى من جانب آخر أن المسلمين ـ من منطلق تعاليم دينهم ـ ليسوا طلاب استعلاء وهيمنة على الآخرين، وإنما هم طلاب عدل وسلام.

ولكن العدل والسلام فى حاجة إلى قوة تحميه وتسنده، والقوة الحقيقية فى عصرنا تتمثل فى العلم والمعرفة، وتلك قضية مصيرية للمسلمين فى عالم اليوم، فلا يجوز أن يظلّ المسلمون فى القرن الجديد فى عداد الدول النامية أو المتخلفة، ولا يليق بهم أن يظلوا فى مؤخرة ركب التقدم الحضارى، وعليهم اليوم مسئولية مضاعفة تتمثل فى القضاء على أسباب التخلف القائم فى مجتمعاتنا من ناحية، وإسراع الخطى فى مجال التقدم الحضارى من ناحية ثانية.

---

(٣) سورة يونس ١٠١. (٤) سورة الذاريات ٢١. (٥) سورة البقرة ١٤٨.

الإخوة الأعزاء :

لقد خطت مصر فى الفترة الأخيرة خطوة رائدة فى مجال توطين التكنولوجيا فى مصر من خلال برنامج قومى للنهضة التكنولوجية ، وأنشأت مدينة للأبحاث العلمية والتطبيقات التكنولوجية على أحدث المستويات العالمية ، كما تهتم ببناء مجتمع المعلومات الذى يشمل تطوير المحتوى الإلكترونى باللغة العربية ، وتطوير البنية الأساسية لشبكة الاتصالات ، ونشر الحاسبات والإنترنت فى جميع أنحاء الجمهورية ، وبخاصة لطلاب المدارس والجامعات ، من أجل إعداد جيل من الشباب والباحثين يكون قادراً على التعامل مع كل منجزات العصر فى مجال المعلومات والاتصالات والبرمجيات والتكنولوجيا بصفة عامة ، وليس الهدف هو القدرة على استخدام التكنولوجيا المعاصرة فحسب ، وإنما المشاركة الإيجابية فى الإنتاج والإبداع فى هذه المجالات ، وقوة مصر فى هذا الصدد ستكون بطبيعة الحال دعماً وسنداً لأشقائها فى العالم الإسلامى .

الإخوة الأعزاء ضيوف مصر الكرام :

إن العصر الذى نعيش فيه يفرض علينا تحديات كبيرة فى جميع المجالات ، ولا مفر أمامنا من مواجهتها والتعامل معها بإيجابية للخروج من المأزق الحضارى الذى تئن الأمة الإسلامية تحت وطأته ، وإنى لعلى يقين من أنكم تدركون تماماً مدى الأخطار والتحديات التى تواجهها الأمة فى عالم اليوم كما تدركون السبل الكفيلة والملائمة للتعامل مع هذه التحديات .

وأود أن ألخص بعض الأفكار والملاحظات التى قدمت لها فى حديثى إليكم فى النقاط التالية :

أولاً : ضرورة العمل الجاد وفق خطة محكمة للقضاء على الأمية الأبجدية فى العالم الإسلامى تمهيداً للقضاء على الأمية التكنولوجية .

ثانياً : دراسة جعل مادة الحاسبات الآلية مادة أساسية فى مراحل التعليم المختلفة فالتكنولوجيا هى لغة العصر التى لابد لمن يريد أن يجد له مكاناً فى عالم اليوم أن يجيد هذه اللغة إجادة تامة .

ثالثاً : ضرورة البحث عن وسيلة فعالة للتعاون والتكامل والتنسيق بين مؤسسات البحث العلمى فى العالم الإسلامى بهدف تبادل الخبرات والأبحاث والمعلومات والنشرات ، فمن البديهى أن دولة واحدة من دولنا لن تحقق التقدم فى جميع مجالات البحث العلمى والتكنولوجى ، ومن هنا تأتى الحاجة الملحة إلى التنسيق حتى لا تتكرر الأعمال وتتبدد الجهود .

وهذا التكامل من شأنه أن يفسح الطريق فى فترة زمنية قصيرة لإنجازات علمية رائعة .

رابعاً : لقد آن الأوان لتكوين تجمع علمى من علماء العالم الإسلامى فى مجال البحث العلمى والتكنولوجى يكون محوراً للتعاون والتنسيق والتكامل ، وتقديم المشورة فى توجيه الأبحاث ومراعاة الأولويات الملحة فى هذا الصدد .

وفى ختام كلمتى أسأل الله لمؤتمركم التوفيق والنجاح ، ولضيوف مصر الأعزاء إقامة طيبة فى القاهرة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة فضيلة الإمام الأكبر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

الأخوة الأعزاء.

الحفل الكريم.

لعل من المناسب فى الأوساط العلمية الممتازة أن نسوق الكلمات فى حقائق محددة.

الحقيقة الأولى: أن من المقاصد التى من أجلها أوجدنا الله ـ عز وجل ـ أن نتعارف فالله ـ تعالى ـ يقول:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(1).

وهذه المؤتمرات لو لم يكن فيها إلا التعارف والتناصح والتلاقى على طاعة الله ـ عز وجل ـ والتعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان لكفاها ذلك شرفاً وفخراً.

الحقيقة الثانية: أن الناس إذا ماتعاونوا بإخلاص فإن ثمرة هذا الإخلاص لابد أن تكون خيراً لهؤلاء المتعاونين؛ بل للعالم أجمع: لأن التعاون الذى يقوم على تقوى الله ـ سبحانه وتعالى ـ لن يضيعه الله: لأنه هو القائل:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾(2).

الحقيقة الثالثة: أن لفظ العلم وما اشتق منه علم، ويعلم، واعلم، وتعلمون.. إلى أخره. هذا اللفظ تكرر مئات المرات فى القرآن الكريم، ويكفى أن الله ـ عز وجل ـ لم يفضل أبانا آدم عن الملائكة إلا بفضيلة العلم حيث قال:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾(3).

فيكفى العلم شرفاً أن الله ـ عز وجل ـ أمر نبينا وشفيعنا محمداً ـ ﷺ ـ أن يسأله المزيد من العلم فقال:

---

(1) الحجرات: ١٣. (2) الطلاق: ٢ ـ ٣. (3) البقرة: ٣١ ـ ٣٣.

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[٤].

الحقيقة الرابعة : أن شريعة الإسلام تشجع كل علم نافع سواء أكان علماً زراعيا ، أم صناعياً ، أم اقتصادياً ، فكل علم نافع شريعة الإسلام تشجع عليه مادام هذا العلم فى حدود ما أمر به ـ سبحانه وتعالى ـ وفى خدمة الإنسانية .

وهناك آيات كثيرة تشير إلى أن الله ـ عز وجل ـ علم أنبياءه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ علوماً متنوعة ، فسيدنا داود قال الله عنه :

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾[٥]

وكما نعلم بأن صناعة الدروع من الصناعات التى لم يستغن الإنسان عنها فى الأزمنة الماضية ، وربما يحتاجون إليها فى زمننا هذا ، لكن نجد فى آية أخرى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جمع بين العلم الروحى وبين العلم المادى ـ أيضا ـ يسوق القرآن هذا بالنسبة لسيدنا داود فيقول :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[٦].

انظر كيف جمع القرآن الكريم بين القوتين : القوة الروحية المتمثلة فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾ وبين القوة المادية فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ وقال له :

﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ ﴾ . أى اعمل دروعاً سابغات وقدر فى السرد ـ لتكون الدروع محكمة ـ

﴿ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

القرآن يشير إلى أن كل إنسان فتح الله بصيرته وأعطاه علماً نافعاً ، ورسخ فى هذا العلم سواء أكان علماً طبياً ، أم زراعيا ، أم صناعياً . هذا الإنسان هو أقرب الناس إلى الله وهو أكثر الناس خشية من الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولعل من الأدلة على ذلك قوله ـ عز وجل ـ :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[٧].

شريعة الإسلام تؤيد كل علم مادام هذا العلم فى خدمة الإنسانية ، وفى حدود ما أحله الله ـ عز وجل ـ لكن العلم إذا استعمل فى الشر والظلم والغدر والعدوان ، وفى إذلال الناس ـ عندما يكون العلم كذلك ـ يكون نكبة على البشرية ولعل أمير الشعراء الذى توفى منذ مايقرب من سبعين

---

(٤) طه: ١١٤.

(٥) الأنبياء: ٨٠.

(٦) سورة سبأ : ١٠ ـ ١١.

(٧) فاطر: ٢٧ ـ ٢٨.

سنة عندما قال فى قصيدة له وهو يتكلم عن الغواصة وعن مفاسدها ـ ولاندرى لو كان أمير الشعراء موجودا فى عصرنا الحاضر ماذا كان يقول عندما وجد أن الغواصات تقتل وتهلك ـ فقال:

هى الحـــوت منهـــا مـــشـــابه فلو
كـــان فـــولاذاً لكـــان أخــــاهـــا
خــــئـــول إذا غـــاصت غـــدور إذا
طفت مـقـبـحـة فى سـفـحـهـا وخـفـاهـا
فـــلا كـــان بانيــهـــا ولاكـــان ركـبـهـــا
ولاكـــان بحـــر ضـــمـــهـــا وحـــواهـا
وأفٍ مــن الـعـلـم الـذى تـزعـــمـــونـه
إذا كـــان فـى عـلـم الـنـفـــوس رداهـا

مرحباً بالعلم الذى يخدم الحق والفضائل والإنسانية ويكون فى حدود ما أحله الله ـ سبحانه وتعالى ـ

وسحقا لعلم يستخدم فى الظلم والغدر والعدوان، وفى أكل أموال الناس بالباطل.

الحقيقة الخامسة: ونحن فى شهر ميلاد رسولنا ـ ﷺ ـ نجد أن ـ الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فتح لأمته أبواب العلم النافع. يكفى أنه ـ ﷺ ـ أمر سيدنا زيد بن ثابت أن يتعلم بعض اللغات الأخرى ليكون مترجماً للنبى ـ ﷺ ـ: فتعلم سيدنا زيد بن ثابت إحدى اللغات فى خمسة عشر يوماً، وتعلم الثانية فى سبعة عشر يوماً، يريد النبى ـ ﷺ ـ أن يفتح العقول للعلم بكل ألوانه، مادام هذا العلم فى خدمة الحق والفضائل، ويكفى أن الرسول ـ ﷺ ـ كما ترى ـ كان يرسل بعض أصحابه إلى البلاد الأخرى لكى يتعلموا من غيرهم فنون السلاح.

فتحت شريعة الإسلام أبواب العلم على مصارعها وأمرتنا بأن نتعلم من شتى العلوم التى تخدم الإنسانية وفى حدود ما أحله الله ـ عز وجل ـ

نسأل الله أن يوفقنا جميعاً إلى مايحبه ويرضاه، وأن يجمعنا دائما على طاعته، وأن يجعل هذه المجالس خالصة لوجهه الكريم، وأن يجعلها فى ميزان حسناتنا جميعاً يوم نلقاه

﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾(٨)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(٨) الانفطار: ١٩.

التوصيات

١- دراسة إعادة النظر فى مناهج التعليم فى مراحله المختلفة بما يكشف عن القدرات الإبداعية لدى الدارسين وتنميتها، والعمل على إعداد جيل من الشباب والباحثين يكون قادرا على التعامل مع كل منجزات العصر فى مجال المعلومات والاتصالات والبرمجيات، والمشاركة الإيجابية فى الإنتاج والإبداع.

٢- تعميق مفهوم القيم الإسلامية الدافعة للتقدم مثل تحمل المسئولية واحترام الوقت، وإجادة العمل وإتقانه، والعمل بروح الفريق وذلك لدى الأجيال الجديدة.

٣- توثيق الاتصال بمراكز البحث العلمى والتكنولوجيا فى الخارج بما يُحقق التواصل المستمر بينها وبين مراكز البحوث فى العالم الإسلامى.

٤- تكْوين قاعدة بيانات شاملة لكل الهيئات والجهات المهتمة بالبحث العلمى والتكنولوجيا والعلماء المتخصصين فى داخل دول العالم الإسلامى، والعمل على إيجاد آلية للتنسيق بينها، ونشر ما تتوصل إليه هذه المؤسسات من إنجازات علمية وتكنولوجية.

٥- تكوين قاعدة بيانات عن العلماء والمبدعين للبحوث التكنولوجية من أبناء العالم الإسلامى فى الخارج للإفادة من بحوثهم ومشاركتهم فى تطوير مراكز البحوث فى العالم الإسلامى.

٦- تشجيع البحوث المشتركة بين العلماء فى البلاد الإسلامية والإفادة بنتائجها فى المجالات الاقتصادية والزراعية والصناعية.

٧- العمل على امتلاك تكنولوجيا متطورة تستطيع منافسة نظيرتها فى الدول المتقدمة، ويتم ذلك على خطوات مدروسة ومحسوبة تبدأ بتدريب عدد مناسب من الكفاءات التكنولوجية تمهيداً لاستيعاب التكنولوجيا المتقدمة، ثم استخدامها فى مجالاتها المختلفة مما يؤدى إلى الإبداع والابتكار.

٨- إيفاد عدد مناسب من البعثات الدراسية للبلاد المتقدمة لكسب الخبرة، والوقوف على أحدث الإنجازات العلمية فضلا عن تخصيص هيئة أو جهة تتولى ترجمة ما توصل إليه العلماء فى الخارج من إنجازات علمية وتكنولوجية أولا بأول.

٩- يُناشد المؤتمر الدول الإسلامية للعمل على دعْم المؤسسات العلمية والثقافية المنبثقة عن «منظمة المؤتمر الإسلامى» وجامعة الدول العربية، من أجل مزيد من الاهتمام بقضايا البحث العلمى والتكنولوجيا وتزويد مراكز البحوث العلمية فى مختلف دول العالم الإسلامى بما تْنجزه من أعمال.

١٠- تتولى المنظمات والهيئات الدولية الإسلامية والعربية تكوين فرَق بحثية تكون مهمتها كيفية الإفادة من الاتفاقيات الدولية التى تنظم التجارة الدولية مثل: اتفاقيات الجات، والجاتس، والتربس.

١١- مراعاة الاهتمام بتطوير تكنولوجيا محلية تخدم البيئة، وتتلاءم مع ظروف العالم الإسلامى الاجتماعية.

١٢- تحتاج البحوث التكنولوجية إلى نفقات باهظة تعجز ميزانيات كلِ دولة على حدة عن تدبيرها، ويعجز القطاع الخاص بمفرده عن مواجهتها، ولذلك يتعين على الدول الإسلامية أن تُواجه هذا الأمر بتخصيص نسبة من ميزانيتها تتناسب والتكاليف المتوقعة لإنجاز البحوث المطلوبة.

١٣- توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لنشر الثقافة الإسلامية وبيان مُقوماتها وخصائصها فى مواجهة الثقافات الأخرى، والرد على ما يثار حول الإسلام وتعاليمه من دعايات مغرضة.

* توصيات عامة:

انطلاقاً من وحدة الأمة الإسلامية وتضامن أبنائها فيما بينهم، ودفاعاً عن حضارتها فى ظل العولمة وما تفرضه من قيود على سيادة الدول الإسلامية يوصى المؤتمر بما يلى:-

١- التأكيد على توصياته فى المؤتمرات السابقة ببذل أقصى الجهود الدبلوماسية لحمل إسرائيل على تنفيذ تعهداتها بخصوص ما يلى:

أ- تمكين الشعب الفلسطينى من الحصول على حقوقه المشروعة، وعلى رأسها حقه فى تقرير مصيره، وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس، وتمكين الفلسطينيين الذين أُجبروا على ترك ديارهم من العودة إليها، وتعويضهم عمّا لحق بهم من أضرار، وإيقاف بناء مستوطنات إسرائيلية جديدة، والكف عن تغيير الطبيعة الجغرافية للأرض الفلسطينية المحتلة.

ب- تنفيذ قرارات مجلس الأمن الخاصة بانسحاب إسرائيل من الجولان السورية.

٢- يشيد المؤتمر بجهود المقاومة اللبنانية، ويشارك شعب لبنان فرحته بإذعان إسرائيل لقرارات مجلس الأمن الخاصة بالانسحاب من الجنوب اللبنانى، ويحث المؤتمر الهيئات الدولية على ضرورة الالتزام بالحدود الدولية المعترف بها للجمهورية اللبنانية.

٣- يشيد المؤتمر بالجهود الدولية التى أدَّت إلى إيقاف الإبادة العنصرية لأبناء كوسوفو وعودتهم إلى ديارهم، ويسجِّل تقديره لإنشاء محكمة جنائية دولية لمحكمة مجرمى الحرب فى يوغوسلافيا السابقة.

٤- يؤكد المؤتمر على ما جاء فى توصياته فى المؤتمرات السابقة على ضرورة حل النزاع بين باكستان والهند حول كشمير بالطرق والوسائل السلمية.

٥- يشيد المؤتمر بالجهود الدبلوماسية للدول الإسلامية مع الدول التى تعيش فيها أقليات إسلامية والتى أسفرت عن تحقيق قدر كبير من مساواة المسلمين فيها بغيرهم، والالتزام بتطبيق مبادئ حقوق الإنسان بالنسبة لهم وعلى رأسها حقهم فى حرية العقيدة، وحرية ممارسة الشعائر الدينية، والحفاظ على هويتهم الثقافية الإسلامية، ويسجِّل المؤتمر بهذه المناسبة تقديره لما أعلنه ممثل مسلمى اليونان فى المؤتمر من اعتزام الحكومة اليونانية إقامة مركز إسلامى يضم مسجداً يتم الانتهاء من بنائه عام ٢٠٠٢م، بالإضافة إلى موافقتها على تدريس الفلسفة الإسلامية فى الجامعات اليونانية.

٦- يؤكد المؤتمر على توصيته فى المؤتمرات السابقة بأهمية تنفيذ القرار الصادر من منظمة «المؤتمر الإسلامى» بإنشاء محكمة عدل إسلامية تختص بالنظر فيما يثور من منازعات بين الدول الإسلامية وحلها بالطرق السلمية فى ضوء أحكام الشريعة الإسلامية امتثالاً لقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾(١)

٧- يرحب المؤتمر بالجهود التى تبذل للإفادة من استخدام التكنولوجيا فى تحديد أوائل الشهور القمرية.

وبالله التوفيق

---

(١) الحجرات: ٩.

احتفال مصر بذكرى
المولد النبوى الشريف

كلمة السيد رئيس الجمهورية

كلمة فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

١١ من شهر ربيع الأول ١٤٢١ هـ - ١٤ من شهر يونية ٢٠٠٠ م

كلمة السيد رئيس الجمهورية

فى احتفال مصر بذكرى

المولد النبوى الشريف

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

السادة العلماء الأجلاء..

الإخوة والأخوات الأعزاء.

إحياء لهذه الذكرى العطرة، يحتفل المسلمون فى كل بقاع الأرض بيوم مولد النبى الكريم، الذى أرسله الله رحمة للعالمين، فأخرج به ملايين البشر فى كل عصر من الظلمات إلى النور، وهداهم إلى صراطه المستقيم، وأنقذهم من الجهالة والظلم والعدوان إلى العلم والعدل والسلام، بنور الإيمان وهدى الإسلام، وفتح بذلك صفحة جديدة ناصعة فى حياة الإنسان على هذا الكوكب.

وقد اعتدنا مع حلول موعد هذه الذكرى من كل عام، أن نستذكر سيرة النبى الطاهرة التى جعل الله لنا فيها أسوة حسنة، إذ علَّمنا الخالق - جل شأنه - أن سيرة الأنبياء والمرسلين ليست مجرد قصص تتلى، أو تاريخ يروى ثم ينسى، وإنما هى نماذج رفيعة لحياة إنسانية فاضلة نبيلة، فقال - سبحانه وتعالى -:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(1)،

ثم قال عن نبينا محمد - ﷺ -:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(2).

---

(1) سورة يوسف (111).

(2) سورة الأحزاب (21).

الاقتــداء بالرســول الكريــم

وجدير بنا فى هذا المنعطف الهام فى تاريخ الإنسانية الذى حقق فيه المجتمع البشرى تقدماً هائلاً غير مسبوق فى جميع ميادين العلم والمعرفة أن نرسخ هذا التقدم الكبير، بالتمسك بعناصر أساسية، ذات أهمية قصوى فى تحديد مستقبل الإنسانية ومصيرها.

وأول تلك العناصر هو الاقتداء بالرسول الكريم فى خلقه ومنهجه فى التعامل مع الناس، والسير على رؤيته لما يحقق الخير للجماعة..

وثانيها هو إرساء أسس ثابتة متينة لوحدة المجتمع الإنسانى، وتجنب النظريات والممارسات التى تفرق بين الناس وتمزق وحدتهم، وتشيع الكراهية والبغضاء فى صفوفهم.

أما ثالث هذه العناصر فهو إعلاء شأن العلم والعلماء... والحث على مخاطبة العقل والاحتكام إلى المنطق السليم، ومجادلة الآخرين بالتى هى أحسن.

وقد كانت الأخلاق الكريمة هى جوهر دعوة النبى - عليه الصلاة والسلام - إذ قال: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(٣)، وكان على رأس تلك القيم الأخلاقية الرفيعة قيمة الرحمة التى تشمل دعوته كلها، مصداقاً لما جاء فى القرآن الكريم فى قوله:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٤)، وقد تجسدت هذه القيم العظيمة فى شخص النبى الكريم، فقالت عنه السيدة عائشة - رضى الله عنها -: «لقد كان خُلُقُه القرآن» وامتدحه القرآن الكريم فى قوله:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾(٥)

جوهــــر الإســــلام

وإذا كانت الأخلاق تعتبر جوهر الإسلام، فإن على كل مسلم أن يقتدى بالنبى الكريم فى أخلاقه وفى سلوكه، وفى تعامله مع الناس أجمعين، صغيرهم وكبيرهم. وتوضح لنا السيرة النبوية العطرة أن النبى لم تصدر عنه أبداً كلمة أو إشارة أو تصرف يسىء إلى غيره، كما توضح لنا حرصه على الرحمة والعفو عن كل من أخطأ وأساء.. ومن أبلغ الأمثلة على ذلك أنه عندما دخل مكة فاتحاً منتصراً على المشركين الذين آذوه وعذبوا أصحابه وقاتلوهم وأخرجوهم من ديارهم، قال لهم: «ماتظنون أنى فاعل بكم؟» قالوا خيراً.. أخ كريم وابن أخ كريم، فقال - ﷺ -: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» وعفا عنهم جميعاً، ضارباً لنا مثلاً طيباً فى العفو عند المقدرة.

---

(٣) حديث شريف. (٤) سورة الأنبياء (١٠٧). (٥) سورة القلم (٤).

وفى تأسيسه لمجتمع المدينة المنورة بعد الهجرة إليها، كان حريصاً كل الحرص على أن يكون كل من ينتسب إليها عضواً عاملاً وصالحاً فى مجتمعها، بصرف النظر عن معتقداته أو توجهاته وحملهم جميعاً مسئولية ضمان سلامة المجتمع واستقراره، ولم يستثن أحداً منهم أو يستبعد أحداً من غير المسلمين، بما فيهم اليهود، الذين كانوا يشكلون أحد عناصر هذا المجتمع الجديد وبذلك ضرب الرسول أعظم الأمثال فى الإخوة الإنسانية والوحدة بين أبناء المجتمع الواحد، التى تسوى بين جميع المواطنين دون استثناء، والتى تجعل معيار المفاضلة بينهم هو ما يقدمه كل فرد من خير لهذا المجتمع.

عظمة الكون

ومن جهة أخرى، كان اهتمام الإسلام بالعلم واضحاً وساطعاً منذ الوهلة الأولى، وتمثل هذا الاهتمام فى أن أول مانزل على الرسول من الوحى الإلهى كان قوله ـ تعالى ـ:

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[6]. كما تمثل فى تكريمه للعلماء فى قوله ـ تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[7]، لأن العلماء هم الذين يدركون أسرار الخلق وعظمة الكون وجلال الخالق، وتمثل كذلك فى مقارنته بين من يعلمون ومن لايعلمون

﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِى ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[8].

وقد أدرك المسلمون الأوائل هذه المعانى السامية فأقبلوا على طلب العلم والاستزادة من المعرفة، باعتبار هذا السعى فريضة على كل مسلم ومسلمة كما جاء فى الحديث النبوى الشريف، فنبغوا فى جميع مجالات العلم وأقاموا حضارة من أعظم الحضارات وأكثرها ثراء وعطاء للإنسانية جمعاء، وجدير بنا اليوم ونحن نجتاز مع العالم ثورة هائلة فى شتى مجالات التعلم والمعرفة، أن نقتدى بتلك السيرة العطرة ونهتدى بتعاليم الإسلام وجوهر رسالته، فرسالة الإسلام لايحملها النبى وحده، وإنما يحملها معه ومن بعده جميع المسلمين، أمة بعد أمة، وجيلاً بعد جيل، عملاً بقوله ـ تعالى:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٌ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾[9].

الإسلام تعمير وبناء

فرسالة الإسلام الحق هى رسالة تعمير وبناء، ورسالة هداية وإصلاح، والمسلمون اليوم يواجهون تحديات كبرى على مستوى هاتين الرسالتين:

---

(٦) سورة العلق (١).
(٧) سورة فاطر (١٨).
(٨) سورة الزمر (٩).
(٩) سورة الزخرف (٤٤).

١ ـ فشعوب الدنيا تتسابق لبناء مجتمعات متقدمة، متفوقة قادرة على الريادة والسبق والتميز بينما تواجه أكثر الشعوب الإسلامية مشاكل طاحنة، وتحاول اللحاق بالآخرين.. ولن ينفعنا ونحن نواجه هذا التحدى الكبير الهروب إلى الماضى، والاكتفاء بالحديث عن فضل الأولين السابقين، فتلك أمة قد خلت، لها ما كسبت ولنا ما نكسبه، ولأسلافنا أعمالهم ولنا أعمالنا ومن واجب العلماء والدعاة أن يرفعوا أصواتهم عالية داعين الأمة إلى العمل الكثير والكلام القليل مذكرين المسلمين فى كل مكان أن أمة الإسلام قد حملها الله أمانة، وجعل لها رسالة، وعلمها أن للتفوق أسبابا وللنهضة شروطا وسوف يسألها ـ سبحانه وتعالى ـ عن ذلك كله، فمن أخذ بتلك الأسباب وأوفى بتلك الشروط كان جديرا بالتفوق والريادة.

التجمع والتقارب

٢ ـ وشعوب الدنيا من حولنا أيها الاخوة والأخوات تتجمع وتتقارب وتتواصل بعد أن سقطت أسوار العزلة والتباعد التى صنعتها ظروف تاريخية مضى أكثرها وانقضى، ولم تكتف الشعوب بهذا التقارب الذى أخذ شكل تجمعات إقليمية تضم مواردها الطبيعية والبشرية فى وعاء واحد وتدافع وهى مجتمعة موحدة عن مصالحها المشتركة فى مواجهة الآخرين؛ بل إنها انطلقت تتواصل مع سائر الشعوب رافعة شعار الحوار بدلا من المواجهة والصراع والتعددية بدلا من الانفراد واستبعاد الآخرين.

ولابديل أمامنا نحن المسلمين سوى إدارك هذا الواقع والتعامل معه بفكر جديد وأساليب متطورة، فالعزلة عن العالم لم تعد ممكنة بعد سقوط حواجز الزمان والمكان بفضل الثورة الهائلة في وسائل الانتقال والاتصال مما أصبح معه التواصل مع الآخرين وحده سبيلا لتوفير أسباب النهضة من خلال تبادل الخبرة والتجربة وتبادل الأخذ والعطاء.

إن هذا التواصل يمنحنا فرصة لاتعوض لتصحيح سوء الفهم الذى أحاط بديننا وثقافتنا فى أذهان كثير من الناس، وهو فرصتنا لتعرف الدنيا من جديد حقيقة رسالة الإسلام التى جاءت هدى للناس ورحمة، تؤمن بالله وتصدق برسالاته وتقيم الحق والعدل بين جميع الناس وتؤمن بالإنسان، مخلوقا مكرماً مفضلاً بما منحه الله من علم وإرادة واختيار، وترتفع فى هذا الإيمان فوق كل عوارض اللون والجنس والثروة والجاه، وتدعو بعد ذلك كله إلى تعاون الشعوب كلها بتعدد أصولها ودياناتها على البر والخير وإقامة العدل، واحترام حقوق الإنسان.

العلماء الأجلاء .. الإخوة والأخوات الأعزاء .

لقد احتضنت مصر الإلام منذ نحو أربعة عشر قرناً واحتضنها الإسلام منذ ذلك التاريخ وعلى امتداد القرون كانت مصر وعلماؤها مصدر إشعاع ثقافى متصل الحلقات تجاوز حدود العالم العربى وامتد إلى ربوع الدنيا كلها .. ومنذ أنشىء الأزهر الشريف وبجهود علمائه وأبنائه وماقدموه من علم راسخ وفهم صحيح للإسلام ظلت مصر على الدوام معبرة عن وسطية الإسلام، وسماحته واتساع صدره للناس أجمعين الموافقين منهم والمخالفين بعيدا عن الغلو والشطط، وترفعا عن الإفراط والتفريط، ودعوة إلى الحق والخير بالكلمة الطيبة والحوار الذى يحترم حق الآخرين فى الاجتهاد وفى الاختلاف.

حمل الأمانة

واليوم وقد فتحت أبواب الحوار بين الثقافات وتجدد التواصل بين الحضارات بعد قطيعة طويلة أثق فى أنكم تتفقون معى على أن من واجب علمائنا الأجلاء أن يطرقوا تلك الأبواب، وأن يعرفوا الدنيا من جديد بما تحمله حضارة الإسلام من خير وإصلاح للناس أجمعين وما تقوم عليه شريعته من رعاية للمصالح ورفع للحرج وتباعد عن العنت وحرص على التيسير، بما من شأنه أن يصنع أمة قوية قادرة على النهضة والبناء، يبنى الحضارة فيها رجال ونساء يؤمنون بالله تضىء عقولهم بأنوار العلم والمعرفة التى تزداد توهجاً جيلاً بعد جيل، ويوماً بعد يوم كما تمتلىء نفوسهم عزما وثقة وإصراراً على مواجهة التحديات دون أن يتخلوا عن سماحة الإسلام، وماتعلموه تحت ظلاله من الرحمة بالناس والرفق بهم والاقتراب الودود منهم جمعاً للصفوف، وتأليفا للقلوب، وإشاعة للسلام داخل الوطن وبين الأمم والشعوب.

نسأل الله ـ تعالى ـ ، ونحن نحتفل بذكرى مولد نبيه العظيم ، أن يعيننا على الاقتداء به، والتأسى بسيرته، وأن ييسر لنا حمل الأمانة الكبيرة التى حملناها يوم آمنا به وبرسالته.

وكل عام وأنتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله

احتفال مصر بذكرى المولد النبوى الشريف

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

إن من مظاهر عظمة الرسول الكريم - ﷺ - كمرب أنه كان مؤثرا تأثيرا طيبا فى أتباعه فإن سيدنا وشفيعنا محمدا - ﷺ - هو صاحب الدرجات العليا فى هذا المجال فقد ربى - ﷺ - أصحابه وأتباعه على أداء العبادات التى كلفهم خالقهم بها بأن يؤدوها بجد وإخلاص واجتهاد ونشاط، ونجد القدوة الطيبة فى سيدنا رسول الله - ﷺ - تصف أخلاقه السيدة عائشة - رضى الله عنها - فتقول: «كان رسول الله - ﷺ - يكون معنا - يكون مع أهل بيته - يحدثنا ونحدثه ويؤانسنا ونؤانسه ويسامرنا ونسامره فإذا حضرت الصلاة انصرف عنا حتى لكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه»

.. وهكذا نجد أن رسول الله - ﷺ - قد كان القدوة الطيبة فى حسن صلته بخالقه - عز وجل - لأنه يعمل بقول الله - عز وجل -

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(١) وربى سيدنا رسول الله - ﷺ - أصحابه على طهارة اليد، وعلى نظافة القلب والعمل بإخلاص، وعلى البعد عن كل ما نهى الله - سبحانه وتعالى عنه - رباهم على هذه الطهارة فى كل أحوالهم .. ومن أحاديثه الصحيحة قوله - ﷺ -: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا إن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله فى أرضه محارمه ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب» ربى سيدنا رسول الله - ﷺ - أتباعه على أن يشيعوا بين

---

(١) سورة القصص (٧٧).

الناس الكلمة الطيبة وأن يتعودا فى حياتهم على الصدق وعلى اجتناب النطق بغيبة أو نميمة .. وكان من توجيهاته ـ ﷺ ـ أن يقول دائما لأصحابه: «لا تبلغونى عن أصحابى شيئا أكرهه فأنا أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» وهكذا ربى سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ أصحابه وأتباعه ،رباهم على أن ينشروا فيما بينهم نعمة الأمان، ونعمة السلام ونعمة الاطمئنان .

وأن يتعاونوا فيما بينهم على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، ومن وصاياه ـ ﷺ : «لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتم فأثبتوا» رباهم على أن يكونوا من الذين يبنون ولا يهدمون، يعمرون ولا يخربون، يصلحون ولا يفسدون، يجمعون ولا يفرقون ، يعمرون دنياهم بالعمل الصالح يعمرون دنياهم بكل ما يعود عليهم بالخير، سواء أكان ذلك عن طريق الزراعة، أو عن طريق الصناعة، أم عن أى طريق من الطرق التى أحلها الله ـ سبحانه وتعالى ـ فقد أوجدنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى هذه الحياة لكى نعمرها بكل ما يعود علينا بالخير، ومن أحاديثه الصحيحة قوله ـ ﷺ ـ:

«ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو حيوان إلا كان له به صدقة» .. رباهم على تحمل المسئولية بشرف وبأمانة وبطهارة، و بقوة وبنشاط وبعزيمة، صادقة، ومن أحاديثه الشيقة «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز ولا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا ولكن قل قدر الله ما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان» ! !

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ـ أكرمه الله وسدد على طريق الحق خطاه ـ إن الكلام عن سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ محبب لا يمل وإن جوانب العظمة فى حياته ـ ﷺ ـ أكثر من أن تحصى، وبركة الكلام ليست فى كثرته، وإنما بركة الكلام فى العمل بما نقول وفى العمل بما نسمع .

ورحم الله الإمام البوصيرى عندما قال :

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف
وانسب إلى فضله ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له حد
فيعرب عنه ناطق بفم

سيادة الرئيس كل عام وأنتم بخير والعالم كله بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة السيد الأستاذ الدكتور
محمود حمدى زقزوق
وزير الأوقاف

فى مثل هذا الموعد من كل عام تلتقى ـ ياسيادة الرئيس ـ بشعبك الوفى، كعادتك الكريمة ـ التى أصبحت معلما بارزا تنتظره مصر ومعها المسلمون فى مختلف أنحاء العالم ـ لتوجه رسالتك للأمة الإسلامية بصفة عامة ،ولشعب مصر بصفة خاصة، تعبر فيها عن تطلعاتك لبعث حضارى يعم الأمة الإسلامية كلها مستلهما من سيرة الرسول ،ومن التاريخ الحضارى للإسلام الدروس والعبر، والقيم الدافعة إلى التقدم والنهضة لتلحق الأمة بركب العصر وتستعيد مكانتها ودورها العظيم الذى أسهمت به فى الماضى فى صنع الحضارة التى كانت بمثابة مشعل النور الذى استضاءت به أوروبا فى عصر نهضتها.

وبهذا اللقاء المتجدد ـ ياسيادة الرئيس ـ حولت المناسبات الدينية من مجرد احتفال يتلاقى المحتفلون به ثم ينفضون، إلى فرصة للتأمل فى أحداث الماضى ودراسة وقائع الحاضر واستشراف أمال المستقبل.

لقد كان ميلاد محمد ـ ﷺ حدثا فريدا غير مجرى التاريخ ،وحفل بكل بشائر الخير والنور، وبحرا فياضا بالدروس والعبر التى تصاحبنا فى مسيرة حياتنا ، وتضىء لنا طريق هذه الحياة.

لقد انعقد فى الأيام الثلاثة الماضية المؤتمر العام الثانى عشر للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، والذى انتهت أعماله قبل ظهر اليوم ، وحضره السادة وزراء الأوقاف والشئون الاسلامية ، وممثلون من العالم الإسلامى وأكثر من سبعين دولة ، وقد ناقش المؤتمر موضوع «الإسلام ومتغيرات العصر» فى إطار ما سبق أن بدأه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى العام الماضى من طرح مشروع حضارى لنهضة العالم الإسلامى.

وقد كانت القضية الرئيسية فى مؤتمر هذا العام هى الدعوة إلى توطين التكنولوجيا فى العالم العربى والإسلامى ، وما يرتبط بذلك من تغيرات فى مجال القيم الاجتماعية

والأخلاقية ، وضرورة التعاون بين المؤسسات البحثية فى العالم الإسلامى من ناحية وتوثيق صلاتها مع المؤسسات البحثية الدولية من ناحية أخرى ، حتى يتمكن المسلمون من اللحاق بركب التقدم العلمى الهائل فى هذا العصر ، وذلك بالتسلح بكل منجزات العلم والتكنولوجيا ، وتلك قضية ملحة لم تعد تحتمل التأخير أو التسويف .

وقد كان للرسالة التى وجهتموها لأعضاء المؤتمر فى حفل افتتاحه أثرها الكبير فى لفت الأنظار إلى أنه لايليق بالعالم الإسلامى أن يظل يعانى حتى اليوم من تفشى الأمية الأبجدية فى حين أن العالم المتقدم منشغل بمحو الأمية التكنولوجية كما كانت رسالتكم حافزا على إصدار التوصية التى تبناها المؤتمر بتشكيل تجمع علمى من علماء العالم الإسلامى على النحو الذى أشرنا إليه.

السيد الرئيس :

لقد عكفت لجنة متخصصة فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية منذ عامين على الإعداد لإصدار سلسلة من الموسوعات الإسلامية المتخصصة التى تهدف إلى التوعية السليمة بالمفاهيم الإسلامية فى شتى المجالات بأسلوب علمى بعيد عن الحشو الذى لافائدة منه وبعيد ـ أيضا ـ عن التحيز لمذهبيات ضيقة أو اتجاهات معينة ، وقد صدر منذ أيام المجلد الأول من هذه السلسلة بعنوان : «موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة» الذى يشرفنى اليومى أن أقدمه لسيادتكم والذى يمثل باكورة إنتاج المجلس فى هذا المجال، سوف تتلوه ـ إن شاء الله ـ فى فترات غير متباعدة مجلدات أخرى حتى تكتمل الموسوعة باستيعاب جميع جوانب الفكر والحضارة الإسلامية فى ستة عشر مجلدا.

ويعتزم المجلس ترجمة هذه الموسوعة إلى الانجليزية والفرنسية لتحمل وجهة النظر الإسلامية إلى المسلمين من غير الناطقين بالعربية ، وإلى غير المسلمين ممن يريدون التعرف على الإسلام بأسلوب موضوعى وفكر متحضر مستنير .

السيد الرئيس :

فى إطار خطة الوزارة للإشراف على جميع المساجد والزوايا فى مصر تم فى السنوات الأربع الماضية ضم ثمانية وعشرين ألف مسجد أهلى كما تم أيضا فى العامين الماضيين ضم عشرة آلاف زاوية وبذلك يصبح عدد المساجد التابعة للوزارة خمسين ألف مسجد بالإضافة إلى عشرة آلاف زاوية ، وهناك عدد من المحافظات لم تعد بها مساجد أهلية غير تابعة للوزارة. . وبعون الله ستنتهى «وزارة الأوقاف» خلال عامين من ضم جميع المساجد الأهلية والزوايا ، وذلك ضمانا لإيصال الدعوة الإسلامية إلى المواطنين صافية مبرأة من كل شائبة، ومؤسسة على المنهج القرآنى للدعوة الإسلامية فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ .(١)

وتقديرا منكم ـ ياسيادة الرئيس ـ لرجال الدعوة الإسلامية الذين كان لهم عطاء متميز فى خدمة رسالتهم تحرصون كل عام على تكريم عدد منهم بمناسبة الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف عرفانا بما قدموه من خدمات جليلة، وتشجيعا لغيرهم من الدعاة على التفانى فى أداء رسالتهم فى التوعية الدينية السليمة للمواطنين ، كما تحرصون ـ أيضا ـ على تكريم بعض الشخصيات من خارج مصر ممن كان لهم دور بارز فى خدمة التراث الإسلامى .

وفى هذه المناسبة ـ أيضا ـ يمتد تكريمكم إلى الفائزين فى المسابقات الدينية التى تجريها الوزارة للناشئة وللشباب وذلك بتفضلكم بتسليمهم الجوائز التى حصلوا عليها .

وهذه كلها دلالات واضحة على مدى اهتمامكم شخصيا ، واهتمام مصر كلها بقيادتكم الحكيمة بالرعاية الدينية للمواطنين لما للدين من أثر عميق فى النفوس وتوجيه للسلوك إلى ميادين الخير والعدل والسلام، وتمتد هذه الرعاية لتشمل مواطنى مصر جميعا مسلمين ومسيحيين ، ومن هنا كان الاحتفال الكبير الذى أقامته مصر منذ أيام قليلة بذكرى مرور ألفى عام على قدوم العائلة المقدسة إلى مصر طلبا للأمان الذى وجدته فى كل مكان حلت فيه فى ربوع مصر على مدى أربع سنوات قبل أن تعود مرة أخرى إلى أرض فلسطين .

وستظل مصر ـ كما عرفها العالم منذ آلاف السنين ـ واحة الأمن والأمان، والسلم والاطمئنان، كما أكد ذلك القرآن الكريم على لسان يوسف ـ عليه السلام ـ حينما استقبل أبويه على مشارف مصر قائلاً :

﴿ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾(٢)

نسأل الله العلى القدير أن يحفظكم لمصر ويحفظ مصر بكم وأن يسدد على طريق الحق والخير خطاكم وأن يحقق لمصر بقيادتكم ما يتمناه لها كل أبنائها المخلصين .

وكل عام وأنتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) سورة النحل ١٢٥.

(٢) سورة يوسف ٩٩.

قبس من أنوار النبوة

من أعطاه الله الدين فقد أحبه

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إن الله -عز وجل- قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله - عز وجل - يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطى الدين إلا من أحب. ألا إن من أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذى نفس محمد بيده لا يسلم عبد حتى يسلم لسانه وقلبه، ولا يؤمن عبد حتى يأمن جاره من بوائقه، قيل: وما بوائقه يارسول الله؟ قال: غشمه وظلمه، ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه، أو يتصدق به فيقبل منه، أو يتركه خلف ظهره إلا كان زاده فى النار، إن الله لا يمحو السئ بالسئ، ولكن يمحو السئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث».

رواه الإمام أحمد

البيـــــان

إن الإسلام - دين الله القويم - الذى ارتضاه الله لنا دينا يهدى للتى هى أقوم، ويبشر المؤمنين المخلصين لله رب العالمين بسعادة الدارين وإن الداعى إلى صراط الله المستقيم هو الرسول القدوة والمثل الأعلى الذى أوحى الله إليه روحا من أمره وهو القرآن الكريم.

قال -تعالى-:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ (1)

وفى ذلك يقول الرسول - ﷺ -: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن

(1) الشورى ٥٢، ٥٣.

يأبى يارسول الله..؟ قال: من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى...» رواه البخارى.

ولقد كان الرسول - ﷺ -: المثل الأعلى فى صدق الإيمان والتوجه إلى الله، لأنه المظهر العملى لما فى القرآن من معانى الكمال البشرى وصالح الأخلاق، ولقد فرض الله طاعته على جميع خلقه وحضهم على الاقتداء به ليفوزوا بالحسنيين

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٢).

وها هو الرسول الكريم يبين لنا فى هذا الحديث الذى بين أيدينا أن الله - عز وجل - قد ارتضى لنا الإسلام دينا، وأن الله يحب من اهتدى بهدى هذا الدين، وأن من أعتنق هذا الدين وتخلق بأخلاقه يحبه الله ويرضى عنه، وأن الدنيا وما فيها من متاع وما عليها من زينة جعلها الله كلاً مباحاً يعطيها للبار وللفاجر، وللمسلم ولغيره، ويعطيها لمن يحبه ولمن لا يحبه من عباده. لأنها لا تزن عند الله جناح بعوضة، ومن أعطاه الدنيا وتجرد من عمل الصالحات، ولم يقم بشئون العبادات، ولم يؤت الزكاة، ولم يكن من أهل الطاعات، فهذا قد سخط الله عليه وباء بغضب الله عليه لأنه ابتعد عن دين الله.

ولكن الناس قد غفلوا عن ميزان الله الذى يزن به عباده، ووزنوا الناس بميزانهم الخاطئ، لأنهم يقولون: إذا أقبلت الدنيا على شخص أو منحه الله من فضله مالا أو جاها، يقولون: إن الله يحبه لأنه أعطاه، وغفلوا عن قول الحبيب المصطفى: «إن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب».

لقد بين لنا نبينا - ﷺ - مفهوم الإسلام، ومفهوم الايمان حين قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأعراضهم وأموالهم».

وإن أركان هذا الدين توجه المؤمن إلى الخير فى قوله وعمله وأمره كله وأن يسلم الناس من لسانك ويدك - فلا تنتهك لهم حرمة ولا تلحق بهم ضررا، قيل لرسول الله - ﷺ -: إن فلانة تصوم النهار، وتقوم الليل، ولكنها توذى جيرانها بلسانها، فقال رسول الله: «لا خير فى صلا تها ولا فى صيامها إنها من أهل النار».

وإن الإيمان عقيدة مقرونة بالعمل الصالح، فالإيمان أن تحفظ جارك من شرك، وأن تصون صاحبك وغيرك من جورك وظلمك.

ثم يحدثنا رسول الله عن المال وعن متاع الدنيا محذرا. فقد روى البخارى أن رسول الله - ﷺ - قال: «يأتى على الناس زمان لا يبالى ما أخذ أمن الحلال أم من الحرام».

---

(٢) الأحزاب ٧١.

إن الدنيا تتصنع لطلابها ببريق المال، وخادع المنى والآمال وزهو المنصب، وسكر الشهوة، فإذا أرخص لها دينه، وأقبل عليها شغلته عن آخرته.

قال -تعالى-:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾[٣].

ولقد جاء فى مأثور الحكم: «ما رأيت كالدنيا يكثر صرعاها، وتتعدد ضحاياها وهى مع ذلك كثيرة الخطاب».

وفى ذلك يقول الرسول - ﷺ-: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا» وإن الله - عز وجل - أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين: فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾[٤].

وقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[٥].

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يقول: يارب يارب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وقد غذى با لحرام فأنى يستجاب له» - رواه مسلم والترمذى، عن أبى هريرة.

وفى حديثنا يقول - ﷺ -: «ولا يكسب عبد مالا حراما فيتصدق به فيقبل منه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره، إلا كان زاده إلى النار» والإسلام يبين طرق كسب المال المشروعة وإن المال ليس خيرا لذاته بل خيره فى الاستغناء به عن الناس والإنفاق منه فى وجوه الخير، وإنه ليس شرا لذاته، بل شره فى الشح به والبخل والطغيان بالمال والغرور به وإنفاقه فى الفسق والفجور، والباطل والزور.

إن المال قد يفتح لصاحبه أبواب النعيم، وإذا تصدق منه قبلت صدقته واذا تركه ميراثا كان على الورثة خير وبركة.

وإن المال الحرام لا خير فيه ولا نفع منه، منزوع البركة، طعامه مسموم وشرابه مذموم، وتجارته خاسرة، وإذا تصدق منه صاحبه فلن تقبل صدقته، بل تُرد عليه، وإذا تركه ميراثا كان شؤما على الورثة؛ وإن من يستكثر من الحرام فإنه يستكثر من نار جهنم، بل إن المال الحرام يمحق ويكتسح حتى يذهب معه الحلال.

فهل نعمل العمل الذى ينجينا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وفقنا الله لصالح القول والعمل، وهدانا سواء السبيل.

---

(٣) آل عمران ١٤. (٤) المؤمنون ٥١. (٥) البقرة ١٧٢.

منهج الإسلام في العبادة والعمل

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

قال الله -تعالى-: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾.(١)

وقال -سبحانه-: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾.(٢)

وقال: «وما جعل عليكم فى الدين من حرج».(٣)

قال الإمام مسلم -رحمه الله-: «حدثنا زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم قال زهير: حدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال: سألت أم المؤمنين عائشة قال: قلت: يا أم المؤمنين كيف كان عمل رسول الله هل كان يخص شيئا من الأيام؟ قالت: كان عمله ديمة، وأيكم يستطيع ما كان رسول الله -ﷺ- يستطيع».

وقال الإمام مسلم: وحدثنا ابن نمير حدثنا سعيد بن سعيد أخبرنى القاسم بن محمد عن عائشة قالت: قال رسول الله -ﷺ-: «أحب الأعمال إلى الله -تعالى- أدومها وإن قل. قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته».

وروى الإمام البخارى بسنده عن عائشة -رضى الله عنها- أن النبى -ﷺ- دخل عليها وعندها امرأة فقال: «من هذه؟ قالت: فلانة تذكر من صلاتها، قال: مه عليكم بما تطيقون فو الله لا يمل الله حتى تملوا وكان أحب الدين ما داوم عليه صاحبه».

وجاء فى رواية الإمام مالك أن المرأة المذكورة من بنى أسد، وفى رواية الإمام مسلم أنها الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد عبدالعزى من رهط خديجة أم المؤمنين -رضى الله عنها-، وقيل عنها: إنها كانت لا تنام الليل.

وأما ذكر السيدة عائشة -رضى الله عنها- للمرأة ومدحها لها مع النهى عن المدح فلعلها أمنت عليها الفتنة؛ فلذلك مدحتها فى وجهها، ولكن رواية حماد بن مسلمة عن هشام فى هذا الحديث تدل على أنها ما ذكرت ذلك إلا بعد أن خرجت المرأة، أخرجه الحسن بن سفيان فى مسنده من طريقه، ولفظه «كانت عندى امرأة فلما

---

(١) البقرة ٢٨٦. (٢) البقرة ١٨٥. (٣) الحج ٧٨.

قامت قال رسول اللّه -ﷺ-: «من هذه يا عائشة؟» قالت: يا رسول اللّه هذه فلانة وهى أعبد أهل المدينة، الحديث، وكلمة «مه» مبنية على السكون وهى اسم فعل بمعنى اكفف وهذا النهى متجه إلى السيدة عائشة حتى لا تمتدح المرأة بما ذكرت، كما يحتمل أن يكون نهياً عن الفعل المذكور وهو قيام الليل كله، وقد قال بعض الأئمة: بكراهة صلاة جميع الليل ومعنى عليكم بما تطيقون: أى: افعلوا من الأعمال ما يمكنكم أن تداوموا عليه، ومنطوقه، يقتضى الأمر بأن يقتصر المسلم على ما يطيقه من العبادة، ومفهومه يقتضى النهى عن تكلف ما لا يطاق، ولئن كان سبب ورود هذا الحديث خاصا بالصلاة إلا أن لفظه عام وجاء الخطاب به عاما فى قوله: «عليكم» مع أن المخاطب النساء ومعنى «لا يمل اللّه حتى تملوا»: الملال هو استثقال الشىء والنفور عنه بعد محبته، وهذا المعنى لا يمكن أن يستقيم بالنسبة للّه -تعالى- بل هو محال ولكن جاء التعبير به على جهة المقابلة اللفظية مجازاً كقوله -تعالى-:

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾(٤)

وقال الهروى: معناه لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله فتزهدوا فى الرغبة إليه وقيل: إن حتى بمعنى الواو وعليه فيكون التقدير لا يمل وتملون، والأولى أنه من باب المقابلة ومعنى: «أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه «المحبة من اللّه -تعالى-: إرادة الثواب، أى أكثر الأعمال ثوابا أدومها؛ لأن بدوام العمل القليل تستمر الطاعة والإخلاص والإقبال على اللّه بخلاف الكثير الشاق، فإن العمل الدائم، ولو كان قليلا ينمو ويصبح أكثر من الكثير المنقطع، أما الذى يترك العمل بعد الدخول فيه فهو كالمعرض بعد الوصل.

ولطالما وجه الرسول -ﷺ- المسلمين بأن يأتوا من الأعمال ما يوافق استطاعتهم كقوله: «إذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم» وهذا عبداللّه بن عمرو بن العاص -رضى اللّه عنهما- قال: قال رسول اللّه -ﷺ-: «يا عبداللّه ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ فقلت: بلى يا رسول اللّه، قال: فلا تفعل، صم وأفطر وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينيك عليك حقا، وإنه بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها».(٥)

ومن المعلوم أن منهج الإسلام قام على الاعتدال والقصد فى الأمور كلها، لا إفراط ولا تفريط قال -تعالى-:

﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾(٦) وقال:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾(٧) وقال تعالى:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾(٨) وقال:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾(٩) وعن

---

(٤) الشورى ٤٠. (٥) رواه البخارى. (٦) الأعراف ٣١.
(٧) الفرقان ٦٧. (٨) البقرة ١٨٥. (٩) الحج ٧٨.

أبى هريرة -رضى الله عنه أن- رسول اللّه -ﷺ- قال: «إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا ويسروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»(١٠). وهكذا يتبين لنا حرص الشريعة الإسلامية على اليُسر، فمعروف أن العمل القليل الذى يكون متصلا يكون صاحبه منشرح الصدر نشيطاً للعبادة بخلاف الكثير الشاق فإنه بصدد أن يتركه الإنسان أو أن يفعله بتكلف وبغير انشراح، وقد ذم اللّه -تعالى- من اعتاد عبادة ثم أفرط فيها فقال: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾. (١١)

وكثيرا ما نادى الإسلام بتواصل أعمال الخير ودوامها وعدم احتقار اليسير منها قال -عليه الصلاة والسلام:

«يا نساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاه»(١٢) والفرسن هو عظم قليل اللحم ويطلق على الظلف وقد قال -تعالى-:

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(١٣) وقد قاوم الرسول -ﷺ- الذين يغالون فى أعمالهم.

روى أنس -رضى الله عنه- أن النبى -ﷺ- دخل المسجد فإذا حبل ممدود بين السَاريتين، فقال: «ما هذا الحبل»؟ قالوا: هذا حبل لزينب تقوم تصلى فإذا فترت قامت فتعلقت به، فقال النبى -ﷺ- «حُلُّوه» ثم قال: «ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد»، كما روى أنس -رضى الله عنه- أيضا، قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى -ﷺ- يسألون عن عبادة النبى -ﷺ- فلما أخبروا كأنهم تقالوها -أى عدوها قليلة- وقالوا: أين نحن من النبى -ﷺ- قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبدا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.. فجاء رسول اللّه -ﷺ- إليهم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما واللّه إنى لأخشاكم للّه وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منِّى».

وقد حكى أن أقواماً أتوا قيس بن عبادة يسألونه أن يعاونهم على أداء دية لزمتهم فنظروا إليه فرأوه وهو فى البستان يجمع ما يتساقط من الثمر ويميز بين الجيد والرديء، فلما انتهى من عمله سألوه ما أرادوا فأعطاهم ما طلبوه، فقال له بعضهم: لقد داخلنا بعض الشك فى جودك بعد أن رأينا ما تصنعه فى البستان، فأجابهم: إن ما رأيتم من حرصى على مالى هو الذى مكننى من تحقيق غرضكم، أى أن الاعتدال فى الأمور كلها والتوسط بين الإفراط والتفريط، يحفظ على الإنسان مواصلة العمل، والاستمرار فى وجوه الخير والنفع العام، وقد كان منهج الإسلام فيما يتصل بهذا الجانب عاما وشاملا

(١١) الحديد ٢٧.
(١٢) البقرة ٢٨٦.

(١٢) رواه البخارى.

لسائر العبادات والأعمال، ووجوه النفع الشامل، ولم يدع جانبا من تلك الجوانب إلا وجه المسلم إلى الاعتدال فيه، بحيث لا يكون هناك إفراط ولا تفريط، ولا مغالاة ولا تقصير.

ففى جانب الأكل والشرب، قال -تعالى-:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾(١٤)

وفى جانب الإنفاق والصدقة نادى القرآن بالاعتدال بحيث لا يكون المسلم بخيلا ولا مبذرا، قال -تعالى-:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾(١٥)

وفى جانب العبادة، لم يكلف الله الناس بما لا طاقة لهم به، قال -تعالى-:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(١٦)، وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة قال: لما نزلت على رسول الله -ﷺ-، ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

اشتد ذلك على أصحاب رسول الله -ﷺ- فأتوا رسول الله -ﷺ- ثم جثوا على الركب وقالوا: يا رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله -ﷺ- «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير».

فلما أقر بها القوم ونطقت بها ألسنتهم أنزل الله فى أثرها:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل قوله:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾(١٩)

وقد كشفت السنة الشريفة عن هذا الجانب من التجاوز والعفو..

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إن الله تجاوز لى عن أمتى ما وسوست به صدورها مالم تعمل أو تكلم».

---

(١٤) الأعراف ٣١.

(١٥) الإسراء ٢٩.

(١٦) البقرة ٢٨٦

(١٧) البقرة ٢٨٤.

(١٨) البقرة ٢٨٥.

(١٩) البقرة ٢٨٦.

وقد اجتهد الرسول -صلوات الله وسلامه عليه- فى تثبيت منهج الاعتدال فى الأعمال والعبادات عند المسلمين، حرصاً منه على استمرارهم فى العمل ورأفة ورحمة بهم، وصدق الله -تعالى- إذ يقول:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢٠) لقد حرص على ترسيخ هذا المنهج حتى إنه كان يترك -فى بعض الأحيان- بعض الأعمال، فلا يقوم بأدائها أمام الناس مخافة أن يواظبوا عليها فتفرض عليهم، عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: «إن كان رسول الله -ﷺ- ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل الناس به فيفرض عليهم، وما سبح رسول الله -ﷺ- سبحة الضحى قط وإنى لأسبحها» وهى نافلة الضحى.

وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢١) ومعنى الآية: إن -الله تعالى- يمتن على المؤمنين حيث أرسل إليهم رسولا من جنسهم وعلى لغتهم، كما دعا إبراهيم -عليه السلام- كما قال الله -تعالى- حكاية عنه: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾(٢٢).

وقال -تعالى-:

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾(٢٣)

وإنه يعز عليه ما يعنت أمته أو ما يشق عليها، لأنه بعث بالحنيفية السمحة وهو حريص كل الحرص على هداية أمته والتيسير عليها ووصولها إلى سعادة الدنيا والآخرة، وفيما رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس... أن رسول الله -ﷺ- أتاه ملكان فيما يرى النائم فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه.. فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه... أضرب مثل هذا ومثل أمته، فقال: إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مغاذة، ولم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المغاذة، ولا ما يرجعون به، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل فى حلة حبرة، فقال: أرأيتهم إن وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء تتبعونى؟ فقالوا: نعم. قال: فانطلق بهم فأوردهم رياضا معشبة وحياضا رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم: ألم ألقكم على تلك الحال فجعلتم لى أن وردت لكم رياضا معشبة وحياضا رواء أن تتبعونى؟ فقالوا: بلى. فقال: فإن بين أيديكم رياضا هى أعشب من هذه وحياضا هى أروى من هذه فاتبعونى فقالت طائفة: صدق والله لنتبعه، وقالت طائفة: قد رضينا بهذا نقيم عليه. كل هذا يدل على رأفة الرسول -ﷺ- ورحمته بأمته وأتباعه معها طريق اليسر والتسامح، فإنه يعز عليه أن يرى شيئاً يشق عليها أو حرجا تلاقيه؛ لأنه بعث رحمة للعالمين، فالرحمة

(٢٠) الأنبياء ١٠٧.

(٢١) التوبة ١٢٨.

(٢٢) البقرة ١٢٩.

(٢٣) آل عمران ١٦٤.

جوهر رسالته قال -تعالى-:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢٤)

والطريق إلى هذه الرحمة يسير فى اتجاهين مستقيمين مستنيرين احدهما: فى التيسير فى التكاليف والعبادات، والرحمة بالأمة فى كثير من أحكام الإسلام كما هو معروف.

والثانى: بدوام العمل والعبادة، واستمراره، وعدم انقطاعه، فكلما استمر المسلم فى العبادة وداوم عليها -وإن كانت قليلة- داوم -اللّه تعالى- بإسباغ رحمته عليه، ورفقه به، ورعايته له وحبه إياه، لأن هذا المنهج من السلوك هو أحب الأعمال إلى الله -سبحانه وتعالى-، كما قال الرسول -ﷺ-: أحب الأعمال إلى -اللّه تعالى- أدومها وإن قل»(٢٥) أما نتيجة هذا الحب من اللّه تعالى فقد بيّنه فيما جاء فى الحديث القدسى: «... فإذا أ حببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذ بى لأعيذنه».

ومن مظاهر حرص الرسول -ﷺ- على أمته اجتهاده معهم فى جانب التكليف والعبادة ألا يفعلوا ما يتسببون به فى الزيارة وما لا يستطيعون القيام به، عن أبى هريرة قال: خطبنا رسول اللّه -ﷺ- فقال: «يأيها الناس قد فرض اللّه عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يا رسول اللّه؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال النبى -ﷺ-: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم»

رواه مسلم والنسائى وروى أحمد والنسائى بمعناه

عن ابن عباس قال: خطبنا رسول اللّه -ﷺ- فقال: «يا أيها الناس كتب عليكم الحج» فقام الأقرع بن حابس فقال: أفى كل عام يا رسول اللّه؟ فقال: «لو قلتها لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا أن تعملوا بها، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع». ومن مظاهر التيسير أن الرسول -ﷺ- كان لا يشق على المسلمين ويتحاشى ما يكون سببا فى تسرب الملل إلى نفوسهم حتى ولو كان ذلك فى توجيهه وإرشاده فكان -ﷺ- يتخول المسلمين بالموعظة كراهة السآمة.

عن ابن مسعود قال: كان النبى -ﷺ-يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السآمة علينا، وكان يخشى إذا استمر فى التوجيه والتعليم أن يتسرب الملل إلى أصحابه أو يأخذ التعب طريقه إليهم، فكان يعطيهم فرصة للراحة والاستجمام والتشويق لتتمكن معلوماتهم فيها من التثبيت والتركيز ولهذه الطريقة الرشيدة تدين اليوم مؤسسات التربية التى استمدت نظمها الناجحة من هذا المنهج النبوى الحكيم، وحين بعث رسول اللّه -ﷺ- معاذ بن جبل إلى اليمن زوده بالتوجيه الكافى، وأمره أن يسير

---

(٢٤) الأنبياء ١٠٧.

(٢٥) رواه مسلم.

على سنن التدريج معهم فيقول له: «إنك تأتى قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا اللّه وأنى رسول اللّه، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن اللّه افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن اللّه افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين اللّه حجاب».

ويتبادر هنا سؤال هو: إن اللّه -تعالى- قد أمرنا بالاقتداء بالرسول -ﷺ- قال -تعالى-:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[26]

ومن المعلوم أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- كان يقوم الليل متهجداً راكعاً ساجداً حتى تتورم قدماه وتفيض عيناه بالدمع من خشية اللّه، وحتى يسمع لصدره أزيز المرجل من البكاء فتقول له فى ذلك السيدة عائشة -رضى الله عنها- أتفعل ذلك يا رسول اللّه وقد غفر اللّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فيجيبها: «أفلا أكون عبدا شكورا»، وكان يواصل الصيام، والوصال: هو الترك فى ليالى الصيام لما يفطر بالنهار بالقصد، ومع هذا فقد نهى عن الوصال بالنسبة للمسلمين فلم لم يكن الاقتداء به فى مثل هذه الأمور؟ أو بمعنى آخر كيف يأمر بالتيسير وهو يأتى مثل هذه الأعمال الشاقة.

وللإجابة على هذا نقول: إن كل حكم يثبت فى حق النبى -ﷺ- فهو ثابت أيضا فى حق أمته إلا ما استثنى بدليل، كبعض خصائصه -ﷺ- فإن خصائص الرسول -ﷺ- لا يتأسى به فى جميعها وقد توقف فى ذلك إمام الحرمين، وقال أبو شامه: ليس لأحد التشبه به فى المباح كالزيادة على أربع نسوة، ويستحب التنزه عن المحرم عليه «كالأكل من الصدقة» ويستحب التشبه به فى الواجب عليه «كالضحى».

قال الحافظ ابن حجر: وأما المستحب -أى فى حقه -ﷺ- فلم يتعرض له والوصال فيه -أى وصال الصيام- من قبيل المستحب فى حق النبى -ﷺ- فيحتمل أن يقال: إن لم ينه عنه لم يمنع الإتساء به فيه، ولعل مراده بقوله: «إن لم ينه عنه» أى بالنسبة لبعض الناس، وفى بعض الأحوال -وهذا نادر- وأما الأعم الأغلب فهو ما ورد بشأنه السنة الصحيحة الصريحة فى ذلك فى النهى عن الوصال.

روى الإمام البخارى -رحمه اللّه- بسنده: عن أبى هريرة -رضى اللّه عنه- عن النبى -ﷺ- قال: «إياكم والوصال مرتين» قيل: إنك تواصل قال: «إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى فأكلفوامن العمل ما تطيقون».

(٢٦) الأحزاب ٢١.

محمد علم الهدى

لفضيلة الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر

لقد بعث الله محمداً - ﷺ - على حين فترة من الرسل حاملاً معه مشعل الهداية، وممتلىء القلب بنور الإيمان، ومتمماً مكارم الأخلاق، وفى شريعته التى يعمل بها، ويدعو إلى تطبيقها قبس الرحمة، وميزان العدل، وقاعدة السلام.

بعثه الله بالرحمة العامة، والعدل الكامل، والسلام الشامل، لا يستثنى من ذلك أمة، ولا يخص فريقاً دون فريق ولا شعباً دون شعب.

يقول الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾(١)

ويقول الله - تعالى -: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٢)

ويقول - عز وجل -: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣)

ولقد حاول زعماء الضلال أعداء الهدى منع الهداية التى جاء بها محمد - ﷺ - من الوصول إلى قلوب الخلق ففشلوا فشلا ذريعاً، لأنهم لا يدركون أن القلوب بيد الله وحده وأن الهدى هدى الله، وأن الذى كلف محمداً بهداية الخلق

---

(١) الأحزاب: (٤٥ - ٤٨).

(٢) المائدة: (١٥ - ١٦).

(٣) المائدة: (١٩).

هو الله -عز وجل- وهذا يعنى أن نجاحه فى مهمته مضمون بفضل الله القائل:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾(٤)

فمن الواضح أن الله وصفه فى هذا النص الشريف بأنه الهادى إلى صراط الله المستقيم.

ولقد سعد رسول الله بهذه النعمة أيما سعادة، لا سيما بعد أن كلفه الله بأن يعلن ذلك على الملأ، فى قوله سبحانه:

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾(٥)

أى: وأنا أول المسلمين من هذه الأمة، لأن جميع الأنبياء بعثهم الله بالإسلام، وهم جميعا إخوة، رسالتهم واحدة، هى الدعوة إلى عبادة الله وحده، وإن تعددت شرائعهم. وفى هذا يقول رسول الله -ﷺ-: «الأنبياء إخوة لعلات(٦). أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإننى أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى(٧)»

وأولاد العلات هم: الإخوة من أب واحد وأمهات شتى. والمعنى أن الدين واحد. وهو التوحيد الخالص، وأن الشرائع المتعددة هى الأمهات أى أن لكل نبى شريعة. ومعلوم أن كل شريعة لاحقة تنسخ الشريعة السابقة. وذلك يعنى أن شريعة محمد -ﷺ- لن تنسخ وأنها باقية وخالدة إلى أبد الآبدين. ولا تزال قائمة منصورة وأعلام هدايتها وعدلها منشورة إلى قيام الساعة.

وقد كان رسول الله -ﷺ- يؤكد صلته الوثيقة بالأنبياء جميعا ويهتدى بهداهم ويقتفى أثرهم كما أمره الله فى قوله:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ .. ﴾(٨)

وهذا بعض ما عبر به رسول الله -ﷺ- عن هذا المعنى: «مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»(٩)

كما أنه -ﷺ- كان يكرر بيان صلته بإبراهيم -عليه السلام- فهو أبوه، وأبو الأنبياء، وخليل الرحمن، وقد أمره الله باتباعه، على وجه الخصوص، وذلك فى قوله سبحانه:

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(١٠)

---

(٤) الشورى: (٥٢ - ٥٣)

(٥) الأنعام: (١٦١ - ١٦٣)

(٦) العلات: بفتح العين وتشديد اللام: الإخوة لأب.

(٧) رواه أحمد، وأبو داود، وهو عند الإمام مسلم، بلفظ قريب منه.

(٨) الأنعام: (٩٠)

(٩) رواه مسلم، عن أبى هريرة، وله روايات أخرى.

(١٠) النحل: (١٢٣)

لذا كان رسول الله يقول فى دعائه، إذا أصبح، وإذا أمسى: «أصبحنا -أو أمسينا- على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين»(١١)

وقد جمع الله لمحمد -ﷺ- كل ما وهبه للأنبياء السابقين من قبله، وورثه كل الهدى، الذى بعثهم به. وفى هذا المعنى يقول الله - تبارك وتعالى -:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ ١٣

وفوق ذلك فقد ميّز الله محمداً بمزايا كثيرة، منها ما جاء فى الحديث الذى رواه جابر بن عبدالله -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى. نصرت بالرعب مسيرة شهر. وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل. وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى. وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة»(١٣)

ولما كانت رسالة محمد خاتمة وعامة لجميع الخلق، فقد خاطب الله الناس جميعا، وأمرهم بأن يتبعوا محمداً -ﷺ- إن أرادوا الهداية لأنه علم الهدى، وقد أمر الله رسوله بأن يبلغ ذلك للناس فقال - سبحانه -:

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ١٥٨

ولما كانت مهمة الرسول هى البلاغ والبيان والإرشاد، وهو إنما يبلغ من الله ما كلفه بتبليغه فإن الطائعين له هم المهتدون، وغيرهم هم الضالون. لأن الهداية مرتبطة بطاعته. وفى هذا يقول الله - عز وجل -:

﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ ٥٤

وفى رحلة الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة كان أبوبكر الصديق يسير خلف رسول الله -ﷺ- فى غالب الأحيان. وكان أبوبكر معروفاً عند كثير من الناس بسبب رحلاته الكثيرة فى التجارة. وكان كلما لقى أبوبكر فى الطريق رجلا. وقال له من هذا الرجل الذى يسير بين يديك؟ يرد عليه أبوبكر قائلاً: هذا الرجل يهدينى الطريق. فيحسب السائل أنه يقصد الطريق فى السفر. لكن أبا بكر يقصد سبيل الخير.(١٦)

---

(١١) أخرجه عبدالله بن الإمام احمد فى زوائده.

(١٢) الشورى: (١٣)

(١٣) متفق عليه.

(١٤) الأعراف: (١٥٨).

(١٥) النور: (٥٤).

(١٦) أنظر الرحيق المختوم للمباركفورى (١٨١)

وقد أكد القرآن الكريم فى العديد من المواضع، أن محمداً -ﷺ- مرسل من الله بالهداية، وللهداية. يقول الله - تعالى -:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾(١٧)

أى: ولو حاول أعداء الحق والهداية أن يمنعوا وصول الهدى إلى خلق الله -كراهية له- فلن يفلحوا وسيظهر دين الله على كل دين وتصل هدايته إلى جميع الخلق، وقد تكررت هذه الآية فى سورة الصف لمناسبة هنا، ومناسبة هناك.

وأيضا يقول الله - تعالى -:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾(١٨)

وهنا يؤكد الله هذه القضية، ويوثقها بشهادته -سبحانه- عليها، ﴿ **وكفى بالله شهيداً** ﴾.

وقد أخبر رسول الله عما سيكون من ذلك فى عدد من أحاديثه الشريفة، التى تؤكد أن المستقبل لهذا الدين، وأن الله سيظهره على كل دين، من ذلك ما رواه ثوبان - رضى الله عنه - قال: قال النبى -ﷺ-: «إن الله زوى لى الأرض مشارقها ومغاربها(١٩) وإن ملك أمتى سيبلغ ما زوى لى منها(٢٠)»

ومن ذلك ما رواه تميم الدارى -رضى الله عنه- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: ﴿ ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله - عز وجل - بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، يعز عزيزاً أو يذل ذليلا، عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر ﴾(٢١)

فكان تميم الدارى يقول: قد عرفت ذلك فى أهل بيتى، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان كافراً منهم الذل والصغار والجزية.

وقد شهد الله لمحمد - ﷺ - بأنه على الهدى، وعليه ألا يهتم بمن ينازعه فى الأمر، وذلك حيث يقول الله - عز وجل -:

﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢٢)

أى: لا تتأثر بمنازعة من ينازعونك، ولا يصرفك ذلك عما أنت عليه من الحق، وادع إلى ربك، فأنت على الهدى وعلى الطريق الواضح المستقيم الذى يوصل إلى المقصود.

ومن عجب أن المشركين المكذبين اعترفوا بأنه -ﷺ- على الهدى، وتعللوا لرفض دعوته بالخوف من عدوان الناس عليهم وتهديد أمنهم، فرد الله اعتذارهم الباطل، وبيّن أنه - سبحانه - جعل لهم حرما آمنا، وهو آمن فى حال كفرهم وشركهم، فكيف لا يكون آمنا فى حال إيمانهم وهدايتهم؟ وهذا ما جاء فى قول الله - تعالى -:

---

(١٧) التوبة: (٣٣).

(١٨) الفتح: (٢٨).

(١٩) زوى الأرض: جمعها وطواها.

(٢٠) رواه أحمد ومسلم وغيرهما.

(٢١) رواه أحمد، والطبرانى، والحاكم.

(٢٢) الحج: (٦٧).

﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(٢٣)

ومن المعلوم: أن جميع الآيات التى ورد فيها وصف رسول الله -ﷺ- بأنه يهدى إلى الصراط المستقيم، أو أنه حامل الهدى إلى الناس، وأنه هاد ومهدى إنما تعنى أنه يرشد الضالين، ويهدى الحائرين، ويبين للخلق ما ينبغى أن يفعلوه لكى يهتدوا إلى الله. أما خلق الهداية فيهم وتحصيلها لهم فلا يخفى أن ذلك ليس من شأنه وإنما هو من صنع الله -سبحانه- يعطيه لمن علم فيهم صدق التوجه، وحسن الطوية.

وفى ضوء هذا نستطيع أن نفهم معنى الآيات القرآنية، التى ذكرت أن رسول الله -ﷺ- لا يستطيع هداية من يحب هدايته، فلا تعارض بين هذه وتلك، فأما الآيات التى أثبتت له هذه الصفة فإن الهداية فيها بمعنى البيان والإرشاد والتوجيه. ولا شك أن الرسول -ﷺ- قد بلغ فى هذا الأمر أعلى القمم وأرفع الدرجات.

وأما الآيات التى نفت عنه هذه الصفة فإنما تعنى تحقيق الهداية بالفعل وتحصيل الرشد فى نفس الأمر، وذلك من شأن الله وحده.

ومن هذه الآيات قول الله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾(٢٤)

يقول الإمام ابن كثير فى تفسير هذه الآية: «يقول الله لرسوله -ﷺ- إنك يا محمد ﴿ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾ أى ليس إليك ذلك. إنما عليك البلاغ والله يهدى من يشاء، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة. كما قال - تعالى -: ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾(٢٥). وكما قال - تعالى -: ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾(٢٦). وهذه الآية أخص من هذا كله فإنه قال:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾.

أى هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية وقد ثبت فى الصحيحين أنها نزلت فى أبى طالب عم رسول الله -ﷺ- وقد كان يحوطه وينصره، ويقوم فى صفه ويحبه حبا شديداً -طبيعيا لا شرعيا- فلما حضرته الوفاة وحان أجله دعاه رسول الله -ﷺ- إلى الإيمان والدخول فى الإسلام، فسبق القدر فيه فاستمر على ما كان عليه من الكفر، ولله الحكمة التامة. قال الزهرى: حدثنى سعيد بن المسيب، عن أبيه وهو المسيب بن حزن المخزومى -رضى الله عنه- قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله -ﷺ- فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبدالله بن أبى أمية بن المغيرة، فقال رسول الله -ﷺ- «يا عم قل لا إله إلا الله. كلمة أحاج لك بها عند الله». فقال أبوجهل وعبدالله بن أبى أمية: يا أبا

---

(٢٣) القصص: (٥٧).

(٢٤) القصص: (٥٦).

(٢٥) البقرة: (٢٧٢).

(٢٦) يوسف: (١٠٣).

طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله -ﷺ- يعرضها عليه، ويعودان له بتلك المقالة، حتى كان آخر ما قال: هو على ملة عبدالمطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله -ﷺ- «لأستغفرن لك مالم أنه عن ذلك» فأنزل الله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ ﴾(٢٧).

وأنزل في أبي طالب:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾(٢٨)

كما أنه في ضوء ما سبق نستطيع أن نفهم معنى الآيات القرآنية، التي يخاطب الله فيها رسوله -ﷺ- مبيناً أن بعض الأصناف من الخلق لا يستطيع رسول الله أن يهديهم، خاصة بعد أن ذكرت الآيات سبب ذلك وهو عنادهم وجحودهم واستكبارهم عن قبول الحق والهداية.

من هذه الآيات قول الله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾.(٢٩)

والمعنى: إنك لا تستطيع أن تسمع صوت الهداية لمن ماتت قلوبهم، ولا من في آذانهم صمم بسبب كفرهم، ومن أصر على الضلالة والعمى فلن تستطيع هدايته. ولكنه يستجيب لك من هو سميع وبصير ومتفتح القلب ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾(٣٠)

وكيف يهدى رسول الله قوما أعلنوا أن قلوبهم عليها أقفالها، وفى آذانهم صمم، وقد جعلوا بينه وبينهم حجابا كثيفا من العناد والجحود؟

العقل السليم يقول هنا: إن هؤلاء لن يهتدوا، وعليهم أن يتحملوا وزر أعمالهم.

وهؤلاء هم الذين حكى الله مقالتهم لرسول الله في قوله - سبحانه -:

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾(٣١)

وفى هؤلاء وأمثالهم يقول الله - تعالى -:

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾(٣٢)

وعلى هذا: فإن الهداية لا يستحقها إلا أولئك الذين فتحوا أبصارهم وبصائرهم لنور الهدى وهيأوا أنفسهم لقبوله بقلوب متفتحة، وآمنوا بالله ورسله، واستقاموا على أمره، وهم الذين قال الله فيهم:

﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.(٣٣)

نسأل الله أن يجعلنا من الهداة المهديين، الذين رضى الله عنهم، ورضوا عنه.

---

(٢٧) التوبة: (١١٣).
(٢٨) من تفسير ابن كثير بتصرف. والحديث متفق عليه.
(٢٩) النمل: (٨٠ - ٨١).
(٣٠) الحج: (٤٦).
(٣١) فصلت: (٥).
(٣٢) الأنفال: (٢٢ - ٢٣).
(٣٣) البقرة (٥).

نظرات فى ألفاظ القرآن الكريم

لفظ القرية

٣

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

ذكرنا فى مقالين سابقين الآيات، التى جاء فيها هذا اللفظ، من سورة البقرة، إلى سورة العنكبوت، ونذكر إن شاء الله فى هذا المقال بقية الآيات، التى ورد فيها هذا اللفظ مبتدئين بسورة سبأ، وهى سورة مكية، وقد ذكر فيها لفظ القرية فى الآية الرابعة والثلاثين، وهى قوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾(١)

وفيها تسلية لرسول الله - ﷺ - عن مخالفة قومه له، وتكذيبهم إياه، مع إخلاص النصح لهم، وشدة الحرص على هدايتهم، وحزنه الشديد -صلوات الله عليه- بسبب كفرهم، وتعريضهم أنفسهم لعذاب الله، ومعنى الآية «وما بعثنا إلى أهل قرية رسولاً ينذرهم بأسنا إلا قال أهل الثراء والنعمة الذين أبطرهم الثراء وأترفوا فى النعيم إنا لا نؤمن بما أرسلتم به من التوحيد والإيمان والدين الحق ولا عجب فى ذلك فذاك شأن المنغمسين فى الشهوات ولذائذ الحياة يظنون أن أموالهم وأولادهم دليل على محبة الله لهم وأنها تمنع عنهم عذاب الله يوم القيامة وكذبوا لأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسب سننه التى وضعها لكسب المال فى هذه الحياة.

ثم جاء ذكر هذه اللفظة فى سورة يس، فى قوله - تعالى -:

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾(٢) والقرية هى: أنطاكية، وقد كانت أول مدينة آمن أهلها بالمسيح -عليه السلام- وهى إحدى قرى أو مدن أربع، بادرت بالإيمان بدعوة عيسى - عليه السلام - وهى أنطاكية، والقدس، والإسكندرية، ورومية.

(١) سبأ «٣٤».

(٢) يس «١٣».

والمعنى: واضرب يا محمد لقومك، الذين كذبوك، وأصروا على تكذيبك، أهل هذه القرية مثلا، فقد أصروا على تكذيب الرسل، الذين أرسلوا اليهم، كما أصر قومك على تكذيبك جهلا، وسفها، وعنادا، واستكبارا، فلا يحزنك تكذيب قومك لك، فتلك سنة الله فى الذين خلوا من قبلك من المرسلين والكافرين.

والرسُل فى هذه الآية: كما يرى جمهور المفسرين: هم رسل عيسى –عليه السلام– وقال ابن عباس –رضى الله عنهما– إنهم رسل الله أرسلهم تعزيزا لعيسى –عليه السلام– داعين إلى شريعته وملته، كما كان هارون مع موسى –عليهما السلام– ولم يرسلوا بدين جديد، ولا بشريعة خاصة.

وفى الآية الثالثة والعشرين من سورة الزخرف جاءت اللفظة فى قوله – تعالى –:

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ ذلك أن كفار العرب لما عجزوا عن الإتيان ببرهان عقلى أو نقلى على ضلالهم قالوا: إنا وجدنا آباءنا وأسلافنا على هذه الطريقة فلن نحيد عنها؛ لأنهم كانوا أرجح منا عقولا فنحن مقتدون بهم بل وبهم مهتدون وقد أحزن الرسول – ﷺ – هذا التقليد الأعمى فسلاه القرآن بهذه الآية، والمعنى – والله أعلم – أن هذا القول المنكر الذى قاله لك قومك قالته الأمم السابقة لأنبيائهم فلم نرسل قبلك رسولا فى قرية إلا قال أهلها له: إنا وجدنا أباءنا على دين ملة لن نخالفهم فيها لأننا سائرون على درب أسلافنا نعبد ما عبدوا ونفعل ما فعلوا.

وفى السورة نفسها «الزخرف» جاء لفظ القرية مثنى، فى قوله تعالى:

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾(٣) ذلك أن كفار مكة ظنوا لجهلهم ان الرياسة والجاه والغنى من مؤهلات الرسالة فقالوا: هلا نزل هذا القرآن على رجل عظيم الجاه كثير المال من إحدى القريتين: مكة والطائف؛ يعنون بعظيم مكة: الوليد بن المغيرة، وعظيم الطائف: عروة بن مسعود الثقفى، فأنكر عليهم القرآن قولهم ذلك، وأبان جهلهم فيه لأنهم بنوه على مقدمة فاسدة وهى أن منصب الرسالة شريف لا يليق إلا برجل كثير المال عظيم الجاه، فقال – سبحانه –:

﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾(٤) أى إذا كنا قد تولينا قسمة حظوظ الدنيا بينهم ولم نجعلها لهم – مع هوانها وتفاهتها – فكيف يتطلعون إلى رحمة ربك بالنبوة وهى أعظم بكثير من حطام الدنيا

وفى الآية الثالثة عشرة من سورة محمد –عليه السلام– ذكر لفظ القرية مرتين: مضافا مرة ومقطوعا عن الإضافة مرة أخرى، وذلك قوله – تعالى –:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ١٣ ﴾

عن ابن عباس – رضى الله عنهما– «أن النبى – ﷺ – لما خرج من مكة إلى الغار –أى فى الهجرة– التفت إلى مكة وقال:– أنت أحب بلاد الله إلىَّ الله وأنت أحب بلاد الله إلى ولولا ان أهلك أخرجونى لم أخرج منك وأعدى الأعداء من عدا على الله فى حرمه

(٣) الزخرف «٣١».

(٤) سورة الزخرف «٣٢».

أو قتل غير قاتله أو قتل بثارات الجاهلية فأنزل الله - سبحانه - على نبيه «وكأين من قرية...» الآية، رواه أبن ابى حاتم وابن مردويه(٥) ومعنى الآية والله أعلم: وكثير من الأمم التى سبقتك كان أهلها اكثر من أهل مكة عدداً، وأشد منهم بأسا، ومع ذلك أهلكناهم ولم يمنعهم منا بأسهم ولا عددهم، فأصبر كما صبر الرسل من قبلك فالله ناصرك عليهم ومهلكهم إن لم يؤمنوا كما أهلك من قبلهم

وآخر الآيات التى جاء فيها لفظ القرية هى قوله - تعالى - من سورة الطلاق

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾(٦)

أى: وكثير من القرى عتت عن أمر ربها أى أعرضت عن دينه ولم تطبق شريعته وخالفت رسل الله، فحاسبها الله حسابا شديدا، وعذبت على كفرها وجحودها فى الدنيا والآخرة، فذاقت وبال فعلها وكفرها، فخسرت بذلك خسرانا مبينا» وقد ذكرت هذه اللفظة مجموعة «القرى» فى الأنعام، والأعراف، وهود، ويوسف، والكهف، والقصص، وسبأ، والشورى، والأحقاف، والحشر، ومعانيها متقاربة؛ لذلك سنعرض لها فى إيجاز شديد على النحو التالى:

(١) فى الأنعام ذكرت مرتين

الأولى فى قوله تعالى:

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ -الأنعام٩٢-)

والثانية فى قوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ - الأنعام ١٣١» والمعنى: أن الله أرسل الرسل إلى الخلق ليخرجوهم من الضلال إلى الهدى، فإن آمنوا أثابهم وإن كفروا عذبهم، وذلك بسبب أن الله - تعالى - ليس من سنته ان يهلك الأمم ظلما وهم غافلون عما يجب عليهم ويطلب منهم؛ بل لابد من إرسال الرسل قبل الهلاك قال - تعالى -:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ وجاء لفظ القرى فى سورة الأعراف ثلاث مرات فى ثلاث آيات متتالية هى قوله - تعالى -:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾(٧)

والمعنى أن الله -تعالى- أهلك الأمم السابقة بسبب كفرهم وتكذيبهم رسلهم، ولو أنهم آمنوا بالله وأطاعوا الرسل لفتح الله عليهم أبواب الخيرات من السماء بالوحى والهداية، والمطر والأرزاق، ومن الأرض بالنبات والمعادن والعلوم والكنوز والخصب لكنهم كذبوا فأخذهم أخذ عزيز مقتدر وأهلكهم بغتة، أبعد ذلك يأمن أهل القرى أن يأتيهم عذابنا ليلا وهم نائمون أو يأتيهم العذاب ضحى وهم يلعبون.

وجاء لفظ القرى ثلاث مرات فى سورة هود وهى قوله - تعالى -:

---

(٥) تفسير المراغى الجزء السادس والعشرون صـ٥٦.

(٦) الطلاق «٨».

(٧) الأعراف «٩١-٩٨».

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [8] والمعنى ذلك الذى ذكرناه لك من أخبار هلاك قوم نوح وعاد وثمود وشعيب وقوم موسى نقصه عليك ليتعظ به قومك، وبعض هذه القرى مازالت آثارها باقية ماثلة للعيان وبعضها محيت آثارها فصارت كالزرع المحصود وما ظلمها الله ولكنهم ظلموا أنفسهم بالكفر

وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [9] وهى كالتعليق على ما سبق من آيات لبيان رحمة الله بالمؤمنين وشدة بأسه بالكافرين فإن أخذه للكافرين الذين ظلموا أنفسهم شديد فاعتبروا يا كفار مكة وآمنوا قبل ان يحل بكم ما حل بالأمم السابقة،

والمرة الثالثة فى هود قوله - تعالى -:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [10] والمعنى لا يختلف كثيرا عن معانى الآيات السابقة فليس من شأن الله ولا سنته أن يهلك أهل القرى وهم مصلحون فذلك ظلم تنزه الله - تبارك وتعالى - عنه.

وجاء اللفظ مرة فى سورة يوسف فى قوله - تعالى -:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [11]

والمعنى: ما أرسلنا قلبك يا محمد رسلاً من الملائكة، فكل الرسل من البشر الذكور ليفهم الناس عنهم وليقتدوا بهم فكيف يعجب أهل مكة من إرسال بشر إليهم أفلم يسيروا فى الأرض فيعلموا أن الذين كذبوا الرسل من قبلك قد هلكوا فتلك عاقبة الكفر أما عاقبة الإيمان فهى النجاة فى الآخرة، والآخرة خير وأبقى.

وجاءت اللفظة فى الكهف بنفس المعنى تقريبا فى قوله - تعالى -:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [12] أى: وهذه قرى ثمود وعاد ومدين تمرون عليها فى أسفاركم أهلكناهم لما ظلموا أنفسهم بالكفر وتكذيب الأنبياء وجعلنا لهلاكهم موعدا محددا لا يتأخر ولا يتقدم فاعتبروا يا أهل مكة ولا تغتروا بحلم الله

وفى القصص جاءت اللفظة مرتين فى آية واحدة هى قوله - تعالى -:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [13] وهى تعليل وتعليق على الآية السابقة عليها «وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين» فهم قد استحقوا الهلاك بكفرانهم أنعم الله وقد جرت سنة الله وعدله، أنه لا يهلك القرى قبل أن يبعث فى أمها أى عاصمتها رسولا يبشرهم وينذرهم، فإن أطاعوا نجوا، وإن كذبوه هلكوا، فالله لا يهلك أهل القرى إلا

---

(8) هود «١٠٠». (9) هود «١٠٢». (10) هود «١١٧».

(11) يوسف «١٠٩». (12) الكهف «٥٩». (13) سورة القصص «٥٩».

إذا ظلم أهلها وكفروا، وفى سبأ ذكرت اللفظة مرتين فى الآية الثانية عشرة وهى قوله – تعالى –:

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ والآية جاءت فى تضاعيف قصة أهل سبأ الذين كفروا بأنعم الله، فبدل الله رخاءهم شدة ونعيمهم بؤسا وأرسل عليهم سيل العرم، فهدم السد، وغرقت البلاد وتشتت الناس ومزقوا كل ممزق بعد أن كانوا يعيشون آمنين فى ديارهم وكان بينهم وبين المدن المباركة كمكة والشام قرى ظاهرة للعيان، وكانوا يسيرون إليها ليالى عدة وأياما معدودة آمنين

ثم ذكر لفظ القرى فى سورة الشورى فى قوله – تعالى –:

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾(١٤) والمراد بأم القرى مكة أصل البلاد التى حولها وقد أثبت العلم الحديث أن مكة شرفها الله مركز العالم، والمعنى «لقد أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن الكريم بلسان عربى مبين لتنذر به مكة وما حولها من بلاد المعمورة ولتخوفهم يوم القيامة الذى يجتمع فيه الخلائق جميعا للبعث والحساب والجزاء فيكون فريق المؤمنين فى الجنة وفريق الكافرين فى السعير،

وجاءت الكلمة فى سورة الأحقاف فى قوله – تعالى –:

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(١٥) والآية تخويف لأهل مكة أن يحل بهم ما حل بالأمم السابقة كعاد وثمود وقرى قوم لوط إن لم يؤمنوا فلم ينصرهم من الله أحد ولا شىء

وفى سورة الحشر جاءت لفظة القرى مرتين: الأولى فى قوله – تعالى –:

﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ – الحشر٧» والآية نزلت فى الفىء الذى استولى عليه المسلمون من بنى النضير من غير حرب ولا ضرب وتبين طريقة قسمته التى تخالف قسمة الغنيمة إذ أمر الفىء الى رسول الله يقسمه بعد أن يدخر منه نفقة عام لأهله على ذوى قرباه واليتامى والمساكين وابن السبيل حتى لا يكون المال متداولا بين الأغنياء فقط، وعلى المسلمين أن يرضوا بما أعطاهم الرسول من هدى ومال، وان ينتهوا عما نهاهم عنه، ثم يأمر بتقوى الله لأن الله شديد العقاب.

والثانية فى قوله – تعالى –:

﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(١٦)

والحديث فيها عن اليهود والذين لا يقاتلون المسلمين إلا من وراء الأسوار والحصون لأن جبنهم يحول بينهم وبين مواجهة المسلمين وجها لوجه، فلا يخدعنكم ظاهرهم فهم فى حقيقة الأمر منقسمون متعادون وبأسهم ليس على عدوهم بل على أنفسهم لأنهم قوم لا عقل لهم.

هذا والله أعلم، وإلى اللقاء مع لفظ آخر.

---

(١٤) الشورى «٧».
(١٥) الأحقاف «٢٧».
(١٦) الحشر «١٤».

سر عداوة اليهود لسيدنا جبريل عليه السلام

للدكتور/ محمد وهدان(*)

كشفت سورة البقرة عن عداوة اليهود لسيدنا جبريل -عليه السلام-.. يقول الحق - سبحانه وتعالى -:

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾(1).

ولعلك عندما تتدبر هذه الآيات تتساءل:

● ما سر عداوة اليهود لسيدنا جبريل – عليه السلام–؟

● إن جبريل – عليه السلام– ليس بشرا، يعمل مع اليهود أو ضدهم.. فلماذا يعادونه؟

● إن جبريل– عليه السلام– لا يعمل برأيه ولا بتدبيره، وإنما هو عبد الله ورسوله، يفعل ما يأمره به الحق – سبحانه– فما سر عداء أحفاد القردة والخنازير له؟

● إن جبريل – عليه السلام– خلق من النور.. واليهود من التراب، فلماذا العداوة بينهما، وقد خلقا من عنصرين مختلفين؟

● إن جبريل – عليه السلام– لا علاقة له بأهواء البشر، وإنما ينفذ أوامر الله.. فلماذا يكرهه اليهود؟

● إن جبريل –عليه السلام– لم يقل لهوى فى نفسه: «إنه يكره اليهود» ولكنه يحب من أحبه الله، ويبغض من يبغضه الله.. فلماذا العداء؟

يقول الإمام الحافظ ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية: قال –تعالى– :

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أى: من عادى جبرايل –عليه السلام– فليعلم أنه الروح الأمين، الذى نزل بالذكر الحكيم، على قلبك من الله بإذنه له فى ذلك، فهو رسول من رسل الله، ومن عادى رسولاً فقد عادى جميع الرسل، كما أن من آمن برسول فإنه يلزمه الإيمان بجميع الرسل، وكما أن من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل كما قال –تعالى–:

(*) كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات جامعة الأزهر.

(1) سورة البقرة الآيتان (٩٧ – ٩٨).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾(٢) فحكم عليكم بالكفر المحقق، إذا آمنوا ببعض الرسل، وكفروا ببعضهم.

وكذلك من عادى جبرائيل، فإنه عدو الله، . لأن جبرائيل لا ينزل بالأمر من تلقاء نفسه. وإنما ينزل بأمر ربه، كما قال:

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾(٣).

وقال -تعالى-: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾(٤).

كما روى البخارى فى «صحيحه» عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «من عادى لى وليا فقد بارزنى بالحرب» ولهذا غضب الله لجبريل على من عاداه، فقال -تعالى-:

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أى: من الكتب المتقدمة ﴿ **وهدى وبشرى للمؤمنين** ﴾.

أى: هدى لقلوبهم وبشرى لهم بالجنة وليس ذلك إلا للمؤمنين(٥).

ويمضى ابن كثير فيقول: ثم قال -تعالى-: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ والمعنى أن من عادانى وملائكتى ورسلى «ورسله تشمل رسله من الملائكة والبشر، كما قال -تعالى-:

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾(٦).

«وجبريل وميكال» وهذا من باب عطف الخاص على العام، فإنهما دخلا فى الملائكة فى عموم الرسل، ثم خصا بالذكر، لأن السياق فى الانتظار لجبرائيل وهو السفير بين الله وأنبيائه، وقرن معه ميكائيل فى اللفظ، لأن اليهود زعموا أن جبرائيل عدوهم، وميكائيل وليهم، فأعلمهم الله -تعالى- أن من عادى واحداً منهما فقد عادى الآخر، وعادى الله -أيضا-(٧).

لكن الامام ابن عباس- رضى الله عنهما- يذكر أسباب عداوة اليهود لسيدنا جبريل، فيقول: أقبلت يهود إلى رسول الله - ﷺ- فقالوا: يا أبا القاسم: إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبى، واتبعناك فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قالوا: «الله على ما نقول وكيل».

قال: «هاتوا»-

قالوا: أخبرنا عن علامة النبى؟

قال: «تنام عيناه ولا ينام قلبه».

قالوا: فأخبرنا كيف تؤنث ا لمرأة؟ وكيف تذكر؟

قال: «يلتقى الماءان، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكر، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت».

قالوا: أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه؟

قال: «كان يشتكى عرق النسا، فلم يجد شيئا يلائمه إلا ألبان كذا وكذا».

قال بعضهم: يعنى الإبل، فحرم لحومها.

---

(٢) النساء (١٥٠). (٣) مريم (٦٤). (٤) الشعراء (١٩٢- ١٩٤).

(٥) الحافظ ابن كثير -تفسير القرآن العظيم (١/١٣٢) مطبعة دار إحياء الكتب العربية- القاهرة-

(٦) سورة الحج (٧٥). (٧) تفسير القرآن العظيم (١/١٣٢، ١٣٣).

قالوا: صدقت.

قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد؟

قال: «ملك من ملائكة الله –عز وجل–، موكل بالسحاب بيده، أو فى يده مخراق من نار، يزجر به السحاب، يسوقه حيث أمر الله..».

قالوا: فى هذا الصوت الذى يسمع؟

قال: «صوته».

قالوا: صدقت، إنما بقيت واحدة وهى التى نبايعك إن أخبرتنا بها، فإنه ليس من نبى إلا له ملك يأتيه بالخبر، فأخبرنا من صاحبك؟

قال: «جبريل –عليه السلام–».

قالوا: جبريل.. إذاك، الذى ينزل بالحرب والقتال والعذاب.. عدونا، لو قلت ميكائيل، الذى ينزل بالرحمة، والنبات والقطر لاتبعناك، فأنزل الله –عز وجل– ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾ إلى آخر الآية[8].

وقال ابن جرير الطبرى –رحمه الله– أجمع أهل العلم بالتأويل، أن قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ نزل جواباً لليهود من بنى إسرائيل حين زعموا أن جبريل ـ عليه السلام– عدو لهم، وأن ميكائيل ولى لهم..

ثم اختلفوا فى السبب الذى من أجله قالوا ذلك:

فقال بعضهم: إنما كان السبب من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله –ﷺ– فى أمر نبوته.

وذكر ابن كثير هذه المناظرة فقال:[9]

حضرت عصابة من اليهود إلى رسول الله –ﷺ– فقالوا يا أبا القاسم: حدثنا عن خلال نسألك عنهن، لا يعلمهن إلا نبى فقال رسول الله –ﷺ–: «سلوا عما شئتم، ولكن اجعلوا لى عهد الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئا فعرفتموه أن تبايعونى على الإسلام».

فقالوا: ذلك لك.

فقال –عليه الصلاة والسلام–: «سلونى عما شئتم».

فقالوا: أخبرنا: أى الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوارة؟

وأخبرنا بهذا النبى الأمى فى النوم، ووليه من الملائكة؟

فقال النبى –ﷺ–: عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم أن تتبعونى؟

فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق.

فقال: «ناشدتكم بالذى أنزل التوارة على موسى: هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمة منه، فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه، وكان ذلك لحوم الإبل وألبانها».

فقالوا: اللهم نعم.

فقال –ﷺ–: «اللهم اشهد عليهم».

قال: ناشدتكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى: هل تعلمون أن هذا النبى الأمى تنام عيناه ولا ينام قلبه».

قالوا: اللهم نعم.

---

(٨) رواه الإمام أحمد فى المسند (٢٧٤/١) واسناده صحيح.

(٩) الحافظ ابن كثير– مرجع سابق ص ١٢٩.

قــالوا: أنت الآن.. فـحــدثنا من وليك من المَلائكة.. فعندها نكون معك أو نفارقك.

قــال: إن وليى جـبـريل، ولم يبـعث الله – سبـحانه– نبيا قط إلا وجبـريل– عليـه السلام– وليه؟

قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك.

قال: فما منعكم أن تصدقوه».

قالوا: إنه عدونا.

فأنزل الله – عز وجل– الآية:

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾.

وذكـر بعض العلمـاء: إن المناظرة كـانت بين اليـهـود وبين عـمـر بن الخطاب –رضى الله عنه– فى أمـر النبى – ﷺ – وأورد ابن كـثيـر –رحـمـه الله– فى ذلك روايات كثيرة منها:

قـال الشـعـبى: نزل عـمـر بن الخطاب – رضى الله عنه– الروحاء فرأى رجالا يبتدرون أحجارا، يصلون إليها.

فقال: ما هؤلاء؟

قـالوا: يزعـمـون أن رسـول الله – ﷺ – صلى ها هنا.

قال: نكره ذلك.

وقال: إنما رسول الله –ﷺ – أدركتـه الصلاة فصـلاها ثم ارتحل، فتـركـه– ثم أنشـأ يحدثهم فـقــال: كنت أشـهـد اليـهـود يوم مـدراسـهـم –كنيستهم– فأعجب من التوراة كيف تصدق الفرقان، ومن الفرقان كيف يصدق التوراة، فبينما أنا عندهم ذات يوم.

فقـالوا: يا ابن الخطاب مـا من أصحـابك أحد أحب إلينا منك.

قلت: ولم ذلك؟

قالوا: إنك تغشانا وتأتينا.

قلـت: إنى آتيـكـم فـأعـجـب من الفـرقـان كـيـف يصـدق التـوراة، ومـن التـوراة كـيـف تصدق القرآن.

قـال: ومـر رسـول الله –ﷺ– فـقـالوا: يا ابن الخطاب.. ذاك صاحبكم فالحق به.

قـال: فـقـلـت لهم عند ذلك: نشـدتكم بالله الذى لا إله إلا هو وبما اسـتـرعـاكـم من حـقـه، واستودعكم من كتابه.. أتعلمون أنه رسول الله؟

فقال عالمهم وكبيرهم: إنه قد استحلفكم بالله فأجيبوه.

فقالوا: أنت عالمنا وكبيرنا فأجبه أنت.

قال: أما إذ نشدتـنا بما نشدتنا به، فإنا نعلم أنه رسول الله.

قال: قلت: ويحكم فأنى هلكتم؟

قالوا: إنا لم نهلك.

قلت: وكـيـف ذلك وأنتم تـعلـمـون أنه رسـول الله، ولا تتبعونه ولا تصدقونه؟

قــالوا: إن لنا عــدوا من الملائكة وسلمــا من الملائكة، وإنه قرن بنبوته عدونا من الملائكة.

قال: قلت: ومن عدوكم؟ ومن سلمكم؟

قالوا: عدونا جبريل، وسلمنا ميكائيل.

قال: قلت: وفيم عاديتم جبريل؟ وفيم سالمتم ميكائيل؟

قــالوا: إن جـبــريل ملك الفظاظة، والغلظة، والإعسار، والتشديد، والعذاب، ونحو هذا، وإنما ميكائيل ملك الرأفه، والرحمة، والتخفيف ونحو هذا.

قال: قلت: وما منزلتهما من ربهمـا –سبحانه وتعالى؟

قالوا: أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره.

قال: قلت: هو الذى لا إله إلا هو، إنهما والذى بينهما لعدو لمن عاداهما، وسلم لمن سالمهما، ما ينبغى لجبريل أن يسالم عدو ميكائيل وما ينبغى لميكائيل أن يسالم عدو جبريل.

قال: ثم قمت، فاتبعت النبى - ﷺ - فلحقته وهو خارج لخوخة بنى فلان(طريق ضيق بين بناءين) فقال: يا بن الخطاب: ألا أقرأ عليك آيات نزلن قبل: فقرأ على

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾.

قال: قلت: «بأبى وأمى يا رسول الله، والذى بعثك بالحق لقد جئت وأنا أريد أن أخبرك، فأسمع اللطيف الخبير قد سبقنى إليك بالخبر»[١٠].

وبعد.. فهذه هى أسباب عداوة اليهود، كما رواها القرآن الكريم، وهى تكشف عن حقد أحفاد القردة والخنازير للإسلام، ورسول الإسلام -عليه الصلاة والسلام- وتوضح بما لا يدع مجالا للشك أنهم أساتذة فى الدعاية الكاذبة، وتلفيق التهم بالأبرياء، وافتعال معارك وهمية للفت الأنظار عن القضايا الأصلية.

ولكن ها هو القرآن الكريم يفضح مفترياتهم، ويكشف باطلهم، ويدحض زيفهم وكذبهم، مشيرا إلى أنه لو تخلت الثعالب عن مكرها، والحيات عن لدغها، ما تخلى اليهود أبداً عن عدائهم للإسلام والمسلمين.

لقد زعم أحفاد القردة والخنازير أن جبريل -عليه السلام- عدوهم، لأنه ينزل بالدمار والهلاك والعذاب، وأن هذا هو الذى يمنعهم من الإيمان بسيدنا محمد -ﷺ- من جراء صاحبه سيدنا جبريل -عليه السلام- ولو كان ميكائيل هو الذى ينزل بالوحى لآمنوا برسول الله -ﷺ- لأن ميكائيل - عليه السلام- ينزل بالرخاء والمطر والخصب.

إنها فعلا «الحماقة المضحكة» على حد تعبير سيد قطب رحمه الله[١١].

.. فلماذا يعادون جبريل وهو ليس بشرا يعمل معهم أو ضدهم، ولم يكن يعمل بتصميم من عنده وتدبير؟ إنما هو عبد الله يفعل ما يأمره به الله رب العالمين، فما كان له ولغيره من الملائكة أن يعصى الله طرفة عين:

﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾[١٢].

ثم إن جبريل - عليه السلام- لا ينزل بالدمار بمحض إرادته ولا تبعا لهواه الشخصى، وإنما ينزل بأمر الله، وميكائيل - عليه السلام- لا ينزل بالمطر والخصب بمحض إرادته، وإنما ينفذ أوامر الله -عز وجل-.

ولكنها أخلاق اليهود، الذين يعلمون الحقائق جيداً، وعندما تكون ضد مصالحهم، يلتفون حولها، ويبدأون فى اختلاق القصص الوهمية، وافتعال المعارك الجانبية.. حتى ولو كانت ضد روح القدس -عليه السلام- الذى يعرف اليهود -وغيرهم- أنه لا يعادى إلا من عادى الله، ولا يوالى إلا من والى الله، وليس له من الأمر شئ، إنما الأمر كله لرب واحد هو الله -عز وجل- الواحد.

---

(١٠) ابن كثير (١/١٨٨).

(١١) فى ظلال القرآن- ط ١٣- دار الشروق- القاهرة- (٩٢- ٩٣).

(١٢) سورة الأنبياء (٢٦- ٢٨).

الجدال المذموم

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومى

يورد ابن حزم بعض الآيات التى يتمسك بها المانعون للجدل، ثم يبين المراد بها وأنها خاصة بالجدال المذموم:

١ - فيقول: (واحتجوا فى إبطال الجدال والمناظرة بآيات ذكروها وهى قوله -تعالى-:

﴿ لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب لهم حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضبم ولهم عذاب شديد ﴾[1]

يقول ابن حزم: وهذه الآية مبينة وجه الجدال المذموم، وهو... فيمن يحاج بعد ظهور الحق، وهذه صفة المعاند للحق، الآبى من قبول الحجة بعد ظهورها وهذا مذموم عند كل ذى عقل.

ومنها قوله -تعالى-:

﴿ وقالوا أ آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون ﴾[2]

قال أبو أحمد - ابن حزم -: وإنما ذم الله -تعالى- فى هذه الآية من خاصم وجادل فى الباطل[3].

٢- ويقول فى موضع آخر: (فلما وجدنا الله -تعالى- قد أمر فى الآيات التى ذكرنا بالحجاج والمناظرة ولم يوجب قبول شىء إلا ببرهان وجب علينا تطلب الحجاج المذموم على ما قدمنا فوجدناه قد قال:

﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ ﴾[4] «فذم -تعالى- كما ترى الجدال بغير حجة والجدال فى الباطل[5]. ثم يقسم ابن حزم الجدال المذموم إلى قسمين:

٣- والمذموم وجهان بنص الآيات التى ذكرنا أحدهما من جادل بغير علم،

والثانى من جادل ناصرا للباطل بشغب وتمويه بعد ظهور الحق إليه.

---

(١) الشورى آية ٥، ٦.
(٢) الزخرف آية ٥٨.
(٣) الأحكام لابن حزم ج١/٢٢ ، ٢٣.
(٤) الكهف آية ٥٦.
(٥) الأحكام لابن حزم ج١/٢٧.

وفى هذا بيان أن الحق فى واحد وأنه لا شىء إلا ما قامت عليه حجة العقل وهؤلاء المذمومون هم الذين قال الله - تعالى - فيهم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾[٦] وقوله -تعالى-: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾[٧] ... وغير ذلك من الآيات.

فبين -تعالى- كما ترى- أن الجدال المحرم هو الجدال الذى يجادل به لينصر الباطل ويبطل الحق بغير علم.[٣]

ثانياً: «قانون الغزالى»

وأقول: بين المعقول والمنقول تصادم فى أول النظر وظاهر الفكر، والخائضون فيه تحزبوا إلى «مفرط» بتجريد النظر إلى «المنقول»، وإلى «مفرط» بتجريد النظر إلى المعقول، وإلى «متوسط» طمع فى الجمع والتلفيق.

والمتوسطون انقسموا إلى من جعل «المعقول» أصلا و«المنقول» تابعا، فلم تشتد عنايتهم بالبحث عنه، وإلى من جعل المنقول أصلا، والمعقول تابعاً، فلم تشتد عنايتهم بالبحث عنه، وإلى من جعل كل واحد أصلا ويسعى فى التأليف والتوفيق بينهما فهم إذن خمس فرق.

الفرقة الأولى:

«هم الذين جردوا النظر إلى المنقول»، وهم الواقفون على المنزل الأول من منازل الطريق، القانعون بما سبق إلى أفهامهم من ظاهر المسموع، فهؤلاء صدقوا بما جاء به النقل تفصيلا وتأصيلا، وإذا شوفهوا بإظهار تناقض فى ظاهر المنقول، وكلفوا تأويلا امتنعوا وقالوا: إن الله قادر على كل شىء. فإذا قيل لهم -مثلا- كيف يرى شخص للشيطان فى حالة واحدة فى مكانين، وعلى صورتين مختلفتين؟ قالوا: إن ذلك ليس عجبا فى قدرة الله، فإن الله قادر على كل شىء. وربما لم يتحاشوا أن يقولوا: إن كون الشخص الواحد فى مكانين فى حالة واحدة مقدور لله -تعالى-.

والفرقة الثانية:

تباعدوا عن هؤلاء إلى الطرف الأقصى المقابل لهم، و«جردوا النظر إلى المعقول». ولم يكترثوا بالنقل، فإن سمعوا فى الشرع ما يوافقهم قبلوه، وإن سمعوا ما يخالف عقولهم زعموا أن ذلك صورة الأنبياء، وأنه يجب عليهم النزول إلى حد العوام، وربما يحتاج أن يذكر الشىء على خلاف ما هو عليه. فكل ما لم يوافق عقولهم حملوه على هذا المحمل، فهؤلاء غلوا فى المعقول حتى كفروا، إذ نسبوا الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- إلى الكذب لأجل المصلحة.

ولا خلاف بين الأمة أن من جوز ذلك على الأنبياء -صلوات الله عليهم- يجب حز رقبته، وأما الأولون فإنهم قصروا طلبا للسلامة من خطر التأويل والبحث فنزلوا بساحة الجهل، واطمأنوا بها، إلا أن حال هؤلاء أقرب من حال أولئك. فإن تخلص هؤلاء عن المضايق بقولهم: إن الله على كل شىء قدير، ونحن لا نقف على كنه عجائب أمر الله، ومخلص أولئك بأن قالوا: إن النبى إنما ذكر ما ذكر على

---

(٦) غافر آية ٦٩.

(٧) الحج آية ٣.

(٨) الأحكام لابن حزم ٢٨/١.

خلاف ما علمه للمصلحة، ولا يخفى ما بين المخلصين من الفرق فى الخطر والسلامة.

والفرقة الثالثة:

جعلوا «المعقول أصلا» فطال بحثهم عنه، وضعفت عنايتهم بالمنقول فلم تجتمع عندهم الظواهر المتعارضة المتصادمة فى بادىء الرأى، وأول الفكر المخالفة للمعقول، فلم يقعوا فى غمرة الإشكال، لكن ما سمعوه من الظواهر المخالفة للمعقول جحدوه، وأنكروه، وكذبوا روايته، إلا ما يتوافر عندهم كالقرآن، أو ما قرب تأويله من ألفاظ الحديث، وما شق عليهم تأويله جحدوه حذرا من الإبعاد فى التأويل. فرأوا التوقف عن القبول أولى من الإبعاد فى التأويل. ولا يخفى ما فى هذا الرأى من الخطر فى رد الأحاديث الصحيحة المنقولة عن الثقات الذين بهم وصل الشرع إلينا.

والفرقة الرابعة:

جعلوا «المنقول أصلا» وطالت ممارستهم له فاجتمع عندهم الظواهر الكثيرة وتطرفوا من المعقول ولم يغوصوا فيه، فظهر لهم التصادم بين المنقول والظواهر فى بعض أطراف المعقولات، ولكن لما لم يكثر خوضهم فى المعقول، ولم يغوصوا فيه، لم يتبين عندهم المحالات العقلية، لأن المحالات بعضها يدرك بدقيق النظر وطويله الذى ينبنى على مقدمات كثيرة متوالية ثم انضاف إليه أمر آخر وهو: إن كل ما لم يعلم استحالته حكموا بإمكانه، ولم يعلموا أن الأقسام ثلاثة:

قسم علم استحالته بالدليل.

قسم علم إمكانه بالدليل.

وقسم لم يعلم استحالته ولا إمكانه، وهذا القسم الثالث جرت عادتهم بالحكم بإمكانه، إذ لم يظهر لهم استحالته، وهذا خطأ كمن يحكم باستحالته إذا لم يظهر إمكانه، بل من الأقسام ما لم يعلم إمكانه ولا استحالته، إما لأنه موقف العقل، وليس فى القوة البشرية الإحاطة به، وإما لقصور هذا الناظر خاصة، وعدم عثوره على دليله بنفسه وفقده لمن ينبهه عليه.

ومثال الأول:

من حس البصر قصور الحس البصرى عن أن يعرف عدد الكواكب أنه زوج أو فرد، وأن يدرك عظم الكواكب مع بعدها على ما هى عليه.

ومثال الثانى:

وهو القصور الخاص. قصور حس بعض الناس عن أن يدرك منازل القمر، وظهور أربع عشرة منها فى كل حالة، وخفاء أربع عشرة مقابل درج المنازل فى الغروب والشروق وغير ذلك مما وقف عليه بعض الناس بحس البصر دون بعض، كذلك يتطرق إلى إدراك العقل مثل هذا النوع من التفاوت.

وهؤلاء لما قل خوضهم فى المعقولات لم يكثر عندهم المحالات فكفوا مؤنة عظيمة فى أكثر التأويلات إذ لم ينتبهوا للحاجة إلى التأويل كالذى لم يظهر له أن كون الله بجهة محال إذا استغنى عن تأويل «الفوق» و«الاستواء» وكل ما يشير إلى الجهة.

والفرقة الخامسة:

هى الفرقة المتوسطة الجامعة بين البحث عن المعقول والمنقول، الجاعلة كل واحد منهما أصلا

مـهـمـا، المنكرة لتعـارض العـقل والشـرع وكـونه حقـا، ومن كـذب العـقل فـقـد كـذب الشـرع، إذ بالعـقل عـرف صـدق الشـرع، ولولا صـدق دليل العقل لما عرفنا الفرق بين النبى والمتنبى، والصادق والكاذب، وكـيـف يكـذب العـقل بالشـرع، ومـا ثبت الشرع إلا بالعقل.

وهؤلاء هم الفرقة المحقة، وقد نهجوا منهجا قويما، إلا أنهم ارتقوا مرتقى صعباً، وطلبوا مطلبا عظيما، وسلكوا سبيلا شاقا. فلقد تشوقوا إلى مطمع مـا أعصاه، وانتـهـجـوا مسلكا مـا أوعره، ولعـمرى إن ذلك سـهل يـسـيـر فى بعض الأمـور، ولكن شاق عسير فى الأكثر[٩].

ضوابط الجدل فى العلاقة بين الدين والعقل وقانون التأويل عند ابن رشد

١- يرى ابن رشـد أن الشـريعـة توجب التفلسف كما توجب استعمال البرهان المنطقى لمعرفة الله وموجوداته وساق لهذا وذاك دليلا من القرآن وهو قوله تعالى:

﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[١٠] مبينا أن الاعتبار هنا ليس إلا استنباط المجهول من المعلوم وهو القياس الفلسفى أو المنطقى المعروف»[١١]

ويلاحظ أن صاحب كتاب (الدين والفلسفة) لا يوافق ابن رشد على المعنى الذى ذكره للاعتبار لسياق الآية، وإن كـان يرى أن هناك العديـد من الآيـات تحث على اسـتـعـمـال العـقل والنظر فى الموجـودات: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾[١٢]،[١٣].

٢- وإذا كـان الشـرع يوجب النظر الفلسـفى فمن الواجب أن نلتمس تأويل مالا يتفق معه فى النصوص على أن يتفق هذا التأويل وقواعد اللغة العـربيـة وذلك لأن من المقطوع به -كـمـا يقـول فيلسوفنا-: إن كل ما أدى إليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع، أن هذا الظاهر يقبل التأويل حتى لا يصطدم الشرع والعقل: كـمـا أنه من الجائز ان يؤدى البـرهان إلى نتائج تتفق وظواهر النصوص التى أجـمـع المسلمـون على تأويلهـا، أو تتـفق والمعانى الخفية الباطنة التى أجمعوا على أخذها حسب ظواهرها، وبعبارة أخرى يجوز أن يؤدى البرهان إلى مخالفة الإجماع فى الأمور النظرية ما دام الإجماع لا يمكن أن يتحقق بيقين من العلماء فى عصر من العصور»[١٤]. [١٥]

٣- ومـا دامت الشـريعـة توجب التـفلسف ومـا دام التأويل أمراً لا بد منه لبعض النصوص (فإن ابن رشد رأى ألا يترك الأمر فوضى فيؤول من يشـاء مـا يريد من النصـوص ويذيع من

---

(٩) قانون التأويل للإمام الغزالى من ص٤٢ - ٤٨. ت الشيخ محمد زاهر الكوثرى ط- الأزهر.

(١٠) الحشر آية ٢.

(١١) فصل المقال لابن رشد ص٢ نقلاً عن الدين والفلسفة. د/ محمد يوسف موسى.

(١٢) يونس آية ١٠١.

(١٣) الدين والفلسفة د/ محمد يوسف موسى ص٩١ بتصرف.

(١٤) المصدر السابق ص٩٢.

(١٥) فصل المقال لابن رشد ص٧ - ٩.

التأويل ما يريد ولمن يريد؛ بل جعل لذلك قانونا وقواعد يسترشد بها الباحث وتحفظ الإخاء بين الحكمة والشريعة)(١٦)

قانون التأويل عند ابن رشد

ويتلخص هذا القانون فى أن المعانى الموجودة فى الشرع خمسة أصناف:

١- أن يكون المعنى الظاهر من النص هو المراد حقيقة فى نفس الأمر، وهذا الصنف لا يجوز تأويله مطلقا، بل يجب أخذه حسب ظاهره للناس جميعا.

٢- أن يكون المعنى الظاهر للنص ليس مراداً، بل هو مثال ورمز للمعنى المقصود حقيقة، ولكنه لا يعلم أنه مثال، ولا لماذا اختير بذاته ليكون مثالا ورمزا لذاك المعنى الخفى، إلا بقياسات بعيدة مركبة لا يوصل إليها إلا بتعلم طويل، وعلوم جمة لا يقدر عليها إلا الخاصة من الناس، وهذا الصنف لا يجوز أن يؤوله إلا الراسخون فى العلم، وليس لأحدهم التصريح به لسواهم.

٣- أن يكون المعنى الظاهر مثالا ورمزا أيضا لمعنى خفى، ولكن من اليسير أن يفهم أنه مثال، ولماذا هو بذاته مثال، وهذا الصنف ليس لأحد الأخذ بظاهره بل لا بد من تأويله والتصريح بهذا التأويل للجميع.

٤- أن يكون المعنى الظاهر مثلا، ولكن يعرف بنفسه أو بعلم قريب أنه مثال، وبعلم بعيد لا تقدر عليه العامة ومن فى حكمهم لماذا هو بنفسه مثال؟ وذلك مثل قوله -ﷺ-: «الحجر الأسود يمين الله فى الأرض»(١٧) وهذا الصنف تأويله خاص بالعلماء ويؤولونه لأنفسهم خاصة.

ويقال للآخرين الذين شعروا أنه مثال ولكن ليس من أهل العلم الذين يعرفون لماذا هو مثال بأنه من المتشابه الذى يجب عدم البحث عنه إلا للعلماء الراسخين أو ينقل لهم التمثيل لما هو أقرب إلى معارفهم ومداركهم كما يرى الغزالى فى كتابه «التفرقة بين الإسلام والزندقة».

وأخيراً أن يكون المعنى الظاهر مثالا ورمزاً لآخر خفى، ولكن لا يتبين أنه مثال إلا بعلم بعيد، ومتى عرف أنه مثال يتبين بعلم قريب لماذا اختير بذاته ليكون مثالا، وهذا القسم من الممكن أن تقول بأن الأحفظ للشرع ألاّ يتعرض لتأويله، بل الأولى لغير العلماء أن نبطل الأمور التى من أجلها ظنوا أن المعنى الظاهر من النص هو مثال لآخر خفى هو المراد منه، ولنا كذلك أن نقول بجواز التأويل لهؤلاء -أيضا- وذلك لقوة الشبه بين المعنى الخفى المراد وبين ما ضرب رمزا ومثالا له.(١٨)

(يتبع)

---

(١٦) الدين والفلسفة د/ محمد يوسف موسى ص٩٧.

(١٧) الحديث - أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ٣٢٨/٦. وقال ابن الجوزى فى العلل المتناهية ٨٥/٢: هذا حديث لا يصح؛ لأن فى سنده إسحاق بن بشر كذبه ابن أبى شيبة وقال الدار قطنى هو فى عداد من يضع الحديث.

(١٨) الدين والفلسفة نقلاً عن مناهج الأدلة ص١٢٦ - ١٢٧.

الصغائر الكبائر

للأستاذ / محمد إبراهيم العشماوى(*)

حقوق الله على العباد ما أكثرها، وما أعجزهم عن الوفاء بها، ومن حقه -تعالى- عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأن يطيعوه، ويشكروه فلا يكفروا به، ويذكروه فلا ينسوه. فهو الذى أوجد وأمد، وهدى وأرشد، وأسدى وأنعم، ووفق وألهم، وأمر بالتقوى، فأعان وقوى، ويسر وسهل، وأعطى فأجزل، وحمد وشكر. وستر وغفر:

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾(١).

ومن ظلم الإنسان وجهله أن يقابل إحسان الله إليه بالإساءة، ونعمته عليه بالكفر، وذكره له بالنسيان:

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾(٢).

ولا أحد أحق بالطاعة المطلقة -لسابق إفضاله، ومزيد إنعامه، فضلاً عن استحقاقه الذاتى من رب العباد -تعالى وتقدس- فيما أمر به، ونهى عنه، إذ قامت الشواهد والأدلة على أنه لا يأمر بشىء، ولا ينهى عن شىء إلا لحكمة تنطوى على مصالح العباد، فهو أحق أن يطاع لذلك، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟!

على أنه -تعالى- لو لم يأمر الخلق بطاعته، ويحذرهم من مخالفته، بما أرسل إليهم من رسل، وأنزل عليهم من كتب؛ لكانت دلائل العقول، وشواهد الأحوال، تدل على ذلك، وترشد إليه.

وإذا أيقن العبد بهذا علم أن كل مخالفة لله، فى أمر أو نهى؛ معصية كبيرة، وذنب عظيم -بالنسبة لجلال ألوهيته، وعظيم مقام ربوبيته- وإن صغر فى عينى فاعله ورائيه، حتى قال بعض المحققين: «لا صغيرة، والذنوب كلها كبائر» نظراً لهذا المعنى.

ولا شىء أخطر على العبد، ولا أضر له فى الدنيا والآخرة من تلك المخالفة، فهى سبب كل ضر، ومفتاح كل شر.

(*) الكاتب معيد بكلية أصول الدين بطنطا.

(١) سورة إبراهيم الآية ٣٤.

(٢) سورة الأحزاب ٧٢.

أقسام الذنوب

والحق: أن الذنوب -بعد التسليم بهذا المعنى، الذى قاله المحققون- تنقسم بحسب تفاوتها فى القبح والضرر، والجزاء المترتب عليها، إلى صغائر وكبائر.

وقد اختلف السلف فى هذا، فذهب الجمهور إلى أن من الذنوب كبائر ومنها صغائر، وشذت طائفة منهم الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني فقال: ليس من الذنوب صغيرة، بل كل ما نهى الله عنه كبيرة، ونقل ذلك عن ابن عباس، وحكاه القاضى عياض عن المحققين[٣]، واحتجوا: بأن كل مخالفة لله فهى معصية -بالنسبة إلى جلاله- كبيرة، ونسبه ابن بطال إلى الأشعرية.

قال ابن فورك: معاصى الله -تعالى- كلها عندنا كبائر، وإنما يقال لبعضها صغيرة وكبيرة بالإضافة؛ وقال القاضى عبدالوهاب المالكى: لا يمكن أن يقال فى معصية: إنها صغيرة، إلا على معنى أنها تصغر عند اجتناب الكبائر.

قال العلامة ابن حجر العسقلانى: قد حقق إمام الحرمين ما نقل عن الأشاعرة، واختاره، وبين أنه لا يخالف ما قال الجمهور، فقال فى «الإرشاد»: المرض عندنا أن كل ذنب يعصى الله به كبيرة، فرب شيء يعد صغيرة بالإضافة إلى الأقران، ولو كان فى حق الملك لكان كبيرة. والرب أعظم من عصى، فكل ذنب بالإضافة إلى مخالفته عظيم، ولكن الذنوب -وإن عظمت- فهى متفاوتة فى رتبها.

وظن بعض الناس أن الخلاف لفظى، فقال: التحقيق أن للكبيرة اعتبارين: فبالنسبة إلى مقايسة بعضها لبعض فهى تختلف قطعاً. وبالنسبة إلى الآمر الناهى فكلها كبائر[٤].

قال الإمام الآلوسي: والحق أنه لا خلاف بين الفريقين فى المعنى، وإنما الخلاف فى التسمية والإطلاق لإجماع الكل على أن من المعاصى ما يقدح فى العدالة، ومنها ما لا يقدح فيها، وإنما القائلون بأن المعاصى كلها كبائر فروا من التسمية، فكرهوا تسمية معصية الله صغيرة نظراً إلى عظمة الله - تعالى - وشدة عقابه، وإجلالاً له -عز وجل- عن تسمية معصيته صغيرة، لأنها إلى باهر عظمته -تعالى- كبيرة، وأى كبيرة!! ولم ينظر الجمهور إلى ذلك -لأنه معلوم- بل قسموها إلى قسمين كما تقتضيه صرائح الآيات والأخبار، ولذلك قال حجة الإسلام الغزالى: لا يليق إنكار الفرق بين الصغائر والكبائر، وقد عرفتا من مدارك الشرع؛ نعم قد يقال لذنب واحد كبير وصغير باعتبارين لأن الذنوب تتفاوت فى ذلك باعتبار الأشخاص والأحوال، ومن هنا قال الشاعر:

لا يحقر الرجل الرفيع دقيقة
فى السهو فيها للوضيع معاذر
فكبائر الرجل الصغير صغائر
وصغائر الرجل الكبير كبائر

وإلى هذا المعنى أشار ابن الفارض فى تائيته بقوله:

---

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (بتحقيق د.يحيى إسماعيل) (٣٥٥/١) ط دار الوفاء).

(٤) انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد (ص٣٩١) (ط السعادة، ونشر الخانجى)، وفتح البارى (٤٢٣/١٠) (ط دار الريان للتراث).

ولو خطرت لى فى ســــواك إرادة

على خاطرى -سهواً- حكمت بردتى

وأشار إلى التفاوت من قال: حسنات الأبرار سيئات المقربين(٥). وإليه الإشارة أيضاً بقول الصحابة -رضى الله عنهم-: إنكم لتعملون أعمالاً هى فى أعينكم أدق من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله من الكبائر(**).

وقال الإمام الطيبى: الصغيرة والكبيرة أمران نسبيان فلا بد من أمر يضافان إليه، وهو أحد ثلاثة أشياء: الطاعة، أو المعصية، أو الثواب.

فأما الطاعة فكل ما تكفره الصلاة مثلاً فهو من الصغائر، وكل ما يكفره الإسلام أو الهجرة فهو من الكبائر، وأما المعصية فكل معصية يستحق فاعلها بسببها وعيداً أو عقاباً أزيد من الوعيد أو العقاب المستحق بسبب معصية أخرى فهى كبيرة، وأما الثواب ففاعل المعصية إذا كان من المقربين فالصغيرة بالنسبة إليه كبيرة، وقد وقعت المعاتبة فى حق بعض الأنبياء على أمور لم تعد من غيرهم معصية. أ.هـ(٦).

والحق هو انقسام الذنوب إلى صغائر وكبائر، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وجمهور العلماء خلافاً للمرجئة حيث ذهبوا إلى أنها كلها صغائر ولا تضر مرتكبها ما دام على الإسلام، ولذلك قال شاعرهم:

مت مسلماً ومن الذنوب فلا تخف

حاشا المهيمن أن يرى تنكيدا

لورام أن يصليك نار جهنم

ما كان ألهم قلبك التوحيدا

وخلافاً للخوارج حيث ذهبوا إلى أنها كلها كبائر، وأن كل كبيرة كفر، وخلافاً لمن ذهب إلى أنها كلها كبائر نظراً لعظمة من عصى بها، ولكن لا يكفر مرتكبها إلا بما هو كفر منها؛ كسجود لصنم، ورمى مصحف فى قاذورة ونحو ذلك(٧).

وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على القول الأول، وأن الذنوب منها الصغائر ومنها الكبائر. فمن القرآن قول الله -تعالى-:

﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم** ﴾(*)، يعنى: الصغائر(٨). ودل مفهوم قوله: «كبائر ما تنهون عنه» على أن هناك صغائر ينهى عنها بطريق المفهوم المخالف.

ومن القرآن - أيضاً - قول الله -تعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾(*).

---

(٥) انظر: روح المعانى (١٧/٣) (ط.دار الفكر). وأصل الكلام مبسوط فى" الزواجر عن اقتراف الكبائر: لابن حجر الهيتمى (١/٧ ـ ١٨) (ط.دار الكتب العلمية) وعنه نقل الآلوسى مختصراً وزاد عليه.

** أخرجه البخارى فى الرقاق ٦٤٩٢ من حديث سيدنا أنس - رضى الله عنه -.

(٦) شرح الطيبى على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن) (٥٠٢/٢) (ط.نزار مصطفى الباز ـ مكة المكرمة).

(٧) شرح البيجورى على جوهرة التوحيد (تحفة المريد) (ص١٩٥) (ط.دار الكتب العلمية).

(*) سورة النجم ٣٢.

(٨) تفسير السيئات بالصغائر مروى عن السدى، رواه عنه ابن أبى حاتم (٢٣٤/٣) (ط.نزار ـ مكة) وابن جرير (٢٥٤/٨) ط دارالمعارف..

(٩) تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) (١٠٥/١٧) (ط. دار الحديث).

قال القرطبى هى الصغائر التى لا يسلم من الوقوع فيها إلا من عصمه الله وحفظه[9]. وفى الصحاح: ألم الرجل: من اللمم، هو صغائر الذنوب، ويقال: هو مقاربة المعصية من غير مواقعة[10]. وقد اختلفوا فى تأويل معناه فقيل: النظرة والغمزة والقبلة والضمة والشمة والمباشرة، وقيل: الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب منها، ويقال: اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود، واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود، وقيل: هو ما دون الجماع، وقيل: ما دون الشرك، وقيل: اللمم: كل شىء بين الحدين، حد الدنيا والآخرة يكفره الصلاة، فأما حد الدنيا فكل ما فرض الله عقوبته فى الدنيا، وأما حد الآخرة فكل شىء ختمه الله بالنار، وأخر عقوبته إلى الآخرة[11].

وقد دلت الأحاديث النبوية -أيضاً- على أن الذنوب: صغائر وكبائر، فمنها قوله -ﷺ-: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[12]. فقد أفاد هذا الحديث أن الصلاة تكفر ما دون الكبائر، يعنى الصغائر.

ومنها أيضاً قوله -صلوات الله وسلامه عليه-: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور»[13]. فقد دل هذا الحديث على أن الكبائر تتفاوت فيما بينها فى القبح والفحش، فمنها ما هو أكبر، ومنها ما هو أصغر، ودل مفهوم الكبائر على أن هناك صغائر وهى أيضاً متفاوتة المراتب. وقال ابن حجر فى شرح الحديث: ويؤخذ منه ثبوت الصغائر لأن الكبيرة بالنسبة إليها أكبر منها، والاختلاف فى ثبوت الصغائر مشهور.... وقد فهم الفرق بين الصغيرة والكبيرة من مدارك الشرع[14].

ضابط الصغيرة والكبيرة

للناس فى بيان حقيقة الصغيرة والكبيرة اختلاف كبير، ومرجعه: أن الكبيرة ما عظم أمره عند الله، والصغيره ما خف أمره عند الله. قال الإمام ابن عجيبة: الصغيرة هى الجريمة التى لا وعيد عليها من القرآن ولا من الحديث، والكبيرة هى التى توعد عليها بالعذاب أو الحد فى القرآن أو فى السنة، وقيل غير ذلك، هذا كله بالنظر لظاهر الأمر، فأما باعتبار ما عند الله من أمر غيبه فقد يبرز خلاف ما يظن. قال -تعالى-:

﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾(*).

فمن سبقت له العناية لا تضره الجناية،

﴿ فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾(*).

فإذا قابلك الحق -سبحانه وتعالى- بعدله وجلاله لم يبق لك صغيرة، وعادت صغائرك كبائر، وإذا واجهك الحق بفضله وكرمه وإحسانه وجماله لم يبق لك كبيرة، وعادت كبائرك صغائر. قال فى الحكم: لا صغيرة إذا واجهك عدله، ولا كبيرة إذا واجهك فضله[15]. قال

---

(١٠) الصحاح للجوهرى (١٤٩٧/٢) (ط. دار الفكر).

(١١) تمت أقوال أخرى فى معنى اللمم أنظر فى: القرطبى (بتحقيق د.الحفناوى، د.محمود عثمان) (١٠٥/١٧)، البحر المحيط (١٦٢/٨) (ط. دار الكتب العلمية)، والدر المنثور (١٦٥/٦) (ط. دار الكتب العلمية)، زاد المسير ٢٨١/٧ (ط. دار الكتب العلمية)، فتح القدير ١١٥/٥ (ط. عالم المعرفة).

(١٢) أخرجه مسلم فى الطهارة ٢٠٩/١ رقم ١٦ (ط. عبدالباقى).

(١٣) أخرجه البخارى فى الشهادات ٢٦٥٣ وفى الأدب ٥٩٧٦ وفى الاستئذان ٦٢٧٣، ومسلم فى الإيمان ٩١/١ رقم ١٤٣، ١٤٤.

(١٤) فتح البارى ٣١٢/٥. (*) سورة الزمر ٤٧. (*) سورة الفرقان ٧٠.

(١٥) إيقاظ الهمم فى شرح الحكم (ص ١٠٨، ١٠٩) (ط.الحلبى).

الشيخ زروق: فانظر لعدله وفضله لا لذنوبك وعيوبك سواء كانت صغائر أو كبائر، وقد قال يحيى بن معاذ: إن أنا لهم فضله لم يبق لهم سيئة، وإن أقام عليهم عدله لم يبق لهم حسنة، ومما أوحى الله إلى بعض أنبيائه: قل لعبادى الصديقين: لا يغتروا، فإنى إن أقم عليهم عدلى وقسطى أعذبهم غير ظالم لهم، وقل لعبادى المذنبين: لا يقطنوا، فإنى لا يتعاظمنى ذنب أغفره لهم[١٦].

وما أبدع ما صور الإمام البوصيرى هذا المعنى إذ يقول:

يا نفس لا تقنطى من زلة عظمت

إن الكبائر فى الغفران كاللمم

لعل رحمة ربى حين يقسمها

تأتى على حسب العصيان فى القسم

وللعلماء فى ضبط الكبيرة طريقتان. الأولى: ضبطها بالحد (التعريف)، والثانية: ضبطها بالعد، فأما ضبطها بالحد فقد اختلفوا فيه على أقوال كثيرة أقربها إلى الصواب قول من قال: هى كل ذنب قرن به وعيد أو حد أو لعن بنص كتاب أو سنة، أو علم أن مفسدته كمفسدة ما قرن به وعيد أوحد أو لعن، أو أكثر مفسدته، أو أشعر بتهاون مرتكبه فى دينه إشعار أصغر الكبائر المنصوص عليها بذلك، وقريب منه قول من قال: الكبيرة كل ذنب عظم عظما يصح أن يطلق عليه اسم الكبيرة، ويوصف بكونه عظيماً على الإطلاق، ولها أمارات، منها: إيجاب الحد، والإيعاد عليه بالعذاب بالنار، ونحوها فى الكتاب والسنة، ومنها: وصف فاعلها بالفسق، ومنها: اللعن أ.هـ.

وأنكر بعضهم تعريفها بالحد. قال الواحدى: الصحيح أن الكبيرة ليس لها حد يعرفها العباد به، وإلا لاقتحم الناس الصغائر واستباحوها، ولكن الله أخفى ذلك عن العباد ليجتهدوا فى اجتناب المنهى رجاء أن تجتنب الكبائر، ونظير ذلك إخفاء الصلاة الوسطى، وليلة القدر، وساعة الإجابة[١٧].

وأما ضبطها بالعد فقد اختلفوا فيه أيضاً على أقوال كثيرة، وأقصى ما قيل فيها إنها سبعمائة. والصحيح أنها غير محصورة فى عدد، بل كل ما صدق عليه حد الكبيرة الذى سبق ذكره فهو داخل فيها، وقد حصرها الإمام أبو طالب المكى[١٨] فى سبع عشرة كبيرة جمعها من جملة الأخبار، وقسمها تقسيماً حسناً، فخص القلب بأنواع، وسائر الجوارح بأنواع، وقد استحسنه الإمام الغزالى لكن عقب عليه بقوله: هو قريب، ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء إذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه[١٩].

ما تكبر به الصغائر

حقيقة التقوى هى التوقى من كل ما نهى الله عنه صغيراً كان أو كبيراً على نحو ما قال القائل:

خل الذنوب صغيرها

وكبيرها فهو التقى

واصنع كماش فوق أر

ض الشوك يحذر ما يرى

(١٦) شرح الشيخ زروق على الحكم العطائية (بتحقيق: شيخ الإسلام د.عبدالحليم محمود، د.محمود بن الشريف) ص ٩٤، ٩٥) (ط.الشعب).

(١٧) انظر: الزواجر (١/٧-١٨)، روح المعانى (١٧/٣)، الدر المنثور (٢/٢٦٠) ، كمال المعلم للقاضى عياض (١/٣٥٤)، شرح الإمام النووى على صحيح الإمام مسلم (٢/٨٤، ٨٥) (ط. الفكر).

(١٨) قوت القلوب له (٢/١٤٧) (نشر مكتبة المتنبى).

(١٩) إحياء علوم الدين (٤/٢٦) (ط.دار الفجر).

لا تحقرن صغيرة

إن الجبال من الحصى

غير أن كثيراً من الناس قد يتهاون فى أمور يراها صغيرة، ويرى أنه ما دام مجتنباً للكبائر التى توجب الحد فى الدنيا والوعيد فى الآخرة فهو على رجاء الخير، وقد يكون فى هذا مصيباً لا سيما والآية صريحة فى أن اجتناب الكبائر مكفر للصغائر (مع المحافظة على فرائض الدين قطعاً) غير أنه غفل عن عدة أمور نود أن ننبهه إليها.

الأول: أن الشيء قد يحسبه الإنسان هيناً وهو عند الله عظيم، وما دام لا سبيل له إلى الاطلاع على العلم الإلهى فالأولى ترك الكل.

الثانى: المعنى الذى قدمناه من أن كل معصية لله -وإن صغرت- فهى كبيرة بالإضافة إلى باهر عظمته.

الثالث: أن الصغائر كثيراً ما جرت فاعلها إلى ركوب الكبائر، وقلما يتصور الهجوم على الكبيرة بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر، فقلما يزنى الزانى بغتة من غير مراودة، ومقدمات، وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة، فكل كبيرة تكتنفها صغائر سابقة ولاحقة، ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق إليها عودة ربما كان العفو فيها أرجى وأقرب من صغيرة واظب الإنسان عليها طول عمره، ومن هنا قال العلماء: إن الصغائر تتحول إلى كبائر عن طريق عدة أمور[٢٠].

* منها: الإصرار والمواظبة عليها، ولذلك قيل: «لاصغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار»[٢١] فكبيرة واحدة تنقضى ولا يتبعها مثلها -لو فرض ذلك- يكون العفو عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها، ومثال ذلك: قطرات من الماء تقع على الحجر -على توال- فتؤثر فيه، وذلك القدر من الماء المتقاطر لوصب عليه دفعة واحدة لم يؤثر، والقليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره فى إظلام القلب.

* ومنها: أن يستصغر الذنب، فإن الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله -تعالى- وكلما استصغره عظم، لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له، وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به، واستصغاره يصدر عن الإلف به، وذلك يوجب شدة الأثر فى القلب، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات، والمحذور تسويده بالسيئات، وقد جاء فى الخبر: «المؤمن يرى ذنوبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فأطاره»[٢٢]. وقال بعضهم: الذنب الذى لا يغفر قول العبد: ليت كل ذنب عملته مثل هذا.،وإنما يعظم الذنب فى قلب المؤمن لعلمه بجلال الله، فإذا نظر إلى عظم من عصى رأى الصغيرة كبيرة، قد قيل: لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها، ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها، وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل، ويتجاوز عن العامى فى أمور لا يتجاوز فى أمثالها عن

---

(٢٠) أفدنا فى ذكر هذه الأمور من كلام الإمام الغزالى (حجة الإسلام) وانظره فى الإحياء، كتاب التوبة من ربع المنجيات.

(٢١) رواه أبو الشيخ والديلمى عن ابن عباس مرفوعاً، وكذا العسكرى عنه فى الأمثال بسند ضعيف، ورواه ابن المنذر والبيهقى عنه موقوفا، وله شاهد عند البغوى، ورواه الديلمى عن أنس مرفوعاً، وأخرجه الطبرانى والثعلبى وابن شاهين فى الترغيب عن أبى هريرة، وانظر: كشف الخفا للعجلونى (٣٦٤/٢) (ط.الكتب العلمية).

(٢٢) أخرجه البخارى فى الدعوات (٦٣٠٨).

العارف، لأن الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف.

*ومنها: أن يأتى الذنب ويظهره بأن يذكره بعد أتيانه، أو يأتيه فى مشهد غيره، فإن ذلك جناية منه على ستر الله الذى سدله عليه، وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه ذنبه أو أشهده فعله، فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته فغلظت به، فإن انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الأسباب له، صارت جناية رابعة وتفاحش الأمر، وفى الخبر: «كل أمتى معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه»[٢٣] وهذا لأن من صفات الله ونعمه أن يظهر الجميل، ويستر القبيح، ولا يهتك الستر، فالإظهار كفران لهذه النعمة، وقال بعضهم: لا تذنب، فإن كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين. ولذلك قال الله – تعالى–:

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾(*).

وقال بعض السلف: ما انتهك المرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية ثم يهونها عليه.

* ومنها: السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها، واعتبار التمكن من ذلك نعمة، والغفلة عن كونه سبب الشقاوة، فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت وعظم أمرها فى تسويد قلبه حتى إن من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بفعله كما يقول: أما رأيتنى كيف مزقت عرض فلان؟! ويقول المناظر فى مناظرته: أما رأيتنى كيف فضحته؟ وكيف ذكرت مساوئه حتى أخجلته؟ وكيف استخففت به؟ وكيف لبست عليه؟ ويقول المعامل فى التجارة: أما رأيت كيف روجت عليه الزائف؟ وكيف خدعته؟ وكيف غبنته فى ماله؟ وكيف استحمقته؟

* ومنها: أن يكون المذنب عالماً يقتدى به، فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه، كلبس العالم الحرير، وتختمه بالذهب، وأخذه مال الشبهة، وتركه إنكار المنكر، واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه إلا الجاه، فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيراً فى العالم آمادا متطاولة، فطوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه، وفى الخبر: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً»[٢٤] وقال –تعالى–:

﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾(*). والآثار ما يلحق من الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل[٢٥]، وقال ابن عباس: ويل للعالم من الأتباع، يزل زلة فيرجع عنها، ويحملها الناس فيذهبون بها فى الآفاق؛ وقال بعضهم: مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة، تغرق ويغرق أهلها.

فبهذا يتضح: أن أمر العلماء مخطّر، فعليهم وظيفتان: إحداهما: ترك الذنب، والأخرى: إخفاؤه، وكما تتضاعف أوزارهم على الذنوب؛ فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات إذا اتبعوا فيها.

فهذا الذى ذكرنا وأمثاله مما تكبر به الصغائر، وصغائر فاعليه كبائر، والذنوب مهلكات، وقانا الله شرها، ووفقنا لطاعته على الدوام.

ونسأله –تعالى– حسن الختام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٢٣) أخرجه البخارى فى الأدب (٦٠٦٩)، ومسلم فى الزهد (٢٢٩١/٤) رقم (٥٢).

(٢٤) أخرجه مسلم فى حديث طويل فيه قصة، فى الزكاة (٧٠٥/٢) رقم (٦٩)، وفى العلم (٢٠٥٩/٤) رقم (١٥).

(*) سورة التوبة ٦٧. (*) سورة ياسين ١٢.

(٢٥) روى عن ابن عباس وسعيد بن جبير أن الآثار هى ما أثروا من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعدهم. وانظر: زاد المسير (٢٧٥/٦).

العشرة المبشرون بالجنة

٣ الفاروق

عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)

إعداد الأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين

أخرج البخارى، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس مُحدَّثون [1] فإن يكن فى أمتى أحد، فإنه عمر» [2].

الحارس الفطن

وبينما عمر بن الخطاب فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم من عدوهم، إذ أبصر عمر عمير بن وهب، وكان شيطانا من شياطين قريش، وممن يؤذون رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه ويلقون منه عناء، وكان ابنه وهب بن عمير فى أسارى بدر.

قال ابن اسحاق: حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: جلس عمير بن وهب الجُمحى مع صفوان بن أمية بعد مُصاب أهل بدر من قريش، فقال صفوان: والله إن فى العيش بعدهم خير، قال له عمير: صدقت والله، أما والله لولا دين ليس له عندى قضاء، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لى قبلهم علة: إبنى أسير فى أيديهم، قال: فاغتنمها صفوان وقال: علىَّ دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا، لا يسعنى شىء ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاكتم شأنى وشأنك، قال: أفعل.

فلما أبصره عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وقد أناخ على باب المسجد متوشحا سيفه، قال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ماجاء إلا لشر، وهو الذى حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر.

(١) المحدث: الملهم الذى تتكلم الملائكة على لسانه.

(٢) فتح البارى (٨/ ٦٠)، شرح النووى على صحيح مسلم (١٥/ ١٦٧)

ثم دخل عمر على رسول الله -ﷺ- فقال: يا نبى الله هذا عدو الله: عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه، قال: فأدخله علىَّ، قال: فأقبل عمر حتى أخذه بحمالة سيفه، فى عنقه قلبيه بها، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار: أدخلوا على رسول الله - ﷺ - فأجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله - ﷺ -.

وفوجىء عمير برسول الله -ﷺ- يخبره بما هو قادم لأجله وما كان بينه وبين صفوان فلم يملك إلا أن يُسلم.[٣]

فى يوم أحد

وعندما ارتقت خيل المشركين يوم أحد، جبل أحد، قال رسول الله -ﷺ- «اللّهم إنه لا ينبغى لهم أن يعلونا». فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين، حتى أهبطوهم من الجبل.[٤]

ويروى ابن اسحاق: أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه- قال لحسان بن ثابت: لو سمعت ما تقول هند، ورأيت أشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا، وتذكر ما صنعت بحمزة؟ فقال له حسان: أسمعنى بعض قولها أكفكموها، فأنشده عمر بعض ما قالت، فقال حسان:

أشرت لكاع وكان عادتها
لؤما إذا أشرت مع الكُفر[٥]

ثم إن سفيان بن حرب حين أراد الانصراف، أشرف على جبل أحد، ثم صرخ بأعلى صوته، فقال: أنعمت فعال، وإن الحرب سجال، يوم بيوم، فقال رسول الله -ﷺ- قم يا عمر فأجبه، فقل: الله أعلى وأجل، لا سواء، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار، فلما أجاب عمر أبا سفيان، قال له أبوسفيان: هلم إلىَّ ياعمر؛ فقال رسول الله -ﷺ- لعمر: ائته فانظر شأنه، فجاءه، فقال له أبوسفيان: أنشدك الله ياعمر، أقتلنا محمدا؟ قال عمر: اللّهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر، لقول ابن قمئة لهم: إنى قد قتلت محمدا[٦].

عمر المؤيد بالقرآن

أخرج ابن مردويه، عن مجاهد، قال: كان عمر -رضى الله عنه- يرى الرأى فينزل به القرآن، وأخرج ابن عساكر، عن على قال: «إن فى القرآن لرأيا من رأى عمر».

وأخرج عن ابن عمر مرفوعا: ما قال الناس فى شيء وقال فيه عمر الإجاء القرآن بنحو ما يقول عمر.

فبعد موافقة القرآن لعمر بشأن أسارى بدر توالت تلك الموافقات وتتابعت.

أخرج الشيخان عن عمر - رضى الله عنه - قال: وافقت ربى فى ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت:

﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[٧]

وقلت: يا رسول الله يدخل على نسائك البر الفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية ١/.
(٤) ابن هشام (٢/ ٨٦).
(٥) المصدر السابق (٢/ ٩٢، ٩٣).
(٦) المصدر السابق (٢/ ٩٣، ٩٤).
(٧) البقرة/١٢٥.

﴿ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾(٨)

واجتمع نساء النبى -عليه الصلاة والسلام- فى الغيرة. فقلت: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت:

﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾(٩).

فى الخمــــر

وفى مستدرك الحاكم أن عمر -رضى الله عنه- قال: اللّهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فأنزل الله -تعالى-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١٠)

وذلك فى ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة أثناء حصار بنى النضير(١١).

وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أنس، قال: قال عمر، نزلت:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾(١٢).

قلت أنا: فتبارك اللّه أحسن الخالقين، فنزلت: ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾(١٣).

عمر وعبد الله عن أبى بن سلول

وفى شعبان سنة ست غزا رسول الله -ﷺ- بنى المصطلق من خزاعة.

أصيب رجل من المسلمين من بنى كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر، يقال له: هشام بن صبابة، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأ.

فبينا رسول اللّه -ﷺ- على ذلك الماء، وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار، يقال له: جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه، وسنان بن وبر الجهنى، حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهنى: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، فغضب عبدالله بن أبى بن سلول، وعنده رهط من قومه فيهم: زيد بن أرقم، غلام حدث، فقال: أوقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا، واللّه ما عدنا وجلابيب، قريش إلا كما قال الأول: سَمّن كلبك يأكلك، أما واللّه لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من حضره من قومه، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما واللّه لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم. فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول اللّه -ﷺ- وذلك عند فراغ رسول اللّه -ﷺ- من عدوه، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن

---

(٨) الأحزاب (٥٣). (٩) التحريم (٥). (١٠) الأنفال (٦٧).

(١١) ابن حزم، جوامع السيرة (١٨١). (١٢) المؤمنون (١٢). (١٣) المؤمنون (١٤).

الخطاب، فقال: مر به عباد بن بشر فليقتله، فقال له رسول الله -ﷺ-: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه! لا ولكن أذن بالرحيل، وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله -ﷺ- يرتحل فيها، فارتحل الناس.

وقد مشى عبدالله بن أبى بن سلول إلى رسول الله -ﷺ وسلم- حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمعه منه، فحلف بالله: ما قلت ما قال، ولا تكلمت به -وكان فى قومه شريفا عظيما-، فقال من حضر رسول الله -ﷺ- من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل، حدبا على ابن أبى بن سلول، ودفعا عنه(١٤).

وأنزل الله تعالى سورة المنافقون فى ابن أبى ومن كان على مثل أمره:

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ① اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ② ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ③ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ④ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ⑤ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ⑥ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ⑦ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

ومع عودة رسول الله -ﷺ- إلى المدينة من غزوة بنى المصطلق ترتج يثرب بقصة الإفك، قصة اتهام السيدة عائشة -رضى الله عنها- تلك القصة التى وضعها رأس النفاق عبدالله بن أبى بن سلول، واستشار رسول الله -ﷺ- أصحابه فى هذا الأمر، فكانت قولة عمر: من زوجكها يا رسول الله؟ قال: الله. قال: أفتظن انه ربك دلس عليك فيها؟ سبحانك هذا بهتان عظيم. فنزل قوله -تعالى-:

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾(١٦)

ولا تصل على أحد منهم

ولما مات زعيم المنافقين عبدالله بن أبى بن سلول جاء ابنه إلى رسول الله -ﷺ- فقال: أعطنى قميصك حتى أكفنه فيه، وصل عليه، واستغفر له، فأعطاه قميصه، ثم قال: آذنى حتى أصلى عليه، فآذنه.

يقول عمر بن الخطاب -رضى الله عنه-: فلما وقفت عليه تحولت حتى قمت فى صدره، فقلت: يا رسول الله.. أعلى عدو الله عبدالله بن أبى القائل يوم كذا.. كذا وكذا؟ أعدد أيامه ورسول الله -ﷺ- يبتسم، حتى إذا أكثرت عليه قال: أخر عنى يا عمر(١٧) إنى خيّرت فاخترت، قد قيل لى:

---

(١٤) ابن هشام. السيرة النبوية (٢/ ٢٩٠، ٢٩١).

(١٥) المنافقون (١ – ٨).

(١٦) النور (١٦).

(١٧) رواه البخارى (٢ /٧٦)، ورواه مسلم (٢/١٢٠).

﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾(18)، ولو أنى أعلم إن زدت على السبعين غفر له لزدت.(19)

قال: ثم صلى -ﷺ- ومشى إلى أن وصل إلى قبره، فقام على قبره حتى فرغ منه.

قال: فعجبت لى وجرأتى على رسول الله -ﷺ- والله ورسوله أعلم، فو الله ما كان يسيرا حتى نزل:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾(20)

قال: فما صلى رسول الله -ﷺ- بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله -تعالى-

فلا وربك لا يؤمنون

وأخرج ابن أبى حاتم، وابن مردويه عن أبى الأسود، قال: اختصم رجلان إلى النبى -ﷺ- فقضى بينهما، فقال الذى قضى عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب، فأتيا إليه، فقال الرجل: قضى لى رسول الله -ﷺ- على هذا، فقال: ردنا إلى عمر، فقال: أكذاك؟ قال: نعم. فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما، فخرج إليهما مشتملا على سيفه، فضرب الذى قال ردنا إلى عمر فقتله، وأدبر الآخر، فقال: يا رسول الله، قتل عمر -والله- صاحبى، فقال: ما كنت أظن أن يجترىء عمر على قتل مؤمن، فأنزل الله:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(21).

فأهدر رسول الله -ﷺ- دم الرجل وبرأ عمر من قتله.

من كان عدوا لجبريل

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبدالرحمن بن أبى ليلى أن يهوديا لقى عمر بن الخطاب، فقال: إن جبريل الذى يذكره صاحبكم عدو لنا، فقال له عمر: «من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين» فأنزل الله -تعالى-: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾(22)

سواء عليهم

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس انه لما أكثر رسول الله -ﷺ- من الاستغفار لقوم قال عمر: «سواء عليهم» فأنزل الله -تعالى-

---

(18) التوبة (80).

(19) الواحدى، اسباب نزول القرآن، تحقيق أحمد صقر (257).

(20) التوبة (84).

(21) النساء (65).

(22) البقرة (97، 98).

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٦ ﴾(٢٣).

ولما كان ذو القعدة من السنة السادسة، خرج رسول الله -ﷺ- معتمرا فى ألف ونيف، وقيل خمسمائة، وقيل أربعمائة، وقيل ثلاثمائة، وقيل غير ذلك.

فلما علم المشركون بذلك جمعوا أحابيشهم وخرجوا من مكة صادين له عن الاعتمار هذا العام، وقدموا على خيل لهم خالد بن الوليد إلى (كراع الغميم)(٢٤)

فأرسل رسول الله -ﷺ- عثمان بن عفان - رضى الله عنه - سفيرا إلى قريش يعلمها بأنه جاء معتمرا فاحتبست قريش عثمان بن عفان، وبلغ رسول الله -ﷺ-أن عثمان بن عفان قد قُتل، فقال: لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة بيعة على الموت، وأرسل عمر ابنه عبدالله إلى فرس له عند رجل من الأنصار يأتى به ليقاتل عليه، ورسوله الله -ﷺ- يبايع عند الشجرة، وعمر لايدرى بذلك، فبايعه عبدالله، ثم ذهب إلى الفرس، فجاء به إلى عمر، وعمر يستلئم للقتال، فأخبره أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يبايع تحت الشجرة قال: فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله -ﷺ-(٢٥) وتتابعت الأحداث لتنجلى عن عقد صلح الحديبية بشروط كان وقعها عظيما على نفوس المسلمين لفرط شجاعتهم وحرصهم على نصر الإسلام، ولأن الشروط فى ظاهرها تضعهم فى مكان الضعف، فذهب عمر إلى أبى بكر، فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى قال: فعلام نُعطى الدنيّة فى ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر، الزم غرزه، فإنى أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله -ﷺ- فقال: يا رسول الله ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: أو لسنا بالمسلمين؟قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطى الدنيّة فى ديننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعنى! قال: فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق، من الذى صنعت يومئذ! مخافة كلامى الذى تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيراً(٢٦). قال عمر: فحركت بعيرى، ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن تنزل فىَّ، فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ بى، فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فىّ قرآنا، وجئت رسول الله -ﷺ- فسلمت عليه، فقال: لقد أنزلت علىَّ الليلة سورة لهى أحب إلىَّ مما طلعت عليه الشمس(٢٧)، ثم قرأ:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤ ﴾(٢٨)

[يتبـــــع]

---

(٢٣) المنافقون (٥ ، ٦).

(٢٤) ابن كثير، الفصول فى اختصار سيرة الرسول -ﷺ- (١٦٣).

(٢٥) البخارى (٥/ ١٦٣).

(٢٦) ابن هشام، السيرة النبوية (٢/ ٣١٦ ، ٣١٧).

(٢٧) البخارى (٥/ ١٦٠/ ١٦١).

(٢٨) الفتح (١ - ٤).

﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد : الشيخ عبد الفتاح الزيات

● **السؤال من السيد / علاء محمود محمد ـ البحيرة**

توفى رجل سنة ٩٩ عن : زوجة ـ بنتين ـ ابن بنت ـ ابن عم شقيق ـ أخ لأم ـ فما نصيب كل؟

●● الجواب :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، وبعد :

فنفيد بأن تركة المتوفى بها وصية واجبة لا بن البنت بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة وقت وفاة الموروث فى حدود الثلث.. طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس ١٩٤٦، بشرط ألا يكون الجد قد أعطى ابن البنت من ماله حال حياته ما يعادل الوصية بدون عوض.. فتقسم التركة تسعة أجزاء : جزآن منها وصية واجبة لابن البنت لا يشاركه أحد والباقى سبعة أجزاء هو الميراث، للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث، وللبنتين الثلثان فرضا لعدم من يعصبهما بالتساوى بينهما، والباقى لابن العم تعصيبا، ولاشيء للأخ لأم لحجبه بالفرع الوارث

والله تعالى أعلى وأعلم

حكم الاستمناء

● **السؤال ورد من خالد على ـ الدقهلية نصه :**

إن عادة الاستمناء باليد قد فشت بين الشبان، فقام بعض الأطباء ينهونهم عنها

ويبينون أخطارها العظيمة لكى يرتدع كل عنها ، وقد قال بعض الناس : إنها من ضروب الزنا ، أى : أنها محرمة ، وقام فريق آخر يناقشهم فى ذلك بدعوى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ إنما حرم الزنا منعاً لاختلاط النسل ، ومن ذلك ينشأ ضرر المجموع ، ولما كانت عادة الاستمناء تضر بصاحبها جسمانياً ، إلا أنها لاتحدث نسلا فلا تكون إذن من الزنا ، فنرجو حل هذه المشكلة ؟

●● الجواب :

اطلعنا على هذا السؤال .. ونفيد : أنه قال فى شرح الدر ما نصه « فى الجوهرة الاستمناء حرام وفيه التعزير » أ هـ . كما أنه صرح فى رد المحتار على الدر المختار بأنه لو أدخل ذكره فى حائط ونحوه حتى أمنى أو استمنى بكفه بحائل يمنع الحرارة يأثم أيضاً ا هـ . وقد استدل الزيلعى على عدم حل الاستمناء بالكف بقوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ ﴾(1)

وقال : فلم يبح الاستمتاع إلا بهما أى الزوجة والأمة ، فأفاد عدم حل الاستمتاع ، أى قضاء الشهوة بغير هما ، وقد استدل صاحب الدر على ذلك بحديث : « ناكح اليد ملعون » ومن ذلك يعلم أن الاستمناء بالكف على وجه ما جاء بالسؤال حرام يعزر فاعله شرعا .

والله أعلم

لعبة الكوتشينة

● **السؤال : من حرم فؤاد حسن حمزة قالت : أود أن استفتى فى أمر يهمنى ويهم المجتمع وهو : هل لعب الورق « الكوتشينة » بالنقود محرم مثل الكونكان ، إنى اعتقد أنه ميسر محرم ، ولكنهم يقولون : إنه مادام اللعب بين أفراد العائلة وفى المنزل ليس محرماً ، ولايسمى ميسراً ، أفيدونا بالحكم الشرعى .**

●● الجواب :

اطلعنا على الخطاب الذى أرسل إلينا بشأن بيان الحكم الشرعى فى لعب ورق الكوتشينة بالنقود وسرنى منك الحرص على معرفة حكم الله فيما يعمله الناس التماساً للنجاة من العقاب فى الآخرة، ونفيد بأن ذلك من الميسر المحرم شرعاً، سواء أكان بين أفراد العائلة بعضهم مع بعض أم بين غيرهم، والقول بغير ذلك قول فى الدين بغير علم، أو التماساً لأعذار لايقيم لها الشارع ميزاناً، وإذا كان لابد للنفس من استرواح فى وقت الفراغ من العمل ففيما أحله الله من العمل متسع فسيح، وكم من الأعمال الرياضية من نفع الجسم والنفس مالا يقام بهذه الألعاب وزن بجانبه، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

عدم جواز إحداث مستودع نجس بمقابر المسلمين

● **سؤال ورد من إبراهيم عكاشة ـ القاهرة :**

رجل أجرى بناء حوش بجبانة المسلمين بأرض الإمام الليث ـ رضى الله عنه ـ وجعل فى بناء الحوش

---

(1) سورة المؤمنون ٥ ، ٦.

مرحاضا عموميا بجوار المقابر، حتى إن حيطان هذا المجرور سالت منها المياه النجسة، وبها بعض من الغائط على المقابر التى بجوارها، حيث جئت بميت لى لدفنه، وبفتح القبر الذى بجوار المجرور وجدته مملوءا بالمياه ويتبعها شىء من الغائط، وشاهد ذلك كثير من المعزين أى المؤاجرين فى الجنازة، وقد أحضر بعضهم من الأتربة لتجفيف القبر ونزول الجثة، ولم يزل هذا المحل يصب من جميع جوانبه إلى القبور المجاورة له، فهل يجوز فتح هذا المجرور بأرض وقف المسلمين وبها موتى المسلمين ويكون ذلك شرعاً؟.. أفيدونا.

●● الجواب :

جاء فى متن نور الإيضاح وشرحه ما نصه « وكره تحريما قضاء الحاجة أى البول والتغوط عليها بل وقريبا منها « أى القبور » اهـ. ومنه يعلم بالأولى أن إحداث مستودع للمياه النجسة المخلوطة بالبول والغائط فى الأرض الموقوفة على دفن موتى المسلمين مكروه تحريما، فينبغى إزالة ذلك الأذى عن هؤلاء الموتى لأنهم مكرمون بعد وفاتهم، كما هم مكرمون فى حياتهم، ولأن هذا خروج عما أعدت له تلك الأرض الموقوفة.. والله أعلم.

ما يشترط فى تلقين الميت

● السؤال الوارد من « ب. ض ـ القاهرة.

لجنة جبانات المسلمين بمدينة القاهرة حضرت مشروعاً للائحة الجبانات، ووضعت مادة هذا نصها : يشترط فيمن يقوم بتلقين الموتى أن يكون حاصلا على إجازة به من لجنة الجبانات إلا إذا كان حائزاً للشهادة العالمية أو الأهلية من أحد المعاهد الدينية، ولما كان ذلك من الأمور الشرعية، نرجو إفادتنا بما ترون فضيلتكم فى هذه الحالة من الوجهة الشرعية؟

●● الجواب :

إن المادة التى وضعت فى مشروع لائحة الجبانات التى نصها : « ويشترط فيمن يقوم بتلقين الموتى أن يكون حاصلا على إجازة به من لجنة الجبانات، إلا إذا كان حائزاً للشهادة العالمية أو الأهلية من أحد المعاهد الدينية » والذى نص عليه الفقهاء أنه يستحب أن يكون الملقن غير متهم بالمرة بموته، وأن يكون ممن يعتقد فيه الخير.. كذا فى الهندية نقلا عن السراج الوهاج، ومعلوم أن الحائز للشهادة العالمية أو الأهلية أو الثانوية من أحد المعاهد الدينية ممن يعتقد فيه الخير، وبالجملة فمدار الاستحباب فى التلقين على كون الملقن غير متهم بالمرة بموته وعلى اعتقاد الخير فيه، وهذا ما لزمت به الإفادة. والله أعلم.

هل يبقى فى النار من يوحد الله؟

● السؤال ورد من نبيل فهمى ـ الاسماعيلية؟

عن التنافى بين قوله – تعالى – : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾(٢) وبين قول صاحب كتاب زبد العقائد التوحيدية « ولم يبق فى النار الجحيم موحد ولو قتل النفس الحرام تعمداً ».

---

(٢) من الآية ٩٣ من سورة النساء.

●● الجواب :

الدلائل متضافرة على أن عصاة المؤمنين لايخلدون فى النار، وهذا معنى كلام العقائد المذكور، وأما الخلود فى قوله - تعالى :

﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها** ﴾ فالمراد منه : المكث الطويل، أو هو محمول على المستحل لذلك، كما ذكره المفسرون، فإن استحلال قتل المؤمن محقون الدم عمداً بلا شبهة كفر، والعياذ بالله تعالى. والله تعالى أعلم.

● **السؤال من م. ح. أ :**

شخص مقيم بالقاهرة، وله أقارب يستحقون الزكاة يقيمون فى بلد آخر؛ هل يجوز له أن يدفع إليهم زكاة الفطر ؟

●● الجواب :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد فنفيد بأنه يجوز نقل الزكاة إلى الأقارب ببلد أخرى لأنها حينئذ صدقة وصلة.

مرض الموت

● **السؤال من عبدالنعيم أبوالخير - أسيوط**

رجل طلق زوجته وهو فى مرض موته طلاقاً مكملا للثلاث، وظلت تعاشره بعد ذلك إلى أن توفى بعد توقيع الطلاق المذكور خمسة أشهر.. فهل ترث فى زوجها المذكور أم لا، علماً بأنها من ذوات الحيض، وأنها لم تحض فى حياته بعد الطلاق إلى الوفاة إلا حيضة واحدة، ومع العلم بأن الطلاق صدر فى غيبتها وظلت تعاشره إلى أن مات.

●● الجواب :

اطلعنا على السؤال.. والجواب : أن مرض الموت الذى يعتبر به المطلق فاراً من إرث زوجته شرعاً : هو المرض الذى يعجزه عن القيام بمصالحه القريبة خارج البيت كإتيان المسجد، وذهاب التاجر إلى دكانه ونحو ذلك، ولم يتطاول به سنة فأكثر من غير زيادة ولا خوف هلاك ثم يتصل به الموت، فإذا كان مرض المطلق قد بلغ الحد الذى ذكر، وطلق زوجته طلقة مكملة للثلاث بغير إذنها ولا رضاها ومات وهى فى العدة، كان فاراً من إرثها، فترث ردا لقصده عليه، وإن لم يبلغ هذا الحد بأن كان لايعجز عن القيام بمصالحه خارج منزله أو لم يتصل بمرضه الموت أو لم يخف من مرضه الهلاك أو تطاول به سنة فأكثر من غير زيادة ولا خوف هلاك لم يكن مرض موت، فلا يكون فاراً، ولا ترث منه زوجته، ومن هذا يعلم الجواب والله أعلم.

من أعلام مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

اللواء الركن محمود شيت خطاب رب السيف والقلم

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

قضى الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار - رحمه الله - بعثته العراقية صديقاً للواء الركن محمود شيت خطاب، فكان يطالعه بكثير من وقائع حياته، ويروى له عن نشأته الدينية ما ردّده الدكتور الطيب على أصدقائه فى مناسبات مختلفة، وأذكر أنه أفاض فى إمتاعى بما يعلمُ عن صاحبه، ثم اطلعت على الكتاب القيم الذى أصدره الأستاذ محمد المجذوب تحت عنوان « علماء ومفكرون عرفتهم » فوجدت ما نقله الأستاذ المجذوب عن اللواء الركن قريباً جداً مما رواه الدكتور الطيب، إن لم يكن هو بعينه فى جوهره الخالص، لذلك كانت سيرة الرجل موثقة مؤكدة من عالمَيْن فاضلين، وعنهما أنقل.

ولد محمود فى سنة ١٩١٩م بالموصل فى بيت ذى فضل ونباهة، إذ كان جدّه تاجرا ثريا، وكان والده عالماً فاضلا ؛ روى العلم عن مشايخ بلده، وقد كفلَتْه جدته بالرعاية نيابةً عن والدته التى اهتمت بمولود جديد، وكانت الجدة نقيةً عابدة ينتهى نَسبها إلى الحسين بن على، ولَها شغف بالصّلاة فى المسجد واستماع المواعظ الدينيّة فى مكان خُصص للسيدات، كما أَلِفتْ صلاة القيام باللّيل، وقد رآها الطفلُ الناشىء عابدةً ومحسنةً ومسبّحة، فتأثّر بها، وكان البيت الإسلامى إذ ذاك بعيداً عن ترف الحضارة وزخرفها الذى سَحر الناس الآن فألهاهُم عن الخشية المؤمنة والرجاءِ الآمل، هذا إلى انتظام سهرات الأقارب والأصدقاء فى رحْبته الواسعة، وفيهم كبارُ الشيوخ يُناقشون أحوالَ المجتمع فى ضوءِ ما يعرفون من الكتاب والحديث، وقد يقرءون سير النابهين من صَحابة رسول الله - (ﷺ) - وتابعيه،

والصبىُّ يسمع ويتأمل، وقد نشأت فى نفسه بذرة طيبة تأخذ نموها الناضر فى حقل التاريخ الإسلامى، هذا غير ماأهتم به والده من دُروس اللّغة العربية، وهى فى رأْيه قريبةٌ من المنحى الأزهرى، وقَدْ رُزق أستاذاً من صحابة وا لده ذاعَ صيته فى علوم العربية، فكان موجِهاً له، لذلك تميّز محمود بين طلبة المدارس حين التحق بها، بنبُوغه فى الكتابة إذ ادّخر من محفوظه ما جَعله أقوَى تلاميذ فِرقته فى سنوات متوالية، ثم التَحق بْعد الدراسة الثانوية بالكلية العسكرية، على غير رغبةٍ منه أوّلا، وحينَ وَجد نفسه مُلتزما بتوجهه الجديد، عَكف على دُروس الكلية، ووَعى أساليبها الميدانية والتطبيقيّة، دُون أن يَنْسى شغفه الكبير بعلوم الأدب واللّغة والتاريخ، ودُون أن يُغفل كُتب التفسير والتشريع! وهو بهذا التنوع الثقافى يكاد يكون فريدا فى بابه.

وقد تخرّج برتبة ملازم ثان، ولكنّ رؤساءه لم يُرّحبوا باتجاهه الثقافى، لنوازع سياسية غشّت على بَصائرهم، ولانهماكهم فى شهواتٍ هابطة كانوا يروْنها مصدر التقدم الحضارى، مع نزوع إلى الإلحاد دُون دليل، وعدّ الالتزام بالدين تأخرا وجُمودا، وكانَ التيارُ أقوى من أنْ يقفُ الملازم الناشيء فى وجهه معارضا، فاكتفىَ بالابتعاد عنه لائذاً بمُثله؛ وكانَ شُعورهُ النفسى بأنّه من دَرجة الحسين - عَليه السلامَ - يُمده بقوّة روحانية يستعلى بها على السقوط، ثم اتّجه إلى الدراسات العليا، فَقضَى سنتين فى كلية الأركان تخرّج بعدهُما ضابطَ ركن ثم ابتُعث إلى لندن، فكانَ نمطاً فريدا فى سلوكه، حتى دُهش عميدُ الكلية لسلوكه المترفّع بالقياس إلى من جاءتْهُ أنباؤهم من المتحَللّين،، وقد عَظُم إعجابه به، حين رآه يمتنع عن المحرمات فى المشرب والمأكل، وارتَقَب له نجاحا سريعا، وهذا ما كان، فعاد إلى وطنه سليم النفس، قوى اليقين.

وقد جعل جانباً من اهتمامه فى عهده الباكر مُوجّها إلى دراسة قادة الحروب فى الإسلام، إذ شاهدَ الأساتذة فى الكلّية العسكرية ببغداد يتحدّثون عن قوّاد أوروبا، ويدرسون وقائعهم الحربية دُون أن يَجول بخاطرهم حديثٌ ما عن قادة الحروب فى الإسلام، حتى اعتقد الأغرارُ أن التاريخ الإسلامى لم يَحفِل ببطلٍ يُقرن بأمثال الإسكندر وقيصر ونابليون! وأبطال الحربين العالميّتين فى هذا القرن، وقد تألّم لذلك الإهمال وعَدّهُ خيانةً للإسلام، والعروبة، وتمنّى أن يكونَ مؤرخا عسكريا للأبطال المسلمين.

وقد ظهرت دوافع قويّة لانتهاجه هذا المنحى، إذ فوجيء بكتابٍ رائع عن خَالد بن الوليد كَتبهُ الفريق طه باشا الهاشمى أحدُ القادة العسكريين بالعراق، إذ تولّى رئاسَة أركان الجيش العراقى، وعُيّن وزيرا للدفاع، ثم رأسَ الوزارة من بعد، ولَه كُتب تاريخية فى مجالات مختلفة، ولكنّ الذى لفت محمود شيت لفتاً شديداً هو كتابه عن: «خالد بن الوليد» إذ تَحدث عن وقائع هذا البطل بما لم يُسبق إليه، إذ كانَ اهتمامه الكبير بالميدان الحربى، والمسّاحات الشاسعة التى قَطعَها خالد بجيشه دُون تهيُّبْ، وتحدّيه لمَا بالجزيرة من صحارٍ وجبال ووديان مقفرة تحتاج إلى خبرة قائدٍ مجرّب، مَع موازنات بارعة بينْ معارك

خالد، ومعارك غيره من القادة الذين ترنّ أسماؤهم فى الأسماع شرقا وغربا، لقد كانَ كتابُ الفريق طه الهاشمى باعثاً قويّا دَفعَ الشّاب المؤمن إلى الكتابة الحربيّة التاريخية، وقد بدأها سنة ١٩٥٨م بكتابه الشهير: «الرسول القائد» وهو كتاب يُلمّ بمعارك محمد -ﷺ- إلمام الدارس المستوعب لمناخ الجزيرة العربية بعامة، ومواقع الغزوات، فى بدر وأحد والخندق وحنيْن وتبوك ومؤته، ومن آرائه الجديدة فى غزوة أحد، أنّها لمْ تكن بالهزيمة الفادحة، بل كانت نصراً، إذا نظرنا إلى عدد من قُتل من المسلمين بالقياس إلى عَدد من قُتل من المشركين، مع ملاحظة الفارق الكبير بين الجيشين فى العدد، فجيشُ المسلمين سبعمائة فقط، وجيشُ المشركين ثلاثة آلاف بينهم مائتان من الفرسان المهرة، وسبعمائة من الدارعين المسلحين، غير حُشود خلفية من العبيد والغلمان يهيئون السلاح لمن يكرّ طالبا المزيد، ثم فرار المشركين لأول بادرةٍ من بوادر النصر، وتعقب المسلمين لهم حتى بلغوا «حَمراء الأسد» فلم يجدوا من يُحاول القتال، ولوْ كانت الهزيمة قاصمة لما تعقّب المسلمون أعداءهم متأهبين لمعركة فاصلة! إنّ كلّ ما كتبه اللواء الركن فى هذه المسألة جديرٌ بالانتباه، وإعادة النظر، وقد كرَّر الرجل رأيه فى موقفٍ آخر أشار إليه الأستاذ محمد المجذوب إذ نقل عن اللواء قوله:

«ذات يوم كُنت أُلقى محاضرة فى القاهرة عن نكْبة سنة ١٩٦٧م، وأُعَدِّدُ أثناءها بعض مواطن الخطأ العسكرى فاعترضَنى أحدُ أعضاء الاتحاد الاشتراكى يقول: إنّها نكسةٌ فقط، وقد أصابت النكسة رسول الله فى أُحد فكانَ من ردّى على هذا الرجل. إنها ليست نكسة، بل هزيمة، لأ، بل فضيحة لا مثيل لها فى تاريخ الحروب، إن ما يُسمّيه نكسة فى أُحد لم تكنْ من أخطاء القيادة، بلْ من أخطاء الجنود، ومع ذلك فقد قادَ رسول الله -ﷺ- المسلمين لُمطاردة المشركين، فى اليوم التالى فى «حمراءِ الأسد،» فهل طاردت القيادة الحاضرة إسرائيل منذُ ذلك اليوم، وأعقَب ذلك الرّد ضجة بينْ الحضور سرعان ما أخرست ذلك المتزلف».

وهذا المعنى الموجز الذى ردّ به اللواء الركن على المعترض المتزلّف، لم يكنْ خاطراً وقتيّا طَرَأ فى نفسه، بل كانَ نتيجةَ تحليلٍ عميق للكارثة التى حلّتْ بالمسلمين حُلولاً فادحا، ولم يشأ أن يُحجم عنه فى أكبر مؤتمر علمى عُقد بعد الهزيمة، هذا المؤتمر هو مؤتَمر «مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة» المنعقد فى سنة ١٩٦٨م والذى افتتحه الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون بكلمة أعلَن فيها صراحةً أنّ الهزيمة كانت غضباً من الله، لأنّنا خالفنَا تعاليمه، وبَعُدنا عن الدين، فأراد بها أن يَرّدنا إليه، ولو كُنا قد انتصرنا لكان معنى ذلك أن مخالفة الإسلام باب النصر، ولكنّ منهج الإسلام لا يتغير، فإن تنصروا الله ينصركم.

أما كلمة اللواء الركن فقد كانت تحت عنوان: (إرادة القتال فى الجهاد الإسلامى) وفحواها أنّ العزيمة الصارمة على القتال هى أول أسباب النصر، وقد أشاعَ الإسلام معانىَ الخلق الكريم، ومنْه الصبر الجميل، وغَرْسُ روح الشجاعة والإقدام، وأمَر

بالثبات عند القتال، وحَرم التولّى يوم الزحف، ودعَا إلى الجهاد بالنفس والمال لإعلاء كلمة اللّه، وجَعَل مقام الشهداء من أعظم المقامات.

ثم هَدف إلى لُبِّ المأساة فقال(١): «والسؤال الذى يتردّد اليوم هو: «ألسْنا مسلمين؟ فلماذا لا ينصرنا الله على أعدائنا، والجواب على هذا السؤآل يُوردُه القرآن بصراحة ووضوح إذ يقول - تعالى -:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢) وقال: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾(٣) فهلْ نحن مؤمنون حقا؟ وهل نَصرنا الله حقّا، حتّى ينصرنا ويُثبت أقدامنا؟ إن مقياسَ الإيمان واستحقاق النصر واضحٌ فى قول الله -تعالى-:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝ ﴾(٤). فهل أقمنا الصلاة وآتينا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر؟ وكيف ينصرنا الله ولم نُطبّق تعاليمه، إنّ هذا الأمر لا يصلُح إلا بما صلح به أوّله، وعند ذلك سيقول اليهود كما قالوا من قبل:

﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ۝ ﴾(٥).

إن تجاوبَ المشاعر بين المخلصين هو الذى يدفعُ إلى توضيح الحقائق دون لبس، لذلك لم يكنْ عجيبا أن يتفق الإمام الأكبر، واللواء الركن على معنىً واحد فى مؤتمر واحد؛ وأن يقول الشيخ فى صراحة(٦):

«إن نكّبة النكسة لم تكنْ محنةً سياسية بقدر ما كانت محنَة دين، فمن الجائز على سياسة البشر أنْ تُخطِىء تخطيطا أو تَخور مواجهة، ولكن ليسَ من الجائز أن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا، فحين صُدم المسلمون بما كان عجبوا أن يتخلى الله عنهم، ولو أنهم أنصفوا لعرفوا موقعهم من دين الله، إذ ليس الإيمان بالتمنى».

وقد شارك اللواء فى الأحداث بسيفه كما شاركَ فى التوجيه بقلمه، فقد انضمّ إلى ثورة رشيد عالى الكيلانى التى قامت ضدّ الانجليز وحلفائهم وسنُّه حينئذ لم تتجاوز العشرين، وقد قام بواجبه الضخم حيث كانت قنابلُ العدو تُمطره كل ثانية، ولولا نفاد الذخيرة بالنسبة لقدرات الحلفاء الهائلة لتمّ النصر، وقد حَمىَ المواطنين من أبناء العراق من ظلم الطغاة حين كان رئيسا لهيئة أركان الحرب، ومسئولاً عن أمن الجنوب من البصرة إلى بغداد، وقد تسلّط الشيوعيون على الحكم، وصار الحكم لُعْبةً فى أيديهم فكانوا يقتَحمون الدّور ويقتلون الرجال سَحلا دُون

---

(١) مجلة الأزهر، نوفمبر ١٩٦٨م.

(٢) الروم/٤٧.

(٣) محمد/٧.

(٤) الحج/٤٠، ٤١.

(٥) المائدة/٢٢.

(٦) مجلة الأزهر، نوفمبر ١٩٦٨م.

محاكمة، وقد فَعلوا ذلك فى جميع أماكن العراق، ولكن اللواء الركن محمود شيت قد وقف أمامَ طغيانهم، فلم يُطيقوه وتآمروا به فسيق إلى السجن مدى ثمانية عشر شهرا وقال: «إنها كانت مليئة بالتعذيب الذى يُعجز الوصف»(٧).

وقد بَدأ الكتابة التاريخية لأبطال المسلمين فى أوائل الستّينيات، وأرسل بحوثه الأولى إلى مجلة الرسالة فنشرتْها مرحبة، وقالتْ فى تقديم بحثه عنْ عمرو بن العاص السهمى فاتح فلسطين ومصر وليبيا»(٨):

«اللواء الركن محمود شيت خطاب، وزير البلديات بالجمهورية العراقية، وعضو المجمع العلمى العراقى، وعضو الوفد العراقى للمحادثة بالقاهرة، كاتبٌ مجيد، ومؤرخٌ نابه، وقد لاحظ أن هناك كتبا فى طبقات الشعراء والأدباء والأطباء، وغيرهم من قادة الفكر الإسلامى، ولم يجدْ من بينها كتابا عن طبقات قادة الفتح الإسلامى الّذين رفعوا راية الإسلام فى أقصى الشرق، وأقصى الغرب فأخذ على نفسه أن يكتب سلسلةً عنهم للرسالة، وقد بدأ اليوم بعمرو بن العاص».

وقبل أن نَكْشف عن منهجه فى تحليل هذه العبقريات الخالدة فى دنيا الحرب والجهاد، نُشير إلى أن الرجل كان متنوع الثّقافة دَارساً فنونا كثيرة من أساليب الكتابة المعاصرة، وحين كان أستاذاً بالكلية أبدعَ فى الفنون العسكرية بُحوثا ذات طابع علمى مركّز وكان انتخابه عضوا بالمجمع العلمى العربى العراقى، والمجمع اللغوى المصرى حَافزاً له إلى تنميق بُحوث فى المصطلحات العسكرية كانت بذرةً لقواميس مُبتكرة سدَّت فراغا كان من الحتْم أن يُشغل. أمّا السياسة الحربيّة المعاصرة، فقد كتَب عنها عشرات المقالات، وعمل على نشرها فى شتّى صحف العالم العربى إذ كانت جرائد مصر والشام والعراق والمغرب العربى جميعه تتسابق إلى نشر آثاره، وتمهّد لها بتزكيات مُضيئة على نحو ما نقلنا فى هذه الكلمة عن الرسالة، وكتابه: «الأيام الحاسمة» كانَ ذا صدىً قوىّ فى الدوائر الإسرائيلية لأنه كشفَ عن نيّات العدو، وتحدّث عن خُططه المكشوفة والمستترة بما كان موضع استغرابٍ عند هؤلاء، حتى قال عنه أحدُ مفكريهم: «إنه أكبر عقلية استراتيجية فى العرب، ولكنّه كالنّبى فى الصحراء لم يجد من يستفيد منه».

ولا نستطيع فى هذا البحث المحدود أن نتحدّث بإفاضة عن جُهوده فى كتب الفاتحين من قادة الإسلام، لأنه أصدر المجلدات الضّافيةعن هؤلاء، حيث مكّن الله لهم فى الأرض شرقا وغربا، وكانَ حديثه عن المشهورين من أمثال: سعد، والمثنى بن حارثة، وابن العاص، وخالد، وعقبة بن نافع، يَحفل بالجديد مع اشتهارهم، لأنه يَفْطن إلى نواح عسكرية لا يبلغها إلاّ من رزق إيمانه وعلمه معاً، وأقول الإيمان لأن بعض الكاتبين من المسلمين قد تحدّثوا عن هؤلاء حديثاً لا

---

(٧) مجلة الرسالة ١٩٦٣/٩/٥م.

(٨) علماء ومفكرون عرفهم ٣١٦.

تلمس فيه روح الحب التى يجب أن تكون عند المؤرخ المسلم إذا خاض فى حديث أهله، ولستُ أعنى بذلك أن يتعصّب لهؤلاء فيُضيف إليهم ما لم يفعلوه، فهذا ما لا يقول به ناقد، بل ما يُؤاخذ عليه الكاتب مؤاخذة شديدة إذا وُجد، ولكنّى أعنى أن الروح المُؤمنة تجدُ من الدوافع ما يبعث على تسجيل البطولات بهمة واثبة، وقد رأينا من أبناء ديننا من يُظهر التعالى على هؤلاء الأبطال حين يتحدث عنهم وكأنه أستاذ يعْرض أعمال تلاميذ، وقد يتجرّأ فيقول: كان عليه أن يفعل كذا، بدلا كذا، وقد نَسى شيئًا هاما هو أنّ البطل فى المعركة غير الكاتب الذى يُؤرخ لها بعد انتهائها بأحقاب طالت أو كثرت، لأنّ البطل فى المعركة يصنعُ الأحداث صُنعا، ويجتهدُ فى كفاحه دُون أن تلوحَ له عاقبة نضاله، أما الكاتب فقد عَرفَ ما كان بدءاً وخاتمة، وانكشفت له من المعانى أشياءُ لم تكن لتكشَف عواقبها أثناء المعركة المشتعلة، ومهمة المؤرخ هى التحليل والتفسير، لا التباهى والخُيلاء.

لقد كان الرجل فذًّا فى أبناء طبقته، وإنه ليتحدث عن مشاعره الخاصة فيقول: ، إنّه حين كان سجينا فى بغداد كان يجدُ من الفراغ ما يجعلهُ يتحدث مع زملائه المسجونين فعرفَ أنهم وهم فى مركز القيادة العسكرية لا يَعرفون شيئا ما عن أبْطال الإسلام، بل لا يَعرفون كيفَ فُتحت العراق نفسها، وخَلُصت من أيدى الفُرس، وكانَ المنهج التعليمى الذى أشرف عليه المحتل، يقتضب أحاديث الفتح الإسلامى بدءاً، ثم حَذَفَها بالمرة، وحين كانت الكلّيات العسكرية جعلت مناهجها وكُتبها تنحو منحى الكتب الأوروبية، ومعنى ذلك أن الاستشهاد التاريخى كان مَقْصُوراً على المعارك الأوروبية، وأن أبطال المعارك هم أبطال أوروبا وحدهم، وكأنّه ليس لْدينا فتوحات رائعة حقّقتْ فى مدى ثمانين عاما مالم تُحققه الدولة الرومانية فى ثمانية قرون! وليس الحال فى ذلك حال العراق وحده، فقد جرؤ بعض الشيوعيين ممّن يتسمون بأسماء المسلمين على أن يَتهجَم على كتاب: (عبقرية خالد) للأستاذ العقاد، فيقول فى استخفاف: «إن العقاد يظنّ أنّه محام فى محكمة، وأنّ عليه أن يبرىء المتّهم! وهذا الكاتبُ نفسه استشاط غضباً حين رأى مقالاً فى جريدة مصرية عن ستالين يصف ما ارتكبه من الفظائع الدامية حينَ حصدَ آلاف الآلاف دون جريرة، فكتب يقول: إنه يَبْنى دولة فلاً بُد أن يستأصل المعارضين، وإن بلغوا آلاف الآلاف! إذ المهم بقاء الشيوعية والترسيخ لها، فلا يجب أن نَتحسّر على استئصال الدهماء!» هكذا قال.

وقد كان اللواء الركن مؤيدا بتوفيق الله، فأصدر فى هذه الناحية موسوعة كبيرة، ما كان من الممكن أن تصدر لو ألفت لها لجنة من كرام المؤرخين، لأن العمل الفردى فى بلادنا هو الأسرع والأنفع، أما اللجان فتجتمع وتتفرق لترسم الخطة -إذا فعلت- ثم تتفرق دون شىء!

وقد اختط طريقة الأسلوب المباشر الذى يلامس الأحداث، ويتغلغل فى صميم الوقائع، دون افتعال لتمهيدات كثيرة يذكرها بعض المؤرخين المحدثين لا لأهميتها فى البحث، بل

لتدل على بُعد النظر، وانفساح الأمل، وهذا البسط الممتد - وإن كان نافعاً من بعض وجوهه - فإنّه يبعد القارىء عن الموضوع الأصلى بعض البعد، ويقف حائلا دون توهج اشتعاله الفائر أثناء القراءة، لاسّيما والحديث فى الجزء الواحد عن عدّة أناس لا عن شخص واحد، ومن خطر الحديث عن الزّملاء المشتركين فى معركة واحدة أن الكاتب يتعرض للحديث عن الوقائع فى كل مناسبة تلوح، فأبطال «القادسية» مثلاً قد خاضوا غمار معركة واحدة، وإذا كان الحديث عن المعركة وحدها فى كتاب يحمل اسم المعارك، فإن هؤلاء الأبطال يذكرون وفق أدائهم الطبيعى للأعمال، ويكتم من ذلك الحديث المتصل عنهم دون استطراد، أما لو كان الحديث عن الأبطال فى كتاب يحمل اسم: (القادة)، فلا بد أن يتكرر ذكر الوقائع، ومن الصعب هنا الإحالة على ما سبق، فقد يكون فى هذه الإحالة ما يطفىء بريق الصورة، فلا تلوح بوجهها الوضاء، أذكر كل هذا لأمهد العذر لكاتب التراجم فى مجموعة واحدة إذا اضطر إلى إعادة ما يقول، وقد كان الأقدمون من كُتّاب الطبقات لا يلحظون ما يقعون فيه من تكرار بل يرونه طبيعيا، لأنهم قد يكرّرون الحادث الواحد فى الموقعة الواحدة إذا اختَلَف راوٍ عن راوٍ فى شىء يسير لا يُعد موضعا للتعارض، لهذا كثر اهتمامهم بالإسناد المتصل، وكان المؤرخ يُبرىء نفسه إذا وقع فى خطأ ما، لأنه ذكر الإسناد، وإذن فالتبعة على الراوى وليست عليه، على أن للواء الركن زكاءه الثاقب فى تجنّب كثير مما قيل إذ يعرض الموقف بإيجاز يعتمد على اللمح فى بعض التراجم، فإذا اتسع ولم يتعمد الإيجاز فهو يرحم القارىء المتوسط، الذى يكون دائماً فى حاجة إلى تذكير، ومما يحمد للواء أنه اهتم بالجنود كثيراً ولم يجعل اهتمامه بالقادة وحدهم، لأنّه يرى الجنود أداة التنفيذ الحقيقى، وبجهودهم كان إتمام الخطة المرسومة التى رسمها القادة، بل من عجائب الفتح الإسلامى أن الإخلاص لله وحده قد دفع بعض الجنود إلى العدول عن الخطة المرسومة حين وجد نفسه فى موقف يدعو إلى العدول، وبعد انتهاء المعركة يجد الشكر من قائده لأنه وهو الجندى الملتزم كان بطل الموقف حقاً، وإذا اختلفت الأنظار فيما أتاه الجندى بعد المعركة، فالمؤرخ هنا ينصب الميزان الدقيق لمحاكمة الإثنين معاً، ويظهر ذلك على سبيل المثال فيما كان من أمر طارق بن زياد فى معركة الفتح المبارك للأندلس حين تخطّى تعاليم موسى بن نصير فواصل الزحف، ورأى موسى فى مخالفة رأيه ما يدعو إلى الملامة والتجريح، ولسنا معه فى ذلك، لأن الطريق كان ممهدا، وقد نجح طارق فى توسّعه الظافر، وضمّ مدنا كثيرة إلى فتوحاته، ووجد من المؤرخين من حبذ اتجاهه كل التحبيذ، واللواء الركن فى مثل هذه الخلافات كان ينظر بعين العسكرى المحنّك، فيقدّر كل موقف بما انتهى إليه من نتائج، عاطفاً على الجميع كل العطف، إذ لا مجال هنا للتعصب على زيد أو عمرو، فالكل جنود فى جبهة الفتح المبين.

[يتبع]

«إسهامات العلماء المسلمين في التقدم العلمي والتكنولوجي عبر العصور»(*)

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(**)

تشهد الفترة الحالية من عصرنا اهتماما كبيرا بالتأريخ للعلم وفلسفته، خاصة فيما يتعلق بقضية التأصيل لنشأة العلم وأولية المنهج العلمى، حيث يدور الجدل بين الباحثين حول الإجابة عن أسئلة من قبيل: أين ومتى نشأ العلم، وتكونت بذرة المنهج العلمى فى فكر الإنسان؟

وتاريخ العلم والتكنولوجيا جزء من التاريخ الإنسانى العام الذى أسهمت فى صنعه جميع الأمم على مر العصور، إنه تاريخ الفكر الذى منحه الله- تعالى- للإنسان لكى يرتقى بعقله، ويدرك أهمية المعرفة فى صنع التقدم وفهم حقائق الأشياء، ومن يقرأ تاريخ العلم بحيدة وموضوعية بعيدا عن مختلف ضروب الهوى والتحيز، يجد أنه وثيق الارتباط فى تقدمه وتعثره بمراحل ازدهار حضارات الإنسان وانحطاطها، منذ عصور الحضارات القديمة، ومرورا بعصر الحضارة العربية الإسلامية فعصر النهضة الأوربية الحديثة، وصولاً إلى حضارة التكنولوجيا المعاصرة، كما يجد أن فلسفة العلم والتكنولوجيا معنية بتتبع نمو المفاهيم والأفكار العلمية والتكنولوجية وتطورها عبر تلك المراحل ومهتمة بما قدم العلماء والتقنيون من نظريات أو حلول لمختلف القضايا العلمية والتكنولوجية وفق منهج تحليلى مقارن يهدف إلى وضع الحقائق فى نصابها المقبول عقليا والممكن تاريخيا ومنطقيا.

(*) ألقى هذا البحث فى المؤتمر العام الثانى عشر الذى نظمه «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية» بالقاهرة فى الفترة ٨ -١١ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ/ ١١ -١٤ يونيو ٢٠٠٠م تحت عنوان: « نحو مشروع حضارى لنهضة العالم الإسلامى»

(**) الكاتب: أستاذ الفيزياء ووكيل كلية العلوم - جامعة القاهرة.

من هنا، فإن الأمانة فى التأريخ لأى علم من العلوم تقتضى أن نتتبع مراحل تطوره منذ نشأته ونقف على كيفية نموه وتدرجه، ونتعرف على ما قام به عظماء رجاله من الأعمال والابتكارات التى أحدثت هذا النمو والتدرج، فذلك أدعى إلى حسن تصور الأفكار والنظريات العلمية والتكنولوجية المختلفة، فضلا عن أنه الأسلوب الواجب لإيضاح التسلسل الطبيعى للخطوات التى أدت إلى الكشف عن الحقائق العلمية والإنجازات التكنولوجية منسوبة إلى أصحابها الشرعيين.

وانطلاقا من هذه المقدمة سوف نعرض لبيان بعض إسهامات العلماء المسلمين فى التقدم العلمى والتكنولوجى عبر العصور، ونلقى الضوء على ما قدموه من مآثر ذات قيمة معرفية أو منهجية أو تطبيقية فى تاريخ الحضارة الإنسانية ونكشف عن بعض المفاهيم والإنجازات التى تشكل أساساً لكثير من المباحث التى تعامل اليوم كعلوم تخصصية مستقلة، نظراً لاتساع دائرة البحث فى موضوعاتها، وسوف نعتمد فى توثيق هذا العرض على ما جاء فى أمهات الكتب التراثية المحققة.

(أ) العلوم الأساسية والتطبيقية

لم يقف علماء الحضارة الإسلامية عند حد المواريث الفكرية، لكنهم أضافوا بعد ذلك ما توصلوا إليه من تجاربهم وخبراتهم واستطاعوا أن يكونوا نسقاً فكريا وعمليا متميزا قوامه البحث عن الحقيقة فى أعماق النفس وآفاق الوجود، وأساسه العلم والعمل من أجل ترقية الحياة على الأرض، استناداً إلى مبادئ الإسلام الحنيف، ونذكر من مآثر المسلمين بعض الثورات العلمية التى أشعلوا جذوتها، فى العلوم الأساسية والتطبيقية الآتية:

فى مجال الرياضيات: جرت الدراسات وفق الطريقة الاستقرائية للوصول إلى المبدأ العام من ملاحظة التفاصيل، على نحو ما فعل الخوارزمى عندما وضع معادلة جبرية تصلح لإيجاد حلول خاصة لمشكلات متشابهة، واستطاع أن يتوصل إلى علم جديد يضيفه للمعرفة هو علم الجبر الذى ظل محتفظا بلفظه العربى فى كل اللغات، وواصل العلماء بعد ذلك عملية التعميم للكائنات الرياضية سواء كانت خطوطا هندسية أو أرقاما عددية، فأضاف ثابت بن قرة تعميما لنظرية فيثاغورث يصلح لأى مثلث، وبرع عمر الخيام فى تصنيف وحل المعادلات ذات الدرجة الثالثة والرابعة.

وظل هذا المنهج أسلوباً لفكر الرياضيين حتى أصبح من أهم خصائص المعرفة العلمية وأدى فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى إلى اكتشاف معادلات التحويل التى تربط بين إحداثيات الموضع وإحداثيات معممة تكون مسافات أو زوايا، أو كميات تتصل بالمسافات والزوايا، ولولا هذه المسيرة الرياضية التى بدأت بعلماء الحضارة الإسلامية لما ظهرت معادلات «لاجرانج» ومعادلات «هاميلتون» التى تتميز فى العصر الحاضر بسهولة استخدامها لاستنباط وحل العديد من المسائل العلمية فى علوم ميكانيكا الكم والميكانيكا الإحصائية والميكانيكا السماوية والكهروديناميكا وغيرها.

وفى مجال العلوم الفيزيائية: كشفت الدراسات التراثية المعاصرة عن سبق علماء

المسلمين إلى تحديد الكثير من المفاهيم العلمية فى ميادين الميكانيكا والبصريات والصوتيات وخواص المواد الصلبة والسائلة والغازات وغيرها. فعلى سبيل المثال: عبر هبة الله بن ملكا البغدادى فى كتابه «المعتبر فى الحكمة» والشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابه «الشفاء» وابن المرزبان فى كتابه «التحصيل» وابن الهيثم فى كتابه «المناظر» وغيرهم عبروا عن عناصر الحركة وأنواعها وقوانينها بصياغات علمية لا تختلف عما نعرفه اليوم.

كذلك قدم علماء المسلمين لأول مرة فى تاريخ العلم أساسا مقبولا لتفسير السقوط الحر للأجسام تحت تأثير الجاذبية الأرضية، وبدأ الهمدانى هذه الثورة العلمية بقوله فى سياق حديثه عن الأرض وما يرتبط بها من مياه وهواء ما نصه –فى كتاب الجوهرتين– «... فمن كان تحتها (أى تحت الأرض عند نصفها الأسفل) فهو فى الثبات على قامته كمن فوقها، وكثبات قدمه عليه، فهى بمنزلة حجر المغناطيس الذى تجذب قواه الحديد إلى كل جانب ....» ويتضح من هذا النص أن الهمدانى قد أرسى أول حقيقة جزئية فى فيزياء ظاهرة الجاذبية، ثم تبعه عبد الرحمن الخازنى الذى ذكر فى كتابه «ميزان الحكمة» أن الجسم الثقيل يتحرك بقوة ذاتية أبدا إلى مركز الأرض فقط.. ولولا هذه الحقائق الجزئية على طريق استكمال التصور الإنسانى لظاهرة الجاذبية والحركة لما وجد اسحق نيوتن من يقف على أكتافهم من عمالقة العلماء لكى يصنع مجده وشهرته بصياغة قوانين الحركة والجاذبية.

وفى علوم الفلك والأرصاد: وضع علماء المسلمين أصول الكثير من النظريات الحديثة عن الظواهر الجوية والفلكية كما اهتموا بوضع الأزياج (الجداول الفلكية والرياضية) التى جمعها «تيكوبراهى»، واستخدمها من بعده «كبلر» فى صياغة قوانينه المشهورة عن حركة الكواكب، وترتب على ذلك كله تقدم علوم الفلك والأرصاد وصاحبه ازدهار الملاحة البحرية فى البحرين الأبيض والأحمر، وفى المحيطين الهندى والهادى، وظلت اختصاصا عربيا إسلاميا حتى مطلع العصور الحديثة.

وفى مجال الكيمياء: يجمع المؤرخون على أنها تحولت فى عصر النهضة الإسلامية من «الصنعة» الخرافية إلى العلم التجريبى بفضل علماء أفذاذ أمثال: جابربن حيان، والرازى والجلدكى، وغيرهم، عرفوا العديد من العمليات الكيميائية: كالترشيح، والتبخير، والتصعيد، والتقطير الجزئى والتبلور، واستخدموا فى ذلك الآلات والأجهزة، فتجاوزوا حدود الآراء النظرية والتأملات الفلسفية المميزة لعلوم الإغريق والهنود.

ومن بين الإنجازات التى يصعب حصرها ما توصل إليه علماء المسلمين فى ميدان الكيمياء التطبيقية، حيث استخدموا الفحم الحيوانى لأول مرة فى قصر الألوان، ولا تزال هذه الطريقة تستعمل فى إزالة الألوان والروائح من المواد العضوية، وتوصلوا إلى أن الشب، وهو أحد أملاح الألومنيوم يساعد على تثبيت الأصباغ فى الأقمشة، وذلك قبل أن يصل العلم الحديث إلى تفسير خاصية

التصاق الشب على الألياف، وتكوين أملاح معقدة مع الأصباغ الملونة تعمل كوسيلة ربط لجزيئاتها على القماش.

وفى مجال العلوم الطبية والصيدلة: أخذ علماء المسلمين بنظام التخصص واهتموا بعلم التشريح والتشريح المقارن واعتمدوا فى استخلاص النتائج على المشاهدة والتجارب كذلك اهتموا بعلم الجراحة وأظهروا دراية فائقة بجراحة الأجزاء الدقيقة من الجسم كالأعصاب والعظام والعيون والأذن والأسنان واستئصال الأورام الخبيثة واكتشفوا العديد من الأمراض ووصفوا أعراضها وطرق علاجها وقدموا خدمات جليلة للحضارة الإنسانية تتمثل فى العديد من المؤلفات القيمة التى نهلت منها أوروبا وظل معظمها يدرس فى جامعاتهم حتى عهد قريب، مثل: كتاب «الحاوى» لأبى بكر الرازى، و «القانون» لابن سينا، و«التصريف» للزهراوى.

وكان تقدم العلوم الصيدلية مواكبا لتطور علوم الطب خطوة بخطوة فظهر علم «الأقربازين»، أو «دستور الأدوية» الذى كان يعنى فى بادئ الأمر تركيب الأدوية المفردة وقوانينها، وأصبح يعنى فى العصر الحديث علم طبائع الأدوية وخواصها، واكتشف علماء المسلمين العديد من العقاقير التى لاتزال تحتفظ بأسمائها العربية فى اللغات الأجنبية، مثل: الحناء، والحنظل، والكافور، وغيرها وفى السنوات الأخيرة زاد اهتمام شركات الأدوية بإعادة قراءة كتب التراث العلمى، وإجراء التجارب على الوصفات الشعبية التى وردت فيها فى محاولة للكشف عن أدوية جديدة للأمراض باستخدام التقنيات الحديثة، وعندما ترجمت مؤلفات المسلمين إلى اللاتينية واطلع الغرب عليها سطعت شمس العلم الإسلامى على كل أوروبا وتشهد المستشرقة الألمانية «سجريد هونكه» بهذه الحقيقة فى كتابها: «شمس العرب تسطع على الغرب» مؤكدة: «أن كل مستشفى، وكل صيدلية، ومخزن أدوية فى أيامنا هذه يعتبر نصبا تذكاريا للعبقرية العربية (الإسلامية) كما أن كل حبة من حبوب الدواء مذهبة أو مسكرة، إنما هى كذلك تذكار ظاهر يذكرنا باثنين من أعظم علماء المسلمين ومعلمى بلاد الغرب. وتقصد: الرازى وابن سينا.

وفى مجال العلوم البيطرية، أو طب الحيوان: اهتم علماء المسلمين بالثروة الحيوانية وكل ما يتعلق بتطويرها ونمائها، يشهد على ذلك ما تضمنته مؤلفاتهم من دراسات قيمة تتعلق بتغذية الحيوان وتربيته ومداواته من الأمراض التى تصيبه، فقد أفرد أبو بكر أحمد بن وحشية فى القرن التاسع للميلاد كتابا للحيوانات المعينة على الفلاحة مثل: البقر، والغنم، والإبل، وغيرها وجعل بابا خاصا للحمام والطيور والكراكى، كذلك خصص ابن العوام الأبواب الأخيرة من كتاب: «الفلاحة الأندلسية» لتربية الماشية وتحدث عن أمراض الحيوان، وكيفية اختبار الجيد، ومدة الحمل، وما يصلح من العلف، ثم تحدث عن التسمين ورياضة الأمهار، وخصص فصلا عن اقتناء الطيور فى البيوت مثل:

الحمام، والأوز، والدجاج، ونحل العسل، ثم اقتناء الكلاب للصيد أو الزرع.

من ناحية أخرى، عرف علماء المسلمين ظاهرة التهجين وأنماطه المختلفة ووصفه الجاحظ فى كتابه: «الحيوان» بقوله: «إننا وجدنا بعض النتاج المركب وبعض الفروع المستخرجة منه أعظم من الأصل».

ويعترف العالم بإسهامات المسلمين فى مجال تحسين النسل الوراثى (اليوجينا) عن طريق انتقاء صفات وراثية معينة، وقد تجلى هذا بوضوح فى حرصهم على أنساب الخيول العربية بحصر التزاوج فيما بينها وبين أفراس أصيلة ذات صفات وراثية محددة، وتابعوا اصطفاءء الصفات على الأنسال القادمة، ومنعوا أى تزاوج عشوائى مع أفراد مغمورة أو وضيعة النسب، وكان لهذا الأسلوب الوراثى أكبر الأثر فى لفت الأنظار بعد ذلك إلى استيراد الخيول العربية ودخولها فى التهجين مع سلالات أخرى لرفد مورثاتها (جيناتها) وخصائصها الفذة: كالرشاقة والجمال، وضمور البطن، والعدو السريع، والحس المرهف والذكاء المفرط، والعرف الغزير، وصغر الآذان، وغير ذلك.

وفى مجال علوم الأرض، أو الجيولوجيا والجغرافيا: بحث علماء المسلمين وألفوا قبل أن ينقلوا كتب غيرهم إلى العربية، وكان لاكتشاف الأجهزة العلمية كالبوصلة والأسطرلاب، أثر هام فى تسهيل الرحلات وتشجيع الرحالة فقام علم الجغرافيا أو تقويم البلدان على أسس علمية سليمة وقد أحصى «ميللر» الخرائط التى رسمها علماء المسلمين للعالم الإسلامى فوجدها مائتين وخمسة وسبعين خارطة، باستثناء خرائط «الإدريسى» التى وصفها «ميللر» بأنها تمثل مدرسة جغرافية خاصة ذات أثر كبير فى تصوير الدنيا للأوروبيين.

وتحدث علماء المسلمين عن العصور الجيولوجية، ووصفوا تكون الجبال والصخور بأنواعها وحدوث الزلازل وما يطرأ على اليابسة والماء من تطورات خلال الأزمنة الجيولوجية المتعاقبة، كذلك اهتم علماء المسلمين بالمناجم وتوزيع المعادن فى أنحاء الكرة الأرضية، ويعتبر كتاب البيرونى: «الجماهر فى معرفة الجواهر» من خير ما صنف فى عصر الحضارة الإسلامية لدراسة خواص المعادن والبلورات، كذلك اهتم الهمدانى فى كتابه: «الجوهرتان العتيقتان» بسرد مناجم الذهب والفضة المعروفة فى: جزيرة العرب، وبلاد الأعاجم، وأرض النوبة، والحبشة، وقد أفادت منه اليمن حديثا فى الاهتداء إلى العديد من المناجم الهامة.

أما «علم التربة» (أو «البيدولوجيا») فنجد أصوله فى كتاب: «جامع فرائد الملاحة فى جوامع فوائد الفلاحة» لرضى الدين الغزى (ت ٩٣٥ هـ)، الذى تحدث بإسهاب عن نظرية تكوين التربة، ووصف بوضوح تام الفروق المميزة بين ما يعرف باسم: «التربة السطحية» و«التربة التحتية» و«التربة المنقولة»، وربط حالة التربة وخصوبتها بمجموعة من العوامل الفيزيائية تشمل: الحرارة، والرطوبة، والكثافة الظاهرية باعتبارها مقياسا للانتفاش أو المسامية.

«يتبـــــع»

طرائف .. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

«الشعور بالمسئولية»

قالت السيدة فاطمة زوجة عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله عنه ـ : دخلت يوما عليه، وهو جالس فى مصلاه، واضعا خده على يده ودموعه تسيل على خديه، فقلت : مالك؟ فقال : ويحك يافاطمة، قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت، فتفكرت فى الفقير الجائع، والمريض الضائع والعارى المجهود، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيدة، والمظلوم المقهور، والغريب والأسير، والشيخ الكبير، وذى العيال الكثير والمال القليل، وأشباههم فى أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربى ـ عز وجل ـ سيسألنى عنهم يوم القيامة، وأن خصمى دونهم ـ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخشيت ألا تثبت لى حجة عند خصومته، فرحمت نفسى فبكيت.

«حقيقة»

إذا افتقر الرجل اتهمه من كان يأتمنه، وأساء به الظن من كان يحسنه، فإذا أذنب غيره نسب إليه، ومن كان له صار عليه.

لم لا تصحب الناس؟

قيل لإبراهيم بن أدهم : لم لا تصحب الناس؟ فقال :

إن صحبت من هو دونى آذانى بجهله وإن صحبت من هو فوقى .. تكبر علىَّ. وإن صحبت من هو مثلى حسدنى فاشتغلت بمن ليس فى صحبته ملال ولا فى وصله انقطاع، ولا فى الأنس به وحشة.

«عمى البصر أم البصيرة؟»

ذكر أن عالما ممن ينكر المجاز والاستعارة فى القرآن الكريم، جاء إلى شيخ فاضل عالم منكرا عليه دعوى المجاز ـ وكان ذلك السائل المنكر أعمى ـ فقال له الشيخ : ما تقول فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾(١) هل المراد بالعمى الحقيقة وهو عمى البصر، أم المراد به المجاز وهو عمى البصيرة؟ فبهت السائل وانقطعت حجته.

(١) سورة الإسراء ٧٢.

«هكذا تعيش البهائم!!»

كان عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله عنه ـ إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ قوله ـ تعالى ـ ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾(٢)

ثم يبكى وينشد :

نهارك يامغرور سهو وغفلة
وليلك نوم والردى لك لازم
تسر بما يفنى وتفرح بالمنى
كما سر باللذات فى النوم حالم
وتسعى إلى ما سوف تكره غبَّهُ
كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

«زيارة غير محبوبة»

زار رجل بعض العُباد، ونقل إليه كلاما عن بعض معارفه، فقال له العابد : قد أبطأت فى الزيارة وجئتنى بثلاث جنايات :

بغضت إلىَّ أخى وشغلت قلبى الفارغ، واتهمت نفسك.

«من الشقى؟»

قيل : لم أر أشقى من البخيل بماله، لأنه فى الدنيا يشقى بجمعه، وفى الآخرة يحاسب على منعه، غير آمن فى الدنيا من همه، ولا ناج فى الآخرة من إثمه.

ليس مع الجزع فائدة

كان سيدنا أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ إذا عزى رجلا قال :

ليس مع العزاء مصيبة، ولا مع الجزع فائدة، الموت أشد ماقبله وأهون مابعده، اذكروا فقد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تهن عندكم مصيبتكم، صلى الله على محمد، وعظم الله أجركم.

«دعاء»

اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسى، ومن شر الشيطان وشركه، وأن اقترف على نفسى سوءا أو أجره إلى مسلم.

---

(٢) الشعراء ٢٠٥ - ٢٠٧.

البوصيرى إمام المادحين

٦٠٨ - ٦٩٥ هـ : ١٢١٢ - ١٢٩٦ م

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

(١) يحتل الإمام البوصيرى منزلة عالية بين أعلام التصوف، وبين شعراء عصره.. وقصيدتاه البردة والهمزية سارتا مسير الشمس. وضرب بهما المثل فى البلاغة والروعة والبيان فى كل العصور.

والبوصيرى هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيرى.

ينتهى نسبه إلى قبيلة صنهاجة الكبيرة التى عاشت فى بلاد الغرب، ويحقق ابن خلدون فى تاريخه أن صنهاجة من القبائل العربية اليمنية.. وقد تفرقت هذه القبيلة فى الشمال الأفريقى كله.

ومن هذا يكون البوصيرى عربيا، وإن كان عهده بالعروبة الصميمة بعيدا، لطول إقامة هذه القبيلة بالمغرب، ولاختلاطها بالبربر وتأثرها بهم على أنه إن فاته من نسبه العربى سلامة الملكة، لا يفوته كثير من صفات العرب التى عرفوا بها، لأن هذه الصفات لم يغير منها إقامة قبيلة صنهاجة بين البربر، إذ كانت معيشتهم وحالة اجتماعهم لا تختلفان عما للعرب فى جزيرتهم، ومن ثم عرف البوصيرى بالصراحة فى القول والشدة فى الحق..

وقد ولد الإمام البوصيرى وعاش فى مصر، وكان أحد أبويه من أبو صير، والآخر من دلاص، وهما قريتان من محافظة بنى سويف، وتقع أبو صير جنوبى دلاص، ويرجح أن دلاص هى بلدة والده، وأن أبوصير هى بلدة أمه، وأنه ولد بالأولى ونشأ بالثانية، ومن ثم قيل له البوصيرى، أو الدلاصى.

(٢) عاش البوصيرى فى ظلال الدولة الأيوبية، وفى أوائل دولة المماليك.

وكان العصر عصر جهاد للصليبيين، ودفاع عن وطن الإسلام من هجوم الغزاة المتعصبين من الصليبيين ووحشيتهم، شاهد انتصار مصر فى معركة المنصورة الكبيرة التى أسر فيها لويس

التاسع ملك فرنسا واعتقل فى دار ابن لقمان عام ٦٤٨ هـ، كما عاصر معركة عين جالوت التى انتصر فيها السلطان قطز على جيش التتار فى أرض فلسطين عام ٦٥٨هـ-١٢٦٠م.

٣ ويحدثنا التاريخ عن سطوة الدولة الأيوبية وشدة شكيمتها فى محاربة الصليبيين وحرصها على نشر العلم، وبناء المدارس، وتكريم العلماء. وكان يعاصر البوصيرى الصوفى الكبير عمر بن الفارض المتوفى عام ٦٣٢هـ ١٢٣٥م، وفى هذه الفترة ظهر كثير من علماء علوم الشريعة وانتقل البوصيرى إلى القاهرة، وأقام بها وتعلم فيها، ومن شيوخه الكبار: الشيخ أبو العباس المرسى «٦١٦- ٦٨٦هـ»، وكذلك عاصر السيد أحمد البدوى «٦٠٦-٦٧٨هـ» والسيد إبراهيم الدسوقى «٦٣٣-٦٧٢هـ» والشيخ عز الدين بن عبد السلام «٥٧٧- ٦٦٠هـ» كما عاصر أبا الحسن الشاذلى «٥٩٣-٦٥٦هـ» وابن عطاء الله السكندرى «٦٥٨- ٧٠٩هـ» وابن دقيق العيد «٦٢٥- ٧٠٢هـ» وغيرهم من أعلام العلماء وأئمة التصوف، وشيوخ الإسلام.

وكان البوصيرى وابن عطاء الله من أشهر تلامذة أبى العباس المرسى، ومن أكثرهم ملازمة له، وقد رحل المرسى من الأندلس إلى مصر، وأقام بالقاهرة حينا ثم رحل إلى الإسكندرية، وعاش فيها، وتوفى بها، وكان ورعا تقيا، أخذ الطريق عن شيخه أبى الحسن الشاذلى.

وكان البوصيرى وابن عطاء الله ممن تشربوا روح أبى العباس المرسى، وأخذوا مذهبه فى السلوك، وطريقه فى التصوف، وانتفعوا أكبر نفع بصحبته، حتى قيل: إنه خلع على البوصيرى الشعر، وعلى ابن عطاء الله النثر.

ومن تلامذة البوصيرى محقق عصره العز بن جماعة الذى تولى قضاء مصر وعمر طويلا.

وكان للإمام البوصيرى مدرسة صوفية عرف بها، ولا نكاد نعلم من شئون حياة البوصيرى، وما تناوله من أعمال. إلا القليل، وأنه كان يعمل فى صناعة الكتابة، ويلى أعمالا فى بلبيس، ويراد من الكتابة هنا كتابة الحساب.

وعرف من أحوال البوصيرى الفقر والشكوى من كثرة العيال، مما لا يساعد على تصور أنه ولى وظيفة مباشر فى الشرقية «أى: محافظ» وكانت الشرقية ثلاثمائة بلدة وثمانين، ويتولى المباشر شئونها، وهذا منصب كبير، لا يحوج صاحبه إلى شكوى، فما بالنا والبوصيرى كان فقيرا يمدح الرؤساء، وقد يكون قد عمل مباشرا من مباشرى المساحة، الذين يأمرهم المباشر الأكبر بزرع الأرض، وتوزيع البذور ـ شأن بنوك التسليف التى تقوم اليوم بهذه المهمة ـ ولعل قلة جدوى مثل هذا العمل قد حمل البوصيرى على تركه، زاهدا ناسكا متذرعا بالورع والعبادة وطلب مرضاة الله.. وتوفى الإمام البوصيرى بالإسكندرية عن قريب من تسعين عاما..

٤ كان البوصيرى من أعلام شعراء التصوف فى عصره وصارت شاعريته بمدائحه النبوية البليغة مضرب المثل فى الفصاحة، ومن العجب العجاب أن شعره فى أغلبه لا يمتاز بجودة ولا ببلاغة ولا بروعة كبيرة، ولكن مدائحه النبوية وحدها هى التى نالت من البيان والبلاغة أعلى نصيب، واستحوذت على قصب السبق فى كل رهان.

فنراه فى قصيدته « البردة »، قد استولت عليه النشوة وموهبة البيان فى كل جانب، فأنطقته بهذه الحكمة الرائعة، وجعلت قوله رصينا جزلا، ولا بدع فتناوله للمدائح النبوية هو الذى أهله لهذه البلاغة، ولذلك السمو فى المعانى، ولتلك الروعة والسحر فى القول وكان ذلك بمثابة العون والرعاية والمكافأة وشد الأزر من حب الرسول ـ ﷺ ـ له على حسن نيته وصدق عقيدته، وعميق إيمانه.

وذلك شبيه بأمر حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ إذ كان شعره فى الدفاع عن رسول الله وعن الإسلام وعن المسلمين، هو أجود ما نظم وأبلغ ما قال، حتى كان رسول الله ـ ﷺ ـ يقول له : « قل وروح القدس معك ».

والبوصيرى فى شعره يمتاز ببساطة القول، وعدم الاحتفال بالزينة اللفظية، وبطول النفس، فقصيدته المسماة بـ « أم القرى » فى مدح رسول الله صلوات الله عليه تبلغ ٦٣٦ بيتا، وقصيدته « ذخر المعاد فى وزن بانت سعاد » تبلغ ٢٠٦ أبيات، وقصيدته البردة ١٥٩ بيتا.. كما يمتاز شعره بأنه مرسل على السجية، لا تكلف فيه ولا تعمل.

ومن قصائد البوصيرى فى مدح رسول الله، قصيدته، التى مطلعها :

أمدائح لى فيك أم تسبيح ؟
لولاك ما غفر الذنوب مديح

وقصيدته :

إلهى على كل الأمور لك الحمد
فليس لما أوليت من نعم عد

وتبلغ تسعة وتسعين بيتا.

أما الهمزية فمشهورة ذائعة، وتتناول السيرة النبوية بأبلغ بيان، وأروع بلاغة.. وفى مطلعها يقول الإمام البوصيرى :

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء

وللهمزية شروح كثيرة، ومعارضات طويلة وقد عارضها أمير الشعراء أحمد شوقى بقصيدته الهمزية المشهورة، التى مطلعها :

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء

وقصيدة البوصيرى « ذخر المعاد » مطلعها :

إلى متى أنت باللذات مشغول ؟
وأنت عن كل ما قدمت مسئول

وهو يعارض بها قصيدة كعب بن زهير المشهورة :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول
متيم أثرها، لم يفد، مكبول

وقصيدة البوصيرى « البردة » طبقت شهرتها المشرقين والمغربين، وعارضها الجم الغفير من الشعراء وشرحها وخمسها عدد

كبير منهم، وممن عارضوها البارودى وشوقى وغيرهما.

ويقول البوصيرى فى سبب نظمها ما نصه: كنت نظمت قصائد فى مدح رسول الله ـ ﷺ ـ ثم اتفق بعد ذلك أن أصابنى فالج «شلل» أبطل نصفى، ففكرت فى عمل قصيدتى هذه «البردة» فعملتها واستشفعت بها إلى الله ـ تعالى ـ فى أن يعافينى، وكررت إنشادها وبكيت وتوسلت ونمت فرأيت النبى ـ ﷺ ـ فمسح على جنبى بيده الكريمة، وألقى على بردة، فانتبهت، فوجدت فىَّ نهضة، فقمت، وخرجت من بيتى، ولم أكن أعلمت بذلك أحدا، فلقينى بعض الفقراء، فقال لى: أريد أن تعطينى القصيدة التى مدحت بها رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت: أيها، فقال: التى أنشأتها فى مرضك وذكر أولها، وقال: والله لقد سمعتها البارحة وهى تنشد بين يدى رسول الله فرأيته يتمايل وأعجبته.

وألقى على من أنشدها بردة، قال البوصيرى: فأعطيته إياها، وذكر الفقير ذلك للناس، وشاع المنام، وبلغ الرؤساء، ومطلعها:

أمن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

وقصيدة شوقى فى معارضتها مشهورة، ومطلعها:

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

ومعارضة البارودى للبردة مطلعها:

يا رائد البرق يمم دارة العلم
واحد الغمام إلى حى بذى سلم

وعلى الجملة فإن شعر البوصيرى فى جملته مملوء بروح صوفية رفيعة، وفيه إشراق الصوفيين وبلاغتهم فى أسلوبهم وتعبيرهم.

وبحق لقد كان البوصيرى بعد ابن الفارض من أعظم شعراء التصوف الذين ظهروا فى مصر، والذين لم يجارهم فى بلاغتهم شاعر، ولم يصل إلى مستوى شاعريتهم أحد.

لقد كان ملهما، وكان ينطق عن ميراث حكمة وحق وحب لله ـ عز وجل ـ ولرسوله ﷺ

وتعد بردة البوصيرى بمثابة ملحمة شعرية فى سيرة رسول الله، وبسببها لقب البوصيرى بإمام المادحين «ومن المعروف أن المديح النبوى باب كبير من أبواب الشعرالعربى، وفن من فنونه، وهو خاص بمدائح الشعراء للشخصية المحمدية ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وإن كان المديح النبوى فرعا من فن المديح فى الشعر العربى.

وقد تطورت المدائح النبوية فى العصر الحديث من القصيدة إلى فن الملحمة فى السيرة العطرة سيرة رسول الله ـ ﷺ ـ ومن شعراء الملاحم النبوية: أحمد محرم فى «الإلياذة الإسلامية»، وعزيز أباظة فى «السيرة الزكية»، وكامل أمين فى «الملحمة المحمدية» ود. خفاجى فى «ملحمة السيرة النبوية الخالدة»، وسواهم.

رحم الله البوصيرى، وأجزل مثوبته فى دار الحق والخلود.

علماء من مصر
الإمام العلامة ابن حجر

٨

لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ فرغلى القرنى

هو من مفاخر مصر الزاهية، وأعلامها الزاهرة، وتيجانها اللامعة، ونجومها الساطعة.

ولد ونشأ فى مصر، وتنفس فى روابيها ودرج على ترابها الطيب، وعاش فى جوها المنعش، وتقلب بين جوانبها ودروبها ينعم بما أنعم الله به عليها من نعم وفيرة ومآثر كثيرة، يأتى من بينها الأزهر المعمور الذى منحه الله لمصر يحفظ به تراث العروبة، ويحيى به حضارة الإسلام، ويجدد به شباب الدين، ويثبت به قواعد الإيمان واليقين، ويتصدى بالكشف والدحض لشبهات المشككين وحملات المزيفين.

ولد - رحمه الله - فى شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة على شاطئ النيل بمصر القديمة، فى ظل أسرة نزحت أصولها من عسقلان أيام صلاح الدين الأيوبى، واستقرت فى القاهرة، ومن خصائص مصر أنها تصهر من ينزح إليها فى بوتقتها، وتطبع من يقيم فيها بطابعها، فلا يلبث أن يصبح من أهلها وواحدا من أبنائها المخلصين ومواطنيها الصالحين.

واسمه كما ورد فى كتب التراجم هو: أحمد ابن على بن محمد بن محمد بن على بن محمود ابن أحمد المعروف بابن حجر الكنانى العسقلانى، الشافعى المصرى المولد والمنشأ والدار.

والكنانى نسبة إلى قبيلة كنانة

وابن حجر لقب للعائلة التى ينتمى إليها، كان أحد أجداده قد لُقبَ بحجر، لحرفة كان يحترفها أو صناعة كان يقوم بها، وغلب اللقب على العائلة.

نشأته وعصاميته

ونشأ ابن حجر يتيماً، فقد مات أبوه بعد مولده بقليل، كان فى الرابعة من عمره حين مات أبوه، وكانت أمه قد ماتت قبل ذلك، فنشأ يتيم الأبوين.

وكان أبوه قد أوصى به عند موته إلى صديق له اسمه: زكى الدين أبى بكر بن نور الدين على الخروبى، وكان تاجراً كبيراً بمصر فأحسن الوصاية عليه.

كما تولى العناية به العلامة شمس الدين بن القطان وكان له بوالده اختصاص.

وكان ابن حجر عصامياً، فقد أقبل على التعليم بنفسه، وكان شغوفا بالعلم وطلبه، حفظ القرآن وله تسع سنوات.

واشتغل بطلب العلم بعد اتقانه القرآن حفظاً وتجويداً.. وقد أهَّلَه إجادة حفظه للقرآن أن قدم في الحرم المكى - في أثناء رحلة قام بها مع وصيه الخروبى وجاور بمكة - إماماً يصلى بالناس التراويح في رمضان، وكانت سنه إذ ذاك اثنتى عشرة سنة.

لقد ظهرت عليه مخايل النجابة مبكرة، وأقبل على كتب العلم المهمة بشغف، فقرأها وفهمها جيداً، ومن جملة ماقرأه وهو في الثالثة عشرة من عمره: عمدة الأحكام للمقدسى، والحادى الصغير للقزوينى، ومختصر ابن الحاجب في الأصول، وملحة الإعراب للهروى، ومنهج الأصول للبيضاوى، وألفية العراقى في الحديث، وألفية ابن مالك في النحو، والتنبيه في فروع الشافعية للشيرازى.

لقد عُرف بين أقرانه بأنه نادرة في الحفظ والذكاء وسرعة التحصيل مع جودته، حتى إنهم كانوا يقولون عنه: إنه كان يحفظ الصفحة من الكتاب بمجرد قراءتها ثلاث مرات.

ثم سمع صحيح البخارى وغيره من كتب الحديث، واهتم بالأدب والتاريخ منذ صغره، وكان له شيوخ كثيرون لا يكادون يحصون، كلهم أئمة في فنونهم وعلومهم، لقد اجتمع له من الشيوخ الذين يشار إليهم ويعول عليهم مالم يجتمع لأحد من أهل عصره، لأن كل واحد منهم كان متبحرا ورأساً في فنه الذى اشتهر به، لا يُلحق فيه.

وقد استقصى السخاوى في كتابه عنه «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» أسماء هؤلاء الشيوخ، ومن أجاز له منهم، ومن أخذ منه مذاكرة أو إنشاء، وقدرهم بستمائة وأربعة وأربعين شيخاً..

يأتى في مقدمتهم الإمام الكبير زين الدين أبوالفضل عبدالرحيم بن الحسين المعروف بالحافظ العراقى المتوفى سنة ست وثمانمائة..

وكان شيخه في العربية الفيروزبادى صاحب القاموس المحيط، والغمارى شمس الدين محمد بن محمد وقد توفى سنة سبع وثمانمائة.

ومن شيوخه إمام الشافعية في وقته سراج الدين البلقينى، وكان قد بلغ مرتبة الاجتهاد.

رحلاتـــه

ورحل ابن حجر في طلب العلم إلى بلاد كثيرة حيث التقى بكثير من الشيوخ الفضلاء والعلماء الأجلاء: ومن قوله في أسباب ترحله:

وإذا الديار تنكرت سافرت في
طلب المعارف هاجرا لديارى
وإذا أقمت فمؤنسى كتبى فلا
أنفك في الحالين من أسفارى

وأول رحلة كانت له إلى قوص من بلاد الصعيد، وكانت مشهورة بكثرة العلماء، كان ذلك سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة.

وفى أواخر سنة سبع وتسعين وسبعمائة رحل إلى الإسكندرية، واجتمع فيها بالعلامة

شمس الدين بن الجوزى وأخذ عنه كما أخذ عن غيره من علماء الإسكندرية.

وفى سنة تسع وتسعين رحل إلى الحجاز، ثم رحل إلى اليمن سنة ثمانمائة، وفى اليمن التقى بشيخ اللغويين مجد الدين الفيروزبادى صاحب القاموس.

وعاد من اليمن ثم سافر إليها مرة أخرى سنة ست وثمانمائة، وتعرض فى أثناء سفره لمخاطر عدة.

ثم رحل إلى مكة حاجاً، ثم عاد إلى مصر، ثم رحل إلى مكة والمدينة ورحل إلى الديار الشامية وزار بيت المقدس والتقى بدمشق بكثير من العلماء الفضلاء وفى زيارة بيت المقدس يقول:

إلى البيت المقدس حيث أرجو
جنان الخلد نزلاً من كريم
قطعنا فى مسافته عقاباً
ومابعد العقاب سوى النعيم

- والعقاب جمع عقبة وهى المكان المرتفع -

وسافر إلى حلب وسمع بها، وقال فى أثناء رحلته هذه متشوقاً إلى مصر:

كل يوم يمضى أقول تقضى
ألبَيْن فازداد بالرحيل البعادا
فمتى تنقضى بنا مدة الترحال
حتى ألقى بسعدى سعاداً؟

براعته فى علم الحديث

كانت سنه عشرين سنة حين أقبل على علوم الحديث بشغف واهتمام، والتقى بالشيخ زين الدين العراقى، إمام أهل الحديث فى مصر وفى غيرها، وكان يقصده القاصى والدانى، ولزمه ابن حجر عشر سنوات، وقرأ عليه ألفيته المشهورة، كما قرأ عليه غيرها من كتب الحديث.

ثم حصل على إذن من شيخه بتدريس علوم الحديث، وكان ذلك فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة.

وتولى درس الحديث بالمدرسة الجمالية الجديدة وأملى فيها.

وقام بتدريس المذهب الشافعى بالمدرسة المؤيدية الجديدة، وقام بتدريس الفقه عامة بالمدرسة الشيخونية، ثم بالمدرسة الصلاحية المجاورة للإمام الشافعى. وتولى مشيخة المدرسة البيبرسية فى دولة المؤيد.

توليه الخطابة والقضاء

وتولى ابن حجر الخطابة فى عدة مساجد بالقاهرة واختير خطيباً للجامع الأزهر، وكان يخطب فى أقدم مسجد بالقاهرة وهو مسجد عمرو بن العاص.

وأقبل عليه الطلاب من كل مكان يتلقون عليه العلم، وينهلون من ورده الصافى ماطاب لهم.

لقد كان مرجعاً واسعاً فى علوم الحديث، حتى لقد ظفر بلقب أمير المؤمنين فى الحديث، وهذا اللقب لم يظفر به إلا أعلام يعدون على أصابع اليد الواحدة منهم: سفيان الثورى وسفيان ابن عيينة.

وفى السابع والعشرين من المحرم سنة سبع وعشرين وثمانمائة أسند إليه القضاء. وكان يقوم بالإفتاء إلى جانب القضاء.

وندم ابن حجر بعد ذلك على قبوله منصب القضاء، لأنه كان لايؤثر على الاشتغال بالتأليف والتصنيف شيئاً، ويقول ابن حجر: إن آفة التلبس بالقضاء أن بعضهم ارتحل للقائى، ولما بلغه تلبسى بالقضاء رجع دون أن يلقانى، وترك القضاء عدة مرات، ولكنه كان يعاد إليه ثقة فيه، وكان آخر ولايته للقضاء إذ عزل نفسه سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة فى جمادى الآخرة.

مؤلفات ابن حجر

ولابن حجر مؤلفات شتى تتناول كثيراً من العلوم والفنون، ولاسيما علوم الحديث ومايتعلق بها. قال عنه السيوطى فى حسن المحاضرة: كان ابن حجر إمام الحفاظ فى زمانه، وعانى الأدب، وقال الشعر وبلغ فيه الغاية، ثم طلب الحديث فسمع الكثير ورحل فى طلبه، وتخرج بالحافظ العراقى وبرع فيه، وتقدم فى جميع فنونه، وانتهت إليه الرحلة والرياسة فى الحديث فى الدنيا بأسرها، فلم يكن حافظ سواه، وألف كتباً كثيرة: كشرح البخارى، وتعليق التعليق، وتهذيب التهذيب، وتقريب التهذيب، ولسان الميزان، والإصابة فى تمييز الصحابة، وغيرها، وأملى أكثر من ألف مجلس.

فتح البارى

ومؤلفاته كلها رائعة تدل على عقل راسخ وفهم دقيق، وتنظيم حسن، ومن أعظم مؤلفاته فتح البارى بشرح صحيح البخارى، وله مقدمة جامعة هى: هدى السارى لمقدمة فتح البارى، وقد قال أحد الأعلام عن كتاب فتح البارى: لقد كان شرح صحيح البخارى ديناً فى ذمة الأمة الإسلامية حتى جاء ابن حجر فوفى هذا الدين.

وله غير هذا الكتاب سلسلة من الكتب يبلغ تعدادها مائة واثنتين وثلاثين كتاباً تتناول أنواعاً مختلفة من العلم، وإن كان أغلبها ينصرف إلى الحديث وفنونه، قال شمس الدين السخاوى - وهو تلميذ ابن حجر : زادت تصانيفه التى معظمها فى فنون الحديث، وفيها فنون من الأدب والفقه والأصلين وغير ذلك على مائة وخمسين تصنيفاً، رزق فيها السعد والقبول، خصوصاً فتح البارى بشرح البخارى الذى لم يسبق نظيره أمراً عجباً.

ومن مؤلفاته فى علوم القرآن: الإتقان فى فضائل القرآن، الإحكام لبيان مافى القرآن من إبهام، الأفنان فى رواية القرآن، أسباب النزول، تجريد التفسير.. وغير ذلك.

ومن مؤلفاته فى الأدب : ديوان شعر، ديوان منظوم الدرر، نزهة النظر بتوضيح نخبة الفكر، النيرات السبعة: ديوان ابن حجر، وفى أدب الرحلات كتب: اتباع الأثر فى رحلة ابن حجر.

ومن مؤلفاته فى التاريخ والتراجم والرجال: الإصابة فى تمييز الصحابة، الدرر الكامنة فى أعلام المائة الثامنة، الألقاب، إنباء الغمر بأبناء العمر، تعريف الفئة بمن عاش مائة، مختصر البداية والنهاية لابن كثير، النبأ الأنبه فى بناء الكعبة، الفوائد الجمة فيمن يجدد الدين لهذه الأمة.

إلى غير ذلك من الكتب النافعة المفيدة التى تدل على فكر واسع وعقل راسخ، وعلم غزير، ومعرفة وفيرة، وقبل ذلك تشير إلى البركة التى منحها الله إياه فى وقته وعمله، والإلهام الذى من الله به عليه ففتح بصيرته وأثار قريحته، ورزقه بياناً ناصعاً وفهماً حسناً.

ثناء العلماء عليه

وقد ظفر ابن حجر بثناء مختلف العلماء فى مختلف الأقطار، وشهد له شيخه العراقى بأنه أعلم أصحابه بالحديث، وقد سئل العراقى: من تخلف بعدك؟ قال: ابن حجر، ثم ابنى أبو زرعة، ثم الهيثمى.

وقال عنه الحافظ تقي الدين محمد بن فهد ـ فيما يذكره محققاً كتاب تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر ـ : ألف التآليف المفيدة، الدالة على غزارة فوائده، والمعربة عن حسن مقاصده، جمع فيها فأوعى، وفاق أقرانه جنساً ونوعاً.

وقال أيضاً: هو إمام علامة حافظ محقق، متين الديانة، حسن الأخلاق، لطيف المحاضرة، حسن التعبير، لم تر العيون مثله..

وقال عنه السيوطى: وإن يكن فاتنى حضور مجالسه والفوز بسماع كلامه والأخذ عنه فقد انتفعت فى الفن بتصانيفه واستفدت منها الكثير، وقد أغلق بعده الباب وختم به فى هذا الشأن.

من أخلاقه وصفاته

كان ابن حجر صاحب وقار وأبهة ومهابة، وكان ذا عقل راجح وحلم وسكون وسياسة وكان على دربة وافية بالأحكام، وكان لا يخاطب الإنسان بما يكره، بل كان يحسن إلى من يسئ إليه، ويتجاوز عمن قدر عليه، وهذه هى أخلاق الصديقين.

وكان حاذقاً ذكياً عند المحاضرة والمناظرة، وكان ذواقاً للشعر جيد الرواية له، وكان فصيح اللسان شجى الصوت.

وكان تقياً ورعاً كثير الصوم والصلاة والعبادة، وكان له شعر جيد أشرنا إلى بعضه فى أثناء الحديث.

وفاته

توفى الإمام ابن حجر فى ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، وشيعه الناس جميعاً بما يليق به، وبما جرت به عادتهم حين يفقدون أهل الفضل من الأئمة العلماء. قال السيوطى: حدثنى الشهاب المنصورى شاعر العصر أنه حضر جنازته فأمطرت السماء على نعشه، وقد قرب إلى المصلى ولم يكن زمان مطر.

ونقول: لولا التأدب بأدب النبى ـ ﷺ ـ الذى يقول: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد أو ولادته» لقلنا: إن السماء بكت عليه يوم وفاته، وقد عد ذلك من النوادر، وقد أنشد الشهاب المنصورى قائلاً:

قد بكت السماء على قاضى القضاة بالمطر

وانهدم الركن الذى كان مشيداً من حجر

رحمه الله رحمة واسعة ورضى عنه.

الإعلام والأمية

دراسة في سبل ودعم المواجهة

٢

للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد *

تناولنا في المقال السابق مفهوم الأمية، وعرضنا بشكل موجز المفهوم الشامل لمحو الأمية، وبيّنا أن محو الأمية قضية إسلامية وحضارية.

وفي هذا المقال - بمشيئة الله تعالى - نتناول مشكلة الأمية في مصر من حيث الأسباب والأبعاد فإذا حاولنا تحديد أسباب هذه المشكلة القومية لوجدنا أنفسنا نتحدث عن مجتمعنا ككل - كدولة نامية - والذي يختلف بالضرورة عن وضع الدول المتقدمة، حيث التقدم الصناعي والنمو الكبير في الاستثمارات والمدخرات والتقدم التكنولوجي، فضلا عن الرخاء والتعاون الاقتصادي بين هذه الدول، وما ترتب على كل ذلك من فتح ميادين وآفاق جديدة للعمل، بينما يختلف الوضع اختلافا بينا في الدول النامية، ولا يخفى علينا انعكاس ذلك على هذه المشكلة.

وسأحاول من جانبي وضع تصور متواضع لأهم أبعاد هذه المشكلة وما ينجم عنها أو يؤثر فيها من أسباب دينية أو اقتصادية أو سكانية أو استعمارية، بغية تشخيص الداء والسيطرة عليه.

أولاً : البعد الديني للأمية :

وقد سبقت الإشارة إلى أهمية فهم المنهج ودعوته إلى طلب العلم كفريضة مقدسة وهنا تبدأ أهمية نشر الوعي الإسلامي والتأكيد على رسالة الإسلام لإنقاذ البشرية جمعاء، وهي رسالة قائمة على منهج ثابت وشامل للحياة، ومن ثم ترجع أهميته في أنه يصبغ جميع تصرفات المسلم بما يعود عليه وعلى مجتمعه بالنماء والتقدم، بدءاً من « التعليم الأساسي » إلى استيعاب الحضارة الحديثة، والإضافة عليها بالتفكير والتأمل، واستخدام العقل وفق ما يدعوه إليه القرآن الكريم وتحث عليه السنة النبوية.

ثانياً : البُعد الاقتصادي للأمية :

وأقصد بهذا البعد ضعف المستوى المعيشي للأفراد، أو هبوط الدخل السنوي، وهو المعيار الذي

(*) مدرس الصحافة والاعلام بجامعة المنصورة.

تأخذ به الأمم المتحدة كمعيار للحكم على تقدم المجتمع أو تخلفه، وهذا البعد وما يترتب عليه من الجوع والمرض والبطالة، نتيجة قلة الدخل والعمل، وتضخم الأسعار وقلة الموارد، يجعل التعليم فى ذيل قائمة الأولويات المطروحة لدى محدودى الدخل.

ويذهب الكاتب الفرنسى «جاك أوستروى» إلى أن: النظم الاقتصادية السائدة فى العالم اليوم لم يثبت صلاحها؛ لأنها كانت سببا لويلات الإنسانية بسبب فقدانها الجانب الأخلاقى والروحى.

أما النظام الإسلامى فإنه يقدم الحل الأمثل للمشاكل الاقتصادية، لأن الإسلام هو نظام الحياة التطبيقية والأخلاق المثالية الرفيعة معا، وهاتان الوجهتان مترابطتان لا تنفصلان أبدا، ومن هنا يمكن القول: إن المسلمين لا يقبلون اقتصاداً علمانياً، والاقتصاد الذى يستمد قوته من وحى القرآن يصبح بالضرورة اقتصاداً أخلاقيا.(٢٠)

ومن ثم يمكن للمفكرين علاج المشكلات الاقتصادية، وعلى رأسها مشكلة الفقر وانخفاض الانتاجية، وقلة الموارد، وتقاعس الأفراد عن العمل، وغيرها من منظور إسلامى.

ثالثاً: البُعد السكانى للأمية:

وكذلك يقف الدخل المنخفض لكثير من أفراد الشعب حجر عثرة فى وجه توفير السكن فى البلاد النامية، حيث يقل متوسط الدخل إلى الحد الذى يجعلهم يؤثرون المأكل، لأن دخولهم يستغرقها المأكل ولا تتسع لبناء مساكن لائقة لأسرهم.

ولعل ما يزيد الأمر سوءاً أن تردى الأوضاع السكنية مستمر، بل متزايد نظرا للدخول المنخفضة، وهناك أكثر من نصف سكان العالم فى أمريكا اللاتينية وأفريقية وآسيا أو أقطار العالم الثالث – أكثر من مليون من البشر – أغلبهم بلا مأوى، وبعضهم يعيش فى مساكن وصفتها بعثات الامم المتحدة بأنها تشكل خطرا كبيرا على الصحة، وتعتبر طعنة وإهانة لكرامة الإنسان(٢١).

ولعل النتيجة المنطقية لذلك الانفجار السكانى انتشار الأمية والجهل وتفشى البطالة والأمراض والأحقاد وارتفاع نسبة الطلاق، وغير ذلك من السلبيات التى نلمس خطرها، ومن ثم يتعين سرعة تفادى مشكلاتها ودراسة حلولها على المستوى المحلى والقومى والعالمى.

رابعاً: البعد الاستعمارى للأمية:

ولنا أن نتساءل ونحن نعالج هذه الجزئية..

لماذا تظل شعوب الدول النامية على حالها بعيدة عن أحداث النهضة الصناعية، وتبقى فى عزلتها دون أن تهب عليها رياح التقدم أو التغيير؟؟

يرى الدكتور إبراهيم إمام: أن الاستعمار العالمى قد ساعد – فى معظم الأحوال – على تأخر هذه البلاد النامية حتى تظل حقولا للمواد الخام الرخيصة، وأسواقا شاسعة لمنتجات الدول الاستعمارية المتقدمة صناعيا(٢٢).

كما ينص الدكتور محمد سيد محمد على أن: الاستعمار قد عمد إلى خلق ظروف

---

(٢٠) جاك أوستروى: التنمية الاقتصادية فى الإسلام. ص١٤، نقلا عن د.إبراهيم إمام: أصول الإعلام الإسلامى ـ دار الفكر العربى ـ ص٣١٣

(٢١) مجلة العربى: العدد ٢٠٦ (١٩٧٦) مقاله عن «أزمة الإسكان أكثر الأزمات تعقيدا فى عالم اليوم» د.محمد على الفرا ـ ص١٨ ـ بتصرف.

(٢٢) الإعلام والاتصال بالجماهير ـ مكتبة الأنجلو ـ (١٩٧٥) ص٣٧٦.

اجتماعية متخلفة فى البلدان التى استعمرها، وأنه لم يطور البيئة الجغرافية فى المستعمرات إلا بالقدر الذى يخدم مصالحه المباشرة فقط[٢٣]، وهو هنا يفسر ظاهرة التخلف بالظروف الاستعمارية، ولا شك فى صحة هذه الرؤية، فعلى الرغم من استقلال الدول النامية، إلا أن المشاكل التى خلفها الاستعمار فيها من الجهل والمرض والفقر والبطالة وقلة الموارد والاستثمارات، لا زالت تنعكس على واقع هذه البلاد بتأخر النمو اقتصاديا واجتماعيا.

وأخيرا.. فإنى أعتقد أن هذه هى أهم أبعاد هذه الظاهرة، وهى كما يبدو شديدة الارتباط ببعضها لا تستوعبها إلا خطة قومية، ولا يستطيع أحد أن ينكر ما بذلته المؤسسات والهيئات المعنية - المحلية والعالمية - فى سبيل القضاء على هذه الظاهرة منذ أن نعمت مصر بالاستقلال فى يوليو (١٩٥٢) حتى يومنا هذا، إلا أنه لابد من تضافر القوى والجهود والتحلى بطول النفس إلى أن يتم القضاء على هذه الوصمة قضاءً مبرماً.

علاقة الأمية بالتنمية الشاملة

يعنى مفهوم التنمية الشاملة : «زيادة الإنتاج والخدمات باستخدام الأساليب العلمية الحديثة»، ولضمان القضاء على «الأمية» من المنبع لابد أن يكون «محوها» داخلا فى إطار التنمية القومية الشاملة التى تجمع جوانب التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية جميعا، بحيث تكون فيما بينها نسيجا واحدا يشترك فيها جميع الناس على اختلاف فئاتهم، حتى يمكن تحقيق برامج التنمية فى أقصر وقت، فمن الخطأ أن نظن إمكانية استجابة الأميين لخطط التنمية دون أن تمحى أميتهم وتنمى قدراتهم على التعامل بوعى وذكاء لخدمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية بما اكتسبوه من خبرات ومهارات ومفاهيم جديدة.

أما ماقبل ذلك التغيير - فى العقلية الأمية - فإن الأمى سيظل جامدا فى تفكيره، يرفض تعليم الأبناء، ويرفض نصائح المرشدين والخبراء فى تحديث زراعته أو صناعته اعتمادا على ما ورثه عن آبائه وأجداده، بل إنه يرى فى تغييره تهديدا لكيانه، ومن ثم لا يتجاوب مع أى خطة للتنمية إلا بالقدر الذى تسمح به معتقداته الراسخة وتقاليده البالية وخبراته الماضية، وتؤيده فى ذلك جماعته التى ينتمى إليها، لأنها تعيش مثله داخل إطار جامد من التعاليم الموروثة والقيم الاجتماعية، وهكذا تذهب الأصوات الجديدة التى تنادى بالتغيير هباءً.

ولعل ما أريد أن أنص عليه هو ضرورة وضع هذه المشكلة - مشكلة محو الأمية - فى حسبان خبراء التنمية القومية لضمان نجاح خططهم وأهدافهم، فالتنمية القومية وإن كانت تستهدف النهوض الاقتصادى والتطور الزراعى والتقدم الصناعى، فإن هذه الأهداف أو العناصر لن تكتمل إلا بمحو أمية الأميين، وزيادة وعيهم وخلق رغبة حقيقية - لديهم - فى التغيير الاجتماعى.

فالشعب لابد أن يتعلم ويمحو أميته، والأمة لابد أن تتحضر وتغير اتجاهاتها القديمة وعاداتها

---

(٢٣) الإعلام والتنمية - دار الفكر العربى - (١٩٨٨) ص١١٣.

البالية، والدولة لابد وأن تخطط لنهضتها تخطيطاً علمياً وواقعياً بحيث تشارك الجماهير فى ذلك كله مشاركة إيجابية فعالة.(٢٤)

النموذج الأمثل للتنمية

وهنا يأتى دور الإعلام الإسلامى فى الدولة المسلمة، ليقوم بمسئوليته الإسلامية فى التنوير والتعبير والتوعية وإثارة الحماس والدفاع عن المنجزات الحضارية وتكتيل فئات الشعب وتوضيح الأهداف وتجسيمها وتنشئة الجماهير تنشئة دينية وسياسية واجتماعية تمكنها من تصور المستقبل والقيام بأدوارها فى مجتمع الغد بغية الإسراع بخطوات التنمية.

ونؤكد هنا على دور الإعلام الإسلامى - على وجه التحديد - لأنه إعلام متكامل له فلسفته ورغباته وأصوله الإلهية التى ينطلق منها ويحكم بها «الوسيلة» بمثله الذاتية التى تقوم على الحق لذات الحق، والخير والجمال والعدل ابتغاء مرضاة الله -عز وجل- بل إنه يأتى تثبيتاً لكل القيم التى تشكل التزام الإنسان المسلم إزاء الغايات العليا كما رسمها الإسلام(٢٥).

وبذلك يتسم نموذج التنمية الإسلامى عن غيره من النماذج الوصفية بالشمول فى جميع النواحى الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وتحكمه النظرة الأخلاقية قبل أن تحكمه النظرة المادية.. وأهم معوقات النموذج الإسلامى للتنمية إنه أخلاقى إنسانى(٢٦).

والواقع أن النظرية الإسلامية فى التنمية هى فى جملتها كنز مخبوء لم يكشف الباحثون أبعاده بعد، كما لم يطبق ما كشف منه فى مجتمعاتنا التطبيق الأمثل وفق مراد - الله عز وجل - بدليل تزايد الهوة اتساعاً بين البلدان الغنية والبلدان الفقيرة فى عالمنا الإسلامى، فضلاً عن مشكلات التخلف والمجاعة فى بلدان العالم الثالث.

ويرى الدكتور محمد سيد محمد. أن متوسط دخل الفرد السنوى فى (بنجلاديش) يبلغ ثمانين دولاراً، بينما يزيد فى (الخليج) عن ثمانية عشر ألف دولار، برغم ذلك فإن العالم الاسلامى ينتمى إلى العالم الثالث، لأن التنمية الإسلامية الشاملة بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لم تتحقق فى تلك البلدان البترولية بالقدر الذى يخرجها من إطار العالم الثالث(٢٧).

وعلى أية حال فإنه يتحتم على الإعلام - بكافة وسائله - أن يقوم بالتهيئة النفسية والاجتماعية لإتاحة الفرص المواتية لتطبيق النظام الإسلامى فى التنمية، وتشجيع التطبيقات المبتكرة لهذا النظام فى مجالات التعليم والإنتاج والتوزيع والتمويل وأعمال البنوك والزراعة والصناعة والتجارة والصحة، وغيرها من مجالات التنمية من أجل «البقاء» ثم «النماء» ثم «السبق».

دور الإعلام الإسلامى فى مكافحة الأمية

من المفاهيم الشهيرة عن الإعلام بصفة عامة أنه: «التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير ولروحها وميولها

---

(٢٤) د.إبراهيم إمام: الاعلام والاتصال بالجماهير ط٢ (١٩٧٥) - مكتبة الأنجلو - ص٣٨٥.

(٢٥) مجلة الفيصل: السعودية - العدد العاشر - السنة الأولى «حول الإعلام الإسلامى» أحمد فراج - ص٧٥.

(٢٦) د.إبراهيم إمام: أصول الإعلام الإسلامى - دار الفكر العربى - ١٩٨٥ - ص٣١٣.

(٢٧) الإعلام والتنمية - ط ٤ - دار الفكر العربى - (١٩٨٨) ص ١٢٦.

واتجاهاتها» وقيل: «إنه تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السلمية والحقائق الثابتة التى تساعدهم على تكوين رأى صائب فى واقعة أو مشكلة».

وهذا المفهوم للإعلام بصفة عامة ينطبق على «الإعلام الإسلامى» غير أنه يلتزم بقيم الإسلام ومعاييره ومبادئه فيما يقدمه للناس من حقائق ومعلومات، ويخلو من المداهنة أو التحيز، أو التطويع واللعب بعقول الناس كما يتسم بالاستقلال والحرية ولا يعالج القضايا إلا من المنظور الإسلامى.

ولا شك أن الإعلام - بصفة عامة - بوسائله وأهدافه يستطيع أن يلعب دوراً فى تبنى برامج «محو الأمية» على أساس أنها قضية قومية يشارك فيها الإعلام المطبوع والمسموع والمرئى، والحملة من أجل «محو الأمية» فى وقت متزامن، ومن ثم لا يمكن أن ننحيه جانباً بعيداً عن دور الإعلام الإسلامى فى هذا الاتجاه، إنما يمكن أن تتضافر جهود الإعلام الإسلامى بوسائله المتميزة فى خدمة هذه القضية وتبنى حملتها على أنها قضية إسلامية، وبذلك تكتسب الحملة مساحة أوسع - نظراً لتعدد الوسائل وتباينها - وقاعدة أعرض من جماهير الوطن.

وسائل الإعلام الإسلامى فى خدمة محو الأمية:

١ ـ وسائل مطبوعة :

وتشتمل على الجرائد والمجلات والدوريات والكتب والنشرات التى تقوم بالإشراف عليها الأجهزة الإسلامية: كالأزهر ووزارة الأوقاف وإدارات الوعظ فيهما، والجمعيات الدينية المشهرة فى وزارة الشئون الاجتماعية، وكذلك الصفحات الدينية بالصحف القومية، اليومية أو الأسبوعية وما نهج نهجها من الصحف الحزبية، وما أكثر هذه الوسائل.

٢ ـ وسائل سمعية :

وتشمل إذاعة القرآن الكريم، والمساحات أو البرامج الدينية فى شتى الإذاعات الأخرى بجمهورية مصر العربية، كالبرنامج العام، وإذاعة صوت العرب، والشرق الأوسط، والشعب، وفلسطين، والإسكندرية.

٣ ـ وسائل سمعية وبصرية :

وهى تعتمد على حاستىْ البصر والسمع، أو التى تجمع بين الصوت والصورة، ويقصد بها البرامج الدينية فى التليفزيون المصرى بقنواته الخمسة.

٤ ـ وسائل شفوية :

وهى التى تعتمد على الاتصال الشخصى المواجهى الذى يقوم به العلماء والوعاظ والخطباء من خلال الندوات والمحاضرات وخطب الجمعة والدروس المستقلة.

فهذه وسائل دينية مختلفة تتمتع كل واحدة منها بقوة تأثير فى جمهور متباين، يمكن التنسيق معها وتزويدها بالمعلومات والوثائق والتقارير والبرامج التى تخدم «محو الأمية» والقضاء على أسبابها، كما يمكن تطويعها لخدمة الأهداف الإسلامية الأخرى فى ضوء الخطة الشاملة.

دور خطبة الجمعة فى محو الأمية

غير أن وسيلة المسجد - على وجه التحديد - يمكنها أن تلعب دوراً مؤثراً فى خدمة «الأمية» فى مصر، - لا سيما - إذا تم تهيئة الخطيب التهيئة اللازمة وألمَّ بحجم المشكلة، فإنه يحدث تأثيراً مباشراً لدى المتلقين لخطبته، نظراً لما ترتبط به خطبة الجمعة من تقدير المسلمين واحترامهم.

فقد لعبت خطبة الجمعة دوراً كبيراً فى المسيرة الإسلامية الطويلة، ومن خلال هذا المنبر الإسلامى انتشر الإسلام فى ديار الإسلام وطرحت مفاهيم العقيدة وتعاليم الشريعة وسير الأنبياء الصالحين والمجاهدين.

من هنا يمكن تجنيد الخطباء فى قرى ونجوع ومدن مصر – بعد تزويدهم بالأهداف المرجوة من هذه الحملة – لبعث روح التعلم ومحو الأمية وخلق دوافع تحسين المستوى ونشر المعلومات الحديثة المتصلة بنهضة الأمة، وبذلك نكون قد وظفنا خطبة الجمعة التوظيف المطلوب لخدمة التنمية الإسلامية التى بدأت طلائعها تظهر فى مصرنا الحبيبة.

توصيات

ـ تنظيم حملة إعلامية عن هذه القضية تشارك فيها الصحف والإذاعة والتليفزيون لحث الهمم وتكتيل الجهود وتهيئة المناخ من أجل القضاء على هذه الظاهرة، انطلاقاً من الإيمان بأنها قضية قومية حضارية إسلامية.

ـ سدّ وزارة التربية والتعليم لمنابع الأمية باستيعاب جميع الأطفال الذين فى سن الإلزام، وهذا يستدعى التوسع فى بناء الدولة للمدارس.

ـ تغطية جميع البيئات ببرامج محو الأمية بما يتمشى مع ظروف أعمالهم وأوقاتهم، حتى لا تكون « النجوع والكفور » بمعزل عنها.

ـ الاهتمام فى التعليم الأساسى بتحفيظ ما تيسر من القرآن الكريم ولا غرابة فى ذلك، فقد ثبت أنه أقوى منهج فى وضوح التعابير وبه يتعلم الدارس « فى سن مبكرة » النطق الصحيح، والتدريب على كتابة ما حفظه، فمن أكبر الأخطاء إهمال القرآن واستبعاده من برامج محو الأمية.

ـ استنفار همم الأميين إلى التعلم بخلق الدوافع لديهم، بأن يكونوا مستنيرين، ويتابعوا أولادهم، ويجدوا فرصاً أفضل فى العمل، ويعتمدوا على أنفسهم، ويقرأوا الجرائد، ويراسلوا الأهل، والأقارب، ويكونوا مثل الآخرين... الخ.

ـ التوسع فى مراكز إعداد الكوادر القادرة على تحمل هذا العبء، مع الاستعانة بالمثقفين ورصد الحوافز المشجعة لهم من أجل الاستمرار فى العمل والدراسة، فالدافع الوطنى لا يكفى.

ـ دعوة العلماء والخطباء للإسهام فى هذه الحملة القومية الإسلامية بالتنسيق مع الأجهزة الدينية فى مصر، ولا سيما إدارات الدعوة والوعظ بالأزهر والأوقاف.

ـ قياس رأى عام مستمر لرد فعل البرنامج الإذاعى الخاص بمحو الأمية لتعديل أسلوبه إذا لزم الأمر، والسماح بإعادة إذاعته في اليوم الواحد.

ـ محاولة إيجاد مساحة بالتليفزيون لخدمة هذا الاتجاه القومى.

ـ بحث إمكانية تحويل مراكز رعاية الأسرة المنتشرة فى ريف مصر إلى مراكز مسائية للتعليم الأساسى، ويمكن الاعتماد – بصفة أساسية – على المساجد المنتشرة فى المدن والقرى.

ـ ألا تقل عدد ساعات الدراسة فى التعليم الأساسى عن النسب المتفق عليها فى المدارس الابتدائية.

ـ عدم قبول الأمى فى أى وظيفة حرفية أو فنية أو عمالية إلا إذا كان حاصلاً على شهادة « محو الأمية » من أحد المراكز المعتمدة، وليس من أى مصلحة حكومية.

والله ولى التوفيق

الأدب السواحلي في مواجهة التغريب

للأستاذ الدكتور / عبد الله نجيب محمد

لم يحدث فى تاريخ إفريقيا كلها، أن طرأ على القارة تغيرات وبالسرعة التى تمت بها، قدر ما طرأ عليها أثناء الفترة الواقعة بين عامى ١٨٨٠ و ١٩٣٥ وهى الفترة التى شهدت احتلال القارة بأسرها تقريباً على أيدى الدول الاستعمارية.

قبل هذا التاريخ كان قرابة ثمانين فى المائة من أفريقيا لايزال يحكمه ملوكها ورؤساء قبائلها فى إمبراطوريات وممالك ومجتمعات ووحدات سياسية مختلفة، ثم تمكنت أوروبا من قهر الإفريقيين وبدأ عهد الإمبريالية، والاحتكارات الرأسمالية، وانهزم الأفارقة جميعاً واستسلموا واحداً وراء الآخر

ويعقد مؤتمر برلين سنة ٨٤، ٨٥ تسارع السباق إلى الاستعمار وامتدت ذراع الاستعمار إلى أفريقيا بالسلب والنهب بشكل ليس له نظير فى تاريخ البشرية وعندما نتطرق إلى سجل الاستعمار فى المجال الاجتماعى نجد أن الغرب قد عمل على تقويض الأسس الروحية الإفريقية القديمة، ولم تفلح التقاليد الغربية فى حل مشكلات الأفارقة الروحية، ولم تقدم بديلاً معقولاً عن تقاليدهم وأعرافهم، يحميهم من الانحلال والتفسخ، بل كانت هى نفسها عاملا من عوامل التفسخ والأنانية والمادية.

وعمد الغرب ـ أيضاً ـ إلى تطبيق نظام التعليم الغربى، وكانت المناهج التى تدرس لاتلبى حاجات القارة؛ لأن مضمونها يتعارض تعارضاً جذرياً مع المعتقدات الدينية والمحللات والمحرمات فى أفريقيا، فهزت أركان المجتمعات الأفريقية، وملأت نفوس الناس بمشاعرالشك، والإحباط والافتقار إلى الأمن.

وكان الأثر الذى تركه على المجتمعات الأفريقية هذا النوع من التعليم، يتسم بالخلل، وساهم بقدر كبير فى اجتثاث صفوة اعتنقت الثقافة الأوروبية والحضارة الأوروبية

وازدرت الثقافة الأفريقية، وبما أن هذه الصفوة كانت تنتمي إلى الطبقات الثرية وتحتل أرفع المناصب أثناء الحقبة الاستعمارية فلقد استطاعت أن تؤثر تأثيراً بالغ الخطورة.

وقد روج نظام التعليم ـ أيضا ـ للغات الأوروبية، وقد ترتب على ذلك نتيجة يؤسف لها، فقد منعت بعض اللغات المحلية من أن تتطور وتصبح لغة عامة مشتركة لشعوبها.

وكانت هناك ـ أيضا ـ النزعة العرقية أو التفرقة العنصرية والدور الذى لعبته فى تاريخ العالم كله بما فى ذلك أفريقيا، وقد ظهر أثر هذه النزعة واضحاً فى معاملة الأوربيين المهينة للسكان السود فى القارة الأفريقية، ولكن هذه المعاملة السيئة ذاتها هى التى أدت إلى تعاطف الأفريقيين، وتمسكهم بفكرة الانتماء الأفريقى.

وعلى كل حال فإن قصة الاستيلاء على أفريقيا، ومحاولة طمس هويتها هى فى ذاتها ملحمة المقاومة البطولية عسكريا وثقافيا فى وجه قوى لاتقهر، ساندها المبشرون والمستكشفون والمغامرون من كل مكان.

قام الباحثون والدارسون والفنانون والأدباء وقام الروائيون والمسرحيون بجهود كبيرة، لإبراز شخصية أفريقيا المستقلة المتميزة، والاعتزاز بمقومات هذه الشخصية واتخذت هذه الجهود عدة أشكال ومظاهر لعل أبسطها وأوضحها فى الوقت نفسه الاتجاه المتزايد نحو الاعتماد على اللغات الوطنية، بدلاً من استخدام اللغات الأوربية كما كان عليه الحال أيام الحكم الاستعمارى.

بدأت هذه الجهود بجيل كامل كشف عن عمق التراث الأفريقى وتنوعه وثرائه، ولا يزال هؤلاء عاكفين - على دراسة ثقافتهم ومجتمعاتهم القبلية من وجهة نظر أفريقية خالصة من هؤلاء: الزعيم الكينى الشهير «جومو كينياتا» JOMO KENYATA الذى كتب فى العشرينيات كتابه المهم Facing Mount OF KenYa فى مواجهة جيل كينيا» وهؤلاء اتجهوا اتجاهاً قومياً يعلى من شأن الثقافة والتقاليد والقيم والسلوكيات والعلاقات الأفريقية الأصلية.

ثم بدأ بعد ذلك ظهور جيل يعبر عن التوتر والتمرد والعصيان الاجتماعى وكل التغيرات السريعة المتناقضة، وليس ثمة ما هو أخطر من التغيرات غير المحكومة وغير المقيدة يقول «على المزروعى»: إن الشيء الذى يجب تغييره هو ميلنا نحن للتغير [1].

وقد خضعت هذه الهوية التى ترتكز على أسس وركائز قوية من عناصر الشخصية لعوامل وتأثيرات خارجية أسهمت فى إعادة تشكيلها وصياغتها.

من أوائل من ساهموا فى الحركة الأدبية الشاعر والكاتب الشهير «شعبان روبرت» الذى بدأ حياته كاتباً صغيراً فى خدمة

---

(١) راجع: أحمد أبوزيد: أفريقيا ومشكلة البحث عن هوية. مقالة فى مجلة الفكر

الحكومة التنجانيقية تحت إمرة «جون ألان» الذى كتب عدداً من الروايات منها: «KUSADIKIKA ١٩٥١ ورواية عادل واخوته Adili na Nduguze ١٩٥٢ ورواية الوضع المثالى للفلاح Utu bore mkulima ١٩٦٨(٢) وسيرة حياته الشخصية MAISHA YANGU ١٩٦٦.

وهو إن لم تتضح فى رواياته بشكل مباشر «الحالة الأفريقية» إلا أنها كانت إحدى المساهمات المهمة فى مجال الرواية السواحيلية وبها كثير من الرموز التى لاتخفى على عين الفاحص، وقد نظم كثيراً من القصائد الشعرية، تحدث فى بعضها عن الأوربيين، وملحمة تحرير تنزانيا مدافعاً عن لونه وعن اللغة السواحيلية (٣).

ويمكن أن نضيف إلى هؤلاء محاولات «جيمس نجوجى» وهو أبرز روائى فى شرق أفريقيا، وكتب العديد من الروايات والمقالات باللغة الإنجليزية، فى الفترة ما بين ١٩٦٤ – ١٩٩٨ ومن أشهر رواياته: لاتبك أيها الطفل Weep not Child ١٩٦٤، والنهر الفاصل The river Between ١٩٦٧، وحبة القمح A grain of Wheat.

كل هذه الروايات ترجمت إلى اللغة السواحيلية، كما أن مضمونها شديد الشبة بمضامين الرواية فى غرب أفريقيا، التى ساهمت فى الحركة الوطنية الزنجية، ويبدو أنه كان متأثراً بزميله «عثمان سميين» فهما يشتركان فى كثير من الآراء والتحليلات، ومن ذلك ما يراه نجوجى من أن الاستعمار بمدارسه وإرسالياته وشركاته هو السبب فى تخلف أفريقيا، وهو الذى أدى إلى ضعفها وارتباكها، وأنه لكى تعود أفريقيا إلى مكانتها وثقافتها الأصيلة، لابد من العمل الخلاق لإعادة التوازن الثقافى إلى البلاد.

وأشهر الروائيين على الإطلاق هو: كيزيلاهابى الذى كتب باللغة السواحيلية، وله عدة روايات بدأها برواية «روزا مستيكا» التى تصور التغيرات الثقافية والاجتماعية غير المحسوبة، وآثارها على الأفراد فى المجتمع، والتى أدت ببطلة الرواية «روزا» إلى الانتحار وهو رمز لما يمكن أن يحدثه التغيير من هلاك، أما الرواية الثانية فهى «رأس ماء» وقد عالج فيها مشكلة النخبة الحاكمة التى اجتثت من أصولها الثقافية الأفريقية وحلت محل رجال الاستعمار فكانت بذلك طبقة سوداء مستبدة وظالمة كما كانت الطبقة الحاكمة الاستعمارية، كما عالج أيضا فشل النخبة المثقفة فى التواصل مع مجتمعها والأخذ بيده نحو الترقى والازدهار وبدلاً من ذلك وقعت هى نفسها فى الفساد، وتأثرت بما جلبه الاستعمار من موبقات وعادات سيئة

---

(٢) راجع: L.Harris Swahili Poetry

(٣) J.W.T. Allen : Utenzi Wa Vita wadachi, Kut amalaxi Mrima 1307 A.H Nairobi - Dar el Salam. Kambala .1971

أدت بالبطل إلى الانتحار، لأنه لم يستطع أن يقدم شيئا لوطنه، كما عالج مشكلة الانتماء العقائدى.

أما المسرح فقد ظل بمصادره الشعبية وصورته الأفريقية الخالصة، وبصورته المتأثرة بالثقافة العربية الإسلامية فى بعض المجتمعات قائماً إلى أن جاء الاستعمار إلى أفريقيا، فظهر ما يسمى « مسرح الإرساليات ».

وفى مرحلة تالية بدأ بعض كتاب الإرساليات يؤلفون مسرحيات هزلية بهدف تشوية صورة الأفريقى السواحيلى المسلم وإظهاره بمظهر الجاهل الأمى، والحط من ثقافته وطريقة تفكيره، ومن هذه المسرحيات مسرحية : « الفلاحة والمرآة Mshamba WA Kioo ومسرحية « الأغبياء » لمؤلفها « جون روجاندا » ومسرحية « المنافق » لمؤلفها الفرنسى « موليير ».

بهذه المسرحيات وغيرها حاول الإرساليون الحط من قدر الثقافة الوطنية وهدم بنائها كى يتمكنوا من بث ثقافتهم الجديدة، وقد نجحوا فى خلق وضع جديد يتسم بالقلق والشك والحيرة حول كل ما هو أصيل، مماترتب عليه مشكلات عديدة. مازالت أثارها قائمة حتى اليوم.

وكان ظهورعدد من المسرحيات التى كتبها الإرساليون، بهدف تشويه الثقافة الأفريقية الخالصة والأفريقية السواحيلية الإسلامية على حد سواء سبباً فى رد فعل من جانب المواطنين الذين حاولوا الوقوف ضد أهداف الأرساليين والمستعمرين.

وكان رد الفعل من جانب الوطنيين هو إنشاء مسرح أفريقى وطنى وظهور ماسمى « رابطة المسرح الطليعى Youth D.Associationå الذى استعان باللغة السواحيلية إلى جانب الإنجليزية فى عروضها المسرحية الأولى، ثم اكتفت آخر الآمر باللغة السواحيلية سواء فى الكتابة المسرحية أو التمثيل.

وفى بعض مناطق من « تنزانيا » بدأ نوع من الدراما الشعبية يقوم به الباعة الجائلون فى المدن، حيث كانوا يعرضون بضائعهم بطرق مسرحية يرتدون أثناءها جلابيب وخلاخيل ويعزفون على قيثارات، وينشدون أناشيد وطنية، ويحضون الناس على التماسك بتقاليدهم وأعرافهم، وكانوا يسخرون من الأوربيين فى حركاتهم المسرحية وأغانيهم الشعبية.

وفى زنجبار، ومنذ القرن الحالى - تحولت الدراما الهزلية التى كان يقوم بها هؤلاء الباعة وأمثالهم إلى مسرحيات حقيقية، قام بها ممثلون معروفون، وقدموا عروضاً مسرحية بين الفصلات الغنائية لمشاهير الطرب مثل « سيتى بنت سعد » (٤) وغيرهم، وانتشرت هذه

(٤) راجع: Mlama.P. 184

المسرحيات فى طول البلاد وعرضها، وخاصة فى مدينة «تانجا» و«دود وما» وانتقلت من جزيرة زنجبار إلى دار السلام والعاصمة التنزانية، ومعظم مدن تنزانيا.

وفى أوغندة ظهر الكاتب «موكاتاتى روجيندو» وآخرون وظهر فى كينيا «روبرت سيروما وجون وجيندا» قد شغلا بالتحولات الاجتماعية ولاسيما المشكلات التى ترتبت على الانفصال العائلى والقبلى، أما «نجوجى واثينجو» فله دور بارز فى تأصيل وتدعيم المسرح فى شرق أفريقيا كلها، وله ست مسرحيات بدأها بـ«الناسك الأسود» The Black Hermit التى ألفها بالإنجليزية عام ١٩٦٢ للمسرح الأوغندى بمناسبة استقلال أوغندة، ثم ترجمها إلى السواحيلية تحت عنوان: Mtawa Mweusi وهى تدور حول الصراع بين العاطفة والواجب القبلى، والصراع بين مغريات المدنية والعودة إلى القرية لأداء الواجب تجاه الأسرة والقبيلة، وألف «نجوجى» مسرحيات أخرى كان مشغولا فيها بموضوع الأرض والوطن والأنتماء وبعضها ينتمى لمرحلة الصدام مع الغرب وبعضها ينتمى إلى مرحلة التحولات الاجتماعية التى تلت ذلك (٥)

لذلك نلاحظ أن المسرحيات السواحيلية فى هذه الفترة كانت تدور حول إيقاظ الروح الأفريقية، وإحياء مشاعر الاعتزاز بالنفس والوطن والثقافة الوطنية، حيث اتخذت المسرحيات - فى معظمها - موضوعات تدور حول الصدامات الأولى التى حدثت بين الشعوب السواحيلية وجيوش الغزاة الأوربيين، وكانت الشخصية الرئيسية فى المسرحيات تنتمى ـ عادة ـ إلى الشعب وحكامه وزعمائه وأبطاله، الذين خاضوا الكفاح ضد المستعمرين العنصريين والمستغلين، وحاول الكتاب رسم صورة لماضيهم وتراثهم وتاريخهم بعد تخليصه من تشويهات المستعمر.

وكان هدف الكاتب عموماً هو إحياء الشعور بالانتماء الأفريقى والحفاظ على الهوية الأفريقية فى مقابل سياسة التغريب التى تبناها الاستعمار، ونقد الأوروبى فى صلفه واستغلاله والسخرية من هيئته ونفاقه وكذبه، وإظهار ما فى ثقافته من سلبيات وعيوب ومآخذ.

---

(٥) راجع: المرجع السابق.

خميلة الشعر

للأستاذ:

محمد عبد الوهاب

الشعر عمل فردى، يعتمد على الإبداع الذى يرتكز على أساسين:

أحدهما هو التقاليد الشعرية الراسخة، والثانى هو لغة الحياة المعاصرة.

وللكلمة فى الشعر المكانة الرفيعة، فمكانها ومضمونها يشكلان قيمتها الشعرية، وبذلك نرى استقلالية الشعر عن باقى فنون الأدب.

والصورة الشعرية هى جوهر فن الشعر وهى تصبح أشد حساسية وتأثيراً، كلما تعلقت بشعور جوهرى لدى المتلقى، فتثير خيالاته، وتدفعه إلى تصورات قد تصل إلى درجة كبيرة من التعقيد، إلا أنها ينبغى ألا تتعدى حدود ما هو ممكن الفهم والتخيل، وأن شيئاً من الرقة والدقة والذكاء، كفيل بأن يضمن القدرة على فهم تلك الصورة الشعرية، حتى تتيح للفكر أن ينطلق نحو آفاق من الحرية، والتمتع باستخدام الملكات التى لم يسبق للغة عادية كشفها من قبل.

هذا و « خميلة الشعر » فى هذا العدد من « مجلة الأزهر » الغراء، يسعدها تقديم باقة عبقة من أزاهير الشعر الفواحة بأريج الإيمان، والمنداة بمعانى التقوى والصلاح، ونستهلها بقصيدة: « حقائق وأوهام » للشاعر الأزهرى الكبير فضيلة الشيخ محمد عبد الرحمن صان الدين، ونتبعها بقصيدة بعنوان: « المصطفى - ﷺ - فى مراقى السمو » للشاعر الأستاذ أحمد مصطفى حافظ.

ونختتم باقتنا اليوم بقصيدة: « مصر الأزهر » للشاعر الأستاذ محسن عبد المعطى محمد عبد ربه.

اللهم هيئ لنا الخير واهدنا سبل الصلاح، والله ولى التوفيق.

حقائـــق وأوهـــام

للشاعر / محمد عبدالرحمن صان الدين

أيمكن أن أكـــون كـــمـــا أشـــاء ** وتغـــمـــرنى الهناءة والرفـــاءُ؟
وأرتع فى رحـــاب الأرض حـــراً ** مـــعـــافـــا لايصـــيب الجـــسم داء؟
وتأتينى الرغـــائب دون جـــهـــد ** وترعـــانى الخليـــقـــة والســـمـــاء؟
أم التـــفـــكيـــر يغـــرب فى خـــيـــال ** ويحـــمـــله على الوهم الخـــواء؟
وأكـــبـــر دافع للـــمـــرء وهم ** يعـــربد فى المشـــاعـــر واشـــتـــهـــاء؟
فـــإن ســـعـــادة الإنســـان حلم ** يجـــســـمـــه لعـــينيـــه الغـــبـــاء
فـــتلك بهـــذه الدنيـــا مـــحـــال ** تقـــاصـــر عنه حـــتى الأوليـــاء

***

فـــكـــيـــف بمن تـــكـــبـــلـــه ذنـــوب ** وآثام، وفطـــنتـــه عـــمـــاء؟
خلقت وفـــيك يا ابن الطين ضـــعـــف ** به تحـــيـــا تمـــجـــد أوتســـاء
فـــتلك مـــشـــيـــئـــة الأقـــدار فـــيـــهـــا ** نعـــيش فـــلا مـــحـــيص ولا وقـــاء
إلى أن نغـــتـــدى فى التـــرب عظمـــاً ** رمـــيـــمـــا ســـوف يدركـــه الفناء
وتبـــقى الروح عند الله غـــيـــبـــاً ** وســـرا دون مـــشـــهـــده غطاء
وَضْـــرُبك فى الحـــيـــاة له حـــدود ** بهـــا للناس جـــاء الأنبـــيـــاء
فـــمن يلزم شـــريعـــة من براه ** فـــأنى ســـار يغـــمـــره الصـــفـــاء
فـــرابط عند حـــدك بامـــتـــثـــال ** وإلا فـــيك يســـتـــشـــرى الشـــقـــاء

***

وفى الدنيا طريق مستقيم ** وآخر فيه تيه والتواء

وربك قد هدى النجدين إما ** ضلال، أو رشاد واستواء

ومن يركن إلى الرحمن يبصر ** سبيل الرشد يغمره الضياء

فينجو فى الحياة وبعد موت ** من الأهوال، والتقوى وقاء

***

تهيأ للحمام فسوف يأتى ** فما فى هذه الدنيا بقاء

صراع كلها الدنيا ورَوْع ** فليس بها سلام أو رخاء

فكن فيها على سفر غريباً ** إلى أخراك يحدوك الرجاء

وخذ من عيشك الموقوت ** من الأعمال ليس بها رياء

فإن الفعل يحبطه التباهى ** فترحل فوق عاتقك الغثاء

***

تذكر من رأت عيناك ممن ** له حول وطول واحتماء

وغادر هذه الدنيا وحيداً ** فلا جاه يصاحب أو ثراء

وبَذْل الجهد للأرزاق حتم ** فلا دعة تثبط أو عياء

عرفت حقيقة الدنيا أخيراً   فكل متاعها الغالى هباء

فكن فيها كما تهوى وتبغى ** فعند الله فى الأخرى الجزاء

ويا ربى أغثنى من ذنوبى ** وسامحنى إذا حان اللقاء

***

إشعاعات من أنوار النبوة:

المصطفى ﷺ في مراقي السمو

للشاعر: أحمد مصطفى حافظ

أى نور يشع فى الظلماء — أى مسك يضوع فى الأرجاء
برق الفجر بعد ليل عماء — فى دجى الجاهلية العمياء
ثم تاه الربيع فى خيلاء — وتبدى بحلةٍ زهراء
منذ أن طاب بالأشذاء — يوم ميلاد.. خاتم الأنبياء

***

صار شهر الربيع فصل رواء — وازدهار.. بسائر الأنحاء
فازدهى الكون بالسنا الوضاء — من ثنايا المحجة البيضاء
كل عام يفيض بالآلاء — بجلال وروعة واحتفاء

***

بارك الله «عبده» باصطفاء — فتناءى عن حومة الأهواء
وأتى الوحى فى رحاب حراء — فدعا الناس صوب خير اهتداء
آمن البعض.. وارتضوا بالفداء — وتمنوا منازل الشهداء
جاءه النصر قال للأعداء: — لاتراعوا.. وكلكم طلقائى

***

رب ذكرى مآلها لانطفاء — غير ذكرى.. لقمة العلياء
بين كر العصور والأنواء — تتجلى على مدى الآناء
وستبقى.. كواحة فيحاء — فى هجير الأيام والبرحاء
برباها.. يقر أهل العناء — فجلاد الرسول خير عزاء
قل لمن حاد عن ذرى شماء — ينشد الرأى فى وهاد خُواء
بدعاوى تحضر وارتقاء: — قد تقدمت خطوة.. للوراء!
ليس قصد السبيل بالغلواء — بل بنبع الشريعة السمحاء
بارتواء، وفطنة، وامتلاء — واقتداء.. بالسنة الغراء

مصــــر.. الأزهــــر

للأستاذ محسن عبدالمعطى محمد عبدربه

مــصـــر فى القلب على طول المدى ... زهرة، صـــامـــدة، فـــوق العـــدا

مــصـــر، نادت يابنى المخلصين ... جــددوا مـــجــدى، على طول السنين

مـصـــر ياحسى، ونبضى فى الدنا ... ســتنالين مـــفـــاتيح الهنا

مـصـــر كم جاءك زحف الغاصبين ... فـــاكـــتـــوى بالنار جـيش الظالمين

مـــصـــر، يأمى، ويانبع الحنين ... قـــد روى الفل، وزهر اليـــاســمين

***

مــصـــر، يأزهر عـــز، منجـــد ... رد، يأمـــاه، كـــيـــد المعـــتـــدى

مـــصـــر، يانورا، تجلى، فى الورى ... اصـــعـــدى، يامنيـــتى، فـــوق الذرى

مـصـــر ياساحـة خـيـر العلماء ... تبـعـــثين النور، من هدى السـمـــاء

مـــصـــر، والأزهر ظل الســيــدا ... و«مـــعـــز الحق»(*) أم المســجـــدا

مـــصـــر، يارباه، أيد مـــصــرنا ... وعـلـى الأيام، ســـدد خطـونـا

***

مـــصـــر، يأمـــاه، هلا تذكـــرين ... شـــهـــداء النصـــر، بين الخـــالدين

مـــصـــر، ياجنة ربى، ســـجلى ... مـــجـــدهم، فى الانتـــصـــار الأمـــثل

مـــصـــر، داوينى، بفـــيض من حنان ... أنت، يـأمـــاه، عنوان الأمـــان

مـــصـــر، إيماءاتهـــا، بلسم جـرحى ... مـــصـــر، فى الشدة، والبلواء، نجحى

(*) معز الحق: هو العالم الجليل الأستاذ الشيخ/ عبدالمعز عبدالحميد الجزار، الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الإسلامية (سابقا) ورئيس تحرير مجلة الأزهر.

روائع من الماضي بمجلة الأزهر

الوحدة فى تعاليم الإسلام

لفضيلة الشيخ/ المنشاوى عبود الخولى

إعداد وتقديم الشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله - وبعد:

فقد وصف القرآن الكريم الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، وبهذه التوجيهات السديدة رسم القرآن الكريم المنهج السلوكى للأمة لتنضوى تحت لوائه وحدتهم، وتقوى به رابطتهم.

ومن أهم مبادئ هذه الوحدة: الأخوة فى الدين، وهى أخوة جعلها الإسلام أعظم من أخوة النسب، فقد كان الولد المسلم فى السابق يقاتل أباه الكافر والعكس، وكان الابن ينتصف للحق وللإسلام من أبيه، ولقد كانت استجابة المسلمين لمبادئ الأخوة والوحدة استجابة رائعة، أصبحت مضرب المثل، واستحقت أن تسجل فى كتاب الله الخالد، فلم تكن الوحدة مجرد شعار يرفعه المسلمون أو شارة يعلقونها، وإنما الوحدة تسرى فى كيان المسلم وشعوره ووجدانه، فكرا فى القلب، وقولا باللسان، وصلة بالناس.

ويسجل كتاب الله ما يؤكد أن المسلمين دائما كانوا منطقيين مع مبادئهم فلا يقولون بلسانهم غير ما تخفى قلوبهم.

والوحدة الصادقة لا تقوم على الغش والخداع والمراوغة والنفاق، وإنما تقوم على الصراحة والوضوح والالتزام والإخلاص.

وقد أعلن الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - فى صراحة ووضوح أن الاتحاد دعامة الأمة التى ترتكز عليها قواعدها، ويجعلها رفيعة العماد مرهوبة السلطان، ودرعها الحصين الذى تعتصم به عند الخطوب، فتفيض الثقة والأمن فى ربوعها، والخوز والهلع فى أعدئها، وللمزيد من الإيضاح.

قال الكاتب - رحمه الله -:

من مظاهر التكريم الذى أسبغه اللّه على الإنسان، أن أودع فيه حباً ذاتيا لبنى نوعه، فجعله يحس بالحاجة الملحة إلى الإقامة فى كنفهم، وتبادل العون معهم. والاعتصام بحبل مودتهم، والإذعان بأن وجوده مرتبط بوجودهم، فلن يدور بخلده أن ينأى عنهم، ويحيا بعيدا عن محيطهم، لأنه يعتقد

أنهم عوامل بقائه، والعناصر المتممة لوجوده ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾(١)

وبوحى الفطرة يدرك أنه لبنة فى بناء المجتمع الذى يستظل بلوائه، ويجنى ثمراته، وأن هذا المجتمع لا تقوى دعائمه، ويحكم بناؤه إلا بتضافر القوى، وتآزر الأفراد وتماسكهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، لكن هذه الفطرة قد يعرض لها ما يفسد جوهرها، ويضعف سلطانها، فجاء الإسلام للفطرة حاميا ونصيرا، وعضدا وظهيرا، ولفت الأذهان إلى تلك المعانى القيمة المركوزة فيها، وأوصى بضرورة الاسترشاد بهديها، والاقتباس من نورها، وأخذ النفس بقانونها، وأعلن فى صراحة ووضوح، أن الاتحاد دعامة الأمة التى تركز عليها قواعدها، وتشد صروح عزها وباذخ مجدها، و عصبها الحساس الذى يشد أزرها ويجعلها رفيعة العماد مرهوبة السلطان، وروحها القوى الجبار الذى يبعث الحياة الماجدة فى عروقها، وينشر النهضة المباركة فى جميع آفاقها، ودرعها الحصين الذى تعتصم به عند الخطوب.

فلا عجب إذن أن تعنى الدولة بضم صفوف أبنائها أكثر من عنايتها بسلاحها ومعداتها الحربية، لأن السلاح لا يغنى فتيلا إذا كانت تحمله نفوس متناحرة متخاذلة، عندئذ لا يرهب العدو لها بأسا ولا يخاف بطشا، ويهون عليه أمرها، والأمة إذا هان أمرها على أعدائها كانت عرضة للزوال والانهيار. أنظر إلى تصوير القرآن الكريم لحال قوم وقفوا من المسلمين موقف المحاربة، وقد أفسدوا ذات بينهم، ومزقت الفرقة أواصر مودتهم ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ﴾(٢) ثم علل ذلك بقوله:

﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(٣).

لهذا كله عنى الإسلام بالوحدة عناية فائقة فما ترك عاملا من عوامل الفرقة والانقسام إلا قضى عليه، ولا بابا من أبواب جمع الكلمة وتأليف القلوب إلا دعا إليه، ونوجز ذلك فيما يأتى:

(١) عمد إلى بدعة التفاخر بالأنساب والمباهاة بالأجناس فهتك حجابها، وبدد ظلامها وصراعها فى مهدها، وذكر فى نداء صريح جامع أن البشر جميعا أبناء أب واحد وأم واحدة، والكل إخوة متساوون فى الانتساب إليهما، فليس لأمة أن يداخلها الزهو بأصلها، أو تزعم أنها شعب اللّه المختار بعد أن يرن فى آذانها هذا الخطاب الرائع الوارد فى قوله - تعالى -:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ ﴾(٤) فجعلهم شعوبا وأمما، إنما هو وسيلة لتعارفهم وتوحيد أهدافهم لخير الإنسانية وهناءتها.

يا من تنشدون السلام هذا هو الإسلام يحقق ضالتكم ويعطيكم ملء أيديكم من السلام، فهو يدعو إلى أخوة شاملة جامعة، لا تعرف التفرقة بين شعب وشعب، ولا بين أمة وأمة، ويجعل تبادل

---

(١) سوة الروم ٣٠.
(٢) سورة الحشر ١٤.
(٣) سورة الحشر ١٤.
(٤) سورة الحجرات ١٣.

الإحسان فيما بينهم وفاء بحق القرابة وصلة للأرحام، فخذوا عنه ولا تولوا وجوهكم شطر مدنيات الغرب فدولهم تتستر بالدعوة إلى السلام، وتخفى وراء ذلك روغان الثعالب وغدر الذئاب.

أرأيت أبلغ فى الرد على فريتهم من فقد السلام بينهم وهم دعاته؟

ولقد عجزت إحدى تلك الدول عن التسوية فى الحقوق والامتيازات بين رعاياها، ففرقت بين لون ولون، أين هذا مما يدعو إليه الإسلام من المساواة، وأعلنه نبى الإسلام من فوق منبر دولى عام فى حجة الوداع فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «كلكم لآدم وآدم من تراب».

ثم يفتح الإسلام ميدان التسابق فى الفضائل، والتزود من المحامد التى منها توثيق أواصر المودة والتآخى بين الشعوب جميعاً فيقول ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[5]، ويقول عليه الصلاة والسلام ـ: «لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى».

(٢) أعلنه فى صراحة وإيضاح أن الأديان كلها تنبع من معين واحد، وتلتقى فى غاية واحدة وهى توحيد الله ـ تعالى ـ والإخلاص فى عبادته، والإحسان فى معاملة خلقه ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾[6]

فلا يليق بعاقل بعد هذا أن يعكس القصد من الدين، ويجعله مادة للشقاق والنزاع الذى يزرع الأحقاد ويقطع الأرحام، إنه إن اقترف ذلك فقد مزق رداء الإسلام، وتقلص عنه ظله وفارقه برد اليقين ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[7]

(٣) ترفق بخصومه من أهل الأديان ودعاهم إلى التفاهم فى جو مفعم بصفاء المودة، والإخلاص للحقيقة فطلب من الرسول الأكرم أن يدعو أهل الكتاب إلى كلمة معترف بها من الجميع، ليست خاصة بفريق، ولا تنسب إلى دين دون غيره، فإذا أثير فى نفوسهم المتفق عليه لم يشق عليهم بعد ذلك الإذعان بالمختلف فيه ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[8].

وإنك لو صوَّبت النظر إلى أى حكم من أحكام الإسلام لوجدت الاتحاد ثمرته وغايته.

ففى العبادات شرع الله الصلاة، وحث على الحرص فى أدائها بالجماعة، ليقف الكل على قدم المساواة، يقتدون بإمام واحد فى صلاة واحدة متجهين إلى قبلة واحدة، مخلصين العبادة لإله واحد، عندئذ تجتمع القلوب فى مناجاته، والضراعة إليه والثقة به والتوكل عليه.

ولتحقيق الوحدة فى صورة باهرة دعا الإسلام إلى اجتماع أسبوعى فى صلاة الجمعة، حيث يتضاعف العدد وتقوى أسباب الوئام.

---

(٥) سورة الحجرات ١٣.
(٦) سورة الشورى ١٣.
(٧) سورة الأنعام ١٥٩.
(٨) سورة آل عمران ٦٤.

وزيادة فى تمكين الرابطة الإسلامية وإكسابها متانة وصلابة، شرع الدين اجتماعين حاشدين كل عام فى صلاة العيدين.

لكن هذه الاجتماعات كلها قد تكون قاصرة على أهل البلد الواحد، فعقد الإسلام بشرعه للحج مؤتمراً عاما شاملا يجتمع فيه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها، وقد تجاوب شعورهم وتوحدت أهدافهم، يؤدون عبادة واحدة، ويطوفون حول بيت واحد، ويجأرون بالتلبية لإله واحد مغتبطين بالاجتماع على طاعته، والاعتصام بحبل مودته، متسابقين فى الشكر على جزيل فضله وعظيم توفيقه إذ أصبحوا بنعمته إخوانا.

وناهيك بمشروع الزكاة الذى هو خير نظام اجتماعى، يوثق أواصر المودة بين الأغنياء والفقراء، ويجعل منهما أعوانا متناصرين بل إخوة متحابين، يكونون جبهة منيعة تسعى جاهدة فى بناء مجد الأمة، وتصد عنها تيار النزعات الهدامة والمذاهب الجامحة.

ونظام العقود فى الإسلام يحقق الوحدة فى أروع صورها، لأنه قائم على التزام النصح والأمانة ومجانبة الكذب والتدليس والخيانة، حتى لقد حكم الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بإخراج الفاسق من حظيرة الإسلام فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من غشنا فليس منا».

وأما العقوبات فقد شرعت زجرا للغاوين وردعا للمفسدين وقضاء على فكرة السوء التى تطوف بأذهان المفتونين، فتدفعهم إلى الاعتداء على الآمنين، والعدوان أقوى هادم لبناء الوحدة ومثير للبغضاء الحالقة للدين، فرهبة العقوبة تمنع من التوجه إلى اقتراف أسبابها، وبذلك يصان جوهر الوحدة ويتبادل الجميع الأمن والاحترام والمودة والوئام، و جعل الكل أمام قانون العقوبات سواء، لتجتمع كافة الناس على تقديسه وخشية سلطانه، لا فرق فى ذلك بين شريف ووضيع وغنى وفقير، ورئيس ومرءوس وسيد ومسود، كان ابن الأيهم أميرا على الشام وفى أثناء طوافه حول الكعبة داس أعرابى على طرف ردائه فلطمه جبلة، فشكاه الأعرابى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فحكم عمر بالقصاص، وقال: لجبلة لابد أن تخضع للطمة مثلها من الأعرابى، فقال له: أتسوون بين الملوك والسوقة؟ فقال عمر: «الإسلام قد سوى بينكما». هل سمع الناس بمثل هذا التشريع فى سموه وعدالته الخالدة التى تنتصف من الأمير لأحد رعيته؟

وهل أتاهم نبأ ذلك الدين القيم الذى يجعل شعار الخليفة الإسلامى «من رأى منكم فىَّ اعوجاجاً فليقومه» يعلن هذا أحد الخلفاء فيرد عليه أحد الخاضعين لحكمه قائلا: واللّه لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا. فيحمد اللّه - تعالى - أن جعل فى الرعية من يقوم اعوجاج الخليفة بسيفه.

وهل علموا أروع من أن الإسلام يجيز لأحد أتباعه أن يقاضى الخليفة أمام قاض من قضاة المسلمين، فلا يبالى القاضى أن يحكم على من ولاه القضاء، إذا كان الحق فى جانب خصمه، ولا يتهيب أن يرد شهادته إذا لم تتوفر لديه أسباب الأخذ بها، ذلك لأن نصرته للحق أحب لديه من

صلته بالخليفة، فنصرته للحق اعتصام بربه ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٩).

هذا هو الاتحاد الذى فهمه الرعيل الأول من المسلمين، وفتحوا له قلوبهم وسكنت جوارحهم، واتخذوه منهاجا عمليا، فى كل شئونهم، فظفروا بعون الله وإمداده وعزه وإسعاده، ونصرهم بالرعب، وشرفهم بالخلافة عنه، ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، وجعلهم للعالم أئمة مهتدين، وقادة موفقين، فملئوا الوجود حكمة ورشدا، وعدلا وفضلا، وتمت كلمة ربك الحسنى عليهم بما أصلحوا فسعدوا بتحقيق وعده الكريم الوارد فى قوله - تعالى -:

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾(١٠).

لكن المسلمين فى هذه الأيام قد فرقت بينهم المطامع والأهواء، وسدت مسامعهم الشهوات وحجبت عنهم منافذ الهداية، فقطعوا صلتهم بأسلافهم الأمجاد، وصاروا شيعا متنافرة، وأحزابا متناحرة، فصاروا كثرة لا غناء فيها، وغثاء كغثاء السيل، فنزع الله هيبتهم من قلوب أعدائهم، وسلطهم عليهم فسلبوهم لذة الأمن، وساموهم الخسف والنكال، ووضعوا يدهم على موارد الثروة فى بلادهم، وتقضى أمورهم فى غيبتهم، ولا يستأذنون وهم شهود.

ولقد بلغ من انحلال المسلمين أن اتخذ الأعداء من بعضهم مطية ذلولا، يركبونها لتنفيذ أطماعهم الجامحة، وأغراضهم الآثمة، وهذا الصنف من الخونة المجرمين شر ما تبتلى به الأمم، لأنهم أشد فتكا بأمتهم، وأسرع فى القضاء عليها من عدوها السافر، فهم بالنسبة لها كالنار فى الوقود، لا تدعه حتى تجعله هشيما تذروه الرياح.

أيها المسلمون: إذا كان الأسى قد أذاب نفوسكم حسرة وكمداً لهوان أمركم على أعدائكم، وهاجكم الشوق إلى أن تنعموا بما نعم به أسلافكم من عزة الملوك وطهارة الملائكة، فاعلموا أن محاولتكم لإرجاع حقوقكم المغصوبة، مع تمزيق وحدتكم صيحة فى واد، ونفخة فى رماد، لا يرفع العدو رأساً، ولا يقيم وزناً.

صوت الشعوب من الزئير مجمّعاً
فإذا تفرق كان بعض نباح

ولا عاصم اليوم من هذه الذلة والصغار إلا أن تجمعوا شملكم، وترأبوا صدعكم، وتقفوا أمام عدوكم جبهة متماسكة، لا تذهب الأهواء ريحها، ولا تلين قناتها، وليس هذا الدواء بعيداً عن أيديكم، بل هو ماثل فى دينكم الذى يظلكم لواؤه، فأصلحوا ذات بينكم، وضموا صفوفكم، وضاعفوا جهودكم، ولا تيأسوا من روح الله، فإنه قادر على إحياء الأرض بعد موتها، والقادر على ذلك قادر على إقالة الأمم من عثرتها، وإعزازها بعد ذلها، وإمدادها بعد التخلى عنها، وإعطائها بعد سلبها، فأشعلوا جذوة الإيمان، وألهبوا الحماس لسعى مجيد، وعمل رشيد، والله معكم، ولن يتركم أعمالكم.

---

(٩) سورة آل عمران ١٠١. (١٠) سورة الأنبياء ١٠٥.

تحت الجليد

للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

يظن البعض أن الجليد ما هو إلا ثلج متجمد لا مياه فيه، ولربما انحصرت أهميته عندهم فى كونه مصدرا للماء العذب فقط، والحقيقة العلمية خلاف ذلك تماما إذ كلما حل فصل الربيع أخذت كتلة ضخمة من الجليد يبلغ حجمها حجم الولايات المتحدة مرتين أخذت فى الذوبان بعد أن تكونت حول القارة القطبية وبداخل تلك الكتلة من أنواع الحياة كل ما هو مثير ومحير، ولا يملك الإنسان أمامه إلا أن يهتف من أعماقه: سبحان الله! فهذه الطبقة من الماء النقى المتجمد التى يبلغ سمكها آلاف الأقدام تغطى القارة القطبية كلها وهذا هو الثلج المألوف لدينا جميعا الذى نعرفه على هيئة جبال جليدية ضخمة تنشأ من أنهار القارة القطبية، لكن فى وسط محيط القارة يوجد نوع آخر من الجليد تشكل من مياه المحيط المالحة.

ففى أشهر صيف القارة القطبية - وهى أشهر الشتاء عندنا - لا يوجد سوى ١,١ مليون ميل مربع من ذلك الثلج، لكن فى شهر مارس حينما تنخفض الحرارة فى تلك القارة إلى ٤٠ درجة تحت الصفر يبدأ جبل الجليد فى التنامى بمعدل يبلغ ٢٢ ميلا فى الدقيقة الواحدة، وفى نهاية شتاء القارة القطبية، وهو شتاء طويل يمتد ويدوم أكثر من نصف العام يكون الجليد المتكاثر قد تضخم ليصل حجمه إلى ٧,٧ مليون ميل مربع، وهو ضعف حجم أمريكا بطبقة لا يزيد سمكها على ثلاثة أقدام لكنها تلف القارة بكاملها ويزخر هذا الجليد بأشد نظم البيئة غرابة على كوكب الأرض.

وقصة هذا الكشف العلمى الرهيب تعود إلى عقد من الزمان لاغير حين اعتقد معظم علماء الأحياء أن الجليد الناتج عن شتاء القارة القطبية الطويل ما هو إلا غطاء ثلجى أحادى التركيب عديم الفائدة خال من الحياة، بل إنهم قالوا: إن كل الكائنات الحية الدقيقة تقوم بعملية بيات شتوى وتنتقل إلى أجواء ذات مناخات دافئة حيث لا تستطيع تحمل ذلك البرد القارس خصوصا عندما تغيب الشمس بأشعتها المليئة بالحياة عن القارة التى يلفها عندئذ ظلام دامس، وليل داج كئيب، حين تتجمد البحار، لكن فى شهر ٧/١٩٨٦ قامت كسارة الجليد الألمانية التى سميت «العانود

القطبى » وهى سفينة أطول قليلا من مساحة ملعب كرة قدم قامت بالإبحار فى ذلك الجليد الناشىء عن القارة القطبية فى بحر يسمى Weddell وغيرت النظرية السائدة التى كانت تؤكد خلو ذلك الجليد من كل أنواع الحياة، وقد كان على متن تلك السفينة التى يوحى اسمها بالاصرار والتصميم على كشف المستور جماعة من أحسن الخبراء معرفة بذلك النوع من الجليد فى العالم، وهم علماء توفرت لهم روح المغامرة والإقدام وهو أمر نادر الحدوث وكان القسم الذى انتقوه من الجليد القارى قد تم اختياره على أساس معلومات حصلوا عليها من مصدرين هما- الأول الانهيارات الجليدية التى نمت على حافة القارة القطبية المتجمدة والثانى حواف ذلك الجليد على وجه الخصوص وعندما قام علماء الأحياء باستكشاف النوع الأول من الجليد سنة ١٩٦٠ توقعوا أن يكتشفوا آثارا لسلسلة غذائية بسيطة متجمدة فى ثبات عميق كان من المعتقد تشكلها فى المحيط الجنوبى لكنهم وجدوا فى قاع تلك السلسلة ما يعرف باسم: Phy to Plank ton وهى نباتات صغيرة الحجم تطفو على السطح وتتغذى على مخلفات المحيطات ومن أشعة الشمس الذهبية وقد قامت كائنات المحيطات الدقيقة بالتهام تلك النباتات وازدرادها وهذه الكائنات تعرف باسم Krill، وهى بدورها كانت وجبة شهية مشبعة للطيور والثدييات وهذا هو معنى السلسلة الغذائية، لكن الباحثين لم يجدوا أبدا نباتات « بلانكتون » شبه ميتة أو هامدة خامدة لكنها كانت نباتات حية مفعمة بالحياة مترعة مزدهية تعج بالكائنات الحية الدائبة الحركة التى تنمو وتتكاثر وتتوالد بوفرة وغزارة أثارت دهشة العلماء وانبهارهم، وهذه النباتات تمتد فى بساط غزير الشعر سميك الجسم فى عمق أغوار الجليد والطحالب كما يسمى البلانكتون أحيانا عندما يكون حبيس الجليد هذه الطحالب تتمكن من العيش فى درجات حرارة تصل إلى ٤° تحت الصفر ويكفيها من الضوء بصيص لا يتجاوز أقل من ٠,٥٪ كما أنها تستحم فى ماء تعادل شدة ملوحته ثلاثة أضعاف ملوحة ماء البحر ويقول أحد علماء أحياء المحيطات كما جاء فى مجلة (Discover) « الكشف » : إن بمقدورنا استخراج المياه من قاع الجليد ويضيف أنه يوجد من ٢٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ ضعف من الكائنات التى تسكن الجليد فى نفس كمية المياه الموجودة تحت الجليد وتعيش البيكتريا إلى جانب الفيتوبلانكتوز وإضافة إلى تلك الكائنات البسيطة اكتشف الباحثون مجموعة متنوعة من المخلوقات البحرية والقشريات والأسماك وبدا بوضوح خطأ الفكرة التقليدية القائلة بوجود سلسلة غذائية بسيطة، وقد حدث ذلك عندما قامت سفينة لخفر السواحل الأمريكيين بالايغال إلى عمق ١٥٠ ميلا فى داخل الحواف الجليدية وبدأت المغامرة فى الخريف، وانتهت فى الربيع وشوهد فى أثنائها طيور البحر وطيور البطريق وعجول البحر فى قطعان كبيرة كما رأى الغواصون البلانكتون بنتقل عبر قاع الجليد وتساءل العلماء إن كان ذلك الثراء ينتشر فى الجليد كله لا فى حوافه فحسب، وجلت السفينة الألمانية الغموض حيث اكتشفت

شرائط طويلة من الجليد السميك على شكل رقائق ممتدة تشبه مصابيح النيون وبدت تلك الشرائط كخرق رثة من الحرير الأسود، وسرعان ما تحولت إلى كرات جميلة الشكل أخذت العانود تتوغل وسط ملايين منها ويبلغ عرض كل كرة منها من ١ إلى ٢ قدم ثم بدت وكأنها أكوام مكدسة من أزهار السوسن والزنابق الشديدة النقاء الناصعة البياض والليلك الذى تغنى الأدباء والشعراء بجمالها وسحره، وبدا الجليد أمام المستكشفين كالصحارى الشاسعة التى لا نهاية لها ولا مدى لامتدادها، لكنها ليست صحارى جامدة وإنما تكتظ بالطرق والحارات التى تشبه أنهارا بها مزارع جليدية مسطحة مترامية الأطراف، وتمتاز تلك الأنهار بالدفء النسبى إذا ما قورن بما يعلوه من هواء يلف المكان بضباب كثيف، وواضح إذن ان الجليد هنا يعج بالحياة الصاخبة التى لاتهدأ لحظة إذ اكشفت فيه الطحالب التى تعيش بين رقائق الجليد، ويشاركها فى حياتها الكثير والكثير من البكتيريا والفيروسات.

أما القاع فقد ازدحم بالبلان كتون الذى تعيش عليه وترعى فيه بلايين الكائنات مثل طائر النوء الذى يعبر الأنهار الجليدية جنبا إلى جنب مع طيور البطريق ببطونها اللؤلؤية الشكل وأجنحتها السود كما كانت الطيور فى الشتاء أسمن منها فى الصيف، وهكذا بدأت تتكشف أعماق الجليد السحيقة المليء بالغموض والغرائب كما اكتشفت أهم القواعد والأسرار التى اذهلت البيولوجيين عند التعامل مع الجليد، وأولى هذه القواعد هى حاجتهم الماسة إلى أن يتعاون معهم ويساندهم علماء الفيزياء وذلك لإدراك الكيفية التى تمكن الكائن الحى من العيش فى هذه الأغوار السحيقة، ولمعرفة ذلك فإن عليهم تتبع الطريقة التى تشكل بها الجليد من اللحظة التى شرع فيها فى اكتساح البحار فجليد القارة القطبية الجنوبية يختلف تماما عن جليد القطب الشمالى، ففى القطب الشمالى تحيط الأرض بالمحيطات التى توقف زحف المياه وتجعل الهواء أكثر استئناسا وقبولا، ومن ثم يصبح الثلج أقل ملوحة حيث يتسرب الملح إلى القاع، ولذا فإن الإسكيمو سكان هذه المناطق يعلمون أن الجليد الذى مر عليه ثلاثة أعوام يحوى جزءا فى الألف من الملح يمكن إذابته واستعماله كماء شرب أما فى القارة القطبية المتجمدة فإن المحيطات منسابة لا تعرقلها الأرض على خلاف سابقتها حيث تهب العواصف وتزمجر الرياح وتعوى، مما يجعل البحار تترجرج وتهتز حيث تنتقل وتنزاح طبقة سميكة من الماء الدافىء المالح على عمق ٣٠٠ قدم تحت السطح تنزاح إلى المحيط الجنوبى قادمة من المحيط الأطلسى وتمتزج بمياه القارة القطبية، وبعد عمليات معقدة تتكون منها كرات واقراص تكون فى البداية رفيعة وأسفنجية وسرعان ما تسلك سبيل الأمواج ثم تصبح أشد سمكا وأصلب بناء فتتغلب على الأمواج ليصير الماء أكثر هدوءا.

أما لغز طحالب الجليد فقد تم كشفه سنة ١٩٩٢ عندما قامت جماعة من علماء الفيزياء والأحياء الروس والأمريكان بعمل معسكر جليدى طاف فى غرب بحر Weddell فى نهاية الصيف ونفذوا مهمة شديدة العسر تمثلت فى

مراقبة ثلاث مساحات من الجليد تبلغ كل منها ٢٠ مترا مربعا وبدلا مما توقعوه من موت موسمى لنظم البيئة بالقارة القطبية وجدوا الطحالب تنموا فى الخريف وأوائل الشتاء وفسروا ذلك بتجمع رقائق الجليد التى كونت مدينة جليدية مليئة بالشوارع والمصاعد والجسور التى تربط مكامن ومـــأو بداخل تلك المدينة على شكل جيوب جليدية عديدة، وما أن يتجمد الماء حتى ينتقل الملح للقنوات حيث يصبح أكثر ملوحة وأشد كثافة مما يؤدى به إلى الترسب فى قاع ترع الجليد ثم الانسياح إلى البحر لتحل مكانه مياه بحر أخف لكنها غنية بالمواد الغذائية، وتظل تنمو حتى تأخذ الشمس فى المغيب شتاء فيتجمد كل شيء كما وجدوا - أيضا - أن البيكتريا تكون نشيطة كما يقول العالم الألمانى جيرهارد ديكمان الذى يضيف: عندما تخيلنا أن كل شيء قد توقف وأن الحياة أصابها الشل التام إذا بنا نرى أن البيكتريا تفوق فى نشاطها الطحالب وغيرها، ويؤكد العلماء أن جليد القارة القطبية لا يهدأ طيلة ٢٤ ساعة هى ليل شتاء القارة والسبب أن أماكن كثيرة تحصل على ثلاث أو أربع ساعات من أشعة الشمس يوميا أثناء ذلك الشتاء لكن معظم الكائنات الدقيقة تعد نفسها للجوع فى ذلك الشتاء بل إن بعضها يأكل نفسه، ومن ثم يصبح بعد تحلله غذاء شهيا لملايين من طيور البطريق وعجول البحر وآلاف الحيتان والمتوفر من هذه الكائنات وفير غزير قدره العلماء بحوإلى ١,٣٥ بليون طن وهو ما يساوى وزن سكان العالم من البشر خمس مرات، والآن ترى هل الطيور والثدييات تكون كالبدو الرحل أثناء الشتاء القطبى أم تكون لها أماكن تستقر بها؟

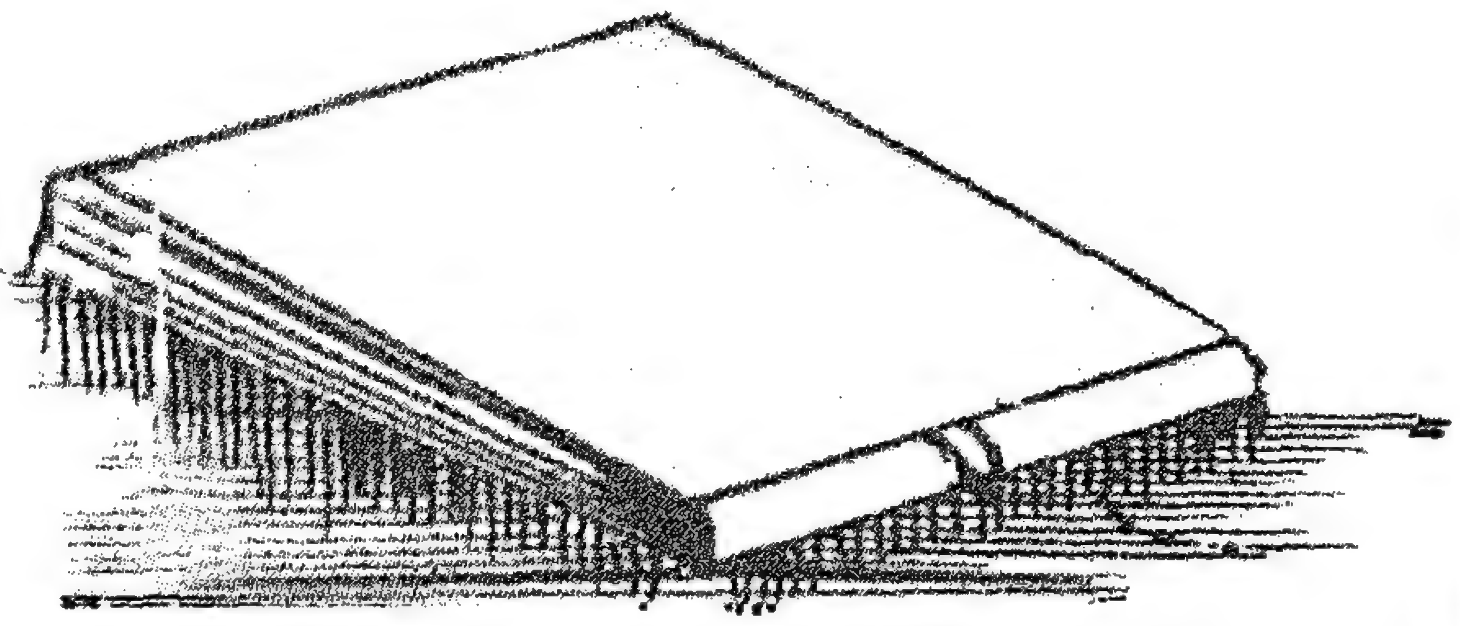
وسؤال آخر: إلى أى درجة تتنوع مناطق الجليد بالقارة القطبية من سنة إلى اخرى؟

وسؤال أهم هو: هل الحال كما هو الحال على وجه الأرض اذ تتوفر بها الواحات والصحارى وغابات السافانا التى تزخر بساكنيها؟

والإجابة على تلك الأسئلة وغيرها هى شغل العلماء الشاغل ثم يختتم البحث بحقيقة تقول: إن الماء الناتج عن ذوبان الجليد يحوى غباراً ظل مختزنا فى الجليد ٦ أشهر كامله ومصدره المحيط الذى حمله من سهول الصين ومصانع أمريكا وأوربا وهو غبـــار غنى بالحديد الذى هو أهم مصادر الغذاء الصلبة لنباتات البلانكنون التى تعتبر أهم نباتات البحر فما أعظم مشيئة الخالق وياله من كون يموج بالأسرار والألغاز.

وبعد فلست أدرى إن كان العالم الألمانى ديكمان بجلى القضية أو يزيدها غموضا حيث يقول: لربما تكون الحياة فى القارة القطبية الجنوبية عاملا غير سلبى يفيد منه الجليد فنحن معشر العلماء والكلام لايزال لديكمان نعتقد أن الحياة البيولوجية تغير شكل الجليد بدرجة كبيرة تؤثر على طريقة ذوبانه، وذلك بامتصاصه الضوء وإخراجه على شكل حرارة مما دفع بالعالم الألمانى أن يغذى الحاسوب بمعلومات بيولوجية فى نماذج فيزيائية للجليد الذائب ليتأكد من معلوماته التى قام بجمعها ثم يقول: لقد اعتاد علماء الفيزياء أن يعرفوا الجليد بقولهم: ما الجليد إلا الجليد ولا يهمنا تركيبه البيولوجى فى قليل أو كثير، لكنهم مؤخرا بدءوا يتخلون عن هذه الفكرة الساذجة إذ يرى علماء الفيزياء أنه قد آن الآوان لأن يصغوا باهتمام إلى رأى علماء الأحياء فى دراستهم للمحيطات والمياه والجليد بشكل عام.

دوحة الكتب



إعداد:
محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر، يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى؛ ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية.

المحرر

تفسير القرآن الكريم للأطفال

إعداد الشيخ
مجدى فتحى السيد

الناشر
دار الصحابة للتراث بطنطا

● عزيزى الطفل: أن مجلتنا الغراء، وبخاصة باب « دوحة الكتب » تبحث وتتجول فى كل مكان، لتجد الجديد والمفيد لكل القراء الأعزاء حتى نكون عند حسن ظنهم دائما..

● واليوم وعقب انتهاء العام الدراسى، وبداية الأجازة الصيفية كان همنا الشاغل هو الطفل المسلم كيف ومتى وأين يستفيد من هذه الأجازة؟

● وها أنتم رجال الغد وأمل المستقبل، يجب أن تكونوا هداة مهديين، ليسعد بكم المجتمع وعلى آبائكم أن يغرسوا فى نفوسكم روح الخشوع، والتقوى والعبودية لله رب العالمين، فإن للبيئة أثرا فى حياتكم.

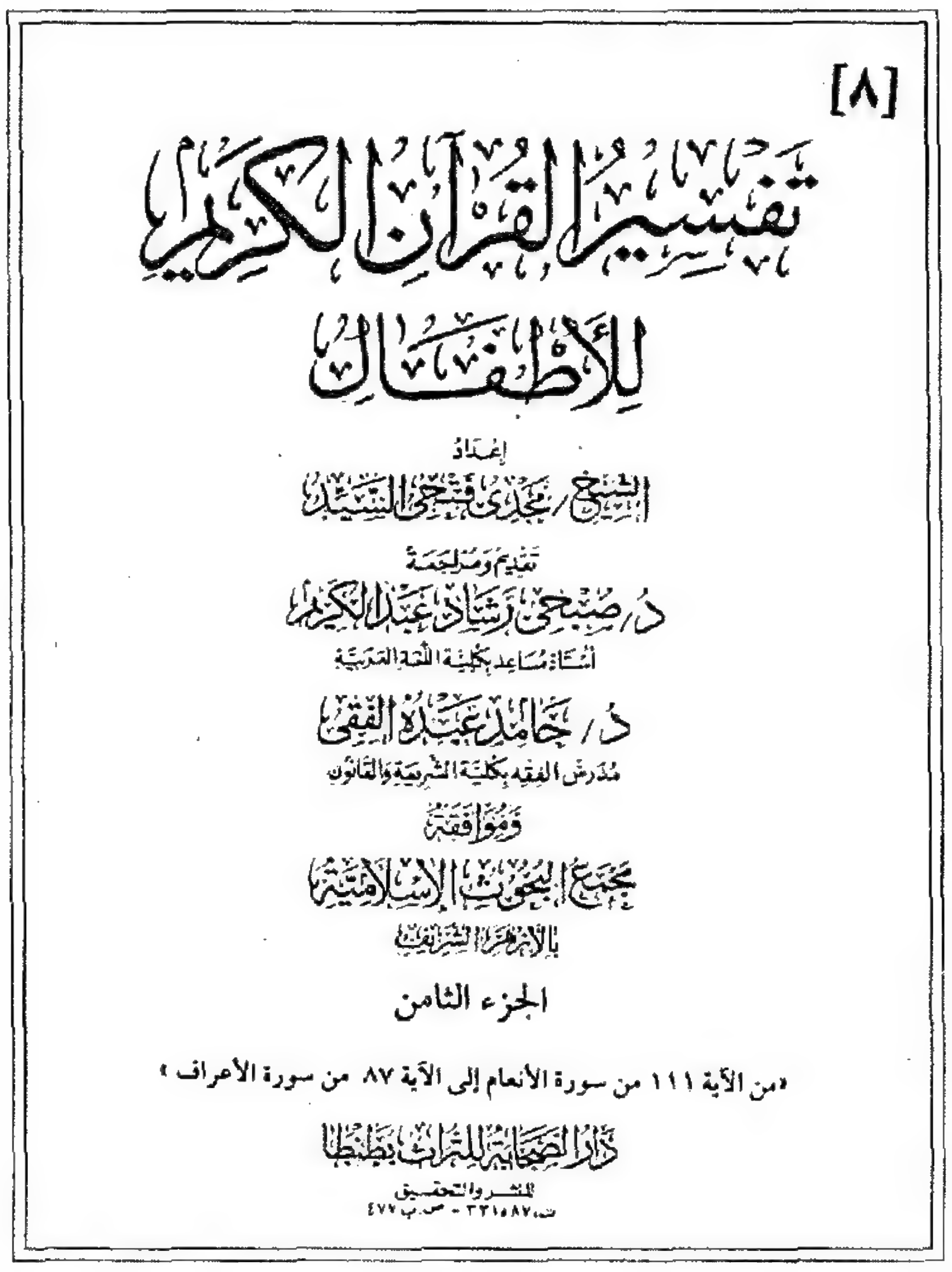
● ولهذا نقدم لكم هذا التفسير الميسر المناسب مع عقولكم بأسلوب سهل مبسط، لا يستعصى على الفهم، فيحفر فى قلوبكم طريقا إلى الله، ويأخذ بأيديكم إلى نور الهدى والمعرفة، ويعصمكم من التيارات الهدامة، والأفكار المتطرفة، التى قد تعصف بكم ذات اليمين وذات الشمال

● وهذا الكتاب الذى يحتوى على خمسة مجلدات فاخرة يضم بين طياته تفسيرا ميسرا لآيات القرآن الكريم، وقد أُلف خصيصا ليناسب الناشئة المسلمة، وليملأ فراغا كبيرا فى المكتبة الإسلامية.

● وهذا التفسير سهل الصياغة فلا صعوبة فى ألفاظه، ولا وعورة فى تراكيبه، وإنما جاء أسلوبه مناسبا لمن ألف لهم، مراعيا قدرتهم الذهنية، ورافعا من إمكاناتهم اللغوية والتعبيرية، وعاملا على الارتقاء بمشاعرهم وأحاسيسهم فى تذوق معانى الألفاظ ومعانى الآيات الكريمة.

● فهو يضم توضيحا للألفاظ الصعبة لغويا، ثم الدقة فى اختيار ما قدم فيه من معلومات.

● أيضا حرص المؤلف على ألا يذكر فى هذا التفسير، إلا ما صح عن رسول الله -ﷺ- من الأحاديث ثم الابتعاد عن ذكر الخلافات حتى لا تزيد الأطفال حيرة وبعدا عن روح القرآن.



[٨]

تفسير القرآن الكريم للأطفال

إعداد

الشيخ / مجدى فتحى السيد

تقديم ومراجعة

د / صبحى رشاد عبد الكريم

أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية

د / حامد عبده الفقى

مدرس الفقه بكلية الشريعة والقانون

وموافقة

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر الشريف

الجزء الثامن

«من الآية ١١١ من سورة الأنعام إلى الآية ٨٧ من سورة الأعراف»

دار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر والتحقيق

● وقد ضم التفسير أشهر وأصدق المراجع العلمية والتفسيرية واللغوية.

● والمعد قد حرص فى هذا التفسير على مخاطبة الأطفال، وإفهامهم النص القرآنى بمقام يناسبهم على غير المألوف من كتب التفاسير الآخرى.

● أيضا قام بالفصل بين آيات القرآن وبين التفسير، إبرازا للقرآن، وتقديرا له.

● ثم قام ببيان معنى الكلمة التى يصعب فهمها على حدة .

● أيضا قام بوضع عنوان بارز لمضمون الآيات، التى تحتوى على معنى واحد، ثم الحرص على ذكر الأحاديث الصحيحة، والبعد عن التطويل والتعقيد والحشو الزائد من أجل إعطاء الأبناء الجرعة المناسبة لهم .

● يأخذ المعد بلب الطفل حينما يسرد التفسير على هيئة سؤال، ثم يتولى الإجابة

بنفسه، ثم كتابة التفسير بأسلوب علمي واضح.

● والكتاب يضم القرآن الكريم، الذى هو دستور المسلمين، فيه حكم ما بينهم ونبأ ما قبلهم، وخبر ما بعدهم، وهو القول الفصل، والنور المبين، والذكر الحكيم

● يقول الرسول - ﷺ - «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[1] وقراءة القرآن، تحببنا إلى الرحمن وإلى النبى -عليه الصلاة والسلام- وتنجينا من النيران، وتدخلنا الجنان وهو سبيلنا إلى الراحة والأمان، وعلامة الإيمان، ويطرد عنا الشيطان.

● أيها الطفل المسلم: القرآن نتعلم منه التوحيد، والحلال والحرام، وأخبار السابقين، والآداب الرفيعة، والأخلاق السامية، والحق والحقيقة، والعلم النافع، والبيان الكافى، ومن علوم القرآن التى ضمها هذا التفسير، توحيد الله -تعالى- التكاليف والأحكام، أخبار الأولين والآخرين، وقد ضم الكتاب عدة مجلدات ختمها بالفهرس الموضوعى لآيات القرآن الكريم، والفهرس العام للتفسير والفهارس العلمية للكتاب، ثم أركان الإسلام، وفهرس قصص القرآن، وفهرس أمثال القرآن الكريم، ثم فهرس مكارم الأخلاق ومحاسنها، ومساوىء الأخلاق ومذمومها، ثم فهرس الإيمان، والمؤمنون وأحوالهم، والكفر والكفار واحوالهم، ثم فهرس الشرك والمشركون وأحوالهم، والنفاق والمنافقون وأحوالهم، ثم الأحكام الشرعية وآيات الأحكام بحسب ترتيبها فى السورة، ثم الجهاد فى الإسلام وأحكامه، والمعجزات ودلائل النبوة، الساعة وعلاماتها الكبرى، الإيمان بالجنة وصفة نعيمها، الإيمان بالنار وصفة عذابها الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، العمل وقيمته فى القرآن، المحافظة على البيئة فى القرآن ثم فهرس الموضوعات الإجمالى.

وهكذا أيها الطفل المسلم عشنا مع هذا التفسير المجمل والمفسر والواضح والمبين لكل ما يحتويه القرآن الكريم.

قضية اللفظ والمعنى

● أيها القارىء ما زلنا نبحث سويا عن قضايا وهموم لغة الضاد، من حيث التلفظ بها، وكتابتها أو المعاملة من خلالها، وقد طرحنا فى أعداد سابقة الكثير والكثير عن هذه اللغة، التى نحارب من خلالها، ومهما كان الدفاع عنها فلن، نوفيها حقها

● واليوم نطرح كتابا قيما، يهم العامة قبل الخاصة، فى عروبتهم المتمثلة فى هويتهم اللغوية، وهى قضية اللفظ والمعنى، فهى قضية شغل بها النقاد والعلماء والباحثون عن الحقيقة. منذ بدأ الإنسان يتأمل لغته الأدبية

(١) حديث صحيح اخرجه البخارى «٦/٢٣٦» وابو داوود «١٤٥٢» والترمذى «٢٩٠٩»

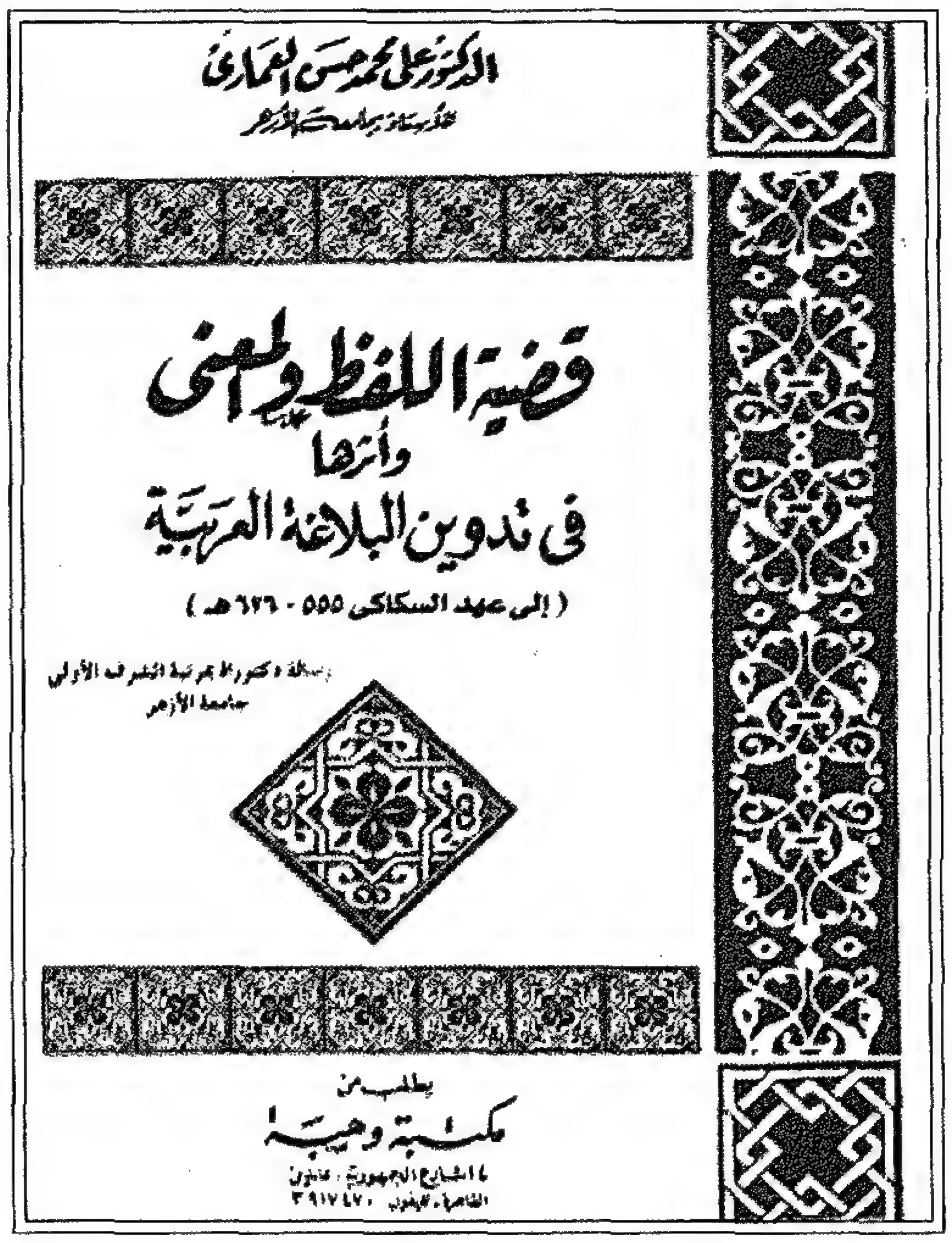
التى يعبر بها عن خوالجه النفسية وعن تأملاته فى الكون والحياة ليعرف سر الجمال فى هذه اللغة وموضع الروعة من أدبها

● لقد عاش الباحث فى هذه القضية أكثر من ثمانية قرون، منذ ظهرت تباشيرها فى أعماق العصر الجاهلى، إلى أن تلخصت نتائجها فى أوائل القرن السابع الهجرى، رغم أن الباحثين لم يتناولوا هذه القضية من الناحية التاريخية.

● واجتهد الباحث فى إبراز قضية اللفظ والمعنى، وما يتعلق بها منذ بدأ الجاحظ تدوينها فى أوائل القرن الثالث الهجرى إلى أن تلقف الرازى والسكاكى نتائج دراستها فى أواخر القرن السادس، وأوائل القرن السابع.

● شرح فى الفصل الأول صلة اللفظ بالمعنى حيث أشار المؤلف إلى الخلاف حول الكلمة المفردة واللفظ المركب بل حول اللغة ذاتها، فالإنسان مع ما أوتى من سعة المعرفة والرغبة الجامحة فى كشف الحقائق، ومع من يملك من الوسائل المادية والعقلية للوصول إلى كثير من مجاهل هذه الحياة، مع ذلك لايزال عاجزا عن معرفة التاريخ الأول للكلمة متى بدأت؟ وكيف بدأت؟

● ثم تحدث عنه بين اللغة والاصطلاح كاللفظ والمعنى، والأسلوب، والقالب،



والنظم والطبع والصنعة والجزالة والرقة.

● أما فى الباب الثانى فتحدث عن الأصول الأولى للقضية، كقضية الإعجاز، ثم الباب الثالث كمدرسة الجاحظ فى أصالة البلاغة العربية، وطرح قضية المفاضلة بين اللفظ والمعنى عند الجاحظ حيث قضى قضاء واضحا لا لبس فيه ولا غموض، وطرح -أيضا- قضية المعنى عند الجاحظ، ثم تحدث عن أصالة البلاغة العربية وتحدث عن ابن قتيبة الناقد

● ثم مذهب المبرد فى اللفظ والمعنى ورأيه فى الكلام الجيد.

وطرح الباحث -أيضا- عدة أبواب هامة منها: مدرسة البديع ومحاسن الكلام،

وصناعة الشعر والنثر، وأشار إلى باب مذاهب الإعجاز، كمذهب الاعجاز البيانى، ومذهب الصرفه

● ثم مذهب عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١، كمذهبه فى إعجاز القرآن، ومذهبه فى اللفظ والمعنى والنظم البلاغية، ثم البلاغة التقريرية

● وأخيرا كان الباحث واضحا فى هذه القضية، وقد طرحها فى سهولة ويسر حتى يستطيع القارىء أن يتحقق منها وتناولها عبر ثمانية قرون من الزمن، من حيث نشأة العلوم وتطورها وفى تاريخ قضاياها الكبرى، وتعرض الباحث لمسألة الفصل بين اللفظ والمعنى فى النفس الإنسانية حيث انتهى إلى أن المعنى يصحبه اللفظ إذا وصل إلى منطق الفكر

● وعرض قضايا كلية وجزئية هامة.

● وهكذا كان هذا البحث فيه الكثير والكثير من القضايا البلاغية واللفظية فى اللغة بحيث تصاحب المعنى اللغوى، وتصل إلى المبدع فى هذا القضايا المتصلة بعضها ببعض.

وبالله التوفيق.

الخصخصة آفاقها وأبعادها

● عزيزى القارىء هذه هى المرة الأولى التى نطرح من خلالها موضوعا اقتصاديا هاما مطروحا بشكل موسع على الساحة العالمية والمحلية لأنه يحاول أن ينمى ويدعم الاقتصاد، وهذا موضوع جديد فى أسلوبه الذى يتيح لكل باحث فرصة كافية كى يناقش الآخر بهدوء وموضوعية وكسر الحواجز بين التيارات الفكرية.

● ولقد عانت تجارب التنمية العربية جميعها من عدة عوامل، جعلت اقتصاديات الدول العربية عاجزة أمام التحولات غير المواتية من الاقتصاد العالمى، وأصبح مطلوبا إعادة تقويم المسيرة السابقة والقيام بإصلاحات شاملة للخروج من الأزمة والانطلاق فى تنمية اقتصادية اجتماعية شاملة.

● هل الخصخصة هى الحل لكى نحقق الأزدهار الاقتصادى والاجتماعى

● وما هى الخصخصة أصلا؟ وما المكاسب التى يمكن ان نحققها؟ وما العواقب التى يمكن أن يتركها تطبيقها.

● كيف ينظر المفكرون الاقتصاديون والاجتماعيون للخصخصة؟

هذه بعض التساؤلات وهناك الكثير غيرها يطرحها هذا الموضوع الكبير

● فى هذا الكتاب: يحاول المؤلفان- وهما من الخبراء الاقتصاديين فى هذا الموضوع- أن يبرزا بأسلوب علمى وموضوعى- قل نظيره- الزوايا المتعددة للخصخصة

● طرح المؤلف موقف الاقتصاديين العرب وأيضا مأساة الفكر الاقتصادى العربى ثم إمكانات القطاع الخاص

● والاقتصاديون مختلفون على كل شىء بما فى ذلك التعاريف الأساسية للمتغيرات الاقتصادية وهذا ينطبق على التخصيص -أيضا- فالتخصيص يعنى لبعضهم مجرد اعادة ملكية القطاع العام إلى الأفراد حينما يغنى عن طريق البيع

● وطرح المؤلف سؤالا: لماذا العودة إلى القطاع الخاص وذكرمنها عدة أسباب سياسية، وإدارية واقتصادية، وضرورة الاستثمار، والتنمية، وضغوط المنظمات الدولية

● ثم تحدث عن الخصخصة فى البلاد العربية

● وأشار الدكتور نبيل مرزوق إلى الخصخصة وأبعادها الاقتصادية والاجتماعية، وتحدث عن الاستراتيجية والتخطيط، ثم الفساد البيروقراطى، وغياب المشاركة الديمقراطية

● ثم وضح النظرية الاقتصادية السائدة

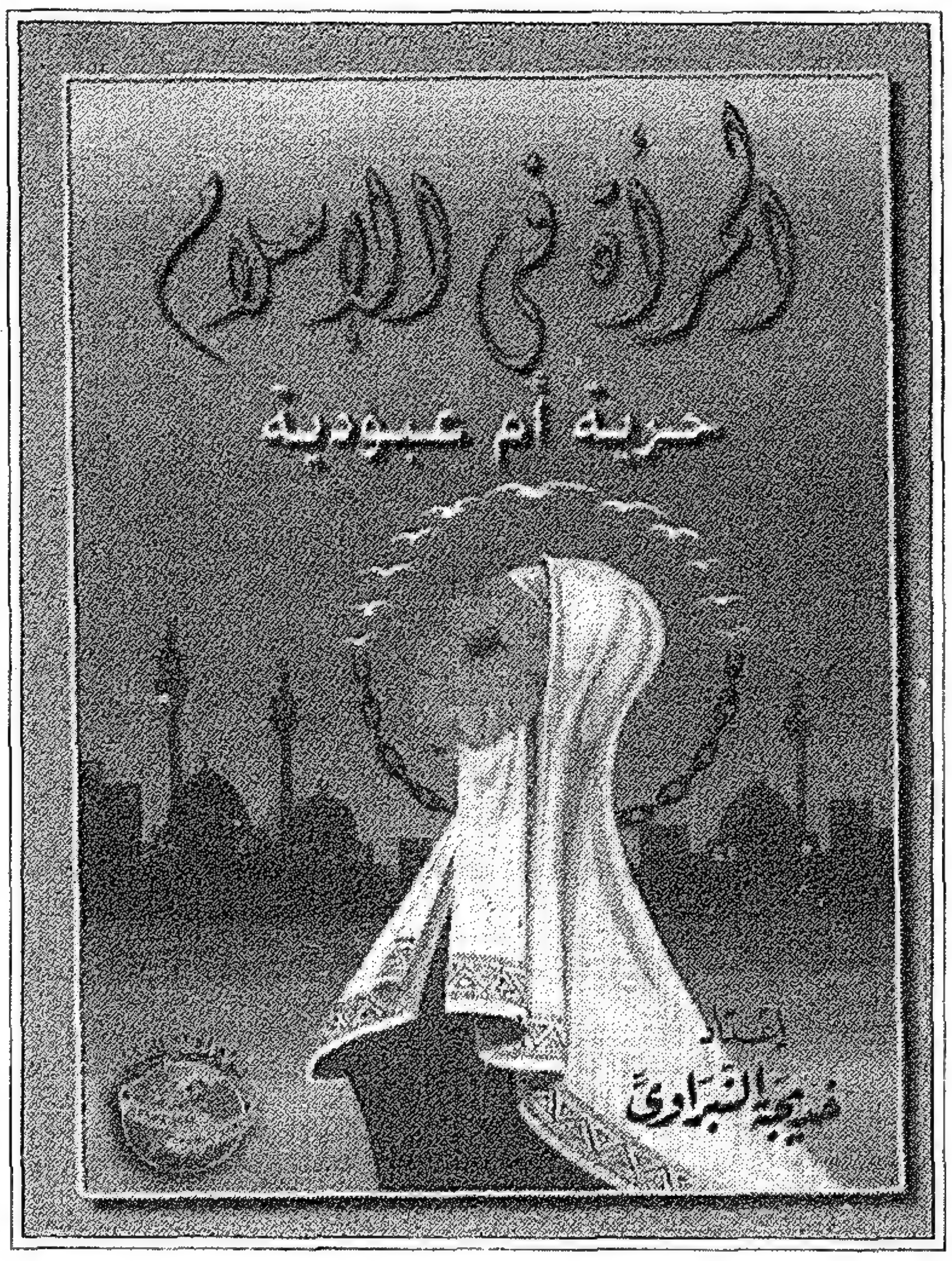


● ثم يتناول الكتاب التعقيبات على ضرورة الاستمرار فى الاعتماد على الملكية العامة

● ثم تعقيب على مقالة د. محمد رياض الأبرش، حول مفهوم الاشتراكية وتجربه الدول الاشتراكية والقطاع الخاص وإمكاناته فى ظروف الدول النامية، وحول مفهوم تمويل الأغنياء للفقراء، ثم التحولات فى النظام الرأسمالى والعودة للقطاع الخاص ومفهوم التنمية وشروطها فى الظروف الحالية من التطور الرأسمالى

● وهكذا عزيزى القارىء: طرح هذان المؤلفان رؤيتهما بصفتهما من واقع خبرتهما فى الاقتصاد من حيث الحياة العلمية والمنهجية وأيضا من الناحية العالمية والمحلية ووجهات النظر والتطور الاقتصادى المقترح لمفهوم الخصخصة وتطبيقها.

المرأة فى الإسلام حرية أم عبودية



لم أر سيدة صادقة تعبر فى وإخلاص، كهذه المؤلفة، التى كتبت الكثير، والكثير من الأبحاث والمؤلفات الإسلامية؛ تدافع بعيداً عن الاختلافات الجنسية، والتعصب الأعمى بين المرأة والرجل، والمساواة الساذجة، التى يطالب بها البعض، فيقيمون المؤتمرات، ويعقدون الندوات، ويرفعون الشعارات للمطالبة بهذه المساواة.

● فترد هذه المؤلفة الصادقة قائلة : ترى فى أى شيء بالضبط تريد المرأة مساواتها بالرجل؟ هل فى الحقوق فقط؟ أم فى الحقوق والتبعات الملقاة على عاتقه؟؟

وأتعجب بينى وبين نفسى ـ هذا على لسان المؤلفة ـ ؛ لأنه لو انكشف الغطاء واستضاءت البصائر بنور الله، لعرفت النساء أنهن يطالبن بما يشقيهن، ويبحثن عن متاعب، هن فى غنى عنها، ولقنعت كل منهن بدورها الحقيقى فى الحياة، لأنه أخف وطأة بكثير من الدور الذى فرضه الله على الرجال.

أهناك حرية أعظم من تلك الحرية المتدفقة من ينابيع الإسلام الفياضة؟ أهناك مساواة تحلم بها امرأة أكثر من المساواة التى حققتها لها شريعة الإسلام؟

● وتقول – أيضا – : على النساء اللاتى يتزعمن حركات تحرير المرأة والمنادة بمساواتها بالرجل، عليهن أن يحددن بالضبط المساواة بمن؟ هل بالرجال الذين لايعرفون الله ولايعرفون أعباء الرسالة الإسلامية؟ أم بالرجال الذين صدقوا الله ماعاهدوا وانتشروا فى ربوع الأرض يجاهدون بأموالهم وأنفسهم، ويتحملون أشد أنواع المخاطر لإعلاء كلمة الحق والعدل، وكل معانى الحياة السامية؟

فإن كانت المساواة بالنوع الأول فالعدل يقول: إن هؤلاء الرجال هم الذين يحق لهم المساواة بالمرأة المسلمة، اوإن كانت المساواة من النوع الثانى فلتعرف النساء أنهم يطلبن ماهو فوق طاقتهن، ومن رحمة الله وعدله فى شرعه، أنه لايكلف نفساً إلا وسعها، ولهذا فقد رحم الله المرأة، ولم يفرض عليها السعى فى طلب الرزق، أو الجهاد فى سبيل الله، أو صلوات الجماعة فى المسجد كل فرض أو كل جمعة.

● فى الفصل الاول تحدثت المؤلفة عن دور الإسلام فى تحرير المرأة، وطرحت أهمية المرأة فى الشريعة الإسلامية، وبزوغ حرية المرأة مع فجر الإسلام، ومكانة المرأة قبل ظهور الإسلام.

● وطرحت اتهامات الحاقدين على الإسلام، من حيث : انتقاص مكانة المرأة وأيضا دائرة المعارف البريطانية من حيث طرحها لوضع المرأة، في أثينا، وتدهوره لدرجة أنها أصبحت بمثابة أمة تلد الأولاد لسيدها. ثم طرحت وضع المرأة فى الشرائع المسيحية واليهودية والصينية والإنجليزية، ثم تكريمها وتعزيزها من ناحية الدين الحنيف، الذى فضلها، ورفع مكانتها، وحررها من العبودية والمهانة.

● وطرحت المؤلفة قول «لورا فيشيا غليرى» فى كتابها: (دفاع عن الإسلام)، ولكن إذا كانت المرأة قد بلغت من وجهة النظر الاجتماعية فى أوروبا مكانة رفيعة، فإن مركزها - شرعيا على الأقل - كان حتى سنوات قليلة جداً - ولايزال فى بعض البلدان - أقل استقلالا من المرأة المسلمة فى العالم الإسلامى.

● تحدثت أيضا عن مدارج الشريعة فى تحرير المرأة، وأشارت إلى الفرق بين الحرية المطلقة، والحرية الملتزمة، ثم حريتها فى طلب العلم.

● وقدمت أيضا نماذج من حرية المرأة فى التعبير عن رأيها واختيار شريك حياتها وتقرير مصيرها، ثم حريتها بعد زواجها، كحريتها فى التصرف فى ممتلكاتها، ثم فى أداء عباداتها وحريتها فى خدمة زوجها، ثم فى تنظيم حملها، ورضاع طفلها، ثم استمرار حياتها الزوجية وإنهائها.

● أيضا حريتها في حضانة طفلها، وفى أحكام الزواج.

● أما فى الفصل الرابع: «نظرة الإمام النورسى نحو المرأة» فقد جاء فيه: «أخذ الإسلام بيد المرأة، ليرتقى بها إلى عنان السماء، ويبعدها عن تطاحن الغوغاء، وينبهها بأنها مخلوق كله رقة وحنان خلقته العناية الالهية؛ لإشاعة الرحمة والشفقة فى النفوس البشرية، وأنها يوم أن تتخلى عن تلك الرسالة النبيلة؛ فإنها تشارك فى تحطيم الإنسانية.

● عرضت أيضا منهج الإمام النورسى فى تحرير المرأة.

● ثم تحدثت عن قضايا هامة فى حياة المرأة : كالحجاب، وقضية تعدد الزوجات، وقضية عمل المرأة.

● وأخيرا الخاتمة التى تحدثت فيها المؤلفة لدعاة تحرير المرأة تحت دعاوى الحضارة الحديثة.

● ثم ردها عليهم بالحجة الدامغة، والقول البين، والأسلوب القوى، واللفظ المفيد.

● هكذا عزيزى القارىء عشنا مع هذا الكتاب الذى يحتوى على كل معانى الصدق، والوفاء، والإخلاص فى الكلمة لسيدة مسلمة، توجه كلمة حق لكل نساء المسلمين؛ لتحررهم من عبوديتهم وتنقلهم إلى الحرية الساطعة فى الإسلام الحنيف.

● فعليك وعلى كل فتاة مسلمة بضم هذا الكتاب الى مكتبتك الإسلامية وقراءته جيداً؛ لتكون حجة على من انحرف عن الطريق المستقيم.

بين المجلة... والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

زهور المستقبل

أسعدنا أن يكون ضمن بريد المجلة نسخة من مجلة «زهور المستقبل» التى يصدرها معهد أسوان الابتدائى النموذجى، ومصدر سعادتنا أنها صادرة عن معهد ابتدائى.

فالمجلة تذخر بأعمال الطلبة من رسوم ومعلومات توضح المستوى التعليمى الطيب لأبناء المعهد.

كما تضم المجلة بين دفتيها صوراً لبعض شهادات التقدير التى نالها بعض طلبة المعهد المتميزين، وهى توضح المستوى الطيب الذى بلغه أبناء المعهد على المستويين العلمى والرياضى.

والمجلة جيدة الإخراج، مناسبة من حيث المادة التى تتلاءم ومستوى التعليم الابتدائى.

هذا بالإضافة إلى عدد من الكلمات بأقلام الأساتذة والمشرفين على العملية التعليمية بالمعهد مثل: التعليم من أجل التميز للأستاذ يوسف الجبلاوى، ثم الطفل الأزهرى للأستاذ أسامة مختار، قطرات من الهجرة للأستاذ بهاء حشمت.

بالإضافة إلى عدد من القصائد الشعرية ومقتطفات الصحف.

وقد أعجبتنا كلمة فضيلة الشيخ محمد عبدالعزيز وكيل أول منطقة أسوان الأزهرية حول الطفولة فى الإسلام:

حيث ورد بها قوله:

(الطفولة هى المرحلة السنية الأولى للإنسان، وقد وضع الإسلام نظاماً كاملاً لمرحلة الطفولة حتى تؤتى ثمارها فى المستقبل، وقد اهتم نبينا - ﷺ - بالطفولة فقال - ﷺ -:

«أحسنوا لأولادكم وأكرموهم وأحسنوا أسماءهم وأدبهم فإنهم هدية الله إليكم»

وقد وضح الرسول الكريم فى حياته نماذج للتربية الإسلامية ضارباً المثل فى العناية والرعاية بالأطفال.

فقد كان الحسن والحسين سبطا رسول الله - ﷺ - يلعبان معه وقد امتطيا ظهره فى فناء البيت فدخل عليهم أحد الصحابة فقال لهما:

نعم الرحل رحلكما «أى نعم الركوبة ركوبتكما» فتبسم الرسول -ﷺ- وقال: نعم الراكبان هما.

ومثل آخر مع غلام له وبينهما طعام فإذا يد الغلام تطوف فى كل الإناء فيقول له -ﷺ- بأدب جميل معلماً كل أطفال الأمة الإسلامية: (يا غلام: سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك) وصورة أخرى لأم تنادى ولدها ذات يوم: يا بنى تعالى وخذ هذا. وهى تقبض يدها فسمعها الرسول -ﷺ- فقال لها: «ماذا تعطيه إذا أقبل عليك فقالت: سأعطيه تمرة فقال -ﷺ-: «إذا لم تعطه التمرة فقد كتبت عليك كذبة» إنه الصدق فى القول والصدق فى العمل ينميه الرسول -ﷺ- فى نفوس الآباء لأنهم موضع قدوة الأبناء فهذا هو واجب الآباء ومسئوليتهم تجاه أطفالهم.

نسأل الله أن يوفقنا جميعا بالاقتداء برسول الله وأنتم فى مرحلة الطفولة ستصيرون بعدها شبابا ترفعون راية الإسلام فى كل مكان بسلاح العلم واللغة فى ظل أزهركم الشريف خصوصاً اللغات الأجنبية لتكونوا رسل الإسلام فى أقصى الدنيا وأدناها إن شاء الله).

وبعد، فإن أسرة تحرير مجلة الأزهر تتمنى لمجلة «زهور المستقبل» الدوام والتوفيق كما تتمنى أن ترى فى كل معهد من معاهد الأزهر الشريف مجلة تعكس مدى نشاط أبنائه وتفوقهم... وعلى الله قصد السبيل.

ميلاد النبى محمد ﷺ

من القارئ/ جمال محمود الطاهر- السيوف- الإسكندرية وردت هذه الرسالة احتفاء بميلاد النبى محمد -صلوات الله وسلامه عليه- يقول فيها:

كان ميلاد النبى محمد- ﷺ- ميلاداً للرحمة وتجسيداً للقيم الإسلامية العليا التى ذكرها الله -تعالى- فى القرآن الكريم، فكان النبى المصطفى - ﷺ - المثل الأعلى والأسمى الذى يطمح ويتوجه إليه جميع المؤمنين مصداقا يقول الحق.. تبارك وتعالى:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾

الأحزاب/ ٢١

هذه القيم الإسلامية العليا هى التى أقام بها النبى - ﷺ - المدينة الفاضلة التى أسست وبينت على أحكام الدين الإلهى المعجز وتعاليم النبى فجاءت فى واقعها وحقيقتها وكمالها أعظم وأفضل من تلك التى طالما تخيلها وتمناها الفلاسفة والشعراء، وبلغت بتشريعاتها وأحكامها الإلهية الغاية القصوى، فكانت هذه التشريعات والأحكام أعلى وأشمل من كل ما صاغه البشر.

هذه القيم الإسلامية العليا هى التى ربى بها النبى - ﷺ - أصحابه فكانوا ﴿ **خير أمة أخرجت للناس** ﴾، تلك الأمة التى أقامت بقوة إيمانها والتأسى بنبيها -ﷺ - أكبر وأسمى حضارة إنسانية عرفها التاريخ الإنسانى كله، ألا وهى الحضارة الإسلامية التى أشرقت الدنيا بنور علومها وآدابها وفنونها.

فياليتنا وقد احتفلنا بالمولد النبوى الشريف أن نقتدى بنبينا - ﷺ - حتى يرزقنا الله الخلافة فى الأرض والتمكين فى الدين:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ النور: ٥٥.

اغتنام الوقت

ومن القارئ/ محمد عباس محمد عرابى وردت هذه الكلمة عن أهمية الوقت يقول فيها:

الوقتُ نعمةٌ عظمى، ومنحة كبرى يستفيد منها كل الفائدة الموفقون الأفذاذ، فقد روى البخارى والترمذى وابن ماجه، عن ابن عباس - رضى الله عنهما -، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

ويحثنا -ﷺ- على اغتنام الوقت، فقد روى أحمد عن عمر بن ميمون قال: قال رسول الله -ﷺ-: «اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك».

على الرغم من أن العمر الطويل ينقضى يوما بعد يوم، ويمضى مسرعا ولا يعود، تظنه مديدا طويلاً، مقيما، وحقيقته غير ذلك، قال الإمام أحمد بن حنبل -رضى الله عنه-: «ما شبَّهْتُ الشباب إلا بشئ كان فى كُمى فسقط» وقد عاش ٧٧ سنة. فالشباب وإن امتد يسير، والعمر وإن طال قصير، ورحم الله القائل:

أذانُ المرْءِ حين الطِّفْلُ يأتى
وتأخيرُ الصلاةِ إلى المَماتِ
دليلٌ أنَّ مَحْيَاهُ يَسيرٌ
كما بين الأذانِ إلى الصلاةِ

وقال آخر:

ومـا بينَ مـيلادِ الفتى ووفَاته
إذا نَصَحَ الأقوامُ أنفسهم عُمْرُ.
لأنَّ الذى يأتى شَبيهُ الذى مَضَى
وما هُوَ إلا وَقْتُكَ الضَّيِّقُ النَّزْرُ.

وقد بين العلامة عبدالفتاح أبوغدة فى كتابه القيم: «قيمة الزمن عند العلماء» أن الفائت من الزمان لا يعود أبداً، فأوصى قائلاً: «عليك أيها الأخ الفاضل، والذكى العاقل، أن تحفظ على نفسك: وقتك من أن يذهب هَدَراً وسُدَى، فإن الزمان الذى تعيشُ فيه ظرف عابر ولا يتجددُ ولا يعود، وقد قيل:

مـا مَضَى فـاتَ والمؤمَّلُ غيبٌ
ولك الساعةُ التى أنت فيها.

فاحرصْ على كسب الزمن والانتفاع به بتنظيم نفسك وأعمالك وأوقاتك، متعلماً أو معلِّما أو مؤلفا أو مُطالعاً أو مستمعاً أو قارئاً تالياً أو عابداً زاكياً، ولا تكن ظالمَ نفسك فى قتل الوقت، مبدِّداً لساعات حياتك ولحظات وجودك! غابنا مغبوناً فى عمرك!! تَصْبُوا إلى الراحة والكسل، وتزهد فى الفضائل والمَقَامِ الجَلَل.

الأمانة

القارئ/ محمد حسنى حسين الشيخ - الكوم الأخضر: شبين الكوم - منوفية:

يقول فى كلمته عن الأمانة:

«إنّ من يمعن النظر فى آيات القرآن المجيد التى تحدثت عن الأمانة يجد أنها -أعنى كلمة الأمانة- قد جمعت كل أوامر الشرع وتكاليفه، ولاعجب فى ذلك فقد قال -تعالى- فى صورة الأحزاب آية ٧٢ ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ .

قال الإمام ابن كثير - طيب الله ثراه- بعد أن ذكر أراء العلماء فى المراد بالأمانة: «وكل هذه الأقوال لا تنافى بينها بل هى متفقة وراجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهى بشرطها، وهو أنه: إن قام بذلك أثيب وإن تركها عوقب» أ.هـ،[1] ولذا أمر الله بالأمانة وتأديتها ونهى عن خيانة الأمانة.

ويمتد المفهوم الإسلامى للأمانة إلى ما هو أكبر من ذلك وأشمل حتى يسع كل جوارح الإنسان، فالعين أمانة لا ينظر بها الإنسان إلا إلى ما أحل الله ولا ينظر بها لمحرم.

واليد أمانة أمرنا أن نستخدمها فى الخير ونكفها عن الشر.

والأذن أمانة لا نسمع لما إلا ما أحل الله وخيانتها التجسس والتسمع بها لا يحل، والرجل أمانة والفرج أمانة، واللسان أمانة ما أعظمها، قال عنها ربنا﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ق ١٨.

والمال أمانة يُسئل عنه الإنسان أمام ربه، والعمر أمانة، والشباب أمانة والعلم أمانة. أخرج الإمام الترمذى فى كتاب صفة القيامة قال - ﷺ - «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن علمه فيما فعل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه».

ومن خلال ذلك ندرك أهمية الأمانة كدعامة من الدعائم الأصيلة للحياة الآمنة التى إن زالت منها الأمانة فقد الأمن وفقدت الثقة ودب الشك والريبة فى قلب الأمم وكيانها وكان ذلك نذير شؤم وخراب على من انسلخ من الأمانة.

من روائع الحكم

وأرسل القارئ/ ربيع عبدالعظيم الخياط، من الشرقية هذه الطاقة من الحكم فيقول:

- من سار على نهج الصواب لا خوف عليه من الحساب.
- إذا كنت أهلاً للنضال فصارع الأمواج، وإذا آثرت السلام فالزم الشاطئ.
- تستطيع أن تسحق الزهرة تحت قدميك ولكن أنى لك أن تزيك عطرها.
- ذقت الطيبات فلم أجد أطيب من العافية.
- الذى يحصى عيوب الآخرين أمامك، تيقن أنه سيعلن عيوبك أمام الآخرين.

(١) تفسير ابن كثير ج ٣.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه بمبنى مشيخة الأزهر الشريف بحديقة الخالدين بالدراسة فخامة السيد الرئيس / عبدالرحمن واحد رئيس جمهورية أندونيسيا الشقيقة والوفد المرافق وذلك فى ١٧ من شهر ربيع الأول ١٤٢١ - ٢٠ / ٦ / ٢٠٠٠ حيث رحب فضيلة شيخ الأزهر الشريف بالضيف الكبير والوفد المرافق فى الأزهر الشريف معقل العلم والعلماء ودار الحديث حول توطيد العلاقات بين مصر وأزهرها الشريف، وبين دولة أندونيسيا الشقيقة فى جميع المجالات الاقتصادية والعلمية والتعليمية والثقافية.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر أن مصر وأزهرها الشريف تعتز بصداقتها منذ القدم بدولة أندونيسيا المسلمة الشقيقة، ونحن لا ندخر وسعا فى تقديم أى عون أو مساعدة فى كل النواحى لدولة أندونيسيا، وقال فخامة الرئيس: إنه حضر لزيارة مصر الشقيقة فى إطار اشتراك أندونيسيا فى مؤتمر القمة العاشر لدول المجموعة الخمسة عشر المنعقد فى مصر والذى يعمل على إتاحة نظام اقتصادى دولى يقوم على الديمقراطية والعدل والاهتمام بمصالح الدول النامية ومواجهة التحديات التى تواجه العالم حتى يكون أكثر تكاملا، والتأكيد على مواجهة التحديات التى تواجه الدول النامية، وأشار إلى أنها فرصة طيبة لزيارة مصر ولقاء السيد الرئيس محمد حسنى مبارك -رئيس الجمهورية-، ولقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وعلماء الأزهر الأفاضل وزيارة الأزهر، وقال: إنه يعتز بأنه تعلم فى الأزهر الشريف كما تعلم فيه رؤساء دول وسفراء وعلماء فى مناصب هامة فى دولة أندونيسيا ومنهم السيد: سفير أندونيسيا فى مصر، وإنه يكن للأزهر كل تقدير واعتزاز لأن طلاب أندونيسيا يدرسون فى الأزهر الشريف وهم أعداد كثيرة فى معاهده وجامعته العريقة، وقدم الشكر لمصر والأزهر الشريف على المنح

الدراسية التى تقدم لأبناء أندونيسيا، وأيضا للعلماء الذين يوفدهم الأزهر لأندونيسيا ليتعلم أبناء أندونيسيا فى معاهد على غرار المعاهد الأزهرية فى مصر، ويقوم العلماء والأساتذة بدور هام وكبير فى نشر العلم النافع وإلقاء المحاضرات والدروس وخطبة الجمعة فى مساجد أندونيسيا، لأن الأزهر الشريف تقوم دراسته على الاعتدال والوسطية والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وفى نهاية اللقاء أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على أن الأزهر الشريف فى خدمة أبناء المسلمين جميعا فى أى مكان من أرض الله وخاصة فى دولة أندونيسيا المسلمة الشقيقة سواء حضروا إلى مصر للتعلم فى الأزهر الشريف أو أرسل الأزهر علماءه الى المسلمين فى بلادهم لتعليمهم أمور دينهم وتوضيح المفاهيم الإسلامية الصحيحة للدين الحنيف

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حسن الحفاوة والاستقبال ووجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة أندونيسيا لأن المسلمين فى أندونيسيا يتطلعون لزيارة فضيلته، وقد وعد فضيلته بتلبية الدعوة فى الوقت المناسب إن شاء الله – تعالى–

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف، والدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، والشيخ عبدالعزيز ندا وكيل المعاهد.

كما حضر مع السيد الرئيس وزير الخارجية الأندونيسى والسيد سفير أندونيسيا بالقاهرة وهم من خريجى الأزهر الشريف.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه فى ٧ من شهر ربيع الأول سنة ١٤٢١هـ ١٠/٦/٢٠٠٠م سماحة الدكتور/ محمد رشيد قبانى مفتى لبنان، وسعادة الأستاذ/ هشام دمشقية سفير لبنان بالقاهرة، والوفد المرافق لهما.

رحب فضيلة الإمام بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف وقدم التهنئة لهم بعودة الجنوب اللبنانى المحتل إلى لبنان داعيا المولى –عز وجل– أن تعود باقى الأراضى المحتلة كالجولان والضفة الغربية والأراضى الفلسطينية.

شكر الضيف فضيلة الإمام على حسن الاستقبال موضحا بأن الساحة الآن ممهدة للمفاوضات السلمية لعودة باقى الأراضى المحتلة إلى الأرض الأم لبنان وتمنى أن تحذوا جميع الدول العربية والإسلامية حذو مصر ورئيسها/ محمد حسنى مبارك لزيارته للبنان وما كان لها من أثر عظيم وتحول تاريخى للعرب وبخاصة دولة لبنان.

● كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر، سماحة الشيخ/ عكرمة صبرى المفتى العام للقدس والديار الفلسطينية والوفد المرافق له، وأعرب فضيلة الإمام عن أن القدس إسلامية وستظل دائما إسلامية عربية، ونحن نرحب بإخواننا فى فلسطين وعلى استعداد تام للتعاون معهم فى كل المجالات.

شكر الضيف فضيلة الإمام على موقف مصر والأزهر الشريف من قضية القدس، وأن هذا عهد الأزهر دائما فى القضايا الإسلامية، وقدم سماحة

المفتى وثيقة عهد القدس لفضيلة الإمام للتوقيع عليها والذى جاء فى مضمونها بأن أبناء الشعب الفلسطينى المترابط فى بيت المقدس يعاهدون الله -سبحانه وتعالى- أن يظلوا حملة لواء الرباط فى القدس وأن تظل القدس جوهرة عقيدتنا ورمز وحدتنا الوطنية وأن يكون هذا العهد عروتهم الوثقى فى التضحية والوحدة والعمل الجاد المستمر لزوال الاحتلال الإسرائيلى عن مدينة القدس وكافة الأراضى الفلسطينية وأن تظل لأصحابها ولأهلها الشرعيين ليعيشوا بأمن وأمان وبطمأنينة وسلام.

جاءت كلمات فضيلة الإمام على تلك الوثيقة: بأن الأزهر الشريف يعاهد الله - سبحانه وتعالى - أن يبقى دائما الى جانب أبنائه وأخوانه الفلسطينيين لنكون جميعا يدا واحدة وقلبا واحدا، لتبقى القدس إسلامية عربية ونعاهد الله -تعالى- جميعا على ذلك وهو - سبحانه - وتعالى خير الشاهدين.

حضر اللقاءات فضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ٣ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ ٦/٦/٢٠٠٠م الدكتورة / يوانا فرونيتسكا سفيرة جمهورية بولندا بالقاهرة، وذلك بمناسبة توليها العمل كسفيرة لبلادها بالقاهرة والوفد المرافق.

حيث أعربت السفيرة عن سعادتها لهذا اللقاء، وأنها كباحثة اكتشفت أن الحضارة الإسلامية ببولندا موجودة منذ أمد طويل وكذا فكرة التسامح ونحن فخورون بذلك، وأن عدد المسلمين فى بولندا ٥ آلاف مسلم ويحفظون القرآن، كما توجد مساجد على الطراز الإسلامى، وأن البولنديين يؤمنون بالله، وتواجد المسلمين فى بولندا منذ زمن التتار من القرنين ١٣,١٢ وهناك طلبة من بولندا يدرسون اللغة العربية فى مصر، كما توجد مدرسة للغات الشرقية فى وارسو وفى جنوب بولندا وهم يحبون تعلم اللغة العربية ولديهم أساتذة متخصصون فى اللغة العربية والأدب كما توجد كتب لنجيب محفوظ مترجمة، وكذا بعض كتب التراث والأدب والفلسفة والنصوص، وقد أعربت السفيرة عن رغبتها فى الحصول على منح من الأزهر لأبناء بولندا المسلمين، شكر فضيلة الإمام السيدة السفيرة على معلوماتها وفهمها للمذاهب الدينية والفلسفية موضحا لها بأن مصر وبولندا دولتان شقيقتان والتعاون قائم فى المجالات المختلفة والأزهر على استعداد لاستقبال الطلاب والطالبات المسلمين الراغبين فى الالتحاق بالأزهر الشريف من خلال القنوات الشرعية، ونحن نرحب بمزيد من التعاون فى كل المجالات الدينية والعلمية والثقافية والاجتماعية، والأزهر أبوابه مفتوحة دائما، كما أوضح فضيلته نظام التعليم بالأزهر الشريف فى المراحل المختلفة من الحضانة حتى المرحلة الجامعية وما بعدها، والتخصصات المختلفة بالكليات الأزهرية والكليات العلمية والعملية، وما تمتاز به الدراسة بالأزهر من توسط واعتدال، وأوضح فضيلته أن لغة العصر الآن هى الانفتاح على العالم ووسائل الإعلام وأصبح العالم كله كقرية صغيرة، كما أوضح فضيلته بأن

لقاءه ببابا الفاتيكان كان من أجل نشر الفضائل، ومساعدة المحتاج، وإعطاء كله ذى حق حقه وأننا نأخذ من حضارات بعضنا البعض ما يناسبنا.

وبالنسبة للعقائد فلكل إنسان عقيدته لأن العقائد لاتباع ولا تشترى، والذى يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل -، وعلينا أن ندعو الى القول: إن الحضارات يجب أن تتعانق وتتعاون ولا تتصادم لأن لكل دولة حضارتها.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للإعلام بالأزهر الشريف.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف فى ١٠ من شهر ربيع الأول سنة ١٤٢١ - ١٣/٦/٢٠٠٠ السيد/ محمد طلحه حسن وزير الأوقاف والشئون الدينية بدولة أندونيسيا والدكتور/ محمد قريش شهاب سفير أندونيسيا بالقاهرة والوفد المرافق.

رحب فضيلة الإمام بالضيف ومرافقيه وأعرب عن شكره وتقديره لدولة وشعب أندونيسيا لتخطيه الأزمة التى مر بها معربا عن عمق الروابط القديمة والعريقة بين الشعبين المصرى والأندونيسى.

شكر الضيف فضيلة الإمام للحفاوة التى استقبل بها معربا عن أن الشعب الأندونيسى له تذوقه الخاص فى التعليم الأزهرى لما يمتاز به من اعتدال ووسطية وطلب زيادة المنح الدراسية للدراسة بالأزهر الشريف ورغبته فى إقامة معاهد أزهرية أخرى بأندونيسيا على غرار المعهدين اللذين تم إقامتهما هناك.

أعرب فضيلة الإمام للضيف عن أن الأزهر الشريف وجامعته العريقة لا تدخر وسعا فى سبيل تلبية أى مطالب وخاصة لدولة أندونيسيا.

كما قدم السيد الوزير الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر من السيد/ عبدالرحمن واحد رئيس جمهورية اندونيسيا لزيارة أندونيسيا متمنيا أن تكون بمناسبة المولد النبوى الشريف، رحب فضيلة الإمام بالدعوة ونظرا للارتباطات المسبقة فسيقوم فضيلة الإمام بإرسال وفد برياسة فضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر لحضور المولد النبوى الشريف بأندونيسيا

حضر اللقاء فضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف، فى ١٠ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ ١٣/٦/٢٠٠٠ بمكتبه السادة/ آية الله أحمد خمينى عضو فقهاء مجلس صيانة الدستور فى إيران، والسيد/ آية الله محمد رئيس المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية، والوفد المرافق لهما، وذلك فى إطار انعقاد المؤتمر العالمى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية المنعقد فى القاهرة تحت رعاية فخمة الرئيس/ محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية فى الفترة من ١١ وحتى ١٤/٦/٢٠٠٠م.

رحب فضيلة الإمام بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف، وموضحا لهم بأن الأصول فى الإسلام لا تتغير، أما الفروع فهى محل الاجتهاد، وفى مصر الدستور هو الأب الشرعى للدولة ونحن جميعا نخضع للقوانين.

شكر الوفد فضيلة الإمام الأكبر على حسن الاستقبال ووجهوا الدعوة لفضيلة الإمام لحضور المؤتمر الذى سيعقد فى شهر شوال القادم يناير ٢٠٠١م فى مدينة قم بمركز الحوزة العلمية بإيران.

شكر فضيلة الإمام الوفد على الدعوة مؤكدا على أن العلم رحم بين أهله سائلا المولى -عز وجل- أن يجمعنا على الأخوة الصادقة.

● كما استقبل فضيلته السيد / محمد رشيد وزير الأوقاف السابق ورئيس المحكمة الدستورية العليا بدولة المالديف والوفد المرافق الذى نقل لفضيلة الإمام الأكبر تحيات وشكر وتقدير فخامة الرئيس / مأمون عبدالقيوم رئيس جمهورية المالديف لما يقدمه الأزهر الشريف من عناية ورعاية وتعليم لأبناء المالديف فى مصر ودولة المالديف، كما وجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة المالديف لما لها من أثر طيب فى نفوس شعب المالديف، وجدير بالذكر أن رئيس دولة المالديف والسادة رئيس الوزراء ووزراء الأوقاف والتعليم والعدل جميعهم من خريجى الأزهر الشريف

● كما استقبل فضيلته سعادة الشيخ / عبدالرحمن بن محمد بن راشد آل خليفة وكيل وزارة العدل والشئون الإسلامية بدولة البحرين والسيد السفير / إبراهيم على الماجد سفير دولة البحرين بالقاهرة والوفد المرافق لهما.

دار الحديث حول توطيد العلاقات الثقافية والدينية والعلمية بين مصر وأزهرها الشريف ودولة البحرين الشقيقة.

حضر اللقاءات فضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف وكيل الأزهر وفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى على رئيس الادارة المركزية للإعلام بالأزهر

فضيلة وكيل الأزهر الشريف يستقبل وفد الجامعة الإشرافية فى الهند

● استقبل فضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر -شيخ الأزهر الشريف- الشيخ / شمس الهدى المصباحى القادرى أستاذ الجامعة الإشرافية مباركفور أعظم كرة «الهند» والوفد المرافق وذلك فى ١٥ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ ١٨ / ٦ / ٢٠٠٠ دار الحديث حول معادلة الشهادات التى تمنحها الجامعة الإشرافية فى الهند بشهادات الأزهر الشريف.

كما طلب مراجعة ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الأردية للإمام / محمد أحمد رضا خان القادرى الهندى وإجازتها من قبل الأزهر الشريف، وطلب أيضا إرسال مبعوثين من الأزهر للتدريس بالجامعة الإشرافية فى الهند، كما طلب زيادة عدد المنح الدراسية لطلاب الهند للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة وطلب الضيف تزويد مكتبة الجامعة الإشرافية بالهند بالمطبوعات التى يصدرها الأزهر الشريف وتفسير معانى القرآن الكريم لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف.

كما قام الوفد بزيارة فضيلة الإمام الأكبر وقدموا الدعوة لفضيلته لزيارة الجامعة الإشرافية لإلقاء بعض المحاضرات ومناقشة البحوث حول دور الأزهر الشريف، وإمداد المسلمين بالمعلومات الإسلامية، وتوضيح المفاهيم الإسلامية السمحة.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ / عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للإعلام بالأزهر.

محاضرة للإمام الأكبر شيخ الأزهر في الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة

● ألقى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وذلك فى ١٩ من شهر صفر ١٤٢١ -٢٣ / ٥ / ٢٠٠٠ محاضرة بعنوان « أخلاقيات الوظيفة » وذلك فى إطار برنامج إعداد القادة للجاهز الحكومى بالجهاز المركزى للتنظيم والإدارة، أوضح فيها بأن النفس البشرية أوجدها الله، وأوجد لها قواعد معينة وأصولا يجب أن نلتزم بها فى كل زمان ومكان، وهى لا تتغير بتغير المكان أو الأشخاص أو الوظيفة، كما أن العقائد لا تتغير بتغير الزمان أو المكان وكذلك العبادات وأيضا السلوك الإنسانى وكذلك المعاملات التى شرعها الله -سبحانه وتعالى- فهى تهدف إلى تبادل المنافع بين الناس فيما بينهم، مشيرا إلى أن العدل قد أحله الله، والظلم حرمه الله، وأن الرسل جميعا جاءوا برسالة واحدة فى جوهرها ولا خلاف فى أصولها، أما الفروع فهى محل للاجتهاد، وفيما يتعلق بالعقيدة فهى تقوم على إخلاص العبادة لله الواحد القهار، والعبادات لا تختلف باختلاف الزمان، والمكان أو الأشخاص أو الوظائف، فالعبادة ترقق القلوب وتصفى النفوس، وتجعل الإنسان على صلة جيدة بخالقه والرسل جميعا كانت الكلمة الأولى لهم هى عبادة الله -عز وجل- وقد بين فضيلته بأن السلوك الإنسانى الأصيل متواجد منذ أن وجد الإنسان على الأرض، فالعدل فضيلة دعت إليها جميع الأديان السماوية، وكذا الصدق، أما الظلم فهو رذيلة حاربتها جميع الأديان السماوية، كذا الكذب، فأخلاقيات الوظيفة ثابتة لا تختلف باختلاف الزمان أو المكان فيما يتعلق بأصولها ولا فرق بين مسلم وغير مسلم فكل من يحمل الجنسية المصرية يتساوى فى الحقوق والواجبات مع غيره، لأن العقائد الذى يحاسب عليها هو الله -عز وجل-، فالعدل والصدق والأمانة والشرف والاستقامة وإعطاء كل ذى حق حقه، هى أخلاقيات وظيفية وجوبية بها يصلح حال المجتمع، فيعطى كل ذى حق حقه وقد ضرب الإسلام أروع الأمثلة فى العدل بين الناس بصرف النظر عن العقيدة والدين فقد قال الله -تعالى- لنبيه ﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾(١) حينما خبأت الدرع عند يهودى ولم يكن السارق الحقيقى، فنصره الإسلام.

---

(١) سورة النساء ١٠٥

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرأس اجتماع المجلس الأعلى للأزهر

ترأس فضيلة الأمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف فى ٢٤ من شهر صفر سنة ١٤٢١ هـ - ٢٨ / ٥ / ٢٠٠٠ جلسة المجلس الأعلى للأزهر لمناقشة الموضوعات المدرجة بجدول الأعمال وتمت فيه:

الموافقة على قواعد وشروط قبول الطلاب المصريين والوافدين بمرحلة الإجازة العالية بكليات جامعة الأزهر (بنين - بنات) للعام الجامعى ٢٠٠٠ / ٢٠٠١م.

الموافقة على إنشاء كلية للتمريض بجامعة الأزهر.

الموافقة على إنشاء كلية للدراسات الإسلامية والعربية للبنات بمدينة بورسعيد.

الموافقة على إجراء بعض التعديلات باللائحة الداخلية لكليات الشريعة والقانون بجامعة الأزهر.

الموافقة على إجراء بعض التعديلات باللائحة الداخلية لكليات الزراعة جامعة الأزهر.

الموافقة على إضافة بعض الشروط إلى نص الإعلان عن وظيفة معيد بقسم المحاسبة بكلية التجارة بنات بتفهنا الأشراف محافظة الدقهلية.

الموافقة على إضافة بعض الشروط إلى نص الإعلان عن وظائف « مدرس، مدرس مساعد » بأقسام كلية الاقتصاد المنزلى للبنات بطنطا.

الموافقة على إضافة شرط إلى نص الإعلان عن وظيفتى معيد بقسم جراحة الأذن والأنف والحنجرة تخصص « سمعيات » والأمراض العصبية بكلية طب البنات جامعة الأزهر.

الموافقة على قصر القبول فى مرحلة الدراسات العليا بكليات الجامعة الأصيلة على الحاصلين على الشهادة الثانوية الأزهرية.

الموافقة على اعتماد تشكيل اللجنة العلمية الدائمة للأمراض الباطنة.

الموافقة على اعتماد اللائحة الداخلية لكليات « الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة والأقاليم »، وكلية البنات الإسلامية بأسيوط، وكليات الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالأقاليم وكلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان.

الموافقة على اعتماد لائحة المركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر

حضر الجلسة فضيلة الأستاذ الدكتور / محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، وفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف وكيل الأزهر، وفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر، وفضيلة الشيخ / على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، وجمع من علماء مجمع البحوث الإسلامية.

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يلتقى برؤساء المناطق الأزهرية

اجتمع فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف في ٢٦ من شهر صفر سنة ١٤٢١ هـ ٣٠ / ٥ / ٢٠٠٠م بالسادة أصحاب الفضيلة رؤساء ومديرى عموم المناطق الأزهرية، والسادة القائمين على أعمال الامتحانات للشهادات الأزهرية الابتدائية والإعدادية والثانوية والقراءات والمعلمين، وذلك للتأكيد على اتخاذ الاجراءات التأمينية لمراكز توزيع الأسئلة والحافظ على سريتها على الوجه الأكمل، كما تم التأكيد على أعمال الملاحظة وتوفير الجو المناسب للطالب، وأن يأخذ الطالب حقه فى الوقت المحدد له وعدم تعجله فى الإجابة وأن يتحلى الملاحظ بالأخلاق الحميدة وعدم المحاباة والمحسوبية، كما تم مناقشة الإجراءات التى تتخذ فى حالة سد العجز الطارىء فى المنتدبين لهذا الغرض. وناقش المجلس الإجراءات المتبعة فى مراكز التصحيح بالمناطق الموجود بها هذه المراكز والضوابط التى يجب مراعاتها فى هذا الشأن، والتأكيد على الدور الهام للأجهزة المعنية بالمناطق فى تكثيف المتابعة الجادة لسير الامتحانات وتوفير عنصر الانضباط والاستقرار لها، كما تم مناقشة الترتيبات الخاصة بالكتب الدراسية للعام ٢٠٠٠ / ٢٠٠١م، سواء كانت كتب شرعية أو عربية أو ثقافية، وأن يتسلمها الطلاب قبل بدء الدراسة بوقت كاف، والتأكيد على أن تكون الكتب من الطبعات الجديدة للعام ٢٠٠٠ / ٢٠٠١م مع وضع الاعتبار بالنسبة لكتب الصف الثالث الثانوى. والتأكيد على الالتزام بالمواعيد والضوابط المتبعة حيال المعاهد التى تحتاج إلى تشغيل والتزام المناطق بذلك. وحول ما يتعلق بقبول التلاميذ بالصفوف التمهيدية، والصف الأول الابتدائى، وبداية ونهاية مواعيدها فيطبق فى ذلك قرار المجلس الأعلى للأزهر الشريف بألا يقل السن عن ست سنوات للصف الأول الابتدائى ولا يقل عن ٤ سنوات للأول التمهيدى وأن يتم التوسع فى القبول للمرحلة التمهيدية مع مراعاة الكثافة العددية للصف الأول التمهيدى للمناطق النائية ذات الكثافة العددية القليلة، وحول الأنشطة الصيفية والمكتبات، فيتم فتح أبواب المعاهد أثناء فترة الإجازة الصيفية لتكون مراكز للاطلاع وممارسة الأنشطة الرياضية والاجتماعية والمسابقات بكافة أنواعها، وقد ناقش المجلس المبالغ التى زيدت إلى (٦) ستة ملايين جنيه لحفظ القرآن الكريم من طلبة وطالبات المعاهد الأزهرية وكذا طلبة الجامعة ومكاتب تحفيظ القرآن، وأنه قد تصل قيمة المكافأة الى ١٥٠٠ جنيه للحافظين من الفئة الأولى، ويذكر بأنه قد بلغ عدد الفائزين هذا العام ٤٢٠٠ طالب وطالبة ويحظى بحفظ القرآن الكريم بمكتب تحفيظ القرآن على ١٠٠٠ جنيه عن كل حافظ مهما بلغت أعداد من قام بتحفيظهم.

كما تم التأكيد على المناطق التى بها معاهد فى حاجة إلى ترميم بأن يتم حصرها طبقاً للأولويات مع وضع التكلفة التقديرية تمهيداً لطرحها فى مناقصة عامة لسرعة إجراءات ترميمها حتى تنتهى قبل العام الجديد فى أكتوبر.

قـــــرارات

● صدر قرار السيد رئيس مجلس الوزراء رقم ١٧٢ لسنة ٢٠٠٠ وبناء على ما عرضه صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

(المـــادة الأولـــى)

يعين فى الوظيفة الموضحة قرين اسمه بدرجة مدير عام بالأزهر الشريف لمدة سنة أو حتى تاريخ بلوغه السن القانونية المقررة لترك الخدمة أيهما أقرب كل من :

- الشيخ / محمد رفعت عثمان أحمد ـ وكيل منطقة أزهرية «أ» للمواد الثقافية.
- الشيخ / عبدالواحد محمد أحمد شمس الدين - وكيل منطقة أزهرية «أ» للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / أمين عبدالله أحمد خطاب - وكيل منطقة أزهرية «أ» للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / محمد عبدالقادر إسماعيل شلبى - وكيل منطقة أزهرية «أ» للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / عبيد إبراهيم سليمان سليم - وكيل منطقة أزهرية «أ» للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / أحمد محمد السيد محمد - وكيل منطقة أزهرية «أ» للمواد الثقافية.
- الشيخ / عبداللطيف حامد سالم عبدالرحيم العزازى.. شيخ معهد الأسكندرية الثانوى الأزهرى بنين.
- الشيخ / أحمد حامد عبدالمعطى مدكور - مدير عام منطقة الدعوة والإعلام الدينى.
- الشيخ / محمد صبرى عبدالعليم أحمد البديوى - مدير عام التوجيه الفنى للتعليم الابتدائى.
- الشيخ / السيد عبدالفتاح محمد خضير - مدير عام البحوث والتأليف والترجمة.
- الشيخ / عوض إبراهيم سعد طايل - شيخ معهد دمنهور الثانوى الأزهرى بنين.
- الشيخ / معوض مبروك عباس طرفاية - مدير عام شئون مناطق الوعظ.
- الشيخ / يوسف عبدالمنعم عبدالمقصود - مدير عام الإدارة العامة للقضايا والتنفيذ.
- الشيخ / توفيق عبدالعزيز عبدالسلام عمر - مدير عام الشئون الفنية التعليمية.
- الشيخ / على على على الفحار - مدير عام مكتب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.
- الشيخ / محمد شوقى محمود محمد السبكى - مدير عام شئون الطلاب الوافدين.

(المـــادة الثانيـــة)

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار.

رئيس مجلس الوزراء
(دكتور / عاطف عبيد)

صدر برياسة مجلس الوزراء فى ٢٣ من شهر صفر سنة ١٤٢١ هـ
الموافق ٢٧ من مايو سنة ٢٠٠٠م

● صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رقم ٤٦٥ لسنة ٢٠٠٠ :

مادة ١ : يسند إلى فضيلة الشيخ / محمود عبدالغنى السيد فرحات وكيل أول منطقة الجيزة الأزهرية بالدرجة الأولى بالمجموعة النوعية لوظائف التعليم والدعوة القيام بعمل مدير عام المنطقة.

مادة ٢ : يسند إلى السيد جعفر أحمد جعفر الشناوى مستشار العلوم بقطاع المعاهد الأزهرية من شاغلى الدرجة الأولى بالمجموعة النوعية لوظائف التعليم والدعوة القيام بعمل مدير عام الوسائل والمعامل بقطاع المعاهد الأزهرية.

مادة ٣ : على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار

صدر فى ١٩ من شهر صفر ١٤٢١هـ الموافق ٢٣ من مايو ٢٠٠٠

● صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رقم ٤٧٢ لسنة ٢٠٠٠

مادة١ : يسند إلى السيد / حسين عبدالعظيم مصيلحى شحاتة مدير عام الشئون الإدارية بالأزهر الشريف القيام بعمل وظيفة الأمين العام المساعد للشئون المالية بصفة مؤقتة لحين شغلها بصفة أصلية عند خلوها من شاغلها الأصلى وذلك وفق أحكام قانون الوظائف القيادية رقم ٥ لسنة ١٩٩١ ولائحته التنفيذية.

مادة٢ : يسند إلى السيد / أسامة عبدربه عبدالمقصود مدير عام الشئون المالية والإدارية بمدينة البعوث الإسلامية القيام بعمل وظيفة مدير عام الشئون الإدارية بالأزهر الشريف وذلك بناء على رغبته فى العمل بإحدى الوظائف القيادية بالأزهر الشريف بدرجة مدير عام.

مادة ٣ : على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار

صدر فى ٢٦ من شهر صفر ١٤٢١ الموافق ٣٠ من مايو ٢٠٠٠.

● وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى ١٧ من شهر محرم ١٤٢١ هـ ٢٢ من ابريل ٢٠٠٠ على إسناد الأمانة العامة للدعوة والإعلام الدينى الى فضيلة الشيخ / على محمود أبوالحسن الأمين العام للجنة العليا للدعوة ، وإسناد أمانة اللجنة العليا للدعوة إلى فضيلة الشيخ / عبدالخالق عطية نصير مدير عام وعظ الغربية بناء على اقتراح فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

● كما وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى ٢١ من شهر محرم ١٤٢١ هـ ٢٦ / ٤ / ٢٠٠٠ على أن يقوم الشيخ / حسن نصار مدير الدعوة بوعظ المنوفية بعمل مدير منطقة وعظ كفرالشيخ نظراً لإحالة شاغلها إلى المعاش فى ٥ / ٥ / ٢٠٠٠ بناء على اقتراح فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

● صدر قرار شيخ الأزهر الشريف رقم ٥٢٨ لسنة ٢٠٠٠ بالموافقة على إطلاق اسم المرحوم الأستاذ الدكتور / محمد البهى على القاعة الكبرى بمركز المؤتمرات بمبنى مجمع البحوث الإسلامية بمدينة نصر بالقاهرة تكريما لفضيلته صدر فى ١٥ من شهر ربيع الأول ١٤٢١ هـ ١٨ من يونية ٢٠٠٠.

قرار رئيس مجلس الوزراء
رقم ١٧٨أ لسنة ٢٠٠٠

رئيس مجلس الوزراء

بعد الاطلاع على الدستور،

وعلى قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة الصادر بالقانون رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٨ .

وعلى القانون رقم ٥ لسنة ١٩٩١ فى شأن الوظائف المدنية القيادية فى الجهاز الإدارى للدولة والقطاع العام ولائحته التنفيذية .

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ٣٥٨ لسنة ١٩٩٩ بتحديد الوزير المختص بشئون الأزهر .

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ٤٠٠ لسنة ١٩٩٩ بالتفويض فى بعض الاختصاصات .

وبناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

قــــرر

(المـادة الأولـى)

يعين فى الوظيفة الموضحة قرين اسمه بالدرجة العالية بالأزهر الشريف لمدة سنة أو المدة الباقية لبلوغ السن القانونية المقررة لترك الخدمة أيهما أقرب كل من :

- فضيلة الشيخ / محمد حسن محمد محمد الشيخ رئيسا للإدارة المركزية لمنطقة أزهرية (أ) بالاسكندرية .
- فضيلة الشيخ / محمد أحمد عامر مصطفى رئيسا للإدارة المركزية لمنطقة أزهرية (أ) بالغربية .
- فضيلة الشيخ / جابر مصطفى محمد الفرجاوى رئيسا للإدارة المركزية لمنطقة أزهرية (أ) بالقاهرة .
- فضيلة الشيخ / محمد محمد عبدالقادر على رئيسا للإدارة المركزية لمنطقة أزهرية (أ) بالشرقية .
- فضيلة الشيخ / أحمد رأفت عبدالعظيم غنيمة رئيسا للإدارة المركزية لرعاية الطلاب .
- السيد / عبدالعزيز محمد أسعد رئيسا للإدارة المركزية للشئون الإدارية والأفراد .
- فضيلة الشيخ / عمر البسطويسى على حمزة رئيسا للإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام .
- فضيلة الشيخ / أحمد خليفة محمد على رئيسا للإدارة المركزية لمكتبة الأزهر .
- فضيلة الشيخ / محمد سيد أبوالعلا عزيز رئيسا للإدارة المركزية للتعليم الابتدائى .
- فضيلة الشيخ / صالح محمد عبدالهادى صالح رئيسا للإدارة المركزية للتعليم الاعدادى .
- فضيلة الشيخ / أحمد حمدى محمد مرسى الطنطاوى رئيسا للإدارة المركزية للتعليم الثانوى .

(المـادة الثانيـة)

يعين فى الوظيفة الموضحة قرين اسمه بدرجة مدير عام بالأزهر الشريف لمدة سنة أو المدة الباقية لبلوغ السن القانونية المقررة لترك الخدمة أيهما أقرب كل من :

- الشيخ / إبراهيم عطا إبراهيم الفيومى مديرا عاما للإدارة العامة للدعوة.
- الشيخ / محمد حسانين إسماعيل شريف وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / أحمد على محمد السمين وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / الصديق الصادق محمد محمود وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / رمضان محمد عبده الزقزوق وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / محمود طه محمود لولح وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / أحمد السيد أحمد الجوهرى وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / محمود إمبابى أمين قناوى وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية.
- السيد / محمد عبدالمجيد بكر الخزرجى مديرا عاما للتحقيقات.
- السيد / عبدالرازق السيد على الشعراوى مديرا عاما للتفتيش الإدارى.
- السيد / سيد أحمد اسماعيل عطية مديرا عاما لمركز المعلومات والتوثيق.
- السيد / سمير زين العابدين سيد سيد مديرا عاما لمكتب الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر.
- الشيخ / شوقى حسن عبدالجليل نويجى مديرا عاما لشئون القرآن الكريم.
- السيد / رفعت محمد محمد الغرباوى وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية.
- الشيخ / حسن عبدالمعطى مبارك هلالى شيخا لمعهد ثانوى أزهرى (أ) بقنا.
- الشيخ / محمود زكى النادى إبراهيم شيخا لمعهد ثانوى أزهرى (أ) بالشرقية.
- الشيخ / فاروق عبدالعال أحمد عبدالرحمن شيخا لمعهد ثانوى أزهرى (أ) بسوهاج.
- الشيخ / محمد أمين المنزلاوى مديرا عاما للتوجيه الفنى للتعليم الإعدادى.
- الشيخ / عبدالفتاح عباس أحمد يوسف النجار مديرا عاما لمنطقة أزهرية (ب) بمرسى مطروح.
- السيدة / سناء حسين حافظ عبدالرحمن مديرا عاما للإدارة العامة لنشاط الفتيات.
- السيد / فتحى أحمد محمد محمد مديرا عاما للإدارة العامة للرعاية الاجتماعية.
- الشيخ / أحمد محمد موسى حسين مديراً عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الدينى.

- الشيخ / عبدالغنى محمد شحاته حسن مديرا عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الدينى.
- الشيخ / سعدالدين أحمد همام عبدالرحيم مديرا عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الدينى.
- الشيخ / سعد عبدالجابر محمود أبوحليقة مديرا عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الدينى.
- الشيخ / أحمد عبدالمعطى حسن سليمان مديرا عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الدينى.
- السيد / السعيد فهيم العراقى شهاب الدين مديرا عاما لمطابع الأزهر.
- السيد / مصطفى أبوالسعود أبوالسعود وهدان مديرا عاما لشئون مجلس المجمع ولجانه.
- الشيخ / محمد الدرينى على الجزار مديرا عاما للتوجيه العام للدعوة.
- الشيخ / شحاته يوسف محمد شحاته مديرا عاما لمنطقة أزهرية (ب) بالسويس.
- الشيخ / عمر إسماعيل عمر سالم مديرا عاما لمنطقة أزهرية (ب) بالبحر الأحمر.
- الشيخ / مغاورى الزهار عبدالسيد إسماعيل مديرا عاما لمنطقة أزهرية (ب) بجنوب سيناء.
- الشيخ / عبدالفتاح حسين السيد صقر مديرا عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الدينى بالبحيرة.
- الشيخ / أحمد محمد أحمد دحلوب مديرا عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الدينى بأسيوط.
- الشيخ / شرف الدين أحمد إسماعيل شرف الدين مديرا عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الدينى بالمنوفية.
- الشيخ / زاهر رجب محمد المتولى رجب مديرا عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الدينى بكفرالشيخ.
- الشيخ / سيف النصر عبدالفتاح الدسوقى مديرا عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الدينى بالجيزة.
- الشيخ / توفيق إبراهيم عراقى أبوحجر وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية بالبحيرة.
- الشيخ / محمد عبدالحى حسين سالم وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية بأسيوط.
- الشيخ / فاروق عباس كامل أبوزيد وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية بكفرالشيخ.
- الشيخ / أحمد عبدالهادى عبدالحميد أحمد عبدالهادى دويدار وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية بالمنوفية.
- الشيخ / أحمد زكى دكرورى حسانين وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية بالمنيا.
- الشيخ / محمود إبراهيم درويش حلاوة مديرا عاما لشئون المناطق.

(المادة الثالثة)

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار.

رئيس مجلس الوزراء

(دكتور / عاطف عبيد)

صدر برياسة مجلس الوزراء فى ١٧ من شهر ربيع الأول سنة ١٤٢١ هـ

الموافق ٢٠ من يونية سنة ٢٠٠٠م

من أنباء العالم الإسلامي

للدكتور/ محمد عبد الحكيم محمد (*)

انعقاد مجلس الاتحاد البرلماني الإسلامي بالقاهرة

القاهرة ـ الأخبار:

يعقد مجلس الاتحاد البرلماني للدول الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي دورته الثانية بالقاهرة يومي ٣، ٤ يوليو القادم بمشاركة وفود برلمانية من حوالي ٣٠ دولة إسلامية.. يأتي انعقاد هذه الدورة في مصر تأكيداً لدورها الإسلامي وأزهرها الشريف في التصدي للتحديات التي تواجه العالم الإسلامي في الألفية الثالثة. وتكتسب هذه الدورة أهمية خاصة في ضوء تعزيز الجهود الإسلامية المشتركة المبذولة حالياً لدعم التضامن الإسلامي والتي تلعب فيها مصر دوراً بارزاً على الصعيد الدولي.

يتضمن جدول أعمال هذه الدورة ثلاث قضايا أساسية هي:

● السلام والاستقرار في الشرق الأوسط وبناء معالم استراتيجية برلمانية للحفاظ على القدس الشريف.

● سياسات التعاون الاقتصادي بين دول منظمة المؤتمر الإسلامي بهدف إنشاء السوق الإسلامية المشتركة.

● رؤية إسلامية مشتركة في فعاليات الحوار بين الحضارات.

وقد أعدت الشعبة البرلمانية المصرية برئاسة د. فتحي سرور رئيس مجلس الشعب أوراق عمل ومشروعات قرارات في القضايا الثلاث، حيث أكدت الورقة الخاصة بقضية السلام أهمية الحفاظ على القدس الشريف والتصدي لممارسات سلطات الاحتلال الإسرائيلي في مخططات تهويد القدس. وطالبت بتفعيل قرارات مجلس الأمن ومقررات مدريد لاسيما مبدأ الأرض مقابل السلام.

وتضمنت ورقة العمل حول التعاون الاقتصادي ضرورة مواكبة العالم الإسلامي للبيئة الاقتصادية الدولية الجديدة في إطار تحديات العولمة وتأثير اتفاقية الجات على اقتصاد الدول الإسلامية.. وأشارت إلى معوقات التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية وأبرزها مشكلة الديون والحروب والصراعات السياسية. وأكدت الورقة أهمية إقامة السوق الإسلامية المشتركة.

أول مركز علمي تقيمه اليونسكو لعلماء الشرق

باريس- الأهرام

للمرة الأولى تقيم منظمة اليونسكو مركزاً دولياً للعلوم المتقدمة والأبحاث العلمية يضم خبرة علماء ١١دولة عربية وشرق أوسطية ومتوسطية فى طليعتها مصر واليونان وإيران وتركيا والمغرب والأردن وإسرائيل وقبرص وأرمينيا وعمان وفلسطين. وذكر بيان لليونسكو أن أهمية هذا الحدث العلمى الكبير تأتى من أنه سيعمل أساساً على الحد من هجرة عقول علماء الشرق الأوسط والمتوسط بالتعاون مع المراكز المحلية من ناحية، ومن ناحية أخرى يضع للتعاون العلمى والبحثى بين علماء تلك الدول أهمية قصوى على أساس أنه لاوطن للعلم فى عالم يزداد انفتاحاً.

إندونيسيا تتهم قوى خارجية بتمويل العنف الطائفى

جاكرتا ـ وكالات الأنباء:

فى محاولة لوقف أعمال العنف الطائفى بين المسلمين والمسيحيين فى جزر الملوك بشرق اندونيسيا، والتى أسفرت عن مصرع نحو ١١٤شخصاً، قررت الحكومة الإندونيسية حظر السفر إلى الجزر، وذلك لمنع تدفق المتطوعين المسلمين إلى الاقليم الواقع على بعد ٢٣٠٠ كيلو متر شرقى العاصمة جاكرتا.

وأبلغ الرئيس الأندونيسى عبدالرحمن واحد الصحفيين، بعد اجتماعه مع نائبته ميجاواتى سوكارنو والأميرال ويدويو قائد القوات المسلحة بأنهم اتفقوا على ضرورة عدم السماح للغرباء بالسفر إلى الإقليم، وذلك فى إشارة إلى المتطوعين المسلمين الذين تدفق المئات منهم على الاقليم أخيراً، بعدما أدت الاشتباكات العرقية فى بداية العام الحالى إلى مقتل نحو ألفى شخص معظمهم من المسلمين.

وقال الرئيس عبدالرحمن واحد : إن الأوامر صدرت للقوات المسلحة والشرطة بالبحث عن الأسلحة ومصادرتها، مشيراً إلى أن أشخاصاً من خارج الجزر يقدمون المال للمنطقة لتمويل الصراع هناك.

وقد استمرت أعمال العنف فى مدينة « امبون » عاصمة جزر الملوك حيث ذكر شهود العيان أن الاشتباكات تفجرت فى وسط المدينة حيث تلتقى المنطقتان الإسلامية والمسيحية، وأن شخصاً واحداً على الأقل نقل إلى المستشفى كما تم تدمير ١٥منزلاً، ومجمعاً حكومياً بعدما تم إضرام النيران فيها، وأن المدارس والمتاجر أغلقت أبوابها.

وقد بلغت أعمال العنف فى « جزر الملوك » ذروتها عندما هاجم المسلمون جزيرة هالماهيرا للانتقام من مقتل العديد من المسلمين فيها فى وقت سابق، وأحرقوا كنيسة، وأسفرت الاشتباكات التى تلت ذلك مصرع ١١٤شخصاً.

وأوضح شهود العيان أن الجنود اكتفوا بإطلاق الطلقات التحذيرية، ولم ينفذوا الأوامر الصادرة لهم بإطلاق الرصاص على مرتكبى أعمال العنف، مما شجع الجانبين المسلم والمسيحى على تبادل الهجمات.

وذكرت صحيفة « جاكرتا بوست » أن البحرية الإندونيسية رصدت ٣سفن محملة بالرجال

المسلحين بالقرب من جزيرة هالماهيرا، واعتقلت ركابها ولكنها لم توضح ما إذا كان المسلحون مسلمين أو مسيحيين.

وفى تطور آخر فتحت القوات الإندونيسية النار على مجموعة من المسلحين المسيحيين فى منطقة «سواسيو» بـ «هالماهيرا» كانت تستعد لمهاجمة المسلمين انتقاماً مما حدث.

ومن المعتقد أنه منذ تفجر أعمال العنف الطائفى فى جزر الملوك المعروفة باسم جزر البهار فى بداية العام الماضى فإن حوالى ٣آلاف شخص لقوا مصرعهم وجرى إحراق آلاف المنازل، واضطر نحو مليون مواطن إلى اللجوء إلى مناطق أو جزر أخرى.

شهادة عالمية باستعادة مكتبة الإسكندرية مجدها التاريخى

لندن ـ وكالات الأنباء:

أكدت صحيفة الجارديان البريطانية أن مكتبة الإسكندرية التى تجرى الاستعدادات لافتتاحها قريباً فى عروس البحر المتوسط تعتبر «آخر عجائب الدنيا».. فى القرن الجديد.

نشرت الصحيفة تحقيقاً موسعاً حول المكتبة التى تستعيد المجد التاريخى والحضارى.. بأحدث تكنولوجيا الفهرسة وعرض الكتب لتكون فى متناول كل طلبة العلم والمعرفة القادمين إليها من جميع أنحاء العالم.

قالت أن المكتبة المعجزة.. الفرعونية الجديدة سوف تضم بين جدرانها ١٨٠ مليون كتاب و٨ملايين مجلد.

٢٠هجوماً للمقاتلين الشيشان خلال ٢٤ ساعة

موسكو ـ وكالات الأنباء:

شن المقاتلون الشيشان ٢٠هجوماً على القوات الروسية خلال الأيام الأخيرة مما أدى إلى مصرع جندى روسى وجرح أربعة آخرين حسبما تقول وكالة الأنباء الروسية الحكومية نقلاً عن مصدر عسكرى.

وفى واحدة من هذه الهجمات على العاصمة الشيشانية جروزنى قتل جندى روسى وأصيب اثنان بجروح كما عطبت سيارة مصفحة حربية بعد تعرضها للتفجير من لغم أدى إلى إصابة عدد من الجنود.

ومن ناحية أخرى، شنت الطائرات الحربية والهليوكوبتر ٧٠هجوماً على مواقع المقاتلين الشيشان فى منطقة أرجون وفيدينو فى المناطق الجبلية من جنوب الشيشان.

وقد التقى فالتر شيمر، رئيس وفد الاتحاد الأوروبى والعضو البرلمانى النمساوى البارز مع المسئولين فى الخارجية الروسية قبل سفره إلى الشيشان كما يقابل بعد عودته من الشيشان ديمترى راجوزين، رئيس لجنة العلاقات الدولية بمجلس الدوما بعد أن أعلن راجوزين عن مقاطعة اجتماعات المجلس الأوروبى التى ستعقد الشهر القادم إثر قرار المجلس الأوربى تعليق عضوية روسيا فى نادى ٤١دولة ديمقراطية بسبب الانتهاكات الروسية فى الشيشان.

Abou Horayra nous raconte qu'il se sentit vraiment chagriné et déçu (Il voulait se rassasier de ce lait). Il était dit:

"Etant donné que le Prophète m'a désigné comme émissaire, c'est à moi de leur offrir le lait. Que me restera-t-il donc?".

Mais je ne pouvais pas désobéir au Prophète aussi. Je me dirigeai vers les hôtes musulmans et exécutai l'ordre.

Les gens se rendirent chez le Prophète-b.s- et chacun prit une place."Abou-Horayra, me dit le Messager, prends le récipient et fais-le passer à tour de rôle".

Je pris le récipient et le tendis à tour de rôle aux hommes présents. Chacun buvait jusqu'à satiété et me rendait le récipient.

Quand je fis le tour des hommes, je retournai au Prophète et lui donnai le récipient. Il le prit, leva la tête, me regarda et sourit:"Abou-Horayra, me dit-il, il ne reste que nous deux".-"Tu as raison, Messager d'Allah",dis-je.

-"Assieds-toi et bois"m'ordonna-t-il. J'obéis et je bus.

-"Bois encore me dit-il". Je bus à satiété. "Bois encore répéta-t-il. Je lui dis "je n'en peux plus".

-"Donne-moi donc le récipient", me dit-il, il le prit et but le reste.

Voilà un miracle étonnant: comment un petit récipient a-t-il pu calmer la faim et la soif de tous ces hommes!.

Le Hadith révèle également plusieurs directives à suivre dont nous citons quelques unes:- Le lait est un aliment complet.

- On sert à tour de rôle, ceux qui sont à la droite.

- L'homme qui sert sera le dernier à boire.

- Le Messager d'Allah-b.s-a fait preuve de modestie et de noblesse d'âme car il a préféré être le dernier à boire du même récipient qui a servi à tous les musulmans.

(à suivre)

"Ô Messager d'Allah, nous avons perdu nos biens et nous ne savons plus quoi faire. Implore pour nous le secours du Seigneur."

Le Prophète-b.s-leva ses mains vers le ciel et dit:"***Seigneur! accorde-nous des pluies***."Anas a rapporté que le ciel était limpide, aucun nuage ne s'y trouvait. Il dit aussi que rien n'obstruait la vue, de façon qu'il n'y avait pas de maisons entre les quartiers et le mont Salà.

Soudain, un nuage pareil à un bouclier surgit derrière la montagne. Arrivé au milieu du ciel, il s'étendit et déversa des pluies. On raconte que les pluies tombèrent jusqu' vendredi suivant.

Une semaine s'écoula, un autre homme entra par la même porte, tandis que le Prophète-b.s-prononçait son sermon."Ô Messager d'Allah, nos biens sont perdus et nous ne savons plus quoi faire; implore le Seigneur pour que les pluies cessent."

Le Messager d'Allah leva ses mains vers le ciel et dit:

"Seigneur! que les pluies tombent autour de nous et non sur nous, sur les collines, les montagnes et les terres de cultures." Les pluies cessèrent et le soleil apparut sur-le-champ.

3-Un récipient de lait suffit pour désaltérer une multitude de gens:

Al-Bokhary rapporte que Abou Horaïra-A.s.l-a dit:

-"Je m'appuyais sur la terre parfois sous l'effet de la faim. Il m'arrivait même de me serrer une pierre sur mon ventre pour calmer mon estomac qui criait famine. Je me suis installé un jour sur la route qu'empruntaient les Musulmans.

Abou Bakr-A.s.l-passa et je lui demandai de m'enseigner un verset du Coran. Je voulais par là qu'il me demande de le suivre chez lui afin, qu'il m'offrît de la nourriture, mais il n'en fit rien.Omar-A.s.l-passa ensuite, je fis de même; mais en vain.

Puis, Abul Quassem-b.s- passa,dès qu'il me vit, il sut de quoi je souffrais.

-"Abou-Horaïra" me dit-il. J' accourus vers lui.

-"Suis- moi" m'ordonna-t-il. Je le suivis et vis un petit récipient de lait.

-"D'ou provient ce récipient de lait?"demanda le Prophète-b.s-.

-"La famille Untelle nous l'a offert" lui répondit-on.

-"Abou Hirr"(c'était le diminutif de son nom) m'appela-t-il de nouveau,"Va appeler les hôtes des musulmans"(Les gens de Sofah qui avaient émigré vers Médine et délaissé leurs biens et leurs familles).

Le Prophète-b.s-avait reservé un endroit pour les gens de Sofah.

Les miracles du Prophète Mohammed
(salut et bénédiction sur lui).

Par Hoda Hussein Cha`raoui

Mohammed -b.s- est le serviteur et le prophète qu'Allah a envoyé à tous les humains de toutes les races.Sa mission a clos toute mission prophétique antérieure: Point de Prophète après lui, Allah l'a préféré aux autres prophétes, comme Il a préféré aussi, sa communauté à toutes les autres sociétés.

Allah-gloire à lui- l'a soutenu par des miracles, en voici quelques-uns tirés des "khutbas" et des cours donnés

1-La lune se fend:

Un jour,Walid Ibn Al-Moughira, un infidèle Koraïchite, demanda au Prophète-b.s-, de produire un miracle pour prouver sa qualité de prophète. D'autres mecquois, se rangèrent auprès de l'infidèle et ils précisèrent le miracle: ils demandèrent que la lune se fendît en deux parties égales.

Le Prophète-b.s-demanda à Son Seigneur de réaliser leur demande. La nuit, la lune qui était pleine, se fendit, se séparant en deux parties: une se figea au-dessus de la montagne et l'autre un peu plus loin.

-"Regardez et témoignez", dit le Prophète-b.s-.

L'une des personnes présentes attesta en disant:"J'ai bien vu la lune partagée en deux, de part et d'autre de la montagne."Ils dirent:"Ils nous a ensorcelés". Un des infidèles dit:"patientez jusqu'a ce que nous demandions aux gens du désert qu'est ce qu'ils ont vu."

Les Koraïchites présents, demandèrent par la suite aux habitants des autres contrées s'ils avaient vu la lune fendue en deux. Ils confirmèrent le phénomène tel qu'il s'était produit. C'est pour cela qu'ils dirent:"La magie se poursuit."

Le Coran a mentionné ce fait en disant:

[L'heure du Jugement approche! et la lune s'est fendue. S'ils voient un miracle, ils s'en détournent en disant:La magie se poursuit! Ils démentent et suivent ce que leur dicte leur fantaisie.] **Surate 54"AL'Kamar"(La Lune)V.1à3.**

2- La chute des pluies grâce à son invocation:

Du vivant du Prophète-b.s-une sècheresse étouffante frappa le pays.

Un vendredi, pendant que le Prophète-b.s-debout sur sa chaire, prononçait un sermon, un homme entra dans la mosquée et s'adressa au Messager en ces termes:

Allah – qu'Il soit exalté – dit [***ne vous avons – Nous pas créés d'une eau vile***]. ***(1)***

Sourate Al. Mursalate (ceux qui sont envoyés) V.20

La majorité du corps de l'embryon est composée d'eau, il en est de même du corps de l'enfant. Si le nourrisson pèse 5 kg, 4 kg sont formés d'eau. En grandissant, le taux de l'eau diminue pour atteindre les 2/3 du poids du corps de l'adulte. Allah- qu'Il soit exalté – dit:

[Et c'est Lui qui de l'eau a créé une espèce humaine qu'Il unit par les liens de la parenté et de l'alliance. El ton Seigneur est l'Omnipotent.]

Sourate Al Furqân (le Coran) V. 54

"C'est Lui" signifie Allah- qu'Il soit exalté- Ce verset fait partie des versets miraculeux du Coran: il définit le Créateur "c'est Lui", la matière de la création" l'eau" et l'être créé "une espèce humaine" Ce noble verset s'adresse aux gens de toutes les époques et jusqu' au jour de la Résurrection. Allah leur dit:

Voici l'eau que vous connaissez tous, créez alors, si vous le pourez à partir de cela, une espèce humaine.

Dans la sourate AN-NÛR, Allah- le Très Haut dit [***Et Allah a crée d'eau tout animal***]. Ce verset affirme qu'Allah a créé tout être vivant et tout animal à partir de l'eau.

La sourate Al Furqân, qui est mécquoise, annonce que l'homme est créé d'eau. Par suite, la sourate An Nûr, qui est médinoise, fut révélée pour généraliser cette verité: l'homme n'est pas le seul être vivant créé d'eau, tous les animaux le sont également. Donc après la spécification dans la Sourate Al Furqân, la généralisation fut révélée dans la sourate An Nûr.

---

(1)Eau vile : le liquide spermatique.

Le prophète.. le modèle de la perfection humaine

... le plus compâtissant des compâtissants

Dr. Rokeya Gabr

Le Messager- à lui bénédiction et salut-est le modèle de la perfection humaine dans la miséricorde et la pitié. Il était compâtissant envers les membres de sa famille, ses compagnons et sa nation.

Il recommandait toujours aux "Wali" des musulmans d'être compatissants envers eux mêmes et envers ceux qu'Allah a mis sous leur tutelle et de ne pas être intransigeants sinon Allah serait intransigeant envers eux.

Le Prophète- à lui bénédiction et salut – a dit: "Quand Allah a achevé la création, Il a écrit chez lui au – dessus de son trône: "Ma miséricorde a précédé ma colère".

Il a dit: "Allah est miséricordieux envers les compatissants".

Le prophète – à lui bénédiction et salut – a dit : "Allah – qu'Il Soit glorifié – est clément. Il aime la clémence pour laquelle il accorde sa récompense tandis qu'Il ne l'accorde pas pour la violence".

Il a dit également: "celui qui prohibe la bienveillance prohile totalement le bien".

On rapporte que le Prophète – à lui bénédiction et salut – voyant un vieillard marcher péniblement avec ses deux fils demanda:

"Qu'a –t-il?" On lui répondit: il a fait voeu de marcher c.à.d. de faire le pélerinage à pied. Le prophète. dit: "Allah a interdit à celui- ci de se torturer dans le but d'obtenir récompense" et il lui ordonna de prendre une monture.

REVUE
AL AZHAR
Sction Francaise

intercession on the day of Judgment for nonbelievers. (Surah 26 : 100 - 101).
Prophet Ibrahim was given a scripture by Allah سبحانه وتعالى . Although we do not today know what was in these scriptures we do know that Allah سبحانه وتعالى has said: "Indeed whosoever purifies himself (by avoiding polytheism and accepting Islamic Tawheed) shall have success, and remembers (glorifies) the Name of his Lord (worships none but Allah), and prays (five compulsory prayers and Nawafil - additional prayers). Nay, you prefer the life of this world; although the Hereafter is better and more lasting. Verily! This is in the former scriptures, the scriptures of Ibrahim and Musa." (Surah 87 : 14 - 19).
Prophet Ibrahim died at the age of one-hundred-seventy-five. It has been said that he is buried at al-Khalil (Palestine). Through his son Ishaq (180 years old) and grandson Yaqub the family line was a continuous chain of Prophets which ended with Prophet Isa who prophesied the coming of the Prophet Muhammad. Through his son Isma'il (137 years old) came the seal of all prophets Muhammad.
Apart from Sarah and Hajar, Ibrahim had a third wife, Qaturah who gave birth to Madyan. He is said to be the father of the Midianites or Ashab al-Aikah (the people of the wood) to whom the prophet Shu'ayb was sent.
"And (remember) when Ibrahim said: "My Lord! Show me how You give life to the dead." Allah said: "Do you not believe?" Ibrahim said: "Yes (I believe), but to be stronger in Faith." He said: "take four birds, then cause them to incline towards you (then slaughter them, cut them into pieces), and then put a portion of them on every hill, and call them, they will come to you in haste. And know that Allah is All-Mighty, All-Wise." (Surah 2 : 260).

The Lesson

Prophet Ibrahim was declared a highly truthful (Siddiq) person and a Prophet of Allah سبحانه وتعالى He endeavored to dissuade his father from idol worship. He expressed his curiosity on worshipping objects devoid of benefiting those who worshipped them as they were powerless in every aspect.
Ibrahim, through divine knowledge given to him by Allah سبحانه وتعالى was able to show his father As-Sirat Al-Mustaqeem even though he was a child and his fahter a grown man. He argued with his father and their people and tried to stop them from worshipping and following the ways of Iblees. He warned them of the chastisement of Allah سبحانه وتعالى if they kept on obeying Iblees.
Ibrahim left the idol worshippers to lead a life as a Muslim. He promised his father he would pray for him and ask Allah سبحانه وتعالى to forgive him. However when he eventually realized that his father was not going to accept Islam he disassociated himself completely from him. (Surah 9 : 114).
Ibrahim was chosen by Allah سبحانه وتعالى to receive His guidance. No one can claim to be a Prophet on his own. Ibrahim explained to his people the fallacy of idol worship in the light of divine revelation.
Prophet Ibrahim's story, like Prophet Nuh's story, teaches us that blood relationships are not the relationships of importance to a Muslim. The relationship between a Muslim and his Lord and the relationship between a Muslim and another Muslim are the only relationships of importance to a Muslim.

believe?" Ibrahim replied that he did indeed believe but he wanted to be stronger in his faith. Allah سبحانه وتعالى told Ibrahim to take four birds, slaughter them, put a part of each bird on different hills surrounding him, and then call the birds back to him. Allah سبحانه وتعالى told Ibrahim once he had done this the birds would come rushing back to him. Ibrahim did as Allah سبحانه وتعالى commanded and the birds did indeed return to him in haste. This is representative of how all the souls will hastily rush to Mash-har (the gathering ground) on the Day of Resurrection.

Ibrahim was a believer but he wanted to go further in his faith and his belief. He wanted to have no doubts whatsoever. He asked Allah سبحانه وتعالى to show him how He brought life to the dead so that his heart and soul would be totally satisfied in regards to the resurrection. (Surah 2 : 260).

One day Ibrahim was approached by three strangers. They greeted him by saying Salaam and he returned the greeting. Ibrahim invited them to enter his home and then had a calf slaughtered and cooked for them to eat.

When the food was served he noticed that the three strangers were not eating. Ibrahim became fearful and did not trust the strangers when he saw that they did not eat. The strangers sensed Ibrahim's fear and mistrust and one of them told Ibrahim not to be afraid as they were angels and were sent to impose a torment upon the people of Prophet Lut. Then they gave Ibrahim and Sarah glad tidings of a son who would be named Ishaq and his son whose name would be Yaqub.

Sarah began to laugh nervously and was totally surprised by this news. She told the angels that she could not understand how she and Ibrahim, having passed the age of child-bearing, could have a child. The angels asked her if she doubted the command of Allah سبحانه وتعالى. They told Ibrahim that the Mercy and Blessings of Allah سبحانه وتعالى were upon him and his family, and that Allah was All-praise-worthy, Al-Glorious.

After Ibrahim had calmed and accepted the glad tidings happily the angels told him of their mission to destroy the people of Prophet Lut. Ibrahim being the most forbearing and forgiving of all the prophets asked the angels if they would destroy all the people even if there were some who believed.

The angels told him that this was the command of Allah سبحانه وتعالى and His command can never be changed by anyone except Him. They told Ibrahim that Allah سبحانه وتعالى had commanded that a torment overtake Lut's people and this could not be changed. Then the angels left Ibrahim and proceeded on their journey to Prophet Lut and his people. (Surah 11 : 69 -76, Surah 51 : 24 - 33).

Ibrahim spent his life in complete submission to Allah سبحانه وتعالى . He traveled all over the land for the sole purpose of preaching the worship of Allah سبحانه وتعالى alone (Tawheed). He and his son Isma'il built the House of Allah, the Ka'ba in Makkhah. (Surah 14 : 35 - 41, Surah 2: 124 - 129, Surah 3: 96 - 97). Prophet Ibrahim established the rites of Hajj as enjoined upon him by Allah سبحانه وتعالى (Surah 22 : 26 - 30). He taught the people he came into contact with Tawheed (Surah 60 : 4), the Attributes of Allah سبحانه وتعالى , (Surah 26 : 77 - 84) belief in judgment on the Day of Resurrection, (Surah 2 : 260) the existence of Jannah and Jahannam. (Surah 26 : 83; Surah 2 : 126) repentance, (Surah 2 : 128) forgiveness, (Surah 26 : 86 - 87) Iblees and his associates, (Surah 19 : 44) and that there would be no

Time passed and Sarah, Ibrahim's wife, felt sad that they did not have any children. She offered her slave Hajar to Ibrahim for marriage hoping that she would give Ibrahim children. Ibrahim also felt the loneliness of not having children and he often supplicated to Allah سبحانه وتعالى to give saying: "My Lord! Grant me (offespring) from the righteous." (Surah 37: 100) Hajar became pregnant and gave brith to Ibrahim's first son Isma'il. Ibrahim was eighty six years old when Isma'il was born.

Ibrahim was settled in palestine and he loved Isma'il more than anything in the world. This was a deeper love than most fathers have for their sons. Ibrahim was old when his son was born and he had prayed and supplicated to Allah سبحانه وتعالى to give him offspring that would continue to call people to Islam. When Allah سبحانه وتعالى answered his prayer and Isma'il was born Ibrhaim was overjoyed. However, Isma'il, was to be the cause of two trials for Ibrahim.

Isma'il was still a nursing baby when Allah سبحانه وتعالى commanded Ibrahim to take Hajar and Isma'il to a desolate and barren place in the desert. Ibrahim was commanded to leave them in this valley in the Arabian peninsula which we know as makkah. He brought Hajar and Isma'il to a place near the Ka'ba and left them under a tree in the exact spot where the Zamzam well is now. At that time Makkah was a desolate place with no people, water or food. Ibrahim left them a leather bag containing dates and a small water-skin containing some water. Then he left to return to Palestine. His wife Hajar asked him: "Oh Ibrahim! Where are you going, leaving us in this valley where there is no person whose company we many enjoy, nor is there anything (to enjoy)?" Hajar repeated this many times but Ibrahim did not answer her. Finally she asked: "Has Allah سبحانه وتعالى ordered you to do so?" Ibrahim replied: "Yes". Then Hajar said: "He will not neglect us." (Sahih Al-Bukhari)

Ibrahim then left his wife and child to return to Palestine. He walked a little while then he stopped and prayed to Allah سبحانه وتعالى saying: "Oh our Lord! I have made some of my offspring to dwell in a valley with no cultivation, by Your Sacred House (the Ka'ba at Makka); in order, Oh our Lord, that they may offer prayers perfectly (Iqâmat-as-Salât), so fill some heart among men with love towards them, and (Oh Allah) provide them with fruits so that they may give thanks." (Surah 14 : 37) Then Ibrahim returned to Palestine.

Ibrahim used to visit Hajar and Isma'il occasionally. On one of his visits Allah سبحانه وتعالى commanded him to offer his son as a sacrifice. This was the second and most difficult test for Ibrahim's faith.

When Isma'il was old enough to walk with Ibrahim he told his son that he saw himself in a dream offering Isma'il as a sacrifice to Allah سبحانه وتعالى . Then he asked Isma'il: "What do you think?" Ismail told his father: "Do that which you are commanded, Inshâ Allah (Allah's willing) you shall find me of the patient/" When they had both submitted themselves to the Will of Allah سبحانه وتعالى and Isma'il had laid prostrate prepared to be sacrificed, Allah سبحانه وتعالى called on to Ibrahim and said: "Oh Ibrahim! You have fulfilled the dream (vision)!" Then He told Ibrahim that the sacrificing of his son had been a trial for him, and sent a ram to be sacrificed instead of Isma'il (Surah 37 - 102 - 107).

Ibrahim wondered how Allah سبحانه وتعالى brought the dead back to life so he asked Allah سبحانه وتعالى to show him how He did this. Allah سبحانه وتعالى said: "Do you not

destroy their idols. He waited with patience and one day when all the people had gone to a festival of celebration for their gods Ibrahim went to the temple and smashed all but the largest idol. When the people returned and saw all of their idols smashed into little pieces they began to ask each other who was the sinner who could do such a thing. Then some of the people remembered that they had heard a young man named Ibrahim speaking against their gods. The disbelievers then ordered Ibrahim to be brought before them so that they could put him on trial for his cirmes.

When Ibrahim arrived he told them that he had not destroyed the idols. He pointed to the one left and told the people that god must have destroyed the rest. He told the people to ask the idol :if he can speak." The people were infuriated. They told Ibrahim that he knew the idols could not speak. Ibrahim asked them: "Do you then worship besides Allah, things that can neither be of any good or harm to you. Have you no sense?" The disbelieves amongest his people then said that Ibrahim was guilty of destroying their idols and that the punishment for this crime was death. They decided to execute him by throwing him into a fire. (Surah 6 : 57 - 68).

Allah ordered the fire to be cool and peaceful for Ibrahim. Ibrahim supplicated to Allah the entire time he was in the fire. His heart was filled with love for his Lord and nothing else. No fear entered his heart or his mind.

The disbelievers removed Ibrahim from the fire expecting to find him dead. Instead they found that he was not harmed at all. The disbelievers plotted to kill Ibrahim but Allah made them the losers instead. (Surah 6:70).

Ibrahim then left his people accompanied by two other believers. One of the believers was to become his wife and her name was Sarah. The other believer was his nephew Lut who was to become a prophet himself later on. They all traveled together to Palestine. (Surah 29:26).

Abu Hurairah narrated that Ibrahim عليه السلام did not tell a lie except on three occasions, twice for the sake of Allah (Exalted and Almighty) when he said: "I am sick," (Surah 37:89) and when he said: "(I have not done this but) the big idol has done it." The (third was) that while Ibrahim and Sarah (his wife) were going (on a journey), they passed by (the territory of) a tyrant. Someone said to the tyrant: "This man (i.e., Ibrahim عليه السلام is accompanied by a very charming lady." So, he sent for Ibrahim and asked him about Sarah saying: "Who is this lady?" Ibrahim said: "She is my sister." Ibrahim went to sarah and said: "O Sarah! There are no believers on the surface of the earth except you and me. This man asked me about you and I have told him that you are my sister, do not contradict my statement." The tyrant then called Sarah, and when she went to him, he tried to take hold her with his hand, but (his hand got stiff and) he was confounded. He asked Sarah: "Pray to Allah for me, and I shall not harm you." So Sarah asked Allah to cure him and he got cured. He tried to take hold of her for the second time, but (his hand got as stiff as or stiffer than before and) he was more confounded. He again requested Sarah: "Pray to Allah for me, and I will not harm you." Sarah asked Allah again, and he became all right. He then called one of his guards (who had brought her) and said: "You have not brought me a human being but have brought me a devil." The tyrant then gave Hajar as maid servant to Sarah. Sarah came back (to Ibrahim) while he was praying. Ibrahim, gesturing with his hand, asked: "What has happened?" She replied: " Allah has spoiled the evil plot of the infidel (or immoral person) and gave me Hajar for service." (Sahih Al-Bukhari).

However, his people like those of the 'Ad and Thamud, as well as most other human beings, had a desire to follow their forefathers' practices. They refused to abandon what their forefathers worshipped and considered anyone who did so, a sinner and in grave error.

Some of the people during this time worshipped idols of stone and wood, some worshipped stars, planets, the sun and the moon, and some worshipped humans such as kings and rulers.

One night Ibrahim was gazing into the heavens and saw a star. He told his people that this star was his Lord. They accepted this as the worship of stars was permissible. Then when Ibrahim saw the star set he told them that he did not like things which set. (Surah 6 : 76). Then he saw the moon rising and said to his people: "This is my Lord." Then when he saw the moon set he said: "Unless my Lord guides me I shall surely be among the erring people." (Sura 6 : 77). Then Ibrahim saw the sun rise and said "This is my Lord. This is greater." But again he saw it set. At this point he told his people: "O my people ! I am indeed free from all that you join as partners in worship with Allah." (Surah 6 : 78).

What Prophet Ibrahim was trying to do was to show his people by rational argument that all of these things were controlled by some other force. The stars, sun, moon, etc., had no choice in whether to rise or set. They rose and set in patterns which were controlled by someone else. If these celestial things, which they were worshipping, could not control their own movements how then could they help or cause harm to people? Prophet Ibrahim then told his people that the one who controlled these and all other things in the universe was Allah. Ibrahim also told his people that his Lord was Allah and that he would not worship anyone or anything other than Allah. His people warned him that their gods would punish him severely if he did not stop saying such things. Ibrahim told his people that it was they who were wrong-doers and that they were the ones who would suffer torment from Allah for worshipping and associating others with, or instead of, Allah.

Prophet Ibrahim also addressed the issue of worshipping kings and rulers. One day one of the kings which his people worshipped. Namrud the king of Ur in Chaldea (Babylonia) the homeland of Ibrahim, told Ibrahim that he was the one who gave life and took life away. Namrud believed himself to be a god and worthy of being worshipped as he could decide at anytime to put any person to death or to save any person from being executed.

Prophet Ibrahim could have argued the point with Namrud. Instead he cut the discussion off with one simple sentence: :My Creator causes the sun to rise from the east. Let it rise from the west if you are the Lord!" (Surah 2 : 258) Namrud knew that he could not accomplish this task and therefore he was not a god. The news of this incident spread and all the people were talking about how Ibrahim had persuasively argued that that kings and rulers were not the Lord of the Universe.

Prophet Ibrahim, Khalil-ul-Allah (Surah 4 : 125) then faced his final challenge amongst the idol worshippers. He asked the people why they worshipped images of stone and wood. They told him that their forefathers worshipped these idols and therefore they also worshipped them. Prophet Ibrahim told them that both they and their forefathers were wrong-doers and in grave error. The disbelievers asked Ibrahim if he was playing with them or if he had really brought them the truth. Ibrahim told them that their only Lord was the Lord of the heavens and the earth, and that He created everything from nothing. Then Ibrahim said: "And I am one of the witnesses to this." (Surah 21 : 51 - 56).

Prophet Ibrahim then warned them that once they turned their backs he was going to

The Prophets of Allah

Prophet Ibrahim عليه السلام

by Sheikh Muhammad Mustafa Gemea'ah

Prophet Ibrahim was born in Iraq. His father's name was Azar and he used to carve idols out of wood and sell them to the idol worshippers. Prophet Ibrahim led his life in continuos struggle to establish Islam, and is remembered with praisweworthy titles in the Qur'an which help us to understand his distinguished character. Some of these titles are: Khalil-u-Allah, the friend of Allah (Al-Nisa: 125); Hanif Away from Shirk, (Al-Imran: 67) - he preached the Unity of Allah and followed that way throughout his life. Muslim, (Al Imran: 67). Siddiq, (Maryam: 41) - His sacrifice in the way of Allah stands as a great witness to his truthfulness. Chosen and guided, (Nahl: 120; Baqara: 130). Awwah, Tender-hearted, (Tauba 114 Hud: 75). Halim, Forbearing of faults, (Tauba: 114 Hud: 75). Builder of the House of Allah, (Baqara: 127). Pronouncer to the call for Hajj. (Hajj: 27). Father of the Muslim Millah, (Hajj: 78). The master of a sound heart, (Saffat: 84).

Prophet Ibrahim was endowed with knowledge of Allah عز وجل from a very young age. He questioned and abhorred the practice of idol worship and could not understand how other people could follow such a mindless practice. One day he asked his father why he worshipped things which did not hear or see and which coud not help or harm him. He told his father that Allah سبحانه وتعالى had given him knowledge of Tawheed - the Oneness of Allah. He also told his father that he should abandon idol worship as it was the same as following the way of Iblees the eternal enemy of Allah سبحانه وتعالى . Ibrahim told his father that Iblees had deceived him and his people and led them astray and that the only chance they had for redemption was to turn back to the worship of Allah سبحانه وتعالى alone. Then Ibrahim told his father that he feared a terrible torment would overtake his father and their people if they did not take heed to what he was saying. (surah 19 : 41 - 45).

Prophet Ibrahim's father became extremely angry. He told Ibrahim that he should be stoned for abandoning their gods. Then he ordered Ibrahim to leave his house before he punished him severely. Prophet Ibrahim calmly said to his father: "Peace be on you! I will ask Forgiveness of my Lord for you. Verily! He is most Gracious to me. And I shall withdraw from you." (Surah 19 : 46 - 48).

Prophet Muhammad عليه السلام said: "On the Day of Resurrection Ibrahim will meet his fatherAzar whose face will be covered with dust. Ibrahim will say to him: 'Didn't I tell you not to disobey me?' His father will reply: "Today I will not disobey you.' Ibrahim will say: 'Oh Lord! You promised not to disgrace me on the Day of Resurrection; and what will be more disgraceful to me than cursing and dishonoring my father?' Then Allah سبحانه وتعالى will say to him: 'I had forbidden Paradise to the non-believers." (Sahih Bukhari).

Prophet Ibrahim then withdrew from his family and his people. He turned instead to Allah سبحانه وتعالى and devoted himself to His worship and he tried to think of how he could prove to his people that their worshipping idols was a great sin which would avail them nothing other than the anger of Allah سبحانه وتعالى .

AL-AZHAR MAGAZINE
Rabiu Al -Akhar 1421 H.

ENGLISH SECTION
July 2000

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

الفهـرس

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩م
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى
• • •
المشرف العام
رئيس التحرير
عبد المعز عبد الحميد الجزار
مدير عام التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
سكرتير التحرير
عادل رفاعى خفاجة
المراسلات باسم
مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.
ت : ٢٦٣٨٥٩٩
الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة



علماء الآخرة وعلاماتهم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أسعد خلق الله، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الكرام البررة.

«وبعـــــد»

فإن العلماء هم سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، وبهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ والفساد، وإن مثلهم فى الأرض كمثل النجوم فى السماء، وقد أخذ علينا العهد العام من سيدنا رسول الله - ﷺ - أن نبجل العلماء والصالحين والأكابر، وإن لم يعملوا بعلمهم، لنقوم بواجب حقهم، ويجب علينا أن نحسن الظن بالعلماء، لأن صلاح الأمة وفسادها بصلاح العلماء وفسادهم، وإن من العلماء رحمة على الناس، يسعد من اقتدى بهم، وان من العلماء فتنة على الأمة، يهلك من تأسى بهم، فالعالم اذا كان عاملا برضوان الله، مؤثراً للآخرة على الدنيا، فأولئك خلفاء الرسل - عليهم الصلاة

والسلام ـ والنصحاء للعباد، والدعاة إلى الله ـ تعالى ـ وأولئك رفقاء الأنبياء على منابر النور، فى الحلى والحلل يكرمون ويحبرون، وفى الأقارب والأباعد يشفعون، إذ الخلائق ببعثهم مشغولون، أولئك رحمة الله على الأمة، وبركته عليهم، يدعون إلى سبيل النجاة، فسعد من أجابهم، وفاز من اقتدى بهم، ولهم مثل أجر المتأسين بهم، وقد جاءت الآثار بنعتهم، بلغنا أن بعض أهل العلم تلى هذه الآية:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾(1).

قال: هذا حبيب الله، هذا ولى الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله فى دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحا فى إجابته، وقال: إننى من المسلمين، ان هذا خليفة الله.

إخوانى أحباب رسول الله: بمثل هذا العالم اقتدوا، وبه تأسوا وتعوذوا تسعدوا، ألا إن صنفا من العلماء، رضوا بالدنيا عوضا عن الآخرة، فآثروها على جوار الله ـ تعالى ـ ورغبوا فى الاستكثار منها، وأحبوا العلو فيها، فتأسى بهم عالم من الناس، وافتتن بهم خلق كثير، أولئك أسوأ فتنة على الأمة، تركوا النصح للناس، كيلا يفتضحوا عندهم، وبحبهم كيف ينالون الخير بوعيد الله إياهم، وشروا بالعلم ثمنا قليلا، لقد خسروا وبئس ما أتجروا، واحتملوا أوزارهم مع أوزار المتأسين بهم، فهلكوا وأهلكوا، أولئك خلفاء الشيطان، ودعاة إبليس، أقل الله فى البرية مثلهم، وقد حذر رسول الله ـ ﷺ ـ فتنة العالم المؤثر للدنيا.

قال المحاسبى: بلغنا أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا فى الدنيا، فإذا فعلوا ذلك فاتهموهم على دينهم»(2) وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «لاتزال هذه الأمة تحت يد الله وفى كنفه ما لم يجل قراؤهم أمراءهم، وما لم يزك خيارها شرارها، وما لم يميز صلحاؤها فجارها، فإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم يده، وسلط عليهم الجبابرة فيسومونهم سوء العذاب».

وبلغنا أن الله ـ عز وجل ـ أوحى إلى داود عليه السلام: «لا تستشر فى أمرك عالما أسكره حب الدنيا، فيسقطك بسكره عن طريق محبتى، أولئك قطاع الطريق على عبادى المريدين»(3) وهنا يقول سيدى عبدالوهاب الشعرانى (4): ومما أنعم الله ـ تبارك وتعالى ـ به على، من صغرى مخالطة العلماء العاملين، مع خوفى من عدم القيام بواجب حقهم، والبعد عن كل من لا يعمل بعلمه، وما أمثل نفسى بين يدى العالم العامل إلا كأنها بين يدى رسول الله ـ ﷺ ـ من حيث إنه ـ ﷺ ـ لو كان فى عصرى، لم يرشدنى بغير ما

---

(1) سورة فصلت الآية (33).
(2) الوصايا للمحاسبى (37).
(3) الوصايا للحارث المحاسبى (38).
(4) لطائف المنن والأخلاق (131).

أرشدنى به ذلك العالم، الذى هو وارث له، وقد قالوا ليس فوق منزلة العالم العامل إلا منزلة النبوة.

فعليك ياأخى بمجالسة كل من رأيته يعمل بعلمه، وإياك أن تخالفه، أو تنافره، أو تجانبه، أو تعاديه، فإن السلامة فيما يقوله من النصح، وفى مخالفته: الضلال والهلاك»

وإن علماء الآخرة هم علماء الدين العاملين أما علماء الدنيا فهم علماء السوء، الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا، والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها.

ومن علامات علماء الآخرة أنه لا يطلب الدنيا بعلم المسائل التى تعلمها، فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها، وكدرتها وانصرامها، وعظم الآخرة ودوامها، وصفاء نعيمها، وجلالة ملكها، ويعلم أنهما متضادتان، وأنهما كالضرتين، مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى. وأنهما ككفتى الميزان، مهما رجحت احداهما خفت الأخرى، وأنهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من إحداهما بعدت عن الأخرى، وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ، فبقدر ما تصب منه فى الآخر حتى يمتلىء، يفرغ الآخر، وأن من لا يعرف ذلك فهو فاسد العقل.

ثم ان من علاماته كذلك: ألا يخالف قوله فعله، بل يكون أول عامل لما يأمر به، وأول مجتنب لما ينهى عنه، قال الله تعالى:

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(٥). وقال الله تعالى فى قصة سيدنا شعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾(٦) وقال الله تعالى:

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾(٧) وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاهم بمقاريض من نار، فقلت: من أنتم؟ فقالوا: كنا نأمر بالخير ولا نأتيه، وننهي عن الشر ونأتيه».

وقال الفضيل بن عياض: بلغنى أن الفسقة من العلماء ومن حملة القران يبدأ بهم يوم القيامة، قبل عبدة الأوثان(٨) وقال أبوالدرداء ـ رضى الله عنه ـ «ويل لمن لا يعلم مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات».

وأيضا: أن يكون عالم الاخرة معتنيا بتحصيل العلم النافع فى الآخرة، المرغب فى الطاعة، الناهى عن الدنيا، ويكون متوقيا علما يكون مكثرا قيلا وقالا أى: فضول ما

---

(٥) سورة الصف الآية (٣).

(٦)سورة هود الآية (٨٨).

(٧) سورة البقرة الاية (٤٤).

(٨) جامع بيان العلم وفضله (١٩٢/١).

يتحدث به المتجالسون ويكون مزينا له، قال فى «الإحياء»: بل ينبغى أن يكون التعلم من جنس ما روى. عن حاتم الأصم ـ تلميذ شقيق البلخى ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال له شقيق: منذ كم صحبتنى؟ قال حاتم: منذ ثلاث وثلاثين سنة. قال: فما تعلمت منى فى هذه المدة؟ قال: ثمان مسائل. قال شقيق له: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾(٩)، ذهب عمرى معك ولم تتعلم إلا ثمان مسائل. قال ياأستاذ: لم أتعلم غيرها، وانى لا أحب أن أكذب. فقال: هات ماهى حتى أسمعها؟ قال حاتم: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا، فهو مع محبوبه الى القبر، فإذا وصل إلى القبر فارقه، فجعلت الحسنات محبوبى، فإذا دخلت القبر دخل محبوبى معى. فقال: أحسنت ياحاتم، فما الثانية؟ قال: نظرت فى قول الله ـ عز وجل ـ :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾(١٠) فعلمت أن قوله ـ سبحانه ـ هو الحق، فأجهدت نفسى فى دفع الهوى، حتى استقرت على طاعة الله ـ تعالى ـ **الثالثة**: أنى نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل من معه شىء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل:

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾(١١) فكلما وقع معى شىء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله، ليبقى عنده محفوظا.

ثم رابعا: أنى نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب، فنظرت فيها فإذا هى لا شىء، ثم نظرت إلى قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(١٢) فعملت فى التقوى حتى أكون عند الله كريما.

ثم خامسا: أنى نظرت إلى هذا الخلق، وهم يطعن بعضهم فى بعض، ويلعن بعضهم بعضا، وأصل هذا كله: الحسد، ثم نظرت إلى قول الله ـ عز وجل ـ :

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾(١٣) فتركت الحسد، واجتنبت الخلق، وعلمت أن القسمة من عند الله ـ سبحانه ـ فتركت عداوة الخلق عنى.

السادسة: نظرت إلى هذا الخلق يظلم بعضهم بعضا، ويقاتل بعضهم بعضا، فرجعت

---

(٩) سورة البقرة الآية (١٥٦).

(١٠) سورة النازعات الآية (٤٠).

(١١) سورة النحل الآية (٩٦).

(١٢) سورة الحجرات الآية (١٣).

(١٣)سورة الزخرف الآية (٣٢).

إلى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[١٤] فعاديته وحده، وأخذت حذرى منه، لأن الله ـ تعالى ـ شهد عليه أنه عدو لى فتركت عداوة الخلق غيره.

سابعا: نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت الواحد منهم يطلب كسرة الخبز فيذل بها نفسه، ويدخل فيما لا يحل له، ثم نظرت إلى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[١٥]فعلمت أنى واحد من هذه الدواب، التى علىّ اللّه رزقها، فاشتغلت بما لله ـ تعالى ـ علىّ، وتركت ما لى عنده.

ثامنا: نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم متوكلين على مخلوق مثلهم، هذا على عقاره، وهذا على تجارته، وهذا صناعته، وهذا على صحة بدنه، فرجعت إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[١٦] فتوكلت على الله ـ عز وجل ـ فهو حسبى.

قال شقيق، ياحاتم وفقك الله ـ تعالى ـ فإنى نظرت فى علوم التوراة والإنجيل والزبور، والفرقان العظيم، فوجدت جميع أنواع الخير والديانة، تدور على هذه الثمانية، فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة[١٧].

العلامة الرابعة لعالم الآخرة: أن يكون مجتنبا الترفه فى المطعم والمشرب، والتجمل فى المسكن، وفى أثاثه، ومتاعه ومجتنبا التنعم والتزين فى لباسه، ويكون مائلا إلى القناعة، والتقلل فى جميع ذلك ما أمكنه، ويتشبه فيه السلف ـ رحمهم الله ـ ويميل إلى الاكتفاء بالأقل فى جميع ذلك، وكلما زاد إلى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه، وارتفع فى علماء الآخرة نصيبه، قال على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللأعداء مال فإن المال يغنى عن قريب وإن العلم باق لا يزول[١٨] أما العلامة الخامسة فأن يكون العالم منقبضا متباعدا عن مخالطة السلطان وزيارته، وإن المراد به كل من كان له سلطنة وولاية فى محل لأن المخالط له لا يخلو إما أن يلتفت الى تجمله، وكثرة ماله، فيزدرى نعمة الله عليه، أو يسكت عن الإنكار عليه، فيكون مداهنا له، أو يتكلف فى كلامه كلاما لمرضاته، وتحسين حاله، فيكون بهتانا صريحا، أو يطمع فى أن ينال من دنياه، فيكون آكلا للسحت، وقد احترز الأولون من الدخول على السلاطين، لما روى عن على ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «إن فى جهنم واديا إذا فتح استجارت منه النار سبعين مرةو أعد للقراء المرائين»[١٩] وأشد القراء عذابا الذين يدارون الأمراء.

---

(١٤) سورة فاطر الاية (٦).

(١٥) سورة هود الاية (٦).

(١٦) سورة الطلاق الاية (٣).

(١٧) كفاية الأتقياء للدمياطى (٧٧).

(١٨) سلالم الفضلاء (٨١، ٨٢) وكفاية الأتقياء (٧٨).

(١٩) كفاية الأتقياء (٧٨).

وكتب سيدنا عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله عنه ـ إلى الحسن البصرى: « أما بعد فأشر علىّ بقوم أستعين بهم على أمر الله ـ تعالى ـ» فكتب إليه: « أما أهل الدين فلن يريدوك، وأما أهل الدنيا فلن تريدهم، ولكن عليك بالأشراف، فإنهم يصونون شرفهم عن أن يدنسوه بالخيانة»[٢٠]. فهذا عمر بن عبدالعزيز ذكر له أن أهل الدين لن يريدوه، وكان أزهد أهل زمانه.

وقال أبوذر لسلمة: « ياسلمة، لا تغش أبواب السلاطين، فإنك لا تصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه، وهذه فتنة عظيمة للعلماء، وذريعة صعبة للشيطان عليهم، لاسيما من لهجته مقبولة، وكلامه حلو، إذ لايزال الشيطان يلقى إليه أن فى وعظك لهم، ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم، ويقيم شعائر الشرع الى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين، ثم إذا دخل لم يلبس أن يتلطف فى الكلام، ويداهن ويخوض فى الثناء والإطراء، وفيه هلاك الدين.

وكان يقال: « العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شغلوا، فإذا شغلوا فقدوا، فإذا فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا »

أما إن كان الدخول على السلطان لتقديم النصيحة له، ودفع المظالم، والشفاعة فى المراضى، فلا بأس به لكن مع قطع الطمع عن ماله وجاهه حتى تنفذ النصيحة، وتقبل الشفاعة.

العلامة السادسة لعالم الآخرة: ألا يكون مسارعا الى الفتيا إذا سئل، بل يقول له: اسأل من يكون تأهل للفتاوى احتياطا وحزما، ويمتنع من اجتهاد لا يكون متعينا عليه، بأن وجد فى غيره غنية عنه، وإذا لم يسهل الاجتهاد عليه يقول: « لا أدرى، ولا يستنكف ».

قال فى الإحياء: « ومن علامات عالم الآخرة: ألا يكون مسارعا إلى الفتيا، بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد إلى الخلاص سبيلا، فإن سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله، أو بنص حديث، أو إجماع، أو قياس جلىّ أفتى، وإن سئا عما يشك فيه، قال: لا أدى، وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط، ودفع عن نفسه، وأحال على غيره، ان كان فى غيره غنية، هذا هو الحزم، لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم». وفى الخبر: العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة قائمة، ولا أدرى،، قال الشعبى: « لا أدرى نصف العلم، ومن سكت حيث لا يدرى لله ـ تعالى ـ فليس بأقل أجرا ممن نطق، لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس».

أما العلامة السابعة لعالم الآخرة: أن يكون قصده باشتغال العلوم تحصيل ثواب الله فى الآخرة، وأن يكون أكثر اهتماما بعلم الباطن، ليعرف به ما يفسد الأعمال، ويشوش القلوب ومتصفا بمراقبة قلبه، لأجل سياسته، أى: تأديبه وتخلقه بأخلاقه الحميدة، ويكون متوقعا

---

(٢٠) كفاية الأتقياء (٧٩).

وراجيا انكشاف طريق الآخرة من المجاهدة، فإنها تفضى إلى المشاهدة، قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَالَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾(٢١) فبالمجاهدة والجلوس مع الله فى الخلوة، وتطهير القلب عن شواغل الدنيا، تنكشف دقائق علوم الدين، وتنفجر ينابيع الحكمة من القلب، من غير عدٍّ ولا حصرٍ، فتصفية القلب والجلوس فى الخلوة مع الله مفتاح الإلهام، ومنبع الكشف، فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموع بكلمة، وكم من مقتصر على المهمّ فى التعلم، ومتوفر على العمل، ومراقبة القلب، فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوى الألباب، ولذلك قال ـ ﷺ ـ : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ».

وفى الكتب السالفة : يابنى اسرائيل لا تقولوا العلم فى السماء، من ينزل به إلى الأرض، ولا فى تخوم الأرض من يصعد به، ولا من وراء البحار من يعبر يأتى به، العلم مجعول فى قلوبكم، تأدبوا بين يدىّ بآداب الروحانيين، وتخلقوا بأخلاق الصديقين، أظهروا العلم فى قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم(٢٢) .

وأن يكون عالم الآخرة معتمدا فى علومه على تقليده لصاحب الشريعة، فى أقواله وأفعاله، ومعتمدا على بصيرته فى كشف أستار تلك العلوم، وإدراك حكمها ودقائقها .

وأخيرا فلعل سائلا يسأل ويقول : هل هناك من يجمع هذه الخصال التى تميز عالم الآخرة؟ أقول : نعم، يوجد الكثير ممن سترهم الله بستره، وعلى رأس هؤلاء أئمة المذاهب المتبوعة كانوا جامعين لها، معتصمين بحبل الله، ومتمسكين بسنة نبيهم، ومن هنا اقتدى بهم أتباعهم اقتدوا بهم فى الأحكام، فهذا إمامنا الشافعى وإمامنا مالك وأمامنا أبوحنيفة وإمامنا ابن حنبل وسفيان الثورى وغيرهم كانوا كاملين فى ست خصال وهى : الزهد والصلاح والعبادة، والعلم بعلوم العقبى النافعات للخلق، والتفقه فى مصالح الخلق فى الدنيا، وإرادتهم بتفقهم وجه الله ـ تعالى ـ وإن فقهاء العصر لم يتبعوهم إلا فى خصلة واحدة، وهى الفقه وتفاريعه لأنها تصلح للدنيا كما تصلح للآخرة .

أسأل المولى ـ سبحانه ـ أن يفقهنا فى ديننا، وأن يوجهنا إلى كل خير، وأن نعرف لسادتنا من العلماء الأعلام مكانتهم، حتى نحشر فى زمرتهم وصلى الله وسلم على حبيبى رسول الله .

(عبدالمعز عبدالحميد الجزار)

---

(٢١) سورة العنكبوت الآية (٦٩). (٢٢) الحديث.

(٢٣)كفاية الأتقياء (٨٠) وسلالم الفضلاء (٨٢) وإحياء علوم الدين للغزالى.

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيّد طنطاوى

قال الله - تعالى - : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

[الآية : ١٨٩]

انتقل القرآن إلى الحديث عن الأهلة لما لها من صلة بالصيام وبالقتال فى الأشهر الحرم وبمواقيت الحج.

وقد ورد فى سبب نزول هذه الآية روايات منها ما أخرجه ابن أبى حاتم عن أبى العالية قال : «بلغنا أن بعض الناس قالوا : يارسول الله، لم خلقت الأهلة؟ فنزلت».

والأهلة : جمع الهلال، وهو الكوكب الذى يبزغ فى أول كل شهر، ويسمى هلالا لثلاث ليال أو لسبع ليال من ظهوره، ثم يسمى بعد ذلك قمرا إلى أن يعود من الشهر الثانى.

قال بعضهم: وهو مشتق من استهل الصبى إذا بكى وصاح حين يولد، ومنه أهل القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية، وسمى بذلك لأنه حين يرى يهل الناس بذكره أو بالتكبير، ولهذا يقال أهل الهلال واستهل[1] .

والمواقيت: جمع ميقات بمعنى الوقت، وهو ما يقدر لعمل من الأعمال وقيل: الميقات منتهى الوقت.

والمعنى: يسألك بعض الناس عن الحكمة من خلق الأهلة، قل لهم يامحمد إن الله تعالى ـ قد خلقها لتكون معالم يوقت ويحدد بها الناس صومهم، وزكاتهم، وحجهم، وعدة نسائهم، ومدد حملهن، ومدة الرضاع، وغير ذلك مما يتعلق بأمور معاشهم.

قال – تعالى –:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾

وخص الحج بالذكر مع أن الأهلة مواقيت لعبادات أخرى كالصوم والزكاة للتنبيه على أن الحج مقصور وقت أدائه على الزمن الذى عينه الله ـ تعالى ـ وأنه لا يجوز نقله إلى وقت آخر كما كانت العرب تفعل، إذ كانوا ينقلون ما شاؤوا من الأشهر الحرم الأربعة التى من جملتها ذو الحجة إلى شهر آخر غير حرام، وهو النسىء المشار اليه بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ .

وخص الشارع المواقيت بالأهلة وأشهرها دون الشمس وأشهرها، لأن الأشهر الهلالية تعرف برؤية الهلال ومحاقه، وذلك ما لا يخفى على أحد من الخاصة أو العامة أينما كانوا، بخلاف الأشهر الشمسية، فإن معرفتها تنبنى على النظر فى حركات الفلك وهى لا تتيسر إلا للعارفين بدقائق علم الفلك.

هذا، ومن الروايات التى وردت فى سبب نزول هذه الآية ما رواه أبونعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال: نزلت فى معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم قالا: يارسول الله ما بال الهلال يبدو ـ أو يطلع ـ دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستدير، ثم لايزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان، لا يكون على حال واحد؟ فنزلت.

وعلى هذه الرواية يكون الجواب بقوله – تعالى –:

﴿ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ من قبيل أسلوب الحكيم، وهو إجابة السائل بغير ما يتطلبه سؤاله، بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيها له على أن ذلك الغير هو الأولى بالسؤال لأنه هو المهم بالنسبة له.

---

(١) تفسير الألوسى (١/٧١).

فأنت ترى هنا أن السائلين قد سألوا عن سبب اختلاف الأهلة بالزيادة والنقصان، فأجيبوا ببيان الحكمة من خلقها فكأنه ـ سبحانه ـ يقول لهم: عليكم أن تسألوا عن الحكمة والفائدة من خلق الأهلة لأن هذا هو الأليق بحالكم وهو ما أجبتكم عليه، لا أن تسألوا عن سبب تزايدها فى أول الشهر وتناقصها فى آخره، لأن هذا من اختصاص علماء الهيئة، وأنتم لستم فى حاجة إلى معرفة ذلك فى هذا الوقت.

ولعلماء البلاغة كلام جيد فى مزايا ما يسمونه بأسلوب الحكيم، فقد قال السكاكى ما ملخصه: «ولهذا النوع ـ أعنى إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر ـ أساليب متفننة ولكل من تلك الأساليب عرق فى البلاغة يتشرب من أفانين سحرها، ولا كأسلوب الحكيم فيها، وهو تلقى المخاطب بغير ما يترقب، أو السائل بغير ما يتطلب، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾ الآية، قالوا فى السؤال، ما بال الهلال يبدو دقيقا... الخ فأجيبوا بما ترى، وأن هذا الأسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور، وأبرزه فى معرض المسحور، وهل ألان شكيمة «الحجاج الثقفى» لذلك الرجل الخارجى، وسل سخيمته، حتى آثر أن يحسن علي أن يسيء غير أن سحره بهذا الأسلوب؟ إذ توعده الحجاج بالقيد فى قوله: «لأحملنك على الأدهم» فقال الخارجى متغابيا: مثل الأمير يحمل على الأدهم الأشهب، مبرزا وعيده فى معرض الوعد، متوصلا أن يريه بألطف وجه: أن رجلا مثله جدير بأن يعد لا أن يوعد».

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾ هذا القول الكريم نهى لجماعة المسلمين عن عادة كانوا يفعلونها فى الجاهلية، وهى أنهم كانوا إذا عادوا من حجهم أو أحرموا لا يدخلون من أبواب بيوتهم بل كانوا يدخلون من نقب ينقبونه فى ظهور بيوتهم.

أخرج البخارى عن أبى إسحاق قال: سمعت البراء ـ رضى الله عنه ـ يقول: نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكأنه عير بذلك فنزلت: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ ﴾ الخ.

والمعنى: وليس من البر ما كنتم تفعلونه فى الجاهلية من دخولكم البيوت من ظهورها عند إحرامكم أو عودتكم من حجكم، ولكن البر الحق الجامع لخصال الخير يكون فى تقوى الله بأن تمتثلوا أوامره وتجتنبوا نواهيه، وإذا ثبت ذلك فعليكم أن تأتوا البيوت من أبوابها عند إحرامكم أو رجوعكم من حجكم.

وفى الأمر بإتيان البيوت من أبوابها إشعار بأن إتيانها من ظهورها باسم الدين غير مأذون فيه، وكل ما يفعل باسم الدين وليس له فى الدين من شاهد فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة .

وفى الآية الكريمة تعريض بمن يسأل النبى - ﷺ - عما هو ليس من العلم المختص بالنبوة، ولا تتوقف معرفته على الوحى، فهذا السائل فى سؤاله مثله كمثل من يدخل البيت من ظهره لا من بابه .

قال بعضهم : وذلك لأن العلم على ضربين : علم دنيوى يتعلق بأمر المعاش كمعرفة الصنائع ومعرفة حركات النجوم ومعرفة المعادن والنبات، وقد جعل الله لنا سبيلا إلى معرفة ذلك على غير لسان نبيه - ﷺ - .

وعلم شرعى يتعلق بالعبادات والمعاملات والعقيدة ولا سبيلا الى أخذه إلا من الصادق المصدوق - ﷺ - .

فلما جاءوا يسألون النبى - ﷺ - عما أمكنهم معرفته من غير جهته أجابهم، ثم بين لهم أن البر فى التقوى وذلك يكون بالعلم والعمل المختص بالدين.(٢)

قال صاحب الكشاف : فإن قلت . ما وجه اتصال قوله - تعالى - :

﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ ﴾ إلخ بما قبله؟ قلت كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة فى نقصانها وتمامها : أن كل ما يفعله - الله تعالى - لا يكون إلا عن حكمة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا فى واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر فى شىء وأنتم تحسبونها برا، ويجوز أن يكون ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج، لأنه كان من أفعالهم فى الحج، ويحتمل أن يكون هذا لتعكيسهم فى سؤالهم وأن مثلهم كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره، والمعنى : ليس البر وما ينبغى أن تكونوا عليه بأن تعكسوا فى مسائلكم، ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال : (وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا) أى : باشروا الأمور من وجوهها التى يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا، والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب .(٣)

وقوله تعالى :

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أمر بالتقوى التى تتضمن القيام بجميع الواجبات واجتناب البدع والمنكرات، أى : افعلوا ما أمركم الله به، واجتنبوا ما نهاكم عنه، لتكونوا من المفلحين، وهم الفائزون بالحياة المطمئنة فى الدنيا والنعيم الخالد فى الآخرة، وبذلك تكون الآية الكريمة قد ردت عقول الناس إلى النظر والتأمل فى سنن الله وفى خلقه على النحو الذى ينشىء التقوى فى النفوس، ويوجه إلى العمل الصالح الذى يرضى الله - تعالى - .

(يتبع)

---

(٢) تفسير القاسمى (١/٤٧٣) بتصرف.

(٣) تفسير الكشاف (١/٢٤٣).

قبس من أنوار النبوة

من صفات المؤمن الحليم

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: صلى بنا رسول الله - ﷺ - يوماً العصر، ثم قام خطيباً فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه.. وكان فيما قال:

«إن الدنيا خضرة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون؟ ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء...».

وكان فيما حفظنا يومئذ:

ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات شتى، ألا وإن منهم البطىء الغضب سريع الفىء - أى الرجوع - والسريع الغضب سريع الفىء، والبطىء الغضب بطىء الفىء، فتلك بتلك.

ألا وإن منهم بطىء الفىء سريع الغضب، ألا وخيرهم بطىء الغضب سريع الفىء، وشرهم سريع الغضب بطىء الفىء...».

«أخرجه الترمذى. تيسير الوصول. جـ ٤ ص ٢٧٩

البيان

خلق الله -عز وجل- الناس طبقات وأصنافاً تختلف طبائعهم، وتتفاوت درجاتهم وهم أمام المثيرات فى الثبات غير سواء؛ فمنهم من يكون عصبى المزاج سريع الغضب لأتفه الأسباب، فتهيج دورته الدموية، وتثور أعصابه وتتوتر حتى يتحول إلى وحشية تفقده عقله وصوابه، وينفلت منه زمام نفسه ولسانه، فيثور ويحطم، ويتفوه بفاحش القول وغليظ الكلام مما يجر إلى سوء العواقب والفعال، ويمزق الروابط الوثيقة فيفارق الأخ أخاه، والولد أباه، وتحرم الزوجة من أولادها، بل قد تثور حروب تهدد سلام الدول والشعوب، وتفسد الدين والأخلاق، وهذا هو الغضب المذموم شرعاً وعقلاً، وهذا يحذرنا منه نبى الإسلام -عليه الصلاة والسلام-.

ومن الناس من يغضب ولكن غضبه لا يخرجه عن حد الاعتدال: فهو يغضب ليدافع عن نفسه، أو عن دينه، أو عن عرضه،

أو عن ماله، أو عن وطنه أو ينصر مظلوماً، وهذا هو الغضب المحمود؛ وأصحاب هذا الخلق خاضعين لسلطان الدين والعقل، ومن بلغ أن تكون قوة غضبه منقادة للدين والعقل فهذا هو الحليم الذى يضبط نفسه عند الغضب - وليس من شرط الحليم أن يفقد قوة الغضب بحيث يكون حاله أمام الإساءة وعدمها سواء، وإنما شرطه ألا يطغى الغضب حتى يدفع الرجل إلى الانتقام، أو يمنعه من الصفح حيث يكون الصفح أولى به.

وديننا الإسلام دين الصفح والعفو وكظم الغيظ، واجتناب الأحقاد وسوء العواقب.

قال الله -تعالى-:

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(١).

وجعل الصبر والتسامح والتغلب على الغضب من صفات أولى الفضل قال -تعالى-:

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾(٢).

ولما كان الحلم أنفع علاج لداء الغضب لذلك كان من صفات المرسلين؛ فقد وصف الله به سيدنا إسماعيل -عليه السلام- فقال:

﴿ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴾(٣).

كما اتصف به سيدنا يوسف -عليه السلام- فقال الله على لسانه مخاطباً اخوته:

﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾(٤).

وكان رسول الله -ﷺ-: قد ألف الله بحلمه القلوب.

قال الله -تعالى-: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾(٥).

ولما استشهد عمه حمزة -رضى اله عنه- فى غزوة أحد بيد وحشى ومُثِّل به غضب النبى -ﷺ- وعزم على قتل سبعين من المشركين.

نزل قول الله - تعالى -:

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾(٦).

فقال: -ﷺ-: «نصبر ولا نعاقب».

إن الحلم وسهولة الأخلاق والعفو عند المقدرة من أخلاق نبينا التى علمها لأمته فى قوله وفعله حيث يقول: «**من كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق، ويخيره من أى حور العين شاء**» رواه أبو داود.

وقال محمد بن كعب القرظى -فيما رواه ابن أبى الدنيا: «ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله: من إذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له».

وها هو أبو بكر الصديق -رضى الله عنه- يقسم ألا ينفق على أحد أقاربه الذى خاض مع الخائضين فى

(١) سورة الشورى ٤٠.
(٢) سورة الشورى ٤٣.
(٣) سورة الصافات ١٠١.
(٤) سورة يوسف ٩٢.
(٥) سورة آل عمران ١٥٩.
(٦) سورة النحل ١٢٦و١٢٧.

حديث الإفك؛ فنزل القرآن على رسول الله -ﷺ- بقوله -تعالى-:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾(٧).

فعاد الصديق إلى العطاء والإنفاق قائلاً: «إنى أحب أن يغفر الله لى».

وينكر النبى -ﷺ- على أبى بكر أن يلعن بعض رقيقه وقال: «**لا يجتمع أن تكونوا لعانين وصديقين**» رواه الحاكم.

فأعتق أبو بكر أولئك الرقيق كفارة عما بدر منه لهم؛ وجاء إلى النبى -ﷺ- يقول له: «لا أعود».

وقد أخبر النبى -عليه الصلاة والسلام- أن الله -عز وجل- اكرم أهل الحلم والرفق وسعة الصدر فى شخص الأشج، فقال النبى للأشج «**إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله**» قال: ما هما -بأبى أنت وأمى يا رسول الله، قال: «**الحلم، والأناة**» فقال: خلقان جبلت عليهما، فقال: «**بل خلقان جبلك الله عليهما**» فقال: «**الحمد لله الذى جبلنى على خلقتين يحبهما الله ورسوله**» متفق عليه.

جاء فى مأثور القول، عن الحسن البصرى: من علامات المسلم: «قوة فى دين، وحزم فى لين، وإيمان فى يقين، وعلم فى حلم، وكيس فى رفق، وإعطاء فى حق، وقصد فى غنى، وتحمل فى فاقة وإحسان، ولا تغلبه شهوة، ولا تفضحه بطنه... ينصر المظلوم، ويرحم الضعيف، يغفر إذا ظُلم ويعفو عن الجاهل، نفسه منه فى عناء، والناس منه فى رخاء».

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، واصرف عنا سيء الأخلاق.

«تهنئة واجبة»

يسر إدارة «مجلة الأزهر الشريف» أن تقدم أسمى التهانى وأطيب الأمانى إلى فضيلة الشيخ/

محمود عبدالغنى عاشور

وكيل الأزهر الشريف

بصدور قرار رئيس الجمهورية بتعيينه لهذا المنصب.

سائلين المولى - سبحانه - أن يوفقه لخدمة الإسلام والمسلمين.

---

(٧) سورة النور ٢٢.

نظرات فى ألفاظ القرآن الكريم

لفظ «آل»

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

باسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن والاه. «وبعد».

فقد ذكر هذا اللفظ فى الكتاب العزيز ستاً وعشرين مرة، منها أربع عشرة مرة مضافا إلى فرعون (آل فرعون)، والباقى جاءت الكلمة فيه مضافة إلى الأنبياء: آدم، ونوح، وابراهيم، ولوط، ويعقوب، وداود، وعمران عليهم جميعاً صلوات الله وتسليماته.

ونرى قبل استعراض تلك الآيات: الست والعشرين، أن نثبت ماقاله الفيروزآبادى عن هذه اللفظة فى كتابه القيم: «بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز» قال - رحمه الله -.. وقد ورد. أى: لفظ آل. فى القرآن على ثلاثة أوجه:-

الأول: بمعنى القوم والتبع

﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴾[1].

الثانى: بمعنى أهل البيت، والحاضرين من أهل القوت والنفقة.

﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴾[2].

الثالث: بمعنى القرابة، والذرية الكلية:

﴿ وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ ﴾[3] ـ

﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾[4].

وقيل: الآل مقلوب من الأهل، لأنه يصغر على أُهَيل، إلا أنه خص بالإضافة إلى إعلام الناطقين، دون النكرات، ودون الأزمنة والأمكنة، لا يقال آل فلان، ولا آل رجل، ولا آل زمان كذا،

(١) القمر (٤١).

(٢) القمر (٣٤).

(٣) آل عمران (٣٣).

(٤) مريم (٦).

وموضع كذا، كما يقال أهل زمان كذا، وقيل: هو فى الأصل اسم الشخص، ويصغر أويلاً، ويستعمل فيمن يختص بالإنسان اختصاصاً ذاتياً، إما بقرابة قريبة، أو بموالاة(٥).

وبعد هذه المقدمة نستعرض الآيات الكريمة، التى جاءت فيها هذه الكلمة، ففى سورة البقرة جاءت فى ثلاث آيات، أولاها: قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾(٦).

والمراد بالآل هنا: القوم والتبع، أى قوم فرعون، وفى الآية امتنان من الله - تعالى - على بنى اسرائيل بإنجائهم، من ذل فرعون وقومه، على يد موسى - عليه السلام.

والمعنى: واذكروا معشر اليهود وقت أن نجيناكم - أى: نجينا آباءكم - من بطش قوم فرعون حيث كانوا يكلفونكم، من الأعمال مافيه مشقة بالغة، وإهانة واضحة، وفى هذا أسوأ العذاب البدنى والنفسى، وقد أمعنوا فى هذا العذاب، فكانوا يقتلون الذكور، ويستبقون الإناث، إذلالاً لكم، حتى ينقرض نسلكم، وفى ذلك العذاب والنجاة منه اختبار عظيم من ربكم.

وثانى الآيات، التى ذكر فيها لفظ الآل، هى قوله - تعالى -:

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾(٧) وهى فى نفس السياق السابق، وبيان للطريقة، التى تم بها إنجاء بنى اسرائيل من آل فرعون، وأنه كان معجزة من الله - تعالى - وكان معه إلى جانب ذلك نعمة أخرى، وهى إهلاك أعدائهم، ومعنى الآية - والله أعلم «واذكروا يابنى اسرائيل وقت أن جعلنا لكم البحر طرقاً على عدد أسباطكم، فسرتم فيها، حتى خرجتم إلى الشاطئ الآخر، ولما سار فرعون ومن معه فى هذه الطرق خلفكم، انطبق عليهم البحر، فغرقوا عن آخرهم، وأنتم تشاهدون ذلك بأعينكم، زيادة فى نعمة الله عليكم.

وفى الآية الثامنة والأربعين بعد المائة الثانية ذكرت اللفظة مرتين، قال تعالى -

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٨) والمراد بآل موسى، وآل هارون فيها: أتباعهما، الذين آمنوا بهما، والآية تشير إلى احدى قصص بنى اسرائيل فى عهد نبيهم، صمويل - عليه السلام - الذى عاصر انتصار الفلسطينيين على بنى إسرائيل، وأخذهم تابوت الرب منهم، وهو عبارة عن صندوق فيه التوراة، وبعض مخلفات موسى - عليه السلام - ولما طلب بنو اسرائيل من نبيهم صمويل أن ينصب لهم ملكاً، يقودهم فى الحرب حتى

---

(٥) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الجزء الثانى ص١٦٢ ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية.

(٦) البقرة (٤٩).

(٧) البقرة (٥٠).

(٨) البقرة (٢٤٨).

الله ـ تعالى ـ اختار طالوت لهذه المهمة، فاعترضوا كعادتهم، فى اللجاجة والمخالفة، وقالوا: كيف يكون له الملك علينا وهو فقير لا مال له؟ فبين لهم أن اصطفاء الله له بسبب ماأنعم عليه من القوة العقلية، والبدنية، والعلم بفنون الحروب والمعارك، وقيادة الجيوش، فلم يقتنعوا، وظلوا على لجاجتهم، وسوء معتقدهم، فقال لهم: من دلائل اختيار الله لطالوت أن التابوت الذى أخذ منكم قهراً، سيأتيكم على عجلة (عربة) تجره بقرتان، وتحرسه الملائكة، فيه ماتطمئن به قلوبكم من التوراة، ومخلفات موسى وهارون، وفى هذا معجزة، وآية بينة إن كنتم مؤمنين.

وذكرت هذه اللفظة فى الآية الحادية عشرة من سورة آل عمران، قال – تعالى – : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾(٩).

والمعنى: أن الكافرين سيكونون وقود جهنم، ولن تغنى ـ عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً، كما حدث لقوم فرعون، مع موسى ـ عليه السلام ـ حين كذبوا بآيات الله، فأهلكهم وأغرقهم، بسبب كفرهم، والله شديد العقاب.

وذكرت الكلمة فى السورة نفسها مرتين، فى قوله – تعالى – :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾(١٠).

ومعناها: أن الله ـ تبارك وتعالى ـ اختار للنبوة آدم، ونوحاً ـ عليهما السلام ـ كما اصطفى لها من ذرية ابراهيم، وذرية عمران، من فضلهم على العالمين، بالنبوة والرسالة، كإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وعيسى بن مريم، وسائر الأنبياء والمرسلين وصفوتهم، وأفضلهم محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وذكرت اللفظة مرة واحدة فى سورة النساء، فى قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾(١١).

والمراد بالناس: محمد ـ ﷺ ـ والمراد بآل ابراهيم: الأنبياء الكرام من ذرية ابراهيم ـ عليه السلام ـ والمعنى: إذا حسد اليهود محمداً ـ ﷺ ـ والمؤمنين به على ماآتاهم الله من فضله، فلم لم يحسدوا آل إبراهيم على ما أوتوا من الكتاب والحكمة، والملك العظيم.

وفى سورة الأعراف ذكرت الكلمة، فى قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾(١٢).

والآية: تخبر وتفيد أن الله ـ تعالى ـ أخذ قوم فرعون، أى: عذبهم بالجدب والقحط، ونقص الثمار بسبب تكذيبهم موسى ـ عليه السلام ـ رجاء أن يعرفوا ضعفهم، أمام قدرة الله ـ سبحانه ـ فيؤمنوا بموسى، ومادعاهم إليه، لكنهم لم يتذكروا، ولم يتعظوا.

---

(٩) آل عمران (١١).

(١٠) آل عمران (٣٣).

(١١) النساء (٥٤).

(١٢) الأعراف (١٣٠).

وتأتى الكلمة فى الأعراف مرة أخرى، فى قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾(١٣).

وهى كآية البقرة، التى بدأنا بها هذا الاستعراض.

وفى سورة الأنفال، جاءت الكلمة مرتين، فى قوله - تعالى -:

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(١٤).

وقوله: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾(١٥).

أى: أن الله ـ تعالى ـ أهلك مشركى مكة بالقتل، فى بدر، كما أهلك قوم فرعون، والذين من قبلهم، لأن فعل هؤلاء، كفعل أولئك، فالكل كذبوا بآيات ربهم، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، لأنه شديد العقاب، والجميع كانوا ظالمين، وهما فى المعنى كآية آل عمران..

وجاءت الكلمة فى يوسف:

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(١٦).

والمراد: بآل يعقوب: الأشراف من ذريته، الذين فازوا بشرف النبوة، ففى مثل هذا السياق تستعمل كلمة آل، فى الأشراف، كما يقال آل النبى، وعلى الجملة فكلمة «آل» لا تستعمل إلا فيما شرف، فلا يقال آل الإسكاف وشبهه(١٧) ومعنى الآية، والله أعلم: وكما أراك الله الشمس، والقمر، والأحد عشر كوكباً، ساجدين لك، يجتبيك ويعلمك تفسير الرؤى، ويتم نعمته عليك بالملك والنبوة، كما أتمها على إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم بمن هو أهل للاجتباء والاصطفاء، حكيم فى إرادته وتدبيره.

وفى سورة إبراهيم: نرى الكلمة، فى قوله - تعالى -:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾(١٨).

ومعناها: كالمعنى فى آيتى البقرة، والأعراف.

ووردت الكلمة مرتين فى سورة الحجر، فى الآية ٥٩

﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(١٩)

والآية الحادية والستين:

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾(٢٠) ذلك أن الله ـ تعالى ـ لما حكم على قوم لوط، الذين كانوا يأتون الذكران من العالمين، بالهلاك، أرسل الملائكة، لتتولى تنفيذ هذا الحكم الإلهى، فمروا

---

(١٣) الأعراف (١٤١). (١٤) الأنفال (٥٢). (١٥) الأنفال (٥٤).
(١٦) يوسف (٦). (١٧) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ٢ صـ١٦٣.
(١٨) ابراهيم (٦). (١٩) الحجر (٥٩). (٢٠) الحجر (٦١).

على إبراهيم ـ عم لوط ـ عليه السلام ـ وأخبروه بوجهتهم ومهمتهم، وقالوا له: إن العذاب سيلحق الجميع إلا آل لوط، أى: الذين آمنوا به، فإنهم ناجون، ولما وصلوا إلى قرى قوم لوط أنكرهم لوط، فعرفوه بأنفسهم، وأمروه بالخروج ليلاً قبل أن يطلع الفجر.

وفى الآية السادسة من سورة مريم جاءت الكلمة، فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾(٢١)

وهى من بقية دعاء زكريا ـ عليه السلام ـ ربه أن يرزقه غلاماً طاهراً يرثه فى النبوة، والدين، ويرث آل يعقوب بن ماثان ـ قوم زكريا ـ فى ملكهم، وحسن سياستهم، لأنه عرف أن الأحياء الذين يبقون بعده من عشيرته ليسوا على مستوى وراثة الدين أو الدنيا، ثم قال:

﴿ واجعله رب رضياً ﴾ أى: اجعله براً تقياً مرضياً عندك، تحبه لتقواه، ومرضياً عند خلقك يحبونه لدينه، وخلقه، وحسن سياسته.

وفى سورة النمل جاءت الكلمة، فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾(٢٢).

ذلك أن لوطاً ـ عليه السلام ـ نهى قومه عن الفاحشة، فقال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطاً، ومن آمن به من بلدكم، لأنهم يتنزهون عن فعل ماتفعلون، ويعدونه من الأمور النجسة.

وفى سورة القصص جاءت الكلمة، فى قوله تعالى:

﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾(٢٣)

والمعنى: أن أم موسى ـ عليه السلام ـ ألقته فى البحر، بإلهام من الله، فدفعه الموج إلى قصر فرعون، فأخذه قوم فرعون أخذ اللقطة الثمينة، لتكون عاقبة أمره، كما أراد الله، لا كما أرادوا وأعدوا ومصدر حزن دائم لهم، وذلك لأن فرعون ووزيره وجنودهما أعماهم الكفر عن الصواب، فكان الخطأ دأبهم باستمرار، ولذلك قتلوا الآلاف، مخافة طفل من بنى اسرائيل، تكون نهاية ملكهم على يديه، والتقطوا الطفل، الذى يحذرون، بل وقاموا على تربيته بأنفسهم.

وجاءت الكلمة مرة أخرى، فى سورة سبأ: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾(٢٤)

والآية الكريمة، مع آيات سابقة عليها، ولاحقة لها تذكر مامن الله به على داود وابنه سليمان ـ عليهما السلام ـ ومنها: أن الله ـ تعالى ـ سخر لسليمان الجن، يعملون له مايشاء من القصور الشاهقة، والمحاريب البديعة، والجفان الواسعة، التى تشبه الأحواض الكبيرة، والقدور الثابتة، لضخامتها، والصور المختلفة ثم طلب ـ تعالى ـ من آل داود أن يشكروه شكراً عملياً بالطاعة، وقليل من الناس الذى يقوم بهذا الشكر.

وجاءت الكلمة فى غافر ثلاث مرات، فى آيات ثلاث، وكلها عن آل فرعون: الأولى فى قوله تعالى:

---

(٢١) مريم (٦). (٢٢) النمل (٥٦). (٢٣) القصص (٨). (٢٤) سبأ (١٣).

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾(٢٥).

ذلك أن فرعون لما أصر على قتل موسى ـ عليه السلام ـ انبرى من قومه رجل آمن بموسى سراً، فأنكر عليهم عزمهم، وقال لهم: أتقتلونه بلا ذنب، إلا أنه قال ربى الله، ودعاكم إليه، وأتاكم بالبينات على صدق قوله ودعواه، إن ذلك لا ينبغى أن يكون، ثم إنه إن كان كاذباً انتقم منه الله، الذى كذب عليه، وإن كان صادقاً حل بكم ماأوعدكم به، ولو كان كاذباً ماهداه الله، ومأيده بهذه المعجزات، التى شاهدتموها، فالله لا يهدى الكذاب المسرف فى كذبه، وفى هذا تعريض بفرعون، وأنه مسرف فى الفساد، والقتل، والكذب، إذ لا كذب أفحش من ادعاء الربوبية.

والثانية، والثالثة: فى قوله تعالى:

﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾(٢٦).

والحديث فيهما عن مؤمن آل فرعون، الذى أخلص النصح لقومه الكافرين فما انتفعوا، ولا ارتدعوا، بل كادوا له ومكروا به، ففوض أمره إلى الله، فحفظه الله من مكرهم، السئ، وكيدهم الخبيث، بأن نجاه مع موسى من الغرق، وأدخله الجنة فى الآخرة، وحل بآل فرعون عذاب الدنيا بالغرق، وعذاب الآخرة فى جهنم، وبين الغرق وجهنم عذاب القبر، إذ يعرضون فيه على النار فى الغداة، والعشى، وحين تقوم الساعة يقال للملائكة: أدخلوا آل فرعون أشد العذاب.

وذكر اللفظ مرتين فى سورة القمر فالأولى فى قوله – تعالى –:

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَـٰهُم بِسَحَرٍ ﴾(٢٧)

لقد كذب قوم لوط بآيات الله، التى أنذرهم بها، فأرسل الله عليهم الريح الشديدة، ترميهم بالحصباء، وحجارة السجيل، فهلكوا إلا آل لوط، أى: المؤمنين نجاهم الله من هذا العذاب، حيث خرجوا من البلدة بأمر الله فى آخر الليل قبل أن يحل العذاب بالكافرين.

والثانية فى قوله – تعالى –:

﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴾(٢٨) أى: والله لقد جاء آل فرعون الإنذارات تترى، والآيات مترادفة، الآية تلو الأخرى، فكذبوا بالآيات كلها، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

وننهى هذا المقال عن لفظ الآل ببقية معانيه، فاللفظ من المشترك، ومن معانيه: السراب، والخشب، وأطراف الجبل، ونواحيه، والشخص، وعمد الخيمة، غير أن القرآن الكريم لم يستعمل اللفظة بأحد هذه المعانى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٢٥) غافر (٢٨).
(٢٦) غافر الآيتان (٤٥، ٤٦).
(٢٧) القمر (٣٤).
(٢٨) القمر (٤١).

دلائل القدرة الإلهية تفحم المذاهب الهدامة

للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

إن دلائل القدرة الإلهية فى السموات والأرض على خالق الكون، وعلى وحدانيته، وأنه المحيى والمميت، دلائل تفحم كل الملحدين، والوجوديين، وأرباب المذاهب الهدامة، قال - تعالى - :

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾(١).

إن قدرة الله – تعالى – على كل شئ واضحة، لدى كل مؤمن، فإن الله – سبحانه – هو الذى خلق السموات والأرض، وبيده مقاليد كل شئ، وهو المحيى والمميت، وهو على كل شئ قدير، وهو الذى يبعثنا بعد الموت، وأدلة البعث كثيرة وواضحة، تمام الوضوح، ولا ينكرها إلا جاحد أو معاند، فالله – سبحانه – خلق الإنسان من عدم، وهو الذى يحييه ويبعثه، وفى هذه الآيات الكريمة، رد على من أنكر البعث، واستدلال قوى ببدء الخلق على إعادته، فإن الله – تعالى – الذى خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين، ومن نطفة ضعيفة، قادر على إعادته بعد موته، ولقد جاء أبى بن خلف إلى رسول الله – ﷺ – وفى يده عظم رميم، وهو يفته، ويذره فى الهواء، وهو يقول : يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال – ﷺ – : نعم يميتك الله – تعالى – ثم يبعثك، ثم يحشرك، إلى النار».

ونزلت هذه الآيات من آخر سورة «يس»

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا

(١) سورة يس الآيات (٧٧ – ٨٠).

مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾(٢)

والآيات عامة فى كل من أنكر البعث، والألف واللام فى قوله – تعالى –:

﴿ **أولم ير الإنسان** ﴾ للجنس، يعم كل منكر للبعث، ولقد مات أبى بن خلف على الكفر، والضلالة كما أخبر الرسول – ﷺ –

وأن الله – تعالى – الذى أنشأ تلك العظام البالية، أول مرة، هو الذى يحييها ويبعثها، وهو بكل خلق عليم، يعلم العظام فى سائر أقطار الأرض وأرجائها، أين ذهبت وأين تفرقت وتمزقت؟ وفيما رواه الإمام أحمد بسنده، قال عقبة بن عمرو لحذيفة – رضى الله عنهما – ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله – ﷺ –

فقال سمعته – ﷺ – يقول: «**إن رجلا حضره الموت، فلما أيس من الحياة أوصى أهله، إذا أنا مت فاجمعوا لى حطبا كثيرا جزلا، ثم أوقدوا فيه نارا، حتى إذا أكلت لحمى، وخلصت إلى عظمى، فامتشحت – أى احترقت فخذوها فدقوها فذروها فى اليم، ففعلوا فجمعه الله – تعالى – إليه، ثم قال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر الله – عز وجل – له**».

وهو فى الصحيحين بلفظ: «إنه أمر بنيه أن يحرقوه، ثم يسحقوه، ثم يذروا نصفه فى البر، ونصفه فى البحر، فى يوم رائح، أى: كثير الهواء، ففعلوا ذلك، فأمر الله – تعالى – البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال له: كن فإذا هو قائم، فقال له: **ما حملك على ما صنعت؟ قال: مخافتك، وأنت أعلم، فما تلافاه أن غفر له» ثم أوردت الآيات الكريمة دليلا آخر على قدرة الله – تعالى – وعظمته، وعلى الموت والحياة، وعلى البعث، وذلك بما فى الكون من مخلوقات، وبما أنبته الله – تعالى – فى الأرض من أشجار، فهو – سبحانه – قد بدأ خلق الشجر أخضرنضرا مثمراً، ثم هو – سبحانه – الذى يعيد الشجر حطبا يابساً، توقد به النار.**

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾(٣)

وقال قتادة فى هذه **الآية**: يقول الذى أخرج هذه النار من هذا الشجر، قادر على أن يبعثه، وقيل المراد بذلك: شجر المراخ والعفار يأتى من أراد قدح النار، وليس معه زناد فيأخذ منه عودين أخضرين، ويقدح أحدهما بالآخر، فتتولد النار من بينهما كالزناد.

إنها قدرة الله – تعالى – الذى يفعل ما يشاء، ويخلق ما يشاء، فهو الفعال لما يريد، لا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء، فكيف ساغ لأولئك الجاحدين والمعاندين أن ينكروا البعث؟ وشواهده من الوضوح بمكان، بحيث لا ينكره صاحب عقل، ولكن إنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور.

---

(٢) سورة يس الآيات (٧٧ –٧٩).

(٣) سورة يس (٨٠).

لقد اتضح دليل البعث من خلق الإنسان، ووجوده بعد العدم، وبعد أن لم يكن شيئا مذكورا، وهذا دليل على أن البدأ من العدم أكبر، والقادر على خلق الإنسان من العدم، وعلى خلقه أول مرة قادر على إعادته، وعلى البعث والنشور، والحساب، والعقاب، وهذا دليل من نفس الإنسان، ومن خلق الإنسان.

وهناك دليل آخر كونى، يتضح من هذه الأشجار، التى خلقها الله – تعالى – وجعل من شجرها الأخضر ناراً، يوقدون منها، وأنها أدلة قوية، وشواهد ناطقة، بأن الله – سبحانه – قادر على البعث والإعادة، قادر على الحياة والموت، قادر على كل شئ، لأنه خالق كل شئ، فلا معبود غيره، ولا رب سواه، تبارك الله رب العالمين.

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾(٤)

وفى هذه الآيات الكريمة استدلال على البعث، وعلى إعاده خلق الأجساد، وذلك بالتنبيه، والإشارة إلى خلق السموات والأرض، فالسموات السبع بما فيها من الكواكب السيارة، والأرض وما فيها من جبال وبحار، وقفار وأشجار وأنهار، فى خلق هذا الكون الفسيح، والملكوت الكبير أكبر دليل على البعث والنشور، وعلى إعادة الناس، لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، فخالق هذه المخلوقات وهو الله – سبحانه وتعالى – قادر على خلق الناس، وإعادتهم وبعثهم بعد موتهم، فهو الذى بدأ الخلق، وهو الذى يعيده، وهو على كل شئ قدير.

وقال – تعالى – فى آية:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٥)

فهو – سبحانه – لا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء، وهو – سبحانه – الخلاق العليم، لا خالق سواه، فهو الواحد الأحد، القادر العظيم، الذى يعلم السر وأخفى، ويعلم ما تبذون وما تكتمون، لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء... وأمره – تعالى – نافذ، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، إذا أراد نفذ المراد، وأمره واحد لا يحتاج إلى تكرار،

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٦)

وهو – سبحانه – المنزه عن الخلق، الملك القدوس، إليه يرجع الأمر كله، له الخلق والأمر، وله المرجع والمآب، وهو العادل الذى يجازى كل إنسان بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، له كل شئ وإليه ترجعون.

وتنزيه الله – تعالى – وتسبيحه من أهم ما ينبغى أن تشتمل عليه عبادة المسلم، آناء الليل وأطراف النهار، فى عمله وسيره،

---

(٤) سورة يس الآيات (٨١ – ٨٣). (٥) سورة الأحقاف (٣٣). (٦) سورة يس ٨٢.

وعبادته، ولقد ضرب رسول الله- ﷺ - أروع الأمثلة فى العبادة، وفى تسبيح الله وحده وشكره، روى الإمام أحمد - بسنده - **عن حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - قال: قمت مع رسول الله - ﷺ - ذات ليلة، فقرأ السبع الطوال فى ركعات، وكان - ﷺ - إذا رفع رأسه من الركوع، قال: سمع الله لمن حمده، ثم قال: «الحمد لله ذى الملكوت والجبروت، والكبرياء والعظمة، وكان ركوعه مثل قيامه، وسجوده مثل ركوعه، فانصرف وقد كادت تنكسر رجلاى.**

وفيما رواه أبو داود - بسنده - عن عوف ابن مالك الأشجعى - رضى الله عنه - قال: قمت مع رسول الله - ﷺ - ليلة فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ، قال: ثم ركع بقدر قيامه، يقول فى ركوعه: سبحان ذى الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة، ثم سجد بقدر قيامه، ثم قال فى سجوده مثل ذلك، ثم قام فقرأ بآل عمران،

والآيات الكريمة، تؤكد وضوح الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، على قدرة الله العزيز الحكيم، وعلى البعث، وإعادة الناس، والإيمان بالبعث أو اليوم الآخر، من صميم العقيدة الإسلامية، ومن أركان الإيمان بالله - تعالى - ففى حديث جبريل حين سأل الرسول - ﷺ - عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر، خيره وشره»، وفى رواية قال: **«أن تؤمن بالله وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر».**

واختلف فى المراد بالجمع بين الإيمان بلقاء الله - تعالى - والبعث، فقيل: اللقاء يحصل بالانتقال إلى دار الجزاء والبعث بعده عند قيام الساعة، وقيل: اللقاء: ما يكون بعد البعث عند الحساب.

وقال الإمام النووى، وأما وصف البعث بالآخر، فقيل هو مبالغة فى البيان والإيضاح، وذلك لشدة الاهتمام به، وقيل سببه: أن خروج الإنسان إلى الدنيا بعث من الأرحام، وخروجه من القبر للحشر، بعث من الأرض، فقيد البعث بالآخر ليتميز.

هذا، الإيمان بالبعث أعظم واقع دافع للإنسان، ليأخذ من حياته زادا لآخرته، كى يفوز برضا ربه - سبحانه وتعالى - فى اليوم الآخر.

وكما ثبتت أدلة البعث والإعادة، عن طريق خلق الإنسان، وخلق الأكوان فقد ثبت كذلك عن طريق الإيمان، بأن الله - تعالى - حكيم وعادل.

فما دام الخالق حكيماً وعادلاً، فيستحيل عليه العبث والظلم، كما قال سبحانه:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾(٧)

---

(٧) سورة المؤمنون الآيتان (١١٥، ١١٦).

القرآن الكريم كتاب الهداية

لفضيلة الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر

القرآن الكريم هو كتاب الله المعجز المنزل على محمد - ﷺ -. وقد تحدى به العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة. فعجزوا عن الإتيان بمثله، كما عجزوا عن الإتيان بعشر سور فى مثله، وعجزوا كذلك عن الإتيان بسورة من مثله مع استمرار التحدى، وقد ثبت بذلك أنه كلام الله - عز وجل -.

وما دام العرب قد عجزوا عن الإتيان بشىء من مثله فإن غيرهم يكون أشد عجزا، ولهذا قال الله - سبحانه -:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(١).

والقرآن الكريم هو كتاب الهداية التامة الشاملة لكل الخلق، مصداقا لقول الله - تبارك وتعالى -: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾(٢).

وهو هدى لكل الناس لأنه يتضمن الرسالة الخاتمة التى بعث الله بها محمدا - ﷺ - وهى بالإضافة إلى كونها الخاتمة رسالة عالمية لأن الله - تعالى - يقول:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣).

وقد أكد القرآن الكريم حقيقة عالمية الهداية القرآنية الملازمة لعالمية الرسالة الإسلامية وذلك فى قول الله - تعالى -:

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾(٤).

وتبرز هذه الحقيقة بوضوح تام إذا تأملنا الآية القرآنية الآتية:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾(٥).

فإذا كان من المعلوم أن القرآن الكريم وصف

(١) الإسراء: ٨٨. (٢) البقرة: ١٨٥. (٣) الأنبياء: ١٠٧.
(٤) إبراهيم: ١. (٥) إبراهيم: ٥.

التوراة بأنها فيها هدى ونور، فإن هذه الآية تصرح بأن هذا الهدى والنور لإخراج قوم موسى من الظلمات إلى النور، أما القرآن الكريم فقد نزل لإخراج كل الناس من الظلمات إلى النور.

ومما يؤكد عالمية الهداية القرآنية ـ أيضا ـ قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾(٦).

والمعنى: يا محمد إنا أنزلنا عليك القرآن بالحق لجميع الخلق لتنذرهم به، فمن اهتدى بهداه فإنما يعود نفع ذلك إلى نفسه، ومن رفض هداه وضل فإن ضلاله على نفسه ولست موكلا بهدايتهم، إنما أنت نذير، والله على كل شيء وكيل.

وقد أنزل الله القرآن على محمد النبى الأمى الذى بعثه الله فى الأميين حتى لا يقول هؤلاء الأميون لم ينزل علينا كتاب كما أنزل من قبل على اليهود والنصارى فأنزل الله القرآن ليقطع حجتهم وليكون هدى ورحمة لمن اتبعه.

وفى هذا المعنى يقول الله ـ سبحانه ـ:

﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴾(٧).

والمعنى: لقد أنزلنا إليكم هذا الكتاب لئلا تقولوا إن الكتب السابقة قد أنزلت على اليهود والنصارى وليست بلساننا فلم نفهم شيئا منها، فقطعنا عذركم وأبطلنا حجتكم، وحتى لا تقولوا لو أنزل علينا كتاب كما أنزل عليهم لكنا أهدى منهم، فها هو القرآن الكريم قد جاءكم على لسان محمد النبى العربى كتاب عظيم فيه بيان الحلال والحرام، وهدى لما فى القلوب، ورحمة من الله لعباده الذين يتبعونه وينتفعون بما فيه، وليس هناك من هو أشد ظلما لنفسه ولغيره ممن كذب بآيات الله وأعرض عنها فلم ينتفع بها، وأضاف إلى ذلك الصد عن سبيل الله وصرف الناس عن آياته، وسنجزى هؤلاء سوء العذاب عقوبة لهم على أفعالهم.

ولما استمع نفر من الجن إلى القرآن اهتدوا بهداه واعترفوا بفضله وحكى القرآن ذلك الحدث فى عدد من المواضع.

الموضع الأول: يتحدث فيه الذين اهتدوا بالقرآن من الجن قائلين كما سجل القرآن الكريم:

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾(٨).

وهم فى هذه الآية يعلنون عن سعادتهم وفخرهم بنوال شرف الاستماع إلى القرآن والاهتداء بهديه ـ وهو شرف رفيع حقا ـ وقد وصفوا القرآن بأنه الهدى ـ وهذا ـ أيضا ـ حق.

---

(٦) الزمر: ٤١.

(٧) الأنعام: ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٨) الجن: ١٣.

الموضع الثانى: يأمر الله فيه رسوله ـ ﷺ ـ بأن يخبر قومه بأن الجن قد استمعوا إلى القرآن وآمنوا به وصدقوه وانقادوا له وشهدوا له بأنه عجيب جدا، وأنه يهدى إلى الرشد والسداد وتوحيد الله ـ عز وجل ـ. يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾(٩).

الموضع الثالث: شبيه بما جاء فى الموضع الثانى وهو قول ـ الله تعالى ـ:

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(١٠).

لكن الله هنا يخبر رسوله ـ ﷺ ـ باستماع الجن له وإيمانهم بالقرآن وقيامهم بدعوة قومهم إلى الإسلام.

وهناك يأمر الله رسوله ـ ﷺ ـ بإعلام قومه بخبر هؤلاء الذين اهتدوا من الجن بعد استماعهم للقرآن الكريم.

ولما سأل بعض اليهود رسول الله ـ ﷺ ـ عدة أسئلة ووعدوه أن يؤمنوا به إن أجابهم عليها فلما أجابهم تهربوا بحجة واهية ونقضوا عهدهم مع رسول الله ـ ﷺ ـ وسجل القرآن الكريم ذلك كما دونته كتب السنة وقصة ذلك كما يلى:

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: حضرت عصابة من اليهود عند رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبى فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «سلوا عما شئتم ولكن اجعلوا إلى ذمة وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم عن شىء فعرفتموه لتتابعننى على الإسلام» فقالوا: ذلك لك، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «سلوا عما شئتم» قالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن، فخبرنا أى الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل، وكيف يكون الذكر والأنثى، وأخبرنا بهذا النبى الأمى فى التوراة ومن وليه من الملائكة؟. فقال النبى ﷺ: «عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعننى؟» فأعطوه ما شاء الله من عهد وميثاق، فقال: «نشدتكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل - يعقوب - مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من مرضه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام إليه لحوم الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها؟» فقالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «اللهم أشهد عليهم وأنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو الذى أنزل التوراة على موسى هل

---

(٩) الجن: ١ ـ ٢.

(١٠) الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٢.

تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيظ وأن ماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله ـ عز وجل ـ ، وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكرا بإذن الله، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله – عز وجل – « قالوا: اللهم نعم. قال: « اللهم اشهد وأنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبى الأمى تنام عيناه ولا ينام قلبه؟ »

قالوا: اللهم نعم، قال: « اللهم اشهد »، قالوا: أنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة؟ فعندها نجامعك أو نفارقك[11] قال: « فإن وليى جبريل ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه قالوا: فعندها نفارقك، ولو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك، قال: « فما يمنعكم أن تصدقوه؟ قالوا: إنه عدونا فأنزل الله ـ عز وجل ـ:

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[12].

فعندها باءوا بغضب على غضب)[13].

والمعنى: قل لهم يا محمد من كان عدوا لجبريل فقد عادى من أرسله وهو الله ـ عز وجل ـ لأن جبريل لا ينزل من تلقاء نفسه وإنما ينزل بإذن الله وأمره كما قال – تعالى –:

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[14]

وكما قال – سبحانه –:

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[15].

ومن عادى رسولا من رسل الله سواء أكان هذا الرسول من الملائكة أم من الناس غضب الله عليه، وقد نزل جبريل على قلبك بهذا الكتاب الذى يصدق ما سبقه من الكتب المنزلة من عند الله وهو هدى لقلوب المؤمنين، وبشرى لهم بالجنة.

وهذا خاص بالمؤمنين وحدهم كما قال الله ـ سبحانه: ـ

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾[16].

أى: قل لهم يا محمد إن هذا القرآن هدى لقلب من تدبره وآمن به، وشفاء لما فى الصدور من الريب والشكوك، أما الذين لم يتدبروه ولم يؤمنوا به ففى آذانهم صمم لا يسمعون ولا يفهمون، وهم عمى لا يهتدون إلى ما فيه من البيان، وهم كمن ينادى من مكان بعيد فلا يفهم ما يقال له والمقصود البعد عن قلوبهم.

---

(١١) أى هذه هى الفاصلة فإما أن نتبعك وإما أن نرفض دعوتك.

(١٢) البقرة: ٩٧ ـ ٩٨.

(١٣) الحديث رواه الطبرى والإمام أحمد، انظر ابن كثير.

(١٤) مريم: ٦٤..

(١٥) الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥.

(١٦) فصلت: ٤٤.

وهذا نظير قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾(١٧).

وهو أيضا نظير قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾(١٨).

فمن اتخذ القرآن دليلا وقائدا اهتدى بهداه واستضاء بنوره ونال كل خير وحصل على الأمن والسلام ومضى فى حياته على أقوم المناهج وأعدلها.

وهذا ما جاء فى قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(١٩).

وما جاء فى قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢٠).

وأيضا فإن من هداية القرآن للمؤمنين دون سواهم أن المسائل التى اختلف فيها بنو إسرائيل جاء القرآن ليفصل فيها ويقول كلمة الحق التى يقبلها المهتدون ويرفضها الضالون وفى هذا المعنى جاء قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾(٢١).

يخبر الله ـ تعالى ـ عن كتابه العزيز وما استحل عليه من الهدى والبيان والفرقان بين الحق والباطل إنه يقص على بنى إسرائيل الذين نزلت عليهم التوراة والإنجيل بيان كثير بما يختلفون فيه من مثل اختلافهم حول عيسى ـ عليه السلام ـ فجاء القرآن ليكشف عن وجه الحق فيه، ويؤكد أنه عبدالله ورسوله، وبذلك يؤدى القرآن مهمته باعتباره كتاب هدى ورحمة يهدى قلوب المؤمنين به ويرحمهم بشريعته السمحة، وسيحكم الله يوم القيامة بين هؤلاء المختلفين، وأما أنت يا محمد فامض على طريق دعوة الحق التى بعثت بها متوكلا على الله غير عابىء بمخالفيك ممن كتبت عليهم الشقوة، فأنت على الحق المبين.

---

(١٧) الإسراء: ٨٢.

(١٨) التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥.

(١٩) الإسراء: ٩.

(٢٠) المائدة: ١٥ ـ ١٦.

(٢١) النمل: ٧٦ ـ ٧٩.

وقد جاء فى وصف القرآن أيضا قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾[22].

وليس هناك تعارض بين هذه الآية ومثيلاتها وبين الآيات التى تصف القرآن الكريم بأنه هدى للناس ذلك لأنه بمبادئه الحكيمة وتعاليمه السمحة صالح لهداية الناس جميعا إذا أصغوا إليه وتدبروا آياته وأعملوا عقولهم فى فهم مقاصده وأغراضه، وفتحوا قلوبهم لقبول هدايته، وأما الذين أعرضوا عنه وعموا وصموا عن رؤية نوره والاستماع إلى هديه، فلا يملك القرآن لهم شيئا بعد أن اختاروا طريق الضلالة ورفضوا الهداية وذلك يعنى أن العيب فيهم وليس فى القرآن الكريم.

ومن تمام هداية القرآن الكريم أنه تضمن بيانا وتوضيحا لكل شىء، وأرشد الناس لكل ما يصلحهم ويسعدهم فى دنياهم وأخراهم، وحذرهم من كل ما يفسدهم ويشقيهم فى الدنيا والآخرة ففيه علاج كل الأدواء وشفاء كل الأمراض، وحل كل المشكلات، وفى هذا يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩ ﴾[23].

والمعنى : أن القرآن الكريم قد اشتمل على كل علم نافع من أخبار ما قد سبق وما سيأتى، وكل حلال وكل حرام، وكل ما يحتاج إليه الناس فى أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم، وهو بهذا هدى للقلوب ورحمة وبشرى للمسلمين الذين التزموا بهديه بأنهم المفلحون الفائزون.

عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إنها ستكون فتن قيل: فما المخرج منها؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم، وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تشبع منه العلماء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تخلق عن الرد، ولا تنقضى عجائبه، هو الذى لم تفته الجن إذ سمعته عن أن قالوا: « إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ » من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم »[24].

---

(٢٢) البقرة: ١ ـ ٢.

(٢٣) النحل: ٨٩.

(٢٤) رواه الترمذى.

موقف الإسلام من غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية وموقف المجتمعات الغربية من المسلمين

للمستشار / السيد علي بن السيد عبد الرحمن آل هاشم

(١)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضى الله ـ تبارك وتعالى ـ عن جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـــد ..

فالإسلام دين عالمي، ذو نزعة إنسانية، يهدف إلى سعادة البشر جميعاً، يبرهن كل شيء فيه على صدق هذه الحقيقة، كما تبرهن نظرته لمخالفيه على أصالة الاتجاه إلى تحقيق أخوة إنسانية عامة، ينعم الناس بها على اختلاف عقائدهم، وتباين مذاهبهم، فهو لا يُكْرِه أحداً على عقيدته، ولا يَحْمِله على اتباع مذهبه، وإنما يعرض فكرته في سماحة ويسر: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(١).

ويقول عز من قائل:

﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾(٢).

(×) الكاتب: مستشار رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة بديوان الرئاسة.

(١) سورة الكهف، من الآية (٢٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٢٠).

إن الإسلام دين الرحمة والسلام، يقول الله - تعالى -:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾(٣).

ويقول تعالى:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾(٤).

وساحة الإسلام ساحة رحبة واسعة، يأوى إليها المشرك مستجيراً خائفاً فيؤمِّنه، ولا يستغل نقطة الضعف فيه.

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾(٥).

إن الإسلام لا يدع سبيلاً لإقامة المودة بين البشر إلا سلكه، ولا يترك باباً من أبواب الخير إلا سار فيه، يمد يد السِلم لمن سالمه، ويبذل النصح لمن خاصمه، إنه دين السلام والرحمة، أليست تحية المؤمن عند كل لقاء وفراق: «السلام عليكم ورحمة الله»؟.. أليست هذه التحية هى ختام صلاته دائماً؟.. يبثها يميناً وشمالاً، ويستقبل بها الدنيا، بل إن القرآن الكريم نزل فى ليلة وُصِفَتْ بأنها سلام:

﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾(٦).

ورسالة النبى - ﷺ - كُلُها رحمة:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٧)

«**إنما أنا رحمة مهداة**».

إن رحمة الإسلام عامة شاملة، لا تخص بنى آدم فحسب، بل تشمل الحيوان، وكل ذى كبد. «**فى كل كبد رطبة أجر**».ويقرر أن الأخوة العامة، والود والتعارف، أهم ركائز المجتمع المسلم، بل إن التعايش السلمى، الذى تنشُدُه الإنسانية، قائم فى الإسلام على أساس العدل بين العباد، والتعاون بينهم، كما أنه مقرر فى شرائعه مودة الناس جميعاً، ومصاهرة أهل الكتاب، وإحلال طعامهم، وحسن معاملتهم، وأنه مد ظلاله على كثير من الأوطان المتنافرة، والديار المختلفة، شملها بنعمة الإخاء، والتعاون، والطمأنينة، والعدل، وعاشت تحت ظله فئات كثيرة تخالفه فى العقيدة، فما وجدت منه إلا المودة والبر، حتى لقد تقلد كثير من غير المسلمين منصب الوزارة فى ديار الإسلام، وبقيت مقدسات اليهود والنصارى فى دولته، مصونة، بحمايته قائمة برعايته، إن الدين الذى أباح للزوجة الكتابية، وهى فى كنف مسلم يرعاها، أن تزاول شعائر دينها، وأن

---

(٣) سورة الممتحنة. الآية (٨).

(٤) سورة البقرة، الآية (١٩٠).

(٥) سورة التوبة، من الآية (٦).

(٦) سورة القدر، الآية (٥).

(٧) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

تذهب إلى كنيستها، لن يَضِنَّ على أصحاب دين آخر، أن يعيشوا وأن يزاولوا أمورهم وشعائرهم فى حرية كاملة، وعدالة مُطْلَّقَة.

بعد هذه المقدمة لابد من تقسيم هذا الموضوع إلى عدة نقاط، ومجموعة من العناصر، تُبَيِّن حكم الإسلام وشريعته الخالدة.

أولاً : موقف الإسلام من غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى :

ويشتمل على الأمور التالية :

١- مبدأ حرية العقيدة.

٢- المساواة فى الحقوق والواجبات.

٣- الالتزام بأحكام الشرائع السابقة فى الأحوال الشخصية.

ثانياً : موقف المجتمعات الغربية من المسلمين :

أ) التواجد الإسلامى فى أوروبا، خصوصيته، وتفاعُله مع المجتمع.

ب) الجاليات الإسلامية فى الغرب، مشكلاتها، دورها فى تعزيز التفاعُل الحضارى وواجباتها.

موقف الإسلام من غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى

قامت دولة الإسلام بدورها العالمى، على عهد النبوة، وأيام الخلافة الراشدة، وتدافع التيار إلى مداه أيام خلافة الأمويين، والعباسيين، والعثمانيين، وقد كان حال الناس مع هذا الخطاب، وتلك الدعوة صنفين: صنف آمن وخضع لأحكامه، وهؤلاء هم المسلمون، وصنف لم يؤمن به وأنكر الدعوة والرسالة، وهؤلاء هم غير المسلمين. ثم انقسم أمرهم مع المسلمين عبر التاريخ الإسلامى إلى قسمين:

القسم الأول: المحاربون: وهم الذين حاربوا المسلمين، وناصبوهم العداء.

القسم الثانى: المعاهدون: وهم الذين عاهدوا المسلمين، على ترك القتال فترة مؤقتة، من غير أن يخضعوا لحكم الإسلام، ودون أن تصير بلادهم جزءاً من دار الإسلام، وهؤلاء هم الموادعون، أو أهل الذمة، إذا دهم العدو بلاد المسلمين، أو كان النفير عاماً كان من الحق الواضح أن يعطى المسلمون الجزية، وأن يلزم بها أهل الذمة، ماداموا غير ملزمين بالقتال مع المسلمين.

قال الماوردى: «ويلتزم لهم ببذلها حقان: أحدهما الكف، والثانى: الحماية لهم، ليكونوا بالكف آمنين، وبالحماية محروسين» .(٨).

مبدأ حرية العقيدة

مبدأ حرية العقيدة، وممارسة العبادات والشعائر الدينية:

(٨) الأحكام السلطانية للماوردى (١٤٣).

لقد كفل الإسلام لغير المسلمين، فى المجتمع الإسلامى، الاستمتاع بحرية اعتقادهم، وحقهم فى ممارسة عباداتهم، وإظهار شعائرهم الدينية، فى أمصارهم، وأحيائهم الخاصة ولو كان يساكنهم فيها نفر من المسلمين، ومنع من إكراههم على غير ما يعتقدون، قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾[٩] .. ومما يؤكد ذلك ما جاء فى عهده ـ ﷺ ـ لليهود فى المدينة المنورة: «للمسلمين دينهم ولليهود دينهم»[١٠].

وفى كتابه ـ ﷺ ـ إلى أهل اليمن: «أنه من كان على يهوديته، أو نصرانيته، فإنه لا يفتن عنها، وعليه الجزية»[١١].. وفى عهده لأهل نجران: «ولنجران وحاشيتها، جوار الله، وذمة محمد النبى رسول الله ـ ﷺ ـ على أموالهم، وأنفسهم، وأرضهم، وملتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم، من قليل، أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهنته»[١٢].. وقد سار على هذا النهج الخلفاء الراشدون –رضى الله عنهم– وعهودهم ناطقة بذلك.

وكتب عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– إلى نصارى بنى تغلب عهداً، ومما جاء فيه: «ألا يُكرهوا على دين غير دينهم»[١٣].

وفى عهده – رضى اله عنه – لأهل القدس، جاء ما يلى:

«هذا ما أعطى عبد الله: عمر أمير المؤمنين، أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وصلبانهم، سقيمها وبريئها، وسائر ملتها، ألا تُسْكَنْ كنائسهم، ولا تُهدم، ولا يُنقض منها ولا من حيِّزها، ولا من صليبهم، ولا من شىء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم»[١٤].

كما كتب خالد بن الوليد –رضى الله عنه– إلى أهل دمشق، تأميناً على أنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم.

وكتب حبيبُ بن مسلمة لأهل تفليس، من أرض الهرمز أماناً لهم، ولأولادهم، ولأهلهم، وأموالهم وصوامعهم، وبيعهم، ودينهم، وصلواتهم، وكان ذلك فى زمن الخليفة عثمان بن عفان –رضى الله عنه–[١٥].

وهذه الشواهد التاريخية، مجمعة فى

---

(٩) سورة البقرة، من الآية (٢٥٦).

(١٠) الأموال لأبى عبيد.

(١١)المصدر السابق.

(١٢) الخراج لأبى يوسف.

(١٣) الأموال لأبى عبيد.

(١٤) تاريخ الأمم والملوك للطبرى (٣/٦٠٩). والوثائق السياسية لمحمد حميد الله.

(١٥) الأموال لأبى عبيد.

حجة واضحة معروفة، على أن لغير المسلمين أن يتمتعوا بعقائدهم، وعباداتهم، وأماكن عباداتهم، وأن يظهروا شعائرهم فى أمصارهم، وأحيائها الخاصة، وليس لأحد أن يتعرض لهم بالمنع، أو إكراههم على غير ما يحبون، ما كان ذلك فى نطاق الاعتقاد والعبادة، وإظهار الشعائر، دون أن يؤذوا المسلمين، أو يتعرضوا لعقائدهم بالسوء.

قال سلطان العلماء الكاسانى: «ولا يمنعون من إظهار شىء مما ذكرنا من بيع الخمور، والخنزير والصليب، وضرب الناقوس فى قرية، أو موضع ليس من أمصار المسلمين»(١٦).

وقال الأستاذ/ عبد الكريم زيدان: أن لولىّ الأمر أن يسمح فى الوقت الحاضر، بإظهار شعائر غير المسلمين فى أمصارهم، وأمصار المسلمين، إذا أمن الفتنة، ولم يترتب عليه إضرار بالمسلمين، لأن ذلك يتفق ومبدأ تركهم، وما يدينون، دون التضييق عليهم(١٧).. مستدلاً بما جاء فى عهد خالد ابن الوليد -رضى الله عنه- لأهل عانات، وقد جاء فيه: «ولهم أن يضربوا نواقيسهم، فى أى ساعة شاءوا، من ليل أو نهار، إلا فى أوقات الصلوات، وعلى أن يخرجوا الصلبان فى أيام أعيادهم، وقد أعطى خالدٌ هذا العهد - أيضاً - لأهل قرقيسيا»(١٨).

وكذلك ما فعله عمرو بن العاص فى إطلاق الحرية الدينية للأقباط فى مصر(١٩).

والذى يظهر من قراءة نصوص القرآن، والسنة، والاطلاع على الآثار الثابتة عن النبى - ﷺ - وصحابته وذوى السلطان -رضى الله تعالى عنهم- فى سائر عهود الإسلام الزاهرة، أن مسألة الحرية الدينية، وما يستتبع ذلك من العبادات، وإظهار الشعائر لم يرد فيه حد، بحيث لا يجوز خلافه، وأنها من أمور (السياسة الشرعية) التى تُناط بنظر ولىّ الأمر، يقر منها ما لا يجلب مفسدة على المسلمين، أو يهدر مصلحة مشروعة لهم، ولأن تصرفات ولىّ الأمر على الرعية منوطة بالمصلحة. قال العلاَّمة أبو الضياء خليل بن إسحاق المالكى فى «مختصره»: (وللإمام المُهادنة لمصلحةٍ... ووجب الوفاء)(٢٠).

---

(١٦)بدائع الصنائع للكاسانى.

(١٧) أحكام الذميين والمستأمنين.

(١٨) الخراج لأبى يوسف.

(١٩) تاريخ الإسلام السياسى لحسن إبراهيم.

(٢٠) شرح العلامة محمد بن عبد الله الخرشى على مختصر خليل (١٣/١٥٠).

من بركات فاتحة الكتاب

لفضيلة الشيخ / أحمد بن محمد طاحون

من بركاتها وعظيم شأنها

فاتحة الكتاب: افتتحت بها الصحابة كتابة المصحف الإمام، ويبدأ بكتابتها فى المصاحف، ويبدأ بقراءتها فى الصلاة.

هى سورة عظيمة الخير والبركة، معانيها جليلة، وتوجيهاتها عظيمة ولعظم بركتها فإنها السورة التى تثنى وتكرر فى الصلاة، ومن قرأها بإخلاص وتدبر، وانتفع بمعانيها كانت له خيراً من الدنيا وما فيها.

إنها: أم القرآن، والسبع المثانى، وأم الكتاب، وسورة الحمد.

وهى الشافية بفضل الله وإحسانه، وهى الكافية ففى الصلاة - مثلاً - تكفى عن غيرها، ولا يكفى غيرها عنها.

جاء عنها فى الحديث الشريف: «ما أنزل الله فى التوراة، ولا فى الإنجيل، ولا فى الفرقان مثلها»(١).

أحد النورين

وجاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: «بينا رسول الله - ﷺ - عنده جبريل إذ سمع نقيضا - صوتاً - فوقه، فرفع جبريل بصره إلى السماء وقال: هذا باب قد فتح من السماء، ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك، فأتى النبى - ﷺ - فقال: أبشر بنورين، قد أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفا منهما إلا أوتيته»(٢).

ومن بركتها أنها رقية

وجاء عند الحافظ أبى بكر البزار عن أنس قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إذا وضعت جنبك على الفراش، وقرأت فاتحة الكتاب و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فقد أمنت من كل شئ إلا الموت».

وقد جاء عند البخارى فى فضائل القرآن

(١) رواه أبى بن كعب فى الموطأ وغيره.

(٢) مسلم والنسائى.

جواز الرقية بأم القرآن لعظيم خيرها وبركتها، فهى متضمنة خلوص التوحيد، والتفويض إلى الله – عز وجل – والاستعانة به فى كل الأمور، وصدق النية فى العبادة، وألا يوجه منها شئ لغيره ـ تعالى ـ:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

أى: لا نعبد إلا إياك يا رب، ولا نستعين فى عبادتنا وفى كل أمورنا إلا بك، فأنت مالك الملك، ومدبر الأمر، ولا تنفع الوسائل إلا بمعونتك وتقديرك، ولا يقع فى الكون إلا ما تريده، فالشفاء منك، والغنى منك وحدك لا شريك لك، والسلامة والقناعة من فضلك.

قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن وسرها هذه الكلمة:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فالأول تبرؤ من الشرك، والثانى تبرؤ من الحول والقوة والتفويضُ إلى الله – عز وجل –، وهذه الآية تدل على كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين أى: لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك.

فقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ينفى شرك المحبة والإلهية، أى لا ينبغى أن يشرك مع الله أحد فى المحبة والإلهية.

﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ينفى شرك الخلق والربوبية، فهو ـ سبحانه ـ وحده الخالق الرزاق المنعم، المعطى المانع النافع الضار، المحيى المميت.

إن أهل العبادة والاستعانة بالله عليها، الذين يطلبون دوماً التوفيق منه سبحانه للثبات على صراطه المستقيم وما فيه مرضاته عبادة الله – عز وجل – هى: غاية مرادهم، وطلبهم منه ـ سبحانه ـ العون عليها والتوفيق للقيام بها هو: نهاية مقصودهم.

وإن فى إخلاص التوحيد، وصدق التوكل على الله، وقوة اليقين بقضاء الله وقدره طمأنينة للقلوب، وسلامة للنفوس من الجزع والقلق والهلع، كما تسلم للمؤمن روحه من المخاوف، والاضطراب النفسى. لذا نجد المؤمن الصادق يحمد الله على كل حال:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ ويتعلق بقوة الرجاء فى رحمة الله – عز وجل – فى الدنيا والآخرة ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ويعد نفسه ليوم الجزاء يوم الحساب، إذ لا مالك غير الله ـ عز وجل ـ والكل عبيده يجازى المحسن بإحسانه، والمسئ بإساءته

﴿ مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾:

وبيده وحده السعادة والشقاوة، والهداية والضلال، لذا فإن أهل اليقين يسألونه ـ سبحانه ـ الثبات على الإسلام والدوام على الدين الحق حتى يلقوا ربهم:

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ لأنه صراط آدم وإدريس ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء والمرسلين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ ومن يليهم من الصديقين والشهداء والصالحين.

إنه صراط النور والرحمة والسكينة، والروح والريحان:

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾

مع التبرؤ من طرق أهل الشقاوة والتعاسة الذين اختاروا الانحياز إلى الشيطان وحزبه وحرفوا فى دين الله، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها راغبين فى متاعها ساعين فيما فيه هلاكهم

﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

أى: غير صراط المغضوب عليهم، وغير صراط الضالين الذين فقدوا العلم، فهم هائمون فى الضلالة لا يهتدون إلى الحق.

أما أهل الصراط المستقيم فهم أهل التوحيد النقى الخالص من كل شائبة من شوائب الشرك، أهل الاتباع والاقتداء لا يحيدون عن سنة نبيهم - ﷺ -، فهم أهل الاستقامة والطاعة لله ورسوله، يمتثلون الأوامر ويتركون النواهى.

حديث الرقية

وجاء حديث الرقية بالفاتحة فى البخارى عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - إذ أخبر أنه كان مع جماعة من الصحابة فى سفر فنزلوا فى مكان، فجاءتهم فتاة فقالت: أن سيد الحى سليم، أى لدغته عقرب ونحوها، فهل منكم راق؟

قال: فقام منا رجل ما كنا نعلم من قبل أنه يرقى، فرقى الرجل اللديغ، قال: فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنا.

ثم سألوا صاحبهم: أكنت تحسن رقية أو كنت ترقى؟ قال: لا، ما رقيت إلا بأم الكتاب، قلنا: لا تحدثوا شيئا حتى نأتى، أو نسأل رسول الله - ﷺ - فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبى - ﷺ - فقال: «وما كان يدريه أنها رقية، اقسموا واضربوا لى بسهم».

أى: إنه - ﷺ - رضى عن عمل الراقى، وزادهم تأكيدا لصحة عملهم أن طلب منهم هدية من هذا الأجر الذى حصلوا عليه، لأن أطيب كسب الرجل ما كان من عمل يده، والنبى - ﷺ - لا يأكل إلا طيباً حلالاً، وحتى الصدقة لا تحل له، تشريفا له وتكريما - ﷺ - .

وفى هذا دليل على ما فى هذه السورة الكريمة من البركات والنفحات خصوصاً إذا كان القارئ الراقى مخلصاً، والمريض واثقاً حسن التوكل على رب العالمين.

ومن أحكامها وفضلها: أن الصلاة لا تصح إلا بها، على الراجح من أقوال الفقهاء، وأنها مناجاة من العبد لربه، ومن أدلة القائلين بوجوبها فى الصلاة للإمام والمؤتم به ما جاء فى صحيح مسلم - وغيره - عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى - ﷺ - قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج - أى ناقصة غير تامة قالها ثلاثاً - غير تمام».

فقيل لأبى هريرة [٣]: إنا نكون - أحياناً - وراء الإمام، قال: اقرأ بها فى نفسك، فإنى سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين، ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال الله:

(٣) القائل هو أبو السائب مولى هشام بن زهرة، كما فى تفسير النسائى الجزء الأول.

حمدنى عبدى، وإذا قال:

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال الله: أثنى على عبدى، فإذا قال:

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ قال: مجدنى عبدى، وقال مرة: فوض إلى عبدى، فإذا قال:

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال:

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾

قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل.

وقد أطلق لفظ الصلاة فى هذا الحديث على فاتحة الكتاب فى «قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين» لأنها من آكد أعمال الصلاة.

وقد جاء فى حديث ابن خزيمة وابن حبان عن أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: **«لا تجزى صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن»**.

وفى الصحيحين عن عبادة بن الصامت أن رسول الله - ﷺ - قال: **«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»**. أى: إنه يتعين قراءة الفاتحة فى الصلاة، ولا تجزئ الصلاة بدونها.

المعانى

اشتملت سورة الفاتحة وهى سبع آيات على: حمد الله وتمجيده والثناء عليه بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا.

كما اشتملت على ذكر المعاد وهو يوم الدين، وقد أرشد الله فيها عبيده إلى سؤاله والتضرع إليه والتبرؤ من حولهم وقوتهم، وإلى إخلاص العبادة لله، وتوحيده بالألوهية - تبارك وتعالى - وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل، كما أرشدهم فيها إلى سؤاله - سبحانه - الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو الدين القويم، وتثبيتهم عليه حتى يفضى بهم ذلك إلى جواز الصراط الحسى يوم القيامة، المؤدى بهم إلى جنات النعيم فى جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

واشتملت السورة الكريمة على الترغيب فى الأعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة، والتحذير من مسالك الباطل وأهله لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة، وهم المغضوب عليهم لعنادهم وجحودهم بعد أن عرفوا الحق وجانبوه، والضالون عن العلم النافع، والهدى والخير اختاروا الضلالة فأبعدهم الله عن ساحات رحمته.

كلمة «آمين»

عن وائل بن حجر قال: سمعت النبى - ﷺ - قرأ:

﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾

فقال: آمين، مد بها صوته وعند أبى داود: رفع بها صوته. قال الترمذى: حديث حسن.

ومعنى: آمين: اللهم استجب، وهى ليست من السورة، ويستحب للقارئ الفصل بسكتة بين آخر السورة وقول: آمين.

وفى الحديث: «إذا أمن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»(٤).

(٤) [فى الصحيحين عن أبى هريرة، وعند النسائى فى تفسيره].

تعقيب على رد كاتب مقال

قضية الأحرف السبعة

للدكتور/ صبحى عبد المنعم سعيد

فى عدد شهر شوال ١٤٢٠هـ = يناير ٢٠٠٠م. نشرت « مجلة الأزهر الشريف » مقالا عنوانه: (قضية الأحرف السبعة) لفضيلة الشيخ صديق بكر عيطة استهله بقوله: « من القضايا القرآنية الكبيرة .... قضية: « الأحرف السبعة » أو ما يعرف بقضية « القراءات السبع .... » فأخذنى العجب من هذه العبارة التى تخلط بين مصطلحين متغايرين من مصطلحات علوم القرآن، واستبدت بى الغيرة على المكانة العالية لمجلة « الأزهر » التى كانت. ومازالت. مجالا فسيحا لأقلام علماء الأزهر الشريف وغيرهم فكان ما كان .. ثم انتهى بى الأمر إلى أن كتبت تعليقا على المقال المذكور نشرته هذه المجلة السامية فى عدد شهر ذى القعدة ١٤٢٠هـ = فبراير ٢٠٠٠م، كان عنوانه: « نظرات فى مقال: « قضية الأحرف السبعة » وقد عنيت فى هذه النظرات بالتذكير بما اهتم به أئمة السلف والخلف من التفريق بين مصطلحى: « الأحرف السبعة » و« القراءات السبع ».

ومن التشنيع القاسى على من يقع فى شبهة الخلط بينهما، كذلك حرصت فى تعقيبى هذا على أن أكتفى بنقل بعض ما قاله أصحاب علوم القرآن سلفا وخلفا إلا أنى عنيت أيضا بعرض مثال واحد للطريقة التى عالج بها المقال المنقود قراءة النصوص واستخلاص النتيجة منها حيث نقل فضيلة الشيخ عيطة عبارة من كتاب « الفرقان » ـ وهو الكتاب الذى يعيد نقده[1] ثم استخلص من هذه العبارة أن صاحب كتاب « الفرقان » ينكر « القراءات السبع » . وقد بدا لى أن هذه التهمة غير سائغة، إذ أن العبارة التى ذكرت مقدمة لها لا تحتوى شيئا سوى أن صاحب

(١) فى حاشية الصفحة ١٦١٨ من عدد ذى القعدة ١٤٢٠ هـ طلب فضيلة الشيخ عيطة من القارئ أن يقرأ «التقرير الذى قدمته لجنة من كبار علماء الأزهر لصاحب الفضيلة .. شيخ الأزهر عن كتاب «الفرقان» وقد نشرته «مجلة الأزهر» بالمجلد العشرين فى مقالات متتالية ولما رجعت إلى ما أشار إليه فضيلته تبين أنه فى النصف الآخر من العام الهجرى ١٣٦٧هـ تقريبا ـ أصدر حضرة صاحب الفضيلة المرحوم =

كتاب « الفرقان » يحكى تردد الإمام الزركشى فى التسليم بتواتر« القراءات السبع » عن النبى ـ عليه السلام ـ إلى الأئمة السبعة وأن الزركشى يرى بناء على ذلك أن « القراءات السبع » متواترة من أصحابها إلينا فقط ، وفى ختام تعليقى سألت فضيلة الشيخ عيطة :﴿ هل عدم التسليم بتواتر خبر ما يعنى إنكار هذا الخبر مطلقا ﴾ ؟.

ثم إن فضيلة الشيخ عيطة كتب ردا على تعليقى نشرته « مجلة الأزهر » فى عدد ذى الحجة ١٤٢٠ هـ = مارس ٢٠٠٠م ص ١٧٧٨ وما بعدها بعنوان : « رد على مقال « نظرات فى قضية الأحرف السبعة » وقد جعل هذا الرد قسمين : القسم الأول ـ وهو ينتظم ثلاثة أرباع الرد بناه على الدفاع عن اعتقاده بأن « الأحرف السبعة » إنما هى « القراءات السبع » وإن كان قد أشار إلى ما أخبر به قبلا فى ص١٤٦٨ من أن « هذه النقطة كانت وما تزال محل خلاف بين العلماء » هكذا يقول فضيلته :« محل خلاف بين العلماء » مع أن مصادر علوم القرآن تنفى صفة العلم بل تنسب نقيضها لمن يخلط بين هذين المصطلحين؛ أما القسم الآخر من هذا الرد فقد أشار فيه إلى « التواتر » الذى يراه أحد شروط ثلاثة يجب أن تكتمل فى القراءة الصحيحة هو بذلك يقدم ما يسوغ فى نظره إسناد تهمة إنكار « القراءات السبع » لصاحب كتاب « الفرقان » كما يريد أيضا أن يبين ما تراءى له من أن سؤالى الذى ختمت به تعقيبى لم يكن فى موضعه الصحيح.

هذا وسأناقش فيما يلى أهم ماجاء فى رد فضيلة الشيخ عيطة على مقالى سائلا المولى ـ سبحانه ـ أن يسدد القلم، ويهدى إلى الصواب :

الإصرار على الخلط بين المصطلحين

فى صدر تعليقى وفى معرض تذكيرى بأن « الأحرف السبعة » مصطلح غاير مصطلح « القراءات السبع » نقلت عن كتاب : « النشر فى القراءات العشر» لأبى الخير محمد بن الجزرى المتوفى ٨٣٣هـ ، (المكتبة التجارية الكبرى) ص٤٦, ٤٧ ما حكاه ابن الجزرى عن الأستاذ إسماعيل بن إبراهيم القراب فى كتابه « الشافى » من قوله : « وينبغى أن لا يتوهم متوهم فى قوله – صلى الله عليه وسلم – :« أنزل القرآن على سبعة أحرف » أنه منصرف إلى قراءة سبعة من القراء الذى ولدوا بعد التابعين لأنه :

(١) يؤدى أن يكون الخبر متعرياً عن الفائدة إلى أن يولد هؤلاء الأئمة السبعة فيؤخذ عنهم القراءة.

(٢) ويؤدى أيضا إلى أن لا يجوز لأحد من الصحابة أن يقرأ إلا بما يعلم أن هؤلاء السبعة من

= الشيخ محمد مأمون الشناوى – شيخ الجامع الأزهر – فى ذلك الوقت قرارا بتأليف لجنة من حضرات أصحاب الفضيلة: الشيخ محمد محمد المدنى المفتش بالأزهر، والشيخ محمد على النجار المدرس بكلية اللغة، والشيخ عبد الفتاح القاضى المدرس بمعهد القراءات، لبحث كتاب «الفرقان لابن الخطيب» الذى ألفه محمد محمد عبد اللطيف أفندى، وإبداء الرأى فيه، وقد أخذت مجلة الأزهر تنشر أجزاء هذا التقرير فى أواخر بعض أعدادها بداية من عدد المحرم ١٣٦٨هـ = ١٩٤٨م «انظر «تقرير عن كتاب الفرقان» مجلة الأزهر عدد المحرم ١٣٦٨هـ ص٩٠ـ ٩٦ والأعداد التالية بعد ذلك من غير تتابع أحيانا » ثم إنه بعد أكثر من خمسين عاما من نشر ذلك التقرير أخذ فضيلة الشيخ عيطة يعيد نقد الكتاب نفسه على صفحات مجلة الأزهر ذاتها معتمدا فيما يبدو لى على ما انتهى إليه واضعو ذلك التقرير من آراء وأحكام.

القراء إذا ولدوا وتعلموا اختاروا القراءة به وهذا تجاهل من قائله».

ولقد قصدت عامدا إلى اقتباس هذا القول من كتاب «ابن الجزرى» الذى يعرف المسلمون خصوصا المشتغلين بعلوم القرآن أنه كان القدوة وإليه كانت الرحلة فى القرن التاسع الهجرى آملا من وراء ذلك أن يستأنس أخى الشيخ عيطة بمكانة هذا الإمام فيتذكر أن «الأحرف السبعة» هى غير «القراءات السبع» ولكنه رد على قائلا :«إن هذا الدليل العقلى لا ينهض لتأييد رأيه «يعنى شخصى» ولا يستطيع أن يقوم حتى على قدم واحدة».

وكان لى أن أعجب من هذه العبارة لأن قول ابن القراب الذى استشهد به ابن الجزرى يحتوى دليلين عقليين لا دليلا واحدا ومن الواضح أن أخى الشيخ عيطة انشغل بالأول عن الآخر وحجته فى رفض هذا الدليل أن «الخبر عن المعصوم ـ صلى الله عليه وسلم ـ (يعنى حديث «الأحرف السبعة») كان هو المتكأ الأول الذى اعتمد عليه المسلمون جميعا إلى أن جاء فى آخر عصر التابعين هؤلاء السبعة .. ولا يعنى هذا إطلاقا أن يظل الخبر متعرياً عن الفائدة إلى أن يولد هؤلاء الأئمة السبعة».

ويحق لى بعد إيجاز حجة أخى الشيخ عيطة أن أسأله : إذا كان أمر قراءة القرآن قد استقر ثلاثمائة سنة قبل أن يختار ابن مجاهد المتوفى ٣٢٤هـ تلك «القراءات السبع» فهل كانت الأمة فى تلك الفترة تعانى حاجة ملحة إلى هذا الاختيار حتى تستطيع به أن تفسر حديث «الأحرف السبعة» ؟أم أن هذا الاختيار لا يتجاوز أن يكون نشاطا علميا لم تدع إليه ضرورة بل جانبه التوفيق فى نظر بعضهم إذ جعله صاحبه مقصورا على سبع قراءات فأوقع العامة فى شبهة ما كان أغنانا عنها؟ (٢) ثم بأى شئ كان يفسر الشيخ عيطة حديث «الأحرف السبعة »لو أن ابن مجاهد اختارا ثمانى قراءات لا سبعا؟

ولقد نهض الحسين بن خالويه المتوفى ٣٧٠هـ فأملى كتاب «البديع» فى اختصار قراءات السبع، وإضافة يعقوب بن إسحاق إليهم (٣) وكأنه أراد بذلك أن يجبر نقصا عابه علماء القرن الرابع على شيخه ابن مجاهد .

وإذا كانت هذه الشبهة قد غطت على عقول العامة منذ أن أملى ابن مجاهد فى نهاية القرن الثالث الهجرى «كتاب السبعة»(٤) أى سبعة الأئمة أصحاب «القراءات السبع» فإن علماء الأمة نهضوا منذ ذلك التاريخ ليردوا إلى الصواب من يخلط بين حديث «الأحرف السبعة» و«القراءات السبع» وإذا كان ابن خالويه قد صوب

---

(٢) جاء فى كتاب: «الإتقان فى علوم القرآن» لجلال الدين ـ عبد الرحمن السيوطى تحقيق محمد أبو الفضل الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٤م جـ١ ص٢٧٤ :«قال أبو شامة : ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هى التى أريدت فى الحديث وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل وقال أبو العباس بن عمار: لقد نقل مسبّع هذه السبعة «يعنى ابن مجاهد» مالا ينبغى له وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كل من قل نظره أن هذه القراءات هى المذكورة فى الخبر «أى حديث «الأحرف السبعة» ، وليته إذ اقتصر «أى اقتصر القراءات المقبولة وهى كثيرة» نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة ..».

(٣) المخطوط الأصل لهذا الكتاب موجود برقم ٣٠٥١ فى مكتبة تشستر بيتى بمدينة دبلن ـ أيرلندا وعندى منه مصورة خاصة .

(٤) انظر «كتاب السبعة فى القراءات» لابن مجاهد تحقيق الدكتور شوقى ضيف ط٢ دار المعارف ١٩٨٠م.

عمل شيخه تصويبا عملياً بإملائه كتاب «البديع» ليحول دون الوقوع فى هذا الخلط فإن مكى بن أبى طالب الأندلسى ٣٥٥ ـ ٤٣٧هـ قال فى كتابه: «الإبانة عن معانى القراءات» ، تحقيق الدكتور محيى الدين رمضان دار المأمون للتراث ، دمشق ١٩٧٩م ،ص ٢٥ : «فأما من ظن أن قراءة كل واحد من هؤلاء القراء كنافع وعاصم وأبى عمرو ـ أحد الحروف السبعة التى نص النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليها فذلك منه غلط عظيم .. ويجب منه «أى ويلزم من هذا الظن »:

١ ـ أن يكون مالم يقرأ به هؤلاء السبعة متروكا، إذ قد استولوا (يعنى نافعا وباقى السبعة) على السبعة الأحرف عنده (أى عن صاحب هذا الظن) فما خرج عن قراءتهم فليس من «الأحرف» السبعة (٥)

٢ـ ويجب من هذا القول أن تُترك القراءة بما رُوى عن أئمة «أى شيوخ» هؤلاء السبعة من التابعين والصحابة مما يوافق خط المصحف مما لم يقرأ به هؤلاء السبعة «أصحاب القراءات السبع»

٣ـ ويجب منه ألا تروى قراءة عن ثامن فما فوق ؛لأن هؤلاء السبعة قد أحاطت قراءتهم بـ «الأحرف السبعة »ا.هـ .

وإذا اقتضت الحال أن أشرح هذه الأدلة الثلاثة التى حكيتها عن مكى بن أبى طالب قلت : يرى مكى أن من ظن أن «القراءات السبع » هى «الأحرف السبعة » وأن كل قراءة من هذه القراءات هى أحد «الأحرف السبعة» المنصوص عليها فى حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه » ـ فذلك منه غلط عظيم لأنه ينبنى على هذا الظن عدة أمور:

١ـ أن تكون القراءات المقبولة التى لم يقرأ بها أصحاب «القراءات السبع» واجبة الترك، لا يصح أن يقرأ بها مسلم، لأن أصحاب «القراءات السبع» قد استولوا على جميع «الأحرف السبعة» فما زاد على هذه «القراءات السبع» فليس من «الأحرف السبعة» أى أنه لا يجوز بناء على هذا الظن الغلط أن نقرأ بقراءة أبى جعفر ـ ولا بقراءة يعقوب ـ ولا بقراءة خلف، ومن باب أولى لا يجوز أن نقرأ بقراءة من هم فوق هؤلاء فى العدد من أصحاب القراءات المقبولة من غير «القراءات السبع».

٢ـ وينبنى على هذا الظن أيضا أن نترك كل قراءة رويت عن الصحابة والتابعين شيوخ عاصم ونافع وبقية السبعة إذا لم تكن هذه القراءة قد دخلت ضمن «القراءات السبع».

٣ـ كذلك ينبنى على هذا الظن أنه لا يجوز لمقرئ أن يروى لتلاميذه قراءة ثامن أو تاسع أو عاشر زيادة على الأئمة السبعة أصحاب «القراءات السبع ».

هذا وأرجو أن يكون فى أدلة مكى بن أبى طالب التى شرحتها آنفا مقنع لمن أراد أن يستبين.

---

(٥) يقول مكى بن أبى طالب فى ص٢٥ من كتاب «الإبانة عن معانى القراءات» وقد ذكر الناس من الأئمة فى كتبهم أكثر من سبعين «يعنى إماما قارئا» ممن هو أعلى رتبة وأجل قدرا من هؤلاء السبعة «أصحاب القراءات السبع».

معنى الأحرف السبعة

كرر أخي الشيخ عيطة سؤاله عن المعنى الذى أرتضيه لحديث «الأحرف السبعة» ، وقد كنت أشرت إشارة موجزة إلى اختلاف العلماء فى المعنى المراد بـ «الأحرف السبعة» ، والسبب فى هذا الإيجاز أنى أرى أن تمحيص الخلاف فى معنى حديث «الأحرف السبعة» ، إنما مجاله قاعة الدرس للمشتغلين بطلب علوم القرآن من طلاب الدراسات العليا فى أقسام الدراسات الإسلامية والعربية ، وكان الشيخ عيطة سبقنى فأوجز فى رده عرض المذهب الذى اختاره المتأخرون وهو المنسوب إلى الرازى ناقلا إياه عن الشيخ عبد الفتاح القاضى بإيجاز شديد وإجابة لسؤال أخى سأنقل له ما حكاه فضيلة الشيخ عبد العظيم الزرقانى - وهو يعرض المذهب نفسه فى «مناهل العرفان فى علوم القرآن» جـ ١ ، ط الحلبى .ص١٥٥ حيث يقول رحمه الله :«والذى نختاره - بنور الله وتوفيقه - من بين تلك المذاهب والأراء هو ما ذهب إليه الإمام أبو الفضل الرازى فى كتاب «اللوائح » إذ يقول : الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف فى الاختلاف .

الأول: اختلاف الأسماء من: إفراد، وتثنية، وجمع، وتذكير، وتأنيث

الثانى : اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر.

الثالث: اختلاف وجوه الإعراب .

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة .

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير

السادس:الاختلاف بالإبدال

السابع : اختلاف اللغات «يريد اللهجات» كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإظهار والإدغام ونحو ذلك .ا.هـ(٦)

والعجيب حقا أن الشيخ عيطة أشار فى رده إلى هذه الأحرف أو الأوجه إشارة موجزة فى ص١٧٨٠ ثم عقب قائلا: «وهى بعينها ما يعنيه القراء بالقراءات السبع» ونحن نقول له لا : يا فضيلة الشيخ، ثم لا !! إنما يعنى القراء بهذا الأوجه:

١- كل قراءة مقبولة يقرأ بها فى الصلاة سواء كانت من «القراءات السبع »أو «القراءات العشر» أو ما فوق ذلك

٢- كذلك يعنون بعض القراءات التى تخالف رسم المصحف فلا يقرأ بها فى الصلاة وهذا هو المفهوم من بعض هذه الأحرف خصوصا «الحرف الرابع» : الاختلاف بالنقص والزيادة و«الحرف الخامس» : الاختلاف بالتقديم والتأخير فأين هذا كله من «القراءات السبع»؟.

ومن العجيب أيضا أن ينسب إلىَّ الشيخ عيطة فى أثناء رده فى ص١٧٨٠ أنى أوردت أقوالا فى معنى «الأحرف السبعة» ، «منها ما يؤكد أنها القراءات السبع » وإذا عاد الشيخ عيطة إلى ص ١٦١٠ من مقالي، خصوصا نهاية العمود الثانى منها فإنه يجدنى أحكى قول الزركشى : « والثانى -وهو أضعفها-أن المراد سبع قراءات ..» ثم بينت فى ص ١٦١١ المراد من ذلك بما نقله السيوطى عن ابن حبان من قوله «... سبع قراءات لسبعة من الصحابة : أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وابن مسعود، وابن عباس، وأبى بن كعب - رضى الله عنهم -» فأين هذه القراءات المنسوبة إلى الصحابة من «القراءات السبع» التى اختارها ابن مجاهد على رأس الثلثمائة الهجرية؟.

---

(٦) اهتم الشيخ الزرقانى بالتمثيل لتلك الأحرف فلينظر هذه الأمثلة من يشاء فى المرجع نفسه .

ومن العجيب كذلك أن يخاطبنى أخى الشيخ عيطة قائلا : « هل من العامة الذين لم يأخذوا من علوم القرآن بحظ ولا نصيب الشيخ عبد الفتاح القاضى . . . و . . . الشيخ محمد أبو زهرة . . . و . . . . الإمام أبو الفضل الرازى » وأقول لفضيلتة : إنى أعرف قدر هؤلاء العلماء ولم أذكر اسم واحد منهم فى تعقيبى على مقالك، ولكنى حكيت فى ذلك التعقيب بعض ما حرص عليه السلف والخلف من التشنيع على من يخلط بين مصطلحى « الأحرف السبعة » ، و« القراءات السبع » وقد ذكرت أنت فى ردك على أقوال هؤلاء العلماء وتصورت أنت ساهيا أن فى هذه الأقوال ما يؤيدك فى الخلط بين هذين المصطلحين فما حيلتى أنا يا أخى الكريم ؟ ولقد بينت لك آنفا أن ما فهمته أنت من أقوال الإمام أبى الفضل الرازى لم يكن هو الوجه الصحيح، وياليت أخى الشيخ عيطة لم يضع هذه الأسماء الكريمة فى هذا السياق الذى وضعها فيه .

أما أشد هذه العجائب إثارة للنفس فهو ذهاب أخى الشيخ عيطة فى ص ١٧٨١ إلى ابن منظور صاحب معجم « لسان العرب » يستعينه على شرح مصطلح « الأحرف السبعة » ، ساهيا عن أن أقصى فائدة يستفيدها الباحث من المعجم اللغوى هى الحصول على المعنى الحرفى للفظ المفرد والإشارة إلى بعض المعانى التى يستعمل لها هذا اللفظ المفرد على حين أن المصطلح العلمى هو تركيب لغوى « لا يوازى معناه العام معانى مفرداته فى اللغة العربية » « د. محمد عنانى « عن ترجمات المستشرقين وعلم الترجمة » جريدة الأهرام ملحق الجمعة ١٤ / ٤ / ٢٠٠٠ ص١١ .

أما ما تصور أخى الشيخ عيطة أنه استفاده من هذا المعجم فيتمثل فى قوله فى العمود الأول من ص١٧٨١ : « رابعا : إن ما جاء مؤيدا لما ذهبنا إليه (يعنى أن « الأحرف السبعة » ، هى « القراءات السبع ») ـ ما ورد فى لسان العرب فى مادة « حرف » وذلك عندما قال هذا المرجع الكبير الذى لا معقب لأحد من الناس على ما يقول : « وكل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفا تقول : هذا فى حرف ابن مسعود أى فى قراءة ابن مسعود . . والحرف : القراءة التى تقرأ على أوجه وما جاء فى الحديث من قوله ـ عليه السلام : « نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف . . . » .

وإذا كان الأمر كما تصوره الشيخ عيطة فهل يمكن لمشتغل بعلوم القرآن إذا أراد معرفة معنى حديث « الأحرف السبعة » ، أن يكتفى بما أخذه الشيخ عيطة من معجم « لسان العرب » أم أن هذا الطالب ملزم بالرجوع إلى المصادر العلمية لمعرفة ما يراد بـ« الأحرف السبعة » ، التى عالج موضوعها الزرقانى فى « مناهل العرفان » فى أكثر من خمسين صفحة ؟ . ومن المعلوم أنه منذ بداية الطلب فى الأزهر والطالب يعرف أن لكل مصطلح معنى لغويا يؤخذ من المعاجم، ومعنى اصطلاحيا أى معنى اصطلح « أى اتفق » على حدوده أصحاب العلم الذى يتعلق به هذا المصطلح، وإنما يبحث عن هذا المعنى الأخير فى مصادر ذلك العلم دون غيرها .

وأما ما ختم به الشيخ عيطة هذه الفقرة من رده فى نهاية العمود الأول من ص١٧٨١فهو قوله « وعلى من أراد المزيد فليرجع إليه » « يعنى : معجم « لسان العرب » ، ولنكبح جماح قلمنا عند هذا الحد فى هذه القضية !!

وشكر الله له أن فعل ذلك !

« يتبع »

الاستقامة خير من ألف كرامة

لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ فرغلى القرنى

ورد الأمر للنبى ﷺ بالاستقامة فى القرآن الكريم مرتين، فى قوله - تعالى -:

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾(١) **وفى قوله - تعالى -:**

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾(٢).

وورد الأمر بها للمؤمنين فى آيات أخرى متفرقة.. وجاءت مادة الاستقامة متناثرة فى مواضع عدة من القرآن الكريم.

ما المقصود من الاستقامة؟

جاء فى لسان العرب: الاستقامة التقويم، وفى لسان أهل مكة: استقمت المتاع أى قومته. وجاء فى الحديث، قالوا: يا رسول الله لوقومت لنا؟ فقال: «**الله هو المقوم**».

والقائم بالدين: هو المستمسك به، الثابت عليه. ومما يروى عن حكيم بن حزام - رضى الله عنه - أنه قال: بايعت النبى - ﷺ - ألا أخر إلا قائما، أى: لا أموت إلا ثابتاً على الإسلام، وهذا هو مدلول قوله - تعالى -:

﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾(٣) أى: ثابتة على الدين.

وفسر القرطبى آية ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ و﴿ **واستقم كما أمرت** ﴾ بمعنى الثبات على الدين. قال: الخطاب للنبى - ﷺ - ولغيره، وقيل: الخطاب له والمراد: أمته، قيل: استقم، أى: اطلب الإقامة على الدين من الله واسأله ذلك، فتكون السين سين السؤال كما تقول: استغفر الله، أى: طلب الغفران.

وقد تؤدى الاستقامة معنى الاعتدال، فيقال: استقام له الأمر أى: اعتدل له وإلى هذه نتيجة المفسرون فى قوله - تعالى -:

﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾(٤).

---

(١) هود (١١٢).

(٢) الشورى (١٥).

(٣) آل عمران (١١٣).

(٤) فصلت (٦).

والمعنى: استقيموا فى التوجه إليه دون الآلهة، من قام الشئ واستقام، أى اعتدل واستوى..

ومن ذلك قوله – تعالى –:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(٥).

فالاستقامة هنا: العمل بالطاعة، والتزام السنة.

وتشير الآية – أيضاً – إلى عدم الاشراك بالله، فى رأى بعض المفسرين.

ويعزز تفسير الاستقامة بالطاعة قول كعب بن زهير بن أبى سلمى:

فهم صرفوكم حين جرتم عن الهوى
بأسيافهم حتى اتسقمتم على القيم

فالقيم: هى الاستقامة، أى الطاعة.

وينصرف معنى الاستقامة فى قوله – ﷺ –: «**قل أمنت بالله ثم استقم**» إلى الطاعة كما تنصرف إلى عدم الإشراك. وهذا الحديث رواه مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك. قال: «**قل آمنت بالله ثم استقم**».

الاستقامة فى القرآن والسنة الشريفة

قال الفيروز: أبادى فى كتابه القيم: «بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز»: وردت الاستقامة فى القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة على أربعة أوجه:

الأول: بمعنى: تبليغ الرسالة، ومنه قوله – تعالى –:

﴿ **فاستقم كما أمرت** ﴾ وكذلك قوله تعالى:

﴿ **ولذلك فادع واستقم كما أمرت** ﴾.

والثانى: بمعنى: الدعاء، والدعوة قال – تعالى–:

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٦).

والثالث: بمعنى: الإقبال على الطاعة– جاء فى الحديث «**استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**» رواه أحمد وابن ماجة والحاكم عن ثوبان، ورواه الطبرانى عن ابن عمرو وعن سلمة بن الأكوع.

والرابع: بمعنى الثبات على التوحيد والشهادة فى قوله – تعالى –:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾(٧).

والاستقامة بمعنى: الاستواء والاعتدال، وتكون فى الطريق الذى يكون على خط مستقيم، وبه شبه طريق الحق نحو قوله – تعالى–:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾(٨).

واستقامة الإنسان: لزومه المنهج المستقيم.

وقد وردت مادة الاستقامة فى القرآن الكريم، فى مواضع أخرى، غير ما ذكرنا، منها قوله – تعالى –:

﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾(٩).

والاستقامة: هما بمعنى الوفاء بالعهد.

---

(٥) فصلت (٣٠). (٦) يونس (٨٩). (٧) فصلت (٣٠).
(٨) الفاتحة (٦). (٩) التوبة (٧).

أذواق الصحابة فى تفسير الاستقامة

روى الترمذى، عن أنس بن مالك، أن النبى – ﷺ – قرأ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾

وقال: «**قد قال الناس ثم كفر أكثرهم فمن مات عليها فهو ممن استقام**».

واختلف الصحابة حول معنى الاستقامة فى الآية..

وأشار القرطبى فى تفسيره إلى هذه الأذواق التى ذهبوا إليها، فمن أذواقهم أن الاستقامة عدم الإشراك، وذكر ما رواه الأسود بن هلال عن ابى بكر رضى الله عنه– أنه قال لأصحابه: ما تقولون فى هاتين الآيتين:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾(١٠).

فقالوا: استقاموا فلم يذنبوا – ولم يلبسوا إيمانهم بخطيئة.

فقال أبوبكر: لقد حملتموها على غير المحمل: قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى غيره ولم يلبثوا إيمانهم بشرك، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.

أما عمر – رضى الله عنه – فقد فسرها بالاستقامة على الطريقة، وعدم الروغان روغان الثعلب. وفسرها عثمان – رضى الله عنه – بالإخلاص فى العمل.

وفسرها على – رضى الله عنه – بأداء الفرائض.

ومن الآيات التى نزلت فى الاستقامة، قوله – تعالى –:

﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾(١٢).

والاستقامة هنا: الإيمان والتزام طريق الحق والهدى، أى لو أصبحوا مؤمنين طائعين لأنزل الله عليهم المطر، وفجر لهم الخير من فوقهم ومن تحت أرجلهم مصداقا لقوله – تعالى –:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾(١٣).

ومن آيات الاستقامة قوله – تعالى –:

﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾(١٤).

ويستقيم هنا، أى يتبع الحق، ويقيم عليه.

تذوق العارفين لمعنى الاستقامة

روى الإمام القشيرى فى رسالته الحديث الشريف المسند إلى ثوبان – رضى الله عنه – قال رسول الله – ﷺ –: «**استقيموا ولن تحصوا .....**».

وجعل هذا الحديث محورا تدور حوله معانى الاستقامة، فالاستقامة هى: ملازمة الطاعة، والخضوع لله، والتزام أوامره، وأساس ذلك: المحافظة على الصلاة، ولايتم ذلك إلا بالمحافظة على الوضوء الذى هو مفتاح الصلاة.

---

(١٠) فصلت (٣٠). (١١) الأنعام (٨٢). (١٢) الجن (١٦).
(١٣) الأعراف (٩٦). (١٤) التكوير (٢٨).

ويعرف الاستقامة بقوله: الاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيما فى حالته ضاع سعيه وخاب جهده.

والاستقامة لا تكون إلا مع القلب الخاشع الموقن، المراقب ربه، فى حركاته وسكناته، فمن خشع قلبه خشعت جوارحه، ومصداق ذلك قول الشاعر الحكيم:

متى يستقيم الظل والعود أعوج؟

وتفسير العارفين للاستقامة مستمد من تفسير أصحاب رسول الله - ﷺ - فالاستقامة تعنى: عدم الإشراك بالله - تعالى - فى الشهود، والمستقيم لا ينظر إلى غير الله - تعالى - وهذا مأخوذ من قول أبى بكر - رضى الله عنه - السابق الإشارة إليه. والشرك منه: ما هو جلى، ومنه ما هو خفى، والشرك الخفى هو الرياء، والاستقامة تنافى النفاق، وإلى ذلك نبه عمر - رضى الله عنه - فى تفسيره السابق بأن الذين استقاموا هم الذين لم يروغوا روغان الثعالب.

فقول الصديق - رضى الله عنه -: محمول على مراعاة الأصول فى التوحيد، وقول عمر - رضى الله عنه - محمول على ترك طلب التأويل والقيام بشرط العهود.

هؤلاء العارفون لا يقفون عند حدود المعنى الظاهر من اللفظ، ولكنهم يتعمقون فى الفهم، ويتحققون بالمعنى ويبالغون فى الورع، حتى إنهم يعدون الاشتغال بغير الله - تعالى - ناقص لميزان الاستقامة.

الاستقامة خير من ألف كرامة

بل ويعتبرون أن الكرامة الحقيقية التى كرم الله بها عبده هى أن يوفقه إلى الاستقامة لأن فيها خيرى الدنيا والآخرة، ومن عباراتهم فى ذلك قولهم:

الاستقامة خير من ألف كرامة.

ومن كلام أبى على الجوزجانى فى ذلك: «كن صاحب الاستقامة لاطالب الكرامة فإن نفسك متحركة فى طلب الكرامة، وربك - عز وجل - يطالبك بالاستقامة».

وابن عطاء الله السكندرى يقول فى حكمه: «ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة». يريد بذلك أن الذى يحرص على طلب خوارق العادات لا يسير على المنهج الصحيح المستقيم، وقد يستدرج ببعض الخوارق التى تقطع عليه الطريق. ومما يُحكى فى ذلك ما يرويه سرى السقطى: لو أن واحداً دخل بستانا فيه أشجار كثيرة على كل شجرة طير يقول بلسان فصيح: السلام عليك يا ولى الله. فلو لم يخف أنه مكر لكان ممكوراً به.

فانظر الى دقة هؤلاء العارفين فى فهمهم، حيث إن الكرامة- وهى الأمر الخارق للعادة، والتى تتطلع إليها عيون البعض فتخطف أبصارهم- يعتبر العارفون أن الوقوف عندها أمر ينافى الاستقامة- ذلك أن الاستقامة التزام بالأمر وعدم التفات إلى أى مظهر مهما كان، وتنبه إلى أوقات النفس ووساوسها، ومقاومة لهذه الآفات، والنفس لا يكاد يسلم منها أحد حتى ولو بلغ أعلى درجات أهل اليقين، وقد فسر بعضهم قوله - تعالى -:

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾(١٥) بأنها وردت على لسان يوسف - عليه

---

(١٥) يوسف (٥٣).

السلام – وقد قال هؤلاء العارفون: إن الاستقامة لا يطيق تحملها إلا الأكابر، لأنها تعنى الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدى الله – تعالى – على حقيقة الصدق.

ولعل بعضهم نظر إلى اشتقاق اللفظ من القيام والقيام عندهم يعنى القيامة، ولذلك قال أبو بكر الشبلى – رحمه الله – تعالى –: الاستقامة أن تشهد الوقت قيامة – ومعنى قوله هذا: أن تتوقع قيام الساعة فى كل وقت، وهذا يلزمك الخشوع والخضوع والمراقبة، ويحول بينك وبين الانشغال على ملاحظة موقفك بين يدى مولاك والمراقبة، وتحول بينك وبين الانشغال عن ملاحظة موقفك بين يدى مولاك وسؤاله إياك عما قدمت يداك.

آداب تتطلبها الاستقامة

ويترتب على ذلك أن الاستقامة تطالب العبد بأداب تتعلق بقوله وفعله وحاله فالاستقامة فى الأقوال تعنى التزام الصدق والبعد عن الغيبة والنميمة وغيرها من آفات اللسان.

والاستقامة فى الأعمال تعنى عدم الركون إلى الفترة، أو التكاسل فى الطاعات.

والاستقامة فى الأصول تعنى: مداومة المراقبة، وملازمة المحاسبة، والأنفة من الحجاب عن الله ـ تعالى ـ.

ولعل ذلك مأخوذ من ذلك الأثر، الذى ذكره الغزالى حجة، الإسلام ـ رضى الله عنه ـ فى مكاشفة القلوب قال: روى أن عيسى ـ عليه السلام ـ قال: من كان منطقه فى غير ذكر الله فقد لغا، ومن كان نظره فى غير اعتبار فقدسها، ومن كان صمته فى غير تفكر فقد لها».

هذه آداب بل شرائط لو تحققت لأوقفت العبد فى مقام الإحسان، االذى ورد فى شأن الأثر المشهور: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك...».

ثمار الاستقامة

أما ثمار الاستقامة فيكفى فى بيانها ما يفهم من قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾(١٦).

لم يقل الحق سقيناهم، بل قال أسقيناهم، يقال أسقيته إذ جعلت له سقيا، ففى ذلك إشارة إلى دوام الرى ـ دعك من الرى الظاهرى، بل هو الرى الباطنى، الذى يشعر فيه العبد بالرضا والسكينة والاطمئنان، سواء غنى أو افتقر، وجد أولم يجد.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(٧).

---

(١٦) الجن (١٦).

(١٧) النحل (١٢٨).

الزَّوَاج السِّرى .. لا العُرفى

للأستاذ / حامد على زقزوق (*)

الزواج السرى البغيض، الذى فشا بين طلاب وطالبات المرحلة الجامعية، وامتد خطره إلى المرحلة الثانوية، ما هو إلا زنا فاحش، وسلوك شيطانى آثم، وعمل قبيح شائن، وتصرف حيوانى بعيد عن الدين والمروءة والعرف، وتلك التسمية التى ابتدعوها، وهى: أن هذا الزواج عرفى، هى تسمية بعيدة كل البعد عن العرف، إذ أن العرف لا يعتبر الزواج صحيحا معترفا به إلا إذا كان مبنيا على الدين، وكان مستوفيا عناصره الضرورية، التى لابد منها، ومن عناصره التى بها يكون الزواج صحيحا مباركا: المهر، والولى، والشاهدان العدلان، والاشهار، والتوثيق، وأين المهر والولى؟ وأين الشاهدان العدلان؟ وأين الإشهار والتوثيق؟ إن كل هذه العناصر الضرورية لا وجود لها فى هذا الزواج السرى، ومادام الأمر كذلك فمثل هذا الزواج ما هو إلا زنا، وهذا بدوره يؤدى إلى ارتفاع مظلة الإيمان عن الزانى والزانية، وبالتالى إلى غضب الله وشديد عقابه، ومما يؤكد بطلان زواج الفتاة بدون حضور وليها قول رسول الله - ﷺ - «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها، فنكاحها باطل، باطل، باطل» (١) ثم إن الفتى والفتاة قبل كتابة الورقة المزيفة التى يقال فيها: بأن فلان صار زوجا لفلانة، يعيشان معا، ويختليان بصحبة الشيطان، وبعيدا عن الأعين، وهذه الخلوة شيطانية، وفى ظلها ترتكب المعصية، وقد قرر الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - ما يؤكد ذلك حيث قال: «ما اختلى اثنان إلا كان الشيطان ثالثهما».

إن هذه الخلوة غير مشروعة، وهى محرمة دينا وعرفا، والطالبة الجامعية، التى نالت قسطا من العلم والثقافة، جنت على نفسها لهذا السلوك المنحرف، وعرضت نفسها لسوء العاقبة فى الدنيا والآخرة، وركبت متن الشطط بهذا التصرف الأرعن، وأجرمت فى حق نفسها، وحق أهلها ومجتمعها، وإنى لأعجب للفتاة الجامعية، التى تقع فى هذا الشرك الشيطانى، وتنقاد لمن لعب بعقلها بكلام معسول مغلف بالحب الطائش الكاذب، والأمانى الإبليسية الماكرة.. إنها تنتمى

(* الكاتب: من علماء الأزهر الشريف.

(١) رواه الترمذى.

إلى دين، فلماذا لم تصن عرضها وشرفها؟ ولماذا لا تحافظ على حيائها و عفافها؟ ولماذا لا تحترم أسرتها؟ وكيف تتجاهل ولى أمرها؟ ولماذا تكون دمية فى يد شاب عابث مستهتر، لا يحترم دينا ولا خلقا؟ إنها بهذا التصرف الماجن، مكنت هذا الشاب من قيادتها، إلى وحل الخطيئة، وارتكاب جريمة من أسوأ الجرائم وأشنعها، وانقادت لهذا الذئب البشرى، الذى غرر بها، وعاش معها فى جو الرذيلة العفنة، وفى ظل شهوة جامحة، ولذة محرمة، ومتعة زائفة، زينها لهما الشيطان الذى هو بصحبتهما، وفى خلوتها غير المشروعة، ألم يعلما أن الشيطان هو العدو الأكبر للإنسان؟ وأنه يعمل بشتى الوسائل، ومختلف الأساليب، على إضلال بنى آدم، وألم يسمعا قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[٢].

إن هذا الزواج ليس عرفيا، كما قال أولئك الضالون، وإنما هو زواج شيطانى سرى خفى حيوانى سلبى انحرافى، وهو مرفوض عقلا ودينا وعرفا، ومادام الدين يرفض مثل هذا الاتصال الجنسى، ويلفظه العرف ولا يقره، فإن الواجب يحتم على جهات الاختصاص أن تحرمه، وتسن قانونا لعقوبة كل من يجرؤ على السير فى طريق الانحراف المرفوض، وبذلك نجنب المجتمع ما يهدد حياته، ونطهره من هذا الوباء الذى استشرى، ونقضى على جراثيم الفساد، التى انتشرت فى وطننا العزيز.

إن الولى ضرورى وجوده ليباشر عقد زواج الفتاة، لأنها لا تدرك مصلحتها إدراكا كاملا، ولأن الولى حريص كل الحرص على تأمين حياة الفتاة فى ظل الزوجية، ومن هنا كانت الضرورة ملحة فى مباشرة عقد الزواج، وأما الشاهدان اللذان يشهدان على العقد فلابد من توافر شرط العدالة فيهما، وهذا الشرط مفقود بالنسبة لشاهدى الزواج السرى، لأنهما من الطلاب الذين انحرفوا فى مسيرة الحياة، وهما على شاكلة من شهد لهما، ووقعا فى فخ الشيطان، واستخفا بالدين والقيم، وبعدا عن طريق الصواب، وارتكبا جرم هذا الاتصال الجنسى، الذى بنى على أرض الشهوة الشيطانية، فهما لا يصلحان للشهادة، لأنهما لا تتوافر فيهما العدالة، والرسول -صلوات الله وسلامه عليه- قرر فساد الزواج الخالى من الولى والشاهدين العدلين، حيث قال: «لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل»[٣] وهذا الحديث واضح لا إبهام فيه، ولا يحتاج إلى تأويل، أو تضعيف، فصحة النكاح تتوقف على ما اشترطه الرسول- عليه الصلاة والسلام - من وجود ولى يلى شئون الزواج، وشاهدى عدل مشهود لهما بحسن السيرة وعدم الانحراف، وإذاً فالشرط لم يوجد، وبفقده يكون الفساد وعدم الصحة.

إن هذه الآفة الشاذة، التى هى من صنع الشيطان الرجيم، والمتمثلة فى هذا الاتصال الجنسى المحرم، هى وافدة إلينا من أعدائنا: أعداء الإسلام، والهدف منها لا يخفى على كل من لديه عقل، وهو هدم البناء الإسلامى، وتقويض صروح الشرف والمروءة والكرامة والطهارة، وصبغ الشباب بالصبغة الأوروبية، والحياة فى ظل المجون والعربدة، وكل هذا ينعكس سلبا على الوطن العزيز.

---

(٢) فاطر (٦).

(٣) رواه البخارى.

إنها إذاً ظاهرة لها أبعاد خطيرة، وأضرار كثيرة، ولهذا يجب التصدى لها بكل قوة وحزم، ومقاومتها بإيجابية وجدية، حتى يمكن القضاء عليها واجتثاثها من أرضنا، ولتكن هناك توعية مكثفة من قبل وسائل الإعلام على اختلاف ألوانها، وقوافل دينية واجتماعية تبين للطلاب والطالبات الخطأ والصواب، وتبصرهم بالطريق السوى قبل أن يستفحل الخطر، ولتجنيد الأقلام للكتابة المتواصلة فى هذا الشأن، حتى يرحل هذا الوباء بعيدا عن أرضنا الطاهرة، وإنى لأعجب من انحدار الشباب إلى هذا المستوى، من الشذوذ الأخلاقى، والوقوع فى بؤرة الشهوة، التى يقودها الشيطان، هل سلبت عقولهم فصاروا بلا عقول؟ وهل تحولوا إلى حيوانات كل همها إشباع الرغبة الجنسية بأى صورة من الصور؟ إن هذا لشىء عجاب. وإنه لأمر يدعو إلى الغرابة.

إن الزواج السرى الإجرامى، ابتدعته فئة أضلها الشيطان، ولعب بعقولها، ونفذ إلى أعماق قلوبها، وأخذ يملى عليها ما يريد من انحراف واعوجاج، وزين لها الأفكار السوداء المغلفة بالسموم المهلكة، إلى أن وقعت فى شراكه، وعاشت حبيسة هذه الشراك، وصارت طوع إرادته، ورهن إشارته، ونفذت له ما طلب دون روية، وجسدت وساوسه لها عمليا بلا تبصر. وهكذا ينفث الشيطان سمومه، ويقود ضحاياه إلى الهاوية، ويسير بها إلى أنفاق مظلمة، وطرق مسدودة، وهذه الفئة التى اختارت لنفسها هذا المصير البالغ السوء، صارت قدوة سيئة لغيرها ممن هم فى مرحلة ما قبل الجامعة، ونقلت عدوى هذا الوباء إلى غيرهم ممن هم أقل سنا، وهم بهذا السلوك المزرى، أساءوا كل الإساءة إلى الدين، وإلى آبائهم وأقربائهم ووطنهم، وأغضبوا ربهم الذى أغدق نعمه عليهم، وهم بما يحملون من وباء كحامل المتفجرات ونافخ الكير، وينطبق عليهم ما قاله الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

إن هذا الزواج السرى زنا، والذين ينظرون إلى من يرتكبون هذا المنكر نظرة استنكار وتعجب وازدراء، ولو كان لديهم عقل واع، وبصيرة مشرقة ما وقعوا فى هذه الوهدة السحيقة، وهل هذا الزواج الذى بهذه الصورة يدوم؟ إن الواقع يقرر بأن عمره قصير، وهذا العمر القصير محفوف بالمخاطر، إذ أن الشاب الذى من هذا النوع بعد أن يشبع رغبته من نهمه الجنسى المحرم، يلفظ الفتاة لفظ النواة، ويتخلص منها ومن جنينها بالقتل، والتى لا تمتد إليها يد القتل تهيم هائمة على وجهها، وتمشى متخبطة فى حياتها، وتعيش فى جو الرذيلة، وهى التى جنت على نفسها.

إن الفتاة هى الضحية، وهى التى اختارت لنفسها هذا المستقبل الأسود، حيث إنها استسلمت لهذا الذئب البشرى، ولم تفكر فى مصيرها، وأين حقوقها؟ إنها ذهبت أدراج الرياح، وهى فى خبر كان، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ثم إن هناك شيئا آخر تجب مراعاته وهو التكافؤ، فأين التكفاؤ؟ إن الرسول- صلوات الله وسلامه عليه - قرر أن الزواج الشرعى يكون مبنيا على العلن، قائما على الإشهار، ولهذا قال: «أعلنوا هذا النكاح، واجعلوه فى المساجد، واضربوا عليه بالدفوف»(٤).

والله الهادى

---

(٤) رواه أحمد والترمذى.

ماذا تعرف عن توسعات الحرم النبوى الشريف ؟!

للأستاذ/ عبد السلام إبراهيم ناصف

هاجر رسول الله - ﷺ - من مكة إلى المدينة فى واحدة من أعظم أحداث التاريخ الإسلامى، إذ ترتب على هذا الحدث أن صارت للمسلمين - وللمرة الأولى - دولة مقرها يثرب أو المدينة المنورة.

وكان ضروريا أن يشرع رسول الله - ﷺ - فى بناء المسجد.

قام نبينا – صلوات الله وسلامه عليه– من قباء قاصداً المدينة المنورة على ناقته، وكانت كل قبيلة تعرض عليه النزول عندها، فكان يقول لهم: « دعوها فإنها مأمورة »، يقصد بها ناقته المباركة، فلما أتت الناقة موضع مسجده– صلوات الله وسلامه عليه– بركت وهو عليها، وفى رواية بركت فى موضع بيت عائشة الذى قبض فيه –ﷺ–، ثم قامت من غير أن تزجر وسارت غير بعيد، ثم بركت تجاه دار أبى أيوب الأنصارى، فنزل فيه– صلوات الله وسلامه عليه– وأقام فيه مايقرب من سنة وفى اليوم الثانى لنزوله بدار أبى أيوب الأنصارى عزم على أن يبنى مسجده الشريف عند الموضع الذى بركت فيه ناقته أولاً، وكان مربداً يجفف فيه التمر لغلامين يتيمين من الأنصار، هما سهل وسهيل كانا فى حجر أسعد بن زرارة فساومهما النبى –ﷺ– فيه فقالا بل نهبه لك يارسول الله فأبى رسول الله –ﷺ– حتى ابتاعه منهما وكان جداراً ليس له سقف وكان فيه شجر غرقد ونخل وقبور للمشركين فأمر رسول الله –ﷺ– بالقبور فنبشت وبالنخل والشجر فقطعت وصفت فى قبلة المسجد وكان رسول الله –ﷺ– يبنى فيه مع الصحابة ويقول وهو يعمل معهم: « اللهم لاعيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار وللمهاجرة ».

وكان السبب في عدم قبول الرسول -ﷺ- العرصة للمسجد النبوى الشريف من سهل وسهيل أنهما كانا دون البلوغ وأن عطاءهما لايقبل شرعاً؛ لأنهما كانا تحت الوصاية الشرعية لعدم كمال رجولتهما وكانت قبلة المسجد الشريف النبوى إلى بيت المقدس فى الجهة الشمالية منه وصلى، -ﷺ- إلى هذه القبلة سبعة عشر شهراً، ولما فرغ -صلوات الله وسلامه عليه- من بناء مسجده الشريف النبوى بنى بعائشة أم المؤمنين -رضى الله عنها- فى البيت الذى بناه لها، كما بنى بعده بيتاً لسودة أم المؤمنين، ثم بنى فى أوقات مختلفة بيوتاً لباقى الزوجات.

١- زيادة رسول الله -ﷺ- :

ثم زاد -ﷺ- فى مسجده الشريف ثلاثة عواميد من جهة الغرب فى السنة السابعة من الهجرة الشريفة بعد عودته من غزوة خيبر.

وبلغت مساحة المسجد بالأمتار المربعة ٢٤٧٥ متراً.

٢- زيادة عمر بن الخطاب :

ثم زاد فيه سيدنا عمر بن الخطاب -رضى الله تعالى عنه- فى العام السابع عشر عامودين من جهة الغرب، أما من جهة الشمال فأكثر من عامودين، وعمل فيه حصوة غير مسقفة وأنشأ البئر المشهورة بين الناس ببئر زمزم فى وسط الحصوة. وبلغت هذه الزيادة بالأمتار المربعة ألفاً ومائة متر.

٣- زيادة عثمان بن عفان :

ثم زاد فيه سيدنا عثمان بن عفان -رضى الله عنه- فى العام التاسع والعشرين عاموداً واحداً من جهة الغرب، وأكثر من عامود من جهة القبلة، وأنشأ فيه محرابه المشهور باسمه الآن وكانت زيادته فيه من جهة القبلة تنتهى عند انتهاء حدود الروضة ومن جهة الشمال زاد فيه شيئاً قليلاً فى الحصوة وكانت عمارته له بالحجارة والجص والعمد المحشوة بالحديد وتسقيفة بالسياج. وبلغت هذه الزيادة بالأمتار المربعة أربعمائة وتسعة وستين متراً.

٤- زيادة الوليد بن عبدالملك :

ثم زاد فيه الوليد بن عبدالملك بن مروان الخليفة الأموى من جهة الغرب على يد عامله بالمدينة المنورة عمر بن عبدالعزيز خامس الخلفاء الراشدين فى العام الثامن والثمانين وأدخل فيه حجرات أمهات المؤمنين بعد التعويض عنها لهن بما أرضاهن وأقام الدائر المخمس على الحجرة الشريفة من جهة الشمال وهذه الزيادة هى آخر الزيادات الحاضرة من جهة الغرب ونقش فيه الجدران بالفسيفساء والمرمر وسقفه بالسياج وذهبه.

وبلغت هذه الزيادة بالأمتار المربعة ٢٣٦٩ متراً.

٥- زيادة المهدى بن المنصور:

ثم زاد الخليفة المهدى بن الخليفة المنصور فيه بقية الحصوة كلها ومايحاذيها من المسقف، ومن جهة الغرب حتى غاية مصلى

النساء فى العهد العثمانى وقد بدأت فيه هذه الزيادة سنة ١٦١هـ، وتمت سنة ١٦٥هجرية. وبلغت هذه الزيادة بالأمتار المربعة ٢٤٥٠متراً.

٦- زيادة السلطان قايتباى.

ثم زاد فيه السلطان قايتباى الأشرف المحمودى شيئاً بسيطاً داخل الحجرة الشريفة لإقامة الدرابزين الأخضر الموجود عليه الآن وذلك لوضع القبة الزرقاء عليه وزيادته الآن هى الممر العام فى داخل الحجرات وكان ذلك فى عام ٨٨٨هجرية. وبلغت هذه الزيادة بالأمتار المربعة ١٢٠متراً.

ثم عمل السلطان محمود خان العثمانى قبة أخرى على الحجرة الشريفة ودهنها باللون الأخضر ولذلك أصبحت تسمى بالقبة الخضراء وعمل لها قاعدة عظيمة فى وسط المسجد الشريف النبوى أقامها عليها وهى فوق القبة الزرقاء وكان ذلك فى عام ١٢٣٣هجرية.

٧- زيادة السلطان عبدالمجيد خان العثمانى:

ثم زاد السلطان عبدالمجيد خان العثمانى القسم المسقف من الجهة الشمالية من حدود المنارة المجيدية إلى حدود المنارة السليمانية وأنشأ فيها الكتاتيب أى مدارس القرآن الكريم كما أنشأ مخزناً للزيت الذى كان يضاء به الحرم الشريف النبوى فى قناديل تعد بالمئات متفرقة فى أنحاء الحرم الشريف النبوى وبه تنتهى سائر الزيادات فى الحرم الشريف النبوى من الجهة الشمالية فى العهد العثمانى.

أما من جهة الشرق فقد زاد فيه السلطان عبدالمجيد خان العثمانى الرواق العظيم الواسع المحتوى على الشبابيك الثلاثة وأنشأ فيه دكة مرتفعة تسمى دكة شيخ الحرم الشريف النبوى، كما أنشأ بابا يسمى باب جبريل أو باب الجبر أو باب الجنائز. وبلغت زيادة السلطان عبدالمجيد بالأمتار المربعة ١٢٩٣متراً وعمارة السلطان عبدالمجيد خان العثمانى هذه بدأت عام ١٢٦٥ هجرية وانتهت فى عام ١٢٧٧ هجرية ثم إلى هذه السنوات الثلاث عشرة أضيفت ثلاث سنوات أخرى للكتابة والزخرفة والنقوش، فتمت عمارة الحرم الشريف النبوى فى العهد العثمانى سنة ١٢٨٠هجرية أما الترميمات والتجديدات والتعميرات بدون زيادة أو نقص، فكانت تجديد المعتصم والظاهر بيبرس البندقدارى، وتجديد الملك الناصر محمد بن قلاوون، وتجديد الأشرف برسباى، وتجديد الظاهر جقمق وتجديد السلطان سليمان.

الزيادة السعودية

وفى سنة ثمان وستين وثلثمائة وألف للهجرة، نادى أئمة المساجد فى مصر بجمع التبرعات لإعمار المسجد النبوى وتناقلتها الصحف، وجمعت مبالغ كبيرة لهذا الغرض النبيل، غير أن جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز- رحمه الله- حين علم بأمر هذه

التبرعات أمر بردها لأصحابها وقد ألزم نفسه بشرف توسعته على نفقته الخاصة، فاستقدم أمهر العمال والمهندسين، والمعماريين، لتنفيذ ما خطط له، فبلغت مساحته نحو ستة عشر ألفاً وثلثمائة وست وعشرين متراً مربعاً، وارتفاع جدرانه بنحو أربعة عشر متراً، وأضاف لمئذنتيه مئذنتين أخرتين، ووسع فى أبوابه التسع بمضاعفتها، وبلغ ما أنفق على هذه التوسعة أكثر من خمسين مليون ريال، فظهر للعيان مسجداً يليق بمقام أشرف الخلق وخاتم النبيين- ﷺ-.

التوسعة الأخيرة

من عجب أنك لو زرت البيت الحرام، والحرم النبوى الشريفين كل عام لوجدت زيادةً فى العمارة، عمارة، وبهاء وتشريفاً، لقبول دعاء الزائرين، والمعتمرين، والحجاج المأثور: «اللهم زد هذا البيت تشريفاً، وتعظيماً، ومهابة، وأمناً».

فبعد مرور أربعة عشر قرناً على هجرة المصطفى -صلوات الله وسلامه عليه- خرج على العالم من يسعده أن يُسمى خادم الحرمين الشريفين وهو ملك المملكة العربية السعودية، فقام بتوسعة كلا الحرمين، وكان للمسجد النبوى الحظ الأوفى من هذه الرعاية، فجاوزت مساحته أكثر من ثمان وتسعين ألف متر مربع، بما يعادل خمسة أمثال مساحته ليسع أكثر من مائة وخمسة وستين ألف مصل، إضافة إلى سطح المسجد الذى أعد ليسع أكثر من تسعين ألف مصل، وبدا يتسع قلب المسجد وسطحه لأكثر من ربع مليون مصل- بالإضافة إلى الساحات المحيطة به، التى أعدت بكل عناية لتستقبل أعداداً غير محددة من المصلين، وأعدت سلالم كهربية وغير كهربية لمساعدة المصلين، للصعود والهبوط، فى كل جهة من جهات المسجد، ووسعت أبوابه بنفس النسبة، فارتفع عددها من ثمانية عشر، إلى واحد وثمانين باباً، بسعة أكثر من مائتين وستة وعشرين متراً. ولقد اشتمل المسجد على مساحات مزودة بأسقف كهربية متحركة، يسهل فتحها وغلقها وفق التغيرات الجوية، يبلغ عددها ثلاثاً وثلاثين مظلة.

المآذن

تضاعفت المآذن مرة ونصف المرة فقد زيدت من أربع إلى عشر مآذن بارتفاع يجاوز المائة متر، بعد أن كانت الواحدة لاتجاوز السبعين.

الطابق الأرضى

جهز تحت المسجد النبوى الشريف، الطابق الأرضى، ليكون مخزناً استراتيجياً للمياه، سواء الواردة من زمزم، أو المعدة للوضوء، والاستحمام، والنظافة إلى جانب أماكن وقوف السيارات الخاصة بالمصلين، الذى يتسع لأكثر من خمس آلاف سيارة فى ثلاثة طوابق تحت الأرض، يستخدم أصحابها سلالم كهربية لتسهيل صعودهم، إلى ساحات المسجد، إضافة إلى احتوائها على ثمان

دورات مياه كل منها مكون من أربعة طوابق تحت الأرض خلافاً لأجهزة التكييف والتنظيف.

نفــق الخدمـــات

يوصل «البدروم» - تحت المسجد - بالمدينة المنورة بطول سبعة كيلو مترات يسمح بمرور السيارات والناقلات حتى قلب «البدروم»، إضافة إلى كونه ممراً صناعياً لنقل مخزون المياه، للوضوء والشرب من خلال أربعة أنابيب، سعة أكثر من متر فى قطرها تضخ فيها بواسطة ماكينات عملاقة خارج النفق خارج دائرة الحرم لإبعاد ضجيجها عن آذان المصلين والزائرين.

دورات الميـــاه

أبعدت دورات المياه - برغم نظافتها، وبرغم بهائها - عن المسجد الطاهر، فى أطراف الساحات المكشوفة حوله، تستقبل الراغبين فى الوضوء، والراغبات على أن يهبط المتوضئ إليها عبر سلالم كهربية إلى الأدوار الأربعة تحت الأرض فى البدروم وهى غاية فى الجمال والنظام والنظافة، من حيث العمارة والسباكة، والإمداد والصرف، مليئة بالمياه والصابون السائل، خدمة للزائرين.

الأساســـات

اعتمدت الأساسات على الدق والحفر والصب على قواعد خرسانية مسلحة صلبة تتحمل عظمة المبنى، تم غرسها بمهارة تحت القواعد، لعمق أربعين متراً أو يزيد حسب دراسة أحوال التربة ومدى تحملها.

الأعمـــدة

انتظمت الأعمدة فى المسجد الشريف فوق تلك الأساسات فى منظومة رائعة إما فردية أو زوجية أو رباعية، حسب ما أعدت لحمله، ويبلغ عددها أربعة آلاف وستمائة وعشرين عاموداً.

وقد تم إنشاء مصنع حديث لإمداد مشروع التوسعة بالأحجار الملونة، ينتج أكثر من نصف مليون حجر باللون المطلوب، وعمل نماذج للبواكى وزخرفتها باللون المطلوب، لتنقل إلى المسجد مباشرة ويسهل تركيبها فى مكانها المعد مسبقاً دون أية إضافة، ويقع المصنع على بعد من المسجد وهو مجهز بكل وسائل الإقامة والإعاشة والإمكانات اللازمة للتشغيل وإمداد العمل الكبير بما يتطلبه من احتياجات حتى لايتعطل العمل.

ولقد خرج العمل بصورة لانملك أمامها إلا أن نقول: إن هناك ملائكة تساعد العاملين فى البناء والزخرفة والتشكيل والتنظيم والتنظيف ليخرج هذا المسجد بهذه الصورة الفريدة الرائعة الجمال.

صلى الله عليك ياحبيبى يارسول الله واللهم أدم علينا الصلاة.

فى مسجده الشريف الذى تعدل الصلاة فيه بألف صلاة عما فى سواه.

ميادين الجدال

٩

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

أولاً :

المسائل المتعلقة بأصول الدين وأهمها:

١ ـ الذات الإلهية والصفات (التوحيد) .

٢ ـ الأفعال بين الجبر والاختيار (العدل) .

٣ ـ تخلف الوعيد .

٤ ـ المنزلة بين المنزلتين .

٥ ـ الصلاح والأصلح .

٦ ـ رؤية المولى ـ سبحانه وتعالى ـ .

٧ ـ القول بخلق القرآن .

٨ ـ حقيقة الإيمان وعلاقة العمل به .

٩ ـ زيادة الإيمان ونقصانه .

١٠ ـ التحسين والتقبيح العقليان .

ثانياً :

المسائل المتعلقة بأصول الشريعة وأهمها :

١ ـ الاختلاف فى المصادر الثانوية للشريعة الإسلامية .

٢ ـ القياس فمذهب الجمهور إلى القول بحجته بينما قال النظام والظاهرية وبعض الشيعة بعدم الحجية .

٣ ـ المصالح المرسلة فمعظم الأئمة يرون حجيتها بينما ينكر بعض الفقهاء هذه الحجية (الظاهرية، الآمدى، ابن الحاجب) .

٤ ـ شرع من قبلنا وخاصة الأحكام التى ذكرت ولم يتعرض لها بالإنكار أو الإقرار .

٥ ـ قول الصحابى خاصة الصادر عن الرأى والاجتهاد[١] .

ثالثاً :

المسائل الأصولية (من كتاب تخريج الفروع على الأصول للزنجانى):

١ ـ الأصل فى الأحكام الشرعية التعبد عند الشافعى والتعليل عند أبى حنيفة[٢] .

٢ ـ الزيادة على النص ليست نسخاً عند الشافعية وعند الحنفية نسخ[٣] .

---

(١) أنظر هذه المباحث فى أصول الفقه د. زكى شعبان.

(٢)، (٣)،، أنظر تخريج الأصول على الفروع للزنجانى ص ٣٨، ٥٠، ٦٢، ٦٨، ٧٥، ٧٩، ٩٨، ٢٥٤، ٢٦٩، ٣٣٠، ٣٦٢، ٢٧٩، ٥٧.

٣ ـ خبر الواحد فيما تعم به البلوى مقبول عند الشافعي وغير مقبول عند الأحناف[٤].

٤ ـ إذا دار اللفظ بين الحقيقة والمجاز جاز أن يكون كلاهما مراداً عند الشافعي وقال أبو حنيفة: لا يجوز إرادة الحقيقة والمجاز في حالة واحدة[٥].

٥ ـ مطلق الأمر يقتضي التكرار عند الشافعي ولا يقتضي التكرار عند أبي حنيفة[٦].

٦ ـ المصيب واحد في المجتهدات الفروعية والحق فيها متعين عند الشافعي، وذهب الحنفية إلى أن مجتهد مصيب[٧].

٧ ـ الكفار مخاطبون بفروع الإسلام عند الشافعية وغير مخاطبين عند الأحناف[٨].

٨ ـ الأمر المطلق المجرد عن القرائن يقتضي الفور عند الشافعي وذهب الكثير من العلماء إلى أنه للتراخي[٩].

٩ ـ الأمر بالشيء ليس نهياً عن ضده وكذا العكس عند الشافعي وذهب الحنفية إلى خلاف ذلك[١٠].

(١٠) حكم الشيء يدور مع أصله وجوداً وعدما عند أصحاب أبي حنيفة[١١].

١١ ـ تخصيص عموم الكتاب بالقياس جائز عند الشافعي وأنكر الحنفية ذلك [١٢].

١٢ ـ خبر الواحد إذا خالف قياس الأصول يقدم على القياس عند الشافعي وذهبت الحنفية إلى تقديم القياس عليه[١٣].

١٣ ـ الاستثناء إذا تعقب جملا نسق بعضها على بعض رجع إلى جميع الجمل عند الشافعي وقال أبو حنيفة: يختص بالجملة الأخيرة[١٤].

١٤ ـ إذا أمر المكلف بفعل أجزأه من ذلك ما يقع عليه اسم الفعل المأمور به عند الشافعي وقيل: لا بد من فعل كل ما يتناوله اسمه[١٥].

١٥ ـ حرف الواو الناسقة للترتيب عند الشافعية ولمطلق الاشتراك عند الأحناف[١٦].

١٦ ـ كل حكم شرعه أمكن تعليله فالقياس فيه جائز عند الشافعي وذهب الأحناف إلى أن القياس لا يجرى في الكفارات[١٧].

رابعاً :

المسائل الأصولية (تخريج الفروع على الأصول للزنجاني بتصرف):

١ ـ الأصل في الأحكام الشرعية التعبد عند الشافعي، والتعليل عند أبي حنيفة[١٨] ذهب الشافعي إلى أن الطهارة والنجاسة وسائر المعاني الشرعية كالرق والملك وسائر الأحكام الشرعية ككون المحل طاهراً أو نجساً، وكون الشخص حراً أو مملوكاً ليست من صفات الأعيان المنسوب إليها بل، أثبتها الله تحكماً وتعبداً غير معللة... وما يتعلق بها من مصالح العباد فذلك حاصل ضمنا وتبعاً، لا أصلاً ومقصوداً.

وسر هذه القاعدة أن الله ـتعالى ـ مالك الملك وخالق الخلق يتصرف في عباده كيف يشاء.. وذهب أبو حنيفة إلى أن الأحكام الشرعية صفات للمحال والأعيان المنسوبة إليها أثبتها الله ـتعالى ـ وشرعها معللة بمصالح العباد.

---

(٤)، (٩٥) (٦)، (٧)، (٨)، (٩)، (١٠)، (١١)، (١٢)، (١٣)، (١٤) أنظر تخريج الأصول على الفروع للزنجاني، المواضع السابقة.

(١٥)، (١٦)، (١٧)، (١٨) تخريج الفروع على الأصول للزنجاني بتصرف. ص٥٣، ١٣٢، ٣٨.

كما أن الحسن، والقبح، والوجوب، والخطر، والندب، والكراهة، والإباحة من صفات الأفعال التى تضاف إليها.

فالشافعى حين رأى أن التعبد فى الأحكام هو الأصل غلب احتمال التعبد وبنى مسائله فى الفروع عليه.

وأبو حنيفة حين رأى أن التعليل هو الأصل بنى مسائله فى الفروع عليه.

الأمثلة:

(أ) عند الشافعى يتعين لفظة التكبير فى افتتاح الصلاة ولا يقوم ما فى معناها مقامها، ويتعين لفظة التسليم فى اختتامها ولا يقوم ما فى معناها مقامها، وعند أبى حنيفة يقوم،

(ب) إن غير الفاتحة لا يقوم مقامها فى الصلاة عند الشافعى، لاحتمال التعبد بالإعجاز اللفظى والمعنوى، وعند أبى حنيفة يقوم مقامها تعويلا على المعنى.

(جـ) يمتنع الإبدال فى الزكوات ولا يجزىء إخراج القيمة عند الشافعى لظهور احتمال التعبد بالتشريك بين الفقراء والأغنياء فى جنس المال، وعند الأحناف يجزىء[19].

٢ ـ الزيادة على النص ليست نسخاً عند الشافعية وعند الحنفية نسخ[20].

الأمثلة :

(أ) إن النية واجبة فى الوضوء عند الشافعية لأن اشتراطها لا يوجب نسخاً. وعند الحنفية تجب لأن الله -تعالى- ذكر غسل الأعضاء الأربعة فى الوضوء ولم يذكر النية فمن أوجبها فقد زاد على النص.

(ب) إن التغريب يشرع مع الجلد عند الشافعية وعند الحنفية لا يشرع، لأن الله ذكر الجلد ولم يذكر التغريب، فمن أوجبه فقد زاد على النص والزيادة على النص نسخ[21].

٣ ـ خبر الواحد فيما تعم به البلوى مقبول عند الشافعى وغير مقبول عند الأحناف[22] واحتج الشافعى بقوله -تعالى- :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾[23].

ورجوع الصحابة إلى قول عائشة فى التقاء الختانين مع أن ذلك مما تعم به البلوى، واحتج أبو حنيفة بأن ما تعم به البلوى يكثر وقوعه فكثر السؤال عنه، وما يكثر السؤال عنه يكثر الجواب عنه فيقع التحدث به كثيراً وينقل نقلاً مستفيضاً ذائعاً، فإذا لم ينقل مثله دل ذلك على فساد أصله.

الأمثلة :

(أ) إن أحاديث الجهر بالتسمية مقبولة عند الشافعى، وعند الأحناف لا تقبل لعموم البلوى بها.

(ب) إن المتفرد برؤية الهلال إذا كانت مصحبة تقبل شهادته عند الشافعية.

وعند الأحناف لا تقبل لعموم البلوى وتوافر الدواعى على روايته والجد فى طلبه[24].

٤ ـ إذا دار اللفظ بين الحقيقة والمجاز جاز أن

---

(١٩) (٢٠)، (٢١)، (٢٢) تخريج الفروع على الأصول للزنجانى ص ٣٨ ـ ٤٥ بتصرف، ٥٠، ٥١، ٦٢.

(٢٣) التوبة آية ١٢٢.

(٢٤) تخريج الفروع ص ٦٦.

يكون كلاهما مراداً عند الشافعى وقال أبو حنيفة لا يجوز إرادة الحقيقة والمجاز فى حالة واحدة[٢٥].

الأمثلة :

إن لمس المرأة يوجب انتقاض الطهارة عند الشافعى وعند أبى حنيفةلا يوجب، لأن اللمس مجاز عن الجماع والجماع مراد باتفاق، فمهما صار حدثاً فلا ينبغى الحقيقة معه مرادة.

٥ ـ مطلق الأمر يقتضى التكرار عند الشافعى ولا يقتضى التكرار عند أبى حنيفة[٢٦].

الأمثلة :

إن السارق يؤتى بأطرافه الأربعة عند الشافعية عملاً بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾[٢٧].

فإنه أمر مقتضاه التكرار بتكرار السرقة.

وعند أبى حنيفة لا يقتضى التكرار فلا يقطع فى المرة الثانية[٢٨].

٦ ـ المصيب واحد فى المجتهدات الفروعية والحق فيها متعين عند الشافعى وذهب الحنفية إلى أن كل مجتهد مصيب[٢٩].

الأمثلة :

إن من اشتبهت عليه القبلة واجتهد وصلى إلى جهة غلب على ظنه أنها جهة القبلة، ثم بان له يقين الخطأ عند الشافعى لفوات الحق المتعين وعند الأحناف لا يلزم القضاء لتصويبه فيما مضى وإن بان أنه خطأ[٣٠].

٧ ـ الكفار مخاطبون بفروع الشريعة عند الشافعية وغير مخاطبين عند الأحناف[٣١].

الأمثلة :

(أ) إن المرتد إذا أسلم لزمه قضاء الصلوات الغائبة فى أيام الردة وكذا أيام الصيام الفائتة عند الشافعى خلافاً لأبى حنيفة.

(ب) إن الكفار إذا استولوا على أموال المسلمين وأحرزوها بدارهم لا يملكونها عند الشافعية لأنها معصومة، وعند الأحناف يملكونها، لأن تحريم التناول من فروع الإسلام وهم غير مخاطبين بها[٣٢].

٨ ـ الأمر المطلق المجرد من القرائن يقتضى الفور عند الشافعى وذهب الكثير من العلماء إلى أنه للتراخى[٣٣].

(أ) إن الزكاة تجب على الفور عند الشافعية، وغيرهم على التراخى.

(ب) إن المال إذا حال عليه الحول ووجبت الزكاة وتمكن من أدائها ثم تلف لم تسقط الزكاة عند الشافعية لأنه عصى بالمنع، وغيرهم تسقط، إذ لاعصيان مع جواز التأخير.

٩ ـ إن الأمر بالشىء ليس نهياً عن ضده، والنهى عن الشىء ليس أمراً بضده عند الشافعية، وذهب الأحناف إلى أن الأمر بالشىء يقتضى النهى عن أضداده ويتفرع عن ذلك.

(أ) إن التخلى لنافل العبادات أولى من الاشتغال بالنكاح عند الشافعية، وعند الأحناف الاشتغال بالنكاح أولى.

(ب) إن إرسال الطلقات الثلاث مباح عند الشافعية لأن موجبها قطع نكاح مباح. وعند الأحناف ممنوع وبدعة، لأنه تضمن قطع مصلحة

---

(٢٥)، (٢٦)، (٢٨)،(٢٩)، (٣٠)، (٣١) تخريج الفروع على الأصول للزنجانى ص ٦٨، ٧٥، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٩٨، ١٠١.

(٢٧) المائدة آية ٣٨.

(٣٢) (٣٣)، (٣٤) تخريج الفروع ص ١٠١، ١٠٨، ٢٥٢ ـ ٢٥٣ بتصرف.

وجبت إقامتها بالكلية[٣٤].

١٠ ـ ذهب الأحناف إلى أن حكم الشيء يدور مع أثره وجوداً وعدماً بينما منع الشافعي ذلك.

(أ) إن نكاح الأخت في عدة الأخت البائنة جائز عند الشافعي وعند الأحناف لا يجوز، لأن العدة من خصائص النكاح.

(ب) إن المختلفة لا يلحقها صريح الطلاق لزوال حقيقة النكاح وعندهم يلحقها ما دامت في العدة.

(جـ) إن المبتوتة في حرض الموت لا ترث عند الشافعية وعند الأحناف ترث ما دامت العدة قائمة.

١١ ـ تخصيص عموم الكتاب بالقياس جائز عند الشافعي. وعلل ذلك بأن القياس دليل شرعي معمول به فوجب أن يجوز التخصيص به قياساً على خبر الواحد والكتاب، وذهبت الحنفية إلى إنكار ذلك، واحتجوا فيه بأن التخصيص نازل منزلة النسخ من حيث إن كل واحد منهما إسقاط لموجب اللفظ، غير أن النسخ إسقاط لموجب اللفظ العام في بعض الأزمان، والتخصيص إسقاط لموجب اللفظ في بعض الأعيان.

الأمثلة :

إن مباح الدم إذا التجأ إلى الحرم لا يعصمه الالتجاء عند الشافعي، وعند الأحناف يعصمه لعموم قوله: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾[٣٥].

فالشافعي خصص عموم هذا اللفظ بالقياس لقيام موجب الاستيفاء وبعد احتمال المانع إذا لا مناسبة بين اللياذ إلى الحرم وإسقاط حقوق الآدميين.

وأبو حنيفة لم يجوز تخصيص هذا العموم بالقياس وإن كان جلياً[٣٦].

١٢ ـ خبر الواحد إذا خالف قياس الأصول يقدم على القياس عند الشافعي، واحتج في ذلك بأن الخبر أقوى من القياس فوجب أن يقوم عليه، وذهبت الحنفية إلى تقديم القياس عليه.

واحتجوا في ذلك بأن قالوا: أقوى من الخبر فوجب أن يقدم عليه وذلك لأن القائس المجتهد على يقين من اجتهاد نفسه. وليس على يقين من الخبر لأنا لا نقطع بصحة خبر الواحد ولهذا لا يوجب العلم... ويستحيل أن يقدم ما ثبت ظنا على ما علم يقينا.

الأمثلة :

إن الجنين يتذكى بذكاة أمه عند الشافعي لحديثه: «قلنا يا رسول الله إنا ننحر الإبل ونذبح الشاة ونجد في بطنها ميتاً (فنلقيه أم نأكله؟ فقال ـ ﷺ ـ كلوه فإن ذكاة الجنين ذكاة أمه»[٣٧].

وعند الأحناف لا يتذكى بذكاة أمه تقديماً لقياس الأصول على الخبر حيث إن الأصل في الشرع أن كل ما كان مستخبثاً كان حراماً وكل ما يحتقن فيه الدم المستخبث يكون حراماً والجنين في بطن الأم كذلك[٣٨].

الاستثناء إذا تعقب جملا نسق بعضها على بعض رجع إلى جميع الجمل عند الشافعي وقال أبو حنيفة: يختص بالجملة الأخيرة[٣٩].

ومن أمثلة ذلك :

أن المحدود في القذف إذا تاب قبلت شهادته ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

(٣٥) آل عمران آية ٩٧.

(٣٦) تخريج الفروع ص ٣٣٠، ٣٣٣ بتصرف.

(٣٧) الحديث أخرجه أبو داود ٢٨٢٨ والترمذي ١٤٧٦ وأحمد في المسند ٣٩١٣ والبيهقي في الكبرى ٣٣٥/٩ وابن حيان ١٠٧٧.

(٣٨) تخريج الفروع ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥، ٢٧٩.

(٣٩) تخريج الفروع ص ٢٧٩.

﴿ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾(٤٠).

يرجع إلى جميع الجمل فيرتفع رد الشهادة كما ارتفع الفسق، فإن قيل لو عاد إلى جميع الجمل لسقط الحد بالتوبة فإنه منها، قلنا سقط على أحد قولى الشافعى، وعلى التسليم إنما لم يسقط الحد بالتوبة، لأن المغلب فيه حق الآدمى فلا يسقط إلا باستيفائه لا الخلل فى اقتضاء الصيغة.

وقال أبو حنيفة -رضى الله عنه-: لا تقبل شهادته أبداً لاختصاص الاستثناء بالجملة الأخيرة(٤١).

١٤ -إذا أمرالمكلف بفعل أجزاءه من ذلك ما يقع عليه اسم الفعل المأمور به عند الشافعى، وقيل: لا بد من فعل كل ما يتناوله اسمه، احتج الشافعى، بأن الأقل مستيقن والزيادة مشكوك فيها فلا يجب من غير دليل.

وذهب الأحناف إلى أنه لا يجزيه فعل ما يقع عليه الاسم، بل لا بد من فعل كل ما يتناوله اسمه.

واحتجوا بأن الاسم يطلق على الكل حقيقة؛ وعلى البعض مجازاً، والكلام يحمل على الحقيقة عند الإطلاق إلى أن يقوم دليل المجاز.

الأمثلة: إن مسح الرأس لا يتقدر عند الشافعى بل يكتفى بما يطلق عليه الاسم وهو الأقل.

وقال أبو حنيفة. يتقدر بمقدار الناصية(٤٢).

١٥ - حرف الواو الناسقة للترتيب عند الشافعية ولمطلق الاشتراك عند الأحناف(٤٣).

الأمثلة:

١ - إن الترتيب مستحق فى أفعال الوضوء عند الشافعى تمسكاً لقوله -تعالى-:

﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾(٤٤)

وعند الأحناف لا يستحق.

٢ - إن البداية بالسعى بالصفا دون المروة واجب عند الشافعى فلو ترك الترتيب لا يجزيه وعند الأحناف يجزيه(٤٥).

١٦ - كل حكم شرعى أمكن تعليله فالقياس فيه جائز عند الشافعى، وذهب الأحناف إلى أن القياس لا يجزى فى الكفارات(٤٦). وقد علل الشافعية ذلك بأن مستند القول بالقياس إجماع الصحابة، ولم يفرقوا بين حكم وحكم فيما يمكن تعليله.

وعلل الأحناف رأيهم بأن قالوا: إنما منعنا من إجراء القياس فى الكفارات؛ لأنا رأينا الشرع قد أوجب الكفارة على المظاهر وعلل وقال: « وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا »(٤٧) ثم أن المرتد قال أعظم مما قال المظاهر، وأفحش ولم يوجب عليه الكفارة..

الأمثلة:

(أ) إذا جامع فى يومين من رمضان واحد يلزمه كفارتين عند الشافعية لتماثل السببين، وعند الأحناف لا يلزم سوى كفارة لتعذر الإلحاق على ما سبق.

٢ - إن المنفرد برؤية الهلال إذا رد الحاكم شهادته يلزمه الكفارة إذا جامع فى ذلك اليوم عند الشافعية، كما إذا قبل القاضى شهادته يلزمه وعند الأحناف لا يلزمه.

٣ - إن القتل العمد يوجب الكفارة عند الشافعية قياساً على الخطأ وعند الأحناف لا تجب(٤٨).

«يتبـــــع»

(٤٠) النور آية ٤، ٥.

(٤١) تخريج الفروع ص ٣٨٣ - ٣٨٦.

(٤٢)، (٤٣) تخريج الفروع ص ٥٨ - ٥٩، ٥٣.

(٤٤) المائدة آية ٦.

(٤٥)، (٤٦) تخريج الفروع ص ١٣٢، ٥٦ بتصرف.

(٤٧) المجادلة آية ٢.

(٤٨) تخريج الفروع ص (١٣٤ - ١٣٥) بتصرف.

العشرة المبشرون بالجنة

٤ الفاروق

عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

روى أحمد: حدثنا محمد، حدثنا النضر بن حماد العقدى، قال: حدثنا سيف بن عمر الأسدى، حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إذا رأيتم الذين يسبون أصحابى فالعنوهم»

وفى السنة الثالثة للهجرة تزوج رسول الله ـ ﷺ ـ السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب، زوجه إياها أبوها عمر بن الخطاب، وأصدقها رسول الله ـ ﷺ ـ أربع مائة درهم[1].

وكانت السيدة حفصة ـ رضى الله عنها ـ زوجة للصحابى الجليل حنيس بن حذافة، فلما مات زوجها فى غزوة أحد شهيدا، عاشت فى بيت أبيها تجتر أحزانها، ولحظ عمر ـ رضى الله عنه ـ ما تعانيه ابنته من حزن وألم، أورد البخارى فى صحيحه: «حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا هشام، أخبرنا معمر، حدثنا الزهرى، قال: أخبرنى سالم: أن ابن عمر أخبره أن عمر حين تأيمت حفصة بنت عمر من ابن حذافة السهمى ـ وكان من أصحاب النبى ـ ﷺ ـ من أهل بدر توفى بالمدينة، فقال عمر: لقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة، فقال: سأنظر فى أمرى، فلبثت ليالى، ثم لقينى، فقال: بدا لى أن لا أتزوج يومى هذا؛ قال عمر: فلقيت أبا بكر، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة[2] .. وقال عمر: خطب النبى ـ ﷺ ـ إلى حفصة فأنكحته[3]».

---

(١) ابن هشام السيرة النبوية (٢/).

(٢) اخرجه البخارى فى كتاب النكاح، باب بمن قال لانكاح إلا بولى (٧/٢٠، ٢١) كتاب الشعب ط ١٣٧٨ هـ.

(٣) أخرجه البحارى فى كتاب النجاح، باب تزويج الأب ابنته من الإمام.

خـــابت حفصـــة وخســـرت

وحـدث أن نسـاء النبى - ﷺ - سـألنه شيـئا من عرض الدنيا، وطلبن منه زيادة فى النفـقة، وآذينه بغيرة بعضهن، فهجرهن رسول الله - ﷺ - وآلى ألا يقربهـن شـهرا،[٤] فكان لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - موقفه المشهود معهـن بعامة ومع ابنته حفصة بصفة خاصة يقول البخارى فى صحيحه: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال: أخبـرنى عـبيد الله بن عـبدالله بن أبى ثور عن عبدالله بن عباس - رضى الله عنهما - قال: لم أزل حريصا على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبى - ﷺ - اللتين قال الله - تعالى -:

﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا ﴾(*)

حتى حج وحججت معه، وعدل وعدلت معه بإداوة فتبرز، ثم جاء فسكبت على يديه منها فتوضأ، فقلت له يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبى - ﷺ - اللتان قال الله - تعالى -:

﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا ﴾(*)

قـال: واعـجبـا لك يا ابن عـبـاس هما عـائشـة وحفصة ثم استقبل عمر الحديث يسوقه قال: كنت أنا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد وهم من عوالى المدينة وكنا نتناوب النزول على النبى - ﷺ - فينزل يوما، وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحى أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصخبت على امرأتى فراجعتنى فـأنكرت أن تراجـعنى قـالت: ولم تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبى - ﷺ - ليراجعنه وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فأفزعنى ذلك وقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهن ثم جمعت على ثيابى، فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها: أى حفصة أتغاضب إحداكن النبى - ﷺ - اليوم حتى الليل؟ قالت: نعم، فقلت: قد خبت وخسرت أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله - ﷺ - فتهلكى، لا تستكثرى النبى - ﷺ - ولا تراجعيه فى شىء ولا تهجريه وسلينى ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبى - ﷺ - يريد عائشة، قال عمر: وكنا قد تحدثنا أن غسان تنعل الخيل لغزونا فنزل صاحبى الأنصارى يوم نوبته، فرجع إلينا عشاء فضرب بابى ضربا شديدا وقال: أثم هو، ففزعت فخرجت إليه، فقال: قد حدث اليوم أمر عظيم، قلت: ما هو أجاء غسان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأهول طلق النبى - ﷺ - نساءه فقلت: خابت حفصة وخسرت، قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون فجمعت على ثيابى، فصليت صلاة الفجر مع النبى - ﷺ - فدخل النبى - ﷺ - مشربة له فاعتزل فيها، ودخلت على حفصة فإذا هى تبكى، فقلت: ما يبكيك ألم أكن حذرتك هذا أطلقكن النبى - ﷺ - قالت: لا أدرى ها هو ذا معتزل فى المشربة فخرجت فجئت إلى المنبر فإذا حوله رهط يبكى بعضهم فجلست معهم قليلا، ثم غلبنى ما أجد فجئت المشربة التى فيها النبى - ﷺ - فقلت لغلام له أسود: استأذن لعمر، فدخل

---

(٤) البغوى، معالم التنزيل (٦/ ٥٣٨: ٥٣٩) ط المنار ١٣٤٧.

(*) التحريم (٤).

الغلام فكلم النبى - ﷺ - ثم رجع فقال: كلمت النبى - ﷺ - وذكرتك له فصمت: فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبنى ما أجد. فجئت فقلت للغلام: استأذن لعمر، فدخل ثم رجع فقال: قد ذكرتك له فصمت، فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبنى ما أجد، فجئت الغلام فقلت: استأذن لعمر، فدخل ثم رجع إلىَّ فقال: قد ذكرتك له فصمت، فلما وليت منصرفا، قال: إذا الغلام يدعونى، فقال: قد أذن لك النبى - ﷺ - فدخلت على رسول الله - ﷺ - فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة أدم حشوها ليف، فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم: يا رسول الله أطلقت نساءك؟ فرفع إلى بصره فقال: لا، فقلت: الله أكبر. ثم قلت وأنا قائم: أستأنس يا رسول الله لو رأيتنى وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فتبسم النبى - ﷺ - ثم قلت: يا رسول الله لو رأيتنى ودخلت على حفصة فقلت لها: لا يغرنك أن كانت جارتك أوضا منك وأحب إلى النبى - ﷺ - يريد عائشة، فتبسم النبى - ﷺ - تبسمة أخرى، فجلست حين رأيته تبسم فرفعت بصرى فى بيته فوالله ما رأيت فى بيته شيئا يرد البصر غير أهبة ثلاثة، فقلت: يا رسول الله ادع الله فليوسع على أمتك فإن فارسا والروم قد وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله. فجلس النبى - ﷺ - وكان متكئا فقال أو فى هذا أنت يا ابن الخطاب، إن أولئك قوم عجلوا طيباتهم فى الحياة الدنيا، فقلت: يا رسول الله استغفر لى، فاعتزل النبى - ﷺ - نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعا وعشرين ليلة، وكان قال: ما أنا بداخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة، فبدأ بها فقالت له عائشة: يا رسول الله إنك كنت قد أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا، وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها عدا، فقال: الشهر تسع وعشرون فكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة، قالت عائشة: ثم أنزل الله - تعالى - آية التخيير(٥) فبدأ بى أول امرأة من نسائه فاخترته ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة(٦).

شهدت له السنّة

ومع موافقة القرآن الكريم لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - شهدت السنة النبوية الشريفة والأخبار والآثار له بسداد الرأى والعلم.

أخرج الإمام أحمد؛ حدثنا إبراهيم بن عبدالله البصرى أبومسلم الكجى، حدثنا يحيى بن كثير الناحى، حدثنا ابن لهيعة من مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب»(٧).

---

(٥) قوله تعالى فى سورة الأحزاب ﴿ يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن وأسرحكن سراحا جميلا. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ﴾ الآيات (٢٨، ٢٩).

(٦) رواه البخارى، فى صحيحه، كتاب النكاح، باب: موعظة الرجل ابنته لحال زوجها (٧/ ٣٦: ٣٨).

(٧) إسناده حسن لغيره، فضائل الصحابة برقم (٤٩٨).

وأخرج الإمام أحمد : حدثنا جعفر، حدثنا قتيبة بن سعد، حدثنا الليث بن سعد عن محمد ابن عجلان عن سعد بن إبراهيم عن أبى سلمة عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله - ﷺ - « قد يكون فى الأمم محدثون فإن يكن فى أمتى أحد فعمر بن الخطاب »(٨).

وأخرج الإمام أحمد : حدثنا جعفر، حدثنا أبوسعيد عبدالرحمن إبراهيم الدمشقى، حدثنا محمد بن أبى فديك عن عبدالرحمن بن أبى الزناد عن ابن أبى عتيق عن أبيه عن عائشة أن النبى - ﷺ - قال : « ما من نبى إلا وفى أمته من بعده معلَم أو معلِم، فإن يكن فى أمتى منهم أحد فهو عمر بن الخطاب، إن الحق على لسان عمر وقلبه »(٩).

وأخرج الشيخان، عن أبى هريرة وابن عمر - رضى الله عنهم - قالا : قال رسول الله - ﷺ -: « بينما أنا نائم رأيتنى على قليب عليها دلو فنزعت منها إلى ما شاء الله ثم أخذها أبوبكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفى نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب، فاستقى، فاستحالت فى يده غربا، فلم أر عبقريا يفرى فريه، حتى روى الناس وضربوا بعطن »(١٠).

وأخرج الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن عبدالله، حدثنا الحكم بن مروان، حدثنا فرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن ابن عمر، أن النبى - ﷺ - أراد أن يبعث رجلا فى حاجة، وأبوبكر عن يمينه، وعمر عن يساره، فقال على : ألا تبعث هذين؟ فقال : كيف أبعثهما وهما من الدين كمنزله السمع والبصر من الرأس(١١).

وأخرج أحمد : حدثنا محمد بن يونس القرشى، حدثنا محمد بن جهضم، حدثنا سعيد بن مسلمة، عن إسماعيل بن أمية، عن نافع عن ابن عمر، قال : دخل النبى - ﷺ - المسجد وأبوبكر عن يمينه وعمر عن يساره فقال : « هكذا نبعث يوم القيامة »(١٢).

صدق عمر

وأخرج أحمد : حدثنا عبدالله، قال : حدثنا أبى، حدثنا عبدالرزاق قال : حدثنا معمر عن قتادة، عن أنس أو عن النضر بن أنس عن أنس قال : قال رسول الله - ﷺ -: « إن الله عز وجل وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى أربعمائة ألف، فقال أبوبكر : زدنا يا رسول الله. قال : وهكذا، وجمع كفه قال : زدنا يا رسول الله. قال : وهكذا، فقال عمر حسبك يا أبا بكر، فقال أبوبكر : دعنى يا عمر، وما عليك أن يدخلنا الله الجنة كلنا؟ فقال عمر : إن الله - عز وجل - إن شاء أدخل خلقه الجنة بكف واحد فقال النبى - ﷺ -: صدق عمر »(١٣).

أشدها فى دين الله عمر

وأخرج أحمد : حدثنا عبدالله، حدثنا أبى وكيع عن سفيان عن خالد الحذاء عن أبى قلابة عن أنس قال : قال رسول الله - ﷺ -: « أرحم أمتى أبوبكر وأشدها فى دين الله عمر »(١٤).

(يتبع)

---

(٨) إسناده صحيح، فضائل الصحابة برقم (٥١٦)، وأخرجه البخارى (٥١٢/٦)، ومسلم (١٨٦٤/٤)، والترمذى (٥/ ٦٢٢).

(٩) إسناده صحيح، فضائل الصحابة، برقم (٥١٨).

(١٠) صحيح البخارى مع فتح البارى (٧/ ٤١).

(١١) إسناده ضعيف جدا، فضائل الصحابة برقم (٥٧٥).

(١٢) إسناده ضعيف جدا، فضائل الصحابة بقم (٦٠٢).

(١٣) رجال الإسناد ثقات، لكنه معلول بتدليس قتادة، فضائل الصحابة برقم (٧١٤)، وفى المسند (١٦٥/٣).

(١٤) إسناده صحيح، فضائل الصحابة برقم (٧١٦).

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد وتقديم الشيخ: عبدالفتاح حسين الزيات

■ **السؤال من السيد / أسامة نصر محمد**

تبرعت سيدة بقطعة أرض مساحتها ٢ قيراط لبناء مسجد عليها بموجب عقب تبرع، لكنه لم يتم البناء نظرا لعدم الاحتياج لهذا المسجد لوجود مسجد آخر.. والسؤال الآن: هل يجوز لهذه السيدة استرداد هذه الأرض؟ علما بأن أهل البلدة أشاروا عليها أن تبيع هذه الأرض وتنفق الأموال فى مشروع صرف صحى أو كفالة اليتيم؟

●● **الجواب:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فنفيد بأنه مادامت هذه السيدة قد تبرعت بقطعة الأرض لبناء مسجد عليها لأهل القرية ولم ينفذ أهل القرية البناء لعدم حاجتهم إلى المسجد مكتفين بما لديهم من مساجد فيجوز لهذه السيدة أن تبيع هذه الأرض، لإنفاق ثمنها فى مشروع الصرف الصحى كما ورد بالسؤال أو كفالة اليتيم مادامت قد عقدت النية على التصدق والتبرع بهذه الأرض قال الله – تعالى –:

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾(١).

والصدقة لا تنقص المال كما يتوهم بعض الناس ولكنها تنمية وتزكية لقوله – ﷺ – **(ما نقص مال من صدقة)** صدق رسول الله.

---

(١) سورة سبأ ٣٩.

■ **السؤال من السيد / مصطفى رشاد عزمى :**

توفى زوج وترك زوجة بدون أولاد ـ مؤخر صداق ـ تجهيزات بعد الزواج ما رأى الدين فى طلب أهل الزوج بإخلاء شقة السكن المذكورة بعد الوفاة ؟

زعموا أنه بوفاة الزوج لا يوجد مؤخر صداق .

طلبهم بالمنقولات التى جددت خلاف قائمة المنقولات برجاء الإفادة .

●● **الجواب :**

بعد الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد :

فنفيد بأن للزوجة أولا أن تأخذ مؤخر صداقها من تركة زوجها المتوفى قبل توزيع التركة، لأنها تستحقه بأقرب الأجلين : الطلاق أو الوفاة، ولها أن تأخذ قائمة المنقولات المسجلة أما ما زاد عليها من تجهيزات كما هو مذكور بالسؤال فيضم ثمنه أو قيمته إلى باقى المقدم ويقسم قسمة شرعية حسب الأنصبة . والله ـ تعالى ـ أعلى وأعلم .

■ **السؤال من السيد / بهى الدين أحمد**

رضع شاب وهو طفل صغير (رضيع) من جدته لأبيه لمدة طويلة ، ويريد الزواج من بنت عمه فما الحكم؟

●● **الجواب :**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد :

فنفيد بأنه برضاع الشاب من جدته فى سن الرضاع لمدة طويلة صار ابنا لها من الرضاعة وأصبح أخا لكل أولادها من الرضاع، ولا يجوز له الزواج من بنات أعمامه، لا بنات أولاد أعمامه، الذكور وإنه نزلن ولا من بنات بناتهن ولا يجوز له، كذلك الزواج من بنات عماته ولا من بنات أبناء عماته، لأنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب . والله ـ تعالى ـ أعلم .

■ **السؤال من السيد / محمد عباس السيد**

١ ـ قلت لزوجتى أنت طالق وراجعتها فى نفس اليوم .

٢ ـ قلت لزوجتى : إن أخذت العفش وخرجت تكونى طالقا أقصد التهديد فما الحكم ؟

●● **الجواب :**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد :

فنفيد عن السؤال الأول : يقع به طلقة رجعية، وقد راجعها فى أثناء العدة فحسبت عليه طلقة .

وعن الثانى: فهو يمين معلق على النية وحيث إن نيته التهديد فقط فيكفر عن اليمين بإطعام عشرة مساكين حسب قدرته ولا يقع به طلاق وتبقى معه على طلقتين، هذا إذا كان الحال كما ورد فى السؤال، والله ـ تعالى ـ أعلم.

■ **السؤال من السيد/ متولى فراج الشرقاوى**

توفيت مطلقة والدى بعد انقضاء عدتها بثلاث سنوات دون أن تطالب هى بمتعتها علما بأن الطلاق كان غيابيا وانقضت عدتها وماتت ولم تنجب أولادا فهل يحق لورثتها وهم أشقاؤها المطالبة بمتعتها؟

●● **الجواب**:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فنفيد لما نزلت الآية الكريمة:

﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٢)

قال بعض الأزواج: إن أحسنت فعلت، وإن لم تحسن لم أفعل ظنا منهم أنهم مخيرون. فأنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ قوله:

﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ ﴾(٣)

وعلى ذلك فقد كانت المتعة حقها، ولكنها تنازلت عنها بأى شكل من أشكال التنازل بدليل أنها عاشت بعد طلاقها ثلاث سنوات وبذلك لا يحق للورثة المطالبة بها.

والله تعالى أعلى وأعلم.

■ **السؤال من السيد/ علاء محمود محمد ـ البحيرة**

توفى رجل عن: زوجة ـ بنتين ـ ابن بنت ـ ابن عم شقيق ـ أخ لأم ـ فما نصيب كل؟

●● **الجواب**:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فنفيد: بأن تركة المتوفى بها وصية واجبة لابن البنت بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة وقت وفاة المورث فى حدود الثلث؛ طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس ١٩٤٦ بشرط ألا يكون الجد قد أعطى ابن البنت من ماله حال حياته ما يعادل الوصية بدون عوض؛ فتقسم التركة تسعة أجزاء: جزءان منها وصية واجبة لابن البنت لا يشاركه أحد، والباقى سبعة أجزاء هو الميراث، للزوجة الثمن فرضا، لوجود الفرع الوارث، وللبنتين الثلثان فرضا لعدم وجود من يعصبهما بالتساوى بينهما، والباقى لابن العم تعصيبا، ولا شىء للأخ لأم لحجبه بالفرع الوارث والله ـ تعالى ـ أعلى وأعلم.

(٢) سورة البقرة (٢٢٦).

(٣) سورة البقرة (٢٤١).

من أعلام الصحابة
أبو أيوب الأنصاري

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي

١ حدِّث ولا حرج، عن هذا الصحابي الجليل، وعن سيرته العطرة، وبطولته النادرة، وكفاحه الخالد من أجل الإسلام ودعوته الكبرى

أبو أيوب الأنصارى

ويا له من مثل يُرْوى على مرّ الأجيال فى التضحية والإيمان والجهاد فى سبيل الله والإسلام.

وماذا نَعرف عن أبى أيوب الأنصاري؟

لقد كان أحد شهود بيعة العقبة الكبرى[1] -الثانية- عام ٥٢ لميلاد رسول الله -ﷺ- ٦٢١م، التى شهدها ثلاثة وسبعون رجلا، ومعهم امرأتان هما: نسيبة بنت كعب (أم عمارة) من بنى النجار، وأسماء بنت عمرو من بنى سلمة، وكانوا قد قدموا من المدينة لشعيرة الحج وقد أسلموا جميعاً حين بلغهم أمر الإسلام، على يدىْ مصعب ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف داعية الإسلام فى المدينة، بعثه رسول الله وأمره أن يقرىء مسلمى المدينة القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم فى الدين، وأغلب مسلمى المدينة كانوا ممن أسلموا فى بيعة العقبة الأولى -عام ٥١ للميلاد النبوى الشريف وبعدها، ومصعب أول من صلى الجمعة بالمسلمين فى المدينة، هو وأسعد بن زرارة، من بنى النجار، أخوال رسول الله -ﷺ-.

وبعد أن أشرق نور الإسلام، فى آفاق المدينة، هاجر رسول الله -ﷺ- إليها، فى العام الثالث والخمسين لميلاده الشريف، وأَمْر الهجرة معروف مشهور.

وفى صباح يوم الجمعة التاسع عشر من شهر ربيع الأول عام واحد للهجرة وصل رسول الله -ﷺ- إلى المدينة، بعد أن أقام فى قباء عشرة أيام مباركات.

ويروى بعض الصحابة فيقول: كنا نخرج إذا صلينا الصبح ننتظر رسول الله، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا بيوتنا، وقدم رسول الله حين دخلنا البيوت، وكان أول من رآه رجل من اليهود، فصرخ بأعلى صوته: هذا جَدُّكم قد جاء، فخرجنا إلى رسول

(١) راجع الواقدى: «الطبقات الكبرى» ص٤٩ (١٩٣٢).

الله، وهو فى ظل نخلة، وأهل المدينة يقولون لرسول الله: ادخل المدينة راشدا مهديا فدخلها، وأهل المدينة ينظرون إليه وينشدون:

طلع البدر علينا
من ثنيَّات الوداع
وجَبَ الشُكر علينا
ما دعا لله داع

فقال له أشراف بنى سالم بن عوف: يا رسول الله، أقمْ عندنا فى العدد، والعدة، والمنعة، .. ورسول الله على ناقته، فقال -ﷺ-: «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة»، يريد ناقته التى أمسكوا بزمامها.

فلما كان فى دار بنى بياضة تلقاه رجال منهم، وقالوا له مثل ما قال الأولون، فردَّ عليهم رسول الله بمثل ما ردَّ على الأولين(٢).

وعند دار بنى ساعدة اعترضه سعد بن عبادة فى رجال من بنى ساعدة، فقالوا مثل ما قال غيرهم وردَّ عليهم رسول الله بمثل ما ردَّ على من سبقوهم.

فلما وصل دار أخواله بنى عدى من بنى النجار وكانت أم عبدالمطلب منهم، وهى سلمى بنت عمرو اعترضه رجال منهم، فقالوا: يا رسول الله هلمَّ إلى أخوالك، إلى العدد والعُدة والمنعة، فقال -ﷺ-: خلّو سبيلها فإنها مأمورة.

فلما وصل إلى دار مالك بن النجار بركت عند باب مسجده -ﷺ- وهو يومئذ سوق لأهل المدينة، ثم قامت فسارت غير بعيد، ثم التفت إلى خلفها فرجعت حيث بركت أولاً، فبركت فيه حيث باب أبى أيوب الأنصارى.

واحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحل رسول الله -ﷺ- فوضعه فى بيته ونزل عليه رسول الله(٣).

وحدَّث أبو أيوب الأنصارى قال:

«لما نزل علىَّ رسول الله فى بيتى، نزل فى السُفل، وأنا وأم أيوب فى العلو، فقلت له: يا نبى الله، بأبى أنت وأمى إنى لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتى، فاظهر أنت فتكون فى العلو، وننزل نحن فنكون فى السُفل، فقال -ﷺ-: يا أبا أيوب إن ارفق بنا وبمن يغشانا أن نكن فى أسفل البيت، وصارت أم أيوب أختا لعائشة أم المؤمنين فى الله وأقام رسول الله فى بيت أبى أيوب حتى بنى مسجده، ومساكن أهله فانتقل إليها(٤).

٢ شهد أبو أيوب غزوة بدر، وأحد، والخندق، والمشاهد كلها.. وشهد فتح مصر (٢١ / ١ النجوم الزهرة- القاهرة ١٩٣٠)

وعاش عصر أبى بكر، وعمر، وعثمان، وكان مع الإمام على فى حربه ضد الخوارج.،

وحين خرج الإمام على إلى العراق استخلف أبا أيوب على المدينة، ثم لحق به(٥).

---

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبى ٢/٢٩١.

(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (بيروت) ٥٧/٧.

(٤) «تاريخ الطبرى» (ليدن ١٨٨١م): ص٢٢٢٤ ج١٣ القسم الرابع.

(٥) «الإصابة» ٤٠٣/١ - القاهرة ١٩٣٩.

وخرج مجاهدا عام ٢٨ هـ إلى جزيرة قبرص، كما خرج غازياً للروم فى عهد معاوية[٦].

ولم يكف عن الجهاد فى سبيل الله، طيلة حياته، يعمل من أجل عزة الإسلام، ونصرته، وكفاح أعدائه، ورفع راية الإسلام عالية منصورة.

٣ وفى عام ٥٠ هـ كان أبو أيوب يجاهد فى سبيل الله مع جيش معاوية بقيادة يزيد بن معاوية، الذى وصل إلى أسوار القسطنطينية، وضرب الحصار عليها، وكان أبو أيوب يضرب المثل عاليا فى الإقدام، والبطولة، والتضحية.

وفى موضع قريب من سور هذه المدينة خر أبو أيوب صريعاً، شهيداً فى سبيل الله والإسلام، ودفن حيث استشهد، وأمر يزيد بأن يبقى مكان دفنه سراً، لا يعلمه أحد، حتى لا ينبش الروم قبره ويخرجوا جثته، ويمثلوا بها.

وعاد الجيش الإسلامى إلى الشام، لمنعة أسوار القسطنطينية، ولشدة البرد حولها.

وتمر الأيام، وموضع قبر أبى أيوب مجهول لا يعرفه أحد، وتسقط القسطنطينية على يدى السلطان محمد الفاتح عام ٨٥٧هـ - ١٤٥٣م.

وفى ليلة من الليالى بعد الفتح، كان محمد الفاتح جالساً، ومعه ولى صالح اسمه: شيخ آق شمس الدين، واستمر الحديث حتى أذن الفجر، وبعد الصلاة قال السلطان للشيخ، الذى كان يعتقد فى ولايته: أيها الشيخ، لقد قرأت فى الكتب: أن قبر أبى أيوب مضيف رسول الله -ﷺ- فى استامبول، وطلب إليه أن يدله على موضعه، فقال الشيخ: يا مولاى، إنى آنَسُ نورا يهبط على بقعة من الأرض، وأحسب أن هذه البقعة، هى موضع قبر أبى أيوب.. وبعد قليل من الأيام، قال الشيخ للسلطان: لقد التقيت بروح أبى أيوب الشريفة، فزفّت إلىَّ التهنئة بفتح استامبول، وأظهرت السرور بإخراجها من الظلمات إلى النور، فقام السلطان، والشيخ إلى موضع حدَّده الشيخ، وقال آق شمس الدين: لو حفروا هنا لظهرت لوحة من رخام كُتب عليها إن هذا هو قبر مضيف رسول الله أبى أيوب. وحُفر المكان، وظهرت رخامة، وتحتها جثمان الصحابى العظيم المجاهد فى سبيل الله أبى أيوب.

وكبر الشيخ، والسلطان، والعمال، وأمر السلطان، فأقيم ضريح على الجثمان، وبنى فى البقعة نفسها مسجد[٧]، وشمس الدين هذا هو الذى بشّر الفاتح بالفتح العظيم، كما بشره بقرب ظهور جثمان أبى أيوب الشهيد.

لقد كان السلطان يقف على ركبتيه، والشيخ ينقب على موضع القبر حتى ظهر لوح الرخام المكتوب عليه: «هنا مرقد أبى أيوب، فيكبر السلطان والشيخ، وقامت قبة على القبر، ومسجد بعد قليل.

وصار مسجد أبى أيوب الأنصارى، هو المسجد الذى يبايع فيه سلاطين آل عثمان بالملك، ويتقلد السلطان سيفا رمزا إلى أن السلطة أفضت إليه[٨].

(٦) «العقد الفريد» - القاهرة ١٩٢٨ ٣/١٢٨.

(٧) «أبو أيوب الأنصارى» للدكتور حسين مجيب المصرى ص٧٤، ط القاهرة ١٩٩٩ - عن طاشكبرى زاده: الشقائق النعمانية على هامش «وفيات الأعيان» لابن خلكان ١/٣٤٦ (القاهرة ١٢٩٩).

(٨) راجع ص٨٥ وما بعدها من كتاب «أبو أيوب الأنصارى» للدكتور حسين مجيب المصرى.

ولما تولى السلطان أحمد الثالث الحكم عام ١١١٥ هـ - ١٧٠٣م قيل له: إن قدم الرسول -ﷺ- على حجر فى ضريح قايتباى بمصر، فكتب السلطان إلى واليه على مصر يأمره بإرسال ذلك الحجر إليه، وبعد عدة شهور وصل الحجر إليه، فوضعه السلطان فى ضريح أبى أيوب، وانطلق السلطان إلى الضريح فمسح وجهه بذلك الحجر، تبركا، ووضعه على رأسه تعظيما.

لقد كان أبو أيوب الأنصارى الصحابى مضيف رسول الله مثلاً سائراً فى أفواه المسلمين فى حب الجهاد فى سبيل الله، ومن أجل نصرة الإسلام.

ووفاة أبى أيوب تكاد ترجح كتب الطبقات، وكتب التاريخ، أنها كانت عام ٥٠ هـ، وقيل: انه استشهد عام ٥١ هـ، وذكر ابن عبدالحكم فى كتابه « فتوح مصر والمغرب » الروايتين(٩).

ويروى الذهبى: أن وفاته عام ٥٢ هـ ويقول: إنه دفن بأصل حصْن القسطنطينية [٢٨٨ - ٢٩٦ جـ٢ سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى]

٤ إنى أكتب عن هذا الصحابى الخالد، أبى أيوب الأنصارى، وبين يدىَّ كتاب قيّم للأستاذ الجليل الدكتور حسين مجيب المصرى بعنوان: « أبو أيوب الأنصارى عند العرب والترك » ومنه أفدت، وعنه رويت، وإليه رجعت.

الكتاب فى نحو المائة صفحة، يضم مقدمة وستة فصول:

الفصل الأول: عن عصر أبى أيوب وبيئته.

والثانى: عن أبى أيوب مضيفا لرسول الله.

والثالث: عنه محدِّثا.

والرابع: عنه مجاهدا فى سبيل الله والإسلام.

والخامس: عن قبر أبى أيوب.

والفصل السادس والأخير: عن مسجده.

فى آخر الكتاب ذكر مراجعه العربية والتركية والفارسية والأوروبية. وذلك كله فى إطار علمى مشرّف للمؤلف وللبحث نفسه.

والكتاب فى صميم الدراسات الإسلامية المقارنة، فهو دراسة عميقة لهذا الصحابى الجليل، الذى تتجلى فى شخصيته وشائج الصلة الثقافية بين العرب والترك. والمؤلف يُعَدُّ شيخ هذا المجال الكبير الواسع، مجال الدراسات الإسلامية المقارنة.

وقد نالت مؤلفات الدكتور حسين مجيب المصرى فى هذا المجال شهرة واسعة.

٥ لقد مات مضيف رسول الله -ﷺ- على أبواب القسطنطينية، وصار قبره ومسجده من أجلِّ أماكن العبادة عند الترك، كما كان مسجده هو المسجد الرسمى لسلاطين آل عثمان، الذى يتوجون فيه حينما يتولون أمور الدولة.

لقد حفت بالمسجد وبقبر أبى أيوب رحمات السماء، وبركات الأرض.

وعقبى للمجاهدين فى سبيل الله، ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾(١٠).

---

(٩) أبو أيوب الأنصارى - د. حسين مجيب المصرى ص٦٩.

(١٠) سورة النساء (٦٩).

كلمة وفاء عن عالمين جليلين
لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

النفس الإنسانية السوية، تحزن عند فراق من تحبه، وهذا ماتراه فى سيرة سيدنا رسول الله - ﷺ -.
لقد حزن - ﷺ - لموت عمه أبى طالب، وحزن لموت زوجه أم المؤمنين خديجة - رضى الله عنها -، وقال عن العام الذى توفيا فيه : بأنه عام الحزن.
وحزن - ﷺ - عند استشهاد عمه حمزة بن عبد المطلب - رضى الله عنه - فى غزوة أحد.
وحزن - ﷺ - لوفاة ابنه إبراهيم وقال حديثه المشهور : «إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، ولكن لانقول إلا مايرضى الرب، وإنا بعدك يا إبراهيم لمحزونون».



ولقد فقد العالم الإسلامى بصفة عامة، والأزهر الشريف بصفة خاصة، منذ أيام قليلة، عالمين جليلين، خدما دينهما وأمتهما خدمات جمة إلى أن فارقا هذه الحياة، إلى حياة أخرى، فيها - بإذن خالقهما - ما يسعدهما، ويظفران فيها بما يجعلهما ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه، أما أحدهما فهو العالم المحقق : المستشار عبدالحليم الجندى، صاحب المؤلفات المتعددة التى كان لها أثرها الطيب والنافع للإسلام وللمسلمين، والتى دافع فيها عن دينه وعن أمته وعن السلف الصالح دفاع الرجال الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه.

لقد كان من بين مؤلفاته :

١ - أبوحنيفة بطل الحرية والتسامح.

٢ - مالك بن أنس إمام دار الهجرة.

٣ - محمد بن إدريس الشافعى خادم السنة.

٤ - الإمام جعفر الصادق.

٥ ـ الإمام محمد بن عبدالوهاب.

٦ ـ الإمام محمد عبده.

٧ ـ الأخلاق فى الاقتصاد الإسلامى.

الى غير ذلك من البحوث الدقيقة، والمقالات التى زخرت بها الصحف والمجلات طوال أكثر من نصف قرن.

وكان ـ رحمه الله وطيب ثراه ـ فى المجامع الدينية والعلمية والقانونية صاحب الرأى الدقيق المبنى على الفهم السليم لشريعة الله ـ تعالى ـ لقد كان عضوا فى مجمع البحوث بالأزهر الشريف لسنوات طويلة، أبلى فيها بلاء حسنا خلال مشاركته فى قضايا دينية وعلمية، وأظهر خلال إبدائه لرأيه مايشهد بفهمه السليم لأمور دينه ولأمور دنياه.

والذى يقرأ شيئا من مؤلفاته المتنوعة، يرى فيها الجهد الضخم، والفهم الدقيق، والعلم الواسع، والرأى الثاقب، والعمق فى التحليل والتعليل والترجيح، والموازنة والوصول إلى النتيجة التى يريد الوصول إليها.



وأما العالم الجليل الثانى الذى فقدناه خلال هذا الأسبوع، فهو الزميل الكريم، والأخ الصدوق، فضيلة الشيخ سيد سعود، وكيل الأزهر الأسبق، وعضو مجمع البحوث الإسلامية، والذى قضى حياته منذ مطلع شبابه فى خدمة دينه، وفى خدمة الأزهر الذى تربى فى رحابه، وفى خدمة أمته التى كان غيورا فى الدفاع عنها.

لقد عرفت فضيلة أخى الشيخ سيد سعود ـ رحمه الله ـ منذ فترة طويلة، وعرفته عن قرب وزمالة خلال وكالته للأزهر الشريف، فرأيت فى فضيلته الوفاء النادر، والأدب العالى، والصدق فى الرأى والمشورة، والحرص على إعطاء كل ذى حق حقه دون محاباة أو ظلم، والفهم السليم لتاريخ الأزهر الشريف، ولتاريخ أبنائه الذين عاشوا فى رحابه الى أن فارقوا هذه الحياة.

رأيت فى فضيلته الناصح الحكيم، والصديق الصدوق، والزميل الذى لايعرف إلا الوضوح والتواضع والإخاء النقى من كل ما لايليق.

وإنى لأتضرع إلى الله ـ عز وجل ـ أن يتغمد هذين العالمين الجليلين برحمته، وأن يلحقنا بهما مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[1].

(١) البقرة ١٥٦.

طرائف.. ومواقف

إعداد/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

عمر الفاروق

وصف صعصعة بن صوحان عمر الفاروق ـ رضى الله عنه ـ فقال: كان عالما برعيته، عادلاً فى قضيته، عاريا عن الكبر، مصون الباب متحريا للصواب، رفيقا بالضعيف، غير محاب للقريب، ولا جاف للغريب.

إن الأمانى والأحلام تضليل

قال على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ لابنه: إياك والاتكال على المنى، فإنها بضائع النوكى، أى الحمقى.

● وقال الشاعر:

أعلل بالمنى قلبى لعلى
أُروح بالأمانى الهم عنى
وأعلم أن وصلك لا يرجى
ولكن لا أقل من التمنى

● وقال آخر:

ولا تكن عبد المنى، فالمنى
رءوس أموال المفاليس

● وقال رجل لابن سيرين: إنى رأيت فى منامى أني أسبح فى غير ماء، وأطير بغير جناح: فما تفسير هذا الحلم؟ فقال له: أنت رجل كثير الأمانى والأحلام.

كان يقال

كان يقال: امش ميلا وعد مريضا. وامش ميلين وأصلح بين اثنين، وامش ثلاثة أميال وزر أخاً فى الله.

الجزء الثانى

أراد عميد إحدى الجامعات أن يهدى إلى صديق له نسخة من كتابه الجديد، فكلف ناشر الكتاب إرسال تلك النسخة فأرسل الناشر

نسختين لا نسخة واحدة، وبعد حين قابل العميد صديقه، وسأله هل جاءك كتابى الجديد؟

فأجاب: نعم وقد انتهيت من قراءة الجزء الأول، وكدت أفرغ من قراءة الجزء الثانى.

بخـــل

نزل أعرابى برجل فقال له بعض قومه: لقد نزلت بواد غير ممطور، ورجل بقدومك غير مسرور فأقم بندم أو ارتحل بعدم.

إنطـاق الدراهـم

روى ابن عبدالكريم بن وهب، قال: سمعنا الشافعى يقول:

وأنطقت الدراهم بعد صمت
أناسا طالما كانوا سكوتا
فما عطفوا على أحد بفضل
ولا عرفوا المكرمة بيوتا

تاجـــر

يروى أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - سمع سائلا يسأل بعد المغرب، فقال لواحد من قومه: عشِّ الرجل، فعشاه.

ثم سمعه ثانيا يسأل، فقال لصاحبه: ألم أقل لك عش الرجل؟ فقال قد عشيته.

فنظر عمر فإذا تحت يد السائل مخلاة مملوءة خبزا، فقال: لست سائلا لكنك تاجر، ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدى إبل الصدفة، وضربه بالدرة، وقال: لا تعد.

وسـيلة التحصـيل

قال المنصور لشريك القاضى: أنى لك هذا العلم؟ قال: لم أرغب عن قليل أستفيده، ولم أبخل بكثير أفيده.

دعـــاء

اللهم إنى أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه.

وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسى ثم لم أوف به

وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك.

وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك

من أعلام مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
اللواء محمود شيت خطاب
أمير السيف والقلم

للأستاذ الدكتور / محمد رجب بيومى

نحاول فى سبيل إيضاح منهج اللواء الركن فى التأليف التاريخى، أن نعرض إحدى الشخصيات التى قام بدراستها، لنرى كيف سار فى تصنيفه الجامع، ولن أختار أحد المشاهير من أمثال خالد، وأبى عبيدة، والمثنى بن حارثة، وسعد وعمرو والقعقاع التميمى وقتيبة بن مسلم ممن ألفت عنهم الكتب المستقلة، بل اختار شخصية لم تؤلف عنها الكتب الخاصة، ولم تكن الحروب الميدانية هى كل جهادها، بل أسهمت فى شئون أخرى وفاها المؤرخ حقها دون تحيّف.

هذه الشخصية هى شخصية العالم الفقيه والمجاهد القائد أسد بن الفرات، وهذا البطل الشجاع لم تفرد الصحف لتدوين مواقفه البطولية فى حيّز خاص، ولكن كتب التشريع الإسلامى كانت أكثر احتفالاً به من كتب التاريخ الحربى، ومع ذلك فقد أجملت نشاطه الحربى إجمالاً لا يفى بمقامه الكريم، فالكثير منها أفاض فى نشأته العلمية، ورحلاته إلى المدينة وبغداد ومصر، ورجوعه إلى القيروان. ومن أخذوا عنه من التلاميذ، ومن زاملوه من الأساتذة ثم ختمت ذلك كله بمثل قولها: « وقد توفى شهيداً تحت أسوار صقلية حين كان قائداً للجيش الفاتح ».

أما كيف كان قائداً للجيش الفاتح وكيف ظفر بالشهادة؟.. فهذا مسكوتٌ عنه!.. فماذا فعل اللواء الرُكْن فى ترجمة حياته؟.

لقد جرى على طريقته فى التراجم كبيرها وصغيرها، فتحدث بإفاضة عن النشأة العلمية، والارتحال البعيد إلى أماكن العلم فى المشرق، ثم بيَّنْ جهوده الفكرية حين صار علماً فى الفقه المالكى ومؤلفاً فى مسائله، وتحدث عن

توليته القضاء والفتوى حتى إذا انتهى من ذلك تحدث عن التمهيد لغزوة صقلية حديثاً شافياً مستوعباً!.. وهذا كله قد اندرج فى حديث السيرة الذاتية، ثم أتى بعنوان تالٍ هو: (الفاتح) وهو لُبّ الموضوع الذى كان من أجله أسد بن الفرات علماً من أعلام الفاتحين، وقد كان من عادة اللواء فى كثير من التراجم أن يخص القائد (الإنسان) بحديث ثالث تحت هذا العنوان، وهو ما فعله فى هذه الترجمة منتهياً منه إلى الحديث عن (القائد) وخاتماً بحثه بكلام جيد عن (أسد فى التاريخ)، هذا النهج الذى اختاره المؤلف يُعفى القارىء من استطرادٍ كثير، كما يحدد عناصر البحث فى ذهنه، فلا تشرد فى مهب التحليلات، وليس المؤلف بالذى يكيل المدح الجزافى للبطل، فهو ذو ميزان دقيق يرصد مناحى القوة، كما يشير إلى مكامن الضعف، والضعف من السمات الإنسانية التى ليست موضع العيب، لأن الكمال لم يوهب لأحد، ولأسدٍ فى جهاده الحربى مآخذٌ عرّفها الباحث وأشار إليها، ومن ذا الذى تُرضى جميع سجاياه!.

تحدث المؤلف عن نشأة أسد صغيراً حين حمله والده الجندى الباسل إلى القيروان، إذا كان أحد المشتركين فى جيش محمد ابن الأشعث الخزاعى، فأقام بها خس سنوات، ثم ارتحل إلى تونس فحفظ القرآن، وسمع الموطأ من عالمها على بن زياد، ورَغَّبه ذلك فى مجلس الإمام مالك بالمدينة فارتحل إليه، وواظب على درسه مستمعاً وسائلاً، وكان مالك لا يُسْأل من طلبة العلم بالمدينة حتى قال فيه القائل:

يدع الجواب فلا يراجع هيبة
والحاضرون نواكس الأذقان

ولكن أسداً تجرأ على أسئلته، فكان الإمام يرعى غُربته ويسمح له بما يضن به على سواه ويقتصر فى الإجابة على الأسئلة الواقعية، دون الأسئلة المفترضة، ثم ترك المدينة إلى العراق فحظى بمودة الإمام محمد بن الحسن، ورأى من بره مما رأى من مالك، وذكر اللواء الركن أمثلة مشهودة تنطق بهذا البر، وتدل على نبل الإمام ابن الحسن بما لا مزيد بعده، وترك العراق إلى مصر فصحب ابن القاسم وأشهب من أصحاب مالك وألَّفْ الأسديّة من أجوبة ابن القاسم ثم رجع إلى القيروان عالماً فخماً يقرأ عليه العلماء، وتولى القضاء فكان يحكُم بالكتاب والسُنة، وعظمت منزلته بين الناس، حتى حان غزو صقلية فكان قائد الجيش.

هذا ملخص دقيق لصفحات مليئة بالأخبار والمواقف، وحواشى هذه الصفحات (هوامشها) تدلُّ على علمٍ غزير، فهى ذات تعريفات بالرجال والبلدان والكتب، وتدل على قراءة مستوعبة جبارة، لا يقدرها حق قدرها إلا من عرف الأصول وكيف تستقى منها الجداول الصافية، ولا تقتصر هذه المصادر على الكتب القديمة، بل تضم إليها ما كتبه المحدثون مع مراجعات فاحصة، فى توهين الروايات أو تقويتها بالدليل، وهى مما تذكرنى بحواشى الأمير شكيب أرسلان على كتاب «حاضر العالم الإسلامى» إذ بلغت هذه الحواشى أضعاف الأصل، ولكن الأمير كان يستطرد فى بعض الأحيان دون موجب قوى، بل لأدنى مناسبة كما يقول الأزهريون، أما اللواء الركن فكُل

حواشيه فى صميم الصميم، وهو معتز بعلمه الدقيق، لأنه يراجع الأثبات من مؤرخى الأندلس مراجعة النظير للنظير، ولا يجبُن عن تصحيح ما يراه من الخطأ، ومن ذلك أن المؤرخ الكبير محمد عبد الله عنان، وهو من هو، أصالة بحثٍ، وعمق استقصاء، وشمول اطلاع على كتب الشرق والغرب، وقد قال الأستاذ عنان فى ترجمته لأسد بن الفرات فى كتابه (تراجُم إسلامية) إنه نِدِبَ لقيادة البحر قبل توّجهه إلى الفتح، وأنه قام بغزوات بحرية سابقة، مستنداً فى ذلك إلى المؤرخ الشهير ابن خلدون، ولكن هذا القول لم يصادف موضع الإصابة عند اللواء الركن، فذكر معقباً عليه: «إن أسد بن الفرات لم يندب لقيادة الجيش قبل هذه الغزوة، إذ لا يوجد نصٌّ يؤيد ما ذهب إليه الأستاذ عنان، كما إن (قوهرة) لا يمكن فتحها مع بقاء صقلية فى أيدى العدو، لأن حاميتها من المسلمين يبقون مهددين دوماً بالغزو من القواعد القريبة، وعلى رأسها صقلية، وهو تعليقٌ لا يفطن إليه غير قائد حربى تتجلى لعينه خريطة الميدان وهو يؤرخ للأحداث، واستطرد فى تأكيد ذلك بما نكتفى بالإشارة إليه دون استقراء.

أما ما أخذه اللواء الركن على أسد بن الفرات فى قيادته الحرب فهو ما غفل عنه مؤرخوه من قبله، وذلك حين أكد أن أسداً قد قسم جنوده قبل معركته الحاسمة حول أسوار (سرقوسة) وكان عليه أن يحشد كل القوى فى هذه المنطقة الحيوية، لإحراز النصر على قوات الروم وقد زحفت من بيزنطة لنجدة المدينة، ولكنه وزع هذه القوات فى جبهة تمتد إلى مائتى متر، فصارت بذلك قوات دفاعية فقط، مع الأصل أن تكون قوات هجومية، والدفاع لا يؤدى إلى الفتح، بل غاية أمره أن يحتفظ بما تحت اليد، دون تقدم ما.

وانتهى الباحث بعد هذه المؤاخذات إلى قرارٍ نهائى قال فيه: «كان أسد مؤمناً حقاً، يَتَحَلَّى بمعنويات عالية، وشجاعة فائقة، ولكنه يحتاج جانب هذه المزايا إلى الخبرة العملية فى أمور القتال، ومزية التدريب على فنون الحرب، وهذه الخبرة لا تَتَأتّى بالدراسة النظرية فحسب، بل بالممارسة العملية، وقد تعمل الدراسة النظرية على تهذيب الخبرة العملية وتقوية أصولها، والإسراع فى نضج ثمارها، إلا أن الدراسة النظرية وحدها، لا تكفى مطلقاً فى هذا المجال».

وتعقيبى على هذا الكلام هو أن أسداً - أيضاً - لم تكن له دراسة نظرية فى شئون الحرب حتى يقال إنه اكتفى بها عن الخبرة العملية، ولكنه فى صميمه مؤمن يرّحب بالجهاد، طامعاً فى إحدى الحسنيين، إما النصر أو الشهادة، ومثله الأعلى فى ذلك صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين اندفعوا إلى قتال المشركين ثم الفرس والروم، فلم تكُنْ للأكثرية منهم خبرة ما، ولكن الاستشهاد فى نصرة الإسلام كان مسيطراً على نفوسهم، ومهارة خالد وأبى عبيدة، والمثنى وغيرهم من القادة كانت مهارة فطرية أمدتها التجربة المتوالية فى ميادين القتال.

وكنت أود أن أستشهد بمثال آخر لأحد قادة الفتح الإسلامى ممن سجلهم اللواء الركن فى موسوعته الحافلة، ولكن المجال يضيق عن بعض ما أريد، فضلاً عن كله.

لقد أصدر المؤرخ الشهير رفيق العظم كتابه: «أشهر مشاهير رجال الإسلام فى الحرب والسياسة»، فقصره على أشهر المشاهير، ولم يلم بحديث المشهورين، إذ كانوا فوق الإحصاء، ولكن اللواء الركن قد خصّ غير المشهورين باحتفائه، وهو بذلك يدرك مكانة الجندى المتواضع فى تحقيق النصر، ويرى أنه بذل قصارى ما أمكنه فَفَضْلُه عند الله لا يقل عن فضل القائد . ولن يكلف الله نفساً إلا وسعها، وقد شهدنا فى الحروب الأخيرة مع إسرائيل جنوداً بذلوا أرواحهم، وجنوداً رُزِقوا الحياة بعد المعركة، ولم يتحدثوا عن أنفسهم فى شىء، وعلى العكس من ذلك شهدنا بعض من كانوا فى الصفوف الأخيرة، يكتبون المذكرات، ويتهافتون على الصحف لتنشر ما يزعمونه من بطولاتهم الموهومة! وعزاؤنا أن عين الله ترقب كل جهد، ولن يضيع عند الله أجرُ من أحسن العمل، ساكتاً أو ناطقاً، بل ربما كان الساكت أكثر أجراً لأنه ادخر ثوابه عند الله!.

وكما اهتم اللواء الركن بطبقات القادة حين لم يجد من يتفرغ لتسجيلها من المؤرخين، كذلك وجه اهتمامه الأكبر للمصطلحات العسكرية، وتوحيدها فى البلاد العربية، ويتطلب ذلك من الجهد أكثر مما تتطلب كتابة التاريخ، ولكنه قوى عزيمته فى هذا الصدد، إذ يحتاج الأمر إلى مراجعات دقيقة فى القواميس عربية وأوروبية، وقد أشار اللواء إلى بواعث هذه الجهد الموسوعى فى نفسه فقال: «إن الفكرة التى كانت تسود الجيش العراقى منذ سنوات بعيدة هى أن اللغة العربية عاجزة عن تحمل أعباء المصطلحات الحديثة، وإذن فلابد من اتخاذ المصطلحات الأوروبية» هذه الفكرة دفعته إلى قراءة القواميس العربية فوجد ما يناقضها وبخاصة حين رجع إلى كتاب «المخصص» لابن سيده وقد خصّه ببحث خاص سأرجع إليه، وكذلك انتشرت هذه الفكرة فى غير العراق منذ بدأ التسليح المعاصر، وعادت البعثات التى وفدت إلى الغرب ليكون أعضاؤها أساتذة بالكليات العسكرية فى مصر والشام وبلاد المغرب، ثم عمل الاستعمار الغربى على تأكيد ذلك.. وكلما تكون جيش عربى كانت مصطلحات أوروبا سبيله الوحيد فى إعداد خطته، ثم كان أن استقلت كل دولة عربية بمصطلحات خاصة، تناقض مصطلحات شقيقاتها، وصارت المعاجم الخاصة بكل دولة لا تلتقى فى مصطلحاتها مع معاجم الدولة الأخرى، وكل ذلك يوهن الترابط بين جنود الأمة العربية، فأصبح من الضرورى إيجاد معجم عسكرى موحد، وهذا ما كرَّسْ له اللواء جهده سنوات عدة بلغت العشرين، وإذا كان الرجل عضواً بارزاً فى مجمعى اللغة العربية بالعراق والقاهرة، فقد أعد مذكرة (تحولت إلى بحث لغوى مقارن) توضح أهمية إيجاد هذا المعجم الموحد، وقد قال فى مقدمة هذه المذكرة: «إن اختلاف المصطلحات العسكرية بين الدول العربية كان أمرا طبيعيا، لأن الجيوش العربية الحديثة ولدت بعد نيل الدول العربية استقلالها، فكانت نواة هذه الجيوش هم الضباط الذين دربوا تدريباً أجنبياً بلغات مختلفة: تركية وفرنسية وانجليزية وروسية وإيطالية، وحرص كل مبعوث إلى هذه الدول من الضباط أن ينقل ما تعلمه هناك من المصطلحات، وألفت

عدة معاجم عسكرية بحسب اتجاهات الدولة التى ألَّفَتْ معجمها العسكرى، فالمعجم العسكرى العراقى (انجليزى - عربى) والمعجم العسكرى السورى (فرنسى - عربى) والمعجم المصرى القديم (انجليزى - عربى) والحديث (روسى - عربى) وهكذا اختلفت المصطلحات العسكرية بين الدول العربية اختلافاً يبعث على الإصلاح السريع، كما أن من مساوىء هذه المجامع جميعاً، أنها لم تُراع التطور السريع للأسلحة الجديدة، فوقفت عند الحرب العالمية، ولم تُجاوزها إلى ما جدَّ من أدوات حاسمة ذات فعل مؤثر فى ميدان القتال، وإذن فلدينا معجمات عسكرية مطبوعة، ولكنها مختلفة الاصطلاحات، ولابد من دراسة هذه المعجمات جميعها، لنقوم بعمل مجمع موحد، وهذا ما سعى إليه اللواء الركن وترتَّبْ على ذلك، أن أصدر مؤتمر مجمعى اللغة العربية بمصر والعراق المنعقد فى نوفمبر سنة ١٩٦٥، قراراً بتشكيل لجنة من المختصين تحت إشراف الجامعة العربية، والقيادة العربية الموحدة، لتوحيد المصطلحات العسكرية بمعاونة بعض اللغويين، وكتب الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة رسالة إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية يبلغه بقرار المؤتمر، وكان من أثر ذلك أن عُقدَتْ اجتماعات شتى أدت إلى اختلافات كثيرة، حيث حرص كل ممثل لدولة ما أن تكون الاصطلاحات الذائعة فى بلده هى التى يجب أن تختار، وتأجلت اجتماعات كثيرة، وقامت وساطات لإزالة الخلاف، يقول اللواء الركن.[1]:.

« وهكذا أخفقت كل تلك المحاولات التى بُذلَتْ لتوحيد المصطلحات العسكرية والتى بدأت من سنة ١٩٤٨م. فى ظل الجامعة العربية ثم تواصلت فى سنة ١٩٦٥ فى ظل القيادة العربية الموحدة، كما أخفقت معظم المعاجم العسكرية بالعربية التى أصدرتها الجيوش العربية فى أداء رسالتها فى إقرار المصطلحات العسكرية التى لا تشوبها شائبة العجمة داخل جيوشها ».

ورأى اللواء الركن أن من أسباب هذا الإخفاق - فوق التعصب الذى أشرت إليه - اقتصار وضع هذه المصطلحات على العسكريين وحدهم، مع عدم الاستعانة بكبار اللغويين من علماء المجامع، وعدم تمثيل ذوى المقدرة الكافية لهذا العمل، إذ أن ممن اختيروا لذلك، أصحاب مناصب عالية فى الجيش دون دراية علمية ترشحهم لوضع المصطلحات، لذلك سعى اللواء الركن إلى عمل جديد حين اقترح على السيد أمين الجامعة العربية أن يؤلف لجنة جديدة لوضع المصطلح الموحد تضُم أعضاءً من:

(١) مجمع اللغة العربية، ومن(٢) كل جيش عربى، ومن(٣) القيادة العربية الموحدة، وقد ألفت لجنة لذلك، وكان أهم ما راعته بتأكيد اللواء الركن، هو الالتزام باللغة العربية الفصحى، ونبذ المصطلحات العسكرية الدخيلة، مع اختيار الألفاظ السهلة والبعد عن الألفاظ الغريبة ذات النفور على السمع، وتفضيل المصطلح الشائع بين الكافة دون المصطلح المهجور، وقد تم توفيق اللجنة فى

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية (البحوث والمحاضرات) الدورة ٣٥ سنة ١٩٦٨م.

عملها قدر المستطاع حيث أنجزت المعجم العسكرى الموحد، وقد ضم بين دفتيه (٨٠٠٠٠) مصطلح عسكرى.

وفى أثناء الخلاف بين العسكريين فى شأن المصطلحات الجديدة، مال اللواء الركن إلى أنّ الأمر لم يتم على وجهه الصحيح ما دام كلٌّ فرد يُريد انتشار المصطلح الخاص بدولته وحدها، فصَّمم على أن يقوم مفرداً بعملِ المعجم العسكرى مهما تكبّد من جهدَ، وبدأ بقراءة «لسان العرب» بأجزائه العشرين، ومعه القلم، ليكتب فى جزَازات صغيرة ما تَحويه كلٌّ مادة من المعنى العسكَرى، وهنا ـ وبعد خمس سنوات ـ تّجمعتْ لديه عشراتُ الصناديق الملأى بهذه الجزَازات ، ثم بدأ الخلافُ ينقشع فكان الاعتماد الأكبر للجنة على كثيرٍ من هذه الجزَازات ، يقّدمها اللواء الركن سعيداً مغتبطا، ولم يَقف اطّلاعه على اللسان العربى وحده، بل أضاف إليه كتباً أخرى مثل موسوعة «المخصص لابن سيدة» ومجمع الأمثال للميدانى، وقد كتب بحثيْن عن هذين الكتابين كتابةً تدّل على تفانيه فى استقصاء الألفاظ العسكرية، وكَان من ثمرة ذلك بحثه الذى نشره بمجلة مجمع اللغة العربية تحت عنوان: «المصطلحات العسكرية فى كتاب المخصّص، واستعمالها فى الجيش العراقى الحديث» وقد بدأه بحديث عن المؤلف أبى الحسن على بن إسماعيل المعروف بابن سيَدة، ثم قال: إن مئات المصطلحات العسكرية بالمخّصص لم تُستعمل فى الجيوش العربية عراقيةً وغير عراقية، ومن أهداف هذا البحث أن يَدْفَع إلى الاستعانة بمصادر اللغة جميعها، لاستخراج المصطلحات العربية فى كّل فن الفنون، لا فى الألفاظ العسكرية وحدها، واقترح أن يُختار اللفظ السهل الرشيق إذا وجْد جواره مماّ يؤدى معناه لفظ غريب لا يسهل وقعه على الأذن ثم قسّم البحث إلى عّدة عناصر لا يفى باستيفائها بحثّ فى مجلة، لذلك اختار على سبيل التّمثيل مادة السيف فذكر المدلول اللغوى لها، وثنّى بذكر أسمائها، وثلث بأسماء ما تتضّمن من مثلِ المقبض، والشّعيرة، والنّصل، والعجوز، والطلب، وشرح مدلول كل لفظ بما ورد عنه فى المخصصّ، وانتقل إلى ذكر النعوت الخاصة بالسيوف من قبل قطعها ومضائها، مثل الصمصامة، والجراز، والصارم، والهدام، والباتر، والقرضاب، ثم إلى ذكر النعوت الخاصة بالسيوف من ناحية نبوها مثل النابى والكليل والكهام، والكلّ والبارد، ثم ذكر النعوت من ناحية لمعانها مثل: الرقراق، والإبريق، والهزهاز والخافق والبارق، وإلى ذكر نعوت أخرى من ناحية التثليم، والصّقل، والحجم، والصناعة، والممتهن منها والشريف، وغير ذلك، وشمل ما كتبه عن السيف وحده ست صفحات من القطع الكبير، ولا أرى أكثر من ذلك اهتماما بالأدوات الحربية، كما جاءت فى معاجم التراث مع أن السيف قد مضى موسمه الحربّى ولن يعود(٢).

وإذا كانت قراءة هذا البحث فى موضوعه اللغوى الدقيق تحتاج إلى صبر ومعاناة، فإن ما كتبه عن (الأمثال(٣) العسكرية فى مجمع

---

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية (يناير سنة ١٩٦٩ م. ١٣٨٨ هـ.

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية (قسم البحوث والمحاضرات) - الدورة ٣٤ سنة ١٩٦٨ م.

الأمثال للميدانى، لا يحتاج إلى هذا الصبر، إذ الأمثال وليدةٌ قصص واضح ينطق بالعبرة البالغة ودُون معاناة فى تصيدّ مرمى بعيد، قد جعَل اللواء الركن منْ هدفه فى تسطير هذا البحث، إبراز ما فى الأمثال العربية القديمة، من اهتمام بالناحية العسكرية، لأنّها بعض نواحى المجتمع العربى، إنْ لم تكن هى الناحية الفاصلة فى حياة هذا المجتمع، كما جعل من اهتمامه أن يختار من الأمثال، ما يدلّ على صفات القادة، وما يدل على الإعداد والحذر والترقُبْ، والكتمان والصمود، وما ينفر من الجبن والنكوص مما لا يشرف الجندى الحق، ومن هذه الأمثال إن «الجبان حتفه من فوقه.. وأن «الحديد بالحديد يفلح».. و«إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً».. «أول الغزو أخرق» «أول الحزم المشورة» «إن حان القضاء ضاق الفضاء» «بعض القتل إحياء للجميع»، «الحرب خُدعة»، «الحذر قبل إرسال السهم»، «الحرب سجال»، «سبق السيف العذل»، «عند الصباح يحمد القوم السرى».. إلى كثير مما لا يحصى، والطريف أن الباحث يستنتج من المثل ما لم يقل به أحد من قبله، فهو مثلاً عند ذكره «عند جُهَيْنَة الخبر اليقين» يقول: يمكن أن يضرب مثلا للقائد الواثق بنفسه علما وتجربة، وعند ذكره «كأن على رءوسهم الطير» يقول: يمكن أن يضرب فى وصف الجيش الذى يتحلى بالضبط، وعند ذكره «لو ذات سوار لطمتنى» يقول: يمكن أن يُضْرَّب مثلاً لمن يُهْزمْ أمام من لا يستحق النصر، وعند ذكره «ليس بعد الإسار إلاّ القتل» يقول: يمكن أن يُضْرَّب مثلاً فى الحث على القتال إلى آخر طلقة، فهو أجدى من الاستسلام، وعند ذكر: «من استرعى الذئب ظلم» يقول: يمكن أن يُضْرَّب مثلاً لمن يولى قائداً ضعيفاً لا يتحلى بالمعلومات العسكرية، ولا بالتجربة الحربية، فيكون وجوده من مصلحة العدو، وعند ذكر «يومٌ لنا ويومٌ علينا».. يقول: يمكن أن يُضْرب مثلاً لمكافحة اليأس والقنوط، وبعث الأمل فى إحراز النصر.

ثم ختم البحث بقوله: ولعل للأمثال فائدة لا تقدر بثمن فى أوقات الشدة حين تبلغ المعركة ذروتها، إذا رَددها القادة أو الجنود لرفع المعنويات، حين يشتد الخطب فيهتف القائل «المنية ولا الدنية» فإنه يرتفع بالمعنويات من حال إلى حال.

هذا بعض ما يصور كفاح اللواء الركن علمياً وعملياً، علمياً بالتأليف الصائب وعملياً بالجهاد فى حومة النضال بطلاً وأستاذاً للطلاب، وحسبه أن بقى يحمل رتبة اللواء الركن فى الجيش العراقى أكثر من عشرين عاماً، وأنه شغل المناصب الوزارية سبع مرات، هذا إلى جانب عضويته بالمجامع العلمية، عضوية ذات تأثير، لأن صوته بها كان من أعلى الأصوات، وأدلّها على الإخلاص، وصرخته التى أشرنا إليها فى مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عقب النكسة الأليمة التى كانت ذات صدق وإيمان، وإذا كان قد انتقل إلى جوار ربه سنة ١٩٩٦م. فقد أخذ مكانه الصادق بين كبار المجاهدين، وكرام المؤلفين، وستظل آثاره العلمية ذات بريق ساطع، لأنها سدت فراغاً وأرهفت عاطفة وضربت أروع الأمثال.

إسهامات العلماء المسلمين في التقدم العلمى والتكنولوجيا عبر العصور

٢

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

(ب) العلوم البيئية:

إذا كانت العلوم البيئية تعنى حاليا بدراسة الظروف والعوامل الخارجية التى تحيط بالكائنات الحية وتؤثر فى العمليات الحيوية التى تقوم بها، والإنسان بطبيعة الحال واحد من مكونات البيئة دائم التأثير فيها والتأثر بها فى إطار التفاعل المستمر مع عناصرها المختلفة، بما فيها من يمثل بنى جنسه، فإن علماء المسلمين قد سبقوا إلى التأليف فى العلوم البيئية، بعد أن سبق الاسلام الى وضع تشريعات محكمة لرعاية البيئة وحمايتها من آفات التلوث والفساد، ورسم المنهج الإسلامى حدود هذه التشريعات على أساس الالتزام بمبدأين أساسيين يحددان مسئولية الإنسان حيال البيئة التى يعيش فيها، هما: درء المفاسد وجلب المصالح.

ومن أمثلة المؤلفات الإسلامية فى العلوم البيئية نذكر للكندى: «رسالة فى الأبخرة المصلحة للجو من الأوباء» ورسالة فى الأدوية المشفية من الروائح المؤذية. ووضع ابن المبرد كتابا أسماه «فنون المنون فى الوباء والطاعون» وتكلم ابن سينا بالفصيل فى كتابه «القانون» عن تلوث المياه بشكل عام وكيفية معالجة هذا التلوث لتصبح المياه صالحة للاستعمال، كما أنه وضع شروطا تتعلق بطبيعة الماء والهواء المؤثرين فى المكان عند اختيار موقع للسكن، أما الرازى فقد نشد سلامة البيئة عندما استشاره عضد الدولة فى اختيار موقع لمستشفى ببغداد، فاختار الناحية التى لم يفسد فيها اللحم بسرعة، وكانت المستشفيات بعامة تتمتع بموقع تتوافر فيه كل شروط الصحة والجمال، فعندما أراد السلطان صلاح الدين أن ينشىء مستشفى فى القاهرة اختار له أحد قصوره البعيدة عن الضوضاء.

وقد ألف الرازى «رسالة فى تأثير فصل الربيع وتغيير الهواء تبعا لذلك»، بينما تحدث

ابومروان الأندلسى فى كتابه « التيسير فى المداواة والتدبير » عن فساد الهواء الذى يهب من المستشفيات والبرك ذات الماء الراكد، وجاء فى كتاب « بستان الأطباء وروضة الألباء » لابن المطران الدمشقى ما يؤكد ضرورة مراعاة تأثير البيئة عند تشخيص المرض، فقال: « ينبغى للطبيب إذا قدم على مداواة قوم فى بلد أن ينظر فى وضع المدينة، ومزاج الهواء المحيط بها، والمياه الجارية فيها، والتدبير الخاص الذى يستعمله قوم دون قوم، فإن هذه هى الأصول، ثم بعدها النظر فى سائر الشرائط ».

وكتب ابن القيم الجوزية فى كتاب « الطب النبوى » فصلا عن الأوبئة التى تنتشر بسبب التلوث الهوائى والاحتراز منها.

ولم يقف الأمر عند هذه الأمثلة لعلماء تناولوا المشكلات البيئية فى أجزاء أو فصول من مؤلفاتهم حيث نجد بين علماء المسلمين من رأى ضرورة معالجة الموضوع فى كتاب مستقل ليؤكد أهميته فى حياة الناس على مر العصور.. فقد صنف محمد بن أحمد التميمى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) كتابا كاملا عن التلوث البيئى وأسبابه وآثاره وطرق مكافحته والوقاية منه، وفصل الحديث فيه عن ثلاثية الهواء والماء والتربة، وتبادل التلوث بين عناصر هذه الثلاثية، وجعل عنوانه « مادة البقاء فى إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء ». كذلك صنف على بن رضوان المصرى كتابا رائدا فى مجال الطب البيئى بعنوان « دفع مضار الأبدان بأرض مصر ».

(ج) العلوم التكنولوجية:

مصطلح « التقنية » لفظة محدثة فى اللغة العربية، جاءت بصيغة المصدر الصناعى لإفادة المعنى الذى يستفاد من المقابل الأجنبى « تكنولوجيا »، وهما يلتقيان فى الدلالة على « العلم التطبيقى »ووسائله الفنية المستخدمة لتفسير كل ماهو ضرورى لمعيشة الناس ورفاهيتهم وتطوير ظروف حياتهم.

وربما يعتقد البعض خطأ أن « التقنية » هى المخترعات الحديثة الراقية التى غيرت معالم البشرية فى العصر الحديث، وخاصة فى القرن العشرين. لكن واقع الأمر يقتضى بأن شيوع اللفظ ذاته هو الحديث، أما الظاهرة نفسها، ظاهرة استحداث المخترعات المناسبة وتطويرها، فهى قديمة منذ أن بدأ الإنسان يستعين بأدوات تساعده فى عمله اليومى، وهى أدوات تستحق اسم « التقنية ». فتهذيب قطعة من الحجر أو المعدن، وربطها بقطعة خشبية من جذع شجر، واستخدامها فأسا لقطع الأشجار أو لتقليب الأرض، هو نوع من التقنية، واختراع العجلة لتيسير عملية نقل البضائع أو انتقال الأشخاص كان فى حينه ثورة تقنية لا تقل أهمية عن اختراع الطائرات فى القرن العشرين، كل مافى الأمر هو أن التقنية ظهرت فى حياة الانسان ليستعين بها فى تكملة ما ينقصه من القوى والقدرات ،أو لتعزيز ما لديه من إمكانات، ولما كان هذا التعزيز يتغير فى طبيعته ومداه تبعا لظروف كل عصر، فإن « مستوى التقنية » هو الذى يتغير تبعا لحالة المجتمع فى مرحلة معينة من

مراحل تطوره، وتبعا لتطور «مستوى المعرفة العلمية» التى قامت التقنية على أساسها.

ويمكن ملاحظة هذه المراحل التى تتعاقب فيها الأجيال المختلفة من الاكتشافات والاختراعات، والتى يطلق عليها اسم «موجات التقنية» فى العديد من التقنيات السائدة حاليا، مثل: الراديو والتليفزيون والسيارة والطائرة والصاروخ والمجهر (الميكروسكوب) والمقراب (التليسكوب) والحاسب الآلى (الكومبيوتر) وغير ذلك، فمن المتعارف عليه – حالياً – أن كل انجاز تقنى يمر فى دورة حياته ـ منذ ولادته واختبار صلاحيته على أيدى الباحثين والمخترعين ـ بعمليات تطوير متلاحقة يصبح بعدها صالحا للاستخدام على نطاق واسع، حيث يأخذ فى الانتشار تدريجيا إلى أن يشكل ظاهرة عامة يتفاعل معها أفراد المجتمع بصورة مباشرة، ثم يأخذ هذا الإنجاز التقنى بعد ذلك فى التراجع والانحسار حتى يتقادم ويندثر، بعد أن تكون هناك تقنية جديدة أرقى وأفضل قد حلت محله.

وإذا كانت أجيال التقنيات الحديثة والمعاصرة قد أحدثت أثرا قويا فى بنية المجتمع البشرى بأسره، فإن أجيال التقنيات القديمة قد أحدثت هى الأخرى فى حينها ثورة هائلة وتغييرا جوهريا فى مظاهر الحياة البشرية المختلفة.

من ناحية أخرى اذا كانت الثقافة الغربية تروج لمقولة أن التقنية لا يمكن إلا أن تكون إبداعاً غربيا، فإن «فقه مصطلح التقنية» يقتضى التأصيل لها بإظهار إسهامات علماء الحضارة الإسلامية فى تطوير واستحداث تقنيات عديدة، شملت الآلات والتجهيزات الميكانيكية التى تعتمد على حركة الهواء أو حركة السوائل واتزانها، والصمامات الآلية ذات التشغيل المتباطىء، والأنظمة التى تعمل عن بعد بطريقة التحكم الآلى، والأجهزة والأدوات العلمية، والجسور والقناطر المائية، والهندسات والزخارف المعمارية، وغيرها.

ويكفى أن نشير هنا إلى بعض التقنيات الهندسية الميكانيكية التى تمثل الجانب التقنى المتقدم فى علوم الحضارة الاسلامية، وكانت تعرف باسم: «الحيل النافعة» حيث كان المهندسون والتقنيون يقومون بتطبيق معارفهم النظرية للإفادة منها تقنيا فى كل ما يخدم الدين ويحقق مظاهر المدنية والإعمار، وقد جعلوا الغاية من هذا العلم (الحصول على الفعل الكبير من الجهد اليسير). ويقصد به استعمال الحيلة مكان القوى، والعقل مكان العضلات، والآلة بدل البدن. ذلك أن الشعوب السابقة كانت تعتمد على العبيد وتلجأ الى نظام السخرة فى إنجاز الأعمال التى تحتاج إلى مجهود جسمانى كبير فلما جاء الإسلام ونهى عن السخرة وإرهاق الخدم والعبيد وتحميلهم فوق ما يطيقه الإنسان العادى، إلى جانب تحريمه المشقة على الحيوان، اتجه المسلمون إلى تطوير الآلات لتقوم بالأعمال الشاقة، وبعد أن كانت غاية السابقين من «علم الحيل» لا تتعدى استعماله فى التأثير الدينى والروحى

على أتباع مذاهبهم: مثل استعمال التماثيل المتحركة أو الناطقة بواسطة الكهان، واستعمال الأرغن الموسيقى وغيره من الآلات المصونة فى المعابد جاء الإسلام وجعل الصلة بين العبد وربه بغير حاجة الى وسائل وسيطة أو خداع حسى أو بصرى، وأصبح لعلم «الحيل النافعة» هدف جديد هو التيسير على الإنسان باستعمال آلات محركة.

ولقد ظهر هذا التوجه عند المسلمين الأوائل على أيدى نفر من العلماء والإعلام، لعل أشهرهم أبناء موسى بن شاكر الذين عاشوا فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) فكتابهم القيم المعروف باسم «حيل بنى موسى» يحتوى على مائة تركيب ميكانيكى مع شروح تفصيلية ورسوم توضيحية لطرائف التركيب والتشغيل، وهو ما يدخل اليوم فى نطاق علم «الهندسة الميكانيكية». وقد قام «دونالد هيل» بترجمة هذا الكتاب كاملا الى الإنجليزية فى عام ١٩٧٩م. ومن أمثلة تركيبات بنى موسى آلة رصد فلكى ضخمة، تعمل فى مرصدهم وتدار بقوة دفع مائية، وهى تبين النجوم فى السماء وتعكسها على مرآة كبيرة، وإذا ظهر نجم أو اختفى سجل فى الحال، واستحدثوا كذلك آلات لخدمة الزراعة والفلاحة، وآلات تثبت فى الحقول لكيلا تضيع كميات الماء هدراً ويمكن بواسطتها السيطرة على عملية رى المزروعات.

ومن المؤلفات التراثية الرائدة فى هذا المجال كتاب «الجامع بين العلم والعمل النافع فى صناعة الحيل» لبديع الزمان أبى العز بن اسماعيل الرزاز الجزرى الذى عاش فى القرنين السادس والسابع الهجريين (الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين) وكذلك «الطرق السنية فى الآلات الروحانية» لتقى الدين بن معروف الراصد الدمشقى الذى عاش فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) وكتاب «الأسرار فى نتائج الأفكار» لأحمد (أو محمد) بن خلف المرادى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى). ومن الجدير بالذكر أن هذا الكتاب الأخير للمرادى لم يكتشف إلا منذ نحو عشرين عاما فقط فى مكتبة «لورنسيين» بفلورنسا، ويحوى أجزاء هامة عن الطواحين والمكابس المائية، ويشرح (٣١) نوعا من الآلات الميكانيكية وساعة شمسية متطورة جدا. ومن أمثلة التقنيات المتقدمة التى صورها كتاب المرادى «منصة آلية» فى جامع قرطبة الكبير تنفتح من تلقاء نفسها وتتيح تناول نسخة من القرآن الكريم وقراءتها دون أن تمسها الأيدى، وهذه المنصة موضوعة على رف متحرك بواسطة سيور وآليات خافية عن الأنظار، وفى موضع آخر يقدم المرادى شرحا وافيا لتقنية أخرى متقدمة فى قصر جبل طارق، يتم فيها تحريك جدران مقصورة الخليفة آليا عن طريق تجهيز قاعة محركات إلى جانبها.

وان شئنا مثالاً آخر من تقنيات هندسية جيولوجية، فإن استخراج المياه الجوفية يعد من التقنيات التى تتجاذبها تخصصات

علمية عدة لتوفير معلومات كافية عن تكوين القشرة الأرضية وطبيعة الصخور المكونة لها، وفيزياء الترب وأنواعها، والتأثيرات المناخية على معدلات هطول الأمطار ودورة المياه الهيدرولوجية، بالإضافة الى تصميم وتنفيذ الإنشاءات الهندسية واختيار أنسب المواد والأجهزة المستخدمة فيها.

وقد تفوق العرب فى معرفة استنباط الماء من باطن الأرض بواسطة بعض الأمارات الدالة على وجوده فيعرف بعده وقربه بشم التراب، أو برائحة النباتات فيه، أو بحركة حيوان مخصوص، وسمى هذا عندهم «بعلم الريافة» وهو من فروع الفراسة من جهة التعرف على مكامن فى بطن الأرض، ومن فروع الهندسة من جهة الحفر وإخراجه إلى وجه الأرض، ويقال لمن يقوم بالحفر واستخراج الماء «القناء».

وتطورت هذه المعرفة الفطرية عند العرب، إبان عصر النهضة العلمية الإسلامية، وأصبحت تقنية مدونة بأساسيها النظرى والتطبيقى، وما يتطلبه ذلك من اختراع موازين وأجهزة لقياس ارتفاعات الأرض وتحديد مناسيب المياه، وعرض لها كثير من العلماء المسلمين فى مؤلفاتهم، لكن «كتاب إنباط المياه الخفية» الذى صنفه أبوبكر محمد بن الحسن الحاسب الكرجى بين سنتى ٤٠٦ و ٤٢٠هـ، يعكس الحالة المتقدمة التى وصلت إليها هذه التقنية على أيدى المسلمين فى مجال استخراج المياه الجوفية والإفادة منها، تضمن كتاب الكرجى تسعة وعشرين بابا بحثت مختلف المسائل المتعلقة بالمياه الجوفية وهندستها، وعرضت بالتفصيل الدقيق للإجراءات الهندسية والإنشائية قبل تنفيذ النظام المائى المعروف آنذاك باسم «القناة».

ومن أهم ما يذكر للكرجى فى هذا الكتاب أنه أفاد من معرفته الرياضية فى اختراع موازين وأجهزة مساحية دقيقة، فحول هذه الأعمال المساحية من مجرد حرفة يقوم بها المساح إلى عمل تقنى هندسى له أصوله النظرية وتطبيقاته العملية، وقد كانت هذه المنهجية واضحة تماما فى فكر الكرجى، فهو يذكر فى مقدمة كتابه أنه بدأ بتصفح كتابات القدماء فى الموضوع فوجدها «قاصرة عن الكفاية، واقفة دون الغاية» وهو يدرك قيمة الموضوع وفائدته الحيوية، فيعبر عن ذلك بقوله: وبعد، فلست أعرف صناعة أعظم فائدة وأكثر منفعة من إنباط المياه الخفية، التى بها عمارة الأرض وحياة أهلها، والفائدة العظيمة فيها، كما أنه يحرص على تأكيد سلامة الأساس العلمى النظرى الذى يقوم عليه التطبيق فيقول: «ومن تصور ما ذكرته وحققته، فقد عرف قطعة كبيرة من صناعة إنباط المياه، لأن تصور طبع الأرض والماء فيها، وكيفية وضعها وخلقتها، وصفة حال الماء فى خللها، يدل على معرفة قوية فى هذه الصناعة».

وهكذا فإن مشكلة المياه الجوفية التى تعانى منها مناطق مختلفة من العالم اليوم، تجد لها أصولا فى التراث الإسلامى، لكن التقنيين الأوائل استطاعوا أن يواجهوا المشكلة بحلول مبتكرة، فهل يستطيع

الأحفاد أن ينجحوا فى التغلب على ندرة المياه فى هذا العصر الذى يشهد صراعا محموما من أجل السيطرة على الموارد المائية التى يتوقع لها أن تكون من أهم أسباب الحروب على الأرض فى المستقبل القريب؟

وتجدر الإشارة، من ناحية أخرى، الى أن العلماء المسلمين أدركوا طبيعة العلاقة بين العلم والتكنولوجيا من خلال ممارستهم للمنهج التجريبى الاستقرائى، فعرفوا أن التكنولوجيا لا يمكن أن تزدهر أبدا بمعزل عن العلم والبحث العلمى، وأن تطوير التكنولوجيا ينعكس بدوره على تقدم العلوم الأساسية بشقيها النظرى والتطبيقى، وكان طبيعيا أن يتوخوا الدقة دائما فى نتائج أبحاثهم، وأن يجدوا فى استحداث طرائق وأساليب جديدة، أكثر دقة واحكاما من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية والإفادة منها تقنيا، وعلى ضوء هذه المنهجية التجريبية المتميزة فى البحث العلمى استطاعوا أن يطوروا أنواعا مختلفة من تقنيات الموازين والمقاييس والأجهزة العلمية المستخدمة لأغراض الأرصاد الجوية والفلكية والبحوث الكيميائية والطبية وغيرها.

خاتمة

تدلنا هذه الدراسة على أن إسهامات المسلمين فى مسيرة التقدم العلمى والتكنولوجى عبر العصور هى أساس العلم الحديث، وأن قيام النهضة الأوربية الحديثة يدين بصورة رئيسية لانتقال العلم الإسلامى نتيجة اتصالات الأوربيين بمراكز الحضارة الإسلامية التى نجحت فى تكوين المجتمع الإسلامى المتوازن واقعا وفكرا، والقادر على احتضان الفكرة الصائبة واستثمارها حضاريا، سواء كانت هذه الفكرة علمية أو تقنية أو اجتماعية أو اقتصادية، أو غير ذلك مما يتعلق بمجالات النشاط الإنسانى، وهنا تبرز أهمية المنهج الاسلامى الربانى على غيره من الأنساق الوضعية التى تتبنى أفكارا ليست من بين القوى الجوهرية التى نتجت عنها، فإذا بهذه الأفكار تتقادم، ثم تختفى، لقد حدد الإسلام بوضوح الهدف الأسمى من العلاقة العضوية بين الذات والموضوع، أو بين عالم الأفكار وعالم الأشياء فى السعى نحو معرفة الحق والحقيقة فى أعماق النفس وفى آفاق الوجود، ويأتى مع استيعاب هذه الحقيقة، تحقيق أمانة الاستخلاف فى الأرض كما أرادها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لخير الإنسان فى كل زمان ومكان.

ولعل فيما قدمناه من عرض موجز لبعض الإسهامات العلمية والتقنية لعلماء المسلمين عبر العصور ما يوضح أهمية التراث فى تاريخ العلم والحضارة، ويدفعنا إلى البحث عن المفقود منه وهو كثير جدا ليحظى من جموع الباحثين ـ كل فى تخصصه ـ بدراسات تحليلية مفصلة تعود بالعلوم التخصصية المعاصرة إلى جذورها فى المجتمع الذى كان شاهدا على ميلادها، ونتعرف على طبيعة الظروف التى سمحت للمفاهيم والأفكار الوليدة أن تنمو وتزدهر، وتصبح بعد ذلك فروعا فى شجرة المعرفة، وروافد لا غنى عنها لتغذية الحضارة الإنسانية.

حكمة الخالق فى خلق بيئة متوازنة
مخاطر الاحتباس الحرارى

(١)

للأستاذ الدكتور / عبد الراضى حسن المراغى (*)

يلاحظ الإنسان فى العصر الحديث كثيراً من التغيرات المناخية سواء كانت هذه التغيرات فى درجات الحرارة، أو فى سقوط الأمطار ومستوى الرطوبة النسبية، وقبل أن نناقش هذه التغيرات سنتحدث عن التوازن فى عناصر النظام البيئى[١]. وكل عنصر من عناصر ومكونات هذه الأنظمة البيئية خلقه الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وأحكم الله صنع هذه الأنظمة بدقة بالغة من حيث الكم والتركيز والخصائص والوظيفة قال ـ تعالى ـ فى محكم كتابه:

﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[٢].

وفى العصر الحديث تحدث العلماء عن قانون شلفارد للتحمل البيئى الذى ينص على:

تؤثر العوامل البيئية الغير حية على الكائنات الحية فتحد تأثيراتها القصوى والدنيا من نمو وتوزيع هذه الكائنات، فعلى سبيل المثال يعتبر غاز ثانى أكسيد الكربون من العوامل الضرورية لنمو النباتات الخضراء والزيادة القليلة فى تركيز هذا الغاز فى الهواء الجوى تحت ظروف معينة تزيد من معدلات نمو هذه النباتات ولكن الزيادة العالية فى تركيزه تصبح سامة، وعلى هذا الأساس فكل عنصر خلقه الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى النظام البيئى بقدر معلوم، وكفل لهذه العناصر تأدية دور محدد ومرسوم لها، من قبل العزيز القدير، وتشارك مكونات النظام البيئى بعضها البعض فى نظام بديع ودقة بالغة كما ذكره المولى ـ عز وجل ـ فى كتابه الكريم.

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾[٣].

(*) الكاتب أستاذ بكلية العلوم – جامعة الأزهر.

(١) د.عبدالراضى حسن المراغى [١٩٩٨] خطة قومية لمواجهة التغيرات المناخية، جريدة الأهرام – العدد ٤٠٨٩٨ فى ١٩٨٨/١١/٧م.

(٢) سورة النمل الآية ٨٨.

(٣) سورة الرعد الآية ٨.

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(٤).

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾(٥).

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾(٦).

ومعنى كلمة «بقدر» التى جاءت فى الآيات الكريمة أنها تعنى إيجاد كل شئ على قدر مخصوص، وتقدير معين فى ذاته وخصائصه، أما القدر فهو تحديد كل محدود بحده الذى يوجد به.

وهذا التقدير البالغ الدقة هو من صنع لدن حكيم خبير هو الذى أعطى كل عنصر ومكون من مكونات النظام البيئى صفته الكمية والنوعية والوظيفية وعلاقته بالعناصر الأخرى فى النظام البيئى.

كما أعطى لكل كائن حى مكانته البيئية ودوره فى الوجود، كما يؤهل النظام البيئى العام للتوازن ويعطيه المقدرة على إعالة الحياة وهى المهمة الرئيسية والأساسية التى من أجلها خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذه الأنظمة البيئية قال ـ تعالى ـ فى سورة آل عمران :ـ

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا ﴾(٧).

ظاهرة الاحتباس الحرارى

والدليل القاطع على حكمة الخالق فى خلق البيئة متوازنة، أن كل مكونات البيئة وعناصرها صالحة وذات فائدة للنظام البيئى طالما بقيت هذه العناصر محتفظة بخصائصها الكمية والنوعية كما خلقها الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ دون أن يغيرها ويدخل الإنسان فى استنزافها بشكل جوهرى، فإذا اختل التوازن عما خلقه الله ظهرت المشاكل البيئية وكثرت المخاطر التى تهدد هذا النظام البيئى البديع، وقد دعت منظمات البيئة المختلفة على كل المستويات العالمية والإقليمية والمحلية إلى ضرورة اتخاذ مبادرات جديدة لمواجهة ظاهرة ارتفاع درجات الحرارة والتى تهدد بحدوث المزيد من العواصف العاتية والفياضانات المدمرة فى العالم.

ومن أهم الأمثلة التى توضح أهمية حماية عناصر ومكونات البيئة دون أن يقوم الإنسان بتغيير جوهرى فيها هى قضية الاحتباس الحرارى والتغيرات المناخية التى سوف نناقشها بالتفصيل(٨) فيما يلى :

تشبه ظاهرة الاحتباس الحرارى ظاهرة زراعة وتنمية النباتات فى البيوت أو الصوبات الزجاجية التى يحبس زجاجها الطاقة الشمسية ويرفع درجة الحرارة بداخلها وكلما كان زجاجها سميكا حجزت كمية أكبر من الطاقة الشمسية.

وتعمل طبقة غاز ثانى أكسيد الكربون فى

---

(٤) سورة القمر الآية ٤٩.

(٥) سورة الفرقان الآية ٢.

(٦) سورة الحجر الآية ١٩.

(٧) سورة آل عمران الآية ١٩١.

(٨) د.عبدالراضى حسن المراغى [١٩٩٥] الإحتباس الحرارى والتغيرات المناخية – جريدة الوطن القطرية – العدد ١٠١ فى ١٣/٥/١٩٩٥م.

الغلاف الجوى مثل: الصوبة الزجاجية وتحافظ هذه الطبقة على الطاقة الشمسية والدفء، ويزداد انبعاث هذا الغاز زيادة كبيرة بزيادة النشاط البشرى، وتؤدى هذه الزيادة إلى رفع درجة حرارة الأرض ويترتب على ذلك ما يسمى بظاهرة الاحتباس الحرارى التي تؤدى إلى تغير المناخ والذى سوف يتسبب فى كثير من الأخطار البيئية.

وقد بدأ الاهتمام العالمى بهذه الظاهرة بعقد «مؤتمر الأمم المتحدة» ببرلين فى سنة ١٩٨٨م بالتعاون بين «منظمة الإرصاد الجوية»، وبرنامج «الأمم المتحدة للبيئة» لمناقشة قضية تغير المناخ على الكرة الأرضية، ويعتقد العلماء أن مناخ الكرة الأرضية فى حالة تغير مستمر (ولكنه بطئ وغير ملحوظ) وسوف يصل هذا التغير فى الأعوام المائة القادمة - إن شاء الله سبحانه وتعالى - إلى ثلاث درجات مئوية لدرجة حرارة سطح الكرة الأرضية.

وتجدر الإشارة إلى أنه عندما تركت الكرة الأرضية العصر الجليدى انقرض الكثير من الأنواع الحيوانية والنباتية مثل الديناصورات وذلك عندما ارتفعت درجة حرارة سطح الكرة الأرضية خمس درجات خلال العصور الجيولوجية السابقة، أما التغير العصرى والحالى لدرجة حرارة سطح الكرة الأرضية، والجميع يتساءل عما سوف يحدث للأنظمة البيئية البحرية واليابسة نتيجة لذلك.

وفى عام ١٩٩٠م بدأت عمليات التفاوض على المستوى العالمى تحت إشراف «الجمعية العامة للأمم المتحدة» لتحديد المخاطر الناجمة عن تغير المناخ والتحكم فى انبعاث الغازات التى تؤدى إلى ارتفاع درجة حرارة الأرض وهى ما تسمى بغازات الاحتباس الحرارى، وأهم هذه الغازات غاز ثانى أكسيد الكربون الناتج عن احتراق الوقود بكل أنواعه وأشكاله وقلة المصبات التى تمتص هذه الغازات والتى على رأسها الغابات والزراعات من مزارع وحقول والتى يقع أغلبها فى الدول النامية.

وعلى هذا الأساس فخضرة النبات فى البيئة من أهم عوامل الاتزان البيئى ولا شك أن الاستزراع والتشجير ووقف التصحر ودرء الرعى الجائر توضح أهمية النباتات كمصب رئيسى لغاز ثانى أكسيد الكربون قال - تعالى -:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾(٩)

ويشكل غاز ثانى أكسيد الكربون ٠,٠٣ من كمية الهواء الجوى وقد زادت هذه النسبة فى الغلاف الجوى منذ الخمسينات من هذا القرن كما قدرها العالم مونالوا والذى ذكر أن نسبة غاز ثانى أكسيد الكربون تزيد فى الهواء الجوى عموما، وتقل فى فصل الربيع وتزداد فى فصل الشتاء.

إن زيادة انبعاث غاز ثانى أكسيد الكربون والغازات الأخرى المسببة للاحتباس الحرارى

(٩) سورة الحجر الآية ٨٥.

سيترتب عليه زيادة فى درجة حرارة سطح الأرض وينجم عنها آثار ضارة بالأنظمة البيئية المختلفة البحرية واليابسة.

وقد وقعت مائة وخمس وخمسين دولة عضوا فى «الأمم المتحدة» على الاتفاقية الإطارية أثناء مؤتمر الأرض الذى عقد فى ريو دى جانيرو فى يونيه عام ١٩٩٢م. ومن أهم أهداف هذه الاتفاقية العمل على تثبيت مستويات انبعاث غازات الاحتباس الحرارى عن مستويات لا تؤدى إلى التغيرات المناخية على سطح الكرة الأرضية على أن يتحقق ذلك فى إطار زمنى يسمح للأنظمة البيئية بالتأقلم مع هذه التغيرات ويتضمن عدم تهديد المصادر الغذائية ويسمح باستثمار هذه المصادر.

أما الإجراءات اللازمة للحد من التغيرات المناخية عن ظاهرة الاحتباس الحرارى فيمكن تلخيصها فى النقاط التالية:

(أ) عمل حصر ميدانى لانبعاثات غازات الاحتباس الحرارى، وإنشاء هيئة إقليمية تكون وظيفتها رصد وتسجيل مستوى هذه الغازات فى مواقع مختلفة وملاحظة معدلات ارتفاع هذه الغازات (مثل تحديد مواقع محطات رصد الهواء بمدينة القاهرة الكبرى).

(ب) دراسة أثر الاحتباس الحرارى على ارتفاع درجة حرارة سطح الأرض وانحصار المياه الجوفية وسرعة تبخر المياه وأثر ذلك على الزراعة وعلى زيادة التصحر، ويقترح أن تسجل الهيئات والإدارات المختصة مدى انحصار المياه الجوفية وهل هناك زيادة فى سرعة تبخر المياه الجوفية؟

(جـ) دراسة آثار ارتفاع سطح المياه فى المحيطات والبحار وبالتالى على حواف الدول الواقعة على السواحل نتيجة لارتفاع درجة الحرارة وذوبان الجليد القطبى فإن مساحات كبيرة مهددة بالغمر (وعلى سبيل المثال ففى مصر وبالأخص فى منطقة الإسكندرية قدرت الخسائر الناجمة عن ارتفاع سطح البحر المتوسط بمقدار ٢,٥ مليار دولار بأسعار ١٩٩٢م، ومن الملاحظ أيضا تآكل شواطئ مضيف رأس البر حيث غمرت المياه الشاطئ ووصلت حتى شوارع المدينة).

كما يجب الاهتمام بإنشاء مقياس لتسجيل معدلات ارتفاع منسوب سطح المياه فى أماكن مختلفة من الدول المطلة على البحار والمحيطات، ومشكلة تغير المناخ وإثارة مشكلة بيئية عامة تؤثر على الزراعة والمناطق الساحلية وآثارها تختلف من إقليم لإقليم والذى يعنينا هو ما هى آثار التغير المناخى محليا وعالميا؟

ومن المعروف أن معدلات انبعاث غاز ثانى أكسيد الكربون تتزايد من سنة إلى أخرى، ويبلغ حجم هذا الانبعاث على مستوى العالم فى أحدث تقدير له حوالى ٦٠٠٠ مليون طن فى السنة، وعلى سبيل المثال ينبعث فى الولايات المتحدة الأمريكية ١٣٠٠ مليون طن، وفى الصين ٦٠٠ مليون طن، وفى مصر ٩٠ مليون طن فى السنة، وعلى هذا الأساس

فالدول العربية ومن بينها الدول العربية البترولية ليست هى المسئولة عن انبعاث هذا الغاز بالمقارنة بالدول الغربية والأوروبية، وعلى هذا الأساس يجب عدم فرض ضريبة الكربون إلا على دول أمريكا وأوروبا فهى التى تساهم بأكبر قدر من انبعاث هذا الغاز.

إن زيادة انبعاث غاز ثانى أكسيد الكربون لا ترجع فقط إلى تزايد استهلاك مصادر الوقود الأحفورى (الفحم - البترول - الغاز الطبيعى)، وإنما جاءت أيضا نتيجة التدهور الذى أصاب الكساء النباتى وهو المستهلك الرئيسى لغاز ثانى أكسيد الكربون.

وعلى هذا الأساس لا يمكن أن نتصور تركيب الهواء الجوى على غير النسب التى قدرها الله ـ سبحانه وتعالى ـ، إذ أن أى خلل فى مكوناته تؤدى إلى مخاطر كثيرة كما اتضح أعلاه قال تعالى ـ جل شأنه ـ:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾(١٠).

إن زيادة استخدام الغاز الطبيعى فى وسائل النقل والمواصلات سوف يقلل من انبعاث غاز ثانى أكسيد الكربون بحوالى ٣٠ إلى ٤٠٪. ويجب استخدام الغاز الطبيعى فى كل أوجه الحياة كطاقة نظيفة.

ومن أهم الموضوعات التى ناقشها مؤتمر «الأمم المتحدة للبيئة» فى برلين سنة ١٩٨٨م هى المطالبة بتخفيض الزيادة من انبعاث غاز ثانى أكسيد الكربون إلى حوالى ٣٠٪ من الكمية المنبعثة حاليا فى غضون الخمس سنوات التى تلى عام ٢٠٠٠م فى بداية القرن الواحد والعشرين ويتم ذلك بالاعتماد على استخدام الغاز الطبيعى كما ذكر والبحث من مصادر بديلة للطاقة، ويتم أيضا بزيادة الرقعة المزروعة والتشجيع على إقامة المزارع ومشروعات التشجير وهذه الزيادة سوف تمتص الزيادة من غاز ثانى أكسيد الكربون قال - تعالى -:

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(١١).

كما توجد غازات أخرى مثل الكلورفلورو كربونات، وغاز الميثان وهى الغازات التى تسبب انحسار طبقة الأوزون. ولبخار الماء أيضا أهمية فى ظاهرة الاحتباس الحرارى حيث إنه يسبب أيضا ارتفاع درجة حرارة سطح الكرة الأرضية قال - تعالى -:

﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(١٢).

---

(١٠) سورة الأنبياء الآية ١٦.

(١١) سورة الرعد الآية ٤.

(١٢) سورة البقرة الآية ٢١٢.

على طريق الفيمتو ثانية

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

دوران الأرض، وحركة الأجرام السماوية من الأمور التى شغلت فكر الإنسان، منذ عهد بعيد، يبتغى تفهمها، والإلمام بقوانينها، وكشف الغموض الذى يلفها شيئاً فشيئاً، وهو فى سبيل تحقيق ذلك، قد يستخدم أشياء لا تخطر للبعض على بال، وقد يصل إلى نتائج مذهلة، كتلك التى حققها دكتور أحمد زويل، عالم مصر الفذ، حينما أثبت سرعة جزيئات المادة، بما أطلق عليه: نظام (الفيمتوثانية)، وهو جزء لا يكاد يدرك من الثانية، مما أحدث ثورة فى دنيا العلوم، لا تقل أهميتها عن إنجاز مشروع الكتيب الوراثى للجنس البشرى وغيره، من المشاريع العلمية العظيمة النافعة لبنى البشر.

وعلى هذا الطريق ما قام به منجم صينى منذ آلاف السنين، حينما قام بالكتابة حفراً على الحجر، أو الصدفة المغطية لظهر إحدى السلاحف، سطراً، يقول فيه: إن ثلاثة ألسنة من اللهب التهمت الشمس، وتمكنت أنا من مشاهدة النجوم الكبيرة. واحتفظت الأيام والأعوام بهذا التوثيق الغريب فى بابه، الذى تحير العلماء فى تفسيره، حتى العقد الأخير من الألفية العشرين، إلى أن عثر أحد علماء الفلك، بعمل الدفع المائى بأمريكا، على تصوير وتلخيص لذلك النقل، على ظهر تلك السلحفاة، وذلك بإحدى المكتبات، وقد حدث هذا عن طريق الصدفة، البحته، وأدرك ذلك الفلكى ويدعى (بانج) على الفور: أن سطر المنجم الصينى القديم، لم يكن إلا وصفا دقيقا لكسوف كلى للشمس،فقد كانت تلك الشرارات الثلاث، أشعة منطلقة من الهالة، وهى الغلاف الخارجى الرفيع، الذى يحيط بالغلاف الجوى للشمس، والذى يصبح مرئياً تماماً عندما يغطى القمر قرص الشمس الذهبى اللامع مما يؤدى إلى ظهور النجوم، فى أثناء النهار بادية للعيان. فيما يعرف علمياً بكسوف الشمس، كما أدرك بانج أن الرقم الموثق بحجر السلحفاة، سيمكنه من إجراء عملية حسابية متناهية فى الدقة، يستطيع من خلالها معرفة السرعة، التى تدور بها الأرض فى وقت الكسوف، وبالتالى يحدد بالضبط إلى أى مدى تبطئ الأرض من سرعتها، استعدادا للتوقف عن الدوران، يوم تبدل الأرض غير الأرض.

وكون الأرض تبطئ من سرعتها أمراً ليس بجديد على العلماء، فكوكب الأرض يلف ويدور حول

نفسه، مسبباً آيتى الليل والنهار، ويدور حول الشمس محدثا ظاهرة الفصول الاربعة، كما أن جاذبية القمر - وهى العملية التى تنشأ عنها الظواهر البحرية المعروفة بالمد والجذر - هذه الجاذبية تؤدى إلى نتوء بارز على سطح الأرض دائما، ما يتقدم القمر قليلاً، ولا يكون تحته مباشرة فى أثناء الكسوف، ثم يعود القمر ليغطى الأرض، مما يؤدى بها إلى أن تبطئ من سرعتها رويداً رويداً، ويكون ذلك الإبطاء بسيطاً وضعيفاً، وهنا يتدخل العلماء ليحددوا مقداره، وذلك بتتبع وتقصى الأرقام الموثقة قديماً، وأهمها ذلك الموجود بالنقش المشار إليه، فى الكسوف الشمسى الموغل فى القدم، وبالاستعانة بالحاسوب استطاع علماء الفلك أن يحسبوا سرعة دوران كل من الأرض والقمر فى ثوان معدودات، خصوصاً عندما تكون الأجرام الثلاثة: الأرض، والقمر، والشمس، متعامدة على خط واحد فى أثناء الكسوف الكلى.

وإذا تمكن العلماء من الحصول على رقم موثق لمكان شوهد فيه كسوف بعينه لاستطاعوا إدراج ذلك الموقع، فى العملية الحسابية. الضخمة، التى تكون منحنى لظل القمر لا يزيد اتساعه على ١٦٧ ميلاً، وبعد تحديد سرعة الأرض فى الفضاء الكونى الرهيب زماناً ومكاناً، فى أثناء الكسوف، يستطيع الباحثون حساب المعدل الذى تدور به الأرض عبر القرون، من الشرق إلى الغرب، ليصلوا إلى النقطة الثانية، التى بدأت الإرض تنتهجها، منذ ذلك الكسوف الشمسى القديم، الموثق على ظهر تلك السلحفاة الموعودة، وكان على يانج حتى يكسب صفة المصداقية علمياً أن يحدد ويكتشف حقيقة المكتوب على تلك الحفرية.

والسبب أنه ليس بذلك النقش تاريخ حدوث ذلك الكسوف، فقد قام بحل ذلك اللغز بالتعاون مع أستاذ صينى يدرس عِلْم لغات شرق آسيا، فى مؤسسة بحثية كبرى يرمز إليها بالأحرف UCLA والتى عثر فى مكتبتها على تلخيص وتصوير تلك الحفرية، فقد تمكن من مقارنة المكتوب على صدفة السلحفاة، بآثار من المملكة الصينية المعروفة فى التاريخ بإسم «شانج» وقرر أن ذلك الكسوف، وهذا النقش وقع أثناء حكم الملك (وو-دينج)، وقد شملت هذه الفترة كسوفاً واحداً لاغير طبقاً لمعطيات الحاسوب، وهو الكسوف الذى حدث فى اليوم الخامس من الشهر السادس من عام ١٣٠٢ ق.م، وعندما تم حساب سرعة دوران الأرض فى ذلك التاريخ، وهى السرعة التى تدور بها الآن، وجد العلماء أن المنجم الصينى صاحب النقش السلحفائى، لم يدخل فى حسابه ظل القمر، ومن ثم أغفل حساب آلاف الأميال، وأسقط سهوا بل جهلا من حساب دوران الأرض، ما يقدر بالثلث، وبمعنى علمى أدق، فإن الأرض منذ الكسوف، والذى حدث قبل ٣٢٩١ قبل الميلاد قد أتمت ثلث الدوران، وهو يزيد عما كان ستتمه لو ظلت تدور بمعدل دورانها الحالى المعروف، ولذا فإن (بانج) يقول: «إن المنجم الصينى القديم عندما كتب ما كتب على ظهر السلحفاة، لم يكن يخطر بباله أن كوكب الأرض كان يدور أسرع قليلا، مما يدور الآن، وأن الأيام كانت أقصر قليلا، وقبل أن ننساق وراء الخيال الجانح، والوهم المضل، يقدم لنا العالم الكبير فى استنتاج علمى فريد من نوعه زبدة ذلك البحث، وجوهره المتمثل، فى مقدار الزمن، الذى أبطأته الأرض فى كل تلك الفترة الطويلة، وهو رقم يذكرنا على الفور (بالفيمتو ثانية) فالأرض لم يزد بطؤها على (٠٤٧ر من الثانية) وهو رقم موح بقدرة الخالق الذى قال فى قرآنه العظيم ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(1).

---

(1) سورة القمر (٤٩).

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

كيف عالج الإسلام الجريمة ؟

للأستاذ/ محمد حافظ

إعداد وتقديم الشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

فلكل مجتمع أدواؤه ومشكلاته، والجريمة داء من أدواء المجتمع، ومشكلة المشكلات، وحتى لا يستبد المستخفون بالحياة فيسود الطغيان والبطش، وضع الإسلام لعلاج الجريمة علاجاً راعى فيه المنهج الأقوم بوضع عقوبات زاجرة للحالات المرضية التى تنتاب بعض أفراد المجتمع على أن تطبق هذه العقوبات محوطة بكافة الضمانات بحيث لا تتجاوز مجالها، ولا تتعدى نطاقها، والتى تعتبر قمة فى العدالة، فالشبهة تؤول لصالح المتهم، ولا تثبت تهمة إلا ببينة عادلة، والقاضى لا بد أن يكون مثالاً للحيدة المطلقة والمعرفة المستوعبة، كل ذلك له دلالته التى تتركز فى أن الهدف الذى يتوخاه الإسلام من العقوبة ليس إلا التقويم لبقاء المجتمع معافى من بوائق فعل الجرائم، وخطر العدوى.

وسياسة الإسلام فى العقوبة مرتبطة أوثق ارتباط بسياسته فى التقويم والتنظيم، لذا وضع الفقهاء - مستندين إلى نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة - الشروط والضوابط لتطبيق العقوبات تطبيقا أمينا، يسمو كل السمو على ما يبدو من فلسفات الجريمة والعقوبة فى الغرب والشرق ويتفوق عليها بأنه لا يسترخى الاسترخاء الذى لا يقيم عوجا، ولا يبرىء داءً.

والإسلام عالج الجريمة علاجا راعى فيه النزوات النفسية والغرائز البشرية فأخذها بالتعليم والتهذيب، ثم بالترغيب والترهيب، ثم بالتى لا يقع حسم الداء إلا بها، وهى حدود الله، وليس يردع الناس أحكام الناس وقوانين الأرض، وإنما يردعهم قانون الله ونظام السماء، وللمزيد قال الكاتب -رحمه الله- :

لم يحارب الإسلام الجريمة كما يحاربها قانون الأرض، ونظام الناس، بل عالجها مراعيا طباع البشر، وما ركب فينا من ميول وغرائز، كما أدخل فى حسابه ضرورات الحياة، ودوافع الجريمة، ونظر إلى الجرائم على أنها أمراض ذات جراثيم فتاكة يجب أن يصح المجتمع منها ويسلم، فبدأ العلاج بأمصال الوقاية، واعتزال المصابين حتى لا تسرى العدوى فلا يجدى علاج ولا ينجح دواء، ولعل مرض الأخلاق أنكى فى العدوى وأسرع فى الانتقال من مرض الأجسام.

بدأ الإسلام العلاج بالتربية والتهذيب، وبيان ما أحل من الأمور وأبيح، وما حرم منها وحظر، وأعقب ذلك ببيان ما يترتب على كل من حسن الجزاء أو سوء المنقلب، وأنه لا بد لمرحلة التهذيب من مجانبة الأشرار، وانتقاء من يصحب من الأخيار، فالمرء على دين خليله، وبذا يصون الإسلام البيئة من أدران الشر، وجرائم الأشرار، منعا للأسباب، وقضاء على الدواعي، حتى تموت الجريمة قبل أن تولد.

ثم ينتقل الإسلام بعد هذا ليبين عن الدوافع إلى الجريمة والمغريات بها، فيقيم الحواجز، ويسد الذرائع، ويمنع الحمى، حتى لا يحوم حوله أحد، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فجريمة الاعتداء على العرض مثلا يدفع إليها، ويغرى بها الحرمان من إرضاء تلك الغريزة، وقد حارب الإسلام هذا بتشريع الزواج والترغيب فيه، ويجعله نصف الإيمان، ويعد عليه سعة الرزق وبسط العيش، فيقول: التمسوا الرزق بالزواج، فالزواج وما ملكت الأيمان محل المتعة، ومجال إرضاء الغريزة الجنسية، ومن ابتغى بعد ذلك فأولئك هم العادون.

وبذا يفصح عما يحل وما يحرم من هذا القبيل، كما قد يدفع إلى هذا الاعتداء، إبراز الجمال، وإظهار المفاتن، والتفريط فى الأعراض، ويقضى الإسلام على هذا كله بغض البصر تارة من الرجل وتارة من المرأة، كما حرم الاختلاط، وأكبر الخلوة بالأجنبية، وأوجب الحجاب، وحظر لين القول المطمع، وتعرض المرأة مزينة أو متبرجة، حتى لا تكون فتنة ثم لا تكون جريمة، نقرأ هذا فى قول الله – تبارك وتعالى –:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ -إلى- ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١)

كما نرى ذلك فى مسلك الرسول –عليه الصلاة والسلام– مع أهله، فقد روى أنه دخل على النبى –عليه الصلاة والسلام– عبدالله بن أم مكتوم وهو (أعمى) ومع النبى بعض زوجاته، فقال لهن النبى: احتجبن. فقلن: إنه أعمى يا رسول الله، فغضب النبى. وقال: أفعمياوان أنتما؟

ولقد صان الإسلام الأعراض حتى عن التناول بالسب والشتم، وجعل لذلك حداً مفروضاً يعرف فى الفقه بحد القذف، ونص القرآن على أنه ثمانون جلدة، نقرأ هذا فى قوله –تعالى–:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(٢)

فقد أنزل بالمفترى بذلك عقوبة مادية جسدية بجلده ثمانين جلدة، وعقوبة أخرى أدبية برد شهادته، وإسقاطه من عداد الرجال الكاملين العدالة، وهذه عقوبة الدنيا. أما جزاء الآخرة فيوضحه قول الله –تبارك وتعالى–:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾(٣).

ثم إن وقعت جريمة الاعتداء على العرض بعد كل هذا– ولو عن رضا وطواعية من كليهما– فإن الله يغار على محارمه، وقد أمرنا بالغيرة على تلك المحارم. فالعروض ليست ملكا لأصحابها (كما يظنون) فليست لهم فيها حرية التصرف على ما يريدون، وكما يحبون، ومع من يشتهون. فقد أحل الله منه الطيب الطاهر، وحظر الخبيث الذى

---

(١) سورة النور (٢٩، ٣٠). (٢) سورة النور (٤). (٣) سورة النور (٢٣).

تختلط به الأنساب، وتفسد الأخلاق. وتتدهور الأمم وتنحل، أقول: إن وقعت الجريمة بعد كل هذه التحذيرات عن غير اكتراث بوعد، ولا خوف مع وعيد، فثمة حدود تقمع هؤلاء وأمثالهم عن غيهم، وتجدع أنوفهم عن رجسهم، من الرجم إلى الموت، أو الجلد وتغريب عام على ما تفصله كتب الفقه ومذاهب الفقهاء حسب ملابسات الجريمة، وحالة الآثمين، من إحصان وعدم إحصان، تطهيراً وتزكية للبيئة.

***

وكما عالج الإسلام جريمة العرض وحاربها، حارب جريمة الاعتداء على المال، فلا تلصص، ولا اختلاس، ولا سرقة، ولا غش. لكنه يهذبنا ابتداء بألا نطمع فيما ليس لنا فيه، ونزهد فيما لا نملك، ويحرم الشح والحرص والتكالب على جمع المال، فإن لذلك شهوة قد تعمى عن التفرقة بين الطيب والخبيث. ثم يوجب التعاون بين الحاكم والمحكوم للقضاء على الفقر؛ لأنه كثيراً ما يدفع إلى مختلف الجرائم، وأكثر جرائم الفقر ارتكاباً جريمة السرقة على مختلف سبلها.. فمن ابتغى بعد هذا ثراء عريضا، وسعة فى المال، فلديه من الطرق المشروعة الشريفة للكسب الطيب ما يشبع رغبته، وينيله أمنيته، فالتجارة، والإجارة، والزراعة، كلها سبل مشروعة.

وليصون الإسلام المال من التلف والضياع شرع له قوانين تصونه حتى من أصحابه ومالكيه، فيحرم الربا، ويمنع القمار، ويحظر الرشوة، ويبغض فى الإسراف، ويعدها كلها كبائر تورث فقر الدنيا، وخزى الآخرة، ويذم السرقة، ويصف آكلها بأنه إنما يطعم ناراً، فإنها مصيره.

فمن أبى بعد هذا التحذير إلا الاعتداء على أموال الناس، وأكلها بغير حق، ألزم الدين الحكام أن يقيموا حدود الله وينفذوا شرعته، فينزل الحاكم بالسارق عقوبته التى حدها الله بقوله:

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٤).

فإذا مرد السارق على جريمته، وجمع إليه أنداده وأشباهه، وقاموا على الطريق يخيفون المارة، ويعتدون على الأموال والأنفس، فإن أولئك بعد أن فظع الله جرمهم وسماهم محاربين لله ولرسوله فوّض الإمام فى أن ينزل بهم من العقوبات التى وضحها ما يراه على قدر خطرهم. نقرأ هذا فى قوله - تعالى -:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٥).

وبالوسيلة عينها رأينا الدين يعالج ويحارب جريمة الاعتداء على النفس، فإنه بعد أن يتلطف للناس فى الطلب بتحبيب احترام النفس، وتبغيض الاعتداء عليها، فسمى الحياة «بناء الله» ودعا قاتل النفس «هادما لبناء الله»، وبعد أن أبان أن من قتل نفسا أو كان سببا فى قتلها بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا، ومن كان سببا فى إنقاذ حياة من ضياعها ونفس من تلفها فكأنما أحيا الناس جميعا.

---

(٤) سورة المائدة (٣٨). (٥) سورة المائدة (٣٣).

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾(٦).

ثم أوضح بعد هذا –مخوّفا– مدى العذاب الذى يلقاه من اعتدى بالقتل فيقول:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(٧)

ويعمد بعد إذ ينتهى من هذه الأساليب الوعظية الخطابية ذات الوعد والوعيد والترغيب والترهيب– يعمد إلى الإنابة عما يجب من الحدود، وما يلزم الحاكم من إقامته صيانة للحياة، وتثبيتا للأمن، وردعا للمستهتر.

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٨)

يبين الإسلام عن القصاص فيما يتعلق بالنفس كلا أو جزءاً بصراحة لا تقبل التأويل، ذلك حيث يقول الله – تبارك وتعالى:

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(٩).

***

وهكذا نرى الإسلام قد عالج الجرائم علاجا راعى فيه النزوات النفسية، والغرائز البشرية، فأخذها بالتعليم والتهذيب، ثم بالترغيب والترهيب، ثم بالتى لا يقع حسم الداء إلا بها وهى الحدود، فكان معنا على ما قال القائل:

أناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيدا فإن لم تغن أغنت كتائبه

ولن نغفل –كما لم يغفل الإسلام– النظرة الأدبية إلى النفس، فإنها إن لم تحى عزيزة كريمة أبية مكفولا لها جميع حقوقها، فليست حياتها حينئذ بالحياة التى يرضاها ويرضى عنها الإسلام، فالاضطهاد، والضيم والإذلال، والتضييق على العقول فى آرائها، وحبس الأرزاق والاستبداد بها، كلها جرائم ورذائل، يأباها الإسلام ويحذرمنها، وينزل العقوبة بمن ارتكبها لظلمه، وبمن نزلت به لرضاه بالظلم، وإنا لنقرأ هذا فى كتاب الله، ذلك حيث يقول:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾(١٠).

ولا تزال حكمة عمر بن الخطاب التى صرح بها فى وجه عمرو بن العاص فى قصة المصرى مع ولده: « يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » لا تزال تلك الصرخة ترن فى أذن الدهر..

وبعد –فكم بين حكم الله وحكم الناس! وليس يردع الناس أحكام الناس وقوانين الأرض، وإنما يردعهم قانون الله ونظام السماء. [المجلد السادس والعشرون]

---

(٦) سورة المائدة (٣٢). (٧) سورة النساء (٩٣). (٨) سورة البقرة (١٧٩).
(٩) سورة المائدة (٤٥). (١٠) سورة النساء (٩٧).

صفحات مطوية من تاريخ الصحافة المصرية

« النزال الأدبي »

للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد *

عندما تعددت الصحف فى المجتمع الإنجليزى، وراجت حركة الفكر فى أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، فقد تطور فى هذه البيئة الصالحة تحرير المقال - بشكل خاص - وفنون التحرير الصحفى عامة، وذلك على أيدى رواد الصحافة الحديثة، من أمثال « ديفو » و« أديسون » و« سويفيت » و« جونسون »[1].

ولعل ما نريد أن نصل إليه من هذا القياس هو أن مصر شهدت رواجاً فى تحرير المقال الصحفى بشكل عام، وفى تحرير المقال الأدبى بشكل خاص، ولا سيما بعد أن أخذت مصر أنفاسها، ونعمت ببعض الاستقرار المادى، والاجتماعى، عقب ثورة (١٩١٩).

ولعل من أهم ملامح هذه الحقبة: التجديد فى الأساليب، وهضم الثقافة الأوربية، والعمل على نقل الحضارة الأوربية، قصد الانتفاع بها والاستزادة ومنها، ففى هذه البيئة التنويرية بلغ « فن المقال » - سياسيا، كان أم أدبياً - حداً كبيراً من النضج، على أيدى أقطاب الفكر والأدب فى العصر الحديث..

ذلك أن الكتاب المقاليين الذين اشتغلوا فى الكتابة للصحف اليومية ممن صاحبوا ثورة

(*) الكاتب: مدرس الصحافة والإعلام بجامعة المنصورة

(١) الدكتور إبراهيم امام: تطور الصحافة الإنجليزية- الأنجلو المصرية- (١٩٥٦) ص (١٠١- ١٤٢)-

(١٩١٩)- هم أصحاب الأثر الواضح، فى نشر الأدب بين قراء الصحف السياسية وفى نشر السياسة بين القراء المتأدبين، والذين كانوا لا يحفلون بها، ولا يقرأون من المقالات والكتب، إلا ما كان أدبا بامحضا، أو بحثاً فى موضوعات الشعر، والنقد، والبلاغة، فمنذ اشتغل أفراد هذه المدرسة بالصحافة والسياسة، تعود قراؤهم الأدبيون أن ينتقلوا معهم إلى مباحث الأدب والنقد وما إليها، كما تعود قراؤهم الأدبيون أن ينتقلوا معهم إلى السياسة، ومناقشاتها حينما خاضوا فيها، وناضلوا عنها[٢].

وفى ضوء هذه الرؤية يظهر اتساع نطاق الأدب- إلى جانب اتساع نطاق السياسة، إبان تلك النهضة الفكرية، ونحن نعتقد أنه مما أسهم فى حيوية الفكر الأدبى وأزدهاره وانشغال الناس فى ظل هذه البيئة الصالحة تلك المحاورات، والمساجلات المتمثلة، فى « المعارك الأدبية » التى دارت رحاها بين الأدباء والمفكرين الذين برعوا فى ممارسة هذا الفن من « النزال الأدبى » فى النصف الأول من القرن العشرين.

النـــزال الأدبـــى

ويتضح هذا النوع المقالى منذ أن يبدأ الأديب فى منازلة خصمه على صفحات الجريدة أو المجلة فيبادله خصمه نزالا بنزال، وفناً بفن، وقد يتدخل معه آخرون لمناصرته؛ فيتسع نطاق المعركة وتتشعب أصولها، ويمتد عمرها، وقد يؤثر الخصم السلامة ويلتزم بالصمت فيكف الأول أو يتمادى فى منازلته فتصبح حملة صحفية من جانب واحد.

وهكذا دارت رحى المعارك بين فريقي المحافظين والمجددين، فالمحافظون وقفوا فى وجه الثقافات الأجنبية، وتشددوا فى الدفاع عن العربية، وقد حمل لواءهم: مصطفى صادق الرافعى، محمد فريد وجدى، وأحمد زكى باشا (شيخ العروبة) ورشيد رضا وغيرهم، والمجددون انتصروا للمدنية الغربية، وقد انقسموا على أنفسهم فكان منهم المتطرف الذى انبهر بثقافة الغرب، وغض من أدب العرب مثل « سلامة موسى » وكان منهم المعتدل مثل: « العقاد، وطه حسين، والمازنى، وزكى مبارك »، وقد مضت مساجلاتهم هادئة تاره وعنيفة أخرى، كما كانت دوافعهم شخصية تارة وخالصة لوجه الفكر تارة أخرى.

ولا نعتقد أن مجالا من مجالات الأدب أو مفهوما من مفهومات الثقافة لم يدخل فى حلبة صراعهم الفكرى بين العرض والنقد أو التأييد والمعارضة، لذا تبنت نزالياتهم أنواعاً عديدة من قضايا الفكر العربى المعاصر، مثل: القومية العربية والآداب العربية ومناهج الثقافة والأسلوب والمضمون والآراء

(٢) عباس العقاد: مجلة الهلال ديسمبر (١٩٢٦)، والدكتور عبد العزيز شرف، طه حسين وزوال المجتمع التقليدى- هيئة الكتاب- القاهرة (١٩٧٧) ص(٢٧٣).

والمذاهب، ونقد الكتب، فضلاً عن التيارات المعاصرة وما إلى ذلك من قضايا مختلفة.

وسوف نتناول بالدارسة والتحليل أهم ما نشر من تلك المعارك الأدبية فى الصحف أو الكتب، فى حالة ما إذا كانت طرفاً فيها- لتمثل هذه الحقبة من تاريخ صحافتنا المصرية.

ويأتى اختيارنا لأربع نزاليات أدبية فقط- نظراً لمحدودية المساحة، لعلها تكون نماذج صادقة لأهم القضايا والأفكار التى شغلت بال الحياة الأدبية فى تلك الفترات المتعاقبة، والتى كونت فى النهاية- من وجهة نظرنا- صورة واضحة المعالم لأهم أوجه النهضة الفكرية الأدبية المصرية فيما بين ثورتى (١٩١٩)- (١٩٥٢)، وهذه هى النزاليات الأربعة، التى نبين فيما يلى أهم ملامحها:

(١) تجديد الأدب العربى.

(٢) تمجيد النزعة اليونانية.

(٣) نقد طه حسين.

(٤) نظرية الفن للفن.

النزالية الأدبية الأولى:-

موضوعها: تجديد الأدب العربى.

كتابها: سلامة موسى، زكى مبارك.

صحفها: اللطائف المصورة، البلاغ.

تاريخها: (١٩٤٠).

وتلك نزالية أدبية أثارها: «سلامة موسى» بآرائه المتطرفة فى العرب وأدبهم ولغتهم بسبب مقال نشره عام (١٩٤٠) ودعا فيه إلى لفظ الأدب العربى القديم، لعجزه عن توجيه الحياة الاجتماعية المعاصرة، وتغالى فى ذلك حين نظر إليه على أنه شرٌّ مرشد للشباب، لأنه أدب لهو واستمتاع، وليس أدب عمل وكفاح.

وقد واجهه زكى مبارك مواجهة واعية دفع فيها ما نسبه للأدب العربى من اتهامات، وكشف فيها عن ذخائره ومواطن قوته وحيويته، غير أن «سلامة موسى» لم يعترف بتصحيحه، ومضى يكابر فى دعوته حتى مسَّ جماعة من الأدباء، وهم: (زكى مبارك، والعقاد، والزيات، وأحمد أمين) واتهمهم بالعجز عن تحويل القراء للكفاح والجهاد، وخدمة الأمة لأنهم شغفوا بالأدب العربى القديم، وتلك ملامحها:

١- سلامة موسى: أدب الكفاح وأدب التأمل (٣).

«الأدب الحاضر فى مصر: هو أدب اللهو، والاستمتاع والتأمل، وليس أدب الكفاح والعمل، وهو أدب القاعدين لا المجاهدين، وهو أدب يجهل التيارات الفكرية العصرية، ينأى عن منطق التطور، ومنطق العصر، هو شرٌّ مرشد للشباب، الذى يتحسس طريقه إلى المستقبل، لأنه أدب الماضى وليس أدب

(٣) اللطائف المصورة: ٢٢ يوليه (١٩٤٠) العدد (١٣٢٨).

المستقبل، والشباب يحتاج إلى أن يتفهم هذا المجتمع، الذى يعيش فيه، ويلابس نزعاته، ويناقش فكرياته، ولكن الأدب فى مصر الآن يقدم نزعات الدولة العباسية المتصوفة فى القرن الثالث أو الرابع للهجرة، ولذلك ينخفض إدراك شبابنا للحياة ويعيشون فى ضلال، كثيرا ما ينتهى بهم إلى الجزع واليأس لأنهم يعيشون فى مجتمع عصرى بعقلية غير عصرية...

٢- سلامة موسى: أدب الكفاح وأدب التأمل(٤).

... وقد عمت الثقافة العربية التى تتسم بجميع سمات القرون الوسطى ركوداً، ذهنياً، والبرهان على ذلك أنى أعجز فى ذلك عن تحريك (زكى مبارك وهيكل والعقاد والزيات) إلى التفكير فى الجناية التى نوقعها بالفلاح، حين نتركه يعيش فى منزل بلا مرحاض، وأنها أعجز لأن الثقافة التى تعلموها، وأشربوا أساليبها ليست هى الثقافة التى تبعث على الرقى الاجتماعى، إذ هى ثقافة اللذة والاستمتاع وليست ثقافة الجهاد والعمل.

والنتيجة العامة لهذه الثقافة أن الشباب المصرى قد اتخذ موقفاً سلبياً ولا يريد أن يبتكر ويعمل ويؤدى الخير لأن (زكى مبارك، والعقاد، وأحمد أمين، والزيات) حدثوه عن الصوفية والشعر، والقرن الرابع للهجرة، فهو راكض يرضى بأدب التفرج، والاستمتاع، ولا ينهض للعمل والكفاح لأن ثقافته لم تلهمه هذا العمل أو الكفاح، ثم هو ينظر إلى الدنيا بعين الأدب العربى فلا يستطيع أن يفهم المثليات العصرية..

٣- زكى مبارك: درس ينفع(٥).

.. لا يهمنى أن أدفع الاتهام الموجه إلى العقاد، والزيات وطه حسين، فلى ولهم أقلام تدفع ما يوجه إلينا من العدوان بأيسر مجهود عند القتال.

إنما يهمنى أن أدفع الشر عن الأدب العربى، فهو ليس أدباً ميتاً، كما يتوهم الناسُ إنما هو أدب يتوثب من فيض القوة والحيوية، وبفضل الأدب العربى بَقِيَتْ الذاتية الشرقية إلى اليوم، ولولاه لكان الأستاذ سلامة فى أيامه هذه كاتباً يرطن فى لغة الأرض أو لغة اليونان.

ومن محاسن الأستاذ سلامة موسى أنه وطنى ومن هذه الناحية أغزوه بلا رفق، فمصر التى يحبها لم تَسُدْ فى الشرق إلا بقوتين هما: (اللغة العربية والشريعة الإسلامية) فهل من القليل أن تأخذ بلاد العرب ثقافتها العربية عن مصر... قد يكون (سلامة موسى) فى دينه أصدق منى فى دينى ولكن من المؤكد أنى أصدق منه فى الوطنيه، فأنا أحرص على اللغة

---

(٤) اللطائف المصورة: (١٩٤٠) العدد (١٣٣٥).

(٥) الرسالة: ٩ أغسطس (١٩٤٠)، الحديث ذو شجون: تقديم كريمة زكى مبارك هيئة الكتاب (١٩٨٠) ص(٧٩).

العربية والإسلام خدمة لوطنى... ولنفرض جدلاً أن (طه حسين والعقاد والزيات وزكى مبارك) لا يشتغلون بغير دراسة الأدب العربى القديم فما العيب فى ذلك"

ثم مضى زكى مبارك يستدل بفرنسا وإنجلترا وايطاليا وما فيهم من مئات الباحثين المتوافرين على درس ذخائر الأدب القديم، عند اليونان والرومان بينما لا يوجد فى مصر عشرة لدرس ماضى اللغة العربية، ثم سأله مستنكراً عن درس «التوراة والإنجيل» أهو من العبث السخيف، لعدم تمثيلها العصر الحديث؟ وهل من الصواب حرق جميع ما حفظ الزمن من تراث المصريين القدماء؟ ثم قال:

«الدنيا كلها تجتمع، ونحن نتفرق مع أننا أحوج من سائر العالمين إلى الائتلاف، والعرب والمسلمون فى جميع بقاع الأرض يرون مصر مشرق الأنوار العربية والإسلامية، وأخونا (سلامة موسى) يريد أن ينزع عن رأس مصر هذا التاج المرموق، ولو كان «سلامة موسى» من أرباب المنافع المادية لعذرناه، وقلنا: إنه رجل ينتفع من مؤازرة خصوم العربية والإسلام، ولكنه رجل عفيف القلب والجيب، فكيف يستبيح أن يسيىء إلى سمعة مصر العربية والإسلامية بلا جزاء؟

تقييم النزالية

يمكن النظر إلى «مبارك» على أنه كان واسع البصر، وافر الذكاء، فى تناوله للصلة بين مصر ولغتها وأدبها وإسلامها، وربط ذلك كله بسيادتها للشرق، وكما يظهر فإن «سلامة» قد بالغ فى اتهام هؤلاء الأدباء، حين جعلهم عاجزين عن تحويل قرائهم إلى الكفاح والجهاد، ولنهضة الأمة؛ لأنهم توفروا على درس الأدب القديم؛ إذ أن كلاً من هؤلاء الأدباء إلى جانب دراسته للأدب العربى- قد ساير التطورات السياسية فى مصر، ونال من العقل الأوربى الحديث وعالج بعض معضلات العصر الحديث، وهذا يعطى دلالة قوية على أن «سلامة موسى» يذهب من وراء ذلك إلى هدم ثقافة العرب بحجة أنها من الآداب الميتة، فهى عنده «ليست الثقافة التى تبعث على الرقى الاجتماعى».

ولعل من فنون المناقضات فى منهج «سلامة موسى» أنه كان يدعو إلى الإقلال من العناية بالأدب العربى، لأنه أدب الماضى، وليس أدب المستقبل، ولأنه يدع الشباب يعيشون فى مجتمع عصرى، بعقلية غير عصرية، فى نفس الوقت الذى كان يبذل فيه جهودا عنيفة في شرح الأساطير الفرعونية لإحياء ذكرى الفراعنة ودرس ثقافتهم على أساس أن ذلك واجب وطنى، مع أن الأدب الفرعونى أدب ميت موغل فى القدم.

وليس من شك أن تلك المفارقات كانت تعكس لنا- بوضوح- مذهب «سلامة موسى» فى الأدب العربى، وأقل ما يوصف به أنه بعيد كل البعد عن الإعجاب بالعرب وماضيهم ولغتهم.

الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجى شاعراً

بقلم الأستاذة/ وفيقة عواد سلامة

يشغل الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى مكانة بارزة، بين أساطين علمائنا الأعلام المعاصرين، الذين يتميزون، بعمق وشمول الثقافة، فى شتىَّ المناحى الدينية والأدبية، لاطلاعه الدائب على أمهات الكتب فى العربية، وما ترجم إليها، من تصانيف فذة، فى النقد والتراجم والسير، وكذلك لعطائه الجم الغزير، الذى يتجاوز الخمسمائة مؤلف، فى شتى فنون الأدب والمعرفة، بأصالة واقتدار، ويأتى فى مقدمتها: تفسيره لكتاب الله الكريم ـ عزوجل ـ فى ثلاثة عشر جزءاً.. وهذا يبرر لنا المنزلة العالية الرفيعة، التى احتلها، فى عقول وقلوب العديد من أساتذة الجامعات، وطلاب الدراسات العليا، التى يشرف على كثير من دراساتهم، التى يُعدُّونها للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه، بألمعية وحُسْن توجيه، واقتدار ندَرَ أن يدانيه فيه سواه، هذا بالإضافة إلى شاعريته الفذة المحلقة، التى أثمرت العديد من الدواوين الشعرية، حتى ليصعب علينا أن نتحدث عن تصانيفه المتنوعة، أيها نأخذ وأيها ندع لفرصة أخرى.. إلا أن مالا يدرك كله لا يترك كله.

ترجمة حياته

هو: محمد بن عبدالمنعم بن خفاجى بن سليمان بن حسين بن مصطفى بن أحمد الخفاجى ـ ولد بقرية تلبانة مركز المنصورة بمحافظة الدقهلية فى ١٠ من رمضان ١٣٣٣ هـ الموافق ٢٢ من يوليو ١٩١٥م وحصل على الشهادة العالية [الليسانس] من كلية اللغة العربيَّة، بجامعة الأزهر، عام ١٩٤٠م، ـ ثم عمل بالتدريس بمدرسة (الليسيه) الفرنسية بالقاهرة، فى الفترة من عام ١٩٤٠م حتى عام ١٩٤٤م وفى تلك الأثناء، حصل على الشهادة التمهيدية لشهادة الأستاذية، عام ١٩٤٤م، أى فى أثناء اشتغاله بالتدريس، إلى أن حصل على شهادة العالمية، من درجة الأستاذ: (الدكتوراه) فى الأدب والنقد، بعد عامين، أى فى عام ١٩٤٦م برسالته القيمة، عن الشاعر العباسى، الخليفة عبدالله بن المعتز، وبعد ذلك انتقل للعمل فى كلية اللغة العربية عام ١٩٤٨م، ثم تدرج فى العمل بهذه الكلية حتى صار رئيسا لقسم الأدب والنقد، بها عام ١٩٧٣م، ثم شغل

مركز العمادة لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر (فرع أسيوط) فى سنة ١٩٧٤م ، ثم عُيِّن عضوا فى المجلس الأعلى للأزهر، وعضوا فى مجلس جامعة الأزهر فى الفترة من ١٩٧٤ ـ ١٩٧٨م وفى تلك الأثناء اختير عضوا بلجنة الشعر فى المجلس الأعلى للثقافة ١٩٧٣م، وعضوا فى شعبة الآداب فى المجالس القومية المتخصصة منذ عام ١٩٧٦م حتى اليوم وفى عام ١٩٨٣م انتخب رئيسا لرابطة الأدب الحديث، خلفا لرئيسها السابق الأستاذ مصطفى عبداللطيف السحرتى، وتوِّج كفاحه الثقافى الكبير، بحصوله على وسام العلوم والفنون والآداب من الطبقة الأولى سنة ١٩٨٣م.

وفى سنة ١٩٩٠م حصل الباحث الأستاذ محمد أحمد ابراهيم العربى، على رسالة الماجستير (التخصص)، كان عنوانها [الخفاجى شاعرا] وفى هذا ما يحفزنى فى هذا المقال، على التحدث عن أحد أبعاد الخفاجى، كشاعر مرموق بين شعرائنا المعاصرين، من خلال صفحات دواوينه العديدة التى تحمل عناوين:ـ

١ ـ وحى العاطفة.
٢ ـ أحلام الشباب.
٣ ـ أحلام السراب.
٤ ـ الديوان الإسلامى.
٥ ـ نغم من الخلد.
٦ ـ على الضفاف.
٧ ـ أشواق الحياة.
٨ ـ أغنيات من عبقر.
٩ ـ نشيد الذكرى.
١٠ ـ نشيد الصحراء.
١١ ـ ملحمة السيرة النبوية الخالدة.
١٢ ـ أحلام المساء.
١٣ ـ أصداء الذكريات.
١٤ ـ أحلام الأمس.
١٥ ـ أحلام الذكرى.

وهذا العطاء الشعرى الغزير يبرز بوضوح وجلاء، أن الخفاجى الشاعر، لا يقل شأنا عن الخفاجى ـ الناثر الطاهر السريرة ـ المفعم الوجدان بحب سيد الأنام ـ ﷺ ـ

شاعريته

تمتاز شاعريته بالطلاوة والتدفق فى ريث وعمق، إلى وجدان القارىء المتذوق، دونما تعقيد لفظى، أو غموض فى المعنى مع حلاوة الجرس ودقة الحس وسلاسة التعبير الذى ينم عن لطف روحه، واتقاد مشاعره وأحاسيسه، وأن لديه ـ حقا ـ ما يقوله، بل مالا يملك إلا أن يقوله، حتى حُقَّ للشاعر البغدادى الكبير (هلال ناجى) أن يقول عنه:

أشرق النور فغنىٍّ
وخذ الألحان منى
أنا أفنى من جلال
هز وجدانى وفنى
ما على قلبى ملام
فى هوى النور اللَّدُنى

ويروقنا فى ديوانه الذى يحمل عنوان [أشواق الحياة]، تمكنه المذهل من فن الشعر برغم أنه المجال الثانى فى ترتيب موهبته الفذة بعد المجال الأول الفنى الرصين الذى يستقصى فيه أوابد المعانى وشوارد الأفكار.

ومهما يكن من أمر، لنستمع إليه وهو يحدثنا عن [إنسان القرآن] بقوله:

(إقرأ).. وتهتز السماء بقولها
وحى من الله العزيز الأكرم
ياليلة الوحى العظيم عن الرسا
لة والرسول، عن الكتاب تكلمى

وكيف لا وهذا الإنسان، كما يقول عنه فى قصيدة أخرى:

عاش فى الناس ثريا بالتقى ومشى
فيهم ذكر عطر
مسلم فوق العلا جبهته
خاشع فى عزة المنتصر
بين يمناه كتاب نيّر
يالآيات الكتاب النيرّ
كان كالواحة فى البيد يُرى
كان كالظل.. بوادٍ مقفر

ويحق لشاعرنا أن يتوقف ويتعجب، لمرور الأيام فى عمره المديد الخصب المثمرة كأطياف الأحلام فيقول:

وىْ لأمس ولأيامى وىْ
ولليلى ونهارى العبقرى
المنى كل المنى قد ذهبت
وتلاشت ـ بَدَداً ـ من راحتىْ ؟

إلا أن حديث الذكريات الرائعة الحبيبة إلى نفسه، سرعان ما تستغرقه فلا يملك إلا أن يقول فى نجواه لموئل العلم الأعظم: الأزهر الشريف، فيقول مناجيا له بتوْق وحنين:

فى كل ركن من جوانبك العُلا
شمس تضىء وكوكب بك نيِّرُ
حَرَم الكنانة قد حميت زمارها
ودفعت عنها ما يذل ويقهر

إلى أن يقول:

والدين لم ينشره إلا فتية
نشأوا بروضك مُونقاً وتبختروا

وغالبا ما يمزج الحِكَم والدروس المستفادة، من خبرته المستفيضة، بالحياة والناس، بكل نوع من أنواع شعره، فى أسلوب سلس رقيق، كقوله بقصيدته (الشهداء):

بطولتهم.. لكل فتى نشيدُ
وذكر فدائهم أبداً جديد
ومجد جهادهم فى الدهر باقٍ
يضن به على الدهر الخلود

ثم يصفهم بأنهم:

أباةُ، والأبى يعيش حرا
كأن مضاءه القدر العتيد
يثور على الحديد فلا حديد
ويزأر فى القيود.. فلا قيود
وينهض للعظائم فى جلال
ويفعل ما يريد كما يُريد

وكم يذكرِّنى بشهدائنا فى مدينتى الباسلة (السويس) الذين ثووْا فى بقعة واحدة، خاصة بهم هم وحدهم فحسب، متميزين فى رقدتهم عن سائر الموتى، لتظل ذكراهم عالقة بالأذهان ـ كل ذلك أتمثله أمامى واضحا جليًّا فى قول أستاذنا الدكتور الخفاجى بعد ذلك:

قبورهمو تفوح شذى وعطرا
ويحيى ذكرهم بر وجود
وفى البيداء تخشع من جلال
ويخشع من جلالتها الوجود
كسى الشهداء تلك البيد مجدا
تشيد بذكره أرض وبيد

إلى أن يقول فى هذه الخريدة المتفردة:

لمصر، لمجدها، للشعب: ساروا
وفى فمهم أمانيها نشيد

ويقول :ـ

وللشهداء عند الله فضل
ويعْذبُ فى ثنائهمو القصيد
على الأبرار إخوتنا سلام
وحسبهمو الشهادة والخلود

ثم يحدثنا حديثا عذبا شهيا، عن ذكريات (يوم الميلاد)، فيشدنا إليه ويجعلنا معه، مشغوفين مأسورين بعصارة تجارب عمره المديد، حين يصوغها لنا شعراً قويا، نابضا بالحياة، فيقول :

بين أرض الريف الجميلة نشئت
وشمت الحياة صحواً وغيماً
وحملْتُ الأعباءَ طفلا صغيرا
وحَسَمْتُ الأمور بالعزمِ حسما
وبنيتُ المستقبل الضخم صرْحاً
ودعمت البناء وحْدِىَ دعما

إلى أن يقول :

أنا روح تسير للعالم الأعلى وللمنهل المقدس نظْماً
سرتُ بين الأشجان أحمل قيثا
راً من الشعر يشحذ الصدر عزما
أملأ النفس همة ورجاء
واصطبارا على الخطوب وحِلما

وهذه القصيدة تعدّ، فى اعتقادى، أشبه ما تكون بسيرة ذاتية لأستاذنا الدكتور خفاجى، جاحظ العصر الحديث، بل هى وثيقة نفسية نادرة، نستقرئ منها مراحل إبداعه، وأداء رسالته العلمية الشامخة.. ويدلنا على ذلك قوله فى ختام القصيدة.

لا أبالى فى المجد حمدا وذما
وعتابا ولست أسمع لوما
أنا قلب مُصوّر من سلام
لم أرش فى الخفاء للناسِ سهما
أنا أشدو بالخير لحنا جميلاً
لم أدنس ما مضى بالشر لؤما
أنا بين الرجال أنف عزيز
لست أرضى لغير ربى حكما
يا لذكرى (ثانى وعشرين يوليو)
أنت كالروح لى وأقرب رحما

وحينما يتلفت حوله، ويجد مَنْ دونه علما ومعرفة، قد ارْتقى لسُدَّةٍ لا يستحقها، لأنه غيرُ مؤهل لها (وإذا وُسِّد الأمر لغير أهله)، انتهى إلى سوء العاقبة والمآل، الأمر الذى حدا به أن يقول، تحت عنوان (الحياة والشاعر).

رقد الليل ونام السامر
ورنا نحو النجوم الشاعرُ
سَاهد فى معبد الفن يصوغ أناشيد الأمانى ساهر
عابر فى زورق الآمال يسبحُ بين شاطئيها حائر
عاثر الحظ يروم النجم كيف ولم يدرك مداه الناظرُ
هدف ترميه أيدى الدهر ما
شانُه، ما أَمْسه ما الحاضر؟

إلى أن ينتهى إلى قوله متهدِّجاً آسيا :

صادحٌ والخير أنشودته
والحياة الشر فيها.. الظافرُ!
جدٌّ والحرمان فى أعقابه
وجلال العيش منه ساخر

ثم يطلق هذه الزفرة الملتاعة، فى البيت الأخير من القصيدة :

آه من دهرى ومن أشجانه
ضل فى فهم الحياة الخاطر

وفى ختام مقالنا نقول: حيا الله أديبنا الكبير العلامة، ذخر الأزهر، الأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى وبارك فيه وعليه وبالله التوفيق.

خميلة الشعر

للأستاذ:

محمد عبدالوهاب

فى سعيه الدءوب نحو المثالية والكمال، قام الإنسان- عبر تاريخه الطويل- بتجارب ومحاولات لا تنتهى، لتحسين ظروف حياته وتعديل مساراته باتجاه الهدف الذى ينشده، ولأنه متكلم، فهو يتخذ من الكلمات- التى هى وسيلته فى التعبير- أداة عظمى لتحقيق ما يصبو إليه من آمال لا حدود لها.

فالكلام عند البشر، يكتسب أهميته وخطورته، على مر الأزمان والأجيال، لكونه وسيلة التفاهم الأكثر نضجاً وفاعلية، ولأن الإنسان يختزن فى عقله المعارف والتجارب المختلفة، التى اكتسبها من خلال تعامله مع غيره، ومع الكون الرحب الذى يحيا فيه، فقد جبل على الشغف بنقل هذه المعارف والتجارب إلى بنى جنسه، يعطيهم ويأخذ منهم.

ولم يقتصر عنصر الكلام عند البشر، على نقل المعلومات فقط، ولكنه اتخذ أنماطاً متعددة أكثر تعقيداً وكثافة، فهو وسيلة لنقل الصور الخيالية، التى يخترعها الإنسان من خلال قدرته على التصور، لذلك فقد استطاع أن يضيف إلى الأخبار الجافة، عناصر التشويق والإثارة، رغبة منه فى الاستحواذ على اهتمام مستمعيه، فنشأت القصص الخيالية والأساطير، التى تحولت على مر العصور إلى ملاحم شعرية فذة تتناقلها الأجيال، وتتغنى بمواقف البطولة الرائعة فيها، فوصلت الينا فرائدها، كالإلياذة، والأوديسة، والإنيادة، من الغرب، والشاهنامة وألف ليلة وليلة من الشرق.

أما بالنسبة للعرب، فلأن الشعر كان قبل الإسلام، هو ديوانهم الأوحد، فلما أنزل الله القرآن، ملك ألبابهم، بروعة بيانه، وسمو معانيه ونظامه، فأخذوا يتدارسونه، وينهلون من منابعه القدسية الصافية، راجين مثوبة ربهم ورحمته، فى الدنيا والآخرة، عاملين بتعاليمه السامية، حتى رفعهم الله فوق العالمين، فكانوا بحق كما وصفهم ربهم -سبحانه وتعالى-:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾

هذا وخميلة الشعر فى هذا العدد من مجلة الأزهر الغراء تقدم قصائد شعرية يفوح منها أريج الإيمان، نستهلها بقصيدة الشاعر الأزهرى الكبير فضيلة الشيخ محمد عبدالرحمن صان الدين وهى بعنوان: نحن (على سفر) وبعدها نقدم قصيدة: (شهداء مؤتة) للشاعر الأستاذ أحمد عبدالهادى ثم نختتم جولتنا المباركة بقصيدة بعنوان: (يأيها الصرح الكبير تحية) للشاعر ا. د. عبدالمنعم عبدالله حسين.

اللهم هيىء لنا الخير واهدنا سبل الرشاد

والله ولى التوفيق

(١) سورة آل عمران (١١٠)

نحن على سفر.. إلى الآخرة

للشاعر : محمد صان الدين

العقل يبصر إن صفا ما قد توارى عن عيون ثاقبات واستتر

لكن سر الغيب عنه مُحَجَّب خافٍ كما رب الخلائق قد أمر

لو فكر الإنسان في العقبى لذاب فؤاده بين الجوانح وانفطر

دنيا بما يجري عليها من رفاء أو شقاء لابن آدم مختبر

البَرُّ فيها بالمكاره يبتلي لينال رضوان المهيمن إن صبر

ويكون مأواه الخلود بجنة فيها نعيم ليس ينفد مدخر

أما الذي يمشي على حرف إذا ما مسه ضر تجهم أو جأر[1]

ويجيء في يوم الجزاء مكبلا بقيود أوزار فيقذف في سقر

حتى وإن صلى وصام وقلبه فيه الولوع بكل زاه قد وقر[2]

لا يقبل الرحمن إلا طيبا من طيب في قلبه نور القمر

يا ويل إنسان يلاقي ربه بكبائر في عيشه لا تغتفر

والفتنة الكبرى التي تعمي اكتناز المال في جوف الخزائن والبِدَر[3]

وكأنما الأموال تصحب كانزا عند الرحيل، وقد توارى في الحفر

إن الذي يقضي ضليلا نحبه يصلى جحيما قد تلهب واستعر

فاقض الحياة محصنا من رجسها فلطالما أغوت مفاتنها الفكر

لا تحسب الدنيا مقرا دائما بل أنت فيها يا غَرور على سفر

فلرب شيخ طاعن في سنه يحيا طويلا في سقام أو ضجر

وفتى يفيض نضارة وتوثبا ولى عن الدنيا حثيثا واندثر[4]

ما قد جرى أو ما سيجري في الوجود وفي الحياة مسطر بيد القدر

سر الوقائع في الحياة مغيب عن علم جن أو ملاك أو بشر

---

(١) جأر : صاح.

(٢) وقرت : استقر وسكن.

(٣) البدر : أكياس المال.

(٤) حثيثا : سريعاً، اندثر = تلاشى.

يا رب عـــبـــدك لا تَـكِلْـه لفـــعـلـه ... إن بَـرَّ في ســر وجـــهـــر أو فـــجـــر
أنت الذى ألزمت نفـــسـك رحـــمـــة ... تهـمى على عـــبـد يخـــافك كـــالمطر(٥)
يأيهـــا الإنســـان لا تيـــأس فـــإن اليـــأس مـــبـــعـث كل خـــزلان وشـــر
وانظر إلى غـــيـــر الزمـــان بفطنة ... مـــســتـــجليـا منهـــا المواعظ والعـــبـــر
لتـــعـــيش فى دنيـــاك عن خـــدع المفـــاتن والمعـــاصى الموبقـــات على حـــذر
فـــتـــغض عنهـــا طرف عـــينك زاهدا ... فـــيـــهـــا فـــمـــا عن رحلة الأخـرى مـــفـــر
لا تهـــجـــر الدنيـــا ولا المسـعى بهـــا ... والدين فـــيـــه لمن تنكب مـــزدجـــر
واســـجـــد لربك شـــاكـــراً نعـــمـــاءه ... فـــالله يجـــزل فى العطاء لمن شكر

شهداء مؤتة وبطل الانسحاب العظيم

شعر / أحمد محمد عبدالهادى

فى أرض مـــؤتـة (قف بنا يا ســـارى) ... نصـغى مـعـاً لصـدى عباد البـــارى
لثـــلاثة الشـــهـــداء، ثـم لرابع ... قـــد كـــان مـــثـل الصـارم البـــتـــار
أو صـــاهـمـــو خـــيـــر البرية واثقـــاً ... من بذلهـم: أن يذهبـــوا للثـــار.
قـــتل الســـفـــيـر اليـــازدى بمهـمـه ... فى الرامـــتـين على يد الكـفـــار
قـــتلوه دون جـــريرة أو هفـــوة ... لكنمـــا هى شـــيـــمـــة الغـدار
فلذاك أرسلهـم لتـــعـــرف عـــزة الـ ... إســـلام واضـــحـــة وضـــوح نهـــار
وكـــذاك أرسلهـم لتـــرفع راية الـ ... تـــوحـيـــد فى الوديان والأمـــصـــار

***

نـادى الثـــلاثـة دون أى تحـــيـــز ... لمهـــاجـــر يبـدو مع الأنصــــارى
قـــال: اللواء بكف زيد قـــبلكم ... فـــإذا مـــضى فلجـــعـــفـر الطيـــار

---

(٥) تهمى: تنزل بغزارة.

ثم اللواء أراه لابن رواحة — إن قابلا المولى بتلك الدار
لبى ثلاثتهم نداء نبيهم — ومضوا بعزم لافح كالنار
يبغون للإسلام رفع لوائه — فهمو جنود الواحد القهار

***

فى مؤتة الإقدام كان رجالنا — مثلا لكل مجاهد مغوار
لاقوا من الأعداء أعداداً بدوا — كالنمل فوق الترب والأحجار
لا ليس كثرتهم فحسب مخيفة — بل سلحوا بوسائل لدمار
وإذا رأيتهمو حسبت جموعهم — كالجان قد غطى السما بغبار
من أرض أرمينيا وقبرص والتقى — بهم الموالى فى قرى وقفار
وتحفزوا لما رأوا أصحابنا — فى قلة جاءوا لأخذ الثار

***

وهناك أوجس خيفة من هالهم — حشد العدا واستشعروا بصغار
ويقول بعضهمو : أنرسل صارخاً — يستصرخ الهادى لأخذ الثار
لكن عبد الله قال لهم : ألا — فلتثبتوا ومن النكوص حذار
إنا نقاتلهم لنعلى راية الـ — ـتوحيد لا لثرى ولا لنضار
والله إن يشأ انتصرنا رغم ما — نبدو ضعافا دوهموا بحصار
أو كان الاستشهاد فهو أعزُّ ما — نبغى للقيا الصحب والأبرار

***

فتقبل القواد هذا الرأى إذ — كانوا أباةً من رجال نزار
وأمامهم ذاك المكرم ذكره — في محكم القرآن قول البارى :
أعنى به زيداً ورافع راية — للحق فى ذاك اللقاء الضارى
وتقاتل الجيشان دون تكافؤٍ — وإذا الدم المهراق كالأنهار
ويقول للأصحاب : هيا فاصمدوا — ولتلتقوا بالخصم فى إصرار
واستشهد المقدام زيد وهو فى — عزم الشجاع وصولة الكرار

فتلقف المغوار جعفر راية الـ إسلام وهو يجول كالإعصار
وتدافع الأشرار حول جواده ورموه بعد الطعن بالبُتَّار
وتقطعت أوصاله ومِحافه مستشهداً في جنة الأطهار
ومرفرفا مثل الطيور بساحها فشدا الهزار لجعفر الطيار

***

وتلقف ابن رواحة من بعده ذاك اللواء ومعليا للصارى
لكن جيش الكفر أطبق حوله في خسة وضراوة الأشرار
ومناهم استئصال خير كتيبة لله قامت دونما إجبار
كي تنشر الحق المبين تطوعاً في الله، سعياً في رضا الغفار

***

ورسول رب الناس يحكي ما يرى لم ينزعج من مُحزن الأخبار
واهتز بعض المسلمين وروعوا في الملتقى المحموم ذي الأضرار
إذ شاهدوا ابن رواحةٍ مستشهدا والراية العظمى بلا خطار
ورأى ابن أرقم راية الإسلام تهـ ـوي فجأةً فأقالها من عار
ودعاهمو : اصطلحوا على رجل له وزن عظيم الشأن والمقدار
وإذا الجميع يقول : دونك خالدٌ فهو الهمام على مدى الأعصار

***

ورأى التناوش للعدو وسيلة لخلاصهم من قبضة الكفار
حتى إذا جاء المساء تسللوا بحصافة تشدو بها أشعارى
لكنما القُوال والأطفال قد قالوا : أتوا ككتائب الفرار
والصادق المصدوق قال : تأدبوا فسيخرجون غداً مع الكرار
صلى عليك الله يا خير الورى ربيت خير الصحب بالإيثار
ودعوتهم باسم الجهاد فجاهدوا وبنوا بفضل الله خير منار

فى منح (جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام) للأزهر الشريف

يأيها الصرح الكبير تحية

للدكتور/ عبدالمنعم عبدالله حسن

في مصر نيلٌ، بل هما نيلان ... فالأزهر المعمور نيل ثان

نهر تدفق بالعلوم ولم يزل ... يهمي بفيض عطائه الهتَّان

ويصب في كل الجداول نبعه ... في كل ناحية وكل مكان

نهر يباركه الإله، يصونه ... يحمي خطاه على مدى الأزمان

***

نهر على شطيه يأتلق الهدى ... فترى الضياء بواحة القرآن

وترى الشموخ ترى الجلال ترى السنا ... والمجد إذ تعليه مئذنتان

وكأن مئذنتيه رمزا شرعة ... رفع الهدى ببنائها ركنان

هذا هو القرآن خير دعامة ... والسنة العصماء، يقترنان

نشرا على الأفق الرحيب ضياهما ... الله أكبر، أشرق النوران

ما ضل بعد «محمد» متمسك ... بهما على التقوى على الإيمان

والأزهر المعمور حصن هداهما ... فبهما به في عزة وأمان

لهما مضى يدعو، وتلك رسالة ... دوماً يؤديها بكل تفان

***

ملأ الزمان دعاته، وشيوخه ... جند الحمى في ساحة الرحمن

قد بينوا للناس منهج ربهم ... في حكمة، وبلاغة، وبيان

والأزهر المعمور ينشر علمه ... عبر الحياة لرفعة الإنسان

في الفقه في التفسير في سنن الهدى ... والضاد تُحفظ في أجل لسان

وبكل علم نافع، فعطاؤه ... متعدد الأشكال والألوان

***

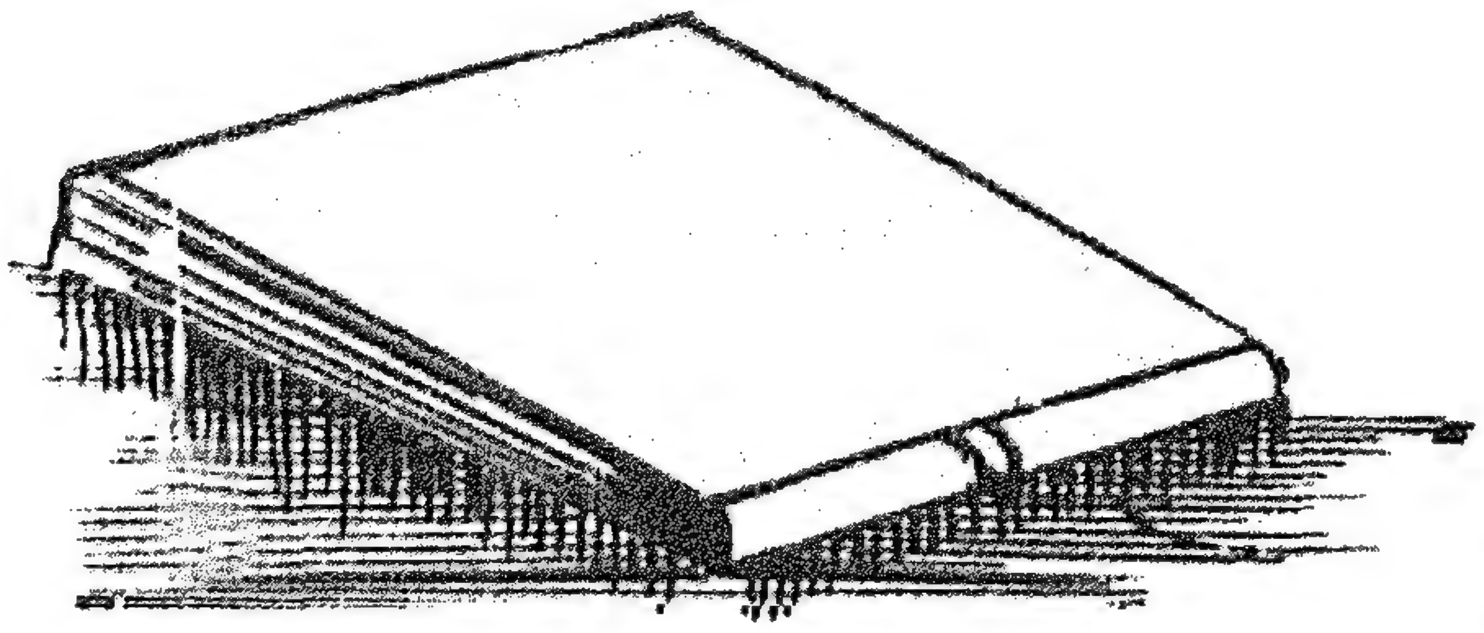
يأيها الصرح الكبير تحية ... إذ كرموك، ويشهد الحرمان

منحوك جائزة المبجل «فيصل» ... في خدمة الإسلام بالأوطان

ومضى «الإمام» مكرمًا في محفل ... قد حف بالتكريم والعرفان

يا مصر يا أم المفاخر بوركت ... تلك الجهود بظلك الفينان

دوحة الكتب



إعداد:
محمود الفشنى

أطفال حول الرسول

إعداد
إبراهيم حسن الجمل
محمد صديق المنشاوى

الناشر
دار الفضيلة للنشر والتوزيع

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر، يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى؛ ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية.

المحرر

● عزيزى الطفل المسلم بعد أن انتهينا فى الأعداد السابقة من عرض : التفاسير والقواميس القرآنية الخاصة بالطفل، نقدم فى هذا العدد نوعية أخرى من كتب الطفل، وهى خاصة

بالأطفال الذين عاصروا الرسول - ﷺ - وكانت لهم مكانة مرموقة بين المسلمين، خاصة، وأن الطفولة قبل الإسلام - لقيت من العرب فى الجاهلية قسوة وعنفاً وبخاصة الإناث، إلى أن جاء الرسول - ﷺ - ليلقنهم أسلوباً جديداً فى التربية والمعاملة الحسنة.

● ولقد كان حول الرسول أطفال هم أبناء المدرسة الإسلامية العظيمة التى أقامها، وكان لهم أسوة حسنة، وقد علَّم آباءهم كيف يعلمونهم ويربونهم، لذلك شبوا رجالا حقيقيين، وأبطالاً خالدين. وهكذا تربى هؤلاء الأطفال فى أحضان آبائهم ورسولهم الكريم يتعلمون منه الحق والأمانة والشجاعة والحب، ويسيرون على نهج رسول الله وصحابته الكرام البررة.

● لقد تحدث المؤلف عن الأطفال فى هذا العصر، وكيف كان ارتباطهم برسول الله

بدأ الكتاب بعبدالله بن عباس، الذى تحدث عن مولده حتى وفاته حيث إنه ولد فى بداية الدعوة الإسلامية، ثم أشار إلى هجرته وتربيته فى بيت النبوة ورؤية جبريل - عليه السلام - عندما أخبر ابن عباس أنه رأى جبريل - عليه السلام - مرتين، ثم نبوغه العلمى مبكرا وجهاده. ولقد كان ابن عباس عالماً بالقرآن وعلومه، والفقه وضروبه، والتاريخ وأيامه، والشعر والشعراء، واللغة وأيام العرب.

● أيضا تحدث عن ابن الحواريين: عبدالله ابن الزبير منذ بدء حياته وهجرته جنيناً.

● ثم أشار إلى ابن الزبير وفصاحته صغيراً، وزهده وعبادته، وجهاده، ورجاحة عقله، ورأيه، ثم خلافته للمسلمين وتجديده للكعبة، ثم مقتل ابن الزبير.

وقد ضم الكتاب الفقيه الأوَّاب: عبدالله بن عمر، حيث عرض الباحث نسبه ونشأته وحبه للنبى وللجهاد، ثم ترشيحه للخلافة ورفضه للقضاء، والولاية، وعطفه على الأيتام، وعلمه وفقهه واستشهاده.

● وضم الكتاب قارىء الكتابين عبدالله ابن عمرو وقصته مع الصحيفة الصادقة وإجادته السريانية، واشتراكه فى محاربة المرتدين، ثم دخول مصر ونصائح النبى - ﷺ - له.

● أيضا أشار الكتاب إلى الحسن بن على وهو سبط النبى وريحانته، وتوليه الخلافة، وجوده وكرمه، ووقاره وهيبته، وحلمُه بالاعداء وعلمه وفقهه.

● ثم عرض الباحث قصة الحسين بن على سيد شباب أهل الجنة، من حيث مولده ونشأته وعلمه وبلاغته، وأقواله وحكمه وجهاده واستشهاده.

وأيضا من هؤلاء الاطفال: أنس بن مالك خادم النبى - ﷺ - وأسامة بن زيد القائد الصغير، وأكرم العرب، وأفصح الناس سعيد بن العاص، وكفالة النبى - ﷺ - عبدالله بن جعفر.

● وهكذا عزيزى المسلم أخذتنا هذه الرحلة الطويلة مع هذا المولف، الذى ضم الكثير عن حياة هؤلاء وكيف كانت مملوءة بالحب والإخلاص، والتفانى، والجهاد فى سبيل الله، وإعلاء كلمة لا إله إلا الله.

مذاقات في عالم التصوف

تأليف الدكتور/ حسن عباس زكى

تحقيق وتقديم/ خديجة النبراوى

الناشر/ النهار للطبع والنشر والتوزيع

● أعزائى القراء عندما أمسكت هذا الكتاب توجست خيفة، وتملكتنى الحيرة، وسبحت فى تيار لاأعلم مدى خطورته ألا وهو تيار التصوف، الذى أكتب عنه للمرة الأولى، فى مجلتنا هذه، متناولاً هذه التجليات النورانية، لعالم ورع من علماء التصوف، الذين يتابعون حركة الفكر العالمى وتطور أساليب الفهم والإفهام، والإقناع والاقتناع، والبحث المقارن الموزون، وهو العالم المحقق الدكتور حسن عباس زكى الذى أحب التصوف من سويداء فؤاده؛ لأنه وجد فيه مبتغاه وهواه، وبذلك بذل كل جهده فى سبيل دحض كل ادعاءات تشوه وجهه المشرق الوضاء، أو تدنس هذا العلم الروحانى، الذى يمتاز بالتقوى والإيمان الصادق.

● المؤلف يبحر فى عالم التصوف : وهو ذلك العالم الحقيقى الذى يتقرب به الإنسان من حضرة الله ورسوله حيث استضاء قلبه بالأنوار الإلهية، وانشرح صدره بالحقيقة المحمدية.

● والتصوف ليس له حدود، أو تحدد له أسس راسخة، ومعالم واضحة، لأنه علم ذو طبيعة خاصة.

● والمؤلف يعرض لنا بعضا من حصيلة خبراته ومذاقاته، فى عالم التصوف، لتكون زاداً لكل من يسلك هذا الطريق، ونوراً يشحذ عزيمتهم، ويدفع همتهم، وهدى يهتدى به الحائرون.

● ويعرض التصوف بالاسترشاد بمنهج الله فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة بما يتناسب مع العقول وتشتاق إليه القلوب، حيث يجمع بين علوم الحقيقة وعلوم الشريعة.

● تناول بعد ذلك أضواء على التصوف قائلا : «ليس كل من ادعى التصوف، يعتبر متصوفا؛ بل هم رجال لهم دلائل وعلامات يعرفها أولو البصائر.. إنهم صفوة عباد الله، الذين ألبس قلوبهم ملابس العرفان، وخصهم من بين عباده بخصائص الإحسان».

● قدم ـ أيضا ـ فى كتابه هذا: (التصوف أشرف العلوم) و(الصوفى والحياة) و(البداية والمسافة والنهاية).

● وشرح الدكتور حسن التقوى قائلا : «التقوى نوعان: تقوى فرض، كالنهى عن المعاصى، وتقوى زجر وأدب، وهو مانهى عنه تأديبا، وهو فضول الحلال كالمباحات المأخوذة بالشهوات».

ثم تحدث عما يجب مراعاته لتقوى الأعضاء الخمسة: العين، والأذن، واللسان، والبطن، والقلب.

● طرح ـ أيضا ـ بعض المجالس مع المريدين، وأدعية الصالحين، وشرح تعريف العارفين لبعض المفاهيم.

● وعرّف الهوى. بأنه صدأ يعلو العقل، فلا تنطق فيه صور الحقائق.

● وبَيّن قواعد التصوف قائلا: «إنها العمل امتثالا لأمر الله ـ تعالى ـ والصوفى لايسكن إلى هذه الدنيا والمؤمن فرحه فى باطنه، وحزنه فى ظاهره، سترا للحال.

● ثم تحدث المؤلف عن الرضا بالقضاء والقدر وأهمية الأنفاس، وحياة القلوب والوهم والغشيمة والظلم والبلايا قائلاً: «فيها أشد الناس بلاء ـ الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل فلاتحزن لأجله، إذ هو لايتسلط فى القلب، إلا على أهل الصدق والمحبة، إذ به تحصل لهم الزيارة إلى ربهم».

● ثم تحدث عن أنواع الرزق، والطريق الى العبودية الحقة.

● وطرح ـ أيضا ـ قطوف من أزاهير الرياض. ومعالم على طريق الوصول. وأنواع النفوس: نفس أمارة، ونفس لوامة، وملهمة، ومطمئنة، وراضية، ومرضية، وكاملة.

● وأخيراً قدم المؤلف الصوفى د. حسن إجابات عن أسئلة السالكين، عن مفهوم العقيدة. والتوازن بين المادة والروح، أيضا عن السعادة، وعن الآفات، وكيف يمكن التعرف على آداب العبودية. وماهى الخواطر، وطرح منها أربعة أقسام، وكيفية وصول السالك إلى حقيقة التوحيد.

● وطرح أيضا بعضا من تراث الصوفية.

● لقد عشنا مع هذا الأستاذ والعالم الصوفى، الدكتور حسن عباس زكى الحصاد الذى جمعه فى جولاته، فى عالم الملك والملكوت، فى محاولة منه إلى دعوة الناس إلى مايحييهم بعد إماتتهم المادية الطاغية وذلك بعرض مذاقات الصوفية المستنيرة لإحياء القلوب وإخراجها من ظلمات المادة والأهواء والشهوات، إلى أنوار الحق المبين، واتباع نهج النبى الأمين.

سيوف الرسول ﷺ وعدة حروبه

تأليف/ الفريق محمد حسن التهامى

الناشر/ هجر للطباعة والنشر والتوزيع

كتاب: «سيوف الرسول ـ ﷺ ـ وعدة حربه» من تأليف الفريق محمد حسن التهامى، ويقع فى ٤٨٤ صفحة من القطع الكبير، وقامت بطبعه شركة هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان بالمهندسين ـ جيزة على ورق فاخر وتضمن الكتاب: الإهداء إلى هذه الأجيال التى عاشت صابرة السنين العجاف من عصر أمتنا هذه، ثم صاحت ضمائر الرجال من أولى العزم والبصائر: «وا إسلاماه» وبدت فى الأفق بوادر صحوة الإيمان وعزم على الجهاد..

ثم تحدث عن السيف عند العرب وأفاض الحديث عنه، ثم سيوف النبى ـ ﷺ ـ وأنواع هذه السيوف النبوية المباركة التى منها: المأثور ـ العضب ـ ذوالفقار.

الأمانات المقدسة النبوية الشريفة، التى منها سيفين لسيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وبردة لسيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وشعرات لسيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وكان السلاطين قد جمعوها واحتفظ

بعضهم بها فوق رأسه فى مكان نومه ـ ثم أثر قدم لسيدنا رسول الله ـ وكذا مفتاح الكعبة وقفل ومحفظة كانت على الحجر الأسود من الذهب الخالص وتزن حوالى خمسة عشر كيلو جراما. وخاتم مصنوع من حجر العقيق، وقد توجد شعرات الرسول ـ ﷺ ـ بأماكن كثيرة كما أشارت المصادر الموثوق بها، ويستعرض المؤلف نماذج من شعرات الرسول ـ ﷺ ـ فى إسلامبول..

كما يحتوى البحث على : كتاب سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ إلى المقوقس عظيم القبط فى مصر ـ وغزوات الرسول ـ ﷺ وهذه الغزوات إنما هى معارك لتثبيت دولة التوحيد حتى قال اسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص : كان أبى يعلمنا المغازى والسرايا ويقول : يابنى إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها، ويقول الإمام على زين العابدين : «كنا نعلم مغازى رسول الله كما نعلم السورة من القرآن». ثم تحدث المؤلف عن الغزوات بالتفصيل وترتيبها وتاريخها وكيفية تنظيمها وختمها بغزوة تبوك تحت رقم ٢٩ فى شهر رجب من السنة التاسعة (سبتمبر ـ أكتوبر سنة ٦٣٠م).

ثم تحدث عن سيوف سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ بالتفصيل والشرح مصحوبا بصور وشكل كل سيف ـ ثم خصص حديثا عن السيف البتار لرسول الله، وأنه كان سيفا لسيدنا داود ـ عليه السلام ـ وغيره من الأنبياء وقد غنمه سيدنا رسول ـ ﷺ ـ فى غزوة بنى قينقاع وقد صحب هذا الشرح صورة للسيف ـ وكذا السيف قلعى ـ والسيف حتف وقد غنمه الرسول فى غزوة بنى قينقاع ثم صار للإمام على وهو أثقل السيوف وزنا وأشدها وطأة فى الجهاد ـ والسيف الرسوب ـ والسيف المخذم.

ثم سيوف الصحابة الكرام ـ رضى الله عنهم ـ ومنهم سيف أبى بكر الصديق الذى كان يدافع به عن رسول الله ـ ﷺ ـ فى بدر وهو فى العريش وصورة له ـ وسيف عمر الفاروق وصورة له ـ وسيف عثمان بن عفان وصورة له ـ وسيوف خالد بن الوليد ـ وسيف شرحبيل بن حسنة ـ وعمار بن ياسر والزبير بن العوام ـ وعدة الحرب : أقواس الرسول ـ ﷺ ـ والعصا ـ الدبابة ـ المنجنيق ـ راية الرسول وأسماؤها ـ الألوية ـ وخيله ـ وفروسيته ـ ﷺ ـ والخيل والفرسان ـ والجيش الإسلامى : نظرة فى أصول تكوينه وكل مايتعلق بالجيش ـ وختم الكتاب بآيات من كتاب ربنا ـ سبحانه ـ لكى يتدبرها المجاهد فى سبيل الله ـ ثم خصوصيات الرسول ـ ﷺ ـ وبعض خطبه حول الجهاد ـ والملاحق المشتملة على بعض خطبه ـ ﷺ ـ وأسماء أصحاب بدر ـ ونسبه ـ ﷺ ـ وكذا لوحات عن سلاح النبى ـ ﷺ ـ ووقائعه.

وأخيرا فالمؤلَّف جدير بالاطلاع حيث بذل فيه مؤلفه جهدا كبيرا فجاء مفيدا فى موضوعه، شاملا له، ولاعجب فمؤلفه رجل مارس العسكرية فكان ثمرة خبرة وحب لسيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وصحابته البررة ـ وأثبت المؤلف وجود هذه الآثار بين ظهرانينا اليوم بتأصيل تاريخى وبحث موضوعى وبين مكان وجودها وتاريخ كل سيف منها ودور كل من أمسك بها من خيرة البشر الذين كانوا سيوف الله فى الأرض، ولعل فى هذا باعثا لنا على النهج على منوالهم حتى نسعد فى الدارين والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

قطوف من الشمائل المحمدية

جمع وترتيب/ محمد بن جميل زينو

الناشر/ مكتبة أولاد الشيخ بالعمرانية

أيها القارىء المسلم : إن الكلام عن رسول الله ـ ﷺ ـ يسعد البشرية، ويضيىء طريقها، والكتابة عنه أعظم شرف للصحيفة التى يكتب عليها، والقلم الذى يكتب به، واليوم نقدم قطوفا جميلة من شمائله، وأخلاقه النبوية ليقتدى بها كل مسلم فى أخلاقه وآدابه وتواضعه وحلمه وشجاعته وكرمه وتوحيده ـ ﷺ ـ لربه.

البداية فى هذا الكتاب مع مولده ـ ﷺ ـ ونسبه، ووصفه، وفضائل الرسول وصفة نومه، وطيب رائحته، وقراءته، وصلاته وصومه وعبادته، وصفة كلامه، وزهده وعيشته.

وطرح الكتاب رؤية الرسول، ووفاته، وطرح ـ أيضا ـ بعضا من أخلاقه، ودعائه وعفوه، وحلمه وصبره، ورفقه، ورحمته، ورحمته بالحيوان، عن سهيل بن الحنظلية قال « مر رسول الله ـ ﷺ ـ ببعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال « اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة »[1].

أيضا تحدث الكتاب عن كرمه، وعدله، وحياته.

واشتمل ـ أيضا ـ على آداب الرسول ـ ﷺ ـ مزاحه، ولباسه، الذى ضم القميص والعمامة، والجلباب.

واختار جامع الكتاب بعض الأمور التى تهم المسلم، كلباس المسلم، والمسلمة، وزينتهما، ونظافتهما، ومصافحتهما، وآداب العطاس والتثاؤب.

---

(١) أخرجه أبو داود وحسن اسناده الأرناؤوط.

بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

خلق الإسلام

إن أشد الأخلاق رسوخاً لدى الناس، هى تلك الأخلاق الموروثة عن الآباء.

وما أعظم أن تكون تلك الأخلاق مستقاة عن الدين الإسلامى الحنيف، حتى لا نشك للحظة أننا نتخلق بأخلاق عظيمة، فلا يبعدنا عنها بريق فكر هابط، أو نبرات زائفة.

ولا شك أننا نعيش فى صراع -بعد كل هذه الاختراعات الحديثة- صراع لا ينتصر فيه إلا الواثقون بإيمانهم وقيمهم، وليس الواجب علينا نحن -المسلمين- أن نثق فقط بقضيتنا، لكى لا نذوب فى بحار هذه الغربة. بل الواجب علينا أن نثبت للعالم بأسره أهمية ما عندنا من قيم وأخلاق، وأنها الأجدر بالاتباع، ولن يكون ذلك إلا بممارسة حقيقية منا جميعاً فيما بيننا من ناحية وفيما بيننا وبين جيراننا من الناحية الأخرى.

● **وعن خلق الإسلام وردت هذه الرسالة، من القارىء علاء الدين حسن -من سوريا- الحسكة - يقول فيها:**

ـ قال الله -تعالى- فى كتابه الكريم:

﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فُصِّلت/ ٤٠]

وقال رسول الله - ﷺ -:

« الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان » [رواه الستة]

وقال - عليه الصلاة والسلام -: « خير ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا

شـريك له، له الملك وله الحـمـد، وهو على كل شيء قدير» [رواه الترمذى]

وسُئل ابن عباس -رضى الله عنهما- عن قول الله - تعالى -:

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾.
[غافر/٣]

فقال: غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله، وقابل التوب ممن قال لا إله إلا الله، شديد العقاب لمن لا يقول لا إله إلا الله.

وشهادة لا إله إلا الله مرتبطة بـ: محمد رسول الله. وما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عـبـده ورسـوله، إلا وفُـتـحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء.

وقد أمر نوح -عليه السلام- ابنه أن يقول: لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له، فـإن السـمـاء والأرض لو جُـعلتـا فى كـفـة، ولا إله إلا الله فى الكفة الأخرى، لرجحت كفة: لا إله إلا الله.

● أما عن -إماطة الأذى- فقد قال -ﷺ-: «رأيت رجلاً يتقلب فى الجنة فى شوكة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين». [رواه البخارى]

وقـال - عليـه الصـلاة والسـلام -: «إياكم والجلوس بالطرقات».

قالوا: يا رسول الله! ما لنا من مجالسنا بدٌّ، نتحدث فيها. فقال - عليه الصلاة والسلام -: «إذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه».

قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟. قال: «غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر» [متفق عليه]

وهذه القيم الخلقية هى من خصائص المسلم، قال - تعالى -:

﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ﴾

[النور/ ٣٠ - ٣١]

وذكر ابن القيم -رحمه الله- فوائد غض البصر فقال: إنه امتثال لأمر الله، ويمنح إشراقاً للعين، ويسد أبواب جهنم، ويغلق أمام الشيطان مدخله إلى القلب.

● والحياء شعبة من الإيمان، وهو خُلقُ الإسلام، ولا دين لمن لا حياء له، والحياء لا يأتى إلا بخير، وأول الحياء: الحياء من الله -عز وجل- وهو أن لا يرى الله -تعالى- عبده حيث نهاه، وقد قال- عليه الصلاة والسلام -: «استحيوا من الله حق الحياء». قالوا: إنَّا نستحى والحمد لله. فقال: «ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء». [رواه الحاكم والترمذى]

وكان عليه الصلاة والسلام أشد الناس حياءً، وكان أشد حياءً من العذراء فى خدرها.

ومن مواطن الحياء أن لا يتحرك لسان المؤمن إلا باللفظ الطيب الكريم، وأن يبتعد عن مواقع الشبهات، وأن يعرف لأصحاب الحقوق منازلهم..

والحياء فى النعمة شكر، وفى المصيبة صبر، وفى الحديث صدق، وفى المال سخاء، وفى المعصية توبة..

أما الذى حُرم خُلقُ الحياء، فقد صَحَ فيه قول النبى الكريم: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت». [رواه البخارى]

فغش البائع من عدم الحياء، والنفاق والنميمة من عدم الحياء، وإفساد روابط المحبة من عدم الحياء، وإلحاق الأذى بالآخرين من عدم الحياء.

ولله در القائل:

إذا لم تخشَ عاقبة الليالى
ولم تستح فاصنع ما تشاءُ
فلا والله ما فى العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ

قيل لرسول الله - ﷺ -: إن فلانة تصوم النهار، وتقوم الليل، لكنها تؤذى جيرانها. فقال -عليه الصلاة والسلام-: «لا خير فيها، هى فى النار».

والحياء مطلوب دائماً إلا عندما يسأل الإنسان عن أمور دينه. تقول عائشة -رضى الله عنها-: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين».

● ولو اتصفنا بهذا الخُلقُ الرفيع لحققنا الثقة والاطمئنان، ولانعدمت الجرائم الأخلاقية والمفاسد الجاهلية، فلنمتثل هذا الخُلقُ الكريم حتى نفوز مع الفائزين.

كلمة الإخلاص

ومن القارىء/ السيد مرسى البرعى- سيدى غازى- كفر الدوار - وردت هذه الكلمة التى يقول فيها:

«**لا إله إلا الله**»: كلمة يعلن بها العبد الولاء لخالقه ويدخل بها فى حظيرة الإيمان، إنها كلمة التوحيد التى من أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وجعلها الفيصل بين الإيمان والكفر، وبين أهل السعادة وأهل الشقاوة، وهى الأصل والأساس الذى لا يقبل الله عملاً من أحد إلا إذا بنى عليها، وهى القطب الذى لا تدور رحى الشريعة إلا به، ولذلك أوضح لنا الرسول -عليه الصلاة والسلام- فضلها وثوابها فقال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبده ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[(١)] وبيّن لنا أيضاً -عليه الصلاة والسلام- أنها مفتاح الجنة، فقد قال: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة» قيل وما إخلاصها؟ قال «تحجزه عن محارم الله»[(٢)] وبيّن لنا الرسول - أيضا - أن من

(١) رواه البخارى عن عباده بن الصامت.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير عن زيد بن الأرقم.

قالها استحق شفاعته -ﷺ- وعن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة. قال رسول الله: «لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه أو نفسه»[٣]. وكذلك أمرنا النبى -ﷺ- أن نجدد بها الإيمان فقال: «جددوا إيمانكم» قيل: يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا؟ قال: «اكثروا من قول لا إله إلا الله»[٤].

أعظم سورة فى القرآن الكريم

ومما أرسله القارىء: السيد سليمان السيد سليمان - الأسكندرية - محرم بك - عن فاتحة الكتاب قوله:

فاتحة الكتاب العظيم هى أعظم سورة فى القرآن، وهى السبع المثانى، وهى التى لم ينزل الله مثلها، لا فى التوراة، ولا فى الإنجيل، وهى مقسومة بين الله وبين عبده، وهى فرض فى كل ركعة سواء كانت فرضاً أم نفلاً، وفيها من الصفات ما ليس فى غيرها، ولا يلحق عمل بثوابها، وهى أم القرآن العظيم.

وقد نسبت الأبيات الآتية إلى الإمام أبى حامد الغزالى -رحمة الله عليه- وهذه الأبيات هى:

إذا ما كنت ملتمساً لرزق ** ونيل القصد من عبد وحر

وتظفر بالذى ترجو سريعاً ** وتأمن من مخالفة وغدر

ففاتحة الكتاب فإن فيها ** لما أملت سرا أى سر

فلازم ذكرها عقبى مساءٍ ** وفى صبح وفى ظهر وعصر

كذلك بعد مغرب كل ليل ** إلى التسعين تتبعها بعشر

تنل ما شئت من عز وجاه ** وعظم مهابة وعلو قدر

وستر لا تغيُره الليالى ** بحادثة من النقصان تجرى

وتوفيق وأفراح دواماً ** وتأمن من مخاوفِ كل شر

ومن فقر وعسر وانقطاع ** ومن بطشٍ لذى نهى وأمر

(٣) رواه البخارى عن أبى هريرة.

(٤) رواه احمد والطبرانى عن أبى هريرة.

من أقوال العرب

القارىء / محمد أحمد بدير سرحان –المحلة الكبرى– يبدأ رحلة الغوص فى بحار اللغة العربية ليقدم كل ما هو جميل. فيقول:

● الجديدان: «الليل والنهار»، الداران: «الدنيا والآخرة»، الدائبان: «الشمس والقمر»، الثقلان: «الإنس والجن»، النقدان: «الذهب والفضة»، الأسودان: «التمر والماء»، الأبيضان: «اللبن والماء»، الأحمران: «اللحم والخمر»، الأصفران: «الذهب والزعفران»، الرافدان: «دجلة والفرات»، الحسنان: «الحسن والحسين»، الأمران: «الفقر والهرَمْ»، العراقان: «الكوفة والبصرة»، الخافقان: «المشرق والمغرب»، الكريمان: «الحج والجهاد»، الأصغران: «القلب واللسان»، الحرمان: «مكة والمدينة»، القبلتان: «المسجد الحرام والمسجد الأقصى»، الهجرتان: «هجرة الحبشة وهجرة المدينة»، الذبيحان: «إسماعيل بن إبراهيم وعبدالله بن عبدالمطلب»، الحسنيان: «الشهادة والنصر»، الشفاءان: «القرآن وعسل النحل»، الطيبان: «أبوبكر وعمر»، الأعميان: «السيل والحريق»، الأصرمان: «الليل والنهار»، الملكان: «هاروت وماروت»، الأزهران: «الشمس والقمر».

● والسؤال: هل يواصل القارىء غوصه ليقدم المزيد؟

مكمن الخطر

من القارىء / حسن عزت عبدالعزيز عيسى -كفر الشيخ – مدينة برج البرلس– وردت هذه الرسالة تحمل التحذير من «اللسان» يقول:

حذرنا المولى –عز وجل– من خطورة اللسان. وجعل عليه ملكان كريمان يراقبانه ويكتبان كل ما ينتج عنه.. قال – تعالى – فى سورة (ق):

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

إنه اللسان أخطر عضو فى جسم الإنسان. كيف لا والنبى –ﷺ– يقول فى الحديث المتفق عليه: «من يضمن لى ما بين لحييه. وما بين رجليه أضمن له الجنة». هو اللسان واللحيان: العظمان اللذان ينبت عليهما الأسنان وما بين رجليه أى الفرج».

فقدم النبى –ﷺ– اللسان على الفرج لأنه أخطر عضو فى جسم الإنسان، لأن فى حفظك للسان حفظ لسائر الأعضاء.

واعلم أخى المسلم أن للسان آفتين عظيمتين.

الآفة الأولى: السكوت عن الحق.

بنى إسرائيل فضلهم الله على العالمين ثم لعنهم بسبب أنهم ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾. (٧٩) المائدة.

الآفة الثانية: الكلام بالباطل. قالوا:

﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾.

[آية (١٨) المائدة]

فالساكت عن الحق: شيطان أخرس عاص لله – عز وجل –.

والمتكلم بالباطل: شيطان ناطق عاص لله – عز وجل –.

فاعمل يا أخى على حفظ لسانك عن قول الباطل وأطلقه فى قول الحق.

توقير العلماء توقير للإسلام

أما القارىء / حاتم إبراهيم محمد سلامة -سنجرج- منوف- فيرسل هذه الكلمات التى تحض على احترام العلماء وتوقرهم، فيقول:

العلماء هم خيرة أهل الأرض بعد الأنبياء، وكيف لا وهم خلفاؤهم!

من ورثوا وظيفتهم وقضيتهم، فساروا على المنهاج الصائب، والطريق الراشد، .. يرسون قواعد الفضيلة، ويجتثون منابت الرذيلة، كى تصفوا البسيطة من الأدران والشوائب.

إن توقير العلماء فى تاريخ أمتنا، فضيلة تفضلت بها أمة الإسلام على أترابها من الأمم. ولِمَ العجب؟ ودينها يحثها على ذلك، ويأمرها بهذا، موضحاً مكانة العلماء، قال – تعالى –:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١)

.. نعم لقد قرر الله هذه الحقيقة فى كتابه، لأن أهل العلم هم أعرف الناس به –سبحانه– وأخشاهم له –تعالى–:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾. ومن هنا كان تقدير الأمة للعلم، وحفظها لمكانة العلماء.

● يحكى أن الخليفة المعتضد كان يمشى يوماً مع العالم «ثابت بن قره».. ويد الخليفة متكئة على يد ثابت بن قره. وفجأة.. نزع الخليفة يده.. ففزع ثابت لمهابة المعتضد. فقال له المعتضد آسفا –بل معتذراً–: يا أبا الحسن.. سهوت.. ووضعت يدى على يدك فاستندت عليها، وليس هكذا تعاملون؛ فإن العلماء يَعلون ولا يُعلَون!!

فتأمل كيف كان التقدير، بل كيف كان الحكام بصولجانهم وسلطانهم يقدرونهم. لقد كان كثير من خلفاء المسلمين، من لا يبرم أمراً دون مشورة العلماء تيمنا برأيهم.. وقد رُوى أن صلاح الدين الأيوبى كان لا يقطع أمراً إلا باستشارة أبى الحسن الشاذلى، بل كان يصطحبه معه فى كافة حروبه ورحلاته.

وهذا كله لأن السلف كانوا يرجون توفيق الله فى كل عمل لهم، فكانوا يستعينون بأهله، وأقرب الناس إليه – تعالى –، وأعلمهم بشرعه وهديه، ومن هنا كان الحظ حليفهم، والتوفيق نصيبهم.

وهذه نظرة توقير للإسلام ورموزه.

والعلماء دعاة الفضيلة والإصلاح، فمن أهانهم فقد أهان ما يدعون إليه، وما يدعون إليه هو اللبنات التى عليها قيام الأمم. قال الشاعر:

على الأخلاق خطوا الملك وابتنوا
فليس وراءها للعز ركن

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) فاطر ٢٨.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه فى ١٨ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ الموافق ٢١/٦/٢٠٠٠م معالى الأستاذ ناصر الشيبانى وزير الأوقاف والإرشاد بالجمهورية اليمنية يرافقه السيد/ أحمد محمد لقمان سفير اليمن بالقاهرة.

رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه معربا عن أن الأزهر الشريف دائما يمد يد العون والمساعدة للمسلمين فى شتى بقاع العالم، والجمهورية اليمنية بصفة خاصة، وأوضح فضيلته أن الدراسة فى الأزهر الشريف تمتاز بالوسطية والاعتدال والبُعد عن المغالاة، ويدرس جميع المذاهب الإسلامية، وأشار فضيلته إلى أن اليمن له تاريخ مشرف وله حضارة عريقة انتفع بها الناس، وأن الأزهر الشريف تربطه باليمن صلة قوية وقديمة وعلاقات ثقافية ونحن ننتفع من كتب العلماء كالزبيدى والشوكانى وغيرهما وكثير من الدارسين يستعينون بكتب هؤلاء العلماء فى رسائلهم للدراسات العليا والدكتوراه.

ودعا الله -عز وجل- أن يوفق اليمن رئيسا وحكومة وشعبا إلى ما يحبه ويرضاه، وأن ينعم على اليمن ومصر والدول الإسلامية والعربية بالخير واليمن والبركات.

وقال فضيلة وزير الأوقاف: إن الأزهر الشريف قلعة شامخة تتصدى للتيارات الوافدة وله دور فعال ومؤثر، كما أن مصر بلد الأزهر الشريف عندها إمكانيات تؤهلها لقيادة الأمة العربية والإسلامية. وأضاف: إنه يجد كل استجابة وبدون حدود من الأزهر الشريف والأوقاف المصرية ونشكركم جميعا علي حسن التعاون مع اليمن، فنحن أمة واحدة والعلم رحم بين أهله.

وطلب السيد الوزير زيادة عدد المنح الدراسية لأبناء اليمن وفتح المجال للدراسات العليا بجامعة الأزهر الشريف وكذلك تدريب

العلماء اليمنيين فى الدورات التدريبية التى يقيمها الأزهر الشريف لعلماء دول العالم كل ثلاثة شهور.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى وزير الأوقاف الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر.

* * *

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى ٢٥ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ الموافق ٢٨ / ٦ / ٢٠٠٠م الشيخ الشاذلى صالح رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بدولة تشاد والوفد المرافق له.

رحب فضيلته بالضيف والوفد المرافق له فى مصر وأزهرها الشريف، موضحا العلاقات الطيبة التى تربط بين مصر ودولة تشاد وهى علاقات ثقافية وعلمية وتعليمية.

وعبر رئيس الوفد عن سعادته البالغة لزيارة مصر وأزهرها الشريف حيث إن الأزهر له مكانة كبيرة لدى العالم الإسلامى، فهو يستقبل الطلاب ويعلمهم فى الأزهرالشريف وجامعته العريقة. كما أنه يوفد العلماء إلى دول العالم ومنها دولة تشاد لتعليم المسلمين أمور دينهم ولتصحيح المفاهيم الإسلامية. وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر عن أسئلتهم واستفساراتهم حول السكان وتنظيم الأسرة، حيث أشار فضيلته إلى أن تنظيم الأسرة فى الإسلام لا مانع منه شرعا إذا تراضى الزوجان على ذلك، ودعت إليه الضرورة، والضرورة يقدرها الزوجان فيما بينهما، ونحن لا نقول بالمنع، ولا نقول بالإجهاض وإنما بتطويل فترة الحمل، كما يؤخذ رأى الطبيب المسلم، والأعمال بالنيات، ولكل امرىء ما نوى، مع إيماننا بالله -عز وجل- وقضائه وقدره، والله -عز وجل- جعل لنا عقولاً نفكر بها ونتدبر، ونحن الآن فى عصر ليست المسألة فيه بالكم ولكن بالكيف.

أهدى فضيلته لكل فرد فى الوفد المصحف المفسر للأزهر الشريف وكتيب عن تنظيم الأسرة من تأليف فضيلته. شكر الوفد فضيلة الإمام الأكبر على حسن الاستقبال والحفاوة. حضر اللقاء رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف.

* * *

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى ٢٩ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ الموافق ٢ / ٧ / ٢٠٠٠م سعادة السفير/ فرانسوا ديفير سفير فرنسا بالقاهرة والوفد المرافق.

رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه معربا عن أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعاً من أجل التعاون البناء الذى من أجله يتم التعايش الصادق والحوار المثمر حتى يعيش الناس فى أمن وأمان واستقرار. شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حُسن الاستقبال والحفاوة، وأوضح أن للأزهر الشريف مكانة خاصة عند شعب فرنسا وخاصة أن جنوب فرنسا به خمسة ملايين مسلم، وأضاف أن عمله الجديد كسفير لبلاده

فى القاهرة له طابع مميز بعد عمله فى كل من الجزائر وتركيا، وقدم التحية للجنة الحوار التى أقامها الأزهر الشريف لتقريب وجهات النظر بين الديانات وتعميق القيم والمبادىء والأخلاق التى أمرت بها الرسالات السماوية.

وأشار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف إلى أن الحوار بين الأمم والشعوب يحقق التواصل والتعارف وتبادل المنافع التى أحلها الله -عز وجل- وقد نادى القرآن الكريم بذلك حيث يقول الله -عز وجل-:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾(1).

وسيعقد لقاء مع ممثلى الأديان بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بهدف نصرة المظلوم ومساندة الضعيف ونشر الفضائل ومحاربة الرذائل.

● كما استقبل فضيلته السيد / داتو بادوكا حسن سفير بروناى بالقاهرة حيث رحب فضيلته بالضيف موضحاً أن الأزهر الشريف يستقبل أبناء وبنات دولة بروناى الشقيقة لتلقى العلم فى الأزهر الشريف، وأن التعاون قائم بين البلدين فى مجالات كثيرة ومتعددة، والأزهر الشريف دائماً فى خدمة الإسلام والمسلمين فى شتى بقاع الأرض.

أعرب الضيف عن سعادته لوجوده بمصر الأزهر الشريف وأوضح أن لمصر وأزهرها الشريف مكانة عظيمة ومتميزة ومتألقة فى قلوب أبناء دولة بروناى، وأشار إلى أنه سيتم إنشاء مركز إسلامى ضخم فى دولة بروناى ويطلب مساعدة الأزهر الشريف فى إمداده بالكتب والمراجع والوثائق والمحفوظات الإسلامية من مكتبة الأزهر الشريف العريقة التى هى أكبر وأعظم مكتبة بل هى أعرق مكتبة فى العالم، كما أشار إلى أن زيارته تعتبر تمهيدا لزيارة سماحة مفتى دولة بروناى للأزهر الشريف خلال شهر يوليو الحالى.

وقدم السيد السفير لفضيلة شيخ الأزهر الشريف كتابا يحتوى على معلومات عن دولة بروناى، كما قدم شكره وشكر بلاده على ما يقدمه الأزهر من جهد فى خدمة مسلمى دولة بروناى.

شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف، وقدم له كتاب (الأزهر فى ألف عام) باللغتين العربية والإنجليزية، وأكد على أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعاً فى مساعدة المسلمين وخاصة أبناء دولة بروناى وأنه على استعداد للقاء سماحة مفتى بروناى.

حضر اللقاءان الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، والشيخ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام، والشيخ أحمد خليفة رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر الشريف.

* * *

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى ٨ من شهر ربيع الآخر ١٤٢١هـ الموافق

---

(١) سورة الحجرات (١٣).

١٠/٧/٢٠٠٠م معالى الدكتور موسى بن محمد وزير التعليم الماليزى والوفد المرافق لسيادته.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف ومرافقيه فى الأزهر الشريف وألقى الضوء على نظام التعليم فى الأزهر الشريف بمراحله المختلفة فى الحضانة والابتدائى والإعدادى والثانوى والجامعة وشرح المزايا التى يتمتع بها الدارسون فى الأزهر الشريف حيث يقوم التعليم على الوسطية والاعتدال والفهم السليم لأمور الدين الإسلامى الحنيف، كما شرح المزايا التى يتمتع بها الطلاب والطالبات الوافدات من دول العالم المختلفة والرعاية الكاملة لهم حيث يقيمون فى مدينتى البعوث الإسلامية التى تستقبل طلاب أربع وتسعين دولة من دول العالم، وتقدم لهم رعاية صحية وتعليمية وثقافية وترفيهية فى ظل تحديث وتجديد مدينتى البعوث للطلبة والطالبات.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على رعاية الأزهر لطلاب ماليزيا فى المعاهد والكليات وطلب زيادة عدد المنح الدراسية وخاصة الجامعية وبالذات الكليات العملية، كما طلب معادلة الشهادات بالأزهر الشريف. وقد وعد فضيلة شيخ الأزهر الشريف بدراسة هذه الطلبات تمهيدا لتلبيتها في القريب العاجل.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر السابق وفضيلة رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى ١٣ من شهر ربيع الآخر ١٤٢١هـ الموافق ١٥/٧/٢٠٠٠م الأستاذ الدكتور/ عثمان داتو إسحاق وزير التربية والتعليم بولاية قدح بماليزيا والأستاذ الدكتور/ عقيل مهدلى نائب رئيس الجامعة الإسلامية دار الأمان بماليزيا.

رحب فضيلته بالضيفين الكريمين فى الأزهر الشريف قائلاً: إن الأزهر الشريف فى خدمة أبناء المسلمين فى كل مكان من أرض الله، لأن رسالة الأزهر هى نشر العلم سواء عن طريق قبول أبناء المسلمين للتعليم فى الأزهر أو عن طريق إرسال العلماء والأساتذة إلى بلاد الله الواسعة وهو ما يقوم به الأزهر فعلاً منذ إنشائه وسيظل -إن شاء الله تعالى- إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لأنه يوضح صحيح الدين والسير على الوسطية والاعتدال ويحافظ على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وعلوم الشريعة واللغة.

شكر الضيفان حسن الحفاوة والاستقبال وأبلغا شيخ الأزهر الشريف أنهما يحملان تحيات جلالة سلطان ماليزيا وتقديره للدور البارز الذى يقوم به الأزهر الشريف، كما أوضحا أنهما حضرا لدعم العلاقات الثقافية والعلمية بين الأزهر وجامعته والجامعة الإسلامية بماليزيا والمضى من أجل تفعيل الاتفاقية المبرمة بين الجامعتين وخاصة انه يوجد ٢٠ استاذا من جامعة الأزهر يدرسون المواد المختلفة لأبناء ماليزيا بالجامعة الإسلامية، كما يدرس طلبة من

ماليزيا فى الأزهر الشريف فى معاهده وجامعته العريقة.

وأبدى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر استعداده لتلبية طلباتهم، كما طلبا من فضيلة شيخ الأزهر زيارة دولة ماليزيا الشقيقة.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر السابق، وفضيلة الشيخ رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام.

* * *

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى ٢٠ من شهر ربيع الآخر ١٤٢١ الموافق ٢٢/٧/٢٠٠٠م جلالة السلطان/ إبراهيم موبو نجويا رئيس المجلس الإسلامى لدولة الكاميرون وسعادة السفير/ موشيلى اسماعيلا سفير الكاميرون بالقاهرة. رحب فضيلته بجلالة السلطان والسيد السفير والوفد المرافق معربا عن أن الأزهر الشريف يفتح أبوابه لأبناء المسلمين جميعا ويقوم بتعليمهم وتثقيفهم وتربيتهم التربية الدينية السليمة التى تؤهلهم لأن يكونوا علماء عاملين لخدمة دين الله فى أوطانهم.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على الاستقبال الحافل وعلى ما تقدمه مصر وأزهرها الشريف لأبناء دولة الكاميرون من تعليم وتثقيف ورعاية، وأيضا على علماء الأزهر الشريف الذين يذهبون لأبناء دولة الكاميرون لبيان صحيح الإسلام معربا عن أن علماء الأزهر وخريجى كلياته يمتازون بالوسطية والاعتدال والبُعد عن المغالاة والتعصب.

● كما استقبل فضيلته البروفيسور/ فابيو روفيرسى رئيس جامعة بولوفيا بإيطاليا والبروفيسور توبا توزادة أستاذ اللغة العربية بجامعة بولوفيا بإيطاليا.

رحب فضيلته بالضيفين الكريمين وقال: إن الأزهر الشريف يرحب بالحوار البناء ويستمع للرأى الآخر من أجل تبادل المعرفة والفهم السليم لأمور الحياة، حتى تعم المعرفة وتتبادل المنافع والخبرات والعلوم فى شتى المجالات، موضحاً أن الحضارات إنما تقوم على الثقافات المتبادلة بين الشعوب، مشيدا بحضارة إيطاليا التى شهد لها العالم منذ قدم التاريخ.

شكر الضيفان فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وقالا: إننا جئنا لنسعد بلقاء شيخ الأزهر شيخ الإسلام والمسلمين ولنقف على مبادىء الإسلام الأساسية والصحيحة، ولنعرف وجهة نظر الإسلام الصادقة من مصادرها الصحيحة، ونحن بصدد تبادل الزيارات الثقافية بين جامعة الأزهر الشريف العريقة وجامعة بولوفيا بإيطاليا، حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر السابق وفضيلة الشيخ رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف.

* * *

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه فى ٤ من شهر ربيع الآخر

١٤٢١هـ الموافق ٦ /٧ /٢٠٠٠م وفـــد لجنة الاتصال الإسلامى – الكاثوليكى (الفاتيكان) برياسة الكاردينال فرنسيس أرينزى فى إطار الاجتماع السادس للجنة الحوار الإسلامى العالمية المنعقدة فى القاهرة فى الفترة من ٤ إلى ٥ /٧ /٢٠٠٠ تحت عنوان: «الدين وحقوق المواطنين وواجباته» فى بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالضيف والوفد المرافق فى الأزهر الشريف، حيث أوضح فضيلته أن لجنة الحوار تعبر عن تعاونها على نشر الفضائل التى تدعو إليها الأديان السماوية كلها من أجل إخلاص العبادة لله الواحد القهار ونشر مكارم الأخلاق، ومن أجل الوقوف إلى جانب الحق والعدل، وإعطاء كل ذى حق حقه، ومساعدة المحتاجين والضعفاء.

وإن الأزهر الشريف يؤمن بأن الخالق –عز وجل– قد أوجدنا فى هذه الحياة لكى نتعاون ونتعارف ونتآلف لقول الله –تعالى–:

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾(٢)

وقوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ ﴾(٣)

وكلها من المقاصد الأساسية التى أوجدنا الله –تعالى– من أجلها لعمارة الأرض ونشر السلام والمحبة والرخاء بين جميع أفراد المجتمع الإنسانى كله.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حُسن الاستقبال والحفاوة، وأبلغ فضيلة الإمام تحيات بابا الفاتيكان، وأوضح أنه من العوامل الأساسية لحضوره للقاهرة هو ما أكده فضيلته من التعارف والتآلف ونشر الفضائل، وأن زيارته للأزهر الشريف شىء مهم وأساسى، ولا ينسى استقبال فضيلة الإمام الأكبر لبابا الفاتيكان فى شهر فبراير الماضى بالقاهرة، وفى الأزهر حيث استقبل استقبالا طيبا بغرض نشر السلام والأمان، وأثبت أن الأخوة ضرورية ومطلوبة. وأضاف أن الإنسان عندما يحب إنسانا فإنه يحب أن يلتقى به دائما. وفى نهاية اللقاء طلب فضيلة الإمام الأكبر إبلاغ تحياته لبابا الفاتيكان.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف، والدكتور كامل الشريف الأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة، والدكتور حامد الرفاعى رئيس لجنة الحوار العالمية بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة، والسيد السفير فتحى مرعى، وفضيلة الشيخ فرحات المنجى المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف والدكتور على السمان نائب رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف.

* * *

(٢) سورة المائدة (٢).

(٣) سورة الحجرات (١٣).

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرأس المجلس الأعلى للآباء والمعلمين

● برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عقد المجلس الأعلى للآباء والمعلمين على مستوى الجمهورية جلسته فى ٢٤ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ الموافق ٢٧/٦/٢٠٠٠م حيث وافق المجلس على مشروع الخطة المفتوحة للأنشطة والخدمات الطلابية للعام ٢٠٠٠. ٢٠٠١م والمتضمنة مسابقة حفظ وتجويد القرآن الكريم، والحفل الختامى له والمسابقات الاجتماعية والرياضية وإقامة المعارض الثقافية والفنية والأنشطة النوعية، والمعسكرات والرحلات، كذا التدريب على الحاسب الآلى وصيانة الأجهزة، ومراكزها.

كما قرر المجلس مشاركة أحد السادة الأعضاء فى تنفيذ الأنشطة التى تضمنتها الخطة مشاركة فعلية كل من منطقته سواء أكان النشاط خارجيا أم داخليا، والموافقة على إعفاء الطلاب والطالبات اليتامى غير القادرين على سداد المصروفات من سداد المصروفات المقررة مع تمتعهم بميزات التأمين الصحى، وصندوق الخدمات التعاونية بعد إجراء البحث الاجتماعى اللازم لذلك، كذا قرر المجلس إعادة النظر فى زيادة المصروفات التى يدفعها الطلاب تدريجيا كل سنة، لمواكبة فاعلية الخدمات التعليمية والأنشطة الطلابية المختلفة، كما وافق المجلس على اشتراك مجلس الآباء والمعلمين بالمعاهد الأزهرية النموذجية بمدينة نصر مع مجالس إدارة هذه المعاهد عند النظر فى تقرير زيادة المصروفات الدراسية بهذه المعاهد وأوجه الصرف، كما وافق المجلس على سرعة بناء الأراضى الخلاء المخصصة للمعاهد الأزهرية بالمحافظات، وتشجيع إنشاء وتشغيل المعاهد الأزهرية الخاصة بمصروفات، على أن تكون تحت إشراف الأزهر الشريف فى المناهج والمدرسين والعملية التعليمية تقليلاً للأعباء التى تقوم بها الدولة فى العملية التعليمية، كما قرر المجلس إيقاف صرف مستحقات المقاول الذى يقوم ببناء بيت شباب العريش حتى تنتهى إجراءات الشئون القانونية فى هذا الشأن.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، والشيخ عبدالعزيز ندا وكيل قطاع المعاهد الأزهرية، والأستاذ جلال عبد ربه الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف.

* * *

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرأس اجتماع مجمع البحوث الإسلامية

● ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف جلسة مجمع البحوث الإسلامية فى ختام الدورة ٢٦ لسنة ٢٠٠٠ التى بدأت أعمالها اعتبارا من أول سبتمبر سنة ١٩٩٩م وحتى آخر شهر يونيه سنة ٢٠٠٠م وذلك فى ٢٦ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ الموافق ٢٩/٦/٢٠٠٠م. قدم المجلس تقريره بقبول

المذكرة المشتركة من لجنتى التعاون بين المجمع وجامعة الأزهر والتربية والتعليم فى شأن النهوض بمستوى التعليم بالأزهر، وتم تحويل المذكرة إلى المجلس الأعلى للأزهر باعتباره الجهة المسئولة لاتخاذ اللازم بشأنها، كما استعرض المجلس الخطاب المقدم من وزارة الإعلام فيما يخص الاحتفال بمرور أربعة عشر قرنا على دخول الإسلام مصر، وشكلت لجنة من مجمع البحوث الإسلامية لدراسة هذا الموضوع. كما شكلت لجنة لإعداد الرد بشأن اقتراح مركز حمدان سعيد خضر للمعلومات والبحث العلمى بالسعودية لإنشاء جمعية عالمية للعلماء المسلمين، تدارس المجلس موضوع مسلسل «مشرق النور» وشكلت لجنة لإقراره من حيث المادة العلمية واختيار الشخصيات مع تحديد المسئولية لأى مخالفة للعمل الدرامى من جهة المنتج وتمت الموافقة على تداول المسلسل.

أعد المجلس أسماء المرشحين لجائزة الدولة التقديرية وجائزة مبارك وجائزة التفوق العلمى في مجالات الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية لعام ٢٠٠٠ وأرسلت أسماؤهم للمجلس الأعلى للثقافة وهم: السيد الأستاذ الدكتور محمد شوقى الفنجرى لجائزة الدولة التقديرية للعلوم الاجتماعية، وفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد رأفت عثمان لجائزة التفوق العلمى فى العلوم الاجتماعية، وفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد خاطر محمد الشيخ لجائزة مبارك فى العلوم الاجتماعية، وفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد البيومى لجائزة الدولة التقديرية فى الآداب، كما شكلت لجنة للرد على الموضوعات التى تنشر بالصحف والتى تعارض رأى مجمع البحوث الإسلامية حول موضوع قانون الأحوال الشخصية، ويتم نشر الرد فى جريدة «صوت الأزهر» و«مجلة الأزهر الشريف»، كما رشح المجلس مجموعة من السادة العلماء أعضاء مجمع البحوث الإسلامية للاشتراك بأبحاث عن جوانب من حياة فضيلة المرحوم الشيخ محمود شلتوت وذلك فى المؤتمر الذى سيعقد فى إيران باسم (آية الله بروجردى والشيخ شلتوت). كما رشح المجلس لجائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م لخدمة الإسلام والأدب العربى جامعة الإمام محمد بن سعود لجائزة خدمة الإسلام، وفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد البيومى لجائزة الأدب العربى، كما وافق المجلس على ترجمة الأحاديث النبوية الشريفة من العربية إلى الروسية، شرط أن تكون الترجمة للأحاديث الصحيحة والحسنة، كما وافق المجلس على طبع ونشر سبعة عشر جزءاً من المجلد السادس من كتاب (جمع الجوامع) للإمام السيوطى بعد تحقيق رواق السنة وجارى إصدار باقى الأجزاء، كما وافق المجلس على مذكرة لجنة إحياء التراث الإسلامى وتشكيل لجنة فرعية للمعاونة فى تحقيق كتب التراث والمخطوطات وبعد التحقيق يحال الكتاب أو المخطوط إلى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية للطبع، ويعرض على المجلس الترشيح لجائزة السلطان حسن البلقية العالمية للمنح الدراسية الإسلامية للامتياز الأكاديمى فى المجالات المنظمة للإسلام والعالم الإسلامى، يتم عرض خطاب مدير عام المنظمة الإسلامية للتربية

والعلوم والثقافة بالجماهيرية الليبية بشأن عقد ندوة دولية حول قضايا ترجمة معانى القرآن الكريم، يعرض على لجنة البحوث الفقهية قرارات اللجنة وتوصياتها بخصوص تدريس الثقافة الإسلامية فى الجامعات وتعريب المواد الطبية والهندسية وترجمة المصطلحات الطبية والهندسية، حضر الجلسة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف والسادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية.

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يلتقى برؤساء المناطق الأزهرية

● برياسة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف اجتمع رؤساء المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية، على مدى ثلاثة أيام اعتباراً من يوم التاسع من شهر ربيع الآخر ١٤٢١هـ الموافق ١١/٧/٢٠٠٠م وتم مناقشة ما أسفرت عنه نتيجة امتحانات الشهادات الأزهرية في العام الدراسى ٩٩/٢٠٠٠ والدروس المستفادة من الإيجابيات التى كانت من أهم عوامل ارتفاع نسبة النجاح فى الشهادات الثانوية الأزهرية والتأكيد على استثمارها فى امتحانات الدور الثانى والأعوام القادمة من حيث تأمين مراكز تجميع أوراق الأسئلة وتوزيعها على اللجان ودقة أعمال الملاحظة وإرسال أوراق الإجابة ودقة تقدير الدرجات وأعمال الكنترول والمتابعة المكثفة لكل أعمال الامتحانات، كما تم مناقشة اتخاذ الاحتياطات والتدابير اللازمة لامتحانات الدور الثانى سواء النقل أو الشهادات، والاطمئنان على حصول المناطق على الكتب الدراسية وخاصة الكتب الثقافية التى يتم استلامها من مديريات التربية والتعليم والحصول على الطبعات الحديثة والتأكيد على تسليم الكتب للطلاب اعتبارا من ١٥ أغسطس لمن يريد أن يتسلمها قبل بدء الدراسة للاستذكار والاستنارة ولتكون الكتب فى أيدى الطلاب جميعاً فى أول يوم فى بدء الدراسة للعام ٢٠٠٠/ ٢٠٠١، كما تم مناقشة التدابير المتعلقة بحركة الترقيات الأدبية التى صدرت هذا العام ومراعاة القيود الواردة بالحركة، ومناقشة تشغيل المعاهد الجديدة بعد انتهاء المواعيد فى ٣٠/٦ على أن يتم عرض أوراقها ويكون الإذن بتشغيلها إذا استدعت الضرورة ذلك مع توفر العمالة اللازمة للتشغيل، مناقشة أحوال بعض المعاهد المنشأة بالجهود الذاتية، وما يجب اتخاذه من إجراءات لتصحيح أوضاعها، الاطمئنان على مستجدات عمليتى الإحلال والترميم والأخذ بالأولويات وذلك بالبدء بالمعاهد المنخفضة التكاليف وموقف الشركات المتعثرة فى التنفيذ، الاطمئنان على مدى التزام المناطق الأزهرية بفتح المعاهد للطلاب خلال العطلة الدراسية لممارسة الأنشطة الرياضية وارتياد المكتبات وإمداد المكتبات بالكتب التى تحتاجها حسب المراحل التعليمية، والتأكيد على الخصوصية التى يجب أن تتوفر لمعاهد الفتيات من حيث اختيار القيادات وعناصر التدريس والأجهزة المعاونة مع تأنيث العنصر القيادى فى إدارتها، وما يجب اتباعه عند

النظر فى نقل بعض العاملين خارج مناطقهم، والأسس التى تحكم ذلك مع تحديد الأماكن التى يحظر النقل إليها لاكتفائها بعمالتها إلا فيما يتعلق بجمع شمل الأسرة وفقا لما يقره قطاع المعاهد الأزهرية.

حضر الاجتماع فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ / على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، والأستاذ جلال عبد ربه الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر، والشيخ عبدالعزيز ندا وكيل قطاع المعاهد، وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام.

فضيلة وكيل الأزهر الشريف يفتتح «مركز تعليم وتدريب الحاسب الآلى بمدينة البعوث الإسلامية»

● أناب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف فى السابع من شهر ربيع الآخر الموافق ٩/٧/٢٠٠٠م فى افتتاح مركز «تعليم وتدريب الحاسب الآلى بمدينة البعوث الإسلامية» لخدمة الطلاب أبناء العالم الإسلامى الوافدين لتلقى العلوم بالأزهر الشريف وعددهم أكثر من ألفى طالب وطالبة من أربع وتسعين دولة من دول العالم المختلفة، وقد أقيم هذا المركز بالتعاون مع الندوة العالمية لشباب العالم الإسلامى، كما أقامت الندوة دورات فى الإعلام الإسلامى ومعسكرات ومخيمات وطورت مدن الإسكان لطلبة البعوث الإسلامية فى القاهرة والإسكندرية، مواكبة للعصر الحديث، وقد تكلف المركز لخدمة الطلبة والعاملين فى المدينة حوالي مائة ألف جنيه. حضر الافتتاح فضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، وفضيلة الشيخ فرحات المنجى المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية، للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف.

فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيلاً للأزهر الشريف

صدر قرار رئيس جمهورية مصر العربية رقم ٢٩٩ لسنة ٢٠٠٠

قرر:

«المادة الأولى» تعيين فضيلة الشيخ محمود عبدالغنى عاشور وكيلا للأزهر اعتبارا من ١/٧/٢٠٠٠ وحتى تاريخ بلوغه السن القانونية المقررة لترك الخدمة.

«المادة الثانية» ينشر هذا القرار فى الجريدة الرسمية.

صدر برياسة الجمهورية فى ٢ من ربيع الآخر ١٤٢١هـ الموافق ٤ من يوليه سنة ٢٠٠٠م

(حسنى مبارك)

مد خدمة فضيلة الشيخ على محمد فتح الله

قرار رئيس مجلس الوزراء رقم ١٦١٦ لسنة ٢٠٠٠.

«المادة الأولى» تمد خدمة فضيلة الشيخ على محمد على فتح الله وكيل قطاع المعاهد

الأزهرية لشئون الخدمات بالأزهر الشريف لمدة ستة أشهر اعتبارا من ١٥ / ٧ / ٢٠٠٠

«**المادة الثانية**» على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار.

صدر برياسة مجلس الوزراء فى ١٣ من ربيع الآخر ١٤٢١هـ الموافق

١٥ من يوليه سنة ٢٠٠٠ م

رئيس مجلس الوزراء

د. عاطف عبيد

الاجتماع السادس للجنة الاتصال الإسلامى الكاثوليكى «الفاتيكان»

عقدت اللجنة الإسلامية العالمية للحوار المنبثقة عن «المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة» والذى يرأسه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، اجتماعها السادس للجنة الاتصال الإسلامى الكاثوليكى (الفاتيكان) تحت موضوع «الدين وحقوق المواطن وواجباته» صباح يوم ٢ من ربيع الآخر سنة ١٤٢١هـ الموافق ٤ / ٧ / ٢٠٠٠م والهدف من الاجتماع مناقشة القضايا ذات الاهتمام المشترك بهدف توطيد التعاون والتنسيق من أجل خدمة البشرية وإسعادها وتجنيب الشعوب مضار الصراعات الطاحنة التى تخلف وراءها العديد من المآسى والمشكلات.

وتم مناقشة: قضية الدين، وحقوق المواطنين، وواجباتهم، ودور الفضائل والقيم التى تدعو لها الأديان السماوية فى إنقاذ البشرية.

وقد بدأ فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف بدعاء أن يوفق المولى -عز وجل- المجتمعين ويلهمهم الوصول للحق والصواب.

وأكد الأستاذ كامل الشريف الأمين العام «للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة» على أن هذه الاجتماعات علمية أكاديمية وأننا كمسلمين نعمل بوحى من شريعتنا واجتماع هذه اللجنة فى مصر بلد الأزهر الشريف تأكيد على التسامح والوعى لكل من يعمل فى الحوار، وإيجاد تيار يؤمن بالحوار ويتعاون فيه، كما أكد على السلام الاجتماعى وعلى أن الناس جميعاً متساوون أمام القانون.

وتحدث نيافة الكاردينال فرنسيس أرنيزى رئيس المجلس البابوى لحوار الأديان / نائب بابا الفاتيكان وقال: إننا نجتمع من أجل خير البشرية ومن أجل السلام والأمن ودعا الله أن يسدد خطا المجتمعين إلى الطريق القويم.

وتحدث الدكتور حامد الرفاعى رئيس اللجنة الإسلامية العالمية للحوار الأمين العام المساعد لمؤتمر العالم الإسلامى عن حقوق المواطن فى الشريعة الاسلامية، وهى: حق الكرامة الإنسانية، والعدل، والمساواة، وحق الاعتقاد، وحق التعليم، وحق احترام الخصوصيات الشخصية، ورعاية مصالح الناس وعن الواجبات تجاه الله -عز وجل- وتجاه المجتمع.

وعرض الأستاذ توفيق الشريف المدير العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والاغاثة على اللجنة المسائل التى تتم مناقشتها علي أن تكون فى إطار ما تتفق عليها الأديان السماوية والبعد تماما عما يمس العقيدة أو يكون محل خلاف أو اختلاف وهو مالاقى قبولاً لدى المجتمعين.

من أنباء العالم الإسلامى

للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد

بشار الأسد رئيساً لسوريا بنسبة ٩٧٪

دمشق - وكالات الأنباء :

اختار السوريون الفريق بشار الأسد رئيسا لسوريا بنسبة ٩٧,٢٩ بالمائة خلفا لوالده الراحل الرئيس حافظ الأسد . وذلك فى الاستفتاء الذى أعلن نتيجته السيد محمد حربة وزير الداخلية السورى فى مؤتمر صحفى .

وأعلن مجلس الشعب السورى فى الجلسة الاستثنائية التى عقدها رسميا تسمية الفريق الدكتور بشار حافظ الأسد رئيسا للجمهورية العربية السورية لمدة سبع سنوات ميلادية تبدأ من يوم أدائه اليمين الدستورية أمام المجلس .

المطالبة بوقف الحرب فى الشيشان

موسكو - وكالات الأنباء

أفادت الأنباء الواردة من موسكو أن القوات الروسية فى الشيشان عثرت على ١٣ ألف قطعة سلاح، كانت مخبأة فى أماكن متفرقة .

وأشارت الأنباء إلى وقوع ٦ أنفجارات فى الشيشان، إلا أنها لم تسفر عن وقوع

ضحايا. كما قام المقاتلون الشيشانيون بتفجير خط سكة حديد لعشرات الأمتار، فى الوقت الذى لا تزال فيه القوات الفيدرالية الروسية فى حالة تأهب، وتفرض حظر التجول على المدن الشيشانية.

وأكد المتحدث باسم الكرملين أن أحداث الشيشان تميزت خلال اليومين الأخيرين بالهدوء، على الرغم من فرار السكان المدنيين من مدن مثل: «جوديرميس» و«خذكالا» و«أوروس مارتان» و«جروزنى». وتشير الأنباء إلى مغادرة السكان مدنهم تلبية لنداءات المقاومة الشيشانية التى تطالبهم بالمغادرة، لأنها ستشن هجمات على هذه المدن يوم ١٥ يوليو الجارى.

وقد غادرت عشرون سيارة أتوبيس مدينة «جوديرمس» تقل السكان المدنيين وأطفالهم، متجهة إلى القرى، كما هو الحال بالنسبة للمدن الأخرى. ومن جانبه، قال ضابط روسى فى جوديرمس انه تم اتخاذ الاستعدادات اللازمة لصد أى هجوم للمقاتلين الشيشان، فى حين أكد المقاتلون أن القوات الروسية هى التى دفعت ٥٠٠ شخص على الأقل من السكان المدنيين لمغادرة مساكنهم فى محاولة لتخويفهم من هجمات المقاومة.

ومن ناحية أخرى، بعث سبعة أعضاء فى مجلس الاتحاد الفيدرالى الروسى رسالتين للرئيس الروسى فلاديمير بوتين، والشيشانى أصلان مسخادوف لمطالبتهما بوقف الحرب، وبدء مفاوضات لتسوية القضية سلميا، والتخلى عن نزعة الانتقام.

نشر قوات حفظ السلام بين أثيوبيا واريتريا

أسمرة - أ.ف.ب.:

أعلن رئيس بعثة الاستطلاع التابعة للأمم المتحدة الجنرال تيموثى فورد أن ضباط الاتصال الدوليين سيصلون قبل نهاية الأسبوع إلى إريتريا وأثيوبيا للتمهيد لنشر قوات حفظ السلام الدولية على طول الحدود بين البلدين.

وأكد فورد ضرورة الإسراع بنشر قوات الأمم المتحدة وفقا لاتفاق السلام بين أثيوبيا وإريتريا الموقع فى الجزائر فى يونيو الماضى ويقضى بوقف إطلاق النار وإقامة منطقة عازلة على طول الحدود وبعمق ٢٥ كيلومترا داخل أراضى إريتريا.

الأمم المتحدة تطالب بوقف القتال فى افغانستان

نيويورك - وكالات الأنباء

أعرب الأمين العام للأمم المتحدة كوفى عنان عن استيائه لتجدد القتال بين الأطراف الأفغانية المتحاربة، وحث جميع الأطراف المتحاربة على إلقاء السلاح واستئناف المفاوضات لتحقيق تسوية سلمية للحرب

الأهلية التى تعصف بأفغانستان.

وأكد عنان فى بيان عن أسفه لتجاهل الأطراف المتحاربة نداءاته المتكررة التى دعاهم فيها إلى الدخول فى مفاوضات، بالإضافة إلى تحذير مجلس الأمن الدولى من فرض المزيد من العقوبات. وأوضح أنه لا حل عسكريا للصراع فى أفغانستان.

وكان القتال بين الجانبين قد استؤنف بعد هدنة استمرت أسبوعا.

ترشيح السودان لعضوية مجلس الأمن

القاهرة - جامعة الدول العربية

أعرب الدكتور عصمت عبدالمجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية، عن تقديره لقرار القمة الافريقية بترشيح السودان عضوا فى مجلس الأمن.

وأكد أن هذا الموقف يجسد ثقة الدول الأفريقية فى السودان، وفى قدرته على خدمة قضايا القارة والدفاع عن مصالحها الحيوية على الساحة الدولية.

وأوضح الأمين العام أن هذا الترشيح قد تم لما حققته الدبلوماسية السودانية من نجاحات فى مجال تطوير علاقاتها الدولية والإقليمية، وخاصة مع دول الجوار، بالإضافة إلى ما تقوم به الحكومة السودانية من أجل تحقيق المصالحة الوطنية.

واعتبر الدكتور عصمت عبدالمجيد أن هذا القرار سينعكس إيجابيا على العلاقات العربية الأفريقية، ويسهم فى تطوير جميع مجالات التعاون بين المجموعتين العربية والأفريقية.

إنشاء قناة فضائية موجهة للعالم الإسلامى

القاهرة:

اكد السيد صفوت الشريف وزير الاعلام أن مشروع «إسلام فيزيون» ينطلق من مستجدات ثورة الاتصال أمام التطور التكنولوجى والمتلاحق حيث تتعرض أمتنا الإسلامية لاختبار شاق ولا خيار لنا غير التقدم ومواكبة العصر إذا كنا لا نريد أن نكون أسرى مفاهيم تقليدية لم تعد صالحة لزماننا، ونحن نهيىء أنفسنا للدخول فى القرن الحادى والعشرين وقد تحددت معالم جديدة وتبلورت فى ضرورة إنشاء قناة فضائية موجهة للعالم الإسلامى كخطوة أولى على طريق مجمع إسلامى للأنباء والبرامج.

طالب الوزير بدراسة اتساع رقعة العالم الإسلامى وما يلزمه من القنوات القمرية التى تغطى هذه المساحة الشاسعة.

تقدمت مصر بورقة للجنة التى تشارك فيها السعودية والكويت وسلطنة عمان وماليزيا والسنغال تقضى بأن يكون اسم القناة «قناة العالم الإسلامى الدولية» ومقرها القاهرة للاستفادة من مدينة الانتاج الإعلامى بالقاهرة ومن القمر الصناعى المصرى.

recueilli,tous les membres prosternés…C'est là la proximité et la vraie prosternation.

Combien je souhaite revenir à cette prosternation…ou bien qu'elle me revienne…qu' "Allah" me fasse la grâce de me rapprocher et qu'Il me permette de pouvoir pratiquer la dévotion,la vraie. Je me dis parfois …peut être que je ne me déchausse plus comme il faut ou d'une façon digne du rang sublime…peut être que la vie m'a reprit dans son tourbillon , que le voile m'est tombé sur les yeux , que la part humaine est revenue et qu'elle pèse avec son poids et sa densité sur l'âme fragile.

Mais je ne cesse d'espérer, et je prie "Allah" d'accepter l'intercession de l'espoir en faveur de l'action.Louange à Lui,Sa miséricorde recouvre toute chose.

Je sentis que je n'avais plus besoin de n'importe qui ni de quoique se soit parce que j'étais sous l'égide du Roi des rois.

J'étais comme le nouveau-né qui était retourné aux bras de sa mère.

Ce n'était qu'un instant,qui dura une éternité...Oui,il s'est éternisé en moi et dans mon esprit, et a recouvert de son ombre ce qui me restait de vie,mais il ne s'est jamais répété...Combien de fois,après cela,je me suis prosterné sans atteindre cette abnégation et cet affranchissement;et combien j'ai éssayé sans résultat:...ces instants ne proviennent pas de l'effort du serviteur mais de la grâce d' "Allah"...C'est Lui qui se rapproche de nous et qui nous témoigne de l'amour...Nous ne Le connaissons que par Lui...Nous n'arrivons à l'instant d'adoration parfaite qu'avec Son aide...Nous ne pouvons pénétrer chez Lui qu'avec Sa permission...Il est Le Noble, L'Inabordable chez qui on ne peut pénétrer à l'aide de quelques histoires ou quelques paroles...

Je me suis rendu compte, à ce moment là ,que c'était là le véritable bonheur et que c'était là le Paradis terrestre qui ne peut être égalé par n'importe quel autre gain matériel ou spirituel.

"Allah" dit à Son Prophète(b.s.):["Prosterne toi et approche"...]("Al'Alaq":19)... "Allah",le Majestueux dit vrai...mais tout être prosterné n'est pas proche d' "Allah"... à moins qu'il ne se déchausse,qu'il jette le monde derrière lui, et son moi avec, et qu'il pénètre avec un cœur soumis,débarrassé de toute pensée et de toute passion,l'esprit

tue, que j'eus perçu la sagesse de la souffrance et que je l' eus acceptée.Je m'étais aperçu que tout ce qui provient d' "Allah" est bien,que tout ce qu'Il décide est juste,que tout ce qu'Il ordonne est une miséricorde et que tout ce qu'Il inflige émane de l'amour.

A l'instant où je me prosternais,je sentis que j'étais retourné à ma vraie patrie celle d'où j'étais venu:j'avais pris conscience de mon identité et de mon origine et j'avais su qui j'étais…qu'il n'y avait pas de "moi"…mais uniquement Lui…et rien d'autre que Lui…

L'orgueil a disparu,l'entêtement s'est évaporé,la rebellion s'est calmée et les voiles des ténèbres se sont estompées.C'était comme si j'étouffais sous l'eau et que, soudain, jesoulevais la tête de sous la masse d'eau, pour apercevoir la lumière et voir le monde,pour prendre un souffle profond et respirer librement dans un envol…et quelle liberté et quel envol!…Ô "Allah" quel envol!…C'est comme si j'avais été avant cela éxilé,banni, déporté,emprisonné, enchaîné,incarcéré,lié avec des menottes et que soudain ma prison s'était ouverte…C'est comme si je tournais comme une bête avec un voile sur les yeux et que le voile s'était déchiré.

Oui, à cet instant seulement je me sentis libéré.

Oui, c'était la liberté…la véritable liberté …lorsque j'eus atteint la parfaite soumission à "Allah"et que j'eus coupé les chaînes qui me liaient au monde et à ses dieux factices: les biens, la gloire,la renommée, le plaisir,la puissance et la force.

---

[1] Quartier de la ville du Caire en Egypte.

Le vrai bonheur

(Traduit par **Zenab Hassan)**

Je me suis demandé quel a été le moment de plus grand bonheur que j'ai vécu…?Une série de scènes a défilé devant mes yeux:le moment où j'ai vu ma première nouvelle publiée;celuioù j'ai été gradué de l'université du Caire;le moment où j'ai reçu le Prix national de littérature…la griserie du premier amour et du premier voyage et la sortie vers le grand monde me déplaçant dans les grandes forêts vièrges africaines;le vol vers l'Allemagne,l'Italie l'Autriche,la Suisse,l'Angleterre,la France,les Etats-Unis….le moment où j'ai reçu ma première paye de mille Livres…le moment où j'ai placé la première pierre du Centre islamique de Dokki.[1]J'ai vu toutes ces scènes en moi-même et je me suis dit:"…Ce n'est pas cela…"

….C'est un tout autre moment,un soir il y a vingt ans,où le bonheur s'est mélangé aux larmes,à la gratitude,à l'émerveillement à la sensation de bien-être;lorsque je me suis prosterné devant "Allah"et que j'avais senti que toutes les parties de mon corps se prosternaient: mon cœur…mes os …mes entrailles…mon cerveau…ma consience…et mon âme se prosternaient . Lorsque l'angoisse s'était arrêtée , que la contestation s'était

accompagner dans cette expédition, de soigner les malades afin que le Seigneur lui accordât le martyr.

Le Prophète-b.s-lui dit: ***"Reste chez toi, car Allah t'y accordera le martyre."***

Cette femme fut appelée "la martyr" de son vivant et avait appris le Coran.

Le Prophète-b.s-autorisa Om Warakah bent Nawfal à charger un muezzin d'appeler à la prière chez elle, de présider à la prière des femmes et des enfants.

Cette femme avait à son service deux esclaves un homme et une femme auxquels elle leur avait promis un affranchissement après sa mort."Le Tadbir"[2].

Après la mort du Prophète-b.s-, d'Abou Bakr aussi, Omar Ibn Al-Khattab fut élu. Un jour il se leva en disant "je n'ai pas entendu hier la récitation du Coran de ma tante"Om Warakah". Il se dirigea vers sa maison, ne trouvant personne, il rentra, la chercha et la trouva enveloppée d'un de ses tapis dans un coin de la maison. La bonne femme était morte asphyxiée.Ces deux esclaves, pour hâter leur libération, complotèrent contre leur maîtresse, l'asphyxièrent puis prirent la fuite.

Omar les rattrapa et les crucifia pour les punir d'avoir commis le crime. Ce mode de châtiment préscrit par le Coran est appelé"Had El Harabah"[3]. (à suivre)

Allah-Gloire à Lui-a dit:**[Voici ce que devra être le châtiment de ceux qui entrent en lutte ouverte contre Allah et Son Prophète et provoquent le désordre sur terre:Ils pourront être atrocement mis à mort, ou crucifiés, ou avoir une main et un pied coupés par côté opposé, ou être banni.]**

Surate 5"An-Ma`Ida"(La Table sevie)V.33.

Le miracle donc résidait dans la prédiction du Prophète-b.s-qui avait dit à la femme:***"Reste chez toi, car Allah t'y accodera le martyr".*** (à suivre)

---

[2] Signification de "Tadbir": C'est subordonner l'affranchissement de l'esclave à la mort du maître. Ce dernier promet à son esclave d'être libre après sa mort. Quand il meurt, l'esclave est libéré.
L'avantage de la libération posthume est de venir en aide au maître de l'esclave. Il désire accomplir cet acte pieux, mais ne peut pas se passer des services de son esclave, ni de sa compagnie. Ce mode d'affranchissement le lui procure.

[3] Signification du"Had El Harabah"ou(Le Banditisme)Il s'agit de ceux qui, à main armée, provoquent le désordre sur terre. Ils attaquent les gens, barrent les chemins tuent et dévalisent les passants formant une bande redoutable.Si l'un des brigands est pris avant de se rendre en signe .pénitence, il subit le "Had", soit sa mise à mort, soit la crucifixion, soit l'amputation des mains et des pieds, soit l'exil.

Du vivant du Prophète-b.s-ce supplice fut infligé aux hommes de la tribu de"Oréna"qui s'étaient emparés de chameaux de la "Zakat", avaient tué le pâtre et s'étaient enfuis.

En quoi consiste le miracle?

- La prompte guérison de la plaie de Ali grâce à la salive du Prophète-b.s-.

- La réalisation de la prédiction du Prophète-b.s- qu'avait dit :*"Par Allah! demain je confierai le drapeau à un homme intrépide, auquel la fuite est inconnue, qui aime Allah et Son Envoyé et qui est aimé d'eux. C'est lui qui, par la force, s'emparera d'El Quamous"*.

b-La bataille de Ohod

Katada Ibn No`mane fut blessé à la guerre de Ohod. Son oeil sortit de l'orbite et pendit sur sa joue.On l'amena au Prophète-b.s-,qui avec sa main bénie, -remit l'oeil à sa place. Katada guérit sur le champ et ne garda aucune trace de sa blessure.

Personne ne peut nier un tel miracle. Il est impossible aux médecins ou à tout autre homme de remettre un oeil jailli de son orbite à sa place et de voir le blessé guéri aussitôt.

c-La bataille de Badr:

Durant la bataille de Badr, l'épée de "Ukacha Ibn Muhsan-A.s.l".-se brisa. Le Prophète-b.s-lui donna une branche d'arbre et lui dit:*"Utilise-la pour combattre."*

La branche se transforma en un long sabre puissant de couleur blanche . On raconte que Ukacha Ibn Muhsan utilisa ce sabre dans toutes les guerres, le garda jusqu'à sa mort et il mourut en martyr dans un combat contre les renégats.

5-Prédiction du martyr de "Om warakah bent Nawfal":

Abou Daoud rapporta que d'après Om Warakah bent Nawfal-A.s.e.-que celle-ci demanda au Prophète-b.s-lors de l'expédition de Badr la permission de les

---

[1] Singnification du mot "butin":

Le butin est ce qu'on prend à l'ennemi pendant la guerre. On le divise en cinq parties:

Le1/5 est dévolu au souverain qui en dispose pour le bien public.

Le 4/5 restants seront répartis entre les soldats se trouvant présents sur les lieux, qu'ils aient pris part ou non au combat.

Le cavalier reçoit trois parts du butin et le fantassin une seule. Allah-Gloire à Lui-a dit:**[Sachez que sur le butin, quelqu'il soit, le 1/5revient à Allah, au Prophète, à ses proches, aux orphelins, aux pauvres et aux voyageurs, pour peu que vous croyiez en Allah et en ce qu'Il a révélé à Son serviteur dans la journée de la Distinction.]**

Surate 8"Al-Anfal"(Le Butin)V.41.

(suite)

Les miracles du Prophète Mohammed
(salut et bénédiction sur lui).

Par Hoda Hussein Cha`raoui

4-Lors de l'expédition de Khaybar,

Le Prophète-b.s-a dit:***"Par Allah! demain je confierai le drapeau à un homme intrépide, auquel la fuite est inconnue, qui aime Allah et Son Envoyé et qui est aimé d'eux. C'est lui qui, par la force, s'emparera d'El Quamous."***

Le lendemain, tous les compagnons, groupés près du Prophète-b.s-étaient anxieux d'apprendre auquel d'entre eux il allait confier un pareil honneur. On rapporte que Omar souhaita qu'il fut cet homme. Mais, les regards du Prophète-b.s-disaient qu'il cherchait un absent. Puis il questionna.*"Où est Ali?"*.Ali était retenu du combat car il était atteint d'une douloureuse conjonctivite. Il arriva, conduit par la main d'un ami en ayant les yeux recouverts d'un bandeau.

"Approche, lui dit le Prophète-b.s-prends et garde ce drapeau, jusqu'à ce que le Tout-Puissant t'ouvre ces remparts."

-"Mes yeux me font cruellement souffrir, Ô Prophète, répondit-il et je ne distingue même pas la place où je pose mes pieds."

C'est alors, que le Prophète-b.s-appuya la tête de Ali sur ses genoux, écarta les paupières tuméfiés, frotta les yeux rougis avec un peu de sa salive, et aussitôt l'inflammation disparut, ainsi que toute trace de douleur. Ali guérit sur-le-champ et n'eut plus mal aux yeux.

Le Prophète-b.s-revêtit ensuite Ali de sa propre cuirasse de fer, et l'arma de son propre glaive connu, sous le nom de "Zoul-Fekar".(l'épée tranchante).

Ali se dirigea vers la forteresse, planta au pied du rempart l'étendard blanc sur lequel se détachait, en lettres noires, la profession de foi de l'Islam, attaqua les juifs qui jadis trahirent et nuirent aux musulmans.

Après un combat, les soldats juifs s'enfuirent, poursuivis par ceux de Ali, lequel arracha de ses gonds la lourde porte des remparts et s'en servit comme d'un bouclier. La résistance fut de courte durée et El Quamous, l'imprenable, tomba au pouvoir des guerriers de l'Islam.Khaybar était le plus riche pays de tout le Hidjaz; aussi le butin[1] fut-il considérable.

REVUE
AL AZHAR
Sction Francaise

History repeats itself and similar stories occur every now and then. Even in our modern life, we can see people who act like Karoun. However, if humans consider the mistakes of others and try to learn something out of them, life will be better. The rich should help the poor. They have to spare a portion of their wealth for the needy to make them happy and get rewarded in the Hereafter. In the meantime, they are free to enjoy whatever they have got without ostentation or deviation. Surely then they will live in peace.

The story of Karoun is there in the Qur'an as an example for everybody to learn from. He is depicted in his ornaments and riches showing off in front of those who gathered to watch him in his procession. As he used to hide all the time behind the walls of his palace enjoying himself and his treasures, on his coming out everybody looked at him in astonishment. As in any society, people differed in their opinions about him. The team of losers, who were deceived by appearances and did not care about the truth behind matters, admired him. They did not think deeply nor care about the essence of life and the eternal truth that life is only a fading gleam. They envied him and longed for similar wealth. However, the second team, which included believers with bright minds, went on warning and advising him. But all the treasures, gold, guards and servants did not protect this man. The people turned towards the palace and all of a sudden did not find it. The palace was gone. Although the building had been strong and surrounded with huge walls, it could not resist its fate. The earth swalloed it up and Karoun with all his wealth and vanity was destroyed.

Big houses, plenty of money and luxury or authority are no good without faith and obedience to Allah. Whatever power a human being enjoys, he can neither do good nor harm to himself. He can never cause distress or bring forth happiness without the will of Allah Glory be to Him.

After this horrifying end of Karoun, those who had once been enchanted by the glory of his wealth, returned to their senses. They had a big shock and could not believe their eyes. Their feelings consequently changed.

﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

"And those who had yearned for his place the day before began to say" Ah! (Know) that Allah amplifies and straites the means of subsisence for whom He pleases of His servants; had now Allah been gracious to us, He would have abased us. Ah! (Know) that the ungrateful are never successful."

(Alqassas, 82)

All the glitter of this life is to come to an end sooner or later. Only believers who work hard to please Allah and abstain from doing any wrong, or repent when they make mistakes will be greatly rewarded and live happily in the Hereafter.

Reference:

An article entitled "The Tyranny of Money & Examples from the Holy Qur'an. By : Abdul Rahman San Eddin. (Al-Azhar Magazine - Rabi Al-Akhar 1419 H, August, 1998).

A DOUBLE-EDGED WEAPON

By : Hanan Abdou El Tahtawy

When a Muslim spends money generously to help the needy, this pleases Allah who consequently rewards him with happiness in this life and the Hereafter. But if with wealth, one becomes proud, selfish, and ungrateful to the Creator, then distress and punishment will surely follow. Accordingly, money is considered a double-edged weapon.
The story of Karoun in the Holy Qur'an is a vivid example of the terrible influence that money and wealth could have on humans with incurable weaknesses. Throughout history the power of money seems unmatched and wealthy nations had always been able to dominate over poorer ones. But does money alone with all the charms it possesses provide security, peace of mind and soul? Evidence from past and present says no, especially when people gather their fortune by illegal means.
Karoun lived at the time of Moses. He was an evil man who collected great fortune by means of his cunning, and oppression to his people. His treasures grew bigger and bigger but he was never thankful to his Lord. He lived as a proud tyrant who never cared for others. Many of his people who desired the life of the Hereafter more than this worldly life advised him not to exult and to do good. Nevertheless, Karoun did not listen to them. He did not even acknowledge that all what he got is a blessing from Allah. Karoun said pompuously :

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

"He said : I have been given this only on account of the knowledge I have. Did he not know that Allah had destroyed before him generations who were mightier in strength than he and greater in assembling? And the guilty are not questioned about their sins."

(Alqassas, 78)

As Karoun walked in his finery, those people who desired this worldly life admired him and wished they had similar wealth and might. But kind more knowledgeable persons told him that Allah's reward is greater for those who believe, do good and are patient. However, he did not care and so deserved punishment from Allah. He met the terrifying end that had never crossed anybody's mind.

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

"We made the earth to swallow him up and his abode. He had no host to help him against Allah, nor was he of those who can defend themsevles."

(Alqassas, 81)

They ask thee concerning
The spirit (of inspiration)
Say : "the spirit cometh
By command of my lord :
Of knowledge it is only
A little that is communicated
To you O man

(Sura : Isra') (Verse : 85)

This means that spirit is still one of Allah's secrets. We can not solve this secret until the Day of Judgement. The spirit, which is an unsolved secret is considered an evidence that serves the cause faith. This unsolved secret, which makes us pay attention to the ability of Allah, leads us to the way of faith and belief in the existence of Allah the Founder of being and the Creator of the universe.

Although the spirit lies in the body, man knows nothing about it. He does not know how spirit entered or existed. He does not know its place in the human body. Does spirit lie in the brain, which transmits signals to the body in order to move? Does it lie in the heart, which beats when man has been foetus in the mother womb? This heart beats in voluntarily until life ends. Does it lie in the arms, which hit? Does it lie in the legs, which walk? Does it lie in the eyes, which see? Does it lie in the ears, which hear? Does it lie in the tongue, which speak? Where is the spirit?

And an (angel) to
Bear witness

(Sura : Qaf) (Verse : 21)

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾

(الآية ٤٨ من سورة البقرة)

Then guard yourself against a day
When one soul shall not avail
another

(Sura : Al- Baqara) (Verse : 48)

We observe that the commandment of Allah, whether torture or bliss, is for the soul because it is the mixture of spirit and body, i.e. meeting the spirit and material.

What is the spirit ?

If we want to know what is the spirit, we should declare that it is the divine secret, which grants life to material. In other words, the spirit is Allah's will for us to live or die. Death is considered the beginning of a new stage which has its laws and no one knows but Allah.
We have showed that man changes instantly from one state to another. When he puts his head on a pillow to sleep and lays his body on bed, he will change to another state and when he gets up, he changes instantly to another state. In other words, he will move from the law of sleeping to the law of waking, which are different.
The Messenger of Allah (Muhammad) peace and blessings be upon him) showed us that life in this world is short if compared to the journey of the greatest life. The Messenger of Allah (Muhammad) (MBPUH) has described this world like a traveller who spent some time in the shade of a tree before his departure. Thus showing us how short it is. The Messenger of Allah (Muhammad) (MBUH) says :

(ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)

"I am not eager for life in this world, I live in this world like the rider who sat in the shade of a tree before his departure."
Man knows nothing about spirit. The Jews asked the Messenger of Allah about spirit and how it grants life to the body. They thought that the Messenger of Allah (Muhammad) (MPBUH) will allege an answer depending on himself and thus they can contest his statement and would not believe in his message. Then Allah revealed this ???

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(الآية ٨٥ من سورة الإسراء)

We should realise that there is spirit, body and soul. Soul is the meeting of spirit and material, i.e. mixture of spirit and body. The command of Allah is not applied to spirit only or the spirtless body but it is applied to the mixture of spirit and body, as said by Allah.

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾

(الآيات ٧، ٨، ٩، ١٠ من سورة الشمس)

7- By the soul,
And the proportion and order
Given to it;
8- And its enlightment
As to its wrong
And its right;
9- Truly he succeeds
That purifies it,
10- And he fails,
That corrupts it

We observe that the soul, which is the point at which spirit and material meet, carried out the commandment of Allah. Torture and bliss in Hereafter are for the soul too. Allah restore creation and restore the bodies which meet the spirit to be ready for judgement. We notice that the verses of Qur'an, which refer to the hereafter, don't refer to spirit only nor the body only but they refer to the soul. Allay says :

﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

(من آية ١٦١ سورة آل عمران)

Then shall every soul
Receive its due,
Whatever it earned,
And non-shall be
Dealt with unjustly.

(Suran : Al-Imran) (Verse : 161)

﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾

(الآية ٣١ من سورة ق)

And there will come forth
Every soul with each
will be an (angel) to drive

Man and the earth elements

By Mohamed Hussein Ibrahim

Before talking about the end of the world, we should display the beginning in a summary form to understand how Allah has provided man with the evidences. These evidences make man believe in Allah Who has put the human beings on equal footing. The unlearned and learned understand the evidences.

Allah created Adam from the earth elements. The recent scientific analysis has proved that the body of man contains 18 elements. These elements are the same as the earth elements. Consequently, we observe that science had discovered what the gracious Qur'an showed fourteen centuries ago.

Allah created Adam himself. He ensouled Adam from His soul and granted life to his body, then created Eve from his rib. Man consists of spirit and body. Allah permitted man to discover the laws of the physical body throughout the ages according to his knowledge but He made the spirit unsolved mystery. All researchers tried to discover what is spirit but in vain because the spirit cannot be analyzed scientifically. You can't analyse the spirit in the laboratory not carry out experiments on the spirit to know its laws.

Man Tried to know information about the spirit and he is still trying. Swiss scientist carried out an experiment putting a dying man on a bed with an accurate pair of scales attached. He had found out that man loses a tiny amount of his weight at the moment of his death, i.e. during the coming out of the spirit from the body. After these experiments, Swiss scientist said that the spirit has a tiny weight less than one part of hundred of gram. He claimed that the spirit has a tiny weight and tried to prove that the spirit is a material mass with a tiny wieght but was not able to prove it.

There are scientists who disclaim the existence of the spirit and claimed that it is mainly time or nature. Some scientists resorted to philosophy and said it is spirit that grants life to the body. Allah says in His perfect Book :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(الآية ٨٥ من سورة الإسراء)

They ask thee concerning
The spirit (of inspiration)
Say : "The spirit cometh
By command of my lord :
Of knowledge it is only
A little that is communicated
To you o man

(Sura : Isra') (Verse : 85)

AL-AZHAR MAGAZINE
Jumada Al ula 1421 H.

ENGLISH SECTION
Aug. 2000

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. TRANDIL H. EL RAKHAWY, Ph.D.
Dept. of English Language and Translation
Al-Azhar University

ADEL REFAI KHAFAGA M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine

الفهرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩م

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير عام التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

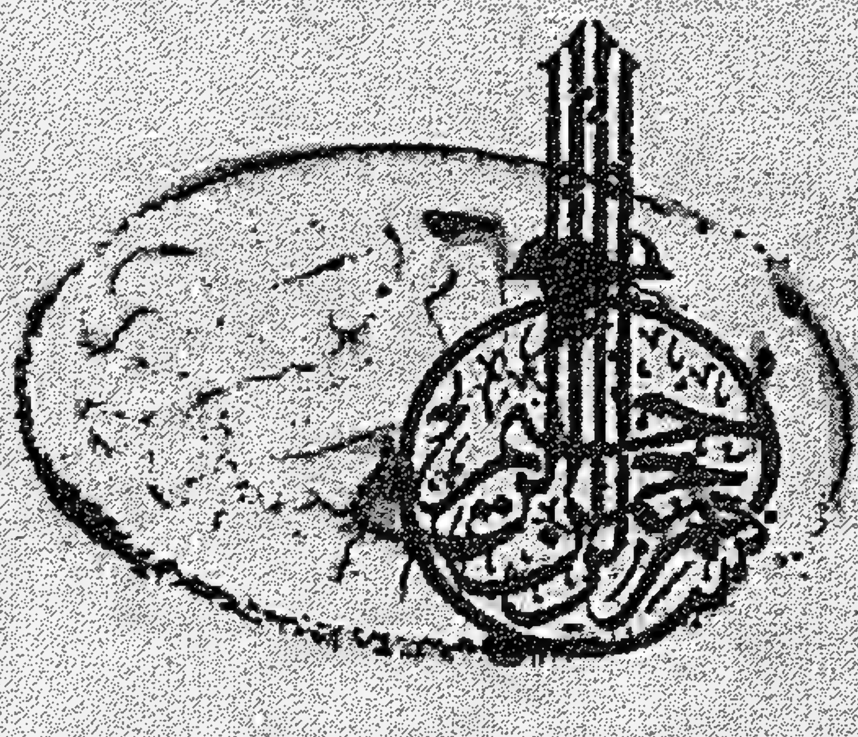
المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة



باب التوبة مفتوح ما دام فى الجسد روح

الحمد لله غافر الذنب، وقابل التوب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سيد العابدين وإمام المتقين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم. « وبعد »

فقد قال الله - تعالى -:

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾(١).

اعلم أن الله - تعالى - أضاف هذه الأمة إلى خمسة : أولها : إلى نفسه، فقال :

﴿ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾(٢)، ولآدم بالبنوة، فقال :

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ ﴾(٣)، ولنوح بالشريعة، فقال - تعالى -:

---

١ - سورة الزمر: (٥٣). ٢- سورة الزمر: (١٦).
٣ - سورة الأعراف الآيات: (٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٥).

←

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾(٤) ولإبراهيم بالملة، فقال: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾(٥)، ولمحمد ـ ﷺ ـ بالأمة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(٦) فإذا كان يوم القيامة، قال آدم: أولادى، وقال نوح: أهل شريعتى، وقال إبراهيم: أهل ملتى، وقال محمد: أمتى، وقال الرب ـ عزوجل ـ عبادى، فإذا كان هذا حال هذه الأمة أفتراهم يلحقهم ضيم يوم القيامة؟. حاشا كرم الله.

وسمى العبد عبدا؛ لأنه مسلك القضاء، ومحل العيوب، وليس الفخرله ـ سبحانه ـ أن تكون عبده، لأن عبيده كثيرة، بل الفخر لك أنه مولاك، فأنت عبده يا هذا على الحقيقة ماكنت مطيعا له، كما ذكر عن بعض الصالحين: أنه قدم عليه ناس يزورونه، فتوسم العجب فيهم حين رآهم، فلما أقبلوا عليه قال: أهلا بعبيد عبدى، فأنكروا قوله، وعنه انصرفوا، فذكروا لأحد العلماء ما قال لهم: فقال: صدق، أنتم عبيد الهوى، والهوى عبده.

قيل: فما الحكمة فى أن الله أضاف العبيد إلى نفسه؟ قيل: لثلاثة أشياء: أولها: ليكونوا فى حمايته، فلا يقدر الشيطان أن يخلص إليهم ـ الثانى: لئلا يدعى فيهم إبليس باتباعه. الثالث: ليكون جميع ما يصلحك عليه.

قيل: فما الحكمة فى أن الله ـ تعالى ـ أضاف نفسه إلينا؟ فقال: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾(٧) قيل ـ أيضا ـ لثلاثة أشياء، أحدها: لتعلم أنه لا يفارقك ـ **الثانى**: ليعلمك أن كل ما خلقه من أجلك ولك خلقه، كما قيل: لما خلق الله الأرض قال الآدمى: ماذا لى؟ قال: النبات لك، وخلق الأشجار فقال الآدمى ماذا لى؟ قال: الثمارلك، وخلق السوى، فقال الآدمى: ماذا لى؟ قال: اللبن لك، وخلق البحار، فقال الآدمى: ماذا لى؟ قال: الحيتان لك، وخلق الجبال، فقال الآدمى: ماذا لى؟ فقال: معادن الذهب والفضة لك، وخلق الهواء فقال الآدمى: ماذا لى؟ قال: الطير والغمام لك، وخلق السماء فقال الآدمى: ماذا لى؟ قال: الشمس والقمر والنجوم لك، يعنى: لأجل ما فى الشمس والقمر من المنافع، وما فى النجوم السيارات الدالة على الأوقات، ثم خلق اللوح المحفوظ فقال الآدمى: ماذا لى؟ قال: العلم والحقيقة لك، ثم خلق المعارف فقال الآدمى: ماذا لى؟ قال الله ـ عزوجل ـ أنا لك، فطوبى لمن كان له الملك العلام دائما على الدوام حتى يلقاه على الرضا فى دار السلام.

الثالث: ليكون لك الفخر على سائر المخلوقات.

قيل: وإنما قال ـ تعالى ـ: ﴿ **أسرفوا** ﴾ بضمير الغيبة، لئلا يعلم أحد منهم، ولو قال: أسرفتم بضمير الخطاب لوقع الخجل. وقيل: لما قال: ﴿ **أسرفوا على أنفسهم** ﴾ تحير

---

٤ ـ سورة الشورى: (١٦).
٥ ـ سورة الحج: (٧٨).
٦ ـ سورة آل عمران: (١١٠).
٧ ـ البقرة: (١٦٣).

العصاة، وقالوا: إذا كان إسرافنا على أنفسنا فقد هلكنا، فقال ـ تعالى ـ: (لا تقنطوا من رحمة الله) وقال تعالى:

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾(٨) وقيل: إن سبب نزول هذه الآية: أن وحشيا ـ قاتل حمزة عم النبى ـ ﷺ ـ لما ألقى الله ـ تعالى ـ فى قلبه الإسلام، أرسل إلى النبى ـ ﷺ ـ وقال: يا محمد لقد أردت الدخول فى الإسلام لولا آية نزلت عليك، وهى قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾(٩) فأنزل الله تعالى:

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ ﴾(١٠) الآية فأرسل بها النبى ـ ﷺ ـ إليه، فقال: هذه بشرط التوبة، ولعلى لا أتوب، فأنزل الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾(١١) فأرسل النبى ـ ﷺ ـ بها إليه، فقال: هذا بشرط المشيئة، ولعله لا يشاء يغفرلى، فأنزل الله ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ فأرسل بها النبى ـ ﷺ ـ إليه، فجاء وأسلم. وعن عبادة ابن الصامت ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل»(١٢) وفى رواية لمسلم: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، حرم الله عليه النار» وقال أبوذر ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال رسول الله ـ ﷺ ـ «يقول الله ـ عزوجل ـ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب إلى شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة، ومن لقينى بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بى شيئا أتيته بمثلها مغفرة، معناه: من تقرب إلىَّ بطاعتى تقربت إليه برحمتى، وإن زاد زدت، ومن أتانى يمشى، أى: أسرع فى طاعتى أتيته هرولة، أى: صببت عليه الرحمة وسبقته بها، ولم أحوجه إلى المشى الكثير فى الوصول إلى المقصود.

وقراب الأرض ـ بضم القاف وكسرها ـ معناها: الذى يقارب ملء الأرض، والله أعلم.

قال أنس: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله ـ تعالى ـ يدخر له حسناته فى الآخرة، ويعقبه رزقا فى الدنيا على

٨ـ الإسراء: (٧). ٩ ـ الفرقان: الآيتان (٦٨، ٦٩). ١٠ ـ مريم: (٦٠).
١١ ـ النساء: (٤٨). ١٢ ـ متفق عليه.

طاعته، وفى رواية «إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها فى الدنيا، ويجزى بها فى الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل لله فى الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها»[١٣].

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفرلهم»[١٤] وعنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «إذا أذنب عبد ذنبا فقال: أى رب اغفرلى ذنبى، قال الله ـ عزوجل ـ: أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، يقول الله ـ تعالى ـ: يا عبدى قد غفرت لك هذا إن أذنب فيما بينه وبين ربه، لا يظلم غيره من المخلوقين، فإن ظلم العبد نفسه إذا تاب العبد منه، تاب الله عليه، وإذا ظلم غيره ماله توبة إن لم يرض خصمه، فإذا لم يرضه فجهنم من ورائه كما قال المولى العليم:

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١٥].

ومن المعلوم من مذهب أهل السنة والجماعة: أنهم لا يقطعون للعاصى بالنار، ويقولون: الكل فى مشيئة الله ـ تعالى ـ، من شاء عذبه، ومن شاء رحمه، إلا من ورد فيه النص عن النبى ـ ﷺ ـ وثبت أنه من أهل الجنة، من السادة الصحابة، ومن التابعين: أويس القرنى ـ رضى الله تعالى عنهم ـ حتى إن الإمام سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ قال: لو كنت شاهدا لأحد أنه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر، فاذا كان هذا عبدالله ـ رضى الله تعالى عنه ـ مع جلالة قدره، لم يقطع له ابن المسيب بالجنة، فكيف يقطع لغيره إلا من أتى فيه النص بالجنة.

قالت أسماء بنت عميس: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقرأ:

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ ولا يبالى»[١٦].

وقال عبدالله بن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ :« تلا رسول الله ـ ﷺ ـ قول إبراهيم ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[١٧] الآية، وقول عيسى بن مريم: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾[١٨] الآية فرفع يديه وقال: اللهم أمتى أمتى وبكى، فقال الله ـ تعالى ـ ياجبريل انزل إليه وسله: ما يبكيك وهو أعلم، فنزل جبريل وأخبره بما قال الله له، قال: يا جبريل اذهب إلى محمد وقل له: إنا سنرضيك فى أمتك، ولا نسوءك فيهم»[١٩].

---

١٣ ـ رواه مسلم.
١٤ ـ رواه مسلم.
١٥ ـ الشورى: (٤٢).
١٧ـ إبراهيم: (٣٦).
١٨ ـ المائدة (١١٨).
١٩ ـ ذكره مسلم.

قيل: لما نزل آدم إلى الأرض، قال: يارب أنزلتني إلى الأرض، وسلطت على إبليس، فاجعل لى عليه سلطانا، قال: لا يولد لك ولد إلا وكلت به ملكين يحفظانه، قال: يارب زدنى، قال: الحسنة بعشر أمثالها وأزيد، والسيئة بواحدة وأغفر، قال: يارب زدنى، قال: باب التوبة مفتوح، ما دام فى الجسد روح.

وأخيرا إنما وردت هذه الأخبار فى فضل الغفار ورحمته، التى تسع الأخيار والأشرار من أمة سيدنا محمد المختار، لكيلا يقنط العبد من رحمة ربه الحليم الغفار، بحيث إذا وقع منه ذنب فيقول: قد هلكت ويتم مصرا على عصيانه اعتقادا منه أنه لا توبة له، فهذا ظن سوء بربه، وهو اعتقاد الكفار، وربما يمهل التوبة لرغبته فى المعصية، فتجرئه على المعاصى، وإصراره عليها، ومداومته لها، وربما ينعكس عند موته كما تقدم ويصير من الكفار، فواجب على كل مسلم مؤمن بالله واليوم الآخر، أنه لا يذنب وإن قدر عليه ووقع فى الذنب يبادر إلى التوبة بالندم والإقلاع وعدم العود إلى الذنب والأوزار فإن «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله المغفرة» هكذا قال المصطفى المختار ـ ﷺ ـ فلا يطمع العاصى، ويتجرأ على المعاصى، ويتهاون فيما فرض الله عليه من الطاعات المفروضات المفضلة، ويعتقد كما يعتقد الفجرة الجهلة من أنه إن كان قد كتب من أهل الجنة أو النار فلا تنفعه الحسنات ولا تضره السيئات، فهذا ضل سعيه، وأحبط الله عمله، ولو علم فيه ـ سبحانه ـ خيرا وفقه وعلمه وألهمه طاعته، ويكفى المرء الموفق قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾[٢٠].

وقول النبى ـ ﷺ ـ: «اعلموا فكل ميسر لما خلق له» فعبد اتقى الله، وأخلص عمله حاشا كرمه أن يضيعه، وانظر الى قول رئيس الحكماء: «من عمل الخير فبنفسه بدأ، ومن عمل الشر فعلى نفسه اعتدى».

وتصديق ذلك قول المولى ـ سبحانه ـ:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾[٢١] تا الله لأهل الخير من سوء الخاتمة خائفون، فما حال غيرهم وهم عاصون ظالمون؟

نسأل الله أن يوفقنا إلى كل خير، وأن يجنبنا الزلل وأن يرزقنا طاعته آناء الليل وأطراف النهار، وصلى الله وسلم ـ على سيدنا محمد وآله وصحبه،

(عبد المعز عبد الحميد الجزار)

---

٢٠ ـ سورة الليل: الآيات (٥ ـ ١٠).

٢٠ ـ فصلت: (٤٦).

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيّد طنطاوى

قال الله - تعالى -: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ (١٩٠) وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ (١٩١) فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (١٩٢) وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ (١٩٣) ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ (١٩٤) وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٩٥) ﴾

[الآيات من ١٩٠ : ١٩٥]

بعد أن أمر ـ سبحانه ـ المؤمنين بطاعته وتقواه، وحضهم على الجهاد فى سبيله..؛ إذ هو من أجل مظاهرها وبصرهم بحكمته وآدابه فقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ١٩٠

قال ابن كثير: قال أبوجعفر الرازى عن الربيع ابن أنس عن أبى العالية فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ ﴾

قال: هذه أول آية نزلت فى القتال بالمدينة فلما نزلت كان رسول الله ـ ﷺ ـ يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه حتى نزلت سورة براءة[1].

ويرى بعض العلماء أن هذه الآيات قد وردت فى الأذن بالقتال للمحرمين فى الأشهر الحرم إذا فوجئوا بالقتال بغياً وعدواناً، فهى متصلة بما قبلها أتم الاتصال، لأن الآية السابقة بينت أن الأهلة مواقيت للناس فى عباداتهم ومعاملاتهم عامة وفى الحج خاصة وهو فى أشهر هلالية مخصوصة كان القتال فيها محرماً فى الجاهلية، فقد أخرج الواحدى عن ابن عباس أن هذه الآيات نزلت فى صلح الحديبية، وذلك أن رسول الله ـ ﷺ ـ صده المشركون عن البيت الحرام ـ ثم صالحوه فرضى على أن يرجع عامه القابل ويخلوا له مكة ثلاثة أيام يطوف ويفعل ما يشاء فلما كان العام القابل تجهز هو وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا ألا تفى لهم قريش، وأن يصدوهم عن المسجد الحرام بالقوة ويقاتلوهم وكره أصحابه قتالهم فى الحرم والشهر الحرام فأنزل الله ـ تعالى الآيات[2].

والقتال والمقاتلة: محاولة الرجل قتل من يحاول قتله، والتقاتل محاولة كل واحد من المتعادين قتل الآخر.

قال أبوحيان: وقوله: ﴿ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ السبيل هو الطريق. واستعير لدين الله وشرائعه لأن المتبع لذلك يصل به إلى بغيته الدينية والدنيوية، فشبه بالطريق الموصل الإنسان إلى ما يقصده، وهذا من استعارة الأجرام للمعانى ويتعلق ﴿ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ بقوله: ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ ﴾ وهو ظرف مجازى، لأنه لما وقع القتال بسبب نصرة الدين صار كأنه وقع فيه، وهو على حذف مضاف والتقدير فى نصرة دين الله[3].

والمراد بالقتال فى سبيل الله: الجهاد من أجل إعلاء كلمته حتى يكون أهل دينه الحق أعزاء لايسومهم أعداؤه ضيماً، وأحراراً فى الدعوة إليه وإقامة شرائعه العادلة فى ظل سلطان مهيب.

أى: قاتلوا أيها المؤمنون لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه أعداءكم الذين أعدوا أنفسهم لقتالكم ومناجزتكم وتحققتم منهم سوء النية، وفساد الطوية.

فالآية الكريمة تهييج للمؤمنين وإغراء لهم على قتال أعدائهم بدون تردد أو تهيب، وإرشاد لهم إلى أن يجعلوا جهادهم من اجل نصرة الحق، لا من أجل المطامع أو الشهوات.

فقد روى الشيخان، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، عن أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ أن أعرابياً أتى النبى ـ ﷺ ـ فقال: يارسول الله الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه ـ أى: ليتحدث الناس

---

(1) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٢٦.

(2) تفسير المنار جـ ٢ ص٢٠٨

(3) تفسير البحر المحيط جـ٢ ص٦٥ لأبى حيان.

بشجاعته وليظهر بينهم – أى ذلك فى سبيل الله؟ فقال رسول الله – ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله ».

والأحاديث فى الدعوة إلى أن يكون الجهاد فى سبيل الله من أجل إعلاء كلمته كثيرة متعددة

وقوله : ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ ﴾ نهى عن الاعتداء بشتى صوره ويدخل فيه دخولا أوليا الاعتداء فى القتال.. والاعتداء : مجاوزة الحد فيما أمر الله به أو نهى عنه.

أى : قاتلوا فى سبيل الله من يناصبكم القتال من المخالفين، ولا تتجاوزوا فى قتالهم إلى من ليس شأنهم قتالكم، كنسائهم، وصبيانهم ورهبانهم، وشيوخهم الطاعنين فى السن إلى حد الهرم ، ويلحق بهؤلاء المريض والمقعد والأعمى والمجنون، وقد وردت فى النهى عن قتل هؤلاء الأحاديث النبوية ووصايا الخلفاء الراشدين لقواد جيوشهم، فهؤلاء يتجنب قتالهم إلا من قامت الشواهد على أن له أثراً من رأى أو عمل فى الحرب ، يؤازر به المحاربين لينتصروا على المجاهدين.

قال ابن كثير : ولهذا جاء فى صحيح مسلم عن بريدة أن رسول الله –ﷺ– كان يقول : « أغزوا فى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، أغزوا ولاتغلوا ولا تغدروا ولاتمثلوا ولاتقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع »، وفى الصحيحين عن ابن عمر قال : « وجدت امرأة فى بعض المغازى مقتولة فأنكر رسول الله –ﷺ– قتل النساء والصبيان »(٤).

وقوله :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ كالتعليل لما قبله فى النهى عن مجاوزة ما حده الله –تعالى – فى قتال المخالفين.

ومحبة الله لعباده : صفة من صفاته – تعالى – من أثرها الرعاية والإنعام وإذا نفى الله – تعالى – محبته لطائفة من الناس فهو كناية عن بغضه لهم، واستحقاقهم لعقوبته.

وقوله :

﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ ﴾ الضمير المنصوب فيه يعود على قوله :

﴿ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾ فى الآية السابقة.

و ﴿ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ ﴾ : أدركتموهم وظفرتم بهم . يقال : ثقف الشىء إذا ظفر به ووجده على جهة الأخذ والغلبة ومنه رجلٌ ثقف إذا كان سريع الأخذ لأقرانه. قال الشاعر:

فإما تثقفونى فاقتلونى
فمن أثقف فليس إلى خلود

ويقال – أيضاً – رجل ثقف : إذا كأن محكماً لما يتناوله من الأمور.

والمعنى : عليكم أيها المسلمون أن تقلتوا هؤلاء الذين أذنا لكم بقتالهم حيث وجدتموهم وظفرتم بهم، فإنهم قد بادءوكم بالعدوان، وتمنوا لكم كل شروسوء.

وقوله :

﴿ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ ﴾ معطوف على ما قبله.

وحيث ظرف مكان، والمكان الذى أخرجوهم منه هو مكة، فإن المشركين من قريش قد أنزلوا بالمسلمين الأولين من صنوف الأذى ما جعلهم

(٤) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٢٦.

يتركون مكة ويهاجرون إلى بلاد الحبشة أولا. ثم إلى المدينة المنورة ثانيا.

أى: اقتلوا هؤلاء الذين قاتلوكم فى أى مكان لقيتموهم فيه، وأخرجوهم من المكان الذى أخرجوكم منه وهو مكة.

وفى هذا تهديد للمشركين، وإغراء للمسلمين بهم، ووعد بفتح مكة وقد أنجز الله - تعالى - وعده ففتح المسلمون مكة فى السنة الثامنة من الهجرة.

وقوله - تعالى - :

﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ دفع لما قد يقع من بعض المسلمين من استعظام قتل المشركين فى مكة.

والفتنة فى الأصل: مصدر فتن الصائغ الذهب والفضة إذا أذابهما بالنار ليستخرج الزائف منهم ثم استعملت فى الابتلاء والامتحان والصرف عن الشيء، وأكثر استعمالها فى التضليل والصد عن الدين، ثم على الكفر.

ويبدو أن المراد منها هنا ما كان يفعله المشركون مع المسلمين من التعذيب والصد عن الدين، والإخراج من الوطن، وغير ذلك من صنوف الأذى.

والمعنى: لا تقصروا فى قتل المشركين الذين يقاتلونكم، والذين أخرجوكم من دياركم، فإن فتنتهم لكم بالايذاء والتعذيب والصد عن الدين، أشد ضررا من قتلكم لهم فى أى مكان وجدوا به.

وبعضهم فسر الفتنة هنا بالشرك، أو بالرجوع إلى الكفر، أو بعذاب الآخرة، وقد بين ذلك صاحب الكشاف بقوله. وقوله:

﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ أى: المحنة والبلاء الذى ينزل بالإنسان يتعذب به أشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء: ما أشد من الموت: قال: الذى يتمنى فيه الموت، جعل الإخراج من الوطن من الفتن والمحن التى يتمنى عندها الموت، ومنه قول القائل:

القتل بحد السيف أهون موقعا
على النفس من قتل بحد فراق

وقيل: ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ ﴾ عذاب الآخرة قال - تعالى - ﴿ ذوقوا فتنتكم ﴾ وقيل: الشرك أعظم من القتل فى الحرم، وذلك أنهم كانوا يستعظمون القتل فى الحرم ويعيبون به المسلمين. فقيل: والشرك الذى هم عليه أشد وأعظم مما يستعظمونه ويجوز أن يراد: وفتنتهم إياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتلكم إياهم فى الحرام، أو من قتلهم إياكم إن قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم[5].

وإلى هنا تكون الآية الكريمة قد أذنت للمؤمنين فى قتل الذين يناجزونهم القتال دفعاً لشرهم أينما وجدوا.

ثم ساقت الآية جملة أخرى نهت فيها المؤمنين عن قتال المشركين عند المسجد الحرام مراعاة لحرمته، ما دام المشركون لم يفاتحوهم بالقتال عنده، أما إذا فاتحوهم بالقتال فيه، فقد أصبح من حق المؤمنين أن يدافعوا عن أنفسهم، وأن يقاتلوا أعداءهم. وهذه الجملة هى قوله - تعالى - :

﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ﴾

---

(٥) تفسير الكشاف جـ١ ص٢٣٦.

أى: لاتقاتلوا أيها المؤمنون أعداءكم عند المسجد الحرام احتراماً له حتى يبدأ المشركون قتالكم عنده فإن بدءوكم بالقتال فيه فلا حرج عليكم فى قتلهم عنده، لأن المنتهك لحرمة المسجد الحرام إنما هو البادىء بالقتال فيه وهم المشركون، ولستم أنتم أيها المؤمنون لأن موقفكم إنما هو موقف المدافع عن نفسه.

فأنت ترى أن الآية الكريمة قد حفظت للمسجد الحرام حرمته وهيبته ومكانته السامية لأن حرمته لذاته ، وحرمة سائر الحرم من أجله، إلا أنها أذنت للمسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم إذا ما هاجمهم المشركون عنده أو فيه.

قال ابن كثير ما ملخصه: وقد دلت الآية على الأمر بقتال المشركين فى الحرم إذا بدأوا بالقتال فيه دفعا لصولتهم، كما بايع النبى -ﷺ- أصحابه يوم الحديبية تحت الشجرة على القتال، لما تألبت عليه بطون قريش ومن والاهم من أحياء ثقيف والأحابيش عامئذ، ثم كف الله القتال بينهم فقال:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ الفتح ٢٤.

وقال -ﷺ- لخالد بن الوليد ومن معه يوم الفتح: إن عرض لكم أحد من قريش فاحصدوهم حصداً حتى توافونى على الصفا ، فما عرض لهم أحد إلا أناموه وأصيب من المشركين نحو اثنى عشر رجلاً(٧).

ولم يقل - سبحانه - فإن قاتلوكم فقاتلوهم، وإنما قال:

﴿ فإن قاتلوكم فاقتلوهم ﴾ تبشيراً للمؤمنين بالغلبة عليهم، وإشعاراً بأن هؤلاء المشركين من الخذلان والضعف بحالة أمر الله المؤمنين معها بقتلهم لابقتالهم فهم لضعفهم لايحتاجون من المؤمنين إلا إلى القتل.

وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ تذييل لما قبله، واسم الإشارة ذلك يعود إلى قتل المقاتلين أينما وجدوا.

والجزاء: ما يقع فى مقابلة الإحسان أو الإساءة، فيطلق على ما يثاب به المحسن، وعلى ما يعاقب به المسيء. والمراد به فى الآية العقاب.

أى: مثل هذا الجزاء العادل من القتل والردع يجازى الله الكافرين الذين قاتلوا المؤمنين وأخرجوهم من ديارهم.

ثم فتح القرآن للكافرين الذين قاتلوا المسلمين التوبة فقال:

﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

الانتهاء: أصله مطاوع نهى. يقال: نهاه فانتهى ثم توسع فيه فأطلق على الكف عن الشيء، لأن النهى هو طلب ترك الشيء.

أى: فإن انتهوا عن الكفر وعن مقاتلتكم فكفوا عنهم ولاتتعرضوا لهم فإن الله غفور رحيم، وكل من تاب من كفر أو معصية فشأن الله معه أن يغفر له ويرحمه.

ونظير هذه الآية قوله - تعالى - :

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ الأنفال ٣٨.

وإنما قلنا فإن انتهوا عن الكفر وعن القتال لأن سياق الحديث عن الكافرين المقاتلين للمؤمنين،

(٦) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٢٧.

(٧) تفسير القاسمى جـ٢ ص٤٧٦.

(٨) تفسير الألوسى جـ٢ ص٧٦.

فيكون حمل الانتهاء على الأمرين معا أولى من حمله على القتال فحسب.

وقوله - تعالى - :

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾

معطوف على جملة

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾

والضمير «هم» يعود على الذين يقاتلون المسلمين وهم من سبق الحديث عنهم.

والمراد من ﴿ **الفتنة** ﴾ الشرك وما يتبعه من أذى المشركين للمسلمين واضطهادهم وتعذيبهم. قال الألوسى: ويؤيده أن مشركى العرب ليس فى حقهم إلا الإسلام أو السيف. لقوله - سبحانه -:

﴿ **تقاتلونهم أو يسلمون** ﴾.

وفى الصحيحين عن ابن عمر: «أن رسول الله -ﷺ- قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»

والدين فى اللغة: العادة والطاعة ثم استعمل فيما يتعبد به الله - تعالى - سواء أكان ما تعبد به صحيحاً أم باطلاً.

والمراد هنا: الدين الصحيح الذى شرعه الله لعباده على لسان نبيهم محمد - ﷺ - ليتوصلوا به إلى الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل.

والمعنى: قاتلوا أولئك المشركين حتى تزيلوا الشرك، وحتى تكسروا شوكتهم ولايستطيعوا أن يفتنوا طائفة من أهل الدين الحق، وحتى يكون الدين الظاهر فى الأرض هو الدين الذى شرعه الله - تعالى - على لسان نبيه -محمد ﷺ-.

وقد تحقق ذلك بالقتال الذى دار بين المسلمين والمشركين فى أكثر من عشرين غزوة قادها النبى -ﷺ- بنفسه، وفى أكثر من أربعين سرية بعث فيها أصحابه، وكانت ثمار هذه المعارك أن انتصر الحق وزهق الباطل، وقبل أن يلتحق النبى -ﷺ- بالرفيق الأعلى كان الدين الظاهر فى جزيرة العرب هو دين الإسلام الذى جاء به الرسول -ﷺ-.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

والعدوان فى أصل اللغة: الاعتداء والظلم الذى هو من الأفعال المحرمة والمراد به فى الآية القتل حيث يرتكب جزاء للظالمين.

والفاء فى قوله: ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ ﴾ للتعقيب وقوله:

﴿ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ قائم مقام جواب الشرط، لأنه علة الجواب المحذوف.

والمعنى: فإن امتنعوا عن قتالكم ولم يقدموا عليه، وأذعنوا لتعاليم الإسلام، فكفوا عن قتالهم، لأنهم قد انتفى عنهم وصف الظلم، وما دام قد انتفى عنهم هذا الوصف فلا يصح أن تقاتلوهم، إذ القتال إنما يكون للظالمين تأديباً لهم ليرجعوا عن ظلمهم.

ففى الجملة الكريمة إيجاز بالحذف، واستغناء عن المحذوف بالتعليل الدال عليه.

قال الإمام الرازى: أما قوله - تعالى - :

﴿ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ففيه وجهان:

الأول: فإن انتهوا فلا عدوان أى: فلا قتل إلا

على الذين لاينتهون عن الكفر، فإنهم بإصرارهم على كفرهم ظالمون لأنفسهم قال – تعالى – : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾.

فإن قيل: لم سمى ذلك القتل عدوانا مع أنه فى نفسه صواب؟ قلنا: لأن ذلك القتل جزاء العدوان فصح إطلاق اسم العدوان عليه، كقوله – تعالى – : ﴿ وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾.

الثانى: إن تعرضتم لهم بعد انتهائهم عن الشرك والقتال كنتم أنتم ظالمين، فتسلط عليكم من يعتدى عليكم (٩).

وقوله – تعالى – :

﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ بيان للحكمة فى إباحة القتال فى الأشهر الحرم، وإيذان بأن مراعاة حرمة الشهر الحرام إنما هى واجبة فى حق من يصون حرمته، أما من هتكها فقد صار بسبب انتهاكه لحرمة الشهر الحرام محلا للقصاص والمعاقبة فى الشهر وفى غيره.

وسمى الشهر الحرام لأنه يحرم فيه ما يحل فى غيره من القتال ونحوه، والتعريف فيه – على الراجح – للجنس فهو يشمل الأشهر الحرام جميعها وهى أربعة: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب.

قال – تعالى – :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾(١٠).

قال القرطبى: نزلت فى عمرة القضاء، وذلك أن رسول الله – ﷺ – خرج معتمراً حتى بلغ الحديبية فى ذى القعدة سنة ست، فصده المشركون كفار قريش عن البيت فانصرف ووعده – سبحانه – أنه سيدخله فدخله فى ذى القعدة سنة سبع وقضى نسكه ونزلت هذه الآية (١١) والمعنى: هذا الشهر الحرام الذى تؤدون فيه عمرة القضاء، بذلك الشهر الحرام الذى صدكم المشركون فيه عن دخول المسجد الحرام، فإذا بدءوا بانتهاك حرمته بقتالكم فيه، فلا تبالوا أن تقاتلوهم فيه دفاعاً عن أنفسكم، إذ هم البادئون بهتك حرمته.

وقوله: ﴿ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ متضمن لإقامة الحجة علي الحكم السابق والحرمات: جميع حرمة، وهى ما يحفظ ويرعى ولاينتهك.

والقصاص: المساواة، أى، وكل حرمة يجرى فيها القصاص. فمن هتك أية حرمة اقتص منه بأن تهتك له حرمة.

والمراد: أن المشركين إذا أقدموا على مقاتلتكم – أيها المؤمنون – فى الحرم أو فى الشهر الحرام، فقاتلوهم أنتم أيضاً على سبيل القصاص والمجازاة بالمثل، حتى لايتخذوا الأشهر الحرم ذريعة للغدر والإضرار بكم.

ثم أكد – سبحانه – هذا المعنى بقوله:

﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾

(٩) تفسير الفخر الرازى جـ ٥ ص١٤٦.

(١٠) سورة التوبة الآية ٣٦.

(١١) تفسير القرطبى جـ٢ ص٣٥٥.

أى: فمن اعتدى عليكم وظلمكم فجازوه باعتدائه وقابلوه بمثل ما اعتدى عليكم بدون حيف أو تجاوز للحد الذى أباحه الله لكم .

وسمى جزاء الاعتداء اعتداء على سبيل المشاكلة .

قال الآلوسى: واستدل الشافعى بالآية على أن القاتل يقتل بمثل ما قتل به من محدد أو خنق أو حرق أو تجويع أو تغريق، حتى لو ألقاه فى ماء عذب لم يلق فى ماء ملح، واستدل بها أيضاً على أن من غصب شيئاً وأتلفه لزمه رد مثله، ثم إن المثل قد يكون من طريق الصورة - كما فى ذوات الأمثال - وقد يكون من طريق المعنى كالقيم فيما لامثل له (١٢) .

ثم ختم - سبحانه - الآية الكريمة بالأمر بالتقوى والخشية منه فقال:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾

أى: اتقوا الله وراقبوه فى الانتصار لأنفسكم، وترك الاعتداء فيما لم يرخص لكم فيه، واعلموا أن الله مع الذين يمتثلون أمره ويجتنبون نهيه بالنصر والرعاية والتأييد . ثم أمر الله - تعالى - المؤمنين ببذل المال من أجل إعلاء كلمته، ونصرة دينه، فقال:

﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

قال الإمام الرازى: الإنفاق هو صرف المال إلى وجوه المصالح فلذلك لايقال فى المضيع: أنه منفق، فإذا قيد الإنفاق بذكر سبيل الله، فالمراد به طريق الدين، لأن السبيل هو الطريق، وسبيل الله هو دينه، فكل ما أمر الله به فى دينه من الإنفاق فهو داخل فى الآية سواء كان إنفاقاً فى حج أو فى صلة رحم أو غير ذلك، إلا أن الأقرب فى هذه الآية - وقد تقدم ذكر الجهاد - أنه يراد به الإنفاق فى الجهاد، وقوله:

﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ كالتنبيه على العلة فى وجوب هذا الإنفاق، وذلك لأن المال مال الله فيجب إنفاقه فى سبيله، ولأن المؤمن إذا سمع ذكر الله اهتز ونشط فيسهل عليه إنفاق المال(١٣) .

و ﴿ تُلْقُوا ﴾ من الإلقاء وهو طرح الشىء من اليد .

قال الجمل: والباء فى قوله: ﴿ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ تحتمل وجهين:

أحدهما: أنها زائدة فى المفعول به لأن ألقى يتعدى بنفسه، قال - تعالى - :

﴿ **فألقى عصاه** ﴾ .

والثانى: أن يضمن ألقى معنى فعل يتعدى بالباء فيتعدى تعديته فيكون المفعول به فى الحقيقة هو المجرور بالباء تقديره، ولاتفضوا بأيديكم إلى التهلكة كقوله: أفضيت بجنبى إلى الأرض أى: طرحته على الأرض(١٤) .

والمراد بالأيدى: الأنفس، من باب ذكر الجزء وإرادة الكل، لأن أكثر ظهور أفعال النفس تكون عن طريق اليد .

والتهلكة: الهلاك والموت، أو كل شىء تصير عقابته إليه . مصدر هلك يهلك هلكاً وهلاكاً وتهلكة .

والجملة الكريمة معطوفة على جملة

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾

ألخ، لأنهم لما أمروا بقتال عدوهم، وكان أوفر منهم عدة وعدداً، كلفهم بالاستعداد له عن طريق إنفاق الكثير من أموالهم فى سبيل إعلاء كلمة الله

---

(١٢) تفسير الآلوسى جـ١ ص٧٧.

(١٣) تفسير الفخر الرازى جـ٥ ص١٤٨ بتصرف وتلخيص.

(١٤) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ ص١٥٥.

لأن هذا الإنفاق من أقوى الوسائل التى توصل إلى النصر.

والمعنى: عليكم، أيها المؤمنون – أن تقاتلوا فى سبيل الله من قاتلكم، وأن تنفقوا –من أجل إعلاء كلمة الله– أموالكم، ولا تلقوا أنفسكم فيما فيه هلاككم فى دين أو دنيا، بسبب ترككم الجهاد وبخلكم عن الإنفاق فيه مع القدرة على ذلك.

ويشهد لهذا المعنى ما أخرجه الترمذى وغيره عن أبى عمران قال: كنا بمدينة الروم –القسطنطينية– فأخرجوا إلينا صفا عظيماً من الروم. فخرج إليهم من المسلمين مثلهم فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقى بيديه إلى التهلكة !! فقام أبو أيوب الأنصارى فقال: يأيها الناس إنكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار . لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سراً – دون رسول الله –ﷺ– إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام، وكثر ناصروه، فلو أقمنا فى أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله – تعالى – على نبيه يرد علينا ما قلناه

﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾

فكانت التهلكة الإقامة على الأموال، وإصلاحها، وتركنا الغزو.

قال الراوى: فمازال أبو أيوب شاخصاً فى سبيل الله حتى دفن بأرض الروم.

فالآية الكريمة تأمر المؤمنين بأن يبذلوا أموالهم فى الجهاد فى سبيل الله بصفة خاصة، وفى كل موطن من مواطن الخير بصفة عامة، لأن عدم البذل فى سبيل الخير يؤدى إلى ضعف الأمة واضمحلالها.

ثم ختم – سبحانه – الآية بالترغيب فى الإحسان فقال:

﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

أى: أحسنوا كل أعمالكم وأتقنوها، لأنه – سبحانه – يحب المحسنين فى كل شئونهم، ويثيبهم على ذلك بما يسعدهم فى دينهم ودنياهم.

هذا، وتأمل معى – أيها القارىء الكريم – فى هذه الآيات تراها قد رسمت أحكم منهاج وأعدله فى شأن الحرب والسلم.

إنها تأمر المؤمنين أن يجاهدوا أعداءهم الذين بدأوهم بالقتال، وأن يقتلوهم حيث وجدوهم.. ويخرجوهم من حيث أخرجوهم، كما تأمرهم أن يبذلوا أموالهم فى سبيل الله بدون إمساك أو بخل، وهذا من أقوى أنواع الحض على الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله.

ولكنها فى الوقت نفسه تنهاهم عن الاعتداء، وتنهاهم عن القتال فى الأشهر الحرم وفى الأماكن المقدسة إلا إذا قاتلهم المشركون فيها، كما تنهاهم عن قتالهم إذا ما انتهوا عن عدوانهم وكفرهم، لأن شريعة القرآن تستجيب لداعى السلم متى كف المعتدون عن العدوان، واحترموا كلمة الإسلام.

وبذلك نرى أن القتال فى الإسلام ليس من أجل الغنائم، أو الاستغلال أو الاستعباد، أو التباهى.. كلا ليس لأجل شىء من هذا، وإنما هو من أجل الدفاع عن الحق وأهله، حتى تكون كلمته هى العليا وكلمة الباطل هى السفلى، وبهذا تسعد الإنسانية، وتنال ما تصبو إليه من عزة وفلاح.

يتبـــــع

قبس من أنوار النبوة

من مقومات المجتمع المسلم

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

روى معاذ بن جبل -رضى الله عنه- أن رسول الله - ﷺ - قال: «أتدرى ما حق الله على عباده؟! قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. أتدرى ما حق العباد على الله إن فعلوا ذلك؟! قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حقهم عليه أن لا يعذبهم بالنار»

«رواه البخارى ومسلم»

إن الاسلام الذى ارتضاه الله دينا لعباده – يضع قواعده للمجتمع المسلم، ويفرض آدابه الرفيعة ليعيش هذا المجتمع فى حياة تسودها الرحمة، ويظللها الأمن ويغمرها السلام، يعلن ذلك فور إرساء أساس الإيمان بالله. وحق عبادته عبادة خالصة يحققون بها ما وعدهم به – سبحانه– حيث يقول:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(١).

وإن الإيمان بالله لابد وأن يقترن بالعمل والعقيدة الصحيحة التى تسكن القلب وتوجه الجوارح فليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل، وإن قوما غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم. وقالوا: نحن نحسن الظن بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل، الحسن البصرى.

إن الايمان بالله والعمل بما فيه طاعته كما جاء فى قوله – تعالى –:

﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن

(١) سورة النور ٥٥.

﴿ ... كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝٣٦ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٣٧ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ۝٣٨ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۝٣٩ ﴾(٢).

الإيمان بالله وأداء طاعته هي حقه على عباده بعد أن خلقهم فأحسن خلقهم ورزقهم فضاعف رزقهم وهداهم للإيمان وزينه فى قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، أوجب الله ذلك بقوله:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾(٣).

وعبادة الله تعبير جامع لإفراده -سبحانه وتعالى- بالطاعة وأن يراه حيث أمره ولا يجده حيث نهاه، يراه على صراط سوى من ربه، بارا بوالديه محسنا إلى ذوى قرباه، عطوفا على اليتامى الذين غيب الله آباءهم تحت التراب معوانا للفقراء والمساكين، رفيقا بالجيران من أهله ومن غير أهله، خيرا بشريكة حياته متداركا للذين نفد زادهم ومالهم وهم فى الطريق إلى ديارهم.

العبادة فى الإسلام: أن يؤدى الإنسان واجبه نحو ربه، ونحو نفسه وأسرته ونحو المجتمع الذى يعيش فيه، فالصلاة عبادة، والسعى على الرزق بالوسائل المشروعة عبادة، والصلح بين الناس عبادة، وإماطة الأذى عن الطريق عبادة، وأداء الواجبات الزوجية والأسرية عبادة، والجهاد فى سبيل الله عبادة، وذروة سنام الإسلام، ولقد ذكر رسول الله - ﷺ -، فى أحاديثه الشريفة مجموعة من الأعمال العادية التى يمارسها الناس فى حياتهم ثم خلع عليها ثوب العبادة حتى صدقت النية، وكان القصد بها وجه الله وذلك كالأكل والشراب والنوم متى كان ذلك معينا على النهوض بالواجبات، إن العاقل الرشيد يطيل تأمل الأوامر الإلهية ليصل نفسه بربه على أساس منها، ويؤدى بها شكر أنعم الله، فإن الإيمان نعمة عظمى وشكرها لزوم طاعته، وإن الكفر بالله واتباع غير سبيل المؤمنين ذلة وهوان وهبوط بكرامة الإنسان عن درجة الحيوان.

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾(٤).

وإذا أتمر الناس بأوامر ربهم وانتهوا عن كل ما نهاهم عنه، وعبدوه حق العبادة ووقفوا عند حدوده واهتدوا بهداية دينهم وتمسكوا بسنة نبيهم وحققوا إخلاص نواياهم، سعدوا بما أعده الله لمن أطاعه واتقاه.

وحقهم عليه إن هم أطاعوه نالوا مغفرة ورحمة ورضوانا تفضلا منه -عز وجل- وتكرما.

فهل نقف عند حدود الله ونتمسك بكتاب ربنا ونعمل بسنة نبينا حتى يرضى عنا خالقنا، ونفوز بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

---

(٢) سورة النساء ٣٦ - ٣٩.

(٣) سورة الذاريات ٥٦ -٥٨.

(٤) سورة الأنفال ٢٢ - ٢٣.

نظرات فى ألفاظ القرآن الكريم

لفظ « أهل »

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فلفظ « الأهل مفرد » ، لكنه اسم جمع ويجمع على أهلين وأهالى وأهلات، وأهل الرجل فى الأصل من يجمعه وإياهم مسكن واحد ثم تجوز به، فأطلق على من يجمعه بهم نسب أو دين أو ما يجرى مجراهما من صناعة أو بيت وبلد وإذا قيل: أهل البيت انصرف إلى أهل بيت النبى - ﷺ - أى: أسرته.

وقد حكمت الشريعة الإسلامية برفع النسب بين المسلم والكافر؛ لذلك قال الله - -تعالى- لسيدنا نوح عن ابنه الكافر

﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ ﴾ [سورة هود: ٤٦][١].

وقد جاء لفظ أهل فى القرآن الكريم مقطوعا عن الإضافة إلى الضمائر أربعا وخمسين مرة ومضافا إلى الضمائر بجميع أنواعها (المتكلم والمخاطب والغائب فى الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث) ثلاثا وسبعين مرة.

ونلاحظ أنه لم يأت مضافا إلى الأعلام قط بل أضيف إلى القرية، والقرى، والمدينة، والبيت، ومدين، ويثرب، والنار، والذكر، والتقوى، والمغفرة، لكن الغالبية العظمى من هذا اللفظ مضافة إلى الكتاب « يا أهل الكتاب » والمراد به التوراة والإنجيل وأضيف اللفظ مرة واحدة إلى الإنجيل

﴿ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ ﴾

[المائدة: ٤٧]

(١) بصائر ذوى التمييز للفيروز أبادى جـ٢ ص٨٣.

وقد جاء هذا اللفظ كما يقول صاحب البصائر على عشرة معان فى القرآن الكريم. الأول: بمعنى سكان القرى كقوله -تعالى-:

﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ [الأعراف: ٩٧].

الثانى: بمعنى قراء التوراة والإنجيل مثل قوله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ والثالث بمعنى أصحاب الأموال وأرباب الأملاك

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾

[النساء: ٥٨]

أى: أربابها. والرابع: بمعنى العيال والأولاد كقوله -تعالى-:

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ﴾

[القصص: ٢٩]

والمراد زوجه وأولاده، والخامس بمعنى القوم وذوى القرابة مثل:

﴿ فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾

[النساء: ٢٥]

والسادس بمعنى المختار والخليق والجدير مثل

﴿ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ [الفتح: ٢٦]

أى كانوا الجديرين بالتقوى والمستحقين للوصف بها.

والمعنى السابع: الأمة وأهل الملة

﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴾

[مريم: ٥٥]

والمعنى الثامن المستوجب المستحق للشىء كقول -تعالى-:

﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾

[المدثر: ٥٦]

والتاسع بمعنى العشيرة والأولاد والذريات والأزواج مثل:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾
[طه: ١٣٢]

وقوله:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾

[الأحزاب: ٣٣]

والمعنى العاشر والأخير هو أولاد الخليل وأولاده - عليه السلام- كقوله -تعالى-:

﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾

[هود: ٧٣](٢).

والآن حان الوقت - كما جرت العادة فى هذه المقالات - لاستعراض الآيات الكريمة التى جاء فيها هذا اللفظ - والبداية من سورة البقرة وقد ذكرت الآية فيها خمس مرات. الأولى: قوله -تعالى-:

(٢) المرجع السابق ص٨٤

﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

[البقرة: ١٠٥]

والمعنى والله أعلم: أن الكافرين من أهل الكتاب وهم اليهود وبعض النصارى حاسدون لكم لأن الله شرفكم برسالة محمد -ﷺ- وهى أجل ما أنعم الله به عليكم فهم لا يحبون أن ينزل عليكم أى خير من ربكم بالوحى أو غيره لكن حسد الحاسدين لا يحول بين نعم الله وبين من سبق فى علم الله أنه يستحقها فهو -سبحانه- يختص برحمته وفضله من يشاء متى شاء وهو -جل وعلا- عظيم الفضل على الأنبياء وعلى من اتبعهم بصدق وإخلاص وعليه فإن الحسد لا يغير من قدر الله شيئا.

والآية الثانية فى البقرة هى قوله -تعالى-:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[البقرة: ١٠٩]

وهى قريبة المعنى من السابقة فأهل الكتاب خاصة اليهود يتمنون أن تعودوا - بعد أن هداكم الله إلى الإيمان كفارا حسدا لكم ولنبيكم على نعمة الإسلام الجليلة مع أنهم على يقين أن محمدا -ﷺ- على الحق ومع ذلك أمر الله المسلمين أن يعاملوهم بالعفو حتى يأتيهم نصر الله الذى لا ريب فيه فالله على كل شىء -من نصركم وهزيمة عدوكم- قدير والآية الثالثة هى قوله -تعالى-:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾

[البقرة: ١٢٦]

ذلك أن إبراهيم لما فرغ هو وإبنه إسماعيل -عليهما السلام- من بناء البيت دعا ربه أن يجعل الوادى الذى بنى فيه البيت بلدا آمنا من كل سوء تراد به وأن يرزق أهل هذا البلد المؤمنين من كل أنواع الثمار، لكن الله لواسع فضله استجاب دعاءه لمن آمن ومن كفر على السواء غير أن الكافرين يمتعون بهذه الخيرات فى الدنيا فقط - وما أقصرها - ثم يساقون إلى عذاب جهنم سوقا لا خيار لهم فيه.

والرابعة فى قوله -تعالى-:

﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾ [البقرة: ١٩٦]

والكلمة فى قوله -تعالى-:

﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

والإشارة فى ذلك عائدة على ما يجب على الحاج القارن من الهدى فإن لم يجد الهدى فعليه أن يصوم ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع إلى بلده لأن هذا الحكم خاص بغير أهل مكه لأن أهل مكة لا تمتع ولا قران لهم، ثم ختم الله الآية بأمر بتقواه فى كل أمر ونهى فمن خالف عن أمره ونهيه فله شديد العقاب،

ثم جاءت الكلمة فى قوله -تعالى-:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾

[البقرة: ٢١٧]

وذلك أن الكفار بعد سرية عبد الله بن جحش - رضى الله عنه - قالوا: إن محمدا يستحل القتال فى الشهر الحرام والبلد الحرام، وسألوا عن ذلك فى خبث فكان الجواب أن القتال فى الشهر الحرام أمر كبير مستنكر لكن الأشد إثما ونكرا الصد عن دين الله بمنع الناس من الدخول فيه وفتنتهم فى دينهم، وكذلك صد المسلمين عن دخول المسجد الحرام وإخراج أهله منه، وهم: النبى - ﷺ - والمهاجرون، كل ذلك أشد نكرا وأكبر إثما عند الله.

أما سورة آل عمران فقد ذكرت فيها اللفظة ثلاث عشرة مرة كلها مضافة إلى الكتاب إلا واحدة مضافة إلى ضمير المصطفى - ﷺ -.

والمرة الأولى والثانية فى قوله -تعالى-:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

[آل عمران: ٦٤،٦٥]

والآية الأولى تدعوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى خطة رشد وإنصاف اتفقت عليها كل الرسل وهى

﴿ **ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا** ﴾ وهذه دعوة إلى توحيد الألوهية

﴿ **ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله** ﴾ وهذه دعوة إلى توحيد الربوبية فإن لم يستجيبوا لهذه الدعوة المنصفة وأعرضوا وأبوا إلا أن يَعْبُدوا غير الله فقولوا لهم أنا منقادون لله مخلصون له لا نعبد أحدا سواه ولا ندين لغيره فلا نحل إلا ما أحل ولا نحرم إلا ما حرم.

ثم جاءت الكلمة أربع مرات فى أربع آيات متتالية من آل عمران من الآية التاسعة والستين إلى الآية الثانية والسبعين هى قوله:

﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

والآية الأولى تظهر من انطوت عليه نفوس اليهود من حقد وكراهية للمسلمين فهم لا يفتأون يلقون الشبهات؛ ليشككوا المسلمين فى دينهم ويردوهم إلى الكفر بعد الإيمان ولن يستطيعوا بهذا الدهاء والخبث أن يضلوا المسلمين وإنما يضلون أنفسهم دون أن يشعروا بانصرافهم عن التفكير فى الدين الحق، والآية الثانية تبكتهم وتوبخهم على كفرهم بآيات الله التى أنزلت على محمد - ﷺ - مع قيام البراهين التي يشهدون بصحتها على صدقه -صلى الله عليه وسلم، أما الآية الثالثة فتسأل اليهود سؤال توبيخ

وإنكار عن خلطهم الحق الذى جاء به محمد - ﷺ - بالباطل الذى افتراه أحبارهم وزعموه من عند الله وما هو من عند الله وكتموا من أجله ما هو ثابت فى كتبهم من صدق محمد - ﷺ -.

والآية الرابعة والأخير من هذه الآيات الأربع تذكر ما قالته طائفة من اليهود لبعضهم تعالوا نؤمن بدين محمد فى الصباح ونكفر به فى المساء لعل المسلمين إذا رأونا نفعل ذلك تشككوا فى دينهم وانصرفوا عنه ويرجعوا إلى الكفر.

روى ابن اسحاق عن ابن عباس قال: قال (عبد الله بن الصيف وعدى بن زيد والحارث بن عوف (من اليهود) بعضهم لبعض تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع فيرجعوا؛ فأنزل الله فيهم:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾

وذكر اللفظ مرة أخرى فى قوله - تعالى -:

﴿ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾

[آل عمران: ٧٥]

والآية تنصف طائفة من اليهود كانوا فى قمة الأمانة والاعتدال لو أئتمنوا على قنطار من الذهب أدوه لصاحبه ومن هؤلاء عبد الله بن سلام - رضى الله عنه - استودعه قرشى ألفا ومائتى أوقية من ذهب فأداها إليه وما عدا هؤلاء (وهم قليلون جدا) يخونون الأمانة ويستحلون أكل أموال الناس بالباطل فلو ائتمنت أحدهم على دينار واحد لأنكر وجحد ولا يؤديه إليك إلا إذا ألحفت عليه فى الطلب ومن هؤلاء وهم كثيرون جدا كعب بن الأشرف استودعه قرشى دينارا فجحده ويبررون خيانتهم بالكذب على الله فيزعمون أن التوراة أحلت لهم أكل أموال الأميين أى: العرب، ولم تحرم إلا أموال اليهود.

روى ابن جرير أن جماعة من المسلمين باعوا لليهود بعض سلع لهم فى الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم الثمن فقالوا ليس علينا أمانة ولا قضاء لكم علينا لأنكم تركتم دينكم الذى كنتم عليه وادعوا أنهم وجدوا ذلك فى كتابهم فرد الله عليهم بقوله:

﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾

وذكرت كلمة أهل فى قوله -تعالى-:

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ٩٨، ٩٩]

والآيتان تأمران رسول الله - ﷺ - أن يسأل اليهود سؤال إنكار وتوبيخ عن سبب كفرهم بآيات الله، مع أن الله - -تعالى- - مطلع على أعمالهم ويسألهم كذلك عن سبب صدهم المؤمنين بالله عن الدين الحق وهو الإسلام بالحيلة والدهاء والخبث والمكر قاصدين أن تعود سبيل

الله معوجة بالشبهات والأباطيل وليس الله بغافل عن زيغهم وضلالهم.

وجاءت الكلمة مرة أخرى فى قوله -تعالى-:

﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

[آل عمران: ١١٠]

فبعد أن بين - سبحانه - أن المسلمين خير أمة بسبب إيمانهم القوى الذى يدعوهم إلى الألفة والأخوة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بين أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى لو آمنوا مثل هذا الإيمان الصحيح لكان خيرا لهم مما يدعونه من إيمان لا يأمر بفضيلة ولا ينهى عن رذيلة ثم أنصف القوم فقال منهم المؤمنون إيمانا قويا كعبد الله بن سلام ورهطه من اليهود والنجاشى ورهطه من النصارى غير أن الأكثرين منهم خارجون عن دين الله مارقين إلى الكفر.

وفى الآية الثالثة عشرة بعد المائة من نفس السورة (آل عمران) يقول ربنا:

﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾

والآية تأكيد للآيات السابقة فتنفى أن يكون أهل الكتاب متساويين فى الإيمان والاستقامة أو الكفر والضلال فمنهم مؤمنون صادقون قائمون على أمر الله بالحق والعدل والصلاح يقضون الليل فى تلاوة القرآن والصلاة

وذكرت الكلمة فى قوله -تعالى-:

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[آل عمران: ١٢١]

وهى مضافة إلى ضمير النبى - ﷺ - فسلمت من الحديث عن أهل الكتاب ومعناها والله أعلم: واذكر لهم أيها الرسول الكريم وقت خروجك من بيتك فى الغداة قبل طلوع الشمس صبيحة يوم أحد كى تهيىء للمسلمين الأماكن التى يباشرون فيها قتال عدوهم وتحدد مواقع الرماة وأماكن الفرسان والرجالة والله سميع لأقوالهم لك عليم بنياتهم التى صدرت عنها هذه الأقوال.

والآية الأخيرة التى ذكرت فيها الكلمة من سورة آل عمران هى قوله -تعالى-: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾

[آل عمران: ١٩٩]

وتكرر الآية الثناء على هذه الطائفة القليلة من أهل الكتاب الذين عرفوا الحق واتبعوه فأسلموا وحسن إسلامهم فظفروا بثواب الإيمان بالأنبياء السابقين والإيمان بما أنزل على محمد - ﷺ - إيمانا صادقا أثمر الطاعة والاستقامة والخشوع لرب العالمين ولم يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا لأن الدنيا فى نظرهم لا تساوى شيئا بجوار نعيم الآخرة هؤلاء لهم أجرهم وثواب طاعتهم عند ربهم والله سريع الحساب يحاسب الناس جميعا فى وقت واحد كما كان يرزقهم فى وقت واحد لا يشغله شيء عن شيء

روى النسائى من حديث أنس - رضى الله عنه - قال: لما جاء نعى النجاشى قال رسول الله - ﷺ -: صلوا عليه، قالوا: يا رسول الله نصلى على عبد حبشى فأنزل الله هذه الآية «وإن من أهل الكتاب...... ألخ»

هذا والله أعلم.

«يتبع»

صفات الله أعلام هداية

لفضيلة الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر

ان معرفة الله - سبحانه وتعالى - مركوزة فى كل طبع، واسمه الجليل معروف فى كل لغة، واختلاف الأجناس والألسنة لم يصرف الأفئدة والأفكار عن هذه الحقيقة الواحدة.

ولكن هذه المعرفة - عند كثير من الناس - قد اختلطت بالأوهام، وامتزجت بالأهواء، وتلبست بالأساطير، ولم تسلم للناس معرفة صحيحة بالله - سبحانه - إلا عن طريق الوحى، الذى بعث الله به الأنبياء والمرسلين، وعن طريق الإيمان والتصديق بهذا الوحى

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾(١) والوسائل المؤدية إلى معرفة الله - تعالى - والإيمان بوجوده، ووحدانيته كثيرة، ولكن أهم هذه الوسائل وأصحها، وأكثرها جلاء ووضوحا، ما كان على منهج رسل الله، الذين يبلغون عن الله بإذنه، ويعرفون الخلق بخالقهم، وهى وسائل وطرق يأمن السائر فيها من الضلال، ويطمئن إلى نوال مطلوبه وهو الهداية.

ومن هذه الوجهة نؤكد على ثلاث وسائل نهتدى بها إلى الله، ونستدل بها على وجوده وقدرته ووحدانيته .. وكلها جاء بها القرآن الكريم الذى وصفه الله تعالى بأنه ﴿ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾(٢).

الأولى: ـ الاستدلال عن طريق النظر فى أنفسنا، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم فى كثير من الآيات، منها قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(٣) ومنها قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾(٤).

الثانية: ـ الاستدلال عن طريق النظر فى الآيات الكونية المبثوثة فى الآفاق وهى أعلام هادية إلى الله، والقرآن الكريم لفت أنظارنا إلى

(١) النور: (٤٠).
(٢) الإسراء: (٩).
(٣) الذاريات: (٢١).
(٤) الانفطار: (٦-٨).

هذه الوسيلة فى كثير من الآيات الكريمة، منها قول الله ـ تعالى ـ

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾(٥).

ومنها قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٦).

الثـالـثـة : ـ الاستـدلال عن طريق النظر فى المعجزات، التى أيد الله بها رسله، وقد كانت دليلا دامغا على صدقهم فيما يبلغون عن الله – عزوجل – وما وصفوه به – سبحانه – من صفات الجلال والكمال، التى يعرف بها قدره – سبحانه – فضلا عن إثبات وجوده ـ عزوجل.

« وكل ما تعارضت فيه أنظار العقلاء ، وقدحت فيه شكوك الأذكياء فلاشك أن لأهل الإسلام فيه القدح المعلى فى إثبات الصانع الحكيم – سبحانه وتعالى – وعلى كل حال فالنبوات وآياتها البينة ومعجزاتها الباهرة، وخوارقها الدامغة أمر كبير وبرهان منير، ما طرق العالم له معارض ألبتة، خصوصا مع قدمه وتواتره، فإن آدم أول البشر وأبوهم، نبى مرسل إلى أولاده، ثم لم تزل رسل الله– عزوجل– تتوالى مبشرين ومنذرين، وعاضدين لفطرة الله، التى فطر الخلق عليها، فلا أشفع ولا أنفع من النظر فى كتبهم ومعجزاتهم وأحوالهم. ثم اعتضد ذلك بأمرين.

أحدهما : ـ استمرار نصر الأنبياء فى عاقبة أمرهم وإهلاك أعدائهم بالآيات الرائعة

وثانيهما : ـ سلامتهم ونجاتهم – مع أتباعهم على الدوام – من نزول العذاب عليهم كما نزل على أعدائهم – ولا مرة واحدة. وذلك تبين فى القرآن وفى جميع كتب الله – تعالى – وفى جميع تواريخ العالم

ومن غريبها الذى لايكاد أحد ينظر فيه حفظهم – مع ضعفهم – من الأعداء الأقوياء، مثل حفظ موسى وهارون من فرعون مع ظهور قدرته، ولذلك قالا : كما ذكره الله فى كتابه –

﴿ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾(٧)

فقال الله – تعالى – لهما . .

﴿ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾(٨).

فهذا يدل على الله أوضح الدلالة حيث جمعت قدرته الباهرة خرق العادات فى نصرتهم بالأسباب الباطنة والظاهرة، وكذلك عقوبات أعداء الله الخارقة كمسخ أهل السبت قردة، وبمثل هذا يعلم الله – ضرورة – لأن مثل ذلك لايصح بالطبع وهو متواتر مع اليهود، مع ثبوته فى كتاب الله وقد خاطبهم القرآن به، فلو لم يكن هذا حقا معلوما عند خصوم رسول الله لبادروا إلى التكذيب والتشنيع (٩).

---

(٥) البقرة: (١٦٤). (٦) الجاثية: (٣-٤). (٧) طه: (٤٥).

(٨) طه: (٤٦). (٩) من كتاب إيثار الحق على الخلق لابن الوزير (٥٤) وما بعدها بتصرف.

إن وجود الله – تعالى – وثبوت قدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له – بالضرورة – كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة، كل ما نشاهده من حجر ومدر، ونبات وحيوان وشجر. وسماء وأرض وكوكب، وبر وبحر، ونار وهواء، بل أول شاهد عليه أنفسنا نحن وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا فالله – تعالى – هو أظهر الأمور، وبه ظهرت الأشياء كلها، ولولاه ما كانت. وقد علمنا الله أن من أسمائه الظاهر. فلو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدمت السموات والأرض

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[10].

وهذه إحدى الحجج التى وهبها الله لإبراهيم ـ عليه السلام ـ فاحتج بها على قومه، وسجلها القرآن الكريم فى قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[11].

والمهتدون حقا هم الموحدون الذين يؤمنون أن الله واحد لاشريك له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله، وأن جميع الأمور إليه، وكل شىء فى قبضته

﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[12].

فهو صاحب السلطان المطلق، وهو الكامل الذى لامنتهى لكماله، وهو الصمد الغنى الذى يقصده كل الخلق ويحتاجون إليه.

ولذلك فإن أولئك الذين اعترفوا بوجود الله ولكنهم أشركوا معه غيره قد ضلوا السبيل وحبطت أعمالهم لأنه ـ سبحانه ـ أغنى الشركاء عن الشرك، كما جاء فى الحديث القدسى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله – ﷺ ـ قال: « قال الله – عزوجل – من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله وأنا أغنى الشركاء عن الشرك »[13].

وكما قال الله – تعالى –:

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[14].

وأهل مكة كانوا يعترفون بوجود الله، ويعترفون بأنه الخالق وأنه الرازق، وأنه هو العزيز العليم، وأنه رب السموات السبع ورب العرش العظيم، وأنه مالك الأرض ومن فيها، وأن بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولايجار عليه. وغير ذلك مما صرحت به الآيات القرآنية منسوبا إليهم ومعترفا به منهم، ومع ذلك فقد ضلوا عندما عبدوا مع الله آلهة أخرى زعموا أنها شفعاء لهم عند الله، أو أنها تقربهم إلى الله زلفى.

---

(١٠) فاطر: (٤١). (١١) الأنعام: (٧٦–٧٨). (١٢) الزمر: (٦٣).

(١٣) رواه الترمذى وابن جرير. (١٤) البقرة: (١٦٣).

ولما كان هذا الاعتقاد منافيا لصفة الوحدانية التى وصف الله بها ذاته كانوا كفاراً ضالين ولم يكونوا من المهتدين. يقول الله – تعالى – :

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾(١٥).

والدين الخالص هو شهادة أن لا إله إلا الله، ولهذا فإن من اتخذوا من دون الله أولياء زاعمين أن عبادتهم لها تقربهم إلى الله سيقفون بين يدى الله يوم الحساب ليجازوا على كفرهم بالله، ولا يكتب الله الهداية لمن قصد الكذب والافتراء على الله – تعالى – وهذا مسلك سلكه المشركون فى قديم الزمن وحديثه، وقد جاء كل رسل الله بتكذيب هذه المزاعم والنهى عنها والتحذير منها والدعوة إلى عبادة الله وحده لاشريك له، يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(١٦).

ولما زعم أهل مكة أن لله ولداً وجعلوا هذا الولد أنثى، أنكر الله عليهم زعمهم، ورد عليهم بأن الأصنام ما هى إلا أسماء سموها بلا سند ولاحجة ، وأنهم ما اتبعوا فى ذلك سوى الظن والهوى، وذلك على الرغم مما جاء به الرسل من الهدى والحق. وقد سخر القرآن الكريم من مقالتهم وأبطلها فى قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾(١٧).

وقد ضل اليهود والنصارى فى نظرتهم إلى أنبيائهم حيث رفعوهم إلى مصاف الآلهة مع أن هؤلاء الأنبياء ليسوا إلا عبيداً موهوبين بعثهم الله إلى خلقه ليدعوهم إلى عبادته وحده.. وبذلك ضل هؤلاء الطريق حين كذبوا على أنفسهم ونسبوا إلى الله مالا يليق.

ومن الحماقة أن يظن أحد أن أى بشر مهما كان قدره يستطيع أن يخلق كوكبا، لا، بل إنه لايستطيع أن يخلق ذبابة فما دونها.. وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(١٨).

وبهذا الذى فعله اليهود والنصارى صاروا فى عداد الكافرين. يقول الله ـ تعالى ـ:

---

(١٥) الزمر: ٣.

(١٦) النحل: ٣٦.

(١٧) النجم: ١٩-٢٣.

(١٨) الحج: ٧٣-٧٤.

﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾(١٩).

ويقول الله تعالى :

﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾(١٩).

إن الله – تبارك وتعالى – بفضله وكرمه – بين لنا طريق الهداية، ودلنا على سبيل معرفته والاستقامة على امره.. وذلك منذ بداية سكنى الإنسان على هذه الأرض. يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾(٢١).

فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها.

وقد جاء رسل الله ليعرفونا بالله ويهدونا إلى سبيله. وقد بينوا لنا أن صفات الله من أهم طرق المعرفة والهداية، وبالنظر فى هذه الصفات العلى والأسماء الحسنى نعرف الله ونهتدى إلى ما يحبه ويرضاه.

وأسماء الله الحسنى تفتح آفاقا واسعة من المعرفة بالله إذا فهمها الإنسان وأدرك معناها وانفعلت بها نفسه وتأثرت بها مشاعره، واتخذها نبراساً يستضىء بهديها. ومطلوب من أهل الهداية والراغبين فيها أن يجعلوا هذه الصفات هاديا ومرشداً لهم. ولعل هذا المعنى هو الذى يشير إليه الحديث الشريف « لله تسعة وتسعون اسما مائة إلا واحداً لايحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتريحب الوتر»(٢٢).

أى من حفظها ووعاها واستحضر معناها واستشعر فى نفسه آثارها وتخلق بما تشير إليه من أخلاق سامية وفضائل عالية دخل الجنة.

وبهذا تكون صفات الله إعلاما هادية لخلقه، على ضوء معرفتها يهتدون ويعملون ويسعدون فى الدنيا والآخرة.

وبناء على هذا فإن علينا أن نسير على هدى معانى هذه الصفات الجليلة، ونتخذها

---

(١٩) التوبة: (٣٠-٣١).

(٢٠) المائدة: (٧٢-٧٥).

(٢١) البقرة: (٣٨).

(٢٢) متفق عليه، عن أبى هريرة.

مثلا ونبراساً حتى نصل إلى أقصى ما يمكن من درجات السمو النفسى والارتقاء الروحى والسلوك السوى الراقى.

وهذه نظرة سريعة فى بعض هذه الصفات العلى والأسماء الحسنى لنتملى بعض ما ترشد إليه.

من أسماء الله - سبحانه - الرحمن الرحيم، أى: الذى ينعم على مخلوقاته دون أن يكون له إليهم حاجة. ونفهم من هذا أن الله يحب من عباده أن يكونوا رحماء.

وفى هذا يقول رسول الله - ﷺ - «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»[٢٣].

ويقول ﷺ: «من لايرحم الناس لايرحمه الله»[٢٤].

ومن أسماء الله - سبحانه - الحكيم أى صاحب الحكمة البالغة لكمال علمه وإتقانه.. ومن شأن المؤمن حين يدرك دلالات هذه الصفة أن يطمئن إلى أن كل ما يجريه الله عليه من الأقدار فيه خير له وإن لم يكن ذلك ظاهراً له. وعليه أن يطيع ويفوض الأمر إلى الله ويرضى. وإلى هذا يشير قول الله تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢٥].

ويقول الإمام أبوحامد الغزالى فى كتابه «المقصد الأسنى..» عند شرحه لصفتى الرحمن الرحيم «سؤال وجوابه. لعلك تقول ما معنى كونه رحيما وأرحم الراحمين والدنيا طافحة بالأمراض والمحن والبلايا، وهو قادر على إزالة جميعها وتارك عباده ممتحنين.؟

فجوابك أن الطفل المريض قد ترق له أمه فتمنعه من الحجامة، والأب العاقل يحمله عليها قهراً؛ والجاهل يظن أن الرحيم هو الأم دون الأب، والعاقل يعلم أن إيلام الأب بالحجامة من كمال رحمته، وأن الأم عدو له فى صورة صديق. فإن ألم الحجامة القليل إذا كان سببا للذة الكثيرة لم يكن شراً بل كان خيراً، والرحيم يريد الخير بالمرحوم لا محالة، وليس فى الوجود شر إلا وفى ضمنه خير، ولو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذى فى ضمنه وحصل ببطلانه شر أعظم من الشر الذى يتضمن ذلك الخير[٢٦] ومن أسماء الله - سبحانه - الملك. ومعناه المتصرف فى ملكه كيف يشاء لايسئل عما يفعل ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه. ومعرفة دلالات هذه الصفة تدعو المؤمن إلى الرضا بقضاء الله وقدره والصبر على مايصيبه، والإحساس بالعبودية للمالك العظيم - جل فى علاه -.

ومن أسماء الله - سبحانه- المتكبر، أى: المتفرد بصفات العظمة، فلا ينازعه أحد فى سلطانه، ولا يدانيه أحد فى كبريائه.

ومن شأن إدراك المؤمن لدلالات هذه الصفة أن تجعله يتخلق بخلق التواضع الذى يرفع من شأنه ويعلى من قدره.

ومن أسماء الله - سبحانه - الغفار، أى كثير المغفرة. ومن شأن المؤمن حين يدرك دلالات هذه

---

(٢٣) رواه أحمد وأبوداود والترمذى والحاكم عن عبدالله بن عمرو.

(٢٤) متفق عليه عن جرير بن عبدالله.

(٢٥) البقرة: (٢١٦).

(٢٦) نقلا عن كتاب إيثار الحق على الخلق (٢٠٥).

الصلة أن يغفر لمن أخطأوا فى حقه، وأن يحسن إلى من أساءوا إليه. وهذا المعنى هو الذى يشير إليه قول الله - تعالى -:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(27).

وحين سمعها أبوبكر الصديق - رضى الله عنه - وهى تقصده - قال: بلى يارب نحب أن تغفر لنا وعاد للصدقة على قريبه الذى سبق أن أساء إليه، وكان قد حلف ألا يتصدق عليه بعد تلك الإساءة الشنيعة، حيث كان ممن شارك فى حديث الإفك عن السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق - رضى الله عنها -.

ومن أسماء الله - سبحانه - الرزاق. أى خالق الأرزاق وخالق أسبابها. ومن شأن المؤمن حين يدرك دلالات هذه الصفة أن يسعى فى طلب الرزق متوكلا على الله، واثقا أن الأمور بيد الله فلا يغتر بجهده ولا بما جمعه بواسطة هذا الجهد فما هى إلا أرزاق مقسومة.. وعلى المؤمن أن يتحرى الحلال ويتعفف عن الحرام ومن أسماء الله - سبحانه- المعز والمذل، أى: الذى يعز أولياءه المستمسكين بدينه، ويذل أعداءه الكارهين لدينه.. ومن شأن المؤمن حين يدرك دلالات ذلك أن يعتز بصلته بالله وأن يثق فى وعده، ويطمئن إلى تأييده ونصره، فلا يرضى بالذلة والاستكانة. وفى هذا يأتى قول الله - تعالى -:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(28).

كما يأتى قول الله - تعالى -:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾(29)

وكذلك يأتى قول الله - تعالى -:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾(30).

وهذا سر من أسرار ثبات القلة المؤمنة فى مواجهاتها مع الكثرة الطاغية الباغية حتى أتاها نصر الله وحقق الله وعده، والله لايخلف الميعاد.

ولو تتبعنا كل أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وبحثنا عما فى كل منها من معارف وهدايات وما ترشد إليه من أخلاق وكمالات، لطال بنا الكلام مما لايتسع له المقام وعلى من أراد المزيد أن يرجع إلى ماكتبه فى هذا أئمة الإسلام الأعلام(31) الذين نسأل الله - سبحانه - أن ينفعنا بعلمهم وأن يجزيهم عنا خير الجزاء.

---

(27) النور: (22).
(28) المنافقون: (8).
(29) المجادلة: (20-22).
(30) فاطر: (10).
(31) من أحسن ما كتب فى هذا «المقصد الأسنى» للغزالى.

جدال المشركين للنبى صلى الله عليه وسلم

للأستاذ الدكتور / محمد ابراهيم الفيومى

١ ـ المجادلة فى حقيقة الروح

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قالت قريش لليهود أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح فنزلت

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(١).

قالوا: أوتينا علما كثيراً ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيراً كثيراً: فأنزل الله ـ عز وجل ـ:

﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ ﴾(٢)، (٣).

وقد أعاد اليهود هذا السؤال على النبى فى المدينة بعد الهجرة فأعيد الجواب.

٢ ـ المجادلة فى مصدر القرآن الكريم

وقد ورد فى القرآن أن مشركى قريش ادعوا أن الرسول ـ ﷺ ـ يستقى القرآن من مصدر نصرانى أو يهودى

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾(٤).

٣ ـ المجادلة فى إنزال القرآن منجما

نزول القرآن منجما وجدال المشركين فى ذلك ورد القرآن عليهم:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾(٥).

٤ ـ المجادلة فى البعث

حيث جاء العاصى بن وائل بعظم بال إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وسأله إذا ما كان الله ـ سبحانه وتعالى ـ يبعث هذا فقال له الرسول ـ ﷺ ـ نعم ويبعثك ويدخلك النار» فنزل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾(٦)، (٧).

---

(١) الإسراء آيه ٨٥.
(٢) الكهف آيه ١٠٩.
(٣) رواه أحمد فى المسند ج١/٢٥٥.
(٤) النحل آيه ١٠٣.
(٥) الفرقان آيه ٣٢.
(٦) يس آيه ٧٨.
(٧) أنظر أسباب النزول للنيسابورى ٢٠٦ ـ مكتبة المتنبى وتفسير القرطبى ١٥/٥٨، والبحر المحيط لأبى حيان ج٧/٣٤٨.

الاختلاف فى فهم السنة

ثبوت الحديث لدى البعض وعدم ثبوته عند آخرين، أو يصل إلى قوم ولا يصل للآخرين، فيختلط أمر كل لدى الأخر.

ومن أشهر الأمثلة على الاختلاف فى الحكم نتيجة لعدم العلم بالحديث، وارتفاعه بعد العلم بثبوته.

مارواه ابن عباس – رضى الله عنهما ـ أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ ـ موضع قرب الشام ـ لقيه أمراء الأجناد: أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام قال ابن عباس: فقال لى عمر: أدع لى المهاجرين الأولين فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا ،فقال بعضهم: خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه.

وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله – ﷺ – ولا نرى أن نقدمهم على هذا الوباء. فقال: ارتفعوا عنى ثم قال: ادع لى الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم فقال: ارتفعوا عنى. ثم قال: ادع لى من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف عليه منهم رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء.

فنادى عمر ـ رضى الله عنه ـ فى الناس إنى مصبح على ظهر فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح ـ رضى الله عنه ـ: أفرارا من قدر الله؟ فقال: عمر ـ رضى الله عنه ـ ، لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ـ وكان عمر يكره خلافه ـ نعم، نفر من قدر الله، إلى قدر الله أر أيت لو كان لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان: إحداهما خصبة والأخري جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟!

قال فجاء عبدالرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ وكان متغيبا فى بعض حاجته فقال: إن عندى من هذا علما سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض فلا تخرجوا فرارا منه ».

فحمد الله ـ تعالى ـ عمر ـ رضى الله عنه ـ وانصرف. متفق عليه(٨).

الاختلاف فى الجمع والترجيح

الاختلاف فى الجمع والترجيح بين النصوص فقد تتعارض ظواهر بعض النصوص الشرعية فيختلف العلماء فى الجمع بين

(٨) الحديث رواه البخارى ج ١٧٩/١٠ ومسلم ١٧٤٠/٤.

ظواهرها والتوفيق بين معانيها أو فى ترجيح بعضها على بعض مما ينتج عنه اختلاف فى الأحكام الشرعية.

علما بأن هذا التعارض يأتى فيها من ناحية الظاهر فقط ومن ناحية خفاء وجه التوفيق، ومن ناحية توهم ما ليس بدليل دليلا ـ فإذا كان أحد الدليلين خبر آحاد وفى سنده رجل لم يشتهر بالعدالة ويعارض حديثا آخر صحيح النسبة للنبى ـ ﷺ ـ فإن أحد الدليلين المتعارضين وهمى لا حقيقى فيسقط لأنه لم تثبت نسبته إلى النبى، وقد يكون سبب التعارض من ناحية توهم أن نصين من النصوص يدلان على حكمين متعارضين بينما النصان فى الواقع لا تعارض فى حكمهما، بل لكل واحد منهما جهة غير الجهة الأخرى، فالتعارض فى عقل المجتهد لا فى النص ولا فى مدلوله(٩).

فإذا كان الحديثان فى درجة واحدة والسند فى قوة واحدة ولكن أحدهما رواه صحابى فقيه رجحت روايته على غيره عند أبى حنيفة، وعند مالك ـ رضى الله عنه ـ يرجح الحديث الذى يكون عليه عمل أهل المدينة على غيره، وعند غيرهما يكون الترجيح بقوة الرواة (١٠).

مناظرة بين الرسول ـ ﷺ ـ وابن الزبعرى

يروى أن رسول الله ـ ﷺ ـ دخل المسجد وصناديد قريش فى الحطيم، وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما، فجلس إليهم فعرض له النضر بن الحارث، وكلمه رسول الله حتى أفحمه، ثم تلا عليهم:

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾(١١)

الآية فأقبل عبدالله بن الزبعرى، فأخبر الوليد بن المغيرة بما جرى، فقال معترضا: أليس اليهود عبدوا عزيرا، والنصارى عبدوا المسيح. وبنوا مليح عبدوا الملائكة؟ فقال ـ عليه السلام ـ: «بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك» وأنزل الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ ﴾(١٢) الآية فخرج من الحديث الآية جواب ابن الزبعرى على أتم وجه وأكمله كأنه قيل أولا، إن الآية باقية على مجموعها لأن الذين عبدوا عزيرا والمسيح والملائكة لم يعبدوهم فى الحقيقة، وإنما عبدوا الشياطين التى دعتهم إلى ذلك، ولئن سلم أنهم عبدوهم فى الحقيقة لكنهم مخصوصون بما سبقت لهم منا الخصلة الحسنى وهى السعادة أو البشرى بالثواب أو بتوفيق الطاعة، وكل ميسر لما خلق له، ومن المفسرين من أجاب على اعتراض ابن الزبعرى

---

(٩) أصول الفقه الشيخ أبى زهرة ٢٨٨ ـ ٢٨٩.
(١٠) المصدر السابق ص٢٩١.
(١١) الأنبياء آيه ٩٨.
(١٢) الأنبياء آية ١٠١.

بوجوه أخرى: منها أن قوله: «إنكم» خطاب لمشركى قريش وأنهم لم يعبدوا سوى الأصنام، ولقائل أن يقول: حمل الآية على العموم أتم فائدة، ومنها أن قوله وما تعبدون لا يتناول العقلاء فيسقط الاعتراض، ولقائل أن يقول: «ما» أعم لا مباين فيشمل ذوى العقول ولهذا جاء

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾[١٣] ما سخر لنا، ومنها أنه ـ تعالى ـ يصور لهم فى النار ملكا على صورة من عبدوه، وضعف بأن القوم لم يعبدوا تلك الصورة، وبأن الملك لا يتعذب بالنار كخزنة جهنم، وأعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقوله: (إن الذين) لا يبعد أن يكون عاما لكل المؤمنين، ويؤيده ما روى أن عليا قرأ هذه الآية ثم قال: أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن بن عوف، وزعم مثبتو العفو أن الحسنى فى الآية: هى الوعد بالعفو[١٤].

٥ ـ الحجاج بين النبى ـ ﷺ ـ والنصارى

وأهم هذه المواقف التى تدل على أنه كان ينعقد بين النبى ـ ﷺ ـ وبعض النصارى مناظرات ما كان بين النبى ـ ﷺ ـ ووفد من نصارى نجران اليمن، ويستفاد من الروايات أن هذا الوفد كان مؤلفاً من ستين شخصاً منهم أربعة عشر من أشرافهم» وثلاثة من كبار رجال دينهم، فاجتمعوا بالنبى فى مسجده، وعليهم الحبرات وجرت بينهم مناظرة كان أهم مواضيعها ولادة عيسى ـ عليه السلام ـ وصلته بالله ورسالته، وقد جادلوه مستشهدين بما قرره من أن عيسى ـ عليه السلام ـ كلمة الله وروحه، ورد عليهم منددا بتأويلاتهم التى لا تتسق مع جوهر الأمر، ومبدأ التوحيد المطلق الذى قرره القرآن ودعا إليه، ولكنهم لم يقتنعوا وظلوا يدعون أنهم على الحق، فطلبهم بأمر الله القرآنى إلى المباهلة أى أن يدعو ويدعوهم بأن تكون لعنة الله على الكاذبين، فلم يجيبوا الطلب ووادعوه وانصرفوا [١٥] وذلك كله فى الجزء الأول من سورة آل عمران[١٦].

من جدال الصحابة

١ ـ مجادلتهم فى اختيار الخليفة فى سقيفة بنى ساعدة.

٢ ـ مجادلتهم فى جمع القرآن.

٣ ـ مجادلتهم فى حروب المرتدين.

٤ ـ مجادلتهم فى تقسيم فئ العراق عندما أراد عمر تقسيمه.

---

(١٣) الشمس آيه ٥.

(١٤) تفسير النيسابورى لقوله ـ تعالى ـ: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾.

(١٥) «سيرة النبى» عزة دروزة ج٢/٢٣٧.

(١٦) انظر المناظرة فى الآيات القرآنية من سورة آل عمران فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾.. الآية ٦ وفى قوله:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾.. الخ الآيات ٥٩ ـ ٦٠.

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نظر المنصفين

للشيخ / الخضري عبد المنعم علي

في ذكرى مولد الرسول محمد - ﷺ - نذكر أن الله قد أكرم به الإنسانية حيث جعله نوراً يهتدي به.

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١).

أدبه الله وعلمه، كيف يتعامل مع خلائق الإنسانية المتغايرة، بل والمتنافرة فأنزل عليه قوله ـ تعالى ـ:-

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(٢).

سموا برسول الله - ﷺ - عن عثرات الناس، وقصور مصارفهم وإدراكهم لعظيم قدره، وعلو منزلته، حيث كان من سمة العظماء أن ينأوا عن الصفارة والصغائر وأن تبرز خصائص النفوس الزالية عند جهل الجاهلين.

هذا النبي الذي حباه ربه بنعمه، ففضله على جميع خلقه، وكرمه وأكرمه بميزات، لم يعطها غيره من الأنبياء والرسل - عليه وعليهم الصلاة والسلام - وبما لاطفه به، وواساه، وامتدحه، وأثنى عليه، وبما كمل به محاسنه خَلْقا وخُلُقا وبما أضفاه عليه من أسمائه.

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣).

---

(١) سورة المائدة (١٥، ١٦). (٢) الأعراف (١٩٩). (٣) التوبة (١٢٨).

وقد جعله أمانا لأمته لقوله تعالى ـ :ـ

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(٤).

إن اول ما يقع بصر الإنسان على رسول الله، يشعر أنه أمام جمال مدهش لا مثيل له، ومظهر يوحى بثقة لا حد لها، وهذا ما ينعقد عليه إجماع من شاهدوه – عليه الصلاة والسلام –.

وما عرف التاريخ إنسانا كمل فى كل الجوانب إلى درجات الكمال، غير محمد – ﷺ – مع ملاحظة أن كمالاته هنا جانب من جوانب كمالاته المتعددة، التى لايحيط بها غير خالقها، وبشهادة العدو، والصديق، والمؤمن، والكافر. وما بلغ أحد فى تاريخ البشرية ما بلغه سيدنا محمد – ﷺ – فى تلك الجوانب كلها، ولقد كتب عن نبينا محمد – ﷺ – بإنصاف الكثير من الفلاسفة، والمستشرقين، ومن هؤلاء :ـ

١ـ بوزورث سميث حيث يقول : إن محمداً بلا نزاع أعظم المصلحين على الإطلاق

ـ٢ـ هنرى الفرنسى يقول فى معرض الاستدلال على صدق رسالة محمد – ﷺ – : لسنا نحتاج فى إثبات صدقه إلى أكثر مما يأتى :ـ

(أ) كان محمد أمياً لا يقرأ، ولا يكتب، وهذا الوصف لم يعارض فيه أحد

(ب) أنه لم يسترشد فى دينه بمرشد يتقدمه

(ج) وأنه كان ينفر من عبادة الأوثان، وتعدد الآلهة، وكان يعرف بوجدانه : الواحد الأحد، لما اعتكف وحده بغار حراء.

(د) ومع كونه أميا، ومعه قرآن يعجز فكر البشر عن الإتيان بمثله لفظا ومعنى.

(هـ) وأنه لما قرأ جعفر بن أبى طالب ما جاء فى القرآن عن زكريا ويحيى على النجاشى فاضت عيناه بالدموع، وفى اليوم التالى طلب منه أن يقرأ ما جاء فيه عن المسيح ففعل، فاستغرب الملك لما علم أن المسيح عبد الله ورسوله، فآمن بمحمد وما جاء به.

(و) وأن محمداً، أتى بالقرآن دليلا على صدق رسالته، وهذا الكتاب سر من الأسرار، لا يدركه إلا من صدق بأنه من عند الله.

(ز) أنه كان لايميل إلى الزخارف والاستكبار والبخل، فقد كان يحلب شاته بنفسه، ويجلس على التراب، ويرقع نعله بيده – ﷺ – وكان قنوعاً.

ولقد خرج من الدنيا، ولم يشبع من خبز البر، ولم تكن له حاشية، ولا وزير، ولا حشم، لم يرغب طول حياته فى المال، وكان كل ما يأتيه يتصدق به، وبلغ من السلطان غايته إلى غير ذلك من الحقائق، التى ذكرها هذا المنصف بلا تشويه.

برنارد شو

يقول برنارد شو :

«إن الإسلام دين يستحق الاحترام والإجلال؛ لأنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، وهو خالد خلود الأبد، وإنى أرى كثيراً من بنى قومى من العلماء قد دخلوا هذا الدين على بينة من أمرهم، ومستقبلاً سيجد هذا الدين مجاله الفسيح فى كل أنحاء أوربا.

(٤) الأنفال (٣٣).

وقد درست سيرة محمد فوجدته بعيداً عن مخاصمة المسيح، ويمكن بحق أن نعتبر محمداً منقذاً للإنسانية، وأعتقد أن رجلا مثله لو حكم العالم بآثاره وخلقه لجلب للعالم السلام والسعادة. وقد برهن الإسلام من ساعته الأولى أنه دين الأجناس جميعاً، وإذ ضم سلمان الفارسى، وبلال الحبشى، وصهيبا الرومى، كما اعتنقه مجموعات من النصارى واليهود وعبدة الأوثان، وانصهر الجميع في بوتقة واحدة دون فروق على الإطلاق، ولم يحس أى منهم أنه غريب عن هذا الدين، وبعد فترة اتصل هذا الدين بأجناس متعددة بينها الأسود والأصفر والأبيض، وكانوا جميعاً فى رحابه متساوين سعداء »

السير توماس أرنولد

ألف ذلك العلامة كتابا أسماه « الدعوة إلى الإسلام » فيه يسوق الأدلة والبراهين على أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف، كما زعم أعداؤه، ومن هذه البراهين :-

(١) إسلام بعض الصليبيين قبل موقعة حطين، أى : قبل انكسار شوكتهم فى هذه المعركة، بل كانوا فى أوج قوتهم مما يدل على أنهم أسلموا عن طريق الاقتناع، الذى هو الطريق إلى الإسلام دائماً.

٢-إسلام المغول فى وقت كانوا فيه المتغلبين على العرب، بل وعلى غير العرب.

(٣) انتشار الاسلام فى الملايو، وإندونيسيا، والفلبين دون أن تطأ هذه البلاد قدم جندى عربى واحد، ولكن عن طريق التجار وغيرهم، وذلك عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة، فأى سيف كان يجبر هؤلاء الصليبيين العتاة وهؤلاء المغول الجبابرة على الإسلام؟

ولكن كل ما نقوله : أن الذى جعلهم يسلمون هو : سماحة الإسلام وعظمته، هذا بجانب أن اللّه - سبحانه وتعالى - ينهى عن استعمال الشدة فى نشر الدين تطبيقاً لقوله ـ تعالى ـ

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾(٥).

كما يقول سبحانه ـ وتعالى ـ

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾(٦).

أما استخدام السيف فلا مجال له فى نشر الدين، اللهم إلا فى حالة الدفاع عنه، فهذا أمر واجب يقره العقل قبل الدين.

الإسلام والحضارة

يوضح الأستاذ جورج سارلمون أن الإسلام شجع الفكر الحضارى، فى العلوم التجريبية فى حين وقفت المسيحية ضد هذا الفكر، فابن النفيس قد اكتشف الدورة الدموية الصغرى، قبل أن يعرف (ميخائيل سرفيت) الأسبانى ذلك بمائتى وخمسين عاماً، ولقد عرف المسلمون فضل ابن النفيس لكن سرفيت أحرق علناً فى جنيف عام ١٥٥٣م.

أما التشريح فقد كان فى أوربا ممنوعا البتة،

(٥) البقرة (٢٥٦).

(٦) النحل (١٢٥).

ولكن صناعة التشريح بلغت أعظم مدى فى المشافى الإسلامية، وما يقال عن التشريح يقال عن أمراض العين، فإن المسلمين كانوا حتى القرن الثالث عشر رواد العالم فى أمراض العيون.

وعن مدى الفائدة التى عادت على الغرب من ترجمة الفكر الإسلامى يقول **روجيه غارودى**

إن نهضة الغرب لم تبدأ فى إيطاليا مع إحياء الثقافة اليونانية والرومانية، بل بدأت فى أسبانيا مع إشعاع العلوم والثقافة الإسلامية والعربية، والنهضة الغربية لم تأخذ من العلوم العربية والإسلامية سوى المنهج التجريبى، والقوانين العلمية وتركت الإيمان الذى يوجهها نحو الإله، ويسخرها لخدمة البشر.

رأى المسيو رينيه فى الإسلام

يقول الفنان الكبير «المسيو رينيه» الرسام الفرنسى، بعد أن أسلم وسمى نفسه باسم : (ناصر الدين) : إن العقيدة الإسلامية لا تقف عثرة فى سبيل الفكر، وإن الإسلام صالح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس، فهو صالح كذلك لكل أنواع العقيدة، وجميع درجات المدنيات، وهو كما يبهج الرجل العملى فى لندن مثلاً – فإنه يأخذ بلب الفيلسوف الرومانى، كما يتقبله الشرقى صاحب الخيال الشعرى فى السماء والماء، وضوء القمر وهدوء السحر، والصحراء، والزرع والشجر، كما يأخذ بمجامع المفكر الغربى، الذى عكف على الإبداع فى الفن، ورسم الصور الرائعة فى الشعر والنثر، فكم من فيلسوف، وقسيس، ومصور، وشاعر، وطبيب، وصيدلى، ومحام، وسياسى فى الشرق والغرب قرءوا عن الإسلام فبهرهم، واستحوذ عليهم تناسقه مع الفطرة، وجذبتهم إليه عقائده وعباداته فآمنوا به؛ راغبين راسخين، لارهبة، بل اقتناعاً عميقاً، وحباً، فهو الرحيق السائغ، والمنطق السليم، والمنهج السليم.

جوستاف لوبون

يقول هذا المفكر: إن للإسلام وحده الفخار بأنه أول دين قال بالتوحيد المحض الخالص، وبأنه أول دين نشر أتباعه ذلك التوحيد فى أنحاء العالم، فالإله الواحد المطلق، الذى دعا إليه الإسلام منزه عن شريك له، وتشتق سهولة الإسلام من التوحيد الخالص، وفى التوحيد سر قوة الإسلام، وهو من أكثر الديانات ملاءمة لمناخ العالم واكتشافاته، ومن أعظمها تهذيبا للنفوس، ودعوة إلى العدل وإلى التسامح.

وفى الحقيقة أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، فالإ سلام هو الذى أعطى الفاتحين هذه الرحمة، وهذا التسامح.

الكاتب الإنجليزى الأشهر (توماس كارليل)

يقول هذا الكاتب الكبير فى كتابه «الأبطال» :–

لقد أصبح من أكبر العار على أى متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى أناس حاقدين كاذبين على محمد، وآن لنا أن نحارب مزاعمهم السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التى أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرناً. لنحو مائتى مليون من الناس بعد المليار نسمة. خلقهم اللّه كخلقنا، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التى عاشت بها الملايين وماتت عليها أكذوبة وخدعة؟! أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأى أبداً ولو أن الكذب والغش يروجان عند

الخلق فى الناس المجانين، ولو كانت الحياة مجرد سخف وعبث وأضلولة، لكان الأولى بها ألا تخلق - ثم قال - : والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبنى بيتاً من الطوب، فهو إذا لم يكن عليما بخصائص الجير والتراب وما شاكلهما فما الذى يبنيه ببيت وإنما هو تل من الأنقاض، لا يستطيع أن يبقى على دعائمه إثنى عشر قرناً من الزمان، يسكنه الآن مائتا مليون مسلم.

ول ديورانت صاحب قصة الحضارة

كتب مجلداً كاملاً عن الحضارة الإسلامية، وقد نظر إلى أمر النبى فى المجتمعات، التى آمنت به، وفى تواضعه، الذى لم تعرف له البشرية مثيلا فيقول :-

(إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر فى الناس، لقلنا إن محمدا كان أعظم عظماء التاريخ، فقد رفع المستوى الروحى للوفاء والإخلاص من بعد أن ألقت به فى ظلمات الهمجية حرارة وجدب الصحراء، وقد نجح محمد برسالته فى ذلك نجاحا عظيماً لم يدانية أحد على مدى التاريخ، لقد كبح محمد جماح التعصب، وقضى على الخرافات، واستطاع فى جيل واحد أن ينتصر فى مائة معركة، وفى قرن واحد أن ينشىء دولة عظمى، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم، لم يتظاهر محمد قط بأبهة السلطان، بل كان يرفض أن يوجه إليه شىء من التعظيم والتبجيل، يقبل دعوة العبد الرقيق إلى الطعام، ولا يطلب من عبد أن يقوم له بعمل يجد لديه من القوة والوقت ما يمكنه من عمله، لم يكن ينفق على أسرته من المال إلا القليل، رغم ما كان يرد إليه من الفىء الكثير، أما ماينفقه على نفسه فكان أقل القليل، وكان يخص الصدقات بالجزء الأكثر من هذا المال.

الكاتب الهندى. ميهاتا صاحب كتاب «الحضارة الهندية والإسلام»

يقول : (إن الإسلام قد حمل إلى الهند مشعلاً من نور انجلت به الظلمات، التى كانت تغشى الحياة الإنسانية فى عصر مالت فيه المدنيات القديمة إلى الانحطاط والتدنى، وأصبحت الغايات الفاضلة معتقدات فكرية، لقد كانت فتوح الإسلام فى عالم الاقتصاد والأفكار أوسع وأعظم، منها فى حقل السياسة، شأنه شأن الأقطار الأخرى، لقد كان من سوء الحظ أن ظل تاريخ الإسلام فى هذا القطر الهندى مرتبطاً بالحكومات فبقيت حقيقة الاسم فى حجاب، وبقيت عبادته مختفية عن الأنظار.

ميشيل هارت وكتاب المائة الأوائل وأعظمهم محمد

يقول : (إن اختيارى لمحمد ليكون الأول بين ذوى النفوذ المؤثرين فى العالم قد يدهش بعض القراء، ويصير مثار تساؤلات من البقية. ولكن هو الوحيد فى التاريخ، الذى كان امتيازه متكافئاً على المستوى الدينى والدنيوى... وبأصول متواضعة أسس محمد ديانة من ديانات العالم العظيمة، وأصبح زعيماً سياسياً، ورغم مرور أكثر من ١٣ قرنا لا يزال نفوذه الدينى والسياسى عميقاً ومستمراً.

ثم يقول مبرزاً سبباً آخر من أسباب اختياره نبى الإسلام ليكون الأول؛ «إن معظم

الذين غيروا التاريخ ظهروا فى قلب أحد المراكز الحضارية فى العالم فى بيئة متمدينة تبرز ظهور العظماء فيها، ولكن محمداً هو الوحيد الذى نشأ فى بقعة من الصحراء الجرداء المجردة تماماً من كل مقومات الحضارة والتقدم، ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة، قهرت بعد ذلك إمبراطوريات فارس وبيزنطة وروما المتقدمة بما لا يقاس فى تاريخ الغزو فى كل زمان ومكان يكون الغزو عسكرياً و لكن فى حالة الرسالة المحمدية فإن معظم البلاد التى فتحها خلفاؤه استعربت تماماً وتغيرت لغة وديناً، وقومية، من العراق وسورية إلى آخر الشاطىء الإفريقى غرباً، إلى السودان جنوباً، وأصبحت أمة واحدة تتكلم بلسان واحد إلى الآن، فهناك اليوم بعد ألف وأربعمائة سنة خمسمائة مليون مسلم، ولكن هناك بينهم حوالى مائة وخمسين مليون عربى، وهو معيار قياسى أمد الرسالة ـ إلى جانب استمرارها الزمنى، ـ بثبات ليس له مثل فى تاريخ الفتح الإسلامى فى العالم، كذلك لا يوجد نص في تاريخ الرسالات نقل وبقى بحروفه كاملاً دون تحريف كل هذا الزمن سوى القرآن، الذى نقله محمد، الأمر الذى لا ينطبق على التوراة ـ مثلاً ـ أو الإنجيل.

هكذا نجد أن فتوحات العرب التى بدأت فى القرن السابع الميلادى قد بقيت تلعب دوراً هاماً فى تاريخ الإنسانية حتى يومنا هذا، ومن أجل هذا النفوذ الدينى والدنيوى فإننى وجدت أن محمدا هو صاحب الحق الوحيد فى أن اعتبره صاحب أعظم أثر على الإطلاق فى التاريخ الإنسانى.

وبعـــد :

فهل آن للبشرية أن تعرف طريقها الحق فى المجتمع الأمثل، وتؤمن بأن هذا المجتمع لا يوجد إلا فى إطار الإسلام، والإنسان حين ينظر إلى المجتمع المعاصر ويجد الصراعات المختلفة، التى تدور فى سائر أرجاء الأرض من قتل ونهب ونهش أعراض. فلابد أن يعلم أن المنهج الإسلامى هو المنهج القادر وحده، على العطاء؛ لأنه قائم فى أساسه على الإيمان، ذلك الايمان الذى يولد الحب والرحمة، والعدل، والحرية فى كل الأمم والشعوب، ولا يفرق بين طوائف الشعوب، ولا يفرق بين طوائف البشر.

ولقد لفت نظر (برنارد شو) أسلوب حل المشكلات الذى يتميز به رسول اللّه ـ ﷺ ـ فلم يملك نفسه إلا أن قال وهو غير المسلم :ـ لو أن محمدا رسول الإسلام وجد وسط هذا العالم الملىء بالمشكلات والصراعات، لاستطاع أن يحل مشكلات العالم وهو جالس يحتسى فنجاناً من القهوة.

قال تعالى :ـ

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾(٧).

---

(٧) الصف (٩).

دراسة مقارنة

أسرى الحرب والحفاظ على حياتهم بين اليهودية والإسلام

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

لما ألف « ديفيد بن جوريون » الزعيم اليهودى الذى شارك فى قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين العربية كتابه : (إسرائيل فى سنوات التحدى) ذكر فيه (أن إسرائيل لا تحسب حسابا لدولة عربية إلا لمصر؛ لأنها الدولة العربية الوحيدة التى لها جيش منظم)(١).

وبسبب خوف اليهود من مصر وجيشها، رتبوا سياستهم على الاعتماد على حلفاء أقوياء، أشداء ينصرونهم، ويؤازرونهم، ويقفون إلى جانبهم، ولو بالباطل لذلك فدولتهم تسوس أمورها، استنادا على علاقات وثيقة بينها وبين دول الغرب، فى أوروبا، وأمريكا، تصل عند بعضها إلى حد التحالف معها، فالرأى العام هناك يناصرها، والصحف تكتب لصالحها، والإذاعات تهتف لها، حتى ليبدو للمحللين السياسيين أن العالم كله يعطف على قضيتها، بدعوى أن مصر هى العدو التاريخى لها، وهى العقبة الكئود فى طريق قيام دولة إسرائيل الكبرى.

تحالف اليهود مع الأقوياء

هذه القضية ليست بنت اليوم، أو الأمس، ولكنها تعود لآلاف السنين :

١ ـ فلما ظهرت دولة الإسلام، وحررت الكثير من أقاليم الدولة الرومية، أنقذ الفاتحون المسلمون آلافا من اليهود، كانوا منتشرين فى تلك الأقاليم يقاسون ألواناً شتى من العذاب من حكام دولة الرومان.

٢ ـ كما عاملهم المسلمون معاملة حسنة، عند فتحهم لبلاد الأندلس، فلما خرجوا منها كانوا معهم، واستقروا فى أقطار المسلمين فى المغرب العربى، وتركيا وغيرها من بلاد المسلمين.

---

(١) نقلا عن كتاب اليهود واليهودية للأستاذ الدكتور عبدالجليل شلبى.

وعندما ضعفت قوة المسلمين راح اليهود يتجسسون عليهم لمصلحة الاستعمار الغربى ويغرونه بغزو بلاد المسلمين.

٣ ـ وحينما سطع نجم هولاكو التترى فى المشرق، كاتبه يهود بغداد، وحالفوه وقدموا له المال والمشورة قبل أن يصل إلى بغداد، فلما دخلها وقتل الخليفة العباسى، ومليونا من المسلمين ـ كما يذكر ابن كثير فى تاريخه ـ سلم اليهود، فلم يقتل منهم أحد، كما سلمت أموالهم من النهب والسلب من جيوش التتار.

٤ ـ وفي العصر الحديث ابتدأ رهانهم على فرنسا فحالفوها، وراحوا يتعلمون اللغة الفرنسية، ويعملون فى خدمة النفوذ الفرنسى، وعندما شرعت حكومة الإدارة هناك بعد قيام الثورة الفرنسية فى إعداد الحملة العسكرية على مصر، بقيادة نابليون بونابرت، كان الحصول على الدعم اليهودى لمشروعات الفرنسيين فى الشرق ضمن الخطط الفرنسية، التى تستهدف إقامة كومنولث (أى اتحاد، أو تجمع يهودى) فى فلسطين، وما لبث أن ظهر ذلك المخطط فى النداء، الذى أصدره نابليون خلال حصاره لعكا سنة ١٧٩٩م إلى اليهود الذين اعتبرهم ورثة فلسطين الشرعيين[٢].

٥ ـ وعندما برزت انجلترا قوة جديدة تحولوا إليها، وربطوا مصيرهم بها، وراحوا يغرون حكومتها باستعمار فلسطين وغيرها من بلاد الشرق، واتخذوا من لندن العاصمة البريطانية مقرا لحركتهم ونشاطهم.

٦ ـ فلما توحدت ألمانيا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادى، وبرزت قوة سياسية مدوا نشاطهم إليها، وقام بعضهم بترجمة كتاب اليهود المقدس للألمانية، وراحوا يتعلمون اللغة الألمانية، ويعقدون مؤتمراتهم هناك، ويكتبون بالألمانية كافة قراراتهم.

وبقى الحال كذلك حتى بعد ظهور هتلر زعيم النازية هناك، وكراهيته لهم فقد ظلوا على صلة به يحاولون استثمار كرهه للمساعدة فى تهجير اليهود إلى أرض فلسطين للاستيلاء عليها.

٧ ـ وبعد الحرب العالمية الثانية أدركوا أن مركز القوة قد تحول إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فتوجهوا إلى هناك، رامين بكل ثقلهم المالى والإعلامى والتنظيمى فى تلك البلاد بما يؤثر فى سياستها لصالحهم.

٨ ـ وغدا إذا ما شعروا بأن روسيا أو الصين مرشحة للصعود فسيسارع اليهود للتحالف معها؛ طلبا للمغنم وليس إيمانا بالصداقة، فالأغيار عندهم أشرار، ولا خير فيهم لكنهم يتحسسون القوة؛ ليحالفوا صاحبها. وربما قبل أن يشعر هو بذلك، حتى إذا وقف الحليف على رجليه طالبوه بالثمن بعد أن يكونوا مدوه بالمال، والتجسس لصالحه[٣].

حب اليهود للأقوياء سرى فيهم إلى حب القوة لدولتهم فى زماننا المعاصر

لذلك فهم قد جعلوا دولتهم عسكرية بالدرجة الأولى، كما صنعوا من شعبهم جيش احتياط يدعى للخدمة فى أية ساعة من ليل أو نهار ـ وهو أمر لم تأت به الصدفة، ولكنه صنعه التخطيط، والخوف ممن حولهم من العرب، خصوصا من المصريين.

---

(٢) عن مقال للدكتور على بركات أستاذ التاريخ الحديث ـ نشر بجريدة الأهرام فى ٧من جمادى الاولى سنة ١٤١٩م ـ ٢٩من أغسطس سنة ١٩٩٨م.

(٣) كتاب الأمة ـ (اليهود والتحالف مع الأقوياء) ـ تأليف الدكتور نعمان عبدالرازق السامرائى ـ بتصرف.

وقد قام أحد رجالهم ويدعى (جورج تامارين) باستفتاء لطلبة إسرائيليين فى الثانوية عما فعله « يشوع بن نون » من قتل جماعى لأسرى الفلسطينيين فى زمانه الغابر صغاراً وكباراً، وهل يمكن أن يفعل ذلك الجيش الإسرائيلي أم لا؟ وقد جاءت إجابات هؤلاء الطلبة تحبذ هذا الاتجاه، لذلك فلا غرابة أن يكون هدف حكام دولة إسرائيل حاليا جعل دولتهم قلعة عسكرية حصينة بالنسبة إلى جيرانها العرب، وخصوصا المصريين منهم(٤).

مثال مما فعله «يشوع بن نون» بمن وقع فى يده من أسارى الفلسطينيين فى مدينة أريحا فى الزمن القديم:

أورد السفر الذى يدعى باسمه قوله (فكر يشوع فى الغد، وحمل الكهنة تابوت الرب.... ..... الخ).

(وصعد الشعب الى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة، وحرموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ وحتى البقر والغنم والحمير بحد السيف)(٥).

هذا نص ثابت من تاريخهم القديم، فهل يطمئن امرؤ عاقل على أن سفك دماء أهل المدن الآمنة وحى من السماء؟

إن الأمر الثابت عند هؤلاء اليهود أنهم يصوغون أطماعهم الجشعة، وخططهم الخبيثة، ومؤامراتهم الخسيسة، فى صورة الوحى الإلهى، ويضموه إلى صحفهم حتى لا يجرؤ أحد على تكذيبهم، فإذا جاءت ذرياتهم وخلائفهم من بعدهم ساروا على دربهم ونسجوا على منوالهم.

تبجح بعض قادة اليهود وإعلانهم علنا إعدام الأسرى المصريين

فجر عدد من مجرمى الحرب الإسرائيليين على صفحات صحفهم وقائع وعمليات إعدام الأسرى المصريين بعد استسلامهم رميا بالرصاص، خلال عدوانهم على مصر سنة ١٩٥٦م وكذلك فى حرب يونيه سنة ١٩٦٧م بواقع التفاخر بما ارتكبوه من جرائم حرب ثابتة ضد هؤلاء الأسرى المساكين، ويروى بعض شهود العيان الذين أفلتوا من الموت شهادات مكتوبة ومسجلة :

١ ـ كيف أن مجرمى الحرب الإسرائيليين كانوا يأمرون بتجميع الأسرى المصريين.

٢ ـ ثم يصدرون إليهم الأوامر بحفر الخنادق تحت أقدامهم.

٣ ـ وبعدها كان الرصاص ينهال عليهم بأمر جنرالات الجيش الإسرائيلى.

٤ ـ وكانت جثث القتلى من الأسرى تكوم، ثم تدفن فى نفس الخنادق التى حفرها أولئك الأسرى بأيديهم.

٥ ـ وكانت الجرافات الاسرائيلية تلقى أحيانا جثث القتلى، ومنهم بعض المصابين أحياء ـ لم يموتوا بعد ـ فى مقابر جماعية ثم تهال عليهم الرمال(٦).

ويكشف تقرير لمنظمة حقوق الإنسان المصرية عن حقائق مثيرة حول قضية إعدام الأسرى المصريين بالجملة بعد استسلامهم فقد ورد به :

إن بداية الاهتمام بهذه القضية عندما أخذت

---

(٤) المرجع السابق.

(٥) الإصحاح السادس من سفر يشوع عدد ١٢، ٢٠، ٢١ من الكتاب المقدس العهد القديم وحرموا كل ما فى المدينة تعنى أنهم قتلوها جميعا بحد السيف.

(٦) كتاب المؤامرات الصهيونية على مصر بالوثائق تأليف الأستاذ جميل عارف.

الصحف الإسرائيلية فى شهر أغسطس سنة ١٩٩٥م فى نشر شهادات لجنود وضباط إسرائيليين اعترفوا فيها صراحة بأنهم شاركوا فى المذابح التى ذهب ضحيتها الأسرى المصريين أثناء حربى سنة ١٩٥٦م، ١٩٦٧م قدرهم بعض العارفين بخمسة آلاف :

١ ـ ففى يوم ٤ أغسطس سنة ١٩٩٥م كتبت جريدة معاريف الإسرائيلية تحقيقا عن هذه القضية جاء فيه أنه : (ثبت من خلال شهود عيان، واعترافات من قاموا بارتكاب هذه المذابح أن هؤلاء المجرمين قتلوا عمال المحاجر، التى كانت فى سيناء مع الأسرى المصريين، وشارك فى هذه المجزرة كثير من قوادهم العظام أمثال قائد كتيبة المظلات العميد « أريبه بيرو » واللواء التاسع الذى كان يقوده « أريل شارون » .

٢ ـ وجاء فى تقرير منظمة حقوق الإنسان المصرية السابق الإشارة إليه أن المؤرخ الإسرائيلى « ميلشتاين » ذكر أن جرائم القتل التى وقعت على الأسرى المصريين لم تكن جرائم فردية بل كانت مذابح قتل جماعية، ففى شرم الشيخ قام بها جنود الكتيبة ٨٩٠ مظلات الإسرائيلية .

٣ ـ ومنذ عدة سنوات أصدر مؤرخ إسرائيلى اسمه الدكتور « أريه بتسحافى » وهو محاضر زائر بقسم دراسات أرض إسرائيل فى جامعة بارايلات الإسرائيلية كتابا بالاشتراك مع عميد احتياط فى الجيش الإسرائيلى اسمه « مايك الدار » ويكشف ذلك الكتاب واسمه (الوحدة ٤٢٤) فى الصفحتين ١١٦، ١١٧ أسماء بعض مجرمى الحرب من جنرالات إسرائيل ويذكر منهم :

أ ـ الجنرال (بنيامين أليعازر) الذى اشتهر فى إسرائيل باسم الجنرال « فؤاد » فهو الذى كان قائداً لكتيبة المظلات ٨٩٠، ويعمل مساعدا له العميد « أريبه بيرو » .

ب ـ وفى حديث صحفى لمؤلف الكتاب المشار إليه نشرته جريدة معاريف الإسرائيلية ذكر أن « موشيه ديان » وزير الدفاع فى إسرائيل وقتئذ، و« إسحاق رابين » رئيس أركان الجيش الإسرائيلى الأسبق كانا على علم بتفاصيل عمليات إعدام المصريين الأسرى وقد قاما بعمل تهدئة الضجة التى أثيرت حول هذه القضية حماية لبعض زملائهما من جنرالات إسرائيل .

ج ـ ثم نشرت جريدة يديعوت أحرونوت حديثا لأحد الصحفيين الإسرائيليين واسمه « جابى بارون » ذكر أنه كان شاهد عيان لما حدث للأسرى المصريين لأنه كان مجندا فى قوات إسرائيل حينئذ وقد رأى بعينيه عمليات إعدامهم ودفنهم[٧] .

تبرير مسئول إسرائيلى عن جريمة قتل الأسرى المصريين

فى برنامج (سرى جدا) عرضه تليفزيون الجزيرة قال جنرال إسرائيلى يعمل نائبا لوزير دفاع الدولة العبرية[٨] (لو أن المصريين احتلوا إسرائيل لفعلوا بالإسرائيليين ما فعله جنود إسرائيل بالمصريين الأسرى فى حربى ١٩٥٦م، ١٩٦٧م. وأن المصريين فى حرب عام ١٩٧٣م عندما أمسكوا بالأسرى الإسرائيليين عذبوهم، وعاملوهم أسوأ معاملة وقتلوا بعضا منهم)[٩] .

---

(٧) المرجع السابق.

(٨) الدولة العبرية أو الدولة الإسرائيلية تعنى الدولة اليهودية فكلها بمعنى واحد.

(٩) نقلا عن جريدة الاخبار القاهرية بتاريخ الجمعة ١٣ من ربيع الاول سنة ١٤٢١ هـ ـ ١٦ يونيه سنة ٢٠٠٠م مقال حكايات عربية فى قضية مقتل الأسرى المصريين بقلم الأستاذ وجيه أبوذكرى.

تقاليد العسكرية المصرية تكذب مزاعم المسئول الإسرائيلى

فقد ذكر الدكتور إبراهيم البحراوى الأستاذ بقسم الدراسات العبرية بجامعة عين شمس أن هناك عديدا من الشواهد تضع العسكرية المصرية فى مصاف الفروسية النبيلة ذات الأخلاق الرفيعة والتقاليد الراسخة فى مواجهة العدو وهو يحمل سلاحه وفى رعاية أبسط حقوقه كإنسان إذا ما ألقى السلاح ودخل فى حمى العسكرية المصرية أسيراً أعزل :

١ ـ ففى معركة ١٩٦٧م شاهد الطيارين الاسرائيليين الذين سقطوا فوق المطارات المصرية بعد أن قصفوها يجلسون على مقاعد مريحة أثناء استجوابهم ويجرى على هيئة حوار عادى بين ندين لا ضغط فيه ولا أذى بالفعل أو القول، ويقدم الطعام للأسرى من مطعم (جروبى) المشهور فى القاهرة ليصل الأسرى فى وقت قصير إلى فراشهم المريح بالمكان المخصص لهم بالسجن الحربى إلى أن تتم مبادلتهم بأسرى مصريين فى إسرائيل.

٢ ـ وفى حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣م كان الأستاذ بقسم الدراسات العبرية المشار إليه ضمن فريق عمل يرأسه المرحوم الدكتور مصطفى زيور ـ أستاذ علم النفس ـ ويضم أيضا الدكتور سيد ياسين حيث كان ينسق بين مهام مركز الدراسات الاستراتيجية بجريدة الاهرام، ومركز البحوث الاجتماعية فى عمل فريق البحث ويضم الدكتور رشاد الشامى، والدكتور قدرى حفنى وقد شاهدوا جميعا مئات الأسرى الإسرائيليين وهم يمرحون فى مجموعات لعب بساحة السجن الحربى المصرى وتبدو عليهم علامات الصحة فى وجوههم، فلا تجويع ولا تعذيب عليهم من جانب المصريين، وعندما تبادلوا الحديث معهم كانت تظهر عليهم مشاعر الطمأنينة والسكينة نتيجة ما يتمتعون به من حسن المعاملة وأكثر من ذلك فإن العسكرية المصرية العريقة رفيعة الأخلاق أعدت لهم ضمن برامجها رحلة خارج سجن الأسرى يطوفون خلالها بالأهرامات ومواقع الآثار وشواطىء النيل المبهجة[١٠] (انتهى كلامه).

العسكرية المصرية فى تعاملها مع أسرى الأعداء تأثرت فى تقاليدها بأحكام الإسلام السمحة التى يدين بها الشعب المصرى

ذلك أن الإسلام حفل بالدعوة إلى التسامح منذ بزغ فجره، وتجلت سماحة رسوله ـ ﷺ ـ حتى فى الموقف المهتاج الذى تطمئن فيه النفوس إلى الانتقام، وذلك فى وقت كانت فيه الأمم تعامل أسراها معاملة العدو البغيض فتقتلهم أو تبيعهم أو تسترقهم لتسخرهم فى أشق الأعمال[١١].

---

(١٠) بتصرف عن مقال «معاملة الأسرى.. شهادة حق للعسكرية المصرية بقلم الدكتور إبراهيم البحراوى ـ قسم الدراسات العبرية جامعة عين شمس ـ نشر بجريدة الأهرام بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٩٩٥م.

(١١) كتاب سماحة الاسلام تأليف الدكتور أحمد محمد الحوفى الأستاذ السابق بكلية دار العلوم ص ٦٥ ـ ٦٦.

أمثلة من مواقف المسلمين فى أسرى الحروب زمن رسول الله ـ ﷺ ـ :

١ ـ ففى غزوة بدر الكبرى التى انتصر المسلمون فيها على كفار مكة سنة ٢ هجرية وقع فى أسر المسلمين سبعون منهم وزعهم رسول الله ـ ﷺ ـ على أصحابه وأمرهم أن يحسنوا إليهم، فكانوا يفضلونهم على أنفسهم، فى طعامهم تطبيقا لقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[١٢].

ولما استشار ـ ﷺ ـ أصحابه فى شأنهم أشار عليه البعض بقتلهم وأشار عليه آخرون بفدائهم فمال إلى الفداء، وجعل فداء الذين يكتبون أن يعلم كل منهم عشرة من صبيان المدينة المسلمين الكتابة ومَنَّ على بعض الأسرى فأطلقهم بغير فداء[١٣].

٢ ـ وفى غزوة المسلمين لبنى المصطلق أصابوا منهم سبياً كثيرا فشا قسمه بينهم بعد انتصارهم عليهم وقد أطلقهم المسلمون دون فداء بعد أن تزوج الرسول ـ ﷺ ـ السيدة جويرية بنت الحارث سيد تلك القبيلة[١٤].

سبى كثير يعنى أسرى كثر

٣ ـ ولما تم للمسلمين فتح مكة سنة ٨ هجرية قام رسول الله ـ ﷺ ـ على باب الكعبة وكان مما قاله : « يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم؟ قالوا : خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء »[١٥].

وهكذا مَنَّ عليهم فعفا عنهم دون فداء.

ذلك أنه من المبادىء المقررة فى الإسلام أنه بعد انتهاء الحرب يكون الأسرى بين أحد أمرين اثنين :

١ ـ إما أن يمن عليهم، وذلك بإخلاء سبيلهم، وإطلاق سراحهم دون مقابل، كما حدث لبنى المصطلق، وكذلك لأهل مكة بعد الفتح.

٢ ـ وإما أخذ الفداء منهم كما حدث فى الأسرى بعد انتصار المسلمين فى غزوة بدر.

وكان ذلك تطبيقا لقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾[١٦].

لا يقدح فى ذلك ما يثبت من قتل لبعض الأسرى بعينهم فقد صح أن رسول الله ـ ﷺ ـ أمر بقتل النضر بن الحارث، وعقبة بن أبى معيط يوم بدر، وكذلك أبا عزة الجمحى يوم أحد، حينما خفر عهده لرسول الله، وأمر بقتل ستة من المشركين يوم فتح مكة، ولو تعلقوا بأستار الكعبة[١٧].

إنهم مجرمو حرب بالاصطلاح الحديث، لا أسرى حرب، وقد ندد القرآن الكريم بخيانتهم لقومهم بعد كفرهم بنعمة الله عليهم[١٨] قال ـ تعالى ـ :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ۝٢٨ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾[١٩].

---

(١٢) سورة الإنسان آية رقم ٨.

(١٣) السيرة النبوية لابن هشام الجزء الثانى ص ٦٦٠.

(١٤) المرجع السابق الجز الثالث ص ٢٩٤، ٢٩٥.

(١٥) المرجع السابق الجزء الرابع ص٤١٢.

(١٦) سورة محمد ـ جزء من الآية رقم ٤.

(١٧) كتاب الإسلام والعلاقات الدولية ص ٢٣٨ تأليف الدكتور محمد الصادق عفيفى.

(١٨) كتاب فقه السيرة ـ تأليف الشيخ محمد الغزالى ـ ٢٥٤.

(١٩) سورة إبراهيم ـ الآية رقم ٢٨، والآية رقم ٢٩.

موقف الإسلام من غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية وموقف المجتمعات الغربية من المسلمين

٢

للمستشار / السيد على بن السيد عبد الرحمن آل هاشم

حقوق غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى

١- الحقوق العامة.

٢- الحقوق الخاصة.

أولاً : الحقوق العامة:

وهى الحقوق التى تثبت لغير المسلمين جميعهم، فلا يختص بها فرد دون فرد، ولا فئة دون أخرى، ولا أهل دين دون غيرهم، وهذه الحقوق هى:

أ- حقهم فى الحماية من العدوان الخارجى والداخلى، نقل القرافي عن ابن حزم قوله: «إن من كان فى ذمة، وجاء أهل الحرب إلى بلاد يقصدونه، وجب علينا أن نخرج، لقتالهم بالكراع، وا لسلاح، ونموت دون ذلك، صونا لمن هم فى ذمة الله - تعالى - وذمة رسوله - ﷺ - وحكى إجماع الأمة فى ذلك»[١] كما أكد ذلك ابن قدامة فى «المغنى».

ومن التطبيقات العملية التى تؤكد ذلك: أن ابن تيمية - رحمه الله تعالى - حين تغلب التتار على الشام، وأسروا جماعة من المسلمين، وأهل الذمة، ذهب إلى حاكمهم، وكلمه فى إطلاق سراح الأسرى، فأطلق أسرى المسلمين، ومنع أسرى أهل الذمة، فأبى ابن تيمية الرجوع إلا بافتكاك أسرى أهل الذمة[٢].

ب- حقهم فى التنقل فى دار الإسلام، والسكن فى أى جزء منها.

يقول ابن حزم: واتفقوا - أى الفقهاء من المسلمين - أن لهم - أى: المعاهدون فى أرض الإسلام الدخول حيث أحبوا من البلاد

١- الفروق للقرافى (٣/١٤).

٢- فتاوى ابن تيمية (٢٨/٦١٧).

حاشا (الحرم بمكة) فإنهم اختلفوا أيدخلونه أم لا، واتفقوا على أن لهم سكنى أى بلد يشاءون من بلاد الشام، حاشا (جزيرة العرب) مستدلين بقوله - تعالى - :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾[٣].

ج- حقهم فى حرية الاعتقاد، وممارسة شعائرهم الدينية. سبق التحدث عنها .

د- حقهم فى التعليم، والاجتماع، وإبداء الرأى: إعمالا لقاعدة (الأصل فى الأشياء الإباحة) فليس فى الشريعة الإسلامية ما يمنع غير المسلمين من تعليم أبنائهم، وفق ديانتهم، وحرية إبداء الرأى، والاجتماع غير أن ذلك مشروط بعدم إساءة استعمال هذا الحق، درءا للفتنة، وحذرا من وقع التشاحن والخصام، كأن يبشروا بدينهم بين أبناء المسلمين، أو يحملوهم رغبا أو رهبا على معتقداتهم، لأن ذلك ردة، وهى جريمة فى نظر الإسلام.

هـ- حقهم فى الانتفاع بمرافق الدولة، وكفالة بيت المال، كوسائل المواصلات، ومشروعات الرى، والإنارة، ومياه الشرب، وغيرها من المرافق. قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «المسلمون شركاء فى ثلاث: الماء، والكلأ، والنار»[٤].

و- حريتهم فى العمل: يتمتع أهل الذمة فى دار الإسلام بحرية العمل، ومزاولة الأنشطة التجارية، والاقتصادية المختلفة، شريطة ألا يخالفوا أحكام الشريعة الإسلامية[٥] والأحكام المرعية فى دولة الإسلام.

وقرر - أيضا - ثبوت آثار أنكحتهم من: النسب، والمهر، والعدة، كما قرر ابن القيم (أن عقود ومعاملات غير المسلمين، تعتبر صحيحة، وأن مخالفتهم للإسلام لا يؤثر فى صحة هذه العقود والمعاملات).

واتفق أكثر أهل العلم: (على أن أهل الدين الواحد، يتوارثون، ولو اختلفت أوطانهم، ودولهم)[٦].

وقد ميزت أحكام الشريعة الإسلامية الغراء (أهل الكتاب) عن غيرهم، من أهل الملل الأخرى - بحل ذبحائهم، وطهارة مأكولاتهم، وحل نسائهم، بالعقد الشرعى الصحيح.

وقد نقل العلامة: ابن قدامة المقدسى، والعلامة ابن القيم عن ابن المنذر - إجماع أهل العلم على ذلك، قال - تبارك وتعالى - :

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٧].

٣- سورة التوبة: ٢٨. (المحلى لابن حزم الأندلسى). وقد نزلت فى مشركى مكة.

٤- الحديث: ابن ماجه جـ٢ ص ٨٢٦.

٥- أحكام الذميين والمستأمنين لعبدالكريم زيدان.

٦- أحكام أهل الذمة لابن القيم.

٧- سورة المائدة: ٥.

ثانيا : الحقوق الخاصة :

المقصود بالحقوق الخاصة : تلك التى تنشأ من علاقات الأفراد، فيما بينهم، سواء أكانت علاقات عائلية، أم مالية. فالعائلية كحق الزواج، والطلاق ونحوهما، وأما الحقوق المالية، فهى كحق التملك، ومباشرة سائر التصرفات المشروعة على أعيانهم، وأملاكهم، ومزارعهم، ومصانعهم، ونحو ذلك. ففى مجال الحقوق العائلية قرر الإمام ابن القيم - رحمه الله - « أن أنكحة غير المسلمين صحيحة، لا يحكم عليها ببطلان »، ثم قال : « لم ينص أحد من أئمة الإسلام على بطلان أنكحة غير المسلمين، ولا يمكن لأحد أن يقول ذلك »[8].

مواقف المجتمعات الغربية من المسلمين

ويتضمن بإيجاز

التواجد الإسلامى فى بلاد غير المسلمين وتفاعله

الجاليات والأقليات

أمثلة على ذلك

المشكلات

تعزيز التفاعل الحضارى للدور الإسلامى فى تلك المجتمعات

إن دراسات كثيرة قدمت فى هذا الصدد، ومفادها : أن هناك تباينا كبيرا بين مجتمع غربى وآخر، إلا أن القاسم المشترك بين الجميع يؤكد أن التواجد (الإسلامى) فى أوروبا يواجه مشاكل عديدة - اقتصادية، وسياسية، واجتماعية، ذ تتركز معاملة الأكثرية هناك للأقلية المسلمة على النواحى الاقتصادية (لأن هذه الأقلية الإسلامية) تتكون غالبا من المهاجرين، ومعتنقى الإسلام الجدد، وبدافع خوف فطرى من جانب الأكثرية، تحاصر هذه الأقلية فى غالب الأحيان، وتصبح ضحية لمعاملات اقتصادية، غير منصفة، مما يجعلها فى موقف ضعيف بالنسبة للأكثرية.

إلا أنه من الممكن لهذا (التواجد المسلم) إذا التزم بما فرضه الإسلام عليه، من التزام الصدق فى التعامل، والحرص على إظهار التسامح والإخلاص المعروف بهما المؤمن، صادق العزم والعزيمة، أن ينجح، ويتمكن من مواجهة أى وضع غير ملائم، وذلك بأن ينظم هذا التواجد الإسلامى نفسه، والعمل على وجود حلول، بمزيد من الترابط، والمساهمات المالية، من بين أفراد الأقلية، تزيد عن مساهمات أهل الخير والبر، من خارج محيط البلد التى يقطنونها.

إن التواجد الإسلامى بحاجة ماسة إلى فهم دقيق، وإن دراسة متأنية متأملة لانتشار الإسلام فى جنوب شرقى القارة الآسيوية، يعطينا نموذجا فريدا لانتشار الإسلام، عن طريق المبادلات الاقتصادية، والتعاون التجارى.

فقد ذهبت أعداد من المسلمين، من عرب جنوب الجزيرة العربية، وبوجه خاص من اليمن، من أجل طلب الرزق، وفتح أبواب من

٨- أحكام أهل الذمة لابن القيم.

الخير، فكان لتواجدهم أثر بالغ فى نشر تعاليم الدين، فدخل كثير فى دين الله، وليس أدل على هذا الأثر من أنهم جميعهم يتمذهبون بمذهب الإمام الشافعى - رحمه الله - وهو مذهب الأكثرية فى اليمن، وفى جنوبه وشرقيه بالذات.

فبلاد كأندونيسيا يزيد تعدادها على مائتى مليون نسمة، دخلوا الإسلام بواسطة هذا التعامل الاقتصادى، ومع ما لمسه أهل البلاد الأصليين، من سماحة فى التعامل، وصدق فى التبادل، وهذا ينطبق على جزر الاتحاد الماليزى، وسنغافورة، وجزيرة سرنديب «سيريلانكا» حاليا، وجنوب شبه القارة الهندية، وأذكر ذلك على سبيل المثال لا الحصر.

وإن المشكلة الاجتماعية التى تواجه التواجد الإسلامى فى أوروبا، هى أخطر المشاكل، وأبعدها أثرا، لأنها تؤثر فى أجيال وأجيال، ولأن أثرها فى غالب الأحيان بطئ، يؤدى الى تآكل الخاصية الإسلامية، وربما ينتهى بضياعها نهائيا، بعد جيل أو جيلين.

إلا أنه، وبفضل من الله، فإن بعض الغيورين على هذا التواجد المسلم سواء من الحكومات الإسلامية، أو الدعاة المخلصين، أو الهيئات العلمية والدينية كالأزهر الشريف، ورابطة العالم الإسلامى، والمؤسسات الخيرية المعترف بها، كمؤسسة الشيخ زايد للأعمال الخيرية، والإنسانية، يعملون على مواجهة هذا المصير الخطير، وذلك بنشر الثقافة الإسلامية، باللغة العربية، محافظة على العقيدة والهوية الإسلامية، والعمل على تمركز المسلمين فى أحياء متقاربة، لأداء شعائر الدين، سيما وأن أكثر المجتمعات الغربية (لا ترفض الإسلام من حيث هو إسلام ومسلمين) وهذا حق من الإنصاف تسجيله، إلا أن ظروفا قد تطرأ، ووجهات نظر ربما عدها البعض من الدين، وليست بدين فهى عادات بيئية، مرتبطة بالمهاجرين على اختلاف مشاربهم، وعاداتهم، ويصرون على التمسك بها، وهى قد تخالف أعراف وعادات البلاد العربية، وما شابهها، ولذلك فينبغى على الباحث المنصف، التدقيق فيما يثار من خلاف، يؤدى إلى فرض قوانين فى تلك البلاد، تحد من حرية التواجد الإسلامى، نتيجة لسوء فهم للإسلام، وسواء من أهل تلك البلاد، أو المهاجرين إليها، على حد سواء، إلا أن أسوأ الحالين هو أن يجهل المسلم أمور دينه، وحدود الحرية، والتسامح المتاح له فى أن يتحرك، ويتصرف بموجبه.

أما المشاكل السياسية: فأرى أن هذه المشكلة هى أهون المشاكل، لأن المسلم من شأنه التسامح، وبذل المعروف، والخير للناس كافة، مع لين الجانب، والرفق والانضباط فى السلوك، وكل ذلك يؤدى لطمأنينة العقلاء من الناس فى بلادهم، الأمر المفضى إلى إقامة علاقات طيبة، تحد من التوتر، الذى قد يحصل، أو الذى قد يثور بين آونة وأخرى، بين الأفراد والجماعات، بل وبين الدول.

فالمسلم نموذج حى للتعايش الجاد، والمثمر، والنزيه، فمن مقاصد الشريعة الغراء، ومن موجباتها: قيام العلاقات على كل الأصعدة

هو: إفشاء السلام، والتحية، وتبادل الود بين الناس. مصداقا لقوله ـ تبارك وتعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٩).

والمعنى: خلقناكم أيها الناس من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل، لتعارفوا أى: ليعرف بعضكم بعضا، ولتتواصلوا فيما بينكم، وتتعاونوا على البر و التقوى، فالأب واحد، والأم واحدة، والجميع من تراب، ولا تفاضل بين الناس، إلا بالعمل الصالح، والأسلوب النزيه.

وعلو القدر لا يكون إلا بشرف العمل، وصادق القول ومتى ما قدم المرء النصفة من نفسه، فقد ضمن أن يكون لبنة صالحة فى كيان الإنسانية.

إن التجمع الإسلامى فى أى مكان من المعمورة، ينبغى أن يكون مصدر إشعاع حضارى لما تحمله نفس المسلم الصادق الإيمان، من علاج النفوس، وتهذيب الأخلاق، وتقويم الطباع، وذلك با لحكمة، والموعظة الحسنة، من كتاب الله، وسنة رسوله المصطفى – ﷺ –.

إن معنى الحضارة عند المسلم: هو شعوره بالسعادة، وإسعاد الآخرين أيا كانوا. حتى تقوى النفوس، بحيث تصبح النفس البشرية شخصية متينة، محروسة ضد انحلال الأخلاق، وميوعة السلوك، ومساوئ العادات.

إن بعض الحضارات واضح جدا أنها اليوم تشرف على الاحتضار والانهيار.

ومن هنا يتبين لنا: أن حضارة الإسلام حضارة ذات مناعة خاصة، تحدث عنها علماء الأخلاق، والآداب، والتاريخ، والفنون. وليس هناك مجال يتسع لإيراد أقوالهم، لكثرة الذاكرين لذلك عن دراسة وتمحيص.

ومن هنا يأتى دور الإسلام، وهو الحامل لمشاعل النور، مخلصا للبشرية من ضنك الحياة المعنوية، لدى كثير من الشعوب.

ومن هنا أيضا نؤكد على الفائدة الكبيرة التى قد تجنى من وراء الاجتماعات والندوات العلمية، والمجالس والمراكز الإسلامية، والتى يبذل فيها القائمون عليها قصارى جهدهم لخدمة دينهم، وإصلاح المجتمع الذى يعيشون فيه مع صادق الوفاء وكثير من المحبة والإخلاص.

ومتى ما كان العمل خالصا لوجه الله ـ عز وجل – ومبرءاً من كل شر أو عداء لأى إنسان فقد تكفل المولى – تبارك وتعالى – بنجاحه وإفلاح القائم به وعليه.

٩– سورة الحجرات الآية: ١٣.

تعقيب على رد كاتب مقال :

قضية الأحرف السبعة

للدكتور / صبحى عبد المنعم

القــراءات والتواتــر

لاحظت فى ختام نقدى لمقال الشيخ عيطة أنه أسند تهمة ترجيح إنكار « القراءات السبع » إلى مؤلف كتاب « الفرقان » دون مسوّغ، فعقبت على هذه التهمة فى ص١٦١٢ قائلاً : « والحق أن مؤلف كتاب « الفرقان » برىء من تهمة إنكار « القراءات السبع » التى أسندها إليه الشيخ عيطة، إذ أن هذا المؤلف لم يزد على أنه حكى تردد الزركشى فى التسليم بتواتر « القراءات السبع » عن النبى - ﷺ - إلى الأئمة السبعة، وفى رأيه أن هذا التردد « دليل على أن « القراءات السبع » متواترة من أصحابها إلينا فقط » وهو عين ما صرح به الزركشى، ونقله الشيخ عيطة ضمن القبس الذى أخذه من كتاب « الفرقان » .

وشتان ما بين عدم التسليم بتواتر هذه القراءات عن الرسول - عليه الصلاة والسلام - إلى الأئمة السبعة وبين إنكارها »، ثم أنهيت كلامى بسؤالى الشيخ عيطة : « هل عدم التسليم بتواتر خبر ما يعنى إنكار هذا الخبر مطلقاً؟! ثم ألا يعلم الشيخ عيطة أن أقل القليل من سنة الرسول - عليه السلام - هو ما جاءنا متواتراً، وأن الكثير الغزير الوفير هو ما جاءنا غير متواتر، أى خبر آحاد . . . » .

أما الشيخ عيطة فقد رد على كلامى هذا بقوله : « والواضح أن الرجل (يعنى شخصى) يطلق الحكم على التواتر وخبر الأحاد فى كل المجالات على قدم المساواة دون تمييز بين ما يتعلق بالقرآن الكريم وما يتعلق بغيره من السنة المطهرة » ثم استطرد الشيخ عيطة قائلاً : « فالقرآن يشترط فى قبول قراءته أن تكتمل فيه ثلاثة أركان : الأول : أن يوافق العربية ولو بوجه، الثانى : أن يقوم على التواتر الذى يصل سنده إلى رسول الله - ﷺ - الثالث : موافقته للرسم العثمانى ولو احتمالاً، فالتواتر شرط فى قبول القراءة الصحيحة . . . »اهـ.

والحق أن هذه الفقرة الأخيرة من قول الشيخ عيطة تثير أكثر من سؤال ينبغي أن يوجه إلى فضيلته: أولاً: من العالم الذى نطق بألفاظ هذه الفقرة؟ أو ما المصدر العلمي الذى أخذت منه؟ وكيف ساغ لأخي الشيخ أن يسوق مثل هذه الفقرة في أثناء جدل علمى دون أن ينسبها إلى صاحبها، ودون أن يعيّن مصدرها؟ ثم عن أى شيء يتحدث الشيخ فى هذه الفقرة؟ أهو يتحدث عن القراءات ـ وهى موضوع الخلاف ـ ؟ أم عن القرآن ـ وهو فوق هذا الخلاف ـ ؟ أم أن الشيخ لا يفرق بين القرآن والقراءات وهما حقيقتان مختلفتان؟! فنحن إذا نظرنا إلى صدر هذه الفقرة وجدنا الشيخ عيطة يقول: « فالقرآن يشترط فى قبول قراءته أن تكتمل فيه ثلاثة أركان » . فالنصف الأول من هذه العبارة يتحدث عن شروط قبول قراءة القرآن، أما النصف الآخر:« . . . أن تكتمل فيه ثلاثة أركان » فتذكير الضمير فى لفظ « فيه » وإفراد هذا الضمير ـ يجعلان القارىء يفهم أن الحديث إنما هو عن شروط قبول القرآن ذاته لاشروط قبول إحدى قراءاته! يؤيد هذا إفراد الضمير وتذكيره فى العبارات الآتية: « الأول: أن يوافق العربية ولو بوجه، الثانى: أن يقوم على التواتر. . . الثالث: موافقته للرسم العثمانى . . . » وإذا كان الأمر كذلك فالمفهوم من هذه الشروط أنها شروطقبول القرآن ذاته لاقبول إحدى قراءاته! لكن الشيخ يفاجئنا فى نهاية هذه الفقرة بقوله: « فالتواتر شرط فى قبول القراءة الصحيحة »! وهذا يفيدنا أن الشيخ كان يتحدث فى تلك الفقرة كلها عن القراءات على رغم سوء تركيبها اللغوى الذى يوقع قارئها فى لبس شديد! وإذا لم يكن الأمر كذلك فمن حقنا أن نزيد الشيخ عيطة سؤالاً: إذا كنت تشترط لقبول القرآن « موافقته للرسم العثمانى » فكيف ساغ للمسلمين أن يتلو القرآن، ويتعبدوا به قبل أن يستخلف عثمان – رضى الله عنه – وتكتب مصاحفه؟!

ومهما يكن من الأمر فمن الواجب أن نشرح القول الذى ارتضاه علماء الأمة فى شأن تواتر القراءات، ومن قبل ذلك علينا أن نوضح الفرق بين حقيقة القرآن وحقيقة القراءات، فنقول والله المستعان:

القرآن هو: الوحى المنزل على محمدَ –عليه الصلاة والسَلام– الذى أخذته الأمة من لفظ رسولها ـ ﷺ ـ بأحرفه السبعة جميعاً أخذاً متواترا من قبل أن يستخلف عثمان ـ رضى الله عنه ـ وترسم مصاحفه، بل من قبل أن يأمر أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ بجمع سور هذا القرآن بين دفتين، بل إن القرآن هو محصلة العرضة الأخير التى قبض بعدها الرسول ـ ﷺ ـ أما القراءات فهى اختلاف أداء ألفاظ هذا الوحى. يقول بدر الدين الزركشى المتوفى ٧٩٤ هـ فى كتابه (البرهان فى علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، جـ ١، ص٣١٨): « . . . واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحى المنزل على محمد ـ ﷺ ـ للبيان والإعجاز، والقراءات هى ألفاظ الوحى المذكور فى كتبة الحروف، أو كيفيتها، من تخفيف، وتثقيل، وغيرها » .

وأما القراءة الصحيحة المقبولة التى يقرأ بها فى الصلاة فهى كل قراءة:

(١) نقلها إمامها عن الرواة الثقات الذين نقلوها عن رواة ثقات مثلهم إلى النبى - ﷺ -

(٢) كذلك يشترط فى هذه القراءة أن تكون موافقة للغة العربية التى نزل بها القرآن.

(٣) وكذلك يشترط فى هذه القراءة أن تكون صور ألفاظها موافقة لصور الألفاظ فى مصحف عثمان - رضى الله عنه -، وذلك ما يعبر عنه بموافقة الرسم العثمانى، وهذا الرسم هو ما أجمعت الأمة على قبوله منذ خلافة سيدنا عثمان، ويعنى ذلك أن القراءة التى صح سندها إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام -، ووافقت العربية، ووافقت رسم مصحف عثمان - رضى الله عنه - ولو احتمالاً هى قراءة أجمعت الأمة على قبولها من جهة موافقتها لرسم مصحف عثمان - رضى الله عنه -، وهى بهذا الإجماع تكون مستغنية عن روايتها بالتواتر.

يقول مكى بن أبى طالب المتوفى ٤٣٧هـ فى كتابه «الإبانة عن معانى القراءات ص٣٩) معبراً عن فكر علماء الأمة فى القرون الأربعة الأولى من الهجرة: «... قسم يقرأ به اليوم، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال: وهى أن ينقل عن الثقات إلى النبى - ﷺ - ويكون وجهه فى العربية التى نزل بها القرآن شائعا، ويكون موافقا لخط المصحف، فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قرىء به، وقطع على مغيبه وصحته وصدقه، لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقته لخط المصحف، وكفر من جحده»، وهكذا نرى أن الفكر الذى كان يشيع فى القرون الأربعة الأولى الهجرية لا يشترط التواتر فى سند القراءة المقبولة لأنها مستغنية عن التواتر بما توافر لها من الإجماع من ناحية موافقتها خط مصحف عثمان - رضى الله عنه -، ومعنى ذلك أن القراءات السبع» وهى قراءات مقبولة - مستغنية عن التواتر فى سندها بموافقتها خط مصحف عثمان - رضى الله عنه -.

ابن مجاهد يحكى سند السبعة

وإذا كان التواتر هو أن يروى الخبر جمع من الناس بلغت كثرته حداً يستحيل معه - عادة - أن يتفق أفراده على كذب عن جمع مثله إلى النبى - عليه الصلاة والسلام - فإنا لانجد مثل هذا الجمع فى أى حلقة من سند أصحاب «القراءات السبع» إلى النبى - عليه الصلاة والسلام -، بل إن ابن مجاهد المتوفى ٣٢٤ هـ فى ص٥٤ -٥٥ من كتاب السبعة» - وهو أصل «القراءات السبع» - يروى بسنده إلى هارون بن المسيّب قوله: «أخبرنا نافع أنه قرأ على الأعرج، وأن الأعرج قال: قرأت على أبى هريرة - رضى الله عنه -، وقال أبو هريرة: قرأت على أبىّ بن كعب، وقال أبىّ: عرض علىّ رسول الله - ﷺ - القرآن، وقال: أمرنى جبريل أن أعرض عليك القرآن».

فإذا كان هذا هو سند قراءة نافع إلى النبى - عليه الصلاة والسلام - فأين التواتر الموجود فى هذا السند؟!

كذلك يحكى ابن مجاهد فى ص٦٤ من «كتاب السبعة» سند ابن كثير قارىء أهل مكة إلى النبى - عليه السلام - فيقول: «قرأ (ابن كثير) على مجاهد بن جبر، وقرأ مجاهد على ابن عباس - رضى الله عنهما -، وقرأ ابن عباس على أُبىّ بن كعب - رضى الله

تعالى عنه ـ. وقد عرفنا أن أُبىّ بن كعب عرض عليه النبى ـ ﷺ ـ القرآن.

فإذا كان هذا هو سند قراءة ابن كثير إلى النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فأين التواتر الموجد فى هذا السند أيضا؟!

الزركشى والتواتر

وإذا كانت أسانيد القراء السبعة إلى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ خلت من التواتر كما رأينا فى سند نافع وابن كثير [1] ـ حق للإمام الزركشى ـ وهو من علماء القرن الثامن الهجرى أن يقول فى (« البرهان فى علوم القرآن »، جـ١، ص٣١٨): « ... القراءات السبع متواترة عند الجمهور، وقيل بل مشهورة... والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبى ـ ﷺ ـ ففيه نظر فإن إسناد الأئمة السبعة بهذه القرءات موجود فى كتب القراءات، وهى نقل الواحد عن الواحد لم تكمل شروط التواتر... وهذا شىء موجود فى كتبهم، وقد أشار الشيخ شهاب الدين أبو شامة فى كتابه « المرشد الوجيز » إلى شىء من ذلك ».

سبب الخلاف

ولسائل من الناس أن يسأل: ما قصة هذا الخلاف الذى حكاه الزركشى فى « البرهان » حول رواية « القراءات السبع » مع أن القضية واضحة المعالم فى « كتاب السبعة » لابن مجاهد المتوفى ٣٢٤هـ وهو أصل « القراءات السبع » ـ حيث لا تواتر فى سند القراء السبعة إلى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ؟ والجواب على ذلك ـ فيما يبدو لى ـ أن المسلمين فى عصر الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤ هـ كانوا يعيشون أقسى عصور الانحطاط السياسى بعد سقوط الخلاف العباسية، والدولة الفاطمية فى مصر، واضمحلال شأن المسلمين فى الأندلس، ومن شأن هذا كله أن يترك أثره السيىء على الحركة العلمية حتى أصبح من المألوف أن يجترىء غير العلماء على القول فى علوم القرآن! نتبين ذلك مما نقله ابن الجزرى فى كتابه (« النشر فى القراءات العشر »، مطبعة مصطفى محمد، جـ١، ص١٣) عن الإمام الكبير أبى شامة فى كتابه « المرشد الوجيز » حيث قال أبوشامة: « وقد شاع على ألسنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن « القراءات السبع » كلها متواترة... ».

ومعنى ذلك أن الآفة ـ فى نظر أبى شامة وابن الجزرى الذى حكى قوله ـ هى فى المقرئين المتأخرين من غير العلماء، وفى المقلدين الذين يعتقدون ما يقوله غيرهم دون أن يتبينوا.

ضياع كتاب السبعة

ومما زاد الطين بلة كما يقال ـ أن « كتاب السبعة » لابن مجاهد ـ وهو أصل « القراءات السبع » ـ كان قد ضاع فى تلك العصور المظلمة، واختفى من مكتبات العلماء، وقد كان هذه الضياع ـ فى نظرى سبباً فى شيوع القول بتواتر « القراءات السبع » إذ أن ابن

---

(١) انظر أسانيد باقى القراء السبعة إلى النبى - عليه السلام - فى («كتاب السبعة» لابن مجاهد، ص ٦٦ - ٨٦).

مجاهد حكى أسانيد هؤلاء القراء السبعة إلى النبى - عليه الصلاة والسلام - فى صدر هذا الكتاب، ولو أن هذا الكتاب بقى موجوداً بين أيدى العلماء فى تلك الأعصر ما اجترأ من ادعوا تواتر «القراءات السبع» على أن يقولوا ما قالوا، يدلنا على هذا الضياع قول الزركشى المتوفى ٧٩٤هـ فى («البرهان فى علوم القرآن»، جـ١، ص٣١٨): «وأحسن الموضوع للقراءات السبع كتاب «التيسير» لأبى عمرو الدانى... وكتاب «الإقناع» لأبى جعفر بن الباذش...» ولو أن «كتاب السبعة» كان متاحاً للزركشى فى ذلك الوقت مثلما هو الآن لاكتفى بذكره وحده.

شهادة ابن الجزرى والسيوطى

وإذا كان قد شاع بين المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن «القراءات السبع» متواترة فلا مفر من الاستماع إلى قول عالم يعرف العلماء قدره، ورسوخ قدمه فى علوم القرآن، وإذا كنا نعرف للإمام السيوطى مكانته السامية فى هذه العلوم بسبب تأليفه كتاب «الإتقان فى علوم القرآن» فإن السيوطى نفسه يقول فى «الإتقان، جـ١، تحقيق أبو الفضل، ١٩٧٤م): «اعلم أن القاضى جلال الدين البلقينى قال: «القراءة تنقسم إلى متواتر، وآحاد، وشاذ، فالمتواتر قراءات السبعة المشهورة، والآحاد قراءات الثلاثة التى هى تمام العشر...» لكن السيوطى يعلق على ماذكره البلقينى بقوله: «وهذا الكلام فيه نظر يعرف مما سنذكره، وأحسن من تكلم فى هذا النوع إمام القراء فى زمانه، شيخ شيوخنا أبو الخير بن الجزرى، قال فى أول كتابه «النشر»: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح مسندها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين...»».

ومعنى هذا الكلام أن ابن الجزرى المتوفى ٨٣٣ هـ، والسيوطى المتوفى ٩١١هـ متفقان على أن التواتر شرط غير لازم لقبول القراءة إذا تحقق فيها الشروط الثلاثة المذكورة، وقد وافق هذان العالمان فى هذه القضية من سبقهم من العلماء مثل: الزركشى المتوفى ٧٩٤هـ، ومن قبله مكى بن طالب المتوفى ٤٣٧هـ، ومن قبلهم جميعاً ابن مجاهد صاحب «كتاب السبعة» المتوفى ٣٢٤ هـ!!

ألا يحق لى بعد ذكر هذا الجمع من أكابر علماء الأمة أن أتمثل بقول القائل:

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم

إذا جمعتنا ياجرير المجامع؟!

هذا والله - سبحانه - من وراء القصد، وهو حسبى، ونعم الوكيل.

الصلاة ومكانتها العظيمة في الإسلام

لفضيلة الشيخ / عبد المنصف محمود عبد الفتاح*

قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾(1) **.. وقال - جل شأنه - :**

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾(2)..

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: « سألت رسول الله - ﷺ - ، فقلت: يارسول الله أى العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة فى وقتها، قلت: ثم أى؟ قال: الجهاد فى سبيل الله، قلت: ثم أى؟ قال: بر الوالدين »(3).

خُلق الإنسان لعبادة ربه، وتنفيذ أمره، واجتناب نهيه، إلا أن هناك شواغل الحياة تتجاذبه، وهواجس النفس تتنازعه، وشهوات تتواثب فتلهيه، وكثيرا ما تقوى عليه: فترديه!!

ففرض الله الصلاة علي الإنسان، ليستعين بربه: على أداء ما كلف به من الأوامر، وعلي وقع ما يؤذيه، وجلب ما ينفعه وينجيه، قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾(4).

وقد أمر الله ـ تعالى ـ بإقامة الصلاة دون مجرد الاتيان بها وإقامة الشئ هو الإتيان به، مُقَوَّما كاملا، يصدر عن علته، وتصدر عنه آثاره.. وآثار الصلاة ونتائجها هى ما أنبأنا الله ـ تعالى ـ به فى قوله ـ جل شأنه ـ :

(*) الكاتب : مدير عام الدعوة والإعلام الدينى الأسبق بالأزهر الشريف.

(1) البقرة: 238.

(2) النساء : 103.

(3) رواه البخارى ومسلم.

(4) البقرة: 153..

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾(٥).

وقد اتفق علماء النفس وعلماء الدين: على أن الصلاة من أفضل الوسائل وأنجحها لعلاج كثير من الأمراض النفسية: كالهم، والجزع، والقلق، واليأس، والفزع، ومنع الخير والهلع، وغيرها، قال الله - تبارك وتعالى - ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣﴾(٦).

.. وكان رسول الله - ﷺ -: إذا حزبه أمر واشتد عليه: فزع إلي الصلاة. وقال: «يابلال أرحنا بالصلاة»..

وفى أبحاث العلماء يقول «وليم جيمس» الأمريكى: أستاذ الفلسفة وعلم النفس جامعة «هارفارد»: «إن أفضل علاج للقلق هو الإيمان بالله».. ويقول: «إن أمواج المحيط المتقلبة لا تعكر قط: هدوء القاع، ولا تقلق أمنه، وكذلك المرء الذي عمق إيمانه بالله، فالرجل المتدين حقا عَصِىٌّ على القلق».. ويقول: «ديل كارينجى»: «لماذا لا نتجه إلى الله إذا استشعرنا القلق؟».. ويؤيد هذه النظرية: عالم النفس الإنجليزى «بريل» فيقول: «لن تجد شخصا متدينا، يصيبه أى مرض نفسى، فالصلاة أشبه ما تكون بالراديوم: أى أنها منبع نشاط ذاتى، ذى قوة شافية».. ويقرر الدكتور «ألكسيس كارلايل»، «إن الصلاة تكون علاجا ناجعاً لبعض الأمراض العضوية. فيقول: «إن الصلاة أعظم قوة (أى طاقة) مُولَدة للنشاط عرفت ليومنا هذا، لقد رأيت بوَصْفِى طبيبا: كثيرا من المرضى، فشلت العقاقير فى علاجهم، فلمَا رفع الطب يديه عجزا وتسليما: تدخلت الصلاة: فأبرأتهم من عللهم»..

وها هو ذا رسول الله - ﷺ - يقول لأبى هريرة - رضى الله عنه -: «قم فصل، فإن الصلاة شفاء»(٧).. وقال: - عليه الصلاة والسلام -: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلي ربكم، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء من الجسد»(٨)..

إن الصلاة: تعتبر من أكبر الوسائل لترويض النفس على كبح جماح شهواتها، وتطهيرها من أدران المعاصى إذا أداها الإنسان على وجهها المطلوب، مراعيا شروطها وأركانها وسننها. عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرات: هل يبقى من درنه شئ؟ قالوا: لا يبقى من درنه شئ، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس: يمحو الله بهن الخطايا» وصدق الله العظيم حيث يقول:

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾(٩).

---

(٥) العنكبوت: ٤٥.
(٦) المعارج: ١٩ - ٢٣.
(٧) أخرجه أحمد بإسناد صحيح..
(٨) رواه أحمد وغيره بإسناد صحيح.
(٩) هود: ١١٤.

بصورة الصلاة من الحركات والألفاظ، مع السهو عن معني العبادة وسرها فيه المؤدى إلى غايتها النبيلة بقوله:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾(١٠).

ووصفهم بالسهو عن الصلاة الحقيقية التى هى توجه القلب إلى الله المذكر بخشيته، المشعر بعظم سلطانه، ثم وصفهم بأثر هذا السهو وهو الرياء، ومنع الخير فقال:

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾(١١).

.. وعن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – أنه قال وهو يخطب على المنبر: «إن الرجل ليشيب عارضاه فى الإسلام، وما أكمل لله صلاة، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله – عز وجل – فيها»..

فالصلاة الخاشعة: هى طريق الفوز والنجاة: والفلاح، قال الله ـ تعالى ـ:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾(١٢).

الهداية، وتجنبهم سلوك طريق الغواية، وتفجر لهم: ينابيع الحكمة من قلوبهم على ألسنتهم، وتجعل لهم نورا يمشون به فى الناس.

والخشوع يقوم على أساس تخليص الصلاة من الشواغل والرغبات التى تحول دون الإخلاص، وتكون حجابا بين العبد وربه، فإذا جاهد المصلى نفسه، وقطع العلائق عما سوى الله: تواردت على قلبه أنوار التجليات الإلهية، وتلك الأنوار: هى مفاتيح المكاشفة فمن جاهد حتى سعد بهذا المقام، فإنه لا ينسى لذة هذا الوصال، فإذا ما أدرك هذه اللذة، وشعر بأن قرة عينه فى الصلاة: كان ذلك من دواعى استحضار القلب، وإقباله على من يناجيه.. كيف لا والصلاة دعامة الدين، وركنه الركين، وهى معراج الواصلين، ومناجاة رب العالمين، والصلة الدائمة بين العبد وربه، فمن أقامها فقد رفع لواء الإسلام، ومن تركها: فقد خرج عن حظيرة المسلمين، وطاول بالعصيان رب العالمين.

عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة»(١٣).

إن الصلاة هى الفيصل بين الإسلام والكفر، والهدى والضلال، فلا ثقة فيمن لا يصلى، لأنه قطع ما بينه وبين الله، فكيف يصلح ما بينه وبين الناس؟ إن الصلاة: هى الدافع الذى يدفع الإنسان نحو الخير، وتجعل منه مواطنا صالحا، وعضوا نافعا: يخدم دينه ومجتمعه ووطنه..

أما الصلاة من الناحية البدنية فهى رياضة متوالية فى غير مغالاة وارتخاء، ولا شدة ولا عنف، وهى أمان من التَّرهُّل والسِّمنة، خصوصا إذا حُوفظ عليها: فى سِنٍّ مبكر من الشباب، وهى بتوقيتها فى أزمنه معينة درس فى النظام والترتيب، وحفظ المواعيد، وهى فى موقفها درس فى المساواة المطلقة، وهى بوضوئها: ترفع العدوى وتبعد جراثيم الغبار أولا بأول.

فالصلاة: عبادة بدنية ونفسية وروحية واجتماعية، شأنها فى ذلك: شأن العبادات الإسلامية.

---

(١٠) الماعون: ٤، ٥.

(١١) الماعون: ٦، ٧.

(١٢) المؤمنون: ١، ٢.

(١٣) رواه مسلم (٨٨/١) برقم ٨٢ وأحمد (٣٧٠/٣).

نعمة الأمن فى الدنيا والآخرة

للأستاذ الدكتور / محمد السيد على البلاسى

نعمة وأية نعمة.. منة وأية منة.. عرفها الملوك؛ فتنازلوا عن عروشهم من أجلها!؛ وفهمها الأحرار؛ فدفعوا أنفسهم ثمنا لها.. وأدرك الأغنياء كنهها؛ فبذلوا من أجلها الغالى والنفيس..!؛ وعلم أعداء الإسلام مكانتها؛ فأخذوا يحاربون المسلمين بإلقاء الشبهات بينهم؛ حتى ينتشر القلق والخلاف فى بلادهم..!

تلكم هى نعمة الأمن، التى أشاد بها النبى المصطفى - ﷺ - حين قال: "من أصبح منكم آمنا فى سربه، معافى فى جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا" [رواه الترمذى].

المدلول اللغوى للأمن

الأمن نقيض الخوف، يقال: أمن فلان يأمن أمنا وأمانا وأمنة فهو آمن، والأمنة: الأمن أيضا.

وقد يعنى هذا اللفظ - أمنة - شعور الإنسان بالراحة النفسية والطمأنينة بعد الشعور بالقلق والخوف، يقول الله - تعالى -:

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾

[آل عمران: من الآية ١٥٤]، ويقول - تعالى -:

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾

[الأنفال: من الآية ١١]

وهذه حقيقة قرآنية ساطعة؛ فالنوم بعد القلق والاضطراب النفسى يكسب النفس طمأنينة وهدوءا..

وقوله - عز وجل -:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾

[البقرة: من الآية ١٢٥]

قال أبو إسحاق: أراد ذا أمن، فهو آمن وأمن وأمين. ورجل أمن وأمين بمعنى واحد، وفى التنزيل العزيز:

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: الآية ٣]، أى الآمن الذى يستتب الأمن فى ربوعه ويكون من بداخله آمنا، ويعنى به مكة المكرمة..

والإيمان مشتق - كذلك - من الأمن؛ فإن كان الأمن يفيد الاطمئنان الظاهرى فإن "الإيمان" هو الاطمئنان القلبى والتصديق

الفعلى، والمؤمن هو المطمئن إلى ما آمن به وصدق، والإيمان فى بدايته تصديق، ثم اطمئنان وسكينة.

وقد ورد لفظ "الإيمان" بمعنى التصديق كثيرا فى القرآن الكريم، قال -تعالى-:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٤]، أى صدق الرسول - ﷺ - واطمأن وكذلك المؤمنون.

وقال -عز وجل-:

﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾

[آل عمران: من الآية ١١٠]، أى لو صدقوا.

وقال -سبحانه-:

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾

[التوبة: من الآية ١٨]، أى من صدق بالله واعتقد بوجوده ووحدانيته.

فمادة الأمن - إذن - تدور حول سكون القلب وراحة النفس والشعور بالغبطة والرضا والاستقرار.(١)

الأمن قوام الحياة

لقد حوى القرآن الكريم المئات من الآيات التى وردت فيها إحدى مشتقات مادة (أمن)؛ لتثبت أن قوام الحياة كلها هو الأمن، الذى هو سبب ازدهار الحياة وجمالها وبشاشتها، وحضارتها وتقدمها؛ من غير الأمن تفقد الحياة نفسها أعظم أسباب وجودها؛ فلا العقيدة الدينية بمستطيعة أن تتنفس فى جو مفقود به الأمن، وكذلك الحرية بشتى صنوفها والآداب والعلوم والفنون.

ولهذا كان الأمن قاعدة كل قواعد المجتمع الإنسانى؛ فإذا فقد الأمن فقد المجتمع إنسانيته، فمجتمعات الإرهاب والعبودية والبطش لا نجد فيها بشاشة الحياة، البشاشة الصادقة؛ لأن النفوس الخائفة التى لا يفارقها الخوف تتحول إلى مجتمع حيوانى..!

ولا أمن ولا أمان إلا فى الإسلام؛ فرسالة الإسلام ورسوله الكريم باعثا الأمن المتجدد فى نفوس البشر الذين وسعتهم رحمة الله الذى أودعها فى دينه القيم وفى رسوله الذى جعله هدى ورحمة للعالمين حتى يكون الأمن فى داخل النفس وفى خارجها.

ومجتمع القرآن خير مجتمعات بنى الإنسان طرا، وإن هذه "الخيرية" ثابتة ببراهين واقعة. ولقد نجد مجتمعات تبدو فى بعض مزاياها متقدمة على مجتمع القرآن فى كثير من علوم الحياة والحضارة والثراء. ومع ذلك نجد تلك المجتمعات المتقدمة فى الحضارة المادية مفقود الأمن؛ فلا يأمن فيها كبير ولا صغير، ولا قوى ولا ضعيف، بل كل من فيها مهدد على الدوام لا يدرى متى تحل به الكارثة تصيب نفسه أو ماله أو ولده أو عرضه أو أى شىء يخصه؟!!

وما كانت الحدود التى حدها الإسلام من عقوبات؛ إلا لتدعيم الأمن والأمان، وسير الحياة مطمئنة

(١) لسان العرب: لابن منظور، مادة (أمن)، راجع: مجلة "المنهل": العدد٣٤٦، شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ، ص٦، ٣٦٦، ٣٦٨.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰأُوْلِي الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[البقرة: من الآية ١٧٩]

إن القصاص من مقترفى الجريمة الشاذين عن أوامر الإسلام، فيه تطهير المجتمع، وردع لمن تحدثه نفسه بالسير على طريقتهم، وأمن المجتمع وطمأنينته، وفى ظل الأمن يباشر كل عمله فى الحضر والسفر، فتسير عجلة الحياة، وينتفع الناس، ويعم الرخاء(٢)..

الأمن فى الدنيا

إن الأمن والأمان والاستخلاف فى الأرض، وعد الله - سبحانه وتعالى - بها المؤمنين الصادقين فى إيمانهم، والعاملين لما أمر الله به من عبادات وجهاد وأخلاق.

لقد وعدهم الله بأن يمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، ويظهره على الدين كله، إنه الدين الذى ارتضاه الله لهم، حنيفية سمحاء، عقيدة مخلصة صافية، وسلوكا حميدا، وعلما ثابتا، وعبادة للخالق وحده، فمن تحلى به ظفر بالأمن فى الدنيا والآخرة (٣)، قال -تعالى-:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾

[النور: الآية ٥٥]

يقول المفسرون: لما قدم رسول الله - ﷺ - وأصحابه المدينة رمتهم العرب عن قوس واحدة، فكانوا لا يبيتون إلا فى السلاح، ولا يصحبون إلا فى لأمتهم - أى سلاحهم - فقالوا: أترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله -عز وجل-؟! فنزلت الآية، وهذا وعد ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة.

وفى الحديث بشارة كذلك فقد قال - ﷺ -: «إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتى سيبلغ ما زوى لى منها" [رواه مسلم] (٤).

صور من الأمن قصها القرآن الكريم

أ- دعوة خليل الرحمن: ولقد كان إبراهيم -عليه السلام- حينما دعا ربه بالأمن لبيته الحرام، كان فى دعائه هذا ملهما:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾

[إبراهيم: من الآية ٣٥]، أى اجعل مكة بلد أمن يأمن أهله وساكنوه (٥)، واستجاب الله له دعاءه.

ب- دعوة يوسف: ولمكانة الأمن كانت دعوة يوسف - عليه السلام - ، لأعز الناس إليه: أبويه وإخوته، أن يكونوا آمنين، فعندما قدم يعقوب - عليه السلام - من بلاد كنعان، ومعه إخوة يوسف، قاصدين مصر، ودخل على ولده يوسف بعد زمن طويل، وحزن مرير، وشكاة إلى الله، وبعد أن كف بصره،

---

(٢) الدين القيم: د. الحسينى هاشم، ١٢٢/٢، ١٢٣ط مجمع البحوث الإسلامية، سنة ١٤٠١

(٣) المرجع السابق: ١٣١/٢.

(٤) صفوة التفاسير: الشيخ محمد على الصابونى، ٣٤٨،٣٤٧/١٠، ط. دار الرشيد بسوريا.

(٥) الدين القيم: ١٣٠/٢.

وبعد أن أبصر عندما جاءه البشير بقميص يوسف ـ عليه السلام ـ ، بعد ذلك كله، دخلوا على يوسف فى لقاء يهز العواطف، ويملأ القلب فرحا وسرورا، لقد كان استقبال الولد البار لأبيه، ودعوته له ولإخوته، أن يدخلوا مصر إن شاء الله آمنين،

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ .

[يوسف: الآية ٩٩]، أى اسكنوا مصر آمنين مما كنتم فيه من الجهد والقحط، وحقق الله دعوة نبيه، فعاشوا فى أمن وحياة طيبة، آمنين مطمئنين (٦).

جـ- الأمن فى غزوة بدر: وفى غزوة بدر حينما لجأ المسلمون إلى الله، واستغاثوا به، مدهم بألف من الملائكة، وطمأن قلوبهم، وملأها أمنا، وغشاهم النعاس أمنة منه، وطهرهم بماءالسماء، وربط على قلوبهم، وثبتهم فى القتال، وأوحى إلى الملائكة بأنه معهم فثبتوا الذين آمنوا، وألقى الرعب والخوف فى قلوب الكفار(٧). وهكذا عندما يلجأ المسلمون إلى الله، يكون الأمن والنصر، يقول الله ـ تعالى ـ فى ذلك :

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝١١ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

[الأنفال: الآيات ٨-١٣]

د- غزوة أحد.. وأمن: وفى غزوة أحد، بعدما أصاب المسلمين من الغم ما أصابهم؛ لمخالفتهم أمر الرسول ـ ﷺ ـ ، تتدارك رحمة الله الفريق المؤمن بنعمة الأمن، ويكون ذلك الأمن بالنعاس يغشى طائفة منهم أخلصوا لله ولرسوله، ولم يغش هذا الأمن طائفة المنافقين التى أهمتهم أنفسهم، فلم يهتموا بالقتال ولا برسول الإسلام(٩) :

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

[آل عمران: الآية ١٥٤]

---

(٦) الدين القيم: ٢/١٢٣، ١٢٤.

(٧) المرجع السابق: ٢/١٣٣، ١٣٤.

(٨) الدين القيم:٢/١٣٢، وراجع: الكشاف: للزمخشرى،١/٤٧١،٤٧٢، ط. الحلبى، سنة ١٣٩٢هـ

(٩) صفوة التفاسير: ١٥/١٧٧،١٧٨.

وروى البخارى عن أنس أن أبا طلحة قال: "غشينا النعاس ونحن فى مصافنا يوم أحد، قال فجعل سيفى يسقط من يدى وآخذه ويسقط وآخذه".

أمن الآخرة

والأمن كما هو نعمة من أجل النعم فى الدنيا، فهو من نعم الله فى الآخرة، جعله جزاء لعباده المتقين. قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [الدخان: آية ٥١ وما يليها]، أى الذين اتقوا الله فى الدنيا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، هم اليوم فى موضع إقامة يأمنون فيه من الآفات والمنغصات والمكاره، وهو الجنة؛ ولهذا قال بعده ﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾، أى فى حدائق وبساتين ناضرة، وعيون جارية ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ أى يلبسون ثياب الحرير، الرقيق منه وهو السندس، والسميك منه وهو الاستبرق، ﴿ متقابلين ﴾ أى متقابلين فى المجالس ليستأنس بعضهم ببعض،

﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾، أى كذلك أكرمناهم بأنواع الإكرام، وزوجناهم أيضا بالحور الحسان فى الجنان، وإنما وصف –تعالى– نعيمهم بذلك؛ لأن الجنات والأنهار من أقوى أسباب نزهة الخاطر، وانفراجه عن الغم، ثم ذكر الحور الحسان لأن اكتمال سعادة الإنسان كما قيل: ثلاثة تنفى عن القلب الحزن: الماء، والخضرة، ،والوجه الحسن[٩]. ثم زاد – سبحانه – فى بيان النعيم فقال:

﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾

مهما طلبوا من الثمار أحضر لهم، وهم آمنون مطمئنون، غير خائفين، بل متمتعون بالأمن والعطايا، على ثقة من أن هذه المعطيات مستمرة، لا مقطوعة ولا ممنوعة، فى حياة دائمة خالدة

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾

أى لا يذوقون فى الجنة الموت لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى فى الدنيا فلم يعد ثمة موت، بل خلود أبد الآبدين

﴿ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾، أى خلصهم ونجاهم من عذاب جهنم الشديد الأليم[١٠]

﴿ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

فاللهم نسألك الأمن فى الدنيا والآخرة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

(١٠) الدين القيم: ١٢٨/٢، ١٢٩. وقارن بـ: صفوة التفاسير: ١٥/ ,١٧٨

الذكرى الخالدة
أربعة عشر قرنا على الفتح الإسلامي لمصر

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي

١

ها هو ذا النور يعم أرجاء مصر من شمالها إلى جنوبها، وها هي ذي مصر تستقبل الإسلام والجيش الإسلامي، وفتح الإسلام لمصر بالفرحة الغامرة، وبالبشر الذي ليس بعده بشر، وبترانيم السرور، وابتهالات الأمل بالغد المشرق الذي يستعيد فيه شعب مصر حريته وكرامته وعزته وسيادته.

لقد كان الفتح الإسلامي لمصر أمنية لكل مصري عاش الألم والاضطهاد والعذاب في عهد الرومان الأسود، الذي ظلل سماء مصر بالأحزان والآلام والرعب والخوف ستة قرون أو يزيد.

فكان الفتح الإسلامي لمصر معجزة المعجزات في تاريخ العالم جميعه.

مصر التي كان يحميها جيش روماني كثيف يزيد عدده على ربع مليون، وأسطول روماني رهيب جاثم على شواطئ مصر في الإسكندرية وماحولها.

ويتم الفتح الإسلامي لمصر بجيش لم يزد عدده، مع الإمدادات التي كانت تأتي إليه من المدينة، على خمسة عشر ألف جندي بقيادة عمرو بن العاص قائد الفتح.

إي وربي إنها لمعجزة، صنعها الإسلام ليحرر الشعوب المستعبدة من حكم الظالمين وليملأ سماء مصر الحزينة فرحاً وبشراً وحرية وعدلاً وأمناً وسلاما.

لقد حرر العرب المسلمون الشام من حكم الرومان بمعركة أجنادين التي انتصر فيها الجيش الإسلامي (عام ١٣هـ - ٦٣٤م) نصراً مؤزرا مع قلة عدده على الجيش الروماني الذي يبلغ أكثر من مائة ألف، وبلغ نبأ هذا النصر العظيم مسامع خليفة رسول الله أبي بكر الصديق وهو على فراش الموت فحمد الله وشكره، وتوفي الخليفة في ٢٢ من جمادى الآخرة سنة ١٣هـ - أغسطس ٦٣٤م، فخلفه الفاروق عمر بن الخطاب.

وبعد أقل من ثلاثة أعوام كان النصر الإسلامي الأكبر في معركة اليرموك الخالدة بقيادة خالد بن الوليد (١٥هـ - ٦٣٦م)، وفيما بين عامي ٦٣٦ و٦٣٨م أتم المسلمون فتح الشام - سوريا والأردن

وفلسطين- ودخل المسلمون بيت المقدس سنة ١٧هـ-٦٣٨م، وتسلم الخليفة عمر بيده مفاتيح بيت المقدس، وتحررت أرض الشام جميعها من احتلال رومانى طويل شرس دام أكثر من ستة قرون.

ووقف المسلمون بعد ذلك وجهاً لوجه أمام الجيش والأسطول الرومانى فى مصر وعلى شواطئها، الذى لاتفوته فرصة، ولا تمر عليه لحظة إلا وهو يحلم بأن يعود إلى استعادة أرض الشام وإلى حكمها من جديد، وإلى البطش بالمسلمين بطشاً لا هوادة فيه.

لقد كان الرومان وحاكمهم فى مصر المقوقس أو سيروس، وهو أسقف كنسي، يحاولون- ما استطاعوا- تحويل الكنيسة القبطية فى مصر إلى العقيدة الجديدة، وكان النزاع حاداً بين أتباع المسيح -عليه السلام- فالنساطرة غلبوا الجانب البشرى فى السيد المسيح -عليه السلام- على الجانب الإلهى، واليعاقبة غلبوا الجانب الإلهى على الجانب البشرى، والملكانية وهم أتباع المذهب الرسمى للحكومة يقولون بالطبيعتين، وعجزت الحكومة عن أن تفرض مذهبها على أتباع المذهبين الآخرين، فلجأت إلى اضطهادهما معاً، ولاننسى أن الرومان قد أسالوا دماء الأقباط فى الإسكندرية قروناً طويلة وأن الامبراطور «دقلديانوس» ساق جموعهم إلى روما مكبلين بالسلاسل، حيث التهمت الأسود الضارية فى استاد روما الرياضى منهم ١٤٠ألف شهيد، كما تم اعتقال بقيتهم فى مصر، وهدمت كنائسهم، وبلغ الاضطهاد الدينى ذروته إلى حد لايتصوره عقل، وسمى عام ٢٨٤م- أى قبل الإسلام بأكثر من أربعة قرون- بعام الشهداء، كما سمى العصر كله بعصر الشهداء، وجعل هذا العام- عام ٢٨٤م -مبدأ التاريخ القبطى الذى مر عليه حتى اليوم ١٧١٦عاماً، ولم ينج من هذا الاضطهاد الوحشى من الأقباط إلا الذين فروا بدينهم إلى الكهوف والمغارات فى جنوب مصر.

لقد كان المذهب المسيحى الملكى الرومانى فى مصر يؤمن بأن للمسيح طبيعتين: طبيعة إلهية وطبيعة بشرية، ولأنه مذهب الامبراطور فقد تم التنكيل الشديد بأتباع المذهب المسيحى الإسكندرى الذى كان يؤمن به الشعب القبطى الإسكندرى وبأن المسيح له طبيعة واحدة، وعزل الرومان أقباط مصر من وظائفهم، وجردوهم من أموالهم وأملاكهم واسترقوا نساءهم وبناتهم، وصدر القانون الرومانى عام ٦٠٤م بإلزام جميع الأقباط باعتناق المذهب الملكى، وظل الاضطهاد المروع للأقباط على أشده، واختبأ الأب بنيامين رأس الكنيسة القبطية فى صحارى مصر، حتى جاء النور، وجاءت البشرى على يدى الجيش الإسلامى الفاتح، جيش التحرير والعدل والأمان والحرية لكل مصرى يعبد الله على أرض مصر الخضراء، ويتضرع إلى الله أن يعيد السلام والأمان إلى ربوع مصر الخالدة.

٢ أربعة آلاف جندى بقيادة الصحابى البطل عمرو بن العاص يفتحون مصر، ويضمونها إلى منظومة شعوب الدولة الإسلامية المنصورة فى العراق وفارس والشام، وكانت الإمدادات الصغيرة الأخرى ضئيلة وصلت إلى عمرو وجيشه الفاتح أثناء المعارك الكبرى على أرض مصر، ولم يبلغ جيش الفتح وإمداداته فى يوم من الأيام أكثر من خمسة عشر ألف جندى، وبهذا العدد الضئيل قضى عمرو على الإمبراطورية الرومانية وجيشها الكبير المتمركز أو الذى تمركز أخيراً وبعد فتح الشام فى مصر والشرق العربى.

خمسة عشر ألف جندى، وأيم الله فتح بهم عمرو دولة، وأسس ملكاً وشيد سلطاناً، ونشر دين الله بين شعب معذب، وأعاد الأمان والسلام لأقباط مصر المعذبين المذعورين، كما أعاد رئيسهم المختبئ فى الصحراء إلى مكانه فى رياسة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وعامل الجميع معاملة عدل وإنصاف.

وصل عمرو العريش بجيشه الأربعة الآلاف جندى فى العاشر من ذى الحجة، العام الثامن عشر للهجرة- الثالث عشر من ديسمبر عام ٦٣٩م.

واجتاح الفرما، واستولى عليها فى أوائل عام ١٩هـ- يناير ٦٤٠م، ثم دخل بلبيس فى شهر شعبان ١٩هـ-يوليو ٦٤٠م، وانتصر على الجيش الرومانى المرابط فيها، واستقبل الناس طلائع الفتح بالبشر والفرحة الغامرة، ثم استولى أخيراً على «أم دنين» وهى قرية صغيرة على النيل فى موضع حديقة الأزبكية اليوم، وطوق حصن بابليون فى شوال من عام ١٩هـ-سبتمبر ٦٤٠م، وكان بداخله خيرة الجيش الرومانى المدافع عن الاحتلال الرومانى لمصر، وحاصر عمرو الحصن من شتى جوانبه، وظل الحصار المضروب عليه وقتاً طويلاً، وفى أثناء الحصار كان جيش عمرو يقضى على المقاومة العسكرية فى الدلتا وشمالى الصعيد وكان فى الجيش الذى حاصر الحصن: الزبير بن العوام، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، والمقداد بن الأسود، وأعلام عديدون من الصحابة وأبطال الصحراء، رجالات الإسلام الخالدين.

وأخذت المفاوضات تدور بين رسل عمرو ورسل المقوقس خلال الحصار، من أجل الوصول إلى صيغة اتفاق للصلح وإنهاء الحرب، وأخيراً اتفق عمرو والمقوقس على صيغة معاهدة تنهى الحرب، وأرسل المقوقس نص هذه الصيغة إلى الإمبراطور هرقل فى بيزنطة، فغضب غضباً شديداً، ورفض كل محاولات السلام والصلح، وحينئذ أخذ الزبير يتسور الحصن، ومعه بعض الصحابة، وتقدم ففتح باب الحصن الداخلى وهو يكبر، وزملاؤه معه يكبرون، والجيش الإسلامى خارج الحصن يردد: الله أكبر، وتدفق المسلمون إلى الحصن، واحتلوه وسار عمرو يوم الجمعة الثانى من المحرم من عام ٢٠هـ- ديسمبر ٦٤٠م بين صفوف الجيش الإسلامى الباسل، يتقدمهم إلى دار الملك، فدخلها، وسجد لله شكراً، حيث صلى بالجيش صلاة الشكر على هذا النصر العظيم، وكان المقوقس قد هرب هو وكبار قواده ورجال دولته من الحصن قبل دخول الجيش الإسلامى إليه بقليل.

وبعدئذ سار عمرو بجيش قليل إلى الاسكندرية عن طريق موازٍ لفرع رشيد، والإسكندرية هى العاصمة الرسمية للرومان، ويحميها أسطول رومانى رهيب، بالإضافة إلى جيش عرمرم، ووصل عمرو إلى الإسكندرية فى جمادى الأول من عام ٢١هـ-ربيع ٦٤١م وفرض عليها الحصار، وإن بقيت الشواطئ فى حماية الأسطول الرومانى، وظل الحصار مفروضاً عليها وقتاً طويلاً، وفى خريف عام ٢١هـ- ٦٤١م سلم الرومان والإمبراطور بالأمر الواقع، ووقع المقوقس مع عمرو معاهدة تسليم الإسكندرية، التى نص فيها على مايلى:

١-جلاء الجيش الرومانى عن الإسكندرية خلال عام واحد من تاريخ عقد المعاهدة.

٢-الحرية الدينية والشخصية وسلامة الممتلكات لكل أبناء المدينة ومن فيها من أفراد الجيش الرومانى.

٣-فرض الجزية على جميع البالغين دينارين كل عام ماعدا الأطفال والنساء والشيوخ.

وانتهى فتح مصر، وزالت السيادة الرومانية عليها وهى السيادة التى ظلت ستة قرون كاملة (٣١ـ٦٤١م) ودخلت مصر فى الإسلام، واستعاد شعب مصر وأقباطها حرياتهم الدينية والشخصية، ونعموا بالأمن والأمان فى ظل الإسلام رسالة الله إلى الإنسانية كافة.

٣ وكما قال ابن هانئ الأندلسى شاعر المعز الفاطمى حين فتح جيش جوهر مصر عام ٣٥٨هـ للخليفة الفاطمى المعز لدين الله:

يقول بنو العباس : هل فتحت مصر
فقل لبنى العباس قد قضى الأمر

نقول هنا وفى هذا المقام:

يقول بنو الرومان : هل فتحت مصر
فقل لبنى الرومان : قد قضى الأمر

وإنها لمنظومة رائعة من الأبطال ومن البطولة التى لم يعرف التاريخ لها مثيلاً.

منظومة بدايات الفتح الإسلامى لمصر فى عام ١٨هـ ـ ديسمبر ٦٣٩م، إلى تسليم الإسكندرية فى خريف عام ٢١هـ ـ ٦٤١م، إلى بناء الفسطاط عام ٦٤٢م، وبناء مسجد الفسطاط فى العام نفسه.

ولقد أتى عمرو من البطولات العسكرية مالم يأته قائد آخر، كان يتقدم الصفوف، ويقتحم الميدان، ويدخل قلب المعركة بجوار الصف الأول فيها، ويطوف بجنده، يتفقد أحوالهم، ويواسى جرحاهم، ويصلى على شهدائهم، وكانت له مواقف نبيلة خلال الفتح.. أسرت بنت المقوقس– أرمانوسة فى بلبيس، وكان موكبها يدخل المدينة وجيش عمرو يقتحمها، وكانت فى أبهى زينتها تسير لتزف إلى الإمبراطور هرقل رئيس الدولة الرومانية الشرقية ذات الحول والطول والسيادة العالمية. فبعث عمرو بها وبمن معها إلى أبيها مكرمة معززة مع جميع ماكان معها من مال ومتاع فى حراسة قيس بن سعد ليحميها، وسار بها حتى وصلت إلى أبيها المقوقس حاكم مصر فى ظلال الحكم الرومانى.

لم تكن لبطولات عمرو، ولا لإنسانيته ولا لأريحيته مثيل، حتى لقد أحبه الشعب المصرى حباً عميقاً لعدله، وإحسانه وفيض عطائه، وحبه أنه أعاد رئيس الكنيسة القبطية المشرد بنيامين إلى مكانه ومنصبه، ورد إليه الحرية والأمان والسلام.

لقد نظَّم عمرو جميع شئون مصر المالية والإدارية والزراعية.

وحبا فى الإسلام وعدله وجلال مبادئه وسمو أحكامه، دخل المسلمون فى دين الله أفواجا، وصدق الله العظيم:

﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾(١).

لقد أعطى عمرو للمسيحيين الأقباط فى مصر عهد أمان شبيهاً بعهد الأمان الذى أعطاه عمر بن الخطاب للمسيحيين فى القدس، ولاعجب فليس كالإسلام ديناً رفع من شأن عيسى– عليه السلام– وأمه العذراء، وقال الله ـ عز وجل ـ فيه فى كتابه العزيز:

﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾(٢).

---

(١) الحشر (٢١).

(٢) المائدة (٤٦).

العشرة المبشرون بالجنة

٥ الفاروق

عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

عمر.. مفتى رسول الله ﷺ

أخرج الإمام أحمد: حدثنا الحسن، حدثنا أحمد بن محمد أبوبكر المكى، حدثنا محمد بن إسماعيل الأنصارى، حدثنا شعيب بن إسحاق عن خليد بن دعلج، وأبى الجودى عن سعيد بن مهاجر عن المقدام بن معدى كرب قال: جاءوا برجل من الأنصار إلى رسول الله - ﷺ - وقد أصاب حدا، فقال النبى - ﷺ - لأصحابه: «ما ترون فيه؟» فقال عمر بن الخطاب: «أرى أن توجع قرنيه»، فقال الأنصار: يا رسول الله: إنك إن تطع عمر فى أمتك تشتد عليهم، وانصرف النبى - ﷺ - فأتى جبريل - عليه السلام - فقال: «"يا محمد إن ربك - عز وجل - أعز الإسلام بعمر ابن الخطاب فالقول ما قال عمر، فخرج رسول الله - ﷺ - فأخبر رسول الله - ﷺ - الناس وقال: «عمر منى وأنا من عمر وأحل حيث يحل عمر» ودعا بالأنصارى فأقام عليه الحد[1].

وروى مسلم - عن أبى قتادة - رضى الله عنه - أن رجلا أتى النبى - ﷺ - فقال: كيف تصوم؟ فغضب رسول الله - ﷺ - فلما رأى عمر - رضى الله عنه - غضبه قال: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا، نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فجعل عمر - رضى الله عنه - يردد هذا الكلام حتى سكن غضبه، فقال عمر: يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر كله؟ قال: لا صام ولا أفطر، أو قال: لم يصم ولم يفطر، قال: كيف من يصوم يومين ويفطر يوما؟ قال: ويطيق ذلك أحد؟ قال: كيف من يصوم يوما ويفطر يوما؟ قال: ذاك صوم داود - عليه السلام - قال:

---

(١) إسناده ضعيف جدا.

كيف من يصوم يوما ويفطر يومين؟ قال: وددت أنى طوقت ذلك، ثم قال - ﷺ -: ثلاث من كل شهر، ورمضان إلى رمضان فهذا صيام الدهر كله، صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده وصيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله(٢).

فمداخلة عمر بن الخطاب هنا لشرح سؤال الرجل يدل على حسن الفهم حيث أدرك أن صياغة السؤال: «كيف تصوم؟» صيغة إنكار، واستغراب فصحح عمر السؤال بما لا يفهم منه هذا الإنكار وبالتالى كانت إجابة رسول الله - ﷺ - التى أوضحت الحكم فيما سأل فيه الرجل.

وأخرج الإمام أحمد: حدثنا محمد بن يونس، حدثنا أبوالنعمان محمد بن الفضل السدوسى فى صحته سنة ثمان ومائتين، واستملى هذا الحديث بندار، حدثنا ثابت أبوزيد، حدثنا هلال بن خباب أن رجلا أعمى حدثهم وكان كثيرا المآثر، وكان جليسا لأبى سليمان عن أبى سليمان عن أبى ذر، أن النبى - ﷺ - توجه نحو أحد فاتبعه أبوذر فالتفت النبى - ﷺ - فقال أبوذر: لبيك وسعديك وأنا فداءك، فذكر حديثا طويلا، وقال فى آخره: «أتانى جبريل - عليه السلام - أن بشر أمتك أنه من قال لا إله إلا الله مخلصا فذكر خيرا كثيرا» فلما جاء المدينة قال: «أدعو إلى أبا الدرداء، فجاء فأمره أن يبشر الناس، فرده عمر بن الخطاب، قال: يا نبى الله إذا يتكل الناس على قول لا إله إلا الله، ويتركوا العمل، فقال النبى - ﷺ - أرشدك الله أو نحوا من هذا»(٣).

وأخرج الإمام أحمد: حدثنا الحسن، حدثنا عثمان بن عمرو، حدثنا عبدالحكم عن هشام، حدثنا عبدالملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال: ما رأيت أحدا أعلم بالله ولا أقرأ لكتاب الله ولا أفقه فى دين الله من عمر بن الخطاب(٤).

وأخرج البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «بينما أنا نائم رأيت الناس عرضوا على وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدى، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض على عمر وعليه قميص يجره، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين»(٥).

قال الشاطبى بعد أن ذكر الحديث: إن المفتى قائم فى الأمة مقام النبى - ﷺ -(٦) يعنى كأنه فهم أن عمر بلغ المنزلة القصوى التى تؤهله لأن يفتى الأمة.

عمر وكتاب الله - عز وجل -

وروى الإمام أحمد: حدثنا أحمد حدثنا الحسن ابن الطيب البلخى، حدثنا جعفر بن حميد القرشى، حدثنا يونس بن أبى يعفور عن أبيه عن مسلم أبى سعيد عن ابن مسعود أنه مر على رجلين فى المسجد قد اختلفا فى آيه من القرآن، فقال أحدهما: أقرأنيها عمر، وقال الآخر: أقرأنيها أبى، فقال ابن مسعود اقرأها كما أقرأكها عمر، ثم هملت عيناه حتى بل الحصى وهو قائم، قال: إن

---

(٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الصوم.

(٣) إسناده ضعيف جدا، فضائل الصحابة برقم (٥٦٢).

(٤) إسناده ضعيف جدا، فضائل الصحابة برقم (٦٩٢).

(٥) السيوطى، تاريخ الخلفاء (١٢٩).

(٦) الموافقات ٢/٢٥٩.

عـمـر كـان حـائطا كنيـفـا يدخله المسلمـون ولا يخرجون منه، فانثلم الحائط فهم يخرجون منه ولا يدخلون، ولو أن كلبـا أحب عـمـر لأحـبـبـتـه ولا أحببت أحد حبى لأبى بكر وعمر وأبى عبيدة بن الجراح»(٧).

وروى الإمـام أحـمـد حـدثـنا إبراهيم حـدثـنا الرمادى حدثنا سفيان عن الزهرى عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت قال: قبض رسـول الله ـ ﷺ ـ ولم يكن القرآن جمع، إنما كان فى العسب والكرانيف وجـرائد النخل والسعف فلمـا قـتل سالم يوم اليمامة ـ قال سفيان وهو أحد الأربعة الذين قـال رسـول الله ـ ﷺ ـ خـذوا القرآن منهم ـ جاء عمر بن الخطاب إلى أبى بكر فقال: إن القتل قد استحر بأهل القرآن وقد قتل سالم مولى أبى حذيفة وأخاف أن لا يلقى المسلمون زحفا آخر إلا استحر القتل فيهم فاجمع القرآن فى شىء فإنى أخاف أن يذهب. قال: فكيف تأمرنى أن أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ـ ﷺ ـ قال: فلم يزل به حتى شرح الله صدر أبى بكر للذى شرح صدر عمر قال: فأرسل إلى زيد بن ثابت فادعه حتى يكون معنا فإنه كان شابا حدثا ثقفا يكتب لرسول الله ـ ﷺ ـ الوحى فادعه حتى يكون معنا زيد بن ثابت فأرسلا إلىَّ فدعوانى فجئت إليهما فقالا: إنا نريد أن نجمع القرآن فى شىء تكون معنا فإنك كنت تكتب الوحى لرسول الله ـ ﷺ ـ وكنت حدثا ثقفا فقلت لهما: وكيف تفعلان شيئا لم يفعله النبى ـ ﷺ ـ؟ فقال أبوبكر قلت ذاك لهذا، قال فلم يزالا بى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدورهما، قال: فتتبعناه، فكتبناه قال سفيان: ولم أسمعه من الزهرى إنما حدثونا عنه قال: وأهل المدينة يسمون زيد بن ثابت كاتب الوحى(٨).

قال على بن أبى طالب – رضى الله عنه –: كنا أصحاب محمد لا نشك أن السكينة تنطلق على لسان عمر(٩).

وقال ابن عمر –رضى الله عنه–: ما رأيت أحدا قط بعد رسول الله – ﷺ – من حين قبض أخير ولا أجود من عمر(١٠).

ذهب بتسعة أعشار العلم

وقال ابن مسعود –رضى الله عنه–: لو أن علم عمر وضع فى كفة ميزان، ووضع علم أحياء الأرض فى كفة، لرجح علم عمر بعلمهم، ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم (١١).

وقال –أيضا– إذا ذكر الصالحون فجيهلا بعمر، إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله وأفقهنا فى دين الله(١٢).

وقال حذيفة –رضى الله عنه–: والله ما أعرف رجلا لا تأخذه فى الله لومة لائم إلا عمر(١٣).

---

(٧) إسناده ضعيف جدا، فضائل الصحابة برقم (٤٨٦).

(٨) إسناده منقطع بين الثورى والزهرى، فضائل الصحابة برقم (٥٩١)، وأخرجه البخارى ١٢٦/٧ والترمذى (٢٨٣/٥)، ومسلم (١٩١٣/٤).

(٩) الرياض النضرة فى مناقب العشرة «٣٨/٢».

(١٠) السيوطى، تاريخ الخلفاء «صـ١٣٣».

(١١) الرياض النضرة (٦٧/٢).

(١٢) السيوطى، تاريخ الخلفاء «صـ١٣٤».

(١٣) المصدر السابق «صـ١٣٣».

وقال -أيضا-: كأن علم الناس كان مدسوسا فى حجر عمر(١٤).

وقالت عائشة - رضى الله عنها-: كان والله أحوذيا(١٥) نسيج(١٦).

هذا رجل لا يحب الباطل

وروى أحمد: حدثنا إبراهيم، حدثنا محمد ابن أبى بكر المقدمى، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا حسين بن واقد، عن عبدالله بن بريدة عن أبيه: أن امرأة سوداء نذرت إن الله رد رسوله من غزوة غزاها أن تضرب عنده بالدف، فرجع وقد أفاء الله عليه، وأخبرته فقال: «اضربى، فدخل أبوبكر وهى تضرب، ثم دخل عثمان وهى تضرب، ثم دخل عمر، فلما سمعته ألقت الدف وجلست منقمعة(١٧)، فقال النبى -ﷺ-: «أنا هاهنا وأبوبكر وعثمان، إنى لا أحسب أن الشيطان يفرق منك يا عمر»(١٨).

وروى أحمد: حدثنا عبدالله قال: حدثنى أبى، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عبدالرحمن بن أبى بكرة عن الأسود بن سريع، قال: أتيت رسول الله -ﷺ- فقلت: يا رسول الله إنى قد حمدت ربى - عز وجل- بمحامد ومدح وإياك، قال: «هات ما حمدت به ربك -عز وجل- قال: فجعلت أنشده، قال فجاء رجل أدلم(١٩)، فاستأذن، فقال رسول الله -ﷺ-: «آس آس» قال: فتكلم ساعة، ثم خرج، قال: فجعلت أنشده، قال: ثم جاء فاستأذن، فقال النبى -ﷺ-: «آس» ففعل ذلك مرتين أو ثلاثا، قال: قلت: يا رسول الله، من هذا الرجل الذى استنصتنى له؟ قال: «هذا عمر بن الخطاب، هذا رجل لا يحب الباطل»(٢٠)

عن ابن عمر -رضى الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- كان يعطى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه- العطاء، فيقول له عمر: اعطه يا رسول الله أفقر إليه منى، فقال له رسول الله -ﷺ-: «خذه فتموله أو تصدق به، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، ومالا تتبعه نفسك»(٢١).

وعن ابن عمر رضى الله عنه «أن عمر رضى الله عنه أصاب أرضا بخيبر، فأتى النبى -ﷺ- يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله إنى أصبت أرضاً بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندى منه، فما تأمر فيه؟ قال: «إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها» قال: فتصدق بها عمر أنه لا تباع ولا توهب ولا تورث، وتصدق بها فى الفقراء وفى القربى، وفى الرقاب، وفى سبيل الله وابن السبيل، والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف وليطعم غير متمول».

---

(١٤) نفس المصدر السابق.

(١٥) الأحوذى: الجاد المنكمش المسرع فى أموره الحسن السياق للأمور، النهاية لابن الأثير «١/٤٥٧».

(١٦) تاريخ الخلفاء للسيوطى «صـ١٣٤».

(١٧) جلست مستخفية.

(١٨) اسناده صحيح، فضائل الصحابة برقم «٥٩٤».

(١٩) أسود طويل.

(٢٠) اسناده حسن لغيره، فضائل الصحابة برقم «٣٣٤».

(٢١) رواه مسلم في الزكاة باب إباحة الأخذ لمن أعطى من غير مسألة ولا إشراف «٢/٧٢٣» رقم «١٠٤٥» ورواه مالك في الموطأ، كتاب الصدقة، باب ما جاء فى التعفف ٢/٩٩٨٧.

قال ابن عون «فحدثت به ابن سيرين. فقال: غير متأثل مالاً»[٢٢].

وفى رواية: «أن عمر تصدق بمال له على عهد رسول الله -ﷺ-، وكان يقال له: ثمغ -وكان نخلاً- فقال عمر: يا رسول الله إني استفدت مالاً -وهو عندى نفيس- فأردت أن أتصدق به، فقال النبى -ﷺ-: «تصدق بأصله، لا يباع ولا يوهب ولا يورث، ولكن أنفق ثمره»، فتصدق به عمر، فصدقته تلك فى سبيل الله -عز وجل-، وفى الرقاب والمساكين والضيف وابن السبيل، ولذى القربى، ولا جناح علي من وليه أن يأكل بالمعروف، ويؤكل غير متمول به»[٢٣].

يقول أبوالعالية - رحمه الله -: أكثر ما كنت أسمع عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- يقول: «اللهم عافنا، واعف عنا»[٢٤].

رسول الله - ﷺ - يبشر عمر بالجنة

وعن أبى هريرة، قال: كنا قعوداً حول رسول الله -ﷺ- ومعنا أبوبكر وعمر فى نفر، فقام رسول الله -ﷺ- من بين أظهرنا، فأبطأ علينا، وخشينا أن يقتطع دوننا، وفزعنا فقمنا، فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغى رسول الله -ﷺ- حتى أتيت حائطا للأنصار، لبنى النجار فدرت به، هل أجد له بابا؟ فلم أجد، فإذا ربيع يدخل فى جوف حائط من بئر خارجة -والربيع الجدول- فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، فدخلت على رسول الله -ﷺ-

فقال: أبوهريرة؟ فقلت: نعم يا رسول الله.

قال: ما شأنك؟ قلت: كنت بين أظهرنا، فقمت، فأبطأت علينا، فخشينا أن تقتطع دوننا، ففزعنا، فكنت أول من فزع فأتيت هذا الحائط، فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، وهؤلاء الناس ورأيى.

فقال: يا أبا هريرة -وأعطانى نعليه- قال: أذهب بنعليَّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط، يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة.

فكان أول من لقيت عمر. فقال: ما هاتان النعلان يا أباهريرة؟ فقلت: هاتين نعلا رسول الله -ﷺ- بعثنى بهما. من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشرته بالجنة، فضرب عمر بيده بين ثديى، فخررت لاستى.

فقال: ارجع يا أبا هريرة. فرجعت إلى رسول الله - ﷺ - فأجهشت بكاء، وركبنى عمر، فإذا هو على أثرى، فقال لى رسول الله -ﷺ-: مالك يا أبا هريرة؟ قلت: لقيت عمر، فأخبرته

(٢٢) رواه البخارى فى الشروط واللفظ له، باب: الشروط فى الوقف ٩٨٢/٢ رقم الحديث «٢٥٨٦». ورواه مسلم فى الوصية، باب: الوقف ١٢٥٥/٣ رقم الحديث «١٦٣٢» والحديث متفق عليه ورواه البغوى في شرح السنة في كتاب العطايا والهدايا باب: الوقف ٢٨٧/٨ رقم الحديث «٢١٩٥» غير متأثل. ورواها أبوداود في الوصايا باب: ما جاء في الرجل يوقف الوقف- رقم الحديث «٢٨٧٨».

(٢٣) رواه البخارى فى الوصايا، باب: وما للوصى أن يعمل فى مال اليتيم ١٠١٧/٣ رقم الحديث «٢٦١٣» مع خلاف قليل فى بعض الكلمات.

(٢٤) خبر صحيح أخرجه أحمد فى الزهد.

بالذى بعثتني به فضرب بين ثديى ضربة خررت لاستى، فقال: ارجع فقال له رسول الله -ﷺ-: يا عمر ما حملك على ما فعلت؟

قال: يا رسول الله، بأبى أنت وأمى، أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقى يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: نعم

قال: فلا تفعل فإنى أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون قال رسول الله -ﷺ- فخلهم(٢٥).

مكانة عمر بن الخطاب الفقهية

يقول الشيرازى: ومن نظر فى فتاوى عمر على التفصيل وتأمل معانى قوله على التحصيل وجد فى كلامه من دقيق الفقه ما لا يجد فى كلام أحد(٢٦).

ويقول الدكتور معروف الدواليبى: إن الإمام مالك من تلامذة كبار الصحابة فى المدينة، فقد كان الزهرى، ونافع من أساتذة مالك، وقد أخذا عن سعيد بن المسيب، وهذا أخذ عن عمر، وكان يعد وارث عمر فى عمله فى المدينة.. ولا غرابة أن تكون المدينة مقر مدرسة الحديث، وأن يكون المذهب المالكى مثالا صحيحا لهذه المدرسة، كما هو مثال صحيح لما تركه عمر بن الخطاب -رضى الله عنه - من أثر فى الاجتهاد وتوجيهه نحو الأخذ بالرأى المبنى على تحقيق المصالح ودفع المفاسد وهذه غاية الشريعة السمحاء(٢٧).

ولا شك أن منهج عمر -رضى الله عنه- فى الاجتهاد منهج قويم، فقد كان يأخذ الأحكام أولا من كتاب الله -عز وجل- ثم من سنة النبى -ﷺ- ثم يجتهد بعد ذلك، فأحيانا يأخذ بقول من سبقوه، أبوبكر الصديق - رضى الله عنه -، وأحيانا يجمع الصحابة ويستشيرهم فيأخذ بما أشاروا به عليه، وأحيانا يرجع إلى الرأى المبنى على قواعد التشريع، الذى يحصل به جلب مصلحة أو دراء مفسدة(٢٨).

يقول الدكتور رويعى الرحيلى: «الوصول إلى فقه عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- هو فى الحقيقة وصول إلى فقه الفقهاء الأربعة: أبى حنيفة، ومالك، والشافعى، وأحمد، لأنهم كلهم يأخذون ما أثر عنه ويحتجون به، وذلك لمكانته الفقهية التى امتاز بها عند رسول الله -ﷺ- وعند صحابته- رضوان الله عليهم- فقد كان من أكابر مجتهدى الصحابة، والكل فى حاجة ماسة إلى فقهه»(٢٩).

جاء فى موطأ الإمام مالك -رضى الله عنه-: عن يحيى بن سعيد أن عمر -رضى الله عنه- خرج فى ركب فيهم عمرو بن العاص حتى وردوا حوضا، فقال عمرو، يا

---

(٢٥) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات على التوحيد دخل الجنة.

(٢٦) طبقات الفقهاء «صـ٣٩، ٤٠».

(٢٧) أصول الفقه «صـ٣٢٧، ٣٢٨».

(٢٨) أصول الفقه «صـ٨٧». الموافقات «٤/٢٨٧».

(٢٩) فقه عمر بن الخطاب موازنا بفقه أشهر المجتهدين «١/١٣، ١٤».

صاحب الحوض هل ترد حوضك السباع؟ فقال عمر -رضى الله عنه- لا تخبرنا، فإنا نرد علي السباع وترد علينا[٣٠].

وهذا امتثال من عمر - رضى الله عنه- لتوجيه رسول الله - ﷺ - له: عن نافع عن عبدالله بن عمر -رضى الله عنهما.. قال: خرج رسول الله - ﷺ - فى بعض أسفاره فسار ليلاً فمر على رجل جالس عند مقراة[٣١] له فقال له عمر: يا صاحب المقراة ولغت السباع الليلة فى مقراتك؟ فقال له النبى -ﷺ-: يا صاحب المقراة لا تخبره هذا متكلف، لها ما حملت فى بطونها ولنا ما بقى شراب طهور».

وهو لا يقل شهرة عن ابن عباس فى الفقه والفهم لأسرار الشريعة ومصالحها، بل هو كما يقول ابن المندر: «أعلى من ابن عباس وأولى بالاتباع»[٣٢] فلو جمع فقهه لكان أكثر مما جمع عن ابن عباس، وكتب الفقه والآثار، وشروح الحديث، وكتب التفسير، وغير ذلك شاهدة بغزارة فقهه وسعة فهمه واطلاعه، بل إن كثيرا من فروع الفقه الإسلامى يوجد لها شاهد من فقهه -رضى الله عنه -[٣٣].

حجية قول عمر بن الخطاب

أما الأدلة التى تدل على حجية قول عمر فهى كثيرة ويكفى فى ذلك الاستشهاد بقوله -ﷺ- «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه».

قال ابن القيم: ومن المحال أن يكون الخطأ فى مسألة أفتى بها من جعل الله الحق على لسانه وقلبه حظه ولا ينكره عليه أحد من الصحابة، ويكون الصواب فيها حظ من بعده، هذا من أبين المحال.

وقال عليه الصلاة والسلام: قد كان فيمن خلا من الأمم أناس محدثون فإن يكن فى أمتى أحد فهو عمر.

قال ابن القيم: ومن المحال أن يختلف هذا ومن بعده فى مسألة ويكون الصواب فيها مع المتأخر دونه، فإن ذلك يستلزم أن يكون ذلك الغير هو المحدث بالنسبة إلى هذا الحكم دون عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لو لم أبعث فيكم لبعث عمر»، وفى لفظ: «لو كان بعدى نبى لكان عمر»، وقد عرف له الصحابة هذه المنزلة، فعلى بن أبى طالب - رضى الله عنه - كان يقول: ما كنا نبعد أن

---

(٣٠) السيوطى، تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك «٤٦/١» دار إحياء الكتب العربية بمصر، موطأ الإمام مالك مع المنتقى للباجى «٦٢/١» طبعة بالأوفست عن مطبعة السعادة ١٣٣١هـ، ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢٥٣/١) تحقيق وتعليق محمد حامد الفقى، دار المعرفة للطباعة والنشر.

(٣١) المقراة هى: الحوض يجتمع فيه الماء.

(٣٢) الأوسط لأبن المنذر «٢٤٨».

(٣٣) د/ رويعى الرحيلى، فقه عمر بن الخطاب موازنا بفقه أشهر المجتهدين «١٥/١».

السكينة تنطق على لسان عمر.

قال ابن القيم: من المحال أن يكون من بعده من المتأخرين أسعد بالصواب منه فى أحكام الله -تعالى-(٣٤).

وقال ابن مسعود: ما رأيت عمر الا وكأن بين عينيه ملكاً يسدده.

والقارىء لفقه عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- يجد أن هناك ثروة فقهية هائلة منسوبة إليه - رضى الله عنه - لا يمكن أن يستغنى عنها أحد من رجالات العلم، وذلك لأن فقهه رضى الله عنه فقه متطور يساير جميع العصور والأزمان فيه حل لكثير من مشاكل العصر الحديث، وذلك لما حبا الله به عمر بن الخطاب من سداد فى الرأى وفهم لأسرار الشريعة ومصالحها.

وكثير من الفقهاء المجتهدين من بعده، كثيرا ما كانوا يستندون إلى اجتهاداته، وبخاصة فى الأمور التى هى ميدان لاجتهاداتهم، فكانوا يرتسمون خطاه وبخاصة فى العمل بروح الشريعة ومصالحها، كمتابعته فى قتل الجماعة بالواحد، ومتابعته فى أخذ دية القتل الخطأ ونحوه من أهل الديوان وغير ذلك.

والفقهاء - رحمهم الله- كثيرا ما يختلفون فى مسألة من مسائل الفقه، كل واحد منهم يرى أن الواجب فيها كذا، وحينما ننظر فى احتجاجهم نجد أن كلا منهم يحتج بما أثر عن عمر -رضى الله عنه- فينسب إليه ما يؤيد ما ذهب إليه.

فمثلا اختلفوا هل يشترط- فى قتل الجماعة بالواحد- أن يكون فعل كل واحد منهم صالحاً للقتل أو لا يشترط؟ فنجد أن من ذهب منهم إلى اشتراطِ ذلك يرى أن ذلك هو فقه عمر -رضى الله عنه- ومن لم يشترط ذلك يذهب إلى أن ذلك هو فقه عمر.

ثم اختلفوا: ما هو الأصل فى الديات، الإبل وحدها، أو هى والبقر والغنم والذهب والفضة والحلل؟ فنجد أن من رأى منهم أن الأصل فى الديات هى الإبل وحدها، يرى أن ذلك هو فقه عمر، ومن يرى أن تلك الأجناس كلها أصول يرى أن ذلك هو فقه عمر -رضى الله عنه-.

ثم اختلفوا: هل الدية من الفضة إذا كانت أصلا: إثنا عشر ألف درهم أو عشرة آلاف درهم؟ فمن ذهب إلى أنها إثنا عشر ألف درهم يرى أن ذلك هو فقه عمر، ومن رأى أنها عشرة آلاف درهم يرى أن ذلك هو فقه عمر(٣٥).

«يتبـــــع»

---

(٣٤) أعلام الموقعين «٤/٢٨٣» نقلا عن: د./ رويعى بن راجح الرحيلى، فقه عمر بن الخطاب «١/٥٦، ٥٧».

(٣٥) فقه عمر بن الخطاب «٣/٤٣٥: ٤٣٧».

طرائف.. ومواقف

إعداد/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

نصيحة

لسيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ:

من عرض نفسه للتهمة فلايلومن من أساء به الظن، ومن كتم سره كانت الخيره فى يده، ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يقلبك، ولاتظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم شرا وأنت تجد لها فى الخير محملا، وما كافأت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وعليك بإخوان الصدق فكثر فى اكتسابهم، فإنهم زين فى الرخاء، وعدة عند عظيم البلاء، ولاتهاون بالحلف بالله فيهينك الله.

ميّت وميْت

قيل: الفرق بين « ميْتَ » بالتخفيف « وميِّت » بالتشديد أن الأول لمن مات حقيقة، والثانى لمن سيموت قال الشاعر:

أيا سائلى تفسير ميْت وميّت
فدونك قد فسرت ما عنه تسأل
فما كان ذاروح فذلك ميّت
وما الميت إلا من إلى القبر يحمل

إنى مسافر

قيل لبعض الزهاد: مالك تمشى على عصا ولست بكبير ولا مريض؟ قال: إنى أعلم أنى مسافر، وأنها دار قلعة وأن العصا من آلة السفر، فأخذه بعض الشعراء، فقال:

حملت العصا لا الضعف أوجب حملها
على ولا أنى تحنيت من كبر
ولكننى ألزمت نفسى حملها
لأعلمها أن المقيم على سفر

أضحكنى.. وأبكانى

قال أبوالدرداء ـ رضى الله عنه ـ أضحكنى ثلاث، وأبكانى ثلاث:

أضحكنى: مؤمل الدنيا والموت يطلبه،

وغافل ولايغفل عنه، وضاحك ملء فيه ولايدرى أساخط ربه أم راض.

وأبكانى: هول المطلع، وانقطاع العمل، وموقفى بين يدى الله لا أدرى أيأمر بى إلى الجنة أم إلى النار.

ما ترك الأعرابى منكم أحدا

وقف أعرابى على حلقة حسن البصرى فقال: رحم الله من تصدق من فضل، أو واسى من كفاف، أو آثر من قوت! فقال: الحسن البصرى، ما ترك الأعرابى منكم أحدا حتى عمه بالسؤال.

قيل فى الدنيا

ثناء الفتى يبقى ويفنى ثراؤه
فلا تكتسب بالمال شيئا سوى الذكر
فقد أبلت الأيام كعبا وحاتما
وذكرهما غض جديد إلى الحشر

حقا

قيل لأعرابية: ما الجرح الذى لايندمل؟ قالت: حاجة الكريم إلى اللئيم ثم يرده! قيل لها: فما الذل؟ قالت: وقوف الشريف بباب الدنيىء ثم لايؤذن له! قيل لها: فما الشرف؟ قال: اتخاذ المنن فى رقاب الرجال.

رد مفحم

قال رجل من اليهود لسيدنا على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ ما دفنتم نبيكم حتى قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فقال له الإمام: أنتم ما جفت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم:

﴿ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾(١).

دعاء

اللهم أنت العليم فلايجهل، وأنت الحليم فلا يعجل، وأنت الكريم فلايبخل، وأنت العزيز فلايذل اغفرلى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به منى، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شىء قدير وبالإجابة جدير، لاإله إلا أنت.

(١) سورة الأعراف ١٣٨

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد وتقديم: الشيخ / عبد الفتاح حسين الزيات

السؤال من / م. م. أ:

هل يجوز سفر المرأة إلى الخارج للعلم أو للدعوة إلى الإسلام بدون محرم سواء تمكن المحرم من السفر معها وسافرت بدونهم أو لا يتمكن المحرم من السفر معها. فما الحكم؟

● **الجواب :**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله - وبعد :-

فنفيد بأن الإسلام حريص كل الحرص على المحافظة على المرأة وصيانتها من الشبهات والإبقاء على كرامتها وسمعتها وذلك لأن المرأة مخلوق ضعيف تحتاج دائما إلى من يرافقها فى سفرها وإقامتها حتى تأمن على نفسها وحياتها من الذئاب البشرية والمرأة سواء خرجت للالتحاق بإحدى الجامعات لاستكمال تعليمها أو أى عمل آخر يجب شرعا أن يرافقها محرم من محارمها فإن كان محارمها مشغولين ولم يستطع أحد أن يرافقها فينبغى أن تسافر مع رفقة مأمونة من زميلاتها موثوق فيهن يخشين الله ويتقينه فى كل وقت هذا إذا كان من أجل التعليم.

أما خروجها من أجل الدعوة إلى الإسلام وليس معها ذو محرم فالإسلام لا يبيح لها هذا؛ لأن هذا العمل له رجاله القائمون عليه.

والله أعلم

السؤال من محمد عبد الستار على حسن: يقول فيه:

مات والدى وترك منزلا كتبه باسمى واسم أخى فقط دون الإناث وهذا المنزل مكون من طابقين، وقد قمت بدفع ألفين من الجنيهات لشقيقتى مقابل قيامها بترميم هذا المنزل، وقد

أقمت طابقين جديدين فوق هذا المنزل وقد قمنا بتوثيق العقد :

فما رأى الدين فى هذا التصرف ؟

● **الجـواب :**

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد : فنفيد بأن المنزل المسؤل عنه تركة يقدر بالثمن الحالى ويستخرج من هذا المبلغ ما دفعه السائل لشقيقته مقابل الترميم، ثم يقسم الباقى على جميع الأخوة الذكور والإناث للذكر مثل حظ الأنثيين ما لم يكن لهم أم، أما الطابقان اللذان بناهما السائل فهما له دون منازع لأنه بناهما من ماله الخاص، برضاء أخيه والله -سبحانه وتعالى- يقول : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[1] هذا إذا كان الحال كما ورد فى السؤال والله أعلم.

■■ **السؤال من السيد / أحمد حسن حامد :**

توفى رجل عن : زوجة، وأولاد ابن، وأولاد بنت، ثم توفيت الزوجة عن أولاد ابن وأولاد بنت، فكيف توزع التركة ؟

● **الجـواب :**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعـد :

فنفيد بأن فى تركة هذا الرجل وصية واجبة لأولاد ابنته طبقا لأحكام قانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس سنة ١٩٤٦ بشرط ألا تزيد عن الثلث وألا يكون الجد قد أعطاهم نصيب مورثهم بدون عوض، فتقسم التركة ثلاثة أجزاء : لأولاد البنت جزء يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين، والباقى يوزع للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث، والباقى لأولاد الإبن تعصيبا للذكر مثل حظ الأنثيين، وكذلك تركة الزوجة التى توفيت بعد زوجها فإن فيها -أيضا- وصية واجبة لأولاد البنت فى حدود الثلث، والباقى وهوالثلثان يكون لأولاد الإبن تعصيبا، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال، والله أعلم.

■■ **السؤال من ف . عبد الجليل العشرى**

ارتبطت عاطفيا بشاب وتواعدنا على الزواج، ولكن أهلى يرفضون هذا الشاب لأسباب لست مقتنعة بها.

فهل يجوز لى أن أتزوج هذا الشاب بدون ولى خصوصا وأننى بلغت الرابعة والعشرين

● **الجـواب :**

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد :

فنفيد بأن المذاهب الثلاثة : المالكى والشافعى والحنبلى : اتفقوا على أن الزواج لا ينعقد بعبارة النساء، وقالوا : إنه لابد أن يتولى العقد عن المرأة وليها وهو على الترتيب : الأب والجد والأخ الشقيق أو الأخ لأب . . . ألخ.

غير أن المذهب الحنفى انفرد بالقول بصحة عقد الزواج إذا باشرته المرأة بنفسها لنفسها للضرورة، وإن كان الأولى أن يباشر العقد عنها رجل من أوليائها وعلى ذلك فإنه يجوز أخذا من مذهب أبى حنيفة فقط أن تتولى المرأة عقد زواجها بنفسها، ويقع صحيحا متى توافرت باقى الشروط وانتفت الموانع

---

(١) سورة البقرة (١٨٨).

الشرعية، هذا إذا كان الحال كما جاء فى السؤال والله أعلم.

■■ **السؤال من أ. ع. ف. الخضراوى من حوش عيسى يقول فيه:**

وضعت زوجتى طفلا، وفى مدة النفاس لم أستطع أن أسيطر على رغبتى الجنسية فجامعتها وهى نفساء، فهل على إثم فى ذلك وكيف أكفر عنه؟

● **الجواب:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين

وبعد:

فنفيد بأنه من المقرر شرعا حرمة جماع الرجل امرأته النفساء فى الفرج لأن دم النفاس دم أذى قد يضر بالزوج، ولذلك يجب اعتزال النساء فى مدة النفاس، فإذا حدث وجامع الرجل امرأته وهى نفساء فإنه يكون آثما، وجمهور الفقهاء على أنه يستغفر الله ويتوب إليه ولا شيء عليه.

وعلى ذلك فإنه على السائل أن يتوب إلى الله ويستغفره ويندم ويعزم على عدم العود إلى هذا الفعل المحرم، فإن الله غفور رحيم يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات،

هذا إن كان الحال كما جاء فى السؤال

والله أعلم.

■■ **السؤال من السيد / فتحى السيد عبد الرحيم الزعبلاوى**

قام مأذون بعقد قران لزوجين وأمام الناس والشهود ولكن تأخر فى تسجيل الوثيقة عشرين يوما بسبب فقد مستند الزوجة ودخل الزوج بزوجته فهل المدة من وقت العقد إلى يوم التسجيل تعتبر نكاحا صحيحا أم لا؟

● **الجواب:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فنفيد بأنه مادام قد تم عقد القران بشروطه وأركانه الصحيحة وأمام الجمع من الناس وأعلن ذلك للجميع فالزواج صحيح وإن تأخر التسجيل لبعض الأيام بسبب فقد مستند أو بفقد دفتر التسجيل مثلا.

■■ **السؤال من السيد / سعد عامر زكى يقول فيه:**

شاب عقد قرانه على فتاة ولم يدخل بها، وقبل الزفاف بعدة أيام توفيا إثر حادث أليم ولم يعلم أيهما مات أولا: فما حكم الشرع فى:

مؤخر الصداق، قائمة المنقولات التى وقع عليها الشاب.

● **الجواب:**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد:

فنفيد بأنه إذا مات الزوجان فى حادث ولم يعلم أيهما مات أولا، فلا توارث بينهما فى هذه الحالة ويصبح مال كل منهما تركة تقسم على ورثته حسب الأنصبة المقررة شرعا، أما مؤخر الصداق فيستحقه ورثة المرأة بأقرب الأجلين: الطلاق أو الوفاة، وفى هذه الحالة يستحق ورثة المرأة مؤخر صداقها بوفاة زوجها، وتستحق المرأة المهر بالعقد الصحيح والخلوة الصحيحة ووفاة الزوج وهذا يشمل قائمة المنقولات التى وردت فى السؤال.

هذا إذا كان الحال كما جاء فى السؤال، والله أعلم.

صفحة من حياة المفسر الكبير

محمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام بتونس وأستاذ الأساتيذ

(١)

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

حين انتقل إلى - رحمة الله - شيخ الإسلام بتونس وكبير علمائها الإمام العلامة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، كتبت ترجمة متواضعة ذات تحليل علمى للمشهور من آثاره، وبعثت بها إلى مجلة (رابطة العالم الإسلامى) التى كان يشرف على تحريرها الأستاذ محمد سعيد العامودى، ولم أحتفظ بأصل لما كتبت، لأن الأستاذ العامودى لم يكن ليؤخر شيئا مما أبعث به بل كان يستحثنى على الكتابة إذا أبطأت، ولأمر ما ضاع المقال بالبريد، ولم ير النور فى صحيفة، ما، وكنت كلما حاولت استعادة كتابته أجد عزوفا محضا إذ أعلم من نفسى أنى لا أجيد فى المرة الثانية أجادتى عند الاندفاع العاطفى الأول، ولكنّ مكانة الأستاذ تدعو إلى الحديث عنه، وكأن القدر كان لى مساعدا فوقع فى يدى كتاب حافل[1] يضم محاضرات جيدة، ألقيت فى ندوة علمية قامت عليها «وزارة الشئون الدينية» بتونس بقيادة الوزير العالم الأديب الدكتور على الشابى، وهو من العلم والأدب والفضل بالمحل الأرفع.

وقد قرأت الكتاب الحافل فرأيت أنه جمع أفضل ما يقال عن الإمام، وقد كتبه نفر من المتخصصين الفضلاء، حيث اقتصر كلّ كاتب على ناحية من نواحى الإمام، فتم بذلك جهد تاريخى علمىّ يُذكر لوزارة «الشئون الدينية» بتونس، وقد رأيت أن أقدّم خلاصة موجزة لأفضل ما قرأت من فصول هذا الكتاب، فذلك يعطى تصوّرا حيّا للناحية العلمية والإصلاحية التى ركّز عليها الإمام جهده الحافل فى عمره المديد السعيد، ولعلى بذلك أعوّض بعضَ ما فقد بالبريد من حديثى عن الرجل الجليل.

---

(١) العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وإسهامه فى تجديد الفكر الدينى، «سلسلة آفاق إسلامية» رقم ٩ عن «وزارة الشئون الدينية» بتونس.

مقدمـــــة

والإمام محمد الطاهر فقيهٌ أديب مؤرخ، امتدتْ حياته السعيدة بين عاميْ (١٢٩٦ - ١٣٩٤هـ) الموافقين لعاميْ (١٨٧٩ - ١٩٧٣م). وقد تلقى العلم بجامع الزيتونة على كبار أعلامه، وتخرج نابغا مشهودا بفضله سنة ١٨٩٦، وتَنَاوَبته وظائف التدريس والقضاء حتى صار شيخاً لجامع الزيتونة وفروعه سنة ١٩٤٤م، ومؤلفاته ومقالاته ومحاضراته وفتاويه جاوزت الحصر لأنه لم يترك يوما واحداً من عمره السّعيد دون اطلاعٍ، حتى فى أوقات المرض، وفى مناسبات الحزن المفاجئ إذ كان يشغل باله بالبحث لَيَلاْ يَسْترسل فى ذكر ما نزل، وقد تعددت اتجاهاته العلمية بحيث شملتْ كل فروع الثقافة الإسلامية شريعة ولسانا، مما سأشير إلى مُثل منها، وكانت صداقتُه بزميله الإمام محمد الخضر حسين مضَرب المثل إخلاصاً ووفاء، فقد كانا يتراسلان على بُعد المزار فى أدّق مسائل العلم، وكانت مجلة «الهداية» التى يُشرف عليها الإمام الخضر إحدى المنابر التى خصَّها الطاهر بنتاجه الحافل، فعرف المصريون عن الرجل فضلا كبيرا، رفع ذكره، وجذبَ النفوس إلى آثاره الجياد، وقد زار مواطن كثيرة فى الشرق والغرب فكان موضع الاحتفاء.

الدراسة الأدبية

وإذا كانت الدراسات الدينيّة هى الميدان الأشهر للشيخ، حيثُ تبوأ مشيخة الإسلام، وزعامة الفقه المالكى فى بلده، بل فى عصره الشامل لبلاد الإسلام جميعا، فإنّ الدراسة الأدبية كانت ذات احتفال تام من الأستاذ الكبير فقد ترك فى ميدانها آثاراً جمّة مثل شُرُوحه لديوان بشار بن برد، وديوان النابغة الذبيانى والحماسة لأبى تمام، وقضيّة عمود الشعر للمرذونى، وقصيدة الأعشى الأكبر التى قالها فى مدح المحّلق، وتحقيقه لكتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان، وتحقيق لشرح القرشى على ديوان المتنبى، وذلك بعض ما كان له فى مضمار الدراسات الأدبية لا كلّه، إذ المراد الاستشهاد لا الاستقصاء، ولو أن الرجل قد تركَ هذه الآثار الأدبية فقط دون أن يتجه إلى طوفانه الزّاخر فى دراسات التشريع والتفسير لكان علَمًا من أعلام اللّغة كالمرصفى والشنقيطى والميمنى فى عصره، لذلكَ بدأ الدكتور على الشابى، كلمته بالحديث عن هذه الناحية، فقال بعد ذكر مقطوعات من شعره(٢) «إن حبّ البيان ورقة الذوق هما مدخلُ ابن عاشور إلى التألق فى المجالينْ الأدبى والدينى، وقد قضى على القطيعة التى رَوّجها بعضهم بين الآداب والعلوم الدينيّة على اعتبار أن الأدب لا غناءَ فيه، وأنه مضيعة الوقت حتى قال قائلهم مؤنبّا ولده حين اتجه إلى قراءة الشعر:

إنّ الزمان الذى تفنيه فى الأدب
يراه أهل النّهى من جملة اللّعب

ثم قال الدكتور الشابى يعيد حديث الشيخ عن بشار بن برد وقد دَافَع الشيخ عن

---

(٢) الكتاب التذكارى ص ٢٣.

بشار دفاعا كبيرا، فرد كلّ الأخبار التّى تؤكد زندقته وإلحاده بالرغم من تواترها وانتصر لفنه، ولم يحذف أيّ كلمة من ديوانه مهما يكن فحشها، واعتبَر خَلاعته ومُجونه وغَزله المادىّ غيرَ ماسّة بعقيدته وصدق إيمانه لأن الفن فى نظر الشيخ لا يعدُو أن يكون مجلىً لرقّة الإحساس والكلف بالجمال وروعة التصوير، ومن ثم فإنه لا يكون بأية حال سبيلا إلى مصادرة الضمائر، والكشف عن السرائر التى لا يعلمها إلا الله.

وهذا كلام جيد فى مجموعه، لأنى لست مع الشيخ حين حبذ نَشر المجون الكثير الممتد فى كُتب الأدب دون تهذيب أو حذف، وأكد ذلك فى مقدمته الطويلة التىّ صدّر بها ديوان بشار بن برد، وهو اتجاهٌ دعا إليه كثير من الأئمة السابقين مثل ابن قتيبة واللّاحقين مثل محمد محيى الدين عبدالحميد، وأذكر أنى ألقيت محاضرةً فى النادى الأدبى بجدة فنّدت فيها هذا الاتجاه، وقلت تعقيباً على رأى الطاهر فى ذلك بعد أنْ ذكرته بنصه حين قال: «ولاَ ينبغى أن يصّور الشاعر أو الكاتب على حَسب ما يشتهيه الناقل أو القارئ، بل ينبغى أنْ يظهر كما هو بأخلاقه وألفاظه وأخلاق أهل عصره وعاداتهم، ولسْنا بالذين نُصلح من أمر الشاعر ما أفسده طبعه، ولا نَشْعّب ما تشقق به نبعه» ذكر ذلك كلّه الشيخ الإمام فعقبتُ عليه بنقد طويل قلت فيه.

إنّ كلام الشيخ قد رَدده سواه من قبل، وقد زَادَ عليهم بقوله: إن الحذَف ينقص من تصوير عصر الشاعر اجتماعيا وأخلاقيا، وهو زَعْم تردّد من قبل، ولكنه زَعم واهٍ لا سند له لأنّ الشعراء ليسْوا وحدهم مرآة عصرهم، فبجوارهم نجد الفقهاء والزهاد والمحدثين والمفسرين وأئمة الكلام وجلّهم أصحاب دين وعفاف، وإذا وُجد أمثال بشار وحماد وأبى نواس والحسيْن بن الضحاك فى العصر العباسى فقد وُجد به أئمة المذاهب الأربعة وهمْ مَن هم وَوُجد به أمثال سفيان الثورى ويحيى بن معين، وعبدالله بن المبارك والأوزاعى وابن عبيد، ولهْم جمهرة غالية من الأشياع، فأىُّ الفريقين إذن من يمثل عصره أدق التمثيل؟ ثم عرَض الدكتور الشابى لموقف الإمام من قضية المرأة عرضا أمينا رجَع فيه إلى نصوص ظاهرة من كتبه فى الفقه والتفسير منتهياً إلى أنّ ذلك كله قد أفضَىَ بالطاهر الى المنافحة الذاتية عن الاعتدال والتسامح وحقّ الاختلاف فى الرأى، ونسبيّة الفكر وخطأ الإنسان وصوابه اللذيْن يتردد بينهما، وقد كان الرجل فريد عصره فى هذا المضمار.

الإمام المفسّر

تحدث ثلاثة فضلاء عن جهد الإمام فى التفسير، فاختص اثنان منْهما بالناحية العلمية فى موسوعة التحرير والتنوير واختّص الثالث بالناحية الأدبية، وقد قال الأستاذ محمود شمام عن الناحية الأولى: إن المفسر الكبير كان إمام العلماء فى عصره، وقد عالج

مسائل الاجتهاد وأعمال الرأى وعدم التقيد بالمأثور فى كل قضية، كانت موضعا للاجتهاد إذ لم يأت بها نصّ، ويمكن إدراجها فى دائرة البحث المقيّد بحدود المنطق الصحيح، والنقل الثابت، ثم نقل عن الشيخ قوله بصدد الحديث عن التفسير بغيْر المأثور[٣].

وأرانى كما حسبت أتْيت ذلك وأبيحه، وهلِ اتسعت التفاسير لمستنبطات معانى القرآن إلاّ بما رزقه الذين أوتوا العلم من فهم فى كتاب الله، وهل يتحقق قول علمائنا: «إن القرآن لا تنقضى عجائبه إلا بازدياد المعانى باتساع آفاق التفسير، ولولا ذلك لكانَ تفسير القرآن مختصرا فى ورقات قليلة، وقد قالت عائشة – رضى الله عنها – : ما كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يفسّر من كتاب الله إلاّ آيات معدودات علّمه جبريل إياهن.

ثم أتى المحاضر بأمثلة جيدة من استقلال الرأى فى تفسير التحرير والتنوير، وأظهرها ماتحدث به الشيخ عن معنى قول الله

﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾[٤]

حيث نص على أنّه ليس من تغيير خلق الله التصرف فى المخلوقات بما أذن الله فيه، ولا ما يدخل فى معنى الحسن، فإن الختان من تغيير خلق الله، ولكنّه جاء لفوائد صحية، كذلك حلق الشعر لفائدة تدفع بعض الأضرار،وكذلك تقْليم الأظافر، وثقب الأذان للنساء لوضْع الأقراط والحلى، وقد انتهى من ذلك إلى إباحة لبس الباروكة للمرأة إذا أرادْت أن تتزين لزوجها فى احْتشام لأن الزينة لا تعتبر تغيْيرا لخلق الله.

وقد ختم المحاضر حديثه بدفع اتهام ساقه المرجفون عن الشيخ حين ذكروا أنه أفتى بإباحة التجنيس حين دعت فرنسا التونسيين إلى التجنيس بالجنسية الفرنسية، وأيدّ ذلك نفرٌ من الأصوليين، وذُكِر الشيخ من بينهم ظلما وزورا، ليكون اسمه الأشهر دافعا إلى هذا التجنيس المشئوم، ولكن الوثائق الصحيحة التى رجع إليها المحاضر تبعا لمن قبله من الباحثين، أثبتتْ أن الطاهر قد عارض التجنيس بكل قوة، وأفْتى فتوى صريحة، بأن المتجنس بجنسية غير أهله مرتٌد عن دينه، وعليه أن يتوبَ من جديد، وينطق بالشهادتين! وأنّا أنصّ على ذلك لآخذ منه العبرة، فقد ألصقت فتاوى آثمة بأئمة من الفضلاء فى تونس وغير تونس زورا وبهتانا، لتطمس نورهم فى العيون، وتزحزح مكانتهم فى القلوب، وهو عملٌ إجرامى من حقه الاحتقار والتسفيه، ومن فضل الله أن الباطل لا يستمر باطلا بل يشع نور الحق فيمحوه.

وجاءّت السيدة الفاضلة الأستاذة وسيلة بلعبد بن حميدة، وهى متخصصّة فى علوم التفسير، لتوضح جانبا من اهتمام الطّاهر بعلوم القرآن فيما اتجه إليه من التفسير، وقد قالْت بدءاً: إن الإمام قد جمع بين أصول

---

(٣) الكتاب السابق ص٦٢.

(٤) سورة النساء ١١٩.

التفسير التى اعتمدها أقطاب العلم وبين مُستجدات عصره، وهذا حق، ولكنها لم تُبيّن كيف تم ذلك، ولو ببعض الأمثلة اليسيرة، إنما كان اهتمامها بمقدمة التفسير الطويلة التى ابتدأ بها الشيخ تفسيره، وهى تصلح أن تكون كتابا منفرداً بذاته، لأنها ذات فصول عشرة تحيط بكل ما يتصّل بالتفسير القرآنى، وتوضّح ما يسمّى عند الدارسين بعلوم القرآن، ومنها علم الرّسم القرآنى، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم القراءات وعلم الإعجاز، وقد وضّحت الدراسة اعتماد الطاهر فى ذلك على كتابى: البرهان للزركشى، والإتقان للسيوطى، مع إضافات فتح الله عليه بها، وقد قالت فى مجال الفصل بين صنيع الشيخ وسابقيه فى التمسك بكل ما يقال عن أسباب النزول[٥]:

«وكان موقف ابن عاشور من العلماء الذين أفردوا علم أسباب النزول بالتأليف. ومن المفسرين الذين ألحوا على طلب سبب النزول لكل آية موقفاً متشدّدا، لأنّه اعتبر ذلك أمراً موهما بأن لكل آية سبب نزول، فقال: وبئس هذا الوهم، فإنّ القرآن جاءَ هاديا إلى ما به إصلاح الأمة فى كل أصناف الإصلاح، فلا يتوقف نزوله على حدوث الحوادث الداعية إلى تشريع الأحكام».

وليس معنى هذا أنّ الشيخ يرفض ما يقال عن أسباب النزول، ولكنّه يرفض أن يكون لكل آية سبب من أسباب النزول، وهذا ما دعا بعض المفسرين إلى تمحل أسباب تُردّ من أيسر الوجوه لوضوح بطلانها.

ودعت الباحثة إلى تأليف لجنة من المتخصصين فى العلوم الإسلامية والطبيعة وغيرها لتوضيح ما جاء به الشيخ من أفانين الاجتهاد، وأنا أعلم أن العلوم الإسلامية والعلوم العربية قد وجدت من الشيخ مجالاً رائعا فى التفسير المبتكر أحيانا، ولكنْ ماذا عن العلوم الطبيعية التى أشارت إليها الكاتبة، وجهد الشيخ فيها جهد الناقل؟

ثم تحدث الأستاذ الدكتور محمد المهدى العروسى عن البعدْ البلاغى فى تفسير الشيخ ابن عاشور، والحق أنى أدركت صعوبة موقفه حين قرأت هذا العنوان لأنّ البلاغة تتخلل تفسير كل آية من كتاب الله تقريبا، وللشيخ فيها جولات صائبة، لأنه مع تعمقه الرصين فى كتب الحواشى والتقارير البلاغية قد درس كُتَبَ ما قبل الحواشى دراسة مستوعبة تعرف البلاغة العربية والبلاغة الأعجمية معا، إذا جاز هذا التعبير، وقد أدرك العروسى بعد الشقه عليه فاختار تفسير سورة البقرة وحدها ليأخذ منه ما يريد أن يتحدث به عن المنحى البلاغى عند الإمام، وبدأ الحديث عن اتجاه الطاهر إلى التفسير بالرأى وقد تحدث عن ذلك سابقوه، ثم قال: إن الأستاذ فى

(٥) الكتاب السابق ص ١٣٦.

مجال اللغة العربية يوجّه تفسيره للألفاظ واشتقاقها ومدلولاتها ومعانيها واستعمالات العرب لها، وأخذ يضرب المثل لذلك بآيات عدة من سورة البقرة تدلّ على اتجاه المفسّر، وقد أتى فيها الإمام أحيانا بالجديد الذى لم يسبق إليه، ومن ذلك تفسيره لكلمة شيطان حيث جاوز المألوف المتعارف، وهو أن الاشتقاق من كلمة شاط بمعنى احترق، أو شطن بمعنى بعد، إلى قوله: إنه اسم جامد شابه فى حروفه مادة مشتقة، ودخَلَ فى العربية من لغة سابقة، إذ كانَ هذا الاسم متعلقا بالعقائد والأديان، وقد عُرف عند عرب العراق قبل انتقالهم الى الحجاز واليمن(٦) أما أبواب: الفصل، والوصل، والإيجاز، والإطناب، فقد وَجدتْ تطبيقها الشافى فى تفسير التحرير والتنوير، وإذا كانت قواعد علم المعانى من حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير، ترتكز على قواعد علم النحو فقد جال الشيخ جولات نحوّية كان فى بعضها ذا استقلال مطلق عن كل ما قيل من قبل. والأمثلة كثيرة، والتفسير بين أيدينا.

ولم يغفل الدكتور العروسى حديث الإمام عن وجوه الإعجاز القرآنى، فقد فصَّل هذه الوجوه بما لا تزيد عليه، موضحا كيف اتجه الإعجاز للعرب فى الأسلوب البيانى ولغير العرب فى الأفكار العلمية والأحداث التاريخية سابقا ولاحقا، ومما أطرف به الإمام قراءّة ما رآه فى الكتاب المبين من ترديد كلمات العهد والميثاق والسمع فى حديثه عن بنى إسرائيل، لأنّ هذه الكلمات بعينها وُجدت فى التوراة وهم بها أدْرى وأعلم، وقد سميت بعض أجزائها بسفر العهد. وجاء ذكر الميثاق والسماع فيها بما لا يستطيعون جحوده وتتبع هذه الطرائف يوحى بترف عقلى طريف.

وقد كانت للإمام مؤلفات خاصة بدروس البلاغة، قَرّرت النظارة العلمية للجامع الأعظم وفروعه تدريسها بها، واعتمدت فى برامج التدريس فور تأليفها، كما كان له تأليف فى دروس الإنشاء والخطابة، وكتب الإنشاء التى كانت ذائعة إلى عهد قريب فى مصر تطبيقية تتحدث عن الموضوعات فحسب، أما كتاب الشيخ فنظرىّ قاعدّى وهو خطوةٌ فى مجال الحديث عن الأسلوب الأدبى، وأمثلته الكثيرة من كتاب الله، وسنة رسوله، وروائع الأدب العربى شعرا ونثرا، وهكذا كان الإمام علما من أعلام البلاغة والتفسير معا!

«يتبـــــع»

---

(٦) السابق ص ٢٥٣.

نسق إسلامي لمناهج البحث العلمي

١

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا (*)

ما أحوجنا إلى وضع تصور لنسق فكرى ينتظم مختلف مناهج البحث العلمي، نستوحى خصائصه العامة مباشرة من خصائص التصوّر الإسلامي ومقوماته، ونستمد عناصره الرئيسية من واقع مشكلات البحث العلمي وتاريخه، ونشكل وحداته البنائية على أساس الثوابت والمتغيرات المعروفة في الأطر الفكرية والعلمية للعلوم الكونية، ونتيح من خلاله مجالا أرحب لإعداد الباحث العلمي الجيد، واستفادة أكبر من السبل التي يسلكها الباحثون أنفسهم.

مقدمة

إن الطريقة المتبعة في تكوين علم المناهج Methodlogyمنذ نشأته إبان العصور الحديثة تتم عادة بالتنسيق بين خبرة العلماء وبراعة الفلاسفة، لكن الصورة المثالية لتحقيق التنسيق على أكمل وجه بين الفريقين ظلت دائما بعيدة المنال، فقد ظهر كثير من الخلط بين المفاهيم والرؤى التى جعلت معالم علم المناهج غير واضحة تماماً فى أذهان المثقفين، ناهيك عن مواطن الغموض والقصور التى يزخر بها هذا العلم، حتى بالنسبة لمن يمارسونه بحثا وتدريساً وتأليفا.

وليس صحيحاً ما يوهمنا به علماء المناهج من أن قضية المنهج العلمى لم تعد تحتاج إلى نظر جديد، وأنه ما علينا، إذا أردنا أن نجنى ثمار البحث العلمى كما يجنيها غيرنا، إلا أن نعرف ذلك المنهج الذى ألفوا ترديده منسوبا إلى « فرنسيس بيكون » وجون ستيوارت ميل و« رينيه ديكارت »، حتى أوشكنا على تصوره لائحة أو قائمة بالتعليمات والإرشادات التى لا ينبغى الانحراف عن تطبيقها، وكأنها طائفة من الوصفات المجربة الناجحة، يتعين على أى باحث الالتزام بها فى المجالات التى يريد دراستها ويسعى إلى إدراك شئ عن حقيقتها، لقد أصبحت الحاجة ملحة لصياغة نموذج إسلامى يمكن القياس عليه

(*) الكاتب عميد كلية العلوم - جامعة القاهرة.

والرجوع إليه فى كل علم من العلوم، أو يمكن أن نعلمه لطلاب المدارس والجامعات العربية والإسلامية فى مقابل ما يدرسونه من نماذج وضعية منقوصة تدعى القدرة على تفسير حركة العلم والمعرفة، وتزعم أنها لا تقطع الطريق على الابتكار لنظريات جديدة، رغم أنها فى حقيقتها تفرض رؤية معينة للأشياء، وتحدد منطقا هلاميا للكشف العلمى ونطاقا محددا للخبرة الإنسانية.

إسلامية المنهج العلمى

إن الأخذ بالمنهج الإسلامى فى مجالات البحث العلمى يجب – فى اعتقادنا – أن يقبل على أنه حقيقة منطقية وضرورة حضارية أما القول بأن إسلامية المنهج العلمى حقيقة منطقية فيكفى شاهدا على صحته أن علوم الكون والحياة إسلامية بطبيعتها، لأن موضوعات البحث فيها هى كل ما خلق الله فى كتابه المنظور، كما أن قراءة التراث الإسلامى تدلنا على أن المسلك الذى اتبعه علماء الأصول وعلماء الحديث فى الوصول إلى الصحيح من الوقائع والأخبار والأقوال قد انسحب على أسلوب التفكير والتجريب فى البحث العلمى فنرى على سبيل المثال أن الحسن ابن الهيثم قد استخدم الاستقراء وقياس الشبه فى شرحه لتفسير عملية الإبصار وإدراك المرئيات حيث يقول: «لا يتم الإدراك إلا بتشبيه صورة المبصر بصورة قد أدركها المبصر من قبل، ثم إدراك التشابه بين الصورتين، ولا يدرك التشابه بين الصورتين إلا بقياس». كما نجد أن الهيثم يستعمل لفظ الاعتبار (وهو قرآنى) ليدل على الاستقراء التجريبى أو الاستنباط العقلى، وهذا هو أبوبكر الرازى يصف منهجه فى تعامله مع المجهول مستخدما الأصول الثلاثة: الإجماع والاستقراء والقياس، فيقول: «إنا لما رأينا لهذه الجواهر أفاعيل عجيبة لا تبلغ عقولنا معرفة سببها الكامل، لم نر أن نطرح كل شئ لا تدركه ولا تبلغه عقولنا، لأن فى ذلك سقوط جل المنافع عنا، بل نضيف إلى ذلك ما أدركناه بالتجارب وشهد لنا الناس به، ولا نحل شيئا من ذلك محل الثقة إلا بعد الامتحان والتجربة له.. ما اجتمع عليه الأطباء وشهد عليه القياس وعضدته التجربة فيلكن أمامك».

وأما قولنا بأن إسلامية المنهج العلمى ضرورة حضارية فذلك لأن إسلامية المنهج، أو أسلمته، من شأنها أن تخلع عليه من خصائص الإسلام ما يجعله عالميا وصالحا للتطبيق فى كل زمان، فالتصور الإسلامى يوحى بأن الحركة الدائبة والتحول المستمر هو الناموس الثابت المطرد لهذا الوجود الحادث الفانى، وهو بصفة خاصة قانون الحياة وقاعدتها.. ومن ثم يوجه النظر إلى هذه الحركة الدائبة، وهذا التحول المستمر فى الكون والحياة، وما يطرأ عليهما دائما من تقلبات وأطوار، ولكنه ينسب كل شئ إلى مشيئة الله وقدره، فيخرج بذلك من كل المتناقضات التى تعانيها الفلسفات الوضعية والتى لم تجد لها حلا شاملا، ونعتقد أن إدراك المسلمين الأوائل لهذه الحقيقة بكل أبعادها الإيمانية كان السبب الأول لتقدمهم ورقيهم، بعد أن وجدوا فى مبادئ الإسلام كل مقومات الازدهار العلمى والحضارى، وهدتهم تعاليم الدين الحنيف إلى أصول المنهج العلمى السليم.

وعندما انتقلت العلوم الإسلامية إلى أوروبا، فطن علماؤها إلى سر تقدم المسلمين، وسعوا إلى اتباع منهجهم بعد أن وجدوه سمة العلوم فى الحضارة الإسلامية، وقال « روجير بيكون » فى ذلك: « إنه باتباع المنهج التجريبى الذى كان له الفضل فى تقدم (العرب)، فإنه يصبح بالإمكان اختراع آلات جديدة تيسر التفوق عليهم.. ففى الإمكان إيجاد آلات تمخر عباب البحر دون مجداف يحركها، وصنع عربات تتحرك بدون دواب الجر، وإيجاد آلات طائرة يستطيع المرء أن يجلس فيها ويدير شيئا تخفق به أجنحة صناعية فى الهواء مثل أجنحة الطير ».

لكن النهضة الأوروبية لم تأخذ من العلوم الإسلامية سوى الجانب المادى من منهجها التجريبى وتقنياتها، وتركت جانباً الإيمان الذى يوجهها نحو الله - تعالى - ، ويسخرها لخدمة البشر، ولذا فإن العلم فى الحضارة المادية الحديثة والمعاصرة، بتخليه عن الإيمان والسمو الروحى، قد اعتبر قيمة حقيقية مطلقة فى حد ذاته، وبالغ الناس فى تقديسه وتمجيده على أساس أنه هو القوة القادرة على تحقيق الجنة الموعودة للإنسان على الأرض، فأنصار هذه « النزعة العلمية المتطرفة » يردون كل شئ إلى العلم، ولا يسلمون إلا بالمنهج العلمى والحقيقة العلمية. كذلك أصبح التطور الكمى للعلم والتقنية غاية فى حد ذاته، ونشأت « النزعة التقنية المتطرفة » التى يرمى أنصارها من التقنين والخبراء الفنيين إلى فرض سيطرتهم باعتبارهم الأحق فى هذا العصر بإدارة المجتمع واتخاذ القرارات الكبرى بشأنه وأمام هذا التطرف العلمى، وفى مقابله، ظهرت حركات عقلية جديدة تدعو إلى « اللا علمية » وتجارب الانغماس الأعمى فى ماديات الحضارة الصناعية، وترفع صيحات التحذير من أن اطراد التقدم العلمى والتقنى بدون النظر إلى صلته بمعنى الحياة الإنسانية سوف ينتهى بالإنسان إلى القضاء على حضارته. بل إن بعض هذه الحركات المناهضة لتقديس العلم والتقنية أخذت تدعو إلى الهروب من الحضارة المعاصرة بكل مافيها من مظاهر مادية خادعة، ورفعت شعارات العودة إلى الفطرة.

من هنا كانت إسلامية المنهج العلمى، أو أسلمته، ضرورة حضارية ملحة لضمان مواصلة التقدم العلمى والتقنى مع الحفاظ على إنسانية الإنسان، ذلك لأن الإيمان الخالص والسمو الروحى يأتيان فى مقدمة الخصائص التى يتميز بها المنهج العلمى الإسلامى، وإليهما تعزى كل القوى الدافعة لملكات الباحث العلمى على طريق الإبداع والابتكار، فالإيمان الخالص هو الذى يجعل العقل أقدر على كشف الحقيقة العلمية، وأكثر تهيؤا لاستقبالها وقبولها، وهل الكشف العلمى إلا حل لمشكلة يظفر به الباحث بعد عناء تحليل منهجى شاق ودقيق، أو يناله فى فكرة طارئة، أو فى رؤية تتراءى له، أو يخطر له فى حلم أو إلهام.

وإذا كان ماحدث فى الغرب من انزواء لعلوم الدين فى أركان الكنيسة يتعلق بالصراع بين الكنيسة والعلماء، فإنه من الخطأ أن يسود الاعتقاد بأن الانفصال بين العلم والدين شرط من شروط قيام الحضارة، أو أن العلم بفروعه المختلفة لا يمكن إلا أن يكون « علمانيا ». لقد أدى هذا الاعتقاد الخاطئ فى بلاد المسلمين إلى حالة من

الركود العلمى شلت فى ظلها كل مقومات الإبداع والابتكار فى مختلف مجالات النشاط الإنسانى،ولم يعد أمامنا الآن سوى الأخذ بالمنهج العلمى الإسلامى الذى سبق لأسلافنا أن صنعوا به حضارة تزهو على كل الحضارات، فهو الأقدر على إزكاء روح الصحوة الإسلامية الحضارية، وعندئذ سيكون له أجل الأثر فى تصحيح وجهة العلوم لدى عقلاء الغرب ومفكريه إذا مادرسوا الإسلام فى حقائقه، واستفادوا من منهجه فى إصلاح شئون حضارتهم.

الثوابت والمتغيرات فى المنهج العلمى الإسلامى

سبق أن ذكرنا أن تصورنا ا لعام لبنية المنهج العلمى الإسلامى سوف نستلهمه مباشرة من خصائص التصور الإسلامى ومقوماته، وذلك انطلاقا من الإيمان التام بأن الثوابت والمتغيرات الإسلامية يجب أن تكون هى الإطار الذى يحكم كل مناهج النظر فى قضايا الوجود والفكر، والمعيار الذى يحدد ضوابط التطبيق الإنسانى لتلك المناهج بما يحقق إرادة الله -سبحانه وتعالى- فى إعمار الحياة على الأرض. فالإسلام يتميز عن كل ماعداه من الشرائع السماوية، أو الفلسفات والمذاهب الوضعية، بخاصية التوازن بين الثبات والتطور، والجمع بينهما فى تناسق مبدع، واضعا كلا منهما فى موضعه الصحيح.. الثبات فيما يجب أن يخلد ويبقى من أهداف وغايات وأصول وكليات، والمرونة فيما ينبغى أن يتغير ويتطور من وسائل وأساليب وفروع وجزئيات، ذلك لأن الله - سبحانه وتعالى - قد شرع المنهج الإسلامى للكينونة البشرية كلها، فى جميع أزمانها وأطوارها، ليكون أصلا ثابتا تتطور هى فى حدوده، وترتقى وتنمو وتتقدم دون أن تحتك بجدران هذا الإطار، وما ينطبق على المنهج الإلهى الذى أخبر الله به عباده ينسحب كذلك على الصنعة الإلهية فى الكون كله، فحركة الحياة والفكر تستمر وتتسارع داخل إطار ثابت وحول محور ثابت، ومادة الكون فى مجموعها ثابتة، وإن اتخذت أشكالا مختلفة دائمة التغير والتطور، وجوهر الإنسان واحد، وإن تقدمت معارفه وتضاعفت إمكاناته، فهو يمر بأطوار شتى يرتقى فيها وينحط حسب اقترابه أو ابتعاده من جوهر إنسانيته.

إن الثوابت الإسلامية هى التى تضبط الحركة البشرية والتطورات الحيوية فلا ينفلت زمامها كما وقع لأوروبا عندما أفلتت من عروة العقيدة، كما أن الثوابت الإسلامية هى التى تصون الحياة البشرية، وتضمن مزية تناسقها مع النظام الكونى العام، وتحكم قوانين التطور فلا تتركها على إطلاقها.

وعندما نعرض الآن لبناء منهج علمى فى ضوء هذا التصور الإسلامى، فإنه يتعين علينا قبل كل شئ أن نحدد الثوابت والمتغيرات الفكرية والعملية المختلفة فى إطار النسق الإسلامى لبنية المنهج العلمى العام بأصوله وكلياته.

يتبـــــع

دور علماء الدين الإسلامى فى تحقيق الأمن

١

للدكتور/ أبو الوفا محمد أبو الوفا ابراهيم

إن الأمن يعتبر من أهم مطالب الحياة لضروريته ولتحقيق مصالح الأفراد والجماعات، حيث له معنى شامل فى حياة الإنسان، فهو يشمل فضلا عن ضمان أمنه على حياته - الأمن على عقيدته التى يؤمن بها، وموارد حياته وهويته الفكرية والثقافية، ولذلك يعد تكامل عناصر الأمن فى المجتمع، البداية الحقيقية للمستقبل الأفضل(١)، كما أن توافر عناصر الأمن الدينى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى، وبقاءها فى المجتمع، ضمان له لاستعادة أمنه الخارجى ولو فقده بصفة مؤقتة.(١)

ويتحقق الأمن فى المجتمع الإسلامى، بحفظ المقاصد الضرورية للشريعة الإسلامية، التى لم تخل من رعايتها ملة من الملل، ولا شريعة من الشرائع، وهى: حفظ الدين، والنفس والعقل والنسل والمال، فحفظ الدين يكون بشرع قتل الكافر المضل وعقوبة الداعى إلى البدع، وأما حفظ النفوس فبشرع القصاص، وأما حفظ العقول، فبشرع الحد على شرب المسكر، وأما حفظ الأموال التى بها معاش الخلق فبشرع الزواجر للغصاب والسراق.(٢)

ولما كانت المقاصد لايتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضى إليها، كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصى فى حرمتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها، وارتباطها بها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود، وكلاهما مقصود، لكنه مقصود قصد الغايات، وهى مقصودة قصد الوسائل، تطبيقا لذلك، فإن الله ـ تعالى ـ إذا حرم شيئا وله طرق ووسائل تفضى إليه، فإنه يحرمها ويمنع منها، تحقيقا لتحريمه وتثبيتا له، ومنعا من أن يضرب حماه، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه، لكان ذلك نقض للتحريم، وإغراء للنفوس به، وحكمه تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الإباء، بل إن سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك.(٣)

---

(١) راجع: الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى: الأمن فى الإسلام، وتطبيق المملكة العربية السعودية السياسة الجنائية الإسلامية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد بالسعودية، ص٩.

(٢) راجع: الإحكام فى أصول الأحكام، للآمدى، مكتبة محمد على صبيح، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨م جـ٣ ص٧٣ وما بعدها.

(٣) أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، دار الفكر جـ٣ ص١٤٧ وما بعدها.

لذلك روى عن أبى معمر عن همام، أنه قال سمعت أبا هريرة -رضى الله عنه- أن النبى- صلى الله عليه وسلم -قال: «لايشر أحدكم على أخيه بالسيف، فإنه لايدرى لعل الشيطان ينزع فى يده، فيقع فى حفرة من النار». (٤)

ففى هذا الحديث، نهى من النبى -صلى الله عليه وسلم -أن يتعاطى المسلم السيف مسلولا، لأنه ذريعة إلى الإصابة بالمكروه، لأن الشيطان قد يغريه على ضرب أخيه المسلم بالسلاح، فيحقق الشيطان ضربته له. (٥)

ومتى التزم المسلمون بتعاليم الإسلام، عقيدة وشريعة وقيما وأصولا اجتماعية، تحقق الأمن على الوجه الأكمل لكل أفراد المجتمع، من مسلمين وغير مسلمين.

ويظهر اهتمام الإسلام بالأمن حتى فى وقت القتال، فلا يحل إرهاب أو قتال من لا يحارب، كالنساء والصبيان وكبار السن، الذين لايعاونون فى القتال ضد المسلمين.

ولما كان من واجب أولياء الأمور فى المجتمع الإسلامى، بحكم ولايتهم، أن يحققوا لكل من يقيم تحت سلطانهم، الأمن على نفسه وعرضه وماله، سواء أكان من المواطنين أم من المقيمين، فإن وسيلتهم فى القيام بهذا الواجب ما يكون من سلطان وما يجب لهم من طاعة، بتطبيق حد الحرابة عند محاولة الإخلال بالأمن، بإحداث نقيضه وهو الروع والخوف، بارتكاب جرائم القتل والنهب، لا لعداوة بالمجنى عليه، وإنما بقصد إرهاب الناس، ونزع الشعور بالأمن من نفوسهم، لأنه من الناحية الشرعية محاربة لله ورسوله، تستوجب إقامة الحد.

أهمية موضوع البحث

السياسة الجنائية فى الإسلام، هى فى الأصل سياسة وقاية من الجريمة، وحماية للمجتمع، وصيانة للأنفس والأموال والأعراض، وهى سياسة تشهر فى وجه الجريمة عقوبة جسيمة تهدد الفرد، قبل أن يهم بارتكاب جريمة، وتوقع بعد ارتكابها، حتى قال الفقهاء بأن العلم بشرعية الحدود مانع قبل الفعل زاجر بعده. (٦)

ولاشك فى أن مواجهة جرائم العنف والتطرف تكون فعالة، عندما يعلم أفراد المجتمع باتفاق هذه المواجهة مع أحكام الشريعة الإسلامية، لأن قيام أفراد المجتمع بواجبهم فى تنظيم العدالة الجنائية، أو مساهمتهم فى الوقاية من الجريمة ومكافحتها، يكون مرتبطا بأن تكون نظرة المجتمع للجريمة نظرة استنكار، وللمجرم نظرة احتقار، وبذلك تكون وسيلة كفاح ضد الجريمة، ولاتتأتى هذه النظرة، إلا إذا نظر الأفراد إلى الجريمة على أنها اعتداءعليهم، وإلى العقاب المحتمل توقيعه على مرتكبها على أنه أمر يحقق مصلحة مشروعة لهم، مما يحملهم على مساعدة السلطات العامة فى الجهود التى تبذلها للقبض على المجرم وإثبات جريمته.

---

(٤) صحيح البخارى، المكتبة السلفية جـ١٣ص٢٧ حديث رقم ٧٠٧٢.

(٥) فتح البارى مطبوع مع صحيح البخارى جـ١٣ ص٢٧، أعلام الموقعين جـ٣ ص١٦٥.

(٦) مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر: لعبدالرحمن بن محمدبن سليمان زاده، مطبعة سنة ١٣١٩ هـ جـ ١، ص ٤٥٨.

والأمر على خلاف ذلك، إذا كانت نظرة المجتمع عدم مبالاة بالجريمة، أو كانت نظرة استحسان لها.

ومن هنا أبدت المحافل الدولية اهتماما كبيرا بموضوع مساهمة الجمهور فى الوقاية من الجريمة ومكافحتها، تلك المساهمة التى تتمثل فى القيام بأدوار معينة بالاشتراك مع الشرطة وأجهزة تنفيذ العقوبات.

وقد ظهر هذا الاهتمام فى مؤتمر الأمم المتحدة الثالث لمنع الجريمة ومعاملة المذنبين الذى انعقد فى استكهولم سنة ١٩٦٥ حيث تناول البحث فى الموضوع الثانى: « دور الجمهور والأسرة والمدرسة وفرص العمل فى الوقاية من الإجرام».

أما فى المؤتمر الرابع للأمم المتحدة الذى انعقد فى كيتوا سنة ١٩٧٠ فقد خصص القسم الثانى منه لبحث هذا الموضوع الهام تحت عنوان « مساهمة الجمهور فى منع الجريمة والجناح والسيطرة عليها ».

وفى المؤتمر العربى لمنع الجريمة ومعاملة المذنبين الذى عقد بالكويت سنة ١٩٧٠، فقد تلاقت وجهات النظر فى هذا المؤتمر حول بعض الاتجاهات الرئيسية، ومن ذلك ما رآه المؤتمر من أن فى أحكام الشريعة الإسلامية وفى التقاليد العربية الأصيلة وفى بعض التشريعات المطبقة فى الوطن العربى خير معين على قيام الجمهور بدور فعال فى مساندة القانون لمنع الجريمة وضبطها.

كذلك رأى المؤتمر ضرورة الاهتمام بتربية النشىء وتوجيهه دينيا وتوضيح مفهوم الجريمة وخطرها الاجتماعى وتوعية الجماهير بمساندة القانون وأجهزته، والاهتمام برفع مستوى رجال الشرطة حتى يقبل الجمهور على التعاون معهم.

وكان آخر هذه المؤتمرات، المؤتمر الدولى التاسع لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين، الذى عقد بالقاهرة فى الفترة من ٢٩ ابريل - إلى ٨ مايو ١٩٩٥م.

حيث طالب بوضع برامج للوقاية والتدخل المبكر والعلاج لمرتكبى أعمال العنف وضحاياه وأن تعمل من أجل القضاء على جميع أشكال العنف.

وتناول قرار المؤتمر الدعوة إلى تحسين أجهزة الشرطة وغيرها من طرق القانون والادعاء والمحاكم والمؤسسات الإصلاحية ودور المحامين فى ذلك.

خطة البحث

يشتمل البحث على ثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: اعتبار الحرابة من الحدود لحماية أمن المجتمع واستقراره.

المبحث الثانى: ارتباط جرائم الإرهاب بظاهرة التطرف.

المبحث الثالث: مسئولية علماء الدين الإسلامى فى تحقيق التهذيب الدينى للوقاية من التطرف.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

اعتبار الحرابة من الحدود لحماية أمن المجتمع واستقراره

الإرهاب جوهره العنف:

الإرهاب فى الشريعة الإسلامية جوهره العنف، باستخدام وسائل من شأنها إلحاق ضرر بالنفس

وما دونها أو بالمال أو بالعرض عند بعض الفقهاء.[٧] استهدافا للإخلال بأمن المجتمع واستقراره، والسعى فى الأرض بالفساد.

يستفاد ذلك من تعريفات الحرابة عند الفقهاء:

فهى عند الحنفية[٨] «الخروج على المارة لأخذ المال على سبيل المغالبة على وجه يمتنع المارة عن المرور وينقطع الطريق، سواء كان القطع من جماعة أو من واحد، بعد أن يكون له قوة القطع، وسواء كان القطع بسلاح أو غيره».

وعند المالكية[٩] «الخروج لإخافة سبيل لأخذ مال محرم بمكابرة قتال وخوفه أو ذهاب عقل وقتل خفية، أو لمجرد قطع الطريق ولا لأمرة[١٠] ولا ثائرة ولا عداوة».

وعند الشافعية[١١] «البروز لأخذ مال أو لقتل أو إرهاب مكابرة، اعتمادا على الشوكة مع البعد عن الغوث».

وعند الحنابلة[١٢] «المحاربون هم الذين يعرضون للناس بالسلاح فى الصحراء فيغصبونهم المال مجاهرة».

وعند الظاهرية[١٣] «المحارب المكابر المخيف لأهل الطريق المفسد فى سبيل الأرض، سواء بسلاح أو بلا سلاح أصلا، سواء ليلا أو نهارا، أو فى مصر أو فى فلاة، أو فى قصر الخليفة أو الجامع».

وعند الإمامية[١٤] «كل مجرد سلاحا فى بر أو بحر ليلا أو نهارا لإخافة السابلة؛ وإن لم يكن من أهلها على الأشبه».

وأساس ذلك، قول الله -سبحانه وتعالى -:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

ووجه الدلالة، أن الآية نزلت - طبقا للرأى الراجح لدى جمهور الفقهاء - فيمن خرج من المسلمين، يقطع السبيل، ويسعى فى الأرض بالفساد، وفى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾

---

(٧) وهم بعض المالكية والشافعية والظاهرية.

(٨) بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع: للكاسانى، دار الكتب العلمية، بيروت جـ٧ ص٩١.

(٩) شرح الخرشى وبهامشه حاشية العدوى، دار الفكر جـ٨ ص١٠٢ - ١٠٤، وفى نفس المعنى: مواهب الجليل: للحطاب، دار الفكر جـ٨ ص٣١٤.

(١٠) أى لا لأجل أن يجعلوه أميرا عليهم، فعندئذ لايكون محاربا، بل يكون باغيا، الخرشى والعدوى، المصدر السابق، نفس الموضع.

(١١) مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج: لمحمد الشربينى الخطيب، دار إحياء التراث العربى جـ٤ ص١٨٠.

(١٢) المغنى لابن قدامة: ومعه الشرح الكبير للمقدسى: دار الكتب العلمية، بيروت جـ١٠ ص٣٠٣.

(١٣) المحلى: لابن حزم، دار الجيل، بيروت جـ١١ مسألة ٢٢٥٢ ص٣٠٨.

(١٤) المختصر النافع فى فقه الإمامية، للحلى، دار الكتاب العربى بمصر ص٢٣٦.

(١٥) سورة المائدة آية ٣٣.

استعارة ومجاز إذ الله- سبحانه وتعالى ـ لا يحارب ولا يغالب، لما هو عليه من صفات الكمال، ولما وجب له من التنزيه عن الأضداد والأنداد، والمعنى: يحاربون أولياء الله، فعبر بنفسه العزيزة عن أوليائه إكبارا لإيذائهم.(١٦)

أو سمى قاطع الطريق محاربا لله، لأن المسافر معتمد على الله ـ سبحانه وتعالى ـ فالذى يزيل أمنه محارب لمن اعتمد عليه فى تحصيل الأمن، وأما محاربته لرسوله، فباعتبار عصيان أمره، أو لأنه الحافظ لطريق المسلمين والخلفاء والملوك من بعده، أو على حذف مضاف أى يحاربون عباد الله.(١٧)

يبين مما تقدم، أن حدود جريمة الحرابة، الخروج على الجماعة والتجمع فى شكل أفراد أو عصابات، تسيطر بالرعب وترهب أهل دار الإسلام، وتعتدى على أرواحهم وحرماتهم وأموالهم، وبعيدا عن خلاف الفقهاء فى تعريف الحرابة، وتحديد بعض عناصرها، فإنهم اتفقوا على أن جوهر الحرابة هو الإرهاب مع عدم إمكان الغوث، سواء أكان الإهارب مقصودا فى ذاته، أم كان مصاحبا للاعتداء على النفس أو المال، وسواء أكان المحارب فردا أم جماعة.

وأما وسيلة الإرهاب، فهو العنف، غير أنه ينبغى أن يفهم باعتباره يتحقق باستخدام وسائل مادية، تؤثر فى جسم المجنى عليه مباشرة وتلحق به الأذى، كما يتحقق بالقول وبالتهديد وبالترك والمنع، متى انتهى إلى الأذى بالمجنى عليه.(١٨)

اعتبار الحرابة من الحدود لحماية أمن المجتمع واستقراره:

ينتظم المجال الجنائى الإسلامى أنواعا أربعة من الجرائم: جرائم الحدود التى توجب عقوبة مقدرة تجب حقا لله ـ تعالى ـ وجرائم القصاص، التى توجب أن ينزل بالجانى عقوبة مماثلة لما أنزل بالمجنى عليه، وجرائم الدية، التى توجب مالا مقدرا للمجنى عليه على الجانى بجناية على النفس وما دونها، وجرائم التعزير، وهى الجرائم الموجبة تأديبا على ذنب لا حد فيه ولا كفارة.

وقد اختلف الفقهاء فى الحرابة الواقعة بقطع الأطراف أو قتل النفس، هل تعد من الحدود أولا؟

خلافا للمعتمد فى المذهب الشافعى(١٩) والظاهرى(٢٠) من أن المغلب فى قتل المحارب وكذلك قطعه أو جرحه معنى القصاص، لأن الأصل فيما اجتمع فيه حق الله ـ تعالى ـ

---

(١٦) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبى، دار الفكر جـ٦ ص١٤٨-١٥٠.

(١٧) شرح العناية على الهداية: للبابرتى، مطبوع مع شرح فتح القدير: للكمال بن الهمام: دار الكتب العلمية بيروت جـ٥ ص٤٠٧.

(١٨) راجع للباحث: العنف داخل الأسرة بين الوقاية والتجريم والعقاب فى الفقه الإسلامى والقانون الجنائى.

(١٩) الأشياء والنظائر للسيوطى: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩ ص٥٣٤، حاشية قليوبى: دار إحياء الكتب العربية جـ٤ ص٢٠٠ وهو أحد قولين للغزالى، الوجيز فى فقه مذهب الإمام الشافعى: دار المعرفة، بيروت ١٩٧٩ جـ٢ ص١٨٠.

(٢٠) المحلى جـ١١ مسألة ٢٢٦٠ ص٣٢٨ وإن رجح جانب الحد فيما دون النفس.

وحق الآدمى هو تغليب حق الآدمى، لبنائه على الضيق، ولأنه يثبت له القصاص فى غير الحرابة، فلا يحبط حقه بقتله فيها.

كما أنه خلافا لما ذهب إليه بعض الحنفية[٢١] وبعض الشافعية[٢٢] والإمامية[٢٣] من أن المحارب إذا أخذ المال وقتل يقتل حدا، وإذا قتل ولم يأخذ مالا يقتل قصاصا، بناء على أن الحرابة يقصد بإخافة السبيل بها أخذ المال.

خلافا لهؤلاء جميعا، ذهب جمهور الحنفية[٢٤] والمالكية[٢٥] وجمهور الشافعية[٢٦] والحنابلة[٢٧] إلى أن القتل وكذلك القطع يكون حقا لله ـ تعالى ـ لأن ما أوجب عقوبة فى غير المحاربة تغلظت العقوبة فيه بالمحاربة، كما أن تسمية الواجب بالمحاربة جزاء يشعر بأنه حق الله ـ تعالى ـ لأنه اسم لما يجب حقا لله ـ تعالى بمقابلة الفعل، أما القصاص فيجب بطريق المساواة، وفيه معنى مقابلة المحل.[٢٨]

ورأى الجمهور هو الراجح، لأن الحرابة تهز أمن المجتمع كله، لذا يجب أن يكون عقوبتها منوطة بولى أمر المسلمين، وليس فى هذا انتقاص لحق المجنى عليه بقدر ما هو تغليب لحماية أمن المجتمع، لذا فلا صلح ولا عفو، بل يجب على الإمام إقامة الحد الذى يشفى أيضا غيظ أهل المجنى عليه قبل التمكن من القبض عليه، باعتباره عذرا معفيا من العقاب[٢٩] فيقتل الجانى قصاصا إن كان قتل عمدا، ويقطع إن كان قطع، وتجب الدية فيما لا قصاص فيه ويضمن المال ما لم يعف عنه، فالتوبة لا تؤثر فى إسقاط هذه الحقوق، بل يؤاخذ الجانى بها.[٣٠] لأن إبقاء حق العبد لا ينافى سقوط الحد.[٣١]

«يتبـــــع»

---

(٢١) شرح فتح القدير: للكمال بن الهمام جـ٥ ص٤٢٧، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار: لابن عابدين، دار إحياء التراث العربى جـ٣ ص٢١٣.

(٢٢) أسنى المطالب شرح روض الطالب: لأبى يحى زكريا الأنصارى، المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٣ هـ جـ٤ ص١٥٥.

(٢٣) المختصر النافع ص٢٣٦.

(٢٤) مجمع الأنهر جـ١ ص٤٩٣، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق: للزيلعى، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت جـ٣ ص٢٣٧.

(٢٥) المدونة الكبرى، للإمام مالك، دار صادر، بيروت جـ١٦ ص٣٠١، المنتقى: للباجى، دار الكتاب العربى، بيروت جـ٧ ص١٧٤.

(٢٦) المجموع شرح المهذب: للنووى، دار الفكر، بيروت جـ٢٠ ص١١١، الأشياء والنظائر للسيوطى ص٥٣٤.

(٢٧) المغنى جـ١٠ ص٣٠٧، ٣١٠، الشرح الكبير جـ١٠ ص٣٠٨.

(٢٨) تبيين الحقائق جـ٣ ص٢٣٧.

(٢٩) راجع الدكتور سامح السيد جاد: الأعذار القانونية المعفية من العقاب فى الفقه الإسلامى والقانون الوضعى ١٩٨٤ ص١٦٥.

(٣٠) شرح فتح القدير جـ٥ ص٤٢٨، المدونة الكبرى جـ١٦ ص٣٠٠ - ٣٠١، مواهب الجليل جـ٦ ص٣١٧، المجموع جـ٢٠ ص١١١، المغنى جـ١٠ ص٣١٤-٣١٥، الشرح الكبير جـ١٠ ص٣١٣، خلافا لقول عند المالكية والشافعية والإمامية، من أن التوبة تسقط حقوق الله ـ تعالى ـ وحقوق العباد من دم ومال، إلا ما كان من الأموال قائم العين بيد الجانى، بداية المجتهد ونهاية المقتصد: لابن رشد، مطبعة عيسى البابلى الحلبى ١٩٨١ جـ٢ ص٤٥٨، المجموع جـ٢٠ ص١١١، المختصر النافع ص٢٣٦.

(٣١) رد المحتار جـ٣ ص١٤٠.

مؤتمر دولى يناقش

مستقبل الصحافة العربية فى ظل الإنترنت

للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد*

تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية عقد مؤخرا الاتحاد العالمى للمجالس الصحفية مؤتمره السابع فى القاهرة، وقد تفضل الرئيس حسنى مبارك وافتتح المؤتمر بخطاب ألقاه نيابة عنه الدكتور/ مصطفى كمال حلمى رئيس مجلس الشورى ورئيس المجلس الأعلى للصحافة.

وقد أثار الرئيس مبارك فى خطابه انتباه الحضور إلى ظاهرة العولمة والتحديات التى تثيرها، وكذا دور الصحافة فى تعزيز السلام والقضاء على أسلحة الدمار الشامل فى العالم، كما نوه فى حديثه عن دور الإعلام فى التصدى للإرهاب والقضاء على آثاره السلبية على المجتمع الدولى، كما أهاب الرئيس مبارك بالصحافة أن تدرك أهمية التفاعل بين الثقافات والمحافظة على البيئة لخير البشرية.

وتضمنت الأوراق التى ناقشها المؤتمر أربعة موضوعات رئيسية هى:

١ - تحديات القرن الحادى والعشرين.

٢ - حرية الصحافة والمجالس الصحفية فى مصر.

٣ - حقوق ومسئوليات الصحافة العربية.

٤ - المجالس الصحفية وما يماثلها فى البلدان المختارة الأعضاء فى الأمم المتحدة.

وقد ناقش المؤتمر خلال هذه الموضوعات مواثيق الشرف فى عالم تتبادل فيه الأخبار والمعلومات بحرية عبر الحدود القومية، والفرص التى تتيحها التكنولوجيا الجديدة لصحافة البلدان النامية، وسبل دعم وتعزيز المجالس الصحفية لحماية حرية الصحافة.

وقد شهد المؤتمر إجراء المداولات بشأن هذه القضايا العديدة التى تواجه الصحافة الحديثة فى القرن الحادى والعشرين، فأعقب كلمة رئيس مجلس الصحافة كلمة القاضى «ب. ب. ساونت» من الهند وهو رئيس الاتحاد العالمى للمجالس الصحفية، ثم كلمة وزير الإعلام السيد صفوت الشريف.

(*) الكاتب: مدرس الصحافة والإعلام بجامعة المنصورة.

وتحدث بعد ذلك الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالي ورئيس اللجنة الوطنية المصرية لليونسكو، وقد طرح مجموعة من الخواطر عن التحديات المتصلة بإعلام القرن الحادى والعشرين. وركز على بعض الحقائق فى هذا الشأن، أهمها:

١ - التطور المذهل فى تكنولوجيا الإعلام، قال: إن هناك فرصة واسعة أمام تطور وسائل الإعلام التقليدية مثل البث الفضائى الرقمى وأجهزة الكمبيوتر وشبكات المعلومات والصحافة الالكترونية والوسائط المتعددة، وأشار إلى ضرورة تطوير شبكات الإعلام حتى لا يختل الوزن الإعلامى الدولى بشدة أكثر مما هو مختل حاليا.

٢ - وعن الاحتكارات الإعلامية الكبرى، قال: إن هناك شركات ضخمة تسيطر على الإعلام الدولى وصلت إلى وضع أكثر ضراوة فى ظل الاندماجات بالرأى العام وتؤثر على القيم، مما يتطلب نقاشا واعياً من الخبراء

٣ - وعن أزمة المحلية فى ظل العولمة، قال: إن الحفاظ على المحلية تحد كبير، فكل ما هو محلى يتعرض لطوفان الإعلام الدولى مما أوجد صعوبة فى التعامل معها وأثار مخاوف فى الدول النامية، وتساءل عن كيفية مواجهة هذه التحديات، فأوضح أن هناك مدخلا عالميا يتمثل فى ضرورة اتفاق الأطراف علي نوع من التنسيق والتعاون والدعم ورأى أن هناك مدخلا إقليميا مهما يتصل بالإعلام العربى الذى يعد طرفا ضعيفا فى علاقات القوى الإعلامية الدولية.

وطرح الدكتور مفيد شهاب عدة نقاط تتصل بكيفية مواجهة تحديات القرن الحادى والعشرين فأشار إلى ضرورة إصلاح المناخ العربى العام مما يسمح بانطلاق الإعلامى العربى فى مناخ من الحرية ضمن قواعد قانونية وتقاليد تحمى المجتمع، وضرورة تطوير الهياكل الإعلامية بحيث يتم معالجة مختلف المعوقات التى تعرقل عمل الإعلام كى يكتسب مصداقية وقوة، وضرورة تطوير البنية التعليمية للتعامل مع التحديات بحيث يتم التركيز على رفع مستوى المتلقين ثقافيا وتعليميا، لأن التعليم الجيد يعد عاملا مهما فى مقاومة ثقافة الاستهلاك والتسطيح الفكرى.

كلمة نقيب الصحفيين

كما تحدث الأستاذ إبراهيم نافع نقيب الصحفيين عن الصحافة فقال: إن صناعة الصحافة لاتزال تمثل جوهر التغيرات التى تشهدها صناعة الإعلام وهى تشكل واحدة من أسس الحضارة الإنسانية المعاصرة.

وأوضح أنها غدت نمطا من أنماط التفكير بفضل الإعلام الإلكترونى.

وقال: إن الصحافة قادرة على إحلال السلام غير أن قدرتها على الاستجابة لتحديات ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصال

وتكمن أولى هذه التحديات فى قضية، حرية التعبير، فحرية الصحافة ستكون القرن المقبل خيارا عملياً أكثر من كونها مرتكزة على أسس أخلاقية. إلا أن حرية الصحافة ليست خيارا سهلاً، فالتفاعل مع الواقع يتطلب لغة جديدة وأشار إلى أن تحدى الحرية يتمثل فى الجانب الأكبر من الصحافى الممارس ذاته، فهناك ممارسون يفتقرون إلى مهارة التعبير الحر، والتكنولوجيا وحدها لا تصنع صحافة حرة مسئولة وأكد على أن تعبير «الصحافة الحرة والمسئولة» هو تعبير أمريكى ظهر فى منتصف

الأربعينات، وأن المسئولية ليست قيدا قانونيا وإنما هى لصالح المجتمع.

وتحدث نقيب الصحفيين عن حرية الصحافة التى شهدتها مصر فى العقدين الأخيرين، مؤكدا أن القرن المقبل يختزن الكثير، إذ أن الاصلاحات الاقتصادية والسياسية التى تشهدها مصر سوف تؤثر على حرية الصحافة وسوف تؤكد حق الصحفى فى الوصول إلى المعلومات وقال: أن قضية الحرية ليست هى التحدى الوحيد فلا يمكن لصناعة الصحافة أن تنهض بمسئولياتها دون اقتصاديات قوية.

وتحدث عن التحديات الاقتصادية فقال: أولا إن تكنولوجيا الاتصال يسرت الوصول الى المعلومات فى شتى بقاع الأرض ولكنها تقتطع ولاتزال أعداداً كبيرة من جمهور الصحف بحيث انخفض معدل قراء الصحف.

وقال: ثانى تأثير للتكنولوجيا الجديدة امتد إلى تجزئة السوق بين الوسائل الإعلامية من حيث العائدات الإعلامية.

وتحدث عن زحف الاحتكارات الدولية على وسائل الإعلام مما يهدد صناعة الصحافة فى أسواقها الوطنية على المدى البعيد.

واخيرا أوضح الأستاذ إبراهيم نافع أن الصحافة وحدها لن تستطيع مواجهة تحديات القرن المقبل فهى بحاجة الى دعم المؤسسات الأخرى كثيرا محلية وإقليمية ودولية، لأن الحياة لم تعد ممكنة بدون صناعة الصحافة وبخاصة ونحن نعايش عالما تبدو فيه الحقائق قليلة والتوقعات صعبة.

كلمة الاتحاد العالمى للمجالس الصحفية:

وأشار البروفيسير فلنت رئيس المكتب التنفيذى للاتحاد العالمى للمجالس الصحفية الى ثلاث نقاط أجمل فيها النتائج المتوقعة لهذا الدمج الإعلامى بين وسائل الإعلام:

١ - ستفرغ هذه الوسائل من المضمون.

٢ - لن تتحسن هذه الوسائل ولن تصبح أكثر مسئولية .

٣ - ستخضع هذه الوسائل لسلطة عدد قليل من الناس وعلى الرغم من تنوع وسائل الإعلام تظل رسالة الإعلام الرئيسية هى توصيل المعلومات والترفيه وإن كان توصيل المعلومات يحتل مكانة أكبر من خلال نشرات الأخبار.

إن الصحافة الحرة والإعلام الحر وسيلتان أساسيتان لترسيخ الديمقراطية، فأين موقع ثورة التكنولوجيا من ذلك؟ ربما المثال الحى على ذلك دور الإذاعة المستقلة في الامبراطورية السوفيتية، وقد سلح السوفييت مواطنيهم بمذياع ذي موجات قصيرة حيث تراءى «للينين» ميزة التحكم ليس فحسب فى الصحافة وإنما على الأخص التحكم فى الموجات القصيرة ولكنه لم يدرك أن السوفيت يستمعون من خلال المذياع الى اذاعات أجنبية بخلاف الإذاعة السوفيتية.

- وتحدث الاستاذ صلاح منتصر وكيل المجلس الأعلى للصحافة عن الصحافة والانترنت فى القرن الحادى والعشرين فقال: إن الإنترنت ظهرت فى الوجود فى بداية الستينات كإحدى نتائج الحرب الباردة وكهدف عسكرى حدا بالولايات المتحدة إلى إقامة شبكة اتصالات لتحقيق أهداف عسكرية وسرعان ما انتقل إلى الحياة المدنية شأنه شأن كثير من الاختراعات والأفكار، وقد تطورت الإنترنت إلى حد لم يكن متصورا بحيث

يمكن القول إن القرن الحادى والعشرين سيكون بلاشك عصر الانترنت .

ثم تحدث عن الصحافة والتحديات التى واجهتها مع ظهور الراديو والتليفزيون ثم الاقمار الصناعية فى القرن العشرين فأوضح ان الصحافة فاقت كل هذه الاختراعات مؤكدا أن التليفزيون والأقمار الصناعية لم تهددها حيث تتيح للقارىء الاحتفاظ بالصحيفة على عكس البرامج التليفزيونية، بل إن توزيع الصحف زاد، خاصة بعد التطوير الذى حدث فى الصناعة والطباعة .

وعن عهد الأنترنت طرح أحد الصحفيين هذا السؤال :

هل تستمر قفزة الصحافة مع الإنترنت؟

قال : إنه لأول مرة يشعر بخطر حقيقى لأن الانترنت يتميز هو الآخر بميزة اختيار الزمان والمكان التى كانت تنفرد بها الصحافة، لكن الأخطر من ذلك قدرة الإنترنت على نشر الإعلانات الصغيرة المبوبة التى كانت حكراً على الصحافة وحدها

وتوقع فى مواجهة هذا الخطر أن تتغير صورة الصحيفة فى القرن الحادى والعشرين فتصبح صحيفة الكترونية بدلا من الصحيفة الورقية، وقال : إن هذا الحل يجعل الصحافة تستفيد فى القرن الحادى والعشرين من الإنترنت لتواصل المسيرة .

وتحدث بعد ذلك القاضى « رحمنلى خان » رئيس المجلس الصحفى فى بنجلاديش وقال : إنه سوف يتم التركيز فى هذا المؤتمر على دور الإعلام فى القرن الجديد فى ظل الأوضاع العالمية فيما يحقق حرية التعبير والعدالة الاجتماعية .

وأشار الى طموحات الصحافة وتجربتها فى القرن العشرين الذى شهد كوارث وحربين عالميتين وقال : إن « مارتن لوثر » سجن بسبب حرية الصحافة، وانتقل الى الحديث عن الإعلام فى القرن الحادى والعشرين فقال : إن هناك موضوعات أصبحت تهم الجميع منها النهوض بحرية الصحافة والتعاون على إيجاد صحافة حرة ومسئولة . وأشار إلى ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمى لحقوق الإنسان الذين تحدثا عن حرية الرأى والتعبير . وأبرز ضرورة دعم هذه الحرية مع تزايد مختلف الأنشطة الإنسانية فى القرن الجديد .

تحدث الأستاذ نبيل عثمان رئيس الهيئة العامة للاستعلامات وعضو المجلس الأعلى للصحافة فقال : إنه سيشير أساسا بعض نقاط رئيسية من بينها تكنولوجيا المعلومات الجديدة والعولمة، فنحن نهاب هذه الظاهرة الجديدة، حيث إن الإنسان يقاوم التغيير بطبيعته ولكننا نواجه ظاهرة ستسفر عن نظام عالمى جديد . ومع ثورة المعلومات ظهرت مفاهيم وآليات جديدة فى عالم الاقتصاد

إن التغير الفعلى يحدث على صعيد المعلومات فنحن نغير أساليب التغير وقد كانت الأقمار الصناعية منذ عقدين رمز العولمة، والأن أصبح الإنترنت يمثل هذه المكانة، وكان الكاتب الشهير « أويل » يشير دائما إلى « الأخ الأكبر » على إنه الدولة، والأخ الكبير الأن هو وسائل الإعلام والمعلومات .

وفى نهاية مؤتمر الاتحاد العالمى للمجالس الصحفية صدرت التوصيات بحماية حرية الصحافة العربية والإسلامية، وتشجيع مسئولياتها الأخلاقية والمعنوية لدورها المهم الذى يمكن أن تقوم به فى تعزيز السلام والقضاء على أسلحة الدمار والتصدى للفساد والحفاظ على التماسك القومى .

الإسلام وحماية البيئة الحيوانية

للأستاذ/ أيمن حمودة

الحيوانات (الأنعام) من نعم الله على عباده التى لا تعد ولا تحصى وأسمها مشتق من النعمة ويؤكد الله. سبحانه وتعالى. على تسخير الأنعام للإنسان باعتباره خليفة الله فى الأرض وذلك فى قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ **(يس ٧١).**

وللحيوان فى حياة الإنسان أهمية عظمى فقد ذكر الله فى كتابه الكريم المنافع والفوائد المتعددة التى يجنيها الإنسان من تسخير الله. سبحانه وتعالى. للحيوانات له منها:

الحيوانات مجال رحب للتفكير فى عظمة الخالق وقدرته قال – تعالى –:

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾

(الغاشية ١٧).

● الحيوانات مصدر أساسى لغذاء الإنسان قال ـ تعالى ـ

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (النحل ٥).

● الحيوانات وسيلة من وسائل النقل والمواصلات بالركوب عليها واتخاذها زينة قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النحل ٦–٧–٨)

● الحيوانات يتخذ الإنسان من أصوافها وأشعارها وأوبارها وجلودها الأثاث فى المنزل قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾

(النحل ٥٨)

● الحيوان كان ومازال معلماً للإنسان فقد تعلم الإنسان من الطيور السعى على الرزق، وتعلم الصبر على العمل من النحل والإبل وبناء

المنازل وهندستها كما تفعل الطيور وادخار القوت والنظام كما يفعل النمل.

بعض التشريعات الإسلامية فى مجال الرفق بالحيوان وحمايته

لما كانت الحيوانات مخلوقات أوجدها الله لتقدم للإنسان ذلك الخير الكثير والنفع الوفير وتقوم بعبادة ربها وتقف عاجزة عن الدفاع عن نفسها فقد جاءت الشريعة الإسلامية السمحة قبل أربعة عشر قرناً من الزمان تأمر بالرفق بالحيوان وتوجب حمايته باعتباره أحد مكونات البيئة التى يحيا فيها الإنسان، وهذه لمحة من عظمة التشريعات الإسلامية فى مجال الرفق بالحيوان وحمايته.

١- تحريم حبس الحيوان: فقد حرم الإسلام حبس الحيوان وتعذيبه سواء كان من الحيوانات الأليفة كالكلاب والقطط أو من البهائم والأنعام، فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله - ﷺ - قال: « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض أى هوامها وحشراتها » "أخرجه البخارى".

وعن جابر- رضى الله عنه - قال: « نهى رسول الله أن تصبر البهائم » أى تحبس للقتل، ومما سبق يستدل أن حبس الحيوانات الأليفة والبهائم والأنعام ومنع الطعام والشراب عنها وتجويعها من الأمور المنهى عنها فى الإسلام.

٢- تحريم إرهاق الحيوان وتحميله فوق طاقته: فقد دخل رسول الله - ﷺ - بستانا لرجل من الأنصار فإذا به جمل فلما رأى النبى الكريم حن وذرفت عيناه فأتاه رسول الله- ﷺ فمسح دموعه ثم قال - عليه الصلاة والسلام:- « من صاحب هذا الجمل؟ » فقال صاحبه: أنا يا رسول الله فقال له النبى - ﷺ :- « أفلا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها، فإنه شكا لى أنك تجيعه وتذنبه أى تحمله فوق ما يطيق » "رواه أبو داود".

النهى عن وسم الحيوانات: فقد نهى الإسلام عن وسم الحيوانات أى كيها بالنار لتعرف من بين الحيوانات الأخرى فقد مر رسول الله - ﷺ- على حمار قد وسم فى وجهه - فقال عليه الصلاة والسلام-: « لعن الله الذى وسمه » "رواه الطبرانى".

٤- تحريم حرق الحيوان حيا: فقد ورد عن الرسول الكريم أنه رأى قرية نمل قد أحرقها مجموعة من الصحابة فقال لهم الرسول- ﷺ- : « من أحرق هذه »: فقالو: نحن يا رسول الله فقال- ﷺ- « إنه لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار » "أخرجه أبو داود".

٥- النهى عن فجيعة الحيوانات: فقد نهى الإسلام عن فجع الحيوانات والطيور فى أولادها وأفراخها وذلك من خلال التقاط صغار الحيوانات والطيورمن أمهاتها، فقد روى عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: كنا مع رسول الله فى سفر فخرج لحاجته فرأينا حُمرة أى طائر يشبه العصفور معها فرخان لها فأخذنا فرخيها فجاءت الحُمرة تفرش أى ترفرف بجناحيها، فلما جاء النبى- ﷺ- قال: « من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها » "أخرجه أبو داود".

٦- تحريم اتخاذ الحيوان هدفا للرمى وتعليم الإصابة: ومن مظاهر حفاظ الإسلام على الحيوان نهيه عن اتخاذ الحيوان غرضاً للمسابقة أو الرمى والرهان فقد « لعن رسول

الله - ﷺ - من اتخذ شيئا فيه الروح غرضاً» "رواه البخارى" كما حرم الإسلام قتل الحيوانات أو الطيور بدون منفعة أو مصلحة عامة، ونهى عن التلهى بها في الصيد فقد قال - ﷺ -: «من قتل عصفوراً عبثاً (من غير منفعة) عج إلى النار يوم القيامة ليقول يا رب إن فلانا قتلنى عبثاً ولم يقتلنى منفعة» "أخرجه النسائى".

٧- رحمة الإسلام بالطير والحيوان: من تعاليم الإسلام أن نتقرب إلى الله بالإحسان إلى الحيوان وقد بالغ الإسلام فى الاحتفاء بالذين يتراحمون بالحيوان[1] وجعل من أسباب المغفرة وتكفير الذنوب الإحسان والرحمة بالحيوان، فقد جاء فى الحديث الشريف أن رسول الله - ﷺ - قال: «إن إمرأة بغياً رأت كلباً فى يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له بموقها فغفر لها» "صحيح الإمام مسلم".

كما روى عن أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: «بينما رجل يمشى فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال: لقد بلغ هذا (الكلب) مثل الذى بلغ بى من العطش فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له فقال الصحابة: يا رسول الله: وإن لنا فى البهائم أجراً فقال النبى - ﷺ - فى كل ذات كبد رطب أجرا» "أخرجه الشيخان".

أى أن ذلك عام فى جميع الحيوانات، وفى ضوء تعاليم الإسلام يقرر الفقهاء من أحكام الرحمة بالحيوان وحمايته ما لا يخطر ببال، إذ يقررون أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكه فإن امتنع أجبر على بيعه أو إطلاقه ليأكل من خشاش الأرض أو يذبح إن كان مما يؤكل، وأضاف الفقهاء أنه إذا لجأت هرة عمياء إلى بيت شخص وجبت عليه نفقتها كما منعوا تحميل الحيوان أكثر مما يطيق، وقد يقول قائل: إن هذه المبادىء أو التشريعات الإسلامية فى مجال حماية الحيوان والرفق به تبدوا ضرباً من الخيال وأكثر مثالية، بعيدة كل البعد عن الواقع إلى أن الواقع التطبيقى لهذه المبادىء سواء من قبل الدولة الإسلامية أو المؤسسات الاجتماعية أو المسلمين ينفى عنها صفة عدم الواقعية؛ فقد تمثلت عناية الدولة الإسلامية بهذه المبادىء بأن حكامها كانوا يصدرون الأوامر إلى الولاة والمسئولين يوصونهم بالرفق بالحيوان وحمايته ومنع الأذى عنه والإضرار به، و يمنع تحميل الدواب فوق ما تطيق أو تعذيبها وضربها أثناء السير وكان لدى الوالى الصلاحية فى تأديب ومعاقبة من يراه يفعل ذلك.

ولقد كان المسلمون الأول يترجمون مبادىء الشريعة الإسلامية فى مجال الرفق بالحيوان وحمايته إلى وقائع ملموسة، فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول لرجل رآه يسحب شاة من رجلها بشدة ليذبحها: (ويلك قدها إلى الموت قوداً جميلاً) وهذا أبو الدرداء الصحابى الجليل يقول لبعيره عند الموت: «لا تخاصمنى إلى ربك فإنى لم أكن أحملك فوق طاقتك، وكان عدى بن حاتم

يفت الخبز للنمل ويقول : إنهن جارات لنا ولها علينا حق) وقد نهى عمر بن عبد العزيز فى إحدى رسائله إلى الولاة الناس عن إركاض الفرس فى غير حق، وكتب إلى صاحب السكك وهى وظيفة تشبه شرطى المرور حالياً ألا يسمح لأحد بإلجام دابته بلجام ثقيل أو بضربها بمقرعة من حديد، وكان لهذا الشرطى الحق فى تأديب ومعاقبة من يراه يفعل ذلك[٢].

٨- الإسلام أول من قرر مبدأ المحميات الطبيعية : الحفاظ على مفردات البيئة من الحيوانات البرية من الأمور الهامة التى أولاها الإسلام عناية فائقة، فقد دعى الإسلام إلى جعل مكة والمدينة المنورة حرمان آمنان، أى محميات طبيعية، فقد حرم الله ـ سبحانه وتعالى ـ الصيد على الحجاج فى الأراضى المقدسة ما داموا محرمين بحج أو عمرة قال ـ تعالى ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾

(المائدة ٩٥)

ووضع الإسلام عقوبات رادعة على من يقوم بقتل الصيد متعمداً وهو محرم بهدف الحفاظ على هذه الحيوانات البرية حتى لا تتعرض للانفراض قال- تعالى- :

﴿ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾

(المائدة ٩٥)

ففى الآية الكريمة نرى تعدد صور عقوبة الغرامة فى الإسلام لمن يعتدى على الحياة البرية بمكة ويقتل الصيد متعمداً وهو محرم. وهكذا نرى أن تعليمات الإسلام تهدف للمحافظة على الحيوانات البرية حتى لا تتعرض للانقراض والفناء، وكأن الإسلام أراد بهذا أن يجعل من مكة البلد الحرام وما حولها محمية طبيعية تكون نموذجاً وقدوة لمحميات كثيرة على وجه الأرض تحفظ الحياة البرية ولا تهددها بالانقراض أو الفناء[٣] وهكذا نرى أن الإسلام أقام أول محمية طبيعية على الأرض وكانت بأرض مكة وما حولها ثم تبعها بمحمية ثانية بالمدينة المنورة وما حولها، وثالثة بوادى الطائف؛ فى حين أن العالم المعاصر لم يعرف نظام المحميات الطبيعية إلا فى القرن التاسع عشر الميلادى، ففى عام ١٨٦٤ أعلنت حكومة واشنطن« وادى يوسميتى » محمية طبيعية[٤].

---

(١) محمد حامد سليمان- رحمة الإسلام بالطير والحيوان- مجلة الأزهر عدد شعبان ١٤١٧هـ ١٩٩٦ ص ١١٠٤.

(٢) محمد قاسم- حضارتنا الإسلامية فى مواجهة الانهزام النفسى- مجلة الوعى الإسلامى عدد المحرم ١٤٢٠ هـ إبريل- مايو ١٩٩٩ ص ٣١.

(٣) د. على السكرى- البيئة من منظور إسلامى- منشاة المعارف الإسكندرية ١٩٩٥ ص ١٧- ١٨.

(٤) عبد العظيم أحمد، الإسلام والبيئة، مؤسسة شباب الجامعة. الإسكندرية ١٩٩٩- ص٥٩.

روائع من الماضي بمجلة الأزهر

الإسلام أصل حضارة العالم

لفضيلة الشيخ محمود محمد المدني

إعداد وتقديم الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :.

فمن خلال النظر فى آيات القرآن الكريم، وما جاء به نبينا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ نستطيع أن نعرف حقيقة هذا الدين وندرك فى صدق ويقين أنه ما جاء إلا لإصلاح الناس فى معاشهم ومعادهم، وإقامة مجتمع صالح لا انحراف فى تفكيره ولا عوج فى سلوكه، مجتمع لا يشيع الطغيان فى أغنيائه وأمرائه، ولا تسيطر الذلة والمهانة على فقرائه، فالقوى فيه قوى له، والضعيف فيه قوى به.

ولهذا فقد وضع منذ أشرقت نور هدايته ما يعتبر المنار الوهاج إلى ما يسمو بالفرد والجماعات من مبادئ ومثل وضعت أسس الحضارة الحقة الكاملة من تعاليم إلهية، وآداب سماوية، وأخلاق قدسية توفر للإنسان الاطمئنان الحق، وتعمق الإيمان فى نفسه، وتربطه بربه رباطا قويا، حضارة مبناها النظام الروحى والإخاء الإنسانى.

قال الكاتب - رحمه الله - :.

يقولون إن المدينة الحديثة أساسها الحرية والإخاء والمساواة، وإن هذه الأشياء لم تعرف أول ما عرفت إلا فى عهد الثورة الفرنسية التى قامت فى آخر القرن الثامن عشر، وإن أعظم أسس تلك الثورة كتاب « العقد الاجتماعى » الذى « نشره جان جاك روسو » والذى أوله (ولد الانسان حرا).

ولم يدر هؤلاء المغالون الجهلة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قد قال من قبل ذلك بما يزيد على اثنى عشر قرنا.

وقد ذكر ذلك عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ بأقوال تكاد تكون أقوال « جان جاك روسو » حكاية لها، حيث نصح أحد عماله بقوله : (كيف تستعبد الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)

وبعد، فلا أظن شمس الحرية أضاءت كما أشعلها الإسلام، إذ أضاءت العالم من مشرقه إلى مغربه كلما انتشرت تعاليمه - أما أوربا صاحبة المدنية الحالية التى أثبتت الأيام أنها مدنية الحجارة والحديد والتشاحن على المادة والعرض وإزهاق النفوس لملء البطون وإشباع نهم الفجور والفسق والفتنة فى السلم، هذه المدنية لم تعرف اسم الحرية إلا بعد أن احتكت بمدنية الإسلام، وبعد أن أضاء قبس من نوره من العراق والأندلس ومصر والقسطنطينية.

حتى فى بلاد العرب لم تكن الحرية ذات معنى حقيقى قبل النبى - ﷺ - ولا أظن خافيا على أحد ما الذى كان يفعله المتنطعون من قريش والمتزمتون فيها حين كانوا يؤذون رسول الله وأصحابه بأشد أنواع الأذى، ويذيقونهم أمر أصناف التنكيل مع أنهم لم يزاحموهم على عرض ولم ينافسوهم على جاه ولم يطالبوا بسلطة ولا بحكم، وإنما كانوا يدعون لدينهم بالقول اللين والكلم الطيب وحده إلى نبذ عبادة الأصنام، والتفكر فى المخلوقات ليعلموا أنها من صنع الله الواحد القهار.

ومع ذلك فقد أخذتهم حمية الجاهلية وطوحت برؤوسهم إلى العنت والسخف حتى اضطروا الرسول - صلوات الله عليه - للمهاجرة هو وأصحابه، واضطروهم إلى أن يشقوا بأسيافهم الطريق إلى الحرية، حتى أفاضت بنورها وحتى انكفأت أطباق الظلم، وإذا بالمسلمين يحملون شعلتها المقدسة وفى أولها هذه الحرية، يدعون إلى الله ويدعون إلى المساواة، الى أن تكسرت أمام أسيافهم وتحت أقدام خيولهم ما عبدته ممالك فارس والروم والمغرب وأوربا من نظام الطبقات، ومن استعباد الناس بعضهم لبعض، مما كانوا يسمونه نظام الإقطاع، وحق السيد أو الشريف على عبيده، وحق الكهنة ورجال الكنائس على عموم الناس.

لم يعرف العالم إلغاء هذه النظم العجيبة قبل الإسلام، ولو قام إنسان فى أوربا فى القرون الوسطى، ودعا إلى المساواة بين الفلاح وصاحب الحقل، أو دعا رجال الكنائس أو المعابد إلى التنازل عما كانوا يدعون من حقوق لما كان له من جزاء أقل من التعذيب والتقتيل والتخريب.

ولقد ضلت المدنية الأوربية طريقها وحادت عن أصلها الأول فى الإسلام وجسموها نظريات فاسدة واتخذوا لها طرقاً لا تمت إلى الحق بسبب، فكانت النتيجة أن انقلبت الأعراض الزائفة، والصور الباطلة، نقمة عليهم وإذا هم يطغى بعضهم على بعض يتكالبون على ما يشبع النهم أو يطفئ ظمأ الشهوة، وما هم ببالغين من ذلك إلا دق الأعناق، ولا براجعين إلا عن طريق روح الإسلام - عند ذلك يتذوقون المساواة الحقة والإخاء الصحيح.

جاء الوحى من عند الله العزيز العليم إلى محمد - ﷺ - معلم البشرية الأول، وكان أول بدئه قوله - تعالى - :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(١).

(١) سورة العلق ١ - ٥.

أول الدعوة وأول الرسالة طالب المولى حبيبه بالعلم، يا لها من حضارة تبهر العقول وتستهوى الألباب وتشرح الصدور، يطالب جل شأنه بالعلم، فدين الإسلام إذا أساسه العلم ووحيه الحق وروحه الحضارة فى أجلى صورها وأبهى معانيها؟ العلم بأوسع صوره وأدق معانية، وإلا فيما نفسر انتقال العرب بعد إسلامهم من عداد الأمم الجاهلة المشردة إلى مصاف الأمم الراقية السائدة؟ استغفر الله بل إلى صف فوق الصفوف صارت فيه وحدها حافظة للعلم والحضارة والفنون دون سائر الأمم، وقد اعترفت لها الكافة بالزعامة فى ذلك قرونا طويلة كانوا فيها يؤمون عواصمها يأخذون عنها العلم والحكمة وأسرار الصناعات والفنون، ولا يزال المؤرخون من جميع الملل والنحل يرددون هذه الحقيقة ـ أليس هذا لأن الإسلام يفرض الرقى فرضاً ولا يسمح به سماحا.

تحدث القرآن عن ذلك بمنتهى القوة حيث يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٢] ويقول: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[٣] ويقول:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٤].

ويقول المصطفى صفوة خلقه ﴿ **خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت** ﴾[٥] أى ولو خرجت من فم آثم أو كافر، فإن الحكمة تلتقط حيث كانت ولا يؤثر على قدسها شئ.

كل هذه الآيات وتلك الأحاديث فرضت على المسلمين العلم ودفعت بهم إلى مباحثه دفعا، والعلم يؤدى إلى الترقى لا محالة بل هو طريقه الوحيد فى كل أدوار البشر، وأى علم هو؟ العلم على إطلاقه بكل ما يحتمله لفظه ومعناه وبكل ما يؤدى إليه فى الحياة، فإن الدين الذى يفرض على ذويه النظر فى السموات والأرض والذى يقول: إنه يضرب الأمثال للناس وما يعقلها إلا العالمون، والذى يرفع من شأن أهل العلم بحيث يستشهد بهم فى حقه، والذى يقول رسوله الأمين « فقيه أفضل عند الله من ألف عابد »[٦] ويقول: (فكر ساعة خير من عبادة ستين سنه)[٧] الدين الذى يفعل هذا يدفع بأهله قهراً إلى طلب العلم، وطلبه يدفع بهم إلى أطوار من الترقى لا تطوف بخيالهم قبل الدخول فيها.

وإلا فمن ذا الذى كان يتوهم أن العربى الذى يتخيل أن القمر له غلاف اسمه الساجور، يدخل فيه كل شهر مرة ثم يخرج منه يسيراً يسيراً ليعلل بذلك أطواره المختلفة من هلال إلى بدر، يصبح بعد مائة وخمسين سنة يعرف من أحوال هذا الكوكب ما يعرفه أكبر الفلكيين إذ ذاك.

---

(٢) سورة الإسراء ٨٥.
(٣) سورة طه ١١٤.
(٤) سورة الزمر ٩.
(٥) رواه ابن عمر.
(٦) الخطيب البغداد ٢٨/١.
(٧) كنز العمال.

ومن ذلك الذى كان يتصور أن ذلك العربى الجاهل يصبح بعد تلك المدة القصيرة وبيده ذلك القبس من العلم يعشو إلى نوره العالم من جميع أرجاء الأرض يأخذون عنه ما جعله الله أمينا عليه دون خلقه ـ من ذا الذى يستطيع أن يتخيل هذا لولا أن الإسلام قد أوجب على متبعيه الانفراد لقاموس الترقى إيجابا، لا أنه قد أباحه لهم تخييرا.

لم يكتف الإسلام بالدعوة إلى العلم فحسب، ولكنه تغلغل فى نظام الاجتماع ووضع من القواعد ما يعتبر المنار الوهاج لهداية الناس إلى ما يسمو بهم فرادى وجماعات، وإلى ما يقر حالهم من حيث معاشهم ومعادهم، فكان النظام الاقتصادى أبدع من النظم الاقتصادية التى عرفت من قبله والتى ولدت من بعده، هذا النظام هو نظام توزيع الثروات توزيعاً عادلا مشبعاً بروح المودة والرحمة والاحترام بين الطبقات، وذلك النظام هو نظام الزكاة وحسبنا لو طبق هذا النظام على وجهه الشرعى الصحيح أن تهرب الأشباح المخيفة التى تطغى على العالم الآن باسم الشيوعية والنازية والفاشية والرأسمالية، وما إلى ذلك مما يسير فيه العالم متخبطا بين ظمأ الجشع وواجب الرحمة.

ثم كان تنظيمه للأسرة وعلاقة الرجل مع زوجه وأولاده وأقاربه فى حياته وبعد مماته نظام عجيب منشؤه التواصل والتراحم والتعاطف، وإن برم به الغربيون وغيرهم ممن فى قلوبهم مرض، وعابوا عليه بعض الشئ. فهم ولابد راجعون إليه بطبيعتهم مندفعون إليه بغرائزهم، هذا من ناحية وهناك ناحية أخرى اجتماعية لها دقتها ومكانتها وقد وقف منها الدين الإسلامى موقفاً عظيما يدل على منتهى السمو والعظمة ألا وهو الطلاق وإباحته مع بغضه وتقييده بتلك القيود البالغة منتهى الدقة حيث يقول ـ جل شأنه ـ:

﴿ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾(٨).

ثم بعد ذلك يقول:

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾(٩).

أين حضارة الغرب هنا؟ بل أين مدنيته؟ ها نحن نراهم يرجعون إلى ديننا فى هذه المسائل كلها، وما ذلك إلا لصلاحيتها واستقامتها وتمشيها مع روح العصر وها هم يقتربون منا كل يوم.

ولو نظرنا قليلا فى تقاليد المجتمع وما يسميه الغربيون بنظام (الإتيكيت) والآداب الاجتماعية، ونظرنا إلى نظام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لنرى أيهما أقوى دعامة وأرقى مدنية وحضارة.

يقول الله تعالى فى آداب دخول البيت والاستئذان لرجال ربوا على البداوة وعاشوا فى أحضان الطبيعة:

---

(٨) سورة النساء ٣٤.

(٩) سورة البقرة ٢٢٩.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾(١٠).

ويقول فى آداب الجلوس

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾(١١).

وغير ذلك من الآيات :

بل نظم العلاقة بين الأفراد والعائلة بالنسبة لبعضهم البعض داخل بيوتهم حتى يلزمهم حسن الأدب محافظة على الكرامة فقال :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾(١٢).

تعليم إلهى وأدب سماوى وأخلاق قدسية تدل على الحضارة الحقة الكاملة، حضارة لم تغير معالمها تلك الحضارة الزائفة التى وجدت فى هذا القرن والتى كان منتهاها هذا الدمار الذى نشاهده وتلك الحرب الضروس التى نراها اليوم والتى أطاحت بدول وأذهبت ممالك ومثلت عروشا كانت تفخر بأنها بلغت الذروة فى الحضارة حتى إن رئيس إحدى هاتيك الدول قد اعترف والقلب منه دام، بأن الخلاعة والمجون كانا السبب المباشر فى انهيار دولته العظيمة، والتى كانت تباهى الأمم كلها بحضارتها وتفخر عليهم بها.

إن حضارة الإسلام مبناها النظام الروحى والإخاء الإنسانى الحق، لذلك بقيت تعاليمه صحيحة لم تغير معالمها الأيام، ولم تقوض صروحها السنون، بل إنها تزداد على مر الأيام قوة وتمكناً.

وها نحن ننتظر أن يثوب العالم إلى رشده ويرجع إلى عقله فينشد الأمن والسلام فى دين الإسلام، ويفتش عن الحضارة فى هذا الدين ليعتنقها الجميع وعند ذاك تنقطع الثورات وتهدأ الحروب ويتركز العالم على سياسة واحدة حقة، وهى سياسة الله العلى القدير. والله الموفق لأقوم طريق.

---

(١٠) سورة النور ٢٧، ٢٨.

(١١) سورة المجادلة ١١.

(١٢) سورة النور ٥٨.

خميلة الشعر

للأستاذ / محمد عبد الوهاب

تشرق خميلة الشعر اليوم بإشعاعات شعرية خلابة؛ لتملأ الوجدان بفيوضاتها الإيمانية الموحية، وتعمر القلوب بالسكينة، والعقول بالفكر المستنير البناء، ولا غرو، فالشعر الحلال الذى يغذى بناءها ويقيم أودها، ما هو إلا إطار يحوى الكلمة الشريفة والمغزى النبيل، فهو يدعو إلى الحق ويهدى إلى القيم الإسلامية السامية، ونرجو من الله سبحانه - أن يهدى خطانا إلى سبيل الرشاد، وأن يعيننا على أداء رسالتنا إنه نعم المولى ونعم النصير.

هذا وتنعى أسرة المجلة إلى قرائها الأعزاء الشاعر الكبير الأستاذ رشاد محمد يوسف الذى كان يتولى الإشراف على باب « الشعر والشعراء » بالمجلة قبل ميلاد « خميلة الشعر »، نسأل الله للشاعر الكبير واسع رحمته ومغفرته، وتقدم الخميلة فى مستهل ما تقدمه فى هذا العدد قصيدة بعنوان: « فى رحاب الله » للشاعر الكبير الأستاذ أحمد مصطفى حافظ وكذلك قصيدة: « وفاء اليراع » للشاعر الأستاذ/ عبد العاطى موسى عبد العاطى ثم قصيدة: « تحية إلى لبنان » شعر الأستاذ الدكتور مبروك عطية أبوزيد ونختتم باقة اليوم بـ: « قصيدة لها قصة ».

اللهم هيىء لنا الخير

الشاعر رشاد محمد يوسف في رحاب الله

للشاعر/ أحمد مصطفى حافظ

يا صاحبي.. [1] حل القضاء المبرم — هيهات من شرك المنية نسلم
والموت يقفو خطونا، مترصدا — حتى إذا بدت النهاية يهجم
والخطب في زين الصحاب مضاعف — في كل حين، بالتذكر يعظم
مهما تمادى في الزمان غيابه — فالبعد يضرم في الحشا.. ما يضرم
والذكريات بكل شبر بيننا — في سيرة غراء.. كم تتجسم

***

إيه وآه يا صديقي شد ما — ألقاه والشعر المرجي ملجم
قد كان توأمك الذي صاحبته — طول الحياة.. فكيف يحيا التوأم؟
بنماذج عايشته، وتجاوب — وأراه بعدك بالأسى.. يتهجم
ويود ينهض في حماك مرددا — ما قد عهدنا من بيان يفحم

***

يا صاحبي، والدمع يغشى مقلتي — فيعوق مرثيتي.. وكم أتلعثم:
اليوم هذا.. ثم ذلك.. بعده — في «الآلة الحدباء»: عمر- يختم
.. مادام قد جاء الحياة.. وليدها — لاشك يوما ما.. سيذوي البرعم
تمضي بنا الأيام في تسيارها — من نبعها، لمصبها.. لا ترحم
قد فاز من زكى وصلى خاشعا — قبل الرحيل لجاه رب يكرم
حسن المنايا أن يكن أمانيا — في أرذل العمر.. البقايا.. علقم!
وجوار العرش في دار الكرا — مة خير عاقبة.. ونعم المغنم

---

(١) رحل، -رحمه الله- منذ أيام قلائل، عن العالم الفاني، إلى العالم الباقي، وكان يحتل منزلة بارزة بين شعراء الإسلام المعاصرين.. وكان له حضوره القوي، في شتى المحافل والندوات الأدبية، كما كانت له صولات وجولات، على صفحات مجلات: الأزهر، ومنبر الإسلام، والمجاهد، والهلال، والمجلة العربية، والقافلة وغيرها.

إلى روح الشاعر رشاد محمد يوسف
وفاء اليراع

مهندس / عبد العاطى موسى عبد العاطى

قد جئت دارك هل ترد وتسمع ... وتحير لحظا من فراقك يدمع
وتضم قلبا من عذابات النوى ... يهفو إليك ويستغيث.. يقطع
أحسست يوم «الحق» روحى أنها ... بين الجوانح تستطار وتنزع
من كنت نبعا للبيان ونوره ... والكل ينهل من عطائكَ... يرتع
و«خميلة للشعر» تهدى حبها ... لحن الوفاء وخافقا يتوجع
وسمعت آخر ما تقول وإننى ... كم كنت آمل فى الكثير وأطمع
لو كان داعى الموت يطلب فدية ... كنت الفداء وليت ذلك ينفع
وإذا أتى أمر الإله فيا ترى ... من ذا يجادل فى القضاء ويشفع
حملوك فى صمت كأن سكونهم ... يدعو لك الرحمن أو يتشفع
ومضى كلام الله يسبق خطونا ... وجميل صنعك للمهيمن يسرع
والرمس هلل فرحة بقدوم من ... كم بات يسجد للإله ويركع
ورجعت تحملنى خطى محزونة ... ويهدنى ألم وقلب موجع
والشعر يبكى والقريض بحوره ... حيرى... وأركان البيان تصدع
روض «الدواوين» التى أبدعتها ... بالحب منك وبالجمال ترصع
فرشاد «يوسف» يوسفى شعره ... من كان يسمو باليراع ويبدع
نم فى ضريحك عند ربك هانئا ... رب رحيم بالعباد وموسع
أنراك مرات بأحضان الكرى ... فالقلب منى -لو علمت- يضعضع
حتى إذا جاء النشور وعدت يا ... علما تحيطك جنة وتمتع
جمع الإله قلوبنا وشتاتنا ... فهو القدير وليت ذلك يسرع

تحية الى لبنان

بمناسبة انسحاب إسرائيل من جنوبه

شعر أ.د/ مبروك عطية أبو زيد

رفض الجنوبُ بأن يموت فكانا ... وعدوه من بأسه قد هانا

لبنانُ يا أرض الجمال تحية ... يا درةً قد أنجبت مرجانا

لبنان يا أرض الجهاد ألا اسعدى ... بالنصر غنى فى الورى ألحانا

حتى يعود ربيعنا لرياضنا ... ونشم فيه عبيرنا ريحانا

فلطالما غاب الربيع بأرضنا ... وتنفست أرجاؤنا بركانا

من ربع قرنٍ يا جنوب نوازل ... زادتك رغم صعابها إيمانا

ماهنت يوماً فى جهاد صابر ... حتى أزال جهادك الطغيانا

واليوم ترفل فى الجمال وتزدهى ... وتعود حراً نابضاً فتانا

فلتزرع الزيتون يسمو غصنه ... ولتبق دوماً صانعاً أغصانا

فوق الرمال فإن أرضك طهرت ... والطهر أرض تنبت الإحسانا

وانثر على سمع الزمان قصائداً ... حتى تكون حياته أوزانا

اليوم يا لبنان عيد فاطربى ... أكرم بعيدٍ ساحقٍ أحزانا

ما كل عيد مثل عيدك ضمنا ... أوكل فجر أيقظ الوسنانا

هذى جموع الناس فى شاتى الدنا ... قد جمعت وتوحدت عنوانا

عنوانها لبنان رمز كرامة ... هى خير أرض تصنع الإنسانا

حراً نبيلاً فى مكارم أمة ... بجهادها قد كرمت أوطانا

والحر يفنى كى يعيش ترابه ... من أجله قد خلف الغلمانا

ولئن سألت عن الكرامة نفسها ... من أنت ! كان جوابها لبنانا

قصيدة لها قصة

عندما حج هشام بن عبد الملك فى عهد أبيه، وطاف بالكعبة المشرفة، حاول جاهدا أن يستلم الحجر الأسود فلم يستطع لكثرة تزاحم الناس، فنصب له كرسى ليجلس عليه ويشاهد مشهد الطواف، وكان معه جماعة من أعيان الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل الإمام زين العابدين علىّ بن الإمام الحسين سبط رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فطاف الإمام بالبيت، ولما انتهى إلى الحجر الأسود، تنحى له الناس حتى استلم الحجر، فسأل واحد من أعيان الشام هشاما قائلا: من هذا الذى هابه الناس هذه الهيبة؟ فأجابه هشام: لا أعرفه (حسدا من عند نفسه، ومخافة أن يرغب أهل الشام فى الإمام)، وكان الفرزدق الشاعر حاضرا فقال من فوره: أنا أعرفه، ثم اندفع منشدا هذه القصيدة الرائعة الحسن، والتى بسببها غضب هشام غضبا شديدا فأمر بحبس الفرزدق بين مكة والمدينة...

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه، والحلّ، والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقىّ النقى، الطاهر العلم

هذا ابن ﴿فاطمة﴾ إن كنت جاهله ... بجدّه أنبياء الله قد ختموا

وليس قولك: من هذا؟ بضائره ... العرب تعرف من أنكرت، والعجم

***

كلتا يديه غياث عمّ نفعهما ... يستوكفان، ولا يعروهما عدم(١)

سهل الخليقة، لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان: حسن الخلق، والشيم

حمّال أثقال أقوام، إذا افتدحوا ... حلو الشمائل، تحلو عنده نعم (٢)

ما قال: لا قط، إلا فى تشهده ... لولا التّشهّد كانت لاءه نعم

عم البرّية بالإحسان، فانقشعت ... عنها الغياهب. والإملاق والعدم

---

(١) استوكف: اى أستقطر الماء واستدعى جريانه

(٢) افتدحوا: أى ثقلوا بالمصائب

إذا رأته قريش قال قائلها : إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
يغضى حياء، ويغضى من مهابته فما يكلّم إلاّ حين يبتسم
بكفه خيزران، ريحه عبق من كفّ أروع، فى عرنينه شمم
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم، إذا ما جاء يستلم

***

الله شرّفه قدما، وعظمه جرى بذاك فى لوحه القلم
أى الخلائق ليست فى رقابهم لأوليـة هذا، أو له نعم؟
من يشكر الله، يشكر أوّليّة ذا فالدين من بيت هذا، ناله الأمم
من جدّه دان فضل الأنبياء له وفضل أمته، دانت له الأمم
مشتقّة من رسول الله نبعته طابت مغارسه، والخيم والشيم
ينشقّ ثوب الدجى عن نور غرّته كالشّمس تنجاب عن إشراقها الظّلم
من معشر حبّهم دين، وبغضهم كفر، وقربهم منجى ومعتصم
مقدّم بعد ذكر الله ذكرهم فى كلّ بدء، ومختوم به الكلم
إن عدّ أهل التقى، كانوا أئمتهم أو قيل «من خير أهل الأرض؟ قيل هم

***

لا يستطيع جواد بعد جودهم ولايدانيهم قوم، وإن كرموا
هم الغيوث، إذا ما أزمة أمت والأسد أسد الشرى والبأس محتدم
لا ينقص العسر بسطا من أكفهم سيّان ذلك: إن أثروا وإن عدموا
يستدفع الشرّ والبلوى بحبهم ويسترب به الإحسان والنّعم[٣]

(٣) تسترب: أى يستزاد.

جولة داخل المخ البشري

للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

عندما قال الشاعر:

وتحسب أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

تُرى هل كان يرفع شعار العلم؟ أو يمسك بشراع الخيال فى إبحاره، الذى لا يهدأ داخل أعماق الإنسان ودهاليزه، التى لا تنتهى؟ ودون أن نجهد أنفسنا فى الإجابة على ذلك السؤال المحيِّر يلوح لنا من بعيد، تلميح الشاعر الذى فاق كل تصريح إلى ما أودع البارى -سبحانه- فى هذا الإنسان من أسرار وألغاز.

فأنت أيها الإنسان الغافل عن النعم، التى خصك الله بها، الغافل عن الآلاء، التى حباك الله إياها، أعطيت (مخا) هو فى تركيبه أشد تعقيداً من أقوى حواسيب الدنيا، وأعلاها تقدماً، وأرقاها ابتكارا، وبتلك المنحة الإلهية، والمنة الربانية، التى تحار فى فهمها العقول، فتقف منبهرة مشدوهة تحوز الحياة بين يديك، وتمارس كل نشاطاتها فى صحوك ومنامك، فى ليلك ونهارك، فى فقرك وغناك، فى مرضك وصحتك. إن بإمكانك مثلاً أن تمتع عينيك بمرأى، منظر جميل لزهرة بديعة الألوان، منسقة الأوراق، كما أن عبير الوردة الفواح، وشذاها العطر الذكى، سرعان ما يأسرك ويسبيك فتشمه، وتضمخ به روحك العطشى للجمال، الظمأى للفتنة والحياة. وما وسيلتك إلى هذا العام الساحر الجذاب إلا المخ، ولا تنحصر مهمة ذلك المخ -طبعاً- فى إثراء حاستى البصر والشم بالقوة والنشاط، بل تمتد إلى شتى الحواس الظاهرة منها، وغير الظاهرة، فبالمخ ومن خلال ما رُكبَ فيه من ذاكرة، أو حافظة تستطيع أن تستعيد الذكريات الحلوة، والأيام السعيدة التى نعمت بها. كما تستطيع كذلك أن تحفظ كتاب الله، وترتل آياته بصوت جميل معبر أخاذ، فتنتشى روحك، وتهيم فى بحار من العذوبة والصفاء وتحلق فى أجواء من الضياء والبهاء. وبنفس ذلك المخ، الذى جعل لما تذوق وتشم معنى، ولكل ما تتذكر مغزى، تستطيع -أيضا- أن تحس بالألم، عندما يُصاب إصبعك -لا قدَّر الله- بشىء ما مثلاً. وقبل أن تغضب أو تثور، وتتهم ذلك العقل بما هو مهمته، أقول لك: إنه هو

الذى يمتعك بسماع صوت قارئك المفضل، أو صدح طيرك الأثير، أو شدو بلبلك الرنام، أما عن كون المخ رافدا للعقل، ومصدراً للأفكار، ودرعا للمعتقدات، فحدث ولا حرج. ولا تعجب أو تدهش أن تعلم أن كل تلك الأمور وغيرها، تحدث نتيجة التعاون والتضافر بين كمية من الخلايا العصبية، يبلغ حجمها حوالى: كيلو، زود البارى بها جمجمة كل إنسان، فبالمخ حوالى مائة بليون[1] من الخلايا العصبية، ومائة بليون -طبعاً- رقم ضخم، بل مرعب، وحتى تحيط بضخامته، وتلم بحجمه الجبار تخيل نفسك، وأنت تقوم بإحصاء وعد كل تلك الخلايا، إن كان ممكنا أتقدم على هذا الفعل الجنونى، وذلك بمعدل لا يزيد عن عد خلية واحدة فى كل ثانية، إن تلك العملية ستستغرق منك - وأرجو أن يطيل الله فى أعمارنا حتى نحقق ذلك الإنجاز -ثلاثمائة عام، أى: ثلاثة قرون.

إن المخ منحة الله الغالية، لكل إنسان، يتحكم فى كل ما لديك من نشاطات ويهيمن على كل ما تقوم به من حركات، إنه يستقبل المعلومات من حواسك، فيدرك كل ما بجسمك، وما هو خارجه من أحوال، إنه يقوم بتحليل تلك المعلومات بسرعة فائقة، ويرسل رسائل للمنطقة التى يجرى فيها ذلك النشاط، فماذا يحدث مثلا عندما تضع يدك دون أن تدرى أو لا شعوريا فى ماء ساخن؟

إنك سرعان ما تسحب يدك مستغيثا صارخا: كم يؤلمنى هذا!، ولنفصل الأمر أكثر، نقول: إن اليد تبعث برسالة إلى المخ نصها: (ساخن جدا) وعلى الفور يرسل المخ رسالة إلى اليد تقول إنزع يدك من الماء وأخرجها حالاً، فتنصاع اليد للأمر وينجيك الله بفضله وكرمه، لنوضح الصورة أكثر دعنا نجرى هذه التجربة البسيطة: خذ قطعة من البطيخ، وأخرى من المانجو، وثالثة من البرتقال، تناولها جميعاً وأنت مغمض العينين وقد سددت أنفك، ثم تذوقها، فهل باستطاعتك التمييز بين طعوم الفواكه الثلاث؟! قد تستطيع ذلك، لأنك تدرك ما طعم كل منها على حدة، والسبب أن المخ تلقى رسائل من الفم، وبالتحديد من اللسان، حيث قامت حاسة التذوق لديك بوظيفتها على خير وجه، رغم أن عينيك لم ترها، وأنفك لم يشمها.

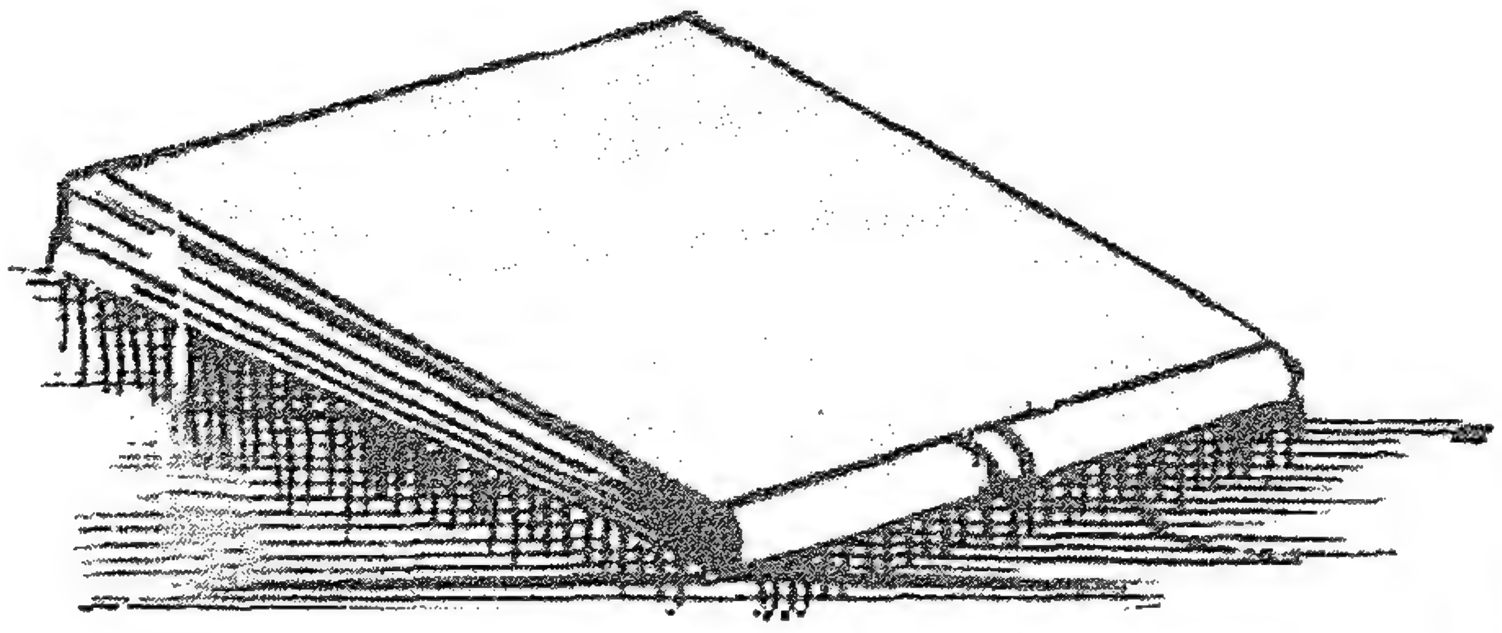
وكما أوضحنا أن للمخ المقدرة على الحفظ، والاسترجاع والتخزين لكل الأحداث، التى وقعت فى الماضى، مما يجعل عملية التعليم سهلة ميسورة.

وأخيرا: فإن المخ يتحكم فى العمليات التى تقوم بها الرئتان، كما يتحكم فى نبضات القلب، ودرجة حرارة الجسم، وكل ما يجرى بالمعدة والأمعاء من عمليات دقيقة ومؤثرة.

---

(١) البليون هو واحد وعن يمينه تسعة أصفار

دوحة الكتب



إعداد:
محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر، يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى؛ ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية.

المحرر

لكى لا ننسى فلسطين

تأليف
خليل إبراهيم حسونه
الناشر
جمعية الدعوة الاسلامية بليبيا

● عزيزى القارىء: فى هذه الأيام، تمر فلسطين، بأحداث وقرارات هامة فى حياتها وكان إعلان الدولة الفلسطينية فى ١٣ من سبتمبر، ووقوف مصر الشجاع والقوى بجانبها فى مواجهة الصهيوينة العدوانية التى تريد أن تحتل الاخضر واليابس، وتسرق حقاً من حقوق العرب والمسلمين، خاصة مشكلة القدس الكبرى، التى تريد أن تكون من حقها وحدها، وهذا هو الطمع الصهيونى والغل اليهودى رغم

أن الوجود العربى فى أرض فلسطين يرجع إلى عصور قديمة إذ اتخذ العرب فلسطين موطنا لهم منذ القدم. وكانت جموعهم وتمركزهم بربوعها قد عرفت منذ الكنعانيين وحتى ظهور الإسلام ويثبت لنا التاريخ أن العنصر العربى، ظل عبر مختلف الحقب فى تاريخ فلسطين يمثل الغالبية العظمى، فى حين أنه على امتداد التاريخ المعروف الذى يقترب من خمسين قرنا قبل الإسلام لم يعرف لليهود دولة بالمعنى الحقيقى للكلمة، ولم تتعد سيطرتهم الحقيقية مدة أربعين سنة.

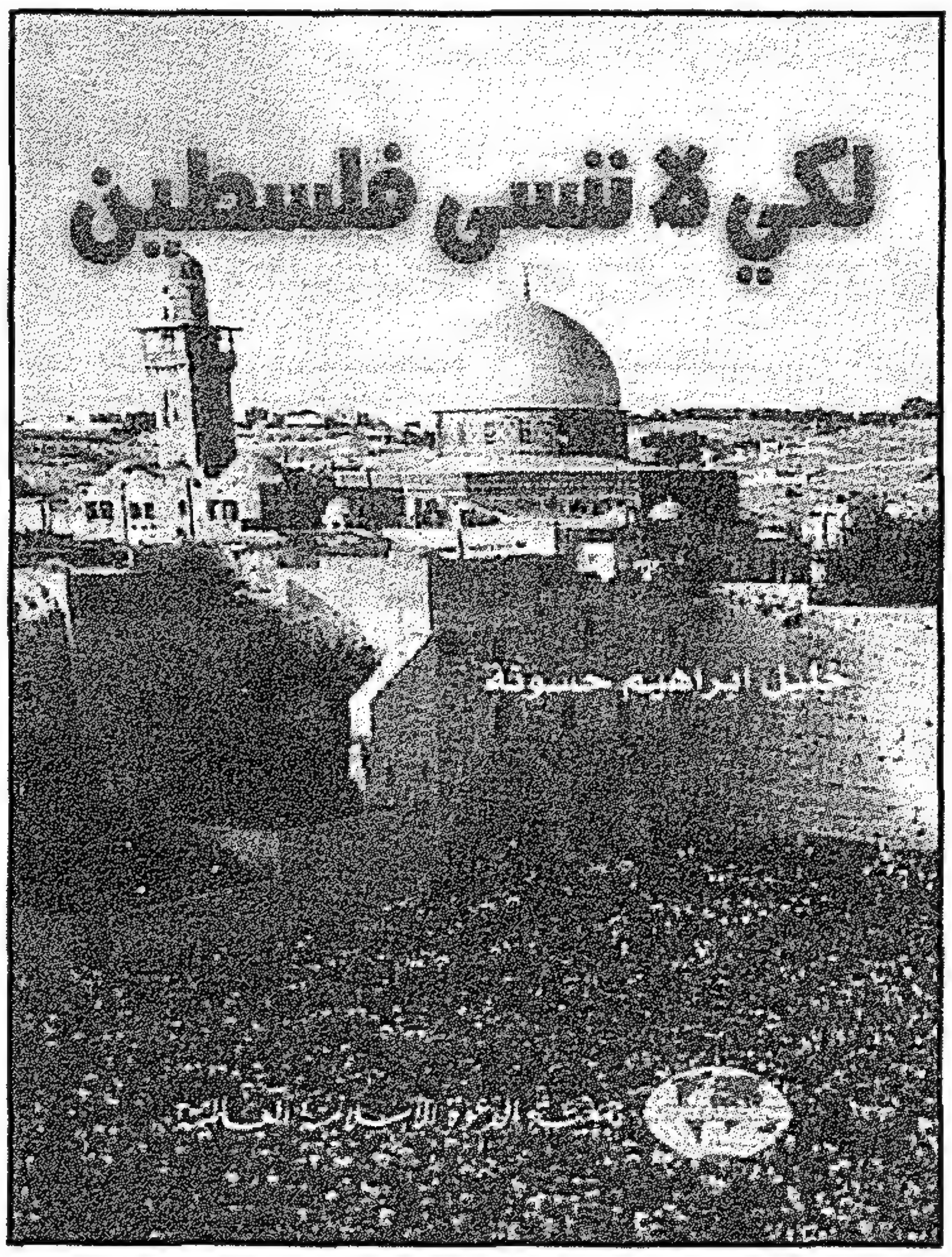
● رغم ذلك يزعم اليهود فى كتبهم أن الإله منحها لهم، ويبتدعون الخلافات والدعاية يحشون بها عقول العالم وبالذات الغرب.

● ورغم موقف الدول والمتغيرات الدولية التى تخدم الصهيونية وتقف بجانبها إلاً أن كل شبر وشارع وحارة تنادى بعروبتها حتى الهواء الذى يتنفسونه عربى.

● لذا نقدم هذا الكتاب الجديد لكل أطفال الأمة العربية والإسلامية لكى يعلموا أن فلسطين عربية، وكل حبة رمل تنادى بعروبتها

● بدأ المؤلف كتابه هذا بمدخل للأصل الفلسطينى، منذ الكنعانيين الذين انبثقوا عن العموريين على رأى بعض المؤرخين

● موضحا الشعوب الكنعانية، ثم العموريين، والآراميين، واليبوسيين الذين أشتق اسمهم من اسم الجد (ايبوس) الذى أعطى اسمه للمدينة التى أصبحت فيما بعد، أشهر مدن العالم، ثم الفينيقيين والعماليق واخرهم الفلسطينيون وهم آخر الموجات الكنعانية، التى قدمت إلى فلسطين.



● اما القسم الثانى فتحدث فيه المؤلف، عن القدس فاتحة التكوين وهى المدينة القديمة التى أسسها اليبوسيون، الكنعانيون قبل خمسة آلاف عام وهى فى اللغة بمعنى المنزه، وهى ترتفع عن سطح البحر الميت ١١٥٠ متراً والقدس مهبط الوحى ومنزل الأنبياء ومحل الأولياء

● ووضح فى هذا القسم معنى القدس، وطبيعتها وجمالها، وفتوحاتها وتاريخها ومناخها وتضاريسها، وأسوارها وأبوابها وعمارتها واقتصادها ومقدساتها ومساجدها وجوامعها ومقدساتها المسيحية

● ثم تحدث عن العدوان الإسرائيلى على القدس، والاستيطان والعمل على تهويد الأرض

● أيضا تحدث المؤلف عن المدن من رفح إلى الناصرة، ومن طبريا الى بئر سبع هذه المدن التى حملت على أرضها الكنعانيين الذين شادوا أقدم الحضارات التاريخية، إنهم الجبابرة الذين علموا العالم القديم مبادىء الحياة، فيها امتزج التراب بعرق الآباء ولحم الأجداد.

● وتحدث عن المعالم الأثرية لمدينة غزة وعلمائها، ثم مدينة يافا وحيفا.

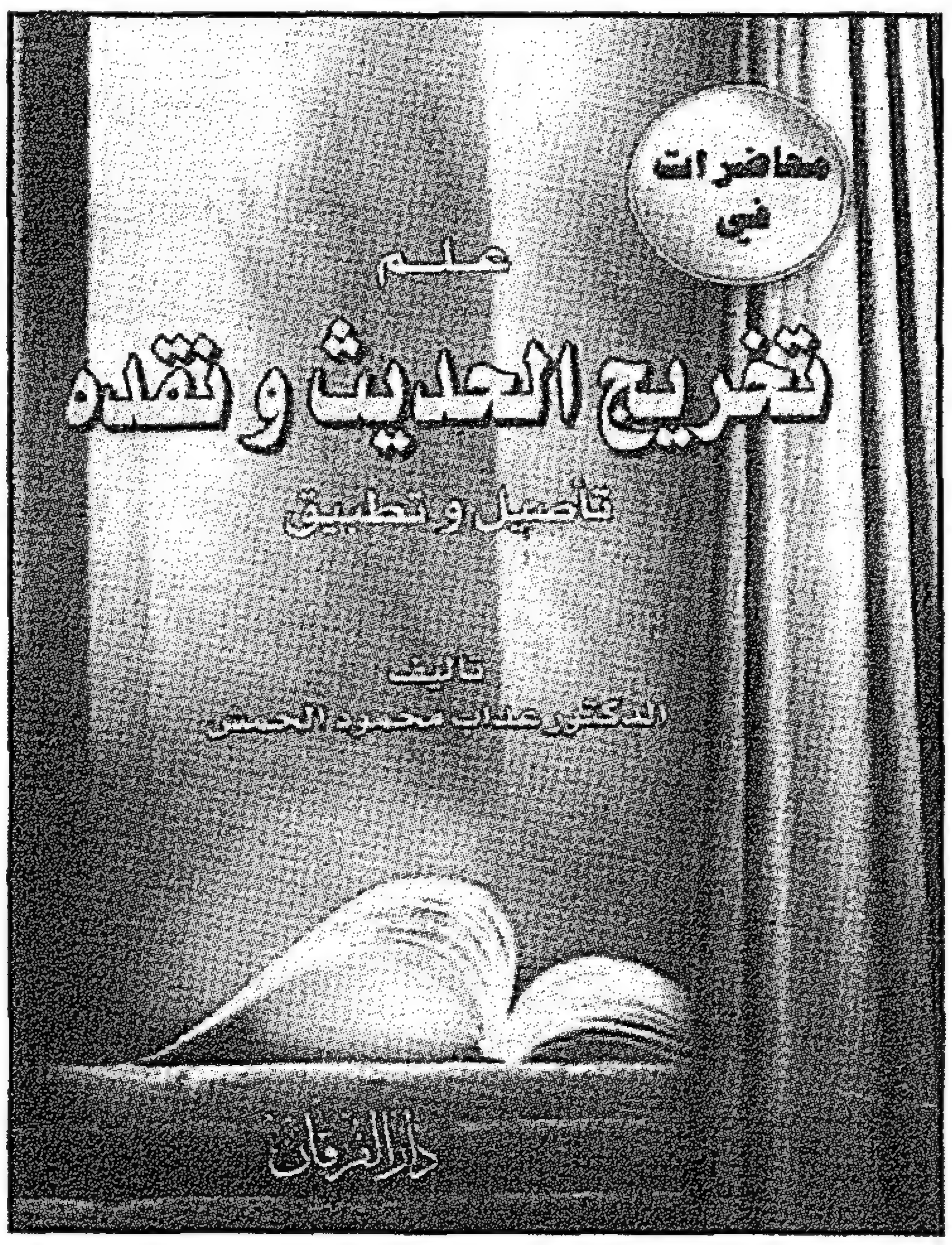
● أيضا أشار المؤلف إلى سوارى النار والجبل، وهما عناوين للشموخ الفلسطينى وهى مدن الوطن الشمسى والذاكرة المرعبة.

● وتحدث عن رام الله ومقاومتها للبريطانيين والصهاينة حتى وقتنا الحاضر ثم بيت لحم ومدينة الخليل.

● عزيزى القارىء هذه قصة فلسطين بقراها ومدنها وعلاقتها بالتاريخ والجغرافيا وهى تؤكد بدون مراء أنها أرض العرب الذين تعزز وعيهم بالإسلام، أما عن علاقتها بإسرائيل فهى علاقه طارئة، لأن تاريخ اليهود فى الشرق الأوسط مثل جبل الجليد أكثره مغمور تحت الماء، والأكثر هو الخرافة والأقل هو التاريخ.

● وهكذا عشنا مع هذا الكتاب، الذى يعاصر لهيب واندلاع نيران القضية الفلسطينية فور إعلانها كدولة مستقلة لها سيادة وكيان عربى واحد.

علم تخريج الحديث ونقده تأصيل وتطبيق



تأليف الدكتور/ عداب محمود الحمش

الناشر/ دار الفرقان للنشر والتوزيع بالأردن

● عزيزى القارىء: إن علم تخريج الحديث ونقده، من أصعب العلوم وأعمقها تبحراً وإن الدراسات الحديثة المعاصرة قد كثرت كثرة بالغة، وقد جعل الحافظ أبو عمرو بن الصلاح أنواع علوم الحديث خمسة وستين نوعاً.

● والعلوم الأساسية التى يجب أن تكون محور أعمال المشتغلين فى الحديث الشريف هى العلوم الخمسة الآتية: مصطلحات الحديث الشريف، وعلوم الرواة بجميع فروعها، ومنها الجرح والتعديل، وعلم علل الحديث، وعلم تخريج الحديث، وعلم نقد الحديث.

● وهذا المؤلف قد كتب رسائل كثيرة فى كل علم من علوم الحديث النبوى ولا يزال كتاب معرفة علوم الحديث لابن الصلاح، أو تدريب الراوى للسيوطى يتصدران قائمة المقررات الدراسية فى الجامعات والدراسات العليا.

● قسَّم المؤلف: كتابه إلى محاضرات، منها محاضرة فى الجهود السابقة فى علم تخريج الحديث الشريف وفيه التعريف بكتاب أصول التخريج ودراسة الأسانيد، ثم مصادر الترجمة والتخريج والنقد، وأنواع الترجمة الحديثية، والترجمة العلمية النقدية لرواة الحديث، ثم وضع مجموعة تراجم من رواة الحديث.

● وشرح - أيضاً - خطوات تخريج الحديث وفوائد التخريج الاستقرائى.

● ومن آداب التخريج وقد ذكر المؤلف جملة من الآداب التى ينبغى للباحث الالتزام بها حتى يكون عمله أقرب ما يمكن من الكمال، واقتصر على ذكر الآداب ذات الصلة ببحث التخريج والنقد.

● اولاً: على الباحث أن يستحضر عند قيامه بالتخريج أن النتيجة التى سوف يتوصل إليها ليست من جنس النتائج البشرية الاجتهادية العادية وانما هى دين وسوف يحاسبه الله - تعالى - على ذلك.

● ثانيا الاحتياط فى دين الله يوجب التحرز فى قبول الحديث أو فى رده.

● ثالثا أن يفهم الحديث الذى يريد درسه فهماً دقيقاً لسنده ومتنه وأول ذلك القراءة الحديثية العلمَّية بالاضافة الى آداب أخرى ذكرها المؤلف

● ثم تحدث المؤلف عن الحديث الذى اتفق أهل السنة على تخريجه وهو حديث الأعمال بالنيات

● ثم حديث اتفق على تخريجه أصحاب الأصول

● وطرح خطوات تخريج الحديث ونقده وعد منها: جمع طرق الحديث، وتحديد مدار الحديث، والتراجم العلمية للرواية، ثم الحكم على سند الحديث بمجموع متابعاته، والتوازن التشريعى

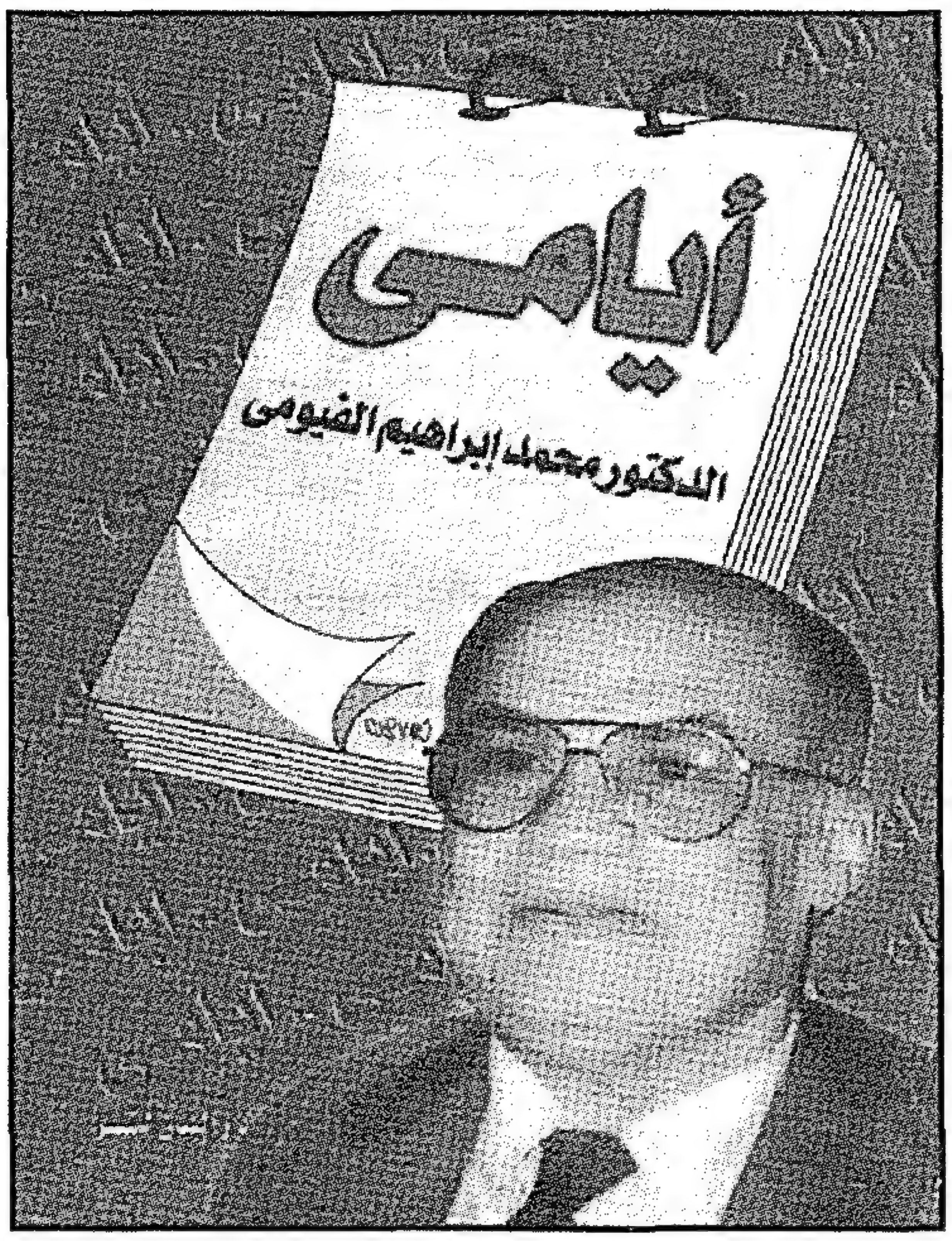
● أما فى المحاضرة الثامنة، فأشار إلى حديث اتفق عليه أصحاب الصحاح الأربعة، وحديث عمر بن الخطاب فى الأجناس الربوية، وحديث اتفق على تخريجه أصحاب السنن، وكثير من الأحاديث حتى وصل بنا إلى المحاضرة الثامنة عشرة وهو حديث شراكة الناس.

● واخير الخاتمة التى صرح فيها المؤلف أن هذا الكتاب ضمن مجموعة من الكتب التعليمية التطبيقية منها: مناهج المصنفين فى الحديث النبوى -، ومناهج المصنفين فى الجرح والتعديل، ومناهج المصنفين فى علل الحديث ونقده، ودراسات تطبيقية فى الحديث الشريف

● عزيزى القارىء إن دراسة الحديث فى الجامعات يحتاج إلى إعادة نظر فى عدد الساعات المقررة وحجم المادة المدروسة وطبيعة المادة الدراسية وهكذا مازال علم الحديث بحراً كبيراً من بحور العلم بما فيه من كل صغيرة وكبيرة تهم كل مسلم ومسلمه.

أيـــامى

للدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى
الناشـر/ دار البيــان للنشـر



أيهـا القـارىء الكريم فى بـاب دوحـة الكتب لا نتعرض لسيرة ما، أو حياة عالم من العلماء، لأن ذلك يدخل فى مجال آخر، وفى مجلتنا هذه باب يتحدث عن أعلام الأزهر الشريف.

● ولكننا اليـوم نعـيش مع هذا العـالم الجليل لنرتبط به اجتماعياً وثقافياً وخلقياً الا وهى الحياة الحقيقية التى يجب على كل عالم أن يحياها بحب وفلاح.

● وكما قال صاحب هذه السيرة لأننا لا نفتقر إلى المبادىء التى توصلنا إلى اليقين فحسب بل ـ أيضا ـ نملك مبادىء أخرى تتمشى مع الباطل وتدعـو إليـه، وذلك يزيد من إحســاس الإنسـان بالغربة فى المجتمع الذى يعيش فيه وبخاصة إذا ما كـان يحس بأنه صاحب رسالة يعمل على أدائها ويرجو من الله قبول عمله.

● نعيش لنسرد معه حكايات الحياة بدءا من القرية المصرية وما تحتويه من أصالة وعراقة وطبيعة خلا بة وحـياة لفـلاح بسيط يعمل فى الأرض من غرس وحصيد باحثا حياة الطبيعة التى يعيش فيها.

وهكذا يعيش هذا العـالم متحـدثا عن حيـاته وصداقاته، حتى مع الطيور والأشجار.

● وهو أزهرى أبا عن جـد منذ جـده الأكـبـر الشيخ إبراهيم الفيومى وهذه الأسرة التى ارتبطت بالأزهر وانتشـرت فى مصـر والشـام، أما التى فى الشام فترجع إلى احد القواد الذى خرج مع إبراهيم باشا فى حملته على الشام فى فتح عكا.

● وقد ارتبطت أسـرته بـالتـصـوف نسـبـة إلى الشيخ حسنين الحصافى شيخ الطريقة الحصافية.

● وأخـد المؤلـف، يتناول سيـرته الذاتيـة، منذ النشأة كالميلاد ومراحل التعليم المختلفة بداية من كتَّاب القرية وحتى أعلى المراتب العلمية.

● ثم تحدث عن مـراحل التـعليم من الزقـازيق حتى الأزهر الشريف وكـانت كل رحلة تخـتلف عن الأخرى من حيث التكوين والطبيعة والحياة

● ثم تحدث عن الحركات الفدائية الشابة ودور الأزهر فى الحياة الوطنية والدفاع عن الوطن.

● وأشـار إلى دلالة اللغـة الرمـزية كـحبـه لعلم النفس وعلم نفس المعاقين وعلم الأصوات ورمزيات اللغة وفلسفة الفن وعلم الجمال.

● وطرح أيضا علاقته بالشعر.

● ثم تحدث عن حياته القلقة كرحلته فى التصوف ومع الأدب والفلسفة والرمزية ومع الشيخ عبدالحليم محمود ـ رحمه الله ـ.

● ورحلته ايضا إلى باريس والسربون.

● وعرض علاقته بـ (أرنل ديذ) والأدب المستشرق.

● ثم تحدث عن المشاعر القومية كالحركة الوطنية والثورة ونظام الحكم الثورى وشعار الديمقراطية.

● وأخيراً قدم الكتاب سيرة تفصيلية لحياة هذه العالم مقترنة بالوقائع والمجتمع الذى كان يعيش فيه

● فهو محمد إبراهيم الفيومى الذى ولد فى أوليلة بمحافظة الدقهلية فى ٢٧ / ١ / ١٩٣٨ ووصل فى حياته العلمية إلى التدريس بجامعة الأزهر وشغل مناصب عليا كان آخرها انتدابه أمينا عاما للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية وشارك فى عضوية الكثير من اللجان والمؤتمرات الإسلامية.

● وله نتاج علمى غزير كدراسات فى الفكر الإسلامى والفلسفى فى أكثر من عشرين مؤلفا.

● وفى الشخصيات أكثر من خمسة عشر مؤلفا

● وفى البحوث والدراسات أكثر من خمسة عشر بحثاً وموضوعاً وحصل على الكثير من الشهادات والميداليات من الجمعية الثقافية للعلوم والفنون والاداب.

● كتب كثيراً فى الصحف والمجلات العربية والإسلامية وله الكثير من الإبداعات المملوءة بالعطاء الثقافى الإسلامى.

● هذا الكتاب قد طرح الكثير لحياة هذا العالم الكبير الدكتور الفيومى.

الخصخصة آفاقها وأبعادها

تأليف الدكتور / محمد رياض الابرش
والدكتور / نبيل مرزوق
الناشر / دار الفكر بسورية



● عزيزى القارىء هذه هى المرة الأولى التى نطرح من خلالها موضوعا اقتصاديا هاما مطروحا بشكل موسع على الساحة العالمية والمحلية؛ لأنه يحاول أن ينمى ويدعم الاقتصاد، وهذا موضوع جديد فى أسلوبه الذى يتيح لكل باحث فرصة كافية كى يناقش الآخر بهدوء وموضوعية وكسر الحواجز بين التيارات الفكرية.

● ولقد عانت تجارب التنمية العربية جميعها من عدة عوامل، جعلت اقتصاديات الدول العربية عاجزة أمام التحولات غير المواتية من الاقتصاد العالمى، وأصبح مطلوبا إعادة تقويم المسيرة السابقة والقيام بإصلاحات شاملة للخروج من الأزمة والانطلاق فى تنمية اقتصادية اجتماعية شاملة.

● هل الخصخصة هى الحل لكى نحقق الازدهار الاقتصادى والاجتماعى

● وما هى الخصخصة أصلا؟ وما المكاسب التى يمكن ان نحققها؟ وما العواقب التى يمكن أن يتركها تطبيقها.

● كيف ينظر المفكرون الاقتصاديون والاجتماعيون للخصخصة؟

هذه بعض التساؤلات وهناك الكثير غيرها يطرحها هذا الموضوع الكبير.

● فى هذا الكتاب: يحاول المؤلفان- وهما من الخبراء الاقتصاديين فى هذا الموضوع- أن يبرزا بأسلوب علمى وموضوعى- قل نظيره- الزوايا المتعددة للخصخصة

● طرح المؤلف موقف الاقتصاديين العرب وأيضا مأساة الفكر الاقتصادى العربى ثم إمكانات القطاع الخاص

● والاقتصاديون مختلفون على كل شىء بما فى ذلك التعاريف الأساسية للمتغيرات الاقتصادية وهذا ينطبق على التخصيص -أيضا- فالتخصيص يعنى لبعضهم مجرد إعادة ملكية القطاع العام إلى الأفراد حينما يغنى عن طريق البيع

● وطرح المؤلف سؤالا: لماذا العودة إلى القطاع الخاص وذكرمنها عدة أسباب سياسية، وإدارية واقتصادية، وضرورة الاستثمار، والتنمية، وضغوط المنظمات الدولية.

● ثم تحدث عن الخصخصة فى البلاد العربية.

● وأشار الدكتور نبيل مرزوق إلى الخصخصة وأبعادها الاقتصادية والاجتماعية، وتحدث عن الاستراتيجية والتخطيط، ثم الفساد البيروقراطى، وغياب المشاركة الديمقراطية.

● ثم وضح النظرية الاقتصادية السائدة.

● ثم تناول الكتاب التعقيبات على ضرورة الاستمرار فى الاعتماد على الملكية العامة.

● ثم تعقيب على مقالة د. محمد رياض الأبرش، حول مفهوم الاشتراكية وتجربه الدول الاشتراكية والقطاع الخاص وإمكاناته فى ظروف الدول النامية، وحول مفهوم تمويل الأغنياء للفقراء، ثم التحولات فى النظام الرأسمالى والعودة للقطاع الخاص ومفهوم التنمية وشروطها فى الظروف الحالية من التطور الرأسمالى.

● وهكذا عزيزى القارىء: طرح هذان المؤلفان رؤيتهما من واقع خبرتهما فى الاقتصاد من حيث الحياة العلمية والمنهجية وأيضا من الناحية العالمية والمحلية ووجهات النظر والتطور الاقتصادى المقترح لمفهوم الخصخصة وتطبيقها.

بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم/ عادل رفاعى خفاجة

اللغة العربية

لقد اختار الله -سبحانه وتعالى- اللغة العربية واختصها بشرف حمل الرسالة الخاتمة، رسالة الإسلام الخالدة الباقية الى قيام الساعة بحفظ الله تعالى لها.

فمع أول آية نزلت من القرآن الكريم كان الاهتمام بأمر تعلم القراءة والكتابة.

وهى قوله تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

العلق/ ١ : ٥

وتعلم اللغة العربية هو الطريق لفهم الدين الصحيح إذ كيف يصح إسلامنا، ونحن لا نفهم قرآننا؟

وإن الطريق لفهم القرآن وصحيح الدين هو فهم اللغة العربية بشكل عميق ودقيق.

وقد أدرك أعداء الدين هذا المعني، فحاربوا اللغة العربية بشتى الطرق؛ لابعاد أهلها عن المصدر الأول للتشريع الإسلامى وهو القرآن، ولكن أنى لهم ذلك وقد تعهد الله بحفظ قرآنه حيث يقول الله -تعالى-:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

الحجر/ ٩

ومما يسعدنا أن نتلقى رسائل من القراءتهتم بأمر اللغة العربية من هذه الرسائل رسالة القاريء/ محمد عبدالسلام عبدالحميد -الناصرية- أبشواي- الفيوم يقول فيها:

يسعدنى أن أشارك فى إثراء هذا الباب «بين المجلة والقاريء».

ففى عدد المجلة لشهر جمادى الأولى ١٤٢١هـ- أغسطس ٢٠٠٠ جاء تحت عنوان «من أقوال العرب» للقارىء محمد أحمد بدير سرحان بعض الثنائيات من لغتنا الجميلة. وأود أن أشير إلى بعض مالم يرد فى هذه القطعة الجميلة للقارىء العزيز.

* العشاءان: المغرب والعشاء

* الرافدان: دجلة والفرات
* المروتان: الصفا والمروة
* الأنفسان: الماس والياقوت
* الضعيفان: المرأة واليتيم
* القريتان: مكة والطائف
* العمران: أبوبكر وعمر
* الحيرتان: الحيرة والكوفة
* الدمان: الكبد والطحال
* الميتتان: السمك والجراد
* البردان: برد العافية، وبرد الغني
* المعوذتان: سورتا الفلق والناس
* الزهراوان: البقرة وآل عمران
* المقشفشتان: الكافرون، الإخلاص.

التشريع الإسلامى فى مواجهة الفكر الغربى

ورد من القارىء/ عمر بن إدريس الرماش – ش. محمد الخامس– المغرب– هذه الكلمة التى ورد بها قوله:

أصبح الفكر الغربى اليوم يغزو بلاد العرب والمسلمين عن طريق فرض سيطرته من أجل احتواء التشريع الإسلامى وتدميره وإثارة الشبهات حول حقائقه.

إن الفكر الغربى يتمثل فى العلوم الاجتماعية والإنسانية ويدور حول النفس والاجتماع والأخلاق والتربية ويقوم على الفلسفة المادية والعلمانية والمصادر الوثنية للفكر اليونانى والتراث الغربى الذى يعتمد على الأساطير والخرافات.

الفكر الغربى ومحاولة احتواء الإسلام

لقد عمل الفكر الغربى خلال القرنين الماضيين على محاولة احتواء الإسلام وفكره و عقيدته ومحاصرته على مراحل تاريخية متعددة:

● **المرحلة الأولى**: تتمثل فى محاولة تكوين أجيال من المتغربين ليكونوا حلفاء للاستعمار عند انسحابه العسكرى من البلاد العربية والإسلامية التى احتلها، وبخاصة الاستعمار الفرنسى والبريطانى الذى سلم قيادة الحكم للجيل المتغرب الذى كوّنه ليخلفه، وبخاصة فى المجالات الثقافية والصحافية والقانونية.

● **المرحلة الثانية**: وتتمثل فى الجيل الذى صنع فى الغرب عن طريق بعض أفراد البعثات الدراسية فى مجالات مختلفة، ويمكن تمثيل هذه المرحلة بعبارة طه حسين الشهيرة: «إن علينا أن نأخذ الحضارة الأوروبية خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يحمد منها وما يُعاب»، وقد خدع هذا الجيل المتغرب العرب والمسلمين حين ادعى أنه ناصح لهم بأن يأخذوا طريق الغرب وفكره لأنه يمكنهم من التخلص من نفوذ الغرب، وانكشف زيف هذا الفكر بعد سقوط فلسطين والقدس بيد اليهود.

● **المرحلة الثالثة**: وهى دعوة الجيل الذى نادى بالجمع بين الإسلام والفكر الغربى، أى المزاوجة بين الروحية الإسلامية والمادية الغربية، كما تحدث البعض عن تراث إسلامى ومعاصرة غربية، ودعا البعض إلى تنقية التراث ودعا آخرون إلى أن نأخذ من التراث ما يتفق مع العصر، وتحدث الآخرون عن القرآن والسنة بوصفهما من

التراث وطالب بأن نحاكمهما كما حاكم الغرب تراثه الدينى والوثنى، وكانت هذه الدعوات بمثابة عمليات تضليل وتمويه لخداع الشباب وإبعاده عن عقيدته وقرآنه وسنة نبيه.

● المرحلة الرابعة: وهى مرحلة فكر الاستغراب أو دعوة التغريب وتتمثل فى التخلص من التراث الإسلامى والفكر الغربى، وهذه محاولة ماكرة لوضع التراث الإسلامى فى صف الفكر الغربى المادى الوثنى الذى تبين فساده واضطرابه واستسلامه للأهواء والإباحيات والزيف، بينما التراث الإسلامى لا زال حيا ويستمد وجوده وأصالته من القرآن والسنة والحق والعقل والفطرة.

حقيقة الفكر الغربى

إن الفكر الغربى محدود وناقص ويشوه الفكر الإنسانى ويزيفه لأنه لا يشمل كل المقومات الإنسانية الفطرية، كالعقل والعاطفة والوجدان والمادة الروح، كما أن الفكر العربى هو بمثابة ردود أفعال لواقع مضطرب وليس بحقائق علمية أساسية صالحة لكل زمان ومكان وإنما فى الغالب وجهات نظر وتجارب بشرية تخطىء وتصيب وأسوأ ما فيه أنه يمثل جانباً واحداً من النفس الإنسانية، فهو لا يعترف بالروح ولا الوحى ولا الغيب.

لقد أكدت الدراسات والأبحاث أن الفكر الغربى المعاصر نشأ فى ظروف خاصة ولم يكن فكرا عالميا بل هو فكر مرتبط بالبيئة والعصر الذى نشأ فيه وليس فكرا إنسانيا صالحا لكل الأمم والشعوب، إن الفكر الغربى مستمد من مصادر الوثنية والأساطير اليونانية والرومانية والفكر اليهودى والمسيحى.

إن دعوة الاستغراب أو التغريب دعوة باطلة وزائفة لأنها تتضمن أخطاء ونواقص كثيرة، كما أنها دعوة موقوتة لا تصلح لعصور غير عصرها أو بيئات غير بيئتها.

التشريع الإسلامى هو الحقيقة

إن التشريع الإسلامى أوسع نطاقا من الفكر العربى، لأنه تشريع شامل يضم المادة والروح والدنيا والآخرة، كما أنه يستمد أصالته وحيويته وصموده من القرآن الكريم والسنة النبوية وهما المصدران الخالدان على مدى العصور والأزمان والأمكنة، ثم إن الفكر الإسلامى المستمد من شرع الله، قدم اجتهادات فى مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والتربوية والفقهية... فلا غرابة إذن أن يبرر الفكر الإسلامى تفوقه الكبير على الفكر الغربى المادى والعلمانى والخرافى.

الجــــار

ومن القارىء / نجاح عبد القادر سرور كفر بولين - كوم حمادة - البحيرة- وردت هذه الرسالة التى تكلم فيها عن حقوق الجار- يقول فيها:

الجار قريبٌ.. وإنْ بَعُدَ الأقربون.. هو أول مَنْ ينجدك.. وطليعة مَنْ يغيثك.. إذا نزل بك فرحٌ.. كان أول المهنئين.. وإذا كان بك ترحٌ.. كان أول المواسين..

إذا تأوهت سمع آهتك.. وإذا اشتكيْتَ سمع شكايتك.. صلته دائمة.. حتى وإن قطعك.. وحبُّه واجبٌ.. حتى وإن مقتك..

يقول الله تعالى:

﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾

[النساء ٣٦].

وفى صحيح مسلم يقول رسول الله -ﷺ-: «ما زال جبريل يوصينى بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه».

فاحرص على هداية جارك بالحُسنى، فقد روى البخارى عن أنس أن النبى -ﷺ- عاد[1] يهوديا، وعرض عليه الإسلام، فأسلم.. فخرج وهو يقول: «الحمد لله الذى أنقذه بى من النار».

واحرص على الكرم معهم.. فقد روى أحمد عن أبى ذر أنه كان -رغم حياته الخشنة- يكثر من المرق إذا طبخ كى يعطى جيرانه، وكان يقول: إن خليلى -ﷺ- أوصانى «إذا طبخت مرقاً فأكثرْ ماءه ثم انظر أهل بيتٍ من جيرانك فأصبهم منها بمعروف».

واحرص على التصدق عليهم وأداء حقوقهم.. فقد روى البزارأن رسول الله -ﷺ- قال: «الجيران ثلاثة، جار له حق واحد، وهو أدنى الجيران حقاً.. وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، وهو أفضل الجيران حقا.. فأما الجار الذى له حق واحد فجارٌ مشرك لا رحم له، له حق الجوار، وأما الجار الذى له حقان فجارٌ مسلم، له حق الإسلام وحق الجوار. وأما الذى له ثلاثة حقوق فجارٌ مسلمٌ ذو رحم، له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم».

.. واحرص على أن تقدم له الخيرَ دائما، فقد روى أحمد قول رسول الله -ﷺ-: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره».. وروى أحمد - أيضاً - أن رجلاً قال: يا رسول الله إن فلانة تُذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها قال: «هى فى النار». قال: يا رسول الله فإن فلانة، تُذكر من قلة صيامها وصلاتها وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط[2] ولا تؤذى جيرانها. قال: «هى فى الجنة».. فكن مؤمناً بالبُعد عن أذى الجار.. لأنه من ابتعد عن إيذاء جاره مشهود له بالإيمان.. يقول -صلى الله عليه وسلم- فى الحديث المتفق عليه.. مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره -وفى رواية- فليحسن إلى جاره» وروى البخارى قوله -ﷺ- «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن» قيل يا رسول الله: لقد خاب وخسر. مَنْ هذا؟.. قال: «منَ لا يأمن جاره بوائقه» قالوا وما بوائقه؟ قال: «شَرّه». وفى رواية: غشمه وظلمه. فاستوصوا بالجيران خيرا واعلموا أن أربعين جاراً جار.. والله من وراء القصد. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) عاد: زار.

(٢) الأثوار من الأقط: القطع من الجبن.

من فوائد الصدقة

وعن فوائد الصدقة وردت رسالة القارىء/ محمد عباس محمد عرابى يقول فيها:

لكل عبادة فى الإسلام نافلة سنها الإسلام لمن يريد أن يتقرب إلى الله بالنوافل لينال رضاه، فالتوحيد وقول لا إله إلا الله نافلتها الذكر بأنواعه، والصلوات المفروضة، نافلتها الصلاة قبلها وبعدها، وكذا فإن للصوم نافلته وللحج نافلته وهى العمرة وللزكاة نافلتها وهى الصدقة وقد حث القرآن والسنة النبوية عليها فى كثير من المواطن قال تعالى:

﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ [المنافقون/ آية ١٠]

وقال:

﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾

[آل عمران/ آية ٩٢]

وقد أعد الله ثواباً عظيماً للمنفقين قال تعالى:

﴿ الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ولا يتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾.

[البقرة/ آية ٢٦٢]

﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

[البقرة/ آية ٢٧٢]

وعن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله - ﷺ -: ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً» [رواه مسلم]

وقد قال رب العزة -سبحانه وتعالى-:

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾

[سبأ/ آية ٣٩]

وللصدقة فوائد عظيمة كما أخبر الصادق المصدوق - ﷺ- فى أكثر من حديث فهى مفتاح الرزق، وشفاء للمرض، ووقاية من البلاء.. فقد جاء فى الحديث أن رسول الله - ﷺ - قال: «إن الصدقة تسد سبعين باباً من السوء» [رواه الطبرانى].

وقال: «إن صدقة المسلم تزيد فى العمر، وتمنع ميتة السوء ويذهب الله بها الكبر والفخر».

[رواه الطبرانى]

وقال: «إن الصدقة لتطفىء غضب الرب وتدفع ميتة السوء». [رواه الترمذى]

المعاجـــم العربيـــة

القارىء / محمد أحمد بدير سرحان
دارس بأكاديمية الخط العربى - المحلة الكبرى -

وصلتنا رسالتك التى تضم معلومات عن الخط العربى، ونأمل أن تصلنا هذه المعلومات بتفصيل يسير مع أنموذج لكل خط حتى يكون القارىء على بينة، مما نقدم، على ألا تزيد مساحة الأنموذج عن ٧سم X ١سم أو ٢سم أو ٣سم على أكثر تقدير.

نقدم للقراء كلمتك عن المعاجم العربية.

أسماء المعاجم العربية وأصحابها:

١- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدى (١٠٠ - ١٧٥هـ).

٢- الجمهرة: ابن دريد (٢٢٣ - ٣٢١ هـ).

٣- التهذيب: الأزهرى (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ).

٤- الصحاح: الجوهرى (٣٣٢ - ٣٩٨ هـ).

٥- أساس البلاغة: الزمخشرى (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ).

٦- لسان العرب: ابن منظور (٦٣٠ - ٧١١ هـ).

٧- المصباح المنير: الفيومى (توفى عام ٧٧٢ هـ).

٨- القاموس المحيط: الفيروز أبادى (٧٢٩ - ٨١٦ هـ).

٩- مختار الصحاح: الرازى (فرغ من تلخيصه عام ٦٦٠ هـ).

١٠- المنجد: الأب لويس معلوف اليسوعى (١٨٦٧ - ١٩٤٦م).

١١- المعجم الكبير: أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٥٦م

١٢- المعجم الوسيط: أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٦٠م.

تصحيح

فى عدد شهر ربيع الآخر سنة ١٤٢١هـ وفى صفحة (٥٢٩) وقع خطأ مطبعى فى الآيتين القرآنيتين:

﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾

رجاء التصحيح، والآيتان من سورة الشورى ١٥، ١٦.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بمبنى مشيخة الأزهر الشريف بالدراسة سماحة الشيخ حاج / عبدالعزيز بن جنيد مفتى دولة بروناى دار السلام والوفد المرافق له، وذلك فى ٢٨ من شهر ربيع الآخر سنة ١٤٢١هـ الموافق ٣/ ٧/ ٢٠٠٠م.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف ومرافقيه شارحا الدور الأساسى للتعليم الأزهرى، والذى يتمثل أولاً فى حفظ القرآن الكريم فى مراحل التعليم المختلفة، والدراسة تقوم فى الأزهر على الاعتدال وعلى إبراز محاسن الإسلام، وعلى التعمق فى معرفة أساليب اللغة العربية، والعلوم الشرعية.. الدراسة فيها تعتمد على فقه المذاهب المختلفة التى تؤخذ من كتاب الله -عز وجل- ومن سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، والدراسة اللغوية تعتمد على كتب التراث، وأيضا يدرس فى الأزهر العلوم التى تتناسب مع تطور العصر.

وأوضح فضيلته أننا لا نستطيع أن نعيش بمعزل عن العالم، والأزهر الشريف لا يدخر وسعاً فى إيفاد البعثات العلمية والعلماء لجميع الدول الإسلامية لتعليم أبناء المسلمين أمور الدين وتوضيح المفاهيم الإسلامية، وإبراز سماحة الإسلام، وأيضاً يستقبل الأزهر الشريف أبناء المسلمين من شتى بقاع الأرض لتعليمهم فى الأزهر الشريف على منح دراسية.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حُسن اللقاء والحفاوة التى قوبل بها والوفد المرافق، وعلى حسن العرض للمعلومات التى شرحها فضيلته، وأبلغ تحيات جلالة سلطان بروناى وحكومته وشعبه لفضيلة الإمام الأكبر، ولشعب مصر العظيم وحكومته الرشيدة برياسة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك مشيداً بدور مصر وأزهرها العتيق وعلمائه الأجلاء للمجهودات العظيمة والمساعدات التى تقدم، فى مجال الدراسات الإسلامية، وبعثات الأزهر التى نصفها بالنعم التى

يرسلها الأزهر، وأشاد بأبناء بروناى الذين يحتلون المناصب العليا فى بلاده حيث تخرجوا من الأزهر الشريف، وأن ثمرة التعليم فى الأزهر الشريف وجامعته العريقة كانت سبباً فى تكوين شخصية أبناء بروناى، وقد بلغ عدد خريجى الأزهر نحو ثلاثة آلاف خريج من دولة بروناى، وقال فضيلة المفتى: إنه حظى بشرف التخرج فى الأزهر الشريف، وأوضح أن دار الإفتاء فى بروناى تم تأسيسها وتنظيم العمل بها بأمر من جلال سلطان بروناى شخصيا، وتهدف إلى إصدار الفتاوى والإرشاد من أجل إقامة أحكام الله -تعالى- وحدوده، وأن تكون مركزا متكاملا لمصادر ومراجع العلوم الإسلامية، وأيضا لجمعها ونشرها وتوزيعها على المسلمين ببروناى، ويتم ذلك من خلال المجمع الكبير المقام بدار الإفتاء، والمبنى الخاص بالمكتبة المتكاملة التى تحتوى على الكتب الإسلامية، وتقدر بأكثر من مليون نسخة، وذلك من أجل تربية العلماء وتأهيلهم للمستقبل لضمان استمرار المؤسسة الإفتائية، وتقديم التسهيلات لمواصلة الدراسة فى الماجستير والدكتوراه، وحتى يؤدى العاملون عملهم فى الداخل والخارج ولضمان سير هذا العمل فنحن فى حاجة إلى دعم ومساندة الأزهر الشريف وتعاونه فى إرسال الخبرات لتدريب الموظفين حتى يتسنى لنا الاشتراك فى المعرض الإسلامى الدولى الذى سيقام فى أغسطس ٢٠٠١م

رحب فضيلة الإمام الأكبر بتقديم كل عون ومساعدة ممكنة لدولة بروناى وتلبية كل طلباتهم وقدم فضيلته للضيف ومرافقيه كتبا إسلامية قيّمة والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، وكتب الفقه الميسر وكتب الأزهر فى ألف عام باللغة العربية والإنجليزية.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام، وبعد انتهاء الزيارة قام الوفد بزيارة مكتبة الأزهر الشريف للاطلاع على ما فيها من كتب قيّمة واستقبلهم فضيلة الشيخ أحمد خليفة رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر الشريف.

●●●

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد السفير/ عزت سعد الدين سفير جمهورية مصر العربية الجديد لجمهورية أندونيسيا وذلك فى ١٥ من شهر جمادى الأولى سنة ١٤٢١هـ الموافق ١٥/٨/٢٠٠٠م بمناسبة توليه منصبه الجديد، رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير شارحاً له الدور الأساسى الذى يقوم به الأزهر الشريف لدى دول العالم الإسلامى ولخدمة أبناء المسلمين فى شتى أنحاء العالم موضحاً بأنه يوجد فى مدينتى البعوث الإسلامية فى القاهرة والإسكندرية أبناء أربعة وتسعين دولة يدرسون فى الأزهر الشريف فى معاهده وجامعته العريقة، وأيضاً العلماء الذين يذهبون إلى دول العالم المختلفة لتعليم أبناء المسلمين فى بلادهم فى أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا فى المراكز الإسلامية، كما يوجد لدولة أندونيسيا عدد كبير من الطلاب فى الأزهر الشريف، كما توجد بعثة من العلماء فى أندونيسيا.

وقد أمد فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير بالمعلومات والتوجيهات التى تساعده فى أداء مهمته، وأوضح فضيلته أن الأزهر الشريف على أتم استعداد لتقديم العون والمساعدة ولا يدخر وسعاً فى خدمة المسلمين فى كل مكان من أرض الله الواسعة.

شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على حُسن اللقاء والحفاوة، وأشار إلى أنه سعد كثيرا واستفاد من هذا اللقاء الطيب وأنه سيكون على اتصال دائم بالأزهر الشريف وقياداته وعلمائه، كما استقبله فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف فى مكتبه، وأوضح أنه والأزهر الشريف على استعداد لتلبية كل ما يطلبه السيد السفير وأمر بتسليمه مكاتبات بأعداد العلماء المبعوثين إلى أندونيسيا وأعداد الطلاب الذين يدرسون بالأزهر وإمداده بالمطبوعات التى تطبع فى الأزهر الشريف، وأشار إلى أن أعدادا ضخمة من الطلاب يدرسون فى الأزهر فى مراحل التعليم المختلفة، ومنهم الحاصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة الأزهر، ومنهم السيد سفير أندونيسيا فى مصر ورئيس أندونيسيا نفسه حاصل على الدراسة والدكتوراه من جامعة الأزهر الشريف.

حضر اللقاء رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام.

●●●

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يشهد حفل تكريم الطلاب والطالبات أوائل الشهادة الثانوية الأزهرية

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تكريم الطلاب والطالبات أوائل الشهادة الثانوية الأزهرية بقاعة الاجتماعات الكبرى بمشيخة الأزهر الشريف وذلك فى ١٣ من جمادى الأولى ١٤٢١هـ الموافق ١٣/٨/٢٠٠٠م لعدد ٣٣ طالبا وطالبة.

فقد تم تكريم ١١ طالبا وطالبة من القسم الأدبى مبصرين، وعدد خمسة من القسم الأدبى من غير المبصرين، وعدد ١١ طالبا وطالبة من القسم العلمى شعبة علوم، وعدد ستة من شعبة الرياضيات

بدأ الحفل بتلاوة القرآن الكريم ثم تحدث فضيلة شيخ الأزهر الشريف فهنأ الطلبة والطالبات بنجاحهم وتفوقهم ونبوغهم وأوضح أن الدولة والأزهر الشريف يسعدا كثيرا بتفوق الطلبة والطالبات بل ونحثهم على مداومة التفوق ومن أجل ذلك فإن الدولة توفر العمل لخمسة عشر طالبا وطالبة من أوائل كل كلية إلى جانب أن الأمم تتباهى بأبنائها المتفوقين، وأوصى الطلبة والطالبات بالمحافظة على حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا، وعلى التعمق فى العلوم الشرعية واللغوية وفى العلوم الأخرى التى تواكب العصر والمستقبل للمتفوقين وسنة الله -عز وجل- أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا، ودعا لهم بدوام السداد والاستقامة والتوفيق والمداومة على ما كلفنا الله -تعالى- به من أداء للواجبات بإخلاص وخشوع وأداء فروض الله كاملة غير منقوصة.

وقام فضيلته بتوزيع المصحف المفسر طبعة الأزهر الشريف وشهادات التقدير والجوائز المالية على الفائزين وهى مقدمة من المجلس الأعلى للآباء والمعلمين والإدارة العامة للامتحانات ومن شئون القرآن الكريم، وبلغت قيمتها ثمانية وعشرون ألف جنيه.

شهد الحفل: فضيلة وكيل الأزهر الشريف، ورئيس قطاع المعاهد الأزهرية، والأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر، والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وقيادات المعاهد الأزهرية، ورعاية الشباب بالأزهر الشريف، وأولياء أمور الطلبة، والطالبات، والصحافة، والإعلام.

أسماء الطلبة المكرمين كالآتى:

أسماء الطلبة العشرة الأوائل

من القسم الأدبى مبصر مقيد الدور الأول

الترتيب	الاسم	رقم الجلوس	المجموع	النسبة المئوية	المعهد	المنطقة
الأول	شيماء سيد عبدالرحمن محمد	٢٨٨٥١	٥٥٩	٪٩٤,٧	بنى عدى	أسيوط
الأول مكرر	محمد عبد الوهاب إبراهيم الراسخ	٢٦٣٠	٥٥٩	٪٩٤,٧	محلة منوف	الغربية
الثالث	مصطفى محمد عبد الرحمن الفقى	٣٠٩٤	٥٥٦	٪٩٤,٢	الإمام الشافعى النمونجى	الغربية
الثالث مكرر	نعماء عبدالمنعم أبو العطا عطية	٢٤٢٢٤	٥٥٦	٪٩٤,٢	ف. المنصورة	الدقهلية
الخامس	غادة عبد السلام الإمام الذكراوى	٢٤١٨٨	٥٥٤	٪٩٣,٩	ف. المنصورة	الدقهلية
السادس	فاطمة أحمد عبدالحليم وهبة	٢٠٥٧٦	٥٥٢	٪٩٣,٦	ف. مدينة نصر	القاهرة
السابع	عاطف محمد على محمد الفاضلى	٣٤٤٢	٥٥١	٪٩٣,٤	سنهور المدينة	كفر الشيخ
الثامن	صفاء أبو زيد ضيف الله الخولى	٢٣٢٠٦	٥٤٩	٪٩٣,١	ف. طوخ مزيد	الغربية
التاسع	تهانى إبراهيم سعيد حسين	٢٧٤٤٠	٥٤٦	٪٩٢,٥	ف. نصر الله	البحيرة
التاسع مكرر	رضا جلال السيد البرعى	٤٨٤٣	٥٤٦	٪٩٢,٥	أويش الحجر	الدقهلية
التاسع مكرر	محمد حمدى محمد محمد	٦٣٥٤	٥٤٦	٪٩٢,٥	شنباره الميمونة	الشرقية

الإحصاء
على خاطر على

رئيس لجنة النظام والمراقبة
محمد صبرى عبدالعليم البديوى

أسماء الطلاب الخمسة الأوائل

من القسم الأدبى مكفوفين

الـــدور الأول

الترتيب	الاســـم	رقم الجلوس	المجموع	النسبة المئويـة	المعهـــد	المنطقة
الأول	وليد السيد شعبان زعير	٤٠١٠١	٥٥٢	٩٣,٦٪	المحمودية	البحيرة
الثانى	أسماء صابر أحمد محمد	٤٣٠٣٦	٥٢٠	٨٨,١٪	ف. منفلوط	أسيوط
الثالث	إبراهيم شحاته أحمد محمد منصور	٤٠٠٩٢	٥١٢	٨٦,٧٪	مباشر	الشرقية
الرابع	محمود محمد محمود محمد حسان	٤٠١٠٦	٥٠٦	٨٥,٨٪	أبو العيون بميامى	الاسكندرية
الخامس	رباب محمد عبدالحكيم محمد الحشاش	٤٣٠١١	٤٩٤	٨٣,٧٪	ف. كفر حمام	الغربية

الإحصاء

على خاطر على

رئيس لجنة النظام والمراقبة

محمد صبرى عبدالعليم البديوى

أسماء الطلبة العشرة الأوائل

أسماء الطلبة العشرة الأوائل
من القسم العلمى شعبة علوم الدور الأول

الترتيب	الاســـم	رقم الجلوس	المجموع	النسبة المئوية	المعهـــد	المنطقة
الأول	هند محمد صفوت أحمد محمد	٦٣٤٨٥	٦٤٣	٩٨,٩٪	ف. بلبيس	الشرقية
الثانى	محمد عطية عبدالفتاح عمر	٥٤٤٩٣	٦٤٢	٩٨,٨٪	بهنباى	الشرقية
الثالث	محمد فتحى عبد السلام محمد	٥٤١١٤	٦٣٩	٩٨,٣٪	الزقازيق	الشرقية
الرابع	محمد فتحى السعيد الأبيارى	٥٢٢١٧	٦٣٨	٩٨,٢٪	محمد رجب بسجين	الغربية
الخامس	أسامة سميح حسانين عبد الرحمن	٥٥٢٨٥	٦٣٦	٩٧,٨٪	دمنهور	البحيرة
الخامس مكرر	أمنية احمد محمد جودة النجار	٦٤٢٤٧	٦٣٦	٩٧,٨٪	ف. سيدى بشر	الإسكندرية
الخامس مكرر	حسام مصطفى محمد عبدالحافظ	٥٢٦٦٧	٦٣٦	٩٧,٨٪	سيدى سالم	كفر الشيخ
الخامس مكرر	سكينة أحمد عبدالسلام محمد يوسف	٦٢٩١٠	٦٣٦	٩٧,٨٪	دكرنس	الدقهلية
التاسع	أحمد على على عاصم	٥٢٥٨٨	٦٣٥	٩٧,٧٪	بيلا	كفر الشيخ
التاسع مكرر	أسماء رشاد على السيد أبو العلا	٦٢٠٠١	٦٣٥	٩٧,٧٪	ف. الشيخ سالم الفقى	الغربية
التاسع مكرر	إيمان السيد محمد السيد عطية	٦٣٥٢٢	٦٣٥	٩٧,٧٪	ف. ههيا	الشرقية

الإحصاء
على خاطر على

رئيس لجنة النظام والمراقبة
محمد صبرى عبدالعليم البديوى

أسماء الطلاب الخمسة الأوائل

من القسم العلمي شعبة رياضيات

الـــدور الأول

الترتيب	الاســـم	رقـــم الجلوس	المجموع	النسبة المئويـــة	المعهـــد	المنطقة
الأول	نور الدين صابر عبده مرعى	٨١٠٣٨	٦٦١	٢,٩٧٪	الاسماعيلية	الإسماعيلية
الثانى	عبدالله ممدوح محمد زكى الدمرداش	٨٠٢٧٧	٦٥٤	٢,٩٦٪	د. طلعت النموذجى	القاهرة
الثالث	شريف محمد الشحات فتوح دوسو	٨٠٧٢٢	٦٥٢	٩,٩٥٪	السنطة	الغربية
الرابع	أحمد رجائى سيد أحمد العطانى	٨٠٦٦٩	٦٤٨	٣,٩٥٪	المحلة الكبرى	الغربية
الخامس	صلاح الدين كمال السيد عبدالحميد	٨٠٤١٥	٦٤٧	١,٩٥٪	المعادى	القاهرة
الخامس مكرر	أحمد إبراهيم أبو المكارم سلام	٨٠٦١٤	٦٤٧	١,٩٥٪	طنطا الأحمدى	الغربية

الإحصاء

على خاطر على

رئيس لجنة النظام والمراقبة

محمد صبرى عبدالعليم البديوى

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يقوم بتوزيع الجوائز على حفظة القرآن الكريم

قام فضيلة الإمام الأكبر -شيخ الأزهر الشريف- بتوزيع الجوائز على حفظة القرآن الكريم من طلاب وطالبات المعاهد الأزهرية ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم، وطلاب جامعة الأزهر الشريف ومعهد البعوث الإسلامية على مستوى الجمهورية، وذلك بقاعة الاحتفالات الكبرى بقطاع المعاهد الأزهرية وذلك فى يوم ١٧ من ربيع الآخر سنة ١٤٢١هـ الموافق ١٩/٧/٢٠٠٠م.

وقد ألقى فضيلته كلمة هنأ فيها الطلبة والطالبات على تفوقهم فى حفظ القرآن الكريم الذى هو دستور الإسلام الخالد، والذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته من تمسك به هُدىً إلى الطريق المستقيم، وحث الطلبة والطالبات على مداومة الحفظ والتمكن منه والتمسك بمبادئه السامية، والأزهر الشريف لا يدخر وسعاً فى تقدير حفظة القرآن الكريم، والجوائز التى رصدت فى العام الماضى كانت خمسة ملايين من الجنيهات، وفى هذا العام سيتم توزيع ستة ملايين ونصف، وفى العام القادم إن شاء الله ستكون - فى ازدياد ونمو، كما حيا فضيلته القائمين على الحفل على ما بذلوه من جهد لحفظة القرآن الكريم وتكريمهم نظير ما قدموه خدمة للقرآن الكريم، ودعا الحضور إلى التمسك بمبادىء القرآن الكريم وتشريعاته السمحة، لأن القرآن الكريم حياة للنفوس والأمم، وصيانة من الانحراف والزيغ وعصمة للشباب من الزلل والتطرف والانحلال، كما دعا للجميع أن يكونوا فى الدنيا من أهل القرآن وفى الآخرة من أهل الرضوان.

ثم قام فضيلته بتوزيع الجوائز على الفائزين فى حفظ القرآن الكريم وبلغت قيمة الجوائز ٦٫٣٤٨٫٢٥٠ جنيه وزعت كالتالى:

عدد ٤٠١٤ طالبا وطالبة، وعدد ٤٦٣ محفظا ممن قاموا بتحفيظ القرآن الكريم لمن يحفظون بالكتاتيب المنتشرة فى أنحاء الجمهورية، وبلغت جوائز المحفظين ٦٦٦١٠٠ جنيه يحصل المحفظ على ألف جنيه عن كل طالب حافظ للقرآن الكريم وبالنسبة للطلبة قسمت إلى المستويات التالية:

المستوى الأول: يضم الحاصلين على ٩٥٪ وحتى ١٠٠٪ فى حفظ القرآن الكريم وعددهم ١٣٠٢ طالب وطالبة من حفظ ٣٠ جزءاً حصل الفائز على مبلغ ١٩٥٠ جنيها وعددهم ٧٩٢ فائزا.

ومن حفظ ٢٥ جزءاً حصل الفائز على مبلغ ١٥٠٠ جنيه وعددهم ١٦٠ فائزا.

ومن حفظ ١٨ جزءاً حصل الفائز على مبلغ ١٢٥٠ جنيها وعددهم ٣٤٩ فائزا.

ومن حفظ ١٥ جزءاً حصل الفائز على مبلغ ١٠٠٠ جنيه وعددهم طالب واحد.

وبلغ إجمالى هذا المستوى ٢٢٢١٦٥٠ جنيها.

المستوى الثانى: يضم الحاصلين على ٩٠٪ وحتى ٩٤٪ وعددهم ٢٧١٢ طالباً وطالبة.

من حفظ ٣٠ جزءا حصل الفائز على ١٥٠٠ جنيه وعددهم ١٢٩٥ فائزا.

من حفظ ٢٥ جزءا حصل الفائز على ١٢٥٠ جنيها وعددهم ٤٠٥ فائزا.

من حفظ ١٨ جزءا حصل الفائز على ١٠٠٠ جنيه وعددهم متسابق واحد.

من حفظ ١٥ جزءا حصل الفائز على ٧٥٠ جنيها وعددهم متسابق واحد.

بلغ إجمالى هذا المستوى ٣٤٦٠٥٠٠ جنيه.

حضر الحفل فضيلة الدكتور حمدى زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الشيخ/ محمود عاشور وكيل الأزهر، وفضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر وفضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية، والمهندس/ إسماعيل عثمان رئيس مجلس إدارة المقاولون العرب، وفضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد، وبعض سفراء الدول العربية والإسلامية، والسادة نواب رئيس جامعة الأزهر، وعمداء الكليات، وأساتذة الجامعة، وعلماء الأزهر، والمسئولون عن العملية التعليمية، ورعاية الشباب، ورجال الصحافة والإعلام وأولياء أمور الطلبة والطالبات.

●●●

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يشهد حفل تخريج الدورة ٤٩ لتدريب الأئمة والدعاة الوافدين من العالم الإسلامى

● شهد فضيلة الإمام الأكبر -شيخ الأزهر الشريف- حفل تخريج الدورة ٤٩ لتدريب الأئمة والدعاة الوافدين من العالم الإسلامى وذلك فى ٢٣ من ربيع الآخر سنة ١٤٢١هـ - الموافق ٢٥/٧/٢٠٠٠م وعددهم ٢٧ إماما وداعية من دول: نيجيريا، وكينيا وغانا، وتوجو، بنين، السنغال، وبوركينا فاسو، بعد أن قضوا ثلاثة أشهر بمدينة البعوث الإسلامية تلقوا خلالها المحاضرات فى العلوم والمعارف الإسلامية على أيدى علماء وأساتذة الأزهر الشريف وجامعته العريقة.

كما افتتح فضيلته الدورة رقم ٥٠ لأئمة ودعاة العالم الإسلامية لعدد ٣٠ إماما وداعية من دول: ساحل العاج، تشاد، الفلبين، نيجيريا، جيبوتى، النيجر.

وقد ألقى فضيلته كلمة حث العلماء فيها على التوسط والاعتدال فى فتاواهم فى أمور الدين مع الالتزام بكتاب الله -عز وجل- وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأن يكونوا رسلاً للأزهر الشريف فى بلادهم ينقلوا ما تعلموه لأهليهم وذويهم وأبناء بلادهم وإخوانهم المسلمين، وأن يكونوا قدوة حسنة لهم يعينوهم على فهم الدين بسهولة ويسر، وأن تكون دعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة مصداقاً لقول الله -تعالى-:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾(١). وأن تكون فتاواهم بعيدة عن التعصب أو الانحياز لمذهب بعينه، وأشار فضيلته إلى أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى إيفاد البعثات لتعليم المسلمين فى شتى بقاع الأرض لنشر تعاليم الدين الإسلامى.

ثم قام فضيلته بتسليم شهادات التقدير وأهدى كل عالم مكتبة إسلامية بها الكتب القيمة التى تفيد، ولتكون مراجعا يستعين بها عند الحاجة.

---

(١) سورة النحل (١٢٥).

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يقوم بتكريم الخريجين من علماء الوعظ المرشحين من المناطق الأزهرية

● قام فضيلة الإمام الأكبر -شيخ الأزهر- بتكريم الخريجين للدفعة الثانية من علماء الوعظ والمرشحين من المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية لعدد خمسة عشر إماما تلقوا المحاضرات فى مجال الدعوة وأعمال الفتي، ومعرفة قضايا العصر وحل مشاكله، ودراسة قضايا الاقتصاد الإسلامى على أيدى المتخصصين من علماء الأزهر وجامعته العريقة، وسلم فضيلته شهادات التقدير لهم من «الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية»، وشهادات التقدير من «مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى».

شهد الحفل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، والشيخ سيد وفا أبو عجور -الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية-، والشيخ فرحات المنجى -المشرف على مدينة البعوث الإسلامية-، والشيخ عبدالخالق نصير- الأمين العام للجنة العليا-، وأصحاب الفضيلة علماء الأزهر الشريف، ورئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام، وبعض سفراء الدول الإسلامية.

●●●

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرأس اجتماع المجلس الأعلى للأزهر

● برياسة فضيلة الإمام الأكبر -شيخ الأزهر الشريف- عقد المجلس الأعلى للأزهر الشريف جلسته وذلك فى ٩ من جمادى الأولى سنة ١٤٢١هـ الموافق ٩/٨/٢٠٠٠م لمناقشة جدول الأعمال المدرج وقد وافق المجلس على بدء الدراسة بشعبة الفيزياء الحيوية بكلية العلوم بنين وبنات بالقاهرة فى العام الجامعى ٢٠٠٠/٢٠٠١م وإضافة شعبة الوثائق والمكتبات والمعلومات إلى شعب كلية الدراسات الإنسانية للبنات بتفهنا الأشراف.

كما وافق المجلس على فصل وحدة الأشعة العلاجية عن قسم الأشعة ليصبح قسما منفصلا بكلية طب بنين الأزهر بالقاهرة، وكذلك الموافقة على تعديل خطة الدراسة للسنتين التمهيديتين لدرجة الماجستير لقسمى الأديان والمذاهب، والثقافة الإسلامية بكلية الدعوة الإسلامية، والموافقة على إدخال بعض التعديلات بالخطط الدراسية الخاصة بكليات اللغة العربية واللغات والترجمة والتجارة والطب بنين وبنات والشريعة والقانون.

كما تمت الموافقة على المعادلات للدرجات العلمية فى وظائف هيئة التدريس بكلية الهندسة وكلية الصيدلة.

حضر الاجتماع فضيلة الشيخ وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الدكتور رئيس جامعة الأزهر الشريف والسادة نواب رئيس جامعة الأزهر، وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر، وفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والسادة الأعضاء.

●●●

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يقوم بزيارة لمحافظة الغربية

● قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وبعض قيادات الأزهر الشريف بزيارة لمحافظة الغربية بدعوة كريمة من السيد الأستاذ الدكتور / فتحى السيد محافظ الغربية وذلك فى ٢٧ من ربيع الآخر سنة ١٤٢١هـ الموافق ٢٩ / ٧ / ٢٠٠٠م لافتتاح المنشآت التعليمية الأزهرية.

حيث افتتح فضيلته معهد رمضان الابتدائى الأزهرى بشارع صدقى بمدينة طنطا، وقد أقيم المعهد على مساحة ٤٠٠٠ (أربعة آلاف متر مربع) ويضم ٢٤ فصلاً دراسياً بتكلفة بلغت مليون ونصف المليون جنيه، كما افتتح معهد محمد رجب الإعدادى الثانوى بنين بقرية برما وقد بنى على مساحة ١٢ قيراطا بتكلفة بلغت ٧٥٠ ألف جنيه ويضم ٢٣ فصلا دراسيا تبرعاً من رجل البر الحاج محمد رجب، وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر على إطلاق اسمه عليه، وكذلك كل من يبنى معهدا أزهريا يطلق اسمه عليه. تكريما وتقديرا.

كما تم افتتاح المعهد الثانى للحاج محمد رجب وأقيم على مساحة مماثلة وتكلف نفس المبلغ السابق وهو للبنات ويضم ١٨ فصلاً بقرية بقلولة وكذلك تم افتتاح المعهد الثالث للحاج محمد رجب وهو للبنين بنفس القرية وبنفس التكلفة بقرية بقلولة أيضا.

كما تفقد فضيلته معهد السنطة الإعدادى الثانوى بعد التطوير بتكلفة ٥٠٠ ألف جنيه على مساحة ٢ فدان ويضم ١٧ فصلا، كما تم افتتاح معهد دهتوره الابتدائى والاعدادى فتيات مركز زفتى بتكلفة حوالى ٧٥٠ ألف جنيه على مساحة ٦٥٠ م مربعا ويضم ٢٣ فصلا دراسيا.

وقد أوضح فضيلته أن محافظة الغربية تأتى فى مقدمة المحافظات التى تهتم بتحفيظ القرآن الكريم، مشيراً إلى أنه يوجد بالمحافظة ٥١٣ معهدا أكثر من ٩٥٪ منها مقام بالجهود الذاتية وأكد فضيلته أنه يعمل على أن تكون المعاهد الأزهرية لائقة بالتعليم الأزهرى ورسالته السامية. وقال: إن الأزهر مهتم بإحلال وتجديد المعاهد الأزهرية، وقد رصدت الدولة ٢٦ مليون جنيه لترميم هذه المعاهد، وبلغت تكاليف الترميمات فى مدينة طنطا وحدها ٢ مليون جنيه، وقد أجاب فضيلته على أسئلة الصحفيين ورجال الإعلام، وقال فضيلته: إن الأزهر الشريف يقف إلى جانب القضية الفلسطينية ويساندها ورأيه فى هذه القضية هو رأى مصر رئيسا وحكومة وشعبا حيث يبذل السيد الرئيس محمد حسنى مبارك جهدا كبيرا من أجل مساندة القضية الفلسطينية وإعادة الحق إلى الشعب الفلسطينى وتأكيد الشرعية الدولية، وأضاف أن القدس عربية إسلامية منذ مئات السنين وأشار إلى أن مصر بأزهرها الشريف أول من يؤيد إعلان الدولة الفلسطينية، وأجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم، وفى كلمته رحب الدكتور فتحى سعد محافظ الغربية بفضيلة الإمام الأكبر –شيخ الأزهر– وقال: إنها زيارة لها مدلولها الكبير، خاصة أن الجانب الدينى يمثل جزءاً هاماً داخل قلوب أهالى الغربية ولمكانة فضيلة الإمام الأكبر الذى يُعد رمزاً للإسلام والمسلمين.

حضر الافتتاح الدكتور عبدالأحد جمال الدين رئيس لجنة الشئون العربية بمجلس الشعب والقيادات الشعبية والتنفيذية بالمحافظة، ورجال الصحافة والإعلام وفضيلة الشيخ محمد عامر رئيس منطقة طنطا، وقد رافق فضيلة الإمام الأكبر فضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد والشيخ عبدالعزيز ندا وكيل قطاع المعاهد، والشيخ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام.

●●●

إهمال الجانب الخلقى سبب معاناة الإنسان المعاصر

● أكد فضيلة الإمام الأكبر -شيخ الأزهر الشريف- فى خطبة الجمعة بالجامع الأزهر وذلك فى ٤ من جمادى الأولى سنة ١٤٢١هـ- الموافق ٤/٨/٢٠٠٠م أن معاناة الإنسان المعاصر ترجع إلى إهمال الحضارة الحديثة للجانب الخلقى فى الحياة، فأصبحت الحضارة عرجاء لا تستطيع الاستمرار بوضعها الحالى لأنها أهملت الدين بقيمه الروحية.

وأشار إلى أن الإسلام فى منهجه لتعمير الأرض جعل القيم الروحية موازية تماما مع القيم المادية حتى تستطيع الأخلاق والآداب القويمة إصلاح ما قد تحدثه القيم المادية حتى تحفظ على الإنسان توازنه، وضرب أمثلة من القرآن الكريم كآداب الاستئذان فى الدخول إلى البيوت، وآداب الدخول على الأهل وآداب الحوار، وأدب معاملة الآباء والأمهات حتى ولو كانوا غير مؤمنين.

●●●

فضيلة وكيل الأزهر يلقى محاضرة بمعسكر أبى بكر الصديق بالإسكندرية

● ألقى فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف محاضرة فى معسكر أبى بكر الصديق بالإسكندرية لشباب العالم الإسلامى، وذلك فى ١٠ من جمادى الأولى سنة ١٤٢١هـ - الموافق ١٠/٨/٢٠٠٠م، حيا فيها مناسبة مرور أربعة عشر قرناً على دخول الإسلام مصر، وقال: إن مصر أمينة على هذه الرسالة التى تحملها لإبلاغها إلى المسلمين فى شتى بقاع الأرض، وأضاف أن الأزهر الشريف فى مصر هو الحصن التعليمى للإسلام لجميع الشعوب الإسلامية، وأنه يوفد كل عام أكثر من ستة آلاف داعية إلى مختلف دول العالم لنشر الإسلام وتعليمه للناس وذلك بالإضافة إلى نحو عشرين ألف طالب وطالبة من الدول الإسلامية يدرسون به بانتظام منهم أعداد ضخمة على منح دراسية قدمتها مصر لهم.

وحول سؤال عن التغير الذى حدث بالمناهج الدراسية بالأزهر الشريف، قال فضيلته: إن المناهج الدراسية فى الإعدادى والثانوى لم يحدث بها تغيير نتيجة إنقاص سنوات الدراسة من أربع إلى ثلاث سنوات، وإنما حدثت تعديلات فى مناهج الفقه والتوحيد والمنطق مع بقاء الاعتدال فى دراسة المذاهب الإسلامية بدون تعصب لمذهب أو رأى وهذه هى وسطية الإسلام.

●●●

قرارات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ٩٣٢ لسنة ٢٠٠٠

يسند إلى فضيلة الشيخ/ عبدالكريم محمد عبدالرحمن عبدالهادى رئيس الادارة المركزية للشئون الفنية بمكتب شيخ الأزهر بالدرجة العالية القيام بعمل وظيفة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر بصفة مؤقتة لحين شغلها بصفة أصلية ممن تتوافر فيه شروط شغلها وفق أحكام قانون الوظائف القيادية رقم ٥ لسنة ٩١ ولائحته التنفيذية

صدر فى ٧ من جمادى الأولى ١٤٢١هـ الموافق ٧ أغسطس سنة ٢٠٠٠م

● صدر قرار السيد رئيس مجلس الوزراء رقم ١٠٨أ لسنة ٢٠٠٠ بناء علي ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يجدد التعيين في الوظائف الموضحة قرين اسمه بدرجة مدير عام بالأزهر الشريف لمدة سنة اعتبارا من ١٣/٨/٢٠٠٠ لكل من السادة:

١ - الشيخ/ حسن عبدالعظيم مصيلحى شحاتة مدير عام الشئون الإدارية.

٢ - الشيخ/ محمد زين العابدين محمد العزازى مدير عام مكتب وكيل الأزهر.

صدر في مجلس الوزراء فى ١٣ من ربيع الآخر ١٤٢١هـ الموافق ١٥ يوليو سنة ٢٠٠٠م.

●●●

إعتماد حركة بعثات الأزهر إلى دول العالم الإسلامى

● اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حركة بعثات الأزهر إلى دول العالم الإسلامى، وقد شملت الحركة إعارة ٤٣٦ مدرسا فى مختلف العلوم الشرعية والعربية والعلمية بالإضافة إلى ١٣ واعظا إلى دولة جيبوتى والنيجر، والكاميرون، وليبريا، ومدغشقر.

وقد شملت البعثات الأزهرية ٢٤٣ مدرساً إلى المملكة العربية السعودية على نفقة المملكة فى تخصصات: مواد القراءات، والعلوم، والرياضيات، واللغة الأجنبية، كما تم إعارة ١٩٣ مدرسا إلى مختلف دول العالم على نفقة الأزهر الشريف من بينهم ١٤٠ مدرساً إلى دول قارة افريقيا، وعدد ٦ مدرسين فى العلوم الشرعية والعربية إلى دول الكومنولث، وما يقرب من أربعين مدرساً فى العلوم الدينية والعربية إلى باكستان والسويد والنمسا والفلبين وماليزيا وبنجلاديش والبرازيل وفلسطين وأندونيسيا والصين.

من أنباء العالم الإسلامى

للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد

الصحف العربية تواصل انتقادها للسياسة الأمريكية

الرياض ـ عمان ـ أ. ش. أ:

واصلت الصحف العربية انتقاداتها للسياسة الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط واتهمتها بقصر النظر وأكدت أن الانتخابات الرئاسية الأمريكية تتعمد اتخاذ المنطقة وسيلة للوصول لمقعد الرياسة.

وأكدت صحيفة الرياض السعودية أمس أن الحرب الإعلامية التى تشنها الولايات المتحدة بجميع أجهزتها على العرب هى اختصار لواقع غير مرئى من قبل الكثيرين من المراقبين وهو أن مستقبل إسرائيل بتجهيزاتها النووية والتقنية لا يمنحها الأمن والاستقرار.

كما أكدت صحيفة «الجزيرة» السعودية أن سلاح المقاومة الفلسطينية يجب أن يظل جاهزا مادامت هناك أرض عربية محتلة ومادام هناك معتقلون عرب فى السجون الإسرائيلية ومادام أن صناع القرار السياسى والعسكرى فى إسرائيل مازالوا يطلقون التهديدات العسكرية للفلسطينيين خاصة وللعرب عامة.

وقالت الصحيفة أنه مادامت إسرائيل لاتزال تصر على التمسك بماليس من حقها بما فى ذلك القدس الشرقية المحتلة واعتبارها مع القدس الغربية عاصمة موحدة لها، فإن سلاح المقاومة يجب أن يظل جاهزا، وأضافت الصحيفة أن من حق المقاومة الفلسطينية أن تلجأ إلى كل وسيلة، بما فيها السلاح لتحرير الأراضى المحتلة واستعادة كامل الحقوق بما فيها إعلان الدولة الفلسطينية.

الانتخابات الأمريكية تزايد على القدس

القاهرة - الأهرام:

خلال الأعوام القليلة الماضية ظل موضوع القدس محل تجاذب فى السياسة الأمريكية الداخلية بين كونجرس جمهورى، وإدارة ديمقراطية.

ففى حين قرر الكونجرس الجمهورى نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس مع

حلول عام ١٩٩٩، فإن الرئيس كلينتون (الديمقراطى) ارتكن إلى صلاحياته فى تأجيل تنفيذ قرار الكونجرس. بل إن كلينتون الذى كان قد صرح بعد فشل كامب ديفيد الثانية باحتمال قيامه بنقل السفارة فى نهاية العام الحالى، تراجع عن تصريحاته مفضلا التأجيل.

غير أن الحزب الجمهورى فى مؤتمره القومى أوائل الشهر الجارى لاختيار جورج بوش الابن مرشحا رسميا له للرئاسة، طرح ضمن برنامجه موضوع القدس، ليؤكد التزامه بأن القدس هى عاصمة إسرائيل.

وعندما افتتح الحزب الديمقراطى فى مؤتمره القومى أمس الأول، لاختيار آل جور مرشحا للرياسة، أصبحت مسألة القدس موضوع مزايدة حزبية انتخابية. فقد تضمن البرنامج الانتخابى للحزب أن القدس هى عاصمة إسرائيل ويجب أن تبقى مدينة غير مقسمة.

والمشكلة أن مسألة القدس أخطر من أن تتحول إلى ورقة للمزايدة فى الانتخابات الأمريكية، فهى مسألة تخص كل أتباع الديانات السماوية الثلاث: الإسلامية والمسيحية واليهودية.

كما أن مسألة القدس ترتبط بقرارات الشرعية الدولية، ومنها قرارا مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨، وحسب الشرعية الدولية فإن القدس الشرقية هى أرض عربية محتلة. وقد ظلت الإدارة الأمريكية منذ عام ١٩٦٧ تؤكد قرارات الشرعية الدولية. كما أن دور أمريكا كوسيط فى عملية السلام فى الشرق الأوسط منذ مؤتمر مدريد ١٩٩١ واتفاق أوسلو عام ١٩٩٢، كان دورا يستند إلى الشرعية الدولية.

وعندما تهدد أمريكا بنقل سفارتها إلى القدس، وعندما تجعل من مسألة القدس قضية مزايدة انتخابية، فإنها بذلك تقوض أساس دورها كوسيط محايد فى عملية السلام فى الشرق الأوسط. وقد يفوز بوش الابن أو يفوز آل جور بالرياسة فى المزايدة الانتخابية، لكن المؤكد أن أمريكا -كوسيط- ستخسر مصداقيتها فى عملية السلام، بل وقد تخسر الشرق الأوسط الذى يمكن أن يجتاحه العنف والتطرف إذا تبنت أمريكا الطرح الإسرائيلى لقضية القدس.

زيادة عدد قوات حفظ السلام بين أثيوبيا وإيتريا

نيويورك - وكالات الأنباء:

وافق أعضاء مجلس الأمن الدولى على اقتراح للأمين العام للأمم المتحدة كوفى عنان يقضى بزيادة عدد أفراد القوات الدولية لحفظ السلام المكلفة بمراقبة تنفيذ اتفاق وقف إطلاق النار بين أثيوبيا وإريتريا فى يونيو الماضى من ١٠ إلى ٤٢٠٠ جندى وذكرت نانسى سود إبراج السفيرة الأمريكية لدى مجلس الأمن أن وجود قوات دولية لحفظ السلام خطوة أولى نحو دفع إريتريا وأثيوبيا إلى توقيع اتفاق سلام لإنهاء الحرب التى استمرت عامين، وأسفرت عن خسائر مادية وبشرية جسيمة، مشيرة إلى

أن الدول الاعضاء فى مجلس الأمن تتفق على أن وجود قوات حفظ السلام لن يستمر طويلاً وأنه مرهون بالتوصل لاتفاق سلام. وأضاف: إن الدول الاعضاء بمجلس الأمن تأمل أن تولى الحكومتان اهتمامهما الكامل إلى الاحتياجات الصحية والتعليمية وتوفير الغذاء والسكن لأكثر من مليون مشرد.

وساطة سعودية لإنهاء الخلاف القطرى المغربى

الرياض - وكالات الأنباء:

بحث الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولى عهد ونائب رئيس مجلس الوزراء السعودى فى الطائف مع الشيخ جاسم بن حمد آل ثانى ولى عهد قطر، والأمير رشيد شقيق ملك المغرب فى محاولة من جانب الرياض لإنهاء الخلاف الدبلوماسى الذى نشب أخيرا بين البلدين على خلفية تأييد قطر لألمانيا بتنظيم مباريات كأس العالم لكرة القدم.

الأزهر يقدم الصورة الصحفية للإسلام على الإنترنت

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر ـ أن الرئيس حسنى مبارك يبذل أقصى الجهود لإحلال السلام فى منطقة الشرق الأوسط وحل القضية الفلسطينية.

وأوضح شيخ الأزهر ـ خلال لقائه بطلاب الجامعات بمعهد إعداد القادة بوزارة التعليم العالى ـ أنه تم انشاء موقع على شبكة الإنترنت للرد على ماينشر من إساءات للإسلام على شبكة الإنترنت، ويتم الرد على الأكاذيب التى تسيء للإسلام وتقديم الصورة الصحيحة له، وفى رده على موقف الإسلام من التدخين قال شيخ الأزهر إن أقل ما يقال عن التدخين أن العقلاء يتنزهون عنه وهو مكروه وهو ليس مثل شرب الخمر والزنا.

وأكد أن القرآن يشفع لصاحبه والصيام إيضا ـ وأن الشفاعة الكبرى لسيدنا ـ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للعصاة من أمته ثابته ولا محل للشك فيها.

مفتى القدس يشيد بالثبات الفلسطينى أمام إسرائيل

القاهرة:

أشاد الشيخ عكرمة صبرى مفتى القدس بموقف الرئيس حسنى مبارك ومساندته للفلسطينيين مطالبا الحكام العرب والمسلمين بالوقوف مع الشعب الفلسطينى مثلما يقف معهم الرئيس مبارك. كما أشاد بتمسك الوفد الفلسطينى فى مفاوضات «كامب ديفيد» بالثوابت التى أقرها المجلس المركزى، وبصموده فى أثناء مناقشة القضايا المهمة.

وأكد مفتى القدس ـ فى حديث لبرنامج «صباح الخير يامصر» ـ أن هذا الثبات الفلسطينى قد أحبط جميع الحلول الالتفافية التى طرحت من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل.

وأشار إلى الارتباط الدينى والعقائدى للقدس بالنسبة للعرب والمسلمين وتحدى أن يكون هناك حجر واحد فى البلدة القديمة له علاقة باليهود.

وأضاف أن إسرائيل لو التزمت بالقرارات الدولية فلابد أن يكون هناك اتفاق، لكنه أشار إلى أن إسرائيل تحاول أن تتهرب من الالتزامات وألا تلتزم بما وقعت عليه.

وأكد مفتى القدس أن المشكلة هى أن الإسرائيليين يعتبرون أنفسهم مالكين لمدينة القدس ولفلسطين، وأن أى تنازل منهم يعتبرونه منحة للفلسطينيين، وأبدى عدم قبول الفلسطينيين لهذا التعامل، وأنهم لا يمكن أن يقبلوا منحا وهبات من الإسرائيليين.

أخبار قصيرة عن العالم الإسلامى

الحفاظ على البيئة

عواصم العالم ـ وكالات الأنباء :

فى محاولة للفت انتباه سكان الأرض إلى ضرورة بذل المزيد من الجهود للحفاظ على البيئة، حذر العلماء من تناقص المياه فى الأنهار بشكل خطير، مما سيكون له تأثير بالغ على الزراعة، وانخفاض كميات الأسماك، بالإضافة إلى تعرض النباتات النادرة المستخدمة فى تصنيع الدواء للانقراض.

وأكد العلماء المشاركون فى مؤتمر دولى للمياه باستوكهولم ضرورة الحفاظ على المياه، حتى لا تواجه الأجيال المقبلة مشكلات استنزاف خزانات المياه الجوفية ونضوب الأنهار. كما حذرت المنظمة الدولية للحفاظ على البيئة من أن أعداد الأسماك تناقصت فى أنحاء العالم بنسبة ٤٠٪، لتصل إلى أدنى مستوى لها فى التاريخ، بسبب عمليات الصيد غير المنظم، واصطياد الأسماك الصغيرة قبل بلوغ سن التكاثر.

تعيين الخريجين الأوائل من الأزهر

القاهرة - الأزهر :

تقرر تعيين الخريجين الأوائل من كليات جامعة الأزهر دفعة (٩٨، ٩٩)، وتم تدبير درجات لهم بمعرفة الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة، وصرح الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس الجامعة بأنه يجرى - حاليا - إنهاء إجراءات تعيين ٢٢٠ خريجا من الأوائل فى كليات الجامعة على مستوى الجمهورية، بعد أن أصدر الدكتور محمد زكى أبو عامر وزير التنمية الإدارية قرارات تعيينهم، ويتم تعيين أوائل جامعة الأزهر فى وزارتى الصحة والأوقاف وإدارات الجامعة.

وأضاف رئيس الجامعة: أن اختيار أوائل الكليات للتعيين فى مؤسسات الدولة يأتى وفق ترتيب درجات الطلاب والطالبات الحاصلين عليها فى درجة الإجازة العالية (الليسانس أو البكالوريوس) دون اعتبار لأى عامل آخر.

Alors, par nostalgie et amour pour le Prophète-b.s-le tronc se mit à pleurer. Sa voix ressemblait à celle d'une chamelle enceinte et fut entendue par tous ceux qui se trouvaient dans la mosquée.

Le Prophète-b.s-descendit de sa chaire, caressa de sa main bénie le tronc qui ne doit pas normalement avoir des émotions. Mais, quand il est question d'un signe de prophétie, les choses inanimées bougent, pleurent et répondent pour constituer des preuves évidentes de l'authenticité du message.

8-L'arbre atteste de la véracité du message du Prophète-b.s-.

Un bédouin passant près du Prophète-b.s-celui-ci lui dit:

-Où vas-tu bédouin?

-Chez ma famille, dit le bédouin.

-Veux-tu du bien, dit le Prophète?

-Quoi donc, fit le bédouin?

--Tu témoignes qu'il n'y a de Dieu qu'Allah, Un et Unique et que Mohammed est Son serviteur et Son Prophète.

-Qui atteste de cela?, demanda le bédouin.

-"Cet arbre", dit le Prophète en désignant un arbre au bord d'une vallée!

Et voilà que l'arbre s'avance, traînant sur le sol ses racines et s'arrête devant le Prophète-b.s-. Trois fois le Prophète-b.s-lui demanda de témoigner et l'arbre le fit. Puis, le Prophète-b.s-ordonna à l'arbre de retourner à sa place, ce qu'il fit.

(à suivre...)

"C'est vrai",avoua-t-elle.

-Et pourquoi as-tu agi de la sorte?", lui demanda le Prophète-b.s-.

"Mon père, mon oncle, mon mari et une partie de ma tribu ont subi un triste sort à Khaybar, par ton fait. Et j'ai pensé: Si Mohammed n'est qu'un roi puissant, je le supprimerai et je satisferai leur vengeance ainsi que la mienne. Si, au contraire, il est vraiment un Prophète, aucun danger ne l'ateindra car Allah l'avertira de mon dessein."

Cette habile réponse avait calmé le Prophète-b.s-, et il allait peut-être pardonner à la coupable son abominable forfait; mais Bichr étant mort à cet instant, il la livra aux parents de ce dernier qui réclamèrent vengeance. L'empoisonneuse fut crucifiée, elle subit le châtiment de "Hadd El Harabah"(expliqué auparavant)(١), et les restes de la funeste brebis furent jetés dans les flammes.

Les contemporains du Prophète-b.s-dirent que, bien que le Prophète-b.s-,eut rejeté la bouchée empoisonnée, le poison s'était infiltré jusque dans ses entrailles et jamais il ne se remit complètement de ses effets.

Lors de sa dernière maladie, trois ans plus tard, la soeur de Bichr se rendit auprès du Prophète-b.s-pour prendre de ses nouvelles. Il lui dit:***"La veine de mon coeur a été déchirée par la nourriture que j'ai mangée en même temps que ton frère à Khaybar."***

Un miracle supplémentaire vient s'ajouter aux autres miracles pour prouver l'authenticité de la mission du Prophète Mohammed-b.s-..

7-Le tronc de l'arbre ressent la nostalgie des invocations du Prophète-b.s-

Le Prophète-b.s-prononçait ses sermons en s'appuyant sur un tronc de palmier. Une femme des Ançars, avait un fils menuisier,elle demanda au Prophète-b.s-la permission de lui construire une chaire qu'il escaladerait durant ses sermons; ce qui lui permettrait d'être vu de tous les assistants.

Le Prophète-b.s-apprécia l'idée. Le vendredi, lorsque vint l'heure du sermon, le Prophète-b.s-monta sur la nouvelle chaire et renonça à utiliser le tronc du palmier.

(suite)

Les miracles du Prophète Mohammed (salut et bénédiction sur lui).

Par Hoda Hussein Cha`raoui

6--La Brebis empoisonnée:

Une juive appelée"Zeinab bent El-Harith"et épouse de Sallam Ibn Michkam, offrit une brebis rôtie, embrochée sur un épieu, comme présent au Prophète-b.s-. Lorsque, après le coucher du soleil, le Prophète-b.s-fit la prière du Maghreb, et rentra au campement, il trouva cette juive assise auprès de sa tente l'attendant. Il remercia la femme, accepta le présent et lorsqu'elle se retira, il invita ses compagnons à partager avec lui ce rôti, cuit sur un feu de bois aromatique du désert.

Un des convives appelé"Bichr Ibn Al-Bara`"prit une bouchée de viande, la mâcha et l'avala. Le Prophète-b.s-détacha une épaule, il la mordit et se mit à en mâcher le morceau. Les autres convives avaient déjà tendu les mains pour agir de même, lorsque brusquement le Prophète-b.s-rejeta la bouchée qu'il mâchait et arrêta ses compagnons en s'écriant:"***Retirez vos mains! Cette épaule vient de m'apprendre qu'elle était empoisonnée!"***

"Par celui qui est le Généreux! s'exclama Bichr, j'avais trouvé à ma bouchée une saveur étrange et compris ce qui en était; mais; te voyant mâcher la tienne, je ne pouvais la rejeter, par respect pour toi. Et si le poison devait détruire ton existence, quel goût me serait-il resté de la mienne?."

A peine Bichr avait-il prononcé ces mots, que sa figure, fut envahie par une teinte noirâtre, se convulsa, qu'il fut pris par d'intolérables souffrances et roula sur le sol.

Aussitôt, le Prophète-b.s-envoya quérir la Juive et lui dit:***"Tu as empoisonné cette brebis?".***

-***"Qui te l'as appris"***demanda-t-elle.

-"Ceci" et il lui montra le morceau d'épaule qu'il tenait à la main.

demande, cela ne diminuerait en rien Mes possessions, si ce n'est autant que le volume qu'occuperait une aiguille quand on l'introduit dans la mer.

Ô Mes serviteurs, ce sont seulement vos actions que Je recense pour vous, puis Je vous rétribuerai pour elles (en fonction de cela).

Donc que celui qui reçoit un bien, qu'il loue Allah, quant à celui qui reçoit autre chose, qu'il ne s'en prenne qu'à lui-même.

Le Hadith Prophétique suivant apprend au musulman la manière d'agir avec ses semblables :

Selon Abu Huraïra - A.s.l. - le Prophète -b.s.- a dit : "Quiconque dissipe l'une des peines des croyants en ce monde, Allah dissipera pour lui une des peines du Jour du Jugement Dernier.

Quiconque vient en aide à celui qui est dans la gêne, Allah l'aidera en cette vie et dans celle de l'au-delà.

Quiconque dissimule les fautes d'un musulman, Allah dissimulera ses fautes en ce monde et dans celui de l'au-delà.

Allah vient en aide à Son serviteur tant que ce dernier vient en aide à son prochain. Celui qui suit une voie pour s'instruire sur sa religion, Allah lui rend aisée, en vertu de cela, la voie du Paradis.

Des gens ne se rassemblent jamais dans l'une des maisons d'Allah pour réciter le Coran et l'étudier sans que la sérénité ne descende sur eux, que la miséricorde ne les recouvre, que les Anges ne planent autour d'eux et qu'Allah ne les mentionne comme faisant partie ceux qui seront auprès de Lui.

Quant à celui que ses actions n'ont pas aidé à être meilleur, ce n'est pas son ascendance qui lui permettra de l'être".

Hadiths traduits par
Dr. Rokeya GABR

بسم الله الرحمن الرحيم

La relation de l'homme avec Allah et la relation de l'homme avec ses semblables

par Dr. Rokeya GABR

Voici d'abord un Hadith divin "Qudussy" expliquant l'extrême générosité d'Allah vis-à-vis de Ses serviteurs "Selon Abu Dharr Al Ghifâry - qu'Allah soit satisfait de lui - le Prophète - à lui bénédiction et salut - a rapporté ces paroles de son Seigneur :

"Ô Mes serviteurs, je me suis prohibé toute injustice, aussi Je vous prohibe l'injustice : ne soyez donc pas injustes les uns envers les autres.

Ô Mes serviteurs, vous manquez tous de nourriture sauf celui que Je nourris; demandez - Moi donc de vous nourrir et Je vous nourrirai.

Ô Mes serviteurs, vous êtes tous dénudés, sauf celui que vêtis; demandez-Moi donc de vous vêtir et Je vous vêtirai.

Ô Mes serviteurs, vous commettez jour et nuit des péchés et Moi Je pardonne tous les péchés; implorez donc Mon pardon et Je vous pardonnerai.

Ô Mes serviteurs , il ne vous est pas donné de Me nuire de sorte que vous parveniez à Me nuire, ni de M'être utiles de sorte que vous parveniez à M'être utiles.

Ô, Mes serviteurs, si du premier au dernier des hommes et des djinns vous aviez le cœur aussi pur que celui de l'homme le plus pur (pieux) d'entre vous, cela n'ajouterait rien à Mon royaume.

Ô, Mes serviteurs, si du premier au dernier des hommes et des djinns vous aviez le cœur aussi pervers que celui de l'homme le plus pervers d'entre vous, cela ne diminiuerait en rien Mon royaume.

Ô Mes serviteurs, si du premier au dernier des hommes et des djinns se levaient au même moment (pour prier) et Me sollicitaient et que J'accordais à chacun sa

REVUE
AL AZHAR
Sction Francaise

give his regards to him and tell him that he should keep firm the threshold of his gate.

When Isma'il returned home he asked his wife if anyone had visited her. She told him that a good-looking old man came to visit and then she praised him. She then told Isma'il that the man had asked about Isma'il and that she had informed him, and that he had asked about our livelihood and she told him that they were in a good condition. Isma'il asked her if the man had given her any advice and she told him that the man had asked her to give his regards to you and ordered that you should keep firm the threshold of your gate. Upon hearing this Isma'il told her that the man had been his father and that his father had ordered him to keep his wife with him.

Ibrahim visited Isma'il again after a period of time and found him near Zamzam sharping his arrows. When Isma'il saw Ibrahim, he rose to welcome him and they greeted other as a father does with his son or a son does with his father. Then Ibrahim told his son that Allah سبحانه وتعالى had given him an order. Isma'il told his father that he should do what his Lord had ordered him to do. Ibrahim asked Isma'il if he would help him and Isma'il replied that he would. Then Ibrahim told Isma'il that Allah سبحانه وتعالى had ordered him to build a house and pointed to a hil lock higher than the land surrounding it.

They raised the foundations of the Ka'ba. Isma'il brought the stones while Ibrahim built, and when the walls became high, Isma'il would bring the stones to the top of the walls and Ibrahim would continue to build. While Isma'il was handing him the stones both of them were saying : "O our Lord! Accept (this service) from us, verily, You are the All-Hearer, the All-Knower." (Surah 2 : 127) They continued building and going round the Ka'ba saying : O our Lord! Accept (this service) from us, verily, You are the All-Hearer, the All-Knower." (Sahih Al-Bukhari)

The lessons

Prophet Isma'il was equal to his father in his trust, belief and complete submission to Allah. He submitted to the Will of Allah سبحانه وتعالى instantly regarding his father sacrificing him to Allah. سبحانه وتعالى This is one of the most hardest tasks of mankind. To submit totally without fear, or reservation to the Will of their Lord. Isma'il did not think twice about what he should do either in the request for his sacrifice or in the request for him to build the House of Allah تعالى , (the Ka'ba).

As Allahdoes not need this type of human sacrifice this is a lesson for us in another type of human sacrifice. The sacrifice of one's self for the cause of Allahسبحانه وتعالى and for the pleasure of Allah سبحانه وتعالى , in all ways. Whether it be dedicating one's life to bringing Allah's سبحانه وتعالى message to mankind, dedicating one's child to the service of Allah , helping the poor and needy, or fighting in Allah's تعالى cause.

torrents came, they flowed to its right and left.

She lived in that way till some people from the tribe of Jurhum or a family from Jurhum passed through the desert. They saw a bird that had the habit of flying around water and not leaving it. They said : "This bird must be flying around water, though we know that there is no water in this valley." They sent one or two messengers who discovered the source of water and returned to inform them of the water. Then they all came towards the water.

Isma'il's mother was sitting near the water. They asked her to allow them to stay and live with her and her child. Hajar told them that they could stay but that they would have no right to posses the water. They agreed to that. Isma'il's mother was pleased with the whole situation, as she enjoyed the company of people. They settled there, and later on they sent for their families, who came and settled with them and became permanent residents there. (Sahih Al-Bukhari)

Isma'il grewup and learned Arabic from them and his virtues caused them to love and admire him as he grewup and when he reached the age of puberty they made him marry a woman from amongst them.

After Isma'il's mother had died, and after he was married, Ibrahim came to see his family that he had left in Makkah. He did not find Isma'il there so he asked Isma'il's wife about him. She told Ibrahim that Isma'il had gone in search of their livelihood. Ibrahim asked her about their way of living and their condition. She complained to him saying that They were living in misery, hardship, and destitution. Ibrahim asked her to convey his salutation to Isma'il and to tell him to change the threshold of the gate of his house.

When Isma'il returned home he asked his wife if anyone had visited her. She told him that indeed an old man, whose description she gave to Isma'il, had come and he had asked about their state of living. She then told Isma'il that she told him that we were living in a hardship and poverty. Upon hearing that, Isma'il asked her if the man had given her any advise. His wife then told him that Ibrahim told her to convey his salutation to you and to tell you to change the threshold of your gate. Isma'il then said that the man had been his father and that he had ordered him to divorce her. Isma'il divorced her and married another woman from among the Jurhum.

Ibrahim stayed away from them for a period as long as Allah wished and called on them again but did not find Isma'il. So he came to Isma'il's wife and asked her about Isma'il. She told him that he had gone in search of their livelihood. Ibrahim asked her how they were getting on and about their sustenance and living. She told Ibrahim that they were prosperous, well-off, and that they had everything in abundance. Then she thanked Allah سبحانه وتعالى . Ibrahim asked her what kind of food they ate and she told him that they ate meat. He asked her what they drank and she said that they drank water. Then Ibrahim invoked Allah سبحانه وتعالى saying : "O Allah! Bless their meat and water.: Then Ibrahim told Isma'il's wife that when her husband returned to

The Prophets of Allah

by Sheikh Muhammad Mustafa Gemee'ah

Prophet Isma'il عليه السلام

Prophet Isma'il was still a nursing baby when his father Prophet Ibrahim brought him and his mother Hajar to the desert of Saudi Arabia and left them there. Ibrahim left his wife and son under a tree in a place near the Ka'aba in Makkah with a little water and some dates. At that time Makkah was a desolate place with no people, food or water. As Ibrahim was leaving, his wife Hajar repeatedly asked him where he was going and why he was leaving them in this abandoned place. Ibrahim did not reply, so she asked him if his Lord had commanded him to do this. Ibrahim replied that indeed his Lord had commanded him to bring them to this place and leave them there. Hajar then said : "Then He will not neglect us" and returned to the place where Ibrahim had left them while Ibrahim proceeded onwards.

Hajar continued nursing Isma'il and drinking from the water Ibrahim had left them. When the water in the water-skin had all been used up, she became thirsty and Isma'il also became thirsty. She looked at him tossing in agony and then she left him, for she could not endure looking at him, to look for someone who could help them. She found As-Safa mountain was the nearest mountain to her so she climbed to the top and stood on it. She looked at the valley to see if she could find somebody there who could help them, but she could not see anybody. Then she descended from As-Safa and when she reached the valley she tucked up her robe and ran in the valley like a person in distress and trouble. There she stood and started looking, expecting to see somebody, but she could not see anybody. She repeatedly ran between Safa and Marwa seven times trying to find anyone who might be able to offer them some assistance.

The Prophet Muhammad has said, in reference to Hajan's running between the two mountains, that this is the source of the tradition of the Sa'y (one of the rituals of the Hajj pilgrimage) the going of people between them (i.e. As-Safa and Al-Marwa).

When she reached Al-Marwa the seventh time she heard a voice and listened attentively. She heard the voice again and said : "O, whoever you may be! You have made me hear your voice; have you got something to help me?" Then she saw an angel at the place of Zamzam, digging the earth with his heel (or his wing) till water flowed from that place. She began to make something like a basin around it, using her hand, and started filling her water-skin with water with her hands, and the water was flowing out after she had scooped some of it. Then she drank and nursed Isma'il. The angel said to her : "Don't be afraid of being neglected, for this is the House of Allah which will be built by this boy and his father, and Allah never neglects His people." The House (Ka'ba) at that time was on a high place resembling a hillock, and when

were of all colors, from blue-eyed blondes to black-skinned Africans. But we were all participating in the same ritual displaying a spirit of unity and brotherhood that my experience in American had led me to believe never could exist between the white and non-white..."(1)

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

It is true thou wilt not be able to guide every one whom thou lovest; but Allah gudies those whom He will and He knows best those who receive guidance. (28:56)

On February 21, 1965, while addressing an OAAU rally in New York City, Malcolm was assassinated by men allegedly connected with the black Muslims. The complete autobiography of this great Muslim leader, The Autobiography of Malcolm X (1965) was written by Alex Haley based on interviews with Malcolm X.

He affected the whole Muslim generations and the shaping of Islam in North America, though his effect was not due to his vast knowledge nor exceptional Islamic practices, yet his understanding of the true essence of Islam and his dedication to Da'wah placed him in such immanent position. Al Hajj Malik El Shabazz, as he declared himself after his return from the sacred Hajj trip reoriented the understanding of many African Amnerican Muslims who embraced Islam and projected their racially focused visions on their Islamic prospective. On 4 September 1964, the Muslim World League commissioned him as an official Muslim "preacher" to the United States. Because of his tireless efforts for the cause of Islam, Alhamdullilah, hundreds of thousands were introduced to Islam for the first time in North America through his autobiography, recorded speeches or personal contact. Determining an individual's impact on his environment is a subjective exercise at best. However, the brief Muslim life of Malcolm affords him the status of being one of the foremost Muslims produced in the West. Courage, Vision and Sincerity. These terms have become almost synonymous with Malik Shabazz. Muslim leadership for the 21st century especially in the West must copy his model of sincerity and dedication.

You Must Know This Man
The African American Muslim Leader
Malcolm X

By : Hadeer Refat Abo El Nagah

Many of the Muslims around the world may have heard the Name Malcolm X, but very Few know about the personality and the leadership of this American Muslim hero who was assassinated in the mid sixties. The African American Muslim Leader Malcolm X (1925 - 1965), is some how responsible for the revival of the faith of Islam in the second half of this century. He was born in Omaha, Nebraska, as Malcolm Little. Malcolm's father, a Baptist minister, was an outspoken follower of Marcus Garvey, the black nationalist leader of the 1920s. The family moved to Lansing, Michigan, and when Malcolm was six years old, his father was murdered after receiving threats from the Ku Klux Klan. Malcolm's mother suffered a nervous breakdown and the eight children were taken by the welfare department. Malcolm was sent first to a foster home and then to a reform school. After the eight grade, Malcolm moved to Boston, Massachusetts, where he worked at various jobs and eventually became involved in criminal activity. In 1946 he was sentenced to prison for burglary. While in prison, Malcolm became interested in the teachings of Elijah Muhammad, the leader of the black Muslims, also called the Nation of Islam.

﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

Wherewith Allah guideth all who seek His good pleasure to ways of peace and safety, and leadeth them out of darkness, by His Will, unto the light, guideth them to a Path that is Straight. (5: 16)

Malcolm spent his time in jail educating himself and learning more about the black Muslims, who advocated racial separation. When Malcolm was released in 1952, he joined a black Muslim temple in Detroit, and took the name Malcolm X. In 1958 he married Betty Shabazz, and they had six daughters.

In 1964 Malcolm made a hajj (pilgrimage) to the Islamic holy city of Mecca, Saudi Arabia. Based on this trip, and other travels to Egypt, Africa and Europe, he renounced his previous teaching that all whites are evil, began advocating racial solidarity, and adopted the Arabic name El-Hajj El-Shabazz. He wrote after his return : "There were tens of thousands of pilgrims, from all over the world. They

الفهـرس

AL-AZHAR MAGAZINE
Jumada Al- Akhera 1421 H.

ENGLISH SECTION
Sep. 2000

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

الأزهر

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
صفر ١٤٢٧هـ - مارس ٢٠٠٦ - الجزء «٢» السنة «٧٩»

هدية العدد
ملاحظات علمية على كتاب
المسيح فى الإسلام

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا



بسم الله الرحمن الرحيم

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام

الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً - الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً

أوربا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

صفر ١٤٢٧هـ - مارس ٢٠٠٦م - الجزء الثانى - السنة التاسعة والسبعون

افتتاحية العدد

جريمة الاغتصاب تحتاج إلى عقوبة صارمة

تتوالى حوادث الاغتصاب الشنيعة على نحو يدعو إلى الحسرة والغيظ، وتكرر الصحف نشر أنبائها المزعجة وكأنها أخبار طبيعية لا نشاز فيها ولا عجب، ولم نر من رجال القانون والاجتماع من عقدوا الندوات لتشريح أسبابها، ووضع الطرق القانونية لتلافيها، لأن الأحكام التى تصدر فى هذه الجريمة الشنعاء فى حاجة إلى تعديل جوهرى يجعلها ذات حسم فى القضاء على هذا البلاء المريع، ومن أغرب ما تقع فيه الصحافة من أخطاء فى تناول هذه الظاهرة الأليمة أنها ترسل مندوبيها لاستطلاع آراء الجمهور، فلا يختارون ذوى الكفاية من رجال القانون والإصلاح الاجتماعى، والوعى الدينى، بل يسجلون كل كلام يُقال، ومن هؤلاء من يخلطون الحق بالباطل، فيزعمون أن الجريمة قد تكون مشتركة بين الجانى والمجنى عليها، ومن يزعمون أن العلاج أن يتزوج الجانى بالمغتصبة كى لا يحتقرها الناس، ومن يزعمون أن تعقد مسائل الزواج هى التى تدفع إلى هذا الجُرم، وصاحبه معذور، إلى آخر هذه الخزعبلات التافهة التى يجب أن يُبصق عليها بمجرد سماعها، لا أن تكتب وتسجل وتنشر على الناس، وليست الصحافة هى المنقودة وحدها فى هذا المجال فإن القنوات الفضائية قد أحدثت بدعة الاستماع إلى بعض العامة فيما يدور من النقاش، وقد يكون المتكلم شاذاً ضعيف الفكر فيأتى تليفونيا بما يستنكر، ويقابل بالشكر من مديرة الندوة التى لا ترتفع إلى المستوى اللائق، بدل أن تصحح أخطاء المتكلم، أو يتولى التصحيح أحد المنتدين، أذكر أن ندوة كانت تتحدث عن التطرف، ففوجىء المستمعون بمن يتحدث فيتهجم على الإمامين أحمد بن حنبل وابن تيمية وينسب لهما كل منكر، وكان من الواجب أن يوصد الحديث معه دون استرسال، ولكن صاحبة الندوة شكرته، ومن معها من المتحدثين لم يعقبوا بما يدفع الباطل، وهكذا تشترك الصحافة والتليفزيون فى بلبلة الأفكار، وبَدَل أن نهتدى إلى رأى صائب فى مثل مسألة الاغتصاب! نبحث عن التبرير ووجوه الاعتذار لمن؟ للمجرم الأثيم.

نريد تعديلا جوهريا وعقوبة رادعة

قلت إن الأحكام التي تصدر في هذه الجريمة في حاجة إلى تعديل جوهري، لأن القضاة ملزمون بما لديهم من القوانين التي قد تكون مناسبة حين سنت في زمان لم تنتشر فيه هذه المأساة على ما نراه الآن من ذيوعها المروّع، فإن شيوع الاغتصاب على هذا النحو المفزع يدعو المشرّع إلى النظر في عقوبة رادعة تحد من هذا البلاء، وقد قرأت أن ثلاثة من المجرمين قد اغتصبوا فتاة مسكينة، وحُكم على كل منهم بثلاثة أعوام، والمضحك المبكى في هذه المأساة، أن المحكوم عليهم قد فرحوا فرحاً شديدا بما جوزوا به، وقد قال أحدهم إنه سيجد الطعام والمأوى في السجن، بدل أن يرهق نفسه في العمل الكادح كي يقوّت نفسه ! وهو قول لا يجب أن يمر هيناً دون نظر، فالمجرم الفاجر قد اعتبر الجريمة مغنماً لا مغرماً ومثله من العاطلين من يسمع هذا العبث البغيض، وقد ضاقت به سبل العيش، فيلجأ إلى الاغتصاب مُرحباً بعقوبته التي تتيح له القوت ثلاثة أعوام، وهنا تكون البطالة التي انتشرت على هذا النحو المفزع سبباً من أسباب الفجور، كما يكون الجزاء القانوني من الهوان بحيث يصبح نعمة لا نقمة في رأى أوشاب فقدوا الكرامة الإنسانية، ولم يعد للرأى العام في نظرهم أدنى اعتبار !

والذين يستنكرون حد الزنى في الشريعة الإسلامية ويرونه قسوة فظيعة لا تناسب مدنية العصر، في حاجة إلى أن ينظروا عاقبة السهولة المفرطة في تخفيف العقوبات، وما أدى إليه هذا التخفيف من اللامبالاة ! وأنا أرى أن عقوبة المغتصب لا تقف عند حد الزنا فقط بل تندرج في عقوبة الفساد العام الذى قال الله في شأنه :

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(المائدة : ٣٣)

لأن المجرم المفسد الذى يهجم على المنزل، فينهب المال بسيف البغى، أقل خطراً من الذى يهجم على الفتاة المسكينة فيستل شرفها بطشاً وعدواناً، وكل رجل يهون لديه أن يفقد ماله، ولا يهون لديه أن يفقد عرض ابنته أو زوجته أو أخته ! ! وإذن فالنظر في سن عقوبة رادعة ذات بطش وشدة هو أول ما يجب أن يقوم به المشرّع دفعاً صارماً لهذا البلاء !

الشاويش.. و.. خفير الدرك

إن جرائم الاغتصاب قد أحدثت فزعاً هائلا في المنازل، فكثير من الآنسات والسيدات وبخاصة ساكنات الضواحي في العواصم المصرية لا يخرجن من المنازل بعد الغروب، وقد يكون الخروج

ضروريا، فتضطر الفتاة إلى أن تصحب أخاها أو والدها اتقاءً لشر يتوقع، والاستقرار النفسى فى مثل هذا الجو لا يتم على وجه ما، وقد كان الشارع المصرى قبل هذا العهد الثورى لا يخلو من (الشاويش) الذى يقطعه رائحاً غاديا ليحفظ أسباب الأمن، كما أن (خفير الدرك) فى الريف كان يقبع فى الشارع ليليا، فإذا رأى شبحا قادما من بعيد، صاح (مين اللى جاى) وكان للشاويش المدنى، والخفير الريفى أثرهما فى ضبط الأمن، وتعقب اللصوص من ذوى الإجرام، وأنت تسأل عنهما الآن فلا تجد! بل تجد ما يؤلمك حين ترى الاهتمام بشخوص من الحكام يتقدمهم الحرس مباهاة، واستعلاء ولا من موجب لهذه الزفة غير التعاظم وإشباع الرغبات الصغيرة ثم انتقل الأمر إلى الأثرياء فأصبح لكل منهم حرس خاص دون موجب! أمّا الشارع المصرى فقد فقد الحارس الذى ظل يصحبه من عهد الاحتلال الإنجليزى حتى شاهدناه فى سنى الدراسة، ونحن نطالب الآن برجوع الشاويش والخفير كما كانا من قبل حفظاً للنظام كما يقول التعبير الإدارى! ولا شك أن وجودهما قد يمنع كثيرا من الجرائم! ولو وجد الشاويش فى الشارع ما اضطر كثير من الآباء أن يصحبوا بناتهم المدرسات حين يخرجن فى الساعة السادسة إلى المدارس حتى يركبن الأتوبيس آمنات! وقد يكون الأب شيخا يدب على العصا، ولكن خوفه يدعوه إلى التضحية والعناء!

ولا يخفى على الكثيرين أن نسبة هائلة من حوادث الاغتصاب لا يعلن عنها، إذ يؤثر ولى الأمر المسكين أن يتجنب ما يسميه بالفضيحة، ويعمل على مداواة الجرح قدر ما يستطيع، ويتحول المنزل إلى مأتم صامت، بل إن المأتم الخاص بالميت، يجد أصحابه التنفيس بالصراخ والبكاء، وتلقى العزاء، أما هذا المأتم فيرين على أصحابه وجوم قاتل، وتتساقط دموع الأب والأم، والضحية، وكأنها نيران تلذع الخدود، ومن يعرف من أقرب الخلصاء يأتى ليشارك فى الصمت والبكاء! فكيف تهوى بنا الحياة إلى هذا الشقاء.

حل خاطىء

وبعض ضباط الشرطة بنيّة طيبة، وسَعى برىء، حين يجد المجرم ذا قدرة على الكسب، ويستطيع أن يعول زوجة، وينفق على منزل، يَرى أن يُعالج الجانى سُوء ما ارتكب، فيقترح عليه أن يعقد قرانه بالضحية، كما يقترح على الأب المتأزم أن يرضى بهذا الوضع، فإذا تم ذلك أوصد المحضر، فلا ينتهى الأمر للنيابة، وهذا الحل خاطىء مخطىء تماما، لأن الجانى برضاه السريع يحاول أن يفلت من العقاب، ويراها حيلة تنقذه قبل أن تنقذ مستقبل الضحية المسكينة، ومثله فى انحدار خلقه الذى دَفَعه بدءاً إلى هذا الشر الوبىء لن يرعى حرمة الزوجية، فسرعان ما يتنمّر بالزوجة، ويحتسبها مجرمة وهو الذى أوقع بها الشر لعجزها عن دفعه، وآفة الآفات أن تنعكس الأوضاع فيتحوّل المجرم الحقيقى فى نظر نفسه إلى شهم ذى تضحية يتحمل عبئًا فُرض عليه، وولى الأمر فى ساعة ضعف يقع فى حيرة تضطره اضطرارا إلى قبول ما

يشق على نفسه درءاً لألسنة الناس ! وما أقسى هذه الألسنة التى تتلذذ بإذاعة الفاحشة ولا ترحم الجناح الكسير حين نفترض افتراضات بغيضة تحيك الأوهام، وهذا بعض ما عناه الله عز وجل حين قال :

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾

(النور: ١٦)

فليتأكد كل من يحاول أن يرأب الصدع بهذا الزواج المتعجل، أنه لم يرأب صدعًا، بل عمل على اتساع الهوة مستقبلا، وأن الخير كل الخير فى أن يلاقى الآثم عقابه، ويكون عبرة واضحة لمن يحاول أن تزل قدمه فى هذه الوهدة السوداء، وأنا أثق جيداً أن الزوجة حين توافق مرغمة على هذا الاقتراح إنما تحاول النجاة من مأزق ارتطمت فيه، وهى فى أعماقها تكن من الغل الحاقد ما يشتعل ناراً فى أعماقها، كراهةً لهذا الوحش الذى افترسها معنويا، فقضى على آمالها الزاهية فى مستقبل كريم وبيت سعيد بنى على تقوى من الله ورضوان، ولم يتأسس على شفا جرف هار، وقد يكون هذا الحل مقبولاً إذا كان الأمر فى مبدئه يمثل زناً برضا الطرفين، حين تفقد الأعصاب اتزانها، فتحدث الجريمة ثم يتضح هولها بعد التنفيذ، فيكون الزواج العاجل حلاً ضرورياً وكلمة ضرورى هنا تعطى الكثير من المعانى المستترة التى لو تكشفت لعبّرت عن ألم مرير..

فتوى للدكتور نصر فريد واصل

ولى أن أتعرض بعد هذا الطواف السريع بالمأساة الأليمة، إلى أمر هام خاض فيه الخائضون دون اتئاد، وهو الحديث عن (العذرية) التى يقوم بها بعض الأطباء لهذه المسكينة لتعيد البكارة المنتهكة إلى من ساءها الحظ بفقدها عن طريق الإكراه، فقد وُجه سؤال بشأنها إلى صديقى الكبير الدكتور نصر فريد واصل المفتى الأسبق للجمهورية فأفتى بإباحة استكمال العذرية من جديد على يد طبيب موثوق فى أمانته وخلقه، وصَادفَ أن كنت جالساً بجواره فى مجمع البحوث الإسلامية عقب ذيوع هذه الفتوى فأيدته تأييدا قويا. لأن الرجل الحصيف قدر ملابسات الجريمة الشنعاء، وما نزل بالضحية المسكينة من هول لا طاقة لها باحتماله، فرأى أن يبرىء جراح هذه المنكوبة، فَيهدىء من روعها بإباحة ما يحفظ عليها كرامتها، ويصون ماء وجهها أمام بَلوى فادحة لم تكن مختارة فى حدوثها ثم كَتَبت بجريدة (صوت الأزهر) مقالاً بهذا الشأن قلت فيه: «إنه اهتدى بروح الإسلام الداعية إلى وجوب ستر المآثم، وحجب العورات مواراة للفضائح التى يُولع السفلة بترديدها، ورسول الإسلام ﷺ يقول: «من سَتر مسلما ستره الله يوم القيامة»[1]،

(١) صحيح مسلم ج٤/١٩٩٦، كتاب البر والصلة والآداب، ط دار إحياء الكتب العربية.

كما أن الذين يحبّون أن تذيع الفاحشة يَجدون لذاذة بغيضة فى إذاعة ما أمر الله بستره، وليست إذاعة الفاحشة سوى سهام يتكرر تسديدها دون رحمة بإنسان مفجوع، وما كنت أظن مفكراً من ذوى الخلق الاجتماعى الرصين يُبيحُ لنفسه أن يجهر بمعارضة الفتوى، ويشتد فى المعارضة وكأنه أمام رأى شديد الخطورة سيحدث زلزالا فى دنيا الأخلاق، وكل الأدلة الموهومة التى تشدّق بها هؤلاء المفكرون -وهم أكثر من واحد- أن العذرية فى صميمها نوعٌ من الغش والتدليس لأنه يخالف الواقع وفيه تغرير بالزوج القادم الذى يعتقد عذرية زوجته وهى فى واقعها غير ذلك، وقد نَسى هؤلاء أن لكل حكم من الأحكام الجائزة فى الغالب الأعم منافع كثيرة، مع مآخذ يتجاوز عنها، نظراً لما يُرجَى من نفع يهون لديه كل مأخذ، فإذا أباح الشارع للمضطر أن يأكل الميتة حفظا لحياته، فلن يقول قائل أن الميتة ذات جراثيم ضارة، وقد تودى بحياة الآكل فلا يجوز أن يأكلها، وإذا أباح الشارع الفطر للمسافر فى رمضان، فلن يقول قائل إن فى ذلك استهانة بالشهر الكريم، وتشجيعا على العبث بفريضة الصوم، وهى من قواعد الإسلام الخمس، وهكذا يستطيع كل متسرع أن يجد منفذا يتعلل به مدّعيا أنه وحده صاحب الرأى الصحيح، وكان عليه أن يُوازن بين نفعٍ كثير، وضرر قليل حرصاً على سعادة أسرة منكوبة داهمها القدر الفاجع بما لا طاقة لها باحتماله، فهى تتطلب النجاة من أيسر طريق.

المسلم للمسلم كالبنيان

وأذكر أنى قلت فى مقالى المشار إليه ما نصه «وأنا أسأل من يجاهر بتحريم هذا الحل الصائب المريح أن يفترض افتراضا أن هذا البلاء قد نَزَل بإحدى قريباته الدانيات، وأنه وجد نفسه أمام كارثة فادحة بين عشية وضحاها، بل أمام عُقدة معضلة من الممكن أن تحل ببعض الأعمال، أكان فى موقفه الضائق يميل إلى تحريم العذرية أم أن عواطفه الحميمة تدفعه إلى هذه العملية المنقذة، بل إلى استدعاء الطبيب الأمين فى أسرع وقت يتاح، كيلا يطول أَمَد المأساة! إنى لأستحلف بالله هؤلاء الذين فتحت لهم الصحف أبوابها فصالوا فى غير مصال، وأبدوا من الغيرة الموهومة مالم يبدوه فى مواقف تتطلب الغيرة الحقيقية رعايةً لبعض الاعتبارات التى توجب فى رأيهم الانحناء، استحلف بالله هؤلاء أن يفترضوا أن الكارثة قد حلت بساحتهم، فهل سيظلون متمسكين بما يرجمون، لقد جَهلوا أن المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا، وأن علينا جميعاً أن نقف مع المصاب المفجوع دون أن نتفنن فى وضع العراقيل!

ثم أنى أسأل من يتشدقون بمسألة التغرير بالزوج القادم، أسألهم عن أى خديعة تُستنكر فى ستر مأساة وقعت إكراهاً دون اختيار، قد يكون التغرير معقولاً إذا كان الفتاة متدنيّة عدة مرات فى سلوكها، وأنها اقترفت العمل عن طوع، وهى فى أتم حالات الرضا والقبول، ثم حاولت أنْ تستر

فجورها لتأخذ سمة العذراء، فى هذه الحالة قد يكون للتغرير معناه على أنى أخاف أن أفاجىء القارىء برأى قد يستنكره ولا يرتضيه، وهو أن الضعف الإنسانى لا يخلو منه أحد، إنما يتفاوت دائما قوة وضعفا، وقد تزل فتاة برضاها تحت تأثير خديعة إنسان عابث أوهمها بالزواج العاجل ثم نكص على عقبيه لدناءة فى سلوكه، هذه لا تقاس بالمبتذلة التى خلعت برقع الحياء أكثر من مرة، أما الأولى فإذا أدركها الندم اللاذع، ولجأت إلى «العذرية» فذلك أيضاً ستر كريم، والله يعفو عن كثير!

وأُجابهُ المعترضين على فتوى الدكتور نصر فريد فأقول: أتريدون أن تبقى هذه المسكينة المغتصبة طيلة حياتها عانساً لا تجد الزوج؟! إنها لَو لم تتدارك الأمر بهذه العذرية لكانَ ذلك موتاً معنويّا لها، ثم إن الذين يريدون إعلام الزّوج بما كانَ واهمون مخدوعون، لأنّه إذا علم فَلَنْ يَخْلُو الأمر من شيئين، إما أن ينصرف عن المسكينة، وهذا هو المتوقع فتزدادُ حسرةً وألماً، وإمّا أن يُوافق فيكون حَادثها المشئوم نقطة ضعف تُحسب عليها، وتظّل مهدَدة بتحقيره وازدرائه، ونحن فى عصر انتشرت فيه بواعث الخلاف بين الزوجين لأوهى الأسباب وكلاهما مُمَتّعٌ بحسن سلوكه، وطهارة ماضيه، فما ظنك بخلاف يقع -ولابد أن يقع- بين زوجة عاكسها الحظ، وزوج متعاظم يفكّر فى ماضيها قبل أن يفكر فى حاضرها المستقيم، وهو يُشعرها بما يجرح مشاعرها كناية وتعريضا، إنها فى هذه الحالة ستكون أسيرةً لا طليقة، ومُقصّرة فى رأيه مهما أبدت من علائم الطاعة والإخلاص.

ندوات حقوق المرأة!!

ثم أنى أعجب من ندوات السيدات المشتغلات اليوم بما يسمى (حقوق المرأة) تلك الندوات المظهرية التى تتم للوجاهة الكاذبة فى أكثر دوراتها، وتعلن عنها الصحف وكأنها قامت بإنجاز حقيقى لا بادعاء مظهرى، هذه الندوات لم تتحدث أبداً عن مأساة الفتاة المغتصبة وما موقف المجتمع منها، وكيف يُردّ لها اعتبارها إذا أجبرت على ما تكره! وإنما اتجهت فى أكثر أمورها للمناصب البراقة والأمانى الخادعة، وقد قالت إحداهن فى بعض أحاديثها: إنها لاتهدأ حتى ترى كل امرأة جاهلة أو متعلمة تحمل بطاقة انتخاب، ولو رأت آلاف الفقيرات اللاتى لا ينلن رغيف الخبز إلا بعناء مرير، لقالت إنها لا تهدأ حتى ترى كل امرأة تحمل بطاقة تموين! ولعلها لم تر ضحايا الفقر من هؤلاء يبحثن فى القمامات عن لُقمة خبز لاَ عن بطاقة انتخاب!

نحن نريد للمرأة الأمن قبل كل شىء، الأمن إذا كانت خائفة. والطعام إذا كانت جائعة، والرحمة إذا كانت خادمة، والإنصاف إذا كانت عاملة، أما بطاقة الانتخاب، ومجالس النيابة والوزارة والقضاء، فهذا يأتى بعد الضروريات الملحة، وإلا فنحن نصنع الحذاء اللامع البراق لمقعدٍ كسيح!

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾

الآيات: ٩٣ : ٩٥

ذكر بعض المفسرين أن النبى ﷺ قال لليهود فى معرض مناقشته لهم: «أنا على ملة إبراهيم» فقال بعض اليهود: كيف تدعى ذلك وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها؟ فقال النبى ﷺ: «كان ذلك حلالا لإبراهيم فنحن نحله» فقالوا: كل شئ أصبحنا اليوم نحرمه فإنه كان محرما على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا، فأنزل الله هذه الآيات تكذيبا لهم»"[١]".

والطعام: مصدر بمعنى المطعوم، والمراد به هنا كل ما يطعم ويؤكل.

وحلا: مصدر أيضا بمعنى حلالا، والمراد الإخبار عن أكل الطعام بكونه حلالا، لا نفس الطعام، لأن الحل كالحرمة مما لا يتعلق بالذوات.

وإسرائيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ

(١) تفسير الآلوسى ج٤ ص٣ - بتصرف يسير.

عليهم الصلاة والسلام ـ.

والمعنى: كل أنواع الأطعمة كانت حلالا لبنى إسرائيل قبل نزول التوراة إلا شيئا واحدا كان محرما عليهم قبل نزولها وهو ما حرمه أبوهم إسرائيل على نفسه، فإنهم حرموه على أنفسهم اقتداء به، فلما أنزل الله التوراة حرم عليهم فيها بعض الطيبات بسبب بغيهم وظلمهم.

هذا هو الحق الذى لا شك فيه، فإن جادلوك يا محمد فى هذه المسألة فقل لهم على سبيل التحدى: أحضروا التوراة فاقرءوها ليتبين الصادق منا من الكاذب، إن كنتم صادقين فى زعمكم أن ما حرمه الله عليكم فيها كان محرما على نوح وإبراهيم ـ عليهما الصلاة والسلام.

فالآية الكريمة قد تضمنت أموراً من أهمها:

● أولاً: إبطال حجتهم فيما يتعلق بقضية النسخ، إذ زعموا أن النسخ محال، واتخذوا من كون النسخ مشروعا فى الإسلام ذريعة للطعن فى نبوة النبى ﷺ فدحض القرآن مدعاهم وألزمهم الحجة عن طريق كتابهم.

ولذا قال الإمام ابن كثير: الآية مشروع فى الرد على اليهود، وبيان بأن النسخ الذى أنكروا وقوعه وجوازه قد وقع، فإن الله ـ تعالى ـ قد نص فى كتابهم التوراة أن نوحا ـ عليه السلام ـ لما خرج من السفينة أباح الله له جميع دواب الأرض يأكل منها، ثم بعد هذا حرم إسرائيل على نفسه لحوم الإبل وألبانها فاتبعه بنوه فيما حرم على نفسه، وجاءت التوراة بتحريم ذلك، وبتحريم أشياء زيادة على ذلك ـ عقوبة لهم بسبب بغيهم وظلمهم وهذا هو النسخ بعينه»[٢].

وقد صرح ابن كثير وغيره من المفسرين أن ما حرمه إسرائيل على نفسه هو لحوم الإبل وألبانها، وبذلك جاءت بعض الروايات عن النبى ﷺ وكان تحريمه لها تعبدا وزهادة وقهرا للنفس طلبا لمرضاة الله ـ تعالى.

وقيل إن ما حرمه على نفسه هو العروق روى ذلك عن ابن عباس والضحاك والسدى موقوفا عليهم.

قالوا: كان يعتريه عرق النساء وهو عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ويسبب آلاما شديدة ـ فنذر إن عوفى منه لا يأكل عرقا، فلما شفاه الله ترك أكل العروق وفاء بنذره.

ثانيا: تضمنت أيضا تكذيبهم فى دعواهم أن ما حرم عليهم لم يكن سبب تحريمه ظلمهم أو بغيهم، وإنما كان محرما على غيرهم ممن سبقهم من الأمم.

وقد وضح هذا المعنى صاحب الكشاف فقال: «وهو ـ أى ما اشتملت عليه الآية ـ رد على اليهود وتكذيب لهم، حيث أرادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾
(النساء/ ١٦٠)

وحيث أرادوا جحود ما غاظهم بسبب ما نطق به القرآن من أن تحريم الطيبات عليهم كان لأجل

---

(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص٣٨٢ - بتصرف وتلخيص.

بغيهم وظلمهم فقالوا : لسنا بأول من حرمت عليه هذه الأشياء ، وما هو إلا تحريم قديم ، كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعده من بنى إسرائيل وهلم جرا ، إلى أن انتهى التحريم إلينا ، فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا .

وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغى والظلم والصد عن سبيل الله وأكل الربا وما عدد من مساويهم التى كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم الله عليهم نوعا من الطيبات عقوبة لهم» «٣» .

● ثالثاً : تضمنت الآية كذلك أمراً من الله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ بأن يتحداهم بالتوراة ويبكتهم بما نطقت به ، وذلك بقوله ـ تعالى ـ فى الآية الكريمة

﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

فكأنه ـ سبحانه ـ يقول لهم : مادمتم ـ يا معشر اليهود ـ قد زعمتم أن ما حرم عليكم بسبب بغيكم وظلمكم ليس تحريما حادثا ، وإنما هو تحريم قديم على الأمم قبلكم ، فها هى ذى التوراة قريبة منكم فأحضروها واتلوها بإمعان وتدبر إن كنتم صادقين فى مدعاكم .

والتعبير بـ﴿ أنَّ ﴾ يشير إلى عدم صدقهم ، لأنها تدل على الشك فى الشرط .

أى : هم ليسوا صادقين فيما يزعمون ، ولذلك لا يتلون ولا يقرؤون ، ولو جاءوا بها لكانت مؤيدة لما أخبر به القرآن الكريم ، ولذلك لم يجسروا على إخراج التوراة ، وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفى ذلك الحجة البينة على صدق النبى ﷺ .

وقوله :

﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾

مستثنى من اسم كان ، والتقدير : كل الطعام كان حلالا لبنى إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه فإنه قد حرم عليهم فى التوراة ، وليس منه مازادوه من محرمات وادعوا صحة ذلك .

ثم توعدهم ـ سبحانه ـ على كذبهم وجحودهم فقال ـ تعالى ـ

﴿ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

افترى : من الافتراء وهو اختلاق الكذب ، وأصله من فرى الأديم إذا قطعه ، لأن الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له فى الوجود .

أى : فمن تعمد الكذب على الله ـ تعالى ـ بأن زعم بأن ما حرمته التوراة على بنى إسرائيل من المطاعم بسبب ظلمهم وبغيهم ، كان محرما عليهم وعلى غيرهم قبل نزولها ، فأولئك الذين قالوا هذا القول الكاذب هم المتناهون فى الظلم : المتجاوزون للحدود التى شرعها الله ـ تعالى ـ ، وسيعاقبهم ـ سبحانه ـ على هذا الظلم والافتراء عذاباً أليما لا مهرب لهم منه ولا نصير .

والفاء فى قوله ﴿ فَمَنِ افْتَرَىٰ ﴾ للتفريع ، و﴿ مَن ﴾ يحتمل أن تكون شرطية وأن تكون

---

(٣) تفسير الكشاف ج١ ص٣٨٥.

موصولة، وقد روعى فى الآية الكريمة لفظها ومعناها.

وقوله ﴿ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾ متعلق بافترى، واسم الإشارة ذلك يعود إلى أمرهم بإحضار التوراة وما يترتب عليه من قيام الحجة وظهور البينة.

واسم الإشارة «أولئك» يعود إلى ﴿ مَنِ ﴾ وهو عبارة عن هؤلاء اليهود الذين جادلوا النبى ﷺ بالباطل وافتروا على الله الكذب.

ويحتمل أن يكون المشار إليه وهو «من» عاما لكل كاذب ويدخل فيه اليهود دخولا أوليا.

وقد أكد الله - تعالى - وصفهم بالظلم بضمير الفصل الدال على أنهم كاملون فيه وموغلون فى اقترافه والتمسك به.

ثم أمر الله - تعالى - نبيه ﷺ أن يدعوهم إلى اتباع ملة إبراهيم إن كانوا حقا يريدون اتباعها فقال - تعالى -:

﴿ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ ﴾

أى: قل - يا محمد - لهؤلاء اليهود الذين جادلوك بالباطل ولكل من كان على شاكلتهم فى الكذب والظلم، قل لهم جميعا: صدق الله فيما أخبرنا به فى قوله - تعالى -

﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ ﴾

وفى كل ما أخبرنا به فى كتابه وعلى لسان رسوله وأنتم الكاذبون فى دعواكم.

وإذا كنتم تريدون الوصول إلى الطريق القويم حقا ﴿ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ ﴾ أى فاتبعوا ملة الإسلام التى عليها محمد ﷺ وعليها من آمن به، فهم المتبعون حقا لإبراهيم - عليه السلام - وهم أولى الناس به، لأن إبراهيم ما كان يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما.

أى كان متجها إلى الحق لا ينحرف عنه إلى غيره من الأديان أو الأقوال أو الأفعال الباطلة.

وكان مسلما، أى كان مسلما وجهه لله، مفردا إياه بالعبادة والطاعة والخضوع ثم نفى الله - تعالى - عن إبراهيم كل لون من ألوان الشرك بأبلغ وجه فقال: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾

أى ما كان إبراهيم فى أى أمر من أموره من الذين يشركون مع الله آلهة أخرى، وإنما كان مخلصا عبادته لله وحده.

وفى ذلك تعريض بشرك اليهود وغيرهم من أهل الكفر والضلال، وتنبيه إلى أن النبى ﷺ وأتباعه هم المتبعون حقا لإبراهيم، فقد أمر الله - محمداً ﷺ أن يسير على طريقة أبيه إبراهيم فقال:

﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾

«النحل: ١٢٣»

وبذلك نرى أن الآيات الكريمة قد حكت قضية من القضايا الكثيرة التى جادل اليهود فيها النبى ﷺ، وقد لقنت الآيات النبى ﷺ الجواب الذى يخرس ألسنتهم، ويكشف عن كذبهم وافترائهم وظلمهم، ويرشدهم ويرشد كل من يتأتى له الخطاب إلى الملة القويمة إن كانوا حقا يريدون الاهتداء إلى الصراط المستقيم.

السنة

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام البخارى فى صحيحه -كتاب الزكاة- أن حكيم بن حزام «رضى الله عنه» قال: (سألت رسول الله «ﷺ» فأعطانى، ثم سألته فأعطانى، ثم سألته فأعطانى، ثم قال: «يا حكيم ان هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذى يأكل ولايشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى» قال حكيم: فقلت يارسول الله والذى بعثك بالحق، لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا. فكان أبوبكر «رضى الله عنه» يدعو حكيما إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه ثم إن عمر «رضى الله عنه» دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئا فقال عمر: انى أشهدكم يامعشر المسلمين -على حكيم- أنى أعرض عليه حقه من هذا الفىء، فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفى).

التعريف بالراوى

هو حكيم بن حزام بن خويلد القرشى الأسدى ابن أخى أم المؤمنين خديجة «رضى الله عنها» وابن عم الزبير بن العوام «رضى الله عنه» ولد فى الكعبة وهو من مسلمة الفتح وكان من أشراف قريش ووجوهها فى الجاهلية والإسلام

وكــان من المؤلفــة قلوبهــم أعطاه رســول الله ﷺ يوم حنين مــائة بعــيــر ثم حــسن إسلامـه وكـان مولده قـبل الفـيل بثـلاث عــشــرة سنة على اختـلاف فى ذلـك ولـم يصنع شيـئـا من المعروف فى الجاهلية إلا وصنع فى الإسـلام مـثله وكـان جـوادا. روى عنه ابنـه حزام، وابن المسيب، وابن سيرين، وغيرهم. عمى قبل موته ووصى إلى عبدالله بن الزبير «رضى الله عنهما» توفى سنة أربع وخــمــسين وقــيـل: سنة ثمـان وخمسين عن مائة وعشرين عـامـا رضى الله عنه.

اللغــويــات

المال: المراد بـه الـدنيــا، ولـذلك أنـث الخبر «خضرة حلوة».

بسخـاوة نفس: بغير شـره، ولا إلحاح فالمراد: زهد النفس.

بإشــراف نفس: بتطلع إليـــه وذلة بسؤاله الناس.

كـالذى يأكل ولا يـشبع: الذى يسمى جـوعــه كـذابا، لأنه من علة به وسـقم، فكلما أكل ازداد سقما، ولم يجد شبعا.

اليـد العليـا: المعطيـة المنفـقـة، اليـد السفلى: الآخذة.

لا أرزأ أحــدا: لا أصـــيب من مـــالـه بالطـلب منه، ولا أنـقـصـه شيـئــا، ويؤيد ذلك رواية لإسحــاق: «قلت: فـوالله لا تكـون يدى بعـــدك تحت يدٍ من أيدى العرب» يقـول ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى: «وإنما امتنع حكيم من أخذ العطاء مع أنه حقه لأنه خشى أن يقبل من أحد شيئـا فيعتاد الأخذ فتتجاوز به نفسه إلى ما لايريده ففطمها عن ذلك وترك ما يريبـه إلى مـا لايريبـه وإنما أشهـد عليـه عـمـر لأنـه أراد ألا ينسبـه أحـد لم يعـرف باطن الأمر إلى منع حكيم من حقه».

الـشــرح والبـيــان: أعطى النبى ﷺ حكيم ابن حــزام رضى الله عنه دون مــا أعطى أصحابه فقال حكيم: يارسول الله مـا كنت أظن أن يقـصـر بى دون أحـد من النـاس فـزاده ثم اسـتــزاده حــتـى رضى فــأعطاه الرســول ﷺ درســا فى الزهد يحصل به خيرى الدنيا والآخرة وهو ما ينبغى أن يكون عليه المؤمن وهو أن يقنع بما ســاقــه الله إليــه من رزق فــالقناعـة بالقليل تغنى عن الكثــيــر وفى الرضــا بذلك الأجر الجزيل والخيـر العميم، لأن الله - سـبـحـانه وتعـالى - تكفل بأرزاق العباد ليكون الإنسان غنيا عن الحاجة والافتقار لمخلوق مثله وبالتالى لايحتاج ولايفتقر إلا إلى الله «وحده» قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

(فاطر: ١٥)

فيارب أغننا بالفقر إليك ولا تفقرنا بالاستغناء عنك.

مالى سوى فقرى إليك وسيلة
فبالافتقار إليك رب أضرع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة
فلئن رددت فأى باب أقرع

ألا وأنت القائل:

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾

وقد ذكر الترمذى أن الأشعريين لما هاجروا وقدموا على رسول الله ﷺ وقد أرملوا من الزاد «نفد ما عندهم من طعام» أرسلوا رجلا منهم إلى رسول الله ﷺ يسأله فلما انتهى إلى باب رسول الله ﷺ سمعه يقرأ هذه الآية

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾

(هود: ٦)

فقال الرجل: ما الأشعريون بأهون الدواب على الله، فرجع ولم يدخل على رسول الله ﷺ وقال لأصحابه: أبشروا أتاكم الغوث ولايظنون إلا أنه كلم رسول الله ﷺ فوعده فبينما هم كذلك أتاهم رجلان يحملان قصعة بينهما مملوءة خبزا ولحما فأكلوا منها ماشاءوا، ثم قال بعضهم لبعض: لو أننا رددنا هذا الطعام إلى رسول الله ﷺ ليقضى به حاجته فقالوا للرجلين: اذهبا بهذا الطعام إلى رسول الله ﷺ فإنا قد قضينا منه حاجتنا ثم إنهم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يارسول الله ما رأينا طعاما أكثر ولا أطيب من طعام أرسلت به قال: ما أرسلت إليكم طعاما فأخبروه أنهم أرسلوا صاحبهم. فسأله رسول الله ﷺ فأخبره ما صنع وما قال لهم، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك شىء رزقكموه الله» .. وصدق رب العالمين إذ يقول:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾

(الحجر: ٢١)

أى: حسب حاجات الخلق إليه فكل إنسان منا يأكل رزقه وليس فى استطاعته ولا فى إمكانه أن يأكل رزق غيره فالعجب كل العجب لهؤلاء الذين لايثقون فى الرزاق فيطلبون الرزق استعجالا بالطرق المحرمة غير المشروعة ومن ثم جاء قوله سبحانه:

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾

(الذاريات: ٢٢: ٢٣)

ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول: «قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم بنفسه ثم لم يصدقوه».. أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم عن الحسن البصرى وقال: الأصمعى: أقبلت ذات مرة من مسجد البصرة إذ طلع أعرابى جلف جاف على قعود له متقلدا سيفه وبيده قوسه فدنا وسلم وقال: ممن الرجل؟ قلت: من بنى أصمع قال: أنت الأصمعى؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟! قلت: نعم. قال: فاتل على منه شيئا، فقرأت:

﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴾

(الذاريات: ١)

إلى قوله:

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾

(الذاريات: ٢٢)

فقال: يا أصمعى حسبك ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطعها بجلدها وقال: أعنى على توزيعها ففرقناها على من أقبل وأدبر ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما ووضعهما تحت الرحل وولى نحو البادية وهو يقول:

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾

فمقت نفسى ولمتها ثم حججت مع الرشيد فبينما أنا أطوف إذ أنا بصوت رقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابى وهو ناحل مصفر فسلم علىّ وأخذ بيدى وقال: اتل على كلام الرحمن وأجلسنى من وراء المقام فقرأت:

﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴾

حتى قوله تعالى:

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾

فقال الأعرابى: لقد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا ثم قال: هل غير هذا؟ قلت: نعم «فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون» فصاح الأعرابى وقال: ياسبحان الله! من الذى أغضب الجليل حتى حلف؟! ألم يصدقوه فى قوله حتى ألجأوه إلى اليمين قالها ثلاثا حتى خرجت بها نفسه! ولذا كان رسول الله ﷺ يقول: «لو أن أحدكم فر من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت» (١) سطره القرطبى فى

---

(١) الأثر فى كتاب الكامل جـ٦ / ٢٠٤٥.

تفسيره عن أبي سعيد الخدرى «رضي الله عنه» فمن حل به فقر أو نزلت به ضائقة ولم يسأل مخلوقا وتوجه بحاجته إلى الله «سبحانه» وأخذ يعمل ويجتهد معتمدا على الله «سبحانه» تكفل الله بزيادة رزقه ووضع البركة في معاشه.

روى أبوداود والترمذى عن عبدالله بن مسعود «رضى الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ: «من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته أى: لم ينته فقره ويزداد احتياجا ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك أى: يسرع الله له برزق عاجل أو آجل».. هذا وقد نقل كعب الأحبار من التوراة هذا النص: «يا بن آدم لاتخافن من ذى سلطان مادام سلطانى باقيا وسلطانى لاينفد أبدا. يا ابن آدم لاتخش من ضيق الرزق مادامت خزائنى ملآنة وخزائنى لاتنفد أبدا. يا بن آدم لا تأنس بغيرى وأنا لك فإن طلبتنى وجدتنى وإن أنست بغيرى فُتُّك وفاتك الخير كله، يابن آدم خلقتك لعبادتى فلا تلعب وقسمت لك رزقك فلا تتعب وفى أكثر منه فلا تطمع ومن أقل منه فلاتجزع فإن أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندى محبوبا، وإن لم ترض بما قسمته لك فوعزتى وجلالى لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش فى البر، ولاينالك منها إلا ما قد قسمته لك وكنت عندى مذموما. يابن آدم خلقت السماوات السبع والأرضين السبع ولم أعى يخلقهن أيعيينى رغيف أسوقه لك من غير تعب؟! يابن آدم أنا لك محب، فبحقى عليك كن لى محبا، يابن آدم لاتطالبنى برزق غد، كما لم أطالبك بعمل غد فإنى لم أنس من عصانى، فكيف من أطاعنى وأنا على كل شيء قدير وبكل شيء محيط؟

هذا وقد أوحى الله - تعالى - إلى يوسف «عليه السلام» عندما ألقى فى غيابة الجب: انظر إلى الأرض فنظر إليها فانفجرت فرأى دودة علي صخرة ومعها الطعام فقال له: أترانى لم أغفل عنها وأغفل عنك وأنت نبى وابن نبى؟ وصدق رب العالمين إذ يقول فى كتابه الكريم:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾

(الطلاق: ٢، ٣)

ولكن بعض الناس يحرمون أنفسهم من الرزق الحلال بما يصيبون من الحرام

قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا قد كان هيىء له» رواه ابن أبى حاتم عن عبدالله بن مسعود «رضى الله عنه» ولقد دخل على بن أبى طالب «رضى الله عنه» المسجد وقال لرجل كان واقفا بباب المسجد: أمسك علىّ بغلتى وأخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة فخرج على «رضى الله عنه» وفى يده درهمان ليكافىء بهما الرجل على إمساكه بغلته فوجد البغلة واقفة بغير لجام فركبها ومضى ثم دفع لغلامه درهمين يشترى بهما لجاما فوجد الغلام اللجام فى السوق قد باعه السارق بدرهمين فقال علىٌ «رضى الله عنه»: «إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولايزداد على ما قدر له».

هذا وقد روى أن معروفا الكرخى صلى خلف إمام فلما فرغ الإمام من صلاته قال لمعروف: من أين تأكل؟ قال معروف للإمام: اصبر حتى أعيد صلاتى التى صليتها خلفك قال: ولم؟ قال: لأن من شك فى رزقه شك فى خالقه.. ولقد روى ابن ماجة -واللفظ له- والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم -عن جابر «رضى الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا فى الطلب فإن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب، خذوا ما حلّ ودعوا ما حرم» وفى رواية «فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله، فإن الله لاينال فضله بمعصيته» وأورد الشيخ الألبانى في السلسلة الصحيحة أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليس شىء يقربكم إلى الجنة إلا قد أمرتكم به وليس شىء يقربكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه. إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لاتموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصى الله فإن الله لايدرك ما عنده إلا بطاعته».. وقد جاء فى الحديث القدسى عن الله تعالى: «ما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بى إلا أعطيته قبل أن يسألنى واستجبت له قبل أن يدعونى وما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق دونى إلا أغلقت أبواب السماء عليه».

وقد روى أن رجلا أتى إبراهيم بن أدهم «رحمه الله» فقال: يا أبا اسحاق إنى مسرف على نفسى فاعرض علّى مايكون لها زاجرا ومستنقذا. قال: إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك المعصية ولم توبقك لذة قال:

هات يا أبا إسحاق. قال: أما الأولى فإنك إذا أردت أن تعصى الله «عز وجل» فلا تأكل رزقه، قال: فمن أين آكل وكل ما فى الأرض رزقه؟! قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه؟! قال: لا، هات الثانية. قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئا من بلاده قال: هذه أعظم من الأولى ياهذا إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن؟! قال: أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟ قال: لا، هات الثالثة. قال: وإذا أردت أن تعصيه وأنت تحت رزقه وفى بلاده فانظر موضعا لايراك فيه فاعصه فيه قال: يا ابراهيم ما هذا وهو يطلع على ما فى السرائر؟! قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويعلم ما تجاهر به؟! قال: لا، هات الرابعة، قال: فإذا جاءك ملك الموت يقبض روحك فقل له: أخرنى حتى أتوب توبة نصوحا وأعمل لله صالحا، قال: لايقبل منى! قال: ياهذا، فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك ملك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاءك لم يكن لك تأخير فكيف ترجو وجه الخلاص؟! قال: هات الخامسة قال: إذا جاءك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلاتذهب معهم. قال: فإنهم لايدعونى ولايقبلون منى! قال: فكيف ترجو النجاة إذاً؟! قال له: يا إبراهيم حسبى حسبى، أنا أستغفر الله وأتوب إليه ولزم العبادة والطاعة حتى فارق الدنيا «رحمه الله».

لهذا ولغير هذا ينبغى أن يتوجه كل إنسان منا بحاجته إلى خالقه ومولاه فهو ربنا ونحن عباده ونحن محتاجون إليه فى كل وقت وفى كل حين ومن كان مع الله كان الله معه ومن اتصل بالله وصله الله ومن رغب عنه فلن يضر الله شيئا والله ولىُّ المؤمنين ومن ثم جاء فى وصية رسول الله ﷺ لابن عباس «رضى الله عنهما»: «ياغلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»

بهذا تتصافى النفوس وتستل منها الأحقاد والعداوات فلايحقد مخلوق على مخلوق وكيف لا؟ والكل يعلم أن رزقه

بيد الله وحده وليس فى إمكان بشر أن يحول بينه وبين رزقه ولذلك كان الإمام أحمد بن حنبل «رحمه الله» إمام أهل السنة والجماعة يقول فى دعائه: «اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك، صن لسانى عن المسألة لغيرك، فإنه لايقدر على كشف الضر، وجلب الخير سواك»، وذلك لأن سؤال الناس ذل وخزى وعار ولكن سؤال الله عزّ وشرف وفخار وقد أنشد الشاعر الحكيم:

لاتسألن بنى آدم حاجة
وسل الذى أبوابه لاتحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله
وبنى آدم حين يسأل يغضب

أما ما يأتى الإنسان من غير سؤال ولا تطلع فلا بأس به إن كان محتاجا إليه فإن كان فى غنى عنه قبله شاكرا وتصدق به على الفقراء والمساكين، روى الإمام أحمد والطبرانى والبيهقى عن عابد بن عمرو – رضى الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «من عرض له من هذا الرزق شيء من غير مسألة ولا إشراف نفس فليتوسع به فى رزقه، فإن كان غنيا فليوجهه إلى من هو أحوج منه».

وفى النهاية ينبغى أن يتعفف الإنسان عن المسألة ويتنزه عنها لما فيها من الامتهان والمذلة ومن ذل الرد إذا لم يعط، فاللهم أعطنا ولا تحرمنا وكن لنا ولاتكن علينا، اللهم أغننا بحلالك عن حرامك وبسؤالك عمن سواك وارزقنا الرضا فى كل الأحوال فأنت ولى ذلك والقادر عليه.

وفقنا الله إلى ما يحبه ويرضاه.

❊❊❊

تكريم الإسلام للمرأة

لفضيلة الشيخ/ عمر الديب
وكيل الأزهر الشريف

حظيت المرأة فى الشريعة الإسلامية بمكانة لم تحظ بمثلها فى مجتمع إنسانى ولا فى شرع سماوى من قبل الإسلام ولا من بعده ولا أدل على ذلك من أن القرآن الكريم قد عرض لكثير من شئون المرأة فى أكثر من عشر سور منها سورة النساء الكبرى وهى السورة الرابعة بترتيب المصحف الشريف وسورة النساء الصغرى وهى السورة رقم ٦٥ بترتيب المصحف وهى سورة الطلاق وبعد ذلك عرض للمرأة فى سور أخرى جاءت بأرقام ٢، ٥، ٢٤، ٣٣، ٥٨، ٦٠، ٦٦ وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على مدى الرعاية والعناية بمكانة المرأة..

وقد دأب بعض المستشرقين على توجيه الاتهام للشريعة الإسلامية بأنها تسىء معاملة المرأة وعدم المساواة بين الرجل والمرأة...

ونرد عليهم بما جاء فى دستور الإسلام فى القرآن الكريم يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾

(البقرة: ٢٢٨)

فهل بعد هذا مساواة بين الرجل والمرأة؟

بل إن الإسلام أعفى المرأة من الأعمال الثقيلة والتى أضيفت كلها على عاتق الرجل سواء كان زوجا أو أبا أو إبنا أو أخا، فهؤلاء الذين يرمون الإسلام بعدم المساواة بين الرجل والمرأة اختلت لديهم موازين العدل، أو أنهم يجهلون أحكام الإسلام كما جاءت فى مصدريها القرآن والسنة. وليس عدلا أن يصدر إنسان حكما دون معرفة بالقضية التى يتحدث عنها أو يحكم لها أو عليها.

والإسلام قد حرص فى جميع تشريعاته على منح المرأة كل خير تصلح به وصانها عن كل شىء تفسد به حياتها وإذا بحثنا عما جاء به الإسلام تجاه هذه

القضية لوجدنا :

● أن الإسلام قد صان المرأة عفيفة طاهرة عزيزة غير مبتذلة ولا مستذلة ولا بائعة جسدها ولا معرضة عرضها للغو والعبث ولقد حرم الإسلام على غير الزوج أن يمس المرأة أو أن يخلو بها أو حتى النظر إليها ومن العفة أيضا ستر المرأة جسدها وشرع لها مواصفات الزى الساتر وجاءت مفصلة فى آيتين من كتاب الله الأولى فى سورة النور، وفيها يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾

(النور: ٣١)

والآية الثانية فى سورة الأحزاب وفيها يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

(الأحزاب: ٥٩)

● حرم الإسلام الاختلاط بين الرجل والمرأة إلا بعقد الزواج بأركانه وشروطه كما جاءت فى الشريعة الإسلامية . .

الحرية لا تعنى الإباحية

● أعطى الإسلام المرأة الحق فى اختيار زوجها وبهذا صان الإسلام المجتمع وحفظه من الأمراض التى انتشرت وفشت فى المجتمعات الإباحية والتى يسمونها الحرية، وهى الفوضى بعينها، نعم لقد انتشرت بينهم الأمراض المهلكة والمعدية وآخرها مرض الإيدز الذى أجمع الأطباء من كل جنس وعقيدة على أنه يكثر فى البلاد التى تنتشر فيها هذه الفوضى الجنسية وشاع فيها اللقاء غير المشروع بين الرجل والمرأة، والإسلام يحرم أى اختلاط جنسى بين رجل وامرأة بغير زواج شرعى بينهما بنص القرآن، ومنها على سبيل المثال وليس الحصر قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾

(الإسراء: ٣٢)

إلى غير ذلك من الآيات التى حرمت اللقاء غير المشروع بين الرجل والمرأة ولعل من أخطر الأمراض المنتشرة بسبب الجنس واللقاء الجنسى غير المشروع هو مرض الإيدز والذى ينتشر بين الشعوب التى تبيح الزنا وتصف ذلك تارة بالحرية وتارة بالصحة الجسدية إلى غير ذلك من

الأوصاف التى زينها لهم الشيطان ومن هنا كان حرص الإسلام على صيانة الأنثى منذ طفولتها وطوال حياتها بالبعد عن الإثارة الجنسية من الرجال فحرم الإسلام الخلوة والتزاحم بين الرجال والنساء وفرض ستر جسد المرأة من قمة الرأس إلى القدمين سترا تاما لا يبين من جسد المرأة إلا الوجه والكفين وهذا من باب الوقاية خير من العلاج وذلك حتى لا تقع الخطيئة الكبرى «الزنا»..

وهل هذا من العيب على الإسلام أن يحمى المجتمع الإسلامى من هذه الأمراض عن طريق تحريمه للزنا ومقدماته ودواعيه حيث يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ﴾

(الإسراء: ٣٢)

ولم يقل ولا تزنوا ليدل على أن الزنا ومقدماته داخلان فى نطاق هذا التحريم..

ومن أجل ذلك نجد أن المجتمع الإسلامى الذى يلتزم بقواعد الدين يقل فيه اللقطاء والأطفال غير الشرعيين الذين يأتون من نساء حملن سفاحا من غير زواج شرعى وهذه الظاهرة نجدها شائعة ومتفشية فى المجتمعات الأخرى التى تبيح الزنا كما ذكرنا آنفا..

● فرض الإسلام عقوبة موحدة على الزنا الفعلى وليس على مقدماته وهذه العقوبة تطبق على كل من الرجل والمرأة اللذين اقترفا هذه الخطيئة سواء كانا قد سبق لهما الزواج أم لم يتزوجا من قبل وهذه العقوبة التى قررها الإسلام هى حماية للمجتمع من الأمراض التى تنتج عن هذه المخالطة التناسلية غير المشروعة.

العقوبة هى حق الله

ونقول لهؤلاء الذين يتحدثون عن قسوة هذه العقوبة فى الإسلام أتريدون الرحمة للمجرم وتنسون حق المجتمع فى أن يعيش آمنا معافى؟!

ونقول لهم: إن هذه العقوبة التى قررها الإسلام هى حق الله، وهو أعلم بالإنسان الذى خلقه، ويعلم ماذا يصلحه وقد قال تعالى:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

(الملك: ١٤)

ونقول لهم أيضا: إن هذه العقوبات الجسدية علاج، والله أرحم بالخلق من أنفسهم.

● قرر الإسلام للمرأة شخصيتها وذمتها المالية المستقلة تتصرف فى أموالها كما تشاء دون وصاية من زوج أو والد أو ولد مادامت هذه المرأة قد بلغت سن الرشد وكانت رشيدة فى تصرفها تحسن التصرف دون توجيه من أحد وهذا ما لم

تصل إليه المرأة المتزوجة فى كثير من دول العالم التى تدعى المساواة وتنادى بحقوق المرأة وهى لم تصل بعد إلى ما أعطاه الإسلام للمرأة..

بل إن الإسلام منع الزوج أن يقرب مال زوجته إلا إذا كان برضاها وإذنها فقال تعالى:

﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾

(النساء: ٤)

حقوق وواجبات

● فصل الإسلام الحقوق المتبادلة والواجبات لكل من الزوجين وحددها بعد مراعاة لفطرة كل من الرجل والمرأة التى فطرهما الله عليها تحديدا وبيانا لما بينهما من المشاركة حتى لا تنشأ بينهما خلافات تؤثر على مصلحة الأسرة وعلى المجتمع ككل، وعلى هذا فإن الإسلام جعل على الرجل السعى للكسب وتحصيل الرزق وعلى الزوجة تدبير أمور المنزل ورعاية الأطفال سواء بنفسها أو تحت إشرافها إذا كانت حالة الزوج المالية من اليسار بحيث يستطيع تحمل أجر الخادم أو الخادمة..

● الأولى والأجدر بالاتباع فى تفسير واجبات كل من الزوجين فى مشاركة كل منهما فى أعباء الأسرة ما قضى به رسول الله «ﷺ» بين على بن أبى طالب وزوجه فاطمة بنت رسول الله «ﷺ» فقد جعل واجبات ابنته - فاطمة - أمور البيت ورعايته ومصالح الأولاد وجعل على زوجها على بن أبى طالب ما كان خارجا عن البيت من عمل ومن هنا كانت القوامة للرجل لأنه يتحمل المسئولية عن الإنفاق على الزوجة والأولاد والمنزل والحماية والرعاية وتحمل الأعمال الشاقة التى تعجز عنها المرأة لأنه «كل ميسر لما خلق له».

ومن هذا يتضح لنا أن المرأة عاشت فى ظلال الإسلام وفى ظلال الشريعة الغراء معززة مكرمة كما لا يتوفر فى أى شريعة جاءت قبل الإسلام ولا بعده.

***

أهمية القدوة فى بنـ

إن المسلم فى بناء شخصيته لا يبدؤها من فراغ، كما أنه لم يقم أساسها الأول على فراغ، وإنما يقيمه على العقيدة الصحيحة المتمثلة فى الإيمان بالله، فكذلك فى تكوين شخصيته الإسلامية. إنما يبدؤها سلوكاً وتطبيقاً من الكتاب والسنة متخذا أسوته الحسنة من الرسول - ﷺ - المبلغ عن ربه

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

(النجم: ٣، ٤)

الواجب على المسلم أن يتبع رسوله - ﷺ - اقتداء واهتداء قال الله تعالى:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الأحزاب: ٢١)

ولقد ذكر القرآن الكريم الصفات الأساسية التى تكون صورة واضحة الملامح لشخصية المؤمن كما أرادها الله -سبحانه وتعالى- وهى الصورة التى تمثلها رسول الله - ﷺ - لأن خلقه القرآن ولأن -الله تعالى- قد أدبه فأحسن تأديبه.

أخرج النسائى أن السيدة عائشة - رضى الله عنها- سئلت عن خلق رسول الله - ﷺ - فقالت: كان خلقه القرآن ثم قرأت:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾

(المؤمنون: ١- ٩)

وقالت: هكذا كان رسول الله - ﷺ[١] تلك هى سمات الشخصية

...اء الفرد والمجتمع

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

الإسلامية تأتى على قمتها صفة الخشوع فى الصلاة:

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾

فالخاشع فى صلاته يكون ساكن الجوارح لا يتحرك ولا يلتفت، ناظراً إلى موضع سجوده متصل القلب بالله، وقد روى أن الرسول - ﷺ - رأى رجلا يعبث بلحيته فقال: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه. وهذه الصفة تفيد حسن العلاقة مع -الله تعالى- بالخشوع فى الصلاة، والصفة الثانية: هى الإعراض عن اللغو قال سبحانه:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾

وذلك لأنهم مشتغلون بالجد والاجتهاد ومنصرفون للعمل والعبادة، وبهاتين الصفتين يكون قد جمع القرآن من تلك الصفات بين العمل والترك، وهما قاعدتا بناء التكليف، ثم يجمع القرآن بين العبادة البدنية التى تمثلت فى الصلاة وبين العبادة المالية بأداء الزكاة التى تعنى التكافل الاجتماعى وسد حاجة المحتاجين والعاجزين، وبهذا تكون تلك الصفات قد وثقت ثقة المسلم بربه وصلته بمجتمعه، وجمعت بين العبادة البدنية والعبادة المالية.

ثم تأتى صفة العفة والطهارة ووقاية البيت الزوجى وحفظ الأسرة والمجتمع من التواحل فى الفاحشة، لأن صيانة العرض والتجمل بالعفاف سمة المؤمنين المفلحين:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾

فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم

---

(١) رواه النسائى.

العادون أما ماتستقيم به حياة المجتمع الإنسانى فذلك بإرساء أسس الأمن والطمأنينة والثقة والاستقرار:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾

كما بدأت سمات الشخصية الإسلامية بالصلاة فقد ختمت بها، لبيان أهمية هذه الفريضة ومكانتها العظيمة فى الإسلام، وليظل المسلم بخشوعه فيها ومحافظته عليها موصولا بربه، وتجلى آيات القرآن الأسوة الحسنة فى رسول الله - ﷺ - ملوحة إلى نماذج من الذين معه مركزة على أهم سماتهم التى تشرق بها وجوههم :

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ﴾

(الفتح: ٢٩)

ومن تتبع الأسوة الحسنة من شخصية الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - يطالعنا القرآن الكريم برأفة رسول الله - ﷺ - ورحمته قال تعالى:

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

(التوبة: ١٢٨)

ويقول سبحانه:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

إن عظمته تشرق فى كل جوانب الحياة فى جوده وفى سعة صدره وفى صدقه وأمانته وتبليغه وفطانته وفى لينه ووفائه وفى مهابته وحسن معاشرته. يقول الإمام علىّ كرم الله وجهه «كان رسول الله - ﷺ - أجود الناس كفا، وأوسع الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة. من رآه بديهة هابه، ومن خالطه مرة أحبه، يقول ناعته: «لم أر قبله ولا بعده مثله» «وما سئل عن شىء قط إلا أعطاه»[٢].

ويروى عن أنس رضى الله عنه أنه قال: «كان رسول الله - عليه الصلاة والسلام - أحسن الناس وأجود الناس، وأشجع الناس[٣]. ويجمل القرآن عظمة خلقه فى قول الله تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم: ٤)

فإذا تتبعنا أنماط الأسوة الحسنة لنتخذ

---

(٢) رواه الترمذى.

(٣) رواه البخارى ومسلم.

منها منهجاً ونبراساً فى بناء الشخصية فإننا سنقف أمام عظمة هائلة ومثاليات فذة من حياة رسولنا عليه الصلاة والسلام وكلها تتسم بالحق والخير، والسمو والاعتدال، ففى جانب السرور أو الحزن وفى المشاعر الظاهرة أو الوجدانية كان صلوات الله وسلامه عليه يتسم بضبط النفس، فيما يسر أو يحزن فإذا فرح بما يسر ابتسم وإذا ضحك لم يقهقه. عن جابر بن سمرة «كان لايضحك إلا تبسما» [٤] وإذا تعرض لما يحزنه طوى الحزن فى داخله، وكظم الغيظ، وإذا زاد حزنه لايخرجه عن طبيعته، الطيبة الكريمة، عن أنس -رضى الله عنه- قال: «دخلنا مع النبى - ﷺ - على ولده إبراهيم وهو يجود بنفسه أى يحتضر، فجعلت عينا رسول الله - ﷺ - تذرفان فقال عبدالرحمن بن عوف: وأنت يارسول الله، فقال: ياابن عوف إنها رحمة. ثم أتبعها بأخرى فقال: إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا مايرضى ربنا وإنا لفراقك ياإبراهيم لمحزونون [٥].

وفى جانب حياته المنزلية وشئون المعيشة مع الأهل كان المتعاون البار بحيث لا تشغله عن عبادة ربه، سئلت السيدة عائشة -رضى الله عنها، ما كان النبى - ﷺ - يصنع فى البيت قالت: كان فى مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة [٦] وبهذا نرى أن أثر الأسوة فى بناء الشخصية يمد الحياة بضوء كاشف لتمضى على رشد وهدى، فلا تحيد يمينه أو يساره ولا تتعثر خطاها فى الدروب المعتمة، وإنما تتجمع خطوطها العريضة من جميع زوايا الحياة عبادة وعملا لتلتقى عند هدف واحد وملتقى ثابت حيث تتمخض الأعمال كلها وتخلص فى اتجاهها لله رب العالمين.

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(الأنعام: ١٦٢، ١٦٣)

* * *

(٤) رواه الترمذى.

(٥) رواه البخارى.

(٦) رواه أحمد والبخارى والترمذى.

مواقف إسلامية

وتظل الإسلام دين السلام

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

يقول الحق سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾
(الحجرات: ٦)

فى قصة نزول هذه الآية الكريمة يقول المفسرون: إن رسول الله ﷺ بعث «الوليد بن عقبة» ليجمع الصدقة من بنى المصطلق. وكان بينه وبينهم إحنة ـ ثأر قديم ـ فلما سمعوا بقدومه. استقبلوه. ولكنه ظن أنهم مقاتلوه. فرجع. وأخبر النبى ﷺ أن القوم ارتدوا عن الإسلام. ومنعوا الزكاة. ولقد هم ﷺ بقتالهم. غير أنه وفى اللحظة الأخيرة بعث إليهم «خالد بن الوليد» رضى الله عنه، فوجد الأمر على غير ما أخبر الوليد بن عقبة رضى الله عنه،

فالقوم يؤدون الصلاة ويتهجدون بالليل والزكاة معدة للتسليم ثم سلموها إلى «خالد» فعلا.

وعندئذ نزلت الآية الكريمة كاشفة عن أدب من آداب الإسلام فى التثبت قبل الحكم على الناس والأحداث.

من أين تهب رياح الخطأ؟!

إذا كانت وظيفة العقل: ترتيب المقدمات. وصولا إلى نتيجة صحيحة، فإن العقل قد يخدع أحيانا، فلا يهتدى إلى الحكم الصحيح لسببين:

أ- خداع الحواس. أو القصور فى استخدامها.

ب- الحالة الوجدانية عند اتخاذ القرار.

والوليد بن عقبة رضى الله عنه ـ مع اليقين بحسن نيته ـ لم يستعمل كل مداركه لكشف أبعاد الموقف.. ثم أسرع بالعودة. وفى ذهنه صورة بتراء لما حدث. وكان عليه أن يدقق النظر جيدا.. وعن قرب.. وأن يصيخ السمع بكل طاقته.. ليتأكد من تفاصيل الموقف، قبل أن يتورط فى رفع هذا التقرير المتسرع إلى رسول الله ﷺ.. والذى كان من الممكن أن تترتب عليه آصار تجر الأمة إلى حرب أهلية.

وما أكثر الأبرياء الذين نسىء الظن بهم.. فنحبسهم فى سجون من ضلوعنا ظلما وعدوانا.. بينما هم غائبون لا يملكون الدفاع عن أنفسهم. ولما سلبناهم حقهم فى البحث والتدقيق ظلمناهم.. بل ظلمنا أنفسنا حين لم نعطها حقها فى التدبر.. فزايلنا الإنصاف.. وكان الإجحاف.

خداع الوجدان

كان هناك ثأر قديم بين الوليد وبنى المصطلق كما أشرنا..

ولقد ألقى ذلك الثأر ظلاله على القلب الذى كان مهيأ لسوء الظن بقوم له معهم تجربة مرة. وهذا هو خداع الوجدان الذى يحب ويكره أحيانا.

والمفروض أنك تحب من أحسن إليك.. وتكره من أساء إليك.. لكن الخطورة أن تطغى العاطفة على العقل وعلى الجوارح.. فتسخر ذلك كله لمصلحة شخصية.

وذلك ما تورط فيه الوليد رضى الله عنه.. عندما تدخل النفور القلبى فساق النشاط العقلى والحركة العملية فى اتجاه ما يهوى القلب!

ولقد كان السلف الصالح على أوفى ما تكون اليقظة.. وها هو ذا أحدهم يتحرر بوجدانه من مضاعفات مثل هذا

الموقف.. فقرر ألا يكون نشاطه لخدمة عواطفه المتقلبة، كان إذا عرض له أمر.. فأحس فى قلبه بميل إليه.. عرف أنه حرام.. فاجتنبه.. وإذا أحس من نفسه نفورا من أمر.. أحس بأنه حلال فأقدم عليه.

وبذلك انفصلت السلطات داخل كيانه، سلطة العقل.. وسلطة القلب.. فلم تطغ واحدة على أخرى.. ولكنهما يتعاونان.. بينهما برزخ لا يبغيان.

دروس من الآية الكريمة

لقد كان من تدبير الله تعالى أن يتسرع الصحابى الجليل فى الحكم على بنى المصطلق.. ليظل الدرس حاضرا فى ذهن الأمة لا يغيب.. حتى تقدر للرجل قبل الخطو موضعها.. وكأنما أراد الحق سبحانه بمجموع التجاوزات التى حدثت فى بواكير الدعوة الأولى.. أن تكون علامات على الطريق.. حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها.. ولتتعلم الأمة من الفشل.. كما تتعلم من النجاح.

والحق سبحانه ينادى الأمة بوصف الإيمان:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾

والإيمان نعمة ينبغى أن تشكر بالالتزام بنتائجها وأهمها:

التثبت قبل الحكم.. حتى يظل المجتمع الإسلامى صفا واحدا غير قابل للاختراق.. والمفروض فى المؤمنين أن يكونوا على درجة من الوعى لا تسمح لفاسق أن يهز كيانها.. ولو فرض وكان.. فلابد أن يكون عنصرا غريبا يجيئها من الخارج:

﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ ﴾

فهو نبات شيطانى مستورد.

أما أن ينبت فى أرضها.. فذلك مشكوك فيه بحكم الإيمان المانح اتباعه بصائر واعية.. تشكل سورا عاليا.. حتى لا يتسلق دعى أسوار الأمة المانعة.. لتصبح فريسة لندم.. ما كان أغناها عنه لو أنها وازنت الأمور.. ولم تعط مداركها لزعامة كاذبة خاطئة.. تسلط إعلامها المزيف ليجعل من الرمال قصورا.. ثم تدفع الشعوب ثمن تهورها.. أو تدهورها.

من ثمرات الإيمان

مع أن بطل القصة صحابى جليل.. اجتهد فأخطأ.. لكن القاعدة تقول: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.. لقد أصبحت القضية درسا

عاما.. للمجتمع كله.. ومن ثم.. لم يكن غريبا أن تعبر «بالفاسق».. بلا حساب لما قد يصيب الصحابى من حرج يحسه من قسوة هذا الوصف الذى يأباه الإيمان.

● فالحق سبحانه وتعالى يريد بقسوة التعبير شدة الردع حتى لا يتكرر الخطأ مستقبلا.. هذا أولا.

● وثانيا: أن دولة الإيمان لها نظامها المانع من الحرج فى أعقاب المعصية.. إنها قد تصيب العاصى بالاكتئاب وقد تحمله على الهروب من مواجهة الموقف وإذن فلينقذ نفسه بالتوبة النصوح.

دولة المؤمن

لقد أخطأ الصحابى الجليل.. وهذا حق.. لكنه بحكم الإيمان يتعلم الدرس.. ثم يعود بالتوبة أطهر مما كان.. يمارس حياته مع الجماعة بلا عقد.. تعقد حياته.

وتلك هى دولة المؤمن التى لا تعرف الأمراض النفسية. ولا الطب النفسى ـ إن علم نفس «فرويد» و«ادلر» وغيرهم من علماء الغرب. يقف عاجزا خارج أبواب هذه النفس المؤمنة.. ولا حاجة لهذه النفس المؤمنة الكاملة إلى ترهات «فرويد» وعقده وكوابيسه. لأنها تخطت الفلك «الفرويدى» وتخطت النفس الحيوانية، التى يتحدث عنها «فرويد» وارتفعت بإيمانها إلى فلك آخر نورانى. لا يعرفه علم النفس الغربى. وهذا الإيمان العالى هو فى ذاته شفاء النفوس. وبلسم الأرواح.

النفس المؤمنة لا تعرف الاكتئاب

وهذا الإيمان هو الذى أصلح بال صاحبه مصداقا للآية الكريمة:

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾

(محمد: ٢)

ولقد قال علماؤنا: إذا سمعت:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾

فأصغ.. فإنه خير تؤمر به. أو شر تنهى عنه. والنداء بوصف الإيمان فى الآية الكريمة فاتحة خير، وبارقة أمل، يوحد الفكر، وينقذ المذنب من الشتات، فتجتمع الهمة، وتنقشع السحب، وتتضح الرؤية، ثم يسود الهدوء، ليتوفر الجو المعين على اتخاذ القرار السديد.. وهكذا وكما قيل بحق:

(إن النفس المؤمنة لا تعرف الاكتئاب.. فهى على العكس نفس متفائلة. تؤمن بأنه لا وجود للكرب مادام هناك رب. وأن العدل فى متناولنا مادام هناك عادل. وإن باب الرجاء مفتوح على مصراعيه مادام المرتجى والقادر حيا لا يموت).

أهمية التثبت قبل الحكم

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

(الحجرات: ٧، ٨)

فى موجة حماس طارئة طالب بعض المسلمين بالمسارعة إلى تأديب بنى المصطلق فور سماعهم نبأهم من الوليد بن عقبة. وكانوا مدفوعين بحميتهم وغيرتهم على دين الله.. وجاءت هذه الآية الكريمة لتذكرهم بأن هذا التسرع ليس له ما يسوغه. فالرسول ﷺ حاضر بينهم.. وهو الرائد الذى لا يكذب أهله.. ومن ثم فيجب عرض الأمر عليه ليقول فيه كلمة الفصل.. وهو المؤيد بالوحى الأعلى.. لقد كان الوليد مخلصا فيما فعل.. وكان هذا البعض أيضا مخلصا فيما أشار.

بيد أن الإخلاص وحده لا يكفى.. فالقضية خطيرة.. ونتائجها معروفة سلفا.. وإذن.. فالتثبت واجب.

وإلا.. فلو أن الرسول ﷺ سارع ونفذ مقتضى هذا التقرير الخاطىء.. ثم حقق اقتراح هؤلاء بسرعة عقاب القوم.. لحدث ما لا تحمد عقباه.. وأصابهم من الندم والجهد والتمزق ما الله به عليم. وكان من الممكن أن يحدث هذا التمزق لو لم يكن فيكم رسول الله ﷺ، أما وهو موجود فهذا تناقض. ثم يحدث وقد منحكم الله الإيمان هبة منه.. بعد أن حبب إليكم هذا الإيمان الذى صار نور حياتكم؟ ذلك ما لا يكون.

فلتحذر الأمة المسلمة من خبر الفاسق.. من كل إعلام منحرف يزين من الأقوال والأفعال ما يقضى على الثقة الجامعة قلوب الأمة على كلمة سواء، ولتأخذ معلوماتها من المصدر الموثق، إبقاء على هذه الثقة.. ولتقضى فى نفس الوقت على كل محاولة مغرضة، إن للإيمان تكاليفه، وللرشد ضريبته، فلنكن دائما أهلا لذلك الرشد، وهذا الإيمان.

من آصار التساهل

تقول اللغة: إن «النبأ» يعنى الخبر المهم.. أما الخبر: فهو الأمر العادى المتوقع..

ويعنى ذلك مزيدا من الحذر إذا جاء الفاسق بأمر مهم يترتب عليه فساد ذات البين التى لا تحلق الشعر ولكن تحلق الدين، مع ملاحظة أن أضرار التساهل فى قبول أخبار المنحرفين لا تصيبنا وحدنا. ولكنها تصيب أقواما أبرياء ولا يقف الجهل حينئذ عذرا مادامت وسائل التثبت من صحة الخبر ميسرة وافرة، ومادام الرسول ﷺ فينا، وأيضا لا ينفع الندم على نهاية مؤلمة صنعناها بأنفسنا.. وكان فى الإمكان تلافيها.

(فاتركوا عبادة الجاهلية.. فإن الله تعالى لم يترككم عليها. ولكن الله حبب إليكم الإيمان..

تثبتوا فى الأمور كما يليق ـ بأهل ـ الإيمان.. فإن الله حبب إليكم الإيمان)[1]

وبعد: فإلى المسئولين فى المواقع القيادية أن يتقوا الله فى قبول التقارير فى شأن مرءوسيهم.. حتى لا يصير تقرير الفاسق فى موظف أشد قبولا من قول الصادق الصالح فيه.

فالتثبت هنا أدخل فى المسئولية من حيث اتصاله بالترقية المادية والأدبية.. فليحذر الذين يخالفون عن أمر الله.

* * *

(١) الرازى.

الإسلام

دين يحمل أسباب بقائه

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

الإسلام فى شرعته التى جاء بها محمد بن عبدالله ـ ﷺ ـ هو الدين الخاتم الذى ارتضاه الله ـ عز وجل ـ ليسوس الناس فى هذه الحياة الدنيا وإلى أن يلقوا ربهم.

وهو الرسالة التى حملت إلى البشرية مفتاح الحكم فى كل قضاياها.. شرعة كاملة لا تقف مكتوفة أمام ما يعن للبشرية من تطورات فى حياتها، ولا تقف حجر عثرة فى سبيل تقدمها ونهضتها. وإنما تحث على كل ما من شأنه أن يخفف من آلامها، وتجعل البحث والتنقيب فى سبيل الارتقاء بما يقدم للإنسانية من خدمات تدفع عنها آلامها. أو تحقق لها آمالاً تصبو إليها جهاداً فى سبيل الله شريطة أن يقصد به وجه الله، وأن يرى الباحث والعالم والمحقق فى كل ما يتوصل إليه آية من آيات الله الدالة على قدرته ووحدانيته، وأن يعلم أن هذا الكون بما فيه ومن فيه، مما ظهر أو خفى إنما هو مظهر من مظاهر قدرة مبدعه ـ تبارك وتعالى ـ فيزداد إيمانه، وينهض به يقينه فى أن ما عند الله أكبر وأكثر إلى المزيد من البحث والتنقيب فلا يزال يرقى.. ولا يزال إيمانه بالله يقوى..!!

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: آية ٩٦]

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾

[الحجر : آية ٢١]

إن هذا الدين الذى جاء به محمد - ﷺ - إنما جاء على فترة من الرسل، ليصحح عقيدة البشرية بعد أن انحرفت عن سواء السبيل، وليجمع الناس كلهم على قبلة واحدة، وعلى كلمة واحدة، وعلى شريعة واحدة، لا تترك الفرصة لانتشار الفوضى، ولا تمهد الأرض لأسباب العداوة والتناحر بين الناس.

إذن فلقد جاء هذا الدين ليبقى إلى يوم القيامة، وليكون عامل استقرار وأمن وسلام ينشر ظله على العالمين..!!

الحصاد فى الدار الآخرة

كانت رسالات الله التى شهدتها البشرية قبل هذه الرسالة الخاتمة، تمهيداً لما جاء به هذا النبى الخاتم - ﷺ - كما كانت تذكيراً للبشرية آناً بعد آن، بأن هناك؛ ربا هو رب كل شيء، وأن هناك يوماً آخر، فيه يجتمع الخلائق للحساب على ما قدموا من صالح العمل وطالحه، إذ ليست هذه الدنيا التى نحياها هى الغاية وإنما هى مزرعة نحصد ما نبذره فيها فى الدار الآخرة.. وبعد أن تنتهى كل رسالة، ويطول الأمد تعود البشرية إلى غيها، وتنسى ما كان من أمر هذه الرسالة السابقة، أو تتناساها، وهكذا دواليك

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾

[النحل: آية ٣٦]

إلى أن تقاربت الأمم، وتعارفت الشعوب؛ فكانت الرسالة الخاتمة، حاملة معها كل أسباب بقائها فى يد، وكل أسباب سعادة البشرية فى اليد الأخرى.

أما أسباب بقائها، وانتشارها بين الخلائق، فإنها تتمثل فى أن هذا الدين إنما هو دين الفطرة من جانب، وأنه دين العقل الرشيد والمنطق السديد من جانب آخر حينما تخلو الفطرة من كل ما يشوبها، وحينما يخلص العقل والمنطق من كل ما يوثر فيهما تأثيراً يقودهما إلى الانحراف عن سواء السبيل.

«فالإسلام بدعوته إلى إقامة الفطرة، طالب الآخذ به أن يتخلى أولا عن جميع ما ورثه من التقاليد والأوهام، وأن يكون أمام الحقائق كيوم ولدته أمه، خالى الذهن من كل صورة خيالية، أو وراثة تقليدية. ومتى تم له إحداث هذه التخلية الذهنية طالبه بالأخذ بحكم العقل لا بحكم الهوى والوهم؛ ومتى كان الحكم للعقل سهل إقناعه بكل جميل وحق»[1].

---

(١) الأستاذ محمد فريد وجدى ـ مهمة الإسلام فى العالم ص٢٥.

الفطرة هى الإنسانية

يقول خاتم النبيين ـ ﷺ ـ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[2] فالفطرة هى الإنسانية خالصة من كل شوب، بعيدة من كل ما يضللها وينحرف بها: بأن يحسّن لها القبيح أو يقبح لها الحسن، أو يبذر فى تربتها الشك والريب فيما حولها. هى الإنسانية فى براءتها وطهارتها؛ حيث لاتزال آثار يد الله تحوطها، وتحنو عليها كما تحنو الأم على وليدها، وتحوطه من كل ما يسوؤه:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[الروم: آية ٣٠]

إن الفطرة فى الإنسان، هى المدخل الواسع الذى يدخل منه الإسلام إلى القلوب والنفوس، دون ضغط أو إكراه، ودون تكلف أو مشاحّة؛ لأنها تمثل الطبيعة البشرية كما خلقها الله، وكما سواها بيديه، وقبل أن تتفرق بها السبل، أو تزيغ بها الأهواء عن الطريق المستقيم، وهى التى تتناسق مع الوجود من حولها وتتفاعل مع الكون فى يسر وبساطة، ودون تصادم أو اعتساف.

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾

[آل عمران: آية ٨٣]

وكما دعا الإسلام إلى العودة إلى الفطرة الخالصة، دعا إلى إعمال العقل وأولاه عناية خاصة، فى الاحتكام إليه أمام قضايا الحياة كلها، حينما يقف أمام الحقائق حائراً لايهتدى إلى وجه الصواب فيها، ولقد ورد فى القرآن الكريم كثير من الآيات التى تحث على إعمال العقل، ورفعت من قيمة الذين يعملون على الارتقاء بمواهبهم العقلية:

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾

[العنكبوت: آية ٤٣]

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

[الرعد: آية ٤]

﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

[العنكبوت: آية ٣٥]

كما ندّدت بأولئك الذين ينقادون لغيرهم ولو كانوا آباءهم، دون أن يتعقّلوا أمور حياتهم، بخاصة إذا كان هذا الانقياد فى قضايا العقيدة:

(٢) البخارى ٢/١٢٥.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

[البقرة: آية ١٧٠]

وغير ذلك من الآيات البينات التى تحث على إعمال العقل وتنعى على أولئك الذين يعطلون هذه الأداة التى زودهم بها الله ـ سبحانه وتعالى ـ كما تدل على مكانة العقل فى الإسلام.

وما ذلك إلا لأن هذا الدين جاء ليسوس بشراً اكتملت فيهم آلة العقل، وأصبحت هى الفيصل فيما هو حسن، وما هو قبيح، لا قطيعاً من العجماوات، التى يسوقها راعيها أنَّى شاء ومتى شاء، لا فرق فى ذلك بين ما إذا كان يسوقها إلى ما فيه مصلحتها أو ما فيه حتفها.

مقومات الإصلاح

وحينما أعلى الدين الإسلامى من شأن العقل، وجعل له هذه المنزلة العالية فى حياة الناس، لم يتركه هكذا، دون أن يزوده بعوامل القوة والنماء، وإنما فتح أمامه أبواب الصلاح على مصاريعها يتزود منها كما يشاء؛ فكانت هذه المقومات التى تتعدد مصادرها كما تتعدد أنواعها.

وهذه المقومات، إما ذاتية تمده بالقوة الداخلية، التى تنمّى لديه القدرة على التحليل والتعليل ورد الظواهر إلى أصولها القريبة والبعيدة، وإما خارجية تفتح أمامه صفحات الكون الفسيح بكل أجزائه وأشيائه، ومنها كيانه هو، وما ينتشر بين حناياه مما يدل دلالة قاطعة على قدرة الله ـ تبارك وتعالى.

«فأما من ناحية المقومات الذاتية، فقد حث على طلب العلم، فقال تعالى:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

[طه: آية ١١٤]

وعلل هذه العناية منه بطلب العلم، بأن العلم يمنح أهله مزايا يتجرد من مثلها المحرومون منه، وهو يريد أن يكون للآخذين به جميع المزايا، التى يمكن أن يتمتع البشر بها فقال تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[الزمر: آية ٩]

وصرح بأن بين المؤمن الجاهل والمؤمن العالم درجات، فقال تعالى:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

[المجادلة: آية ١١]

«فإن العلم مع علو درجته يقتضى العمل المقرون به مزيد من رفعة، ولذلك يقتدى بالعالم فى أفعاله، ولا يُقتدى بغيره، وفى الحديث: فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»(٣).

وطلب العلم غالباً يكون بالبحث والدرس والتنقل بين أرجاء الأرض؛ ولذا يقول رسول الله ـ ﷺ ـ: «طلب العلم فريضة على كل مسلمٍ ومسلمة»(٤) ويقول أيضاً: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله له به طريقاً إلى الجنة»(٥) وطلب العلم فى الإسلام فريضة عامة، تعدل الجهاد فى سبيل الله، يقول رسول الله ـ ﷺ ـ: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء»(٦) فبالعلم تنكشف الحقائق أمام العقل البشرى، ويقوى على الوصول إليها نقية لا يشوبها زيف أو بهتان. والإسلام دين الحقائق الناصعة، وبقدر تكشف الحقائق أمام العقل، يكون إيمانه بالله تعالى. قال تعالى فى محكم التنزيل:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾

[فاطر: آية ٢٨]

وقال عليه السلام: «عالم ينتفع به خير من ألف عابد»(٧).

الإسلام والعلم

«وموقف الإسلام من العلم، يتبين من موقف علمائه المجتهدين فى كل حقبة من تاريخه الذى تعاقبت فيه الأجيال بين القوة والضعف والتقدم والتأخر والنشاط والجمود، فقد مرت بالأمم الإسلامية عصور متخلفة جهلت فيها الإسلام نفسه؛ فجهلت فضل العلم، كما جهلت فضل الدين. ولكن الإسلام لم يخل قط تاريخه بين المشرق والمغرب من أئمة مجتهدين، استمدوا حرية الفكر من ينبوع تلك القوة الحيوية التى لاتستنزفها المحن والطوارق، فحفظوا رسالة هذا الدين. ولا فرق بينها وبين رسالة العلم فى مقصد من مقاصده، وأوجبوا على المسلم أن يتعلم حيث وجد العلم، وأن ينظر إلى الحكمة كأنها هى ضالته يعنيه أن يبحث عنها ويجدها «وأينما وجدها فهو أحق بها». كما تعلم من رسول الله ـ ﷺ ـ واعتقد الأئمة المجتهدون جميعاً أنهم يؤدون أمانة الكتاب فى حثهم جماعة المسلمين على طلب المعرفة حيثما وجدوها. فكل معرفة صحيحة فهى معرفة قرآنية إسلامية على اختلافهم فى تفسيرها والنسبة إلى الكتاب الكريم بين فئة ترى أن المعرفة محتواة فيه إجمالاً وتفصيلاً، وفئة ترى أن المعرفة مطلب من مطالب المؤمن بالكتاب لا يعوقه عائق منه أن يتحراها

(٣) محمد فريد وجدى.مجلة الأزهر المجلد السابع ص٥٩٩. والحديث أخرجه ابن ماجه ج١ ص ٨١.

(٤) المعجم الكبير للطبرانى ١٠/٢٤٠.

(٥) سنن الامام أحمد ٢/٢٥٢.

(٦) اتحاف السادة المتقين ١/٤١.

(٧) الفردوس بمأثور الخطاب للديلمى ج٣/ رقم ٤١٠٠.

ويحققها ويهتدى بها حيثما أصابها»[8].

فالعلم هو المقوم الذاتى، الذى يُقوى العقل، ويجعله قادراً على تأمل ما فى الحياة من أسرار وعجائب لاتنتهى، وهذه الأسرار والعجائب المبثوثة فى الكون هى ما يطلق عليه المقومات الخارجية للعقل. والكون كتاب مفتوح يقرأ فيه العقل الناضج كل يوم آية من آيات الله ـ تبارك وتعالى ـ.

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد..!!

غاية النظر والتفكر

● فهذه هى السموات والأرض، وما يلفهما من ليل ونهار، يتعاقبانهما طوال الحياة، بما يشتملان عليه من الآيات الناطقة بقدرة الله ـ عز وجل ـ مما لا يشبع منه العلماء، وإن كان طول الألفة بيننا وبينهما قد يحول دون النظر والتأمل فيهما.

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[آل عمران: ١٩٠، ١٩١]

● وهاهى ذى آيات الله تدعونا دعوة صريحة من خلال كتابه المقروء إلى تأمل ما فيهما مما يقوى إيماننا بالله الذى خلقهما على هذا النحو العجيب. قال تعالى:

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾

[ق: ٦، ٧، ٨]

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾

[سبأ: ٩]

وإن هذا النظر والتفكر فيما خلق الله، له غاية لابد من أن تتحقق من ورائه، وإلا فلا قيمة له ولا اعتبار

﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾

[يونس: ١٠١]

فإذا لم يوصل النظر فى هذه الكائنات إلى تفهم قدرة الله ـ تعالى ـ التى صنعتها بهذه الدقة البالغة، ونسقت بين أجزائها، فلا عبرة به ولا فائدة ترجى من ورائه، وهذا الصنف من الناس ممن يصدق فيهم قول الحق تباركت أسماؤه:

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾

[يوسف: ١٠٥]

(٨) عباس محمود العقاد. التفكير فريضة إسلامية ص٦١، ٦٢ط دار الهلال.

● وهذه الأرض التي يعيش عليها الإنسان، ويدرج فوق ترابها طفلا وشاباً وكهلا.. حتى آخر يوم من أيام حياته، ألم تلفت نظره ليرى فيها الكثير من آيات الله الدالة على قدرته ـ سبحانه ـ وعلى ما أوجده فيها باطناً وظاهراً، مما لو أحسن استغلاله لسعد في دنياه وفي أخراه. قال تعالى:

﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾

[النازعات: ٣٠ ـ ٣٣]

وقد امتن الله على عباده بأن خلقها هي والسماء مع ما فيها من خير وفير للإنسان؛ مما يدعو إلى إطالة التأمل والتفكر.

قال تعالى:

﴿ الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

[الرحمن: ١ ـ ١٣]

وقال أيضاً:

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾

[الحجر: ١٩]

استخلاص العبرة

ومن النظر الذى تستخلص منه العبرة، وترى فيه يد الله التى أحاطت بكل شىء، النظر فى هذا التفاعل الحاصل بين مفردات الكون الواسع؛ بحيث نرى كل يوم جديداً يثرى الوجدان، ويقوى الروابط بين الإنسان وبين مظاهر الحياة من حوله، وذلك حينما يرى الماء ينزل من السماء على الأرض الميتة الهامدة، التى لا حركة فيها ولا حس، وإنما هى جماد ساكن؛ فإذا بها بعد أن نزل عليها الماء قد اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج يسر الناظرين، ويعطيهم الأمل فى تجدد الحياة يوماً بعد يوم.

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴾

[ق: ٩ ـ ١١]

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

[الأنعام: ٩٩]

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

[الغاشية: ١٧ ـ ٢٢]

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾

[عبس: ٢٤ ـ ٣٢]

فطرة الله

● وهذا هو الإنسان نفسه، فيه من الآيات الدالة على قدرة مبدعه على غير مثال ما لو تأمله وأعمل فيه عقله، لأدرك أن ليد الله كثيراً من العجائب والأسرار في هذه البنية الحية، التي تتفاعل مع الكون من حولها، وتستجيب لكل مؤثر من المؤثرات الخارجية بما يتناسب معه وتتحرك حركة ذاتية تنشأ عن إرادة حرة فاعلة، وتحقق من الإنجازات ما يعد إعجازاً في ذاته

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾

[الأعراف: ١١]

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

[الذاريات: ٢٠، ٢١]

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾

[ق: ١٦]

إن هذا الدين ليخاطب في الإنسان أكرم ما فيه. حيث يخاطب فيه الفطرة السليمة التي فطره الله عليها، كما يخاطب فيه العقل السليم والمنطق الراشد السديد، الذي يقلب الأمور ويدرك حقيقتها ليأخذ بأفضل ما فيها؛ وبذلك يطلق في الإنسان طاقاته الحية، ويعمل فيه ملكاته التي وهبه الله إياها، ليرقى بها إلى حياة فضلى كريمة.

***

نظرات إسلامية

الإسلام ومستقبل البشرية

للدكتور/ حمدى فتوح والى

برغم ما يقع أمام أعيننا من أحداث توحى لقصار النظر بأن الجولة ستكسبها الحضارة الغربية فإننا لا نشك لحظة فى أن قيادة البشرية صائرة إلى الإسلام، لأنه لو لم يكن موجوداً لبحثت عنه الإنسانية، ولابتدعت نظاما يشبهه، بعد انحسار الموجتين اللتين كانتا على طرفى نقيض..

● الموجة الأولى التى أفلست فى عالم القيم ولم يعد لديها ما تقدمه لإشباع الخواء الروحى الظامئ بشدة إلى نداوة الإيمان وبرد اليقين وهى الرأسمالية.

● والموجة الثانية التى أرادت أن تشق طريقها ضد الفطرة، وضد مقترحات الإنسان الطبيعية فانتهت إلى مصرعها المحقق، ومصيرها المحتوم على يد المجاهدين الأفغان وأصبحت الشيوعية الملحدة أثرا بعد عين.

وإذا كانت الموجة المادية مازالت تكابر وتتبجح وتظهر للعالم أن لديها ما تقدمه فيما أسمته بـ«العولمة» فإن ذلك لا يعنى أنها على شئ، فالعولمة لا تفرض بالسلاح، ولا تملى على أمم الأرض بالقوة، وإنما النظام الذى يستحق أن يسود ويقود، هو النظام الذى يحظى باحترام أهل الأرض، ليس لأنه يملك سلاحاً لا يملك غيره مثله ولكن لأنه يملك رصيداً من القيم الإنسانية والمبادئ الربانية تجعله يسخر قوته وعبقريته وآلياته لخدمة الإنسان كل الإنسان. دون تمييز أو استعلاء وهذا ما فعله الإسلام أول مرة وهو أيضاً ما سيفعله الإسلام اليوم.

يقول الفيلسوف الانجليزى المعاصر «برتراند راسل»:

«لقد انتهى العصر الذى يسود فيه الرجل الأبيض ـ وبقاء تلك السيادة إلى الأبد ليس قانونا من قوانين الطبيعة ـ وأعتقد أن الرجل الأبيض لن يلقى أياماً رضية كتلك التى لقيها خلال أربعة قرون» [1].

(١) الأهرام بتاريخ ٩ أغسطس سنة ١٩٥٩

تدبير شيطانى

إن بقاء الحضارة الغربية إلى اليوم برغم ما ينخر فى كيانها من أمراض الجنس والقلق والشذوذ والاكتئاب وما يعصف بأعصابهم من سموم المخدرات والخمور والشهوات هو بسبب غياب أبناء الحضارة الإسلامية الذين تخلفوا عن احتلال مقعد القيادة ليس لأن الأمة لا تملك منهجاً ثابتاً أو عقيدة راسخة أو حضارة شامخة وإنما لأن الجيل القائم اليوم هو حصاد تدبير شيطانى محكم، استمر يعمل طيلة قرنين من الزمان ليغيب عن وجه الحياة منهجنا ويميع ثوابتنا ويشكك أبناء الأمة فيما لديهم من رصيد القيم الذى لا تملك الأرض كلها شيئاً منه، لسبب واحد هو أن رصيدنا

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾

[النجم: ٤، ٥]

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾

[الشعراء: ١٩٣]

على قلب رسول الله - ﷺ - لينير به الأرض كلها، وما تزال الأرض كلها تسترشد ببقية النور الذى جاء به محمد - ﷺ - برغم المحاولات المستميتة التى يقوم بها شياطين الإنس والجن، ليحجبوا عن وجه الأرض هذا النور الإلهى المبين تلك المحاولات التى أوشكت أن تفقد الأمة الإسلامية ثقتها فيما تملك من هذا الوحى المقدس العظيم بعد أن عجزت عن تغييب القرآن، كتاباً مسطوراً ووحياً محفوظاً.

ولم يكن عجزهم لقلة جهدهم أو ضعف خططهم أو عجز مواردهم. فقد بذلوا مالا طاقة لبشر فى بذله. ولكن لأنهم نسوا أنهم يواجهون جبار السموات والأرض الذى تعهد بحفظ هذا الكتاب بنفسه بقوله سبحانه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾

[الحجر: ٩]

وإن مما يدعو إلى التفاؤل ويوحى بالثقة، ويبشر بالنصر العظيم لهذه الأمة: أن الله قد جعل فى هذا الكتاب دستورها، وأوضح فيه منهجها وحوى فيه أسرار حياتها ونبع قوتها:

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

[الأنبياء: ١٠]

وخاطب نبيه محمد - ﷺ - بهذا الخير وأوضح له حقيقة هذا الفضل بقوله:

﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤٣ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾

[الزخرف: ٤٣، ٤٤]

الجانب الحقيقى من الحياة

ولهذا فإننى أرى أن أى طفل يتردد على «الكتاب» ويحمل فى يده كتاب الله، هو أحكم وأعلم من أعظم فلاسفة الغرب ومفكريه لأن هذا الطفل بما يتلو من آيات، وبما يعتقد من عقائد إنما ينطلق من حقائق ثابتة وقواعد راسخة وكليات إلهية لا تقبل التخمين والتهويم،

﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

[فصلت: ٤١، ٤٢]

أما أهل الغرب فينطلقون من أوهام ويتعاملون مع المستقبل والغيب بألوان من التخمين والاستنتاج كما يتعاملون مع الجانب الحقيقى من الحياة وهو جانب الروح والإيمان، بنوع من الاستخفاف والاستهزاء والإنكار.

﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾

[الروم: ٧]

إنهم مهما ملكوا من حديد الأرض وحجارتها، ومهما حازوا من ألوان القوة المادية - قوة المخلب والناب - فإنهم سيظلون ملتصقين بالتراب لأن حضارة الأرض لا يمكن أن تطير بجناح واحد وتلك هى نقطة الضعف فى العولمة الجديدة التى تريد أمريكا أن تفرضها على البشرية اليوم وهى نقطة لا يمكن أن يقوم بدونها منهج أو تستقيم بدونها حياة فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، كما يقول السيد المسيح، الذى يزعمون - زورا - إنهم ينتمون إليه.

وإذا كانت أمتنا تعانى نقصاً فى جوانب الاختراعات المادية، فإن ما تعانيه من نقص فى هذه الجوانب، هو شئ يمكن تعويضه بقليل من الجهد. وغياب الكمال فيه لا يؤثر فى مسيرة الحياة بل إن استيراده ونقله من الغير لا يعيب المستورد الناقل، لأنها أمور كمالية جاءت لتسيير شئون الحياة، أما الحياة نفسها التى هى مجموعة القيم والمبادئ والأفكار. والتى تمثل الإجابة عن كل ما يعتمل فى صدر الإنسان من استفهامات حول الكون والحياة والإنسان، فإن أية فلسفة أرضية لا تملك ما تقدمه لأتباعها حول هذه الأساسيات التى لا يمكن لكيان أن يستقر بدونها، أو أن يعيش دون يقين نحوها. وإنما الإسلام وحده هو القادر على أن يقدم للإنسان جواباً شافياً عن كل ما يجول بخاطره أو يعتمل فى صدره، مما لا يمكن أن يجد له جواباً فى غير الإسلام.

الصورة الإيمان والصورة الواقعية

فالإيمان تصديق القلب بالله وبرسوله، التصديق الذي لا يرد عليه شك أو ارتياب، التصديق المطمئن الثابت المستيقن الذى لا يتزعزع ولا يضطرب، ولا تهجس فيه الهواجس، ولا يتلجلج فيه القلب والشعور. والقلب متى تذوق حلاوة هذا الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه، لابد مندفع لتحقيق حقيقته فى خارج القلب فى واقع الحياة فى دنيا الناس، لأنه لا يطيق الصبر على المفارقة بين الصورة الإيمانية التى هى فى حسه، وبين الصورة الواقعية من حوله، هذه المفارقة تؤذيه وتصدمه فى كل لحظة ومن هنا كان هذا الانطلاق إلى الجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس.

وإذا كانت الفلسفات الأرضية المحدودة بالتفكير البشرى الضيق لا تملك القدرة على الانطلاق وراء المادى المحسوس، فإنها لن تجد مبرراً مقبولاً لما هو فوق مقدور هذا التفكير، مما لا يقع تحت قدرة الحواس البشرية، كقضايا الإيمان بالله واليوم الآخر والثواب والعقاب والبعث والحساب ومجازاة الناس بأعمالهم إن خيرا فخير، وإن شراً فشر ومع وجود العجز الكامل عن إدراك حقائق الإيمان بالله واليوم الآخر لن يجد هذا العقل أمامه إلا الرفض والشك فى وجود هذه القضايا، والإيمان بهذه المسلمات، وعندها سيقع ما يقع اليوم فى الأرض من خراب ودمار وما يمارس من ظلم وجور وما تسجله أجهزة الصحة فى تلك البلاد المادية من تزايد نسبة المنتحرين الهاربين من الحياة، بعد أن تحولت الحياة معهم إلى عبء ثقيل وكابوس مخيف لا يمكن أن تتحمله أعصابهم بحال من الأحوال وما ظنك بإنسان لا يجد فى نفسه معنى لقضية وجوده، ولا يستشعر الأمن على مستقبله ولا أمل له فى تعويضه عما يتعرض له فى الدنيا من ظلم وما يقع له من شقاء إنه لن يجد أمامه إلا التفكير الجدى فى إلقاء هذا العبء الثقيل عن كاهله، ولن يجد وقتها إلا أن يهرب من واقعه إلى الموت الحقيقى إن كان شجاعاً حاسماً، أو الموت المعنوى البطئ ممثلاً فى تغييب عقله وإدراكه عن الشعور بالحياة من حوله عن طريق إدمان المخدرات بجميع أنواعها راضياً بما يترتب على إدمانها من انهيار فى أعصابه، وتلف فى خلاياه وتقرح فى معدته، واهتراء فى كبده واضطراب فى قلبه، فضلاً عن أمراض النفس من الاكتئاب والانفصام والجنون، فهل تملك أمريكا التى تتبجح بقدرتها على سيادة الأرض وقيادة البشرية ـ منهجاً سوياً يريح القلب ويطمئن النفس، ويرضى الضمير كالذى يملكه الإسلام؟! وهل استطاعت أن تقدم لإنسانها تصوراً واضحاً حول حقيقة الوجود من حوله، وحقيقة دوره

المقسوم له في هذا الوجود وحقيقة الطاقة المهيأة له للقيام بهذا الدور؟! هل استطاعت هذه الحضارة أن تقدم له جواباً شافياً لتساؤلاته الحائرة القاسية: من أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وإلى أين يذهب؟ وماذا هو واجد هناك بعد الذهاب؟

إن إنسان الحضارة الغربية لا يملك جواباً عن هذه التساؤلات.

إن الإسلام دين البشرية الخالد هكذا أراده الله وهكذا ينبغي أن يكون، لأنه الدين الذي يقدم التفسير الشامل الكامل للوجود، وعلاقته بخالقه العظيم، ولمركز الإنسان في هذا الوجود، ولغاية وجوده الإنساني، في حالة من الانسجام الرائع والتواؤم الحميم، فالإسلام - بالذات - كان هو الإعلان الشامل لحرية العقل البشري تجاه الكون المادي، وقوانينه، وقواه، ومدخراته، وكان الإيذان العام بانطلاق هذا العقل ليعمل ويبدع في ذلك المدى العريض الذي استخلفه فيه ربه.

السيد الحقيقي

إن الحضارة الغربية التي تتبجح اليوم بقوتها المادية - وتظن أنها بحديدها ونارها تستحق أن تسوق البشر إلى ما تريد - ما فعلت ذلك ولا تجرأت عليه إلا عن فراغ الساحة من سيدها الحقيقي الذي خلق ليحكم وخوطب بالقرآن ليسود ويقود. هذا القائد الذي بذل من نفسه ليسعد البشرية وتعب لكي يستريح الناس، هو الذي خاطبه ربه بقوله:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

[آل عمران: ١١٠]

إنه المسلم الذي غُيب عن الساحة بتخطيط محكم وتدبير شيطاني لعين لكي يعربد في الأرض شياطين الجنس وعباد الشهوات وسأكتفي بتقديم شهادة بعض العقلاء من أمريكا ممن أحسوا بالخطر القادم الذي يتهدد أمريكا وينذر بسقوطها القريب، يقول «روبرت هاي» «Robert P.Hay» أستاذ التاريخ في جامعة «ماركويت» في مدينة «Migwaukee» الأمريكية: «إن أمريكا عام ١٩٨١ مفككة إلى حد لا يطاق، ونحن في أمس الحاجة إلى الإحساس بالحياة الاجتماعية، ومن السهل أن نفهم أن أمريكا ضائعة الأرواح حيث لا يرتبط الفرد بشئ، فهو يبحث عن هويته، يبحث في العمل وفي المهنة وفي التقدم الاقتصادي عن علامة تميزه، وتخبره من هو».

ويقول الكاهن المشهور «جيري فولول» «Jerry Falwell» في كتابه: «اسمعي يا أمريكا Listen America»:

«لدى إحصاءات مرعبة عن حوادث

الطلاق، وتدمير الأسرة، والإجهاض وجنوح الناشئة، والفوضى الجنسية، وتعاطى المخدرات، وجرائم القتل، إننى أشاهد حطام الإنسان والأرواح المهدورة بأكداس تفوق الإحصاءات، إن أمريكا بحاجة سريعة إلى الإنقاذ الروحى والأخلاقى إذا كانت تريد أن لا تهلك فى القرن القادم»، قال ذلك فى عام ١٩٨١م.

ثمن الانحراف عن الفطرة

إن أمريكا اليوم تدفع ثمن انحرافها عن الفطرة وهى فى طريقها إلى السقوط، وإذا كانت ما تزال تملك بعض القوة التى تظهرها وكأنها تتحرك فإن هذه الحركة هى حركة الدفع الذاتى التى تبقى بعد توقف آلات الدفع تمهيداً للسكون النهائى وإذا كان سقوط «الاتحاد السوفياتى» قد جاء على يد المسلمين فى أفغانستان، فإن لعنة أفغانستان والعراق ستنشب بالجسد الأمريكى ولن تتركه إلا حطاماً فالضربات التى تنهال على الجيش الأمريكى ضربات موجعة قاتلة، والخسائر التى يمنى بها خسائر مروعة[٢] وعندما استمع إلى الأرقام الفلكية التى تنفق والأرواح التى تزهق، أتذكر قول ربى سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾

[الأنفال: ٣٦]

إن الحضارة الغربية والأمريكية التى عجزت عن صيانة أهلها وكفايتهم، هى عن صيانة غيرها أعجز ولم يبق للبشرية اليوم منقذ ومخلص إلا الإسلام.

إن هتافات كثيرة من هنا ومن هناك، تنبعث من القلوب الحائرة.. تهتف بمنقذ.. وتتلفت على «مخلص» وتتصور لهذا المخلص سمات وملامح معينة تطلبها فيه. وهذه السمات والملامح المعنية لا تنطبق إلا على الإسلام، فهل آن الأوان لكى يتقدم أبناء الإسلام ليقودوا سفينة البشرية بعد أن خلا فيها مقعد الربان؟؟!

***

(٢) «أذاعت قناة الجزيرة يوم ٢٢/٤/٢٠٠٥، اعتماد الكونجرس الأمريكى مبلغ ٨١ مليار دولار لزيادة الإنفاق على الحرب فى العراق وأفغانستان.

خطبة الجمعة :

الإسلام إصلاح لا ثورة

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصى

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

الحمد لله، هو ولى الرشاد والتوفيق، وهو الهادى إلى أقوم طريق :

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾

(البقرة : ١٣٨)

نشهد أن لا إله إلا أنت، لا خير إلا منك، ولا نصر إلا بك، ولا اعتماد إلا عليك :

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾

(إبراهيم : ١٢)

ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبدك ورسولك، أصلح الفساد وأنقذ البلاد وهذب العباد :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء : ١٠٧)

فصلواتك اللهم وسلامك عليه، وعلى آله وصحبه، وجنوده وحزبه :

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

(الزمر : ٣٣، ٣٤)

يا أتباع محمد - عليه السلام - ..

فى الأمة الإسلامية قوم تربوا على غير مبادئها السليمة، وأهدافها القويمة، ترونهم يحسبون منها وينسبون إليها، وهم لا يؤمنون

بها، ولا يثقون فيها، بل تتجه ثقتهم دائما إلى كل شىء يأتى من الخارج، حتى فيما يتعلق بالقلوب والعقول، أو يتصل بالوقائع والتاريخ.. وخذوا إن شئتم على سبيل المثال تمدحهم الدائم المتكرر بالثورة الفرنسية، فهم يتغنون بها فى حفلاتهم وكتاباتهم، ويعتبرونها أكبر حادث قرر حقوق الإنسانية، وأعظم ناشر لمبادىء الإخاء والحرية والمساواة.. وكذبوا والله ثم ضلوا ضلالا بعيدا.. إن الشمس عند أمتهم فكيف تركوها إلى المصباح الضئيل، وإن السبق لدينهم العظيم الذى ينتسبون إليه، فكيف يقدمون عليه لاحقا لا يرتفع عن مرتبة الأقزام والذيول؟!.

الحرية روح الإسلام

لقد سبق الإسلام ثورة فرنسا بأكثر من ألف عام فى تقرير حقوق الإنسان، والدفاع عنها بقوة وإيمان، والحرص عليها مع حياطتها بعوامل السلام والأمان، ولم يكتف الإسلام بالنصوص يرددها ويلقيها، أو يسجلها ويبقيها، بل جعلها جزءا من العقيدة لا تكمل صلة المرء بربه إلا إذا أقامها ورعاها، ثم طالب أتباعه بأن يجاهدوا من أجلها، ولا يلقوا أسلحتهم إلا إذا اطمأنوا إلى تنفيذها وسيادتها، كما وضعها أمام أبصارهم وبصائرهم فى كتابه المجيد يتلونه صباح مساء، ويتدبرونه فى كل آن، ويعبدون ربهم بترتيله مع تطبيق ما فيه، وليس بعد هذا تركيز أو إعزاز!.

وحسبنا فى مبدأ الإخاء قوله - تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

(الحجرات: ١٠)

وقوله:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

وقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾

(النساء: ١)

وقول رسوله - عليه صلوات ربه -: «وكونوا عباد الله إخوانا» [١] وقوله: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٢].

وحسبنا فى الحرية قول الرسول - عليه الصلاة والسلام -: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه» [٣] وقول عمر وهو يترجم عن روح الإسلام الصحيح أصدق ترجمة: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا»!.

(١) مسند الإمام أحمد ٢/٢١١، ٣١١.

(٢) البخارى ١/١٠.

(٣) مسند الإمام أحمد ٣/٤٩١.

وحسبنا فى المساواة قوله - تبارك وتعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات : ١٣)

وقول رسوله - عليه صلاته وسلامه - : «كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى» [٤]، وقول عمر لجبلة الغسانى حين أبى وهو ملك أن يقتص منه سوقة اعتدى جبلة عليه : إن الإسلام جمعك وإياه فلست تفضله بشىء، إلا بالتقوى والعافية !.

إحياء للمشاعر

وهناك بعد هذا فرق جوهرى كبير جدا بين الوثبة الإسلامية والثورة الفرنسية، يبين لكم مدى الاختلاف بين عمل الإنسان وهدى الديان، فقد كان عمل الفرنسيين ثورة، والثورة مؤامرة يحرض عليها الخبثاء، وينفذها الجهلاء، ويجنى ثمرتها الجبناء، وقد كانت حركتهم حركة تمردية غاضبة صاخبة، لا تدرى كيف تخطو، ولا إلى أين تتجه، فليس هناك منهاج معلوم، ولا طريق مرسوم، بل ضاق الشعب الفرنسى من ظلم حكامه، وبغى طواغيته، وترف رؤسائه، وفجور كبرائه، وجاع حتى اشتد به الألم من المسغبة والحرمان، فظن أنه ليس هناك أسوأ مما هو كائن، فقام يهدم ويحطم، ويقتل ويتخلص من الظالمين بلا تأن أو هوادة، وأسرف فى ذلك إسرافا مشينا بلا قانون أو معادلة، وشاءت الأقدار أن تنجح الثورة، لا عن بصر من أصحابها بالعواقب، ولا عن طريق التدرج فى الخطأ والمراتب، بل لأن الحظ كان مواتيا، وانتهت الثورة بمبادئها الثلاثة التى أذاعتها فرنسا وتغنت بها، ولكنها خرقتها ألف مرة، ومآسى فرنسا السود فى التاريخ السابق والمعاصر مستفيضة، تشهد بها فظائعها فى سوريا ولبنان، وفى تونس والجزائر، وفى غير ذلك من الأقطار، وحديث الأفاعى طويل المدى !.

وأما الإسلام فقد كان على العكس من ذلك، لم يكن ثورة عمياء بل كان إصلاحا مبصرا، ولم يكن حركة تمردية تهدم وتحطم، بل كان إحياء للمشاعر وبناء للمجتمع، ولم يكن ضربة طائشة غير محددة الهدف، بل كان صراطا مستقيما نزل به الروح الأمين، من رب العالمين، على قلب الرسول المبين، ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور.

الإسلام إصلاح للعقول

جاء الرسول قومه بهدى ربه، وقد بلغوا ما بلغوه من انحطاط وبوار، فأبان لهم ما هم فيه من ضلال، وما يجب أن يعملوا له من نجاة

(٤) مسند الإمام أحمد ٥/٤١١.

وخلاص، ورسم لهم الوسائل والسبل، وحدد أمامهم الأهداف والمقاصد: من التوحيد والفضيلة والإخاء والعزة والعبودية لله وحده، إلى آخر ما فى الإسلام من مبادىء مقررة مصورة، ثم غرس الرسول بنور نبوته وتأييد دعوته وربانى كلمته هذه المبادىء فى نفوس أتباعه، حتى آمنوا بها وحرصوا عليها وعاشوا لها، وأيقنوا أنه لابد للعالم منها حتى يرقى ويسعد، ثم قاموا عن رشاد وسداد يجاهدون من أجلها، ويبذلون دماءهم الزكية رخيصة فى سبيلها، حتى حققوها فى ديارهم، وفى الديار التى فتحوها باسم الإسلام، على صورة لم نشهد لها مثيلا فى التاريخ، ومن هنا يظهر الفرق الواضح بين الإسلام والثورة، فالثورات الهائجة الصاخبة قد تنجح وقد تفشل، وقد تؤدى إلى عكس المراد منها، وأما الإصلاح المرسوم المحدد، المؤيد بالأدلة والشواهد، الموثوق من حقه وصدقه فلابد من نجاحه، لأنه يمشى على نور، ويصل إلى بلاغ، ولقد جاء الإسلام إصلاحا يقنع العقول، ويجذب القلوب، ويفحم الخصوم ويرسم الطريق، ويضع لكل مشكلة علاجا، ولكل مرض دواء، حتى ما خف من الأعراض والنوازل، ولذلك كان من تأديب الله لرسوله فى القرآن:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

(يوسف: ١٠٨)

ولعل هنا عظة كبرى يجب أن نأخذها عن الإسلام، فالإسلام لا يريد من القادة أينما كانوا أن يسيروا فى طرقهم صما وعميانا، ولا أن يتصرفوا بلا قاعدة أو منهاج، بل لابد من معرفة الطريق أولا: أين يبدأ وأين ينتهى، ثم الإيمان بتوصيله، ثم الوثوق باستقامته، ثم الثبات عليه، وبذل الجهد والطاقة لبلوغ نهايته أو الشهادة أثناءه.. فليت الذين يضعون فى أيديهم مقاليد أمة محمد فى العالمين يأخذون لأنفسهم درسا أى درس من هذه العظة، حتى يرسموا لأنفسهم خطة، ويضعوا لأمتهم منهاجا، بدل أن يسيروا خاضعين للظروف والمناسبات.

يا أتباع محمد - عليه السلام -

دين الهداية

إن الإسلام القيم الذى هدى الملايين لايزال هو الإسلام:

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الروم: ٣٠)

وإن الإسلام الذى اهتدى به الملايين لايزال صالحا لهداية ملايين أخرى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾

(الحجر: ٩)

قصيدة العدد

طارقُ بنِ زيادٍ

للشاعر الكبير الأستاذ/ على محمود طه

أشباحُ جنٍّ فوقَ صدرِ الماءِ ... تهْفُو بأجنحةٍ من الظلماءِ؟
أمْ تلكَ عُقْبانُ السماءِ وثْبَنَ من ... قُنَنِ الجبالِ على الخضمِّ النائى؟
لا، بل سفينٌ لُحْنَ تحتَ لواءٍ ... لِمَن السفينُ تُرى وأىُّ لواءِ؟
ومَن الفتى الجبَّارُ تحتَ شراعِها ... متربِّصًا بالموجِ والأنواءِ
يُعْلى بقبضتهِ حمائلَ سيفهِ ... ويَضُمُّ تحتَ الليلِ فضلَ رداءِ
ويُنيلُ ضوءَ النجمِ عالىَ جبهةٍ ... من وسْمِ «إفريقيةَ» السمراءِ
ذهَبٌ ببوتقةِ السَّنى من ذوبهِ ... مَسَحَتْ مُحيَّاهُ يدُ الصحراءِ
لونٌ جَلَتْ فيه الصحارَى سحرَها ... تحتَ النجومِ الغُرِّ والأنداءِ
وسماءِ بحرٍ ما تطامنَ موجُهُ ... من قبلُ لابنِ الواحةِ العذراءِ
بحرٌ أساطيرُ الخيالِ شطوطُهُ ... ومسابحُ الإلهامِ والإيحاءِ
ومدائنٌ سحْريَّةٌ شارفنَهُ ... بنخيلِها وضفافِها الخضراءِ
ومَعابدٌ شمَّ، وآلهةٌ على ... سُفُنٍ ذواهبَ بينهنَّ جوائى
أبطالُ «يونانٍ» على أمواجهِ ... يطوونَ كلَ مفازةٍ وفضاءِ
يتجاذبون الغارَ تحتَ سمائهِ ... يتناشدونَ ملاحمَ الشعراءِ

مــازال يرمى «الرُّومَ» وهو سليلهم ... ويُديلُ من «قـرطاجـة» العـصـمـاء
حــتى طلَعْتَ به فكنت حـديثـهُ ... عـجَـبًـا ! . وأىُّ عـجـائب الأنبـاءِ
ويـسـائلونَ بكَ البـروقَ لوامـعًـا ... والموجَ فى الإزبادِ والإرغـــــاءِ
من علَّمَ البـدوىَّ نشـرَ شـراعـهـا ! ... وهَدَاهُ للإبـحــــارِ والإرســـاءِ !
أين القـفــارُ من البـحــارِ وأين من ... جنِّ الجـبـــالِ عـرائسُ الدأمــاءِ ؟
يا ابن القِبَاب الحُمرِ ويْحَكَ ! من رمَى ... بكَ فــوق هذى اللجَّـة الزرقـاءِ ؟
تغـزو بعـينيكَ الفـضـاءَ وخلفَـهُ ... أُفُقٌ من الأحـــلامِ والأضــواءِ
جُـزُرٌ مُنوَّرَةُ الثـغـور كـأنّهـا ... قطراتُ ضـوءٍ فى حـفـــاف إناءِ
والشرقُ من بُعْدٍ حـقـيقـةُ عـالمٍ ... والغـربُ من قُـرْبٍ خـيـالةُ رائى
ضحكتْ بصفحته المُنى وتراقصتْ ... أطيـــافُ هذى الجنَّة الخـضـــراءِ
ووَثَبْتَ فـوق صـخـورها وتلمَّـسَتْ ... كـفَّـــاكَ قلبًـــا ثائرَ الأهواءِ
فكـأنما لكَ فى ذُرَاها مَــوعِــدٌ ... ضَـربَتْـهُ أندلسـيَّـةٌ للقـاءِ !
ووقفتَ والفتـيـانُ حولكَ، وانبرتْ ... لكَ صـيـحَــةٌ مـرهوبةُ الأصداءِ :
هذى الجـزيرةُ إنْ جـهلتم أمـرَها ... أنتُمْ بهـــا رهطٌ منَ الغُــربـاءِ
البــحــرُ خلفى والعـدوُ إزائى ... ضـاعَ الطريق إلى السفـين ورائى ! !
... وتلفَّـتُـوا فـإذا الخَضَمُّ سـحـابةٌ ... حـمـراءُ مُطْبِـقَـةٌ على الأرجـاءِ
قـد أحـرقَ الربَّانُ كلَّ سـفـينةٍ ... من خلفــه إلاَّ شـــراعَ رجـــاءِ
ألقى عليـه الفـجـرُ خَيطَ أشعَّـةٍ ... بيـضـاءَ فـوقَ الصـخـرة الشمَّـاءِ
وأتى النهـارُ وسـار فـيـه طارقٌ ... يبْـنى لمُلْكِ الشـــرق أىَّ بنـاءِ
حـتى إذا عَـبـرَت ليـالٍ طوَّفَتْ ... أحـلامُـهُ بالبـحـرِ ذاتَ مـسـاءِ
يرعى على الأُفقِ المُرصَّع قــريـةً ... أعْظِمْ بهـــا للغـزوِ من مـينـاءِ
مَـدَّ المسـاءُ لهـا على خُلجانـهـا ... ظلاً، فنامتْ فــوقَ صـدرِ الماءِ !

***

البطولة من المنظور الإسلامى

للأستاذ الدكتور/
محمد أحمد العزب

إذا كانت المرحلة التاريخية الخرافية قد شكلت بطلها على نحو يوحى بأنه بصيص من الحقيقية التاريخية وطوفان من الخرافة الفارغة..

وإذاكانت المرحلة التاريخية الفردية قد شكلت بطلها على نحو يوحى بأنه صانع الحضارة، وقائد التحول، ووحده يقف ليسدد خطا التاريخ.

وإذا كانت المرحلة التاريخية الاجتماعية قد شكلت بطلها على نحوٍ يوحى بأنه ليس الفرد من يستطيع أن يكون بطلاً، وإنما هيٍ حركة التاريخ نفسه، وحتمية أن يصير دائماً، وأن يستحيل أبداً.

إذا كانت كل هذه المراحل التاريخية تشكل بطلها على هذه الأنحاء المتغايرة، فإن الإسلام ينظر إلى القضية كلها نظرة أخرى، ويعيد ترتيب مقدماتها ونتائجها على نحو آخر تماما، ليس ليصل إلى نظرية معادلة أو مغايرة ـ فإن ذلك لا يدخل فى حسابه ـ وإنما ليقيم علاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة الإنسان بالكون، وعلاقة الإنسان بالتاريخ، على أسس حضارية حميمة، تجيش بالحب حين يجيش غيرها بالكراهية، وتلتقى على البناء حين يلتقى غيرها على الهدم، وتتوافق مع الفطر حين لا يتوافق غيرها إلا مع الأهواء!!

إن بطولة البطل ـ من المنظور الإسلامى ـ تبدأ من الأرض لتنتهى فى السماء، هذا هو حجم بطولة البطل فى الإسلام بلا محاولة للتزيد، أو مزيد من رفع الشعارات.. وقد نصل فى نهاية الرحلة إلى قناعات نهائية فى هذا الصدد، ليس لمجرد أن نرتفع بالمنظور الإسلامى فوق كل النظريات

السائبة الملامح، وإنما لنرتفع نحن إلى ذروة الفعل الإسلامى فى واحد من مجالاته الوامضة التى تظل دائما على مستوى الإشعاع والارتفاع.. وقد يبدو قولنا: «إن بطولة البطل - من المنظور الإسلامى - تبدأ من الأرض لتنتهى فى السماء» حماسة جوفاء ليست تنطوى على مضمون ولكننا سنحاول أن نتتبع ملامح هذه البطولة من هذا المنظور لنرى هل هى مجرد فرضية غائمة توحى بها حماسيات معينة؟ أم هى واقع متحرك حر فرض ويفرض نفسه على كل العصور؟

معنى الالتزام

إن خرافية البطل غير واردة من المنظور الإسلامى بالمرة، ولكن فردية هذا البطل أو اجتماعيته هى التى يمكن أن يتناولها المنظور الإسلامى بالتقييم والتقويم.. فبينما يقف أنصار المذهب الفردى فى بطولة البطل عند تخومه الخامدة وبينما يقف أنصار المذهب الاجتماعى فى بطولة البطل عند مشارفه الضاغطة يقتحم الإسلام كل الحواجز والسدود ليقيم بطولة البطل على سواء آخر تماما، فالفردية - من المنظور الإسلامى - لا تعنى فردية مطلقة، ولست أعنى بذلك أن الإسلام يقف فى طريق انطلاق الفرد أو انطلاق المجتمع، وإنما أعنى فقط أن الإسلام لايعطى للفرد ولا للجماعة وجوداعاريا من كل الالتزامات، إن الالتزام الفردى نحو الفرد والجماعة والكون والتاريخ يكمل انطلاقية الفرد من جهة ويعطيها حرية بلا حدود من الجهة المقابلة، وكذلك يعنى الالتزام الاجتماعى نحو الجماعة والفرد والكون والتاريخ.. ومن هنا تصبح الحرية حرية مسئولة، ويصبح الفرد حاملاً آلام المجتمع ويصبح المجتمع حاملا آلام فرده، وبدون هذا الجدل الإنسانى المتحرك النابض يصبح الوجود غابة فاحشة، أو معتركا مائجا بأنانيات من كل لون، وعدوانات من كل اتجاه!!

إن حركة اللقاءالرائع الذى يؤصل له الإسلام بين الفردية الفاعلة والاجتماعية الفاعلة كذلك، تعنى أن الوجود الفردى يصبح بالضرورة وجودا غير أنانى وغير هارب فى أوديته الباطشة، وهى تعنى كذلك أن الوجود الاجتماعى يصبح بالضرورة غير عدوانى وغير ساحق للوجود الفردى الصميمى الوجود!!

الإنسان.. جزء من الكل

والقرآن فى طريقته ونظمه، حينما يتعرض للفرد «كالإنسان» لا يريد الإنسان من جماعة «معينة» وإنما يريد

كل إنسان متمتع بصفات الإنسانية وسماتها، فدعوته الفردية هي دعوة جماعية في عموم انطباقها على كل من يتمتع بهذه الصفة الكريمة صفة الإنسانية إن الإسلام يدمج الفرد في الجماعة ويدمج الجماعة في الفرد، إدماجا يشعر الفرد أنه جزء من كل، ويشعر الكل أنه مؤلف من أجزاء متماسكة، يكفي أن تتداعى جميعا إذا تداعى جزء منها أو أصيب بتجرف عن جماعته أو بتحيز إلى غير جماعته[1].

وإذا كان دمج الفردية في الجماعية، والجماعية في الفردية أول ملامح بطولة البطل من المنظور الإسلامي فإن الظاهرة الفردية نفسها، والظاهرة الاجتماعية نفسها تأخذ في المنظور الإسلامي ملامح غير ملامحها في غير المنظور الإسلامي من كل المذاهب والاتجاهات.. إن الظاهرة الفردية ملتزمة هنا وسائبة هناك، وكذلك فإن الظاهرة الاجتماعية متصلة في حركة نشوئها على المستويين الإسلامي وغير الإسلامي بنوعية من القيم مغايرة ومتخالفة يكاد لا يجمع بينها سوى أن هذه وتلك ظاهرة من الظاهرات!!

ومن هنا.. فإن نظرية الرجل «العظيم» من المنظور الإسلامي غايرت تمام التغاير نظيراتها عند الإغريق والرومان، ليس لأن الإسلام لا يعطي عنايته للبطولة والبطل فتاريخ الحركة الإسلامية غاص ببطولات رائعة من كل لون، ونظرة الإسلام إلى البطل دائما نظرة حب واعتزاز ولكن مفهوم البطولة هو الذي يتغير، وحدود البطل هي التي يقع حولها الاختلاف!! فغير بعيد من المنظور الإسلامي أن يكون البطل التاريخي ظاهرة فردية، بمعنى أن يكون شخص من الفذاذة والاقتدار بحيث يستطيع أن يغير مسيرة التاريخ، أو يجدد شباب الفكرة، ولعل الحكمة العربية الذائعة «أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها فكرها» تلخص هذه الوجهة، وتفلسف هذا الاتجاه.. ولكن ينبغي دائما أن نضع تحت عيوننا أن البطل - من المنظور الإسلامي - لا يتحرك من خلال تسيب جامح، أو انفلات ضبابي الجدود، إنه يتحرك من خلال التزامه الصميمي بقضايا متعددة: قضية العقيدة، وقضية الأمة، وقضية الإنسان، وهو في هذا التحرك لا يمكن أن يستوحي ذاته المنغلقة على ذاته، وإنما هو يستوحي

---

(١) الإسلام اليوم وغدا، بحث في الأخلاق الفردية والاجتماعية في الإسلام للدكتور إبراهيم سلامة ص١٢.

ذوات متعددة بلا حدود: الفقهاء، والعلماء والعامة وتجارب السابقين، ومن هنا تأخذ الفردية سمتاً مغايراً تماماً، فأن يستبد البطل التاريخي بالفتوى على كل مستوى، وفي أي اتجاه، فإن ذلك يعني بالضرورة حتمية الخطأ ليس ذلك فحسب، وإنما يعني كذلك حتمية أن ينفر من بين صفوف الجماعة من يقاوم ويدعو إلى المقاومة، حتى تستقيم الموازين، ويتوافق النبض، وتندفع الأشياء في مسارها الصحيح!!

روح العقدة ونبض الإيمان

والظاهرة الفردية من المنظور الإسلامي تؤكد لنفسها أبداً أنها لا يمكن أن تكون فردية إنفرادية، فحتى حين يغلق الفرد أبوابه ويعود لا يشعر بوجود أحد سواه، يتعالى في وجدانه الوجود الأكبر، فيطمأن من فرديته، ويضائل من غروره!!!

وغير بعيد من المنظور الإسلامي كذلك أن يكون البطل ظاهرة اجتماعية ولكن هذا المنظور الإسلامي يتساءل: «ظاهرة اجتماعية لأي شيء؟.. فإذا صح في المذاهب الأخرى أن البطل ظاهرة اجتماعية لصراع العوامل الطبيعية، إذ العوامل الاقتصادية أو ما شاء من العوامل الأخرى، فإنه لا يصح في المنظور الإسلامي أن يكون البطل ظاهرة اجتماعية إلا لروح العقيدة، ونبض الإيمان والالتزام المصيري بحركة التبليغ.. فالإسلام لا يعطي فردا ما امتيازا من أي لون لمجرد كونه منحدرا من سلالة ما، فالجميع أمامه سواسية لا فضل لواحد على واحد إلا بالعمل والكدح والمعاناة، وبنوعية مايعمل ويكدح ويعاني من أجله!!

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

(الحجرات: ١٣)

ليس معناها أزهدكم أو أعبدكم على مستوى السلب والإيجاب، وإنما معناها أزهدكم في الإخلاد للراحة وأرغبكم في جدل الموت والحياة، معناها أعبدكم تحت راية السيف والحرف، والدموع والدم، إذا هيض للعقيدة جناح، أو استبيح للأمة مجال.. إن أتقانا قد يكون في الحرب أشجعنا، وقد يكون في السلم أنفعنا، وقد يكون في الدين أروعنا.. إن الخرافة التي سادت الفكر الإغريقي والفكر الروماني ،لم تستطع أن تعيش في الفكر الإسلامي لأنها اصطدمت ابتداء بحقيقة أن هذا الدين الرائع شكل من أول لحظات حلوله على الأرض ثورة ضارمة على كل الخرافات، وقاد للمرة الأولى في تاريخ العقائد حركة تحرير شاملة: للعقول من الخرافة، وللجذوع من

الانحناء، وللقلوب من التشريك، وللأرض من الغاصبين وللتاريخ من الكذب، وللقيم من الادعاءات، وللعلاقات من الدنس، وللأقلام من شهوة التسيب المريض!!

وليت عليكم.. ولست بخيركم!

لقد رأينا خليفة يقف فى يوم توليه للخلافة ليخاطب الأمة: «أيها الناس، إنى وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى، وإن رأيتمونى على باطل فقومونى».. إن البطل هنا لا يعبر عن قهر اجتماعى، ولا عن تورم فى الإحساس بالذات، ولكنه يصدر عن حس عقائدى سامت الحق ولا يفارقه وهذا هو محور بطولته.. ولم يكن المجتمع الإسلامى الذى يعيش فيه هذا البطل بغافل عن هذه الحقيقة، فإن صيحة رجل من العامة فى وجه هذا الخليفة العادل بقوله: «والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا».. كانت هى الأخرى تعبيرا صميميا عن رأى القاعدة الاجتماعية فى تقديرها للبطولة، وفى نظرتها إلى البطل إن «الحق» هو نقطة الالتقاء بينهما، والحيد عن هذه النقطة المحورية يعنى انفجارات فى كل اتجاه!!

أساسية أخرى من أساسيات للبطولة والبطل من المنظور الإسلامى، وهى «احترام للحياة» فلقد درجت الحركات البطولية التاريخية جميعا على كل مستوياتها الفردية والاجتماعية حتى والخرافية، على أن يخوض البطل إلى غايته حمامات من الدم بلا حدود وأن يعبر إلى هدفه النهائى على أكداس من الأشلاء الكونية والإنسانية معا.. ولكن الإسلام وحده - يقف من هذه القضية موقف النقيض: «لاتقطعوا شجرا، ولا تقطعوا زرعا، ولا تردموا آباراً، ولا تقتلوا وادعا» هذه كانت وصية القائد البطل - من المنظور الإسلامى - لجيشه الزاحف إلى صدامه المحتوم بأبشع قوى عدوانية طاردت حتى لونية اللون فى اتباع هذا المنظور الإسلامى الواعد الشريف!!

ولكن كل ذلك الحقد العدوانى لم يثر حفائظ القائد، ولم يستدرجه إلى كراهية الحياة فى كل مظهر من مظاهرها فى الإنسان.. والنبات.. والجماد.. والماء.. أبدا لا يفقد البطل من المنظور الإسلامى - إحساسه الملتزم أمام روعة الأشياء.. من الشجر الفارع.. إلى الزرع المتنامى.. إلى الآبار المترعة.. إلى الودعاء الذين لا يقاتلون - إن البطولة هنا مؤطرة بإطارها العقائدى، حريصة حتى فى أعقد مراحل الصدام على أن تمضى الحياة إلى غايتها على أن يستمر الشجر فى الإثمار والزرع فى الإيناع والماء فى التدفق، والودعاء فى تقبيل وجه الحياة!!

الحوار.. بالسيف أم بالحرف؟!

إن الحياة تعنى ـ من المنظور الإسلامى ـ مجال بطولة البطل، وتخريب هذا المجال يعنى أن البطل يعمل فى غير مجال، والحياة هنا شاملة لكل شىء، حياة الإنسان وحياة الحيوان، وحياة الجماد، وحياة النبات، وحياة الحضارة، فى كلمة واحدة «حياة الحياة» إن الحفاظ على كل هذه الحيوات يعنى بالضرورة الحفاظ على طبيعة الدور الذى يؤدى، وعلى ديمومة الحواربالسيف أو بالحرف.. أن السيف ـ حين تفرض الضرورة أن يسل ـ إنما يمهد للحياة أن تمارس حركتها الطبيعية أعنى أن بتر أجزاء شائهة مريضة من هنا أو من هناك لا يعنى شهوة البتر وإنما يعنى حكمة العلاج!!

نستطيع الآن أن نقول: إن بطولة البطل ـ من المنظور الإسلامى ـ تبدأ من الأرض لتنتهى فى السماء.. وهذا هو حجمها الطبيعى لأن امتداد أعراقها الواشجة فى تربة الأرض بلا حدود، يبدأ من التعاطف مع حبة الرمل، وينتهى إلى الحفاظ على روح الحضارة العقائدية بمفهومها الشمولى.. ولأن هذا الانتماء المجذر إلى الأرض لا يشكل غائية مطلقة ولكنه ـ من المنظور الإسلامى اندفاع بكل الملك إلى رحاب الملكوت أعنى بكل الأرض إلى رحائب السماء!!

إن بطولة البطل من هذا المنظور تبدأ من السماء لتنتهى إلى الإنسان الإلهى.. تبدأ من الإنسانية لتنتهى إلى الربانية.. تبدأ من منطلق الجزء ـ ربما ـ لتنتهى إلى منطلق الكل آخر الأمر.. وهذا ما عنيته بقولى: إن بطولة البطل من المنظورالإسلامى تبدأ من الأرض لتنتهى فى السماء، وهذا هو حجمها الطبيعى!!

وبعد: فإن المقارنة هنا ـ بين النمط الإسلامى وبين غيره من الأنماط تصبح بلا مضمون فليس غير النمط الإسلامى من يستطيع أن يبدأ ببطولة البطل من الأرض لينتهى بها فى السماء!! وليس غيره بقادر على أن يعطى بطولة البطل هذا الحجم الشمولى!!! مهما نعانى فى رحلة اللهث وراء أى من المقارنات!!

***

قصة العدد

زواج سعيد

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحديدي

.١.

جلس الحارث بن عوف المرى مع صديقه هرم بن سنان، يتحدثان فيما يبذلان من العطاء، إذ هما سيدان كريمان متفضلان على البؤساء والمعوزين عن سماح وأريحية، وقد عنَّ للحارث أن يسأل صاحبه سؤالا ساقه مساق الفكاهة والدعابة، فقال له:

● يا هرم! إن الناس جميعا إذا أرادوا مدح إنسان بالكرم والسخاء قالوا: هو أجود من حاتم، ولم يقل أحد هو أجود من هرم أو أجود من الحارث! مع ما نبذل من العطاء الجزيل!

● فابتسم هرم بن سنان، وقال فى دعابة: أتريد الحق يا حارث! إن حاتماً أجود منا بكثير!!

● فقال الحارث منفعلا: أحاتم أجود منا يا هرم، وما كان يفعل إلا أن يذبح لضيفه خروفاً فيأكل منه ما يأل ويبقى الكثير لأولاده، ونحن نتحمل الديات والمغارم فندفع مئات النياق، ونصلح بين الناس، فهل يكون حاتم أكرم منا وأجود؟!

● فابتسم هرم وقال لصاحبه فى رقة :

ـ اسمع قول الحق يا حارث، لقد كان حاتم لا يملك شيئاً كما نملك، كان يذبح الخروف والناقة وهما كل ما عنده، ويترك الأمر لله فى تدبير حياته، أما نحن فندفع الكثير ولكن لدينا الأكثر ولو كان لدى أحد منا ناقة واحدة ما ضحى بها وحسب للغد ألف حساب، فحاتم يجود بكل ما لديه، ونحن نجود بالبعض فقط، ونختزن الكثير.

● سكت الحارث قليلا... ثم قال لصاحبه: وماذا نفعل حتى يصير اسمانا فى العرب كاسم حاتم؟

فضحك هرم ضحكة طويلة... وقال

للحارث :

● أنت مولع بتقدير الناس وثنائهم، وهم لا ينسبون لك الجود مهما بذلت، لأن الجود عندهم لا يظهر فى جلاله إلا فى قبيلة طىء، وهو ميراث تركه حاتم لقبيلته، ولا حيلة لنا فيه!

● فاطرق الحارث... وقال: وكيف أكون من طىء وأنا من غطفان؟

● فنظر له هرم وقال: المسألة يسيرة، ترحل إلى سيد طىء أوس بن حارثة الطائى، وتطلب يد ابنته وهو لن يرد سيد غطفان! وبذلك يصبح أبناؤك من طىء، لأن أمهم من قبيلة حاتم!

● فقال الحارث: أتهزل أم تجد يا هرم؟!

● فقال هرم: بل أجد يا حارث.

وكان فى المجلس خارجة بن سنان شقيق هرم فالتفت إليه الحارث وقال له:

● ماذا تقول فى رأى أخيك؟

● فسكت خارجة، وقال وكأنه يسخر من الحارث: أخشى أن تذهب إلى أوس طالباً يد ابنته فيرفض أن يزوجها لمرىً من غطفان، فهو لا يصهر إلا لطائى مثله.

● فانتفض الحارث كالملسوع، وقال: أيرفض أوس أن أكون صهره وأنا سيد مثله ورأس قبيلتى، ومكانى فى العرب لا يجحد، سأسير إليه من الغد، ولتكن معى لتعرف كيف يكون استقبالى فى طىء وكيف يتجمع حولى الناس.

.٢.

وصدق الحارث قوله فصحب خارجة فى رحلة إلى طىء، وفى طريقه الطويل كان يقول فى نفسه: ماذا أصنع لو رفض أوس مصاهرتى؟ أو كيف أواجه الناس فى غطفان، ومعى خارجة وسيكون أول الشامتين! ثم يدركه الأمل فيتصور أنه سيقابل بالترحاب فيهدأ قليلا ريثما تفد إليه الشكوك.

وانتهى المسير إلى طىء، فسأل الحارث عن خيمة أوس فُدل عليها، وما كاد يقابل أوساً حتى قال له:

● أنا الحارث بن عوف سيد غطفان وقد جئتك راغباً فى مصاهرتك.

● وفوجىء أوس بما لم يتوقع فقال فى غضب: لن تبعد ابنتى عنى، فابحث لك عن صهر آخر!

وانكسر قلب الحارث فركب ناقته وتوجه للرحيل وخارجة يقول له:

● ألم أقل لك؟

دخل أوس إلى زوجته منفعلا فقالت له:

● من هذا الرجل الذى كلمك كلمتين وخرج مقطبا، وترك فى وجهك علامة الغضب والانفعال؟

● فقال أوس: إنه الحارث المرى سيد غطفان وقد جاء يخطب ابنتى فرددته.

● فضربت كفا على كف، وقالت لأوس:

أتريد أن تجعل بناتك عوانس؟ إذا لم تزوج إحداهن لسيد بني غطفان فلن تجد في العرب كفئا مثله، انهض يا رجل والحق به وتدارك ما فات!

وسمع أوس كلام امرأته وانطلق راكبا فرسه الأشهب وأسرع في السير حتى اقترب من الحارث وصاح به:

● يا حارث.. يا حارث، استمع إليّ...

فنظر الحارث للقادم، وهو لا يدرى ماذا سيكون فأسرع أوس يقول:

● كنت حزينا أفكر في أمر ساءني وجئت إليّ وأنا موزع الفكر فعجلت بالجواب ثم جئت اعتذر طالبا الصفح، إذ لا أجد خيراً من الحارث بن عوف صهراً كريماً لي. هيا إلى خيمتي لأتدارك ما فات.

وكأن الحارث كان غريقاً ورأى طوق النجاة فعاد في فرح بهيج.

«٣»

● دخل الحارس خيمة أوس، حيث توجه مضيفه إلى زوجته وسألها: أي البنات الثلاث ترين أن تكون الزوج المختارة؟

● فقالت في هدوء: هن لديك فاسألهن.

فنادى أوس كبراهن، وعرض عليها أن تكون الزوج المختارة، فقالت في صراحة:

● لست على جانب من الجمال أتيه به في ديار غطفان وأخشى أن تكون منزلتي لديهن دون ما أرجو، فاختر له غيري.

● فقال لها: أنت ورأيك.

ونادى الوسطى، وعرض عليها أن تكون الزوج المختارة، فقالت:

● لا أحب فراق أهلي وشباب القبيلة كثيرون، وأعلم أنهم يتمنون الاقتران بي فلماذا أرحل؟

فسكت أوس حائراً ثم دعا الثالثة ولكنه وجدها تبتسم ضاحكة فعرف أنها ألمت بالأمر فقال لها:

● وأنت يا بنيتي - واسمها بهيسة: ما رأيك؟

● فقالت سيد كريم من سادات العرب، ولئن ضاق بي مكاني فسأرجع عزيزة كريمة وأظنه لن يضيق.

فقام إليها وقبلها سعيداً ورجع إلى الحارث فأخبره بما كان فسرّ سروراً مفرطاً وفي العشاء أفرد له خيمة خاصة به وبعروسه بعد أن أعلن الأمر في الظهيرة وحضر شيوخ القبيلة وشبابها يهنئون ويباركون.

نظر الحارث فوجد جمالا وشبابا، وحادثها فوجد لباقة وحصافة فلم يطق صبراً عليها ودعاها إلى النوم في جواره، ولكنها نفرت شامسة، وقالت له في غضب:

● أفي منزل أبي؟ كأنه ليس لك منزل خاص بك وبي، كن رجلا يا حارث.

● فأعجب برأيها وقال لها: بارك الله في عقلك ومروءتك وحيائك.

وانتقل إلى غطفان راحلا، وكانت معه في

هودج كبير فقال لها :

● لقد رحلنا عن منزل أبيك فهيا .

فنفرت شامسة مثل صنيعها من قبل، وقالت في غضب :

● أفي الطريق كالأسيرة المغتصبة؟ أين منزلي؟

فأعجب للمرة الثانية برأيها، وقال لها كلمته السابقة :

● بارك الله في عقلك ومروءتك وحيائك .

وما انتهى به المسير إلى قفره حتى لمس ضجيجاً غير معهود وقيل له : إن صديقه هرم ابن سنان حضر إليه عدة مرات، ويطلبه في أمر عاجل، فقال :

● سأزوره في الغد .

وعرف في نفسه أن هرم بن سنان كان قد تكلم معه من قبل في ضرورة المسعى بين قبيلتي عبس وذبيان كي يتفقوا على الصلح بعد حرب دامت أكثر من عشر سنين وقد سالت الدماء أنهاراً، وضج الفريقان حين تأزم الموقف، فقال لزوجه بهيسة :

● إني أعرف لماذا حضر هرم بن سنان، فقد عزمنا على أن نكون رسل السلام بين القوم مهما كلفنا ذلك من أعباء!

● فقالت : ولماذا تنتظر إلى الغد؟ هيا واذهب إلى هرم، وواصلا المسعى في جدّ، وإذا تم ذلك على يدك، فرح العرب جميعاً بك، وجاءوا يهنئونك فخورين، وإذ ذاك تعلن لهم زواجك مني فتعم الفرحة، ويحتفل الناس بمناسبتين مناسبة الصلح الذى تم على يدك، ومناسبة زفافك الميمون، وأكون أنا طائر سعد ويمن على غطفان وعلى العرب جميعاً!

● قال الحارث : لله درك من فتاة، لم أر مثلها من قبل .

ونام في مكان معتزل حتى إذا أشرقت الشمس، وجد هرم بن سنان يسعى إليه وتقابل الرجلان فأخبره أنه اتصل بالفريقين في أثناء غيبته، ودار الخلاف حتى كاد يتسع، ولكنه أعلن في سرور أنه سيتحمل مع الحارث ديات القتلى جميعها، مهما بلغ مقدارها من النياق والجمال . وإذا تأخر منها شيء فسيؤجل إلى عام أو عامين، ولابد أن نسير معاً إلى منازل عبس حيث ينتظرنا هناك أشراف عبس وذبيان، ونقابل ملك عبس قيس بن زهير فهو الذى سيبرم الاتفاق .

استمع الحارث إلى هرم ووافق على ما تم وذهب إلى زوجه يخبرها بما سيقوم به من الرحلة في سبيل الصلح، فقالت له :

● لا تذهب، بل أرسل إلى القوم ليأتوك في ديارك هنا، وسيتحدث العرب بأن أشراف عبس وذبيان قد أتوا إلى سيد غطفان، وأنه قام بتحمل الديات مع صديقه هرم بن سنان! ولابد أن يحضر الملك قيس بن زهير، وسيكون لمجيئه صيت مدو في الجزيرة العربية، إذا يقول الناس : ملك عبس أتى ساعيا إلى سيد غطفان .

● فسأل الحارث في خشية : وهل سيقبل قيس أن يجيء؟!

● فأجابت : لابد أن يقبل فأنت وهرم فى نظره الآن معجزة الإنقاذ .

وكأن القدر كان يجرى وفق مشيئة بهيسة فأسرع شيوخ عبس وذبيان إلى منازل غطفان، وتم الصلح بعد أن تحمل الرجلان الديات، وأقيم حفل كبير حضره شيوخ القبائل وأنشد فيه زهير بن أبي سلمى معلقته الشهيرة، وقد قال فيها مخاطباً الحارث وهرم بن سنان :

تداركتما عبسا وذبيان بعدما
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم

وما انتهى الحفل وتفرق الناس حتى اتجه الحارث إلى زوجته فرحا وصاح بها :

● قدتم كل شيء وفق ما رأيت فهل تفرحين ؟

● فقالت فى ابتسامة : ولماذا لا أفرح وقد صرت سيد العرب .

«٤»

ومضت الأيام فى سرور وبهجة مع الحارث وزوجه الطائية وفى كل يوم يزداد لها حبا وإجلالا فقد أصبحت بعقلها الراجح ورأيها الحصيف موضع استشارته فى أمر القبيلة وشئون الوافدين .

وفى يوم من الأيام جاء إليها الحارث وفى وجهه علائم الحيرة والدهشة، وقال لها :

● لابد أن أتجه مع رجالى إلى المدينة «يثرب»

● فقالت له متعجبة : ولماذا يا حارث ؟

● فقال : لقد جاء أبوسفيان بن حرب من مكة يطلب من غطفان أن تكون شريكة فى حرب محمد، وقد لبت القبائل مطلبه، ولا يسع غطفان أن تتخلف .

● فهزت رأسها مستاءة، وقالت : وماذا فعل محمد بغطفان حتى يذهب شبابها لحربه ؟

● فقال : لقد سارت الجموع ولن تتخلف غطفان

● فصاحت فى وجهه : أبشروا بالهزيمة والعار، لأنكم ظالمون معتدون !

● فسكت الحارث حائراً وقال لها : لقد وعدت أبا سفيان ولابد من الرحيل .

● فصاحت به، دون تفكير : أكرر أنكم ستدحرون وتنهزمون !

ومضت الجيوش من شتى القبائل إلى غزوة الأحزاب، وظن القوم أنهم بكثرتهم الهائلة سيقتحمون المدينة فوجدوا الخندق أمامهم واقتحمه من اقتحم ودار القتال فهبت ريح عاصفة محملة بالرمال وفزع المعتدون وعلموا أن الأمر عسير عسير .. وأخذوا فى الانسحاب مهزومين ورجع الحارث حزينا إلى زوجه فقابلته ساخرة فقال لها فى ذلة :

● لاتزال كلماتك ترن فى أذنى وقد رجعنا الآن نحمل الهزيمة والعار .

● فردت فى حماسة : لأنكم ظالمون معتدون .

إنى لأحبك فى الله يا معاذ

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

ذات يوم كان الفتى الوضىء ـ معاذ رضى الله عنه ـ يمشى مع رسول الله ـ ﷺ ـ مصدر الضياء والوضاءة، فيمسك النبى ـ ﷺ ـ بيده ويقول له «والله إنى لأحبك يا معاذ». فكأنى بسيدنا معاذ -رضى الله عنه- لم يتمالك نفسه من شدة الفرح، ولم تكد قدماه تحملانه. وغارت كل الكلمات فى حلقه. وطاشت الحروف من ذاكرته لشدة حبوره وأراد أن يجيب المصطفى ـ ﷺ ـ لكن تعثرت الكلمات فلم يعثر على جملة يرد بها سوى ما وعاه قلبه وعقله من كلمات المصطفى ﷺ فلم يسعه إلا أن يرد بها ويقول: والله يا رسول الله إنى لأحبك فى الله. ثم يردف النبى ﷺ ويقول للفتى الوضىء القانت العابد: أوصيك يا معاذ لا تدعن دُبُرَ كلّ صلاة أن تقول... اللهم أعنى، على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك[1]».

كان سيدنا معاذ عابداً عالماً فقيها، ونادراً ما يكون العابد عالماً أو العالم عابداً، وقلماً يكون العالمُ فَقيها، فقد تكفى العبادة الرجل عن طلب العلم، كما قد يكفى العالم علمه عن العبادة وإن كان العلم لا يمنع صاحب الطموح والعقل أن يكون عابداً عالماً فقيهاً وذلك هو التفرد والنبوغ، لأن العالِم قد يكفيه العلم لأنه اقتصر على أن يعرف، أما الفقه فهو فوق المعرفة التى تَعنِى بلغة العصر المعلومات، أما الفقيه فهو ذلك الذى يستخرج ويستنبط من المعلومات أحكاماً وعلماً فوق ما يعرفه الآخرون، وبلغة العصر: هو الذى يستطيع أن يتخذ القرار المناسب ويستخرج الحُكْمَ والرأى الصائب بما لديه من معلومات.

ومهما يكن من أمر فإن نفع العابد قاصر على نفسه، أما العالم فإن نفعه مُتَعدٍّ إلى الناس والمجتمع كلِّه ولمن سيجىء بعده، فها نحن ننعم بعلم سلفنا الصالح، ولذلك ورد أن «موت قبيلة

---

(١) النسائى رقم ١٢٨٦، وأبو داود ١٣٠١، ومسند الإمام أحمد ٢١١٠٩ بألفاظ متقاربة

●● الثـــانى: أن النبى - ﷺ أراد أن يطمئن عليه وعلى قضائه كيف يكون فسأله - ﷺ :

● كيف تصنع إذا عرض لك قضاء؟

● قال: اقضى بما فى كتاب الله -عز وجل.

● قال: فإن لم يكن فى كتاب الله؟؟

● قال: فبسنة رسول الله- ﷺ .

● قال: فإن لم يكن فى سنة رسول الله - ﷺ ؟

● قال: اجتهد رأيى ولا آلو- أى ولا أقصر.

فضرب رسول الله -ﷺ- صدر سيدنا معاذ إعجاباً وفرحاً بتوفيق الله له فى مهمته ثم قال: الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله -ﷺ- لما يرضى الله ورسوله.. وكان هذا الحديث هو أساس العلماء فى الاجتهاد والقياس فمعاذ بهذا إمام كل مجتهد ورائد لفقه القياس.. فكم كانت سن هذا الفقيه المعلم فى ذلك الوقت، يوم بعثه الى اليمن -رضى الله عنه- وكان ذلك الوداع المؤثر فى السنة العاشرة للهجرة النبوية وقبل حجة الوداع، فكانت سنه لم تبلغ الثلاثين عاماً.. لأنه رجع فى خلافة سيدنا أبى بكر بعد انتقال النبى - ﷺ- .. فهل كان قول النبى- ﷺ- «عسى ألا تلقانى» ثم قوله «لعلك أن تمر بقبرى ومسجدى».. هل هو طلب من النبى- ﷺ- أو ترج فى أن يمر ويسلم على حضرته - ﷺ.. يقول ابن هشام فى معنى «لعل» إن من معانيها ترجى المحبوب مثل: لعل الحبيب قادم وتختص بالممكن(٨)

● الثالث: «رسالة عزاء»

عن عبد الرحمن ابن غنم قال: «شهدت معاذ بن جبل -رضى الله عنه- حين أصيب بولده- أى مات ولده- (٩) واشتد وجده عليه فبلغ ذلك النبى- ﷺ- فكتب إليه يعزيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل.. سلام عليك فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو أما بعد: فعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر إن أنفسنا وأهلينا وأموالنا وأولادنا من مواهب

---

(٨) مُغْنِى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام المصرى حـ١ ص٢٨٧

(٩) ومَا أظنه عن الرحمن الذى كان يكنى به ومات قبله ودفن معه فى الاغوار إنما ذلك ولد آخر فعبد الرحمن مات قبيل وفاة معاذ فى طاعون عمواس سنة ١٨هـ.

الله الهنيئة وعواريه المستودعة يمتع بها إلى أجل معلوم ويقبض لوقت محدود ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى والصبر إذا ابتلى، وكان ابنك من مواهب الله الهنيئة وعواريه المستودعة، متعك به فى غبطة وسرور، وقبضه منك بأجر كبير، الصلاة والرحمة والهدى إن صبرت واحتسبت فلا تجمعن عليك يا معاذ خصلتين [١٠] فيحبط لك أجرك فتندم على ما فاتك فلو قدمت على ثواب مصيبتك علمت أن المصيبة قد قصرت فى جنب الثواب، فتنجز من الله موعوده وليذهب أسفك ما هو نازل بك، فكأن قد.. والسلام».

لا أملك أن أشكك فى هذ الرسالة بزعم أن ولد معاذ مات فى طاعون عمواس الذى مات فيه سيدنا معاذ وأن ذلك كان بعد انتقال النبى - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى، حيث إن الذين ساقوا هذه الحجة لم يستطيعوا أن يثبتوا أن معاذاً كان له ولد واحد هو عبد الرحمن الذى كان يكنى به واحتمال أن يكون له أولاد آخرون مات أحدهم وهو باليمن، فأرسل اليه النبى- ﷺ - هذه الرسالة يعزيه كما أنه رضى الله عنه كان متزوجاً بأكثر من امرأة واحتمال كثرة الأولاد وارد دون شك.

وبعد:

يقول الإمام الذهبى فى كتابة تاريخ الإسلام[١١] قال بشير ابن يسار لما بعث معاذ إلى اليمن معلماً وكان رجلاً أعرج فبسط رجله فبسطوا أرجلهم فلما فرغ قال: أحسنتم ولا تعودوا، واعتذر عن رجله.. يحكى هذه الواقعة الجاحظ بأسلوبه الساخر الفكه [١٢] فيقول: صلى معاذ بالناس إماماً وقال لهم افعلوا كما أفعل.. فوقف إماما فرفع رجله «لعرجة» فرفعوا أرجلهم، فلما سجد اعترضته قشة من شجرة كادت أن تؤذى عينه فكسرها ونحاها فأخذ كل واحد منهم قشة وكسرها، فلما فرغ من صلاته قال: احسنتم.. ونبههم برفق إلى مواضع الخلل فيما فعلوه.

وأخيراً وليس آخراً أقول: هذا أحد صحابة رسول الله- ﷺ - الذين شرفت وسعدت بزيارته فى مرقده فى المملكة الهاشمية، وكم زرت غيره وتشرفت بالمثول بين يديه من صحابة رسول الله -ﷺ- وكم يوجد فى الممكلة الهاشمية ممن لم يسعفنى الوقت بزيارته.

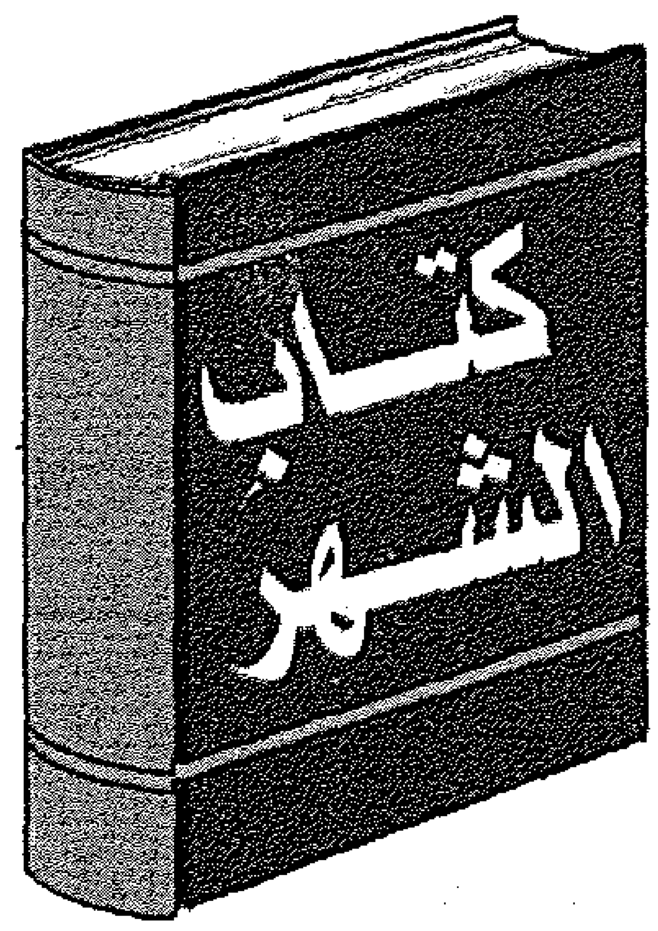
وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنى للكتابة عن كل واحد من صحابة رسول الله ﷺ الذين توجد مراقدهم فى المملكة لأعرف الأجيال بهم وبجهادهم حيث إن كثيرين لا يعرفون ما تضمه المملكة الهاشمية من هؤلاء الأبرار والله ولى التوفيق.

---

(١٠) هما فقد الولد وعدم الصبر والجزع

(١١) تاريخ الإسلام للذهبى جـ٢ ص٧٤

(١٢) انظر كتاب العباقرة من العميان والبرصان والعرجان للجاحظ



التجانس اليهودى والشخصية اليهودية

للدكتور

عبدالوهاب المسيرى

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

٤


د. عبدالوهاب المسيرى

إن أخطر ما يعانى منه العرب ـ فى عمومهم ـ والفلسطينيون بخصوصهم فى مأزقهم الذى فرضه عليهم المستعمرون الغربيون الصليبيون.. هو ذلك التضخيم المبالغ فيه لقوة الدولة الإسرائيلية التى زرعوها فى أرض فلسطين، لتكون لهم قوة متقدمة فى عمق العالم العربى والإسلامى يواصلون منها وبها استنزاف قوة العرب وقدراتهم، ويبددون منها وبها طاقاتهم الخلاقة فى شتى مجالات الحياة.

والتضخيم سلاح نفسى أشد فتكاً وضراوة من أسلحة الدمار الشامل ـ نووية كانت أو كيميائية ـ ثقة منهم بأن أقوى الجيوش تتبدد فعالياتها وتصبح هباء لا أثر له.. إذا قتلت معنوياته أو أضعفت.. فماذا يفعل المدفع فى يد مهتزة، يحركها قلب خائف، وعقل مشتت، ونفس فاجرة؟!

بل.. ماذا تفعل بسالة القائد المحنك بجيش ضللته الأكاذيب، واجتذبته متاهات الأباطيل، وسيطرت عليه افتراءات الأساطير؟!

ولثقتهم فى أثر هذا التضخيم.. حرصوا على استغلال كل موقف لإبراز الدولة الإسرائيلية فى الصورة التى لا تقهر ولا تضعف، حتى هيمن على العرب ذلك، وانجرفت قياداتهم إلى زوايا اليأس، وكادوا ـ فى مجموعهم ـ يستسلمون لأسطورة التفوق الإسرائيلى فى شتى مجالات الحياة، تفوقا

يمكن للإسرائيلى من فعل كل شىء، دون تردد، بل دون حياء وخجل !

والمتأمل البصير يرى: أن مثل هذا التضخيم ليس جديداً على اليهود مع العرب المسلمين.. فما يحدث اليوم، حدث مثله بالأمس مع المسلمين فى المدينة، فقد كادت الصورة التضخيمية تنتقل إليهم من قبيلتى الأوس والخزرج مما توارثوه فى أجيال متعاقبة قبل الإسلام !

ولكن القرآن الكريم نبه المسلمين إلى هشاشة تلك القوة المكذوبة، ونبه إلى أنها هواء امتلأت به تلك «البالونة» فبدت فى هذه الهيئة المضخمة المرعبة !

وكان التنبيه القرآنى عملياً، جاء فى لفتة خاطفة موضحة بصراحتها وواقعيتها.. وذلك قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ «الحشر: ٢»

فالدعوة إلى الاعتبار والاتعاظ، وتفهم الحقائق موجهة من الله العزيز الغالب إلى أولى الأبصار من المؤمنين.. أن يعرفوا حقيقة هذا العدو المتعدى والمعتدى من واقعه الذى يعيشه، وليس من أجهزة الإعلام الكاذبة الضالة المضللة.. وذلك كى يتعاملوا معه على أساس تلك الحقيقة، معتزين بالله، واثقين من عونه ونصره إياهم إذا ما نصروه، وسلكوا الطريق القويم.

والدكتور المسيرى ـ فى كتابه هذا ـ يحاول أن يسقط عن الإسرائيليين هذا القناع الخرافى المزيف الذى تخفوا وراءه، حتى أصبحوا هذا الكيان الضخم، الذى يثير المخاوف، ويبث الرعب فى نفس كل من يتطلع إليه !

وحول هدم الهيكل وبنائه.. خرافات

وعلى النهج اليهودى الصهيونى ـ فى استغلال الأحداث، وتحويل مساراتها ـ استغلوا فى معجمهم مصطلح «هدم الهيكل» الذى يشير إلى ما قام به «تيتوس» سنة ٧٠م، واستغلو ما لهذا الحدث من صورة مؤثرة فى الوجدان اليهودى، فجعلوه مما يذكر عند الميلاد، وعند الموت، وعند الزواج، حيث يحطم أمام العروسين كوب فارغ لتذكيرهم بهدم الهيكل. وفى الماضى.. إذا أراد اليهودى أن يطلى منزله.. كان الحاخامات يوصونه بأن يترك مربعاً صغيراً دون طلاء، ليذكر دائماً واقعة هدم الهيكل. وفى كل عام.. يصام يوم التاسع من آب تذكيراً بيوم هدم الهيكل، وعند كل وجبة، ومع كل صلاة فى الصباح يتذكر اليهود الهيكل، ويصلون من أجل أن تتاح لهم فرصة العودة إلى الأرض المقدسة، والاشتراك فى بناء الهيكل، كما تتلى صلاة خاصة فى منتصف الليل للتعجيل بإعادة بناء الهيكل. وعلى اليهودى أن يمزق ثيابه حينما يرى الهيكل لأول مرة بعد مرور

ثلاثين يوماً من آخر مرة رآه فيها.

ويأتي على قمة هذه الخرافات.. ما تروج له الكتابات الصهيونية من أن هدم الهيكل على يد الرومان هو الذى تسبب فى تشتت اليهود فى المنفى، على هيئة أقليات.. متجاهلين: إن انتشار اليهود فى شتى بقاع الأرض كان قد بدأ قبل ذلك بزمن طويل، ومن غير قسر من أحد، حتى إن مجموع اليهود خارج فلسطين كان يفوق بكثير عددهم داخلها قبل الهدم.

بهذه الأساطير التى قدمنا طرفا منها.. توظف الصهيونية الصورة الأساسية فى الوجدان اليهودى لصنع صورة أساسية فى فكر اليهود السياسى، فيعمقون تزاوج الدينى والدنيوى، وتصبح العودة «أى الاستيطان» بالقوة فى فلسطين فعلاً دينياً، مغفلين ما هم عليه من علمانية ملحدة!

وعلى الرغم من تلك الأساطير.. نرى الفرق اليهودى أمام ما يذهب إليه الفقه اليهودى من حتمية إعادة بناء الهيكل، وإقامة شعائر العبادة القربانية فيه، حينما يعود اليهود إلى صهيون ـ أى فلسطين ـ بقيادة «الماشيح» فى آخر الأيام.. نرى هذه الفرق أمام ذلك تنقسم إلى غير صهيونيين، وصهيونيين.

١- أما غير الصهيونيين فيعارضون العودة الفعلية، وبالتالى: يعارضون إعادة بناء الهيكل، حتى إن الإصلاحيين منهم حذفوا الأدعية الخاصة بإعادة بناء الهيكل، واستعملوا كلمة (Temple) الإنجليزية التى تعنى: المعبد، للإشارة إلى الهياكل اليهودية، قاصدين بذلك: أن المعبد أينما وجد حل محل الهيكل، وأن الهيكل لن يتم استرجاعه أبداً. بينما فضل الأرثوذكس من اليهود غير الصهيونيين استخدام الكلمة اليونانية «سيناجوج» للإشارة إلى المعبد اليهودى، على أن تظل كلمة «هيكل» محددة الدلالة، لا تشير إلى هيكل القدس، وترتبط العودة بعودة «الماشيح».

٢- وأما الصهيونيون، فالمتدينون منهم يرون مسألة إعادة بناء الهيكل مسألة ذات أهمية مركزية، لأنها مسألة عقائدية، وليست علمية ويتبعها ـ فى ذلك ـ كثير من المنظمات الإرهابية الصهيونية الجديدة.

بينما يرى الصهيونيون غير المتدينين: أن محاولة إعادة بناء الهيكل إنما هى نوع من الهوس الدينى، يهدد المستوطن الصهيونى بالخطر، دون عائد ملموس!

ومن هنا.. نجد أن مسألة إعادة بناء الهيكل لا تتمتع بشعبية كبيرة داخل إسرائيل، التى تعد من أعلى مستويات العلمنة فى العالم، بل إن الغالبية الساحقة ليهود العالم وإسرائيل «الإصلاحيون والعلمانيون» لا يكترثون بالهيكل، ولا بالعبادة القربانية، ولا غير القربانية، ويجدونها بقايا تاريخ ميت، لا يعنيهم فى شيء.. حتى إن بعضهم يرى: أن متحف «الهولوكوست» فى واشنطن هو الهيكل الحقيقى!

وبالتضليل الصهيونى.. جعلوا الهياكل هيكلاً

ويرى الدكتور المسيرى: أن تلك المواقف المتباينة إزاء الهيكل يخفى الصهيونيون وراءها ما تقرره حقائق التاريخ: من أن اليهود لم يستقروا على هيكل واحد، وإنما هى هياكل كثيرة، فالعبرانيون القدامى كانوا يحجون إلى مكان يسمى «شيلو»، وفى سنة ٩٢٨ قبل الميلاد انقسمت مملكة العبرانيين المتحدة إلى مملكتين صغيرتين، إحداهما فى الشمال، والأخرى فى الجنوب، فبنى «يربعام» أول ملوك الشمال هيكلانى «سان»، وآخر فى «بيت إيل» وجعل فيهما عجولاً ذهبية، واتخذهما مزاراً مقدساً له، وغير موعد الأعياد، وطرد اللاويين الذين كانوا يشكلون البيروقراطية الدينية للمملكة العبرانية المتحدة، كى يتمكن من الحيلولة بين مواطنى مملكته وبين الذهاب إلى هيكل القدس فى المملكة الجنوبية، حتى لا يستعيد الهيكل مركزيته القديمة.

كما شيد الكاهن الأعظم اليهودى (أونياس) الرابع هيكلا سمى هيكل أونياس، فى (ليونتوبوليس) بمصر بالقرب من (هليوبوليس)، مستندا إلى نبوءة أشعيا التى جاء فيها: «إنه سيشيد مذبح الإله فى وسط أرض مصر»، فجعل منه هيكلا مركزيا لإقامة شعائر العبادة القربانية، ورغم اختلافه معماريا عن هيكل القدس.. كان يحوى الأوانى الشعائرية نفسها، ويتدلى من سقفه فانوس يحمل شمعدان (المينوراه)، ولكن الرومان أغلقوا هذا المعبد سنة ٧٣ م، إثر تمرد قام به يهود مصر، وكان هيكل فلسطين قد أغلق قبل ذلك بعامين اثنين.

وهيكل (اونياس) هذا لا يختلف فى تصميمه المعمارى كثيراً عن المعبد الذى أنشىء فى أوكرانيا إبان تبعيتها لبولندا فى القرن السابع عشر الميلادى، وكان أعضاء الجماعة اليهودية يتخذون من هذه المعابد مكانا للعبادة والدراسة، ومع إمكان استخدامها حصونا وقلاعا عسكرية عند الحاجة التى نشأت فى إطار الإقطاع الاستيطانى البولندى فى أوكرانيا، حين وظف النبلاء البولانديون بعض اليهود فى عملية اعتصار أكبر قدر ممكن من الأرباح من الفلاحين الأوكرانيين، مما أسخط الجماهير على اليهود، فاضطروا إلى الانعزال عن جماهير الفلاحين لغويا وثقافيا، ودينيا، واجتماعيا، فلم يكتفوا بحماية العسكرية لهم، وأخذوا أنفسهم بالتدريب على السلاح، والاحتفاظ بالسلاح لديهم كما جاء فى القرار الملكى ببناء معبد لتسك (Lutsk) وكذلك معبد ريسيسوف.

والدكتور المسيرى يلاحظ ما شهدته المرحلة الأخيرة من توسع كبير فى نشاط المنظمات اليهودية الصهيونية، المعنية بقضية الهيكل، وما شهدته من تنسيق عميق فيما بين تلك المنظمات، بالإضافة إلى انتقال تلك المنظمات من الهامش الاسرائيلى الصهيونى إلى المركز، أى صهينة اليهودية!

ويلاحظ أن تطور هذا النشاط راجع إلى سببين، خارجى، وداخلى:

١- أما السبب الخارجى فيتمثل فى التخوف من أية ترتيبات تدعم سيطرة الفلسطينيين على جبل الهيكل.. هذا التخوف الذى أدى إلى الضغط على الحاخامات من أجل إلغاء التشريع الدينى الذى يحظر على اليهود دخول منطقة جبل الهيكل، خشية أن تطأ أقدامهم (قدس الأقداس)، واستجابة لهذه الضغوط أعلن حاخامات منظمة ييشا yesha التى تمثل المستوطنين اليهود فى الضفة الغربية وقطاع غزة.. أعلنوا فتوى تجيز لليهود دخول منطقة جبل الهيكل.

٢- وأما السبب الداخلى فيتعلق بتصاعد أهمية مفهوم الهيكل فى الأوساط اليهودية، حيث تركزت الأنشطة على الهيكل، فبعد أن كانت إعادة بناء الهيكل أمرا تقرره الإرادة الإلهية وحدها، برز مؤخراً موقف يدعو إلى ضرورة القيام بأى عمل يمهد لبنائه.

ومن أبرز مظاهر صهينة اليهودية.. تحولهم من اليهودية التقليدية (الإرثوذكسية) التى تحرم عودة اليهود إلى فلسطين، وتراها من أعمال الكفر، وارتكابا لخطيئة التعجيل بالنهاية.. بل تطلب من اليهود أن ينتظروا حتى يأذن الإله بالعودة، ويرسل المسيح المخلص، ليقود شعبه إلى أرض الميعاد. ولكن الصهيونيين غيروا ذلك، وطلبوا من اليهود التبكير بالعودة إلى فلسطين إعدادا لمجىء المسيح المخلص.

والتوقعات والوعود الصهيونية سراب

وفى الفصل الخامس (خرافات صهيونية أخرى) يقدم الدكتور المسيرى طائفة من الوعود الصهيونية التى خدع بها الكثيرون- خصوصا العرب- والتى تبخرت مع الواقع، وتراءت، سرابا خادعا. مثال ذلك:

أ) جمع شمل اليهود المشتتين: فبعد أكثر من خمسين عاما على فوضى دولة إسرائيل.. مازال يهود العالم - خصوصا الأمريكيين- يرفضون الهجرة إلى أرض الميعاد.

ب) تطوير جوهر اليهودى لم يتحقق، لأن الشباب اليهودى - «فى الدياسبورا» فى الشتات الغربى الرأسمالى، وفى البلاد الاشتراكية ـ يتجهون نحو الحضارة العملية العلمانية السائدة.

جـ) الوعود بتحرير اليهودى من (منفى الروح) تبخرت، إذ انخرط عدد كبير من الشباب اليهودى المتمرد فى سلك الحركات اليسارية المعادية للمفاهيم الصهيونية، مؤكدين فشل الصهيونية فى تحقيق وعودها.

د) فشلت الصهيونية فى خلق حياة سوية للشعب اليهودى، خالية من الهامشية والطفيلية، فلم تنجح إلا فى خلق «جيتو» سياسى كبير يسمى «إسرائيل»، يضم قلة من اليهود، تحيا حياة هامشية، لا جذور لها، تتمركز فى المدن، وتعيش على المعونات الآتية من يهود العالم، ومن الدول أصحاب المصالح الخاصة.

هـ) لم تستطع الصهيونية خلق التوحد بين اليهود، وظل توزعهم بين ازدواج الولاء الحضارى، والسياسى مسيطراً عليهم، خصوصاً مع إنشاء دولة إسرائيل، مع ما يفرضه هذا الازدواج من تناقض فى المصالح والقيم.

و) تأكد زيف الصهيونيين أن الدولة اليهودية ستكون نموذجاً للمدينة الفاضلة، فقد قرر الواقع: أن فارقا شاسعا بينها وبين دولة «أمة الروح» التى تقدم لأمم الأرض مثلاً يحتذى كما وصفها الصهيونيون، فهى لست سوى ثكنات عسكرية ضخمة، تضم ترسانة عسكرية رهيبة، لم يعرف التاريخ الحديث لها مثيلاً، حتى ولا فى ألمانيا النازية.

ز) فكرة «الشعب المختار» تبددت مع رياح الواقع العملى، حيث تواجه الجماعات اليهودية فى إسرائيل معظم المشكلات التى يواجهها أى مجتمع صناعى حديث.

من كل هذا.. يتقرر: أن مزاعم الصهيونية إنما هى نتاج رؤيتهم الخيالية الأسطورية، ولا علاقة لها بأبعاد ما يسمى «الشخصية اليهودية».

ومن هنا.. يفضل كثير من الباحثين أن يميزوا بين اليهود فى الشتات «فى الدياسبورا» وبين الإسرائيليين، خصوصاً من ولدوا فى إسرائيل «الصابرا» الذين يكنون الاحتقار الشديد ليهود «الدياسبورا»، لما تتسم به حياتهم من السلبية، وتقبل حكم الأغيار، فهؤلاء «الصابرا» يعادون العقل والفكر الإنسانى- مع ترحيبهم بالحلول العملية، والتفكير العملى- استجابة خالصة منهم للتوجه الصهيونى الذى يعادى الأخلاق، والفكر، والتنظير، ويفضل اللجوء إلى الفعل، والفعل السريع الذى يخلق حقائق جديدة، ويفضل الاستجابة للثقافة الشعبية، ذات الصبغة الأمريكية، بما تنشره من أفلام رعاة البقر، وأفلام الجريمة، والإثارة الجنسية.

والدكتور المسيرى يخلص من عرض تلك الطائفة من الوعود السرابية.. ليقرر: أن السر فى سيطرة الخوف والقلق على وجدان اليهود راجع إلى شعورهم بما يشعر به كل من يغتصب أرض الآخرين، من ترقب نهوض أصحاب الأرض الأصليين لاسترداد أرضهم من غاصبيها، وليس راجعاً إلى شعور اليهودى بالاضطهاد من الآخرين، على ما يفسرون به موقف النازية من اليهود، كما أنه ليس راجعاً - كذلك إلى ما يزعمه أعداء اليهود من جبن الشخصية اليهودية، وحرصها الشديد على الحياة الدنيا!

فالهاجس الأمنى ليس له جذور يهودية، وإنما جذوره استيطانية، إذ هم فى الحقيقة يشبهون الأمريكيين البيض الذين استوطنوا أمريكا الشمالية، والذين استوطنوا استراليا، ونيوزيلندا والجزائر وجنوب أفريقيا.. فى خوفهم المسيطر عليهم من انتفاضة أصحاب الأرض الأصليين.

فإذا كانت التصريحات السياسية تخفى هذه الحقيقة، ترويجاً لمبدأ الاختيار «آين

بريارا» الذى يعنى : أن على المستوطنين أن يحاربوا ويحاربوا ضد عدو لم يهدأ له بال .. إذا كانت التصريحات السياسية تخفى الحقيقة لهذا، فإن أدبياتهم تفصح عن تلك الجذور الحقيقية !

أثر التضليل الصهيونى فيمن تنبهوا إليه

والدكتور المسيرى لا يقف عند حدود هذا الرصد، ولكنه يتحسس توجه المستوطنين بعد وقوفهم على تلك الخدع، فيرى : أن الصهوينية لم تعد هى الأيديولوجية التى تهديهم، ولا هى الإطار الذى يدركون العالم من خلاله.

ويستدل على ذلك بعدم الاكتراث بالمؤتمرات الصهوينية، كما ظهر واضحاً فى المؤتمر الثانى والثلاثين سنة ١٩٩٢ وما تلاه، حتى لقد أثيرت فى الآونة الأخيرة شكوك قوية- من جانب كثير من القيادات والتيارات الصهيونية- حول جدوى تلك المؤتمرات، إذ يرون أنها تحولت إلى منتديات كلامية، وأصبحت عاجزة عن مواجهة المظاهر المتفاقمة للأزمة الشاملة للحركة الصهوينية ودولتها، مثل : مشكلات النزوح، والتساقط، واندماج اليهود فى مجتمعاتهم، والزواج المختلط، والتمايز بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين، وانفضاض كثير من يهود العالم عن الحركة الصهيونية.

ويؤكد هذا من ظهور ما بعد الصهيونية فى الخطاب الفلسفى الغربى- بما يعنيه ذلك من ذبول لها وضمور- وظهور المؤرخين الجدد الذين جعلوا همهم تقويض الأساطير الصهيونية، وإيضاح زيفها بقصد التخفى وراء خدعة أخرى تتظاهر بالرغبة فى السلام والبعد عن عقد التاريخ، وتناسى الخلافات القديمة.. تتظاهر بذلك بغية وقف المقاومة، واستسلام المقاومين، نظير تسليم بعض مدن وقرى، لا تنسحب منها القوات الإسرائيلية الغازية، وإنما يعاد نشرها تحت شعار «الأرض مقابل السلام».

فالأساطير هى.. هى.. مازالت تقودهم، وتحركهم فى إطارها، ولكن بتعديل فى المنهج، إذ تصورات الإسرائيليين للسلام إنما تنبع من أن للإسرائيليين حقوقاً مطلقة فى أرض فلسطين، لأنها «أرض بلا شعب»، وأن بقية المنطقة ما هى إلا ساحات وأسواق لهم.

أى : إن عقد التاريخ التى يسعون لإسقاطها لا تتجاوز تاريخ العرب، ليتحولوا الى جماعات بدون هوية تاريخية، ولا ثقافية.. وبذلك ـ وحده ـ تتحقق الاستراتيجية الإسرائيلية للسلام بدون مواجهة ولا مفاوضات.

ويرى الدكتور المسيرى : أنه لا غرابة فى ذلك، فالخطاب الإسرائيلى مثل الحرباء يتلون حسب الظروف، فإذا كانت فى بداية القرن العشرين قررت استعمار فلسطين بسبب تخلف الفلسطينيين، كما صنع المستعمرون

الغربيون فى شتى الدول الأفريقية والآسيوية، فإنها اليوم- مع تزايد قوة حركات التحرر- تحولت هى الأخرى إلى حركة تحرر للشعب اليهودى، ثم تحولت- مع تصاعد الخطاب البيئي- إلى حركة بيئية، فهم يستولون على الأرض لتحقيق التوازن البيئى وليس بغرض الاستغلال.

وعلى الرغم من هذا التلون الحربائى.. كشف الصهيونيون- فى المؤتمر الرابع والثلاثين سنة ٢٠٠٢ عن حقيقتهم العنصرية القبيحة بوحشيتها، فلم تخرج مقترحاتهم- لحل مشكلاتهم- عن: الحرب ضد حق عودة الفلسطينيين، والقيام بعمليات طرد واسعة للعمال الأجانب والعرب، ومطالبة الحكومة الإسرائيلية بضرورة دعم الاستيطان بشتى الوسائل فى النقب، ووادى عربا، والجليل، والتأكيد على مركزية إسرائيل فى حياة يهود الشتات «الدياسبورا»، حتى يصبح بوسع اليهودى أن يكون مواطناً أمريكياً.. وطنه الأصلى إسرائيل، مثله مثل الأمريكى الألمانى، والأمريكى المصرى، والأمريكى الأيرلندى.. الخ، متغاضين عن الفرق الكبير بين الحالتين، إذ الأمريكى الألمانى - مثلاً- مواطن ألمانى هاجر إلى أمريكا، أما الإسرائيلى الأمريكى فهو مواطن أمريكى هاجر إلى إسرائيل.. قاصدين بتلك المغالطة الكبرى إقرار جعل إسرائيل وطناً أصلياً، والضغط على يهود العالم، لكى يتخلصوا من وصف «الصهيونية التوطينية» التى يوصف بها اليهودى الذى يفضل الحياة فى وطنه الأصلى، ويكتفى بتأييد الاستطيان، والإسهام فى توطين الآخرين فى فلسطين.. لكى يتخلصوا من هذا الوصف، ويقبلوا وصف «الصهيونية الاستيطانية» التى يوصف بها اليهودى الذى يترك وطنه ليستوطن فى فلسطين، ويحمل السلام لطرد أهلها منها، حتى إن «بن جوريون» تصدى ليهود العالم التوطينيين فى المؤتمر الخامس والعشرين سنة ١٩٦١ ليؤكد على أن الهجرة إلى إسرائيل واجب دينى وقومى، على كل اليهود.. وواصلوا هذا المنهج فى مؤتمراتهم التالية، على الرغم من إصرار التوطينيين على حقهم فى البقاء بوطنهم الحقيقى الذى يعيشون فيه.

ولقد احتدم هذا الصراع بين الاستيطانيين والتوطينيين إلى درجة جعلت أمين صندوق الوكالة اليهودية «حاييم تسلو» يعلن تفضيله المهاجرين غير اليهود من الاتحاد السوفيتى السابق على اليهود الأمريكيين الذين يفدون إلى إسرائيل بقصد السياحة، ثم يعودون إلى أمريكا.

والدكتور المسيرى يرجع اهتمام هذا الصراع إلى عزوف يهود العالم عن الاستيطان فى فلسطين عزوفاً واضحاً، فراراً من أخطار المقاومة الفلسطينية التى أثبتت أن فلسطين ليست أرضا بلا شعب، تستقبل من شاء ليقيم فيها مستوطناته.

معاملة المسلمين مع غيرهم

الانحراف في التطبيق

البشر بشر يصيبون ويخطئون، تتنازعهم عوامل الخير وعوامل الشر، منهم الملتزم الذى يطبق أحكام وتعاليم دينه، ومنهم المخالف الذى لا يلتزم بتنفيذ ذلك.

ومع أن مبادىء الإسلام، وأحكام الشريعة الإسلامية بهذا الوضوح، وتلك الاستقامة والاعتدال، وهذه السماحة فى تحديد حقوق وواجبات الأقليات غير المسلمة فى ديار الإسلام، على النحو الذى أوضحناه سابقا، والتى كفلت جميع الحقوق التى للمسلمين لهذه الأقليات دون نقص أو حيف، وألزمتهم بأداء جميع الواجبات التى على المسلمين دون زيادة أو إرهاق..

مع هذا فإنه فى بعض الأزمنة والعصور تظهر على مستوى الأفراد والجماعات والدول من يتبع أسلوب التطرف والمغالاة فى الفكر والعقيدة، والسلوك والعمل، والقول والفعل.. وتحدث مواقف شاذة من بعض الحكام أو من بعض الجماعات أو من بعض الأفراد تكون مخالفة تماما لمبادىء الإسلام وأحكام الشريعة الإسلامية فى جميع مجالات الحياة.. وفى تلك الحالة يجب ألا نحمل الإسلام تبعة ووزر هذه التصرفات، وإنما الحق والعدل والإنصاف أن يتحمل وزرها من قام بفعلها..

وأخطر ما فى التطرف والانحراف فى التطبيق، أن المتطرفين يستخدمون الآيات القرآنية والأحاديث النبوية استخداما فى غير المقصود من معانيها، ويستدلون بها استدلالا خاطئا لتأييد أفكارهم المنحرفة، ودعم آرائهم الباطلة، مجانبين الحق والصواب.. فيأخذون من بعض الآيات القرآنية جملة يقفون عندها -تؤيد فى الظاهر رأيهم- دون أن يكملوا الآية

ـم... المبادئ والتطبيق

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف
رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية بالأزهر الشريف

٨

أو الآيات التى تتعلق بهذا الحكم، والتى توضح رأى الإسلام الصحيح فيه.

فمثلا: القتال فى الإسلام شرع للدفاع عن النفس ورد الاعتداء، وهذا حق مشروع تقره كل الشرائع والقوانين الدولية، ولا ينكره صاحب عقل سليم وفكر محايد، يقول الله تعالى:

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

(البقرة: ١٩٠ - ١٩٣)

فالآيات القرآنية صريحة وواضحة فى أن أمر المسلمين بالقتال هو أن يكون القتال موجها ضد من يعتدون على المسلمين ويقاتلونهم

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾

وضد الذين يخرجون المسلمين من ديارهم

﴿ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ ﴾

أى: قاتلوا فى سبيل الله من يناصبكم القتال من الأعداء، ولاتتجاوزوا فى قتالهم إلى من ليس شأنهم قتالكم، كنسائهم، وصبيانهم، ورهبانهم، وشيوخهم، ويلحق بهؤلاء المريض والمقعد والأعمى والمجنون.. وقد وردت فى النهى عن قتل هؤلاء الأحاديث النبوية ووصايا الخلفاء الراشدين لقواد جيوشهم، إلا من آذر منهم المحاربين من الأعداء.

ولتأكيد هذا المعنى نهت الآيات الكريمة المسلمين عن أن يكون المسلمون هم البادئون بالاعتداء بشتى صوره ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ ﴾ ثم حذرت الآيات القرآنية المسلمين من أن يكونوا هم البادئون بالعدوان، لأن من يبدأ

بالعدوان لايحبه الله، ومن لايحبه الله فقد خرج من دائرة رحمة الله ومغفرته، واستحق غضب الله وعقوبته

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾

فهل هناك تحذير من البدء فى الاعتداء أبلغ من ذلك ؟؟

واحتراما لحرمة المسجد الحرام وهيبته ومنزلته السامية نهت الآيات القرآنية المسلمين عن قتال أعدائهم عند المسجد الحرام، إلا أنها أذنت للمسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم إذا هاجمهم أعداؤهم عنده أو فيه.

ومن شدة حرص الإسلام على السلام، وكرهه للقتال أنه طلب من المسلمين الكف عن القتال عندما يسلم المعتدون، ويوقفوا القتال، ويعلنوا إنهاء القتال من جانبهم، لأنهم قد انتفى عنهم حينئذ وصف الظلم الذى كان يستوجب قتالهم تأديبا لهم ليرجعوا عن الظلم:

﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

ادعاءات كاذبة

غير أن المنحرفين فى التطبيق يقفون عند قوله تعالى:

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾

ويقولون: إن الله أمر بالقتال فى سبيله، وعلى ذلك فإن ما نفعله من قتال غير المسلمين -أو من قتال المسلمين أنفسهم الذين لايؤيدون فكرهم- إنما هو تنفيذ لأمر الله فى قوله تعالى: «وقاتلوا فى سبيل الله» دون أن يكملوا الآية والآيات التى تليها.

وهكذا يسىء المتطرفون استخدام النصوص القرآنية، ويفسرونها على حسب هواهم وتطرفهم..

وللأسف فإن بعض العوام والجهلة بأحكام الشريعة الإسلامية الذين لايعرفون ارتباط الآيات القرآنية بعضها ببعض لمعرفة الحكم الصحيح، ينخدعون بأقوال هؤلاء المتطرفين المنحرفين فى تطبيق الأحكام الإسلامية الصحيحة، ويؤيدونهم فى فكرهم على أنه رأى الإسلام.

على أنه ينبغى إنصافا للحقيقة، ومنعا للظلم، وتحقيقا للعدالة، واعترافا بالواقع، أن نقرر أن الانحراف فى السلوك والتطبيق الذى يحدث أحيانا فى بعض الأزمنة والعصور، ليس قاصرا على أتباع الدين الإسلامى وحدهم، بل إن الانحراف فى السلوك والتطبيق عام عند جميع أتباع الديانات السماوية.. فلماذا نسلط الأضواء، ونركز الأحاديث على الانحراف فى السلوك والتطبيق على المسلمين وحدهم، ونسكت ولا نتحدث عن الانحراف فى السلوك والتطبيق عند أتباع الديانات السماوية الأخرى!!

- يتبع -

معذرة.. سيدى يارسول الله

بقلم / مدير التحرير

تحت ما يسمى بحرية الرأى.. نشرت صحيفة دانماركية وتابعتها فى ذلك صحيفة غربية أخرى رسوما كاريكاتيرية تسخر من النبى المصطفى محمد ﷺ.

وقد ادعى المسئولون عن النشر أن هذه الإساءة تعتبر لونا من ألوان الأدب وأنها وسيلة من وسائل التعبير المشهورة فى العالم.. وما من شك أن الذى يذهب إلى أن السب والإساءة لون من ألوان الأدب، لا يعرف «الأدب».

ولكننا على كل حال نتساءل: هل يخلو قانون هذه البلاد من تجريم سب الأشخاص؟! وإذا كانت الإجابة تأتى بتأكيد وجود نصوص تجرم السب - وبخاصة فى بلدان تدعى لنفسها الديمقراطية - ألا تنسحب تلك النصوص على من يسب الأنبياء من باب أولى؟!

لقد رفض رئيس الوزراء الدانماركى فوغ راسموسن الاجتماع بأحد عشر سفيرا مسلما لعلمه أنهم جاءوا يستنكرون ما حدث!! إن هذا الموقف الذى صدر من رئيس الوزراء الدانماركى يتماشى تماما مع المنطق الغربى القائل: «الذى فى يده السلاح هو الذى يسن القوانين» أو «القوة هى الحق»[(١)] وهو منطق لايعرفه الدين الإسلامى ولا يستسيغه المسلمون فهذا قول أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - حين ولى أمر المسلمين: «الضعيف فيكم قوى عندى حتى أزيل عنه علته والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله عز وجل[(٢)] إن أبا بكر رضى الله عنه مع الحق حيث كان وليس مع القوة، وعلى ذلك تربى المسلمون. إن الإساءة إلى الإسلام ونبى الإسلام والمسلمين هى الشغل الشاغل لأعداء الدين وأعداء النور والحرية.

فمنذ بداية الدعوة يرفض المشركون الانصياع

(١) راجع مجلة الفكر السياسى العدد ٢١ السنة ٨.

(٢) حافظ بن أحمد حكمى: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول - دار ابن القيم - الدمام جـ٣.

للحق، وبرغم أنهم كانوا يشهدون لمحمد قبل الدعوة بأنه «الصادق الأمين» لم يؤمنوا له حين جاءهم محمد ﷺ بأمر الله وهو الحق فقد خاف البعض ضياع مصالحهم واستكبر آخرون لذلك جاء قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾

(الأنعام/ ٣٣)

لقد أنكر المشركون الرسالة.. واستخدموا كل الوسائل للقضاء عليها فتارة يقولون عن النبى ﷺ أنه مجنون وتارة شاعر وتارة ساحر؛ ليصرفوا الناس عن دين الله العزيز الحميد ومنهم من نصب نفسه ليؤذى النبى ﷺ مثل لهب بن أبى لهب الذى أصابته دعوة النبى.

فعن أبى نوفل عن أبيه: قال كان لهب بن أبى لهب يسب النبى ﷺ فقال النبى ﷺ: «اللهم سلط عليه كلبك» قال فخرج يريد الشام فى قافلة مع أصحابه قال فنزل منزلا قال: فقال: والله إنى لأخاف دعوة محمد ﷺ - قال: قالوا له: كلا، قال: فحوطوا المتاع حوله وقعدوا يحرسونه قال: فجاء السبع فانتزعه فذهب به.(٣)

لقد توعد الله كل من يؤذون الرسول ويدبرون ويخططون لإطفاء نور الحق توعدهم جميعا باللعنة فى الدنيا والآخرة فقال سبحانه:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾

(الأحزاب/ ٥٧)

إننا مؤمنون بأن من وجه هذه الإساءة إلى رسول الله ﷺ ستصله لعنة الله فى الدنيا والآخرة كما أننا مؤمنون أيضا أن لنا دورا لابد أن نقوم به، لنصرة دين الله ودفاعا عن الحق حتى ولو لم يكن فى أيدينا ما ندافع به، فأرواحنا تهون ونجود بها رخيصة فى سبيل الدفاع عمن قال الله تعالى له:

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (الشرح/ ٤)

ومن قال تعالى فى شأنه:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة/ ٢٤)

يقول الإمام القرطبى فى تفسير هذه الآية: إن «فى الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله ولا خلاف فى ذلك بين الأمة وأن ذلك مقدم على كل محبوب»(٤) ثم كيف نطمئن على إيماننا إذا غضضنا الطرف عن إساءة وجهت إلى الذى علمنا كيف يكون الإيمان فقال: «والذى نفسى بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»(٥).

---

(٣) مسند الحارث ـ زوائد الهيتمى - مركز خدمة السنة والسيرة النبوية جـ٢.

(٤) القرطبى جـ٨ ص٨٧ فى تفسير سورة التوبة/٢٤.

(٥) صحيح البخارى.

إن الإهانة قد شعر بها مليار ومائتا مليون مسلم فى أنحاء العالم وظهرت واضحة جلية حينما خرج بعضهم ليعبروا عما لحقهم من الأذى فى كل أنحاء العالم الإسلامى.

إن الإهانة - فعلا - كبيرة وموجهة لنا جميعاً.. وهى استفزاز صارخ لمشاعرنا نحن المسلمين، وإذا كان من فعلها يقصد بها اختبار الساحة فى الدانمارك، إن كان فيها متطرفون - على حد زعمهم - فإن الاختبار قد تم ونتائج الاختبار قد تلقتها اليد الدانماركية وتلقفتها يد أخرى صهيونية - إن لم يكن لها باع فى التخطيط - فلن يفوتها استثمار ما حدث.

وأقول: إن خروج الجماهير أمر طبيعى وبخاصة وأن هذا ما نراه فى فضائيات العالم تخرج الشعوب للتعبير عن غضبها من شىء ما يحدث ضد إرادتها، ولكنى أقول: إنه لايجب أن يبقى رد الفعل عند حد انفعال الجماهير!! فالجماهير تحركها العاطفة وهى فى الغالب ذات حركة جارفة سرعان ما تخمد، وهى قبل أن تخمد أداة طيعة لمن يقودها وهى - أيضا - سهلة الاختراق فتتحول بغير قصد إلى أداة تدمر وتخرب وتنفذ ما يرجوه الأعداء، فتهدم فى دقائق ما تم بناؤه فى سنين، بل وقبل أن تُخْتَرَق فإنها لا تملك إلا التقليد، فالقماش الذى تصنع منه أعلاما لتحرق تعبيرا عن الغضب وكل ما على شاكلته ما هو إلا بعض أموال المسلمين!! إن أمة محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس ويجب أن يكون رد فعلها خير رد بين شعوب العالم حتى وإن أسيىء إليها أليس رسولنا ﷺ القائل «لاتكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا»(٦) لذلك فإن ما مرَّ بأمتنا الإسلامية لابد أن نتخذ لأجله خطوات عملية مدروسة جاهزة للتفعيل فيما لو حدث ذلك مرة أخرى؟!! وهو - بلا شك - سيحدث، مادامت الأقليات الإسلامية أصبحت عرضة للتجريب والاختبار!!

وحتى لانقع فى مأزق ثورة غير محسوبة لفرد أو توتر زائد لجماعة لاتعبر عن توجه المسلمين كافة فإنه يجب أن تنظم ندوات ومؤتمرات يحضرها الصفوة من رجال الفكر الإسلامى ويدعى إليها من يرغب من رجال الفكر الغربيين لمناقشة مثل هذه الأحداث للوصول إلى أفضل الحلول الصالحة للتنفيذ.

فلا يصح - أبدا - أن تترك أمور هذه الأمة حتى إذا فجأها حدث فاجع تجتمع الدول العربية الإسلامية وهم تحت ضغط الوقت وكل تحكمه ظروفه ومصالحه فتخرج القرارات ضعيفة ما بين الإدانة والاستنكار فهذا ما لايرضى الله ورسوله.

والملاحظ أننا حين وقوع المستجدات على الساحة العربية نتعامل معها من منطق التعامل الإدارى والحكومى المتسم بالروتين.. أى عقد اجتماع وعمل دراسة وإصدار توصيات.. وهذا حسن فى بعض الأحيان إلا أنه لايتناسب مع تلك المستجدات التى تتسم بالسرعة وضرورة اتخاذ رأى حاسم وسريع!!

- لذلك فلابد من وجود خطة تصلح للدفاع عن هذا الكيان الإسلامى يتفق الجميع على الحد الأدنى

(٦) سنن الترمذى جـ٤ ص٣٦٤.



من نقاطها ويمكن تفعيلها عند الضرورة بإضافة أو حذف لتتلاءم مع مستجدات الأمور تدعى للمشاركة فيها كل الحكومات الإسلامية بدءاً من اليوم حتى تتاح الفرصة للمناقشات وعرض وجهات النظر.. ويجب أن نتخذ القرارات التى نراها لصالح أمتنا ولكن أهم ما يجب أن تتسم به هذه القرارات هو البعد عن الخوف والضعف فقد بات جليا أن الأمة الإسلامية على اختلاف مذاهبها أمة واحدة لاينقصها غير هدف تلتف حوله!!

ويبقى التساؤل.. من لهذه الجماعة المسلمة التى تعيش فى الدانمارك التى وقعت تحت «الاختبار» و«الاستفزاز» من ينصر هذه الأقلية المسلمة؟! إن أول ما يجب فعله هو العمل الدبلوماسى لوضع المسئولين الدانماركيين أمام حقيقة ما حدث لتوجيه الاعتذار لهذه الجماعة المسلمة التى لم ترتكب جرما بل هى جماعة مسالمة بشهادة الجميع.

أما رئيس تحرير تلك الصحيفة الذى وصف تاريخ المسلمين بأنه تاريخ مظلم فإن ذلك الرجل يعيش - فعلا - فى ظلام الجهل بتاريخ الإسلام الناصع المشرق فعليه أن يقرأ للمنصفين - من بنى جلدته - الذين كتبوا عن الإسلام والمسلمين وعن نبى الإسلام من أمثال: لويس سيديو، وبرناردشو، موريس بوكاى.. ورجاء جارودى.. وغيرهم كثير؛ ليعلم فضل الإسلام على الحضارة الغربية.

ولذلك فإنه يجب علينا - أيضا - أن نقدم للغرب صورة ما كان عليه العالم قبل البعثة المحمدية وما آل إليه بعد أن أشرقت عليه أنوار الإسلام إننا أصحاب دين متين، لا تنقصنا الحجة ولا البرهان الساطع فقط نحتاج إلى الجهاد بالمال فعلى الدول الإسلامية جميعا كل حسب طاقته أن يساهم فى مشروع وليكن «التعريف بالإسلام ورسول الإسلام» وقد آن الأوان لمثل هذا العمل.

أبلهُ من يظنُّ في الغربِ قداسة

للدكتور/ علي أحمد الخطيب

ألم يأن للمسلمين - في أي مكان كانوا - أن يدركوا خواء الغرب من الروحانية وقدسية الملأ الأعلى؟!...

ألم يدرك المسلمون - بعد - أنهم - بإيمانهم بالغيب - محط سخرية الغرب، ونظراته المستعلاة لهم.

لكن لا بأس...

فلا زلتم - أيها المسلمون - على إيمان والحمد لله - بالله القدوس العزيز الحكيم، وتخشون بأسه، وترجون رحمته، وتستفتحون أيامكم برضاه - جلَّ علاه.

ولازلتم - أيها المسلمون - تؤمنون بأن أرفع البشر شأنًا، وأنقاهم سريرة، وأعلاهم أسوة هم رُسُلُ الله العليّ الأعلى، وأنه - سبحانه - وحده، ولا أحد غيره - هو الذي فضل بعض الرسل على بعض، وهم جميعًا شخصيات مُطهَّرة مبجلة، وكل طاهر مبجل صحبته القداسة، فما القداسة إلا طهارة مبجلة، أعلاها قدرًا في ذاته - الله جلَّ جلاله.

ثم مازلتم - أيها المسلمون - تقدرون «الحُرُمات» حق قدرها، وتستجيبون لأمرها، لأنها أنشأت بيننا طهارة، وحظيت منَّا بـ«بَجَالة»[1] فهي مقدسة، لأنها أَنْقَتْ نسلنا من الحرام، وحفظت أمعاءنا من التلوث؛ فلم نأكل الخنزير، ولم نعاقر الخمر، ولم نضاجع أمهاتنا وبناتنا، ولم نجعل بيوتنا «ماخورًا» للعاشقين. حتى أصولنا العربية التي اختار الله - تعالى - مُحَمَّدًا ﷺ منها... أصولنا هذه في جاهليتها لم تأكُل لحوم البشر، تلك اللحوم التي ظل يأكلها أهل الدانمارك حتى القرن العاشر الميلادي[2]... لا قبل الميلاد؛ بل بعده بعشرة قرون، فخَمُدَ إحساسهم، فهو كذلك إلا أن يُوخَزُوا.

لقد أكلوا الخنزير ولحوم البشر، أفلا يأكلون لحوم الأنبياء؟!..

إن الجوع - الذي بإمكانكم أيها المسلمون - أن تنزلوه بهم كفيل بوخزهم.

---

(١) بجل - بزنه كَرُم - يَبْجُلُ - بَجَالَة: عَظُمَ قَدْرُهُ وسِنُّهُ.

(٢) انظر: و ل ديورانت «قصة الحضارة» المجلد الأول - الجزء الأول ص ١٩.. نشر مكتبة الأسرة.. وانظر - على سبيل التوسعة في الأمر - للأديب المصري: توفيق الحكيم - الفصل الأول من كتابه: «تحت شمس الفكر».

فليتكم تستمرون !!

لقد ناديتم ـ أيها المسلمون ـ في رؤسائهم أن يكفوا هؤلاء المجرمين العابثين بالحرمات عما يفعلون... فقالوا: حرية لا نستطيع أن نمنعها، وليس بأيدينا أن نفعل، فلما غضب المسلمون، وتعالى استنكارهم، وصحبهم إلى ذلك الإخلاصُ في مقاطعتهم استجاروا وطلبوا من رؤساء المسلمين في كل مكان أن يكفوا المسلمين عن إبداء مشاعرهم!!!

فما هذا التناقض؟!.. لقد طلب رؤساء المسلمون إلى قادة الغرب أن يكفوا صحافتهم عن هذا الجرم، فامتنعوا وقالوا: حرية تعبير، فلما انطلق المسلمون يُعَبِّرُون عن مشاعرهم تجاه رسول الله ﷺ، طلب الرؤساء الغربيون أن يكفوهم؟!... فما هذا التناقض: حرام علينا ما تحلونه لأنفسكم؟!...

ثم زادوا الطين بَلَّة بقول كبيرهم: على هؤلاء الرؤساء ـ أي رؤساء المسلمين ـ ليكونوا محترمين أن يكفوا هذه الجموع عن ثورتهم...

يا الله!. رحم الله شوقي:

حَـــرَامٌ عَلَى بَلابِلِه الدَّوْحُ
حَـــلالٌ لِلطَّيْـــرِ مِن كُلِّ جِنس

ثم انتهوا إلى هجمة شرسة ما انطلقت حتى قُهِرَتْ وماتت في مهدها، فقد انبثق خيالُ كبيرهم المريض عن «تأليف قرآن» من القرآن يتسم المؤلف بمخططهم، فمات ما ألفوه، وإن ربك لبالمرصاد.

ألا فليعلم المسلمون ـ في كل مكان ـ أننا لا نتجنى، ولا نبالغ إذا قلنا: ليس في الغرب شيء مقدس، ولقد نسمع جَعْجَعَةً، ولا نرى طحنًا:

لقد ثارت آنسة مسيحية عربية على مطبوعات أمريكية شاذة تباع علنا بمكتبات برودواي بالقرب من ميدان كولومبس، وما ثورتها إلا غيرة على مقدساتها التي انتهكها الغرب[3]، ثم إن شئت تابع الخيال الجامح الذي تناول المسيح وهو الطاهر المبجل... على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام... فيما كتبه عنه:

مايكل بجنت، وريتشارد لي، وهنري لنكولن، في كتابهم «الكاهن والسلالة والكنز» الصادر بلندن عن دار نشر «جوناثان كيب» في فبراير ١٩٨٢.

وستجد به الفرى لا فرية واحدة على المسيح والعذراء البتول ـ صلوات الله وسلامه عليهما ـ، ثم انتهت انجلترا بخاتمة هذه المصائب في «فيلم» جنسي شاذ نُسبَ للمسيح ـ على نبينا وعليه أفضل السلام ـ، وكان صفعة للسيدة تاتشر، التي قالت:

---

(٣) راجع الأهرام العدد ٤٢٨٣٣ بتاريخ ٢٠٠٤/٣/١٥ ص١١.

إنها مسئولة فقط عن المسيحية.

... وإذا تركت آكلي لحوم البشر، ثم قد عَلِمْتَ منزلة الكتاب المقدس بين أيديهم، فلعلك تظن ـ أو يدور بخلدك ـ أن الغرب أبقى كرامة للمرأة، أو حفظًا لشرفها، أو صيانة لجسدها... لا... والله... ولا هذه أيضًا.

الإسلام فيه الكفاية

أَ نَسينا ما كان من أمرهم من نحو عشر سنوات فقط، حين أرادوا أن يحملوا الشرق حملاً ـ أثناء مؤتمر المرأة ـ على أن يرضى بالنموذجين الشاذين من الأسرة:

أسرة من رجل ورجل..

وأخرى من امرأة وامرأة..

وتصدت لهم «السيدة بناظير بوتو» هنا فى القاهرة باسم الله وباسم الإسلام، ثم باسم الأزهر حامل الرسالة، وقالت ـ أعزها الله:

«إن الإسلام فيه الكفاية وفيه طهارة تغنينا عن هذا البلاء».

ولم ينجح مؤتمر المرأة هذا فى مصر، ولم تُعِرْهُ امرأة واحدة فى الصين حضوراً، بعد انتقاله من القاهرة إلى بكين.. ورجع من حيث أتى بخُفَّى حُنَيْن لتمتلئ أحشاؤه بما يريد... لكن فى الغرب وحده.!!

إننا نرجو ـ نحن المسلمين - ألا يكون بيننا ساذجًا يظن أن للغرب قدسية ما.

ونحن نلعن من لعنهم الله ورسوله، ونلعن معه من ساءه أن نلعنهم. قال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾

[الأحزاب: ٥٧]

والله القدوس ناصر رُسُلَهُ ومنتقم لهم:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾

[غافر: ٥١، ٥٢]

ثم المقاطعة، وما هو أشد منها واجب شرعى حتم لازم.. قال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[المجادلة: ٢٠-٢٢][٤]

(٤) [يوَادون]: يصادقون. [أولَئك]: إشارة إلى المؤمنين الذين يقاطعون هؤلاء المعتدين.

للحقيقة والتاريخ:

ماكانَ أَرْوَعَ شَيْخِ أَزْهَرِنَا

«من وحى الهجمة الشرسة على رسولنا ﷺ من الفئة الباغية»

شعر- أحمد مصطفى حافظ
(وكيل ندوة شعراء العروبة سابقا)

بعد اجْتراء الطغمة الحمقاء ... (برسوم) بغْى لجَّ فى الغلواء

هبَّتْ ملايين.. بأعتى ثورة ... عمَّ البسيطة فى مدى الأنْحاء

فاضتْ مشاعرهم لخير الخلق.. للْ ... أغلى من الآباء والأبناء

كانت «صحابته» لأوْهَى شوكة ... - تَنْتابه- لاترتضى.. بعناء

بل تفتديهِ بأى بذْل، دونه ... بَذْلُ النفوس بساحة الهيجاء

.. ما بالنا فى عَصْرنا اليوم.. الذى ... قد شاه بعد بلاهة السفهاء

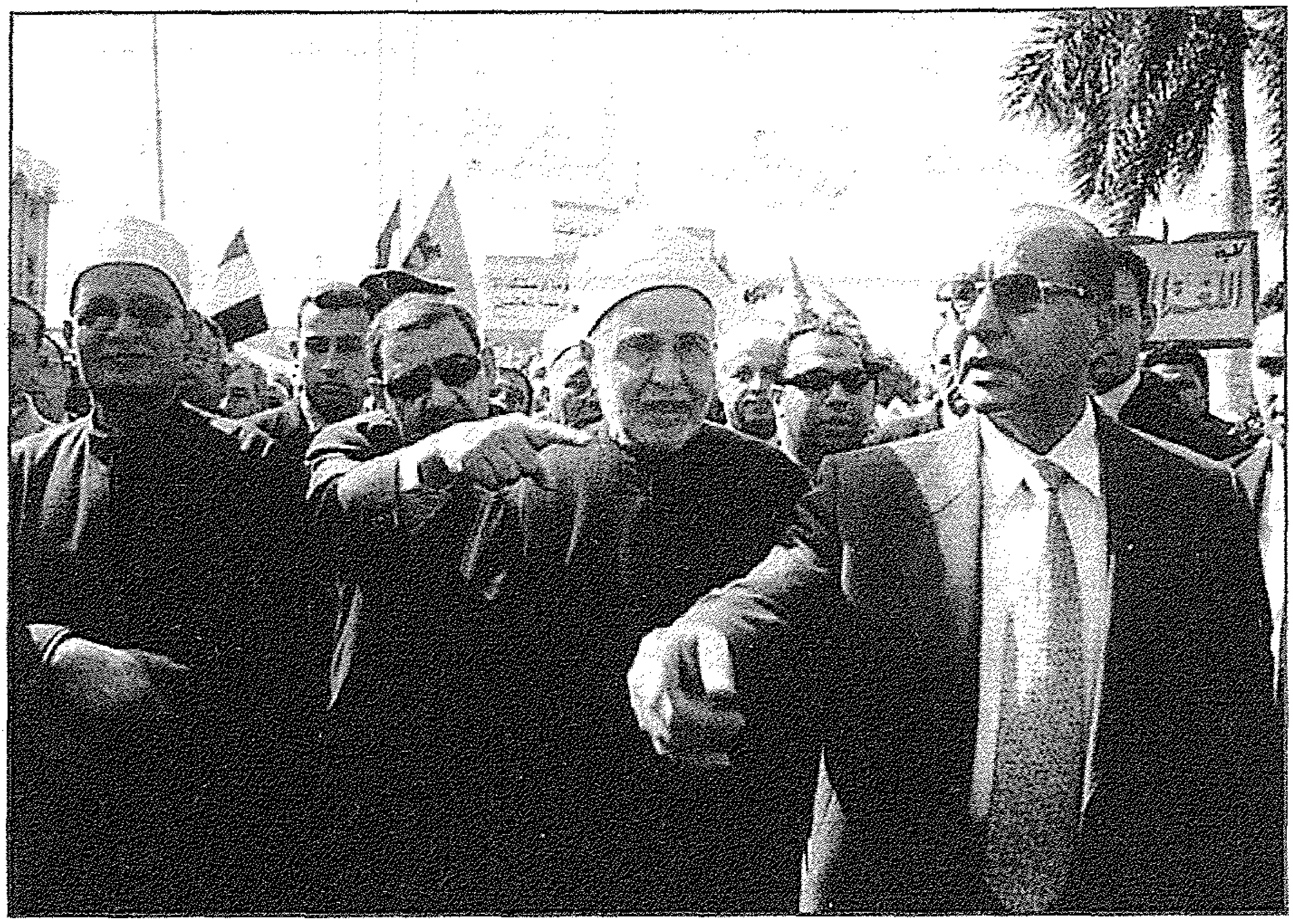
مابالنا.. لانَنْتضى إيماننا ... لنُبيدَ عاصِفَة الهوى الهوجاء!

.. ماكان أرْوَعَ شيخ أزهرنا الذى ... قادَ الجميع بِغَضْبة ومَضاء

دوَّى وجَلْجل صوتُه بحرارة ... ليَصك سمْع الطغمة الرَّعْناء

قَبْلاً.. عهِدْناه يسيل سلاسةً ... وبلاغةً.. للأمَّة السمحاء

واليوم صار مناضِلا ومُدافِعا ... عن واحد الآحاد والعظماء



واليوم قَرَّ قرارُنا وصمودُنا   بمواقف الأفْذاذ والعلماء
تصحيح صورَتِنا بعين الغرْب قد   آن الأوانُ لها.. بكل جلاء

* * *

ياأيها الحقد الدفينُ.. مُصعِّرا   للْخدِّ.. ماتبْغى من الحُنَفاء؟
ما القَصْدُ من فئة يبحُّ نُباحها؟   ورسولنا فى سُدَّة الْعَلْياء..
الله كرَّمه بأعظم مِنَّة   ما نَالها أحدٌ من الأحياء
هذا الرسول مَضَى لنشْر رسالة   فَانْهارتْ الأصنامُ باسْتخْذاء
لم يبْقَ منها غير شرذمة بَدَتْ   تَهفو لوأدِ الشمس بالإطفاء!
إسلامُنا غُصص تؤرِّق جمْعَهم   إسلامنا باقٍ مدى الآناء
فَلْيمْض كلُّ مُوحِّد فى سيْره   ليضوع بالأشْذاء والأنْداء
مَنْ كان يخْشَى الله واليَوم الذى   شابَ الوليدُ به لهوْل بلاء
فَليَمْضِ فى كنف الشريعة راسخاً   لجهاد نَفْس، أو جهادِ فِداء

* * *

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقي الدين

فهل نحن منتهون؟!

كان لأحد اليهود في المدينة بئر ماء يقال لها «رومة» وكانت البئر تسقى أهل المدينة، والإنسان لايمكن أن يحيى بدون ماء وهي بدهية لايمكن لأحد أن ينكرها.. أخذ اليهودي يرفع سعر الماء يوما بعد يوم.. والمسلمون يدفعون تحت ضغط الحاجة الشديدة للماء.. حتى جاء يوم عجز فيه الكثيرون عن دفع ثمن الماء فاتجهوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه النصيحة حتى يرفع عنهم بلاء هذا اليهودي الشره الذي يبيعهم قطرات الماء بثمن لايقدرون عليه.

جمع رسول الله ﷺ المسلمين في المسجد وقال لهم: «من يشتري بئر رومة للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله مشرب في الجنة».

فذهب سيدنا عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ لليهودي يساومه على شراء البئر فأبى اليهودي إلا أن يبيعه نصف البئر فقط.. وبكم؟ باثني عشر ألف درهم وهو رقم هائل في هذا الزمان يعادل الملايين في زماننا هذا.

وتم الاتفاق على أن يكون لعثمان يوم يسقي فيه، ولليهودي يوم يسقي فيه.

وقد يتصور رجال الأعمال اليوم وخاصة من يعملون في صناعة المياه المعدنية أن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ بما هو مشهور عنه من عقلية تجارية فذة سينتهز الفرصة ليحقق ربحا طائلا بعد أن امتلك نصف موارد المدينة المنورة من الماء.. نعم هكذا يفكر أهل زماننا الرديء ممن أعمت أفئدتهم شهوة المال.

ذوالنورين ـ وهو ومن أكبر رجال الأعمال في عصره ـ حقق بالفعل ربحا طائلا لايملك أحد على وجه الأرض أن

يجنى مثله! لماذا؟ لأنه تاجر مع الله!! جعل الماء للمسلمين بغير ثمن فكان المسلمون يشربون ويدخرون من الماء فى اليوم المخصص لسيدنا عثمان ما يجعلهم يستغنون عن الذهاب للحصول على الماء فى اليوم المخصص لليهودى الذى كسدت تجارته فعرض على سيدنا عثمان - رضى الله عنه - شراء النصف الآخر من البئر فاشتراه منه بثمانية آلاف درهم وجعل البئر خالصة للمسلمين يشربون منها كل يوم وفى أى وقت شاءوا ونزل فى سيدنا عثمان قول المولى عز وجل:

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾

(البقرة/ ٢٦١)

إنها مكافأة إلهية لا تعدلها مكافأة لرجل روى عطش المسلمين وحال بين اليهودى وبين فتنتهم فى دينهم.. أجل كان اليهودى يقول لمن لايقدر على دفع ثمن الماء: اذهب إلى محمد الذى آمنت بدينه واسأله أن يوفر لك ثمن الماء ألم يعدك بالجنة!!؟

هكذا كان رجال الأعمال فى هذا الزمن الجميل.. زمن رسول الله ﷺ وصحابته الأبرار.. وبهذا السلوك ملكوا الدنيا واستحوذوا على خزائن الأرض.

وما كان أحرانا أن نقتدى بعثمان - رضى الله عنه - !!

جميل أن نغضب للإساءة الوقحة التى ارتكبها كافر فاجر وفرت له حكومته كل الدعم والحماية تحت شعار الحرية والديمقراطية.. تلك الحرية والديمقراطية التى تبيح سب الأنبياء والزنا وزواج المثلين وكل المفاسد والموبقات.

جميل أن نغضب لرسول الله ﷺ ونقاطع الدولة أو الدول التى سبت نبينا الكريم ﷺ ونقاطع منتجاتهم.

ولكن هل يليق يا معشر رجال الأعمال ويامعشر التجار أن تستغلوا حالة الذعر والقلق التى أصابت الناس من جراء الشائعة السخيفة عن تلوث مياه النيل بفضلات الطيور المصابة بالأنفلونزا وعدم صلاحيتها لا للشرب ولا للاستحمام.. وتضاعفوا أسعار مياه الشرب!! وفى الناس من يقدر على دفع الثمن المغالى فيه ومن لايقدر فتقفوا من المسلمين موقف هذا اليهودى.

أما كان الأجدر بكم يا هؤلاء أن تقفوا بجوار أبناء هذا الشعب لا أقول بتوزيع المياه مجانا ولكن على الأقل بعدم رفع الأسعار واستغلال خوف الناس.

اخترتم جميعا أن تكونوا كذلك اليهودى صاحب بئر رومة.. وأبيتم أن تلتزموا سيرة نبيكم وأصحابه البررة ولعلكم نفذتم تعليمات أرسلها إليكم سادتكم أصحاب شركات المياه المعدنية فى الدول الأوروبية وذلك باعتباركم وكلاء لهذه الشركات التى حققت أرباحا طائلة من جراء شائعة سخيفة

إن لم تكونوا أنتم مصدرها، فالمؤكد بالفعل أنكم روجتم لها وأحدثتم حالة من الذعر والهلع بين المواطنين لا توصف وهم يشاهدون سياراتكم الضخمة تجوب الشوارع لنقل كميات هائلة من المياه المعدنية فتصوروا أنكم على ثقة من أن مياه النيل بالفعل ملوثة فاندفعوا يشترون مياهكم المعدنية فقابلتم اندفاعهم بالمغالاة فى الثمن، ووقف من لايقدر على دفع الثمن يدعو ويبتهل إلى الله أن يرفع هذه الغمة وألا يبارك لهؤلاء التجار الذين تاجروا فى محنة الناس.

وأنتم يا أبناء مصر.. يا من غضبتم لرسول الله ﷺ القارة الأوروبية بأسرها نشرت الرسوم المسيئة لرسول الله ﷺ ومع ذلك دفعكم الخوف والهلع إلى شراء المياه المعدنية التى حملت علامات تجارية أوروبية ونسيتم تماما المقاطعة ودفعتم بإرادتكم أموالا طائلة لوكلاء شركات المياه الفرنسية والدانماركية والانجليزية.. وغيرها.

قلتم: «فداك يا رسول الله» وعجزتم عن تحمل العطش لساعات حتى تتبينوا حقيقة الأمر الذى ثبت أنه مجرد شائعة سخيفة روج لها مستفيدون أحسبهم تجار المياه المعدنية عفوا بل هم تجار أرواح المسلمين تلك الأرواح التى حفظها بعون الله وإراداته ذو النورين سيدنا عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ منذ ١٤٠٠ عام مضت.

● يا معشر المسلمين قبل أن تطالبوا الغير باحترام دينكم اعملوا انتم بما أمركم به دينكم.

● وقبل أن تطالبوا الغير باحترام نبيكم احترموا سنته وطبقوها فى حياتكم، واذكروا قوله ﷺ: «المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا».

● مأساتنا أننا:

● نصلى ولا نعقل من صلاتنا شيئا.

● تصوم بطوننا عن الطعام وترتع باقى حواسنا فى الشهوات.

● نخرج الزكاة ـ إن أخرجناها ـ مباهاة ومنّا على الفقراء.

● نمارس فى حياتنا العامة والخاصة كل ما نهانا عنه ديننا آملين فى عفو الله عندما نؤدى فريضة الحج.

● نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله بينما نحن عبيد لهذه الدنيا وشهواتها.

لقد هان ديننا عند الناس لأنه هان علينا.

ووجهت الإساءة لنبينا لأننا نحينا سنته عن حياتنا.

فهل نحن منتهون؟!

أحمد تقى الدين

وإلى رسائل القراء

بل هو خير لكم

من الشيخ مصطفى الأزهرى - خطيب مسجد سوق الحمام - القاهرة كانت هذه الرسالة التى حملت الكثير من التفاؤل، قال:

منذ أن بعث الله تبارك وتعالى محمدا المعصوم ﷺ برسالته وقد تضافرت قوى الشر والأذى من الكفار والمشركين واليهود، واتحدت، وساندت بعضها بعضا للقضاء على صاحب الرسالة العصماء وحامل لواء الدعوة الوليدة الجديدة.

وكانت لهؤلاء الأعداء محاولات كثيرة وعديدة لقتل رسول الله ﷺ والخلاص منه بعدما أيقنوا أن اتهامه ﷺ بتهم مثل الشعر، الكهانة، الجنون، السحر، غير مقنعة ولامجدية، وأن محمدا يثبت للدنيا كل يوم أنه أرجح الخلق عقلا، وأصفى الناس قلبا، وأعظم الناس خلقا.. فلم يكن لهم بد إلا أن يأتمروا على التخلص منه نهائيا بالقتل والاغتيال.

● روى البخارى فى صحيحه عن عروة بن الزبير قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرنى بأشد شىء صنعه المشركون بالنبى ﷺ؟! فقال: بينما النبى ﷺ يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبوبكر حتى أخذ بمنكبيه ودفعه عن النبى ﷺ مرددا قول المولى عز وجل:

﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾

(غافر: ٢٨)

صورة من الأذى تنضح حقدا وغلا من أحد أعداء الإسلام، لم يترك الغادر اللئيم عقبة ابن أبى معيط رسول الله ﷺ لينتهى من صلاته فيواجهه وجها لوجه، إنما هى الطباع الخسيسة التى تطعن دائما من الخلف.

● وروى مسلم وغيره من حديث أبى هريرة قال: قال أبوجهل: هل يعفر «أى: هل يسجد لله؟» محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه فى التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى ليطأ على رقبته قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيده، فقيل له: مالك؟ فقال: إن بينى وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ «لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» قال: فأنزل الله عز وجل:

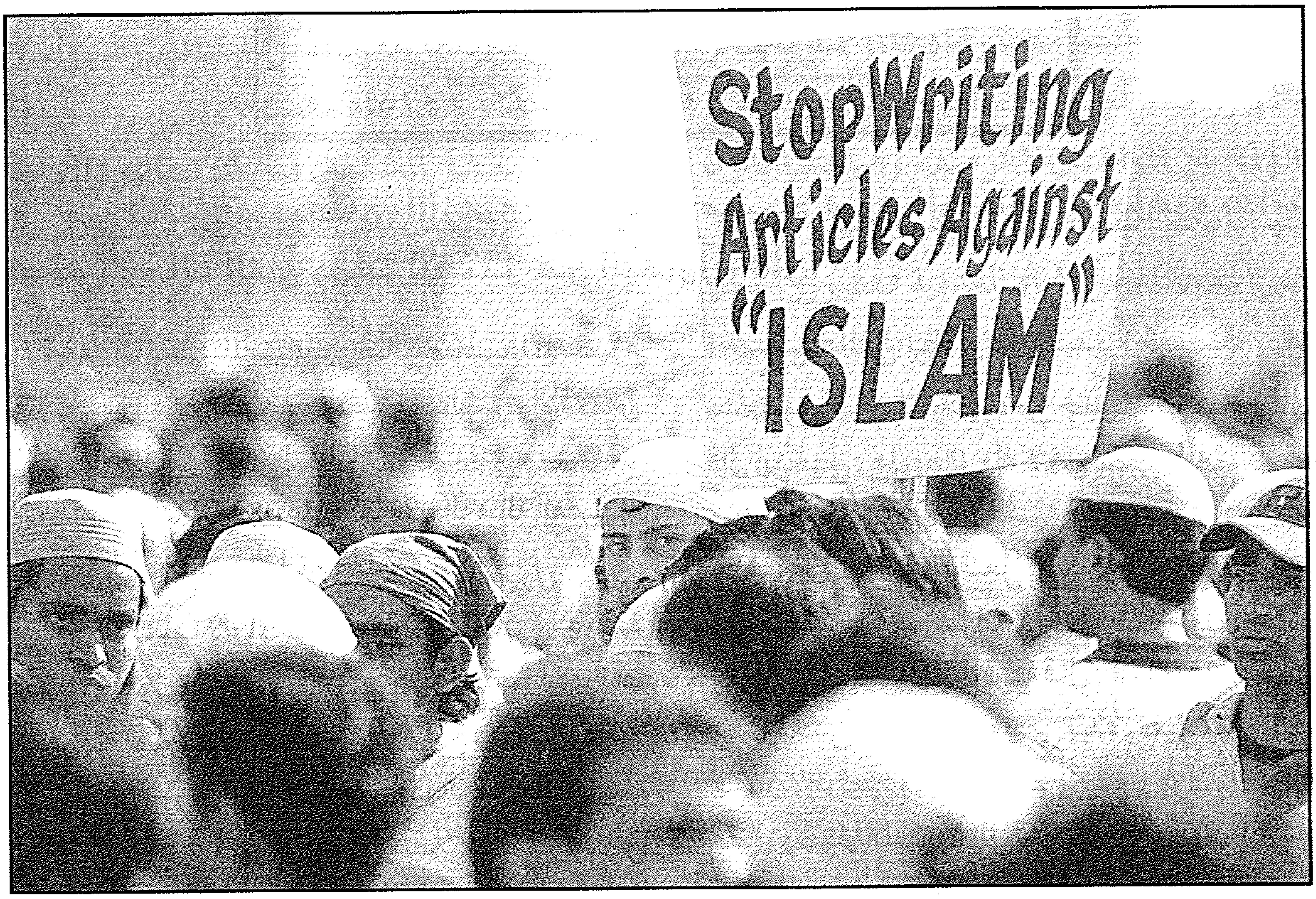
﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾

(العلق: ٦-١٩)

● ومن المحاولات القديمة لقتل الحبيب المصطفى ﷺ ماورواه الحاكم عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها قالت لما نزلت:

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾

(المسد: ١-٥)



مظاهرة فى الهند تندد بالإساءة للنبى الكريم ﷺ

جاءت «العوراء» أم جميل ولها ولولة وفى يدها فهر «حجر ملىء الكف» ورسول الله ﷺ جالس وأبوبكر إلى جنبه، فقال أبوبكر : لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك، فقال ﷺ : «إنها لن ترانى» وقرأ رسول الله ﷺ قرآنا اعتصم به منها :

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾

(الإسراء: ٤٥)

فجاءت حتى قامت على أبى بكر فلم تر النبى ﷺ فقالت : يا أبا بكر بلغنى أن صاحبك هجانى. فقال أبوبكر : لا ورب هذا البيت ما هجاك. فانصرفت وهى تقول : لقد علمت قريش أنى بنت سيدها.

● إن من حكمة الله العليا أن يرفع قدر رسوله محمد ﷺ ذلك أن باب الأذى الذى يظنه الناس شرا والذى أراد به المنافقون النيل من شرف النبى العظيم وبيته المطهر جاء على عكس ما أرادوا وجاءت كلمة الفصل لترفع الأذى عن كاهل النبى الأمين ﷺ وسيكون بإذن الله بشير خير. قال عز وجل :

﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(النور: ١١)

أرادوا أن يكسروا زجاجة المسك ففاح عطرها وملأ الكون كله عبيرها وردد الناس فى كل مكان وفى الفضائيات فضائل الحبيب المصطفى تسمعها شعوب الأرض صلى عليك الله ياخير خلق الله.

بعيداً عن المظاهرات

ومن الشيخ الحنفي حسين عسيلي - موجه بالأزهر بدمياط - كانت تلك الرسالة:

أرسل الله سيدنا محمداً ﷺ إماماً للبشرية ورحمة للعالمين قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾

[الاحزاب: ٤٥، ٤٦]

وأكرمه الله بحسن الصفات والأفعال وكرم الطباع والخصال وحسن الخلق والتواضع، قال تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[القلم: ٤]

ودعا رسول الله إلى كل خير والبعد عن كل شر قال ﷺ. «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وأحبه أصحابه الكرام فاهتدوا بهديه وأخلصوا صحبته وأقبلوا عليه بقلوبهم فكم كتبت الأقلام وكم نشرت دور النشر وما أحاطت بحب الصحابة لرسول الله صلي الله عليه وسلم.

لقد أثبت التاريخ العديد من المواقف التى كان الصحابة الكرام يفتدون فيها رسول الله بأرواحهم.

واليوم وعلى صفحات الجرائد يهان سيدنا رسول الله ﷺ وعلى مستوى دولى وعالمى.

وفى الواقع ليس ما نشرته صحيفة الدنمارك وغيرها هو بداية الإساءة لسيدنا رسول الله ﷺ.

فتعطيل شرع الله فى بلاد المسلمين إهانة لرسول الله صلي الله عليه وسلم. وإهمال القرآن والعمل بما فيه إهانة لرسول الله ﷺ وخذلان المسلمين لإخوانهم فى الدول التى مزقها العدوان وأذاقها أبشع أنواع الذل والهوان إهانة لسيدنا رسول الله ﷺ.

والفجور السافر الذى يهيمن على وسائل الإعلام فى بلاد المسلمين إهانة لرسول الله ﷺ ووووو إلخ. ولكن ما نشرته صحيفة الدنمارك وغيرها من الصحف الأوروبية ليست إساءة مقنعة بل هى إساءة سافرة ومتعمدة واستفزاز حقير وجرح لمشاعر المسلمين.. وقد اعترف رئيس تحرير الصحيفة بأنه منذ سنوات وصلت إليه صور مماثلة لنبى آخر ولكنه رفض نشرها بحجة أنها تجرح مشاعر أصحاب ديانته.

مع العلم أن شريعة الإسلام تحافظ على حرمة جميع الأنبياء والمرسلين دون التفرقة بين نبى وآخر قال تعالى:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾

[البقرة: ٢٨٥]

ثم إن الكفرة المستفزين يتذرعون بحرية التعبير! فأين ذلك من حرية التعبير؟

ومن الذى قال إن جرح مشاعر الآخرين حرية تعبير، وليتهم يتعلمون من سيد الأنبياء والمرسلين مفهوم الحرية دون الإساءة إلى الغير، لقد أعلنها ﷺ ظاهرة جلية وهو يعطى للناس صورة حقيقية عن المسلم حيث يقول: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

وكان الأجدر بكم يا من تدعون أنكم أرباب الحضارة أن تتعلموا الأدب والخلق الحسن من معلم

البشرية العالمى. وهو الرسول العظيم الذى أسأتم إليه. وأردتم بفعلكم الخبيث الاستهزاء به، وفى الواقع لقد أسأتم إلى أنفسكم، أما رسولنا العظيم ﷺ فإن الله قال له منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام:

﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾

[المائدة: ٦٧]

والتعبير بالفعل المضارع فى الآية له مغزى لمن أراد أن يفهم فالعصمة ليست فى زمان معين فقط بل هى عطاء متجدد بالمرصاد لكل من يتجرأ على رسول الله ﷺ. وإننا كمسلمين لا يكفينا اعتذار عادى أو سطحى.

إنما الاعتذار هو أن تقوم نفس الصحيفة وعلى صفحاتها بنشر ملف كامل عن حياة سيدنا رسول الله يظهر عظمته ودعوته إلى كل خير واحترامه للآخرين. ويكون ذلك بإشراف كامل من الأزهر الشريف.

كما نطالب بإغلاق السفارات بيننا وبين كل دولة تسىء إلى رسول الله، وقطع جميع العلاقات بيننا وبينهم حتى يعودوا إلى الحق. وعلى الأزهر أن يقوم بإرسال بعثات تعليمية تظهر صورة الإسلام الحقيقية أمام العالم وتزيل الغبار الذى تكثف على صورة الإسلام أمام الغرب وتعطى فكرة حقيقية عن سيدنا محمد ﷺ لينظروا إليه كما ننظر نحن إليه، ويعرفونه كما نعرفه. ثم بعد ذلك يؤمنون أولاً يؤمنون.

إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ

ومن القارئ صالح البيطار - جريدة «الجمهورية» - كانت هذه الكلمة:

منذ أن نزل الروح الأمين جبريل - عليه السلام - على سيدنا محمد ﷺ حاملا التكليف الإلهى له بحمل أمانة الرسالة وتبليغها للناس أجمعين وقد أدى ﷺ الأمانة ونصح إلى الأمة بما تركه لنا من سنته «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى».

وجاهد ﷺ وصحابته الكرام فى الله حق جهاده وتحمل من المشاق ما لا طاقة لبشر به أملا فى هداية البشرية وإنقاذها من عذاب يوم لاينفع فيه مال ولا بنون.

وعندما وقف صناديد الكفر عن وجهه يعارضونه قال قولته المشهورة: «والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أترك هذا الأمر ما تركته أبدا».

ما حدث فى الدانمارك من رسوم مسيئة لنبينا الكريم ﷺ ما هو إلا امتداد ومحاكاة لما فعله صناديد الكفر كأبى جهل وأمية بن خلف وغيرهما ولكن الله ناصر نبيه:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾

وكفى بنبينا الكريم وعد الله له بالنصرة.

أما نحن فلا نملك إلا رفع الأيدى بالضراعة إلى المولى عز وجل أن يثبتنا على الحق فى مواجهة ما يراد بالإسلام وبنبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

بين الصحف والمجلات

إعداد: أ/ محمود الفشني - أ/ عبدالموجود أمين

خصصت جريدة أخبار اليوم فى عددها الصادر في ٢٠٠٦/٢/١١ صفحة كاملة عرضت خلالها ردود أفعال هيئات وشخصيات عالمية رفيعة المستوى، من باريس، والولايات المتحدة الأمريكية، والقاهرة، وروما، وبريطانيا، وسويسرا:

جارودى:

المسلمون قادرون على اتخاذ قرارات موحدة

فمن باريس كتبت الأستاذة «ميرفت ميلاد» قالت:

أدان المفكر الفرنسي الشهير روجيه جارودى بشدة الرسوم الكاريكاتورية التى تسىء لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم والتى نشرتها إحدى الصحف الدانماركية وأكد أنها جزء من سياسة الرئيس الأمريكى جورج بوش لإشعال الصراع بين الحضارتين الإسلامية والغربية، ودعا المفكر الفرنسى الذى أشهر إسلامه منذ سنوات المسلمين إلى عدم الانجرار وراء الأفعال العنيفة فى تعبيرهم عن الغضب ورفض الإساءة للرسول الكريم لأنهم بذلك يخدمون أجندة الإدارة الأمريكية التى تريد تشويه صورة الإسلام والمسلمين أمام العالم، وأكد أن حرق أعلام الدول الغربية ومهاجمة سفاراتها ومنشآتها فى الدول الإسلامية يسىء لسمعة الإسلام والمسلمين، وأشار إلى أنه من حق المسلمين الاحتجاج ورفض كل ما يسىء إلى الرسول الكريم ولكن بالصورة التى تعبر عن الوجه الحقيقى والحضارى للإسلام من خلال التظاهر السلمى وإصدار بيان موحد يعبر عن جميع المسلمين يشرح أسباب الغضب ويتناول الموضوع على جميع المستويات حتى يعرف بوش أن المسلمين قادرون على اتخاذ قرارات موحدة وأنهم على درجة عالية من الوعى والإدراك، وفى الوقت نفسه تتأكد الشعوب الغربية من كذب ما تروج له بعض وسائل الإعلام فى الغرب عن همجية المسلمين.



جارودى

ورفض جارودى ما يقوله بعض الغربيين عن حرية الرأى والتعبير كمبرر لنشر مثل هذه البذاءات مشيرا إلى محنته الشخصية عندما نشر كتابا عن المحرقة اليهودية «الهولوكست» فى ألمانيا أثناء فترة الحكم النازى والذى شكك فيه فى حقيقة رقم ضحايا المحرقة من اليهود وأنه لايمكن أن يتجاوز المليون يهودى وليس ستة ملايين كما يروج اليهود، وأضاف أنه تعرض للمحاكمة وصدر ضده حكم بالغرامة المالية الباهظة ولم يتحدث أحد ساعتها عن حرية التعبير حيث ينظر الغرب إلى قضية الهولوكست باعتبارها خطا أحمر لايمكن لأحد أن يقترب منه.

كوفى عنان:

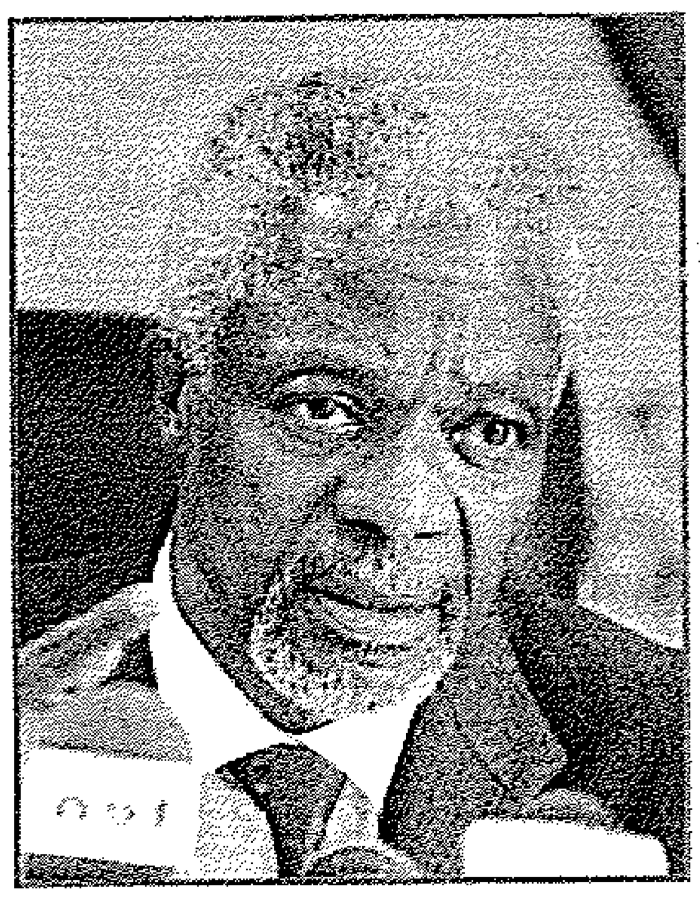
التعدى على المعتقدات والمشاعر الدينية مرفوض

ومن الولايات المتحدة كتبت الأستاذة «ثناء يوسف» قالت:

أبدى كوفى عنان السكرتير العام الأمم المتحدة تعاطفه الشديد مع الشعوب الإسلامية تجاه الرسوم الكاريكاتورية البذيئة التى نشرتها بعض الصحف ضد الإسلام. وأكد عنان أن حرية التعبير لا تعنى حرية انتهاك المعتقدات الدينية. وقال: إن حرية الصحافة ليست حرية مطلقة بل تقف عندما تصبح تعديا على حريات ومعتقدات ومشاعر الطرف الآخر.

وعن موقف الولايات المتحدة قالت المحررة:

وجدت الولايات المتحدة نفسها فجأة وسط



كوفى عنان

عاصفة الغضب العارم الذى اجتاح العالم الإسلامى نتيجة قيام صحيفة دانماركية بنشر رسوم كاريكاتورية مسيئة لمشاعر المسلمين، وسعت الإدارة الأمريكية إلى اتخاذ موقف متوازن من قضية يعتبرها الغرب تندرج تحت بند حرية التعبير عن الرأى. ويرى المراقبون أن غضب وثورة الشعوب الإسلامية والتى لها ما يبررها تعتبر تحدياً جديداً لإدارة الرئيس بوش التى تسعى إلى الاقتراب من تلك الشعوب.

ومع ظهور العلم الأمريكى إلى جانب علم الدانمارك أثناء مظاهرات الاحتجاج التى انتشرت فى العديد من الدول أعلنت حالة الطوارئ بين المسئولين عن التخطيط للدبلوماسية العامة برئاسة كارين هيوز وكيلة وزارة الخارجية.. وسعت الإدارة الأمريكية من خلال تعليقاتها على هذا الوضع المؤسف أن تخلق نوعاً من التوازن فيما بين إدانة الرسوم المسيئة وحرية التعبير ورفض العنف كوسيلة للاحتجاج.

وحرص الرئيس الأمريكى جورج بوش على أن يؤكد أن موضوع الرسوم المسيئة أمر يتطلب مناقشة مستفيضة وتفكيراً يتميز بالحساسية مشيراً إلى أن واشنطن وإن كانت تؤمن بحرية الصحافة فإن هذه الحرية يجب أن تكون مسئولة وملتزمة وتراعى الحساسية فيما يتناول مشاعر الآخرين.

وكانت الصحف ووسائل الإعلام الأمريكية قد تعاملت مع موضوع الرسوم بتحفظ واضح ورفضت إعادة نشرها بعكس العديد من الصحف الأوروبية التى بادرت بنشر الرسوم بعد مرور أربعة أشهر على قيام الصحيفة الدانماركية بنشرها.

ويجدر بالإشارة هنا أن أغلب الصحف الأمريكية تتفادى نشر أى إساءة أو تجريح مباشر بل تنقله عن مصادر تحددها وذلك لتفادى المواجهات فى المحاكم بسبب قواعد الأخلاق أو التعرض للصالح العام وحقوق الآخرين.

وذكر عدد من المحررين الأمريكيين أنهم لم يجدوا مبرراً لإعادة نشر الرسوم لأن إعادة النشر استفزاز غير مقبول خاصة بعد أن أعرب الشارع العربى عن غضبه.

وقد ترددت تقارير حول علاقة رئيس تحرير المجلة الدانماركية بواحد من أكثر العناصر الأمريكية المتشددة والمعادية للإسلام والعرب بصفة عامة وهو دانيال بيبسى.

ويقال إن بيبسى هو اليد السوداء التى حركت المجلة الدانماركية لنشر الرسوم لخلق مناخ من التوتر يحول دون تقارب أمريكى عربى.. وليس هناك أى شك فى أن إعلان كوندليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية أن كلا من إيران وسوريا تعملان على الاثارة والتحريض وتستغلان الأزمة لأغراض خاصة هى أبرز تداعيات قضية الرسوم المسيئة.. والتى حولت مشاعر الاستياء التى لها ما يبررها إلى قضية سياسية..

سفير الدنمارك بالقاهرة:

الدنمارك تقدر الإسلام وتحترم المسلمين!!

ومن القاهرة كتبت الأستاذة وردة الحسينى قالت:

أكد بيارن سورنسن سفير الدنمارك بالقاهرة أن هناك احتراماً كبيراً للمسلمين الذين يعيشون فى بلاده وفى بلاد العالم المختلفة، مشيراً إلى أن هناك ٢٠٠ ألف مسلم فى الدنمارك وبما يمثل ٤٪ من حجم السكان وثانى أكبر ديانة هناك بعد البروتستنتية، وأكد كذلك أن الإسلام له تقدير كبير كأحد الأديان الرئيسية والتعامل يتم على قدم المساواة بين جميع الأديان فى الدنمارك. وأضاف سفير الدنمارك بأن السبب الرئيسى وراء هذه الأزمة التى قامت بين الدنمارك والعالم الإسلامى هو بعض الجماعات المتعصبة فى بلاده وهو ما يوجد كذلك فى الكثير من المناطق فى العالم.

وأشار إلى أن الصحيفة التى نشرت الرسوم المسيئة للنبى «محمد» قد قدمت اعتذارها مؤخراً على موقعها بشبكة الإنترنت وكان اعتذاراً واضحاً وعميقاً. وقال: إن الحكومة الدنماركية لا تستطيع أن تعتذر نيابة عن هذه الصحيفة، حيث إن ما قامت به الصحيفة يعد عملاً فردياً لجهة مستقلة



مظاهرة فى ألمانيا تندد بالرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم

وبالتالي هى التى تملك حق الاعتذار.. مشيراً إلى أن رئيس الوزراء الدنماركى قد أكد من جهته احترامه لجميع الأديان والمعتقدات واستنكاره لأى تشويه لصورة مجموعة من الناس بناء على عقيدتهم أو خلفيتهم العرقية. ونفى سفير الدنمارك بالقاهرة أن تكون هذه الرسوم جزءاً من كتب للأطفال أو أن هناك تدبير لحرق القرآن الكريم. وقال: إن ذلك كله كان مجرد شائعات. وأكد أنه لو تم الإقدام على حرق القرآن فإن ذلك سيعد عملاً إجراميا يؤدى إلى السجن مشيراً إلى أن قوات الأمن والشرطة فى الدنمارك تراقب وتتابع بعناية هذا الموضوع خاصة وإن أية مظاهرة سيتم تنظيمها لابد من الموافقة عليها مسبقا من جانب الأمن.

وأوضح أن بلاده دولة مسالمة لها قيمها التى تقوم على الاحترام والتسامح والعيش جنبا إلى جنب ما بين جميع الجاليات الموجودة بها.. مشيراً إلى الجهود الإيجابية التى تتم لتحقيق الاندماج داخل المجتمع.. وقال: هناك بالفعل بعض المشكلات التى تواجه عملية الاندماج ولكنها الأقل مقارنة بالدول الأوروبية الأخرى.

غضب فى الشارع الإيطالى

تجاه الإساءة للإسلام

ومن روما كتب الأستاذ «رضا عماد»:

لاتزال وسائل الإعلام الإيطالية والرأى العام الإيطالى بصفة خاصة يتابع بقلق شديد ردود الفعل الإسلامية والشعبية وردود فعل القيادات السياسية والدينية الإيطالية إزاء إهانة مشاعر الأمة الإسلامية وقد أفردت جميع الصحف الإيطالية فى صفحاتها الرئيسية تحليلات وآراء دينية وسياسية ونشر ردود فعل العالم الإسلامى إزاء الإساءة للرسول الكريم بسبب الرسومات الكاريكاتيرية التى نشرتها إحدى الصحف الدانماركية ونقلتها بعض الصحف الأوروبية. وقد غلب طابع التطرف فى إيطاليا على بعض زعماء أحزاب الائتلاف اليمينى الحاكم برئاسة بيرلوسكونى بالرغم من استياء وغضب رجل الشارع الإيطالى من الحملة الشنعاء ضد الإسلام إلا أن بعض زعماء الأغلبية فى حكومة بيرلوسكونى حاولوا استغلال الموقف المتأهب ليخرجوا ما فى نفوسهم من حقد على العالم الإسلامى والدول العربية وأخذوا يندودن بالإسلام ويطالبون الشعوب الأوروبية بمواجهة الدول الإسلامية وطرد كل ما هو مسلم من أراضيها.

من جهة أخرى انتقد بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر الإساءة للديانات السماوية ودعا إلى احترام المشاعر الدينية وأكد أن الحق فى حرية التعبير لا يعطى الحق فى إهانة المشاعر الدينية للمؤمنين، وأن هذا المبدأ يجب أن يحترم فى كل الأديان وأن أى شكل من أشكال الانتقاد المبالغ فيه أو الإهانة للآخرين هو أمر ينقصه الإحساس الإنسانى ويمكن اعتباره فى بعض الحالات على أنه عمل تحريضى.

وقد أكد رئيس الجمهورية الإيطالى كارلو ايزيليو شامبى على أن الحرية مبدأ أساسى وهى أحد الحقوق الأساسية للإنسان إلا أن حدودها تقتصر على عدم المساس بالآخر والمسئولية يجب أن تترجم إلى فعل وممارسة كما أن أوروبا مقتنعة بأهمية الحوار بين الثقافات والأديان المختلفة ويجب أن تكون الحرية مسئولة وتتضمن الجوانب المختلفة: حرية التعبير وحرية التدين.

وقد عبر وزير الداخلية الإيطالى جوزبى بيسانو عن غضبه الشديد لإهانة الإسلام والمسلمين وأعرب عن ضرورة احترام الأديان وجميع الرموز الدينية لكل الديانات التى لا يجب أن تكون موضع سخرية أو إساءة أو إهانة.

حرية الصحافة لا تعنى حرية الإهانة

ومن سويسرا كتبت الأستاذة «ماجدة طنطاوى»:

أكدت الخارجية السويسرية فى بيان رسمى إدانتها لتجريح مشاعر المسلمين مشيرة إلى أن حرية الدين ركيزة أساسية للدولة السويسرية يضمنها الدستور والقانون واللذان يحددان أيضاً حدود ممارسة حرية التعبير.. حيث إن الحريتين تشترطان تسامحاً واحتراماً متبادلاً.. كما أنه يجب التفريق بين واجب الحصول على المعلومات بموضوعية والرغبة فى تجريح إيمان الأشخاص والمجتمعات والشعوب.

وأكدت الخارجية السويسرية للجاليات

الإسلامية فى سويسرا وفى جميع أنحاء العالم أن سويسرا تكن للإسلام أكبر قدر من الاحترام وتدين أى إرادة للاعتداء على عقيدة المسلمين وتجريح مشاعرهم الدينية. وأضافت السلطات السويسرية أن سويسرا تقيم علاقات تعاون وثيقة مع الدول الإسلامية مؤكدة أن الحوار والاستماع للرأى الأخر هما السبيل الوحيد للتفاهم المتبادل بين المجتمعات والثقافات، وأن العنف أسلوب غير مقبول فى أى حال من الأحوال.

من ناحية أخرى نشرت رابطة مسلمى سويسرا والبالغ عددهم ٣٠٠ ألف مسلم يعيشون فى سويسرا بياناً استنكرت فيه نشر الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للنبى ودعت للتحرك ضد محاولات نشر الكراهية والقطيعة بين الشعوب وإلى عدم تكرار ما حدث.. وأضافت الرابطة أنها تحترم حرية التعبير على ألا تكون بازدراء الأديان وإهانة المقدسات والترويج للأفكار العنصرية مشيرة إلى أن سقف الحريات هو سقف أخلاقى بالمقام الأول.



مظاهرة لمسلمى أندونيسيا ضد الرسوم المسيئة للرسول ﷺ

وقد تطرقت الصحف السويسرية بحذر شديد لأزمة الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للنبى ﷺ مثل صحيفة لوتان السويسرية الناطقة بالفرنسية التى خلصت إلى أن حرية التعبير والصحافة لاتعنى حرية الإهانة.. وأكدت صحيفة لاتريبون دى جنيف أن الرسوم التى نشرت فى الدنمارك خطيرة ومضرة فى نفس الوقت لأنها لاتعمل إلا على إذكاء الكراهية ضد المسلمين وتعميق عدم التفاهم بين الناس.. وأكدت الصحيفة أن كل المسلمين يكنون احتراماً كبيراً للنبى محمد وأن نشرها من قبل الصحافة بمثابة انحراف واستفزاز ووسيلة من وسائل نسف الحوار المتعثر بالفعل بين المسلمين والغرب..

المثل الأعلى للسياسة الخارجية والأمنية بالاتحاد الأوروبى:

لا عداء للإسلام فى أوروبا

فى جريدة الأهرام الصادرة فى ٢٠٠٦/٢/١٦ أجرى الزميل محمد صابرين حوارا مع «خافير سولانا» المثل الأعلى للسياسة الخارجية والأمنية بالاتحاد الأوروبى الذى وصل القاهرة مؤخرا ليلتقى بعدد من الشخصيات رفيعة المستوى من بينها فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر لبحث تداعيات أزمة الرسوم المسيئة لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاء فيه:

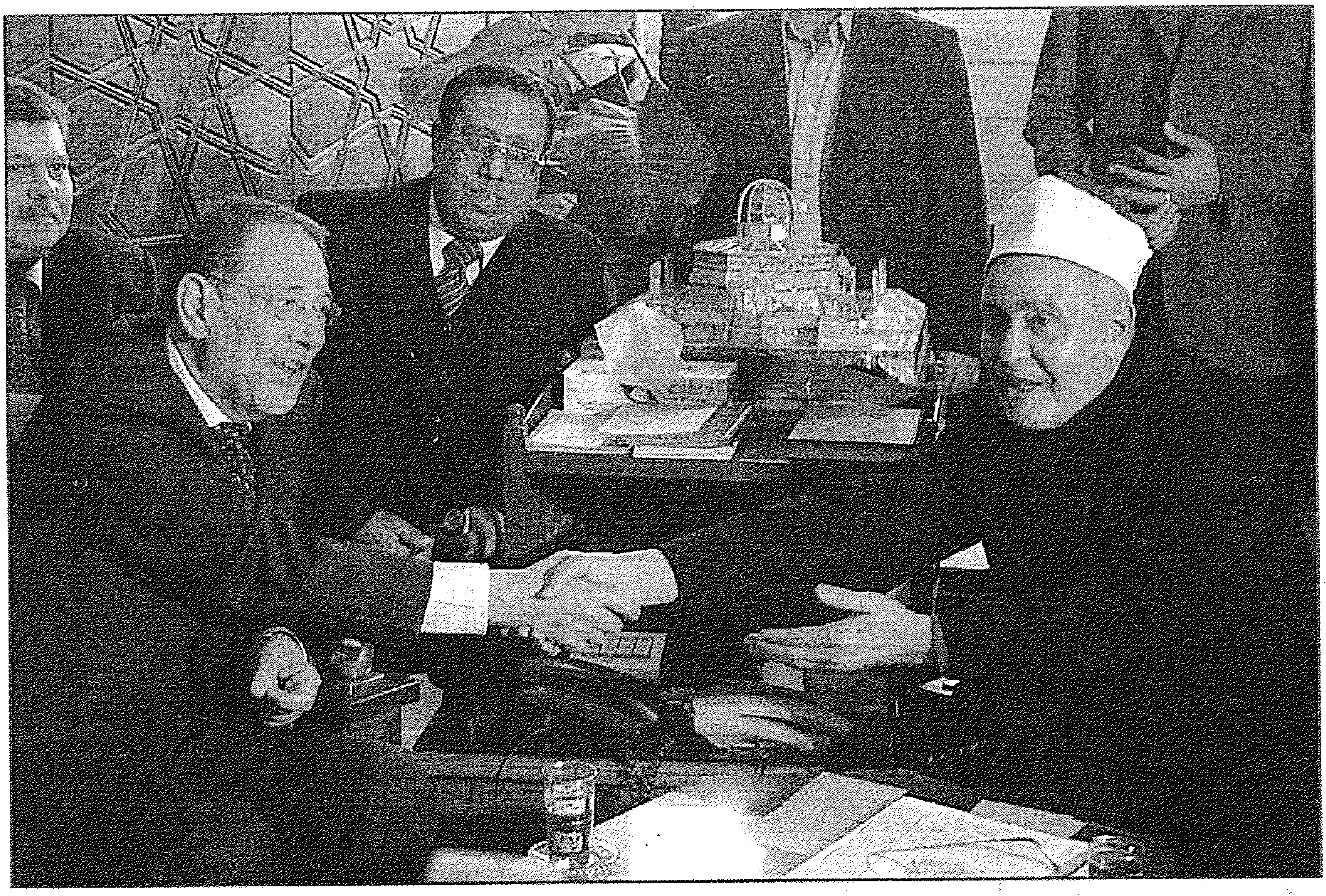
● هل يمكن أن توضحوا لنا ما هى ملامح مشروعات القرارات المناهضة لازدراء العقائد الدينية.. وهل سوف تتضمن عقوبات مثلما دعا شيخ الأزهر؟

●● نحن لم نتحدث كثيرا عن عقوبات ولكن حول سبل توضيح الأمر بجلاء ومن خلال أعلى هيئة وهى الأمم المتحدة. إن مسألة احترام عقائد الناس والأديان «أمر حيوى» وأيضا مسألة احترام الأنبياء، ولكن كيف نفعل ذلك؟.. إنها مسألة لاتزال فى مرحلة «التحديد» إلا ان ذلك سوف يحدث.. كما أن عملية احترام العقائد والأديان سوف تحاط بسياج من الضمانات.

● مسألة الاعتماد فقط على أخلاق وسماحة الناس لضمان الامتناع عن التعرض للمعتقدات الدينية للآخرين، لاتكفى ولابد من وجود عقوبات تردعهم؟

●● أنت تعلم أنه حتى مع وجود أقوى قوانين فى المجتمعات فإنها لاتمنع بعض الناس من ارتكاب أشياء ضد القانون أو ضد السلوك المقبل واعتقد أننا نتحدث هنا عن عواطف ومعتقدات ومبادىء وأحاسيس والشخص الذى يرتكب اعتداء ضد هذه الأمور لاتستطيع أن تعاقبه «بالصورة الكلاسيكية» إن الأمر «أخلاقى» أكثر من أى شىء آخر، وذلك لأننا نتحدث عن سلوك أخلاقى وليس عن رجل يسرق محلا تجاريا أو يقوم بأشياء مادية.. ومن ثم فإن العقوبة يجب أن تكون «روحية وأخلاقية» أيضا.

● دعنى أكون صريحا هنا.. إن المواطنين والكتاب يقولون إن ما حدث نموذج تقليدى على ازدواجية المعايير فهناك قانون ضد «معاداة السامية» يتضمن نوعا من العقوبات الرادعة، إلا أن الأمر عندما يتعلق بالمسلمين فليس هناك شىء يردع!! بل إن الصحفى الدانماركى عندما سئل هل سوف يختبر حرية



سولانا فى لقاء مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لبحث تداعيات أزمة الصور المسيئة للرسول ﷺ

التعبير ويتحدث عن الهولوكوست؟.. قال: إنه لايريد جرح مشاعر اليهود.. إذن لماذا المجتمع الدولى يعالج الأمر بصورة مختلفة مع المسلمين فقط؟!

●● إنك تتحدث عن حفنة من الأشخاص ثم يتم القفز إلى المجتمع الدولى وهو ملايين الأشخاص وأحب أن أوضح لكم أن ملايين الأشخاص لاتتصرف بهذه الصورة التى تتحدث عنها إذا ما أخطأت حفنة من الناس فيجب ألا نفكر بأن الغالبية سوف تتصرف بنفس الطريقة وتجرح مشاعر المسلمين.. إن المهم هو احترام الأغلبية ذات النيات الحسنة لمشاعر الآخرين، وبذات القدر احترام حرية التعبير، حرية العلومات، حرية الصحافة وبالطبع لكل شىء حدود، والحدود هى الإساءة إلى الآخرين وهذه الحدود المانعة للإساءة إلى الآخر هى عميقة الجذور فى أخلاقيات الإسلام والمسيحية واليهودية فنحن نحترم الآخرين وعلينا أن نطبق ذلك ليس بالقوة ولكن خلال الإقناع والتعليم، تلك هى الطريقة الوحيدة لكى نحصل على عالم يمكننا أن نعيش فيه جميعا بسلام وتحترم فيه مشاعر ومعتقدات الجميع، وأنا شخصيا لو ارتكبت خطأ من هذا النوع فإننى سأكون

مستعدا للاعتذار.

● دعت مجلة «الإيكونوميست» البريطانية فى تناولها للقضية إلى رفع القيود المفروضة على تناول جوهر قضية الهولوكوست «المحرقة اليهودية».. هل تؤيدون ذلك؟

●● إننى لم أقرأ مقال الإيكونوميست ولكن علينا أن نكون عادلين بالنسبة لاحترام مشاعر وعواطف كل الناس وهناك أشياء ثبت وقوعها تاريخيا وأمور أخرى لم تثبت إلا أن ذلك ليس له علاقة بمشاعر الناس وليس لدينا الحق فى جرح مشاعر الآخرين وبالنسبة للمسلمين فإن طريقة معاملة الرسول «محمد صلى الله عليه وسلم» هى مسألة أساسية لأنها جزء من معتقدهم الدينى فى حين أن الأمر مختلف بالنسبة لعقائد أخرى ولكن المهم هو ضمان أن كل الناس سوف لايتم الإساءة علنا إلى معتقداتهم.

● هل تؤيدون وضع حدود لحرية التعبير مثلما فعلنا مع مسألة الهولوكوست وأن نضيف الآن إليها ما يتعلق بالأديان مثل الدين الإسلامى.. أم رفع هذه الحدود جميعها معا؟

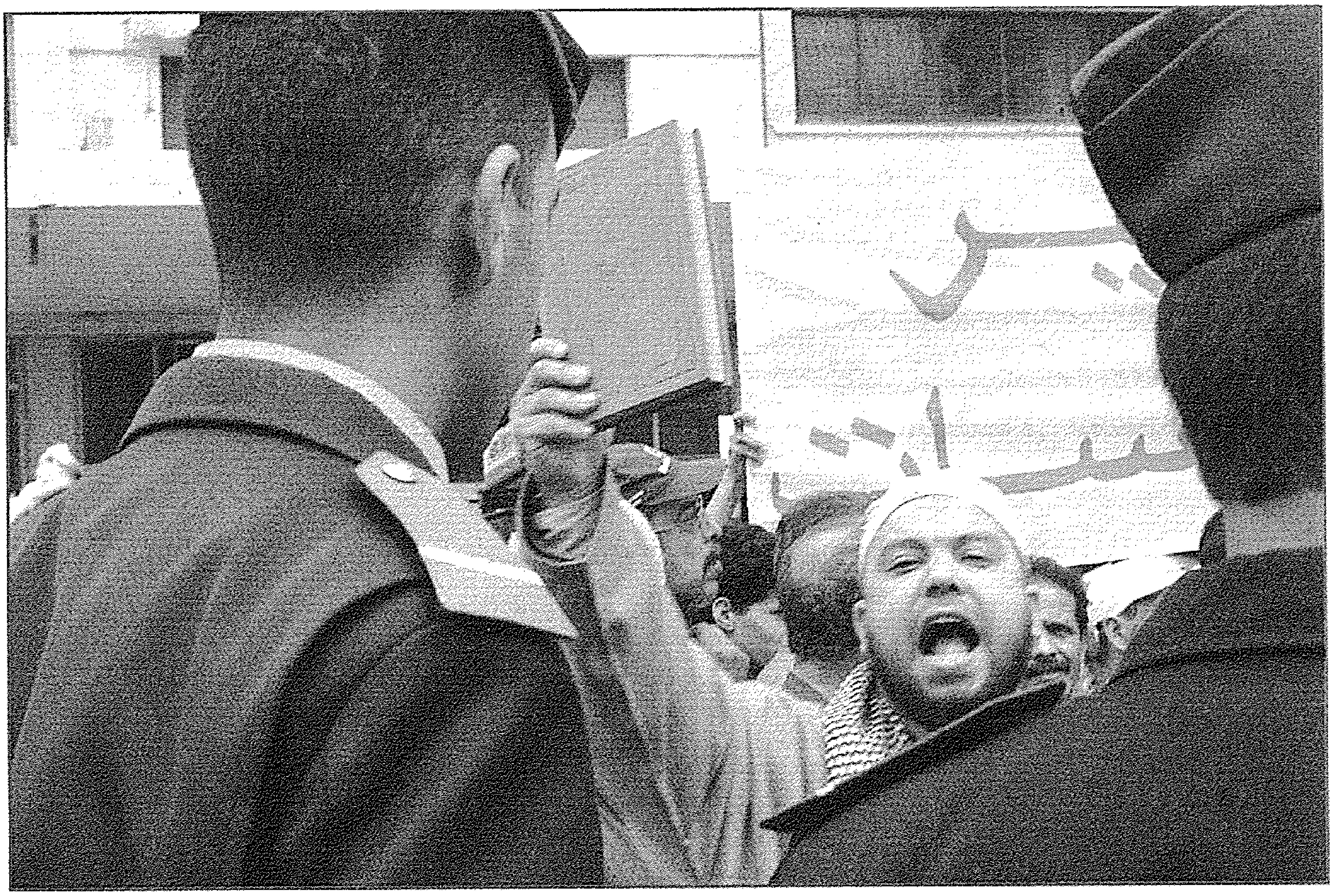
●● إننى أعتقد أن هناك أمورا هى «حقائق» وأخرى مشاعر مرتبطة بالأديان وربما يتعين التعامل معهما بصورة مختلفة وأعتقد أن كل ما يتعلق بأخلاقيات الناس ومشاعرهم ودينهم يجب أن يتم احترامه من قبل الجميع ولا أعتقد أن هناك أحدا فى العالم لديه الحق فى جرح مشاعر الآخرين بسبب معتقداتهم.

● إذن أنت تعتقد أن الأمرين مختلفان ولايوجد شىء مشترك بينهما.. أعنى الهولوكوست والأديان؟

●● أعتقد أن الأديان هى الأديان.. وهذا ما كنا نناقشه وهذه الفكرة التى تقدم بها أناس من دول مختلفة فى العالم الإسلامى وهى أنهم لايريدون أن يخلطوا بين الأمور وهم يريدون الاحترام للأديان وهى مرتبطة بمشاعر عميقة أما الأمور الأخرى يقصد الهولوكوست فهى مرتبطة بأحداث تاريخية ثبتت صحتها علميا.

● لكن دعنى أذكركم بأن «العداء للسامية» تتم معاقبته؟

●● نعم.. لكن العداء للسامية يعنى للعديد من الناس أشياء مختلفة فهو يعنى العداء لليهودية أو العداء لإسرائيل وهى دولة، وبذلك هذه ليست مشاعر ضد الدين وأعتقد أننا يجب أن نكون فى غاية القوة فى الدفاع عن المشاعر العميقة للناس الذين ينتمون إلى أديان معينة وهذا فى رأيى هو أفضل وسيلة للتعامل مع الأمر وفى الوقت نفسه أنا لا أحب الدخول فى سجال حول أمور نظرية سوف تأخذ وقتا طويلا من أجل تحديدها وتوصيفها، ولكن بمرور الوقت والذى لن يكون وقتا طويلا سيكون بمقدورنا وضع آلية أو نظام يتم من خلاله احترام جميع الأمور سواء المشاعر أو الحقائق التاريخية.



مظاهرة فى المغرب ضد الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم

والمشكلة الآن من وجهة نظرى هى: كيف يمكن لكل فرد أن يشعر بأن مشاعره العميقة المرتبطة بالدين أو الله والرسول أو كتابه المقدس أو صلاته، هو أمر سيتم احترامه من الجميع، وأحسب أن لا أحد لديه الحق فى الاعتداء على هذه الأمور وأحب أن أعتذر عن ذلك لأنه لا أحد يحق له فعل ذلك.

● فى نهاية المطاف.. رجل الشارع سوف يحكم على حقيقة ما يجرى على الأرض ولن يهمه كثيرا تلك الفروق النظرية، وبالنظر إلى ما يحدث فى الدانمارك، وما يصدر من حكومتها، فإن الأمر لايبدو مقبولا أو مرضيا بالنسبة له؟

●● إن الضمانات هى مسألة مهمة سواء بالنسبة للمثقف أو لرجل الشارع وأعتقد أننا يمكننا أن ننظم الأمر بصورة أفضل وهذه أول مرة يحدث مثل هذا الموقف ولا أعتقد أنه حدث عن عمد وإنما يعود الأمر فى حقيقته إلى الافتقار إلى المعلومات أو الذوق أو المشاعر، وعلينا أن نفكر مليا، حتى نتعلم من هذه الحادثة ونقنع الجميع بأنها لن تتكرر، ونحن نتحدث هنا عن قناعات، ومن ثم علينا أن نقنع الناس بأن ذلك أمر يجب ألا يفعلوه.

● إذن هل توافقون على اتهام ممثل منظمة

التحرير الفلسطينية في واشنطن لحزب الليكود الإسرائيلي بأنه يقف وراء هذه الرسوم المسيئة من خلال تعاون جناحه الدولي مع الصحفي الدانماركي وأيضا الاتهامات الأخرى الموجهة لسوريا وإيران بأنهما استغلتا الموقف لصالح مواجهتما مع الغرب؟

●● لا أعتقد ذلك بشأن مسألة وقوف الليكود وراء ذلك وأتمنى ألا يستغل أحد الموقف وكما تعلم فإن هناك أناسا خبراء في عملية الاستغلال هذه واستغلال مشاعر الآخرين ولقد سبق أن رأينا ذلك في التاريخ وفي السنوات الأخيرة.

وأحسب أننا سنرى في المستقبل وأعتقد أن عملية الاستغلال هي طريقة أخرى لعدم احترام مشاعر الناس وعندما يحاول البعض الاستغلال فإنه لايحترم المشاعر على كلا الجانبين.

● إذن أنت لاتقبل بنظرية المؤامرة هذه؟

●● إنني أحاول ألا أؤمن بنظرية المؤامرة ولا أعتقد ان التاريخ نتاج عملية المؤامرة وأؤمن بأن التاريخ هو من صنع الناس.

● البعض يقول إن الواقعة ليست سوى «القشة الأخيرة» وأنها سبقها تهجمات كثيرة سواء من شخصيات مثل بيرلسكوني الذى قال: إن حضارتنا أفضل من حضارتهم أو نائبة في برلمان الدانمارك التي وصفت المسلمين بأنهم مثل «الأورام السرطانية» وأخيرا وزير الإصلاحات الدستورية الإيطالية روبرت كالديرولي طالب البابا بحرب صليبية جديدة ضد المسلمين.. والقائمة طويلة ترى ما هو ردكم؟

●● لاتستمر في سرد ما يقوله أشخاص وذلك لأنه يمكننا عمل بيانات تتضمن تصريحات لأشخاص يقولون العديد من الأمور التي لا نتفق معها إن المهم هو القناعة العامة وتوافق الآراء بعدم الإساءة إلى معتقدات ومشاعر الآخرين.

● للأسف فإنه برغم حالة الغضب فإن الأخبار القادمة من الدانمارك تقول إن الرسوم سيعاد طباعتها في كتاب وأن أحد المتاحف الدانماركية سوف يعرضها؟!!

ـ لقد سبق أن قلت لكم ألا تعيروا اهتماما لهذه الأمور المهم هو الاهتمام بما يقوله الناس الحكماء الذين يمكن الوثوق بهم لا الإصغاء إلى «تعليقات غبية» من هنا وهناك لأننا نسمع من حين لآخر تعليقات غير مسئولة، إن المهم هو الإيمان بالأشخاص ذوى النيات الحسنة الذين يحاولون حل المشكلة ولديهم هدف واضح وهو عدم الإساءة لأى أحد. إنني أحب أن أقول بكل وضوح مرة ثانية وبصوت عال: «مع خالص الاحترام لاعتقاد ودين كل شخص خاصة في هذه المرحلة من الزمن.. والتي تعرض فيها العديد من الناس في العالم الإسلامي لإساءة المعاملة لمعتقداتهم.. أحب أن أقول إنني أشاركهم المعاناة».

وشهد شاهد من أهلها..

تحت هذا العنوان جاءت كلمة كتبها الأستاذ محمد على إبراهيم رئيس تحرير الجمهورية فى عددها الصادر فى ٢٠٠٦/٢/٩م قال:

صحيفة «الجارديان» البريطانية هى إحدى أهم الصحف العالمية، وقد اتخذت فى أحيان كثيرة مواقف مناهضة للعرب والمسلمين، لكن فى قضية الرسوم المسيئة للنبى ﷺ كان لها موقف مغاير تماماً عبر عنه الكاتبان فيليب هينشر وجارى يونج.. اللذان كتبا مقالاً هاماً اعترفا فيه أن الصحيفة الدانماركية «يولا نادز بوستن» أخطأت..

تساءل الكاتبان عن مدى السبق أو حرية الصحافة في نشر رسوم تمس المسلمين.. قال الكاتبان: إن القصة بدأت عندما فشل أحد المؤلفين فى العثور على رسام كاريكاتورى يرسم له رسومات كاريكاتورية فى كتاب يعتزم إصداره عن نبى الإسلام.. وهو الكتاب الذى رفضت عدة دور نشر إصداره..

ويقول الكاتبان البريطانيان: إن الصحيفة الدانماركية صنعت قضية من لاشىء، فقد اعتبرت فشل المؤلف فى العثور على دار نشر لطبع كتابه ضد الرسول بمثابة رقابة داخلية مارستها دور النشر على نفسها ورفضت الكتاب، وبالتالى قررت إدارة الصحيفة التعاقد مع ١٢ رساماً، وطلبت منهم رسومات تصور النبى وقد ارتدى عمامة كبيرة تخفى تحتها قنبلة لها أزيز.. وفى هذا إشارة واضحة إلى أن النبى ﷺ إرهابى ويدعو للعنف..

وقد أعجبنى الصحفيان وهما يقولان: إنهما لا يستطيعان الاقتناع بأن الرسامين الذين أقدموا على هذه الفعلة الشنعاء جهلة، أو لا يعرفون ما الذى يمكن أن تسفر عنه هذه الرسوم.. وأكد الصحفيان أن الهجوم على الإسلام فى الصحيفة الدانماركية لم يكن مصادفة، فالرسم المسىء للرسول كان عبارة عن آية فى القرآن تم إساءة تفسير معناها، لتخدم الغرض الذى من أجله تصدرت الصحيفة، وهو الإساءة للرسول..

فيليب هينشر وزميله جارى يونج قالا: إن الإساءات الموجهة للنبى لا تمثل إساءة للمسلمين فقط، وإنما تمثل إساءة لكل من يحترم الأخلاق والقيم..

ويدعونا الكاتبان إلى أن نسأل أنفسنا: هل إذا كانت هذه الرسوم قد تعرضت بالإساءة لأصحاب المدارس العلمانية مثل ماركس وداروين، هل كان أتباعهما سيسكتان عن إهانتهما.. هل كان الشيوعيون وأتباع نظرية النشوء والارتقاء سيقبلان المساس بعميد الشيوعية، وبالعالم الذى ألغى فكرة وجود آدم على الأرض؟!.. وقال إن الإنسان هو التطور الطبيعى للقرد؟!..

ويعترف الصحفيان أن هناك إهانة لحقت بالمسلمين، ما فى ذلك شك، وأن غضبهم له ما يبرره..

ويمضى الكاتبان إلى أبعد من ذلك فيقولان: إن الصحيفة الدانماركية كانت ستفكر ألف مرة قبل أن تكتب شيئاً يمس الديانة اليهودية، حتى لا يتهمهم أحد بالعداء للسامية، لأنها تهمة خطيرة فى أوروبا وأمريكا، وقد يدفع المتهم عنها عشرة أعوام من عمره فى السجن.. أما ازدراء الدين الإسلامى - على حد قولهما - فلم يحدث أن سجن أحد بسببه فى أوروبا..

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

٤١ عالما إسلاميا يطالبون الدنمارك بالاستجابة للأصوات المنصفة ويدعون المسلمين إلى الالتزام بعدم نقض العهود والمواثيق المحترمة

أصدر ٤١ عالما إسلاميا بيانا نشرته جريدة الأهرام فى ١٤ / ٢ / ٢٠٠٦ للرد على جرائم الاعتداء على مقدسات الأمة، وطالبوا المسلمين بالالتزام بضوابط الشرع الحنيف ورفض مقابلة الإساءة بما لا يجيزه الشرع.

من العلماء والدعاة الذين وقعوا على البيان الدكتور على جمعة مفتى مصر، والشيخ عكرمة صبرى مفتى القدس، والدكتور محمد رشيد قبانى مفتى لبنان، والدكتور أحمد بدر الدين مفتى سوريا، والدعاة: الحبيب على الجفرى، وعمرو خالد، وخالد الجندى، ود. حسن الصفار، ود. سلمان العودة، ود. طارق السويدان، ود. عائض القرنى، وقال العلماء فى بيانهم:

إننا نشد على يد الأمة التى هبت لنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أمر يؤكد أن هذه الأمة حية، كما أننا ننبه على أن تكون هذه النصرة مرآة لنهج الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم من خلال تصرفات أمته، ووجهوا الدعوة إلى الدنمارك حكومة وشعبا إلى الاستجابة للأصوات المنصفة والناضجة التى انبثقت من داخل مجتمعها معتذرة وداعية إلى إدانة هذا التعدى وإيقافه حتى لا تعيش الدنمارك عزلة عن مسيرة المجتمع الدولى الذى يدرج ضمن حدود الحريات ما يمنعها من التعدى على المقدسات الدينية، أو إثارة الكراهية ضد دين أو عرق، وكذلك نوجه هذه الدعوة إلى الدول التى دافعت عن هذا التعدى على أنه لا يوجد اليوم مجتمع يقر الحرية غير المسئولة دون أن يضع لهذه الحرية ضوابط تحول بينها وبين الإضرار بالغير، ثم تتفاوت المجتمعات فى هذه الضوابط.

كما وجه العلماء الدعوة إلى المسلمين إلى الالتزام بضوابط الشرع الحنيف، ونرفض مقابلة الإساءة بما لا يجيزه شرعنا من نقض العهود والمواثيق المحترمة فى شريعتنا بالاعتداء على السفارات أو الاعتداء على الأنفس المؤمنة وأمثالها من الأعمال غير المرضية التى قد تشوه عدالة

مطالبنا، أو تتسبب فى عزلنا عن مخاطبة العالم، فإن نصرة نبينا لا تكون بمخالفة شرعه.

وثمن العلماء المواقف المنصفة التى صدرت عن عدد من المراجع الدينية مستنكرة هذا التعدى الشائن، مما يدعو إلى تأكيد عدم أخذ غير المسلمين فى بلادنا وخارجها بجريرة الذين أساءوا إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك عملا بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾

وقوله عز وجل: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾

وأكدوا أن واجبنا الآن هو الانتقال إلى مرحلة تعريف الأمم بنبينا عبر نشر أخلاقه وأوصافه وشمائله إلقاء وكتابة، وقبل ذلك كله ومعه وبعده سلوكا ومعاملة، وأن تقوم المؤسسات المعنية وأصحاب الإمكانات بواجبهم فى دعم هذا التعريف.

بيان اتحاد كتاب مصر حول الرسوم الدنماركية

أصدر اتحاد كتاب مصر بيانا حول الإساءة إلى رسول الله ﷺ، جاء فيه:

«إن اتحاد كتاب مصر إذ يؤكد حرصه الدائم على حماية حرية الفكر والإبداع فهو يستنكر بكل شدة سلوك بعض الصحف الدنماركية والأوروبية بنشر رسوم كاريكاتورية تسىء إلى رسول الإسلام النبى محمد ﷺ مؤكدا أن هذا العمل يعبر عن ازدراء للأديان ولمعتقدات الغير ولا يمت لحرية التعبير بصلة.

إن اتحاد كتاب مصر يدين هذا السلوك المشين ويؤكد أنه من غير المقبول أن تستخدم حرية الرأى والتعبير كذريعة للتهكم على المقدسات والسخرية من الأنبياء لأن هذا السلوك إنما يزيد من استشراء التعصب الدينى ويتخذ مبررا لممارسة الإرهاب الذى أصبح الآن خطرا يواجه العالم أجمع.

والاتحاد يدعو فى هذه المناسبة جميع الأطراف إلى كلمة سواء يتم الاتفاق بمقتضاها على ضرورة احترام معتقدات الغير وتجنب السخرية من الأنبياء جميعا».

أكبر عريضة ورقية لنصرة الرسول الكريم

قامت مجموعة من الشباب المتطوعين بمدينة جدة السعودية بالتعاون مع الندوة العالمية للشباب الإسلامى بإطلاق حملة كبيرة لنصرة النبى محمد ﷺ وذلك من خلال جمع مليون توقيع فى أطول عريضة ورقية لرفعها إلى الجهات المعنية فى دولة الدانمارك.

وشهدت المبادرة تدفق مئات الشباب من الجنسين الذين اصطفوا فى طوابير طويلة لأخذ فرصتهم فى التوقيع على أكبر عريضة احتجاج يشهدها العالم.

وقال أحد المنظمين الرئيسيين لفكرة المليون توقيع: «إن الهدف من هذه التظاهرة هو إظهار مدى حب المسلمين لرسولهم الكريم ﷺ والتعبير عن الرفض القاطع للإساءة إلى جانب تعميق وتأصيل محبة رسول الله ﷺ فى نفوس عامة المسلمين وبالذات الناشئة منهم.

حزب إيطالى يعرض الرسوم المسيئة فى ساحة عامة

قرر حزب رابطة الشمال أحد أحزاب الائتلاف الحاكم الإيطالى عرض الرسومات المسيئة للرسول الكريم ﷺ فى الساحة الرئيسية لمدينة بيزارو شمالى إيطاليا.

ودافع المسئول المحلى فى الحزب دانتى روشينى عن القرار بقوله: إننا لحسن الحظ نعيش فى بلد تتوافر فيه حرية التعبير والفكر والسخرية، لقد نشرت رسومات وكتابات وأنجزت أفلاما تسخر من المسيح ومن الكنيسة الكاثوليكية ولم يحدث شيئ يذكر، وأوضح أن تنظيم هذا المعرض يندرج فى إطار تفعيل النقاش حول موضوع استقطب اهتمام الرأى العام.

وكان وزير الإصلاحات الدستورية الإيطالى روبرت كالديرولى أحد اقطاب رابطة الشمال قد دعا منذ أيام إلى استخدام القوة ضد المسلمين، مطالبا بتدخل ضد المسلمين اسوة بما قام به الباباوان السابقان بيو الخامس وإينوشينزو السادس.

وزير إيطالى يطبع الصور المسيئة ويوزعها على الأوروبيين

فى تصعيد جديد لأزمة الصور المسيئة للرسول الكريم صنع وزير الإصلاح الإيطالى «روبرتو كالديرولى» قمصاناً مطبوعاً عليها الرسوم المسيئة وقال «كالديرولى» عضو رابطة الشمال المعادى للمهاجرين لوكالة أنباء «انسا» الإيطالية: «إن على الغرب أن يقف ضد المتطرفين الإسلاميين» وعرض أن يقدم القمصان لأى شخص يريدها.

ونقلت وكالة «انسا» عن روبرتو قوله: لدى قمصان مطبوعة عليها الرسوم التى أزعجت الإسلام وسوف أبدأ فى ارتدائها.

وقال: إن القمصان ليست المقصود بها الاستفزاز!!!

وقال «كالديرولى»: إن علينا أن نضع حدا لهذه الرواية إننا لا يمكن أن نتحدث مع هؤلاء الناس فهم يريدون فقط إذلالنا.

رعب فى أوساط الشركات الدانماركية من تصاعد المقاطعة الإسلامية

سادت حالة من الرعب فى أوساط الشركات الدانماركية بسبب تصاعد حملات المقاطعة الإسلامية للمنتجات الدانماركية فى أعقاب إصرار الحكومة الدانماركية على عدم الاعتذار عن الرسومات المسيئة للرسول ﷺ وقام عدد من الشركات الدانماركية بنشر إعلانات فى الصحف العربية والإسلامية لمحاولة امتصاص الغضب الإسلامى والتخفيف من حدة الموقف الإسلامى ضد منتجاتها.

كانت عدة دول إسلامية قد صعدت مقاطعتها للمنتجات الدانماركية، وتبنت عدة مؤسسات مدنية واقتصادية إسلامية حملات واسعة عبر الإنترنت والغرف التجارية لمقاطعة المنتجات الدانماركية.

خطة صهيونية لضرب الإسلام فى أوروبا

حذر رئيس المؤتمر العربى الإسلامى الأوروبى «فادى ماضى» من خطة صهيونية مبرمجة تستهدف الوجود العربى والإسلامى لضرب الإسلام فى أوروبا وتوصيف الإسلام على أنه مصدر للقلق والاضطراب والإرهاب وبث بذور الكراهية والطائفية والعنصرية فى المجتمعات الغربية.

وكشف فى رسالة إلى منظمة المؤتمر الإسلامى عن صلات بين رئيسى صحيفتى «بولاند بوسطن» الدنماركية ومجلة «ماجازينيت» النرويجية - اللتين كانتا أول من نشر الصور المسيئة عن الرسول ﷺ وبين المؤتمر اليهودى العالمى. ومما يذكر أن ماضى أكد فى رسالته التى وجهها إلى منظمة المؤتمر الإسلامى والجامعة العربية والمجلس العالمى للفيدرالية الدولية للصحفيين، وإلى لجنة حقوق الإنسان فى الأمم المتحدة، وبعض المنظمات العربية، والدولية أن رئيسى التحرير هما عضوان فى المؤتمر اليهودى العالمى ومن ممولى ومصدرى معلومات قسم الدراسات والأبحاث فى مركز «سايمون ويزنثال» اليهودى الذى يهدد مصالح العرب والمسلمين فى كل أنحاء العالم بحجة دفاعه عن السامية.

وأضاف ماضى: لقد ثبت تورط جهات رسمية دنماركية منها الحزب الحاكم والمدعى العام بموافقتهم على نشر الصور وبدء حملة ترهيب واسعة النطاق ضد المسلمين فى الدانمارك تقودها الجهات الأمنية ووسائل الإعلام الدانماركية والأوروبّية واصفة العرب والمسلمين بأنهم جماعات إرهابية ويجب استئصالهم من المجتمعات الغربية.

أكراد العراق

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

يعيش الأكراد فى المنطقة الكردية، شمال العراق فيما يُعرف باسم «كردستان العراق» أو ما يسمى «كردستان الجنوبية»، بينما يُطلق مصطلح «كردستان الشمالية» على كردستان تركيا، و«كردستان الشرقية» على كردستان إيران، وأقصى ما يطمح إليه الأكراد هو تأسيس «كردستان الكبرى».

وتتكون كردستان العراق من ثلاث محافظات، هى أربيل والسليمانية ودهوك، وتعتبر أربيل العاصمة الإقليمية والتاريخية لكردستان العراق، بينما السليمانية هى العاصمة الثقافية، وتبلغ مساحة إقليم كردستان العراق حوالى ٧٩٠٠٠كم٢، تمثل ١٨٪ من المساحة الكلية للعراق، وتمثل فى نفس الوقت ١٥٪ من مساحة كردستان الكلية التى تبلغ ٥٠٠ ألف كيلو متر مربع، منها ٢٣٠,٠٠٠كم٢ فى تركيا، و١٢٥٠٠٠كم٢ فى إيران، وباقى المساحة موزعة على كل من سوريا وأرمينيا وأذربيجان.

ويتألف المجتمع الكردى من جماعات إثنية وعرقية ودينية، منهم الكاكائيون، واليزيديون، والتركمان، والكلدان، والأشوريون، والشيعة والسنة. ويدين أغلبية الأكراد بالإسلام على المذهب السنى، كما يوجد الأكراد الفيليون على المذهب الشيعى، وهناك المسيحيون من السريان، الذين يُسمَّوْن حالياً الآشوريين، وهم يعيشون فى النصف الشمالى من كردستان، وهذه الطائفة لها خمسة مقاعد دائمة فى البرلمان الكردى فى أربيل، الذى يعتبر المؤسسة الكردية البرلمانية للإدارتين الكرديتين فى كل من أربيل والسليمانية، والتى توجد لكل منها حكومة محلية.

وفى كردستان أيضاً طائفة مسيحية أخرى

هى الكلدان، وهم أقل عدداً من الآشوريين، ويعيش معظمهم فى السليمانية، وتعتبر اللغة الكردية من عائلة اللغات الإيرانية، التى تنتمى إلى مجموعة اللغات الهند ـ أوروبية، وتتألف اللغة الكردية من أربع لهجات، هى الكرمانجية، والصورانية، والزازية، والهورامية، وتكتب بثلاث أبجديات، بالحروف العربية فى العراق وإيران، وبالحروف اللاتينية «مكونة من ٣٣ حرفا» فى تركيا وسوريا، وبالحروف السريانية فى أرمينيا وأذربيجان.

ويتوزع الأكراد فى كردستان الكبرى على خمس دول هى:

- تركيا «من ١٥-٢٠ مليون كردى».
- وإيران «من ١٠-١٢ مليون كردى».
- والعراق «من ٦-٧ ملايين كردى».
- وسوريا حوالى ٢,٥ مليون كردى.
- والاتحاد السوفيتى «حوالى ٢,٥ مليون كردى».
- وبذلك يبلغ العدد الكلى للأكراد من ٣٦-٤٤ مليون كردى.
- وتشير معظم الدراسات الأنثروبولوجية إلى أن الأكراد يرجع أصلهم إلى الجنس الآرى من قبائل هند ـ أوروبية، بينما يذكر «المسعودى» المولود فى بغداد إلى أن نسبهم يرجع إلى أصول عربية فيقول فى كتابه «مروج الذهب ومعادن الجوهر»: «إن أجناس الأكراد، وأنواعهم تعود إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان من بكر بن وائل، انفردوا فى قديم الزمان، وانضافوا إلى الجبال والأودية لأحوال دعتهم إلى ذلك» ويُذكر أن الأكراد دخلوا فى الإسلام بعد فتح بلادهم على يد الصحابى الجليل «عياض بن غنم» الذى فتح معظم بلاد الأكراد من جهة الجزيرة سنة ١٨ من الهجرة، وقد سبقه «القعقاع بن عمرو» فى فتح «حلوان» الواقعة جنوب كردستان قبل ذلك سنة ١٦ من الهجرة. وفى هذا السياق يُذكر أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كان قد أمر «سعد بن أبى وقاص» أن يرسل ثلاثة جيوش لفتح بلاد الأكراد، وهى ديار بكر، ومدنها المعروفة: حران، ونصيبين، وسنجار، وخابور، والموصل، وجبال هكارى، وبهدينان.

وتعد البرزانية، والزيبارية والقادرية أشهر قبائل الأكراد، ويمثل الحزب الوطنى الكردستانى بزعامة «مسعود البرزانى» فى العراق، البرزانية، فى حين يمثل حزب الاتحاد الوطنى الكردستانى بزعامة «جلال طالبانى» ائتلاف من قبائل الزيباريين والقادريين.

ثورة العشرين

ويرجع تاريخ الحركة الكردية فى العراق إلى ما قبل تأسيس المملكة العراقية، ففى عام ١٩١٩ نظم الشيخ «محمود الحفيد» صفوف الأكراد، وقاد أول ثورة كردية ضد الاحتلال الإنجليزى، عرفت بثورة العشرين «عام ١٩٢٠»، غير أن الإنجليز تصدوا لها، وقاموا بنفى قائد الثورة، وفى عام ١٩٢٢ أعادوه من المنفى، حيث صدر بيان من كل من العراق وبريطانيا، اعترفا فيه بحق

الأكراد فى أن تكون لهم حكومة باسمهم، ففى عام ١٩٢٣ أعلن الشيخ «محمود الحفيد» نفسه ملكاً على كردستان، ورفع عليها العلم الأخضر الذى يتوسطه الهلال الأحمر لكن الإنجليز واجهوه عسكرياً، وتمكنوا من هزيمته. ومن ثم توجهت المقاومة الكردية شطر منطقة بارزان، حيث تفجرت انتفاضة الشيخ «أحمد البارزانى» عام ١٩٣٢، وخلفه فى قيادتها أخوه «مصطفى البارزانى» الذى قاد انتفاضة عام ١٩٤٣، توجه بعدها إلى إيران حيث انضم إلى أول جمهورية كردية فى تاريخ الأكراد أسسها المجاهد الكبير «قاضى محمد» عام ١٩٤٦ فى مهاباد، عرفت باسم «جمهورية مهاباد الكردية» وتولى فيها الملا مصطفى البرزانى منصب وزير الدفاع، لكن الشاه رفض الاعتراف بهذه الجمهورية الكردية وقام بحملة عسكرية ضدها استعاد بها السيادة الإيرانية على مهاباد الإيرانية، وفر على أثرها «مصطفى البارزانى» إلى الاتحاد السوفيتى، وظل هناك لاجئاً سياسياً، تلاحقه كل من تركيا وإيران، والعراق، إلى أن عاد إلى العراق، مع قيام ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ بقيادة عبدالكريم قاسم فأكرم وفادته، واستقبله كزعيم كردى، وأصدر بعد ذلك «الدستور المؤقت للجمهورية العراقية» فقد نصت مادته الثالثة على «أن الأكراد والعرب شركاء فى الجمهورية العراقية».

ثورة أيلول

غير أنه فى عام ١٩٦١ شنت الحكومة العراقية حملة إعلامية لمناهضة المطالب الكردية، فقام الأكراد بثورة عارمة عُرفت باسم «ثورة أيلول ١٩٦١»، تواصل اشتعالها بشكل متقطع إلى أن تفاوضت الحكومة العراقية فى ١٧ / ٧ / ١٩٦٨ مع الأكراد، واستمرت هذه المفاوضات بصورة غير متواصلة حيث أسفرت فى النهاية عن عقد «اتفاقية الحكم الذاتى» للأكراد فى ١١ من مارس ١٩٧٠، وقعها من الجانب الكردى الزعيم الملا مصطفى البرزانى، وأهم ما جاء فيها من مكاسب للأكراد:

- أولا: شمول المنطقة الكردية بالحكم الذاتى.
- ثانيا: اللغة الكردية هى اللغة الرسمية للأكراد بجانب اللغة العربية.
- ثالثاً: يتولى إدارة المنطقة الكردية مجلس تشريعى منتخب، ومجلس تنفيذى وهو بمثابة حكومة محلية كردية.
- رابعاً: إنشاء جامعة بمدينة السليمانية.
- خامساً: بناء مجمع علمى كردى.
- سادساً: حق الأكراد فى إصدار الصحف والمجلات الكردية، وإنشاء قناة تليفزيونية كردية وإذاعة كردية، وبالمناسبة فقد صدرت أول صحيفة كردية فى مصر فى ٢٢ / ٤ / ١٨٩٨ ويحتفل الأكراد فى هذا اليوم بهذه الذكرى الإعلامية، ويعتبرونه

«عيداً للصحافة الكردية». وقد حددت اتفاقية مارس ١٩٧٠ فترة انتقالية ٤ سنوات لتنفيذ ما جاء فيها خاصاً بالأكراد.

● وفي يناير ١٩٧٤ تم تعديل المادة السابعة من الدستور العراقي وتنص على «أن الحركة الكردية هي حركة تحريرية يتعامل معها حزب البعث بكل تقدير».

اتفاقية الجزائر

وفي ١١ من مارس ١٩٧٤ تم تعديل الدستور العراقي لينص على «أن العرب الأكراد شركاء في الوطن» كما أصدرت الحكومة العراقية «قانون الحكم الذاتي للأكراد» في نفس اليوم. لكن الصدمة العنيفة التي تلقاها الأكراد، ولم تكن في حسبانهم، هو الاتفاق الذي تم في الجزائر بين شاه إيران وصدام حسين في ٧ من مارس ١٩٧٥ فيما يعرف باسم «اتفاقية الجزائر» فبموجبها اقتسم الجانبان الإيراني والعراقي السيادة على شط العرب، مع تعهد الجانب العراقي بطرد المعارضة الدينية الشيعية «الخوميني ورافسنجاني وغيرهما» من الأراضي العراقية، في مقابل قيام شاه إيران برفع يده عن مساندة الحركة الكردية العراقية، وغلق حدود بلاده أمام ميلشياتها، وهو ما جعل الملا مصطفى البرزاني يترك وطنه متوجهاً إلى الولايات المتحدة مع ابنيه «إدريس ومسعود البرزاني» حيث وافته المنية في مستشفى البحرية الأمريكية في ٣٠ من مارس ١٩٧٩، وتولى بعدها «مسعود البرزاني» حمل راية الحركة الكردية بعد أبيه.

الحرب الإيرانية العراقية


شاه إيران

وفي بداية عام ١٩٨٠ أصدرت الحكومة العراقية عفواً عاماً عن الجميع باستثناء الملا مصطفى البرزاني، وولديه، وما كادت الحرب الإيرانية العراقية تشتعل بين الجانبين، حتى أقدمت السلطات العراقية على سحب قواتها العسكرية من الشمال «كردستان» كي تشارك في العمليات العسكرية في الجنوب ضد إيران، وقد أحدث هذا الانسحاب من شمال العراق، فراغاً عسكرياً، استغلته القيادة الكردية لصالحها، فقويت شوكة الأكراد، وسيطروا تماما على كردستان بأكملها.

مأساة حلبجة

وفي أغسطس ١٩٨٨ أسدل الستار على نهاية الحرب الإيرانية العراقية، التي لم ينتصر فيها أحد من الجانبين، بل بدد الطرفان المتحاربان قواهما المادية والبشرية لصالح الأعداء المتربصين بهم الدوائر، وبعدها حاول النظام العراقي استعادة هيمنته على كردستان العراق في الشمال، فقامت السلطات العراقية بتهجير الأكراد والتركمان، وأحلت محلهم عرب الجنوب، بعد أن استخدمت القوات العراقية الغازات السامة في قصف

السكان الأكراد من أطفال وشيوخ ونساء وشباب مفعم بالأمل، وقامت بتدمير المدن والقرى المحيطة بها، ويذكر في هذا الشأن أنه تم تدمير ٤٢٠٠ قرية، واعتقال ١٨٢ ألف كردى، وتعتبر مدينة «حلبجة» خير شاهد على هذه الأعمال البربرية فقد تحولت المدينة إلى مقابر جماعية بسبب القصف الكيماوى لها، وقد استكمل النظام العراقى محاربة الأكراد، بإقامة حزام أمنى حول المنطقة الكردية، ومنع المرتبات عن الموظفين الأكراد «حوالى ١٥٠ ألف كردى»، مما عزز الوضع الانفصالى للمنطة الكردية، وبادرت بالاعتماد على نفسها.

بعد حرب الخليج الثانية، وما وفرته من إمكانيات أمام الأكراد ليحكموا أنفسهم ذاتيا، فيما عرف باسم «المناطق الآمنة» شمال خط عرض ٣٦ انصرف الأكراد الى حشد كل شيء من أجل تعزيز سلطاتهم الذاتية، غير أن الحزبين الكرديين الرئيسيين، وهما الحزب الديمقراطى الكردستانى بزعامة «مسعود البرزانى»، وحزب الاتحاد الوطنى الكردستانى بزعامة «جلال طالبانى» تصارعا من أجل اقتسام النفوذ والسلطة، واستمر هذا الصراع بين هذين الفصيلين من مايو ١٩٩٤ حتى عام ١٩٩٨، إذ تمكنت الولايات المتحدة من المصالحة بينهما في سبتمر ١٩٩٨، واجتمع البرلمان الكردى كاملا لأول مرة فى أربيل، ثم فى السليمانية.

وبعد سقوط بغداد ٩ / ٤ / ٢٠٠٣ أصبح الأكراد فى مقدمة المشهد العراقى، فبعد أن كانوا جزءاً من فصائل المعارضة أصبحوا فى طليعة «الصفوة الحاكمة» فى بغداد، فقد تولى «جلال طالبانى» رئاسة الجمهورية العراقية، فساند بذلك القيادات الكردية، وقد تحدث فى ٨ / ٣ / ٢٠٠٤ فى حوار مع فضائية الحرة حول تقرير مصير الشعب الكردى فقال: «إن الشعب الكردى له الحق فى تقرير مصيره، وحق تقرير المصير، يتضمن الانفصال أيضا، والشعب الكردى كان مستقلاً عندما أقر باجماع آراء مجلسه الوطنى «البرلمان الكردى»، البقاء ضمن الوحدة الوطنية العراقية، والاتحاد الاختيارى مع الشعب العربى.

وأضاف قوله: «إن مصلحة الشعب الكردى هى فى البقاء ضمن وحدة وطنية عراقية، قائمة على أساس الاختيار والديمقراطية، والفيدرالية، وحقوق الإنسان، وأن الانفصال الآن ليس فى صالح الشعب الكردى، ولا يمكن تحقيقه فى الظروف الحالية».

كركوك.. مدينة النفط

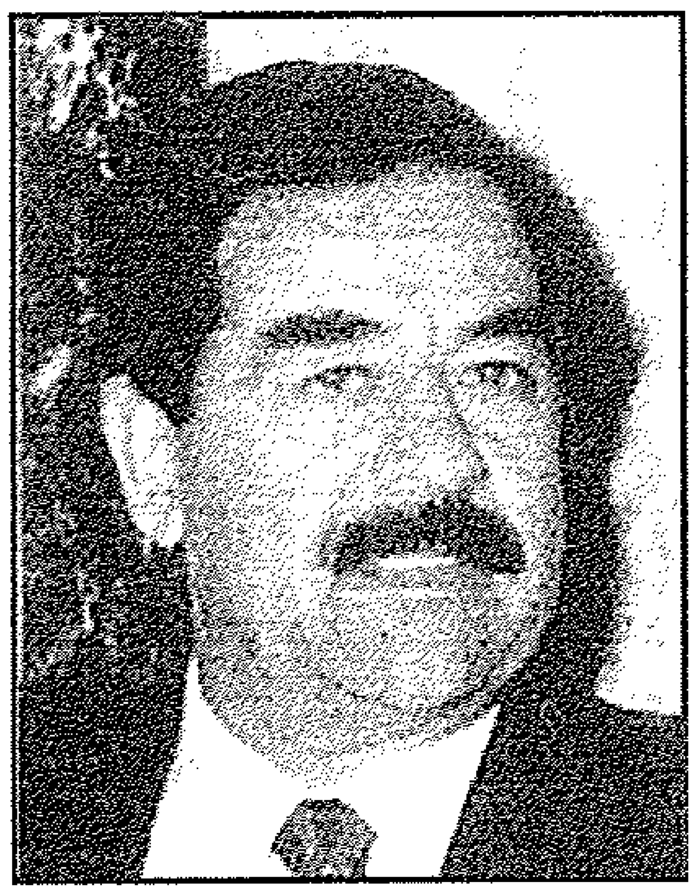
والجدير بالذكر أن منطقة كردستان العراق فى الشمال مقسمة حاليا بين الحزبين الرئيسيين الكرديين، فنجد أن محافظتى أربيل ودهوك بالإضافة إلى المناطق المحيطة بكركوك، تقع فى نطاق نفوذ الحرب الديمقراطى الكردستانى بزعامة «مسعود البرزانى»، بينما تقع محافظة السليمانية فى مجال نفوذ حزب الاتحاد الوطنى

الكردستانى بزعامة «جلال طالبانى» رئيس الجمهورية العراقية، وقد اختار البرلمان الكردى «مسعود البرزانى» لرئاسة إقليم كردستان بإدارتيه في أربيل والسليمانية، في حين تولى «عدنان المفتى» من حزب الاتحاد الوطنى الكردستانى رئاسة برلمان الإقليم، أما رئاسة حكومة إدارة أربيل فقد تولاها «نيجير فان البرزانى»، كما تتداول المنطقة الكردية الدينار العراقى المسمى بالدينار السويسرى، وهو غير الدينار المتداول فى باقى العراق المسمى بالدينار الطبع، وقيمة الثانى أقل بكثير من قيمة الأول، وقد خصص للأكراد ١٣٪ من عوائد النفط مقابل الغذاء، وهى نسبة لم تكن لتلبى احتياجات الأكراد المعيشية.

ومن جهة أخرى فقد أصر الأكراد على عدد من المطالب من أجل تعزيز حكمهم الذاتى فى إقليم كردستان، أهمها :

- أولا : المطالبة بـ ٢٧٪ من ميزانية الدولة العراقية لإقليم كردستان.
- ثانياً : عدم حل قوات البشمركة «١٠٠ ألف مقاتل كردى يمثلون الجيش الكردى»، ودفع رواتبهم من ميزانية الدولة العراقية.
- ثالثاً : عدم دخول قوات الجيش العراقى إلى إقليم كردستان إلا بعد موافقة البرلمان الكردى.
- رابعاً : حسم هوية مدينة كركوك باعتبارها مدينة كردية.

وفى هذا السياق يري الأكراد أن مدينة كركوك بالنسبة لهم هى قدس الأقداس التى لا يمكن المساومة عليها، فيقول «مسعود البرزانى» رئيس اقليم كردستان فى مخاطبته قيادة حزبه «الديمقراطى الكردستانى» فى محافظة كركوك فى ١٩/ ٧/ ٢٠٠٤ : «يجب ألا يفكر أحد فى المساومة على (كردستانية كركوك)»، ويستند الأكراد فى ذلك إلى الإحصاء السكانى الذى أجرى عام ١٩٥٧، إذ يعتقدون أنه أدق إحصاء، فقد أثبت أن كركوك ذات أغلبية كردية، وهم يحرصون دائماً على كشف وقائع تهجير الأكراد من كركوك فى عهد «صدام حسين» وإحلال عرب الجنوب محلهم، لتغيير التركيبة السكانية، فبسبب نفط كركوك، شرد أكراد، وقامت حروب وترجع أهمية كركوك بالنسبة للشعب الكردى ليس فقط لأنها تقوم على بحيرة من النفط، بل لأنها ترمز للاضطهاد الذى تعرض له هذا الشعب المناضل، من أجل تقرير مصيره.



صدام حسين

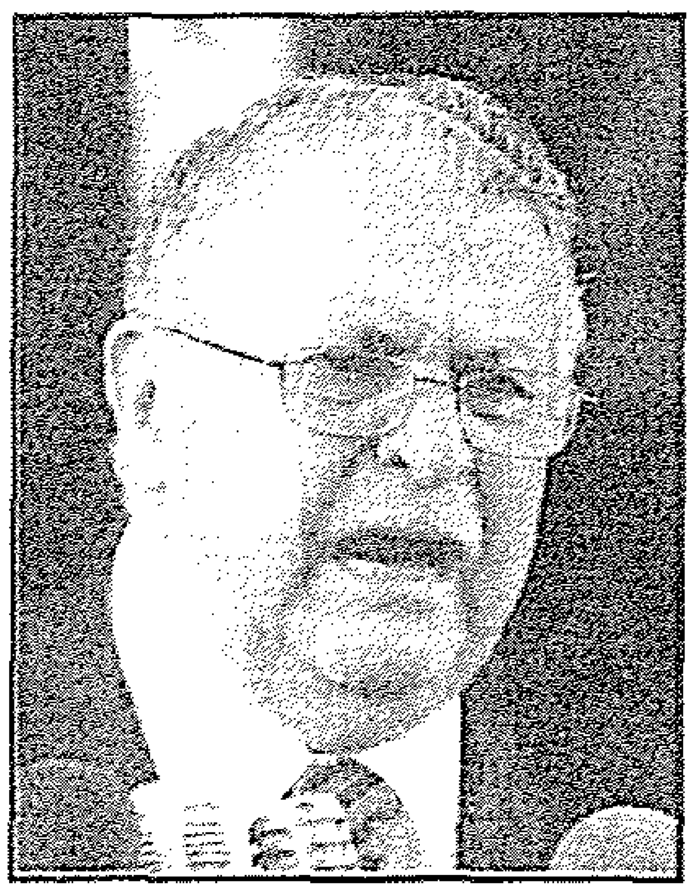
كركوك عاصمة لكردستان

ويتحدث «جلال طالبانى» رئيس الجمهورية العراقية مؤخراً حول مدينة كركوك التي يطالب الأكراد بضمها إلى حدود إقليم كردستان العراقى فيقول : «إن مدينة كركوك كردية، والطالبانيون هم من

أعرق سكانها، وهناك خريطة لمنطقة كردستان تعود إلى عهد الدولة العثمانية تبين أن المدينة هي جزء من كردستان وهي تحمل ختم الخليفة العثماني» فهذا النص يؤكد تصميم القيادة الكردية على ضم كركوك للإقليم الكردستاني، على اعتبار هويتها الكردية، بل يجمع الأكراد على أن هذه المدينة هي العاصمة القادمة لإقليم كردستان.

ويضيف «جلال طلباني» مؤكداً ضرورة عودة المرحلين الأكراد إليها من جديد فيقول: «عندما جاء الحكم البعثي إلى السلطة عام ١٩٦٣، كان قاطنو مدينة كركوك خليطاً من الكرد، والتركمان، ونسبة قليلة من العرب تقدر بنحو ٥٪ من مجموع سكانها، وأن حل مشكلة كركوك يحتاج إلى دقة وترو من خلال تطبيع الأوضاع أولاً، وإعادة العائلات الكردية والتركمانية، التي تم تهجيرها، وكذلك بالنسبة للعرب الذين توافدوا على هذه المدينة، يجب أن يعودوا من حيث جاءوا، وبذلك يمكن وضع الحلول الكفيلة بإرضاء جميع الأطراف، وتكون المدينة للجميع، والحكم فيها للجميع، وثرواتها توزع على الجميع.

● وفيما يتعلق بالأوضاع في كردستان يتحدث «جلال طالباني» رئيس الجمهورية العراقية فيقول: «إن إعلان الاستقلال أو الانفصال، لا يفيدنا بشيء، ولا يخدم مصالح الأكراد».



جلال طالباني

ويذكر «طالباني» أنه لأول مرة سيتم تخصيص ميزانية مستقلة عن ميزانية العراق لتفي بتطوير الأوضاع الكردية فيقول: إنه سيتم لأول مرة في التاريخ تخصيص ميزانية لكردستان هذا العام «٢٠٠٦»، تبلغ خمسة آلاف مليون دولار، وهو مبلغ كفيل بتحقيق المطامح المشروعة، والتقدم الحضاري للأكراد».

الفيدرالية.. والتقسيم الطائفي

ويجدر الإشارة في الختام إلى أن ما جاء في المادة الرابعة من قانون إدارة الدولة العراقية للفترة الانتقالية وهي:

«أن نظام الحكم في العراق جمهوري اتحادي فيدرالي ديمقراطي تعددي، ويجري تقاسم السلطة فيه بين الحكومة الاتحادية والحكومات الاقليمية»، هو في صالح الأكراد، لأنه يدفع في الحقيقة في اتجاه استقلالية إقليم كردستان، ويخشى البعض من أن تؤدي الفيدرالية إلى تقسيم العراق إلى أقاليم تقوم على الأساس الطائفي وليس الجغرافي خاصة أن الشيعة قد يطالبون بإقليم لهم في الجنوب أسوة بالأكراد، مما قد يفضي إلى تفتيت العراق، وهو ما ليس في صالحه.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

«ثلاثة»

ثلاثة لم يسأل الله - عز وجل - بمثلهم :

أن تقول : اللهم فقهنى فى الدين، وحببنى إلى المسلمين، واجعل لى لسان صدق فى الآخرين.

«حقيقة»

قال بعض الأعراب : قدم علينا الحكم بن المخزومى ، ولا مال لنا فأغنانا عن آخرنا ، فقلت له : كيف ؟

فقال : علمنا مكارم الأخلاق فعاد أغنياؤنا على فقرائنا فصرنا كلنا أجوادا.

«ما نراها قالت إلا خيرا»

دخلت امرأة على هارون الرشيد ، وعنده جماعة من وجوه أصحابه ، فقالت : يا أمير المؤمنين، أقرَّ الله عينك ، وفرّحَك بما أتاك ، وأتم سعدك ، لقد حكمت فقسطت.

فقال لها : من تكونين أيتها المرأة ؟ فقالت : من أل برمك ، ممن قتلت رجالهم ، وأخذت أموالهم ، وسلبت نوالهم [1]

فقال : أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره ، وأما المال فمردود إليك ، ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه ، فقال : أتدرون ما قالت المرأة ؟

قالوا : ما نراها قالت إلا خيراً.

---

(١) النوال: العطاء.

قال : ما أظنكم فهمتم ذلك ، أما قولها : أقر الله عينك ، فتعنى أسكنها عن الحركة ، وإذا سكنت العين عن الحركة عميت .

وأما قولها : وفرحك بما أتاك ، فأخذته من قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾

[الأنعام : ٤٤]

وأما قولها : وأتم الله سعدك ، فأخذته من قول الشاعر :

إذا تم أمر بدا نقصه
ترقب زوالا إذا قيل تم

وأما قولها : لقد حكمت فقسطت ، فأخذته من قوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴾

(الجن : ١٥)

فتعجبوا من ذلك .

« لا أحب أن يقتل بى برئ »

دخل الحسين- رضى الله عنه- على أخيه الحسن فى مرض موته ، بعد أن تأثر بالسم الذى دس له فى الطعام ، فقال الحسين لأخيه الحسن : من تتهم ؟

فقال الحسن : لتقتله ؟ !

فقال الحسين : نعم .

فقال الحسن : يا أخى إن يكن الذى أظن ، فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا ، وإن لم يكن هو فلا أحب أن يقتل بى برىء .

« اخفض من بصرك »

أكل أعرابى على مائدة الحجاج ، فكان يأكل بسرعة ونهم ، فقال له الحجاج : يا هذا ارفق بنفسك ، فقال الأعرابى :

وأنت أخفض من بصرك .

« ماقيل فى فضيلة الوفاء للإخوان »

قال حكيم : « الوفاء أفضل شمائل العبد ، وأوضح دلائل المجد ، وأقوى أسباب الإخلاص فى الود ، وأحق الأفعال بالشكر والحمد » .

وقال آخر : « الوفاء من شيم الكرام ، والغدر من خلائق اللئام » .

وقال غيرهما : « من صحب الناس بلسان صادق ، وعاملهم بحسن الخلائق ، وألزم نفسه رعى العهود والمواثق ، فقد أرضى المخلوق والخالق » .

وقال أديب: «من تحلى بالوفاء، وتخلى عن الجفاء، فذلك من إخوان الصفاء».

ولقد أحسن من قال:

إذا أنت محضت المودة صافيا
ولم تر عن وصل الصديق مجافيا

ووفيت بالعهد الذي خانه الورى
ولم أر مخلوقاً على العهد باقيا

فقد حزت أسباب المكارم كلها
وجددت للعليا رسوما عواقيا

ومن أحسن ما قيل فى الوفاء قول مسلم بن الوليد:

يجود بالنفس إن ضمن الجواد بها
والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ومن أغرب ما أثر عن وفاء الإخوان ما ذكره الزبير بن بكار فى كتابه (الموفقيات) قال:

«استشهد باليرموك الحرث بن هشام، وعكرمة بن أبى جهل، وسهيل بن عمرو، فأتوا بماء وهم صرعى وفيهم رمق فتدافعوه، كلما دفع إلى رجل منهم قال اسق فلانا حتى ماتوا ولم يشربوه

أى أن كل واحد منهم آثر صاحبه على نفسه».

«سبعة قبلى»

قال رجل لشريح القاضى: قضيت على بالجور وليدخلنك الله النار.

قال: إذن يدخلها سبعة قبلى من ولانى ومن علمنى هذا الحكم، ومن جاء بك مدعيا، والشاهدان، والمزكيان.

«كلامى لست تفهمه»

قال حكيم:

وجاهل يدعى فى العلم فلسفة
قد راح يكفر بالرحمن تقليداً

وقال: أعرف معقولا فقلت له
عنيت نفسك معقولا ومعقودا

فقال: إن كلامى لست تفهمه
فقلت لست سليمان بن داودا

«دعاء»

اللهم إنك تعلم عيوبنا فاسترها، وتعلم حاجاتنا فاقضها، كفى بك وليا، وكفى بك نصيرا يارب العالمين.

***

التضمين اللغوى وأثره فى اللغة العربية

٢

للأستاذ الدكتور/
عبد الغفار حامد هلال

٣ ـ رأى البيانيين والمحدثين:

جمهور البيانيين ـ وفى مقدمتهم الزمخشرى ـ يجعلون المعنى المتضمن تابعا من توابع الفعل المذكور مدلولا عليه بلفظ محذوف مقدر حالا غالبا، فيقولون فى قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾

(الكهف: ٢٨)

إن تقدير الكلام: ولا تقتحمهم عيناك متجاوزين عنهم فيكون اللفظ المذكور مستعملا فى حقيقته، واللفظ الملحوظ معناه محذوفا لدليل من الكلام وهو حرف الجر أو القرينة، إن لم يوجد حرف جر فهو من باب مجاز الحذف.

وقد يجعلون المحذوف أصلا والفعل المذكور تابعا، على تقدير أنه حال فيقولون فى قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾

(النساء: ٢)

إن تقدير الكلام: ولا تضموا أموالهم إلى أموالكم آكلين، أو على تقدير أنه مفعول به فى نحو (أحمد إليك الله) أى أنهى إليك حمد الله، فسبكوا من الفعل (أحمد) مصدرا بدون سابك كسبك الفعل بعد همزة التسوية نحو:

﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾

(البقرة: ٦) (١)

---

(١) مجلة المجمع ١٨٦/١، ١٨٧ وانظر أيضا ١٨٢ وحاشية يس على التصريح ٥/٢ ويؤولون قوله تعالى: (يؤمنون بالغيب) البقرة/٣على معنى (يعترفون به مؤمنين)، انظر حاشية يس ٢/٥، ٦

وللمتأخرين من النحاة والبلاغيين آراء متعددة فى تخريج التضمين مأخوذة من كلام السابقين من البصريين والكوفيين والبيانيين، وقد جمع الشيخ يس فى حاشيته على التصريح كثيرا منها، فذكر مما قاله النحويون، والبيانيون ثمانية أقوال ملخصة فيما يأتى:

● أنه مجاز مرسل: لأن اللفظ استعمل فى غير معناه لعلاقة وقرينة.

● أن فيه جمعا بين الحقيقة والمجاز ولكن بتأويل أن الفعل المذكور فى التركيب دل على معناه الحقيقى بنفسه، وعلى المعنى الملحوظ بطريق اللزوم والقرينة.

● أن الفعل المذكور فى التركيب مستعمل فى حقيقته، لم يشرب معنى غيره (كما جرى عليه صاحب الكشاف ولكن مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر المناسب بمعونة القرينة اللفظية).

● أن اللفظ المذكور مستعمل فى معناه الحقيقى، ولكنه مستتبع معنى آخر يناسبه من غير أن يستعمل هو فيه، ومن غير أن يستعمل له لفظ آخر، فيكون الكلام من باب الحقيقة التى قصد منها معنى آخر يناسبها، ويتبعها فى الإرادة، كما يدل تأكيد الخبر على إنكار المخاطب، وعليه فلا مجاز ولا كناية ولا حذف، والكلام مستعمل فى معناه الحقيقى.

● أن المعنيين مرادان على طريقة الكناية فيراد المعنى الأصلى توصلا إلى المعنى المقصود، ولا حاجة إلى التقدير إلا لتصوير المعنى، وضعف هذا القول بأن الكناية يصح معها إرادة المعنى الحقيقى وصرف النظر عن المعنى اللازم.

● أن المعنيين مرادان على طريق عموم المجاز وهو غير متسق التخريج كسابقه.

● أنه مجاز عقلى فى النسبة غير التامة أى فى النسبة بين الفعل ومتعلقاته.

● أنه نوع مستقل من أركان الكلام العربى، وقسم رابع للحقيقة والمجاز والكناية.

فالمتأخرون لفقوا مذاهبهم من مجموع المذاهب القديمة ورجح كل منهم ما اختاره من مذهبى المنع والجواز[2].

٤ ــ رأى المحدثين:

عقب بعض الباحثين المحدثين على أقوال العلماء السابقين فى التضمين وأبدوا وجهات نظر جديدة نعرض أهمها ونبين موقفنا منها:

---

(٢) انظر حاشية يس على التصريح ٢/٤ ــ ٧، مجلة المجمع ١/١٨٧ ــ ١٨٩، ١٩٣، ١٩٤

أ ــ رأى الإمام محمد الخضر:

يرى الإمام محمد الخضر أن الكلام الذى يشتمل على فعل عُدى بحرف وهو يتعدى بنفسه، أو عُدى بحرف وهو يتعدى بغيره، يأتى على وجهين:

الأول: ألا يكون هناك فعل يناسب المعنى المنطوق به حتى تخرج الجملة على طريقة التضمين، ومثل هذا نصفه بالخطأ والخروج على العربية ولو صدر من العارف بفنون البيان.

الثانى: أن يكون هناك فعل يصح أن يقصد المتكلم لمعناه مع معنى الملفوظ به، وبه يستقيم النظم، وهذا إن صدر ممن شأنه العلم بوضع الألفاظ العربية، وموضع طرق استعمالها حمل على وجه التضمين الصحيح كما قال سعد الدين التفتازانى: (فشمّرتُ عن ساق الجدّ إلى إقتناء ذخائر العلوم) والتشمير لا يتعدى بإلى فيحمل على أنه قد ضمن (شمر) معنى الميل الذى هو سبب التشمير عن ساق الجد، فإن صدر مثل هذا من عامى أى ممن يدلك حاله على أنه لم يبن كلامه على مراعاة فعل آخر مناسب للفعل الملفوظ كان لك أن تحكم عليه بالخطأ، مثل قوله (أرجو الله قضاء حاجتى) فلا يصح، لأن المتكلم لا يعرف معنى التضمين، على أن يضمن معنى (أسأل) مثلا وإن قام شاهد على أن المتكلم لم يقصد التضمين وإنما تكلم على جهالة بوجه استعمال الفعل كان قضاؤك عليه بالخطأ قضاء لا مرد له.(٣)



محمد الخضر حسين

والمتأمل لكلام الأستاذ الإمام يرى أنه يعترف بمذهب البصريين القائلين بأن التضمين توسع على طريق المجاز، مع تحقق العلاقة والقرينة المانعة.

ولكن الإمام يشترط أن يكون المتكلم بهذا الأسلوب عالما بأسراره وطريقته بحيث يعرف المعنى الأصلى، والمعنى المضمن، والعلاقة بينهما، ويضع كل شىء فى موضعه، وعلى ذلك يجوز للشخص المتكلم إجراء كلامه على طريق التضمين، أما إذا كان جاهلا بطرائق التعبير فلا يجوز له ذلك، وبناء الأستاذ الإمام رأيه على ملحظ العلم، وعدم العلم خارج عن الوصف المنهجى، إذ لا علاقة لعلم المتكلم أو جهله بذلك، بل الأمر موقوف على تحقق الشروط اللغوية، فمتى وجدت كان الأسلوب صحيحا، صدر ذلك من عالم أو جاهل، ولا ينبغى أن نحكم على أسلوب الجاهل بالخطأ

(٣) الشيخ محمد الخضر حسين: دراسات فى العربية وتاريخها ص ٢٠٥، ٢٠٦

طالما كان موافقا للقواعد العربية وسائرا على نهجها.

ب: رأى الدكتور السامرائى:

اقترح الدكتور إبراهيم السامرائى لنفسه رأيا يعتقد أنه جديد، فقرر أنه لابد للباحث فى علم الدلالات بغية الإفادة فى اللغة العربية أن يعانى صعوبة البحث إذا ما أراد أن يخلص للمنهج السليم ولاسيما فى عصورنا الحديثة.(٤)

وهو يرى أن البصريين والكوفيين فى هذا الباب لم يستقرئوا كلام العرب استقراء وافيا ليسجلوا هذه الاستعمالات، وليقيدوها بقائليها، وبالزمن الذى قيلت فيه مهتمين بموضوع اللغات الخاصة التى أجازت استعمالا دون آخر (٥) ولم يستطيعوا أن يدرسوا المشكلة دراسة أسلوبية حديثة (٦) ولذا فلابد أن تؤرخ الألفاظ، وتقيد بعصورها وبقائليها حاسبين للأقاليم والمجتمعات حسابها فى الاستعمالات وما شاع بينها من فنون القول، وبهذا تفيد المعجمية العربية فائدة كبيرة فيعاد بناء المعجمات المطولة على أساس جديد، بمراعاة الظروف التاريخية وتطورها وانعكاس هذه الظروف المتطورة فى المادة اللغوية، ومن هنا تأتى ضرورة القيام بمعجم تاريخى.(٧)



جورجى زيدان

والواقع أن القدماء قد استقرأوا الظواهر اللغوية فى هذا الموضوع ووفوه حقه، أما تاريخ الألفاظ وتقييدها بقائليها فإن الأيام لم تمكنهم منه ولايزال حتى الآن فى حاجة إلى من يمضى فى طريقه، وينقب عنه.

جـ - رأى بعض المحدثين كالأستاذ جورجى زيدان:

يرى هؤلاء أن حروف الجر التى تستعمل لعدة معان لها معنى وضعى واحد، والمعانى الأخرى تعد تفننا عربيا، فالباء وضعت للظرفية فى أخوات العربية ويرجح أن هذا هو الأصل فى دلالتها عندنا، وما بقى من المعانى ليس إلا تفننا عربيا(٨).

ويرجع هذا الرأى إلى أن الحروف والأدوات بقايا كلمات مستقلة قديمة أفرغت من معناها الحقيقى، واستعلمت مجرد موضحات، أى: مجرد رموز»(٩) فالباء بقية لكلمة ذات معنى مستقل

(٤) د.السامرائى: دراسات فى اللغة ص١٧٥.

(٥) نفسه ص١٨٢.

(٦) نفسه: دراسات فى اللغة ص١٨٢.

(٧) نفسه ص١٨٤.

(٨) جورجى زيدان: الفلسفة اللغوية (ص٥٠، ٥١)

(٩) فندريس: اللغة (ص٢١٦)

وهى (بيت) بدليل وجود ذلك فى السريانية والكلدانية وورود الباء بمعنى (فى البيت) فى التلمود والترجوم والكاف بقية كلمة يظهر أنها فقدت من العربية، وحفظت فى أخواتها فهى فى العبرانية بقية Khan (كن) التى مفادها (كذا) فمعنى زيد كالأسد، زيد كذا الأسد، Khan هذه منحوتة من Khan (أكن) فى العبرانية بمعنى (حقيقة).

فبناء على ما تقدم تكون كاف التشبيه بقية أصل يقابل (أكن) العبرانية فقد من العربية، ولم يزل محفوظا فيها مركبا مع (لا) النافية أعنى به (لكن) ولذا قال بعض أئمة اللغة إنها تفيد الاستدراك فكأن أصل مؤادها (لا حقيقة بنفى ما ذكر وتأكيد ما هو آت)(١٠).

ونحن نتفق مع هؤلاء المحدثين فى أن الحرف الموضوع لعدة معان له معنى واحد منها حقيقى، والباقى تفنن عربى على طريق المجاز، وسواء كانت الحروف بقايا كلمات أم لم تكن فالثابت أنها استعملت من أول أمرها أدوات لوصل الكلام وربط بعضه ببعض، بما تحمل من هذه المعانى الحقيقية والمجازية.

قياسية التضمين

يبدو أن هذا التوسع فى تعدى الأفعال وما يشبهها بحروف جر غير التى تتعدى بها قياسى على رأى الكوفيين المحيلين هذا الباب على قياس نيابة بعض الحروف عن بعض، بالوضع بلا تعسف ولا تكلف، وقياسى على رأى بعض البصريين القائلين بالتوسع فيما يمكن فيه من الفعل، وهو ضرب من المجاز وقياسى عند جميع البيانيين، لأنه من باب التوسع فى حذف الحال ونحوه المتعلق به حرف فيكون من باب الحذف لدليل وهو قياس مطرد، وقياسى على رأى أكثر المتأخرين أيضا (١١) وقياسى عند المحدثين إذا دعت إليه الحاجة فيستخدم استخداما فنيا فى الحياة العامة وما جد فيها من ضروب العلم التجريبى والنظرى. (١٢)

وقد أخذ المجمع بقياسيته إلا أنه أوصى بألا يلجأ إليه إلا لغرض بلاغى (١٣) وهذا يجعل التضمين مبدأ لغويا سليما، يمد العربية بطاقات تعبيرية وملامح فنية، تفتح المجالات للغة مرنة مستعدة لكل متطلبات الحياة والحضارة.

---

(١٠) جورجى زيدان: الفلسفة اللغوية ص٥٢ وقد طبق الأستاذ زيدان ذلك على حروف كثيرة (ص٦٨ - ٧٩)

(١١) مجلة المجمع ١/١٩٥

(١٢) د. السامرائى، دراسات فى اللغة، ١٨٤

(١٣) مجلة المجمع ١/١٨٠، ١٨١

بمناسبة مرور مائة عام على رحيله

حول رؤية الإمام محمد عب

الإشارات العلمية فى تفسير الإمام محمد عبده للقرآن الكريم

علم تفسير القرآن الكريم، قد قيض الله - تعالى - له رجالاً قضوا معظم أيام حياتهم فى خدمته وفى دراسة موضوعاته .. فمنهم من كتب فى إعجازه وبلاغته، ومنهم من كتب فى قصصه وأخباره، ومنهم من كتب فى أسباب نزول بعض آياته، ومنهم من كتب فى قراءته ورسمه، ومنهم من كتب فى مكّية ومدنيّة، ومنهم من اهتم بإبراز الجوانب الفقهية أو الاجتماعية أو النفسية أو السلوكية أو اللغوية أو التربوية أو غير ذلك من الجوانب الإصلاحية. وماذلك كله إلا لأن تفسير القرآن الكريم هو المفتاح الذى يكشف عن تلك الهدايات السامية والتوجيهات النافعة، والعظات الشافية، والكنوز الثمينة التى احتواها القرآن الكريم. ودون تفسير القرآن الكريم تفسيراً سليماً مستنيراً، لايمكن الوصول إلى ما اشتمل عليه هذا الكتاب من هدايات وتوجيهات، مهما قرأها القارئون، وردد ألفاظه المرددون(١).

مصطلح "التفسير" فى أصله اللغوى راجع - فيما يقول الزركشى - إلى معنى الإظهار والكشف، وأصله فى اللغة من "التفسرة"، وهى القليل من الماء الذى ينظر فيه الأطباء، فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض، فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصصها ومعناها، والسبب الذى نزلت فيه (٢). ولما كان ذلك كذلك، فإنه يمكن استثمار هذا المعنى وتوجيهه لصالح المعنى الاصطلاحى، كأن ينظر المفسر - مثلا- إلى الآية ليرى من خلالها أوضاع الأمة وعللها وأسقامها، وليرى أحوال واقعها وموقعها بين الأمم، ويرى كيف يكون القرآن هادياً ومرشداً لها فى جوانب حياتهم المختلفة. فهى أمة الخلافة، وهو رسالة الحضارة إلى البشرية كلها. ومن ثم تصبح أولى مهمات التفسير فى معناه الاصطلاحى هى إظهار

(١) أ. د. محمد سيد طنطاوى، الإمام محمد عبده مفسراً، مجلة الأزهر، الجزء الثامن شعبان ١٤٢٦ هـ سبتمبر ٢٠٠٥ م

(٢) بدر الدين محمد بن بهادر الزركشى، البرهان فى علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة الحلبى، مصر (١٩٥٧)، ج ٢، ص: ١٤٧

ــــده لعلاقة الدين بالعلم

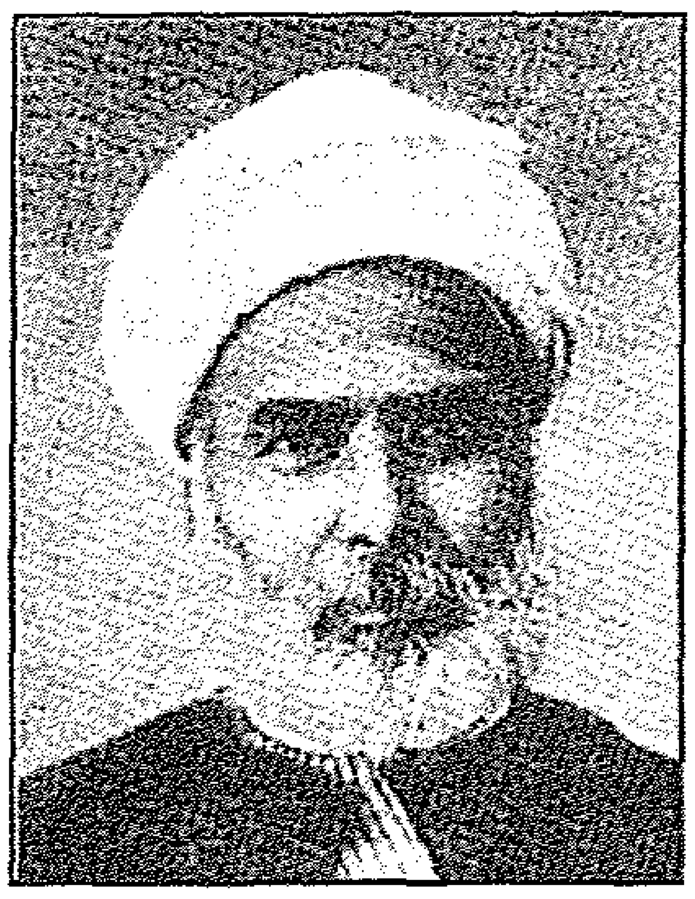
٤

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

هداية القرآن وإعجازه فى إطار المواجهات الحضارية بين هذه الأمة والأمم الأخرى على مختلف الصّعد ، وفى إطار مفهوم الخلافة الذى أنيط تحقيقه بهذه الأمة. هذا فضلاً عن المهمة الأساسية لتفسير القرآن، وهى إظهار الحلول القرآنية للمشكلات التى تواجه أمة الرسالة ابتداء ، بل التى تواجه المجتمع البشرى عموماً [٣] .

وقد انتقد الإمام محمد عبده التفسير حين يطغى عليه الصبغة اللغوية ، ووصفه بأنه جاف مبعد عن الله وكتابه، وهو ما يقصد به حل الألفاظ وإعراب الجمل ، وبيان ما ترمى إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية، فقال: وهذا لا ينبغى أن يسمى تفسيراً ، وإنما هو ضرب من التمرين فى الفنون كالنحو والمعانى [٤].

وصرح - رحمه الله - بالمراد الحقيقى من تفسير القرآن، فقال: " التفسير الذى نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين، يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم فى حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، وما وراء هذه من المباحث تابع له، وأداة أو وسيلة إلى تحصيله". "وإننا نعتقد أن المسلمين ما ضَعُفوا أو زال ماكان لهم من الملك الواسع إلا باعراضهم عن هداية القرآن ، وأنه لا يعود إليهم شئ مما فقدوا من العز والسيادة والكرامة إلا بالرجوع إلى هدايته والاعتصام بحبله " [٥] .



محمد عبده

وانطلاقا من هذا المبدأ حاول الإمام أن يجعل الحقائق العلمية المتاحة فى عصره خادمة لتفسير بعض آيات القرآن الكريم . والموضوع من هذه الناحية متعلق بقضية مفتعلة بين فريقين من العلماء

(٣) د . زياد خليل محمد الدغامين ، مجلة المسلم المعاصر، العدد: ٨١ (١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م).

(٤) إبراهيم خورشيد، دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب، مصر (د. ت).

(٥) محمد رشيد رضا، تفسير المنار ، دار الفكر ، بيروت (١٩٧٣) ج ١ : ص ص ١٧ - ٣١.

بشـأن مـا يعـرف «بالإعـجـاز العلمى فى القـرآن الكريم» : أولهـمـا يرى أن القرآن الكـريم لا شأن له بالعلوم الطبيعية، ويعتقد أن الإعجاز العلمى فيه خـروج بالقـرآن عن الهـدف الذى أنزل من أجله، وإقحام له فى مجال متروك للعقل البشرى، يجرب فيه ويخطئ ويصيب ، فالقرآن ما هو إلا كتاب أنزل للناس للإرشاد والهداية وبيان التكاليف وأحكام الآخـرة. وهذا ولاشك قـول حق، ولكنه ليس كل الحق؛ ذلك أن الله قـد شـاءت حكمـتـه أن يكون إرشـاد الناس وهدايتـهـم بوسـائل مـتنوعـة، وهو سبحانه وتعالى خبير بعباده، فهو تارة يخاطبهم بما يمس قلوبهم مساً رقيقاً، وهو تارة أخرى يقرع عقولهم قرعاً قويا شديداً، وكان من أبرز ماجلّى به أبصارهم وأنار بصائرهم حضه إياهم على التدبر فى آيات خلقه. وهذا ما شجع الفريق الآخر من العلماء الذين يرون فى الإعجاز العلمى للقرآن الكريم لونا من التفسير فيه فتح جديد وتجديد فى طريق الدعوة إلى الله وهداية الناس إلى دين الله. فلقـد أنزل الله سبحانه وتعالى - على رسوله الأمين محـمـد صل الله عليه وسلم كتابا مقروءاً يبلغه للناس، القرآن الكريم ، وخلق لنا الكون كتابا منظوراً يعبر بلسان الحال عـمـا جـاء فى الكتـاب المسطور بألطف الإشارات، وكلا الكتابين مصدران للحقائق الدينية والعلمـيـة على حـد سـواء ، وهـمـا من عند الحق المطلق، فلا ينبغى طلب الحق إلا فـيـهـمـا ، أو على هديهما. وكم من آية قرانية كـريمـة إذا مستها يد العلم أبانت أسرارها وإعجازها . وما تكذيب الكفار بالقـرآن وقت نزوله إلا لأنهم اعـتـزوا بما علمـوا، فعدوا كذبا كل ما يخالف معارفهم البدائية ، فعاب القرآن الكريم ذلك عليهم وشهر بجهلهم فى قوله تعالى :

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾

(سورة يونس : ٣٩)

ومن ثـم ، لا يمكن لعـاقل أن يتـصـور وجـود تصـادم أو تعـارض بين الدين الصـحـيـح والعلم الصـحـيـح، وهـل يعـقـل أن يتـصـادم الحـق مـع نفـسـه ؟ إن الحق لايتعارض مع الحق ، بل يوافقه ويشـهـد له [٦] . وليس هناك من شك فى أن ارتقاء العلوم الحديثة ونجاحاتها فى استكشاف حقائق جديدة عن الكون يعتبر من العوامل التى ساعدت على الاجتهاد فى تسخير العلم الكونى لتجلية معانى جديدة لآيات القرآن الكريم ، شريطة أن يكون الاجتهاد فى ذلك المجال وفق منهاج رصين محدد ينبغى الالتزام به لكى لايساء إلى الهدف النبيل، على أن يراعى فقه استخدام المفردات اللغـوية، وتراعى القـواعـد النحوية والبلاغـيـة ودلالاتها ، خصوصاً قاعدة ألا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية.

وقد عرض الإمام محمد عبده فى حديثه عن الاسلام وأصوله لهذه القضية بصورة عامة ، موضحا أن القرآن يذكر إجمالاً من آثار الله فى الأكوان

(٦) د. أحمد فواد باشا، رحيق العلم والإيمان ، دار الفكر العربى، القاهرة ٢٠٠٢م.

د. عبد الحافظ حلمى محمد ، العلوم البيولوجية فى خدمة تفسير القرآن الكريم ، مجلة عالم الفكر، الكويت ١٩٨٢ .

د. محمد ابراهيم شريف ، هداية القرآن فى الآفاق والأنفس وإعجازه العلمى، دعوة ضرورية ومنهج واجب، ١٩٨٦.

تحريكا للعبرة ، وتذكيرا بالنعمة وحفزاً للفكرة، لا تقريرا لقواعد الطبيعة، ولا إلزاما باعتقاد خاص فى الخليقة ، وأن الإسلام أطلق للعقل البشرى أن يجرى فى سبيله الذى سنته له الفطرة بدون تقييد، وأن معجزة القرآن جامعة من القول والعلم ، وكل منهما مما يتناوله العقل بالفهم...» وهو معجزة أعجزت كل طوق أن يأتى بمثلها، ولكنها دعت كل قدرة أن تتناول ماتشاء منها» [٧].

ويمكن التعرف على بعض جوانب منهج الإمام محمد عبده فى تفسيره للقرآن الكريم ، بصورة عامة، من النماذج الثلاثة التالية :

١ - اتجه الإمام إلى إبراز رأيه، ولو خالف رأى جمهور المفسرين، عند تفسيره لقوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

(سورة البقرة : ٢٤٣)

فجمهور المفسرين - وربما جميعهم - يرون أن المراد بالإماتة والإحياء معناهما الحقيقى الحسى، وأن الموت كان موتا حقيقيا حسيا لهم ، وأن إعادتهم إلى الحياة بعد ذلك كانت إعادة حقيقية حسية. وقد خالف الإمام محمد عبده - رحمه الله - إجماع المفسرين أو جمهورهم، فرأى أن المراد بالموت فى الآية، الموت المعنوى، بمعنى أن موت الأمم إنما هو فى جبنها وذلتها، وأن حياتها إنما تكون فى عزتها وحريتها، فقال : «والمتبادر من السياق، أن أولئك القوم قد خرجوا من ديارهم بسائق الخوف من عدو مهاجم، لامن قلتهم، فقد كانوا ألوفا، وإنما هو الحذر من الموت يولده الجبن فى أنفس الجبناء . . . . لقد خرجوا فارين، فأماتهم الله بإمكان العدو من رقابهم، وأفنى قوتهم، وصاروا لا وجود لهم فى أنفسهم، وإنما وجودهم تابع لوجود من أذلهم، وأزال استقلالهم. فلما غيروا ما بأنفسهم، فجمعوا كلمتهم، وطردوا أعداءهم، عادت إليهم الحياة، وعادت إليهم حريتهم وكرامتهم. وموت الأمم فى جبنها وذلتها، وحياتها فى استقلالها وحريتها، فهو - رحمه الله - يرى أن الموت والحياة فى الآية معنويان[٨].

٢ - أفاد الإمام من المعرفة العلمية المتاحة فى عصره وجعلها فى خدمة تفسير القرآن الكريم، على غرار ما جاء فى تفسير قوله تعالى :

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾

(سورة الشمس : ٥)

فيقول : "السماء اسم لما علاك وارتفع فوق رأسك. وأنت إنما تتصور - عندسماعك لفظ السماء- هذا الكون الذى فوقك : فيه الشمس والقمر وسائر الكواكب تجرى فى مجاريها وتتحرك فى مداراتها، هذا هو السماء. وقد بناه الله : أى رفعه، وجعل كل كوكب من الكواكب منه بمنزلة لبنة من بناء سقف أو قبة أو جدران تحيط بك، وشد هذه الكواكب بعضها الى بعض برباط

(٧) الشيخ الإمام محمد عبده، الإسلام دين العلم والمدنية، مرجع سابق.

(٨) أ.د. محمد سيد طنطاوى ، مرجع سابق

الجاذبية العامة، كما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها مما تتماسك به" [٩].

٣ - على الرغم مما يروى عن ألمعية الإمام محمد عبده وذكائه وجهوده النيرة التى خدمت النص القرآنى وكشفت عن جوانب عديدة فى هدايته وإعجازه، ومع نقد الإمام الشديد للجوانب السلبية فى العمل التفسيرى القديم، وحرصه - قبل أن يلقى درسه فى التفسير - على أن يطلع على خمسة وعشرين تفسيراً لكتاب الله، إلا أن بعض العلماء والمفسرين والباحثين يرون أن النزعة العقلية عند الاستاذ الإمام، والتى كان فيها متأثراً بمذهب المعتزلة، قد تركت بصماتها على تفسيره للقرآن سلباً وإيجاباً، وكان الجانب السلبى متمثلاً فى تضييق مجال الغيبيات، وتفسير كثير منها تفسيراً مادياً، وأدت هذه النزعة إلى إنكار بعض الأحاديث الصحيحة، أو حمل فهمها على مذهبه العقلى، يسعفه فى ذلك تمكنه من علوم اللغة والبلاغة. فلقد فسر بعض آيات القرآن على غير وجهها وابتغى فيها غير سبيلها. مثال ذلك تفسيره للمعوذتين فى تفسير جزء عم. ويعزى البعض سبب هذه النظرة إلى الوضع المأساوى الذى وصلت اليه الأمة، إضافة إلى الهجمة العلمانية الشرسة على تعاليم هذا الدين فى زمن بدأ العلم فيه يقفز قفزات مذهلة، فكان على الإمام أن يغير هذا الوضع بتفسير ينسجم ورؤى العقل المعاصر، وهو أمر لا يسوغ مهما كانت الدوافع إليه [١٠].

خاتمة

نخلص من هذه الدراسة المتواضعة إلى أن مرور مائة عام على رحيل الإمام محمد عبده لم يُغير كثيراً من الأفكار التى كانت سائدة فى عصره، والتى دعته إلى قضاء جلّ عمره داعية للإصلاح والتنوير. فقضايا عصره لاتزال فى الأغلب قضايا عصرنا الحاضر أيضاً، ذلك أن الأمة الإسلامية تعانى اليوم من أزمة مستحكمة، ليس بسبب نقص فى قدراتها وإمكاناتها أو عجز فى مواردها وثرواتها التى حباها الله بها فى البر والبحر والجو، وإنما بسبب افتقادها لمنظومة منهجية متوازنة، تنطلق من مرجعية فكرية رشيدة توجّهُ إلى حسن التعامل مع هذه الموارد والثروات من جهة، ومع الآخر من جهة أخرى، وتعين على إبصار الأولويات، وتساعد على ضبط النسب المختلة، فى ضوء القراءة الدقيقة المتأنية لمتغيرات العصر المتلاحقة، مع بداية الألفية الثالثة الموسومة "بألفية المعرفة" لتحدد صورة المجتمع الذى نريده فى المستقبل القريب والبعيد [١١].

ومما يزيد من تفاقم هذه الأزمة التى تعيشها أمتنا العربية والإسلامية اليوم أن معظم المشاركين فى الحوار والتنظير لا يستطيعون الفكاك والتحرر

(٩) جزء عم، تفسير الأستاذ الإمام محمد عبده، مرجع سابق

(١٠) راجع ذلك: - د. زياد خليل محمد الدغامين، مرجع سابق

- د. أحمد عمر هاشم، الإمام محمد عبده مجدداً، مجلة الأزهر، الجزء ٩، رمضان ١٤٢٦هـ - أكتوبر ٢٠٠٥م

- جزء عم، تفسير الأستاذ الإمام محمد عبده، مرجع سابق

(١١) د. أحمد فؤاد باشا، فى التنوير العلمى، دار الفكر العربى، القاهرة ٢٠٠٤م.

من أسْر أيديولوجياتهم الخاصة ، ويتشبثون بنظريات وفلسفات وأنساق فكرية قديمة أو وافدة، سقط بعضها سقوطاً ذريعاً من حركة التاريخ، لأنها خالفت طبيعة الوجود الإنسانى ذاته، وانحرفت عن قواعد الناموس الكونى العام، وهذا من شأنه أن يؤثر سلباً على وضوح الرؤية ومعايير التقييم والمراجعة، فتضيع معه جهود التصويب والإصلاح التى غالباً ما تكون ردود أفعال سريعة للأحداث، فتنصرف إلى معالجات مؤقتة، أو تشغل بإعادة ترميم الأشياء، أكثر مما تنصرف إلى إصلاح جذرى للأعطاب التى تلحق بالنسق الفكرى ، وتنعكس على الحياة والراقع.. ويؤدى تراكمها بمرور الوقت إلى اتساع الخرق على الراقع.

وأزمة الفكر على هذا النحو ذات أبعاد متعددة، يشارك فيها مؤسسات التعليم والإعلام والتربية بصورة مباشرة، وتتحكم فيها كل الموارد الفكرية والثقافية مجتمعة، ومن ثم فإن طريق الإصلاح بطبيعته سيكون طويلاً وشاقاً، ولابد معه من الصبر والحكمة، بعد أن أصبح جدار التخلف سميكاً يحتاج إلى جهد جهيد لحث الهمم واستثارة العزائم، وخاصة أن قضايا الإصلاحات الفكرية تستغرق الكثير من الوقت فى البحث والحوار قبل أن تتبلور الأفكار الناضجة.

إن منهج الإصلاح والتنوير الذى خلفه الإمام محمد عبده يؤكد لنا اليوم أن مبدأ الاستخلاف الذى يطرحه الإسلام بحاجة ماسة إلى ترسيخ مفهومه الصحيح فى بؤرة اهتمام المسلمين باعتباره واحداً من المبادئ الإسلامية الحاكمة التى يرفدها العلم والعمل معاً ليمكّنا لها فى الأرض. ونظرة الإسلام الشاملة، بوسطيته الجامعة المحيطة لماهية الإنسان، والنافذة إلى أغوار طبيعته الإيمانية، تفسح له المجال للتعرف على حقيقة موقعه من الوجود، وتدفعه إلى الارتقاء المتوازن على طريق التقدم الحضارى بمعدلات أسرع من غيره أضعافا مضاعفة، فيحرز بذلك مايوفر له السعادة القصوى فى الدارين . ويتضح فى المقابل أن تخلف الأمة علمياً وتقنيا يعنى أنها تعطل أداء فريضة طلب العلم الواجبة، وأن غياب التحضر والعمران يعنى أن المجتمع لايقوم بواجبات الخلافة ولايحقق غايات الإسلام الذى ينتسب إليه .

إن الباحث المدقق فى المنهج الإصلاحى للإمام محمد عبده لايجد صعوبة اليوم فى تحديد القضايا الكبرى للأمة متمثلة فى عقيدة إيمانية يجب أن تبقى راسخة فى قلوب وعقول أبنائها، ولغة عربية يجب صَونها من العجمة، ورصيد حضارى لحضارة متميزة يجب الحفاظ عليه والإفادة منه، وتفوق علمى وتقنى ينبغى تحقيقه لتوفير الأمن القومى الشامل، هذه هى روح ما نسميه " ثقافة الإصلاح والتنمية بالعلم والإيمان"، وهى الثقافة التى نحتاج إلى نفخها بكل قوة فى كل جوانب الحياة لبعث الأمة من مرقدها ولعلها دعوة لأبناء هذه الأمة أن يرفعوا رءوسهم فوق سطح الماء فى هذا المحيط العالمى الهادر، وأن يبصروا طريقهم بنور الله ويتبعوا صراطه المستقيم، وإنهم وأيم الله بذلك مطالبون، وعليه محاسبون. والله المستعان من قبل ومن بعد.

صور البشرى بين الجد والسخرية

للدكتور/ متولى محمد البساطى



عبدالعزيز البشرى

الظرف والسخرية سمتان من سمات المجتمع المصرى، ويرجع ذلك إلى الأحوال التى مر بها هذا المجتمع فى العصور المتتابعة، وما عاناه من العسف والظلم على أيدى المحتلين والحاكمين، فكانت الفكاهة والسخرية من الأسلحة التى برع فيها المصريون لينفسوا عما بداخلهم من جهة وللنيل من خصومهم من جهة ثانية سواء على مستوى الأدب الفصيح أو على مستوى الأدب الشعبى أو ما يجرى على ألسنة العامة، ويشيع هذا الاتجاه ويسود فى وقت الأزمات، والانتكاسات ويصل الأمر بهذا المجتمع إلى السخرية من نفسه، ونقد عيوبه بشكل صريح لاذع، غير متكتم على ما أصابه.

ووجد فى كل عصر طائفة من الأدباء كانوا زينة المجالس، فاتسم قولهم وأدبهم بالظرف والفكاهة ومن هؤلاء فى العصر الحديث إبراهيم المويلحى، وحافظ إبراهيم، ومحمد إمام العبد، ومحمد البابلى والشيخ الشربتلى، وإبراهيم عبد القادر المازنى، وجاء بعدهم جيل آخر من أعلامه: فكرى أباظة، وعباس الأسوانى، وعباس خضر، وأنيس منصور، وتوفيق الحكيم، وأحمد بهجت.. وربما يأتى فى مقدمة هؤلاء وأولئك ابن الأزهر الشيخ عبد العزيز البشرى الذى ولد عام ١٨٨٦م فى بيت عرف بالعلم والورع، فوالده هو الشيخ سليم البشرى أحد

شيوخ الأزهر الذين عرفوا بالتفقه فى الدين فضلا عن ولوعه بالأدب عامة والشعر خاصة.

ومن الصغر يظهر عند البشرى الابن حبه للأدب وشغفه به، وميله إلى المرح والسخرية منذ كان طالبا فى الأزهر حيث تعلم وتخرج سنة ١٩١١م فانطلق مع طبيعته المحبة للمرح والسخرية، وقوى هذا الميل عنده اطلاعه على آثار الجاحظ الذى كان أحب الأدباء إلى نفسه، وطبيعته المحبة للمرح والسخرية وقراءته للجاحظ ومخالطته للناس، كل ذلك أكسبه خبرة واسعة فى وصفه لعيوب مجتمعه وحديثه عن الناس وتحليله لسلوكهم.

والبشرى على الرغم من شهرته ليس له سوى كتاب واحد هو «فى التربية الوطنية» وباقى كتبه مجموعة مقالات جمعت ونشرت فى كتاب، منها ما نشر فى حياته وهو «فى المرآة» و«المختار» ومنها ما جمع ونشر بعد وفاته عام ١٩٣٤م وهو كتاب: «قطوف» بجزئيه(١).

لقد استطاع البشرى أن يوجد لنفسه أسلوبا متميزا تبدو فيه ملامح شخصيته من الميل إلى الظرف والفكاهة وخفة الروح والدعابة والسخرية وهو أسلوب حظى بإعجاب القراء والمهتمين بالأدب الذين وجدوا فيه المتعة والفائدة معا ولم



إبراهيم المويلحى



محمد إمام العبد

يفقد أسلوبه رونقه وتأثيره برغم مرور السنين خاصة فيما كتبه فى المرآة.

وهو فى أسلوبه يستخدم وسائل مختلفة وإحدى هذه الوسائل التعبير بالصورة التى ترتقى بنثره فى كثير من المواطن إلى مستوى الشعر.

فقد يأتى بالصورة متتبعا أبعادها، كتصويره مثلا لأثر الشاعر حافظ إبراهيم على سامعيه الذى جاء فى صورة ذات أبعاد مختلفة، وذلك فى قوله عنه:

«خفيف الظل عذب الروح، حلو الحديث، حاضر البديهة رائع النكتة، بديع المحاضرة، إذا كتب لك يوما أن تشهد مجلسه أخذك عن نفسك، حتى ليخيل إليك أنك فى بستان تعطفت جداوله، وهتفت على أغصانه بلابله، وأشرق نرجسه، وتألق ورده.. والبدر فى ملكه بين المجرة والجوزاء يخلع إلى الروض حلة فضية بيضاء، فلا ترى أأمست

---

(١) انظر عبد العزيز البشرى للدكتور جمال الدين الرمادى ص ١٠، ١١ مطبعة مصر سنة ١٩٦٤م.

السماء فى الروض أم أمسى الروض فى السماء؟».

وقد يلجأ إلى رسم الصور القصيرة المتتابعة كحديثه عن لون بشرة حافظ إبراهيم وقد لبس ثيابا غير معهودة ولكنها المناسبة لمظهره وشكله، وهى صورة استكمل فيها مظاهر شخصية حافظ، أو تصويره لحافظ فى ضخامة جسمه بحيوان برى هو الفيل وآخر بحرى هو الدرفيل.

وقد تأتى الصورة توضيحية لوصف سابق كقوله عن حافظ: «جهم الصوت، جهم الخلق، جهم الجسم، كأنما قد من صخرة فى فلاة موحشة» وهى صورة تبرز وصفه لحافظ إبراهيم بالخشونة والعبوس.

وأسلوبه فى مجمله يتميز بالوضوح والسهولة، فى لغة سليمة، مع الاستشهاد بالشعر والحكم والأمثال.

وقد يستخدم أساليب تجرى فى الحياة العامة ولكنها فى أصلها عربية: كقوله: أعوذ بالله، والعياذ بالله، ثم فكر فى آخر ساعة فى أن يكون إنسانا فكان والسلام، وقد يستخدم بعض الألفاظ العامية كقوله فى حديثه عن حافظ رمضان: والجلاء الكامل بلا مساومة، ولا مفاوضات (وكمان) بلا اتفاق على شرط أن تؤخذ عليها التعهدات، بعدم (حططان الكتف) على أوربا وقت الأزمات [٢].



حافظ إبراهيم

وهو فى نوادره يستخدمها بلهجتها التى عرفت بها دون تغيير، وله فى هذا وجهة نظر ذكرها فى المقدمة.

لقد استهل البشرى مراياه فى مجلة السياسة الأسبوعية فى الثالث عشر من مارس سنة **١٩٢٦ م** بمقالة عن زيور باشا[٣]، وهى مقالة تفيض بالسخرية والتكهم اللاذع، وقد نشرت وقت أن كان زيور باشا رئيسا للحكومة.

وكان البشرى يكتب تلك المقالات فى مجلة السياسة الأسبوعية دون أن يفكر فى نشرها فى كتاب لأنها فى رأيه بنت ساعتها، وحديث يومها، لكنه يذكر أن أحد أصدقائه ألح عليه أن يتخير له صورا من تلك المرايا ليطبعها ويسويها للناس كتابا فاستجاب البشرى لصديقه بعد أن تأبى عليه زمنا، وجمع له طائفة منها، وضم إليها ما كتبه صديقه حافظ إبراهيم عن سعد زغلول، وعاد إليها بألوان التهذيب واستدراك ما فاته من فنون المعانى، ومعالجة ما أضعفت السرعة من القول، وأوهت من نسج الكلام، ثم

(٢) فى المرآة ص ٨٥.

(٣) عبد العزيز البشرى، للدكتور جمال الدين الرمادى ص ٢٣٥.

أضاف إليها طائفة أخرى من رسائل شتى تتصل بجنسها ثم ضبط ألفاظها وفسر ما يحتاج إلى تفسير، وتأتى كل مرآة فى الكتاب مصورة بصورة صاحبها (الكاريكاتورية)، وزين غلاف الكتاب بصورة لسعد زغلول رسمها له مصطفى مختار وأسفل الصورة هذا البيت:

ودعاك حسدك الرئيس وأمسكوا

ودعاك خالقك الرئيس الأكبرا

وقد راعى البشرى فى ترتيبها تواريخ نشرها فى السياسة الأسبوعية وكانت المقالة الأولى فى الكتاب عن سعد زغلول بعنوان «فى حضرة الرئيس» ويذكر أنها نشرت فى الأهرام فى السابع عشر من أكتوبر سنة ١٩٢٦م، ويلاحظ فى تلك المقالات أنها تناولت شخصيات كان لها دورها البارز والمهم فى مجالات مختلفة من الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية والفكرية والفنية فى مصر.

فهى مجموعة من الصور القلمية لإحدى وعشرين شخصية منها اثنتان جاء الحديث عنهما فى موضعين وهما سعد زغلول والدكتور محجوب ثابت ومن هذه الشخصيات شخصية نسائية واحدة وهى هدى شعراوى.

وهو فى حديثه عن الشخص يتناوله بالتحليل والتسلل إلى مداخل طبعه وخلاله فى صورة فكهة مستملحة، وهو فى هذا متأثر بما جاء عن كتاب الغرب من



محجوب ثابت



سعد زغلول

جهة وبالجاحظ من جهة أخرى، وهو يعمد إلى الموضع الناتىء من سمات المرء فيزيد فى وصفه، ويبالغ في تصويره بما يتهيأ له من وسائل. ففى حديثه عن زيور باشا الذى كان ضخم الجثة يقول عنه: «أما صاحبنا فإذا اطلعت عليه أدركت لأول وهلة أنه مؤلف من عدة مخلوقات لا تدرى كيف اتصلت، ولا كيف تعلق بعضها ببعض، وأنك لترى بينها الثابت وبينها المختلج، ومنها ما يدور حول نفسه، ومنها ما يدور حول غيره، ومنها المتيبس المحتجر، ومنها المسترخى المترهل».

ثم يرجع إلى ذلك مرة أخرى فيقول: «إن الحق والعدل ليقضيان أن يؤلف مجلس النواب، إن شاء الله لجنة تقوم بعمل تحقيق فى جسم صاحب الدولة، فتسأل أعضاءه عضوا عضوا، وتحقق مع أشلائه شلوا شلوا، حتى يفرق منها بين المحسن والمسىء، ولا يخلط فى العقوبة بين المجرم والبرئ».

و«لعل العضو الوحيد المقطوع ببراءته

من كل مـا ارتكـب من الآثام هو مخ زيور باشا فما أحسبه شارك ولا دخل في شيء من كل ماحصل».

إن الجاحظ قبله «استباح لنفسه التندر بالأصدقاء، فقيد عليهم أنفاسهم، وسجل غرائب أطوارهم وعجائب تصرفاتهم ورسم صوراً شتى لخلجات النفوس وأزمات العقول، وكل ما وقعت عليه عينه وحسه في صدق وتوفيقه» (٤).

ومن خلال هذا الاتجاه اتكأ البشرى بصورة ملحوظة على الروح الاجتماعي خاصة من الجانب الشعبي بنكهته المميزة.

والبشرى في صوره القلمية في المرآة قد يخالف منهجه المعتاد الذي عرف عنه، واشتهر به وصار قرينا لاسمه بالتندر والسخرية والفكاهة، ليتسم منهجه في بعض هذه الصور بالجد والوقار» ومخالفة البشرى لمنهجه هذا تنبع من نظرته لطبيعة الشخصية المصورة من جهة ولمكانتها الاجتماعية من ناحية ثانية.

ومن ذلك حديثه عن الزعيم سعد زغلول، الذي يكن له تقديراً وحبا مثل سائر المصريين، وهو في هذا لا يتكلف الجد والوقار ولا يتجه ضد طبعه، وإنما يأتي الحديث متوافقاً مع طبيعة الشخصية، إذا أن القارئ لن يتقبل صورة يرى فيها مساسا بمكانة زعيمه المهيب الوقور، ولذا كان عنوان حديثه عنه «في حضرة الرئيس» ولم يذكره باسمه، مثل سائر الشخصيات وذلك له دلالته في الحب والتقدير، كما يقدم للحديث عنه بمقدمة تؤكد للقارئ ما لهذه الشخصية من مهابة وحب وتقدير إذ يقول: «ملء السمع، ملء القلب، ملء البصر، لو حاول بكل جهده ألا يكون رجلاً عظيما ما استطاع، وهيهات لامرىء أن يملك عن نفسه ما شاء لها الله! وقد سوى الله هذه العظمة من يوم مدرجه، فكان طالبا عظيما، وكان مدرهما عظيماً، وكان قاضيا عظيما، ثم تناهت إليه زعامة أمة فهو فيها ملء السهل والجبل» (٥)، وكان الأمر كذلك في تصويره لهدى شعراوي، لأنه يشعر أن هذه السيدة تحيط بها هالة من جلال تحسر النظر عن تصفح ما في معارف وجهها في قسامة وجمال، ويضاف إلى ذلك أنها «سيدة مفكرة، والظاهر أنها لا تنقطع عن تفكير عميق، محتشمة الثوب، محتشمة المجلس، محتشمة القول، محتشمة الابتسام»(٦).

فجاء حديثه عنها متوافقا مع تصوره ورؤيته لها، متسما بالجد والوقار والاحتشام، بعيدا عن التندر والسخرية، وكأنه لا يرى ذلك لائقا ولا متوافقا مع

---

(٤) الجاحظ، للدكتور/ أحمد الحوفي ص ٩٦، شركة الإعلانات الشرقية.

(٥) في المرآة ص ٨.   (٦) في المرآة ص ٩٨.

طبيعتها ومكانتها.

وخاصية الوصف عند البشرى تهدف إلى نقل الواقع بكل ملامحه وإيقاعه وروحه.

والوصف عنده بصفة عامة يتداخل مع سمة أساسية فى أسلوبه، وهى التجسيم، ويستعين على ذلك عادة بالصورة البديعية المبتكرة ذات الدلالة الشعبية أحيانا.. مع استخدام بعض الألفاظ والعبارات العامية كما سبق.

ولقد جاء استخدامه للعامية هامشيا بالاقتباس والتضمين بحيث لا يؤثر فى مسيرة التعبير بالفصحى، كما أنه أحيانا يستخدم بعض الألفاظ الأجنبية بحروفها بجانب مقابلها العربى فى مغالاة أثقلت النصوص دون مبرر كما ذهب إلى ذلك الدكتور حلمى القاعود [٧].

لقد تأثر البشرى بالجاحظ فى أسلوبه، من حيث اختياره للألفاظ القريبة والابتعاد عن الجافى الغليظ، وكل منهما يرى أن ما ورد عن العامة من النكات والملح لا يغير، حتى لا يضيع رواؤه وتذهب ملاحته.

ويذكر البشرى أن له عذرا فى أنه يتنزل أحيانا إلى العامية، وعذره فى ذلك - بجانب ما سبق - أننا نكتب بلغة، ونتناول أسبابنا الدائرة بلغة أخرى «وهيهات لك أن تجلى على القارئ صورة كاملة من حديث قوم فى مناقلاتهم ومنادراتهم وما تطارحوا من فنون النكات إلا بأن توردها كما نطقوا به، بخاصة إذا كان يجرى فى العبارات التى تشيع على ألسن الناس، وتذهب عندهم مذهب الأمثال، فإذا حاولت أن تؤدى هذا بفصيح اللغة فسد الغرض، واختل نظم الكلام» [٨].

لقد كان البشرى نموذجا للأداء التعبيرى القائم على الرسم والتصوير بالألفاظ والعبارات، المعتمد على تعانق الوسائل اللغوية، والجمالية المغلفة بالفكاهة ليقدم للقارىء لوحات تعبيرية، وصورا قلمية بديعة التكوين، بأضوائها وظلالها وألوانها.

***

(٧) مدرسة البيان والنثر الحديث ص ٣٧٧:٣٨٠ دار الاعتصام سنة ١٩٨٦م.

(٨) فى المرآة ص ٨.

مؤتمر مكة السادس يؤكد:

ضرورة التجديد فى مناهج العلـ

متابعة الأستاذ/ عاطف مصطفى

مناهج العلوم الإسلامية لها أهميتها فى حياة المجتمع المسلم، فى ظل التحديات التى تواجه المسلمين فى عصرنا الحاضر.

وفى مكة المكرمة وقبيل أيام من وقوف المسلمين بعرفات فى الفترة من الخامس إلى السادس من شهر ذى الحجة ١٤٢٦هـ، عقدت رابطة العالم الإسلامى مؤتمر مكة المكرمة السادس لمناقشة كل القضايا التى تتناول مناهج العلوم الإسلامية فى بلاد المسلمين.. لكن لماذا كان هذا المؤتمر، وفى هذا التوقيت بالذات؟

لقد تعرضت مناهج العلوم الإسلامية فى البلاد العربية والإسلامية للكثير من النقد، منه المغرض ومنه الهادف، ومن هنا جاء هذا المؤتمر ليناقش قضية الوسطية الإسلامية دون إفراط أو تفريط، واضعا أهدافا محددة من خلال بحوث المؤتمر، والتى شارك فيها عدد من مفكرى وعلماء الإسلام ومن مختلف البلاد الإسلامية

وتناولت البحوث، تقويم مناهج العلوم الإسلامية فى البلاد العربية والإسلامية، ولدى الأغلبيات المسلمة فى العالم، ومعرفة مواطنِ الضعف، والسعى إلى إصلاحها، فضلا عن صياغة الشخصية الإسلامية المتزنة من خلال مناهج العلوم الإسلامية، وتشجيع حوار الثقافات والحضارات المعاصرة وتنشيطها، للتعريف بثقافة الإسلام والدفاع عنها، وبيان أثر التعليم الإسلامى فى إقامة العدل والسلم والتعاون بين الأمم والشعوب، وتحقيق مهام التعليم الإسلامى فى معالجة الغلو والتطرف.

وعلى مدار ثلاث جلسات ناقش المشاركون فى المؤتمر المحاور والبحوث، حيث تضمن:

●● المحور الأول: واقع مناهج العلوم الإسلامية لدى المسلمين فى البلاد العربية وفى جنوب شرق آسيا وفى إفريقيا ولدى

ـــوم الإسلامية

الجاليات المسلمة فى كل بلاد العالم.

●● المحور الثانى «الدعوة إلى إصلاح المناهج» دارت المناقشات حول «الدعوة إلى إصلاح المناهج» وتضمنت بحوثه مناقشة الحاجة إلى التجديد فى مناهج العلوم الإسلامية، والجوانب التى تحتاج إلى إصلاح فى هذه الجوانب، وصياغة الشخصية الإسلامية المتوازنة من خلال مناهج العلوم الإسلامية والثقافات المعاصرة ومناهج البحوث الإسلامية.

●● المحور الثالث والأخير كان عن أثر التعليم الإسلامى فى إقامة العدل والسلم والتعاون بين الأمم والشعوب ومن بحوثه:

● معالجة التعليم الإسلامى للغلو والتطرف والإرهاب.

● أثر التعليم الإسلامى فى دعم التعايش والسلم الدولى وتوطيد الأمن.

● مسئولية المنظمات الإسلامية فى تحقيق مقاصد الإسلام.

رابطة العالم الإسلامي

مؤتمر مكة المكرمة السادس
مناهج العلوم الإسلامية
برعاية خادم الحرمين الشريفين
الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود
- حفظه الله -

قاعة المؤتمرات
مبنى الأمانة العامة للرابطة
٥-١٤٢٦/١٢/٦هـ
٥-٦ يناير ٢٠٠٦م

رسالة الإسلام

إن رسالة الإسلام لا تحصر فقط فى تصورات عقدية فكرية، ولا فى طاقات عاطفية روحانية، بل هى نظام شامل تتناول تشريعاته الحياة كلها بكل تفاصيلها

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(الأنعام : ١٦٢)

من دون إشفاق على النفس البشرية، ولا إعنات لها:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾

(النساء: ٢٨)

كما تناولت رسالة الإسلام نشاط الإنسان الفكرى والعاطفى والقيمى والحركى، وحراك المجتمع فى كافة أوجه الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والزراعية وغيرها.

ولذا فإن تعليم الناشئة الإسلام، لا يكفى فيه تزويدهم بالمعارف، بل لابد من إكسابهم السلوك الإسلامى القويم، المؤسس على إيمان عميق راسخ، وهذه بلاشك مهمة جليلة وثقيلة، لا تنهض بها مادة دراسية واحدة لا اثنتان، بل إنها مهمة النظام التعليمى برمته.

البحوث تناولت قضايا كثيرة ومتنوعة ومنها بحث مهم بعنوان «تقويم مناهج العلوم الإسلامية فى البلاد العربية» للدكتور سعيد بن محمد المليص نائب وزير التربية والتعليم بالسعودية، والذى حدد القضية فى البداية بقوله: إننا حينما نتناول مناهج العلوم الإسلامية بالبحث والتقويم فى هذا المؤتمر المبارك، فإننا ننطلق من هذه الحقائق، دون أن يأسرنا الواقع بتفاصيله وظروف تكونه وتكوينه، بل نضع أمام أعيننا حقيقة هذا الدين العظيم الذى أنزل الله لسعادة الإنسان المفرد، والإنسان ضمن مجتمعه، وسعادة المجتمع الإسلامى الكبير، وسعادة العالم الإنسانى أجمع.

إن العالم الإسلامى اليوم فى مأزق، حيث أثنخنه الفقر والتخلف العلمى والتقنى، وأربكه التفرق والتنازع، وناشته حراب شرسة يعجز ـ حتى الآن ـ عن دفعها، وانعكست حالته تلك على مجتمعاته وأفراده، حتى تسرب الإحباط إلى نفوس أبنائه وبناته، فآلت الحال ببعضهم إلى التطرف والإرهاب، وبآخرين إلى الذوبان الثقافى، وأتى كل منهم من ضعف التربية والبصيرة.

تفعيل دور التعليم الإسلامى يحقق إقامة العدل والتعاون بين الأمم والشعوب

ولم يعد ملائماً فى ضوء هذه المعطيات أن نسوق تصوراً ضيقاً لمفهوم العلوم الإسلامية، يقتصر على العقيدة وشعائر العبادات والمعاملات فقط، بل ينبغى توسيع تصورنا لها حتى يشمل علوم النهضة والمدنية أيضاً، بدءاً من مهارات التفكير وعمليات العلم والتجريب، وأصول العلوم الطبيعية والرياضية ونحوها، وانتهاء بعلوم الفن والإبداع والجمال وفق ما شرعه الله - تعالى ـ لأن

استعادة أمجاد حضارة المسلمين يتحقق من خلال تنشيط مناهج العلوم الإسلامية وتطويرها المستمر

مسئولية النهضة واجب ديني على مجموع الأمة ومجتمعاتها وأفرادها كل بحسبه.

ولا يعني هذا إذابة العلوم الشرعية في غيرها من العلوم، بل يعني بالدرجة الأولى، تعميق التصور الصحيح في العلوم الإسلامية، وتحقيق تكامل وانسجام تام بين علوم الشريعة، وبين بقية علوم المدنية، ومعالجة ما قد يبدو بينها من تعارض.

كما أننا يجب أن نسعى في إزاحة العقبات الفكرية والعاطفية من طريق الناشئة، لينطلقوا في مضمار المنافسة العلمية بكل طاقاتهم، وذلك يستدعي رعاية روح البناء والتعمير والإحسان في كل شيء، والنظرة الإيجابية إلى الحياة والأحياء وإثمارها والكد فيها، والتأكيد على واجب الفرد والمجتمع، والصبر والمثابرة، والصدق والعلمية والجهاد في ميادين المنافسة العلمية الشريفة، في عمارة الأرض. والنظر إلى هذه الحياة على أنها مزرعة للآخرة، يجب أن نحسن فيها الغرس والزرع، لنكون جديرين بالاستخلاف فيها كما أراد الخالق عزوجل.

وتناول البحث تصوراً تقويمياً يبدأ من الواقع، وتعرض لقصور تطويرى لتدريس العلوم الإسلامية.

عناوين كثيرة وبحوث كلها تصب في هدف واحد هو ما الذى ينبغي اتباعه في إصلاح وتطوير مناهج العلوم الإسلامية في عالمنا الإسلامي منها بحث بعنوان: «مناهج العلوم الإسلامية والتغيرات المعاصرة... نظرة أصولية في الإصلاح المنشود».

ومن بين ما تناوله هذا البحث: موقع مناهج العلوم الإسلامية في ثنائية القطع والظن، وعلاقتها بقاعدة تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والأوضاع، وإبراز الأسباب الموضوعية والعلمية لإصلاح مناهج العلوم الإسلامية، ومرتكزات الإصلاح المنشود لمناهج العلوم الإسلامية، تمكينا لها من الصمود والثبات أمام ما يموج به العالم اليوم من تحديات فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية متلاحقة متتابعة، وإسهاماً منها في تصحيح ما تراكم من تصورات وانحرافات فكرية، أساءت ولاتزال تسيء إلى سماحة الإسلام وعدله ورحمته للعالمين.

وكان من بين البحوث المقدمة لمؤتمر مكة، بحثان من مصر الأول للدكتور جعفر عبد السلام أستاذ القانون الدولى والأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية وهو بعنوان «مسئولية المنظمات الإسلامية فى تحقيق مقاصد التعليم الإسلامى»، والثانى للدكتور نبيل السمالوطى وتناول التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية: المفهوم ـ الأهمية ـ الجهود العلمية ـ الضوابط المنهجية.

كما قدم بحث مهم بعنوان دور المدرسة فى مكافحة الإرهاب من منظور التربية الإسلامية للدكتور خالد الظاهرى، وبحث بعنوان «إصلاح منهجية التعليم الإسلامى» للدكتور عبد القادر دونك.

البيان الختامى

وفى نهاية المؤتمر جاء البيان الختامى ليحدد معالم محددة، حيث أكد المشاركون أن من أهم مقاصد العلوم الإسلامية:

● المعرفة الصحيحة بتوحيد الله سبحانه وتعالى، والطريق الصحيح لعبادته وحده، وذلك من أشرف المقاصد.

● رفع الجهل وتعليم الناس أمور دينهم بصورة صحيحة، لا إفراط ولا تفريط.

● تطبيق شريعة الله، والدعوة إليه على بصيرة:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾

(يوسف : ١٠٨)

● نشر المعرفة الصحيحة التى تعين الناس على التعامل الصحيح مع شئون الحياة ليحيا الناس حياة إسلامية كريمة يعمها الأمن والسلام.

وأوضح المشاركون فى المؤتمر على أن هناك أموراً مهمة ينبغى على المؤسسات المعنية بالتعليم والمناهج الإسلامية الاهتمام بها والتعاون فى مجالها وهى:

● علاقة العلوم الإسلامية بالحضارة وأهميتها فى استعادة عزة الأمة، حيث أكد المشاركون من العلماء على أن هذه العلوم هى الأساس الثقافى الذى قامت عليه البنية الحضارية. وأن حضارة المسلمين نتاج الإبداع العقلى الإنسانى، المسترشد بالوحى المنزل من عند الله سبحانه وتعالى، ولابد من استعادة أمجاد الحضارة، من خلال تنشيط مناهج العلوم الإسلامية وتدريسها للأجيال المسلمة، وربطها بحياتهم.. على أنه من الأهمية بمكان تعهد مناهج هذه العلوم بالتطوير المستمر، تمكينا لها من التعامل مع مستجدات العصر وتحدياته المتلاحقة والمتتابعة على كافة الأصعدة.

● وفى علاقة التعليم بتوطيد الأمن: أكد المؤتمر أن الأمة الإسلامية بحاجة إلى التعليم الإسلامى الصحيح، الذى يذكر

الناس بالأخلاق الإسلامية التى تحلى بها رسول الأمة ﷺ من صدق وأمانة وإخلاص فى القول والعمل، وتفانٍ فى إتقانه وتراحم وتضامن وتعاون واعتصام بحبل الله.

وهذا التعليم يدعو إلى ما فيه خير الناس أجمعين، وينبذ ويحرم كل ما هو ضار بالبشر وبالأرض التى يعيشون عليها، ويغرس فى الإنسان المسلم الإيمان بالله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، لكى لا يقدم على ارتكاب جريمة أو ما يعكر صفو الأمن، ومن ثم فإن التعليم الإسلامى الصحيح يوطد الأمن، إذ يغرس الإيمان فى نفس متلقيه فيمنعه عن ارتكاب الجرائم.

● وفيما يتعلق بالحملة على التعليم الإسلامى ومناهجه والدفاع عنها أوضح مؤتمر مكة السادس أن الحملة على التعليم الإسلامى ومناهجه، جزء من الحملة المغرضة المشبوهة على الإسلام، وحذر المسلمين ومؤسسات التعليم من أهدافها الشريرة، ومن عواقبها الوخيمة، مؤكداً أن هدفها إضعاف التعليم الإسلامى ومناهجه، ليصبح عديم الفائدة وهذا يوجب على المؤسسات الإسلامية التربوية والتعليمية، والجامعات الإسلامية أن تتعاون فى الدفاع عن التعليم الإسلامى من التهم التى تكال له، ومن وصمة الإرهاب، وذلك من خلال تعاون وثيق مع وسائل الإعلام المختلفة.

مشكلات التعليم الأساسى

● وفى شأن المشكلات التى تواجه التعليم الأساسى، طالب المؤتمر رابطة العالم الإسلامى والهيئة العالمية للتعليم الإسلامى، التابعة لها بمتابعة جادة، للهيئات والمنظمات الإسلامية المعنية بالتربية والتعليم، لتكثيف عقد الندوات، وورش العمل للبحث عن حلول لمشكلات التعليم الإسلامى وفى مقدمتها:

١ ـ النقص فى عدد المدارس التى تقدم التعليم الإسلامى، وضعف قدراتها وأدائها، وخاصة فى بلدان الأقليات المسلمة، وفى المناطق التى لا تتكفل فيها الحكومات بهذا التعليم.

٢ ـ ضعف مستوى المعلمين فى البلدان التى تعيش فيها أقليات مسلمة، مما يؤثر سلباً على الدارسين والمتعلمين من أبناء المسلمين، مما يوجب وضع برامج علمية للتدريب المستمر.

● وحول علاقة التعليم الأساسى

ضرورة التطوير وفق ما يحتاج إليه واقع المسلمين دونما رضوخ لأى ضغط خارجى، أو دعوة هدفها تقليص التعليم الإسلامى!

ومناهجه بالحفاظ على الشخصية الإسلامية، نبه المؤتمر إلى مخاطر العولمة الثقافية على ذات الأمة وضرورة مواجهة تحدياتها المناوئة لحماية الذات الإسلامية، من خلال منهاج إسلامي تأخذ به مؤسسات الدعوة ومؤسسات التعليم والإعلام، لتقديم البرهان على أن المسلمين أمة نشرت حضارة المعرفة والحق والخير والتعاون والعدل والسلام، وأنها بعيدة عن التطرف والإرهاب والعنف فى التعامل مع غيرها، وأن ما يحدثه بعض الأفراد منها، لا صلة له بجوهر الثقافة الإسلامية الصحيحة.

لكن كيف يتم التطوير؟

●● وبعد أن تدارس المشاركون فى مؤتمر مكة السادس الحاجة إلى تطوير مناهج العلوم الإسلامية وأكدوا أن ذلك مطلب تقتضيه التجربة البشرية تطلعاً للأفضل.. أوصوا عدة توصيات منها:

●● مطالبة مؤسسات التعليم وفى مقدمتها وزارات التعليم ورابطة الجامعات الإسلامية، والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، والهيئة الإسلامية العالمية للتعليم وغيرها بالتنسيق والتعاون فى مجالات تطوير مناهج العلوم الإسلامية وذلك كالآتى:

● أن يتم تطوير المناهج وإصلاحها من خلال دراسات علمية متخصصة، تقوم على تحليل واقع هذه المناهج، وتقديم مقترحات لتطويرها وإصلاحها، حتى يتم التعرف على ما يحتاج إلى تطوير فى هذه المناهج.

● أن يتولى تطوير التعليم أهل الاختصاص والعالمون بشئون التعليم فى البلاد العربية والإسلامية، مع الاستفادة من تجارب الدول والمنظمات المتخصصة فيما لا يمس الثوابت الإسلامية.

● أن يتم تطوير مناهج العلوم الإسلامية تطويراً شاملاً، يحقق غرس القيم الإسلامية فى نفوس الناشئة، وفق منهاج شامل وبرامج تربوية معدة لتكوين جيل عالم بأمور دينه.

● أن تحرص مناهج العلوم الإسلامية على منهاج الوسطية والاعتدال، وأن تكون بعيدة عن التطرف والغلو والإرهاب، وأن تؤكد قيم السلام والتسامح بين المسلمين، ومع غيرهم من الشعوب، لتحقق مقاصد التعليم الإسلامى.

● أن يتم تطوير المناهج وفق ما يحتاج إليه واقع المسلمين، دونما رضوخ لأى ضغط خارجى، أو دعوة هدفها تقليص التعليم الإسلامى، بحيث تنشأ الأجيال المسلمة جاهلة بدينها.

● وتضمن الحديث عن مناهج العلوم ومن خلال البيان الختامى والتوصيات حث مؤسسات التعليم داخل العالم الإسلامى

الحرص على الرقى بمناهج العلوم الإسلامية بهدف إعداد جيل يعيد أمجاد الحضارة الإسلامية

وخارجه على الأخذ بوسائل النهوض باللغة العربية فى الجامعات والمراكز المتخصصة باعتبارها لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة، وضرورة تعليم العربية للمسلمين فى بلدان إفريقيا وشرق آسيا وجنوبها. وفى البلدان التى تعيش فيها أقليات مسلمة.

● كذلك تم التأكيد على الرقى بمناهج العلوم الإسلامية، لإعداد جيل مبدع مبتكر، يسهم فى بناء مجتمعه، ويعيد أمجاد الحضارة الإسلامية، والأخذ بمعطيات التقنيات الحديثة، بما يخدم العملية التربوية الإسلامية، وضرورة مراجعة الصياغات الاجتهادية الناظمة للأهداف التعليمية.

● وأكد المؤتمر على ضرورة تعزيز ثقافة الحوار مع الثقافات الأخرى من منطلق الخصوصية لا التبعية، مع تضمين المناهج مقررات لها ارتباط وثيق بأصول الدعوة ومناهج الدعاة وأساليب الوعظ والإرشاد.

● دعوة رابطة العالم الإسلامى لتكوين لجنة لمتابعة تنفيذ توصيات مؤتمر مكة المكرمة السادس لمناهج العلوم الإسلامية، على أن يشترك فيها ممثلون من كلية التربية بجامعة أم القرى، ومركز التعليم الإسلامى بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامى وكلية المعلمين والمعهد العالى لوحدة الأمة الإسلامية بماليزيا.

كما حرص البيان الختامى لمؤتمر مكة على دعوة مؤسسات التعليم فى البلدان التى تعيش فيها أقليات مسلمة للتنسيق والتعاون مع الهيئة الإسلامية العالمية للتعليم التى أنشأتها رابطة العالم الإسلامى لوضع خطط التربية والتعليم، ووضع الخطوط الرئيسية لمناهج مؤسسات التعليم وترقية برامجها.

***

هذا المؤتمر وغيره من المؤتمرات السابقة كلها تصب فى هدف واحد هو عرض الرؤى المختلفة لعلماء المسلمين، وإصدار التوصيات والتى نرجو أن تتحقق على أرض الواقع، فذلك كله يصب فى مصلحة الأمة الإسلامية التى تواجه التحديات فى كل يوم وبشراسة بالغة، تحتاج إلى جهود العلماء وكل المنظمات الإسلامية.. ليعود للمسلمين قوتهم ودورهم الريادى المطلوب منهم فى ظل صراع الحضارات والعولمة!

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ محمد قطب خضير
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

دورة تدريبية لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بقاعة الاجتماعات بمشيخة الأزهر حفل ختام الدورة التدريبية العالمية الحادية والسبعون للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى وعددهم عشرين إماماً وواعظاً من دول : الجزائر ، والسودان ، وليبريا ، والهند ، وبروناى ، وغانا ، واليمن ، السنغال ؛ وذلك بعد أن أتموا دورتهم التدريبية .

بدأ الاحتفال بكلمة لفضيلة الشيخ الطاهر الحامدى الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية ، أثنى فيها على خريجى الدورة من الأئمة والوعاظ لحرصهم على دروس العلم التى استمعوا إليها من أصحاب الفضيلة علماء الأزهر .

كما ألقى كلمة الوفود الشيخ أحمد الصادق البشير من السودان حيث شكر الأزهر الشريف على تنظيم هذه الدورات التى تعود بالنفع على الأئمة والوعاظ ، الذين يتلقون العلوم الشرعية من مصادرها الصحيحة والمعتدلة .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كلمة أوضح فيها أن تلك اللقاءات والدورات ذات فائدة عظيمة تجمعنا على طاعة الله نتدارس فيها العلم ونتحاور ويستمع بعضنا إلى بعض حيث نتناقش فى أمور الدين والدنيا ، فرسالتنا كدعاة هى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة . . .

وفى نهاية الكلمة دعا فضيلة الإمام الأكبر للخرجين بدوام السداد والتوفيق فى عملهم.

ثم قام فضيلته بتوزيع شهادات التخرج على الخريجين ومنح كل واعظ مكتبة دينية تعينه على أداء مهامه بنجاح وتكون مرجعاً له وقت الحاجة.

كما افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أعمال الدورة (٧٢) لعدد (٢١) إماما وواعظاً من دول : الجزائر ، والسودان ، وبروندى ، وغانا ، ونيجيريا ، والنيجر.

شهد الحفل فضيلة الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر الشريف ، والسادة سفراء الدول.

الإمام الأكبر يستقبل وفدا من استراليا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه السيد الوزير كارلى سكالى وزير شرطة ولاية نيوثاوث ويلز الاسترالية يرافقه السيد فيرجس أوكونور - مدير التخطيط بوزارة الشرطة بنيوساوث ويلز ، ويرافقه السيد مايكل كورتن المستشار بسفارة استراليا.

حيث رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالسيد الوزير والسادة المرافقين ، وقدم فضيلته شرحاً مبسطاً عن مراحل التعليم المختلفة بالأزهر الشريف . مبينا أن الدراسة بالأزهر تقوم على التسامح باعتبار أن الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة ، وعليهم أن يتعاونوا من أجل نشر الأمان والسلام الرخاء فى المجتمع الإنسانى وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون وأن لكل إنسان عقيدته والذى يحاسب على العقائد هو الله.

ومن جانبه شكر معالى الوزير فضيلة الإمام الأكبر على ما سمعه من حديث أفاض فيه بما كان يجول بخاطره ورغب فى توصيل ما سمعه لكل الإستراليين ليكونوا على وعى بذلك ، وقد حصل على نسخة من القرآن الكريم مترجمة باللغة الإنجليزية للاسترشاد بها فى بعض الأمور.

الإمام الأكبر: حرية التعبير لا تعنى ازدراء الأديان

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى بمكتبه بالسيد السفير بيارن سورنش سفير دولة الدانمارك بالقاهرة ويرافقه السيد / كريستيان جرونبيك نائب السفير والسيد / جاكوب سكويفولد - مدير مركز الحوار المصرى الدانماركى والسيد ناجى عبدالله المستشار المصرى بسفارة الدانمارك - ودار الحوار حول ما نشر بإحدى الصحف الدانماركية التى أساءت إلى نبى الإسلام محمد - ﷺ حيث أكد فضيلة الإمام الأكبر أن شريعة الإسلام تحترم جميع الأنبياء من سيدنا إبراهيم حتى سيدنا محمد - ﷺ - وأن الأزهر الشريف يقدس حرية الكلمة ويحترمها، على ألا تتجاوز هذه الحرية الحدود الإنسانية السليمة، والأزهر الشريف أيضاً يرحب بالحوار وبه لجنة دائمة للحوار بين الأديان السماوية وأبوابها مفتوحة بصفة مستمرة.

ومن جانبه أعرب السيد السفير عن شكره لإتاحة الفرصة له وللوفد المرافق لهذا اللقاء، وأن سبب زيارته تأتى من منطلق احترام حكومة وشعب الدانمارك للأديان وخاصة الإسلام الذى يعد أكبر الأديان فى العالم، مما يؤكد على رغبة الحكومة أن تكون علاقتنا قائمة على الاحترام كما أننا نحترم هذا الدين، وأن السيد رئيس وزراء الدانمارك أعرب عن استنكاره الواضح تماماً لأى تصريح أو عمل أو تعبير عن الرأى بقصد تشويه صورة الإسلام حيث أن مثل هذا العمل لا مكان له فى مجتمع يقوم على احترام الفرد، والأزهر الشريف فى بيانه الذى أصدره أكد على توضيح صورة الإسلام الأمر الذى دعا السيد وزير خارجية الدانمارك أن يرسل خطابات لأمين عام الجامعة العربية، ولسكرتير عام المؤتمر الإسلامى أكد فيها على احترام الدانمارك للأديان، كما أشار رئيس الوزراء فى خطابه إلى أهمية الأخذ فى الاعتبار أن حرية التعبير لا تعنى تشويه أو ازدراء للأديان فيما بيننا وترغب حكومة الدانمارك أن يعيش الشعب فى الدانمارك باختلاف أديانه فى وئام تام وفى سلام، كما أعرب السيد السفير عن رغبته فى أن يكون هناك تعاون مثمر وحوارات بناءة فى المستقبل.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ / عمر الديب - وكيل الأزهر، وفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى - الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف - رئيس لجنة الحوار بين الأديان السماوية بالأزهر الشريف

تخصيص ٦٨ منحة دراسية لمسلمى تايلاند

التقى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه معالى الوزير / كنتانى سوباه ونجونكون - وزير خارجية تايلاند والوفد المرفق له، ورحب فضيلة الإمام الأكبر بمعالى الوزير والوفد المرافق له فى مصر وأزهرها الشريف، موضحاً بأنه يوجد طلاب وطالبات من تايلاند يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته العريقة وعددهم (٢٥٨٨) طالباً وطالبة، كما أنه قد تم تخصيص عدد (٦٨) منحة دراسية لأبناء تايلاند هذا العام، وأوضح فضيلة الإمام الأكبر للوفد بأن الدراسة فى الأزهر تقوم على الوسطية والاعتدال، لأننا جميعاً من أب واحد وأم واحدة، وأوضح فضيلته أن أبناء تايلاند يعيشون فى مصر مع إخوانهم دون تفرقة.

ومن جانبه أعرب السيد الوزير عن تقديره العظيم لإتاحة الفرصة له لهذا اللقاء وعلى أهمية دور مصر العربية تجاه الإسلام فى منطقة الشرق الأوسط، مؤكداً على أهمية دور الأزهر فى نشر مفاهيم الإسلام الصحيحة، والعمل على نشر السلام والمحبة، وتقدم لفضيلة الإمام الأكبر بالشكر على ما يقدم لطلاب تايلاند من خدمات جليلة ونافعة.

اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين

التقى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بأعضاء المجلس الأعلى للآباء والمعلمين لمناقشة ما تم إنجازه من أنشطة وخدمات طلابية فى الفترة من ١ / ٧ / ٢٠٠٥ وحتى ٣١ / ١٢ / ٢٠٠٥م من ميزانية المجلس الأعلى للآباء والمعلمين، وإنجازات الإدارة العامة للرعاية الاجتماعية، وما تم تنفيذه من معسكرات استفاد منها كثير من الطلاب والطالبات، وما تم أيضاً فى مجال إعداد القادة، والمؤتمر الذى عقد لأمناء سر مجالس الآباء والمعلمين بالمناطق الأزهرية ببيت شباب طلاب الأزهر بسموحة.

regard, a French philosopher said, "One is more in connection with the religion full of rituals than one is with any other religion of less rituals. This is because one is much attached to the matters that always occupy one's mind."

The religion of the Muslims is always in their mind and represented in the Five Prayers they perform every day. This religion is represented in a submissive ritual manner that affects not only the worshipper but the watcher as well. Al-Hasan Ibn Sa`id – one of the Jews of Alexandria who embraced Islam in 1238 A.D. – spoke about the scene of the Friday Prayer at any mosque as a decisive factor in his conversion to Islam. He was suffering a severe disease when he heard in his sleep a voice ordering him to publicly convert to Islam. He went on saying, "When I entered the mosque and saw how the Muslims were standing in rows like angels, I heard a voice saying, 'This is the congregation about whom the Prophets (may the blessing and peace of Allah be upon them all) told.' When the preacher appeared, I felt deep veneration in my heart. The preacher concluded his sermon with the verse that reads:

> *{Surely Allah commands to justice and fairness and bringing (charity) to a near kinsman, and He forbids obscenity and maleficence and iniquity. He admonishes you that possibly you would be mindful.}*

[An-Nahl (The Bee): 90]

After that, when the Muslims stood to perform their prayer, I felt something pushing me to stand with them because their rows were like those of the angels who see Allah, the Almighty, during their prostration. Then, I heard a voice calling me, 'Allah talked to the people of Israel twice in all that time, but He talks to this congregation in every time of their prayer.' Hereupon, I realized that I was born to be a Muslim."

*Western Testimonies Doing Justice to Islam

By: Dr. Muhammad `Imarah

Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) practiced a timely sovereignty that might be practiced by any other independent ruler, but with one unique difference; namely, the religious tie among the Muslims takes the place of the blood tie. With this in mind, Islam has become a political system as much as a religious one.

Moreover, Muhammad's wish was to establish a new religion and he, actually, succeeded in doing so. Meanwhile, he (may the blessings and peace of Allah be upon him) was able to establish a political system of a unique quality.

The introduction of a new principle of those of the social unity, under the Islamic brotherhood in the Arab society, has begun to weaken the tying strength of the old idea of tribalism. That old idea had been establishing society on the basis of blood relation. Thus, when people started to embrace Islam and enter the new society, one of the most important rules of the basic life of Arabs was demolished. Also, the great number of people who embraced Islam was one of the powerful factors that led to eliminating the tribal system, leaving it weak in front of a powerful, cohesive life under Islam. The entrance of Islam into the Arab society was not just an issue of getting rid of some of brutal and barbaric habits, but it was a complete alteration of the life existing before.

Furthermore, the performance of the Five Prayers every day represents a great effect, whether in attracting the people or keeping the Muslims among them united. In this

* An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.

state the information and accompany them with some useful comments and sound suggestions. On the other hand, Dr. Heikal's emotion and feelings have colored the scenes, events and places with a subjective color that can be witnessed in every line. So, I can honestly say that the book "*Manzel Al-Wahy*" cannot be substituted for by any other book despite the fact that it can substitute for others.

The amazing feeling that the unbiased critic experiences concerning both the book and its author was not felt by the author himself, for his feeling of the greatness of the place and its dwellers made him just write without contemplating what he was writing. You can touch that in his saying that goes, "This book is not one of the references of history nor does it include any of the calendars of the Arabs. Rather, it represents poses I has made in the land of Revelation where I recall the situations which Muhammad Ibn Abdullah (i.e., the Prophet) faced. In those situations, my soul transcended and my self was freed, thus I was able to go back in time for centuries seeking to know that guiding noble person (i.e., the Prophet) and the Muslims surrounding him. I was searching for a good example hoping to share it with my believing brothers..."

That is what Dr. Heikal mentions in his book. He shows much humbleness when he says, "This book is not one of the references of history..." This is due to the fact that his book is indeed one of the approved references of history due to what it contains of facts. The author did not feel satisfied by just reporting what was said by other, but he went beyond that, enriching it with what he could encompass. Truly, his creative and well-stated addition has made the book enjoy its celebrated rank among the other books dealing with the subject of the sacred journeys. Therefore, it goes without saying that it is binding for whoever wishes to write a journey-book to refer to this book seeking guidance and take it as an example to be followed.

the authors themselves. Contrarily, the fair and sincere critics should, before launching their criticism, study and examine the ideological and cultural attitude of authors. In case there is any disagreement between the ideas of the two parties, this is nothing but a difference between two attitudes, each of which has its supporters and opposers. This is substantiated by the fact that the Islamic Schools, as regards legislation and creed, do not stand at only one opinion in matters other than the *Tawhid* (i.e., Monotheism) and Message.

After this word about those who have criticized the book "*Manzel Al-Wahy,*" I can say that the first merit of this book is that the author reports about himself first. He sees, thinks and explains, then he moves to review all that he has seen and imagines it before his eyes. After studying all the details and hidden features of what he has seen, he draws his pen to write his opinion. The author writes his ideas in a great style that flows before the reader's eyes the same as water runs from the peak down to the mouth of the river. Indeed, the author's style has reached the rank of artistic creativity, as it turns into poetry in the situations of greatness. This can be witnessed when depicting the Cave of Hira', the sacred grave of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), or the grave of Hamza. This is also highly-expressed when you come to the scenes of *Tawaf* (i.e., circumambulating the Ka`ba) and throwing the stones. This seems as if the author does not describe what he has seen but rather he describes himself surrounded by what he has seen. That is why such a book is considered unique in tackling this field.

There are other books, such as those written by Ibrahim Ref`at, Muhammad Labib Al-Batanony and Shakib Arslan, which reach a good level as regards depicting the blessed journey, but it is worth mentioning that reading one of them will suffice for the others. This is because such books

A Look into the Book "*Manzel Al-Wahy*[1]" by:Dr Muhammad Hussein Heikal
By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

I have read all that could reach my hands of the books talking about the journeys related to visiting Al-Hijaz for performing *Hajj* (i.e., Pilgrimage) to the Sacred House (i.e., the Ka`ba) and seeing the Prophet's sacred grave. I have enthusiastically and curiously read them due to the nobleness and religious importance of their subject. However, I truly confess that none of these books has aroused my attention and attracted my admiration as much as the book "*Manzel Al-Wahy.*"

Though sixty-five years has elapsed since the composition of this book, its glow still attracts the cultured readers that they take it with them during their blessed journey to perform *Hajj*. Dr. Heikal was one of the prominent men of letter all over the Arab world and he was characterized by his literary supremacy due to what he wrote of eternal works, the important of which – in my opinion – is the book entitled "*The Life of Muhammad*" then comes the book "*Manzel Al-Wahy.*"

The unanimous agreement of the enlightened on the greatness of these two books has not prevented some opposers to launch criticism against them. This is natural since any book of influence ought to cause high-sounding among the readers and critics. Unfortunately, some of the so-called critics do not reach the level of fair criticism; they may be just beginners in the field of criticism and know little about its methodology or they may be thinking that their degrees as professors or doctors give them superiority over

[1] Manzel Al-Wahy: A book dealing with the journey to the sacred lands where the Revelation had been sent down from Allah to his Prophet and Messenger Muhammad (may the blessing and peace of Allah be upon him).

whoever observes his activities in Washington. No sooner the American newspapers published news on the murder of all the members of some Coptic family in New Jersey at the end of the last year, than he rushed into issuing fake statements. He held news conferences to claim that it was the fanatic Muslims who were responsible about that crime. His exact words were, "Indeed, the hideous crime of slaughtering a Coptic family at the hands of the extremist Muslims does not excite one's rage only, but it has frightening effects on the American Coptic community as well."

He added, "With the increasing crimes of hatred against the Copts in Egypt, they flee to the United States where they seek the freedom of religion and escape from oppression." The journalist went on refuting the lies of that person, which were confuted by the decision of the US courts. Such lies that none could believe to be issued by a an educated person against the citizens of his native country.

There is just one last word I want to say to that rebellious citizen, "Suppose that the judiciary authorities in the United States became quite sure about your conviction, after someone brought suit against you because of arising disturbance between the Muslims and Christians, destroying relations and having a tendency towards extremism, and consequently, the courts issued a verdict ousting you from there. Can I ask you, 'To which spot on the earth will you go?' I think that your likes have no other place but Egypt, the country of the tolerant openhearted Muslims and Christians!"

holding conferences for, and announcing to journalists is nothing but lies. Moreover, your article about agitation is built on individual incidents which take place all over the world. The heroes of such incidents are some of the male or female Copts who embraced Islam willingly, for they loved that religion and believed in it. You take such happenings and turn it into materials for sowing the seeds of dissention. What can you say about what the news agencies have related recently that one hundred male and female Germans have embraced Islam within one month. This have happened despite the fact that the Muslims, at this time, face vehement attack under various names. This attack has begun after some of the Western leaders have opened the door of aggression against the Muslims without any justification at all. In Germany, however, none has commented on nor criticized that large number of the Germans who have been guided to Islam in this time in particular. You should know well that it is not you who can add new information to the CIA about which they are unaware, nor can you do so as for the European intelligence systems whose activity extends globally, nor the correspondents of the foreign news agencies which publish everything whether it takes place in China, the Middle East or the Western countries. Not to mention that such lies have no existence except in your imagination."

Upon reading the mentioned article, I have taken upon myself to observe carefully in both our Arabic newspapers and the foreign ones the journalistic meetings that person holds assuming that such lies of his have rendered him famous. I have reviewed what he has issued about the Muslim citizens of his native country and those Christians who have not support him in his falsehood and slander. The serious journalist, who has covered the news of that person's fruitless conference, says, "The arranger of that conference has a long history of incredibility. This is well known to

overburden the budget." Immediately, Dr. Taha Hussein replied, "This is the principle supported enthusiastically by the people who strongly demand its application. Thus, it is your duty as a Minister of Finance to afford the required money through the legal and available means." This resulted in issuing the decision which has been a bliss for all the people not only for those living in cities - as was the case previously - but also for those living in villages and hamlets.

That great amount of money demanded by the civilized decision and talked about by the previous Finance Minister was afforded by Egyptian tax payers. According to statistics, the ratio of the Copts to Muslims was 2% at that time. Consequently, it was the Muslims who took the burden of paying taxes so as to cover the expenses of free education in all its stages in addition to the requirements of the other services.

In plain words, we say to this migrating citizen, "You grew up in this country where you freely learnt and enjoyably prospered. You left it and traveled abroad holding a high degree, without which your papers could never be accepted as an emigrant who have the right to live there permanently (i.e. the Green Card) nor could you get the nationality of the new country. Instead of acknowledging the favor of the citizens of your native country, especially the Muslims among them, you fabricate lies against them. This is despite the fact that the Muslims face fierce aggression on the international level at this time. Not only this, you instigate others to be aggressive against the country which brought you up and helped you go to the Unites States. Had it not been for your country and the great decision of free education, you would have remained in your house. If only matters went this way, you would have been a good citizen. I do not have the least doubt that it is well known for you, before others, that what you are claiming, publishing,

circulating all such lies, was born and grew up in Al-Minya, a governorate famous for mutual love, brotherly association, complements and cooperation between Muslims and Christians both in weal and woe. This is well represented in the fact that all of them participated in constructing and repairing the buildings of worship.

I witnessed this with my own eyes when one of its people came to me asking for support to afford building a mosque that was being established there. He showed me the receipts of the contributors including both Muslims and Christians. I was totally bewildered for how such a beautiful garden (i.e., Al-Minya) which is called "The Bride of Upper Egypt" could produce such a person who bore all that grudge and ingratitude. Does that person think that there is anyone among the Americans who will believe or sympathize with him for all such lies and libels?

The American people are intelligent and fond of seeking knowledge and tourism. Many of them have visited Egypt more than once. When they come to Egypt, they are accustomed to studying, scrutinizing and establishing facts. Thus, were they to observe any of such libels, they would announce it and circulate it throughout the whole world. In fact, none of them has ever written any of such nonsense.

Furthermore, that persons forgets or pretends to have forgotten that he grew up in a nation that glorifies science and knowledge, and in a governorate that produced "The Dean of Arabic Literature" Minister, Dr. Taha Hussein whose reverberating slogan is, "Science is as important as water and air." The principle of free education beginning from primary education up to university is also attributed to him. Dr. Taha Hussein claimed this when he was the Minister of Education but his claim was opposed by the Minister of Finance at the time, who said, "This will

"Allah knows that you are the most beloved country to my heart. He knows that unless your people forced me out, I would not leave."

The laureate poet Ahmed Shawqy expressed this meaning in an eloquent verse where he said:

My homeland, were I in Paradise,
My soul would yearn to it.

I remembered all this when I was reading a reportage in Al-Ahram newspaper issued on Saturday 26-11-2005 under the title "Two Conferences held in Washington: One on love for Egypt while the other abounds with fanaticism and hatred against it."

Here are the words of the editor who has covered both conferences:

"Most of the journalists who have covered what is called "The Second International Conference of Copts," which continued for four days in Washington, have been depressed and distressed. They could not believe such a great amount of lies circulating in the conference, such as "racism," "enslavement" and "sexual molestation." That companion of mine, who was covering that conference which has aroused much controversy and worry, was not mistaken at all when he angrily asked me, "About which country do those people speak?" I replied him, "Alas, they talk about Egypt which is the country of security, safety and kind people. They aggressively and unjustifiably claim that they care about human rights in Egypt, especially those of the Christian Copts."

I finished reading the rest of the article just to know that the person, who was said to be the leader of the group

The Virtue of Belonging...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The sense of belonging is a virtue that indicates the soundness and purity of the human soul characterized by it. This sense is a natural disposition that grows as one grows up.

You could see a young boy, who does not have the ability to discern yet, pushing another child, who just wanted to lean his arms against the car of his father parking in front of his house. Moreover, if the latter does not leave quickly, the first will engage in a fight with him, kicking and punching him. That sense of belonging becomes clear and grows with the growth and maturity of the person. At school, this sense is well expressed in watching the sports varsity of his school in competition with that of another school: He participates with his colleagues in support of his team with loud cheers and clapping their hands hard.

This indicates that neither the presence nor the strength of the sense of belonging needs to be taught. This sense maximizes to involve one's homeland where one was born and grew up. It reaches its utmost at the time of war and catastrophes, when the person endowed with such a virtue does not hesitate to sacrifice his life for the cause of his homeland and its citizens.

Allah's Messenger (may the blessing and peace of Allah be upon him) expressed the peak of belonging. That was when the polytheists of Mecca conspired against him to assassinate him. That situation forced him to emigrate from Mecca. When he marched a few steps out of it, he gave it a look full of love, passion and sense of belonging. He said,

AL-AZHAR MAGAZINE
Safar, 1427 A. H.

ENGLISH SECTION
March. 2006

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

الفهـــــرس

AL AZHAR MAGAZINE

Safer, 1427 H. Mar. 2006,
Vol. 79, Part II.



المتن ٧٠ جم مستورد
الغلاف ١٥٠ جم كوشيه

الثمن ١٥٠ قرشا

الأزهر

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
رجب ١٤٢٧هـ - أغسطس ٢٠٠٦ - الجزء «٧» السنة «٧٩»

هدية العدد
قصة التفسير «الجزء الثانى»



بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً - الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً

أوربا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

رجب ١٤٢٧هـ - أغسطس ٢٠٠٦م - الجزء السابع - السنة التاسعة والسبعون

افتتاحية العدد

من مصائب المجتمع

الدروس الخصوصية أسقطت التلميذ الفقير

كنت أزور بعض الناس للحديث فى موضوع مشترك، وقد أراد إشعال السيجارة فلم يجد الكبريت، فانطلق يدعو ابن البواب ليشترى له المطلوب من محلّ فلان ! هكذا عيَّن صاحب المحلّ، وانطلَق المسكين فوجد المحلّ موصدا، فرجع يخبره بما كان، فما كان من صاحبى إلا أن انفجر فى وجهه، وقال لى إن هذا الولد مثالُ الغباء، وقد طُرِد من المدرسة لأنه تخلف، ولم يجز الامتحان ! ! وظهر التألم على وجهى بعد أن آثرتُ السكوت، فسألنى عما اعترانى، فقلت له : إنى تألمت لسببين لا لسببٍ واحد، فأنت الذى حددت له اسم البائع.. وقد التزم بقولك فلا ملام، ثم إنه طُرِد من المدرسة لتخلفه، وكان من المتوقع أن يتخلف فجميع سكان العمارة، يُتعبونه نازلاً صاعداً فى شراء ما يلزم بعد أن يأتى من المدرسة وليس فى حجرة أبيه بأسفل العمارة مكان يصلح لاستذكار دروسه إذا أراد ذلك بعد تعب اليوم الطويل، والمدرسة اليوم كما نعلم لا تعطى درسا ما يساعد على النجاح، وأنت وأنا نعطى الدروس الخاصة الضرورية لأبنائنا وبدونها لن ينجح تلميذ مهما ارتاح فى منزله، ولم يكن خادما يذهب ويجىء ! فالتلميذ المسكين لم يتخلف لإهماله ولكن، احتياج والده قد أعده ليكون خادما لا تلميذا والمدرسة من ناحيتها - للأسف - مدرسة صورية لا حقيقية، تُعِد الفصول والمدرس والحصص الدراسية إعدادا لا يفيد غير من يأخذ الدرس الخصوصى من المدرس ! أفيكون التلميذ بعد ذلك مثال الغباء، وقد طرد من المدرسة لأنه متخلف كما تقول ؟ ! إنه ذو حظ تعيس !.

تكافــؤ الفــرص

رجعت ضائقا محزونا أفكر فى حالة التلميذ الفقير فى المدرسة بين الأمس واليوم، كان التلميذ قديما فى ما قبل المرحلة الجامعية يجد الجو المدرسى الملائم ليتلقى الدروس، فالأستاذ يؤدى واجبه كأحسن ما يكون والتلميذ الفقير يجد ما يجد التلميذ الثرىّ من الإقبال والاهتمام، فميدان التسابق متكافىء لا شذوذ به، وإذا رجع إلى منزله استطاع أن يراجع ما أخذ من الدروس دون حاجة لدرس خاص، وهو يعلم أن المدرسة فرصته الوحيدة لإشراق مستقبله، وأبوه يؤكد له ذلك بمظهره ومخبره، فيؤثر الاجتهاد، ويجتاز الامتحان بنجاح !.

كان تكافؤ الفرص عاملا رئيسيا فى إيجاد الطبقة المتوسطة فى الشعب، وهى التى تقوم بالدور الرئيسى فى التقدم الاجتماعى، لأن اجتهاد أبناء الفقراء فى المدرسة قد دفعهم إلى الصفوف الأمامية فنالوا الوظائف المناسبة، ولديهم من الكفاح الذى مرنوا عليه من قبل ما يدفعهم إلى الجد الصارم فى مزاولة أسباب الحياة، ثم جاء دورهم فى الإنجاب، فحرصوا على مستوى مشرف لأبنائهم لم يحظوا به من قبل، فوجد جيل جديد من هؤلاء يعتمد على نفسه بإرشاد المسئولين من آبائه، واتصلت الحلقات لتؤدى إلى المزيد، ولا يمكن فى الظروف الأليمة للمدارس اليوم أن تواصل رسالتها فى تقدير المجتهد، وتزكية النابه، فتكون النتيجة أن يرسب التلميذ الفقير، وأن يخرج إلى المجتمع عاطلا لا يجد ما يعمل، وتلك هى المأساة !.

أعرف أن الفقر مدرسة النبوغ، وأن الألم يلهب فيلهم، ولكن متى؟ إذا فُتحت النوافذ للمعرفة، ووجد التلميذ البائس جوا يساعده على النمو التعليمى، أما أن تحقق المدرسة إخفاقا تاما فى رعاية هذا التطلع إلى الحياة الكريمة، وأما أن يضيق به والده البائس فيرميه إلى الشارع دون اهتمام، فإن طوفان التشرد سيمتد بأوبئته الوخيمة دون انقطاع.

باب واسع للمشــردين

والتشرد نكافحه بالمسكنات فقط، فالملاجىء والإصلاحيات، لا تستوعب أكثر من عشرة فى المائة ممن لا يزالون يجمعون أعقاب السجائر، ويتسللون إلى الجيوب فى الزحام الحاشد، بوسائل المواصلات، ويخطفون حقائب الصغار من طلاب المدارس ويبحثون فى المزابل عن فتات الطعام شركة مع القطط والكلاب، بعض هؤلاء هم تلاميذ المدارس الذين لم يعرفوا سبل النجاح، فضاق


عبدالعزيز جاويش

بهم ذووهم ممن يضيقون بنفوسهم قبل أن يضيقوا بأبنائهم ، فرموهم إلى الطريق ، وفيهم من اعتمد عليهم فى أكل عيشه ، فحبّذ لابنه أن يسرق وأن يتسول ليعود مساء إليه بما يمسك رمقه ! ولازال شعار «محو الأمية» بعد ذلك يطلق مقرونا برسالة التعليم الابتدائى ، فلم تُمح الأمية ، ولكنها فتحت بابا واسعا للمتشردين ! .

كان المغفور له الأستاذ عبدالعزيز جاويش قد قدم مشروعا عملياً سنة ١٩٢٥م إلى وزير المعارف محمد توفيق رفعت باشا ، يدعو فيه إلى أن تكون المدرسة الأولية ذات رسالتين رسالة تربوية وهى محو الأمية ورسالة عملية وهى تهيئة التلميذ منذ بدء حياته إلى عمل صناعى أو زراعى ، تضمن له الكسب إن خرج من المدرسة الأولية واكتفى بها ، بحيث تكون مسائل التربية التعليمية مقتصرة على الضرورى الذى يمحو الأمية ويلم بمبادىء الحساب والدين والكتابة فقط ، لتجد التربية العملية نصيبها فى إعداد العامل والزارع فى الريف على نحو أخص ، ولو أخذ بهذا الاقتراح ، وقامت الوسائل الصحيحة على تنفيذه ، لوجد التلميذ الذى لم يوفق فى دروس الثقافة له بابا للارتزاق بما أتقن من حرفة قد تكون السباكة ، أوالنجارة أوالزراعة أو الحدادة ، وحينئذ يجد باب الرزق .

المدارس الفنية الآن لا تؤدى رسالتها على الوجه المنشود مع أنها تلى المرحلة الإعدادية لمشاعل التوجيه الصالح فإذا كنا لا نستطيع الآن مواجهة الدروس الخصوصية فى مدارس الحضانة والمدارس الابتدائية وإذا كان أبناء الفقراء يتعثرون فى خطواتهم لعدم قيام المدرسة بواجبها المنوط بها ، فإن الواجب الحتم لذلك هو أن نعود إلى اقتراح الأستاذ عبدالعزيز جاويش ، لأنه يفتح باب العمل للتلميذ حين تضيق أمامه سبل الدراسة المنتظمة فيخرج إلى العالم الفسيح دون نصير .

تعليم بلا مضمون

وحين أكرر فزعى لفراغ المدارس من مضمونها الحقيقى الذى أنشئت من أجله ، أجد من يعارض هذه الحقيقة السافرة ، مستدلا بما تنشره الجرائد من تقدم التعليم باتخاذ الوسائل الحضارية من إنترنت وتليفزيون وأجهزة لم تكن معروفة من قبل ، ولكن ذلك كله شىء ، والخواء الفارغ فى تأدية المدرسة رسالتها على الوجه المنشود شىء آخر ، والحديث فى هذا شبيه بالحديث

عن المجانية المزعومة فى التعليم، لأن أولياء الأمور قد زهقت أرواحهم بنفقات الدروس الخصوصية التى أصبحت قضاءً وقدرا لا محيد عنه، ويتمنون بفارغ الصبر أن تمحى المجانية وتعود المصروفات المدرسية مُضاعفةً مضاعفة لتمحو بلاء الدروس الخصوصية ولو كانت المدرسة تقوم بواجبها على النحو المنشود لما باع الآباء الضرورى من أثاث المنزل، والكمالى من حُلى الزوجة، واليسير الضئيل من العقار، ليطفئوا بلاء هذه الدروس، ثم ماذا بعد ذلك كله؟! ماذا بعد التخرج من الجامعة، وقد بلغت الروح الحلقوم لدى الأب والأم، إنها البطالة الصارخة التى تجعل حامل الليسانس والبكالوريوس مثل الذى لم يتعلم حرفا واحدا فى سنة دراسية! بل ربما يفوقه هذا الأخير بما مارسه فى الحياة العملية من مهارات لم تُهيأ له، أليس هذا هو الواقع المرير؟.

والمشكلة التى يشير إليها عنوان هذا المقال لاتزال قائمة لا تجد أدنى حل يريح، أفنترك التلميذ المسكين الذى لم يُوفق إلى اجتياز سنوات التعليم الابتدائى هكذا؟؟، أنتركه حيث لا يهتم به ولى أمر يرعى حقوق الأبوة، بل يكون فى بعض أحواله كما أسلفت من قبل عاملا أساسيا فى انحدار فلذة كبده إلى أسوأ الدركات أم نبحث عن علاج منقذ لهذه الزهرات الغضة التى تفاجئها عواصف الرياح بما يعجل ذبولها السريع؟

إن الرأى الذى أراه أن تقوم جوار المدرسة الابتدائية التعليمية المدرسة الابتدائية العملية فتتلقى الذين لم يستطيعوا الانتظام المدرسى، ليتعلموا الحرف المهنية التى تهيئهم للحياة، فتكون بها فصول للزراعة والحدادة والسباكة والنجارة بحسب ما تتطلبه البيئة الجغرافية، فإذا قضى التلميذ سنوات الدراسة بهذا النمط من التعليم فإنه سيتجه تلقائيا إلى الكسب الشريف، وسيجد من يرحب به فى مجالات الإنشاء والتعمير، وينجو من سيطرة والد قد يضطره إلى ما لا يليق إذ فى محاضر بعض مراكز الشرطة انحرفات شائنة لأبناء صغار كانوا ضحية توجيه الآباء المنحدرين، بل ماذا أقول حين أجد فى بعض هذه المحاضر إنحرافات لبنات صغيرات كنّ ضحايا التوجيهات الآثمة للأمهات والآباء معا، ولابد أن تكون بهذه المدارس العملية فصول للفتيات الصغيرات حيث يدربن على ما يليق بهن من فنون التطريز والأشغال المنزلية، والحياكة مما يؤهلهن للكسب الشريف، وهنا يبدأ الإنقاذ العملى للتلميذ المسكين!.

التلميذ الفقير ضاعت حقوقه

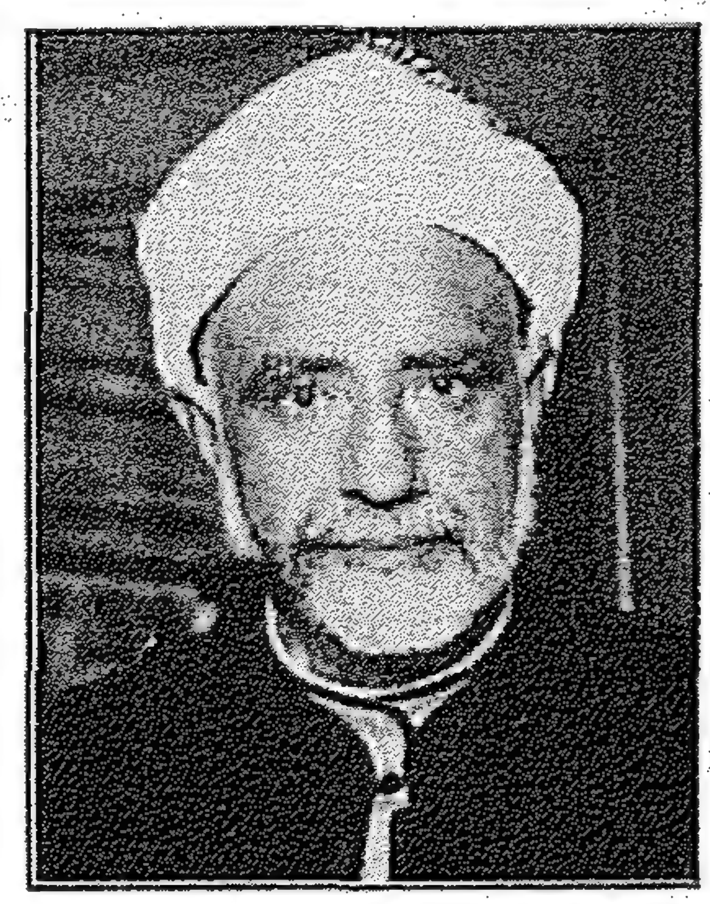
إن المسألة الخافية عن كثير ممن يتحدثون عن بلاء الدروس الخصوصية أنها منعت كثيرا من أبناء الفقراء عن التعليم فى المرحلة الأولى، وبخاصة حين قررت اللغة الإنجليزية على التلاميذ وأصبح الدرس الخصوصى ـ بلا مراء أداة النجاح، والذى سيواصل حضوره دون درس سيتكرر رسوبه، ويقذف به إلى الخلاء، ومع اشتداد أعباء الحياة، سيعجز ولى الأمر الفقير فيما بعد التعليم الابتدائى عن مساعدة بعض بنيه فيكتفى بواحد أو اثنين، وقد يكون فيمن أجبروا على الامتناع من ذوى الذكاء من كان يُرجى لهم حُسن المستقبل إن سارت الريح رخاء دون إعصار، وبذلك تفقد الأمة من أعضاءها الصلاب ممن كان يرجى منهم أن يكونوا عونا على النماء الاجتماعى، فأصبحوا قانعين بالكفاف فلماذا لا يتحدث التربويون عن هذا الخطر الذى بدت مظاهره على نحو صريح، ولماذا تُعقد المؤتمرات متحدثة عن المناهج والتطور المتخذ من وسائل الحضارة فى المعامل والفصول ما يُعد جديدا فى بابه، ثم لا يلتفت المتحدثون إلى الذين سيحرمون لعجز الآباء، واشتداد الأزمة المالية على نحو لا يبشر بالانفراج، بل لماذا لا يسكت المتحدثون كل يوم فى مؤتمرات المرأة عما يكررونه دائما من التطلع إلى حقوق مظهرية يعدونها وسيلة التقدم الحضارى ثم يسكتون عامدين عن هوان المرأة الذليل فى القنوات الفضائية حين تبدو كالعارية فى الغناء، وحين تبدى من أنواع التبذل الشائن فى القبل والعناق والاحتضان والارتخاء مما يجعلها سلعة تباع بأرخص الأثمان وقد كادت تستغنى عن ورقة التوت ؟، هل فكر الداعون إلى حقوق المرأة فى اجتماعات مظهرية لا خير من ورائها فيما يشاهدون من بلاء ماحق سيمزق الأسر شر تمزيق ! لقد كنا نطلب من هؤلاء احتجاجا قوليا فقط يظهر أنهم يحافظون على كرامة المرأة المهدورة، ولكنهم فى رأيى لا يعدون ما تظهره القنوات العابثة موضع اعتراض، بل لعله فى رأيهم بعض الخلوات السريعة فى طريق التقدم المنشود، ثم أليست رعاية الطفل الفقير، والعمل على رفع مستواه التعليمى من أوائل ما تتوجه إليه الفاضلات من المتحذلقات أم أن المرأة شىء، والطفل شىء آخر مع أنه لديها كل شىء فى الحياة !.

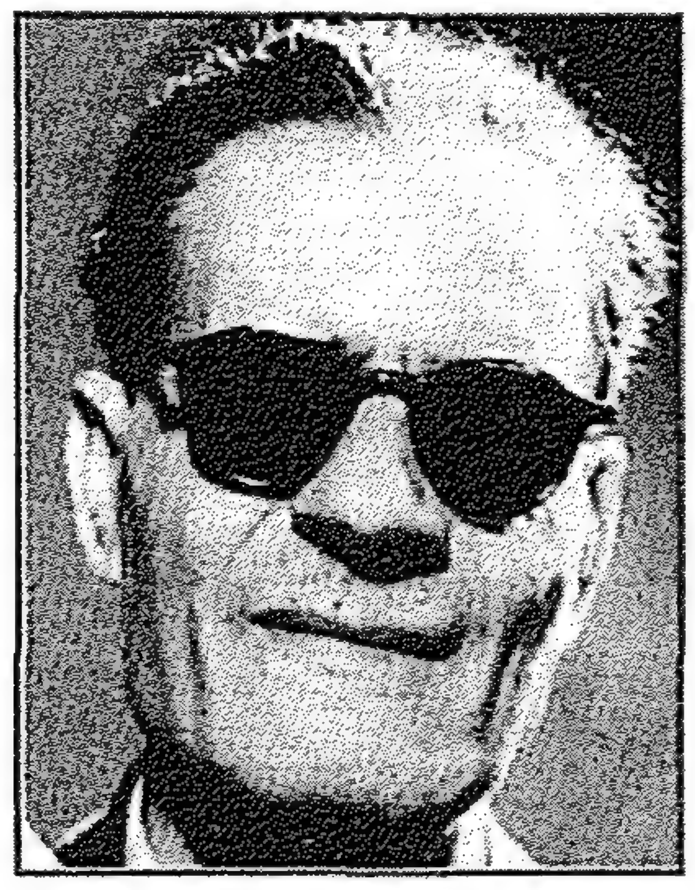
لعلى استطردت قليلا فإن القلم يقودنى كثيرا دون أن أقوده، ولكنى أعود إلى الموضوع فأعلن أن التلميذ الفقير ضاع حقه نهائيا الآن، لأن المدارس كما يشهد الله ويشهد جميع العارفين ليست إلا فصولا وأدراجا فحسب، فالمدرس فى تسعين فى المائة لا يقوم بواجبه

إطلاقا، مكتفيا بالدلائل المظهرية من إعداد كراسة التحضير وكتابة على السبورة وأغرب ما يفاجئنا فى هذا الأمر أن المدرسة الإعدادية والمدرسة الثانوية بكل واحدة منها أكثر من خمسة وكلاء مع المدير والناظر وطابور المدرسين الأوائل، فماذا يفعل هولاء ولماذا لا يختص كل وكيل بدور من أدوار المدرسة فيمر على كل درس بالفصل، ويراجع السبورة، ويوقع على الكراسات ملاحظا خطوات التقدم التدريجي، فإذا استشعر المدرس محاصر تماما بالرقابة اليقظة أدى واجبه، وأتاح للتلميذ الفقير أن يجد ما يُعينه على المذاكرة حين يتعذر الدرس الخصوصى على أمثاله. أذكر أنى كنت فى الستينيات مدرسا بالمنصورة الثانوية، وكان الناظر من الحزم والجد بحيث يواصل المرور يوميا على الفصول، والمدرسة حينئذ كالجامعة إذ بها اثنان وثمانون فصلا! والعمل برعاية الناظر يؤدى على أحسن ما ينتظر، أذكر أن مدرسا للرياضة كان عند الناس من المقربين للناظر، وقد تلقى هذا الناظر الإدارى الحازم ورقة من طالب مجهول تقول إن المدرس يكتفى بكتابة مسألة حسابية على السبورة، ويتركنا بعد ذلك دون أن يشرح شيئا، فما كان من الناظر الأستاذ مسعد المصرى - رحمه الله - إلا أن جال جولة أولى فى مبدأ الحصة، وشاهد المسألة على السبورة، وظن المدرس أن بعد هذا المرور لا يعقل أن يجيء مرة ثانية ولكنه قبل انتهاء الحصة بثلاث دقائق اتجه إلى الفصل ورأى المسألة الحسابية هى هى دون أن يضع المدرس جديدا فتحقق من صدق الشكوى، وطلب من المدرس أن يعجل بالحضور إليه ليختار مدرسة أخرى إذ أن مثله فى خموله لا يجوز أن يكون من أعوانه! هذه اليقظة الإدارية ذات الإخلاص الصارم تمت بجهود إنسان واحد! فكيف بطابور الإداريين والموجهين؟! رحم الله الأستاذ حسن مسعد المصرى وأكرم مثواه!.

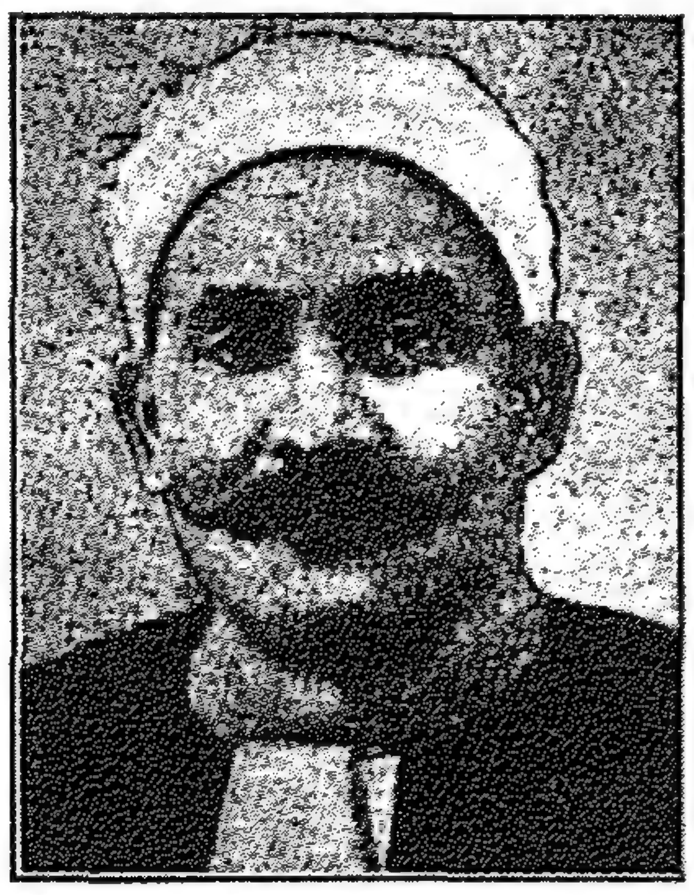
وقد تطالعنا الصحف كثيرا بوكلاء الوزارة فى الإدارات المختلفة يعرضون الكمبيوتر والإنترنت وبعض المستحدثات ويزهون بأنها أصبحت من مستلزمات الطلاب، فكانت دليلا لا يُجحد على التقدم المدرسى، والواقع المرير أن التلميذ لا يستفيد منها شيئا ذا بال، إذ لا يقوم المدرس بجهد ما غير التنبيه على الدرس الخصوصى بالمنزل وهكذا تقدم الأطباق الشهية مليئة باللحم والفاكهة والحلوى وليس لدى التلاميذ أسنان تساعد على الهضم! والصور كل يوم تملأ الصفحات!.

إن مشكلة الطالب الفقير فى عصر الدروس الخصوصية مشكلة قائمة لا سبيل إلى تجاهلها،


المراغى


طه حسين


أحمد أمين


المنفلوطى

لأنه لا يحصّل فى المدرسة قليلا ولا كثيرا ، وسيتقهقر فى الامتحان لا محالة ، وإذا تكرر رسوبه طرد إلى الشارع لأنه لم يجد المدرس الموجه ، بل لأنه تلميذ فاشل ! وهو فى أعماقه يعلم أنه ليس أقل جدارة من الناجحين ، ولكنهم أخذوا الدروس ، وباء بالحرمان .

الحرية التى كانت

إن الفقر المادى لا يَعيب التلميذ ، ولكنه يعيب مجتمعه المظلوم ، وقد كتب الأستاذ فتحى رضوان فى كتابه «أفكار الكبار» فصلا بارعا عن الدكتور زكى مبارك فأكد فيه أنه نشأ فى الأزهر ، والأزهر مدرسة الفقراء ، لأن التعليم به بالمجان ، لذلك سطع فى مصر بين نجومه من أبناء الفقراء من كانوا من أعلام العصر ، وأخذ الأستاذ فتحى رضوان يذكر من هؤلاء النوابغ : محمد عبده ، والمراغى ، وشلتوت ، وطه حسين ، وأحمد أمين ، والمنفلوطى ، ودراز ، وأبا العيون القاياتى ، والهلباوى ، ومحمد أبا شادى ، الههياوى ، وأحمد إبراهيم ، وعبدالوهاب خلاف ، وأبازهرة ، وعبدالله النديم ، وآخرين يجدهم القارىء فى ص٥٤ من الكتاب ، وأزيد على ما ذكره الأستاذ فتحى رضوان فأقول . إن الأزهر فى هذا العهد كان المعهد الوحيد الذى يخاف فيه الأستاذ من التلميذ ! أجل يخاف الأستاذ من التلميذ ، إذ لابد أن يوجد فى كل حلقةٍ من حلقات العلم ثلاثة أو أربعة من الطلاب ، قد ذاكروا الدرس مذاكرة تامة قبل ميعاده ، وتربصوا بالأستاذ فى شرحه ، فلا يتركونه دون أن يجيب عن أسئلتهم الدقيقة ، وقد يُخطىء المراد فى مسألة فيتصدى له الطلاب فى حرية مكفولة لا تعرف الانزواء ، وهنا يكون الدرس أشبه بالحومة ! فهل يوجد الآن فى أى معهد مدنى أو دينى هذه الحرية المفرطة فى السؤال والجواب ، وتأكيدا لذلك أستشهد بما ذكر الدكتور طه حسين فى الجزء الثانى من «الأيام» حين قال عن حوار قام بينه وبين بعض الأساتذة



دراز

وهو طالب مبتدىء فى الأزهر «لقد أتعب الفتى - يريد نفسه - شيخه حوارا وجدلا حتى سكت الشيخ فجأة أثناء هذا الحوار، ثم قال فى صوت حلو لم ينسه صاحبنا قط : «الله يحكم بينى وبينك يوم القيامة» ! ! ص ١٣٠ من «الأيام» لقد كان الأزهر يومئذ متنفسا لأبناء الفقراء ووجدوا فى دروسه ما سبقه بهم إلى التقدّم فى مضمار الحياة ! فأين يجد الآن من تتقاذفهم الطرقات دون نصير ! أين يجدون الدرس المستوفى والمدرس القويم ؟ .

ويح التلميذ الفقير، حين ينبذ بالعراء وهو مذموم ! لأن والده لا يقوم بنفقات المنزل إلا بشق النفس ! فمن له بمئات الجنيهات تبذل لولد واحد، ولديه عدة أولاد ! إن أكثر القائمين الآن على شئون البلاد فى جميع مرافقها، من الذين تعلموا بالمدارس حين لم يكن هناك مجال للدروس الخصوصية، وبانتظام الدراسة التعليمية آنذاك استطاعوا أن يأخذوا أرقى الشهادات وأن يكونوا من ذوى الشأن فى إدارة البلاد، ولو كان الأمر حينئذ هو الأمر المشاهد اليوم لما استطاع الكثير منهم مواصلة التعليم، ولكان حظهم البائس كحظ تلاميذ اليوم، أفلا ينظرون إلى معاناة الفقير الذى لا يملك نفقات الدروس الخصوصية فى ضوء ما كان يتهددهم لو ووجهوا بهذه الأعباء ؟ !

ولست بذلك أضائل من مكانتهم فى المجتمع، فالمرء بعمله وجده، لا بماله ونسبه وقد كان والد إسماعيل صبرى باشا الشاعر العظيم متواضعا فى وظيفته، وحين بلغ إسماعيل صبرى مبلغه من النبوغ فى الأدب، والرفعة فى المناصب، تحدث عنه حاقدوه بما يشى بتواضع أبيه فرد عليهم شوقى ردا مفحما حين قال فى رثائه :

إن فاته نسب الرضى فربما ... جريا لغاية سؤدد وطراف

شرف العصامين صنع نفوسهم ... من ذا يقيس بهم بنى الأشراف ؟

قل للمشير إلى أبيه وجده ... أعلمت للقمرين من أسلاف ؟

وفى هذا بلاغ ! !.

د. محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾

(الآيات من ١١٠ إلى ١١١)

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ كُنتُمْ ﴾ يصح أن تكون من كان التامة التى بمعنى وجد وهى لا تحتاج إلى خبر فيكون المعنى وجدتم خير أمة أخرجت للناس، ويكون قوله ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ بمعنى الحال.

وبهذا الرأى قال جمع من المفسرين.

ويصح أن تكون من كان الناقصة التى هى ـ كما يقول الزمخشرى ـ عبارة عن وجود الشىء فى زمان ماض على سبيل الإبهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ فيكون المعنى: قدرتم فى علم الله ـ تعالى ـ خير أمة أخرجت للناس.

ويجوز أن تكون بمعنى صار. أى تحولتم يا معشر المؤمنين الذين عاصرتم النبى ﷺ من

جاهليتكم إلى أن صرتم خير أمة.

وقيل: إن «كان» هنا زائدة، والتقدير: أنتم خير أمة. ورد هذا القول بأن كان لا تزاد فى أول الكلام.

والظاهر أن الرأى الأول الذى يقول إن ﴿ كُنتُمْ ﴾ هنا من كان التامة هو أقرب الأقوال إلى الصواب «ويليه الرأى الثانى الذى يرى أصحابه أن ﴿ كُنتُمْ ﴾ هنا من «كان» الناقصة إلا أنها هنا تدل على تحقق شىء بصفة فى الزمان الماضى من غير دلالة على عدم سابق أو لاحق.

والخطاب فى هذه الآية الكريمة بقوله ـ تعالى ـ ﴿ كُنتُمْ ﴾ للمؤمنين الذين عاصروا النبى ﷺ ولمن أتى بعدهم واتبع تعاليم الإسلام إلى يوم الدين.

ولذا قال ابن كثير: والصحيح أن هذه الآية عامة فى جميع الأمة. كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم، كما قال ـ سبحانه ـ فى الآية الأخرى

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

وقد وردت أحاديث متعددة فى فضل هذه الأمة الإسلامية، منها: ما جاء فى مسند الإمام أحمد وفى سنن الترمذى وابن ماجة من رواية حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله ـ تعالى ـ»[1].

والمعنى: وجدتم يا معشر المسلمين العاملين بتعاليم الإسلام وآدابه وسنته وشريعته خير أمة أخرجت وأظهرت للناس، من أجل إعلاء كلمة الحق وإزهاق كلمة الباطل، ونشر الإصلاح والنفع فى الأرض.

وقوله ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ خبر كنتم على أنها من كان الناقصة.

وجملة ﴿ أُخْرِجَتْ ﴾ صفة لأمة، وقوله ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ متعلق بأخرجت، وحذف الفاعل من ﴿ أُخْرِجَتْ ﴾ للعلم به أى: خرجها الله ـ تعالى ـ لنفع الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم.

فالجملة الكريمة تنوه بشأن الأمة الإسلامية وتعلى من قدرها، فهل تعى الأمة الإسلامية هذا التنويه من شأنها وذلك الإعلاء من قدرها فتقوم بدورها الذى اختاره الله لها، وهو نشر كلمة التوحيد فى الأرض وإحقاق الحق وإبطال الباطل شكراً لله ـ تعالى ـ على جعله إياها خير أمة أخرجت للناس؟!.

إن واقع المسلمين الملىء بالضعف والهوان، والفسوق والعصيان يدمى قلوب المؤمنين

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص٣٩١

الصادقين، ويحملهم على أن يبلغوا رسالات الله دون أن يخشوا أحداً سواه حتى تكون كلمته هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى.

ثم بين ـ سبحانه ـ الأسباب التى جعلت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس فقال:

﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

والمعروف: هو كل قول أو عمل حسنه الشرع، وأيدته العقول السليمة، والمنكر بعكسه.

والمعنى: وجدتم خير أمة أخرجت للناس، لأنكم تأمرون بالمعروف أى بالقول أو الفعل الجميل المستحسن فى الشرائع والعقول.

﴿ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ أى كل قول أو فعل قبيح تستنكره الشرائع ويأباه أهل الإيمان القويم، والعقل السليم.

و﴿ وَتُؤْمِنُونَ ﴾ بالله أى تصدقون وتذعنون بأنه لا معبود بحق سواه، وتخلصون له العبادة والخضوع، وتطيعونه فى كل ما أمركم به أو نهاكم عنه على لسان رسوله محمد ﷺ.

فأنت ترى أن الخيرية للأمة الإسلامية منوطة بتحقيق أصلين أساسيين:

● أولهما: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأنهما سياج الدين، ولا يمكن أن يتحقق بنيان أمة على الخير والفضيلة إلا بالقيام بهما، فهما من الأسباب التى استحق بنو إسرائيل اللعنة من أجل تركهما، فقد أخرج أبو داود فى سننه عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول له: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال ﷺ:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

[المائدة: ٧٩]

ثم قال: «كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذون على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا ـ ولتحملنه على اتباع الحق حملا ـ أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم».

● وثانيهما: الإيمان بالله ـ تعالى ـ وبجميع ما أمر الله ـ تعالى ـ بالإيمان به.

هذان هما الأمران اللذان يجب أن يتحققا لتكون هذه الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس لأن الأمة التى تهمل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا تؤمن بالله لا يمكن أن تكون خير أمة، بل لا توصف بالخيرية قط، لأنه لا خير إلا فى الفضائل والحق والعدل، ولا تقوم هذه الأمور إلا مع وجود الإيمان بالله وكثرة

الدعاة إلى الخير والناهين عن الشر، ويكون لدعوتهم آثارها القوية التى تحيا معها الفضائل وتزول بها الرذائل.

وكأنه ـ سبحانه ـ قد أخر «الإيمان بالله» عن «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» ليكون كالباعث عليهما لأنه لا يصبر على تكاليفهما ومتاعبهما إلا مؤمن يبتغى وجه الله ويركن فى كفاحه إليه. فهذا الإيمان بالله هو الباعث للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، على أن يبلغوا رسالات الله، دون أن يخشوا أحدا سواه.

وقيل: إنما أخر الإيمان على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة كما هو الظاهر، لأن الإيمان مشترك بين جميع الأمم دون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فهما أظهر فى الدلالة على الخيرية للأمة الإسلامية.

وجملة

﴿ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾

يجوز أن تكون حالية من ضمير الخطاب فى ﴿ كُنتُمۡ ﴾ ويجوز أن تكون مستأنفة للتعليل، وهذا ما ذهب إليه الفخر الرازى، فقد قال:

«واعلم أن هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية، كما تقول. زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم، وتحقيق الكلام أنه ثبت فى أصول الفقه أن ذكر الحكم مقروناً بالوصف المناسب له يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف فههنا حكم الله ـ بثبوت وصف الخيرية لهذه الأمة. ثم ذكر عقيب هذا الحكم هذه الطاعات أعنى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان، فوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبارات[٢].

وقال الإمام ابن كثير ـ بعد أن ساق بضعة عشر حديثا فى فضل هذه الأمة: فهذه الأحاديث فى معنى قوله ـ تعالى ـ

﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾

فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم فى هذا المدح، كما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رأى من الناس دعة فى حجة حجها فقرأ هذه الآية.

﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾

ثم قال[٣]: من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها»، رواه ابن جرير. ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله:

﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ ﴾

وبعد أن مدح ـ سبحانه ـ هذه الأمة على هذه الصفات شرع فى ذم أهل الكتاب

(٢) تفسير الفخر الرازى ج٨ ص١٩١

(٣) تفسير ابن كثير ج١ ص٣٩٦

وتأنيبهم فقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾

أى بما أنزل على محمد ﷺ

﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ﴾

أى لكان إيمانهم خيراً لهم فى دنياهم وآخرتهم ولنالوا الخيرية التى ظفرت بها الأمة الإسلامية ولكنهم لم يؤمنوا فامتنع الخير فيهم لامتناع الإيمان الصحيح منهم، ولإيثارهم الضلالة على الهداية، فهذه الجملة الكريمة معطوفة على قوله ـ تعالى ـ:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾

.. ومرتبطة بها.

ولم يذكر متعلق ﴿ ءَامَنَ ﴾ هنا لأن المراد لو اتصفوا بالإيمان الذى هو لقب وشعار للإيمان بدين الإسلام الذى أتى به محمد ﷺ، وهو الذى منه أطلقت صفة الذين آمنوا على المسلمين فصار كالعلم بالغلبة.

وقال ـ سبحانه ـ

﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ﴾

أى: لو آمنوا لكان إيمانهم خيراً لهم بدون تفصيل لهذه الخيرية لتذهب نفوسهم كل مذهب فى الرجاء والإشفاق.

ثم أخبر ـ سبحانه ـ بأن قلة من أهل الكتاب اختاروا الإيمان على الكفر فقال ـ تعالى ـ:

﴿ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

أى: من أهل الكتاب أمة آمنت بالله وصدقت رسوله محمد ﷺ واتبعت ما جاء به من الحق وأكثرهم معرضون عن الإيمان بالله وبرسوله ﷺ وخارجون عن الطريق المستقيم الذى أمرت باتباعه الشرائع والعقول السليمة.

فالجملة الكريمة إنصاف للقلة المؤمنة التى آمنت من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره ممن دخل فى الإسلام. وذم لأكثر أهل الكتاب الذين جحدوا الحق. وخرجوا عن الطريق القويم.

وقوله:

﴿ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، فهى جواب للجملة الشرطية التى قبلها. فكأنه قيل: هل منهم من آمن أو كلهم على الكفر؟. فكان الجواب: منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون.

وعبر عن كفرهم بالفسق، للإشعار بأنهم قد فسقوا فى دينهم أيضاً فهم ليسوا عدولاً فيه، وبذلك يكونون قد خرجوا عن الإسلام وعما أوجبته عليهم كتبهم من الإيمان بمحمد ﷺ.

ثم بشر الله ـ تعالى ـ المؤمنين، بأن هذه الكثرة الفاسقة من أهل الكتاب التى عتت عن أمر ربها وناصبت المؤمنين العداء، لن تضرهم ضرراً بليغاً له أثر ما دام أهل الإيمان مستمسكين بدينهم ومنفذين لتعاليمه وآدابه، فقال ـ سبحانه ـ:

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾

أى «لن يضركم أهل الكتاب يا معشر المؤمنين إلا ضررا يسيرا، كأن يؤذوكم بألسنتهم ويلقوا الشبه بينكم ليصدوا من ضَعُفَ إيمانه عن الحق، وفى هذا تثبيت للمؤمنين، وطمأنينة لقلوبهم، إذ الضرر الذى يصيب الأمة الإسلامية من أعدائها على قسمين:

- أولهما: ضرر يؤدى إلى هدم كيان الأمة، وإضعاف قوتها وإهدار كرامتها وجعل أمورها فى أيدى أعدائها تصرفها كيف شاء.
- وثانيهما: ضرر لا يؤثر فى كيان الأمة، ولا يؤدى إلى اضمحلال قوتها كالأذى بالقول، أو محاولة التأثير فى ضعاف الإيمان.

وقد نفى ـ سبحانه ـ أن يلحق المؤمنين ضرر يأتى على كيانهم من جهة أهل الكتاب فقال:

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾

فأوقع الفعل المضارع فى حيز لن المفيدة للنفى ـ للإشارة إلى أن ذلك لا يكون فى المستقبل.

ولكن هذا النفى لهذا النوع من الضرر مشروط بمحافظة الأمة الإسلامية على الأصلين السابقين وهما «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله».

فإذا أرادت أمة الإسلام ألا تصاب من جهة أهل الكتاب بما يأتى على كيانها، فعليها أن تخلص العبادة لربها، وأن تعمل بسنة نبيها، وأن تتقيد بأحكام كتابها، وأن تباشر الأسباب التى شرعها خالقها للنصر على أعدائها.

أما إذا تركت أمة الإسلام ما أمرها الله ـ تعالى ـ به وتجاوزت ما نهاها عنه فإنها فى هذه الحالة قد تصاب من أعدائها بما يؤثر فى كيانها وتكون هى الجانية على نفسها بمخالفتها لأوامر الله ونواهيه.

هذا، وأكثر العلماء على أن الاستثناء فى قوله:

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾

متصل وأنه استثناء مفرغ من المصدر العام كأنه قيل: «لن يضروكم ضررا البتة إلا ضرر أذى لا يبالى به من كلمة سوء ونحوها.

وقيل هو استثناء منقطع لأن الأذى ليس من الضرر: أى لن يضروكم بقتال وغلبة ولكن بكلمة أذى ونحوها.

ورجح الأول، لأن الكلام إذا أمكن حمله على الاستثناء الحقيقى لم يجز صرفه عن ذلك إلى الاستثناء المنقطع وهنا الأذى مهما قل هو نوع من الضرر وإن لم يترك أثرا.

ثم بشر الله ـ تعالى ـ المؤمنين ببشارة أخرى فقال:

﴿ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾

تولية الأدبار: كناية عن الهزيمة لأن المنهزم يحول ظهره ودبره إلى جهة الذى هزمه هربا إلى ملجأ يلجأ إليه ليدفع عن نفسه القتل أو الأسر.

والمعنى، أن أهل الكتاب لن يضروكم يا معشر المؤمنين إلا ضررا يسيرا لا يبقى أثره

فيكم ـ ما دمتم مستمسكين بدينكم ـ، فإن قاتلوكم وأنتم على هذه الحال، أمدكم الله بنصره، وألقى فى قلوبهم الرعب فيولونكم الأدبار انهزاما منكم، ثم لا يُنْصَرون عليكم بل تُنْصرون أنتم عليهم.

والتعبير عن الهزيمة بتولية الأدبار، فيه إشارة إلى جبنهم وأنهم يفرون فرارا شديدا بذعر وهلع.

وهكذا كان الشأن فى قتال المسلمين الأولين لأعداء الله وأعدائهم، فلقد قاتل المؤمنون اليهود من بنى قينقاع والنضير وقريظة وأهل خيبر فانتصر المسلمون عليهم انتصارا باهرا.

وقاتلوا جموع الروم فى بلاد الشام وفى مصر، فكان النصر المؤزر حليفا للمسلمين مع قلتهم وكثرة أعدائهم.

وقوله: ﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ احتراس.

أى: يولونكم الأدبار تولية المنهزم، لا تولية المتحرف لقتال أو المتحيز إلى فئة أو المتأمل فى الأمر.

والتعبير بـ﴿ ثُمَّ ﴾ لإفادة التراخى فى المرتبة: لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليهم الأدبار.

وهذه الجملة خبرية وهى معطوفة على جملتى الشرط وجزائه معا، للإشعار بأن هذا ديدنهم، وأنهم لن ينتصروا على المسلمين لا فى قتال ولا فى غيره، مادام المسلمون مستقيمين على الطريقة التى رسمها الله ـ تعالى ـ لهم.

وقد وضح هذا المعنى صاحب الكشاف فقال: فإن قلت: هلا جزم المعطوف فى قوله:

﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾

قلت: عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء كأنه قيل أخبركم أنهم لا ينصرون.

فإن قلت: فأى فرق بين رفعه وجزمه فى المعنى؟. قلت: لو جزم لكان النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الأدبار وحين رفع كان نفى النصر وعدا مطلقا كأنه قال: ثم شأنهم وقصتهم التى أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر، وكان كما أخبر من حال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر فإن قلت: فما الذى عطف عليه هذا الخبر؟. قلت :جملة الشرط والجزاء كأنه قيل: أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا، ثم أخبركم أنهم لا ينصرون. فإن قلت: فما معنى التراخى فى ثم؟. قلت: التراخى فى المرتبة، لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار فإن قلت: ما موقع الجملتين، أعنى ﴿ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ و﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ ﴾ قلت: هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند إجراء ذكر أهل الكتاب، كما يقول القائل: وعلى ذكر فلان فإن من شأنه

كيت وكيت ولذلك جاءا من غير عطف »[٤].

فأنت ترى الآية الكريمة قد بشرت المؤمنين الصادقين ببشارات ثلاث :

- أولها : أنهم فى مأمن من الضرر البليغ الذى يؤثر فى كيانهم وعزتهم وكرامتهم من جهة أهل الكتاب.
- ثانيها : أن أهل الكتاب لو قاتلوهم، فإن المؤمنين سيكون لهم النصر عليهم.
- ثالثها : أنهم بعد نصرهم عليهم لن تكون لأهل الكتاب ـ وعلى رأسهم اليهود ـ شوكة أو قوة للأخذ بثأرهم بعد ذلك.

وقد تحققت هذه البشارات، وكانت كما أخبر الله ـ تعالى ـ فإن المسلمين الأولين الذين كانوا متمسكين بتعاليم دينهم نصرهم الله ـ تعالى ـ على أهل الكتاب وعلى غيرهم من أعدائهم نصرا مؤزرا ـ كما سبق أن أشرنا ـ.

فإن قال قائل : ولكن الذى نراه الآن أن اليهود الذين لا يمارى أحد فى جبنهم وفى حرصهم على الحياة قد انتصروا على المسلمين وأقاموا لهم دولة فى بقعة من أعز بقاع البلاد الإسلامية وهى فلسطين، فهل يخلف وعد الله ؟.

والجواب على ذلك. أن وعد الله ـ تعالى ـ لا يخلف ولن يتخلف وقد حققه ـ سبحانه ـ لأسلافنا الصالحين الذين آمنوا به حق الإيمان.

ولكن المسلمين فى هذا العصر هم الذين تغيرت أحوالهم، فقد فرطوا فى دينهم وأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وتفرقوا شيعًا وأحزابًا وتنكبوا الطريق القويم ولم يباشروا الأسباب التى شرعها الله ـ تعالى ـ لبلوغ النصر، ولم يحسنوا الشعور بالمسئولية.

فلما فعلوا ذلك تبدل حالهم من الخير إلى الشر، ومن القوة إلى الضعف. وسلط الله عليهم من لا يخافهم ولا يرحمهم، لأنه ـ سبحانه :

﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

[الرعد : ١١]

وإذا ما عاد المسلمون إلى دينهم فطبقوا أوامره ونواهيه على أنفسهم تطبيقا كاملا، فإن الله ـ تعالى ـ سيعيد لهم كرامتهم وعزتهم وقوتهم

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[الحج ٤٠]

ومن هنا نعلم أن الشرط فى نفى الضرر الذى يؤثر فى الأمة الإسلامية، هو أن تكون مؤمنة بربها حق الإيمان متبعة لهدى رسولها محمد ﷺ.

---

(٤) تفسير الكشاف ج١ ص٤٠١

السنة:

هدية الإسراء والمعراج

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

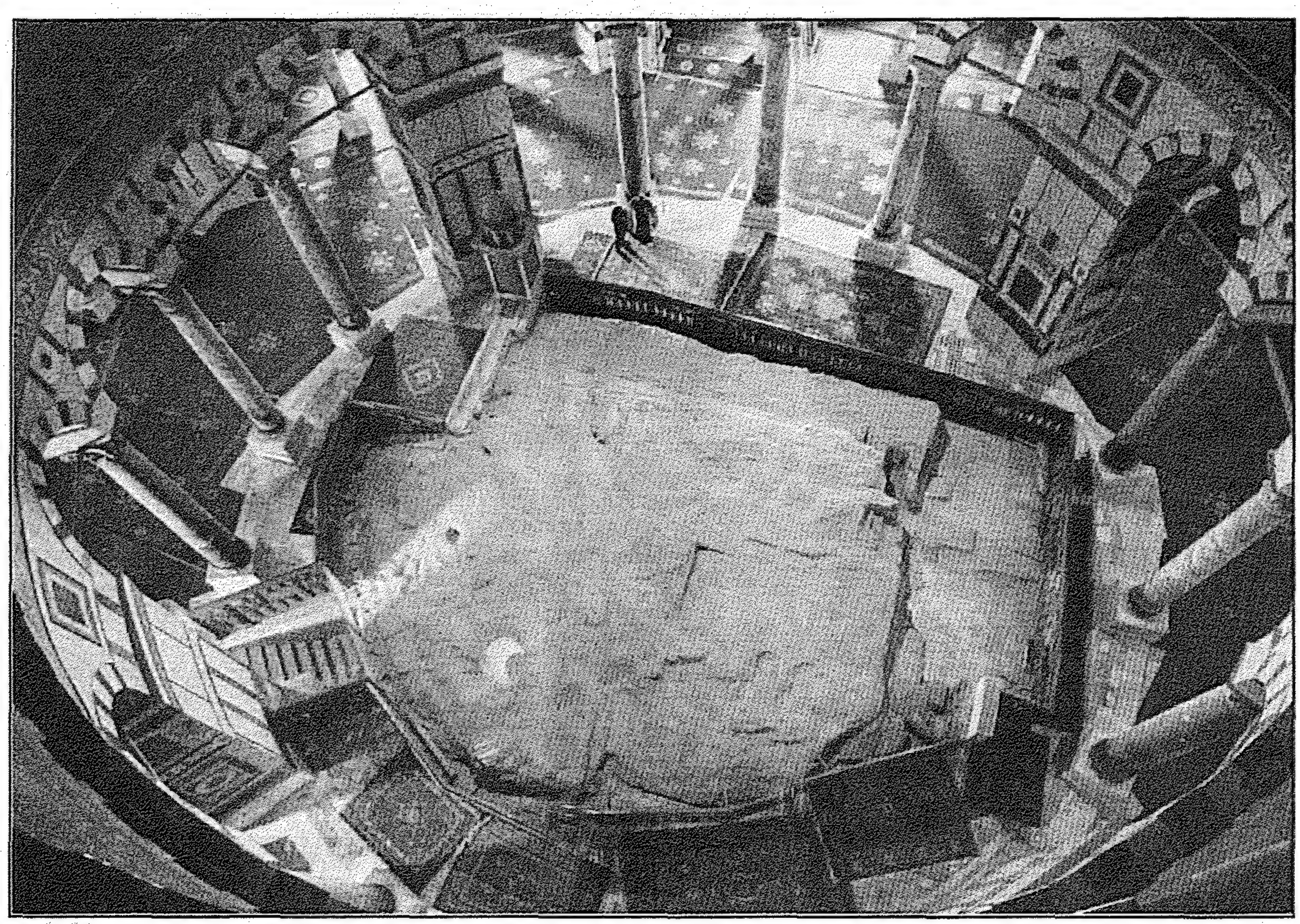
عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال: «فرضت على النبى ﷺ» الصلوات ليلة أسرى به خمسين، ثمّ نقصت حتى جُعلت خمساً، ثمّ نودى: يا محمد، إنه لا يبدّلُ القول لدىّ، وإنّ لك بهذه الخمس خمسين.

- رواه أحمد والنسائى والترمذى وصححه

التعريف بالراوى

هو أنس بن مالك بن النضر الأنصارى الخزرجي النجارى من بنى عدى بن النجار، خادم رسول الله ﷺ، كان يتسمّى به ويفتخر بذلك، وكان يكنى أبا حمزة، كنّاه النبى ﷺ ببقلة كان يجتنيها، وأمه أم سليم بنت ملحان.. وكانت له ذؤابة، فأراد أن يجزها فنهته أمه، وقالت: كان النبى ﷺ يمدّها ويأخذ بها، وداعبه النبى ﷺ فقال له: (ياذا الأذنين) - رواه أبو داود، وصححه الألبانى.

وهو من المكثرين فى الرواية عن رسول الله «ﷺ»، روى عنه ابن سيرين وقتادة والحسن البصرى، والزهرى، وخلق كثير، وكان عنده عصية لرسول الله «ﷺ» فلما مات أمر أن تدفن معه، فدفنت معه بين جنبه وقميصه، ودعا له الرسول «ﷺ» بكثرة المال والولد، فولد له من صلبه ثمانون ذكراً وابنتان هما حفصة وأم عمرو، ومات وله من ولده



الصخرة الشريفة

وولد ولده نحو مائة أو يزيد وكان أحد الرماة المصيبين.

وهو آخر من توفى بالبصرة من الصحابة عن عمر ناهز المائة (رضى الله عنه وأرضاه).

اللغويات

● أسرى به: من الإسراء، وهو سير الليل.

● ما يبدّل القول لدىّ: ما يزاد فى القول، ولا ينقص؛ لعلمى بالغيب.

● وإن لك بهذه الخمس خمسين: المراد أنها خمس فى العدد، خمسون فى الأجر والاعتداد.

الشرح والبيان

يستقبل المسلمون فى كل عام ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، وقد شاع بينهم أنها الليلة التى أسرى فيها بالنبى (صلوات الله وسلامه عليه) من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالشام، ثم عرج به إلى السماوات السبع واحدة فواحدة، إلى الملأ

الأعلى، إلى سدرة المنتهى[1] إلى حيث سمع صريف الأقلام، ورأى البيت المعمور، ومن ثمّ فهم يحتفلون بهذه الليلة من كل عام، ويطيب لهم أن يسمعوا ما يتصل بهذا الحدث العظيم الذى غيَّر وجه التاريخ، وأسعد الإنسانية جمعاء، وكيف لا ؟ وهو درس من دروس التربية والتوجيه، له أثره العظيم الفعَّال فى تربية النفوس، وصنع الرجال.

هدية إيمان وجائزة رضوان

فلنذكر به فضل الله (سبحانه) على نبيه «ﷺ» الذى جاهد فى تثبيت هذا الدين ليُسعد الإنسانية به، حتى أنه ضحى فى سبيله بكل ما يملك، واستعمل كل الوسائل الممكنة، ولما أعيته الحيل، وغلبته قريش على أمره، وقعدت له كل مرصد، كرّمه ربه بحادثة الإسراء على صبره، وجزاه خير الجزاء على تحمله، فرفعه إلى درجة لم يصلها أحد من خلقه، لا من النبيين، ولا الملائكة المقربين، وقدّم له أرض الشام أرض فلسطين هدية إيمان، وجائزة رضوان، فأسرى به ليلاً من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بفلسطين، وقد سجل القرآن الكريم ذلك قال تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

[الإسراء : ١]

ووصل الرسول «ﷺ» إلى المسجد الأقصى تكلؤه العناية الربانية، وتشمله الرعاية الإلهية، وفى المسجد الأقصى جمع الله له الأنبياء من لدن آدم ـ عليه السلام إلى عيسى بن مريم (عليه السلام)؛ ليكونوا فى استقبال خاتم الأنبياء والمرسلين، كذلك جمع الله له الملائكة للترحيب بإمام النبيين، وسيد المرسلين، ومن ثمّ تسلمّ النبى محمد «ﷺ» الراية، وأعطى الزعامة والإمامة؛ إذ قدمه جبريل (عليه السلام) فصلى بهم إماماً، ورحب به الأنبياء؛ آدم (عليه السلام). ثم (عيسى) عليه السلام، وبادلهم رسول الله «ﷺ»، فوقف وقال: «الحمد لله الذى شرح لى صدرى، ووضع عنى وزرى، ورفع لى ذكرى، وجعلنى مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر، وجعلنى خاتماً للنبيين، فقام خليل الله إبراهيم (عليه السلام) فقال: (بهذا فضلكم محمد) ﷺ، وقد تناول هذا المعنى الشاعر وأنشد:

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكة
والرسل فى المسجد الأقصى على قدم

---

(١) شجرة ينتهى عندها علم الملائكة.



واحدة من شهداء العدوان الإسرائيلى الهمجى على فلسطين

لما خطرت به التفوا بسيدهم
كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذى خطر
ومن يفز بحبيب الله يأتمم

أرض الإسراء تستغيث

وبهذا الموكب العظيم تمّ الاحتفاء بالنبى الكريم ، والرسول العظيم « ﷺ » فى المسجد الأقصى، ولن يكون للذكرى أثرها الفعّال، ووحيها العطر، ووجهها المشرق والمسجد الأقصى تحت سيطرة الصهيونية الغاشمة، التى استحلت حرماته، واستبدت بأهله، واستباحت مقدساته، واجتاحت فى الأيام الأخيرة قطاع غزة، وروّعت الآمنين، وهدّمت كثيراً من البنيان، وقضت على معظم البنية التحتية، وقوضت أركان الجسور التى تربط المدينة، وأحالت المدينة إلى ظلام حالك بضرب مولدات الكهرباء، وكلّ ذلك مقابل أسر جندى، واحد من جنود إسرائيل، وقد أسرت فى المقابل عدداً من الوزراء والنوّاب، وأخذ الفلسطينيون يستغيثون فلا مغيث، ويطلبون الحماية والدعم فلا مجيب، فهل يتكاتف المسلمون عامّة فى مشارق الأرض ومغاربها والعرب خاصة لتحرير أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى رسول الله « ﷺ » ؛ إذا حدث ذلك (وما ذلك على الله بعزيز) عاد للذكرى جلالها فى الاحتفال بها.

ثمّ عرج به « ﷺ » إلى السماوات وظل يرقى من سماء إلى سماء وبهذا انفرد عن سائر الأنبياء، وقد أنشد الشاعر :

كيف ترقى رقيك الأنبياء
ياسماء ماطاولتها سماء؟
لم يساووك في علاك
وقد حال سناً منك دونهم وسناء
إنما مثّلوا صفاتك للناس
كما مثل النجوم الماء

وهكذا كرّم الله (سبحانه) نبيّه « ﷺ » بما لم يكرّم به نبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرباً :

حتى بلغت سماء لا يطار لها
بجناح ولا يسعى على قدم
وقيل : كلّ نبيّ عند رتبته
ويا محمد، هذا العرش فاستلم

ووقف جبريل (عليه السلام) عند هذا الحد، وقال «تقدم يا محمد، فقال النبى ﷺ : أفي هذا المكان يترك الحبيب حبيبه؟! فقال : تقدم، فليس لى أن أتقدم، فلو تقدمتُ احترقت، ولو تقدمتَ اخترقت فتقدم النبى « ﷺ »، وما زال يرتقى، ويرتفع، ويزج به فى الأنوار، ومكامن الأسرار بين صلوات الملائكة، وفى هالة من الإشراق، والأضواء حتى أدناه ربه من الحضرة القدسية (فكان قاب قوسين و أدنى).

التشهد

ـ عندها قال النبى « ﷺ » : (التحيات لله والصلوات الطيبات)، فقال ربّ العزّة (عزّ وجلّ) : (السلام عليك أيّها النبى ورحمة الله وبركاته)، قال النبى « ﷺ » : (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)، فقالت الملائكة : (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله).

هذا ولما قال أصحاب النبى (رضوان الله عليهم) للنبى « ﷺ » : (لقد علمتنا كيف نسلّم عليك، فكيف نصلى عليك؟) قال « ﷺ » : (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد)«[٢]».

ومن يومها ونحن نصلي بهذا التشهد فى كلّ صلاة ـ فرضاً أو نفلاً ـ ولا خلاف بين أهل العلم وجماعة أهل السير أن الصلاة إنما فرضت بمكة ليلة الإسراء حين عُرج بالنبى « ﷺ » إلى السماء، وذلك منصوص فى

(٢) موطأ مالك - رواية يحيى الليثى ج١/ ١٦٥.

الصحيح وغيره، وقد هبط جبريل (عليه السلام) صبيحة ليلة الإسراء والمعراج على النبى « ﷺ » فعلمه الصلاة ومواقيتها وعدد ركعاتها وكيفية أدائها، وبأدائها فى أوقاتها نحيى هذه الذكرى فى كل وقت.

مكانة الصلاة

فالصلاة هى الهدية التى عاد بها النبى « ﷺ » من رحلة المعراج إلى الأمة فكانت الفريضة الوحيدة التى فرضها ربّ العزة (عزّ وجلّ) فى أحلى لحظات التجلى، وفى كوكبة من الملأ الأعلى، وفى جذوة من النور والإشراق، تنويهاً بشأنها، ورمزاً لمكانتها، وإنه لمن الملاحظ أنّ رحلة الإسراء بدأت بالمسجد الحرام، وانتهت بالمسجد الأقصى، وأنّ الهدية التى عاد بها النبى « ﷺ » من رحلة المعراج للأمة هى الصلاة، والتى من أجلها تبنى المساجد التى قال فيها رب العالمين:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[النور: ٣٦ - ٣٨]

فمن شاء من الناس أن يُسرى به ربه، وأن تعرج به ملائكة الرحمة، وأن يتقبل الله منه ما يقدمه من عمل صالح، وعلم نافع - فليحافظ على الصلوات الخمس فى مواقيتها، مستكملة الأركان مستوفاة الشروط، وأن يؤديها فى خشوع كامل، وخضوع تام، لأن روح الصلاة خشوعها، قال تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

[المؤمنون: ٢،١]

وليدم مناجاة ربه بها، إذ هى الصلة التى تصل الخلق بالخالق، وتصلح الأرض مع السماء، وتجلب من الله القرب والرضوان، قال « ﷺ »: (إذا كان أحدكم يصلى فإنما يناجى ربّه، وربُّه بينه وبين القبلة)«٣»، وقال: (إنّ الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته ما لم يلتفت)«٤».

وكيف لا؟ وللصلوات على سائر الشرائع ميزات عظيمة: منها أنها فرضت فى السماء دون سائر الفرائض.. وفرضت من الله - تعالى - لرسوله بلا واسطة، بينما غيرها بواسطة الملك.. كما أنها فرضت خمسين صلاة، ثمّ حصل التخفيف فى عددها إلى خمس، وبقى

---

(٣) صحيح البخارى ج١٤١/١

(٤) مسند الإمام أحمد ج٢٠٢/٤.

ثواب الخمسين في الخمس.. أضف إلى هذا وذاك أنها الركن الثانى من أركان الإسلام، فلا يقوم الدين إلا عليها، ولا يكتمل إلا بها بعد التوحيد.. كما أنها تجب على كل مكلف، فلا تسقط، حتى عن المريض، والخائف، والمحارب إلخ. وهى ثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وقد قال «ﷺ»: (عُرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم؛ شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان)[٥].

نور ونجاة

وتارك الصلاة على خطر عظيم؛ فقد جاء فى الحديث الشريف عن عبدالله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) أن رسول الله «ﷺ» ذكر الصلاة فقال: (من حافظ عليها كانت له نوراً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور، ولا برهان، ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف) ـ رواه أحمد وقال معلقاً عليه: من تركها بسبب جمع المال حشر مع قارون، ومن تركها بسبب السلطان حشر مع فرعون، ومن تركها بسبب السياسة حشر مع هامان، ومن تركها بسبب الجدل والخصام حشر مع أبى بن خلف؛ لأنه كان يجادل رسول الله «ﷺ» فى شأن البعث، فلم يكن عجباً والحال هذا أن يتوقف قبول العمل عند الله على قبول الصلاة، قال «ﷺ»: (أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله)[٦]، وما ذلك إلا لكونها وضعت على أكمل وجوه العبادة وأحسنها، ولجمعها ما تفرّق من العبودية، وتضمينها أقسامها وأنواعها، فهى تكبير لله، وتحميد له، وثناء عليه، وفيها يتلو المصلى كتاب الله، ويصلى ويسلم على رسول الله «ﷺ» وعلى آله، كما أن فيها دعاء للحاضرين، وجميع عباد الله الصالحين، وهى قيام وركوع وسجود وجلوس وخفض ورفع، فكل عضو فى البدن، وكل مفصل فيه له من هذه العبادة حظه، ورأس ذلك كله القلب الحاضر.

فرضها الله ـ تعالى ـ على عباده؛ ليذكرّهم بحقه، وليستعينوا بها على تخفيف ما يلقونه من مشاق هذه الحياة الدنيا، والمجتمع الإنسانى بحاجة ماسة ملحة إلى قوة إيمان ترفع نفسية أفراده على وجه الاستمرار إلى المثل العليا، لئلا يرتبط المجتمع بالحاجات المادية، والمصالح

---

(٥) مجمع الزوائد ح١/٤٧

(٦) سند أبى داود ٨٦٤ بلفظ مختلف

الشخصية التى تؤدى إلى الفساد، والإفساد، كما أن الصلاة طمأنينة فى القلب عند المصائب، وراحة للضمير عند النوائب، وقد دعانا الله (عزّ وجل) إلى أن نستعين بها عند الملمات والمصائب ومشاق الحياة، فقال تعالى:

﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾

[البقرة: ٤٥]

وقال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾

[البقرة: ١٥٣]

ـ كما أن الصلاة تحول بين المصلى، وبين ارتكاب ما حرّم الله (عز وجل)، فالمصلى الخاشع دائماً أبداً يستحضر عظمة ربه، وسلطان خالقه، فلا يجرؤ على مخالفته، ولا يدخر وسعاً فى تقديم ما يرضيه (سبحانه)، فلا يراه ربه حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره وهو دائماً أبداً فى صفوف المخبتين الطائعين بعيد كل البعد عن اللاهين العابثين، لا يرضى لنفسه أن يتواجد فى موضع شبهة ولا يقبل على نفسه أن يقع فى معصية. قال تعالى:

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾

[العنكبوت: ٤٥]

كفارة للذنوب

كما أن الصلاة كفارة للذنوب، ومحو للخطايا:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾

[هود: ١١٤]

ولقد روى البخارى عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال: كنت عند النبى «ﷺ» فجاءه رجل، فقال: يا رسول الله، إنى أصبت حداً فأقمه على، ولم يسأله عنه ـ أى لم يستفسره ـ قال: وحضرت الصلاة، فصلى مع النبى «ﷺ»، فلما قضى النبى «ﷺ» الصلاة قام إليه الرجل، فقال: يا رسول الله، إنى أصبت حداً فأقم فى كتاب الله، قال: أليس قد صليت معنا؟ قال: نعم، قال: فإن الله قد غفر لك ذنبك، أو قال: حدك).. ألستم معى والحال هذا ـ أنّ تكرار الصلاة فى اليوم والليلة خمس مرات تطهير روحى للمسلم من غفلات قلبه، وزلات لسانه، ومقترفات جوارحه..

وفقنا الله لأدائها كما يحبّ ويرضى.

***

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

مشاهد من رحلة الإسراء والمعراج

لفضيلة الشيخ/
عمر الديب محمود
وكيل الأزهر الشريف

إن الله سبحانه وتعالى حينما أرسل رسوله محمداً ﷺ إلى الأنام برسالة تكمل الرسالات السماوية السابقة، لتكون هذه الرسالة هى آخر الرسالات السماوية الصالحة لكل زمان ومكان، فيها ما يصلح شأن البشرية ويحقق الأمن والسلام العالمى لجميع البشر، وجعل نبيه ورسوله محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ليقوم بتلك المهمة التى شرفه الله تعالى بالقيام بأعبائها مهمة تبليغ تلك الرسالة ليقول لهم:

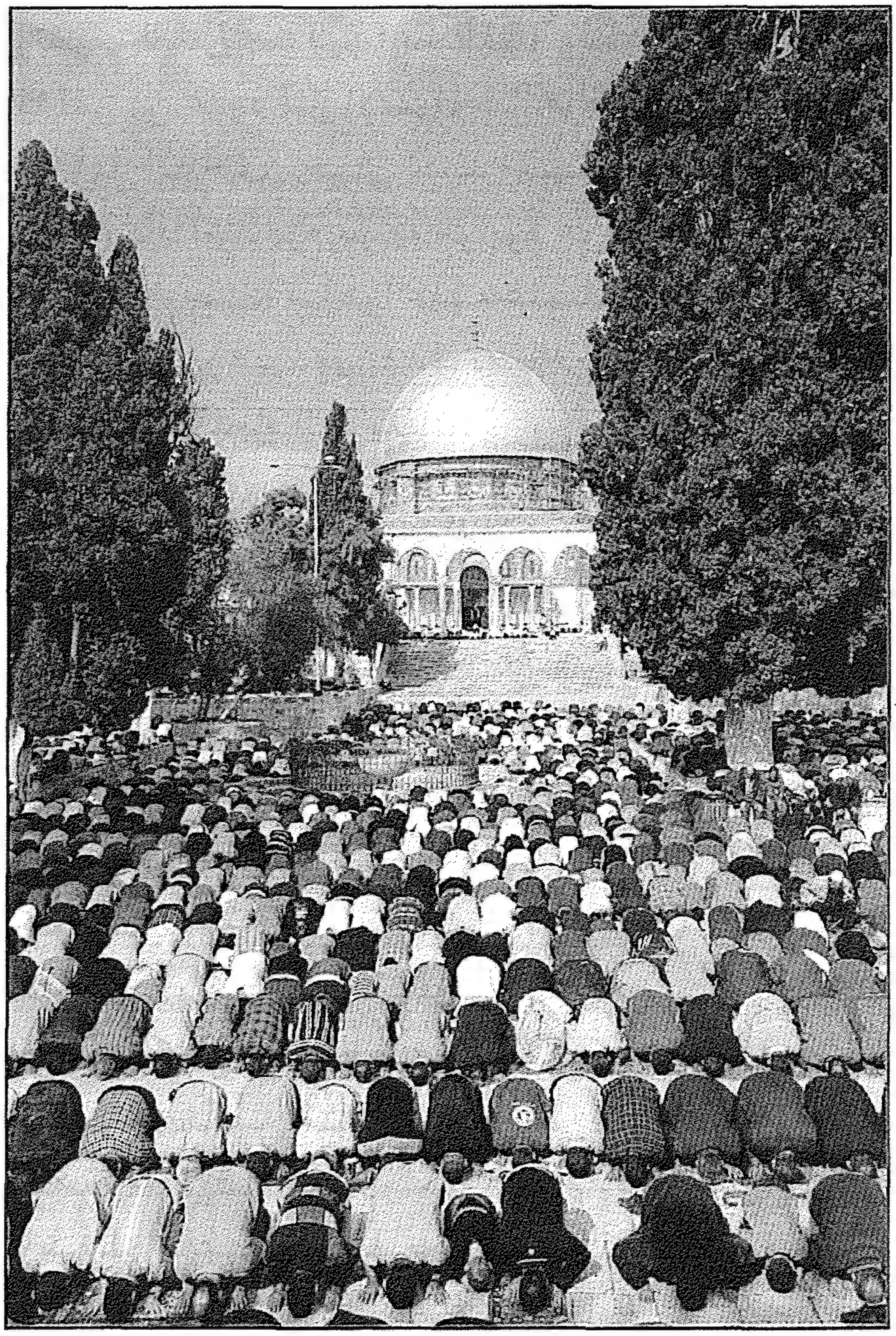
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

[الأعراف: ١٥٨]

وقد أيده الله ـ سبحانه وتعالى ـ بكثير من المعجزات المادية والمعنوية، وكانت معجزة الإسراء والمعراج بين تلك المعجزات المادية الخالدة أبد الدهر، لتشهد على صدق تلك الرسالة ولتعلن للبشرية جمعاء أن محمداً رسول الله، وأن الدين الذى جاء به هو الدين الحق.

ولو نظرنا إلى معجزة الإسراء والمعراج لوجدنا فيها مشاهد كثيرة منها: -

- المشهد الزمانى.
- المشهد المكانى.
- المشهد الإيمانى.



- مشهد انطلاق الدعوة.
- مشهد الحفاوة والتكريم.
- مشهد العبرة والعظات.

المشهد الزمانى

فقد كان زمانها فى عام سمى بعام الحزن فقد فيه الرسول ﷺ زوجه السيدة خديجة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ وعمه أبا طالب، فقد مات أبو طالب هذا السند القوى وذلك الركن العظيم فنالت منه قريش ما نالت، ويقول الرسول (ﷺ): «ما نالت منى قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب» كذلك ماتت خديجة التى آمنت به حين كذبه الناس وواسته بنفسها ومالها ووقفت بمثاليتها الإيمانية تناصر الرسول وتنتصر لدعوته الحبيبة، ماتت بحنانها ومواساتها ومناصرتها.. ماتت التى أيدته فى أحلك الأوقات وكانت تعينه على تبليغ دعوته وتشاطره همومه، وانتهزت قريش الفرصة فضاعفت من إيذائها واضطهادها للرسول وللمسلمين.

المشهد المكانى

عندما اشتد أذى المشركين لم يجد ﷺ بداً من أن يرتحل إلى الطائف لعله يلتمس فيها عوناً، أو لعله يجد من أهلها ناصراً ومعيناً ولم تكن الأحوال فيها بأيسر مما كانت فى مكة، وكأنه قد استجار من الرمضاء بالنار وكان قد لجأ إلى الطائف

وثقيف لعله يجد فيها متنفساً، ولكنه ما لقى من عدوه قبل الإسراء مثل ما لقيه من أهل الطائف، حتى لقد اعترف (ﷺ) بأن أشد يوم مر به هو يوم عودته من ثقيف حيث سلطوا عليه غلمانهم وسفهاءهم وعبيدهم يقذفونه بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان.

مشهد إيماني

عندما اشتد الأذى برسول الله ﷺ أثناء عودته من ثقيف لجأ إلى ظل شجرة في يوم قائظ واسترجع تاريخ الدعوة ثم لجأ إلى ربه رافعاً أكف الضراعة قائلاً: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب العالمين، وأنت ربى إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك غضب علىَّ فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك، أو يحل علىَّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»(1).

وقد استجاب الله لرسوله هذا الدعاء فانتقل تاريخ الدعوة بهذا الدعاء الذى وصل الأرض بالسماء انتقل من مصاعب ومشاق إلى بُشريات تتوالى واحدة بعد الأخرى.

مشهد انطلاق الدعوة

من تلك البُشريات التى بشرت بانطلاق تلك الدعوة وانتشارها لتعم المعمورة كلها كانت معجزة الإسراء والمعراج فكانت تطييباً لقلب النبى (ﷺ) وتعزية لمشاعره وتحقيقاً لرجائه فى ربه وكأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أراد أن يقول لرسوله (ﷺ) لئن ضيق عليك قومك الأرض بما رحبت فها نحن نفتح لك أقطار السماوات والأرض نفتح أمامك أقطار الأرض فى مسراك ونخترق بك طبقات الأفق فى معراجك.

والدعوة لم تنتكس بعد الإسراء والمعراج وإنما كانت تحقق نصراً بعد نصر بلقاء القبائل العربية فى موسم الحج والتمهيد للهجرة الكبرى بلقائه (ﷺ) بالأنصار سنتين متتاليتين ثم كانت الهجرة النبوية الشريفة التى شطرت تاريخ الدعوة شطرين كبيرين إن كان أولهما بمثابة الحرث والزرع فإن ثانيهما كان بمثابة الحصاد والجنى وتلك سنة الله فى خلقه:

---

(1) مجمع الزوائد ج ٦/٣٥

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾

[فاطر : ٤٣]

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الروم : ٤٧]

مشهد الحفاوة والتكريم

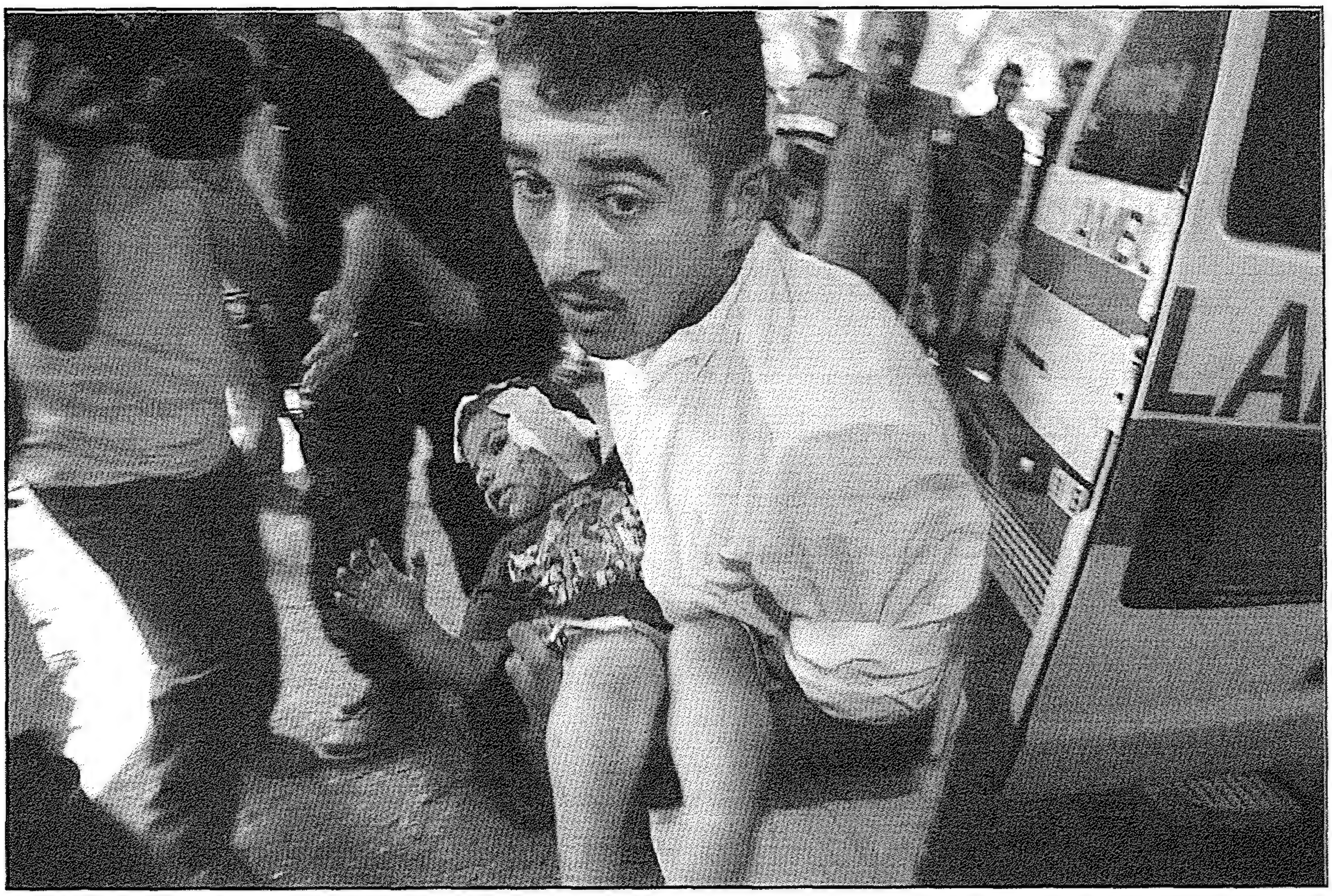
كانت رحلة الإسراء إلى بيت المقدس إيذاناً ببدء مرحلة جديدة من مراحل الدعوة، فقد أسرى بالرسول (ﷺ) من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بفلسطين في بيت المقدس، وكانت صلاته بالأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى السلام إماماً، مبايعة له وإعلاناً لهيمنة الإسلام على هذه البقاع الطاهرة التى يدنسها اليهود الآن ويحاولون أن يهدموا هذا المسجد الذى يعده المسلمون من أقدس مقدساتهم فهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وهم يزعمون أن هذا المسجد أقيم فوق هيكل سليمان وفى زعمهم أنه لابد من إزالة هذا المسجد وإقامة الهيكل فى مكانه ومن العجب أن بعض الأفاقين والمنافقين دعاة السلام المزعوم، وهم أشد ما يكونون بعداً عنه ينادون ببناء الهيكل فى مكانه الأصلى حتى يعود الوفاق والسلام، وهذه دعوة خبيثة مقصود بها هدم المسجد الأقصى وإن كانوا لا يصرحون فى دعوتهم بذلك ولكن يقولون: نبنى هيكل سليمان فى مكانه الأصلى..

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾

[الكهف : ٥]

إن المسجد الأقصى أصبح ملكاً للمسلمين وعلى جميع المسلمين اتخاذ كافة الوسائل للحفاظ على هذا المسجد وعمارته، لأنه مسرى نبيهم ﷺ وقد صلى فيه بجميع الأنبياء والمرسلين.

ثم يصعد الرسول ﷺ إلى سدرة المنتهى ليشهد أعظم تكريم إلهى لم يشهده بشر، وفى عالمنا المعاصر عندما يأتى رئيس دولة أو شخص مهم يكون معه رئيس بعثة الشرف ولقد كان رئيس بعثة الشرف مع سيدنا محمد ﷺ هو جبريل عليه السلام، لقد صاحب الأمين جبريل الأمين محمد فى رحلته ومعراجه إلى السماوات العلا فكان يستفتح له كل سماء ويسلم على أهلها حتى رفع إلى سدرة المنتهى حيث توقف جبريل أمين الوحى وقال يا رسول الله" «هنا يفارق الحبيب حبيبه وما منا إلا له مقام معلوم. لو تقدمت خطوة لاحترقت.. تقدم يا محمد فتقدم ﷺ فدنا من ربه ـ سبحانه وتعالى ـ حتى كان قاب قوسين أو أدنى حيث سمع صرير الأقلام فأوحى إلى عبده ما أوحى وفرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة فى اليوم والليلة، ثم



أطفال فلسطين ضحايا الوحشية الإسرائيلية

خففت إلى خمس في العمل خمسين في الأجر ، وفى هذا تكريم للنبى ﷺ ما بعده تكريم ، فبينما كلم موسى عليه السلام ربه من فوق جبل الطور دون أن يراه نجد أن الرسول ﷺ يقربه ربه ويرفعه إلى سدرة المنتهى حيث المكان الذى لم يصل إليه ملك مقرب ولا نبى مرسل ولأول مرة يجتمع جميع الأنبياء ليبايعوا نبياً مثلهم ويصلوا خلفه ولأول مرة تكشف الحجب لبشر ويرفع إلى السماوات العلا ويرى من آيات ربه الكبرى ولم يكن ذلك لأحد قبل أو بعد رسول الله ﷺ .

مشهد العبرة والعظات

إن معجزة الإسراء والمعراج بجانب أنها كانت تسرية للنبى ﷺ وتكريماً له ، كانت بمثابة إعلان لهيمنة الإسلام علي هذه الأرض المقدسة ، مهبط الوحى ومهد الرسالات ، ومنذ هذا التاريخ كانت تلك الأرض تحت رعاية المسلمين ، يعمرها الإسلام ويعلى فيها شأن الوحدانية ، حتى كانت النكبة على يد هذا الجيل من المسلمين ، حيث احتل اليهود فلسطين ووقع المسجد الأقصى أسيراً فى يد اليهود تعبث به معاولهم بحجج كثيرة

باطلة يريدون تبرير ما يقومون به من نهب وسلب لأراضي وأموال المسلمين!! ولكن هذا الصراع القائم بين إسرائيل والعرب هو صراع بين الحق والباطل وقد بدأ قديماً منذ أيام الرسول ﷺ فهم ينقضون العهود والمواثيق وهذا هو شأنهم وديدنهم ويصمون المسلمين بالإرهاب والعنف وهم قتلة الأنبياء ومصاصو الدماء، ولهذا يجب على المسلمين اتباع كافة الوسائل التي تكفل إعادة الأقصى إلى حوزتهم وكذلك تلك الأرض المقدسة التي أسرى إليها برسول الله ﷺ، ولا ينبغي أن يسود هذه الأرض غير شريعة الله ويجب على الأمة الإسلامية جمعاء أن تجتمع على كلمة سواء وتطالب الشرفاء في العالم الذين ينادون بالسلام والمحبة والعدالة أن يضعوا الأمور في نصابها ويعود السلام إلي أرض السلام، فلسطين، ويتم تحرير المسجد الأقصى وفك أسره ليتنسم عبير الحرية ويتنفس الهواء الطيب الطاهر من خلال إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى وهذا وعد الله الذي لا يتخلف.

الإسراء آية صاحبتها آيات

لقد كان الإسراء نقلة تقتضي العجب بالقياس بالأمور التي يألفها البشر وبخاصة أن ذلك الزمان لم تكن فيه وسائل الاتصالات السريعة أو الأقمار الصناعية، بل كان المسافرون يستخدمون الدواب في أسفارهم، وكان المسجد الأقصى طرف تلك الرحلة، وبدايتها كانت من المسجد الحرام، وقد تمت الرحلة في برهة وجيزة لم يبرد فيها فراش النبي ﷺ. كل ذلك يكشف عن الطاقات المخبوءة في كيان هذا المخلوق البشري والاستعدادات اللدنية التي يتهيأ لها لاستقبال فيض القدرة في أشخاص المختارين من هذا الجنس الذي كرمه الله وفضله على كثير من خلقه وأودع فيه الأسرار اللطيفة ولهذا يذكر الله تلك القصة في القرآن الكريم في سورة يسميها باسمها وهي سورة الإسراء يقول تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

[الإسراء: ١]

والله نسأل أن يوحد كلمة المسلمين وأن يرد المسجد الأقصى إلي حوزة المسلمين وأن يفك أسره من يد اليهود والمعتدين إنه سميع بصير مجيب الداعين.

❊❊❊

خطبة الجمعة :

آية الإسراء

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ/ على حامد عبدالرحيم

الحمد لله عز وجل، رفع المخلصين من عباده إلى أعلى عليين، ووضع الأشرار الأخساء إلى أسفل سافلين، وربك يخلق ما يشاء ويختار. أشهد أن لا إله إلا الله، بديع السماوات والأرض، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، جاء بالحكمة، وهدى الأمة:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم ٣، ٤]

فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه:

﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ [البينة ٨]

يا أتباع محمد ﷺ . . .

نحن الآن فى شهر رجب، وفيه وقع حادث الإسراء والمعراج، ومن الخير أن نتنسم روائح هذا الحادث الإلهى العظيم، قبل أن تمر علينا ذكراه، لعل الله يوفقنا لحسن العظة وجميل الاعتبار، أو لعلنا نكون من الموفقين الذين قال لهم رسولهم ﷺ : «إن لربكم في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها» [(١)] . وقصة الإسراء والمعراج معروفة الوقائع والتفاصيل، وقد أعيد فيها الحديث وأعيد، فحسبنا اليوم وقفة أمام آية واحدة من الآيات الكريمة التى جاءت فى شأن الذكرى، وهى قول الله عز من قائل:

(١) ٢١ رجب سنة ١٣٨٦ هـ - ٤ نوفمبر سنة ١٩٦٦م.

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

[الإسراء : ١]

فهذه الآية قد جعلها الله تعالى فى سورة سميت باسم «سورة الإسراء»، تمجيداً للمعجزة، وتنويهاً بها، ولفتاً للأبصار والبصائر إليها، وجعلها الله فى مفتتح السورة كأنها شعار لها وهامة فوقها، مع أن هناك سورة سميت باسم «البقرة»، ولم تأت قصة البقرة فى أولها، وسورة سميت باسم آل عمران، ولم يأت حديث آل عمران فى أولها، وسورة سميت باسم المائدة، ولم يأت حديث المائدة فى أولها، وكذلك يقال فى سورة الأنعام والأعراف والتوبة والكهف وغيرها.

وبدأت الآية بكلمة ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ وهى تفيد معنى التسبيح والتنزيه والتقديس، فالله جل جلاله منزه عن أن يكون عاجزاً أو غير قادر على فعل ما سيقصه علينا من الحادث العجيب حادث الإسراء، وها هو ذا سبحانه يمجد ذاته، ويعظم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره ولا رب سواه: وهذا الإله العلى القدير هو

﴿ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾

وكلمة ﴿ أَسْرَىٰ ﴾ تدل على الارتحال فى أثناء الليل، وكأن الله تعالى قد اختار الليل زمناً للإسراء بنبيه ليشير إلى أنه الكوكب الدرى الساطع الذى يبدد بفضل ربه ظلمات الإنسانية، وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر، وأنه هو النجم الذى يعلو ولو تهاوت الكواكب والنجوم:

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾

[النجم ١ : ٤]

والمراد بعبده هو سيد العباد وإمام البلاد محمد ﷺ، وقد اختار الله لنبيه صفة العبودية فى مواطن التكريم والتشريف، ولذلك قال عنه هنا:

﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾

وقال عنه فى حديث المعراج:

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾

[النجم: ١٠]

وقال عنه فى موطن تبليغ الرسالة:

﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾

[الجن ١٩]

فدلنا هذا على أن صفة العبودية لله هى أشرف الصفات وأكرم النعوت، ومن هنا قال القائل المؤمن:

ومما زادنى شرفاً وتيهاً
وكدت بإخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك يا عبادى
وأن صيرت أحمد لى نبياً

كما أن كلمة ﴿ بِعَبْدِهِۦ ﴾ تؤكد لنا أن الإسراء كان بالروح والجسد، لا بالروح فقط كما يزعم الذين يضيقون عن إدراك كمال القدرة الإلهية، فكلمة «عبده» لا تطلق على الروح

وحدها، كما أن حرف الباء فى كلمة «بعبده» يشير إلى أن الله جل جلاله كان مصاحباً لعبده حين إسرائه، لا مصاحبة حس لحس، فالله تعالى لا يشبه الحوادث.

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾

[الشورى: ١١]

بل مصاحبة العناية والرعاية من تكريم وتعظيم لمحمد الموصوف بصفة العبد، فهو يجوز ما يجوز من رضا الله ورضوانه، ومع ذلك هو عبدالله، وليس بإله، فلا تجوز فى شأنه المغالاة:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾

[الكهف: ١١٠]

وقالت الآية الكريمة: ﴿ لَيْلًا ﴾ أى فى جزء من الليل أو فى بعضه، فقد بدأ الإسراء بعد العشاء وتم قبل الفجر، وإن الله الذى يقول للشئ كن فيكون هو الذى أمكن عفريت سليمان من إحضار عرش بلقيس من المكان القاصى قبل ارتداد البصر، فهو سبحانه قادر على أن يفعل ما يشاء. ومن أين كان الإسراء وإلى أين؟: كان

﴿ مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾

فجاء التحديد المكانى بعد التحديد الزمانى، وكانت الرحلة بين مسجدين، والمسجدان معبدان، وهما مكانان للصلاة والمفاجأة، والاتصال بالله، وأفضل الأماكن فى الأرض هى بيوت الله، وأفضل بيوت الله فيها ثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجد سيد الخلق محمد ﷺ، وهناك في هذا التحديد إشارة سياسية، وهى أن فلسطين، وعاصمتها بيت المقدس التى تضم المسجد الأقصى، قد جعلها الله واسطة العقد فى حادث الإسراء والمعراج، فهى نهاية الرحلة المحمدية فى الأرض، وهي بدايتها فى الرحلة السماوية حيث دنا محمد

﴿ فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾

[النجم ٨، ٩]

وإذن ففلسطين يجب أن تبقى طاهرة مطهرة، تعلوها كلمة الإسلام، ولا تترك فى أيدى الأوغاد اللئام.

ثم قالت الآية عن ذلك المسجد الأقصى:

﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾

أى بارك حوله بالدين، حيث تنزلت من حوله آيات وانبعثت دعوات، فهو مهبط قديم للوحى ومتعبد للأنبياء، وبارك حوله بالدنيا، حيث زانه بالأشجار والثمار، وإنما اقتصرت الآية هنا على مدح المسجد الأقصى دون المسجد الحرام، لأن المسجد الحرام قد استوفى حظه من الثناء والتكريم فى آيات كثيرات، مثل قوله تعالى:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾

[آل عمران - ٩٦، ٩٧]

وقوله:

﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾

[المائدة ٩٧]

وقوله:

﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾

[البقرة آية ١٤٤]

ولم يذكر المسجد الأقصى فى غير آية الإسراء.

ثم قالت الآية الكريمة:

﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ﴾

فالله صاحب العظمة والجلالة هو الذى يرى رسوله، وهو الذى يريه آيات لا آية واحدة، هو يريه من الآيات سرعة الراحلة فى الإسراء، وسموها الفريد في المعراج، وهو يريه من مشاهد الأرض ومشاهد السماء، وإبداع الخالق القادر ما يريه، وكأن هذه الكلمة هنا في سورة الإسراء تمهيد فى سورة النجم للإخبار بتحقق الرؤية لعظيم الآيات، حيث قال هناك:

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾

[النجم ١٧، ١٨]

ولم لا والله هو المحيط بكل شىء، القادر على كل شىء، أنه هو السميع البصير الذى لا يغيب عن علمه وسلطانه ومراقبته صغير في هذا الوجودأو كبير،

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾

[الملك ١٤]

يا لروعة التعبير، ويا لدقة التصوير. إن هذه الآية الوجيزة المعجزة حددت كل شىء نحتاج إليه، فالله ذاته هو الذى أسرى، والذى أسرى به هو عبده محمد بكيانه وجثمانه، ووقت الإسراء هو جانب من الليل، وبداية الرحلة هى المسجد الحرام، ونهايتها في الأرض هى المسجد الأقصى. والحكمة موجودة هى رؤية الآيات ومشاهدة الدلالات، والدليل على إمكان الإسراء موجود، لأن فاعله هو الله، وهو السميع البصير، فماذا بعد هذا من جدال أو مراء عند أهل الجحود والنكران؟

﴿ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾

[الأنعام ٩١]

يا أتباع محمد ﷺ...

إن لله فى أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها، كذلك قال لكم صاحب الإسراء والمعراج، وقد سبق التذكير قبل حلول الذكرى بأيام، لعل الله يأخذ بالنواصى المستجيبة له إلى مواطن الرشاد، وهو ولى الهداية والتوفيق،

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾

[المائدة: ٨٨]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

[النحل: ١٢٨]

---

(٢) كشف الخفا جـ ١ – ص ٢٦٩.

من صميم السيرة

الإسراء

للشاعر السوري الكبير:
الأستاذ أمجد الطرابلسي

رقـدتْ ملء عـينهـا البـيـداء ... واحـتـوتهـا في سـرِّها الظلمـاءُ

وأوى مـوكبُ الطيـورِ إلى النَّخلِ ... وحَنَّتْ لزُغْبِـهـا الورقـاءُ

والمها أَطبقتْ على الصَّفو عينيها ... ، ومـالت إلى الكِناسِ الظِّبـاءُ

سكنَ اللّيلُ، لا هتـافٌ ولا عـز ... فٌ ولا آهةٌ ولا ضـوضـاء

ليس إلاّ النجـومُ تهـمسُ فـرحى ... في الرِّحـابِ العُلى فَتُصغي الجِواء

وسَجَتْ مكّةٌ، فـلا اللهْوُ لهوٌ ... فِي حِمـاها، ولا الغناءُ غناء

أطفـأَتْ في الخيـام كلَّ سِـراج ... رَقصتْ فـوقَ ثغرهِ الأَضـواء

وانقـضى كلُّ سـامرٍ أَثملتـه ... بـالفنونِ الرُّواةُ والشُّعـراء

وتهـادى النسـيمُ بين الرَّوابي ... كلما هبّ هدّه الإعـيـاء

ملءُ أعطافـه أريج الخزامى ... وبقـايا الكؤوس والأنداء

نامت البـيـد! هل رأيت سـريراً ... رقـدتْ فـوق صـدره عَـذراء؟

الطُّيوفُ الفرحى تطوف حَـواليهِ كمـا طافَ بالقلوبِ الهناء

والمنى الضاحكات تلثم خديها فيفتر ثغرها الوضاء
يا جمال البيداء! ماذا ينال الوصف منه، وما يصيب الثناء؟!
كلها السحر والرحيق المصفى كلها الشعر والهوى والبهاء
كلها المجد والبطولة والسؤ دد والعز والندى والإباء!

** **

إيه يا منبع الصناديد يا بيد إذا رج جانبيك نداء!
يا مهب الفرسان إن صرخ المجد يناديهم وهز اللواء!
نام يا بيد فى سكونك ندب حفظته وهدهدته السماء
سهرت حوله العناية ترعا ه وحامت من فوقه الآلاء
من ذؤابات هاشم كله طهر ونبل ورحمة ووفاء
أروع أين من عزيمته السيف ومن جود كفه الأنواء!
عربى تهلل الكون لما كرمته النبوة الغراء
شع منه الهدى فهاجت وماجت حنقا - جاهلية رعناء
دينها البغى والتناحر والثا رات والبطش والأذى والدماء
فاحفظيه يا بيد فهو رجاء الكون وسط الظلام وهو الضياء
ما يدوم العمى إذا أسفر الحق ولا النور والظلام سواء!!

** **

إيه يا نائما تداعب جفنيه الخيالات والرؤى الشماء!
يا نبيا فى صدره خفق الكو ن جميعا، جراحه والدواء!!
يا رسولا ترنو لطلعته الأملاء حيرى قد عمها الإدجاء!
أيها النائم انتبه! قد أتاك الروح يحدوه من علاه القضاء
والبراق السعيد حمحم فى البا ب اشتياقا فاهتزت الصحراء

طِرْ عليهِ تَمْض القفارُ سِراعاً تَحتَ وَثباتِه ويُطْوَ الفَضاءُ
طِرْ عليهِ إنّ العوَالم نَشوى مُذْ أتَتْها عن سعيكَ الأَنباءُ
والسمواتُ تستعِدُّ لمسرا كَ وقد زغردتْ بها البُشَراء
تتغنَّى فيها الملائكُ فرحى وتهادى البشائرَ الأنبياءُ
رفرفا فى سماءِ مكةَ فالريح ذَلولٌ تحتَ البراق رُخاءُ
وامضيا تَمّحِ الفَلا والمسافا تُ كأنّ ابتداءَهن انتهاءُ
فإذا شِمتُما على البُعد سَينا ءَ ولاحت كُثبانُها السَّمراءُ
فاهبطا، طَرْفَةَ العُيونِ، إليها يالَربّى لِما رأَتْ سيناء!!
يومَ ناجى الكليمُ فى جانبيها ربَّهُ، ملءُ أَصغريه الرّجاءُ
فهوى مُرْعشاً وقد هاله النو رُ وأعشى عيونه اللألاءُ
ثمّ سَيرا حتّى إذا (بَيْتُ لَحْمٍ) دَوَّمَتْ من بُروجها الأَصْداءُ
فاهبطا تُرْبَها الذّكيَّ فمنه «أسفرَ الرِّفقُ والهدى والحياء(١)»
وأتيا المسجد الذى بارك اللهُ حَواليه منذ كان البناءُ
فاسجدا فيه للّذى غمَرَ الكو نَ نَداهُ وعطفُهُ والرضاء
صلّيا يَبْسمِ المُصلّى ابتهاجاً لكما فى الدُّجى ويَشْدُ الفِناء
واعرجا صاعدَيْن سبعاً طباقاً لا حِجابٌ، لا دُجْيَة، لا عماء
أَلَقٌ باهرٌ، وبحرٌ من النّو رِ خِضَمٌ، وَرَوْعَةٌ، وصَفاء
ليس إلا ملائكٌ تحمل البشرى ورسْلٌ أَحبَّةٌ أصفياء
اصعدا فى الجمال حتىَّ تجلّى لكما سِدْرةُ العُلى العَصماءُ
وانظرا من عَلٍ إلى هذه الأَجْرامِ طُرّاً، يَجِلُّ عنها الهباءُ

---

(١) قال شوقى:

ولد الرفق يوم مولد عيسى .. والمروءات والهدى والحياء

نظرةً تُنْظَمُ العوالمُ والآ ... بادُ فيها وتلتقى الأملاء

اسموا، اسموا فما أعظم الأُنفس تَفْنى من دونِها العلياء!

ما أجلَّ الأرواحَ تَعلو وتَعلو ... ثم تعلو، وإن تناهى العَلاء!

ما أحبَّ الفَناءَ فى النُّور إمّا ... كُرِهَ اللَّبثُ فى الثرى والفَناء!

** ... **

إيه مسرى النبيِّ! قد تُنكر الأَنْ ... وارَ والفجرَ مقلةٌ عمياءُ

ما على جاحديك لومٌ إذا ضَلُّ ... وا، هلِ الناسُ كلُّهم أنبياء؟!

** ... **

معرجَ المصطفى! إليكَ التَّحايا ... شَعشَعتها دموعُنا والدّماء

بوركتْ أرضُكِ النَّديَّةُ يا قُد ... سُ ووشَّتْ رياضَكِ النعَّماء!

أنتِ أمُّ الدُّنى، ومهدُ النُّبُوَّا ... تِ ومنكِ استفاءت الآناء

فيكِ موسى ألقى عصاهُ ارتياحاً ... بعد أن طوّحتْ بهِ الأَرزاء

والمسيحُ العظيمُ فيك تجلى ... يملأ الأرضَ من هُداه السَّناء

علمَ الكونَ رحمةَ العبدِ للعبدِ، فلا قسوةٌ ولا إيذاءُ

وغذاه الحبَّ الطَّهورَ فلا بغضُ، ولا نَفْرَةٌ، ولا أَعداء

يا حماةَ المسيحِ فى القدسِ! ما فى ... دينه أن يعذِّبَ الضُّعفاء!

ليس فيه طردُ الهزارِ من الأيكِ لتَحْتَلَّ وَكْرَهُ رقطاء!

يا جيوش الصليب فى القدسِ! ما فى ... شرعِه أن تُقَتَّلُ الأبرياء!

ليس فى شرعِه هوانُ المواثيقِ، إذا ما تواثقَ الشُّرفَاء!

ليس فيه أن يبذلَ العَربُ الأَنْفُسَ كى تسترقَّها «الحلفاء»!

يا لدمع المسيح ما كان أصفا ... ه! ولكنَّ روحَكم كدراء!

سائلوا مهدَهُ المُطَهَّرَ هل صا ... نته إلا العُروبةُ العَرْباء؟!

سائلوه يا ناسُ عن عُمَرَ الفا روق: «ما كانَ عدله والوفاء؟»
سائلوه عن ابنِ أيُّوبَ لما عصفتْ جُنَّةٌ بكم هَوجاء
يومَ جاءتْ جُيوشُكم مثلَما انحطَّت على المنهَلِ النُّسُور الظِّماء
تُغرِقُ المهدَ مثلَما تُغرِقُ المجدَ منها الدِّماء والأَشْلاء
يوم ضاقت عنها الأباطح فى البـ ـرِّ وناءتْ بحملِها الدَّأْماء
يُلهِبُ الحقدُ والعِداء مآقيها، وتَنْزو فى صَدْرِها الأَدْواء
وابنُ أيُّوبَ يُطفِئ النَّارَ بالحلمِ وتجرى بنصرِهِ الأنباء
ويفكُّ المُلوكَ صَفْحاً ومَنّا بعدَ أسْرٍ يعزُّ فيه الفِداء
أنّتمُ تَعرفونَ عدلَ صلاح الدين وسْطَ العجاجِ يا طُلقاء؟
لم يهجكم للنّار دينٌ، ولكنْ جَشَعُ الذّئبِ أثملَتْهُ الدّماء
أى دينٍ يُحلُّ ذبحَ اليتامى أىُّ شرع تُبادُ فيه النساء
الأحابيشُ دينُهم مثلكم سَمْحٌ كريمٌ، لكنَّهمْ ضُعفاء
وجلودُ الغُزاةِ بيضٌ لطافٌ أينَ منهنَّ جِلْدَةٌ سَوداء؟!
إنما العُربُ نعمةُ اللّهِ فى الأرْ ضِ وهمْ فى ظَلامِها الأضْواء
حملوا مشعلَ الحضارةِ والكو نُ ظلامٌ وحيرة وعَماء
هم شموسُ الورى وصَفْوَة خلقِ اللّه والمُخلَصونَ والحُنَفاء
كلُّ مجدٍ لمجدِهم يخفضُ الرَّأ سَ خشوعاً ولو نَمته السَّماء!!

** **

دمتِ قُدْسَ العُلى ودام لكِ العِزُّ وذلَّتْ فى غابكَ الدُّخَلاء
دمتِ فوقَ السُّها ودامَ لكِ العُرْ بُ فداءً، وطابَ هذا الفِداء!

***

الإسراء والمعراج مقياس الإيمان

للأستاذ/ عادل خفاجة

إن الحديث عن الإسراء والمعراج هو فى المقام الأول حديث عن الإيمان والمؤمنين ألسنا نرى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه حين سمع تكذيب الكفار للنبى بما حدثهم عن الإسراء قال: «إن كان قال فقد صدق».

فالمؤمن سليم الفطرة لا يحتاج إلى دلائل لتصديق خبر جاء به الرسول الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه.

أما من لجوا فى عتو ونفور ومن لم يخالط الإيمان قلوبهم فمنهم من وضع يده على رأسه ومنهم من صفق ومنهم من ضرب كفا بكف ومنهم من ارتد حين سمع ما قاله النبى من حديث عن الإسراء!!

إنه حقاً مقياس الإيمان والمؤمنين منذ نزول الوحى إلى قيام الساعة.

والحديث عن الإسراء حديث ذو شعب كثيرة فيه العبرة وفيه الوقوف على أقوال السلف الصالح فمن السلف الصالح من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا فى ليلة واحدة فى اليقظة بروح النبى ﷺ وجسده.

ومنهم من ذهب إلى أن الاسراء كان فى اليقظة والمعراج فى المنام.

وتعريفاً، بالإسراء والمعراج نقول:

الإسراء: هى الرحلة الأرضية التى بدأت

من مكة إلى بيت المقدس وهى التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم فى قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء: ١)

أما المعراج: فهى الرحلة السماوية من بيت المقدس إلى السماوات العلا ثم إلى سدرة المنتهى حيث اللقاء بالخالق جل وعلا.

وقد ورد ذكر المعراج فيما رواه أبو سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لما فرغت مما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أر شيئاً قط أحسن منه، وهو الذى يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر فأصعدنى صاحبى حتى انتهى على باب من الأبواب يقال له باب الحفظة»[1]..

أما فى القرآن فقوله تعالى:

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾

(النجم / ١ : ١٨)

البـــراق

عن عبد الله بن مسعود قال: «أتى رسول الله ﷺ بالبراق وهى الدابة التى كانت تحمل عليها الأنبياء قبله تضع حافرها فى منتهى طرفها»[2].

وهذه الدابة بهذا الوصف أسرع من أى وسيلة مواصلات حديثة عرفها الإنسان فى العصر الحديث، حيث تضع حافرها عند منتهى بصرها، ونتساءل: إلى كم كيلو متر ينتهى بصرها على حدته؟! وكم خطوة يخطوها البراق فى الساعة؟! ان حاصل ضرب هذين العاملين يعطى سرعة البراق.. وهى بلاشك أمور غيبية لم نذكرها إلا للتقريب فإذا علمنا أن طائرة نفاثة لوكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» حققت رقما قياسيا جديدا فى سرعة الطيران عندما اقتربت من تجاوز سرعة الصوت بعشر مرات وقال المهندس راندى فورلاند أن الطائرة النفاثة حققت ٩,٦ أمثال سرعة الصوت خلال تجربة

---

(١) تفسير الطبرى: ج٨ /١٢ وانظر مسند الحارث زوائد الهيثمى ج١/ ١٧٠ بلفظ مختلف.

(٢) سيرة ابن هشام ج٢/ ٢٤٨.

الطيران أى أن الطائرة اقتربت من الطيران بسرعة ١١ ألف كيلو مترا / ساعة (سرعة الصوت ١٢٢٥ كيلو متر / ساعة) نقول: اذا علمنا هذا الذى صنعه الانسان فما بالنا بصنعة الله القادر على كل شيء.

بعض من العبرة

● والمتأمل لهذا القول لابن مسعود يعرف ان هذا السفر بهذه الدابة لم ينفرد به النبى محمد ﷺ إنما سافر بهذه الدابة غيره من الأنبياء وهو ما يعلم أيضا من قوله ﷺ «فربطت الدابة فى الحلقة التى كانت تربط بها الأنبياء»[٣] ففى ذلك ما يدل على أنه كان يسرى بهم صلوات الله عليهم أجمعين.

ويبقى السؤال.. لماذا كان إنكار المشركين للإسراء مادام هذا الأمر قد حدث للأنبياء قبله ﷺ؟

نقول ما قاله الحق تبارك وتعالى:

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾

(الأنعام: ٣٣)

● لقد اجتمع الأنبياء وصلى بهم رسول الله إماما.. أى أنهم جمعتهم صلاة واحدة لا نسأل عن كيفيتها بل نذهب إلى مغزاها وهو أنهم جميعا جاءوا برسالات متعددة المناهج متحدة المبدأ والهدف فالجميع ينادون بالتوحيد وعدم الشرك بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد.

ألم يقل سيدنا محمد ﷺ «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد..»[٤].

أليس فى كتاب ربنا العزيز:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾

الأنبياء / ٢٥

● هذا بعض ما نستخلصه من صلاة النبى ﷺ بالأنبياء إماماً فإذا تأملنا ما قالته السيدة أم هانىء «ما أسرى برسول الله ﷺ إلا وهو فى بيتى نام عندى تلك الليلة بعدها صلى العشاء الآخرة فلما كان قبيل الصبح أهبنا رسول الله ﷺ فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: «يا أم هانىء لقد صليت العشاء الآخرة فى هذا الوادى كما رأيت ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة

---

(٣) الفصول فى السيرة ص ١ ص ٢٨١.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ص ٢.

الغداة معكم كما ترين ثم قام ليخرج فأخذت بطرف ردائه فقلت: يا نبى الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبونك، قال: والله لأحدثنهموه، فأخبرهم فكذبوه».(٥) أقول: إذا تأملنا مدى حرص السيدة أم هانىء على ألا يحدث النبى الناس بهذا الحديث حتى إنها تعلقت بردائه الشريف ثم هذا الإصرار منه ﷺ، والتأكيد الذى يحمله قوله «لأحدثنهموه» نعلم أن رحلة الإسراء والمعراج بقدر ما فيها من تسرية للنبى ﷺ إلا أنها أيضا كانت المقياس لإيمان أقوام ارتدوا ممن آمن بالنبى ﷺ، ولعل فى ذلك الخير كل الخير للدعوة الوليدة إذ الأمر يحتاج إلى يقين بقدرة الله تعالى، ويقين بصدق النبى ﷺ، إن الناس الذين ارتدوا نسيهم التاريخ أما من آمنوا أمثال أبى بكر الصديق فهم الرجال الذين اعتمدت عليهم الدعوة وقام على أكتافهم عبء نشر الإسلام فى ربوع الأرض.

أقوال السلف عن الإسراء

تتلخص أقوال السلف الصالح فى: كيفية هذا الإسراء وهل كان يقظة وهل كان سيراً حقيقيا، وحركة مادية؟! وهل شاهد الرسول الآيات الكونية التى أراه الله إياها بالمشاهدة العينية؟! أو كان رؤيا منام على نحو ما يرى النائم أنه سافر إلى مكان بعيد؟! يقول الأستاذ الكبير عبد الرحمن تاج إجابة عن هذه التساؤلات: يدل على أن الإسراء كان فى اليقظة بالجسم والروح معا جملة أمور نقتصر هنا على أهمها:

أولا - قول الله تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء: ١)

فإنه يدل دلالة واضحة على أن الإسراء بالرسول ﷺ كان بجسمه وروحه جميعا، وأنه كان سيرا حقيقيا وانتقالا بحركة مادية: وذلك أن الإسراء كالسرى، معناه فى اللغة السير ليلا، والسير حقيقة فى الحركة المادية التى ينتقل بها الإنسان من مكان إلى مكان، فلو كان الحديث عن الإسراء حديثا عن رؤيا منامية، لكان يسيرا على القرآن أن يقول: سبحانه الذى أرى عبده فى المنام كيت وكيت.

---

(٥) البداية والنهاية ج ٢/١١٠.

هذا إلى أن الآية الكريمة - كما هو واضح منها - فيها تنويه بشأن الرسول ﷺ وإشعار برفعته وسمو مكانته، وتنويه بشأن ما أجراه الله على يديه من الأمر العظيم، وعظم هذا الأمر ليس إلا لأنه كان شيئا مما لا يجرى على أيدى الناس ولا يعهدونه، لابد أن يكون شيئا يستحق أن يبدأ القول فيه والحديث عنه بالتسبيح الذى لا يكون إلا فى المقامات الجليلة، والآيات العظيمة، والأمور الهائلة العجيبة، وذلك كله يدل دلالة واضحة على أن الإسراء لم يكن رؤيا منامية، ومجرد انكشاف روحى، وإنما كان سيرا حقيقيا بالروح والجسم معا.

ثانيا: إنه إذا كان أمر الإسراء مجرد رؤيا منامية لم يكن حينئذ شيئا غريبا، ولم يكن فيه ما يثير العجب والدهشة، ولا يستوجب الإنكار والتهكم والسخرية، كالذى كان من أبى جهل ومشركى مكة، حينما سمعوا من الرسول ﷺ حديث هذا الإسراء.

إن كثيرا من الناس يرى فى منامه عظائم وأعجايب، ويرى حقائق وكائنات لم يسبق له علم بها، ولم يرها قط فى حياته رأى العين ولكن حين يقص قصصها ويحدث عنها، وحين يعلم أنها إنما كانت رؤيا فى المنام، لا يرى فى ذلك ما يوجب الدهشة، ويدعو إلى الاستنكار والاستهزاء.

***

ومن هنا استفاض النقل عن الصحابة والتابعين وسائر علماء المسلمين، أن الإسراء بالرسول ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، كان سيرا حقيقيا ماديا فى اليقظة، بروحه وجسمه جميعا، ولم يرد عن الصحابة نقل يخالف ذلك، إلا ما روى برواية ضعيفة عن السيدة عائشة - رضى الله عنها أنها قالت فى شأن هذا الإسراء: «ما فقدت جسد رسول الله ﷺ» وفى رواية أخرى ليست أقل ضعفا من هذه أنها قالت: «ما فُقِد جسد رسول الله ﷺ» بالبناء للمجهول.

وقد أخذ من هاتين الروايتين على ضعفهما أن السيدة عائشة كانت تنكر أن الإسراء بالرسول كان فى حالة اليقظة، وأنها كانت تذهب إلى أنه رؤيا منامية، وهوما كان يذهب إليه معاوية بن أبى سفيان، على ما روى عنه.

لكن الصحيح المحفوظ فى النقل عن السيدة عائشة أنها كانت تقول فى مسألة الإسراء بما كان يقول به جمهور الصحابة، من أن هذا الإسراء كان يقظة بالروح والجسم معا.

وفى الحق أن العبارة التى رويت عن السيدة عائشة فى الرواية الأولى تحمل

بنفسها الدليل على ضعف الرواية وعدم صحتها [٦].

وذلك أن هذه العبارة: «ما فقدت جسد رسول الله ﷺ» تفيد أن السيدة عائشة كانت زوجا للرسول ﷺ حينئذ، وأنها كانت معه في الليلة التى كان فيها الإسراء، وأنه ﷺ لم يبرح المكان الذى كانا فيه فى تلك الليلة.

وهذا شيء لا يستقيم بحال، ولا يصح قبوله، فإنها - رضى الله عنها - لم تك زوجا للرسول حينئذ، ولم تكن حيث كان عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء، فكيف تحدث عن نفسها أنها لم تفقد جسده الشريف فى تلك الليلة؟

إن فى هذه العبارة خطأ واضحا، ولابد أن تكون محرفة عما ورد فى الرواية الأخرى الضعيفة أيضا من أنها قالت: «ما فقد جسد رسول الله ﷺ» بالبناء للمجهول، وإذا كانت مقالتها هذه تحديثا ترويه عن شخص آخر يقول: إنه لم يفقد جسد رسول الله ﷺ ورواية كهذه يتحدث فيها عن مجهول لا يعرف شخصه ولا حاله، ولم تثبت ملازمته للرسول عليه الصلاة والسلام فى ليلة الإسراء، لا يمكن أن تعارض أو تقاوم ما رواه الثقات الأثبات، من الصحابة المعروفين بأشخاصهم، المسمين بأسمائهم، من أن الرسول ﷺ قد انتقل بشخصه، وسار كما أراد الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، على دابة تسمى البراق، وأنه صحبته ملائكة الله فى سيره، كما حدث بذلك ﷺ ، حتى بلغوا المسجد فى بيت المقدس. هذا فضلا عن أن العلماء أهل الشأن فى روايات الأحاديث ونقدها، والتمييز بين صحيحها وضعيفها، قد أثبتوا ضعف ما روى عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - من العبارتين السابقتين، كما أثبتوا أن الصحيح الملحوظ عنها أنها لم تخالف سائر الصحابة فيما ذهبوا إليه فى موضوع الإسراء، من أنه كان بالروح والجسد جميعا.[٧]

إن العلم فى العصر الحديث قد توصل إلى إنجاز مخترعات كثيرة عجيبة مثل هذه الطائرة التى بلغت سرعتها ما يقرب من عشرة أمثال سرعة الصوت.

ولذلك نجد بعض الناس يؤمنون بالمعجزة

---

(٦) الأمر فى تضعيف هاتين الروايتين هو من ناحيتى السند والمتن، شأن ما صنعه العلماء بكثير من الأحاديث الضعيفة التى نظروا فيها واثبتوا عدم صحتها فى الناحيتين جميعا.. فهم لم يقصروا فى نقد الأحاديث على ناحية السند وحدها كما يدعيه بعض المستشرقين المفترين مما جاراهم فيه بغير وعى ولا علم بعض المؤلفين المعاصرين من المسلمين.

(٧) عبد الرحمن تاج: الإسراء والمعراج هدية مجلة الأزهر (لشهر رجب ١٤٢٢ هـ ص ٢٥ : ٢٩.

التى حدثت للرسول الكريم قياسا لما وصل إليه العلم فكان العلم هو مقياس التصديق عندهم وليس الإيمان ونقول لهؤلاء: إذا استقام لكم القياس فى مسألة الإسراء فكيف لكم القياس فى مسألة المعراج وهل تنتظرون العلم ومخترعاته حتى تؤمنوا؟!

إن من يقدس عقله ويسير وراء ما يمليه عليه العلم القاصر ويزن ما جاء به الرسول بميزان الفكر أو ميزان العلم، قلما يؤمن إيمانا صادقا صحيحاً.

ورحم الله الشيخ يوسف الدجوى حيث قال: «إن كل من لم يصدق إلا بما وصل إليه عقله وبلغته حدود علمه فليس مؤمناً بالرسول على الحقيقة، وإنما هو مؤمن بعقله (لا بالرسول)»(٨).

وعن هذا الفريق الذى يتمسك بالشبه العقلية يقول فضيلة الشيخ الدجوى: «هذا الفريق يقول: إنه يستحيل العروج إلى السماء لأن بيننا وبينها كرة نارية كما يقرره الفلاسفة الأقدمون، ونقول له: إن ذلك خيال لم يقم عليه برهان، والفلاسفة العصريون ينفون ذلك بتاتا، فهذا كاف فى إسقاط ذلك الزعم.

ويقول العصريون فى استحالة ذلك: إن الهواء، يرتفع عن الأرض مقدار بضعة آلاف من الأمتار، فإذا وصل الانسان إلى ذلك الحد لم يمكنه أن يعيش، لأنه لا يجد من الهواء ما يتنفس به، فلابد أن يموت، وقد وصلوا بطائراتهم إلى ما يقرب من ذلك فخرج الدم منهم بهيئة منكرة لفقد الضغط الجوى.

ونقول فى دفع هذه الشبهة: إن ذلك مسلم ولا نمارى فيه، ولكن هناك قوانين أخرى لا يعرفها الماديون، ومحال أن يصل إليها الطبيعيون، ذلك أن الأرواح الإنسانية من عالم آخر لا تسرى عليه قوانين هذا العالم، فإذا غلبت على الإنسان روحانيته كان الحكم للروح لا للجسد، فكان السائد عليه هو النواميس الروحانية لا الجسمانية، ومتى ساد سلطان الروح سلطان البدن كان الحكم للروح لا للبدن، فيمكنه أن يطوى المسافات البعيدة فى لحظة قصيرة، ويمكنه أن يرى المغيبات على حد محدود، ويمكنه أن يخترق الجدران ويقتحم المهالك من غير أن يحصل له ضرر أو يلحقه ألم، ومن هنا جاءت كرامات الأولياء، وإذا كنا نصدق بذلك فى الجن، وأرواح النوع الإنسانى أعظم لطافة وأقوى نفوذا وأشد قربا من الملأ الأعلى، فلماذا نستبعد ذلك فى خواص البشر الذين غلبت عليهم

(٨) الشيخ يوسف الدجوى: مجلة الازهر (السنة ١٣٥٣هـ) ص٥٩٣.

الروحانية حتى صاروا كأنهم من الملأ الأعلى، وبذلك تنخرق لهم العادات ولا تحكم عليهم نواميس المادة؟

وما لنا نذكر كرامات الأولياء أو معجزات الأنبياء وبعض العصريين لا يقتنعون بذلك، ولعلهم يعدونها من الخرافات والترهات. فلنسق لك ما هو أقرب الى إقناعهم وأليق باستعدادهم، فنقول:

قد ثبت ثبوتا لاشك فيه ان المنوم تنويما مغناطيسيا يسأل عما فى البلاد البعيدة فيجيب عنها بأجوبة صحيحة، فهل يمكن تعليل ذلك بالتعاليل المادية.

ويمكننا أن نستشهد على ذلك بما أصبح معروفا لا ينكر، وهو أن بعض الهنود يوضع فى صندوق باختياره أو يدفن فى موضع من الأرض عشرين يوما وثلاثين يوما وأكثر من ذلك، ثم يخرج ويعمل له ما يرجعه إلى حسه ولا تفارقه الحياة مع أنه كان لايتنفس أصلا فى تلك المدة. فكيف ينكر مثل ذلك على رسول الله ﷺ وهو سيد الروحانيين وأفضل الخلق أجمعين.

وهذا تنزل يقتضيه الحال وقوانين الجدال، وإلافلست أدرى كيف يقيسون عالم الملكوت على عالم الملك، وأحكام الأرواح على أحكام الأشباح، مع أنهم لم يتقنوا علومهم المادية، وكثيرا ما تخبطوا فيها فنقضوا ما أبرموا. وهو شأن هذا النوع الضعيف منذ خلق الله الكون إلى أن تقوم الساعة[٩].

وبعد فإن الحديث عن الإسراء كما أسلفنا إنما هو حديث عن الإيمان والمؤمنين، الإيمان بقدرة الله خالق كل شئ الذى تتدخل عنايته لينصر عباده فى الأوقات التى تتخلى عنهم الأسباب.

وحديث عن المؤمنين الذين وقر فى قلوبهم أن الله ناصرهم إن هم آمنو به وأنه ممدهم بالقوه الروحية التى هى فوق كل القوى المادية.

فهل آن لهذه الأمة أن تعى الموقف وقد خرج إلينا أمين عام جامعة الدول العربية ليعلن أننا قد خدعنا، وأن علينا أن نذهب بقضية فلسطين والقدس إلى مجلس الأمن.. فإن لم يكن حلاً فليس أمامنا إلا السلاح؟

وأى سلاح سيتكلم؟ هل المستورد من أوروبا أو من أمريكا؟

وهل آن لهذه الأمة أن تهتم بالجانب الروحى؟! حتى إذا تكلم السلاح وجد ناصراً له؟!

---

(٩) الشيخ يوسف الدجوى.. المرجع السابق ص ٥٩٩: ٦٠٠

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقي الدين

الإسراء والمعراج

حمل بريد المجلة لهذا الشهر العديد من الرسائل عن الإسراء والمعراج، لذا، وإتماما للفائدة نورد أولاً حديث الإسراء والمعراج. وقد رويت روايات مختلفة تتعلق بالإسراء والمعراج، نختار منها رواية البخاري.

روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، أن النبي ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به قال:

«بينما أنا في الحطيم، وربما قال في الحجر -مضطجعا إذ أتاني آت، وسمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه، فقلت (أي الراوي) للجارود وهو إلى جنبي ماذا يعني به، قال من نقرة شعره إلى شعرته، وسمعته يقول من قصه إلى شعرته. فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطشت من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبي، ثم حشي، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، فقال له الجارود، وهو البراق يا أبا حمزة. قال أنس: نعم. يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه، فانطلق بي جبريل، حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح قيل من هذا؟ قال جبريل. قال ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل مرحبا به. فنعم المجيء جاء. ففتح، فلما خلصت فإذا آدم، قال: هذا أبوك آدم، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام، فقال: مرحبا بالابن الصالح، والنبي الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثانية، فاستفتح، قيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قال: مرحبا به، فنعم المجيء جاء. ففتح، فلما خلصت، إذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة، قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت عليهما، فردا ثم قالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة. فاستفتح جبريل، قيل من هذا؟ قال: جبريل. قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل أوقد

أرسل إليه ! قال : نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت إذا يوسف . قال : هذا يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه . فرد ، ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى إلى السماء الرابعة فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت إذا إدريس ، قال : هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ، ثم قال : مرحبا ، بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل ومن معك . قال : محمد ، قيل أوقد أرسل إليه ! قال : نعم ، قيل مرحبا به ، فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت إذا بهارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه ، ثم قال مرحبا بالأخ الصالح ، والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح ، فقيل من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد . قيل أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت إذا موسى ، قال هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح ، فلما تجاوزت بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكى ، لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن دخلها من أمتى .

ثم صعد بى إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، قيل من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل أوقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت ، إذا إبراهيم . قال : هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ، ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح .

ثم رفعت إلى سدرة المنتهى نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال : هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار ، نهران باطنان ، ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران ، فالنيل والفرات ، ثم رفع لى البيت المعمور ، ثم أتيت بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من عسل ، فأخذت اللبن . قال : هى الفطرة أنت عليها وأمتك .

ثم فرض علىَّ الصلوات ، خمسين صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى ، قال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإنى والله قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك ، فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فوضع عنى عشرا ، فرجعت إلى موسى . فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشرا ، فرجعت إلى موسى ، فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت فقال مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى ، فقال بم أمرت ، فقلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإنى قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، قال : سألت ربى حتى استحييت ، ولكنى أرضى وأسلم ، قال : فلما جاوزت نادانى مناد : أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى» .

الإسراء والمعراج بالجسد أم بالروح

وكتب القارئ سعد عبدالله ـ قفط ـ قنا.. يقول: إنه قرأ فى بعض الكتب أن الإسراء والمعراج لم يكن جسديًا، وإنما أُسْرِىَ به ﷺ روحيًا بمعنى أن روح الرسول ﷺ هى التى أُسْرِىَ بها من مكة إلى المسجد الأقصى ثم عُرِجَ بها إلى السماوات العلا إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى، وأن جسده ﷺ لم يغادر مكة مطلقًا. وفى نفس المعنى جاءت رسالة القارئ أحمد عيد من الاسكندرية - والقارئ على عبدالوهاب من المنصورة.

ونجيب على قرائنا الأعزاء بما كتبه فضيلة الشيخ رشيد رضا فى كتابه (محمد رسول الله ﷺ) ص ١١٤ إلى ١١٧، حيث قال رحمه الله:

كان الإسراء قبل الهجرة بسنة، وبه جزم ابن حزم فى ليلة سبع وعشرين من شهر رجب وهو المشهور وعليه عمل الناس وكان ليلة الاثنين. وكان بعد خروجه ﷺ إلى الطائف.

كان الإسراء إلى بيت المقدس والمعراج إلى السماوات، وفرضت عليه فى تلك الليلة الصلوات الخمس، وقد ذكر الإسراء فى القرآن. قال ـ تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء:١)

واختلف فى كيفية الإسراء، فالأكثرون من طوائف المسلمين اتفقوا على أنه أُسْرِىَ بجسد رسول الله ﷺ(١). والأقلون قالوا إنه ما أُسْرِىَ إلا بروحه. حكى عن محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن حذيفة أنه قال: ذلك رؤيا وأنه ما فقد جسد رسول الله ﷺ وإنما أُسْرِىَ بروحه. حكى هذا القول أيضًا عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ وعن معاوية ـ رضى الله عنه ـ وحديث عائشة ليس بالثابت لأنها لم تكن حينئذٍ زوجته. قال النسفى وكان الإسراء فى اليقظة. وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت: والله ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن

(١) وفى الشفا للقاضى عياض: ذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفى اليقظة وهذا هو الحق وهذا قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبى هريرة ومالك بن صعصعة وأبى حبة البدرى وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج.

عُرِجَ بروحه. وعن معاوية مثله، وعلى الأول الجمهور إذ لا فضيلة للحالم ولا مزية للنائم.

واتفق الأكثرون من طوائف المسلمين على أنه أُسْرِىَ بجسد رسول الله ﷺ وهو الصحيح. جاء فى زاد المعاد لابن قَيِّم الجوزية:

«وقد نقل ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية أنهما قالا: إنما كان الإسراء بروحه ولم يفقد جسده، ونقل عن الحسن البصرى نحو ذلك. ولكن ينبغى أن يعلم الفرق بين أن يقال كان الإسراء منامًا وبين أن يقال كان بروحه دون جسده وبينهما فرق عظيم. وعائشة ومعاوية لم يقولا كان منامًا وإنما قالا أُسْرِىَ بروحه ولم يفقد جسده وفرق بين الأمرين، فإن ما يراه النائم قد يكون أمثالاً مضروبة للمعلوم فى الصور المحسوسة فيرى كأنه عُرِجَ به إلى السماء أو ذهب به إلى مكة وأقطار الأرض وروحه لم تصعد ولم تذهب، وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثال. والذين قالوا: عُرِجَ برسولِ الله ﷺ طائفتان: طائفة قالت عُرِجَ بروحه وبدنه، وطائفة قالت عُرِجَ بروحه ولم يفقد بدنه، وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان منامًا وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أُسْرِىَ بها وعُرِجَ بها حقيقة وباشرت من جنس ما تباشر به بعد المفارقة، وكان حالها فى ذلك كحالها بعد المفارقة فى صعودها إلى السماوات سماءً سماء، حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة فتقف بين يدى الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيأمرها بما يشاء ثم تنزل إلى الأرض، فالذى كان لرسول الله ﷺ ليلة الإسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة. ومعلوم أن هذا الأمر فوق ما يراه النائم» إلخ.... فالإسراء ما كان منامًا قطعًا لأنه لو كان منامًا لما كذبه المشركون، فإن من الناس مَنْ يرى أنه صعد إلى السماء أو قطع مسافات شاسعة لا يتصورها العقل، وليس المنام معجزة خارقة للعادة، والروح فى المنام لا تفارق الجسم كذلك لو كان الإسراء منامًا لَصَرَّحَ به رسول الله ﷺ (٢).

والطبرى فى تفسيره ينكر أن الإسراء كان بالروح فقط وقد ردّ على مَن قال بذلك فقال:

«والصواب منَ القول فى ذلك عندنا أن يُقال: إنَّ الله أسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما أخبر الله عباده وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أن الله حمله على البراق حتى أتاه به وصلَّى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل فأراه ما أراه من الآيات، ولا معنى لقول من قال أُسْرِىَ بروحه دون

(٢) ذهب فريق المعتزلة إلى القول بأنه أسرى به فى النوم لا فى اليقظة، خلافاً لأهل السنَّة والجماعة.

جسده؛ لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون دليلاً على نبوته ولا حُجَّة على رسالته ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن مُنكراً عندهم ولا عند أحد من ذوى الفطرة الصحيحة من بنى آدم أن يرى الرائى منهم فى المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل؟.

إلى أن قال: ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام إلا أن يقول قائل: إن معنى قولنا أُسْرِىَ بجسده على البراق فيكذب حينئذ بمعنى الأخبار التى رُوِيَّت عن رسول الله ﷺ أن جبريلٍ حمله على البراق لأن ذلك إذا كان مناما على رأى صاحب هذا القول ولم تكن الروح عنده مما يركب الدواب ولم يحمل على البراق جسم النبى ﷺ لم يكن النبى ﷺ على قوله حُمِلَ على البراق لا جسمه ولا شيء منه وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائمين وذلك دفع لظاهر التنزيل وما تتابعت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين».

ومما قاله الفخر الرازى فى تفسيره: قال أهل التحقيق: إن الذى يدل على أنه ـ تعالى ـ أُسْرِىَ بروح محمد وجسده من مكة إلى المسجد الأقصى القرآن والخبر. أما القرآن فهذه الآية. وتقرير الدليل أن العبد اسم لمجموع الجسد والروح فوجب أن يكون الإسراء حاصلاً لمجموع الجسد والروح إلخ... وأما الخبر فهو الحديث المروى فى الصحاح وهو مشهور وهو يدل على الذهاب من مكة إلى بيت المقدس ثم منه إلى السماوات ا.هـ.

والمعراج به ﷺ إلى السماوات ليطلع على عجائب الملكوت كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾

وإلا فالله ـ تعالى ـ لا يحويه زمان ولا مكان ورأى ربه تلك الليلة وأوحى إلى عبده ما أوحى وفرض عليه خمس صلوات وجمع له الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فصلى بهم فى بيت المقدس ثم استقبلوه فى السماوات ورجع ﷺ من ليلته إلى مكة.

وقد أنكر المسيحيون إسراء رسول الله ﷺ ومعراجه وليس ذلك بمستغرب منهم، إنما الغريب أنهم يؤمنون بقيام المسيح وصعوده إلى السماء، ففى آخر إنجيل مرقص:

(ثم إن الرب بعدما كلمهم، ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله).

وجاء فى آخر إنجيل لوقا:

(وفيما هو «المسيح» يباركهم، انفرد عنهم وأصعد إلى السماء).

انتهى ما كتبه فضيلة الشيخ رشيد رضا رحمه الله

أبو حامد الغزالى.. حجة الإسلام

ومن القارئ الأستاذ / فرج مجاهد عبدالوهاب - عضو اتحاد الكتاب - شوبين - دقهلية كانت هذه الكلمة عن حجة الإسلام الإمام «أبو حامد الغزالى».

ولد أبو حامد محمد بن محمد الغزالى المعروف بحجة الإسلام، بمدينة طوس، وهى واحدة من مدن خراسان المعروفة عام ٤٥٠هـ، مات والده وتركه طفلا ولكن بعد أن كان قد وضع ابنه على طريق حب العلم والفقه وأصول الدين، وسرعان ما ظهرت عبقرية الغزالى بعد رحلته الأولى إلى مدينة نيسابور واتصاله بالعالم الكبير الجوينى، ثم انتقل الغزالى إلى العراق بعد أن ملأ اسمه الآفاق، فتقلد مهمة التدريس بالمدرسة النظامية بمدينة بغداد (وهى التى كان قد أسسها الوزير السلجوقى نظام الملك) وبعد أربعة أعوام غادر بغداد إلى الحجاز ثم سافر إلى القدس الشريف ثم زار مصر (الاسكندرية) ثم عاد إلى مدينة دمشق حيث أخذ يتعمق فى التصوف بالمسجد الأموى لمدة عشرة أعوام، ثم عاد إلى مدينة طوس حيث مات رحمه الله عام ٥٠٥ هـ - ١١١١م ودفن بمقابر الطابران.

والإمام الغزالى بلا جدال واحد من أكبر العقول الإسلامية فى العالم الإسلامى قديمه وجديده على حد سواء.. حتى إن بعض كبار العلماء وصفوا كتبه بأنها أقيم ما كتب فى علوم الدين، وأنه لو ضاعت كتب العلماء كافة، وبقيت كتب الغزالى لكفت المسلمين.

والإمام الغزالى له منهج عقلى واضح كل الوضوح وضعه فى كتابه القيم «المنقذ من الضلال» فى تقرير الإيمان فى قلوب الناس، فقد قسم الحقائق إلى: حقائق تدركها الحواس، وهى أضعف من الحقائق التى يدركها العقل، وحقائق العقل - مع قوتها - أضعف من الحقائق التى يصل إليها القلب وهى أعلى مراتب اليقين. فالقلب يستطيع عن طريق التصوف والزهد تكرار التفكر فى صفات الله تعالى ومخلوقاته والابتعاد عن كل مغريات الدنيا، أن يتلقى لمحات «تجليات» من آيات الله فى داخله.. وهى أعلى مراتب الصلة بالله والتى لا يمكن الوصول إليها عن طريق العقل أو الحواس.

ولقد تعمق الغزالى فى دراسة الفلسفة بكل درجاتها وانتقد بعين بصيرة وعقل قوى الكثير من الفلاسفة لأنهم توقفوا عند الفلسفة العقلية التى تعد أقل منزلة من صفات القلب. واستمر يهاجم كل الفرق الإسلامية المتطرفة كالشيعة والمعتزلة والخوارج وسدد إليهم جميعا ضربات قاضية فى كتبه العديدة حتى دحروا.. وإليه يرجع الفضل فى إحياء مذهب أهل السنة لأنه يراه المذهب الوسطى الذى نادى به رسول الله ﷺ.

ومن أهم كتب الغزالى التى يصعب حصرها كتاب: (إحياء علوم الدين) و(المنقذ من الضلال) و(أيها الولد) و(ميزان العمل) و(الأربعين فى أصول الدين) و(سر العالمين).

كلمة أخيرة

مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ

لماذا يُمَكِّن الله للكافرين والملحدين ولا يُمَكِّن لنا ونحن نعبُد الله ولا نشرك به أحدا؟.

أسئلة كثيرة حملها البريد تدور حول هذه التساؤلات وأشباهها.

والإجابة هى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد: ١١)

فأهل القرون الأولى منذ عهد النبى ﷺ وصحابته الكرام، ومن سار على هديهم، لم يتوفر لهم أبداً العدد والعدة والعتاد المتفوق على العدو، والأمثلة كثيرة من بدر إلى عين جالوت.. دائماً كانت الهوة شاسعة.. دائماً كانت كفة العدو من الوجهة النظرية هى الأرجح. ولكن كانت صيحة الإيمان التى تخرج من القلب بكل الصدق والخشوع (اللهُ أكبر) هى سلاح الردع الفعَّال.. وبه استحقوا نصر الله.

فماذا قدمنا نحن لنستحق نصر الله؟.

نحن لم نصبر حتى على ابتلاء الله بالزلزال والجراد وأنفلونزا الطيور، رغم أن المولى كان رفيقاً بنا، ولو شاء لجعلها قاعاً صفصفاً.

عندما حل بالمسلمين طاعون (عمواس) فى الشام منذ نحو ألف وأربعمائة عام أراد الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن يستخلص أبا عبيدة بن الجراح عامله على الشام.. أراد أن يستخلصه لأنه سمع رسول الله ﷺ يقول عنه «أنه أمين الأمة»، ولكن ابن الجراح أبى إلا أن يموت وسط رجاله ورعيته فى ولايته، ورفض أن يفر من قدر الله، وبهذا استحق أن يكون أمين الأمة.

وكعادتنا فى كل شهر نحتفل بمناسبة عزيزة علينا، حيث تحل علينا بعد أيام ذكرى الإسراء والمعراج، تلك المنحة الإلهية التى منحها الله نبيه الكريم لقاء صبره على الأذى، ولقاء إصراره على

تبليغ رسالة ربه رغم ما ناله هو وأصحابه من هوان وعذاب.. حتى وقف ﷺ يدعو إلى الله يلتمس منه العون: «اللهم إليكَ أشكُو ضعف قوتى وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت ربُ المُسْتَضْعَفين وأنت ربى، إلى مَنْ تكلُنى، إلى بعيد يتجهمنى، أم إلى عدو ملَّكْتَهُ أمرى، إن لم يكُنْ بكَ غَضَبٌ عَلَىَّ فلا أبالى، ولكن عَافيتك هى أوسع لى، أعوذُ بنُور وجهكَ الذى أشرقت له الظُلُمات، وصَلُحَ عليه أمر الدنيا، والآخرة، من أنْ تنزل بى غضبك أو تحل علىَّ سخطك، لك العُتْبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوّة إلا بك».

ومضى ﷺ إلى أن وصل إلى موضع يُقال له «قرن الثعالب» فرفع رأسه فإذا بسحابة تظلله، وإذا فيها جبريل ـ عليه السلام ـ فناداه فقال: «إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث لك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم» وإذا بمَلَك الجبال يقول: «يا محمد قد بعثنى الله، إن الله قد سمع قول قومك، وأنا مَلَك الجبال قد بعثنى إليك ربُكَ لتأمرنى ما شئت، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين».

ورفض رسول الله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ أن ينهى مهمته فى دعوة قومه وهدايتهم، فقال لمَلَك الجبال: «أرجو أن يُخْرِجَ الله من أصلابهم مَنْ يَعْبُد الله لا يشرك به شيئًا».

عندها كان القرار الإلهى بتقديم كل الدعم للنبى الكريم لرفع معنوياته وإزالة آثار الأضرار التى أحدثها ظلم وعناد مشركى العرب وسفهائهم، فكان الإسراء والمعراج دعمًا وتمكينًا للنبى الكريم ورَدْعًا لأعدائه من مشركى العرب وسفائهم.. فكانت الرحلة السماوية التى خلدها الله تعالى فى كتابه الكريم:

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾

(النجم من ١ : ١٨)

أجل لقد أُوذى نبىّ الله محمد ﷺ وتحمل ما لا طاقة لبشر بتحمله من أذى، ونُكِّلَ بأصحابه ومن آمن به تنكيلاً تشيب من هوله الولدان، ولكنه ما خضع وما استسلم، فكان قدوة ومثلاً لأتباعه من المسلمين ومعظمهم كانوا من المستضعفين، وقصص تعذيبهم والتنكيل بهم وقتلهم تملأ كتب السيرة والتاريخ.

وبهذا الابتلاء استحق جيل الرعيل

الأول جنة عرضها السماوات والأرض بشر بها رسول الله ﷺ كل مَن صبر على المحنة، مؤمنًا بأن النصر آت ولا ريب، وبأن المولى ـ عز وجل ـ ناصر دينه، بل إنه عندما اشتد الأذى هرع نفر من المسلمين إلى رسول الله ﷺ يشكون له حالهم كما جاء في الحديث عن خبَّاب بن الأَرَت قال: [قُلنا يا رسول الله: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟. فقال لهم: ليُهَوِّن لهم ما هم فيه من كرب وضيق: «إنّ مَن كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه، لا يصرفه ذلك عن دينه، ويُمشَط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه، لا يصرفه ذلك عن دينه» ثم قال: «والله لَيُتِمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم قوم تستعجلون»] (أخرجه البخارى).

قوم تستعجلون؟!

هذا الكلام قاله رسول الله ﷺ لقوم فيهم: الصديق، والفاروق، وذو النورين، وعلى بن أبى طالب... وغيرهم من الصحابة البررة على ما كانوا عليه من ورع وتُقَى وزهد فى الدنيا، وحب للموت فى سبيل الله، فهل من حقنا أن نقيس أنفسنا عليهم، ونسأل نفس السؤال الذى وجهه الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لرسول الله ﷺ كما جاء فى قوله تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

(البقرة: ٢١٤)

وعدَ الله ـ سبحانه ـ نبيه وصحبه بالنصر لقاء ما قدموه من تضحيات وفى مقدمتهم نبى الرحمة الذى صبر على الأذى صبراً لم يصبره أى من الأنبياء من ذوى العزم، وأنجزهم الله وعده.

ولكنهم مع ما هم عليه استبطأوا نصر الله ورسول الله ﷺ يعاتبهم لأنهم يستعجلون!.

أناس قدموا الغالى والنفيس حبًا ورغبة فى نيل رضوان الله، واستبطأوا النصر لا سخطًا ولكن خوفًا من أن يكون قد بدر منهم تقصير.. إنهم يستعجلون النصر للإحساس برضوان الله عليهم لأنهم يعلمون أن النصر من عند الله يمنحه لمن يشاء من عباده المخلصين.

فماذا قدمنا نحن حتى نقول: متى نصر الله؟!.

أحمد نقى الدين

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

من الانفعال إلى الفعل

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

عاش العالم الإسلامى فى الفترة السابقة - ولايزال يعيش حتى تاريخ كتابة هذه السطور - حالة من الغليان الشديد، شملت كل أمة، وكل بيت، وكل فرد: صغيراً كان أو كبيراً، واهتزت المنابر داخل المساجد، وهاج العلماء والكتاب، واستاء كل مسلم على وجه المعمورة بسبب ما طالعتنا به إحدى الصحف الدانماركية من رسوم «كاريكاتورية» لا تحمل إلا الدليل القاطع على انحطاط خلق ذلك «الفنان» الذى رسمها بريشته، وسوء تقدير من وقفوا وراءه يحمونه ويصفقون له، زاعمين أن ذلك داخل فى إطار «حرية التعبير». ولقد كانت هذه الرسوم تهدف إلى النيل من الإسلام ورسوله الكريم - ﷺ - الذى قال الله عز وجل فى حقه:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

[الأنبياء ١٠٧]

ويقول - ﷺ - عن نفسه ذاكراً نعمة الله عليه: «إنما أنا رحمة مهداة» (١)

هذا النبى الكريم المبارك، الذى بدّل الله به خوف البشرية أمنا، ومهانتهم عزا وشرفا، وذلهم رفعة وكرامة، وضلالهم هداية ونورا، قال الله -عز وجل- فى حقه:

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ

(١) تفسير ابن كثير ٥/٣٨١

﴿ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[المائدة ١٥، ١٦]

حرية التعبير؟!!

عاش العالم الإسلامى حالة من الغليان والثورة لن ينساها التاريخ، ولا نعتقد أنها ستكون الأخيرة، لأن الحملات الظالمة التى يشنها الغرب على الإسلام ونبى الإسلام ﷺ ذات جذور سوداء فى أعماق التاريخ؟ ولذا فهى لم تتوقف ولن تتوقف وما حدث اليوم إن هو إلا «حملة صليبية» بأسلوب جديد، وبطريقة مبتكرة، تحت ستار «حرية التعبير»، بغية صرف الناس عن هذا الدين، بعد أن رأوه يسرى فى بلادهم سريان الماء العذب الرقراق فى الأرض الجدباء، ليحيلها إلى جنات خضراء وارفة الظلال.

فطالما كان هناك إسلام، وطالما كان هناك مسلمون، هناك أيضا كفر، وهناك كافرون، فتلك طبيعة الدنيا التى نحياها: صراع دائم بين الحق والباطل قال الحق سبحانه:

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾

[البقرة ١٢٠]

وقال عز من قائل:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾

[البقرة ٢١٧]

وبما أنهم لن يستطيعوا بمقتضى قول الحق - تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾

[غافر ٥١]

فلن يهدأ ذلك الصراع أبدا، ولن يتوقف عند حد، تلك سنة الله فى خلقه:

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾

[فاطر ٤٣]

كل ما هنالك من متغيرات، إنما هو فى أسلوب المكيدة ووسائلها، لكن الهدف هو هو، لن يتغير، وهو صرف الناس عن هذا الدين، ولكن ذلك - والحمد لله - لن يزيد المسلمين إلا استمساكا بدينهم، ولن يوقف الزحف الإسلامى الكبير عن أن يكسب كل يوم وكل ساعة أرضا جديدة داخل حدودهم، وفى عقر دارهم، ليبرهن بما لاشك فيه على أنه هو الدين الحق الخالد:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

[آل عمران ١٩]

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

[آل عمران ٨٥]

وما على المسلمين إلا أن يصبروا:

﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

[الأنفال ٤٦]

قوة الشعور الدينى

ولا أدل على أن الإيمان لايزال غضاً يانعا فى نفوس المسلمين، من هذه الثورة العارمة، التى شهد لها العدو قبل الصديق، والتى زلزلت الأرض من تحت أقدامهم، وطافت أرجاء المعمورة، حتى بكت النساء المسلمات فى خدورهن، ولقد شهدتها - والله - بعينى رأسى..!! ولكن العجيب فى هذا الأمر، الذى يجدر ذكره هنا، أن هذا البكاء كان مدفوعاً بعاملين اثنين، يبدوان للوهلة الأولى غاية فى التناقض، ولكن المتأمل يرى أنهما يرجعان إلى عامل قوى واحد سيطر وبقوة ليعلن عن نفسه فى ساحة الأزمة الشديدة. فما هما العاملان؟

لقد كان العامل الأول، الحزن الشديد، وخيبة الأمل، لما نراه من سخرية واستهزاء بهذا النبى الكريم، الذى فتح الله به أعينا عميا، وآذاناً صماً، وقلوبا غلفا، وشهد العالم كله، وشهد التاريخ لفضله وعظمته. ومما زاد من هذا الحزن، أنه كان تحت سمع وبصر الدول التى تزعم لنفسها أنها أم الحضارات والأخلاق، وتحت حمايتها بزعم «حرية التعبير»..!! يا سبحان الله..!! أتلك حرية التعبير، أم حرية الخوض فى أعراض الأديان، وانتهاك حرمة المرسلين الكرام الذين اصطفاهم الله لهداية الناس، وإخراجهم من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان بالله رب العالمين..؟!، ولكن، صبراً.. إنه الحقد الدفين..!!

﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

(الأنفال: ٤٦)

وإن غداً لناظره قريب..!!

أما العامل الثانى، فهو الفرح والسرور لما بدا فى الساحة الإسلامية من حب أتباع هذا الدين لله ولرسوله، هذا الحب الذى يغمر القلوب العامرة بالإيمان فى كافة أقطار الأرض، حتى قلوب أولئك المسلمين الذين يعيشون فى صورة جاليات إسلامية بعيداً عن رقعة العالم الإسلامى.

والذى يتأمل هذين العاملين يراهما راجعين لسبب واحد، هو قوة الشعور الدينى فى نفوس المسلمين فى كافة أقطار الأرض، والاستعداد التام للتضحية بكل مرتخص وغالٍ فى سبيل الله وفى سبيل افتداء رسول الله ﷺ.

حق الرد مصون

والحق، أن هذا الانفعال الشديد، الذى عاشته الأمة الإسلامية فى بداية الصدمة، من الأمور الطبيعية، التى لا يلام عليها المسلمون، ولا تشكل أى رد فعل سلبى، فالمفاجأة ضخمة، والخطب جلل، والمصيبة شديدة لا تحتمل، ولا يقابل مثلها من جانب المسلمين كما لو كانت شيئا هينا لا يستحق الثورة والانفعال.

ولكن آن الأوان، بعد أن مرت الصدمة فى غلوائها، أن يثوب المسلمون إلى رشدهم، وأن يأخذوا زمام الرد بأيديهم وبخاصة الكتاب والمحللون، ليكيلوا الصاع صاعين، ويردوا اللطمة لطمتين زيادة فى التأديب، ووضعا للحق فى نصابه الصحيح، فحق الرد مصون، وإنها «لحرية التعبير» كما أقرها الأعداء أنفسهم، ولا يحق لأحد كائنا من كان، أن يلوم

المسلمين على هذا الرد، أو يتهمهم بالتعصب الدينى، ليوقفهم عند حد الانفعال السلبى، الذى لا يأخذ بيده زمام المبادأة، تحت زعم التسامح، والمحافظة على حق الجوار لإخواننا النصارى الشرقيين، فنحن ـ والله ـ أول من يتمسك بعلاقات التسامح والود مع إخواننا المسيحيين. ولكن هل معنى ذلك أن يسكت المسلمون عن الرد على هذه السخرية والاستهتزاء بهذا الدين ورسوله الكريم؟ لا.. لا.. وألف لا.. يقول الحق - تبارك وتعالى -:

﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[الشورى ٤١، ٤٢]

فعلى أولئك الذين قاموا بهذا العمل الصبيانى غير المسئول، وعلى من وقفوا من ورائهم يدافعون عنهم بدعوى «حرية التعبير» تقع المسئولية.

لسنا مثلهم

غير أننا لن نقوم بمثل هذا العمل الوضيع، ونتعرض للسيد المسيح بكلمة واحدة تحط من شأنه، أو تنسب إليه ماينال من كرامته - عليه السلام - فهو عبدالله ورسوله الذى أرسله إلى بنى إسرائيل، وهو واحد من أولى العزم من الرسل، الذين امتدحهم الله عز وجل فى كتابه الكريم من خلال قوله تعالى مخاطباً نبيه محمدا - ﷺ -:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾

[الأحقاف ٣٥]

وإيماننا به وبطهارته وطهارة أمه البتول وجميع الأنبياء والمرسلين - عليهم السلام - جزء من إيماننا بالله - عز وجل - الذى أرسلهم إلى البشرية لهدايتها وإخراجها من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان والهدى. قال الحق - تبارك وتعالى - فى كتابه الكريم فى حقهم جميعا:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

[البقرة ٢٨٥]

وقال فى حق عيسى - عليه السلام -:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾

[الصف: ٦]

وقال:

﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾

[المائدة ٧٥]

سفهاء الغرب

وغير ذلك من الآيات البينات، مما لا يتسع المقام لذكره، وجميعها تقرر حقيقة أن المسيح - عليه السلام - واحد من رسل الله وأنبيائه الذين أرسلهم لعباده، فحاشانا أن نتفوه

بكلمة واحدة، أو نخط خطا واحدا يسيء إلى هذا الرسول الكريم، على غرار ما فعل السفهاء من نصارى الغرب فى حق نبى الإسلام، ورسول البشرية كلها محمد بن عبدالله - صلوات ربى وسلامه عليه وعلى جميع إخوانه الأنبياء - وحاشانا أن نتفوه بكلمة واحدة فى حق أمه البتول الطاهرة النقية التقية، التى كانت موضع اختيار الله لتكون طريقاً لخروج هذا النبى المبارك إلى الدنيا، ومعبرا كريما لظهور هذه المعجزة الباهرة بدون أب:

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾

[آل عمران ٤٢، ٤٣]

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾

[آل عمران ٤٥]

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾

[التحريم ١٢]

هذا هو نبى الله عيسى، وهذه هى أمه البتول - عليهما السلام - من خلال بعض الآيات التى تحدثت عنهما، ولذا فهما يحتلان من عقيدتنا ونفوسنا نحن المسلمين مكانا لايطاول، لذا فإننا لن نلجأ فى ردنا على هؤلاء الصبيان، ومن وقفوا وراءهم إلى مثل ما فعلوا.

ولكم رادتنا نفوسنا عن أن نتعرض لعقيدتهم ونعذبهم فى «الصميم» كما تعرضوا لعقيدتنا بالاستهزاء والسخرية من رسول الله - ﷺ ولكن ديننا يمنعنا من ذلك، ويحول بيننا وبين أن نؤذى جيراننا الذين يساكنوننا الديار، ولابد من أن نطيع الله فيهم، وإن هم عصوا الله فينا، فنحن أكرم منهم، والعقائد يحاسب عليها الله - عز وجل، يوم يُعرض الناس عليه فى ساحة العرض الأكبر.

أعظم شخصية إنسانية

ولكن، ألا يدرى هؤلاء الآفاقون الكذابون، الذين مردوا على الافتراء والاستهزاء بالديانات السماوية، أن حضارتهم هذه التى يتمتعون بمزاياها، وأن صناعاتهم، وتقدمهم العلمى، الذى بلغ بهم شأوا كبيرا من الرفاهية وارتفاع مستوى المعيشة لم يكن فى حسبان أسلافهم.. ألا يدرى هؤلاء أن هذا كله وغيره إنما هو من أيدى العرب والمسلمين أتباع هذا النبى الذى يسخرون منه برسوماتهم الفاجرة؟!

ألا يدرى هؤلاء الآفاقون الكذابون، الذين مردوا على الكفر، والافتراء، والسخرية بالرسل فى شخص سيدهم وإمامهم، أنهم برسوماتهم الفاجرة إنما يصطدمون هذه المرة بأعظم شخصية إنسانية عرفها التاريخ البشرى كله؟ ألا وهى «الشخصية المحمدية» التى أتاحت عظمتها نمو شخصيات تاريخية كبرى حولها، كانت كل شخصية منها «أمة» بأسرها.

إن النبوة المحمدية - كما يقول العقاد - صفة «إلهية» تولى صاحبها من القداسة ما يوحيه الإيمان، وتوحيه طاعة الإله، وهى بعد ذلك عظمة إنسانية راسخة القرار، رفيعة الذروة.

تلك عظمة «الذات المحمدية»: عظمة «الشخصية» التى استحقت من الله أن يجعل فيها رسالته كما جاء فى الكتاب المبين [٢] فى قوله تعالى:

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾

[الأنعام ١٢٤]

وحينما امتدحه بقوله:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[القلم ٤]

وقوله:

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

(آل عمران ١٥٩)

ثم نقول لأحبائنا العرب والمسلمين: شعوبا وحكومات. الذين يوالون دول الغرب، ويرتمون فى أحضانها، ويجعلون من بلادهم سوقا رائجة لبضائع من يقفون وراء هؤلاء الذين يسبون ديننا ويسخرون من رسول الله - ﷺ - بدعوى «حرية التعبير».. نقول لهم: ألا تغارون على هذا النبى الكريم، الذى جاءكم بأعظم دين سماوى عرفته الأرض؟ ألم تقرأوا قول الحق - تبارك وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ﴾

[الممتحنة ١]

وقوله جل وعلا:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

[المائدة ٥١]

---

(٢) اقرأ فصل «الذات المحمدية» من كتاب «ما يقال عن الإسلام» للأستاذ عباس محمود العقاد.

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر - المقيد برقم ١٥٧٤ لسنة ٢٠٠٥ المتضمن الأسئلة الآتية:

العقد صحيح

● السؤال الأول: ورد من السيد س.م.ع. يقول فيه: أنا سعودى الجنسية وأثناء وجودى بمصر تزوجت من فتاة مغربية بعقد عرفى مع وجود شهود وكانت بكراً، وبعد عدة سنوات استصدرت زوجتى حكماً من محكمة مصرية بإثبات العلاقة الزوجية بإقرارى، وتم توثيق الحكم من الجهات المختصة، مع العلم أن الزوجة قد باشرت العقد بنفسها لبعدها عن والدها، وقد أجاز الوالد هذا العقد بعد ذلك، والمجتمع حولى على علم به. وقد قمت من شهرين بالحصول على موافقة السلطات المختصة بالمملكة على زواجى من غير سعودية.

أرجو التفضل بإبداء حكم الشرع فى هذا الزواج، حيث إننى أثناء حديثى مع بعض الأصدقاء علمت أن عقد الزواج لابد أن يباشره الولى عن البكر ولا يحق لها أن تباشره هى عن نفسها.

الجواب:

■■ مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه وأرضاه عدم جعل الولى ركناً من أركان العقد، فإذا تم العقد بين كفئين عاقلين خاليين من الموانع الشرعية بقبول وإيجاب صَحّ العقد وترتب عليه آثاره، وهذا المذهب هو المعمول به فى الديار المصرية منذ زمن بعيد.

وعليه وفى واقعة السؤال: فالعقد المسئول عنه صحيح، وتترتب عليه آثاره الشرعية.

من غشنا فليس منا

● السؤال الثانى: ورد من السيد ع.م.م. من الزقازيق ـ شرقية، يقول:

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
علـى جمعـة
مفتى جمهورية مصر العربية

تقدمت زوجة ابنى للحصول على عقد عمل بإحدى الدول العربية، وكان من شروط الحصول على هذا العقد أن يكون المتقدم حاصلاً على شهادة «الماجستير»، وهى لم تكن حاصلة على هذه الشهادة، فقامت عن طريق بعض الأشخاص بالتحايل واستخراج شهادة «ماجستير» مزورة وقدمتها إلى الجهة الطالبة، وبالفعل حصلت على العقد وسافرت إلى تلك الدولة، وهى تعمل بها منذ ثلاث سنوات.

فهل ما قامت به حلال؟. وما حكم المال الذى حصلت عليه نظير عملها فى هذا البلد؟.

الجـواب:

■■ أمر الله ـ تعالى ـ بالصدق والأمانة، ونهى عن الغش والتدليس والخيانة؛ فقال ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

(التوبة: ١١٩)

وقال النبى: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» رواه مسلم من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه.

كما نهى ـ سبحانه وتعالى ـ عن أكل أموال الناس بالباطل، وهذا متحقق فيمن حصل على مال من الغش والخداع؛ فقال ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾

(النساء: ٢٩)

وعن أبى بَكْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ قال: كنا عند رسول الله فقال: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ ـ ثلاثًا ـ الإِشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَوْ قَوْلُ الزُّورِ» وكَانَ رسولُ الله مُتَّكِئا فَجَلَسَ، فَمَازَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ. متفق عليه.

وعليه فما فعلته السائلة من الحصول على شهادة الماجستير بطريق الغش والزور والتدليس حرام لا يجوز شرعًا، فإذا انضاف إلى ذلك انخراطها فى وظيفة تعتمد على هذه الشهادة

فإن ذلك يكون أشد حرمة، ولا حق لها فى هذه الوظيفة شرعا، وعليها أن تسعى لإنهاء عقدها؛ حتى يكون عملها مبنيا على الصدق والأمانة.

وأما عن المال الذى جمعته من جراء هذا العمل فلها أن تأخذه؛ لأنه أجر فى مقابل عمل قامت به، ولها أن تأخذ أجرها على الرغم من أنها لا تستحق هذه الوظيفة؛ لأن النهى هنا ليس منصبًا على ذات العمل، والحرمة هنا ليست متعلقة بالأجر نفسه وإنما طرأت فى طريق الحصول على الوظيفة.

خطأ الطبيب

● السؤال الثالث: ورد من الدكتور ج.م.د والذى يتضمن سؤاله عدة أسئلة خاصة بالحالات التى تموت بالمستشفى نتيجة لبعض الأخطاء غير المقصودة سواء أكانت أخطاء مهنية أو أخطاء فنية فى الأجهزة المستخدمة فى علاج هذه الحالات، وهذه الحالات هى:

١- إحدى السيدات حضرت لعمل غسيل كلوى وقمنا بتركيب الجهاز المستخدم لسحب المياه من جسم المريضة وإخراجها، فحدث أن سحب كمية لترين فحدث لها هبوط حاد وتوفيت بالرغم من عمل الإسعافات الأولية من نقل دم ومحاليل وخلافه.

٢- حالات أخرى جاءت للغسيل وهى فى غيبوبة تامة والبولينا مرتفعة جداً فقمنا بعمل غسيل كلوى لها لعل ذلك يُفيقها، ولكن حالتها ساءت وتوفيت بعد ذلك.

٣- حالات أخرى يتم توقيع الكشف عليها ويكون التشخيص خطأ فتموت المريضة ليس من العلاج ولكنها لم تأخذ العلاج المناسب لها.

٤- حالات أخرى تموت أثناء البنج مع العلم أنها أخذت نفس الكمية التى تأخذها الحالات الأخرى والتى تفيق من البنج.

٥- يحدث أن تموت بعض الحالات بعد العمليات لنزيف داخلى غير متوقع حدوثه أو وقته أو كميته ويموت المريض قبل تدارك خطورة الحالة.

ويقول السائل: نرجو معرفة ما إذا كانت وفاة هذه الحالات قتل خطأ أم لا؟.

الجـــواب:

■■ الطبيب مستأمن على حياة الناس وصحتهم؛ فخطؤه ليس كخطأ غيره، وهذا يوجب عليه ألا يقصر فيما يعرفه وألا يباشر ما لا يعرفه، بل ينتهى إلى ما يعلم.

والخطأ الذى يقع فيه الطبيب المختص على نوعين:

● خطأ يُعتاد وقوعه من مثله ولا يكاد يسلم منه طبيب، ولا يكون ناجمًا عن جهل أو تقصير، فهذا فى حكم العفو ولا يضمنه الطبيب ولا يعد قتلاً خطأ، ولو قيل بضمان مثل ذلك لأحجم الأطباء عن علاج المرضى، وفيه يقول الإمام الشافعى فى «الأم»: «والوجه الثانى: الذى يسقط فيه العقل؛ أن يأمر الرجُل به الداءُ الطبيبَ أن يَبُطَّ جرحَه، أو الآكلةُ أن يقطع عضواً يخاف مَشْيها إليه، أو يفجر له عرقًا، أو الحجام أن يحجمه، أو الكاوى أن يكويه، أو يأمر أبو الصبى أو سيدُ المملوك الحجامَ أن يختنه: فيموت

من شيء من هذا ـ ولم يتعد المأمورُ ما أمره به ـ فلا عقل ولا مأخوذية إن حسنت نيته إن شاء الله ـ تعالى ـ؛ وذلك أن الطبيب والحجام إنما فعلاه للصلاح بأمر المفعول به أو والد الصبى أو سيد المملوك الذى يجوز عليهما أمره فى كل نظر لهما كما يجوز عليهما أمر أنفسهما لو كانا بالغَيْن»أهـ.

وقال ابن المنذر: «وأجمعوا على الطبيب إذ لم يتعد لم يضمن»أهـ، وكذلك ذكر الشافعية فى كتبهم عن ابن سُرَيجٍ أنه لو سَرَى من فِعْلِ الطبيب هلاكٌ وهو من أهل الحِذْقِ فى صنعته لم يضمن إجماعًا.

وقال الدسوقى فى حاشيته على الشرح الكبير: «فإذا ختن الخاتنُ صبيًا أو سقى الطبيب مريضًا دواء أو قطع له شيئًا أو كواه فمات من ذلك فلا ضمان على واحد منهما لا فى ماله، ولا على عاقلته؛ لأنه مما فيه تَغْرِيرٌ؛ فكان صاحبه هو الذى عَرَّضَهُ لما أصابه، وهذا إذا كان الخاتنُ أو الطبيب من أهل المعرفة»أهـ.

● وخطأ ينتج عن مباشرة الطبيب لما لا يعلم أو تقصيره فى علاج ما يعلم، وهذا هو الخطأ الذى يضمنه الطبيب؛ لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله «مَنْ تَطَبَّبَ وَلَم يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ قَبْلَ ذلكَ فَهُوَ ضَامِنٌ». رواه أبو داود والنسائى وابن ماجة وصححه الحاكم.

وهذا يُرجَع فى تحديده إلى أهلِ الخبرة والاختصاص الذين يقررون بناءً على ذلك ضمان الطبيب للخطأ من عدمه.

مواريث

● السؤال الرابع: ورد من السيد و.ج.ع. يقول توفى عن:

١- أخ شقيق.

٢- أولاد إخوة أشقاء توفى آباؤهم فى حياة المتوفى.

٣- أولاد أخوات شقيقات توفيت أمهاتهم فى حياة المتوفى.

٤- أولاد عم شقيق.

٥- أولاد عمة شقيقة.

٦- بنات خال شقيق.

فمن يرث؟.

الجـــواب:

■■ بوفاة المسئول عن ميراثه عن المذكورين فقط تكون التركة كاملة للأخ الشقيق؛ لعدم وجود صاحب فرض ولا عاصب أقرب منه، ولا شيء لأبناء الإخوة الأشقاء؛ وذلك لحجبهم بالأخ الشقيق الأقرب درجة منهم، ولا شيء لأبناء العم الشقيق؛ لحجبهم بالأخ الشقيق الأقرب منهم حجة، ولا شيء لبنات الإخوة الأشقاء، ولا لأولاد الأخوات الشقيقات ذكورًا وإناثًا، ولا لبنات العم الشقيق، ولا لأولاد العمة الشقيقة ذكورًا وإناثًا، ولا لبنات الخال الشقيق؛ لكونهم جميعًا من ذوى الأرحام المؤَخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات.. هذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال وإذا لم يكن للمتوفى وارث آخر غير مَن ذُكِر.

والله سبحانه وتعالى أعلم

عبد الله بن رواحة

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

ذلكم هو ثالث قواد مؤته العظام أسلم قديما وحضر بيعة العقبة وقد اختاره رسول الله ﷺ نقيبا على قومه وكان ذلك بإشارة من سيدنا جبريل عليه السلام روى البيهقى عن الإمام مالك رضى الله عنه قال حدثنى شيخ من الأنصار أن جبريل كان يشير إلى رسول الله ﷺ إلى من يجعله نقيبا ليلة العقبة، قال مالك وكنت قبل أن أسمع هذا الحديث أعجب كيف جاء هذا؟ رجلان من قبيله ورجل من أخرى حتى حدثت بهذا الحديث أن جبريل هو الذى ولاهم وأنه أشار إلى النبى ﷺ. وروى أبونعيم عن ابن عمر قال: (لما أخذ رسول الله ﷺ النقباء قال: لا يجد امرؤ فى نفسه شيئا إنما أخذ من أشار إليه جبريل)(١).

وكان - رضى الله عنه - شاعرا دافع عن الإسلام مع شاعرين آخرين هما حسان بن ثابت وكعب بن مالك فهو فارس شاعر شجاع قوى الإيمان ولولا شجاعته ما اختاره النبى ﷺ ضمن قواد مؤته. ولولا إيمانه ما قبل هذه المهمة وهو يعلم أنه سوف يستشهد. لكن شجاعته وقوة إيمانه جعلاه يقبل المهمة عن قناعة ورضا يروى ابن إسحاق فيما يرويه عنه ابن كثير قال (فلما حضر خروجهم - يعنى حان وقت خروج القواد الثلاثة - ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم فلما ودع عبدالله بن رواحة مع من ودع بكى فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة؟ - ظنا منهم أنه بكى جزعا - فقال والله ما بى من حب للدنيا ولا صبابة بكم ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار - هى قوله تعالى:

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ (مريم: ٧١)

فلست أدرى كيف يكون الصدر؟ - يعنى أن الآية ذكرت أن الناس سوف يردون جميعا على النار وابن رواحة يتسائل فى إشفاق كيف يكون الرجوع فهو يخاف من ذلك؟ - ليت شعرى من يأمن إن كان ابن رواحة يخاف؟ فلما عرف الناس أن بكاءه خشية من عذاب الله وليس جزعا ولا صبابة ولا حب دنيا لما عرفوا ذلك - قالوا صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين.

---

(١) سبل الهدى والرشاد جـ٣ بيعة العقبة الثانية

ولا يمكن لهذا الموقف بما فيه من شجن وظن وجسارة شاعر يطلب الشهادة لابد لهذا الموقف أن يتمخض عن شعر يرد فيه الشاعر الفارس عما يتوهمه بعضهم فى بكائه، ورغم أن الشهيد أفصح عن سبب بكائه فبان أنه معنى عميق وفهم لا يصل إليه إلا الذين يخافون الله تعالى ولا يأمنون مكره، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الكافرون، حقا كيف الصدر بعد الورود؟ كيف الرجوع بعد التوجه إلى النار؟ نسأل الله السلامة والعافية، لا ليس حبا للدنيا ولا خوفا من الموت إنما هو الخوف من الجليل والتأمل فى آيات التنزيل.

فأنشد يقول فى شعر معبر صادق يرد على الذين لم يفهموا بكاءه وفسروه على معنى لا يحبه ولا يرضاه ولم يقصده قال:

لكننى أسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرع تقذف الذبدا
أو طعنة.. بيدى حران مجهزة
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدثى
أرشده الله من غاز وقد رشدا

وعبدالله بن رواحة مثل صاحبيه كان يعرف قبل خروجه مع الجيش أنه سوف يستشهد فى هذه المعركة، مع ذلك يقدم ولا يتردد ويقول شعرا كله بسالة وفداء وترحيب بالشهادة وفرح بالموت فى سبيل الله.

يروى زيد بن أرقم يقول: «كنت يتما لعبد اله بن رواحة فى حجره» ومن هذا نعرف أن ابن رواحة إلى جانب فروسيته وشجاعته وشاعريته كان ذا قلب رحيم يعطف على المساكين واليتامى فها هو ابن أرقم يعيش معه فى كنفه - يقول ابن أرقمك «وخرج بى فى سفره ذلك مردفى على حقيبة رحل. فوالله إنه ليسير ليلتئذ سمعته وهو ينشد أبياته ويقول:

إذا ادنيتنى وحملت رحلى
مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك أنعمٌ وخلاك ذم
ولا أرجع إلى أهلى ورائى
وجاء المسلمون وغادرونى
بأرض الشام مستنهى الثواء
وردك كل ذى نسب قريب
إلى الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالى طلع بعل
ولا نخل أسافلها رواء

قال زيد بن أرقم فلما سمعته يقول ذلك بكيت فخفقنى بالدرة، وقال: «ما عليك يالكع أن يرزقنى الله الشهادة وترجع بين شعبتى الرحل!!» فعبدالله بن رواحة كان يعرف من تعيين النبى ﷺ للقواد الثلاثة أنهم شهداء، ومع هذا كان حريصا على الشهادة كما كان حريصا دائما على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ فى كل أمر حتى إنه أقبل ذات يوم إلى رسول الله ﷺ فوجده يخطب فسمعه يقول: اجسلوا»، فما كان منه إلا أن جلس مكانه - مع أن الخطاب لم يكن موجها إليه فليس هو المقصود بالكلام لأنه لم يكن حاضرا من أول الكلام لكنه لشدة حرصه على الخير وعلى امتثال أمر الله وأمر رسول الله صلى

عليه وسلم لم يسعه إلا أن يجلس لما سمع كلمة: «اجلسوا»

يروى عبدالرحمن بن أبى ليله أن عبدالله ابن رواحة أتى رسول الله ﷺ وهو يخطب فى المسجد فسمعه يقول اجلسوا فجلس مكانه ـ خارج المسجد ـ حتى فرغ الناس فبلغ النبى ﷺ ذلك فقال له: «زادك الله حرصا على طواعية الله وعلى طواعية رسوله ﷺ».

وكما كان حريصا على طاعة الله وطاعة رسوله دفعه ذلك الحرص على الإيمان وعلى زيادة الإيمان، يروى عن أنس بن مالك إنه قال: كان عبدالله بن رواحة إذا لقى الرجل من أصحابه يقول له: تعال نؤمن بربنا ساعة. قال ذلك لرجل ذات يوم فغضب الرجل وذهب مغاضبا إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة فقال النبى ﷺ: «رحم الله بن رواحة. إنه يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة». وفى رواية أخرى عن شيخ من أهل المدينة. أن عبدالله بن رواحة قال لصاحبه: تعالى نؤمن ساعة قال: أولسنا بمؤمنين؟ قال: بلى لكننا نذكر الله فنزداد إيمانا وهذا هو مذهب أهل السنة الأشاعرة الذين قالوا إن الإيمان يزيد وينقص وهذا الرأى هو الذى يوافق الطبيعة فإن الممارسات الإيمانية تزيد اليقين بلا شك وبعمل الطاعات يربو الإيمان فى القلوب ويزداد ولذلك طالبنا الشارع الحكيم بتكثير الطاعات وأعمال البر. كما أن التقصير فى الطاعات وارتكاب المعاصى يقسى القلب. فذكر الله مع الجماعة وحضور مجالس الذكر مما يزيد الإيمان مصداقا لقول ابن رواحة: (نذكر الله فنزداد إيمانا) وشاهد ذلك كله قوله تعالى فى صفات المؤمنين:

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

(الأنفال: ٢)

ويؤيد ذلك آيات أخرى من الكتاب العزيز تؤكد أن الإيمان يزيد بالذكر والتفكر وعمل الطاعات وينقص بنقيض ذلك.

ويبدو أن ابن رواحة كان مقاتلا مشهورا وقائدا معروفا يحسن القيادة ومهارة القتال وأنه دائما يخرج بجيشه قائدا منتصرا، عرف النبى ﷺ فيه ذلك فكثيرا ما كان يرسله فى مهمات عدة كما إن تعيينه واحدا من النقباء يوم العقبة بترشيح من جبريل يدل على حسن القيادة وكمال التدبير فى السلم والحرب، ومع هذا كان حريصا أيضا على الطاعات ومجالس الذكر التى تزيده إيمانا، وكان حريصا على الصوم والصلاة، يروى أنه كان فى سفر مع رسول الله ﷺ فى يوم شديد الحر ولم يكن صائما إلا رسول الله ﷺ وابن رواحة، كما يروى أن رسول الله ﷺ بعث ابن رواحة فى سرية فوافق ذلك يوم جمعة فقدم أصحابه وقال أتخلف فأصلى مع رسول الله ﷺ الجمعة ثم ألحقهم. قال: فلما صلى رسول الله ﷺ رآه فقال: ما منعك أن تغدو مع أصحابك؟ قال أردت أن أصلى معك الجمعة. فقال رسول الله ﷺ لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما أدركت غدوتهم. فهذا يدل على شدة حرصه على الإكثار من عمل الطاعات بدليل أنه أراد أن يجمع بين خروجه للجهاد وبين الصلاة خلف رسول الله

ﷺ، ونحسب أن الموقف الذى يذكر لابن رواحة وينبغى للذين يكتبون عنه أن يضعوه فى مكانه المناسب فى سيرة الرجل وتاريخه.

وحرى بهذا الموقف أن يسمو بصاحبه ابن رواحة فيجعله فى قمة الرجال لأن الرجال تقيم بالمواقف التى يكون لها أثر فى مسيره التاريخ. من هذه المواقف التى نحسب أنها كانت ذات خطر بالغ فى تاريخ الرجل ومسيرة غزوة مؤتة، ما فعله ابن رواحة حيث إنه لما نزل المسلمون بلدة معان القريبة من مؤتة وبلغهم أن هرقل جمع لهم من الروم مائة ألف. ومن أشياعهم مائة ألف. فأقام المسلمون ينظرون فى أمرهم كيف يواجهون هذا العدد المهول وهم ثلاثة آلاف فقالوا نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا فإما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمر نمضى له؟ كان من الممكن لهذا التردد أن يثنى عزم المسلمين عن القتال وأن يكون سببا لتسرب الوهن إلى قلوبهم خصوصا وأنهم يقاتلون خارج حدود بلدهم على أطراف الجزيرة وأن مدد العدو بالعدة والعتاد أقرب من مددهم إن كان ثمة مدد، وأحسب أن مسار التاريخ كان يمكن أن يتغير لو لم يمض المسلمون لقتال العدو فى هذه الغزوة، وما ندرى كيف كان يمكن أن يتغير مساره؟ هنا يقف ابن رواحة موقف الرجال يصوب مسيرة التاريخ إلى المنهج القويم ويذكر الناس بأهم موازين النصر والقوة فى ميزان الحرب والسلام عند المسلمين، وقف ابن رواحة يقول: «والله إن التى تكرهون هى التى خرجتم تطلبون. الشهادة. وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به» إنه يقول ويعلن موازين القتال فى الإسلام وأن جيش المسلمين هو جيش هداية وتبليغ لا جيش طمع وجشع - ثم نادى فى الناس انطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة! بهذه الكلمات الواعية المستنيرة رد ابن رواحة إلى الناس صوابهم فقالوا صدق والله ابن رواحة ومضوا إلى القتال.

هذا موقف لا نقول إنه يحسب لابن رواحة فى مسيرة جيش لكنه يحسب له فى أهداف ومثل دعوة الإسلام ومن عجيب أمر هؤلاء الناس المسلمين الأوائل أنهم فى نبلهم ومثلهم وطاعتهم لله ورسوله كأنهم ملائكة. وفى حياتهم ومعاشهم بساطة وسهولة ويسر كأنهم بشر. فإلى جانب هذا الموقف العصيب نرى لابن رواحة موقف تمتزج فيه رجولة الرجال وفحولتهم بالدعابة التى لا يخلو منها إنسان كريم عفيف فهى تضاف إلى سجل مواهبه فى الخصال الحميدة كما تضاف إلى سجل كل رجل شجاع فإن النفس البشرية تألف الدعابة وتحن إليها حينا حتى تروح بها عن تبعات المسئولية وثقل المهمات. فلا ينقصها ذلك. ولا يعيب الرجل الكريم أن يجنح إليها كلما دعته ظروف الحياة إلى ذلك يروى أنه كانت لابن رواحة امرأه وكان يتقيها - أى أنه كانت فيها حدة وغيرة، كان ابن رواحة يعرفها منها لكنه كان يؤثر صيانة البيت وحماية الأسرة فهو يتجنبها بقدر ما يستطيع وبما يحفظ له توازنه فى بيته.

رحم الله ابن رواحة وألحقنا به فى جنات الخلد وصلى الله وسلم على رسول الله الذى أدب وعلم ابن رواحة وصحبه.

قصة العدد

عمار بن ياسر

للأستاذ/ كامل محمود حبيب

«صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»
«حديث شريف»

وقف بباب دار الأرقم رجل آدم طوال أصلع أشهل العينين بعيد ما بين المنكبين.. وقف يردد بصره فيما حوله وإن الشيطان ليوسوس له يريد أن يثنيه عن عزمه، وإنما قلبه لينتفض مما استولى عليه من الرعب، وكيف لا يستلبه الفزع من بعض عقله وهو فى هذا البلد وحيد، فما من عشيرة تحميه، وما من أهل يدفعون عنه الأذى؛ وقريش من ورائه فى الصولة والسلطان أشداء على صحابة محمد ورفاقه، يصبون عليهم فنونا من القسوة والعذاب فى غير رحمة ولا شفقة؟ واصطرع فى رأس الرجل عاملان: هنا النبى الكريم يشرق النور الإلهى من جبينه فيسطع متألقاً يجذب إليه جماعة ممن رضى الله عنهم، وهناك قريش لا تستطيع أن تنزل عن كبريائها فى هوان وذلة وهم سادة القوم وأمراؤهم فكيف يلقون السَّلم فى ضعة؟ كلا، بل أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

أفينكص الرجل على عقبيه ليتردى فى الغواية مرة أخرى ويعكف على أصنام من حجارة لا حول لها ولا طول، أم يندفع فيلج باب دار الأرقم ليلقى محمداً.. ثم يتلظى - بعد حين - بنار يؤج سعيرها وتنبعث من قلوب عليها أقفالها.. قلوب قريش المغيظة المحنقة؟ وأطرق يفكر ما يطمئن إلى أمر.

وجذبه من أخيلته صوت أقدام تسير إليه فى وناء وثبات.. فإذا صهيب بن سنان أمامه، فاندفع يحدثه:

● «ما تريد يا صهيب؟»

●● قال صهيب «بل ماذا تريد أنت يا عمّار»

● قال: «أريد أن أدخل على محمد فأسمع كلامه»

●● قال صهيب: «وأنا أيضا، فوربى لقد دفعنى قلبى إليه وإن خواطرى لتضطرب فى خيالى خشية مما ألاقى بعد».

ثم انطلقا جنباً إلى جنب إلى حيث النبى فأسلما معاً، وما استطاعا أن يبرحا الدار حتى خيم الظلام على الأرض، فخرجا يتسللان.

وأشرق نور الإيمان فى قلب عمار بن ياسر فما استطاع أن يكتم نزوات الفرح والغبطة فى قلبه، فراح إلى أبيه «ياسر» وأمه «سمية» يحبّب إليهما الإسلام فأسلما، وانطلق هو يعلن عن إسلامه فى جرأة لا يرهب القوة الثائرة، ولا يخاف العذاب الأليم.

وافتنّ آل حذيفة فى تعذيب آل ياسر - وما آل ياسر سوى عمّار وأمه وأبيه - لا يتورّعون من شر.. لقد مات ياسر فى العذاب، وماتت سمية إثر طعنة من يد أبى جهل؛ وعمار يشهد فما وهن وما استكان، فأغلظوا عليه وفى قلوبهم مراجل من الغيظ يُحمى عليها بنار من الصلف كلما خبت زادها الشيطان سعيراً.

وفى ذات مرة أخذوا يغطونه فى الماء المرة بعد المرة فما تركوه حتى نزل عند رأيهم وقد بلغ به الجهد مبلغه، وهم يقولون له: «اللات والعزى إلهك من دون الله» فيقول هو: «نعم» ويقولون له: «هذا الجعل إلهك» فيقول: «نعم» وحين انفلت من بين أيديهم استشعر وبال أمره فراح يكفر عن خطيئته بعبرات الأسى والندم، ويستغفر الله أن زلّ لسانه، وفى قلبه حسرات وحسرات، ولقيه رسول الله ﷺ وهو فى أحزانه ما يستطيع أن يكفكف بعض عبراته فجعل يمسح عن عينيه وهو يقول:

● «ما وراءك؟»

●● قال عمّار: «شر يا رسول الله، والله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير»

● فقال: «وكيف تجد قلبك؟»

●● قال: «مطمئن بالإيمان»

● قال: «فإن عادوا فعد» فانطلق عمار وقد مسحت كلمات النبى ﷺ على أحزانه.

وانطلق الفوج الأول من المسلمين إلى الحبشة فرارا من أذى قريش وخوفا من الهوان والفتنة، وعلى أثره الفوج الثانى وفى أكبادهم حرق أن نأوا عن وطنهم وأولادهم وعشيرتهم، وعمار صابر على أذى الكفار يتحمله فى جلد وصمت على

حين لا يستطيع أن يصبر عن مشرق النور والرحمة من وجه النبى ﷺ ، وما يزيده العذاب إلا إيمانا بمحمد ﷺ ودين محمد.

وهاجر عمار - فيمن هاجر - مع النبى ﷺ إلى المدينة فهبطها ضُحى، فما تلبث حتى أخذ يشيد للرسول مسجدا يقيم فيه الصلاة فى غير حذر ولا رقبة، وفى نفسه اللذة والطرب وهو ينشد: «نحن المسلمون نبتنى المساجدا» ورسول الله يردد: «المساجدا» واندفع القوم يشد بعضهم أزر بعض يحمل كل واحد منهم لبنة لبنة غير عمار فهو يحمل لبنتين لبنتين، وراع القوم أن يجهد عمار نفسه فتنقل الحديث فى همس: «إن عمارا يريد أن يقتل نفسه فهو يحملها فوق طاقتها!» وسمع النبى ﷺ الحديث فراح ينفض التراب عن رأس عمار وهو يقول: «ويحك ابن سمية! تقتلك الفئة الباغية!».

ولصق هو بالنبى ما ينأى عنه فى سلم ولا حرب لأن قلبه وإيمانه لا يطاوعانه على أن يفعل.

●●●

ولحق النبى الكريم بالرفيق الأعلى فبكاه عمار - فيمن بكى - سحا وتسكابا وفى قلبه - من أثر الفراق - جرح ما يندمل إلا أن يلحق بسيده، ثم هو لم يستشعر الوهن ولا الضعف فى دينه.

وارتد مسيلمة وقومه حين انفرجت الثغرة بموت الرسول فاندفع إليهم عمار - فيمن اندفع - ثائرا هائجا يهدر يريد أن يؤدب قوما على عصيانهم، وحين وجد فى المسلمين هوادة وفتورا ارتقى هو شرفا عاليا ثم أخذ ينادى وقد قطعت أذنه: «إلىّ، إلىّ يا معشر المسلمين، أنا عمار بن ياسر، أمن الجنة تفرون؟ هلموا إلىّ!» ثم اندفع إلى الصفوف يفرق ما اجتمع منها كأنه فتى فى الثلاثين، وهو قد شارف السبعين من سنى حياته.

●●●

رحم الله عمر بن الخطاب فلقد كان بصيراً بأقدار الرجال حين أمّر عمار بن ياسر على الكوفة وكتب إلى أهلها: «.. أما بعد، فإنى بعثت إليكم عمار بن ياسر أميرا وعبدالله بن مسعود وزيرا ومعلما، وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد من أهل بدر فاسمعوا لهما وأطيعوا واقتدوا بهما..».

لقد تأمر عمار على الكوفة فما أخذته كبرياء المنصب، ولا روعة الإمارة؛ ثم عزله عمر فما استولى عليه اليأس، وما حمل لأمير المؤمنين فى قلبه حفيظة ولا حقداً، بل قال: «والله لقد ساءتنى الولاية بقدر ما ساءنى العزل» واندفع على سننه لا يجد الخور ولا الفتور إلى نفسه سبيلاً.

يا عجباً! يا عجباً! يتغلغل الإيمان فى القلب فيحجب الإنسان عن لذاذات الحياة ومباهجها لينقله إلى لذاذات ومباهج أخرى هى لذاذات قلبه ومباهج دينه؛ ثم

ينزع عنه أطماع الدنيا وشهواتها فإذا سواء لديه أن يكون له ملك لا ينبغي لأحد من بعده، أو يكون فقيراً لا يستطيع السبيل إلى اللقمة يقيم بها صلبه إلا بشق الأنفس.

●●●

ووقعت الفتنة الكبرى بين المسلمين، فانشقت العصا، وغدا كل حزب يزعمون أن الحق إلى جانبهم، فانضم عمار إلى عليّ وأصحابه وهو يقول: «تالله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت أنَّا على حق وأنهم على باطل» وراح يدفع عن الحق فما يهن ولا يستكين، وإنه فى يوم صفين لعلى رأس رجال من أصحاب النبى كأنه علم، إن تيامن تبعوه وإن تياسر تبعوه، وهو يحرضهم بقوله: «أتفرون من الجنة والجنة تحت البارقة، اليوم ألقى الأحبة: محمدا وحزبه» وفى يده حربة ترعد وهو ينادى: «ألا من يبارز؟ ألا من يبارز؟»؟.

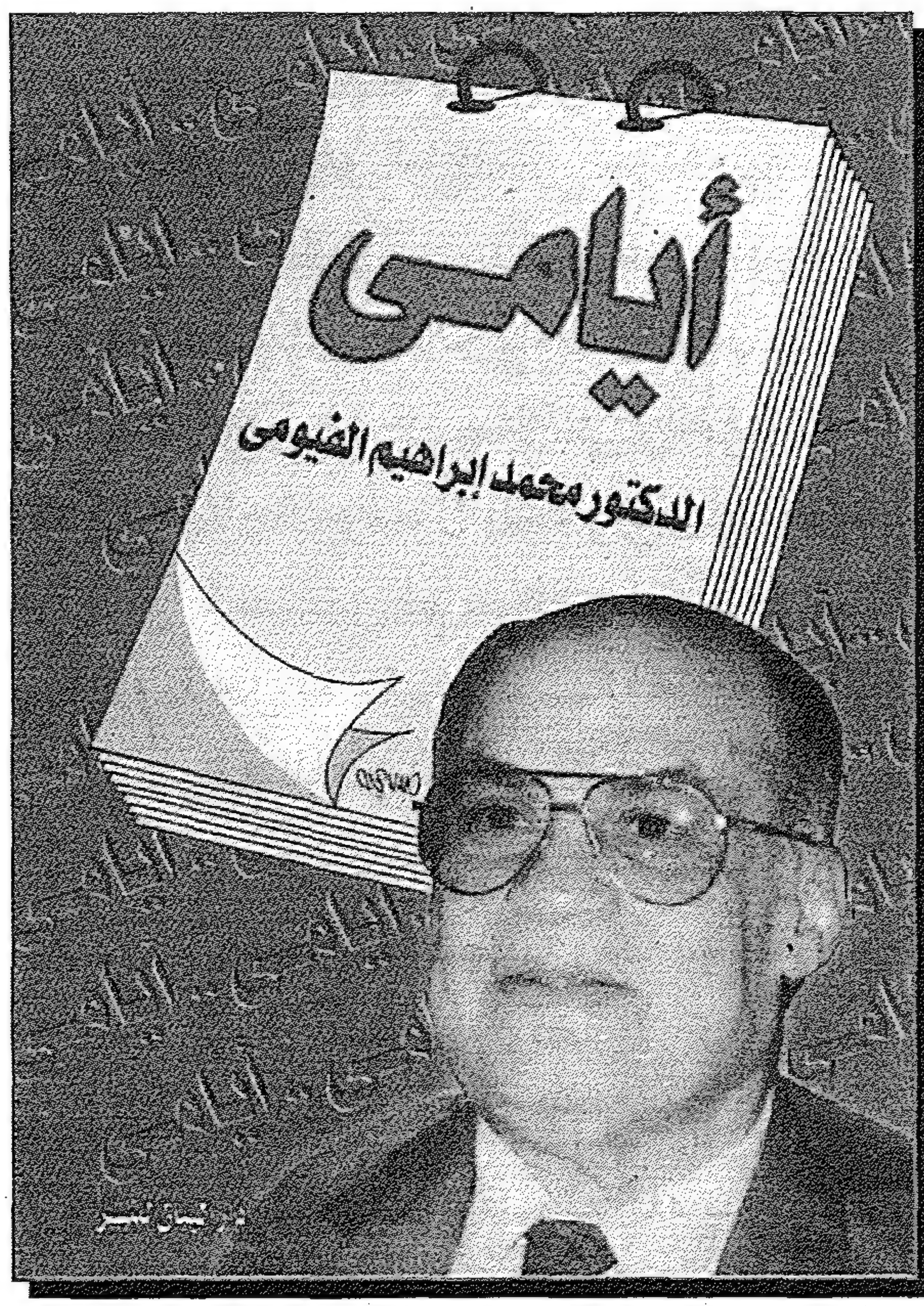
ويحك ابن سمية! تقتلك الفئة الباغية!

وشهد هذا اليوم مشهداً مروعاً من مشاهد الحرب تنفطر له الأكباد، هو قتل عمار بن ياسر! لقد رماه أبوالعادية المزنى بالرمح على حين غفلة منه فهوى إلى الأرض.. ثم أكب عليه آخر فاحتز رأسه فى غلظة وجفاء.. وانطلقا يختصمان لدى معاوية فى رأس عمار وكل واحد منهما يقول: «أنا قتلته» علّهما يصيبان أجراً، وعند معاوية عمرو بن العاص وابنه عبدالله ورجال من خاصته والمقربين إليه، فقال عبدالله: «ليطب به أحدكما نفسا لصاحبه، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية» وقال عمرو بن العاص: «والله إنهما ما يختصمان إلا فى النار، ووالله لوددت أنى مت قبل هذا بعشرين سنة» فأربدّ وجه معاوية وهو ما يستطيع أن يدفع عن نفسه بعض ما أصابها، وفى قرارة نفسه أن جيشاً من أقوياء المسلمين وأشدائهم ما يقدر على أن ينال منه بعض ما يناله حديث عمرو بن العاص وابنه إن هو شاع بين جنوده.

وهناك فى العراء وقف عليّ بن أبى طالب - عليه السلام - بإزاء جثمان عمار بن ياسر يقول وفى قلبه الأسى والحزن على أن فقد صاحب رسول الله وحبيبه: «إن امرءا من المسلمين لم يعظم عليه قتل ابن ياسر، وتدخل به عليه المصيبة الموجعة لغير رشيد، رحم الله عماراً يوم أسلم، ورحم الله عماراً يوم قُتل، ورحم الله عماراً يوم يبعث؛ لقد رأيت عماراً وما يذكر من أصحاب رسول الله ﷺ أربعة إلا كان رابعاً ولا خمسة إلا كان خامساً، وما كان أحد من قدماء أصحاب رسول الله يشك أن عماراً قد وجبت له الجنة فى غير موطن ولا اثنين، فهنيئاً لعمار بالجنة..».

وانطوت صفحة بيضاء ناصعة من صفحات الإسلام وانقض ركن من أركان الإيمان الثابت.. فرحم الله عماراً.

انتقل إلى رحمة الله الأستاذ الكبير الدكتور محمد إبراهيم الفيومى أحد أعلام الأزهر الشريف والمحرر اللامع للأبحاث العلمية الرصينة بمجلة الأزهر، وقد كتب الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى كلمة تحليلية عن حياته المثمرة حين تعرض للحديث عن كتابه «أيامى» الذى يتضمن خلاصة تجاربه، ويهمنا أن ننشر كلمة الدكتور محمد رجب البيومى ليعرف القارىء مناحى طيبة من حياة الفقيد الكبير رحمه الله وأجزل له الثواب.



عرض وتحليل/

د./ محمد رجب البيومى

لم يكن اختيار الدكتور محمد إبراهيم الفيومى موضوع «القلق الإنسانى» مجالاً لدراسته الفلسفية فى رسالة الدكتوراة حدثاً طارئاً على نفسه، حين أخذ يفكر فى موضوعات شتى حتى اهتدى إلى (القلق) إذ تأكد لى بعد قراءة كتابه «أيامى» أن هذا القلق قد صحبه منذ بدأ يعى ما حوله من مظاهر الوجود، طفلاً فصبياً فشاباً، إذ كان لا يفتأ يفكر فيما يُشاهد، مُحاولاً أن يجد له سبباً يطمئن إليه، فإذا لم يجد التعليل المقبول بعد السؤال الملح، والنظر المتطاول، تقاذفته الحيرة الفكرية: فأرق أرق الباحث عن جوهر ثمين ضاع منه، لقد تأكد لى ذلك وأنا أقرأ الفصول الأولى من أيامه، فعجبتُ لهذا الفيلسوف الصغير حين اندفع بحسه قبل أن يندفع بعقله إلى بيان التأمل المتصل، تأكد لى ذلك قبل أن أصل إلى باب (حياة قلقة) الذى قدم الدليل على ما أحسستُه، ثم تولى بعد ذلك حديثُه المتأمل الراضى قليلاً، والناقم كثيراً على ما حوله ومن حوله من الأشياء والأناسى، وهى نقمةُ الراحم الشفيق، لا نقمةُ الجبّار الغليظ، فنقمةُ الراحم نتيجة لإحساس دافق بالحق والخير والجمال، وأسف على ضياع المُثل الرقيقة التى يجب أن تسود، مع إشفاق على هؤلاء الذين يتخبطون فى الدياجير، دون أن يجدوا شمعة تضىء، أما نقمةُ الجبار الغليظ فنقمةُ المتكبر المترفع عمن حوله، مع ازدراء لمظاهر الضعف الإنسانى، وكأنها ليست

نتائج لمقدمات أليمة لا مفر منها، وهنا تكونُ النقمةُ ضرباً من الشذوذ الخلقى، يجبُ أن ينأى عنه من يتخذون المعرفة باباً لاستكناه الدوافع، وفتحِ المغاليق، وقد دفع هذا القلق الثائرُ طالبَ القسم الابتدائى بالأزهر إلى قراءة كُتب الفلسفة قبل أن يدرك الهدف الحقيقى لهذه المادة، دفعه لأن يقرأ كتاب الفلسفة الإغريقية للدكتور محمد غلاب، وأن يُطالع آثار العلامة الكبير الأستاذ محمد فريد وجدى فى آفاقه العالية، وكان الموقف صعباً عليه إذ تكنفهُ غموض مبهم لم يكد يفهم عنه شيئا فى هذا السن الباكرة، ومع ذلك فقد كان يُصغى إلي هاتف ملح يدفعه إلى القراءة من جديد.. ويُغريه باكتشاف الألغاز، كمن يقفُ أمام صندوق حديدى لا يعلم شيئا عما بداخله، وليس له إلا أن يُحاول فتحه بأظفاره الرقيقة وحدها، فإذا عجز لم يترك الصندوق لشأنه، ولكنه يحتضنه مترقباً ساعة آتية فيما بعد، وقد لطف الله به فكان الصندوق الحديدى هذا موضع تخصصه فى مُقبل أيامه، فكتب وحاضر وألف فى الفلسفة حين ألقت إليه بالمقاليد، ولم يهدأ القلق فى نفسه، لأن الفلسفة لا تُفضى إلى الجزم الأكيد، بل تدفعُ بالحيرة مرة ثانية أمام الأدلة المتكافئة، وهى حيرة محببة، لأنها ليست تخبطاً، بل هى عرض متشعب لتيارات متقابلة، والعقل يرتاح لسبحه المتصل فى بحار يعرف أغوارها، ويشعرُ بارتياح حين يعلُو به الموج ويهبط، وكأنه يلهو بأرجوحة تميل به، وإذا جزم نفر بمقررات الفلسفة، فلهم أن يهنئوا بما انتهوا إليه من يقين، ولكنهم ليسوا أفضل ممن يتشككون.

على أن من عجائب هذا القلق، أنه وُلد فى نفس الناشىء، وهو تلميذ بالمدرسة الأولية قبل أن يلتحق بالأزهر، فقد جعل يقفُ بعقله الغض أمام كل ظاهرة يراها، ورفاقُه فى المكتب يرون هذه الظواهر دون أن تترك صدى ما فى نفوسهم، ولعلهم ضاقُوا به حين يرونه يتطلع صامتاً، وكأنه يخفى سراً يحرص على كتمانه، وقد يُشاركهم فى اللعب وصيد السمك، وقطف ثمار التوت والجميز، ولكنه يجعل من ذلك كله باباً لأسئلة لا حصر لها، فقد صمم فى إصرار على أن يفهم ما حوله، ثم هو فى الوقت نفسه يتجرأ على السؤال محسناً الظن بمن يكبرونه فى السن، فلا يجد غير الاستنكار، وكأنه يسأل عما لا يليق وقد كان صادقاً حين تحدث عن نفسه فى هذه الفترة فقال ص٤٣ :

«قادنى التأمل إلى أن أُطيل النظر.. وجعلنى أطوف بالقرية لأقف مستوضحاً عن أشياء صغيرة، حتى عُرفت من الأصدقاء بأنى كثيرُ الأسئلة، وكأن للتأمل أثر فى حياتى. إذ حَبب إلى التأنى وكرهنى فى التهور والتسرع حتى فى مشيتى وكلامى».

وإذا كانَ خطّ التفكير قد بدَا واضحاً

فى اتجاه الناشىء المتطلع، فقد واكبه خط الوجدان، إذ بدت رُوحه الشاعرة تثب وثباً من خلال تأملاته النظرية فهو من هذه الناحية أفلاطونى لا أرسطى، وقد يُنكر ذلك من يقرأ بحوث الفيومى فى الفلسفة وعلم الكلام إذ يظنه يقعدُ مقاعد ذوى الفكر الخالص، والمنطق الصارم، ولكن من يتأمل شجونه الرقيقة يعرفُ أنه ذُو روح خفاق، إنه يتحدث عن صياح الديكة فى مشرق الفجر مُجاوباً صوت المؤذن، فيشعرك بنشوة الطفل الغرير حين تهزّه موسيقى الوجود فينفعلُ بها انفعالاً لا يخلص من تأثيره الخالب، وقد عبرّ عن بعض ذلك حين قال ص٣٩ :

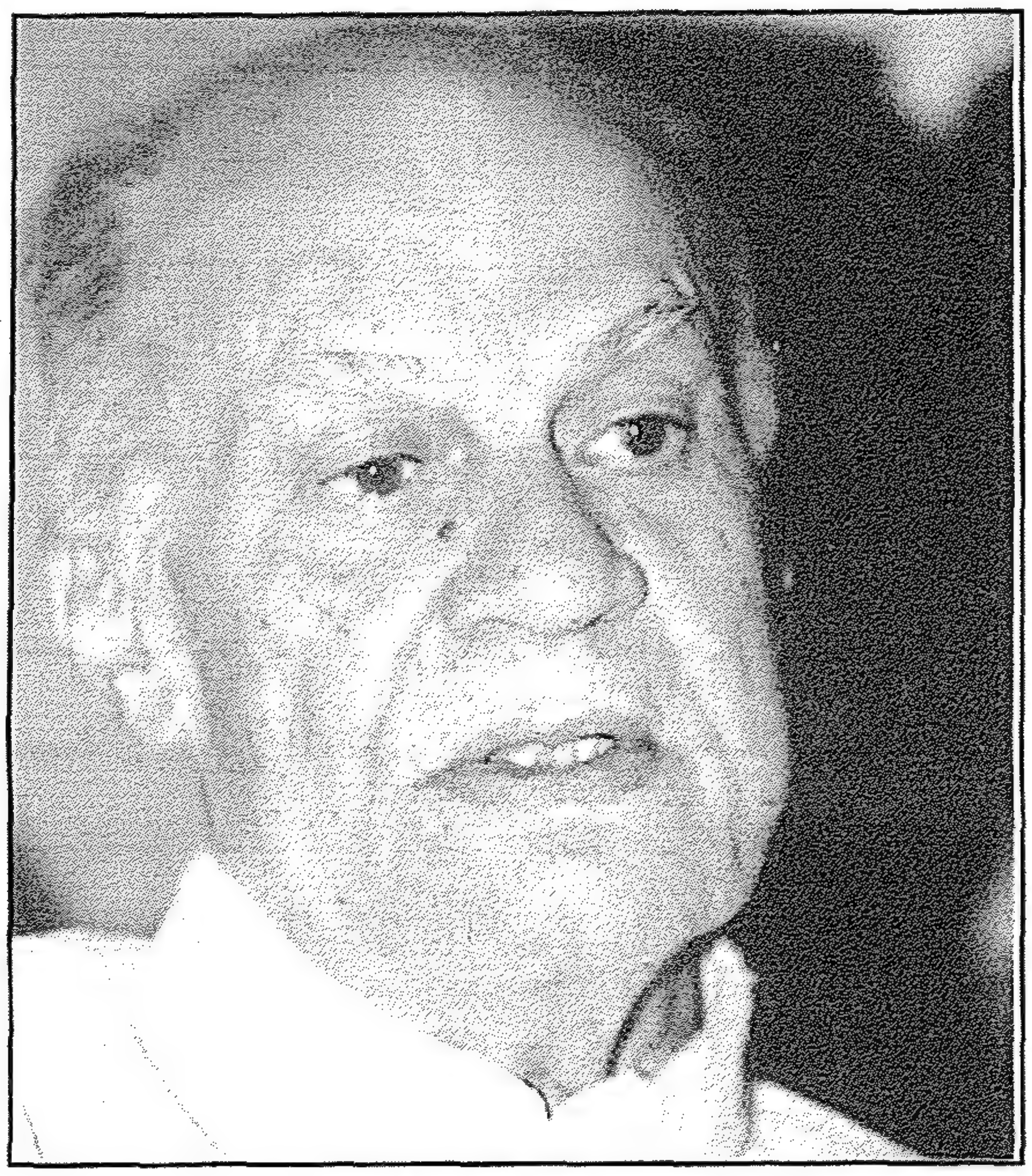
«تصادقت أذناى مع هذه الأصوات فكنتُ أصحو معها مبكراً، وأُصلى مع جدتي وأجلس بجانبها أقرأ القرآن، ثم مع شروق الشمس أصعد إلى البيت لأرى الحمام وهو يقفُ علي الجدار، وقد زها شكله، يهدلُ مداعباً أليفته أو منافراً عنها، أو مواكلاً صغيرة، ثم يطير محلقاً فى سموه ويحط فى نفس المكان وكأنه يتربص، كان يعجبنى نشاطه المبكر فكنت أسمع صوته بعد الفجر، بعد سماع صوت الديكة مُوذناً بيوم جديد، وكان هديله يلبسنى ثوب العافية فأقومُ وأصلى، وأصعدُ لأشاهده فى شكل أسرةٍ نظامية لها نظامها، كل زوج بعضُه مع بعض، تعلمتُ منه الاستقلال فى الشخصية حين رأيته يربى صغيره حتى يكبر ويعلمه الطيران ويقسُو عليه حتى يجبره على الاستقلال فوقر في نفسي منذُ حداثة سنى أن أستقل بعد مرحلة مُعينة طوعاً أوكرهاً، فأتحمل مسئوليتى».

لقد نشأ الفيومى بالأزهر كما نشأتُ من قبله بسنوات، وعرض أحداثاً مواقف مرت بى تماماً، ولكنى نسيتها حتى ذكرنى بها، لأن ذكراته الواعية قد ساعدته على تمثل أكثر ما مر به، وهو فى ما يذكرُ لا يقف موقف السارد المردد، بل يجعل لكل موقف تعليلاً، ولكل حادثة تفسيراً، وهو يذكرنى بما كتبه الأستاذ الدكتور أحمد أمين فى كتابه الرائع «حياتى»، حيثُ جعل من كتابه صورة صادقة لبعض ملامح عصره اجتماعياً وثقافياً وسياسياً، مع فرق واضح هو أن الدكتور أحمد أمين قد لزم القضية، فلم يفصح عن كثير مما ظنه يسيء أقواماً لهم كلمتهم المسموعة، أما الفيومى فكان أصدق من كتب عن مرحلة من حياتنا السياسية بالغة الخطورة فى أثرها الاجتماعى والخلقى، مرحلة تكتلت الجهود على الثناء عليها بالباطل لا بالحق، حتى غُم الأمر على كثير من الأغرار، وجاء الفيومى فكشف الستار عن مخازٍ دنيئة، عرفها قوم فحاولوا إخفاءها، ورأوا من الكِياسة أن يسيُروا فى ركب الهتاف الوصولى، واقتناص المنافع المرتقبة، وإن

شوهوا وجه الحقيقة، وكان من العجب أن ترى الواحـــد من هؤلاء يصطنع الرزانة والتعقل، وهو يختلقُ من التبريرات ما يعتقدُ بطلانه الأكيد، ثم يدّعى حياد النظرة، واستقلال الفكرة، وقد فضح الزمن هؤلاء حين مضى عهد وجاء عهد، فلبسُوا لكل زمن لَبوسه، وواصلُوا النفاق من جديد، لقد كتب الفيومى صفحات موجعة عن حقيقة مُظلمة غمرها الخزى والتوقح والاستخفاف، وكان ملهماً كل الإلهام فى اختيار ما ليس معهُ خلاف من فظائع الأحداث، حين رأى أن المنتفعين من ذوى الغرض الكسبى يلجئون إلى المُشتبهات ليُلبسُوا الحق بالباطل، فترك هذه المشتبهات إلى ما لا خلافَ عليه مما يفقأ عين المُمارى فلا يستطيعُ الإبصار.

لقد خُدع الفتى عند قيام الثورة بما يُسمى «منظمة الشباب وظن أحلامه الوردية ستتحقق فى أسرة مثالية ذات أهداف راقية تكونُ بمثيلاتها صورة لمجتمع خلقي نظيف، وتقدم بأمانيه شادياً مغرداً يكادُ يقفز فى طريقه من الفرحة، فرحة الظامىء المحرور وقد تخيل على البعد جنة ذات ظل وثمر وغدير، ووصل الشاب الحالم إلى مقر حُلمه فماذا وجد؟ وجد ما تحدث عنه بمرارة حين قال ص١٠٥ :

«دفعتنا تلك المشاعرُ إلى الانتظام فى «منظمة الشباب» و«هيئة التحرير» فوجدنا مكاتب رسمية يجلس عليها أناس



د. محمد إبراهيم الفيومى

رسميون لا يمتون إلى الشباب بصلة، ولا يعرفون عن التنظيمات الشبابية شيئاً، وإذا أردت أن تحادثهم كان عليك ان تنتقل من مكتب إلى مكتب، وإذا استجابت لك السماء وكتبت لك سعادة لقاء ذلك المسئول، وجدت شخصا متغطرساً يجلسُ على كرسيه مترنحاً يسرح بعينيه مع دخان سيجارته الغليظ، ويسألك بصوت غليظ أيضاً: إيه الموضوع؟ فتظل تحكى وتحكى وهو يهز رأسه، ويزوم بصوت لا تتبين حروفه ثم يقول: «ها نشوف المسألة!! وينتقلُ فيقول: قُول لى: لسه فيه إخوان؟ ما موقفُ الشبان من الثورة؟ احذروا من الوافدين والإخوان! ومن،.. ومن».

هذه السطور القليلة تنفجرُ عن معانٍ

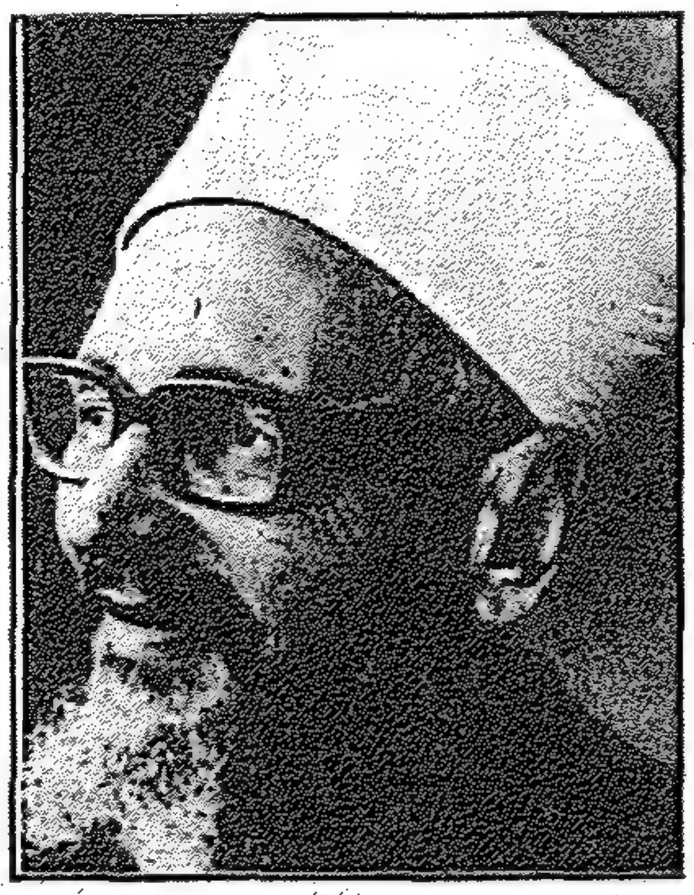
بغيضة تعصف بكل أمل مشرق يراود الشباب المتطلع، وهي تاريخ واقعي لو اكتفى بتسجيله ناقدٌ محايد لكان فيه كفاء وغناء! ومثلُه في «أيامي» كثير، حتى خُيل إليّ أن هذه الأيام شهادة على العصر، شهادة موُجزة تحملُ الدلائل الفاجعة دون تزيد! وكانت الغشاوة تسدُل على العيون ستارها فلا يهتدى البصر الثاقب، في صرخات الإعلام، وهُتاف الشعارات، وتصفيق المأجورين ممن يسيرون في كل ركاب، فماذا كان يصنع أمثال الفيومى من الشباب الطامح؟ وقد أحاطت بهم النيران من الجهات الست فهم منها في الإضرام مشبوب! ثم أذن الله أن تخمد صرخات الشعارات حين وقعت الهزيمة النكراء، فرُفع الستار عن مجرور نتن الروائح لا يزكمُ الأنوف فحسب، بل يقتل الأرواح صعقاً ومحقاً، وقد تحدث الفيومى عن هذه الزلزلة المُروعة التى سُميت بالنكسة تدليساً كما سُميت الجرائم سلبيات! وهى فظائعُ تشيب لها الرؤوس، تحدث في سطورٍ مُحرقة تجد تجاوبها اللاهب في الصدور، لأن الكاتب حين كان ينقل عن خاطره الحزين، كانَ في الوقت نفسه ينقل عن خواطر الشرفاء من مُعاصريه، لكنه برع وحلّق حين تحدث عن المأساة الحقيقية فيما كتبه تحت عنوان (الصراع بين السلطة والشعب ص٢١٣)، إذ قال فيما قال:

«ولا أحسبني مبالغاً، إذا قلتُ إن الصراع الذى احتدم بين السلطة والشعب، ومحاولة إبرازه متآمراً وأنه غيرُ جدير بتعاون الحاكم معه، أصبح من المسلمات الأساسية حتى بات التحدّث عنه من باب التواطؤ مع المتآمرين، فالقول بأن الشعب متآمر نقطة أساسية في حساب النظام الحاكم، وعليه قامت بينهما العلاقات المتوترة، وتشريع الأحكام العرفية، وقانونُ الطوارىء لكشف حركات تآمره، فتسلطت الأجهزة السياسية بألوان رهبويتها على الشعب.. وإذن فالقولُ بأنَ الشعب متآمر مقولة أساسية في بناء نظريةالثورة السياسية، وهكذا ابتدعُوا من عند أنفسهم عدوا مختلقاً، وهو أمنُ الحاكم مقابلاً لأمن المواطن».

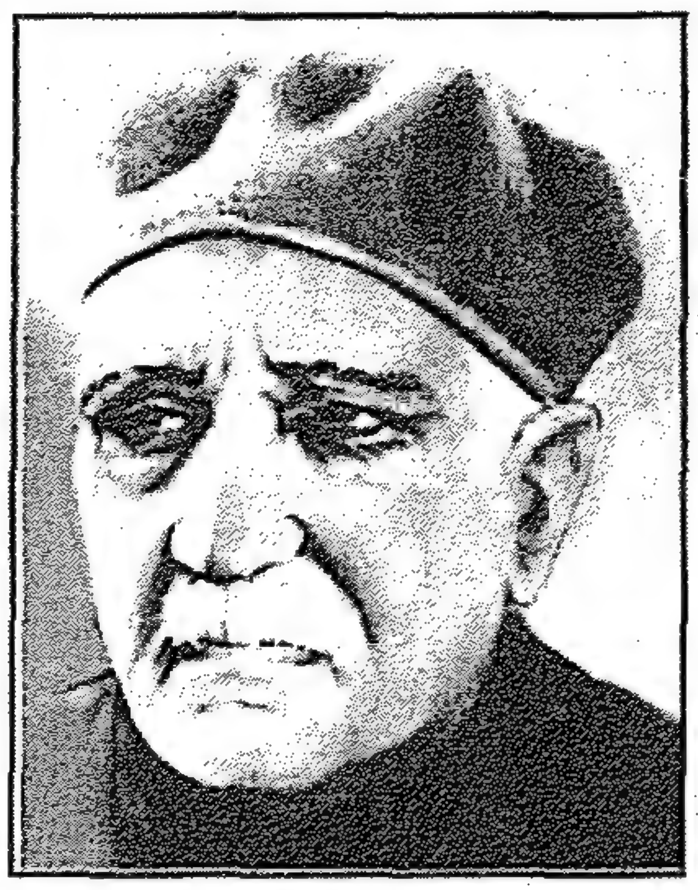
أرأيت كيف كانت صفحات الأيام سجلاً صادقاً يصلح أن يكون وثيقة أمينة في يد المؤرخ السياسى المحايد، كما صار سجلا اجتماعياً وثقافياً في أيدى رجال الثقافة والاجتماع، فالقريةُ والمدينة معاً قد وجدنا تاريخهما الدقيق فيما سطرهُ الفيومى عن قريته في مركز ميت غمر وعن عاصمته الشرقية (الزقازيق) وعن الحركة الثقافية التى وجدت خيوطها فيما تحدث به الفيومى عن قراءاته وكتاباته وندواته! وقد كُتب لى أن أعرف كثيراً ممن تحدث عنهم الأستاذ الفيومى من أمثال عبدالحليم محمود، ومحمد غلاب، وعباس محمود

العقاد وعلى أدهم وعبدالرحمن بيصار، فكانت انطباعاتى عن هؤلاء قريبة من انطباعاته، وكأننا صوتان يترددان فى دوحة واحدة لطائرين أليفين، أما انفراده بالحديث عن باريس فقد أضاف إلى ذهنى الجديد، وما زُلت أذكر حديثه عن بائعة الكتب الباريسية التى سألها عن كتاب يبحث عن القلق، فسألته بدورها أيريد القلق الفلسفى أم القلق النفسى، وهو سؤال حصيف، صادف تقدير الدكتور، وإن كنتُ أرى أن القلق النفسى بمعناه الخاص جزء من القلق الفلسفى، ولكن البائعة الذكية أرادت القلق بمعناه العام، وهو ما وُضعت عنه الكتب الشعبية الرائجة مثل «دع القلق وابدأ الحياة» كما ذكر الدكتور من أساتذته فى معهد الزقازيق بعض من كانوا أساتذنى من قبل، فذكرنى ناسياً، وأخذت أقول لنفسى كيف سمحت الأيام بمحو هؤلاء الأفاضل من ذكراتك؟ وفيهم من شارك فى بنائك العقلى، وكانت الإجابة هى امتيازُ المؤلف بإدراكه الواعى، وحسابه الدقيق.

على أن الدكتور لشدة تأثره بما ألم به من المعارف الإنسانية فى دنيا الفلسفة بنوع خاص وقد سمح لنفسه أن يتحدث فى أيامه هذه كثيراً عن بعض المسائل الفلسفية مثل ما ذكره فى صفحات ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩ عن الاتجاهات الفلسفية التى تلاطمت فى الفكر المعاصر،



عبدالحليم محمود



العقاد

من تيارات هلينية، وماركسية، وكهنوتية، مع إسهاب فى عرض آراء أمثال هوبز، واسبينوزا، ولوك، وبركلى، وهيوم وغيرهم، كل ذلك صحيح لا شك فيه، ولكنه يُعتبرُ زائداً بعض الشيء بالنسبة لتاريخ حياة مفكر أديب، كُتب أصلاً لإيضاح خُطوات الحياة نفسها، لا خُطوات الفكر الأكاديمى لصاحب هذه الحياة! وقد رأيتُ من حبذ اتجاه الأستاذ باعتبار أن الإنسان كل لا ينفصل، فالحياة هى الفكر فى صميمها المتغلغل، ولكن السيرة الذاتية فى رأيى قصة تُتلى لا درس يشرح.

لقد شعرت بعد قراءة هذا الكتاب أنى فى حاجة إلى قراءته مرة ثانية، لا لأحيط علماً بمادته الأدبية فحسب، بل لأستعين من الذكريات الخاصة لى، ما وجدتُ صداها فى هذه الصفحات، لذلك أجد المؤلف قد أسدى إلىَّ يداً كريمة حين سطر هذه الخواطر، فوجب أن أزجى له شكرى الجزيل، وأن أسأل الله له رحمة واسعة، ومقعد صدق فى جنات النعيم.

ما يقال عن الإسلام

تقرير عن فحص كتاب

- عنوانه: «آيات بينات من الكتب المقدسة»
- اختيار وجمع: محمد عبد السلام خليل النواوى
- صفحاته ١٣٢ صفحة - مع ملحق فى ٢٤ صفحة
- طبع فى الزقازيق يوم الاثنين ١٣ رجب سنة ١٤١٩هـ ٢ نوفمبر ١٩٩٨م.
- وعلى الغلاف أن هذا الكتاب «وقف لله تعالى».
- وعلى ظهر الغلاف إهداء من صاحب الكتاب لفضيلة الإمام الأكبر.. نصه: (إهداء إلى فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الجامع الأزهر، مع تحيات محمد النواوى. ٢١ من المحرم سنة ١٤٢٧هـ - الموافق ٢ من فبراير سنة ٢٠٠٧) - (وصحتها سنة ٢٠٠٦م).

فحص الكتاب وعلق عليه
الدكتور/ محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

● هذا الكتاب نصوص مختارة، اختارها جامعها من التوراة والإنجيل والقرآن.. بهدف توحيد الإيمان بهذه الكتب معا.

وإذا كان اختيار الإنسان هو قطعة من عقله.. وهو موقف وانتماء وانحياز.. فإننا - وبصرف النظر عن النوايا.. التى يصعب الحكم عليها - نحكم - فقط - على ما بين أيدينا.. واضعين فى اعتبارنا أن صاحب هذا الكتاب مؤمن بهذه الكتب الثلاثة كما هى عليه الآن.

● والأمر الذى لا شك فيه هو أن هناك ثوابت فى التوراة والإنجيل لا تخالف ما جاء عنها فى القرآن الكريم - وخاصة فى منظومة القيم والأخلاق - والقرآن يعلن أن فى التوراة هدى ونور.. وأن فى الإنجيل هدى ونور.. لكنه - فى ذات الوقت - يتحدث عن التحريف الذى أصابهما.. وعن أن أهلهما قد نسوا حظا مما ذكروا به - أى من الذكر الذى نزل على أنبيائهم - وعن أنهم قد كتبوا بأيديهم ما ادعوا أنه من عند الله.. ومن هنا فإن

منهاج التقريب لابد أن يعتمد رصد :

١- الأشباه والنظائر .

٢- والفروق .. وليس أحد الأمرين دون الآخر .

والسؤال هو : لماذا تجاهل صاحب هذا الكتاب ما جاء بالقرآن عن تحريف التوراة والإنجيل ؟ ! .. أم أنه لا يؤمن بهذا الجزء من القرآن ، فيكون قد نقض مقصده وهو الإيمان بالكتب الثلاثة ؟ .. ويكون مقصده فقط التوسل بالقرآن والاستتار به لترويج عقائد النصارى واليهود ، التي يرفضها القرآن الكريم ؟ ! .

● إن تتبع ما جاء بهذا الكتاب يقطع بأن هذه هي «الثمرة المرة» من وراء هذا الكتاب .. وعلى سبيل المثال :

١- في ص٤ يقول : «والقارئ لهذه الكتب الثلاثة - التوراة .. والإنجيل .. والقرآن - يرى فيها أشياء ثوابت لا خلاف عليها ، أهمها : أن الله واحد» فهل هذا صحيح ؟ ! .

هل الكتاب الذي يقول : إن الرب هو يسوع ، وأنه خالق كل شيء ، وبه كان كل شيء ، وبدونه لم يكن شيء ، وهو الألف والياء والأول والآخر .. يمكن أن يقال عنه - من مسلم - إنه كتاب توحيد ، يقول : «إن الله واحد» ؟ ! .

.. وأين ما جاء بالقرآن عن كفر القائلين بالتثليث ؟ ! .

هل الإنجيل يقول - كالقرآن - عن الله

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾

(الشورى : ١١)

أم أنه يقول - مع العهد القديم - : إن الله قد خلق آدم على صورته - أي على صورة الله - «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ، فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ، خلق الله الإنسان على شبه الله عمله» (تكوين ١ : ٢٦ ، ٢٧ ، ٥ : ١١) .

٢- هل الإنجيل فيه - كما يدعي صاحب هذا الكتاب ص٥ - «شريعة» و«قصاص» .. أم أننا - مرة ثانية - أمام تمييع للفروق قد يصل إلى حد التزييف ؟ ! .

٣- إن جامع هذا الكتاب - في ص٦ وغيرها - يصف التوراة والأناجيل - بوضعها الراهن - بـ «الكتب المقدسة» .. على حين يعلن القرآن بأنها قد أصابها التحريف .. فهل يوصف المحرف بالمقدس ؟ ! .. أم أننا أمام تسوية بين المحرف وبين المعصوم من التحريف ؟ ! .

٤- يدعي صاحب هذا الكتاب دعوى خطيرة - سبق وادعاها غلاة المنصرين والمستشرقين - وهي أن التوراة لأنها أسبق ، فهي الأصل لما جاء في القرآن .. وأن القرآن هو تكرار لما جاء في التوراة .. وأن زيادات القرآن على التوراة كانت في الآيات العلمية .

يدعي صاحب هذا الكتاب هذه الدعوى .. مع أن القرآن عندما يقول إنه قد جاء مصدقا لما أنزل الله من كتاب ، يقول كذلك إنه جاء مهيمنا على هذه الكتب .. أي مصححا لما أصابها من تحريف وتبديل وتأويل فاسد .. وأيضا مضيفا إليها ما لم تأت به من خصوصيات الرسالة الخاتمة والشريعة العالمية .

لكن صاحب هذا الكتاب يحصر زيادات القرآن وجديده فى الآيات العلمية : الطب.. والفلك.. والهندسة.. والكيمياء.. والفيزياء.. والرياضيات.. والفضاء.. والأجنة - وما عدا هذه العلوم، فما فى القرآن هو - عند صاحب هذا الكتاب - تكرار لما فى التوراة!!.

فهل هذا كلام مسلم فاقه للقرآن الكريم؟!.

٥- ثم.. إن فارقا بين أن نقول - مع القرآن - إن فى التوراة هدى ونور.. وفى الإنجيل هدى ونور.. وبين أن نقول - مع صاحب هذا الكتاب - إنها - وبشكلها الحالى - كلها هدى ونور!!.. وإلا تناقض ذلك مع القرآن - الذى نستشهد به - عندما يتحدث عن التحريف الذى أصابها!.

إن صاحب هذا الكتاب يعلن - فى جرأة - أن هذه الكتب - التوراة والإنجيل - بشكلها الحالى - فيها «الهدى والنور» - بأداة التعريف.. والعهد!.

٦- فى ص٩، ١٠ يقول صاحب هذا الكتاب: إن التوراة نزلت على موسى فى مصر - أى أنها نزلت بالهيروغليفية.. لغة موسى وقومه - .. ثم يقول - ص١٠ - إنها مترجمة عن العبرانية.. وفى ذلك جهل بأن التوراة نزلت قبل نشأة العبرية - التى هى فى الأصل لهجة كنعانية - بأكثر من مائة عام!.

كما يقول عن الإنجيل: إنه مترجم عن الكلدانية واليونانية.

ولم يسأل نفسه عن لغة المسيح - وهى الآرامية - فأين الأصل الآرامى للإنجيل؟.. أو حتى الترجمة عن الآرامية؟.

بل لم يسأل نفسه: أين إنجيل عيسى؟.. لأن ما أمامنا هى أناجيل، كتبها أناس غير عيسى.. وبعد عصره بسنوات طوال.

وفى هذه الأسئلة والإجابات عليها المقدمات الضرورية للحديث عن «القداسة» لمثل هذه النصوص.

٧- وإذا كان صاحب هذا الكتاب يجهد نفسه - ويجهد الحقيقة معه - لينتزع اعتراف القرآن والمسلمين بقدسية الكتب المحرفة.. فهلا بذل هذا الجهد - وهو المسلم - كى يعترف الآخرون بالقرآن وحيا إلهيا.. وبمحمد - ﷺ - رسولا ونبيا.. وبالإسلام دينا سماويا؟؟.. أم أنه - مع إسلامه - محارب بسيوف الآخرين.. ولحسابهم، فقط لا غير؟!.

٨- وهل نصارى اليوم هم الذين ينطبق عليهم الوصف القرآنى - الذى ساقه صاحب هذا الكتاب - أى الذين إذا سمعوا ما أنزل على رسولنا - ﷺ -:

﴿ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ (المائدة:٨٣)

كما يريد صاحب هذا الكتاب لقارئه أن يعتقد؟!.

٩- إن صاحب هذا الكتاب يتخذ - إزاء القرآن الكريم - منهجا انتقائيا معيبا، وذلك عندما يذكر ثناء القرآن على التوراة والإنجيل التى نزلت على موسى وعيسى - عليهما السلام - ويتجاهل آيات القرآن التى تحدثت عن تحريف اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل.. ويريد - بهذا المنهج الانتقائى المعيب - انتزاع اعتراف المسلمين

«بقداسة وقدسية» هذه الكتب المحرفة !.

كذلك يتجاهل آيات القرآن التى تحدثت عن ارتداد اليهود عن توحيد الشريعة الموسوية.. وارتداد النصارى إلى التثليث بدلا من التوحيد الذى بشر به عيسى - عليه السلام.

وصاحب هذا الكتاب ليس جاهلا بهذه الجوانب من القرآن.. فهو يحصى آيات القرآن التى تحدثت عن التوراة.. والتى تحدثت عن الإنجيل.. فلماذا أدار ظهره وعقله وغفلت إحصاءاته عما جاء فى القرآن من نقد لتلك الكتب ولعقائد أهلها.. وهو نقد يصل أحيانا إلى التكفير.. واللعن.. والوعيد..

إننا بإزاء موقف يزيد على «الجهل» و«الغفلة» !!.

١٠- فى الصفحات ١٥ - ١٩ يحاول صاحب هذا الكتاب أن يصور الكتب الثلاثة: التوراة.. والإنجيل.. والقرآن - فى صورة الكتب التى لا تختلف على التوحيد لله الواحد.. وفى هذا الكلام تزييف وتدليس.

صحيح أن اليهودية قد حافظت على التوحيد - لكن تراثها قد جعل الله الواحد إلها لبنى إسرائيل وحدهم.. وللشعوب الأخرى آلهتها.. فاقترب هذا التراث من الوثنية والتعدد فى المعبودات !.

أما النصرانية الحالية فإنها قد كفرت بالتوحيد.. وأشركت المسيح مع الله.. بل وأحلته - عمليا - محل الله !.. وإلا فماذا نقول - ويقول صاحب هذا الكتاب - عن قول (يوحنا ١ :٣) عن المسيح - الكلمة -: «وكان الكلمة الله».

وفى (رؤيا يوحنا ١ :١١) ينسبون إلى المسيح عبارة: «أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، القادر على كل شىء».

وفى (يوحنا ١ :٣): - عن المسيح - «كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان» فهل هذا هو التوحيد الذى جاء به القرآن الكريم ؟!.

بل إن التدليس ليصل بصاحب هذا الكتاب إلى حيث يورد - ص٢٢ - فى الجدول الذى يقارن فيه آيات التوحيد القرآنية بما يزعم أنها مثيل لها فى الإنجيل.. فيذكر الآية

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(الحديد: ٣)

ويقارن بها ما جاء فى (رؤيا يوحنا ٢٢ :١٣): «أنا الألف والياء البداية والنهاية الأول والآخر».

مع أن «أنا» هنا هى ضمير الإشارة إلى المسيح - وليس إلى الله - وفى السياق: «أنا يسوع» - نفس الإصحاح - عدد ١٦.

فالألف والياء والبداية والنهاية والأول والآخر - فى رؤيا يوحنا - هو يسوع.. لكن صاحب هذا الكتاب يدلس فيجعل هذا الشرك مساويا للتوحيد الذى جاء فى القرآن الكريم !.

إن أخطر ما جاء فى هذا الكتاب هو هذا التدليس الذى جاء فى الحديث عن عقيدة التوحيد.. التى هى لب الخلاف الذى حاول استبعاده وتجاهله وتزييفه صاحب هذا الكتاب.

١١- ثم.. كيف يتفق ما جاء بالعهد القديم والعهد الجديد عن آدم وحواء والخطيئة مع ما جاء

فى القرآن، حتى يقال إن موقف هذه الكتب الثلاثة من هذه القضية - التى رتبوا عليها الفداء والصلب - هو موقف واحد ؟!.

إن صاحب هذا الكتاب - فى الصفحات ٤٠، ٤٢ - يورد ما جاء بالعهد القديم عن أن المرأة - حواء - هى التى غوت.. وهى التى أغوت آدم.. فكانت سبب الخطيئة واللعنة.. ويورد ما جاء فى رسالة بولس إلى تيموثاوس ٢ :١٣، ١٤ : «وآدم لم يغو لكن المرأة أغويت».

فكيف يتفق هذا مع ما جاء فى القرآن من أن التكليف كان لهما معا.. والغواية والوسوسة الشيطانية كانت لهما معا.. والأكل من الشجرة كان منهما معا.. والتوبة كانت منهما معا.. ومن الإشارة إلى تحمل آدم المسئولية الأكبر، لأنه عصى وغوى.. ونسى ولم نجد له عزما..

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾

١٢- إن هذا الكتاب يروج - أساسا - للعهد القديم وللعهد الجديد.. حيث إن ما جاء به من آيات قرآنية لا يبلغ عشر معشار ما جاء به من نصوص العهدين القديم والجديد!.

● وإنه يروج لوعد الله - «المزعوم» - لنسل إسحاق بالأرض التى بين النيل والفرات.. بل لقد رسم على غلاف الكتاب خريطة هذه الأرض الموعودة!.. وفى ملحق الكتاب - ص١٣-١٥ - يجيب الكاتب عن سؤال حول ما هو مكتوب فى الكنيست الإسرائيلى من أن أرض إسرائيل هى ما بين النيل والفرات؟.

يجيب الكاتب - المصرى المسلم! - بأن يورد كلام العهد القديم الذى يصدق على ذلك والنصوص التى ساقها لتأكيد ذلك تبلغ نحواً من ثلاث صفحات!!!.

● ويروج لدعوى أن الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل.

● وأن عهد الله هو مع إسحاق وبنيه وليس مع إسماعيل - الذى يصفه العهد القديم بأنه «يكون إنسانا وحشيا»!.

● ويروج لدعوى أن إسحاق هو الابن الوحيد لإبراهيم الذين يحبه إبراهيم!.

● ويروج لقول بولس: إن هاجر مستعبدة مع بنيها! فإسماعيل ولد من الجارية حسب الجسد.. بينما إسحق ولد من الحرة حسب الموعد (رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٤ :٢٣، ٢٥).

● ويروج لقول بولس - أيضا -: «إن ابن الجارية - "إسماعيل" - لا يرث مع ابن الحرة» (رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٤ :٣٠).

وفى ذلك إنكار لنبوة إسماعيل.. وحكم بالاستعباد على أبناء هاجر - ومنهم رسولنا - ﷺ -!.

● ويروج - كذلك - لخرافات العهد القديم، بما فيها مصارعة الله ليعقوب.. ودعوى نجاة بنى إسرائيل - حتى الآن - من مرض «عرق النسا» بسبب هذه المصارعة!.

● ويروج لعداء الرب لعموم المصريين وضربه لهم جميعا - وليس فقط لفرعون وملئه.

ويلفت النظر أن هذا الكتاب قد أورد هذا الذى صنعه رب إسرائيل بالمصريين - أورده بالبنط

الكبير والأسود !!.. حتى لكأن وراء ذلك أحد حاخامات اليهود المعادين لمصر والمصريين - !!.

١٣- وفى الكتاب أن الذى طرح العصا فصارت ثعبانا أمام فرعون هو هارون وليس موسى (خروج ٧: ١٠).. فكأنما صاحب هذا الكتاب يصدق أسفار العهد القديم ويكذب القرآن الكريم !!.

●●●

وأخيرا.. فإن هذا الكتاب يقدم خدمة كبرى للنصرانية واليهودية.. ولا علاقة له بخدمة الإسلام.. بل ولا حتى بالمقارنة بين الكتب الدينية - التوراة.. والإنجيل.. والقرآن - وما وضْعُه لآيات من القرآن بين الحين والحين إلا حيلة ساذجة لتقديم عقائد اليهود والنصارى - التى يرفضها القرآن - فى إطار من التزييف والتدليس.

وليس فى الكتاب ما يشهد للإسلام سوى أربع صفحات هى البشارات والنبوءات التى تفسر كإشارات إلى بعثة رسولنا - ﷺ - ص١٢١-١٢٦.

وعندما ما أراد صاحب الكتاب أن يشهد - فى آخره - قال:

«أشهد

إن فى التوراة لآيات

وإن فى الإنجيل لآيات

لو أنكرها بشر.. لكفر»

ونسى - الكاتب المسلم - أن يشهد لآيات القرآن !!.

● أما ثقافة كاتب هذا الكتاب، فهى أبعد ما تكون عن مؤهلات الخوض فى هذا الموضوع.. فهو يقول عن نفسه - على الغلاف الأخير - إنه حاصل على «إجازة» معهد الدراسات العليا للمعلمين - لغة إنجليزية -.

فهل هناك «شهادة فى عصرنا اسمها «إجازة»؟!.

كما يقول: إنه حاصل على «شهادة» من الجامعة الأمريكية بالقاهرة فى:

أ- وصف اللغة الإنجليزية.

ب- تدريس اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية.

والملاحظ أنها «شهادة» بصيغة التنكير!.. وفى تدريس الإنجليزية كلغة أجنبية! والسؤال: هو عن علاقة «كورسات» الإنجليزى بهذا الموضوع الخطير الذى قدمنا عنه هذه الملاحظات؟!.

إن الله - سبحانه وتعالى - هو العالم بالنوايا.. وبمن وراء أصحاب النوايا !!.

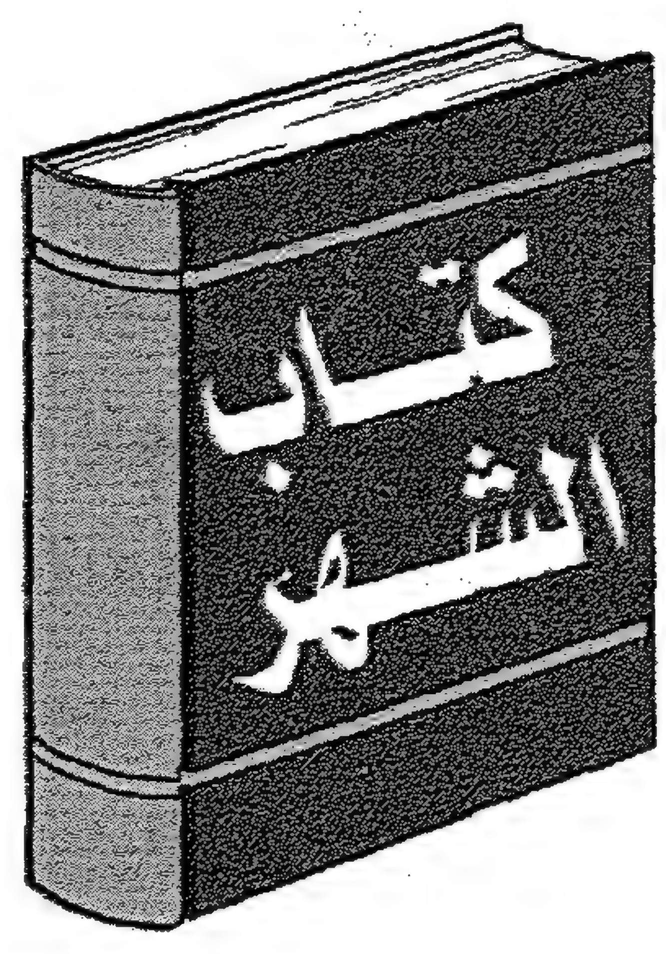
ونحن لا نملك إلا أن نوصى بـ:

١- منع هذا الكتاب من التداول.. ومن إعادة الطبع.

٢- ونشر هذا التقرير - كمقال - فى مجلة «الأزهر».

وذلك ردا على هذه الافتراءات التى طالت عددا من ثوابت الاعتقاد الإسلامى.. وردعا لمن تسول لهم أنفسهم العبث فى المناطق التى لا يجوز العبث فيها.

والله ولى التوفيق



الإرهاب الغربى

تأليف

روجيه جارودى

ترجمة

د. داليا الطوخى   د. ناهد عبد الحميد

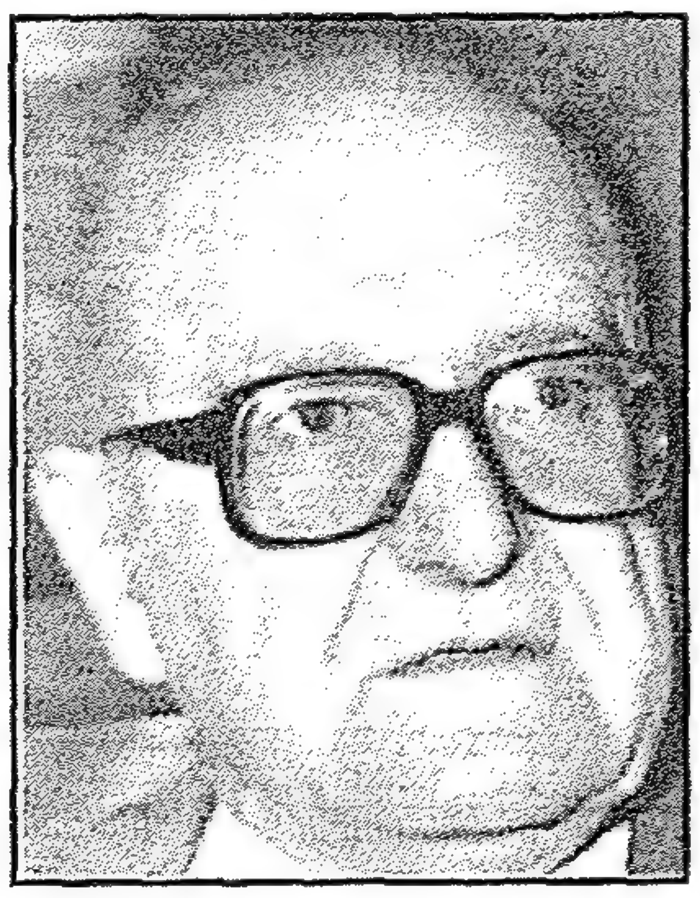
د. سامى مندور

الجزء الأول

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

٤


روجيه جارودى

الكلمة.. بلسم شاف يحفظ على الإنسان حياته، وروح تسرى فى الكيان الهامد فينطلق بالإنسان فى رحلة البناء التى تشيع فى الأرض الأمان والاستقرار.. والكلمة - فى الوقت ذاته - سلاح فتاك مدمر، يسلب الإنسان حياته، ويحرمه لذة الأمن، ويفقده طعم الاستقرار!.

وما كان هذا التباين الحاد بين ما تؤديه الكلمة ناشئا من ذات الكلمة، ولكن هذا البون الشاسع يصنعه الإنسان نفسه، الذى أنعم الله عليه بها، وجعلها من أسباب تميزه.

فالإنسان هو الذى يتحول بالكلمة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار بفعل أطماعه المطلقة، وتطلعاته المتنامية بلا حدود.. تلك التى جعلت من هذا الإنسان كيانا جامحا، تدفعه ما تزينه له الأوهام؛ فلا أثر لتجربة سُبق إليها، ولا وجود لعقل وهبه الخالق له ليتبصر به، ويتعلم من غيره، فيتجنب المزالق قبل السقوط فى مهاويها، ولا قيمة لقلب زود به الإنسان ليمتاز بنبضه وخفقاته وشفافيته عن الحيوان فى الغابة.

فالإنسان الذى يوظف الكلمة فى الحوار الجاد، الباحث عن الحقيقة، المقدر أنه يحاور أخاه الإنسان.. فيجادله - حين يجادل -

بالتى هى أحسن، ويدعو إلى الخير متوسلا بالكلمة الحكيمة، والموعظة الرقيقة.. هذا الإنسان إنما هو إنسان يسمو بالكلمة عن الخداع والغش، ويرقى بها عن التعالى المتغطرس، وينأى بها عن الطغيان المادى الجارف؛ حرصاً منه على أن يوظف الكلمة فيما يليق بالإنسان فى مكانته التى فطره الله عليها؛ مدركا أن اختلاف الألسن، والألوان، والمواطن لا يضفى على الإنسان ما يترفع به عن الإنسان الآخر، وإنما تلك المظاهر الاختلافية جعلت أسبابا للتلاقى والتعارف، والتواؤم الخلاق.

بخلاف هذا الذى يتخذ من الكلمة وسيلة خداع ونفاق وتزييف، يشهرها فى وجه أخيه الإنسان سلاح تضليل قاهر، وطغيان ظالم.. على نحو ما رأينا من أبناء الغرب الأوروبى فى صنيعهم مع الكلمة، حيث بلغوا فى ذلك درجة الشطط الجارف، حتى لقد حرفوا الكلمة السماوية؛ لتكون دافعا للقهر والتدمير والإرهاب، كى يصلوا إلى ما سوّله لهم الوهم الخادع، وما زينه لهم الضلال الفتاك من مظاهر العظمة والسيادة.. ومضوا فى هذه السبيل، فى حلقات متواصلة منذ بداية التاريخ الإنسانى، حتى هذا اليوم من أيام القرن الحادى والعشرين الميلادى.

بالعنف.. أمريكا فوق الجميع

ويؤكد جارودى على صدق هذا، ويبرهن على أن الإرهاب الأمريكى المعاصر ليس جديدا على ساسة أمريكا، إنما هو امتداد لإرهاب الغرب منذ آماد بعيدة، حيث استطاع قادة أمريكا - فى العصر الحديث - أن يربطوه بالفكر والدين، حتى يفرض على كل الفئات أن يسلموا به، ويؤمنوا بأنه ضرورة يوجبها الدين، ويستلزمها الفكر الواعى.. وحتى يخلو الميدان تماما للكلمة المنحرفة، وللإنسان الذى يتقن تحريفها، والتضليل بها.

وفى سبيله إلى هذا.. يقدم جارودى ما جاء على لسان «السيناتور ألبرت جى بفريدج» عضو مجلس الشيوخ الأمريكى، منذ سنة ١٨٩٨، فى قرار: «يجب أن تصمم مؤسساتنا على وصول القانون الأمريكى، والعلم الأمريكى، والنظام الأمريكى، والحضارة الأمريكية إلى جميع المناطق والطرق التجارية فى العالم، وقد يكون ذلك بصورة دموية.. وستكون نعمة الرب معنا، حتى يصبح نجمنا ساطعا فى أرجاء العالم».

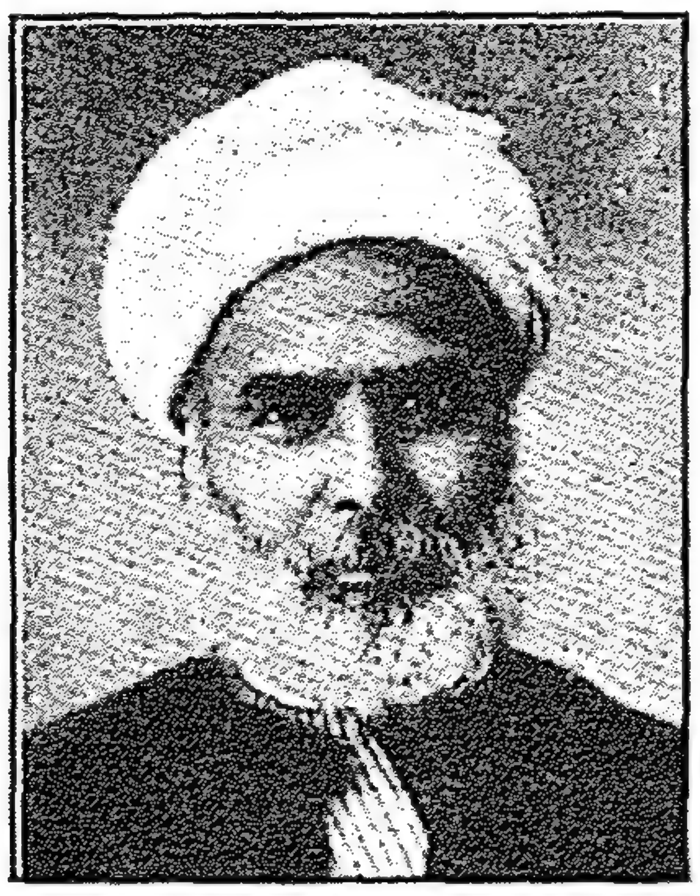
وبعد تحطيم العراق.. تأكدت إرادة الهيمنة الدولية التى تدعو إلى احتقار التقاليد، والرأى العام، والأخلاق العامة، وإلى الالتزام بالوقاحة، وقلة الحياء، والصفاقة.. على النحو الذى عبرت عنه

وثيقتان صادرتان عن وزارة الدفاع الأمريكية؛ وكانت الأولى بإشراف «ولفو ويتس» نائب وزير الدفاع سنة ٢٠٠٢، والثانية بإشراف «الأدميرال جيرميا» نائب رئيس لجنة أركان القوات المسلحة الأمريكية، حيث تعلن الوثيقتان: أن النظام الدولى أصبح مستقرا بصفة نهائية بواسطة الولايات المتحدة، وأنه يجب التصرف السريع لمنع ظهور نظام أمن أوروبى مستقل، وأن الوصول إلى وضع القوة العظمى الوحيدة يمكن أن يدوم من خلال بناء قوة عسكرية كافية ولديها القدرة على الردع بغض النظر عن جماعة الأمم التى ستتصدى لتفوق الولايات المتحدة وسيطرتها.

وبذلك.. تحقق الولايات المتحدة القدر المكتوب عليها الذى حدده الله مسبقا - كما يقرر ذلك كل رؤساء الولايات المتحدة - على نحو ما صرح به الرئيس «نيكسون» بعد تقاعده فى جريدة نيويورك تايمز ٧ يناير سنة ١٩٩١ فى قوله: «إن الله مع أمريكا، إن الله يريد لأمريكا أن تقود العالم»، «نحن لا نذهب إلى الكويت دفاعا عن الديمقراطية؛ لأن الكويت ليست بلدا ديمقراطيا، ولا توجد دولة ديمقراطية فى المنطقة.. نحن نذهب إلى هناك؛ لأنه يجب علينا أن نذهب؛ لأننا لن نسمح بأن تُهدد أو تُمسَّ مصالحنا الحيوية».



جمال الدين الأفغانى



محمد عبده

فالسلطة فى أمريكا - كما يقرر «ريتشارد نيكسون» - تقوم على أساسين هما: الدولار، والله.

الجشع المادى والجهل الدينى.. يدعمان الإرهاب

ويرى جارودى: أن بصيصا من الأمل راود الناس مع بدايات القرن التاسع عشر.. تمثل فى ظاهرتين متقابلتين:

١ - مثَّل أولاهما «كارل ماركس» الذى حاول أن يعيد الأمل لدى ملايين البشر الذين افترسهم الاستعماريون الرأسماليون - الأمريكيون والأوروبيون - ليمتصوا كل ثرواتهم، ولكن هذه النظرية سريعا ما لاقت حتفها على أيدى خلفاء «ماركس» الذين غاب عنهم الإحساس التاريخى، فاندفعوا إلى الموت المبكر، وإشهار الإفلاس، وسقوط الأمل الذى ابتهج له الناس، وذلك حين أصيبت اشتراكية «ماركس» بأطماع «ستالين»، وسعيه الحثيث لتقليد نموذج التنمية

الرأسمالى، وتابعه «بريجنيف» بعجزه، و«جورباتشوف» بتهوره، و«بوريس يلتسين» بعهره السياسى؛ فبددوا مواردهم العظيمة، ليمارسوا نوعا آخر من الاستعمار، تمثل فى دعم عدد من النظم السياسية عبر العالم، كما تصنع الدول الاستعمارية الغربية.. فأسرعوا بالوصول إلى نهاية الاتحاد السوفييتى.

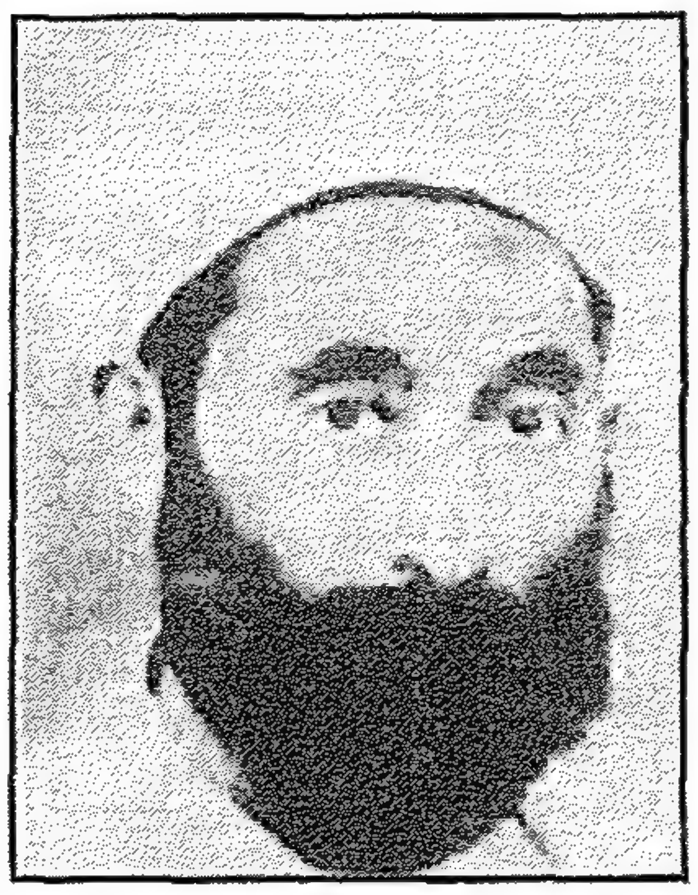
٢- ومثَّل الظاهرة الثانية.. نهوض بعض المصلحين الإسلاميين لمعالجة المسلمين من أمراض الجمود والحرفية، والمغالاة فى الطقوس والقشور، على حساب الأساس والجوهر، مثل: جمال الدين الأفغانى، ومحمد عبده، وابن باديس، ومحمد إقبال، وعلى شريعتى.

وكانت نهضة هؤلاء ناشئة من إيقانهم بأن أية نهضة سياسية وروحية للعالم الإسلامى.. تتطلب قراءة جديدة للقرآن، مع التحرر من أى تفسيرات سطحية يقدمها العلماء، وناشئة من إيمانهم بأن مشكلة الحداثة يجب ألا تطرح فى العالم الإسلامى انطلاقا من أفكار غربية، تستبعد مشكلة «الغايات النهائية» الخاصة بالعالم الإسلامى.

ومن هنا.. رفض الأفغانى استعارة أى شىء من الغرب، باستثناء «التكنولوجيا»، ودعا إلى العودة للمصادر الإسلامية الأصيلة، كى تقرأ بعيون معاصرة.



رشيد رضا



عبدالحميد بن باريس

وتابع الأفغانى فى هذا عدد من كبار المصلحين - على الرغم من معارضة التقليديين - كان من أشهرهم الشيخ محمد عبده، ورشيد رضا، ثم حسن البنا، مؤسس الإخوان المسلمين.

وكان هذا الأخير على وعى بالرسالة القرآنية المقدسة، التى تتطلب - فى إطار حركته - أن يستقر جزء كامل للمسيحيين، وقد اتجه إلى أوساط الفلاحين، فأسس أولى جماعاته المرجعية، وأولى جمعياته التعاونية، وأولى بنوكه الإسلامية؛ فكانت تلك خلايا لحضارة جديدة، هاربة من «توحيد السوق»؛ اعتمادا على نهضة البعد السامى الإلهى المقدس للإنسان من ناحية، ومن ناحية ثانية: اعتمادا على همه بوحدة الشريعة، ومعارف القرن.

وهذه التوجهات والأسس تعد قواسم مشتركة فى الديانات السماوية جميعها، حيث تقرر: أن المالك للشىء إن هو إلا مدير مسئول، وأن على السلطة أن

تستبعد كل ديكتاتور - إنسانا كان أو حزبا - وأن المعرفة لا تكون إلا نسبية ومؤقتة.

وعلى هذه الأسس.. قامت إصلاحات الشيخ ابن باديس فى الجزائر، ومحمد إقبال فى باكستان، وعلى شريعتى فى إيران، وفضل الرحمن فى أمريكا نفسها.

ومع أن ما نادى به هؤلاء قد واجه مقاومة عنيفة ماكرة، عملت على وأده، وتشويه صورته.. مع هذا مازالت الآمال معلقة بأن لا يخفت الشعاع الذى أضاءه هؤلاء المصلحون، وأن يستمر انطلاق النهضة، والاستيقاظ الروحى والسياسى للإسلام الحى.

الإرهاب الاستعمارى يصيب العالم بكارثة

وجارودى يخرج من استعراضه مجموعة ضخمة من مؤلفات المفكرين الغربيين.. بأن خمسة قرون من الاستعمار قد أدت إلى حدوث كارثة، تجسدت فى تحويل العالم إلى عالم غير متوازن بصورة قاتلة؛ حيث عصف المستعمرون بثقافات الدول التى تم استعمارها.. عصفوا بتلك الثقافات التى كانت توفر وتضمن قدرا من الأمن والاستقلال الغذائى للسكان الأصليين.. ثم جعلوا هذه المستعمرات ذيولا تابعة وخاضعة للدولة الاستعمارية الأم، وفرضوا نمطا أحادى الثقافة والإنتاج، يجعل الوضع التفضيلى مقصورا على شركات المستعمرين.

وبعد أن دمر المستعمرون التقنيات المحلية - بفتح أسواق العمل لرجال الصناعة الدوليين - استغلوا الأيدى العاملة بأجور زهيدة.

وحرصا من هؤلاء المستعمرين على إنجاح مخططاتهم بكوارثها.. نراهم يواصلون مساعيهم لوأد كل حركة إصلاحية استقلالية، قد تنقذ العالم من تلك الكوارث أو من بعضها.. على نحو ما نراه فى كتاب «صدام الحضارات» لهنتنجتون، الذى ينبه إلى أن أهداف الحضارة الغربية الرئيسية تتمثل فى هزيمة «الائتلاف الإسلامى الكونفوشيوسى»، المتمثل فى إيران والصين؛ إذ هما يمثلان العدوين الرئيسيين للحضارة الغربية.

وهنتنجتون بهذا.. يُغفل قارئه عن الحقيقة؛ فإن «الائتلاف الإسلامى الكونفوشيوسى» إنما يهدف إلى إصلاح ما أصاب العالم من مفاسد على مدى خمسمائة عام من الاستعمار الذى تطرف فى عمليات السلب والنهب، وإهدار الموارد، والذى ولّد الانقسام الذى حكم به على نصف العالم بالجوع والبطالة،

والديون، فى ظل هيمنة عسكرية إرهابية، وظروف سياسية مجحفة يفرضها صندوق النقد الدولى، والبنك الدولى.

فأين تلك الحضارة.. فيما أقدمت عليه الولايات المتحدة من سرقة أطنان الذهب والفضة من أمريكا اللاتينية؟! وأين تلك الحضارة من الاعتداء على ملايين الهكتارات من الغابات هناك؟!.

ثم.. أين تلك الحضارة.. فيما أقدمت عليه إنجلترا من سلب القطن الهندى والمصرى، ونهبه لمصلحة مصانع النسيج فى «مانشستر» إلخ ما صنعته دول الغرب الاستعمارية الأخرى؟!.

إن الحضارة الحقة.. تفرض على كل هؤلاء أن يقوموا بإصلاح الفساد الاستعمارى الذى أنزلوه بالمستعمرات، خاصة أن تلك المستعمرات أصبحت فى وضع ميئوس منه، تسيطر عليه الصراعات والنزعات الدموية!.

ولكن تلك الدول الاستعمارية - بدلا من إصلاح تلك المفاسد - تواصل سياستها الاستعمارية بأسلوب آخر يعتمد على الابتزاز والإكراه نفسه فى ثوب آخر.. هو المبادلات التجارية غير المتكافئة بواسطة حفنة النهّابين والسلابين فى الغرب، المتوطنين فى أوروبا، وأمريكا الشمالية.

هل من أمل؟

وفى الفصل الخامس «نحو جغرافية سياسية للقرن الواحد والعشرين» يقرر جارودى: أن القرن الواحد والعشرين إذا استمر يسير وفق ما يفرضه الإرهاب الغربى من انكسارات، فإن ذلك القرن سيكون امتدادا للقرن العشرين الأكثر دموية فى تاريخ الإنسانية، نتيجة هيمنة قوى استعمارية إرهابية عمياء، فرضت على غيرها نظما جعلت منها ذيولا تابعة لكبرى الدول الرأسمالية.

ولكن جارودى يرى بصيص الأمل فى دول أخرى لم تستسلم لعنف الإرهاب الاستعمارى، واستطاعت أن تستقل نسبيا عن القوى الاستعمارية بما أدخلته على إمكاناتها من إبداع، ونمو، وتطور؛ مثل: الصين، وإيران، واليابان، والهند، وماليزيا.

فإذا كانت «العولمة» تعنى: بسط الهيمنة والسيطرة الرأسمالية بصورة شرسة، وعنيفة من جانب الولايات المتحدة، من عدمه بكل الوسائل الإرهابية.. إذا كانت العولمة كذلك، فإن مشروعات الصين، وإيران تقدم بديلا حقيقيا لتلك العولمة، حتى أصبح من المؤكد: أن الالتفاف حول شراكة الصين وإيران يمثل إنقاذا لمستقبل الإنسانية والأرض، ولكن تحيط بهذا الإنقاذ ظروف تغير وتحول غير مؤكدة، وتوازنات غير

مستقرة، للحد الذى يجعل من الصعب علينا تحديد اختيارنا.

لقد استطاع الغرب بإرهابه خلال قرون أن يتحكم فى مستقبل تلك البلاد، مستخدما شتى الأساليب الجهنمية، مثل حرب الأفيون ضد الصين، والاحتلال المباشر لجزر الهند الصينية، ولأرخبيل أندونيسيا.

والغرب اليوم يحاول وقف هذا المد الآسيوى، وإغراقه - بواسطة التقليد والمحاكاة - فى آفات الغرب المتأمرك، على الرغم مما يعانيه من مشكلات اقتصادية واجتماعية، كادت تصل إلى درجة الكارثة.

ولكن الغرب - على الرغم من هذا - يعمل على إبقاء الدول الآسيوية تابعة له، مستغلا فى ذلك صندوق النقد الدولى، والبنك الدولى بقروضه المرتبطة بشروط سياسية، تيسر للدول الكبرى افتراس تلك الدول بكل حرية، دون أى قيد!.

والواضح البين أن ما يحدث فى العالم اليوم يرجع إلى أن من بيده القرارات ليست هى الدول - بنظمها وتقاليدها - إنما هى شركات السوق، حيث يقتصر دور رؤساء الدول والحكومات على دور المساعد التنفيذى، كما نرى فى تبعية «تونى بلير»، و«شيراك»، و«جوسبان» الذين أصبحوا يعملون فى خدمة المغامرات العسكرية للولايات المتحدة.

وهذا كله يفرض على المجتمع المدنى أن يقوم بتأسيس السلطات المضادة، بدءا من مواجهة «زجاجة الكوكاكولا» التى تضيف الملايين لإحدى حلقات الشبكة الأمريكية التى تقود إلى العبودية والهيمنة.

ولنذكر: ما صنعه غاندى فى مسيرته للتغلب على الاستعمار، ولنتمعن فى ذلك السر الخفى الذى مكنه من التغلب على الدمار الاستعمارى الذى خلفته الهيمنة الاستعمارية لمدة خمسة قرون.. من كل ما يؤكد: أن الجماعة المرجعية التى يتم تأسيسها على قواعد إنسانية تستطيع أن تصنع - أو تساهم فى صنع - مستقبل ذى وجه إنسانى من خلال وحدة الاعتقاد - أيا كانت - فى الإنسان أو فى الله، متجاوزة الحدود الوهمية للديانات والأحزان الإنسانية.

من هنا.. نبدأ

ومع علمنا: أن صناعة المستقبل ذى الوجه الإنسانى ليست مهمة سهلة، يمكن تنفيذها بسرعة.. مع علمنا هذا.. يجب أن نبدأ العمل التنفيذى لتلك المهمة، قبل أن يصبح الوقت متأخرا.

وجارودى يرى: أن بداية العمل التنفيذى لصناعة المستقبل ذى الوجه الإنسانى.. هذه البداية تتمثل فى العمل على إسقاط الهيمنة الأمريكية فى أبعادها المختلفة، خصوصا فى الوسائل الأمريكية

للقمع الثقافي والاجتماعي.. تلك الوسائل التي من أبرزها : اتفاقية الجات، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي.. حيث تعلم على القمع الاجتماعي وتكريسه، كما بدا في تأكيد أي تقليد ضد الثقافة الأوروبية، ونفي الهياكل والمؤسسات الأمريكية الداخلية.

وهذا يعني : أن العمل على إسقاط الهيمنة الأمريكية يفرض الوعي بحقيقة هذه الوسائل القمعية التي استطاعت بها أن تؤمرك أوروبا، وتجعل الأوروبيين اليوم أكثر غربة من شكسبير، وبيتهوفن، ودانتي، ودوستويفسكي، وغيرهم ممن أصبحوا غرباء في مجتمعاتهم، لأنهم رفضوا لثقافتهم أن تغرق.

وجارودي يلاحظ : أن إصرار القوى الاستعمارية الغربية على فرض الأصولية الغربية على دول العالم الثالث.. هذا الإصرار الغربي دفع الأصوليين في العالم الثالث إلى مقاومة ذلك؛ دفاعا عن هوية مجتمعاتهم، وإلى رفض كل ما ينبثق عن تلك الأصولية الغربية.

ولكنهم انصرفوا إلى الرفض - الذي هو حقهم- وشغلوا به عن تقديم البديل المنبثق عن أصوليتهم، فسهلوا للغربيين وصمهم بالإرهاب والتمرد؛ فالمحاربة العملية للعولمة والإرهاب الغربي لا تحقق هدفها إلا بطرح مفهوم واضح للتضامن والتكافل، سواء بين دول العالم الثالث بعضها مع بعض، وبين دول العالم الثالث والدول الأوروبية التي ترفض الهيمنة الأمريكية وهذا التكامل لابد أن يعتمد :

أولا : على كشف حقيقة النظام الحالي «الاقتصاد الجديد» الذي تقوده الولايات المتحدة، وما يتسم به من نهم لجني الأرباح والفوائد في أقصر مدى، من خلال المضاربات، وليس من خلال الإنتاج، حتى أصبحت البنوك تلعب دور الكازينو في المقامرة، بدون أي رعاية أو حماية اجتماعية في الدول الأكثر فقرا.

ثانيا : على كشف حقيقة الديمقراطية التي تتشدق بها أمريكا؛ فالديمقراطية الحقيقية تتعارض تماما مع التوحيد الأمريكي للسوق الذي لا يستبعد الديكتاتورية الاجتماعية في ظل وجود منتخبين ومستبعدين، وفي ظل امتلاك وسائل الإعلام التي تساعد على التحكم في اللعبة لتحديد المقصود بالديمقراطية، حيث لا تعكس إلا رأي رأس المال، وحيث تضع السلطة التي لا يساندها صندوق النقد موضع الاتهام؛ لأنها تدافع عن ديانة أخرى مخالفة لديانة «توحيد السوق».

يتبـــع

قراءة فى الفكر الاستشراقى

الإسلام والغرب وإمكانية الحوار

عرض وتحليل:
أ.د.محمد فتحى فرج بيومى

هذا موضوع حظى باهتمام كبير، لاسيما بعد ظهور نظرية صامويل ب هنتنجتون. الأستاذ بجامعة هارفارد. التى رصد لها كتابا ضخما بعنوان: *The Clash of Civilization* أى «صدام الحضارات» وهذه النظرية أو بالأحرى تلك الأكذوبة الكبيرة قد أثارت ولا تزال تثير كثيرا من الجدل شرقا وغربا ثم إنه قد استوحاها من طبيعة الظروف التى يمر بها الفكر الغربى حينما وجده فى حالة مواجهة مع الثقافات والحضارات الأخرى [1] وهناك من الكتاب من يرى أن هذه النظرية قد اخترعها برنارد لويس وطورها عنه هنتنجتون [2].

والكتاب الذى نعرض له اليوم من الكتب التى استهدفت التصدى لهذه الفكرة السقيمة، غير الموجودة إلا فى زعم صاحبها وأضرابه من أمثال فرانسيس فوكوياما صاحب كتاب «نهاية التاريخ وآخر البشر»، وبرنارد لويس صاحب حزمة من كتب المزاعم والمغالطات ـ وقد عرضنا فى «الأزهر» من قبل لواحد من كتبه تلك [3]، وناتان شارنسكى صاحب كتاب «قضية الديموقراطية» وغيرهم من منظرى الشر، إضافة إلى حوارييه من المحافظين الجدد.

وقد صدر الكتاب فى لغته الألمانية عام ١٩٩٧ بعنوان Der Islam und Der Westen Anstifyung zum Dialog، وقد حرره وقدم له الكاتب المسلم كاى حافظ، أما من شارك فى

(١) حسونة المصباحى (٢٠٠٥) حوار مع المفكر التونسى عبدالوهاب بوحديبة مجلة «حوار العرب». العدد ١٢، ص٢٧

(٢) د.السيد أمين شلبى (٢٠٠٥) نظرية صدام الحضارات مجلة «الهلال» عدد نوفمبر ٢٠٠٥، ص٢٨

(٣) د.محمد فتحى بيومى (٢٠٠٥) الإسلام وأزمة العصر لمؤلفه برنارد لويس «مجلة الأزهر» عدد شوال ١٤٢٦ هـ، ص١٧٦٠.

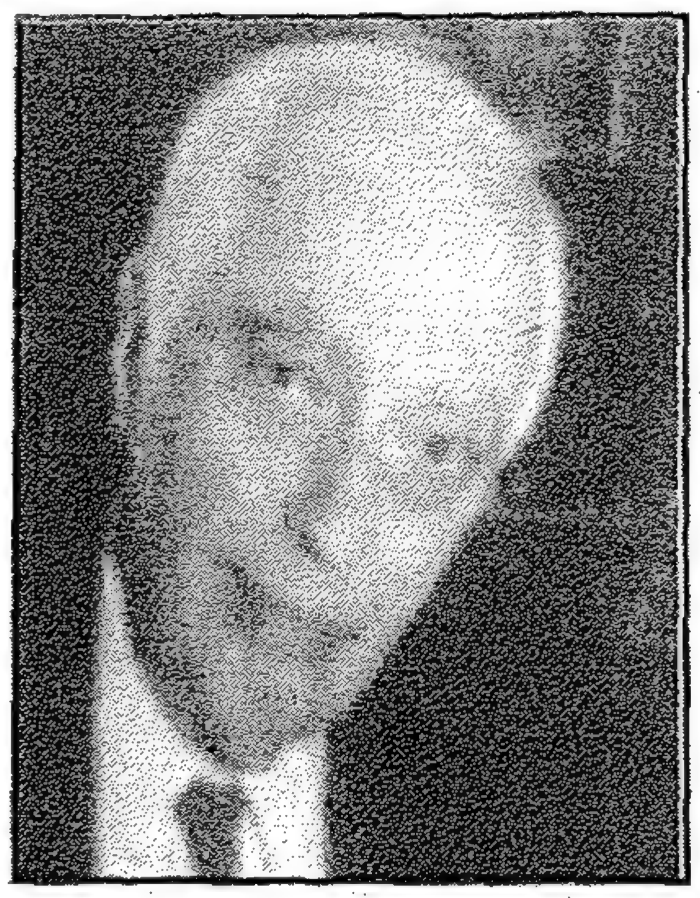
تأليفه فهم مجموعة من المستشرقين الألمان المهتمين بالموضوعات المتعلقة بالإسلام والمسلمين والشرق الأوسط ولما لهذا الكتاب من أهمية فى توضيح كثير من المزاعم والافتراءات فقد أدرج فى قائمة مترجمات المشروع القومى للترجمة الذى يشرف عليه المجلس الأعلى للثقافة بمصر، فصدر عنه عام ٢٠٠٠، ثم رأت «مكتبة الأسرة» إعادة طبعه ضمن مشروعها «القراءة للجميع» على نطاق واسع تعميما للفائدة، حيث قام بترجمته د. صلاح محجوب إدريس الباحث بجامعة القاهرة وقد تولى أمر مراجعته وتقديمه د. محمد خليفة حسن.

محتويات الكتاب

تقع الترجمة العربية لهذا الكتاب فى ٢٣٦ صفحة من القطع الكبير، ويشتمل على قسمين بخلاف «تصدير» بقلم المحرر الذى أتبعه «بمقدمة» هامة بعنوان «الإسلام والغرب وصدام الحضارات» أما القسم الأول من الكتاب فجاء بعنوان: الصراع الفكرى: هل يوجد تحديث إسلامى؟ وقد تضمن مجموعة من الموضوعات الهامة التى تناقش بعض القضايا مثل: الإسلام والديموقراطية ـ ضرورة حوار الحضارات حول حقوق الإنسان ـ وضع المرأة فى الإسلام ـ الخوف الحضارى بين الشرق والغرب ـ الاقتصاد الإسلامى بين عالم مثالى واقتصادى.

أما القسم الثانى فقد جاء بعنوان: الدول الإسلامية والغرب: بين الصدام والتعاون وقد اشتمل هذا القسم أيضا على مجموعة من


هنتنجتون


برنارد لويس

الموضوعات والقضايا التى تختص بأقطار إسلامية معينة وهى تشبه دراسات الحالة، ومنها:

- أوروبا والجزائر
- العلمانية والإسلام فى تركيا.
- مسلمو البوسنة بين خطط التقسيم ومصالح القوى العظمى والتضامن الإسلامى.
- أوسلو نموذج السلام فى الشرق الأوسط.
- العراق بوق البعث: صراع هوية أوروبية الصنع.
- باكستان القوة النووية الإسلامية.

وغيرها من قضايا.

ثم أورد المحرر فى «الخاتمة» خطاب الرئيس الألمانى رومان هو تسوج تحت عنوان: علاقتنا بالإسلام، وذلك بمناسبة تسلم المستشرقة الألمانية آنا مارى شيمل جائزة السلام عن نسبة مبيعات الكتب الألمانية عام ١٩٩٥ بفرانكفورت.

ونحن هنا لا نستطيع أن نلم بكل أقسام الكتاب وفصوله، وحسبنا أن نتناول بعض

النواحى التى تهمنا أكثر من غيرها، ذلك أن الإلمام بكل محتوياته أمر يستدعى من الناقد تفرغا كبيرا، كما يستنفد من المجلة مساحة أكبر مما يكرس لمثل هذه الأبواب.

من المضامين الهامة فى الكتاب

تعود أهمية الكتاب إلى دفاعه عن الحوار بين الحضارات بديلا عن الصدام وذلك لاعتقاد المشاركين فيه فى إمكانية الحوار بين الإسلام والغرب، ومن ثم إمكان تفادى الصدام والخوف الحضارى المتبادل وهذه الرؤية تذكرنا بكتاب هام صدر منذ فترة وجيزة، وعرضنا له من قبل(٤)، للمستشرق الألمانى الراحل فريتس شتيبات الذى لم يتح له المشاركة فى موضوعات هذا الكتاب، حتى إن عنوان كتابه ـ «الإسلام شريكا» ـ كان ذا دلالة بالنسبة للعقل الغربى وحتى بالنسبة للأذن العربية، لاسيما فى إطار مناخ تسيطر عليه مقولة صراع الحضارات كحتمية وحيدة كما يصوره هنتنجتون!

وقد أشار محرر الكتاب فى صدر مقدمته إلى بعض الأحداث التى أقضت مضجع الغرب وأثارت لديهم تلك المخاوف التاريخية ومنها الثورة الإيرانية التى لم تسقط فقط حكم الشاه ولكنها أسست جمهورية إسلامية قدمت نموذجا سياسيا وحضاريا بديلا عن نموذج الديموقراطية الغربية، ونسى الرجل، وكل من يضع أمامه هذا النموذج أن لكل بلد خصوصياته وظروفه التى تختلف عن البلاد الأخرى، وهو نفسه قد رد على ذلك حينما ذكر بعد صفحتين فقط: ولا نجد فى تاريخ الإسلام السنى أو الشيعى نموذجا للسلطة الدينية يشبه نموذج النظام السياسى الموجود فى إيران الآن (ص ١٩ من الكتاب) ومما أورده المحرر أيضا الخوف من احتمال عودة التاريخ إلى الوراء، وهو ما يرفضه الغرب، إضافة إلى التساؤل حول مصير المجتمع العالمى المصطبغ بالثقافة الغربية، والغرب بذلك يحاول أن يختلق أشباحا ليخاف منها ويعد العدة لمحاربتها وهذا لا يقول به عاقل، ولذلك نرى المحرر يُخَطئ هنتنجتون فيما ذهب إليه من أن الثقافات هى بمثابة مفردات يمكن استعمالها فى تحليل شئون السياسة الدولة وفى إطار حدود معينة فقط حيث اعتبر هنتنجتون اختلافات الحضارة الغربية عن الحضارة الإسلامية حقيقة ثابتة لا تتغير، كما يرى فى وجود صراع منعزل وموحد فى نظام عقلى ما شرطا على صحة نظريته عن صدام الحضارات، وهذا خطأ بمنظور علم «أنثروبولوجيا الحضارة» إذا ما رأى الشرق والغرب عالمين منفصلين مختلفين ومتعارضين فى السجايا الجوهرية.

والملاحظ، فى معظم فصول هذا الكتاب، أن المشاركين يدافعون فيه بموضوعية عن العلاقات الإسلامية الغربية، ويرون أن هذه العلاقات لا

(٤) د.محمد فتحى بيومى (٢٠٠٥) «الإسلام شريكا» لفريتس شتيبات مجلة «منبر الإسلام».

تنبع من صدام الحضارات، بيد أنها يمكن أن تنحدر إلى هذا المنحدر، إذا لم تبذل الجهود الكافية لحماية هذه العلاقات وتحويلها من علاقات صدام إلى علاقات حوار والتقاء، عن طريق فعل إيجابى يتمثل فى تغيير الوعى وتصحيح الصورة الإعلامية التى يقدمها الإعلام الغربى عن العالم الإسلامى، وتفنيد المقولات الشائعة عن الخلافات التى لا يمكن تجاوزها بين الشرق والغرب ومن الجدير بالذكر أن محرر الكتاب يلفت النظر إلى أن حكومات ومجتمعات العالم الغربى تشترك فى المسئولية عن التطورات السلبية الموجودة فى الشرق الإسلامى، وعلى سبيل المثال فإن عملية السلام المتفائلة بين إسرائيل وفلسطين يتهددها مخاطر الفشل بسبب تأييد الغرب المستمر لإسرائيل، وهو فى هذا يتفق مع بعض المستشرقين الثقات من أمثال فريتس شتيبات.

كلمات لها مدلول

هناك بعض الكلمات التى جاءت فى ثنايا بعض فصول الكتاب وهى تحمل مدلولا ذا مغزى ومنها ما جاء فى نهاية المقدمة: نحن نرى أنه من الممكن تفادى صدام الحضارات نكاية فى صمويل هنتنجتون! (ص٢٨).

ومنها أيضا ما ورد فى القسم الأول بالفصل المعنون «حول ضعف نسبية القيم»: مازالت هناك تناقضات وعدم منطقية فى سياسة حقوق الإنسان التى يهيمن عليها الغرب دوما وهذا يثير التساؤل الموجه إلى الأمم المتحدة وخاصة مجلس الأمن: هل عالمية حقوق الإنسان مقصود بالفعل؟ وأحيانا يزداد الشك (وله أسباب وجيهة) حول نظريات التآمر التى تشير بالتبعية إلى أن حقوق الإنسان ربما تكون شكلا جديدا من أشكال الإمبريالية الغربية بل إن بعض المسلمين يرون فى النشاط السياسى من أجل حقوق الإنسان إحدى مسارات الحملات الصليبية ويخشون تحت الضغط الدولى من قبول تصورات غربية مسيحية محددة ورؤى أخلاقية وأشكال مجتمعية مستهجنة فى مجتمعاتهم (ص٥١).

ومنها أيضا عبارة تفند الأدبيات المغلوطة التى تربط بين كل من العنف والإرهاب والإسلام، إذ تبين أن العنف والارهاب بضاعة غربية وذلك على النحو التالى: لقد ارتبط اصطلاح العنف فى قاموس السياسة المعاصرة بمفهوم سياسة التخويف التى تتبعها الدولة للحفاظ على سيادتها، وهذا يذكرنا بسياسة حكومة الثورة الفرنسية فى السنوات ١٧٩٢ - ١٧٩٤ والتى هدفت من ذلك إلى إسكات صوت المعارضة الملكية وهذا ما حدث لاحقا أيضا فى روسيا حيث مارست الحكومة البلشفية سياسة الإرهاب من أجل أهداف إيجابية وهى الوصول إلى نتائج مستهدفة مشروعة مثل العدالة الاجتماعية ومنذ ذلك التاريخ تزايد المفهوم السلبى للمصطلح.. كما غزت تلك الرؤى معايير التفكير بحيث أصبح ما يعتبره الفرد «إرهابيا» يراه الآخر محاربا مكافحا من أجل الحرية! (ص ٧٩).

ومنها أيضا ما ورد فى الفصل الخاص

بـ«الاقتصاد الإسلامى»، حيث جاء فى بدايته: الإسلام دين لا يهتم بالحياة الأخرى فقط، بل إنه رؤية محددة للعالم تريد تقديم إجابة للمؤمنين به عن كل التساؤلات الإنسانية فى الحياة (ص ٨٧).

وفى الفصل المعنون: «الدول الإسلامية والغرب: بين الصدام والتعاون»، فى بداية القسم الثانى من الكتاب جاءت هذه العبارة: يعتبر الاكتشاف الغربى المفاجئ لطبيعة النظام العراقى (السابق) العدوانية بعد غزو الكويت بالنسبة للإيرانيين أحد الأمثلة الواضحة على ازدواجية المعايير الأخلاقية الغربية (ص١١١).

وأخيرا، فقد جاء فى خاتمة الكتاب كلمة ذات دلالة هامة ونتمنى أن تأخذ نصيبها حقا من الاعتبار لاسيما من جانب الإعلام الغربى، وهى: لقد ساهم كتابنا بالتقييم الحالى لمسألة التحدى الحضارى (المزعوم) بين الإسلام والغرب، ومن الواجب أن تحدث تغيرات للوعى، ولذا فإنه من الضرورى أن نقوم بتغيير المعلومات التى يقدمها كتابنا عندما يصبح العالم الإسلامى شريكا سياسيا للغرب، ويصير المسلم مواطنا أوروبيا له الحق فى التعليم والانضمام إلى الأحزاب السياسية والتفاعل مع وسائل الإعلام وبالطبع فى الحياة اليومية إلا أن الوضع الجديد هو أنه كلما أفرزت التحديات وتواترت، شاعت الحيرة واندلعت الصراعات أحيانا لذا فمن المفيد أن نمتلك أبعادا جديدة تمكننا من رؤية المشكلات اليومية من حيث أسس وعناصر أشكال المواجهة الحضارية الجديدة، وفى المقام الأول مع الحضارة الإسلامية جارة أوروبا (ص٢١٦).

بعض المآخذ على الكتاب

الكمال لله وحده، ولذا فلابد من الإشارة إلى بعض المآخذ القليلة التى يمكن تلافيها عند إعادة طبع هذا الكتاب، وعلى الرغم من ذلك فإنها لا تغض كثيرا من قيمته، ومنها تكرر الأخطاء المطبعية لاسيما فى كتابة أسماء الأعلام الإفرنجية، أو تحريف نطقها حتى فى الأسماء المشهورة جدا كهنتنجتون نفسه، وقد خفف من ذلك وضع أسمائها بالأحرف اللاتينية بين قوسين.

لم يكن أيضا من المناسب إغفال أسماء المشاركين فى وضع فصول الكتاب أمام إسهاماتهم سواء فى فهرس الكتاب أو فى متنه ـ والاكتفاء فقط بالتعريف بهم فى نهاية الكتاب ـ فلذلك أهميته من الناحية التوثيقية، لاسيما عند الرجوع إلى مزيد من كتاباتهم، بالنسبة للمتخصصين أو لمن يهمهم ما تناولوه من قضايا وبحوث.

أما ما ورد فى صدر المقدمة من الزعم بأنه «إذا كان للعصر الذى نعيش فيه روح تميزه فقد اكتشفها البروفسور هنتنجتون» (هكذا ص١٧)، ويقصد بذلك نظريته حول «صدام الحضارات»، فهذا قول مبالغ فيه بل يجانبه الصواب، فصياغته على هذه الصورة يوحى كأنها حقيقة من الحقائق العلمية، وذلك يسير

حتى ضد أهداف الكتاب ومراميه فهنتنجتون لم يتوصل إلى اكتشاف هذه الروح إنما هو يحاول أن يخلقها معتمدا فى ذلك على مزاعمه وعلى تعضيد أجهزة الإعلام الغربية الشرسة المجندة بشكل موجه لخدمة الأغراض المشبوهة للمحافظين الجدد وكما يقول مراجع الكتاب ـ د.حسن: فإن المسألة فى الحقيقة مسألة سياسية مرتبطة باستراتيجية العالم الغربى تجاه الإسلام وشعوبه فالمستشرقون من نوعية صمويل هنتنجتون يشاركون فى صنع القرار السياسى الغربى بشأن الشئون العربية والإسلامية، ويقدمون خبراتهم ورؤاهم للدوائر السياسية الغربية بشأن القضايا العربية والإسلامية. ومن المعروف صلتهم بوزارات الخارجية الغربية وعملهم كخبراء لشئون العالم العربى والإسلامى فى هذه الدوائر السياسية (ص٥).

البناء الفكرى الأوروبى!!

وجاء أيضا فى المقدمة: أن النهضة الأوروبية ما كانت لتتحقق إن لم تعترف بفضل العلوم المنقولة من الشرق الإسلامى (وهذا حق)، أما استطراده بقوله: «وهكذا فإن العالم الإسلامى لن يتقدم ما لم يتقبل تأثير البناء الفكرى الأوروبى» فأمر فيه نظر، إذ أن إطلاق الكلام هكذا بشكل عام يفقده الدقة والموضوعية، فما معنى «البناء الفكرى الأوروبى»؟ أفهم أن نأخذ عن الغرب العلوم الحديثة والتقنيات المتقدمة، أما البناء الفكرى فهذا مما لا يلزمنا، فعلة الغرب أنه يفتقر إلى بناء فكرى يتسق وطبيعة الإنسان ويتصالح مع عوامل سعادته الحقيقية فى توازن يعترف بأشواق الروح ومطالب الجسد. علة الغرب ـ كما يقول «ألان توران» ـ أحد أساطين علم الاجتماع بجامعة السربون ـ تكمن فى أنه، برغم تسلمه مشعل العلوم عن الإسلام، لم يوفق إلى اليوم فى إنجاز مجتمعات آمنة سعيدة، ويرجع ذلك فى المقام الأول إلى أنه ورث عن المسلمين الوسائل دون الغايات، فقد أخذت أوروبا عن المسلمين الجانب المادى من العلوم ولم تأخذ الجانب الروحى ومن ثم فإننا حينما نقول: إن أوروبا ـ والغرب عامة ـ بلغت درجات عليا من التقدم، فإنما نقصد درجات عليا من التحكم فى وسائل الإنتاج والصناعة، ولا نقصد درجات عليا من الحضارة، فالحضارة هى الإنسان قبل كل شىء، والإنسان فى المجتمعات الأوروبية إنسان شقى مستعبد[٥].

وأخيرا، نرى لو أن طه حسين كان الآن بين ظهرانينا وقرأ العنوان الجانبى لهذا الكتاب وهو «وإمكانية الحوار»، هل كان سيغض الطرف عنه أم يتمسك برأيه حول هذه الصيغة التى جاءت عليها كلمة «إمكانية»، حيث اشتهر عنه رفضه لصيغة الجمع منها التى كثيرا ما كان الكتاب يستخدمونها، فكان رحمه الله ـ يصححها إلى «إمكانات».

---

(٥) ألان توران **Alain Tourane** (١٩٨٩) نقد الحداثة **Critique de la Moderrnite** دار فايار للنشر نقلا عن: د.أحمد القديرى (١٩٩٥) الإسلام وصراع الحضارات كتاب الأمة. قطر طبعة خاصة بمصر تصدرها دار أخبار اليوم ص٨٩.

نموذج صادق لحوار الحضارات

للمستشار/ حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

مع بداية القرن السابع الميلادى، كان العالم يموج بحضارات عدة، وتتنازع قيادته حضارتان عظيمتان، هما حضارة الرومان فى الغرب وحضارة الفرس فى الشرق، ومن دونهما حضارات أخرى، كحضارة الصين فى أقصى الشرق، وحضارة الحبشة فى إفريقيا وغيرهما، ثم كانت جزيرة العرب على موعد مع التاريخ، لتبزغ فيها حضارة جديدة، تكون لها الريادة فى ذلك العالم المتصارع، فكان مبعث رسول الله ﷺ، ليؤسس الحضارة الإسلامية، الذى كتب الله لها البقاء من خلال حفظ منهجها، الذى قال تعالى عنه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(٩ من الحجر)

ومن عناصر القوة فى حضارة الإسلام، أنها تضمنت من أسس الدعوة إليها مبدأ حوار الحضارات، هذا المبدأ الذى تجلى واضحاً فى التطبيق العملى على يد المؤسس العظيم لهذه الحضارة، وهو رسول الله ﷺ، إن من ينظر متأملاً فى مجلسه ﷺ يعلم بيقين أن هذا المجلس هو صورة صادقة لحوار الحضارات فإذا رجعنا بالذاكرة إلى مكونات هذا المجلس، نجد أنه ضم ممثلى حضارات الدنيا المعاصرة لقيام حضارة الإسلام وبل ونجد أن لكل من هؤلاء الممثلين، الدور البارز فى إرساء دعائم حضارة الإسلام، ومن النماذج الساطعة على ذلك الآتى :ـ

● ممثل الحضارة الرومانية: سيدنا صهيب الرومى رضى الله عنه، الذى ترك كل ما يملك فى سبيل الهجرة إلى المدينة المنورة وعندما وصل إليها بشره رسول الله ﷺ قائلاً: «ربح البيعُ صهيب، ربح البيع صهيب»(١).

(١) رواه الإمام أحمد فى الفضائل ٢/ ٨٢٨.

● ممثل الحضارة الفارسية: سيدنا سلمان الفارسى رضى الله عنه الذى قطع الفيافى والقفار بحثاً عن الدين الحق، فأسلم وجاهد فى الله حق الجهاد، وهو صاحب فكرة الخندق فى غزوة الأحزاب ولعلو منزلته فى الإسلام ألحقه الرسول ﷺ بأهل بيته قائلاً: «سلمان منا آل البيت»(٢).

● ممثل حضارة الحبشة: سيدنا بلال بن رباح الحبشى رضى الله عنه، صاحب أكبر قوة فى تحمل أذى المشركين لصده عن دين الإسلام، القائل رداً عليهم: أحد، أحد.

وعلى ذكر الحبشة فهناك عظيمها النجاشى الذى وصفه الرسول ﷺ بأنه ملك لا يظلم عنده أحد وقد استضاف المسلمين المهاجرين إليه وأكرمهم فكان إكرام الرسول ﷺ له أعظم، وذلك بالصلاة عليه عند وفاته، صلاة الغائب.

وقد اتبع الرسول الكريم ﷺ فى تحقيق هذا النموذج الحضارى الفريد، العديد من الوسائل البناءة التى تتماشى مع كل العصور، والأمثلة كثيرة

حوار الحضارات بالرسائل

بعد أن أقام رسول الله ﷺ دعائم حضارة الإسلام بالمدينة المنورة، أراد أن يعم خير هذه الحضارة على بقية أنحاء العالم تحقيقاً لعالمية رسالته فأخذ ﷺ يخاطب ملوك وعظماء الحضارات المعاصرة له، وذلك ببعثه الرسل إليهم، حاملين رسائله المتضمنة دعوتهم إلى الإسلام والفوز بالسلام، فهناك من توجه إلى هرقل عظيم الروم، ومن توجه إلى كسرى الفرس، وهما كانا يمثلان أعظم حضارات ذلك الزمان، وهناك من توجه إلى المقوقس عظيم قبط مصر، وغيرهم -وقد تلقى ﷺ من كل منهم الرد على هذه الرسائل، وعبر عن هذا الرد بما هو أهله وذلك بالثناء على رد الجميل، كما هو الشأن بالنسبة لكل من هرقل والمقوقس وبالدعاء بزوال ملك كسرى لسوء صنيعه مع رسالة ورسول النبى ﷺ.

العلم من وسائل حوار الحضارات

إذا كانت أول كلمة فى بداية إرسال السماء إلى الأرض، نزلت على الرسول الخاتم ﷺ، هى ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ فإن هذا له دلالته الواضحة على طبيعة رسالة هذا الرسول العظيم، وهى أنها رسالة العلم والمعرفة والحكمة التى هى ضالة المؤمن، التى ينشدها فى أى مكان، وأن وجدها فهو أحق بها.

إن ابتداء الوحى الشريف بكلمة اقرأ، وليس بكلمة أخرى مثل: اكتب أو اسمع أو اتل أو غير ذلك، يفيد ضرورة أن يكون

---

(٢) كنز العمال ١١/ ٣٣٣٤٠.

هناك شيئاً مكتوباً، ويطلب من الشخص قراءته، ولهذا عندما طلب جبريل عليه السلام من الرسول ﷺ أن يقرأ، قال له: «ما أقرأ؟»، وفى رواية أخرى قال: «ما أنا بقارئ،» والجمع بين الروايتين يقتضى السؤال: أين الشئ المكتوب حتى أقرأه، أو تكون حالى قراءته؟!، ولذلك استمر الوحى بقوله تعالى:

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾

﴿العلق: ١﴾

أى يا محمد: اقرأ ما تسمعه من جبريل من آيات القرآن.

طلب العلم فريضة

وإذا كانت القاعدة الأصولية تقرر: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن عموم لفظ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ يستوجب قراءة كل مكتوب، سواء كان مما نزل به الوحى، أو غيره من كلام البشر، ومن هنا كانت الدعوة إلى طلب العلم الذى وسيلته القراءة، من فرائض الإسلام على كل أتباعه بمقتضى الأمر النبوى الشريف، فى قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» [٣]، ولا تنحصر هذه الفريضة فى زمان معين ولا مكان محدد، فقد روى البيهقى عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «اطلبوا العلم ولو بالصين» [٤] أى ولو كان يمكن تحصيله بالرحلة إلى مكان بعيد جداً كمدينة الصين، فإن من لم يصبر على مشقة التعلم بقى عمره فى عماية الجهالة.

وإذا كان العلم على هذه الدرجة من الأهمية، فإنه يعد من أفضل وسائل حوار الحضارات فى كل العصور والأزمان، وهذا ما فهمه المسلمون الأوائل، دون ربطه بالعقيدة، وقد طبقه الرسول ﷺ عملياً فى غزوة بدر الكبرى، عندما جعل فداء الأسرى من المشركين تعليم عشرة من المسلمين، ثم بعد زيادة الفتوحات الإسلامية والاتصال بالعالم الخارجى، نشطت حركة ترجمة علوم البلاد المفتوحة والبلاد المجاورة لها، ولو كانت غير مسلمة، حتى وصلت هذه الترجمة ذروتها فى عصر الدولة العباسية، مما أقام جسوراً من الحوار الحضارى البناء بين الحضارة الإسلامية وكل من الحضارات اليونانية والإغريقية والرومانية والفارسية والهندية وغيرها، واستمر ذلك إلى عصر النهضة فى أوروبا الحديثة.

حوار الإسلام مع الحضارات القديمة

فإذا كان ظاهر كلمة الحوار، يفيد أنه يدور بين طرفين متعاصرين، إلا أن هذا لا يمنع من قيام حوار بين حضارات سابقة وحضارة لاحقة عليها، كما هو الشأن فى ذلك الحوار البناء، الذى أقامته الحضارة الإسلامية مع الحضارات القديمة التى

---

(٣) كنز العمال ١٠/ ٢٨٦٥١: ٢٨٦٥٤.

(٤) كنز العمال ١٠/ ٢٨٦٩٧.

سبقتها فى الظهور، والتى ورد ذكرها فى كتاب الله تعالى وفى سنة رسوله ﷺ، وذلك على سبيل العظة والاعتبار، وليس على وجه الهجوم والإنكار المطلق.

وإذا كان من الصعب الإحاطة بكل أطراف هذا الحوار الحضارى، الذى أقره الإسلام، فمن الخير أن نكتفى بعرض نموذج واضح لهذا الحوار، وذلك من خلال علاقة الرسالة الخاتمة لهذا الدين بالحضارة الفرعونية، التى قامت على ضفاف النيل قبل البعثة المحمدية بآلاف السنين، تلك الحضارة التى قال الله تعالى فى وصفها:

﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾

(الفجر: ١١-١٤)

فمن الملاحظ أن هذه الحضارة تركت اثاراً مازالت قائمة حتى اليوم، ومن هذه الآثار ما قال به بعض الفقهاء، من أنه قد يندرج تحت بعض أحكام شرعية جاءت بها شريعة الإسلام، كالحرمة أو الكراهة، كما هو الشأن بالنسبة للتماثيل والصور المجسمة، التى تضمنت السنة النبوية المطهرة أحكاماً بذلك على نحو ما أشار إليه قول الرسول ﷺ الذى رواه الترمذى وابن حبان والإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تماثيل أو صورة»، وما رواه أبوداود والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه: «أتانى جبريل فقال: إنى كنت أتيتك البارحة، فلم يمنعنى أن أكون دخلت عليك البيت الذى كنت فيه، إلا أنه كان على الباب تماثيل، وكان فى البيت قرام ستر فيه تماثيل، وكان فى البيت كلب، فمر برأس التمثال الذى فى البيت فليقطع فيصير كهيئة الشجرة، ومر بالستر فليقطع فيجعل وسادتين منبذتين توطئان، ومر بالكلب فليخرج»، ومع ذلك عندما فتح المسلمون مصر موطن الحضارة الفرعونية، لم يتعرضوا لهذه التماثيل وتلك المعابد، بأى نوع من الهجوم أو الأذى، بل حافظوا عليها، حتى وصلت إلينا بالحالة التى نراها عليها الآن.

تواصل حضارى

ولا ننسى أن فتح مصر كان على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وهو من الذين منحهم رسول الله ﷺ سلطة التشريع بقوله: «عليكم بسُنتى وسُنة الخلفاء الراشدين، الهداة المهديين من بعدى، عضوا عليها بالنواجز»)[5]، ولو كانت آثار حضارة هذا البلد تستحق تطبيق هذه الأحكام الشرعية عليها لما سكت عن ذلك بل كان أول المسارعين إليه، وهذا ما يؤكد التواصل بين الإسلام وهذه الحضارة.

(٥) مسند الإمام أحمد ٤/ ١٢٦.

وإذا كـان من المعلوم أن مـصـر فـتـحـهـا المسلمون بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بحـوالي عـشـر سنوات، إلا أن خـبـر فتحها جاء على لسانه ﷺ في حياته، فقد روى مسلم والإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه، والطبراني والحاكم عن كعب بن مالك، أن رسـول الله ﷺ قـال: «إذا فـتـحت مـصـر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً»، وهذا ما يقول عنه العلماء: إنه من إعلامات النبوة، أي من الأمور التي أخبر عنها النبي ﷺ في حياته، أنها ستحدث في مستقبل الأيام والسنين، وهذه إحدى خصوصياته الشريفة، وسندها من السنة النبوية المطهرة ما رواه مسلم وأبو داود والترمذي والإمام أحمد عن ثوبان رضي الله عنه، أن رسـول الله ﷺ قال: «إن الله زوى (طوى) لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها»[٦]........ «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله»[٧].

وصية رسول الله ﷺ

وقد حاول العلماء إحصاء العدد الذي ذكرت مصر به في القرآن الكريم، سواء كان ذلك تصريحاً أو تلميحاً فقال بعضهم: «إنها ذكرت في ثمانية وعشرين موضعاً منه، وقال البعض الآخر: بل أكثر من ثلاثين موضعاً، وذكرت في السنة النبوية المطهرة ما لا يحصى من العدد، وفي تفسير قوله ﷺ: «استوصوا بالقبط خيراً»[٨]، قالوا: أي اقبلوا وصيتي في أهل مصر، ومن مقتضى هذه الوصية، أنه إذا استولى المسلمون عليهم، وتمكنوا منهم، فيجب الإحسان إليهم، والعفو عما وقع منهم من سوء أفعالهم وقبح أقوالهم، والعلة في هذه الوصية، هي كما وردت في الحديث، ما لهم من ذمة وحرمة وأمان من جهة إبراهيم بن المصطفى ﷺ، فإن أمه مارية منهم، وما لهم من رحم وقرابة، لأن هاجر أم إسماعيل منهم، وفي هذا إشعار بمحبته ﷺ لأهل مصر، وإن فرط منهم ما فرط.

عظمة هذا البلد

ولعل دلالة هذا التكريم من الله تعالى ومن رسوله ﷺ لمصر تبين عظمة هذا البلد ودوره الحضاري منذ فجر التاريخ الذي ضم أقدم حضارات العالم التي حازت أعلى درجات الخلود في هذه الدنيا، وتفيد أن هناك روابط صلة قائمة ومستمرة بين العرب وشعب هذا البلد، بما يؤكد احترام الحضارة الإسلامية لما سبقتها من حضارات، ولو لم تكن على ذات المنهج.

والله تعالى ولي التوفيق...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٦) كنز العمال ٣١٧٦١/١١.

(٧) أخرجه أحمد.

(٨) كنز العمال ٣٤٠١٩/١٢.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

من ركائز التضامن الإسلامي

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

(الحجرات : ١٠)

فى هذه الآية الشريفة، يقرر الإسلام أخوة الإيمان، وأنها لا تتقيد بعلاقة النسب، فإن أخوة النسب تنقسم بمخالفة الدين، ولكن أخوة الدين لا تنقسم بمخالفة النسب. وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا»[١] والتجسس: هو الاستماع لحديث القوم، والتناجش: هو أن تزيد فى ثمن السلعة دون رغبة فى شرائها لتحريض الغير عليها، وفى رواية أخرى بلفظ مسلم يبين الرسول صلوات الله وسلامه عليه حقوق هذه الأخوة وواجباتها: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا- ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[٢].

ومن الواجبات المترتبة على أخوة الإيمان بين المسلمين ما جاء فى الآية الشريفة:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

[الحجرات : ١٠]

---

(١) البخارى ومسلم

(٢) رواه مسلم

فالإصلاح بين كل مسلمين أو طائفتين واجب تمليه أخوة الإيمان، وقد مهدت الآية الشريفة طريق الإصلاح بالتزام التقوى، حتى لا يحيد المصلحون ولا يحابى بعضهم بعضا، بل يكون العدل رائدهم والتقوى طريقهم، وبهذا تتحقق الغاية الكريمة وهى رحمة الله بالمؤمنين دنيا وأخرى :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[الحجرات : ١٠]

ويدعو القرآن الكريم جميع المؤمنين أن يطهروا البيئة الإسلامية من رذائل شتى :

١ - منها الرذائل الظاهرة التى تتعلق بالجوارح كالسخرية واللمز والتنابز بالألقاب.

٢ - ومنها الرذائل الباطنة التى تتعلق بالمشاعر كالظن.

أما الأولى الظاهرة : فيقول فيها القرآن :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾

[الحجرات : ١١]

فينهى الله تعالى عن سخرية بعض الناس ببعض، فعسى من سخروا منه أن يكون خيرا منهم عند الله تعالى، فى عقيدته وفى عمله وفى باطن أمره. فإن مقاييس الخيرية ليست فى المظهر ولا فى الشكل، ولكنها فقط فى التقوى :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

[الحجرات :١٣]

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(٣).

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾

[الحجرات : ١١]

نرى أنه ورد فى سبب نزولها آراء منها : أنها نزلت فى وفد بنى تميم عندما استهزأوا بفقراء الصحابة أمثال : عمار، وبلال، وخباب، وابن فهيرة، وصهيب، وسلمان، وسالم، مولى أبى حذيفة وغيرهم، لما رأوا من رثاثة حالهم..

وقيل : نزلت فى سخرية الغنى بالفقير، وقيل : فى عكرمة بن أبى جهل، فعندما جاء إلى المدينة مسلما كان بعض المسلمين إذا رأوه قالوا ابن فرعون هذه الأمة، فشكا ذلك إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه فنزلت هذه الآية، وقال ابن عباس : نزلت فى ثابت بن شماس كان فى أذنه وقر فإذا سبقوه إلى مجلس النبى ﷺ أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه ليسمع ما يقول،

---

(٣) رواه مسلم

فأقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النبى ﷺ فلما انصرف النبى ﷺ أخذ أصحابه مجالسهم منه فرضى كل رجل منهم بمجلسة وعضوا فيه -أى لزموه- فلا يكاد يوسع أحد لأحد حتى يظل الرجل لا يجد مجلسا، فيظل قائما فلما انصرف ثابت من الصلاة تخطى رقاب الناس ويقول: تفسحوا تفسحوا، ففسحوا له حتى انتهى إلى النبى ﷺ وبينه وبينه رجل فقال له: تفسح فقال الرجل: قد وجدت مجلسا فاجلس، فجلس ثابت من خلفه مغضبا ثم قال: من هذا؟ قالوا: فلان، فقال ثابت: ابن فلانة، يعيره بها يعنى أما له فى الجاهلية فاستحى الرجل فنزلت(٤).

وقد نصت الآية فى النساء كذلك وأفردتهن بالذكر فى النهى عن السخرية، وذلك لأن السخرية تقع كثيرا منهن «فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه» ولذا نص عليهن فيقول:

﴿ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾

[الحجرات : ١١]

وقد جاء فى سبب نزولها أن امرأتين من أزواج الرسول ﷺ سخرتا من أم سلمة عندما ربطت خصريها بثوب أبيض وسدلت طرفيها خلفها فكانت تجرها فقالت عائشة لحفصة رضى الله عنهما: «انظرى ما تجر خلفها كأنه لسان كلب» فهذه سخريتها. وقال أنس، وابن زيد: نزلت فى نساء النبى ﷺ عيرن أم سلمة بالقصر. وقيل: نزلت فى عائشة أشارت بيدها: يا بنى إنها لقصيرة، تعنى صفية بنت حيى رضى الله عنها، وقال عكرمة عن ابن عباس: إن صفية بنت حيى بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن النساء يعيرننى فأنزلت هذه الآية.

وقد نهى الله تعالى كذلك عن اللمز (وهو العيب)، ويكون تعبيرا باليد، أو العين أو اللسان أو الإشارة.

وأما الهمز فيكون باللسان. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾

[الحجرات : ١١]

ويدل هذا التعبير الحكيم على أن المؤمنين نفس واحدة، فلا يليق بهم أن يعيب بعضهم بعضا، وكما لا يعيب المؤمن نفسه لا ينبغى أن يعيب غيره، فالمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

دون تنابز

ومن الرذائل التى نهى عنها الإسلام: التنابز بالألقاب. قال تعالى:

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى

﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾

[الحجرات: ١١]

قيل إنها نزلت في بني سلمة، قدم رسول الله ﷺ وليس رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا فلان، فيقولون: مه يا رسول الله إنه يغضب من هذا الاسم، فنزلت الآية، وقال الحسن ومجاهد: كان الرجل يعير بعد إسلامه بكفره كأن يقول له: يا يهودى يا نصرانى، فنزلت الآية، وقال قتادة: وقول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق..

قال تعالى:

﴿ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾

[الحجرات: ١١]

يقول ابن زيد أى بئس أن يسمى الرجل كافرا أو زانيا بعد إسلامه وتوبته.. وقيل: من لقب أخاه أو سخر منه فهو فاسق. أما بعض الصفات التى يكون ظاهرها الكراهة، ولكن لا يراد بها العيب حين التحدث بها فلا بأس بها. وقد سئل عبدالله بن المبارك عن الرجل يقول حميد الطويل، سليمان الأعمش، وحميد الأعرج، ومروان الأصفر، فقال: إذا أردت صفته ولم ترد عيبه فلا بأس به.

وقد ختم الله تعالى الآية الكريمة التى نهى فيها عن تلك الرذائل بتهديد من تسول له نفسه الاسترسال فى مثل هذه المعايب بأنه وقع فى الهلاك وأصبح من الظالمين لأنفسهم لارتكابها فقال تعالى:

﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

[الحجرات: ١١]

وإذا كان التنابز بالألقاب مما يعيب المسلم ويمزق ود الصدور، فإن بديله وهو نداء المسلم لأخيه بأحب الأسماء مما يصفى له ود أخيه، يقول عليه الصلاة والسلام: «ثلاث يصفين لك ود أخيك: تسلم عليه إذا لقيته وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه»(٥).

ومثالى النوع الثانى وهى الرذائل الباطنة التى تتعلق بالقلب والشعور: (ظن السوء) وقد حذر الله تعالى من الظن فى قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

[الحجرات: ١٢]

وقد نزلت هذه الآية الكريمة كما قال أبوعبدالله القرطبى فى رجلين من أصحاب النبى ﷺ اغتابا رفيقهما، وذلك أن النبى ﷺ كان إذا سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما فضم سلمان إلى رجلين، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام، ولم يهيىء لهما شيئا فجاءا فلم يجدا طعاما وإداما فقالا له: انطلق

---

(٥) رواه الحاكم والطبرانى فى الأوسط، والبيهقى فى شعب الإيمان.

فـاطلب لنا من النبى ﷺ طعـامـا وإدامـا فذهب فقال له النبى ﷺ : اذهب إلى أسامة ابن زيد فقل له إن كان عنده فضل من طعام فليعطك. وكـان أسـامـة خـازن النبى ﷺ فذهب إليه فقال أسامة : ما عندى شىء، فرجع إليهما وأخبرهما، فقالا : قد كان عنده ولكنه بخل. ثم بعث سلمـان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئاً فقالا : لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة - وهى بئر قديمة بالمدينة بها ماء غزير - لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة شىء فرآهما النبى ﷺ فقال : «مالى أرى خضر اللحم فى أفواهكما؟» فقالا : يا نبى الله والله ما أكلنا فى يومنا لحما ولا غيره، فقال : «ولكنكما ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة» فنزلت الآية :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾

[الحجرات : ١٢]

وجاء فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»(٦).. والظن الذى تحذر الآية منه هو : الظن الذى يقوم على اتهام لا أساس له ولا سبب يوجبه.

ومن الرذائل المنهى عنها «التجسس» وهو البحث عما يكون خفيا عن الإنسان كمن يتهم إنسانا بفاحشة أو بشرب الخمر مثلا دون أن يبدو له ما يقتضى ذلك أو أن تظهر له علامة على تحقيق ظنه، كأن يكون المظنون به من أهل الصلاح والتقوى فإن ظن السوء به حينئذ يكون محرما، هذا بخلاف من عرف واشتهر بين الناس بمخالفة الشرع والمجاهرة بالمعاصى فلا يكون الظن به محرما.

هذا ويترتب على الظن التجسس ثم الغيبة، وذلك لأن مجرد التهمة يكون سببا فى البحث عما ساور الإنسان من خاطر فيحاول التجسس ليتحقق مما يظنه فينتقل من درجة الظن إلى درجة التجسس ثم يدعوه وقوفه بالتجسس على بعض ما يعلم أو ما لا يعلم إلى غيبة أخيه فينتقل إلى درجة أسوأ وحالة أكبر وهى الغيبة وهكذا.

وينقى الإسلام جو المجتمع على مختلف طبقاته ويوضح كيف يتفاقم الخطر من جراء الظنون السيئة بين الناس بعضهم مع بعض، بل وبين الحاكم والمحكوم، فحين يبتغى الحاكم الريبة فى الناس يفسد ذات بينهم، ويوضح الرسول ﷺ خطر الغيبة والتجسس ويبين نتائجها السيئة التى لا تقتصر على الآخر فحسب، بل إن المغتابين والمتجسسين ينالون جزاءهم فى الدنيا وعقابهم فيها قبل الآخرة، قال ﷺ : «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا

(٦) رواه البخارى ومسلم

عوراتهم، فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن اتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته»(7). ولذلك أدرك سلفنا الصالح خطر التجسس فنهوا عنه وحذروا منه.

فقد كان سلفنا الصالح يدركون خطر التجسس ومدى حرمته، فكانوا يبتعدون عن التجسس وعن تتبع أسرار الناس حتى ولو ترتب على ذلك إقامة حكم من أحكام الشريعة، أو إقامة حد من حدود الله، قال عبدالرحمن بن عوف: حرست ليلة مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالمدينة إذ تبين لنا سراج فى بيت بابه مجاف على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهما الآن شرب فما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه.. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ وقد تجسسنا وانصرف عمر وتركهم.

كفارة الغيبة

ومن الرذائل المنهى عنها الغيبة قال الله تعالى:

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾

[الحجرات: ١٢]

وقد فسر الرسول ﷺ معنى الغيبة: ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته»(8). وقد رأى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج صورة محسوسة لأولئك المعتدين المغتابين، وكيفية عذابهم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل، قال: هؤلاء الذين يأكلون لحم الناس ويقعون فى أعراضهم» (9) وقد صور القرآن الكريم صاحب الغيبة فى هيئة مستقذرة، وصورة تدل على خسة الطبع ودناءة النفس وفساد القلب، قال تعالى:

﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾

[الحجرات: ١٢]

فصور الله تعالى الغيبة بأكل الميتة لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحى لا يعلم بغيبته ممن اغتابها، ولننظر بعد تصوير الرسول ﷺ للغيبة: روى أبوهريرة رضى الله عنه أنه حين جاء ماعز إلى النبى

---

(٧) رواه أحمد وأبوداود والترمذى.

(٨) رواه مسلم

(٩) رواه أحمد وأبو داود

ﷺ فشهد على نفسه بالزنا فرجمه الرسول ﷺ فسمع نبى الله رجلين من أصحابه يقول أحدهما للآخر : انظر إلى هذا الذى ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلاب، فسكت عنهما، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال : «أين فلان وفلان»؟ فقالا : نحن يا رسول الله، قال : انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار، فقالا : يا نبى الله ومن يأكل هذا؟ قال : فما نلتما من عرض أخيكما أشد من الأكل منه، والذى نفسى يده إنه لفى أنهار الجنة ينغمس فيها»(١٠)!!

وحكم الغيبة : أنها من الكبائر، قال رسول الله ﷺ : «دماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»(١١). واتفق العلماء على أنها من الكبائر تجب التوبة إلى الله منها، واختلفت الآراء هل يستحل المغتاب أم لا؟!

١- فقال بعض العلماء : ليس عليه استحلاله، وإنما هى خطيئة بينه وبين ربه واستدل أصحاب هذا الرأى بأنه لم يأخذ شيئا من ماله، ولا أصاب من بدنه ما ينقصه فليس فى ذلك مظلمة يستحلها منه وإنما المظلمة ما يكون فى المال والبدن.

٢- وذهبت فرقة أخرى : إلى أن الغيبة مظلمة، وكفارتها الاستغفار لصاحبها الذى اغتابه، واستدلوا على ذلك بما روى عن الحسن : كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته.

٣- وذهبت فرقة ثالثة : إلى أن الغيبة مظلمة، وعلى صاحبها الاستحلال منها، واستدلوا على ذلك بما أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون له دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»(١٢).

والذى نرجحه : هو الرأى الثالث القائل بأن على الذى اغتاب الاستحلال من غيبته لحديث البخارى، فهو يدل على التحليل، وحديث الرسول ﷺ هو الحجة والبيان الصحيح ولأن التحليل كذلك يدل على التعاطف والتراحم وهو من قبيل العفو قال تعالى :

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾

[الشورى : ٤٠]

اللهم إلا إذا ترتب على الاستحلال خطأ شديد، ومخافة أن يجر إلى اندلاع فتنة كبرى فإنه حينئذ يمسك عن الاستحلال

(١٠) رواه أبو داود

(١١) رواه البخارى ومسلم

(١٢) رواه أحمد، والبخارى

حتى يواتيه الوقت الملائم له ويقول بالتوبة والاستغفار لأخيه.

وأما الرأيان الثاني والأول: فنرى أن أصحاب الرأى الأول ينفون الاستحلال متعللين بأنه لم يصب مالا ولا بدنا فليس فى ذلك مظلمة، والحق: أن إجماع العلماء منعقد على أن على القاذف للمقذوف مظلمة بأخذه بالحد حتى يقيمه عليه، وذلك ليس فى البدن ولا فى المال، فهذا دليل على أن الظلم فى العرض والبدن والمال، وأما الرأى الثانى القائل: إنها مظلمة يستغفر لصاحبها ففيه تناقض لأن قولهم «مظلمة» يثبتون ظلامة المظلوم وإذا ثبتت لم يزلها عن الظالم إلا إحلال المظلوم له، وهذه الأحكام سارية فى سائر المظالم. وأما صاحب الهوى والفاسق المعلن فسقه والإمام الجائر فكل هؤلاء لا غيبة فى حقهم فإن من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له، بل إن ذكرهم بما هم عليه يحذر ويكشف عوارهم.

قال ﷺ: «اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس»[١٣] وإذا كانت واجبات الأخوة فى الدين تقتضى تكريم المؤمن ونفى كل الرذائل عن دائرة نفسه ومجتمعه وتحتم احترام المسلم لأخيه ومساعدته له وعدم التعرض بما يسيئه فى نفسه أو ماله أو عرضه.

إذا كانت هذه وغيرها من أسمى المبادىء لتكريم الإنسان المسلم فإن الله تعالى قد وسع دائرة هذه الأخوة فلم يجعل للأسرة الإسلامية حدودا تحدها قرابة أو نسب أو زمان أو مكان أو بيئة أو مجتمع بل إن الإسلام فتح أمام أتباعه آفاق التعارف والتآلف.

واستهدف من وراء جعله لهم شعوبا وقبائل التعارف المثمر الذى يكمل بعضهم بعضا فى إطاره المشرق.

ولم يجعل من اختلافهم فى اللون أو اللغة أو المال أو القوة سببا للتمايز والتعاظم، فنفى أن تكون هذه الأسباب أصولا للتكريم أو قواعد للتعظيم، وإنما جعل المعيار الحقيقى الذى توزن به منازلهم منحصرا فى شىء واحد هو «تقوى الله»..

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾

[الحجرات: ١٣]

***

(١٣) رواه ابن أبى الدنيا وابن عدى والطبرانى

من مناهج التربية فى القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور
محمد أحمد العزب

٢

إذا كان لكل دعوة كتابها القائد وأسلوبها القاصد ومنهجها السوى فى استقطاب ومعالجة الطبائع البشرية، فإن القرآن الكريم هو كتاب الدعوة الإسلامية وأسلوبها ومنهج حياتها جميعاً، وأروع ما فى هذا القرآن الإلهى المعجز أنه لا يقف فى معالجة الطبائع البشرية عند حافة جامدة لا يتعداها إلى غيرها من مناطق وإنما هو على النقيض من ذلك تماماً.. إنه يتخطى فى محاولاته لاستنقاذ الطبائع الجانحة من أسلوب إلى أسلوب، ومن منهج إلى منهج باذلاً من اكتنازه الذاتى بالعطاء لكل قضية جانحة ما يلائم طبيعة تكوينها البدائى، وطبيعة مسارها الحياتى وطبيعة تشكلها الأخير فى أى من الأنماط، إن ما يوائم قطاعاً من الطبائع البشرية قد لا يوائم قطاعاً آخر، ومن هنا فإن تعدد أساليب الحوار مع شتى أنماط هذه الطبائع يلوح فى نهاية الأمر ضرورة حتمية بما هو حركة على صعيد الواقع المتحرك الحى، وليس ضربة لازب جمدت نفسها على مستوى واحد من مستويات فهمها لتيارات دافقة بلا حدود!!

قد يخاطب القرآن نمطاً من أنماط الطبائع البشرية مرتفقاً فى ذلك نوعاً من الترهيب أو نوعاً من الترغيب، مؤكداً فى قضية هذا الارتفاق قضية حرية الإنسان، لأن نمطاً من أنماط التشريع الإلهى يخاطب البشر واعداً مرة، ومتوعداً أخرى إنما يوحى بالضرورة معنى أنه أعطى الإنسان منذ البدء حرية أن يقول «لا» وحرية أن يقول «نعم» لأن القابض على حريته هو وحده القادر على حركة القبول أو حركة الرفض، وهو وحده بالضرورة، كذلك مناط الوعد أو مناط الوعيد، إن الإنسان فى منطقة انتفاء

حريته القابلة أو الرافضة ليس مناط وعد أو عيد، بما هو صائر بالضرورة إلى حتمية الطوع هكذا كما تكون حركة الانحدار الساذجة من ليل إلى نهار ومن نهار إلى ليل، ولكنه فى منطقة احتيازه لحريته.. أعنى فى منطقة اندفاعه إلى معاقرة الجنوح، أو إمكان ارتفاعه إلى معانقة الصواب، يكون بالضرورة مناط الحدب من الجانب التشريعى، فمرة يلوح له التشريع بفداحة العقاب ومرة يلوح له بالخلود!!

وقد يخاطب القرآن نمطاً من أنماط الطبائع البشرية مرتفقاً فى ذلك أسلوباً بين بين - وهو ما نريد أن نتأمل محاور فلسفته فى هذا اللقاء - وأعنى بذلك الأسلوب أن يبدأ القرآن العظيم من منطلق موضوعى، فهو يعرض القضية فى حيادية من غير تحريض.. كما فى قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾

فصلت - ٣٤

وإن كنا نستطيع أن نستشف من خلال هذا السياق فى هذا العرض انحياز المنطق القرآنى مع الحسنة وضد السيئة إلا أن هذه الضدية أو المعية جميعاً لا تنفى قضية الحياد فى العرض، لأن منطق طبائع الأشياء يرفض استواء الجانب الأشرق «الحسنة» والجانب الأحلك «السيئة» فإذا جاء المنطق القرآنى بتقرير هذا الواقع الموضوعى فإن ذلك لا يطعن فى قضية حياديته، ولا يعطى عرض القضية على هذا المستوى غير معناها الحيادى المنصف الغائر فى طبائع الأشياء!!

ثم يترقى القرآن العظيم فى قضية العرض من مستوى الحيادية الصارمة إلى مستوى التعاطف مع الجانب الأشرق

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(فصلت: ٣٤)

لأن القرآن ليس نصاً من النصوص البلاغية الجامدة التى لا يهمها فى حركة التعبير إلا أن تجىء ذروة فى تقنية الحركة وقمة فى إعجاز السياق، ثم لا شىء!! إن هذا المنزع الجمالى البحت بعرى القرآن العظيم من أروع ملامح ذاته الفذة، إنه ليس كتاباً لإثارة النشوة الفنية فى قارىء مسترخ على وسائد الفهم الساذج لحقائق الكون أو حقائق التاريخ، إنه كتاب لإشعال الحرائق فى كل شىء فى الفكر المسطح، والكون اللزج، وطواطم التاريخ منذ البدء وحتى نهاية الرحلة، وبما هو كذلك بالدرجة الأولى فإن همومه الأساسية هى هموم إنسان هذا الكون.

إن شقاء الإنسان الكادح على الأرض بعض من ضرورة التنزيل، ومن هنا فإن تعاطفه الكادح على الجانب الأشرق فى كل شىء، وهو هنا «الحسنة» يبدو منطقاً متوازن الحركة، متساوق الإيقاع، مشدوداً إلى جذور طبيعته كنص إلهى يجىء

لمساندة الخطى الحائرة لإنسان هذا العصر، وما قبل هذا العصر، وما بعد هذا العصر، أعنى إنسان كل العصور!!

ثم يترقى القرآن العظيم فى قضية العرض من مستوى التعاطف مع الجانب الأشرق إلى مستوى تتويج القضية بمحصلة مقدماتها جميعاً

﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾

(فصلت: ٣٤)

وفى هذه المحصلة أو قل هذه النتيجة يتأكد احتواء القرآن فى حركة مده الوجودى على إنسان هذه الأرض، بكل عزاباته الراعفة، وبكل معاناته اليقظى فى رحلة القرار على شاطىء مأمون، إن طرح القضية على مستوى موضوعى منذ لحظة البدء، ثم الانحياز الراشد المسئول إلى جانب القضية الأشرق ثم التهدى من خلال ذلك كله إلى نتيجة واعية، ومنطقية لهذه القضية، إنما كان من أجل شىء صميمى، وليس من أجل لا شىء.. إن صفاء العلاقة بين الإنسان والإنسان على هذه الأرض، وترشيد حواس البشر فى قضية هذه العلاقة، وتصويب منطق الدفع والمدافعة.. والصداقة والعدائية حتى الحسنة والسيئة، إن كل ذلك وأشياء من وراء ذلك كله إنما هو فى نهاية الأمر بعض مآرب الرحلة القرآنية الخاطفة فى هذه الآية الواحدة المليئة بآلاف الكنوز!!

بدأ القرآن من خلال هذه الآية.. يعرض القضية على مستوى موضوعى ثم ترقى إلى التعاطف مع جانب القضية الأشرق ثم أعطى ذروة الفعل فى نتيجة القضية وهذا ما قصدت إليه حين قلت فى مطالع هذا اللقاء، إن للقرآن مناهجه الفذة فى معالجة الطبائع البشرية ومواءمة هذه الطبائع بما يتوافق معها من أساليب التربية وأنماط الحوارات!!

هذا وجه القضية فى شكله الموضوعى، أقول هذا خضوعاً لمنطق فهمنا القاصر فى حركة التصدى لما هو بالضرورى أثرى من مناطق العطاء فى أفهامنا جميعاً!! ولكن للقضية وجهها الآخر الذى نستطيع أن نسميه: وجهها التطبيقى..

ففى أى شىء لا تستوى الحسنة ولا السيئة؟!

- وفى أى المواجهات ندفع أو ندافع بالتى هى أحسن؟
- وما القيمة الحقيقية لولاءات العدو حين يستحيل من خلال تعامل ما إلى حميم؟

إن معانقة المنطق الصوابى فى وجه القضية التطبيقى يفضى فى النهاية إلى تكامل المنهج القرآنى فى التربية، أو قل إلى تكامل فهمنا لمنطق المنهج القرآنى فى التربية فذلك أهدى وأصدق.

حقيقى أن صيحة القرآن الكريم

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾

إنما تعبر عن حقيقة كونية راسخة فلا استواء بين السيئة والحسنة في قيمتها الموضوعية، من حيث كون الحسنة منطقه الخير فى الطبيعة ومنطقه العدول فى العلائق، ومنطقه الضوء فى ظلمات الدروب!! ولا استواء بين الحسنة والسيئة في قيمتها الاجتماعية من حيث كون الحسنة أقدر علي الفعل، وأهدي في الحركة، وأكثر قابلية لمعايشة البشر علي أرض زاخرة بالمتناقضات، ولا استواء بين السيئة والحسنة فى قيمتهما الصراعية، من حيث كون الحسنة فى نهاية الأمر هى مناط الغلبة، أو مناط الانتصار بما هى منطق الإيجاب فى مواجهة منطق السلب، وبما هى شريعة الحب فى مواجهة شرائع التدمير.

وحقيقى.. إن صيحة القرآن العظيم:

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(فصلت: ٣٤)

إنما تعبر عن فلسفة كونية أرسخ رسوخاً، لأن الدفع هنا ليس مواجهة الشر الكاسح بالخير المسالم كما قد يظن إن دفع الشر بالشر قد يكون مضمون

﴿ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

حين يستحيل الشر إلى قوة هاجمة لا ضمير لها ولا منطق!! فى البدء لابد من معالجة الشر بالخير والسيئة بالحسنة، والوبال بمزيد من الكمال فإذا لم يفطن الشر إلى منطق الخير فى هذه المدافعة العاقلة انتفى الخير كل أسلحته ورمى بها فى صدور الشر من كل اتجاه، وفى كل اتجاه، وليس الدفع بالتى هى أحسن قضية موقف واحد قتالى قد يكون.. إن له محاور غير محدودة يدور فى مستوياتها جميعاً فقد يكون الدفع فى المجال الخلقى بالتسامح والصفح وقد يكون فى المجال النفسى بالتعاطف والحب، وقد يكون فى المجال الحياتى بشرف الكلمة وطهارة السلوك، وقد يكون فى المجال الإنسانى بمزيد من الزمالة والسلام، وقد يكون فى المجال الفكرى بتأصيل قضية الفهم وتفتيح نوافذ الحوار، وقد يكون فى المجال العقائدى بفدائية الحركة وإيمانية الإصرار، إلى آخر ما يمكن أن نؤصل له فى هذا المنطلق من منادح الرؤية وآفاق التنظير.

وحقيقى فى نهاية الأمر أن صيحة القرآن العظيم

﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

(فصلت: ق٣٤)

إنما تعبر عن هموم الدعوة والداعية وتختصر فلسفة موقف القرآن من كادح هذه الأرض «الإنسان»!! إن العداء المخرب لسوء العلاقة الإنسانية هنا قد يكون عداءً عقائدياً يجب أن يتحرك المسلم لبتره أو تعديله بما هو مناط الفهم العقائدى الحافز على حركة التواصل وليس على جبرية

الانفصال ! ! وقد يكون عداءً طبقياً يجب أن يتحرك المسلم لبتره أو تعديله بما هو مناط التعاطف الكونى الذى يدنى طبقة من طبقة وإنسان من إنسان، بكل ما خطط الإسلام له إلى ذلك الهدف من طرائق، وبكل ما اشترع له إلى ذلك من وسائل وغايات ! !

وقد يكون اجتماعياً دائراً فى مستوى الشىء لمن هو؟ وإلى من هو؟ إلى آخر ما يطرح فى هذا المجال من أسئلة تافهة القرار، إن وضعية المسلم بما هو مناط التوازن الوضعى فى كونه توجب عليه أن يتحرك لبتر هذا العداء أو تعديله، ليس بمجرد مزيد من الشعارات أو مزيد من غلبة الرأى، وإنما بإحقاق قضية الحق، وتدمير قناطر الباطل، ليتيح بذلك للجمال الإلهى أن ينقل خطواته على الأرض ناشراً أجنحته على الناس ! !

إن ذلك المنهج السوى فى فهم صيحات قرآننا العظيم الثلاث:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت: ٣٤)

إنما يعطينا أسلحة انتصارنا الحتمى فى كل معارك النضال على كل مستوياته الآنية وغير الآنية، ونستطيع نحن بمزيد من تأمل النص، والحوار الراشد مع منطق الآيات، أن نفجر فيها شلالات بغير حدود من المعانى والقضايا وآفاقاً من الفكر لا تنتهى إلى حدود ! ! !

وحتى لا نفقد ضوء عيوننا فى نهار الألق، فقد يتحتم أن تعود إلى المحاور الصميمية لهذه الرحلة، لنستبين بعضاً من مناهج التربية فى القرآن العظيم، أو قل بعضاً من مناهج القرآن العظيم فى التربية وهى ربما على وجه مقارب: عرض القضية فى موضوعية هادئة وبلا ضجيج .. ثم الانحياز الفاهم إلى الجانب الأشرق من هذه القضية ثم تجلية الغائية التى يمكن أن نحتازها فى نهاية الرحلة.

والقرآن العظيم فى كل أولئك جميعاً لا يعطى للقضية وجهها الأكاديمى أو الميتافيزيقى وحده، وإنما هو يؤكد على طول المسار حتمية انتماء الشعار للواقع، وحتمية انتماء كل القضايا إلى وجودية الإنسان، ولعل هذا المنطلق المزاوج بالضرورة بين الشعار والواقع وبين حركة الفكر وحركة الساعد، وبين تراب هذه الأرض وضوء المصابيح فى السماء، لعل هذا المنطلق هو ما يميز الإسلام فى معترك الشرائع، وهو ما يعطيه إمكانية أن يحيا على الأرض، فاعلاً أبداً قائداً دائماً، قابلاً للعطاء هكذا بلا جمود ! !

فليكن قرآننا العظيم محور الحركة فى وجودنا الحى وليكن فهمنا نافذة مفتوحة على كل المنادح ولنكن نحن طلائع الزحف المقدس، إلى تخوم رائعة بلا تخوم ! ! !

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴾

دور المسجد فى حياة الأمة

للدكتور / حمدى فتوح والى

إن المسجد فى حياة الدعوات يمثل المنطلق الأول الذى لا يمكن تجاوزه أو الاستغناء عنه. إلا إذا أمكن للإنسان أن يستغنى عن عقله. أو أن ينطلق بعيداً عن روحه ونفسه.

وهذا يفسر لنا سر عناية الرسول «ﷺ» ببناء المسجد فى أول أيام وصوله إلى المدينة ليقينه «ﷺ» بأن المنطلق الأول الذى تشحن فيه النفوس وتغسل فيه العقول. وتملأ من فيضه القلوب، وتنهل من معينه الأرواح، إنما هو المسجد حيث يذكر اسم الله ويُتلى كتابه، وحيث تربط القلوب بخالقها وتتعلق بفاطرها وتستمد رؤيتها لتنفيذ برنامج الحياة من نور سبحانه وتعالى:

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(المائدة: ١٥، ١٦)

وإذا كانت الأمم تبنى على سواعد الرجال، فإن الرجولة لابد أن تبنى فى محاضن الوحى، ومصانع الرجال، وهى المساجد:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾

(النور: ٣٦، ٣٧)

أقدس رسالة

ومن يتأمل فى الآية الكريمة يلاحظ أن الفئة التى اختارها الله سبحانه وتعالى لرفع بيوته وتشريفها بدوام ذكر الله فيها هى فئة الرجال الذين واصلوا التسبيح لربهم بالغدو والآصال مدركين أن مهمة عمارة المساجد، ورفع ذكر الله، وتعليم الأمة لحق ربها هى أقدس رسالة شهدتها الأرض فلا يعدلوا بها عملاً آخر أو مهمة أخرى إنهم..

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾

(النور: ٣٧)

إن النفس التى سقيت بالوحى. ومزجت بنور الآيات وجبلت على حب الخير. وشرحت صدراً بنور الله. هى وحدها القادرة على حمل أمانة الله فى الأرض. وإحسان السير بها بين الناس. رغبة فى رضا الله وسعياً إلى ثوابه ورضوانه.

إنها نفوس تطهرت من سلطان الشهوة. وعقول تحررت من سلطان الخرافة. وقلوب ارتفعت فوق سلطان الطغاة وخلصت بكيانها كله لله رب العالمين:

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾

(التوبة: ١٠٨)

تطهروا من ثقلة الجسد، وكدرة النفس، والميل مع الهوى واستقاموا لله رب العالمين.

الصلاة معراج روحى

ومع المسجد وفى رحاب الله تؤدى الصلاة. والصلاة معراج روحى تأخذ بقلوب المؤمنين وأرواحهم إلى رحاب المولى سبحانه وتعالى، وهل يليق بمقام الله والإقبال عليه أن يقوم عليه أحد وهو يحمل شيئاً من القذر أو الكدر؟! إن الجو كله جو طهر ونقاء وصفاء، فلابد لمن تهيأ للوقوف بين يدى ربه أن يستكمل أسباب الطهارة كلها، طهارة الظاهر من الثوب والبدن والمكان، وطهارة الباطن من الحقد والحسد والبغضاء وحتى لا ينسى أحد أو يتساهل فيدخل إلى المسجد بثياب قذرة أو رائحة غير طيبة، أو بهيئة شعثة وهى حالة لا يليق أن يدخل بها إنسان على إنسان مثله فكيف يسمح لنفسه أن يستفتح باب الجليل سبحانه وهو بهذه الهيئة وعلى هذه الحال. إن الحس الرقيق. والذوق الرفيع، والفطرة السليمة النقية تأبى أشد الإباء أن تلج إلى مقام الطهر بغير طهور. لكن إذا غلظ الحس. وغاب الذوق، وانتكست الفطرة، فاحتاج ابن آدم إلى تذكير وبيان فإن المولى – تبارك وتعالى- يذكِّرنا فى نداء قاطع وبيان حاسم بقوله:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾

(الأعراف: ٣١)

ثمرة العبادة

وإذا اجتمع للمساجد طهارة المكان بحسن الفرش وجميل الرياش وتجديد الهواء واجتمع

لروادها طهارة الظاهر ونقاء الباطن، وفاحت من روادها روائح العطر وعبقت فى جوانبها نسمات الطهر. وجدت للقلب نشوة. وللصدر انشراحاً. وللنفس انجذاباً إلى جمال الذات الإلهية. فتثمر العبادة ثمرتها وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها.

ولك أن تتصور حاكماً قد تعلق قلبه بالمسجد فهو منطلق منه، منجذب إليه، يشعر نحو المسجد بحنين يربطه به ويشده إليه. فهو دائم الخشية من ربه، شديد الحياء منه يشعر دائماً أنه المخاطب بقوله:

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾

(المائدة: ٤٩)

﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾

(الصافات: ٢٤)

إنه فى المسجد قد استمع إلى قول المصطفى ﷺ: (اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولى من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فأرفق به»(١).

وتفتحت عينه على أدب المراقبة للخالق سبحانه وتعالى، واستوعب فى المسجد قول نبيه «ﷺ» عن أنس عن النبى «ﷺ»: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه»(٢).

الأمانة موضع مساءلة

وأيضاً عن عبدالله بن عُمر يقول سمعت رسول الله «ﷺ» يقول: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ـ قال وحسبت أن قد قال ـ والرجل راع فى مال أبيه ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته»(٣).

وامتلأ قلبه يقيناً بقول رسول الله «ﷺ» عن أبى هريرة عن النبى «ﷺ» قال: (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ فى عبادة ربه، ورجل قلبه معلق فى المساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال إنى أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»(٤).

وامتزج بإحساسه قول الحق سبحانه:

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الإمارة (٤٨٢٦)، والبيهقى، كتاب السير (١٨٣٧٠).

(٢) أخرجه الترمذى فى السنن، كتاب الجهاد (١٨٠٧).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة (٨٩٣) أطرافه ٢٤٠٩، ٢٥٥٤، ٢٥٥٨، ٢٧٥١، ٥١٨٨، ٥٢٠٠، ٧١٣٨ ـ تحفة ٦٩٨٩.

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب الأذان (٦٦٠) أطرافه ١٤٢٣، ٦٤٧٩، ٦٨٠٦ ـ تحفة ١٢٢٦٤.

﴿ ... الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾

(المائدة: ٤٩، ٥٠)

إن قلباً له هذا اليقين وضميراً له هذا الحضور، ووجداناً له تلك المراقبة العميقة جدير أن يلتمس سبل الهرب من تلك الأمانة التى تجعله فى موضع مساءلة عن كل من استرعاه الله عليه، فهو مسئول عن الجائع حتى يشبع، والعارى حتى يستر، وعن المظلوم حتى يرفع الظلم عنه. كما إن الحاكم الذى تعلق بالمسجد فأدام الوقوف بين يدى خالقه يسأله العون والتسديد والرشاد،، جدير بأن يعان فى مهمته وأن يوفق فى أداء رسالته. وأن ينال حب رعيته، وإن استقام أعانوه وإن اعوج قوموه فهو منهم بمنزلة الوالد من ولده.

إن تنصروا الله ينصركم

ولك أن تتصور جنود جيش تلك حالهم وهذه سماتهم معية دائمة، وانجذاب حميم، وتعلق كريم بجلال المولى العظيم، كيف يكون موقفهم إذا لقوا عدو الله وعدوهم؟ وهم ما خرجوا إلا غيرة على مقام الخالق العظيم سبحانه. أمام أناس تمردوا على خالقهم، وأنكروا نعمته، وكرهوا شريعته وشاقوا رسله، وعصوا أمره؟

كيف لا يعدون العدة وهم المخاطبون فى المسجد بقوله سبحانه:

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾

(الأنفال: ٦٠)

وكيف لا يقاتلون وهم يُدعون من خالقهم بقوله:

﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾

(التوبة: ٢٩)

وكيف يترددون والله يستحثهم على القتال ويشحذ همتهم ببيان جرائم المجرمين التى اقتضت استئصالهم عن الأرض بقوله:

﴿ ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴾

(التوبة: ١٣)

وكيف يخافون وهم المبشرون من خالقهم سبحانه وتعالى بالنصر والتأمين إذا هم نصروا الله وقاموا فى سبيله، بقوله:

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾

(محمد: ٧)

وكيف لا تثبت الأقدام وهم المخاطبون بقول ربهم سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (٤٥) وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾

(الأنفال: ٤٥، ٤٦)

الفئة المؤمنة

إن ثبات أبناء المساجد فى فلسطين أمر لم يدهشنا، وانتصارهم على اليهود وإجبارهم على الانسحاب الذليل المهين لم يفاجئنا لأنهم موعودون بالنصر من جبار السموات والأرض عندما تعهد بالنصر لأوليائه بقوله:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾

(غافر: ٥١)

وبقوله سبحانه:

﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

(الصافات: ١٧٣)

إن الفئة المؤمنة التى أعلى الله قدرها. ورفع شأنها. وأوقع فى قلوب الكافرين هيبتهم لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا لأنها بدأت انتفاضتها من المساجد وألقت بياناتها العسكرية من فوق المنابر وأعلنت تعبئتها وخططها من فوق المآذن. إنهم انطلقوا إلى لقاء الأعداء وهم واثقون من وعد ربهم القائل:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الروم: ٤٧)

ألم أقل لكم إن المساجد هى مصانع الرجال؟!

ولك أن تتصور موظفاً يخرج إلى عمله وقد شحن بقول نبيه «ﷺ»: (لأن يمشى أحدكم فى حاجة أخيه حتى يقضيها خير له من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهر) (٥) وقوله: «ﷺ» عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»(٦).

وقوله «ﷺ»: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) (٧) أكنت ترى هذا الموظف يتأخر عن عمله تضييعاً لوقته أو تعطيلاً لمصالح الناس. أو تفنناً فى إرهاقهم وإعناتهم بكثرة التسويف والمماطلة، سعياً منه إلى إلجائهم. لدفع رشوة حتى تسهل الأمور وتقضى المصلحة، إن القلب المعلق بالله لن يحتاج إلى قائمة من الأوامر والنواهى، وطابور من المسئولين لكى يحملوه على إتقان عمله. لأن وازعه الإيمانى وضميره الربانى، وعمق يقينه بخالقه يحفزه على الإتقان والإحسان لا لشىء، إلا لأنه يعلم أن الله يراه، وسيكافئه أو يحاسبه على ما قدمت يداه، ويؤمن عن يقين بقول ربه سبحانه:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

(الزلزلة: ٧، ٨)

---

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرك جـ٤/٢٦٩، ٢٧٠.

(٦) رواه ابن ماجة فى المقدمة (٢٤٣).

(٧) مجمع الزوائد للهيتمى جـ٤ ص٩١.

إن المسجد فى شريعة الإسلام ليس مجرد مكان للعبادة أو أداء الصلوات فإن الصلاة والعبادة تؤدى فى كل زمان وفى أى مكان. لكن المسجد فى شريعة الإسلام هو رمز التقاء السماء بالأرض واستعلاء الروح على الجسد واستمرار المدد الإلهى والشحن الربانى. حتى يظل المؤمن على مسار حياته موصولاً بربه مرتبطاً بخالقه فلا يضل ولا يشقى.

عندما تتعلق القلوب بالمساجد

ولك أن تتصور جامعات مصر وما تضمه كل جامعة من كليات وقد استكملت كل جوانب المعرفة الإنسانية، وقد انتصب فى صدر كل كلية مسجد يتسع لأبناء تلك المؤسسة جميعاً ويقوم على أمر هذا المسجد أعظم الأساتذة علماً، وأكثرهم خشية وأشدهم غيرة على دين الله سبحانه وتعالى أكنت ترى حالة التفسخ الأخلاقى والخواء الروحى، والقلق النفسى، والاختلاط الماجن، والسلوك الشائن، الذى يدع الحليم حيراناً وهل لو فُعِّلَ دور المسجد واحتل فى اهتمامات المسئولين المرتبة الأولى خدمة وتأهيلاً ورعاية كما ينبغى أن يكون فتوقفت المحاضرات والدروس عند أداء الصلاة، أكنت ترى حالات الزواج العرفى والمخادنة المحرمة وما ينتج عن ذلك من حالات الأبناء غير الشرعيين الذين ضاقت بهم أروقة المحاكم واضطرت الدولة أن تخص تلك الأحوال الشاذة الماجنة بمحاكم أسمتها محاكم الأسرة.

أو لست معى فى أن القلوب التى تتعلق بالمسجد وتنتظم فى صفوف الصلاة فى خشوع ووقار صادق هى قلوب تستعصى على وساوس الشيطان؛ ومفاسد الاختلاط وإغراءات المجرمين والمجرمات ويومها سنرى كيف تهدأ الأعصاب، وتستقر المشاعر، وتطهر الضمائر، وتتفرغ العقول والقلوب لطلب العلم وخدمة الأمة، وتوفر على أولياء الأمور ما ينفقه الأبناء على سباق المظاهر والتقليد والموضة ومسايرة أحدث التقاليع فى الملابس وقصة الشعر ونوع المحمول؟

أو لست معى أيضاً فى أن المسئولية الوطنية تستوجب على أولياء الأمور أن يحملوا الأمة على التدين حملاً، وينفقوا فى سبيل ذلك أقصى ما يستطيعون من ميزانية لكى يوفروا عليها مئات الآلاف من المليارات التى تهدر بسبب الجهل بالدين والتجرؤ على المخالفات والمسارعة إلى ممارسة الإجرام بصوره المختلفة: جرائم العرض، والنفس والمال، فضلاً عن جرائم السكر والمخدرات والقمار.

ولك أن تتصور مقدار ما تتحمله الدولة من نفقات بسبب هذه الجرائم التى ما كانت لتصدر عن قلب مؤمن وضمير يقظ ونفس خاشعة. ووجدان متعلق بالله مرتبط به عقب كل صلاة فإلى ذلك فلينتبه الغافلون.

من أمثال القرآن الكريم

مثل العنكبوت

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

يقول الله تعالى:

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت/ ٤١]

المقصود من الآية الكريمة أن الناس قد تخدعهم قوة الملحدين فى آيات الله سبحانه: فيعجبون بتفوقهم فى مجالات العلم. والمال والقوة. والسلطان.. وربما سوّل لهم ذلك أن يتهافتوا عليهم: رغبا أو رهبا..

ومن هؤلاء الناس: الدعاة، والذين يرون من تسلط أعدائهم ما يلقى فى قلوبهم الخوف منهم..

والآية الكريمة تضرب هذا المثل الذى يصور إلى أى حد كانت هذه القوى المزعومة هباء إلى جانب قوة الله عز وجل وليس هناك إلا حماية الله. وإلا حماه. وإلا ركنه القوى الركين: هذه الحقيقة الضخمة هى التى عنى القرآن بتقريرها فى نفوس الفئة المؤمنة فكانت بها أقوى من جميع القوى التى وقفت فى طريقها. وداست بها على كبرياء الجبابرة فى الأرض، ودقت بها المعاقل والحصون.

لقد استقرت هذه الحقيقة الضخمة فى كل نفس، وعمرت كل قلب. واختلطت بالدم.. وجرت معه فى العروق..

ولم تعد كلمة تقال باللسان. ولا قضية تحتاج إلى جدل. بل بدهية مستقرة فى النفس: لا يجول غيرها فى حسٍ ولا خيال قوة الله وحدها هى القوة.. وولاية الله وحدها هى الولاية.. وما عداها فهو واهن ضئيل هزيل مهما علا واستطال. ومهما تجبرّ وطغى ا. هـ.

كما أن من اتخذ الأوثان أولياء: لم ينفعه فى الدارين معبوده. ولم يدفع عنه العذاب ركوعه وسجوده، وهؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء هم أمثولة الدنيا وعجيبتها.. وذلك من خلال تصرفهم:

ذلك بأن دعاء غير الله يعنى: مخالفة لقويم العقل. وصريح النقل. وسليم الفطرة. وصحيح الفكرة..

وتدريب على الجلافة. وتطبّع فى الكثافة، كيف لا.. وقد تكلف ما ليس مركوزا فى طبعه:

إنه سباحة ضد تيار العقل والنقل وتجاهل لنداء الفطرة المتجهة أساسا إلى خالقها عز وجل: وإلى أية جهة اتجهوا: إلى من هو من دون الله، أى أنهم تكلفوا: اتخذوا له شريكا وثنا: عوضا عمن لا تكيفه الأوهام والظنون، اتخذوه وليا ينصرهم.. فيالها من صفقة خاسرة. وتجارة بائرة ومثلهم كمثل العنكبوت:

اتخذت بيتا يحميها.. فكان مع التكلف والتعب فى غاية الوهن بعدما عانت العنكبوت فى حوكه ما عانت .. وقاست فى نسجه ما قاست، لأنه لا يكنّ من حرّ. ولا يصون من برد. ولا يحصّن عن طالب، وكذلك ما اتخذوه من الأوثان: فهو أوهن الأديان] أ. هـ.

ولو كان لهم نوع ما من العلم لانتفعوا به.. فعلموا أن هذا مثلهم.. ولكن الذى عندهم هو فقط «المكابرة».. ولذا أكد سبحانه لهم القضية بإنّ شاهدة بأن بيت العنكبوت ليس فقط ضعيفا.. ولكنه واهن.

مظاهر الوهن فى بيت العنكبوت

- إنه «بيت» منكر..
- وبعد أن يلقح الذكر الأنثى تأكله.. فى نفس الوقت الذى يأكل الصغار بعضهم بعضا.
- ولا يعيش بيتها إلا ليلة واحدة
- تجعل منه.. شركاً تصطاد به ما هو أكبر منها وهو «الذباب» وليس بيتا

للراحة.

● لا تبنيه إلا فى الظلام. لاعتمادها على حاسة اللمس.

● بينما يذهب إليها «الذكر» طربا.. تلتهمه ولا يستطيع منها هربا.

● إناث العنكبوت أكبر من الذكور حجما.. وهى التى تتحكم فى مصير البيت، والتى تظل مرهقة فى هذا الجو المشحون بالتعب. والخلل وهو مثل من اتخذوا من دون الله أولياء من الكافرين، أعطاهم الله العقل.. كما أعطى العنكبوت خيوطا فى منتهى القوة ولكن كلا الطرفين لم يستثمر هذه القوة فى اتخاذ القرار السليم..

فأى بيت أوهن من هذا البيت؟ وأى قوم أضعف ممن اتخذ غير الله وليا؟!

ولم تقل الآية «شركاء» ولكنها تقول «أولياء»:

ليشمل ذلك كل من اعتمد على غير الله.. وإن كان مسلما.. بمعنى: أن كل طمع فى جلب نفع أو دفع ضر.. من غير الله تعالى.. فهى محاولة عابثة لا فائدة فيها. ولا جدوى منها وفى بيان ذلك يقول الرازى:

● أولاً: ينبغى أن يكون للبيت أمور: حائط حائل. وسقف مظل.. وباب يغلق. وأمور يرتفق بها وينتفع، وإن لم يكن كذلك فلا بد من أحد أمرين:

● إما حائط حائل يمنع من البرد. وإما سقف مظل يدفع عنه الحر فإن لم يحصل منهما شىء.. فهو كالبيداء: ليس ببيت.

لكن بيت العنكبوت: لا يُجنها. ولا يكنها.

وكذلك المعبود: ينبغى أن يكون منه الخلق والرزق. وجر المنافع. وبه دفع المضار. فإن لم تجتمع هذه الأمور.. فلا أقل من دفع ضر أو جر نفع:

فإن من لا يكون كذلك.. فهو والمعدوم بالنسبة إليه سواء:

فإذن.. كما لم يحصل للعنكبوت باتخاذ ذلك البيت من معانى البيت شىء.. كذلك الكافر: لم يحصل له باتخاذ الأوثان أولياء من معانى الأولياء شىء.

● ثانيا: أقل درجات البيت أن يكون للظل:

فإن البيت من الحجر، يفيد الاستظلال. ويدفع أيضا الهواء والماء. والنار والتراب والبيت من الخشب: يفيد الاستظلال. ويدفع الحر والبرد. ولا يدفع الهواء القوى. ولا الماء. ولا النار.

والخباء: الذى هو بيت من الشعر أو الخيمة التى هى من ثوب: إن كان لا يدفع شيئاً: يُظل. ويدفع حر الشمس.

لكن بيت العنكبوت لا يُظل: فإن الشمس بشعاعها تنفذ فيه فكذلك المعبود: أعلى درجاته: أن يكون نافذ الأمر فى الغير فإن لم يكن كذلك.. فيكون نافذ الأمر فى العابد فإن لم يكن.. فلا أقل من ألاّ ينفذ أمر العابد فيه لكن معبودهم تحت تسخيرهم: إن أرادوا أجلْوه. وإن أحبوا أذلوه.

● ثالثا: أدنى مراتب البيت أنه إن لم يكن سبب ثبات وارتفاق لا يصير سبب شتات وافتراق: لكن بيت العنكبوت يصير سبب انزعاج العنكبوت: فإن العنكبوت لو دام فى زاوية مدة لا يقصد ولا يخرج منها..

فإذا نسج على نفسه. واتخذ بيتا يتبعه صاحب الملك- الدار- بتنظيف البيت منه. والمسح بالمسوح الخشنة المؤذية لجسم العنكبوت.

فكذلك العابد: بسبب العبادة ينبغى أن يستحق الثواب.. فإن لم يستحقه.. فلا أقل من أن لا يستحق بسببها العذاب والكافر يستحق بسبب العبادة العذاب أ.هـ.

ثم يستطرد الرازى فيزيد وجه الشبه وضوحا فيقول:

مثل الله اتخاذهم الأوثان أولياء.. باتخاذ العنكبوت نسجه بيتا.. ولم يمثله بنسجه. وذلك لوجهين:

ـ أحدهما: أن نسجه فيه فائدة له: لولاه ما حصل وهو: اصطيادها الذباب به من غير أن يفوته ما هو أعظم منه.

● واتخاذهم الأوثان.. وإن كان يفيدهم ما هو أقل من الذباب من متاع الدنيا.. لكن يفوتهم ما هو أعظم منها وهو: الدار الآخرة. التى هى خير وأبقى] أ. هـ

وهكذا تبدو العنكبوت: اتخذت بيتا: لا يجير آويا. ولا يريح ثاويا.

إن سيادة البيت إلى الأنثى.. والتى تلتهم الذكر.. وبعد عملية التلقيح؟ فكيف يكون قرار؟!!

والنتيجة

أن العيب فى أنفس المعاندين.. وليس فى «المثل»

هؤلاء المعاندون الذين كانوا على ما يقول الشاعر:

كضرائر الحسناء: قلن لوجهها
حسداً وبغضا: إنه لدميم!!

***

طرائف .. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من أقوال الشعراء فى القناعة

والنفس تجزع أن تكون فقيرة ... والفقر خير من غنى يطغيها
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت ... فجميع ما فى الأرض لا يكفيها

وقال آخر:

قدم لنفسك فى الحياة تزودا ... فلقد تفارقها وأنت مودع
واجعل تزودك المخافة والتقى ... فلعل حتفك فى مسائك أسرع
واقنع بقوتك فالقناع هو الغنى ... والفقر مقرون بمن لا يقنع

وقال آخر:

ولا ترج السماحة من بخيل ... فما فى النار للظمآن ماء
ورزقك ليس ينقصه التأنى ... وليس يزيد فى الرزق العناء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع ... فأنت ومالك الدنيا سواء

قال بعض الحكماء

الظلم على ثلاثة أوجه، ظلم لا يغفره الله، وظلم لا يتركه الله، وظلم لا يعبأ الله به شيئاً.

فأما الظلم الذى لا يغفره الله فهو الشرك بالله.

وأما الظلم الذى لا يتركه الله فمظالم العباد بعضهم بعضا.

وأما الظلم الذى لا يعبأ الله به فظلم العبد ما بينه وبين الله - تعالى.

لأغمن من أمرك بهذا

كان لبعض النساك شاة، فرآها على ثلاث قوائم، فقال من فعل هذا بها؟

فقال غلامه: أنا فعلته.

قال: ولم؟ قال: لأغمك بها.

فقال: لأغمن من أمرك بهذا، اذهب فأنت حر.

ثم جعل من بعد قوة ضعفا

مر الحجاج على رجل كبير السن من الأعراب، فقال له: كيف حالك؟

قال الأعرابى: إن أكلت ثقلت، وإن تركت ضعفت.

فقال: كيف نومك؟ قال: أنام فى المجمع، وأسهر فى المضجع.

فقال: كيف قيامك وقعودك؟

قال: إن قعدت تباعدت عنى الأرض، وإذا قمت لزمتنى.

فقال: كيف مشيك؟

قال: تعقلنى الشعرة، وتعثرنى البعرة.

الحلم عند القدرة

قال حكيم: الكريم أوسع ما يكون مغفرة، إذا ضاقت بالمسىء المعذرة. قال شاعر فى هذا المعنى:

إذا اعتذر المسىء إليك يوما
من التقصير عذر فتى مقر
فصنه عن عتابك واعف عنه
فإن العفو شيمة كل حر

وقال غيره وقد أبدى وجها صحيحا لقبول المعذرة، وهو الوجه الذى يتناساه كثير من الناس ويعجزون عن الانتصاف من خصومهم، فيسجلون على أنفسهم القصور والتقصير معا، قال:

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا
إن بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره
وقد أجلك من يعصيك مستترا

وقال أديب: ما أذنب من اعتذر، ولا أساء من استغفر.

وقال محمد بن شيرذاذ: الأصاغر يهفون، والأكابر يعفون.

وكتب بعضهم إلى رئيس يعتذر إليه:

اغتفر زلتي لتحرز فضلي
واعف عني ولا يفوتك أجري
لا تكلني إلى التوسل بالعذر
ولعلي أن لا أقوم بعذري

وقال حكيم: إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره، فما كل من أسمعته نكرا، يطيق أن توسعه منك عذرا.

أحببت أن أذيقك طعم الظلم

روى أن أنوشروان كان له معلم حسن التأديب، فعلمه حتى فاق العلوم، فضربه المعلم يوماً من غير ذنب فأوجعه، فحقد أنوشروان عليه، فلما ولي الملك قال له: ما حملك على ما صنعت من ضربي يوم كذا وكذا ظلما؟ قال: لما رأيتك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد أبيك، فأحببت أن أذيقك طعم الظلم حتى لاتظلم. فقال أنوشروان: زه، وهي كلمة تدل على الإعجاب، إذا قالها الملك لأحد أعطى ألف دينار جائزة.

يا شعراء العصر

يا شعراء العصر لا تمدحوا
شخصا ولو أنكم معسرون
فالله رب العرش سبحانه
يرزقكم من حيث لا تشعرون

هات المصحف وخذي الثوب

روى أن معروفاً الكرخي نزل دجلة يتوضأ ووضع مصحفه وملحفته، فجاءت امرأة فأخذتهما فتبعها معروف، وقال: يا أختي أنا معروف لا بأس عليك، ألك ابن يقرأ؟ قالت: لا قال: فزوج، قالت: لا، قال: فهات المصحف وخذي الثوب.

إلى بيتنا يذهبون

قال عثمان بن دراج الطفيلي، مرت بنا جنازة يومًا ومعي ابني، ومع الجنازة امرأة تبكي، وتقول: الآن يذهبون بك إلى بيت لا فراش فيه، ولا غطاء ولا وطاء، ولا خبز ولا ماء، فقال ابني: يا أبتي إلى بيتنا والله يذهبون.

دعاء

يارب لا تجعل قدمي تزل في الطريق إليك ولا قلبي يضل في التطلع إليك، أنت العون الذي أبتغيه، والخير الذي أتمناه في الدنيا والآخرة.

الكذب من علامات المنافقين

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف

حرص الإسلام على أن يبنى المجتمع الإسلامى على أسس سليمة، وعلى مبادىء قويمة، وعلى أخلاق فاضلة، وعلى علاقات بين الناس واضحة جلية، مبنية على الصدق، قائمة على الحق، لذلك طلب الإسلام من الناس أن يبنوا حياتهم على الحق، فلا يقولوا إلا حقاً، ولا يعملوا إلا حقاً، ولا يشهدوا إلا حقاً.

ومن هنا كان الاستمساك بالصدق فى كل شأن من شئون الحياة، وتحريه فى كل قول أو عمل فى المعاملات بين الناس، والمصير إليه فى كل حكم.. دعامة قوية فى خلق المسلم، وصيغة ثابتة فى سلوكه، ومبادىء مهيمنة على كل تصرفاته... ولذلك عزّ المجتمع الإسلامى فى صدر الإسلام، وعاش أفراده فى أمن وأمان، واستقرت حياتهم فى مودة ورخاء، لأنهم كانوا يستظلون بمظلة الحق والصدق، يتلاقون على الفضائل، ويتعاونون على الشمائل، ويتواصون بالحق، ويشهدون بالصدق فإذا أساء أحد السيرة، وانحرف عن الجادة، وحاول أن ينفرد بمسلك خاطىء بعيد عن الحق والصدق والصواب، بدا بعمله هذا كالأجرب بين الأصحاء، فلا يطيب له مقام بينهم حتى يبرأ من علته ويشفى من مرضه.

وكانت المعالم الأولى للجماعة الإسلامية صدق الحديث، وضبط الكلام والتمسك بالحق قولاً وعملاً، وشهادة الحق سراً وعلانية.. أما الكذب وقول الزور، والتدليس والافتراء، وكتمان الشهادة وخيانة الأمانة، فهى إمارات

النفاق، وعلامات انقطاع الصلة بالدين.

والإسلام لاحترامه الشديد للحق، ولتمسكه الصلب بالصدق، طارد الكذابين، وشدد عليهم بالنكير، ونعتهم بأخس الصفات، وشدد عليهم العقاب..

عن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها قالت: «ما كان حلف أبغض إلى رسول الله «ﷺ» من الكذب، ولقد كان الرجل يحدِّث عند النبى «ﷺ» بالكذبة،، فما يزال فى نفسه حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة»[1]

فكان أبغض شىء إلى النبى «ﷺ» الكذب فى اليمين، لأنه تضليل واستخفاف باسم الله تعالى.

والكذب رذيلة من أخس الرذائل وأفحشها سوءا، لأنها تنبىء عن تغلغل الفساد والسوء فى نفس صاحبها، وعن سلوك ينشىء الشر فى المجتمع إنشاء، ويهدم الفضائل والأخلاق هدماً، ويدفع إلى ارتكاب الإثم والمنكر.. ولذا نجد سيدنا رسول الله «ﷺ» ينفى الإيمان عن الكذَّاب، ويبعده عن الدين، فقد سئل ﷺ: «أيكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم، قيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم، قيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: لا»[2].

ومع أن الجبن والبخل صفتان مذمومتان، ينفر منهما أصحاب النفوس الكريمة، ويتبرأ منهما أصحاب الهمم العالية.. مع ذلك لم يخرج سيدنا رسول الله «ﷺ» من يتصف بهما أو بأحدهما من دائرة الإيمان، وإنما أخرج الكذاب، وهذا لا يعنى أبداً تهوين الجبن، أو تسويغ البخل، كيف ذلك؟ ومنع الزكاة وترك الجهاد بابان إلى الكفر!! وإنما القصد تجسيم جريمة الكذب، وبيان ضررها على الناس وعلى المجتمع، كما قال رسول الله «ﷺ»: يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب»[3]، ويقول الله ـ تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾

(آية ١٠٥ سورة النحل)

أى: أن افتراء الكذب واختلاقه واختراعه لا يصدر عن المؤمنين، وفى هذا دلالة على أن الكذب من أكبر الكبائر، وأفحش الفواحش.

وكلما اتسع نطاق الضرر على الناس وعلى المجتمع إثر كذبة يشيعها أفاك أثيم، ويعلنها كذاب أشر، كان الوزر

---

(١) رواه الترمذى.

(٢) رواه مالك.

(٣) رواه أحمد.

عند الله أعظم، والعقاب عند الله أشد. كما قال سيدنا رسول الله «ﷺ» لاتساع نطاق ضرر كذبهم، وسوء عاقبة فعلهم، وعمق الجراح، وشدة الأذى الذى يلحق بالمتضرر من هذا الكذب...، وفى الحديث الشريف: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزانى، والإمام الكذاب، والعائل المزهو»[٤]

فقد حرّم رسول الله «ﷺ» الجنة على الإمام الكذاب أياً كان موقعه..

ولعظم جريمة الكذب، وسوء آثارها جعل رسول الله «ﷺ» الكذب علامة من علامات المنافق، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى «ﷺ» قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» وزاد فى رواية: «وإن صام وصلى، وزعم أنه مسلم»، وعن عبدالله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله «ﷺ»: «أربع من كُنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر»[٥].

فإذا عرفنا ما ينتظر المنافق من عذاب فى آخرته، والمصير الشنيع الذى سيؤول إليه يوم القيامة، أدركنا خطورة الكذب، وشناعة جرمه.. يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾

(آية ١٤٥ سورة النساء)

أى: إن المنافقين فى الطبقة السفلى من طبقات النار، وسميت طبقات النار دركات لكونها متتابعة بعضها تحت بعض باعتبار النزول، وسميت طبقات الجنة درجات لكونها متتابعة بعضها فوق بعض باعتبار الصعود... فهؤلاء المنافقين سيكونون يوم القيامة فى الطبقة السفلى من النار، ولن تجد لهم نصيراً ينصرهم من عذاب الله، أو يدفع عنهم عقابه.

قال الألوس ـ رحمه الله ـ: والنار لها طبقات سبع: تسمى الأولى كما قيل: جهنم، والثانية: لظى، والثالثة: الحطمة، والرابعة: السعير، والخامسة: سقر، والسادسة: الجحيم، والسابعة: الهاوية. وقد تسمى النار جميعاً باسم الطبقة الأولى، وبعض الطبقات باسم بعض لأن لفظ النار يجمعها[٦].

وإنما كان للمنافقين هذا العذاب الشديد، لأنهم جمعوا بسوء طباعهم

---

(٤) رواه مالك.

(٥) رواهما الأربعة.

(٦) تفسير الألوس جـ٥ ص١٧٧.

وفساد أخلاقهم بين الاستهزاء بالإسلام الذى يزعمون أنهم يؤمنون به، وبين الفسق والتضليل، وبين الكذب والخداع، وبين إشاعة الفاحشة فى صفوف المسلمين، إلى غير ذلك من قبائحهم المتنوعة التى تشيع الفساد فى المجتمع، وتلحق الأضرار الجسيمة لأفراده.

والحيف فى الشهادة من أشنع الكذب وأرذله، فالمسلم الصادق لايبالى ـ إذا قام بشهادة ما ـ أن يقرر الحق، وأن يقول الصدق ولو على نفسه، أو على أقرب الناس منه وأحبهم إليه، لا تميل به قرابة ولا عصبية، ولا تزيغه رغبة أو رهبة، ولا يمنعه أذى قد يلحقه.. لأن عقاب الله أشد وأعظم.

وتزكية المرشحين لمناصب عامة فى الدولة نوع من الشهادة، فمن زكى أو انتخب عديم الكفاية، قليل الخبرة، عديم الأمانة، فاقد الشرف، فقد كذب وزور، ولم يقم بالقسط، والله ـ تبارك وتعالى ـ يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾

(آية ١٣٥ سورة النساء)

نداء من الله ـ سبحانه ـ إلى المؤمنين يأمرهم فيه بالتمسك بفضيلة العدل، وشهادة الصدق فى جميع الأحوال والظروف، أى: يا أيها الذين آمنوا كونوا مواظبين على إقامة العدل فيما بينكم فى جميع الظروف والأحوال دون أن يصرفكم عن ذلك صارف، وكونوا مقيمين للشهادة بالحق ابتغاء وجه الله، لا لغرض من الأغراض الدنيوية، ولا لمطمع من المطامع الشخصية، حتى ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأن تقروا بأن الحق عليها إذا كان واقع الأمر كذلك... ولو كانت ـ أيضاً ـ على والديكم أو على أقرب الناس إليكم... ولا يمنعكم من شهادة الحق أن يكون المشهود عليه غنياً يرجى فى العادة ويخشى، أو فقيراً يترحم عليه فى الغالب ولا يخشى، لأن الله ـ تعالى ـ هو الأولى والأجدر بقول الحق، فلا يصح أن يكون الغنى أو الفقير سبباً فى ترك العدل فى شئونكم، بل الزموا العدل على أى حال.

وإن تلووا ألسنتكم عن الشهادة بالحق، بأن تحرفوها وتقيموها على غير وجهها أو تعرضوا عنها رأساً وتتركوها، يعاقبكم الله عقاباً شديداً، فإنه ـ سبحانه عليم بدقائق الأشياء، خبير بخفايا النفوس، وسيجازى كل إنسان بما يستحقه. أو وإن تلووا الشهادة

فتباشروها على وجهها يعطكم الله أجراً حسناً، وإن تعرضوا عنها وتتركوها يعاقبكم الله عقاباً أليماً، فإن الله ـ تعالى ـ خبير بكل أقوالكم وأعمالكم.

عن أبى بكرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله «ﷺ»: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ـ ثلاثاً ـ قلنا: بلى، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس ـ وكان متكئاً فجلس ـ وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»(٧).

إن التزوير كذب كثيف الظلمات، إنه لا يكتم الحق فحسب، بل يمحقه ليثبت مكانه الباطل، وخطره على الأفراد فى القضايا الخاصة، وخطره على الأمم فى القضايا العامة شديد مبيد، ومن ثم خوف الرسول صلي الله عليه وسلم منه على هذا النحو الصارخ.

ولأجل تربية النشء على رفض الكذب، وتقبيح الاتصاف به، نجد أن الإسلام يوصى بأن تغرس فضيلة الصدق فى نفوس الأطفال حتى يشبوا عليها وقد ألفوها فى أقوالهم كلها، فعن عبدالله بن عامر ـ رضى الله عنهما ـ قال: دعتنى أمي يوماً ورسول الله «ﷺ» قاعد فى بيتنا، فقالت: تعال أعطك، فقال لها «ﷺ»: «وما أردت أن تعطيه؟» قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها: «أما أنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة»(٨) وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله «ﷺ» قال: «من قال لصبى: تعال، هاك.. ثم لم يعطه فهى كذبة»(٩).

فانظر كيف يعلم الرسول ﷺ الأمهات والآباء أن ينشئوا أولادهم تنشئة يقدسون فيها الصدق، ويتنزهون عن الكذب، ولو أنه تجاوز عن هذه الأمور، وحسبها من التوافه الهينة لخشى أن يكبر الأطفال، وهم يعتبرون الكذب ذنباً صغيراً، وهو عند الله عظيم.

وهكذا نرى أن الإسلام يبنى المجتمع الإسلامى على أقوى القواعد، وعلى أمتن الأسس، وعلى أشرف المبادىء، إنه يبنيه على قواعد العدل والقسط، ويأمر المؤمنين أن يلتزموا كلمة الحق مع أنفسهم ومع أقرب الأقربين إليهم مهما تكلفوا فى ذلك من جهاد».

***

(٧) رواه البخارى.

(٨) رواه مسلم.

(٩) رواه أحمد.

التربية الإسلامية بين الأقوال.. والأفعال

للأستاذ/
محمد مصطفى البسيونى

إذا كان اللسان ينطق بالأقوال، فإن الجوارح هى التى تنطق بالأفعال، وكل من اللسان والجوارح يحركه الجهاز العصبى الذى يقول عنه المختصون إنه يتألف ببساطة من مخ ومخيخ ونخاع شوكى وغيرها، إذ هو المحرك (المادى) للسان والجوارح جميعاً.

ولكن هناك أيضاً محركاً (غير مادى) هو سر الحياة الذى هو «الروح» التى هى «علمها عند ربى» ومن ثمة سُميت «سراً».. أما سمعتُ الناس وهم يُعبرون عن وفاة فقيدهم بقولهم: إن «السر الإلهى» قد خرج؟؟.

ويلتقى اللسان والجوارح جميعاً فى الاستجابة للعقل الذى هو مصدر الفكر والحركة والسلوك.

ولقد عنى الفلاسفة الأقدمون بهذا الموضوع فذكروا أن ما هية الإنسان هى أنه (حيوان مفكر)، وعندما وجد فى تجارب علم النفس الحديث والمعاصر أن القردة العليا (مثل الشمبانزى) تفكر أيضاً (أى تحاول مواجهة ما يعترضها من مشكلات بطريقة ما) تراجع الباحثون إلى تعريف آخر للإنسان فقالوا: إنه (حيوان ناطق) ولكنهم بعد ذلك رأوا بالملاحظة المباشرة أن (الببغاء) تنطق أيضاً، فالتبس عليهم الأمر.

ولا يزالون مختلفين حول هذه (المسألة)، ويبدو أنهم لم يلتفتوا إلى الطيور الأخرى بل والحشرات الأخرى الناطقة من جُند الرسالات الإلهية مثل (هدهد سليمان) عليه السلام الذى خاطب ابن داود عليهما السلام بقوله:

﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾
«النمل ٢٢»

ومثل (نملة سليمان) التى حذرت قومها من اجتياح جنود سليمان

﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

« النمل ١٨ »

ولكن الحق سبحانه قد أعجز هؤلاء الفلاسفة والعلماء بالحقيقة الكبرى التى أعلنها فى البيان القرآنى الحكيم :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾

« الأنعام ٣٨ »

وفى تحد آخر معجز يقول سبحانه :

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

« الإسراء ٤٤ »

والأمر الملفت هنا أن هذه الكائنات المتكلمة التى ذكرناها تتكلم ، وتعمل فى آن واحد ، فكان (الهدهد) الذى يبحث عن رزقه فى (الخبء من الأرض) يبحث أيضاً عن (الخبء بين الناس) فيكتشف كشفاً جديداً غاب عن سليمان عليه السلام الذى يعمل فى ساحته الجن والإنس جميعاً ، كشفاً يرى به الهدهد الحقَّ سبحانه وتعالى ، كما يضع به أمام النبى سليمان حقيقة إلهية هى من السنن الدائمة بدوام الزمان والمكان وهى :

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

« الإسراء ٨٥ »

فيقول لسليمان عليه السلام :

﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾

« النمل ٢٣ »

كما وجدنا أن النملة لا تتكلم لتهرف بما لا تعرف ولكنها تقول ماتعنى ، وتعنى ما تقول ، فهى فى غمرة حديثها إلى رفاقها العاملات المجدات لا تهمل العمل بل تشفع القول بالفعل الدءوب :

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ﴾

« النمل ٨٦ »

وإن كانت هذه آيات من آيات القادر سبحانه اختص بها نبيه سليمان عليه السلام استجابة لدعائه :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾

« ص ٣٥ »

إلا أن هذه المعجزات المبهرة يسوقها إلينا القرآن الكريم لكى نعى الدرس من منطلق قوله سبحانه :

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾

« ق ٣٧ »

إن الحق ـ عز وجل ـ لم يضرب لنا هذه الأمثال، ويسجل علينا هذه الآيات والمعجزات بين دفتي المصحف الكريم لكى نستمع إليها ونحن معرضون، أو نكتفى بإذاعتها عبر الحوانيت والمقاهى وغيرها لتذوب هذه الألفاظ المقدسة ـ والعياذ بالله ـ فى ضجيج الشوارع وفوضى الطرقات، أو نكتفى عند سماعها (دون استماع أو إنصات) بالغمغمة والهمهمة ومصمصة الشفاه، أو نسلط عليها مكبرات الصوت فى المآتم والمقابر والمناسبات، أو نتبارى فى كتابتها مذهبة ومزخرفة، ونتفنن فى عرضها بالدور والسيارات، أو نقدمها هدايا لمن يقدّرها ولمن لا يقدرها لا لشىء إلا لأن هذا كله أصبح من التقاليد والعادات والواجبات والمجاملات، أو على أحسن الأحوال للفوز بالدرجات والبركات.

وما لهذا أُنزل القرآن الكريم على محمد ﷺ بل على العالمين، ورضى الله عن عمر بن الخطاب الذى قال إنه كان كلما نزلت آية من القرآن أحس أنها إنما نزلت عليه، ورضى الله عن صحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا يشفقون على أنفسهم من أن ينزل جبريل عليه السلام بقرآن جديد قبل أن يطبقوا ما وعوه من قبل من الآيات قولاً وعملاً لا حفظاً، وترديداً.

وهكذا يعلمنا الأسوة الحسنة ﷺ وصحبه من القادة الرواد كيف يكون الورع لمن كان يخشى الله واليوم الآخر، وكيف أن المولى الحكيم سبحانه لم يُنزل (كلامه) لمجرد الحفظ والتحفيظ ليس إلا بل يعلمنا الخالق عز وجل أن (الأقوال) لابد أن تترجم إلى (أفعال) وأن الكلام وحده هو شأن الببغاء الذى ركّب البارىء سبحانه فى حلقومه جهاز استقبال وإرسال دون أن يعى شيئاً، إنما هو مثل من الله للبشر يخفى وراءه تساؤلاً ساخراً، فيما بيننا هل نرضى على أنفسنا أن نكون ببغاوات نقول ما يقوله الآخرون ونترك العمل للعاملين مثل النمل والهدهد؟

أليس لله المثل الأعلى وهو الذى أنزل علينا من الأقوال ما يقترن بالأفعال، وآياته الحكيمة المحكمة فى هذا ناطقة بالحق، وكم ينبغى أن نتأمل آياته سبحانه التى تحدثت عن القرون الأولى وكيف اقترن ذلك الحديث الإلهى بالثواب لمن استجاب والعقاب لمن أعرض ونأى بجانبه، ثم هيّا معاً نتأمل آياته عز وجل التى هى قوانين كونية تتجلى فى كل زمان ومكان وإلى أن تقوم الساعة، وهى التى قضى ربك ألا تتغير ولا تتبدل فى قوله:

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾

«فاطر ٤٣»

وذلك من قبيل :

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾

«محمد ٣٨»

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرًا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴾

«إبراهيم ٢٨»

﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

«البقرة ١٥٥»

وغير هذه وتلك من الآيات التى يزخر بها من محكم التنزيل الإلهى الكريم، والتى نستشعر فى حياتنا اليومية، وفى المسيرة البشرية تطبيقات لها فلا نملك إلا أن نهتف من عمق مشاعرنا :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

«الزمر ٤٢»

هذا وقد كان الرسل الكرام جميعاً (نماذج بشرية تطبيقية) لهذا النهج المثالى القويم وهو ترجمة القول إلى فعل، ونقول (نماذج بشرية) هنا حتى تبطُل حجة المبطلين فى عدم التأسى بهم فيقولون ما لا يفعلون، أويفعلون ما لا يقولون وعندئذ تختلط الأمور وتضطرب الأحوال، وتنتشر الفوضى فى جوانب الجماعة البشرية المنوط بها عمران الكون، والحفاظ على ميزانه المحكم المتين الذى فطره الحق سبحانه عليه، فدين الله ليس مجرد آى تترى «جبريلُ رواح بها غداءٍ» كما يقول شوقى، ولكنه نهج «الرب» فى (تربية) خلقه من خلال «الفكر والتطبيق» أو «النظر والعمل» جميعاً.

ألاتذكر قول النبى ﷺ «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعدا»(١) شرحاً لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ ﴾

«العنكبوت ٤٥»

أو قوله ﷺ «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»(٢)

يتبـــــع

(١) عن ابن عباس: (الجامع الصغير)

(٢) عن أبى هريرة: (المرجع السابق)

هل أنصف المستشرقون والمـ

٣ـ دونالد هيل

ولد دونالد هيل Donald R.Hill في لندن عام ١٩٢٢م، وحصل على شهادتي بكالوريوس الهندسة ودكتوراه الفلسفة في التاريخ العربي من جامعة لندن، وأولى اهتماماً خاصاً لتاريخ الهندسة والتكنولوجيا في العصور الوسطى، وشارك في إعداد مداخل دائرة المعارف الإسلامية، وله مؤلفات عدّة حول مجالات العلوم والهندسة والتقنية الإسلامية، حيث كان أول من نبّه إلى التفوق الإسلامي في العلوم التقنية بعد أن نشر الترجمة الإنجليزية الكاملة ـ مزودة بشروح وتعليقات ـ لكتاب «ابن الرزاز الجزري» بعنوان «الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل» في عام ١٩٧٤م، ثم أعقبه بعمل مماثل في عام ١٩٧٩م لكتاب «الحيل» الذي صنّفه بنو موسى بن شاكر، عن نسخة بالألمانية سبق نشرها في عام ١٩٢٢م.

وقد انبثقت مؤلفات دونالد هيل من قلب ثقافة العولمة الغربية لتقدم بحيدة وموضوعية ـ من واقع الدراسات والوثائق التراثية المحققة ـ شهادة إنصاف في حق الحضارة العربية الإسلامية ودورها الرّائد في تأسيس كثير من العلوم والتقنيات التي تجني البشرية ثمارها اليوم، وهو يعود بهذه العلوم والتقنيات إلى أرومتها العربية ليعرّف الغربيين بجذورها التي نبتت في عصور الازدهار الإسلامي، ويبرز أهم مآثر المسلمين في الرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء، ويعرض نماذج مبتكرة لأجهزة وآلات وتقنيات دقيقة ذاتية الحركة، ويقدم شروحاً وافية لإنشاءات هندسية عربية شملت بناء الجسور والسدود والطواحين المائية والهوائية، وأنظمة الرّي وإمداد المياه، وتقنية المساحة واستخراج المياه الجوفية،

...مؤرخون حضارة الإسلام؟

٣

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

مشيراً فى ذلك إلى كتاب «إنباط المياه الخفيّة» للكرجى، الذى تم تحقيقه حديثاً. ويولى دونالدهيل اهتماماً خاصاً لتقنية التعدين واستخراج الثروات المعدنية من المناجم العديدة على امتداد الأراضى الإسلامية.

جاء فى كتاب «التقنية الإسلامية» الذى ألفه دونالد هيل بالاشتراك مع د. أحمد يوسف الحسن أن الإسلام حقق تأثيراً تاريخياً فريداً فى حياة الجنس البشرى، فقد وحّد الحضارات الواقعة مابين حدود الصين شرقاً والأطلنطى غرباً وبقيت هذه المساحة الجغرافية الشاسعة من الأرض تحت حكم واحد خلال القرون الهجرية الأولى، وكانت النتيجة الأكثر أهمية هى الوحدة الثقافية للأفكار الإسلامية بعد ذلك، فقد حطم الإسلام الحواجز التى كانت قد فصلت الدول عن بعضها البعض، وأصبح للمنطقة بكاملها حتى اليوم دين واحد ولغة واحدة.

وقد أكدت الوحدة الثقافية حرية الحركة والتبادل التجارى مابين بلاد الصين شرقاً وأسبانيا غرباً، وأصبحت اللغة العربية لغة الشعوب التى عاشت مابين بغداد وقرطبة، فضلاً عن أنها أصبحت لغة العلوم والآداب التى حلّت بشكل كامل محل القبطية والأرامية واليونانية واللاتينية، وتطورت الفارسية والتركية إلى لغات إسلامية.

وفى كتابه «العلوم والهندسة فى الحضارة الإسلامية» الذى قمنا بترجمته إلى اللغة العربية مؤخراً (سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٠٥، يوليو ٢٠٠٤م) يقول دونالد هيل أن العلوم الإسلامية انتقلت إلى أوروبا فى الأغلب عن طريق التراث المكتوب، لكن الأمر بالنسبة للعلوم الهندسية والتقنية مختلف تماماً، حيث يوجد عدد قليل جداً من المؤلفات التقنية العربية التى كتب لها البقاء، ويتطلب الأمر البحث عن المكتشفات

الآثارية والرجوع إلى إشارات الجغرافيين والرحالة والمؤرخين فى مؤلفاتهم. ومن أمثلة التقنيات الدقيقة التى أوردها دونالد هيل فى كتابه مايتعلق بالساعات المائية التى شيدها الفلكى المشهور «الزرقالى»، حيث أشار إلى ساعتين مائيتين كبيرتين على ضفاف نهر تاجة Tagus عند طليطلة يعود تاريخ إنشائهما إلى حوالى عام ١٠٨٠م. وهاتان الساعتان لا تدلان فقط على الوقت، ولكنهما تبينان أيضاً أطوار القمر. كذلك أشار إلى محاكاة عدد من تقنيات بناء السدود الإسلامية فى أسبانيا المسيحية، شملت إدخال بوابات للتحكم فى إزالة الطمى والعوائق، وإنشاء مقاييس الأنهار، والاستخدام الممتد فى توليد الطاقة الهيدروليكية. وقد جرت دراسة نظامية عن أنظمة القنوات التى أنشأها المسلمون فى أسبانيا:

النظام الأول هو نظام مدريد الذى لايزال يعمل لإمداد المدينة بالمياه من وادى الرمل Guadarrama والنظام الثانى هو نظام كريفلنت Grevillante فى مقاطعة بلنسية ويبلغ طوله حوالى ١٥٠٠ ياردة ويوجد به تسعة عشر بئراً للتهوية. وقد انتقلت أنظمة الرى الإسلامية من أسبانيا إلى العالم الجديد، حيث لم يكن هناك قطّ فى شمال أوروبا ذات الأمطار الغزيرة أى تقنية زراعية ذات قيمة.

ويلفت دونالد هيل الأنظار إلى ماكان عليه الحال أيام الخلفاء الأمويين والعباسيين عندما كان إجمالى الناتج من المناجم فى الأرض الإسلامية كافياً لتلبية الحاجة، خاصة بالنسبة إلى بعض المعادن بالغة الأهمية. وقد غاب هذا التكامل فى فترات متأخرة عندما تفككت الدولة الإسلامية إلى ممالك مختلفة على نحو ما نجد الآن.

ففى عهود الخلفاء كان إنتاج الذهب ـ مثلاً ـ فى البلدان الإسلامية كافياً لعملية سكّ عملات الدنانير الذهبية بانتظام. كما كان هناك مناجم عديدة غنية بالفضة أو خامات الرصاص التى تحتوى على فضة تساعد على استمرار عمليات سكّ الدراهم الفضية بصورة منتظمة.

ويأمل دونالد هيل أن يظهر إلى النور مزيد من الكنوز التراثية: الوثائقية والآثارية، التى تساعد على إنصاف الإنجازات التقنية للحضارة الإسلامية وبيان حقيقة إسهاماتها فى تطور نظيرتها الأوربية.

يتبع

***

الانطواء

المخطط الإسرائيلى للانفصال عن الضفة

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

يرى «إيهود أولمرت» رئيس الوزراء الإسرائيلى، ورئيس حزب كاديما (يمين الوسط)، الذى أسسه «شارون» قبل مرضه، أن خطته للانفصال عن الضفة الغربية، المسماه «خطة الانطواء» أو «خطة التجميع»، لن تُنَفَّذَ على مراحل ثلاث كما يُقال، وإنما على دفعة واحدة، وخلال ولاية الرئيس الأمريكى «بوش» الحالية التى تنتهى فى يناير ٢٠٠٩، ويعتبر «أولمرت» أن هذه الخطة هى مشروعه السياسى الوحيد، خلال الأربعِ سنوات المقبلة، وأن مستقبله السياسى بات مرهونا بتنفيذها من أجل ترسيم حدود دائمة لدولة إسرائيل.

واللافت أن المخطط الذى يسعى رئيس الوزراء الإسرائيلى لتنفيذه حاليا للانفصال عن الضفة، لتحديد حدود جديدة لإسرائيل، يرمى إلى ضم أكثر من نصف مساحة الضفة الغربية إلى دولته، بحيث لا يتبقى لإقامة الدولة الفلسطينية المنتظرة سوى ٤٢٪ من مساحتها، فى شكل كانتونات (معازل) منفصلة لا رابط جغرافى بينها.

وتتضمن «خطة الانطواء» أو «خطة التجميع»، إخلاء المستوطنات غير القانونية المتناثرة فى الضفة الغربية من مستوطنيها اليهود وإعادة تجميعهم، وانطوائهم داخل الكتل الاستيطانية الكبرى الثلاث، القائمة خلف جدار الفصل العنصرى، وهى

مستعمرات «معاليه أدوميم»، و«جوش عتصيون»، و«آريئيل» تمهيداً لضمها إلى إسرائيل، وهو ما يراه «أولمرت» تعزيزاً لانفصال الإسرائيليين عن الفلسطينيين في الضفة بهدف ترسيم الحدود النهائية لإسرائيل الجديدة.

الاستيلاء على غور الأردن

ومن هنا يسعى «أولمرت» إلى ضم «غور الأردن» إلى إسرائيل في إطار خطته الانفصالية، وذلك بتعزيز المستوطنات في منطقة الأغوار، وخلق تواصل استيطاني بالمستوطنات الثلاث الكبرى السابق ذكرها، بحيث يمثل غور الأردن الحدود الشرقية الدائمة لإسرائيل مع المملكة الأردنية الهاشمية، ولقد كشف الخبراء مؤخراً عن بدء إجراءات إسرائيلية لعزل المناطق الشرقية للضفة الغربية المسماة «الأغوار»، التي تشكل ثلث مساحة الضفة الغربية، إذ يتميز «غور الأردن» بسعة أراضيه [حوالى ٤٠٠كم٢. أى أنه أكبر من مساحة قطاع غزة (٣٦٥كم٢)]، ووفرة مياهه، وقلة عدد سكانه. ويبدو أن إسرائيل، بالفعل، عازمة على ضم «منطقة الغور» إليها، فقد ذكرت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية في ١٥/٣/٢٠٠٦ «أن إسرائيل تمنع أكثر من ألفى فلسطينى من العودة إلى قراهم في غور الأردن المحتل للحيلولة دون المطالبة باستعادة أراضيهم، وأن السلطات الإسرائيلية تتذرع بدواع أمنية تبريراً لرفضها طلبات هؤلاء الفلسطينيين من أجل عودتهم إلى قراهم أو حتى زيارة أقاربهم، أو لم شمل عائلاتهم» وفى إطار هذا المخطط الإسرائيلى لضم «غور الأردن» إلى إسرائيل، يقول «خليل تافكجى» مدير دائرة الخرائط والأراضى في بيت الشرق، في القدس: «إن إقامة دولة فلسطينية مستقلة، غير ممكن من دون هذه المنطقة (غور الأردن) المؤهلة لتوسيع التجمعات السكانية القائمة، والتى تنوى إسرائيل ضمها إليها، واستيعاب سكان فلسطينيين جدد من العائدين».

الدولة الفلسطينية.. كانتونات منفصلة

والجدير بالذكر أنه حسب المخطط الانفصالى عن الضفة، فإن الجدار الفاصل، الجارى استكماله في الضفة الغربية والذى يتوغل فيها بعمق ٢٥كم، سيشكل الحدود الجديدة للدولة العبرية، ويضم هذا الجدار الكتل الاستيطانية الكبيرة التى يصل نسبة سكانها من المستوطنين إلى ٨٥٪ من اجمالى عدد المستوطنين في الضفة الغربية (وهم عبارة عن ٢٠٠ ألف مستوطن، بخلاف ٢٥٠ ألف مستوطن في القدس الشرقية التى تسعى إسرائيل إلى عزلها عن سائر أراضى الضفة). وقد جاء في تقرير مكتب تنسيق الشئون الإنسانية التابع للأمم المتحدة - الذى نشر في بداية مارس ٢٠٠٦ - «أن السلطات الإسرائيلية أقامت حتى الآن ٢٩٩ كيلو متراً من الجدار الفاصل،

وأنشأت ٢٧ نفقًا وجسراً لربط المناطق الفلسطينية، وتحديد طرق لا يستخدمها إلا المستوطنون، وأن تقسيم الطرق بين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود، يشكل الخطوة الأخيرة في «مخطط تحويل التجمعات السكانية الفلسطينية» في الضفة الغربية إلى «كانتونات منفصلة» وهو ما يَحُول دون إقامة دولة فلسطينية متماسكة جغرافيا وقابلة للحياة» وقد أكد هذا التقرير أن مشروع تقسيم الطرق يمثل أحد أضلاع مثلث المشروع الإسرائيلي للانفصال عن الضفة بينما ضلعاه الآخران يتمثلان في الكانتونات [وهي عبارة عن ثلاثة كانتونات، تنقسم عبر معابر إلى عشرة كانتونات تخفي خلفها ١٠ مدن، ومن وراء المعابر، ينتشر عدد كبير من الحواجز العسكرية]، والجدار الفاصل المتوقع استكماله في نهاية عام ٢٠٠٦.

وفي هذا السياق كتب المحلل السياسي الإسرائيلي «ألوف بن» في صحيفة «هآرتس» في ٤/٥/٢٠٠٦ حول تطبيق خطة الانطواء، وضرورة حشد تأييد حزبي ودولي لها لتسهيل تنفيذها فيقول: يعتزم «أولمرت» رئيس الوزراء البدء في تطبيق «خطة التجميع» لترسيم الحدود النهائية لإسرائيل خلال قرابة عامين ويسعى من جانبه إلى تركيز جهوده لحشد تأييد سياسي، وموافقة دولية على هذه الخطة» ويضيف «ألوف بن» قوله: «إن خطة التجميع» يؤيدها حالياً ممثلو حزب كاديما (٢٩ عضو كنيست)، وحزب العمل (١٩ عضو كنيست) وحزب جيل وهو حزب المتقاعدين (٧ أعضاء)، وحزب ميريتس (٥ أعضاء)، الذين يمثلون مجتمعين ٦٠ عضو كنيست، ومعهم ممثلو الكتل الحزبية العربية وهم عشرة أعضاء في الكنيست».

ويلخص «إيهود أولمرت» خطته في الانفصال عن الضفة الغربية في حوار أجراه كل من المعلقين السياسيين «ألوف بن» و«يوسي فيرتر» من صحيفة هآرتس في ١٠/٣/٢٠٠٦ فيقول: «اعتقد أنه في خلال أربع سنوات، ستصبح إسرائيل منفصلة عن الأغلبية العظمى من السكان الفلسطينيين بحدود جديدة، بحيث سيتم تنسيق مسار الجدار الفاصل مع الخطة الهيكلية الجديدة للحدود النهائية لدولة إسرائيل، وقد تكون هناك حالات يتحرك فيها الجدار ناحية الشرق، وحالات أخرى يتحرك فيها ناحية الغرب، حسب المخطط الذي سنتفق عليه، وهكذا سنمضي قدما بخطوات حاسمة لبلورة إسرائيل كدولة يهودية، تضم أغلبية يهودية قوية ومستقرة غير معرضة للخطر».

شروط أولمرت

ويحدد «أولمرت» شروط التفاوض مع الجانب الفلسطيني بشأن خطة الانطواء أو الانفصال عن الضفة فيقول: «إن شروط التفاوض مع حكومة حماس هي تغيير

الميثاق التأسيسى للحركة، والاعتراف بحق دولة إسرائيل فى الوجود، وقبول الاتفاقات السابقة مع منظمة التحرير الفلسطينية، والتوقف التام عن الإرهاب (مقاومة المحتل) ونزع السلاح» هذه هى شروط التفاوض مع حكومة حماس، وإلا ستقوم إسرائيل من جانب واحد فى فرض إملاءاتها من أجل ترسيم حدود الدولة الإسرائيلية الجديدة. وقد أكد «أولمرت» عزمه على تنفيذ خطته من طرف واحد فيقول: «سننتظر شهراً، أو شهرين، أو ثلاثة أشهر، وربما ستة أشهر، وإذا لم نلاحظ تغيراً لدى الفلسطينيين فسنتحرك بمفردنا من دون موافقتهم، وسيكون على إسرائيل أن تحدد بمفردها حدودها الدائمة».

أى أن «أولمرت» رئيس الوزراء الإسرائيلى الجديد سوف لا ينتظر وقتا طويلا حتى يوافق الجانب الفلسطينى على شروط إسرائيل الثلاثة، بل سيبادر من جانب واحد بترسيم الحدود الجديدة لإسرائيل، وكأنه صاحب الأرض الحقيقى وليس المحتل الغاصب الذى لا ينوى فى الأصل التفاوض مع الفلسطينيين سواء من فتح أو من حماس. إنه فى الحقيقة لا يعترف بوجود شريك فلسطينى يمكن التفاوض معه فلقد صرح «أولمرت» للصحفيين المرافقين له فى زيارته لكل من فرنسا وبريطانيا مؤخراً أنه أوضح لكل من «بلير» و«شيراك» ان «خطة الانطواء» محتومة، وأنه سيتم تنفيذها سواء بوجود شريك فلسطينى أو فى غيابه.

التهديد الديموجرافى الفلسطينى

واللافت فى هذا الصدد أن رئيس الوزراء الإسرائيلى «أولمرت» يعلم تمام العلم أن حكومة حماس لن تقبل بالتفاوض وفق الشروط الإسرائيلية إلا بعد أن تتعهد إسرائيل، وبضمانات دولية، بالانسحاب الكامل من الأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، وهو ما ترفضه إسرائيل حاليا، ومن هنا فهو يريد أن يثبت، وبخبث شديد، عدم وجود شريك فلسطينى، يمكن معه إجراء تسوية سياسية للقضية الفلسطينية، حتى تقوم إسرائيل من طرف واحد بتنفيذ خطة الانفصال من أجل ترسيم حدود إسرائيل الجديدة التى يمكن الدفاع عنها. وقد حدد «إيهود أولمرت» الهدف الحقيقى لخطته، محذراً من التهديد الديموجرافى الفلسطينى للدولة اليهودية فى قوله: «إنه فى غضون عشرين عاماً، سيصبح اليهود أقلية بين البحر والنهر (نهر الأردن) ومن ثم كان لزاما على دولة إسرائيل أن تحافظ على أغلبية يهودية، وإلا فإن وجودها سيكون فى خطر» أى أن الانطواء أو الانفصال الأحادى الجانب عن الفلسطينيين فى الضفة، ليس من منطلق إعادة الأرض المحتلة إلى أصحابها الشرعيين، بل من منطلق الحفاظ على أغلبية يهودية غير مندمجة فى المحيط العربى الفلسطينى، الهادر بتكاثره البشرى، الذى

إذا ما استمر بمعدلاته الحالية، سيبتلع اليهود في جوفه، وهو ما يهدد الوجود الصهيوني في فلسطين بالزوال.

الجدار الفاصل

ويبدو أن الحدود الإسرائيلية التي تسعى الخطة اليهودية لترسيمها، ستعتمد إلى حد بعيد، كما قلنا من قبل، على مسار الجدار الفاصل، الذي تريد إسرائيل استكماله بأسرع ما يمكن فيقول «شاؤول موفاز» وزير الدفاع السابق ونائب رئيس الوزراء الإسرائيلي «أولمرت» ووزير المواصلات والسلامة على الطرق: «إن طول الجدار عند استكماله سيصل إلى ٨٧٠ كيلو متراً، ويشمل الجدران الداخلية حول المستوطنات وقد أنجز منه بشكل نهائي ٣٣٥ كيلو مترا ويتم الآن العمل في ١٣٧ كيلو متراً، في حين توقف العمل في ١٤٥ كيلو متراً، بسبب اعتراضات وطعون، وهناك ١٣٨ كيلو مترا في انتظار إقرار وزارة العدل، و٩٢ كيلو مترا في انتظار تصديق المستوى السياسي» وتتوقع «الهيئة الأمنية الإسرائيلية أنه لن يمر عام واحد آخر على الأقل حتى يكتمل بناء الجدار الذي سيحدد الحدود النهائية لدولة إسرائيل.

وتشير مصادر إسرائيلية إلى أنه في إطار خطة فك الارتباط عن الضفة الغربية الذي ستنسحب بموجبه إسرائيل من مستوطنات غير قانونية، سيتواصل عزل المدن الفلسطينية في «كانتونات» بفعل مسار الجدار الفاصل، ففي شمال الضفة المؤلف من أربع محافظات ولواءين، وهي نابلس، وجنين، وطولكرم، وقلقيلية، وسلفيت، وطوباس ستقترب المستوطنات حتى مشارف هذه المدن الفلسطينية، وأنه من كتلة «آريئيل» الاستيطانية، التي يضمها الجدار، نجده يتوغل بعمق ٢٥كم شرقاً حتى مدخل نابلس الجنوبي، حيث توجد مستوطنه «تَبُوَّحْ» وفي مناطق الوسط والجنوب، التي تضم القدس وبيت لحم، والخليل، تتجاور الكتل الاستيطانية اليهودية مع التجمعات السكانية الفلسطينية المحاطة بالجدار من كل ناحية. أما منطقة «غور الأردن» التي منعت إسرائيل سكانها من الفلسطينيين من دخولها بعد عزلها وراء ٨ حواجز، فهي مرشحة لإقامة جدار آخر قادم لتكتمل به خطة الانفصال اليهودية عن الضفة الغربية العربية الفلسطينية.

رفض إسرائيلي لخطط أولمرت

ويرى كثير من المراقبين أن ثمة صعوبات عديدة تواجه تنفيذ المخطط الإسرائيلي للانفصال الأحادي عن الضفة الغربية، أهمها المعارضة القوية من جانب المستوطنين الذين سيتم إخلاؤهم من المستوطنات غير القانونية، فهم لن يتركوا أماكن استيطانهم بسهولة، كما أن هذا المخطط اليهودي لا يحظى إلا بتأييد ٥٥ عضواً من الائتلاف الحكومي الإسرائيلي فقط، ناهيك عن النقص في الكفاية الإدارية التي تتمثل في

المناصب الأربعة الرئيسية الرفيعة فى الحكومة الإسرائيلية الحالية، وهى رئاسة الحكومة «إيهود أولمرت»، ووزارة الدفاع «عامير بيريتس»، ووزارة الخارجية «تسيبى ليفنى»، ووزارة المالية «أبراهام هيرشزون»، حيث إنهم لا يملكون رصيدا من التجربة القيادية التى تؤهلهم لتنفيذ هذا المخطط بكفاءة عالية. وبالإضافة إلى ذلك تذكر صحيفة «معاريف» الإسرائيلية على لسان قطبين من حزب «كاديما» الحاكم قولهما: «إن أولمرت سيضطر فى نهاية المطاف إلى تنفيذ خطة تجميع مقلصة»، خصوصا مع حصول «كاديما» على ٢٩ مقعداً فقط من مقاعد الكنيست المائة والعشرين، وصعود حركة حماس إلى الحكم، فى ظل عدم اليقين من الدعم الدولى للخطة، وصعوبة إقناع الإدارة الأمريكية، بالاعتراف بالحدود التى ستنسحب إليها إسرائيل باعتبارها «حدوداً دائمة لها» وفى هذا السياق تتحدث صحيفة «هآرتس» فى عددها بتاريخ ٢ / ٥ / ٢٠٠٦ عن شروط نجاح خطة الانفصال عن الضفة فتقول فى افتتاحيتها: «إن تنفيذ خطة التجميع» سيحتاج جهوداً سياسية واقتصادية وأمنية ضخمة، من حشد دعم أمريكى، وإكمال بناء الجدار الفاصل، وإعادة انتشار جيش الدفاع الإسرائيلى، والتطبيق الفورى للإخلاء والتعويض، وإعادة توطين المستوطنين، وهى كلها شروط ضرورية لنجاح الخطة». ويرى المحلل الإسرائيلى «حاجى هوبرمان» فى مقال له فى صحيفة «هاتسوفيه» الإسرائيلية فى ٢٢ / ٥ / ٢٠٠٦ «ان أولمرت يعتزم تقوية التكتلات الاستيطانية وتوسيعها، مقابل الانسحاب من يهود او السامرة (الضفة الغربية)، وأن هذه المستعمرات، ستظل تحت السيادة الإسرائيلية، وهى مستعمرات «جعفات زئيف». وهى جزء من حزام حاضن القدس، و«بيتارعيليت» التى تربط «جوش عتصيون» بالقدس، و«أورانيت» المستعمرة الوحيدة التى تلاصق الخط الأخضر، و«مسكيوت» القائمة فى شمال «غور الأردن»، وقد أكد «أولمرت» أن غور الأردن، سيظل جزءاً لا يتجزأ من دولة إسرائيل فى أية تسوية دائمة».

ترسيم الحدود وسياسة الأمر الواقع

ومن جهة أخرى يرى المحلل السياسى الأمريكى «جيم هوجلاند»، صاحب العمود الثابت فى الشئون الخارجية فى صحيفة «واشنطن بوست» أن خطة أولمرت للانفصال عن الضفة الغربية ليست خطة جديدة من ابتكاره، بل هى تستند إلى أفكار الرئيس الأمريكى السابق «بيل كلينتون» فيقول: «إن ترسيم الحدود انطلاقاً من سياسة الأمر الواقع، والحل القائم على وجود دولتين تستند إلى خطة الرئيس الأمريكى «كلينتون» فى أواخر عام ٢٠٠٠ [فى عهد حكومة «إيهود باراك» العمالية] التى تحدثت عن ضم الكتل الاستيطانية الكبرى إلى إسرائيل، فى مقابل تبادل أراضٍ، وتقسيم

القدس على أساس عرقى».

وفى هذا السياق يسترعى «هوجلاند» نظر «جورج بوش» وإدارته بضرورة تأييد انسحاب إسرائيلى من ٩٠٪ من أراضى الضفة الغربية، على غرار ما قام به «شارون» مع قطاع غزة، وبالنسبة للقدس الشرقية ينصح إسرائيل بضرورة الاتفاق مع الفلسطينيين، حيث إنها ستجد صعوبة كبيرة فى إدخال «تعديلات ديموجرافية» على القدس التى يسكنها أكثر من مائتى ألف فلسطينى، إذ إنه من الصعوبة بمكان إجراء أية تعديلات سكانية بدون الاتفاق مع الجانب الفلسطينى، وأن أى أجراء أحادى الجانب لن يجدى شيئا.

ومن هذا المنطلق يؤكد الرئيس الفرنسى «جاك شيراك» ضرورة استئناف المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية لتحقيق السلام المنشود، فى حين لا تؤيد بريطانيا «خطة الفصل الأحادى الجانب» فيقول «كيم هاول» وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية: «إن حكومته لا تؤيد خطة الفصل الإسرائيلية الأحادية الجانب لأنها لا تقدم السلام المأمول ولن تقدم الحل الطويل الأمد» وفى هذا الصدد، فإن الرئيس الأمريكى «بوش» وإن كان قد بارك أفكار أولمرت، بشأن خطة الانطواء، فوصفها بأنها «أفكار جريئة» إلا أنه يرى من الأفضل لمصلحة إسرائيل أن تجلس مع الفلسطينيين وتتفاوض معهم.

الخوف من الخطر الفلسطينى

وفى الختام يمكن رصد عدد من الملاحظات حول خطة الانطواء أو الانفصال عن الضفة، وأهمها

- أولا: لم يصف أولمرت خطته بـ«خطة الانسحاب»، بل وصفها بـ«خطة الانطواء» حتى يوحى بأن الضفة الغربية ليست أرضا محتلة بل أرض متنازع عليها.
- وثانيا: أن الانسحاب بموجب هذه الخطة وهو انسحاب جزئى وليس انسحابا من كل الضفة الغربية.
- وثالثا: لا يعدو أن يكون هذا الانسحاب إلا مجرد إعادة انتشار للقوات الإسرائيلية فقط.
- ورابعا: بنى «أولمرت» خطته على أساس الحل المنفرد بدون الاتفاق مع الفلسطينيين، وفى ذلك تجاهل لطرف أصيل فى معادلة الصراع الفلسطينى الإسرائيلى، وهو ما يؤدى إلى ديمومة هذا الصراع.
- وخامسا: تعتمد هذه الخطة على استراتيجية الانفصال، أى الانطواء خلف الجدار الفاصل، بحيث تتشرنق إسرائيل داخل جيتو يهودى يسمى دولة اليهود.
- وسادسا: تهدف هذه الخطة إلى ترسيم حدود نهائية لإسرائيل من جانب واحد، حتى ولو كان على حساب الفلسطينيين أصحاب الأرض.

ومن هنا يمكن القول بأن هذا المخطط الانفصالى عن الضفة الغربية، هدفه فى الأساس هوحماية الدولة اليهودية المأمولة من الخطر الديموجرافى الفلسطينى.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

الجرائم الإسرائيلية بين فلسطين ولبنان

من المؤكد أن الحديث عن الجرائم الإسرائيلية المرتكبة بحق العرب والمسلمين يعد من الكلام المعاد والمكرر والذى لا يتضمن أى جديد على مدى ما يقرب من (٦٠) عاما منذ مذبحة دير ياسين الشهيرة وحتى اليوم.

وفى هذا الشهر وبمناسبة العمليات الإسرائيلية الجديدة فى غزة ولبنان ننشر طائفة من الاستنكارات والتعليقات الواردة فى بعض الصحف.

من جريدة المساء الصادرة فى ١٦ / ٧ / ٢٠٠٦ تخبرنا عدة تعليقات أدلى بها كل من الرئيس الإيرانى محمود نجاد، والسيد / عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية، والسيد نبيه برى رئيس مجلس النواب اللبنانى، والخبير العسكرى المصرى اللواء شيرين حسن.

● شبه الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد سلوك إسرائيل بشن هجوم على لبنان بألمانيا النازية.

قال فى افتتاح نفق فى طهران إن هتلر كان يسعى لإيجاد الذرائع لمهاجمة دول أخرى وأن النظام الصهيونى يسعى لايجاد ذرائع لا أساس لها لغزو الدول الإسلامية وهو الآن يبرر هجماته بأعذار لا أساس لها.

● أعلن عمرو موسى ـ الأمين العام لجامعة الدول العربية ـ أن عملية السلام مع إسرائيل كانت خدعة كبرى، انتهت بالفشل.. قال فى مؤتمر صحفى مشترك مع حسين الشعالى وزير الخارجية الإماراتى عقب اجتماع وزراء الخارجية العرب بمقر الجامعة العربية: إن الموقف فى الشرق الأوسط أصبح خطيراً بعد أن أهدى المجتمع الدولى عملية السلام لإسرائيل تلعب بها كيف تشاء.

وأوضح أن الفيتو الأمريكى الجاهز دائماً فى مجلس الأمن يعطى لإسرائيل الضوء الأخضر لتعيث فى الأرض فساداً.

قال موسى: إن وزراء الخارجية العرب اتخذوا قراراً جماعياً بالتوجه إلى مجلس الأمن لإعادة طرح النزاع العربى ـ الإسرائيلى عليه من جديد من نقطة البداية، وإذا لم يحل المجلس هذا النزاع بشفافية.. فسوف يتكلم السلاح، ولا أحد يتحدث وقتها عن الإرهاب أو غيره.

● اتهم رئيس مجلس النواب اللبنانى اسرائيل بارتكاب مجزرة جديدة فى لبنان باغتيال طائراتها الحربية ٢١ مواطنا لبنانياً كانت طلبت منهم إجلاء بلدتهم «مروحين» فى جنوب لبنان ثم عمدت الى اغتيالهم لدى انتقالهم إلى خارج البلدة بسيارات مدنية.

أشار برى إلى أن البوارج الحربية عادت واستكملت القصف الذى كانت قد بدأته الطائرات بقصف موقع الجريمة مشيراً الى أن معظم ضحايا المجزرة من النساء وبينهم أربعة أطفال واتهم رئيس البرلمان اللبنانى مجلس الأمن بأنه منح المزيد من الوقت للعدوان الإسرائيلى على لبنان.

● أكد اللواء شيرين حسن رئيس هيئة موانى بورسعيد وأحد خبراء البحرية المصرية أن بارجة الصواريخ الإسرائيلية التى دمرها حزب الله هى أكبر وأحدث سفن البحرية الاسرائيلية وهى فرقاطة واسمها «هى هانيت» وتحمل على متنها طائرة مروحية وصواريخ «هربون» أمريكية وصواريخ «براق» الاسرائيلية المضادة للصواريخ وصواريخ بحر بحر وعليها أحدث نظام مراقبة صواريخ فى العالم.

أضاف إن هذه هى المرة الأولى التى يتم فيها ضرب العمق الإسرائيلى وتصل الصواريخ إلى نهارية وحيفا وعكا كما أكد أن إسرائيل تجد لأول مرة «سلم الردع» لدى حزب الله وسلم الردع هو ما ذكره «أنتربيه بوفكر» رئيس الأركان الفرنسى فى كتابه الاستراتيجية العسكرية ومعناه تجهيز الطرف الأول مجموعة من الإجراءات تتصاعد مع حدة وعنف إجراءات الطرف الآخر.

أكد أنه للمرة الأولى يدخل نصف مليون إسرائيلى إلى المخابىء وسواء كان حزب الله دمر الفرقاطة الإسرائيلية بطائرة بدون طيار أو بصاروخ إيرانى فإن خسارة إسرائيل من تدمير الفرقاطة وإصابة ٤ إسرائيليين ومقتل اثنين تعتبر كبيرة بالنسبة لها.

يؤكد اللواء شيرين أن كل هذه الأحداث تمت فى الوقت الذى تقام فيه مناورة عسكرية أمريكية ـ إسرائيلية مشتركة فى المنطقة الإسرائيلية الشمالية وخلال أعلى درجات الاستعداد البحرى والجوى لإسرائيل حتى أنه تم سحب سفينة أمريكية من ميناء حيفا خوفا من قصفها بالصواريخ.

ومن جريدة الأهرام تخيرنا هذه الكلمات:

● الأولى كتبها الأستاذ أسامة سرايا تحت عنوان:

من أمطار غزة إلى رياح لبنان

تستطيع عندما تملك القوة أن تبدأ الحرب، ولكنك لا تستطيع أن تنهيها. ولا أن تدرك الثمن الذى سوف تدفعه فيها. فالحروب قاسية، وقد كابدت شعوبنا ومنطقتنا لهيبها، وتعرف بدقة قسوتها من كل النواحى، وأقلها تكلفتها المادية الباهظة. وتدميرها البنية التحتية الغالية. فالشعوب هى التى تدفع الثمن، وقد رأينا المآسى والأهوال التي يتعرض لها الشعبان العراقى والفلسطينى، ولمسنا

المخاوف من أن يمتد لهيب الحروب ليشمل لبنان أيضا . . ذلك البلد العربى الذى يحاول أن يتعافى من الاحتلال والحروب الأهلية والمعاناة الاقتصادية، كما يتزايد الخوف على الشرق الأوسط كله من تأثير الأزمة الإيرانيية النووية وتحولاتها المفاجئة. ويريد العقلاء ألا تصبح المنطقة العربية رهينة لتلك الأزمة، أو أن تصبح إحدى أوراق اللعب فى أزمة دولية مرشحة لكارثة، سواء على أيدى الأطراف العالمية أو حتى على أيدى الطرف الإقليمي.

وفجأة فى وسط هذه الأجواء نفذت إسرائيل عمليتها العسكرية فى غزة التى عرفت باسم «أمطار الصيف» وهى عملية من الممكن حصر آثارها السلبية إذا أدرك الطرفان أنه لا طريق إلى حل الصراع بينهما إلا عن طريق التفاوض والجلوس حول مائدة الحوار السياسى . . وتبرز هذه الرؤية دائماً فى وقت الأزمات، حتى إن أكثر الأطراف تشددا فى فلسطين وإسرائيل يعبرون عن ذلك ويطالبون بالحوار، ويرون أنه من الممكن دفعه إلى الأمام بالاستعانة بالمجتمع الدولى ولجنته الرباعية المهتمة بأزمة الصراع العربى- الفلسطينى وتحويل نتائج اجتماعات الحوار إلى آليات للعمل السياسى والدبلوماسى طويل المدى بين كل الأطراف من السياسيين إلى المواطنين والأحزاب والفصائل فى إسرائيل وفلسطين معاً.

ولم يمض وقت طويل على «أمطار الصيف» فى غزة، حتى فوجئنا بعملية عسكرية جديدة لإسرائيل فى جنوب لبنان، حولت الأمطار إلى زوابع ورياح عاتية، جاءت بعد عملية حزب الله اللبنانى، والتى أسر فيها جنديين إسرائيليين، ويجب أن نقدر أن هذه العملية تتم فى إطار المقاومة المشروعة، مادام الصراع مفتوحا ولم ينته بين الطرفين، ومن الممكن تبادل الأسرى كخطوة أولية لتعميق بذور الثقة والتفاهم بينهما، وهى بدايات ضرورية للتفاوض على الحدود فى المستقبل بين جميع الأطراف المشتركة فى الصراع بكل جوانبه.

[٢٠٠٦/٧/١٥]

● **الكلمة الثانية «رأى الاهرام» وجاءت تحت عنوان:**

ضرورة وقف العدوان على الشعب اللبنانى

فى الوقت الذى يتواصل فيه العدوان الإسرائيلى الوحشى والشامل ضد الشعب اللبنانى يقف المجتمع الدولى صامتا دون أن يتخذ خطوات واضحة على أرض الواقع لوقف هذا العدوان الذى يعد مخالفا للقانون والشرعية الدولية بل للقيم والأعراف الدولية، فمنذ بدء الهجوم على لبنان سقط عشرات القتلى ومئات الجرحى من المدنيين اللبنانيين، إضافة إلى الخسائر المادية الهائلة التى تكبدها الاقتصاد اللبنانى من قصف المطارات والمؤسسات وتزيد على مليارات الدولارات، وهو ما يعنى إعادة الاقتصاد إلى الوراء والقضاء على ما تحقق من إنجازات اقتصادية خلال السنوات الأخيرة.

العدوان الإسرائيلى من حصار شامل وتدمير كامل يضيف إلى معاناة وجراح الشعب اللبنانى، الذى واجه الكثير من التحديات الداخلية والضغوط الخارجية خلال العام الماضى ولم تكد الآمال تتجدد فى تحقيق الأمن والاستقرار وانطلاق خطوات التنمية الاقتصادية، حتى جاء العدوان الإسرائيلى ليدخل البلاد إلى مرحلة جديدة من الألم والمعاناة لا يستحقها الشعب اللبنانى.

[٢٠٠٦/٧/١٦]

● **وأخيرا جاءت كلمة الأستاذ أحمد بهجت بعنوان:**

حرب مفتوحة

فى البداية أعلنت إسرائيل أن جنديا من جنودها قد اختطف وأنها تريد هذا الجندى على وجه السرعة، وإلا اعتبرت إسرائيل الحكومة الفلسطينية مسئولة عن اختطافه.

بعد ذلك أعلن السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله أن حزبه قد أسر جنديين إسرائيليين، وأن الطريق السليم لعودة الجنديين إلى منزليهما هو مبادلتهما بالأسرى العرب فى سجون اسرائيل، ورفضت إسرائيل هذا العرض، وهددت بحرب مفتوحة، وظهرت صورة السيد نصر الله على أجهزة التليفزيون ووجه أكثر من رسالة للشعب العربى وحكامه وشباب المقاومة والشعب الإسرائيلى والحكومة الإسرائيلية، وقال فيما قاله لها: أنتم أردتموها حربا مفتوحة، ونحن ذاهبون إلى الحرب المفتوحة ومستعدون لها.. إلى حيفا وإلى ما بعد حيفا.

بعد ذلك تحدث الشيخ حسن نصر الله عن المفاجآت، وأعلن أن بارجة حربية إسرئيلية ضربت لبنان بالأمس تحترق الآن فى عرض البحر وعلى متنها عشرات الجنود الإسرائيليين وقد أصابتها نيران المقاومة.

واعترف الجيش الاسرائيلى بإصابة البارجة، وإن كان قد قلل من حجم الاصابة كعادة الجيوش مع خسائرهم.

وبدأت الحرب المفتوحة... وبسبب جبن المقاوم الإسرائيلى تفضل قيادة الجيش استخدام الطيران ولا تلجأ للهجوم البرى إلا وهى مضطرة، وكان أول هدف لإسرائيل هو مطار بيروت الدولى رغم أن هذا الأمر محرم دوليا، لأن المطارات تعتبر مبانى دولية لا يجوز ضربها فى الحروب.

اشتعلت النار فى مطار بيروت فتوقفت حركة السفر، وضربت القوات الإسرائيلية الجسور والطرق ومحطات الكهرباء والمياه، كما ضربت أهدافا مدنية كالنساء والأسر والأطفال.

وتقدم لبنان لمجلس الامن يطالب بوقف إطلاق النار، ووافق عشرة أعضاء من ١٥ على الطلب، ولكن أمريكا أعلنت الفيتو فتوقف كل شيء، واعتبر الرئيسى الأمريكى أن هذا العدوان الإسرائيلى دفاع عن النفس.

[١٧/٧/٢٠٠٦]

● **وفى جريدة الوفد الصادرة فى ٢٠٠٦/٧/١٥ كتب الأستاذ صلاح عيسى عن:**

حسابات المقاومة وتوقيتاتها

هبت عاصفة النارالإسرائيلية على المنطقة، فلم تعد تقتصر على غزة التى هبت عليها العاصفة منذ أسابيع، بل شملت كذلك لبنان، التى وصلتها العاصفة صباح الأربعاء الماضى، وفى الحالتين، شملت الخطة عمليات عسكرية واسعة ومتصاعدة تقوم على الاستخدام المفرط للقوة، لا تقتصر على الحصار البرى والبحرى والجوى، بل تضيف إلى ذلك غارات جوية، وضرب بالمدفعية، تدمر الكبارى وتقطع الطرق وتهدم المبانى الحكومية والحزبية.

وتسقط خسائر كبيرة فى البنية التحتية، وفى المدنيين.. والهدف فى الحالتين معروف ومعلن هو إسقاط حكومة حماس فى غزة، وتدمير القوة العسكرية لحزب الله، بإنشاء منطقة عازلة تجعله

عاجزاً عن القيام بأية عملية ضد إسرائيل.

وككل عربى فقد سعدت بعملية غزة، وبدت لى نموذجاً للتخطيط الذكى والتنفيذ المقتدر، لتحقيق هدف لاشك فى أنه مشروع، وتمنيت أن تكون كل عمليات المقاومة من نوعه، وأن تتوقف العمليات التى تجرى ضد المدنيين، والتى لا يستفيد منها إلا العدو..

ومن سوء الحظ أن الوساطة المصرية لحل الأزمة على أساس وقف العمليات العسكرية فى غزة ومبادلة الأسير الأسرائيلى بعدد من الأسرى الفلسطينيين، قد فشلت وتوقفت، ليحل محلها منهج آخر فى معالجة الأزمة، وهو الرد على التصعيد الإسرائيلى بتصعيد مقابل، وفتح جبهة جديدة ضده من جنوب لبنان، فكانت العملية التى قام بها حزب الله، وهى عملية خططت بذكاء ونفذت باقتدار لتحقيق هدف لا شك فى أنه مشروع.

● **وفى جريدة الوفد أيضا الصادرة فى ٢٠٠٦/٧/١٥ كتبت الأستاذة سناء السعيد:**

ليذهب الجميع إلى الجحيم

غريب ألا يرى المجتمع الدولى إلا ما تراه إسرائيل فيسارع ويطالب بإطلاق سراح الجندى الإسرائيلى الذى أسرته المقاومة الفلسطينية ثم يسارع ويطالب بإطلاق سراح الجنديين اللذين أسرهما حزب الله فى عمليته النوعية الرائعة، فلقد طالبت أمريكا بذلك وكذا الاتحاد الاوروبى والأمم المتحدة حتى روسيا خرجت عن المنطق وطالبت بإطلاق سراح الجنديين. ولم ير كل هؤلاء أسرى فلسطين فى السجون الإسرائيلية ولا الظروف التى يعيشون فيها والانتهاكات التى يتعرضون لها.

ويكفى أن عددهم يزيد على عشرة آلاف وأن بعضهم معتقل منذ السبعينيات. وإسرائيل لا ترى إلا التصعيد العسكرى ودفع الأمور نحو حافة الهاوية لا سيما وأنها بمنأى عن محاسبة ومساءلة المجتمع الدولى لها بالإضافة إلى تمتعها بدعم أمريكى واسع تتبعه وتتبناه المنظمة الدولية.

هذا فضلا عن أن إسرائيل تلتزم بالدفاع عن فكرة وجودها دون أن تأخذ فى الاعتبار أية أطراف أخرى عملاً بمبدأ يقول: «ليذهب الجميع إلى الجحيم..!!».

دكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

تحت هذا العنوان كتب د. محمد الجوادي فى جريدة الأهرام فى عددها الصادر فى ٢٠٠٦/٦/٢٢ يرثى هذا العالم الجليل:

فقدت الثقافة الإسلامية بوفاة الدكتور محمد إبراهيم الفيومى عالما مجتهدا من أبرز الأزهريين الذين اشتغلوا بعلوم الفلسفة الإسلامية، وقد تعددت روافده العلمية فى مصر وخارجها، كما مارس البحث العلمى والتعليم والتدريس على المنهجين القديم والحديث، وشارك بصفة دائبة فى الاجتماعات والندوات واللقاءات والمناقشات والمؤتمرات، فكان على الدوام نموذجا للعالم العامل هادىء الطبع، كثير الإنجاز، كما كان مخلصا لعلمه، محبا للناس، وقد تمتع بأخلاق نبيلة وخبرة حببت فيه كل من عرفوه، كما تمتع بقدر كبير من الفهم والقدرة على التأويل، والاستنباط والاستشهاد، واستدعاء النظائر، وكان حفيا بمجالس الأدب، وحلقات العلم، ومؤسسات العمل الخيرى، وقد ربطته بكثير من أعلام الوطن علاقات الاحترام، والتبجيل، والتقدير، والصداقة، والحب فى الله، كما وثقت الألفة الصادقة، والحميمة المخلصة من علاقاته بمن عرفوه.

وقد أتيح له قبل وفاته بسنوات أن يسعد بأعظم

أعماله، وهى موسوعة الفلسفة الإسلامية، وقد نشرت أكثر من مرة، وقد لخص فى مجلداتها السبعة تاريخ الفلسفة الإسلامية على نحو منهجى دقيق، كما أتيح له أن يكتب صفحات من ذكرياته فى كتاب طبعه مرتين بعنوان «أيامى» وبالإضافة إلى هذا فقد ترك بصمات ذات قيمة فى كثير من المواقع التى شغلها فى أمانة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وفى عمادة كلية الدراسات العربية والإسلامية بالأزهر الشريف، وفى جامعة قطر، وفى كل هذه المواقع كان عاملا منجزاً، وقد جمع فى اعتدال مشكور بين احترام النفس والتواضع، وبين الاعتراف بالحق والحرص على مجاملة الآخرين، كما جمع بين القدرة على الإدراك والرغبة فى السلام، كما أوتى حظوظا كبيرة من صفاء النفس، وطموح العقل، وطهارة اليد، وكرم البذل، وعفة اللسان، وراحة البال، وشرف القصد، ورقى اللفظ، وحب التوفيق بين المتنازعين، كما كان حريصا على دوام الصداقة بين كل أصدقائه المشتركين بعضهم وبعض، وعلى السعى فى الخير للآخرين، وكان يطوى نفسه على قدر من الآلام والأسى لما لم يكن غيره قادرا على ابتلاعه، وكان يجل العلم وأهله، كما كان يجل العلماء وماضيهم، وكان يذكر بكل حب ما سمعه من أستاذ عن تلميذه، وما سمعه من تلميذ عن أستاذه، وكان يصور ما يرويه من حديث الإنصاف على أنه حديث الحقائق التى لا تقبل الجدل.

كان بالنسبة لى صديقا بكل ما تعنيه الكلمة، وكنت أتألم طيلة الشهور الأخيرة وأنا أرى قبس حياته ينسحب رويدا رويدا، وكان يجاهد المرض كى ينجز وكى يشترك فى كل إنجاز قدر له أن يكون من المسئولين عنه. كان صوته يخفت فتمده روحه بقدرات ترفع من نبراته، وكان وجهه يشحب فيمده قلبه بما يحفظ عليه نضرته التى عرف بها، وكان عقله يحاول بعض الغياب ليستريح فلا تلبث نفسه أن تمده بزاد يضفى على حضوره بعض وثبات العقل المتمرس على القول الفصل.

وهكذا ظل يستعين على المرض القاسى بكل ما فى الجسم المريض من قدرة على مقاومة المرض أو صورته، فكان يستعين بالروح على الصوت، وبالقلب على الوجه، وبالنفس على العقل، وكان قبل كل شىء يستعين بالإيمان على القضاء، وباليقين على القدر. كان يسألنى عن تطور مرضه وهو أدرى به، لكنه كان يرضى نفسه بالسؤال، وكان يلخص مضاعفات العلاج وهو مستسلم، لكنه كان يرى أن التجربة من حق الآخرين، وكان يتحدث عن قدرات التشخيص وهو يحمد الله على أن العلم وصل إلى ماوصل إليه من إلمام بهذه الدقائق، وكأنما الدقائق ليست آلاما وندوبا تفتك به وبجهازه الهضمى.. وبعد.. فما أقساه على الإنسان شعوره حين يصلى صلاة الغائب على حبيب بينما هو فى المدينة نفسها.

مستشرق يصف الرسول بالصادق الأمين

وخير ما نختم به مقتطفات هذا الشهر ما نشرته جريدة «الأهرام» الصادرة فى ٨ / ٧ / ٢٠٠٦ :

«الصادق الأمين» الوصف الذى يؤكد عليه المستشرق الأسبانى «خوان برنيت» فى كتابه الجديد عن سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ويؤكد برنيت أنه من أشد المعجبين بالرسول الكريم ورسالته.. برنيت يبلغ من العمر ٨٢ عاما واعتمد فى كتابه على بعض المصادر العربية، ويقول: إن العامة لا يمكنهم فهم العمل الذى قام به وهو يعد واحدا من أفضل مترجمى القرآن إلى الإسبانية.



أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ / محمد الشرقاوى

القاهرة تستضيف المؤتمر السنوى لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

تستضيف القاهرة فى التاسع والعشرين من يوليو الجارى فاعليات المؤتمر السنوى لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا ـ أحد منظمات المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة برئاسة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر.

يشارك فى المؤتمر الذى يستمر «٤» أيام نحو «٥٠» عالماً ومفكراً من كبار العلماء فى العالم، منهم د. «حسين حامد حسان» رئيس المجمع، د. «حسين آل الشيخ» إمام المسجد النبوى، والشيخ «عبدالرحمن السديس» إمام الحرم المكى، د. «الطاهر بافرواوا» حاكم ولاية «سوكوتو» بنيجيريا، د. «صلاح الصاوى» الأمين العام لمجمع فقهاء الشريعة.

يناقش المؤتمر العديد من القضايا والموضوعات التى تتعلق بالأسرة والمجتمع مثل ميراث المرأة وديتها وتعدد الزوجات وولاية المرأة واللعان. وحدود تأديب الزوجة والنظام المالى الإسلامى ومؤسساته وآلياته ومفهوم الحاجة والضرورة وعمل البورصة والمحاذير الشرعية المشتركة بين أغلب الوظائف والحرف فى البلاد غير الإسلامية والمشاركة السياسية للمسلمين فى الدول الغربية.

استشهاد القائد الشيشانى المسلم «شامل باساييف»

استشهد القائد الشيشانى المسلم «شامل باساييف» وذلك فى هجوم شنته القوات الروسية الخاصة على موقع كان موجوداً فيه فى جمهورية «أنجوشيا» المسلمة المجاورة لجمهورية «الشيشان».

كانت روسيا قد عرضت «عشرة ملايين دولار» لمن يأتى برأس باساييف الذى تتهمه بالإرهاب

وبالمسئولية عن مصرع أكثر من « ٣٣٠ » شخصا نصفهم من الأطفال كانوا محتجزين بإحدى المدارس، بالرغم من أن القوات الروسية هى المسئولة عن مقتلهم.

وقد أعرب الرئيسان الروسى «بوتين» والأمريكى «بوش» عن سعادتهما بسقوط «شامل باساييف» الذى يتهمانه بالإرهاب.

وما زالت القوات الروسية تواصل حملتها على المقاتلين الشيشان الذين يدافعون عن إسلام دولتهم ويسقط يومياً الكثير منهم وسط صمت رهيب من العالم «الحر» ومن العالم الإسلامى الساكت دوماً عن كل ما يتعرض له المسلمون من قتل وإبادة فى أماكن كثيرة من العالم.

إهانة جديدة للمسلمين فى أمريكا

قام متطرفون أمريكيون بولاية «تناسى» بإلقاء نسخ من القرآن الكريم على مدخل أحد المساجد بعد أن مزقوها بإطلاق أعيرة نارية عليها.

وطالب مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية كير وزارة العدل الأمريكية بالتحقيق فى الجريمة، وقال مسئولون فى مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية فى بيان لهم أن مرتكبى الحادثة قاموا بتصويرها ووضعها على شبكة الإنترنت ويصور شريط الفيديو المنشور بعض الرجال وهم يطلقون عدة أعيرة نارية على نسخة من القرآن الكريم وقام أحدهم بإلقاء النسخة الممزقة على مدخل أحد المساجد متحدياً بذلك مشاعر المصلين المسلمين الذين يرتادون هذا المسجد.

١٠٪ من الأمريكيين يعتقدون أن المسلمين يعبدون القمر

كشف أحدث استفتاء أشرف عليه مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية «كير» أن ١٠٪ من الأمريكيين يعتقدون أن المسلمين يعبدون القمر.

وذلك يعكس الجهل الكبير بحقيقة الإسلام فى أوساط الشعب الأمريكى!

وأوضح الاستفتاء أن ٢٥٪ من الأمريكيين يعتقدون أن الإسلام دين عنف وأن واحداً من كل أربعة أمريكيين يعتقد أن المسلمين يربون أولادهم على العنف.

ومن ناحية أخرى كشف الاستفتاء عن بعض النقاط الإيجابية منها أن ٤٠ ـ ٥٠٪ من الأمريكيين يعتقدون أن المسلمين لديهم حضارة ويتعاونون فى الحرب على الإرهاب.

ودعا القائمون على الاستفتاء إلى تعاون المؤسسات الإسلامية فى تصحيح صورة الإسلام والمسلمين والتعريف بالإسلام فى مختلف دول العالم.

إقبال كبير على مهرجان التعريف بالإسلام بالدانمارك

شهد مهرجان التعريف بالإسلام «الإسلام اكسبو» الذى تم تنظيمه فى الدانمارك إقبالاً كبيراً من مختلف فئات الشعب للتعرف على حقائق ومبادىء الإسلام.

استهدف المهرجان الذى تم تنظيمه بالتعاون بين سفارات الدول العربية والإسلامية، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة تعريف الدانماركيين بالإسلام والحضارة الإسلامية وأكد «بير مولر» وزير خارجية الدانمارك خلال مشاركته فى المهرجان على أهمية الحوار والانفتاح على الآخر وقال: نرغب فى تمكين المسلمين من تقديم ثقافتهم وفنهم للمجتمع الدانماركى إلى جانب الاطلاع على صورة البلد الحقيقية مشيراً إلى أن المسلمين ليسوا ناساً مجانين يتظاهرون ويحرقون الأعلام فى الشوارع كما يحلو للبعض تصويرهم.. وقال إن المسلمين شعوب ذات ثقافة عريقة وتسعى دائماً لحوار متحضر.

دورة للتعريف بالإسلام بولاية بنسلفانيا

ينظم فرع مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية بمدينة «فلادليفيا» بولاية «بنسلفانيا» الأمريكية دورة للتعريف بالإسلام فى شهر أغسطس الحالى على مدى ثلاثة أسابيع.

تشمل الدورة عشر محاضرات تحت عنوان «فهم الإسلام والمسلمين من خلال الفقه والتاريخ» حيث يتم مناقشة أسس العقيدة الإسلامية والمؤسسات الاقتصادية والثقافية والسياسية التى بنتها المجتمعات الإسلامية عبر تاريخها.

كما تناقش فترة العصر الذهبى للحضارة الإسلامية وبعض القضايا المعاصرة المتعلقة بالإسلام والمسلمين.. وكان المجلس قد نظم حلقة نقاشية بالعاصمة الأمريكية واشنطن دعت إلى ضرورة إغلاق معتقل «جوانتانامو».

رابطة «اللواط» العالمية تسعى لتنظيم أسبوع لنشاطها فى القدس

ناشد عدد كبير من علماء فلسطين علماء الأمة الإسلامية دعم جهودهم للتصدى لقرار السلطات الإسرائيلية بالسماح لرابطة المثليين واللواط العالمية بتنظيم أسبوع للترويج والتعريف بنشاطها فى مدينة القدس خلال شهر أغسطس الحالى ونظم علماء فلسطين وعلى رأسهم الشيخ «تيسير التميمى» قاضى قضاة فلسطين والشيخ حامد البيتاوى رئيس رابطة علماء فلسطين والشيخ إبراهيم صرصور أحد قيادات الحركة الإسلامية الفلسطينية حملة واسعة للتصدى لهؤلاء الشواذ الذين ينوون اختتام أسبوع نشاطهم بمسيرة ضخمة للواط فى شوارع القدس تمر أمام عدة أماكن مقدسة، وقال الشيخ إبراهيم صرصور إن هذه المسيرة للشواذ جزء من الهجمة الشرسة على القدس الشريف. وشدد الشيخ صرصور على ضرورة تكاتف الجميع لمواجهة تلك السقطة والتصدى لظاهرة المثليين المرفوضة إسلامياً وإنسانياً.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ محمد قطب خضير
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد/ استليا نيدس. نائب وزير خارجية اليونان يرافقه السيد السفير/ بنايوتى فلاسوبوس والوفد الصحفى المرافق.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد نائب وزير خارجية اليونان والوفد المرافق له، مؤكداً على أن مصر واليونان تربطهما علاقات طيبة وصلات قديمة تقوم على التعاون من أجل خدمة البلدين وأن صلة الأزهر بمسلمى اليونان صلة قديمة حيث يدرس بالأزهر الشريف وجامعته العريقة ١٨ طالباً وطالبة من أبناء اليونان يتلقون علوم الأزهر الشريف التى تقوم على التسامح والاعتدال وعلى الوسطية والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البلهاء كما أن الدراسة تقوم على اعتبار أن الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة مهما اختلفت عقائدهم ومهما اختلفت أوضاعهم وأن اختلاف العقائد لا يمنع من التعاون لأن الذى يحاسب على العقائد هو الله ولا إكراه على العقائد كما نُعلم أبناءنا فى الأزهر بأن الحضارات عند العقلاء تتعاون ولا تتصادم فمصر تتعلم من حضارة اليونان، واليونان تتعلم من حضارة مصر.

ومن جانبه شكر نائب وزير الخارجية اليونانى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء وأنه سمع أطيب الكلمات عن فضيلة الإمام الأكبر وكان عليه الالتزام السياسى والأدبى للحضور للقاء فضيلة الإمام الأكبر وذلك لتقديم الشكر لمساهمة فضيلته الشخصية ومشيخة الأزهر وجامعته لرعاية مسلمى شمال اليونان وتقديم المنح التعليمية لهم، وأوضح السيد نائب وزير الخارجية بأنه هو العضو المنتخب للبرلمان اليونانى لمنطقة شمال اليونان وأنه بالتعاون مع الأكثرية المسلمة فى هذه المنطقة تعتبر الآن نموذجاً يحتذى به على مستوى أوروبا وهى رسالة للتعايش السلمى مع بعضنا البعض، ورد على ما يطلق عليه صراع الحضارات، وأن ما سمعه من الإمام المفتى بمنطقة شمال اليونان عن فضيلة الإمام الأكبر وإسهاماته الطيبة للدارسين من شمال اليونان الذين تلقوا تعليمهم بالأزهر الشريف وعادوا لتقديم الخدمات فى وطنهم يعد نموذجاً طيبا للتعايش يعتد به وهى تعتبر رسالة نوجهها إلى بقية أوروبا لسببين:

› الأول : أنها تعتبر نموذجا للاعتدال فى الاسلام والديمقراطية المسيحية فى الغرب التى نعيشها الآن .

› الثانى : لإيماننا بالدور الذى تقوم به كل من مصر واليونان على الصعيد الدولى لأنهما يمثلان حضارتين عظيمتين ، مصر بأزهرها على مستوى العالم الاسلامى ، واليونان التى لديها صوت قوى فى المحافل الغربية وهو يعد بذلك جسراً للتعاون بين مصر واليونان وبين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب ويتميز توحدنا هذا بالرشاد والتقارب .

وقد أجاب فضيلة الامام الأكبر عن سؤال حول الرسوم المسيئة للرسل ، موضحاً أن هؤلاء الرسل الكرام ، نوح ، إبراهيم ، إسماعيل ، اسحاق ، يعقوب ، موسى ، عيسى ، محمد صلى الله عليه وسلم ، نحن المسلمين نحترمهم جميعا ولا نقبل الإساءة إليهم بأى صورة لأنها إساءة للمسلمين ، لأن هؤلاء الرسل هم الذين اخرجوا الناس من ظلمات الظلم إلى نور العدل ، ومن الرذائل إلى الفضائل ولم يسيئوا إلى أحد ، فيجب ان نحترمهم ولا نسيىء اليهم ومن يسىء اليهم فهو فاقد للشرف الانسانى ويجب أن يحاسب على جرائمه ، فنحن نرحب بحرية التعبير مادامت فى حدود العقل والعدل وهذه الإساءة لا صلة لها بحرية التعبير .

***

● غادر فضيلة الشيخ / عمر الديب محمد محمود . وكيل الأزهر الشريف فجر يوم الأربعاء ٧ / ٦ / ٢٠٠٦ أرض الوطن متوجها إلى بلجيكا لحضور فاعليات الدورة الثانية عشر للجنة الاتصال الإسلامى الكاثوليكى بالتعاون بين المنتدى الإسلامى العالمى للحوار ومجلس كنائس الشرق الأوسط فى الفترة من ٨ إلى ٩ يونيو تحت عنوان (الدين والبيئة) ، وتشمل كلمة فضيلة الشيخ / عمر الديب وكيل الأزهر الشريف . ورئيس لجنة الحوار الدائم بين الأديان على ضرورة العمل على حماية البيئة باعتبارها واجب أخلاقى وشرعى ويجب الحفاظ عليها من الفساد والضياع والعبث بها والتأكد على أن القرآن وضع تصوراً شاملاً للبيئة شمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد وجعل الإنسان على قمة الاهتمام ، وسخر البيئة لخدمته وهو ما توصل إليه العلماء مؤخرا ، وهو ما تضمنه الإعلان العالمى للبيئة ، ومن هنا أصبحت حماية البيئة فى أى مجتمع ضرورة ملحة وهدفا منشوداً بل وضرورة حتمية فرضتها ظروف الحياة والتقدم الحضارى ، وإذا كان الله تعالى قد سخر لنا مافى الأرض جميعاً فإن من الواجب على جميع البشر أن يحافظوا على هذه البيئة والطبيعة التى سخرها الله تعالى . وعلى الإنسان أن يعمل قدر استطاعته لتحسين ظروف بيئته ومعيشته ولا يكون من المفسدين بل عليه أن يراعى التوازن البيئى سواء أكان فى الأرض أم فى السماء أم فى الماء ، لأن حفظ الحياة لا يتم إلا بالحفاظ على مكونات البيئة لأنها عامل ضرورى لاستمرارية الحياة .

***

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه وفداً من رؤساء المحاكم العسكرية بجمهورية مصر العربية ودولة الكويت الشقيقة يرافقه السيد المستشار / مدحت بسيونى - مساعد وزير العدل ورئيس قسم الدراسات الجنائية بوزارة العدل .

وقد شرح فضيلة الإمام الأكبر للوفد منزلة القضاء فى الإسلام ومكانته السامية فى الأمة، فهو لون من الفصل فى القضايا بين الناس بالحق والعدل وهو بذلك يحتاج إلى جهد كبير، فالقضايا متنوعة والعقوبات متنوعة، كما أن الشريعة قسمت العقوبات إلى أقسام وكذا الجرائم ففى كل يوم نكتشف الجديد من الخداع والغش.

كما وضح فضيلة الإمام الأكبر للوفد قيمة العدالة وإعطاء الحق لكل صاحب حق ونصرة المظلوم بصرف النظر عن ديانته وفى نهاية اللقاء شكر الوفد الإمام الأكبر على هذا التوضيح المثمر.

***

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه. وفداً من ولاية نجرى سمبيلان الماليزية برئاسة داتوسرى أوتاما محمد بن حسن كبير وزراء الولاية- يرافق الوفد سعادة السفير/ زين العابدين عبدالقادر - سفير ماليزيا بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بكبير وزراء الولاية ومرافقيه، مبيناً بأن الصلة قديمة وقوية بين الأزهر الشريف ودولة ماليزيا الشقيقة حيث يتلقى العلوم الدينية والشرعية طلاب من دولة ماليزيا يزيد عددهم عن ٧ آلاف طالب وطالبة، ثم استعرض فضيلته فى إيجاز زيارته لدولة ماليزيا التى تمت فى الأيام السابقة حيث ألقى فضيلته محاضرة عن معنى المنهج الإسلامى الحضارى الذى يدعو إلى الرقى والتقدم فى شتى مجالات الحياة الاجتماعية والزراعية والصناعية والتكنولوجية. حضر اللقاء فضيلة الشيخ/ عمر الديب وكيل الأزهر الشريف.

***

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه سعادة السفير / رشيدللى سوبادار- سفير دولة موريشيوس بالقاهرة بمناسبة توليه مهام عمله كسفير جديد لبلاده بجمهورية مصر العربية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير بالأزهر الشريف، متمنياً لسيادته التوفيق فى عمله كسفير لبلاده بجمهورية مصر العربية، هذا وقد وضح فضيلة الإمام الأكبر للسيد السفير أن لدولة موريشيوس طلاباً يدرسون بمراحل التعليم المختلفة بالأزهر الشريف حيث إن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى.

هذا وقد شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء وطلب من فضيلته زيادة التعاون الثقافى بين دولة موريشيوس والأزهر الشريف ومنها زيادة عدد المنح الدراسية لطلاب دولة موريشيوس.

This is seen as a kind of educating the Messenger and reminding him of the Qur'anic manners. There are many other examples in the Qur'an whose main intended subject is the Messenger, then from his example, the light shines over all humanity. Out of his words, concise but comprehensive in meaning, the Messenger (may the blessing and peace of Allah be upon him) said, *"I have been sent to perfect the honorable manners."* In support of this, Allah, Exalted and Glorified be He, said:

{And surely you are indeed of a magnificent character.}

[Al-Qalam (The Pen): 4]

Glory be to Allah Who raised His Prophet Muhammad to a rank never reached by anyone before or after him.

The Present and the Past

What about those who claim civilization and freedom?! When you consider what those Westerners claim as having civilization and protecting human rights, and consider the instructions given by the Messenger to one of his commanders, Mu`adh Ibn Jabal, you shall find a huge difference. The Messenger instructed Mu`adh to fear Allah because fearing Allah will protect the believer from committing anything wrong. He also commanded him to always say the truth, give back the trust, protect the neighbor, show mercy to the orphan, never be harsh to others, and do his work perfectly. You may witness how far the civilization of Islam is great when you come to know that the Messenger forbade Mu`adh from insulting any wise man. Contrarily, those claiming modern civilization are now insulting and offending the prophets and messengers, claming that they are the people enjoying freedom. What a despicable freedom they have! They should learn the true and great civilization from the Messenger of Islam.

And:

{And (endure) patiently whatever may afflict you. Surely that is (an indication of true) resolve concerning His commands.} [Luqman (The Sage): 17]

And:

{Yet be clement towards them and pardon; surely Allah loves the fair-doers.} [Al-Ma'idah (The Table): 13]

And:

{And let them be clement and let them pardon. Do you not love that Allah should forgive you; and Allah is Ever-Forgiving, Ever-Merciful.} [An-Nur (The Light): 22]

And:

{Repel with that which is fairest, then, only then, he between whom and you there is enmity shall be as if he were an intimate patron.} [Fussilat (Expounded): 34]

And:

{And the repressors of (their) rage, and the clement towards (their) fellow-men; and Allah loves the fair-doers.} [Al-Imran (The Household of Imran): 134]

And:

{O you who have believed, avoid much surmise; surely some surmise is a vice; and do not spy on each other, neither backbite one another.}

[Al-Hujurat (The Apartments): 12]

On the battle of Uhud, the disbelievers injured the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him), and his front teeth were broken and his head was wounded, so blood was flowing over his face. He was wiping the blood (from his face) saying, *"How will these people attain salvation who have wounded their Prophet while he called them towards (the way of) Allah?"* That was when Allah, the Exalted and Glorious, revealed the Verse stating:

{You have nothing to do concerning the Command.[5]}

[Al-`Imran (The Household of `Imran): 128]

[5] i.e., Allah's Command.

Our Master Muhammad, the Most Honorable Man on Earth ...!

By: Sheikh Umar Al-Deib, Al-Azhar's Deputy

Allah's Messenger Muhammad is Allah's most honorable and highest in rank creature. His Lord educated him in the best manner that no one ever reached. Allah, the Almighty, educated His Messenger in accordance with the Noble Qur'an. Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) used to supplicate Allah and implore to Him all the time. He would ask his Lord to beautify him with good manners. Therefore, he used to invoke Allah saying, *"O Allah! Improve my creation and manners."* Lady A'ishah, the Mother of the Faithful and the Prophet's wife, narrated that the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) used to call Allah saying, *"O Allah! Keep me away from the abominable manners."*

Allah, the Almighty, sent down the Qur'an on His Messenger and beautified him with its manners. Sa`id Ibn Hisham once said, "I asked A'ishah (may Allah be pleased with her) about the manners of Allah's Messenger. She said, 'Do you not read the Qur'an?!' I replied, 'Yes I read the Qur'an.' A'ishah then said, 'The manners of Allah's Messenger was (according to) the Qur'an.' "

The following are among the manners of the Qur'an with which the Messenger has been refined:

{Take to clemency, and command benevolence, and veer away from the ignorant.} [Al-A`raf (The Battlements): 199]

And:

{Surely Allah commands to justice and fairness and bringing (charity) to a near kinsman, and He forbids obscenity and maleficence and iniquity.}

[An-Nahl (The Bee): 90]

{Peace be upon you! I will soon ask my Lord to forgive you; surely He has been Ever-Hospitable to me.}

[Maryam (Mary): 47]

Does such a type of dialogue not represent a wonderful example for the callers and preachers! Does this not give them a good example in how to attract others and bear offence by facing it with benevolence. Ibrahim said to the one threatening him, *"Peace be upon you! I will soon ask my Lord to forgive you."*

Ibrahim did not stop calling his people and when he began to feel despair, he headed for the place where they, including his father, used to gather to call them and argue them using unarguable evidence. He uncovered the reality of the idols they used to worship saying:

{"What do you worship?" They said, "We worship idols; so linger on consecrating (ourselves) to them." He said, "Do they hear you as you invoke (them)? Or do they profit you or harm (you)?" They said, "No indeed, (but) we found our fathers thus performing." He said, "Have you then seen (that) what you have been worshipping, you and your fathers of old? Yet, surely they are an enemy to me, except The Lord of the worlds."}

[Ash-Sh`ra' (The Poets): 70-77]

By saying this, Ibrahim uncovered the reality of the idols which could not respond to whoever called them, nor benefited nor harmed them. He clarified the falsehood in which their forefathers were living. He called them to worship Allah, the Lord of the worlds, the One Who created, sustained, supported, gave life and caused death to creation. Allah Alone is the One worthy to be sincerely worshipped.

Calling in a Way That Is Most Benevolent

The first people the Messengers would call to the path of Allah were their families and relatives. In the case of Ibrahim (peace be upon him), he started by calling his father, for his concern about the success of his father in this life and the life to come was strong, which made him dialogue with his father in many situations without loosing hope. In calling his father, Ibrahim was so discreet for he chose the most mollifiable words so as to attract his father to the true religion. His meaningful words to his father were full of points of convincing; he said (as came in the Qur'an):

> {O my father, why do you worship that which neither hears nor beholds, nor avails you anything? O my father, surely there has come to me of knowledge that which did not come up to you; so closely follow me, and I will guide you on a level path. O my father, do not worship Satan; surely Satan has been disobedient to The All-Merciful. O my father, surely I fear that (some) torment from The All-Merciful will touch you, so that you become a patron of Satan.} [Maryam (Mary): 42-45]

The interpreters pay attention to the expression *"torment from The All-Merciful"* from a psychological perspective. One of them said, "Ibrahim did not say, 'torment from The All-Powerful or The Subduer' but he said, 'from the All-Merciful' to let his father know that Allah would be Merciful and Forgiver. Ibrahim said so to let his father know that Allah would forgive him and encompass him with His mercy if he should repent from his past sins of polytheism." However, Ibrahim's father met his words with harsh denial when he declared that if his son should continue in his call, he would stone him to death. That was a cruel threat not expected by Ibrahim who chose the most mollifiable words to convince his father to follow him. Despite that severe threat, Ibrahim could not do anything but saying:

the Five Obligatory Prayers while the other prophets are included in the phrase saying *"wa Alu Ibrahim"* (i.e., and the household of Ibrahim), for they are related to him.

The Assuring Evidence

May be the most clear thing in the guiding call of Ibrahim was his firmly-established belief in what he was calling for and his persisting thought about what would assure his heart in his faithful belief. The Father of Prophets sincerely believed in resurrection, but despite his firm belief, he asked Allah to show him a perceptible proof. Ibrahim said to his Lord, "Lord! Show me how You give life to the dead?" The exegetes and interpreters of the Qur'an said that Ibrahim said, "How You give life to the dead?" and he did not say, "Do You give life to the dead?" There is a difference between the two questions, for asking by "how" implies prior belief in resurrection and only asking for the manner. Contrarily, asking by "do" involves hesitation in belief and suspicion. In support of this, Allah said to him, "Have you not believed?" Ibrahim replied, "Yes indeed, but that my heart be composed." Therefore, we conclude that the question of Ibrahim is a means to firmly establish his heart and put it at ease.

The attitude of Ibrahim, as regards asking his Lord to show him how He would give life to the dead, was not restricted to him alone. To illustrate, Ibrahim was demanded to invite strong and harsh enemies to believe in resurrection despite their persisting denial to such a fact. Undoubtedly, he would mention to them that perceptible proof which he saw with his own eyes; when he took four birds and divided them, then he set a portion of them on every mountain, and after that he called them and they came up to him with hasty diligence. It might happen that some of his companions could see that scene so they would tell what they had seen. Through this, Ibrahim would have a strong means of convincing his people.

Intellectual Cogency in the Message of Ibrahim ...!
By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

I mentioned earlier that the call of Allah's Messengers (peace be upon them all), before Ibrahim, was supported by intellectual conviction and established evidence through visible signs and straight thought. I would like to prove that the call of the Father of Prophets, our master Ibrahim, reached the utmost degree of sound convincing out of the shining argument and assuring evidence.

The relation between Ibrahim (peace be upon him) and Islam is undoubted; Allah, Exalted and Glorified be He, says:

{The creed of your father Ibrahim. He is (The One) Who has named you Muslims aforetime.}

[Al-Hajj (The Pilgrimage): 78]

He also says:

{Ibrahim was in no way a Jew, neither a Nazarene;[3] but he was unswervingly (upright)[4] Muslim; and he was in no way one of the associators.}

[Al-Imran (The Household of Imran): 67]

Talking about the journey of Al-Isra'a And Al-Mi`raj, the Messenger Muhammad said that he saw Musa (Moses), `Isa (Jesus) and Ibrahim (Abraham). He said that the intimate friend of Allah, Ibrahim, was the one bearing the closest resemblance with him (the Messenger Muhammad himself) amongst people. While Muhammad referred to the facial and bodily resemblance, such resemblance also extended to reach the roots of the Islamic Call. Stated differently, Muhammad's Call to the tolerant true religion is a renewal of Ibrahim's Call. Remarkably, the Father of Prophets, Ibrahim, has been distinguished from all the Messengers by being prayed over in

[3] i.e., a follower of `Isa (Jesus), Nasaraniyyan.
[4] i.e., veering away from idolatory.

Isra'a means walking at night, and Al-Mi`raj means ascending up. Regarding the first, Allah says:

{So set forth, with your family, in a watch of the night.}

[Hud: 81]

Concerning the second, Allah says:

{To Him the angels and the Spirit wind up.}

[Al-Ma`arij (The Stairways): 4]

According to the journey, the Prophet was taken from the Inviolable Mosque in Mecca to the Aqsa Mosque in Palestine. Allah, the Almighty, says:

{Hymned be He, Who made His bondman to set forth by night from the Inviolable Mosque to the Further[2] Mosque.}

[Al-Isra'a (The Night Journey): 1]

The Prophet said, "Jibril (Gabriel) came to me with Al-Buraq, a white animal, smaller than a mule and bigger than a donkey. I set out with him and when we reached Baitul-Maqdis (in Jerusalem), uncountable people gathered, then a muezzin called for prayer, so we all stood in rows waiting for someone to lead us in prayer. Here, Jibril took me and let me lead them in prayer. When we finished prayer, Jibril asked me, 'Do you know who were those who performed prayer behind you?' I said, 'No.' Jibril said, 'They were all the prophets sent by Allah, Exalted be He, since the creation of mankind.' " After that, the Prophet ascended to the heaven.

It was not easy for the people of Mecca to believe the journey of Al-Isra'a and Al-Mi`raj, for they thought about it using the human logic and law. They were unaware that Allah was the Creator of law and logic and that He could render them inactive

---

[2] Literally: Remotest, Aqsa.

against him in Mecca, he left for Al-Ta'if. In Al-Ta'if, he did not expect to receive such a bad treatment from its peoples who harmed him through speech and action. Thus, when he could not find any use for the human causes, he directed his soul to Allah invoking Him. Ibn Ishaq narrated that the prophet called Alah saying:

> *"O Allah, to You I alone complain my weakness, helplessness and humiliation among people. O You, the Most Merciful, You are the Lord of the weak, and You are my Lord. Whom will You charge over me; a far-off (person) who would mistreat me or an enemy whom You charged over me. In case You are not angry with me, I should not care, but Your forgiveness is more extensive for me. I seek refuge with the light of Your Face, that lit the darkness(es) and set right the matter of this life and the hereafter, from inflicting Your anger upon me or afflict Your discontent on me. There is no might nor power save with Allah."*

The meaning of the invocation is that Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) had spared no effort and considered every cause. Allah was able to render His Prophet victorious without any effort to be exerted on his part, but He, the Almighty, left him to think about causes so that he would do his best to be a good example for his nation lest it should abandon causes.

Allah, Glorified be He, prepared the journey of Al-Isra'a and Al-Mi`raj for His Messenger as a means of compensating him for what he had suffered at the hands of the people of the earth, and to let him know that there was another world in the heaven welcoming him and exalting his rank among them. Allah prepared that journey for him to remove the sadness he suffered due to the death of his wife and his uncle. In addition, Allah let him see major signs to establish his heart and make him forget the pain and bad treatment he suffered, thus he could continue to deliver the Message of his Lord.

The event of Al-Isra'a and Al-Mi`raj was after the mission of the Prophet and before his immigration to Medina. Al-

Talib's sticking to the religion of his people that made the polytheists of Quraysh compliment him by not harming the Messenger. Moreover, Lady Khadija the faithfuls mother (may Allah be pleased with her) was encouraging and pacifying him. He would resort to her at the times of fear, so she could take care of him by her kindness and tenderness and would remove the traces of harm and harsh treatment he would suffer from those denying the Divine Message.

It happened that Allah willed that Lady Khadija die in the same year in which the Prophet's uncle, Abu Talib, died. When Abu Talib was on his death bed, Allah's Messenger came to him and found with him, Abu Jahl and `Abdullah Ibn Abi Umaiya Ibn Al-Mughira. Allah's Messenger said, "O uncle! Say: None has the right to be worshipped except Allah, a sentence with which I will defend your case before Allah." On that, Abu Jahl and `Abdullah Ibn Abi Umaiya said to Abu Talib, "Will you now abandon the religion of Abdul-Muttalib?" Allah's Messenger kept on inviting him to say that sentence while the other two kept on repeating their sentence before him till Abu Talib said as the last thing he said to them, "I am on the religion of Abdul-Muttalib," and refused to say: None has the right to be worshipped except Allah. On that Allah's Messenger said, "By Allah, I will keep on asking Allah's forgiveness for you unless I am forbidden (by Allah) to do so." So Allah revealed:

> {The Prophet and the ones who have believed should in no way ask forgiveness for the associators.}
>
> [At-Tawba (Repentance): 113]

Concerning Abu Talib's case, Allah, the Almighty, also revealed the following verse while directing His words to the Prophet:

> {Surely you do not guide whomsoever you love, but Allah guides whomsoever He decides.}
>
> [Al-Qasas (The Narrative): 56]

Despite the fact that Allah's Messenger was quite certain that Allah would render him victorious, he followed the human causes in delivering the Message. For example, when aggression went severer

Al-Isra'a and Al-Mi`raj[1]...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Allah, Exalted and Glorified be He, is the Creator of causes as well as the caused matters and consequences. He makes causes for matters to be perceived by humans as premises from which conclusions are derived. Allah, the Almighty, is in no need of such causes, for He can make His religion (i.e., Islam) victorious without any kind of *Jihad* (i.e., fighting in Allah's Cause) by His Messenger. Nevertheless, the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) came as an example for his nation, and his existence was limited in this life, so what would his nation do after him? How could it defend its religion and heritage? That nation is demanded to protect his Message, so how will it do that?

The opposers and hateful parties existed in the time of the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him). They even planned to get rid of him by assassinating him, but Allah, Exalted be He, saved him from their conspiracies and saved him from those who waged wars against him and those who followed him. Undoubtedly, those enemies will appear again after his death. During his life, the Prophet Muhammad was in need of two kinds of protection: external and internal. As for the first one, he was needing an external protection against the disbelievers of Qurayash. The second kind was an internal protection in his home so that he could feel tranquility, calmness and rest. However, in both cases, he was surrounded by Allah's protection, the One Who has created causes and commanded us to consider them.

Abu Talib, the Messenger's uncle, provided him with external protection against the polytheists of Mecca. It might be that Abu

---

[1] Al-Isra'a (Night Journey): The miraculous journey which Prophet Muhammad made by night from Mecca to Jerusalem. Al-Mi`raj (Ascension): It is the miraculous ascension of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) from Jerusalem to the Heavens to meet his Lord.

AL-AZHAR MAGAZINE
Rajab, 1427 A. H.

ENGLISH SECTION
July. 2006

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

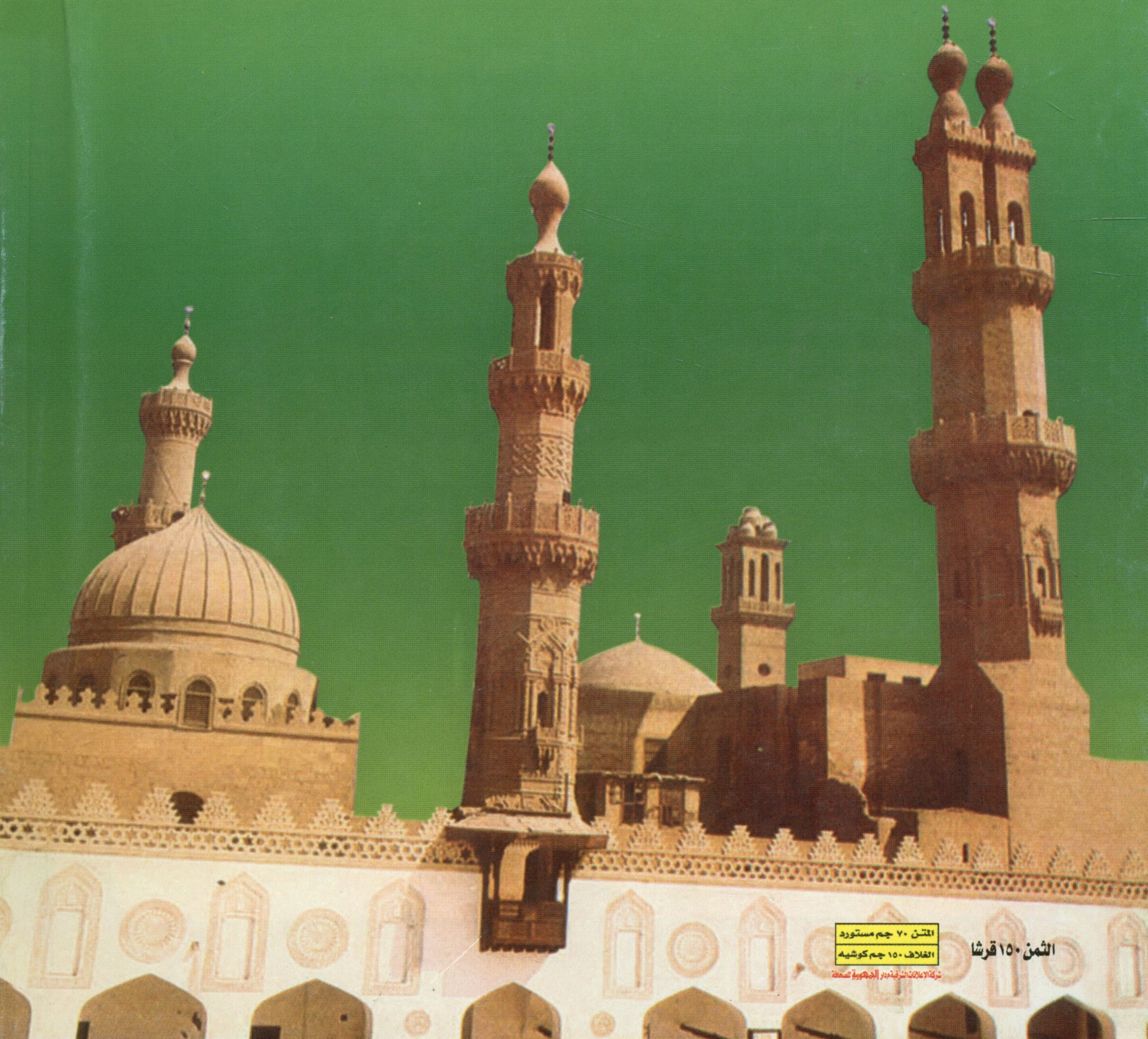
(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الفهـــــرس

AL AZHAR MAGAZINE

Rajab , 1427 A.H.Aug, 2006.
Vol. 79, Part VII.



المتن ٧٠ جم مستورد
الغلاف ١٥٠ جم كوشيه
شركة الإعلانات الشرقية دار الجمهورية للصحافة

الثمن ١٥٠ قرشا